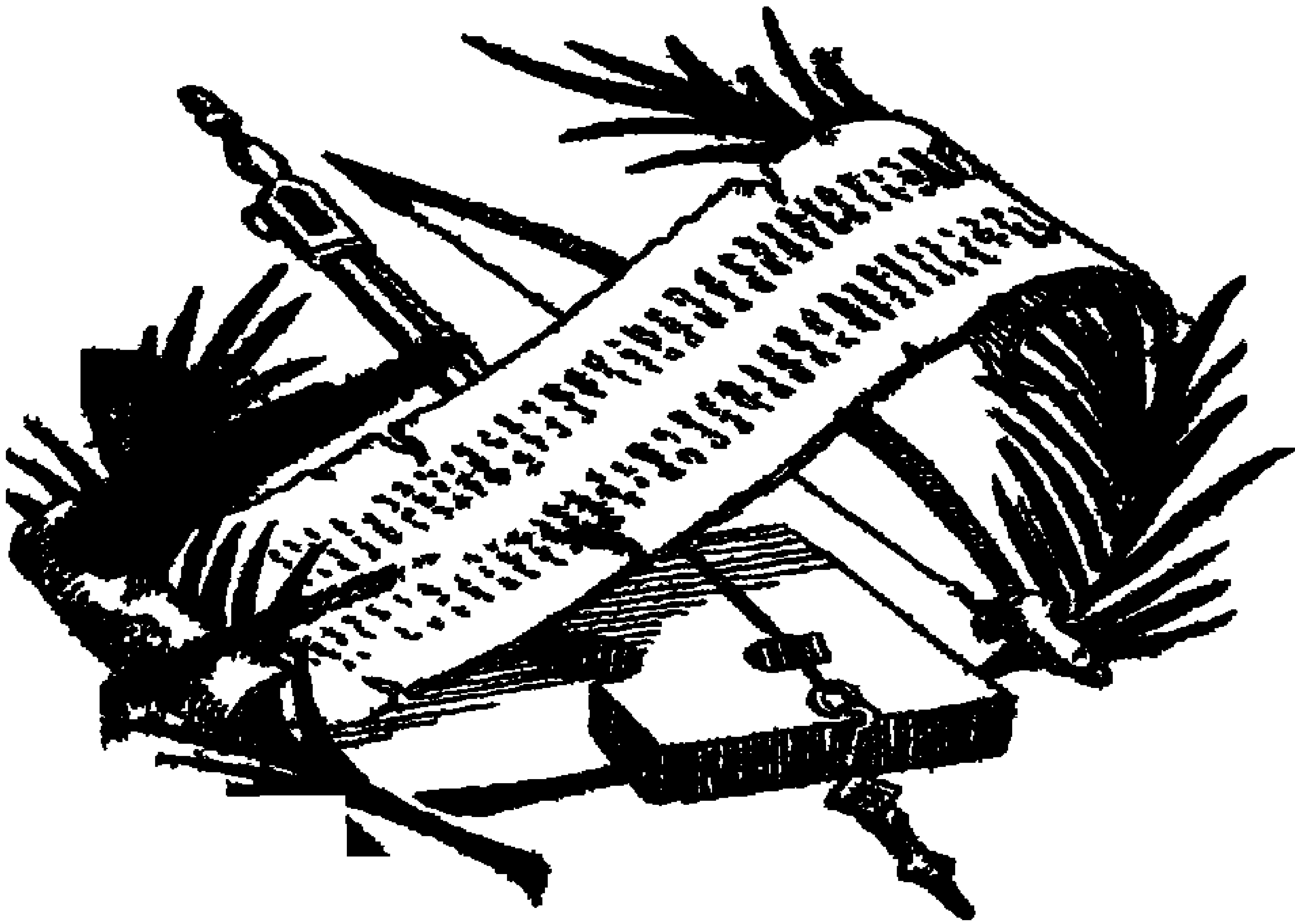
ديوان
الشريف الرضي

المجلد الأول



دار صادر - دار بيروت

ديوان الشريف الرضي

١

ديوان
الشريف الرضي

المجلّد الأول

دار بيروت
للطباعة والنشر

دار صادر
للطباعة والنشر

بيروت

١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م

الشريف الرضي

٣٥٩ – ٤٠٦ هـ * ٩٦٩ – ١٠١٥ م

هو أبو الحسن محمّد بن أبي أحمد الحسين الطاهر الملقّب بذي المناقب ؛ يرتقي بنسبه إلى موسى الكاظم ، فإلى الحسين بن علي ، ولهذا لقّب بالشريف الرضي الموسوي .

وُلد في بغداد وتثقّف فيها . ويقول الثعالبي في يتيمته : « إن الرضي ابتدأ بقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل » . وذكر الفتح بن جنّي : « ان الشريف الرضي أُحضر إلى السيرافي النحوي ، وهو طفل جداً لم يبلغ عمره عشر سنين ، فلقّنه النحو . وقعد معه يوماً في حلقته فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم ، فقال له : إذا قلنا رأيت عمرو فما علامة النصب في عمرو ؟ فقال له الرضي : بُغضُ عليّ ! فعجب السيرافي والحاضرون من حدّة خاطره .

كان الرضي متعمّقاً في علوم القرآن ، متبحّراً في علم الكلام واللغة والنحو ؛ وقد اتخذ له داراً سمّاها دار العلوم ، كان الطلبة يلازمونها ويعين لهم من ماله ما يحتاجون إليه .

وقد انتقلت إليه نقابة الأشراف من أبيه ، وأبوه حيّ ، وتولّى معها إمارة الحج والمظالم ؛ وهو أوّل طالبي جعل عليه السواد ، شعار العبّاسيين . كان ذا هيبة ، وجلالة ، وورع ، وعفّة ، ومراعاة للأهل والعشيرة ؛ رفيع المنزلة

بشرف نسبه وعلو منصبه ، عزيز النفس أبيّها . وكان يرشح نفسه للخلافة ، فكان أبو إسحق الصابئ يطمعه فيها . ومن أدلّ شعره على عزة نفسه وعظمتها ، قوله يخاطب القادر بالله الخليفة العبّاسي في قصيدة مدحه بها :

عَطفاً ! أميرَ المؤمنينَ ، فإنّنا في دوحة العلياء لا نتفرّقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ أبداً كلانا في المعالي معرقُ
إلاّ الخلافة ميّزتك ، فإنّني أنا عاطلٌ منها وأنتَ مُطوّقُ

فيقال : إن القادر ، عندما سمع ذلك منه ، قال له : « على رغم أنف الشريف » .

وعلى تبحّر الرضي في العلوم وما كان عليه من ثقافة مكينة ، لبث في شعره متمسّكاً بطريقة الأقدمين ، يحافظ على أساليبهم ومعانيهم ، ذاك بأن أبناء الأسر العربيّة النبيلة كانوا يحافظون كلّ المحافظة على قديمهم ، يتمسكون به لأنّه تراث أجدادهم ، وسجل أمجادهم ، وديوان مفاخرهم .

على أن شعر الرضي ، وإن يكن قديم الأسلوب ، ظاهر البلاغة ، عالي النفَس مديده ، قوي النسج ، واضح التعابير ، فيه متانة وسهولة ورصانة ، تظهر فيه شخصيّة صاحبه ؛ شخصيّة نبيلة ، عزيزة النفس ، أبيّة ، طموح ؛ وقلّما قرأت له قصيدة ، في أي نوع من أنواع الشعر ، إلاّ أحسست فيها روح الفخر ، وشكوى الزمان ، والشيب .

وقد كان يُعدّ أشعر القرشيين . قال الثعالبي عنه في يتيمته : « يُعدّ اليوم أبدع أهل الزمان ، وأنجب سادة العراق ، يتحلّى ، مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف ، بأدب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ؛ وهو أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين كالحمّاني ،

وابن طباطبا ، والناصر ، ولو قلت عنه : انّه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق . »

وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : « سمعت أبا عبد الله محمّد بن عبد الله الكاتب في حضرة الحسين بن محفوظ ، وكان أحد الرؤساء ، يقول : سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون : « إن الرضي أشعر قريش . فقال ابن محفوظ : هذا صحيح ، وقد كان في قريش من يجيد القول إلاّ أن شعره قليل ، فأما مجيد ومكثر ، فليس إلاّ الشريف » وفي هذا القول كلّ الصواب ، فإن الشريف الرضي ، والحق يقال ، قد جمع بين الإكثار والإجادة .

وقد توفي هذا الشاعر الشريف في بغداد يوم الأحد سادس محرّم ، وقيل صفر ، ودفن في داره بخط مسجد الأنباريين بالكرخ ، ثمّ نقل رفاته إلى مشهد الحسين بكربلا ، فدفن عند أبيه ؛ وما لبثت داره أن خربت ودرس قبره .

قال ابن خلكان : « أخبرني بعضهم أنّه رأى في مجموع أن بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضي بسرّ من رأى ، وهو لا يعرفها ، وقد أخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخلقت ديباجتها ؛ وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجّباً من صروف الزمان وطوارق الحدثان ، وتمثل بقول الشريف الرضي :

ولقد وقفت على ربوعهم وطلولها بيد البِلى نَهب
فبكيتُ حتّى ضجّ من لغب نِضوي ، ولجّ بعذليَ الرّكب
وتلفّتت عيني ، فمذ خفيت عنّي الديار تلفّت القلب

فمرّ به شخص ، وسمعه وهو ينشد الأبيات ، فقال له : هل تعرف لمن هذه الدار ؟ فقال : لا ! فقال : هي لصاحب هذه الأبيات الشريف الرضي . فعجبا من حسن الاتفاق » .

وقد رويت عنه أخبار كثيرة تدلّ كلّها على شرف محتده، وعزّة نفسه، وترفّعه ، وسموّ شاعريّته ، وتضلعه من علوم زمانه ؛ ومن أبلغ ما ترك من الآثار ، بَلْهَ ديوانه الشعري ، كتاب « نهج البلاغة » وهو أثر جليل جَمَعَ فيه خطب الإمام عليّ بن أبي طالب وحِكمه ورسائله ، فكان كاسمه الذي أطلقه عليه .

حرفا الهمزة والالف

جزاء أمير المؤمنين

قال الشريف الرضي ذو الحسبين أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المنقبتين أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه وعلى نبينا السلام يمدح الخليفة الطائع لله ويهنئه بعيد الأضحى من سنة سبع وسبعين وثلثمائة :

جَزاءُ أميرِ المُؤمِنِينَ ثَنَائي ، عَلى نِعَمٍ مَا تَنقَضِي وَعَطَاءِ
أقَامَ اللّيَالي عَنْ بَقَايا فَرِيسَتي ، وَلَمْ يَبقَ مِنها اليَوْمَ غَيرُ ذَمَاءِ[1]
وأدْنَى أقاصِي جَاهِهِ لوَسَائِلي ، وَشَدّ أوَاخي جُودِهِ بِرَجائي[2]
وَعَلّمَني كَيفَ الطّلُوعُ إلى العلى وَكَيفَ نَعيمُ المَرْءِ بَعدَ شَقَاءِ
وَكَيفَ أرُدّ الدّهرَ عَن حَدَثَانِهِ وألقَى صُدُورَ الخَيلِ أيَّ لِقَاءِ
فَما ليَ أُغْضِي عَنْ مَطالِبَ جمّةٍ وأعْلَمُ أنّي عُرْضَةٌ لفَنَاءِ
وَأترُكُ سُمرَ الخَطّ ظَمأى خَلِيّةً وشرُّ قناً ما كُنّ غَيرَ رِوَاءِ[3]

---

١ الذماء : بقية الروح .
٢ الأواخي ، الواحدة أخية : حبل يدفن في الأرض مثبتاً فيبرز منه شبه حلقة تشد فيها الدابة وأراد هنا العرى .
٣ الخلية : اليابسة .

إذا ما جَرَرْتُ الرّمحَ لم يُثْنِنِي أبٌ يُليحُ ، ولا أُمٌّ تَصِيحُ وَرَائي[1]
وشَيّعَني قَلْبٌ إذا مَا أمَرْتُهُ أطَاعَ بعَزْمٍ لا يَرُوغُ وَرَائي
أرى الناسَ يَهوَوْنَ الخلاصَ من الرّدى ، وتَكمِلَةُ المَخلوقِ طُولُ عَناءِ
ويَستَقبحونَ القتلَ ، والقتلُ رَاحةٌ ، وأتعَبُ مَيتٍ مَنْ يَمُوتُ بداءِ
فلَستُ ابنَ أُمّ الخيَلِ إن لم أُعِدْها عَوابسَ تأبَى الضّيمَ مثلَ إبائي
وأُرْجِعُها مَفجُوعَةً بحُجُولِها إذا انتَعَلَتْ من مأزِقٍ بدِماءِ[2]
إلى حَيّ مَنْ كَانَ الإمَامُ عَدوَّهُ وصَبّحَهُ مِنْ أمْرِهِ بقَضاءِ
هوَ اللّيثُ لا مُستَنهَضٌ عن فريسةٍ ولا رَاجِعٌ عَنْ فُرْصَةٍ لحَيَاءِ
ولا عَزْمُهُ في فِعْلِهِ بمُذَلَّلٍ ، ولا مَشيُهُ في فَتكِهِ بِضَرَاءِ[3]
هُوَ النّابِهُ النّيرانِ في كلّ ظُلمَةٍ ومُجري دِماءِ الكُومِ كلَّ مَساءِ[4]
ومُعلي حَنينِ القَوْسِ في كلّ غارَةٍ بسَهمِ نِضَالٍ أوْ بِسَهْمِ غَلاءِ[5]
فَخارٌ لَوَ انّ النّجمَ أُعطيَ مثلَهُ ترَفّعَ أنْ يَأوِي أديمَ سَمَاءِ
وَوَجهٌ لَوَ انّ البَدرَ يَحمِلُ شُبهَهُ أضَاءَ اللّيالي مِنْ سَنًى وَسَنَاءِ[6]
مَغارِسُ طالَتْ في رُبَى المجدِ والتقتْ عَلى أنبِيَاءِ اللهِ والخُلَفاءِ

. . . .

١ يليح : يشير بثوبه .
٢ الحجول ، الواحد حجل : البياض في رجل الفرس . المأزق : المضيق . أراد مضيق القتال .
٣ الضراء : الاستخفاء فيما يواري من الشجر .
٤ الكوم ، الواحدة كوماء : الناقة العظيمة ، يمدحه بالجود .
٥ الغلاء : البعيد المرمى .
٦ السنى : النور . السناء : الرفعة .

وكَمْ صارخٍ ناداكَ لمّا تَلَبَّبَتْ به السُّمْرُ في يَوْمٍ بغَيرِ ذُكَاءِ[1]
رَددتَ عليه النفسَ والشمسَ فانثنى بأنعمِ رُوحٍ في أعمّ ضِيَاءِ
وكَمْ صَدْرِ مَوْتُورٍ تَطَلّعَ غَيظُه وَقَلّبَ قَوْلاً عَنْ لِسَانِ مِراءِ[2]
يُغَطّي عَلى أضْغانِهِ بنِفَاقِهِ، كذي العَقْرِ غطّى ظهرَهُ بكفاءِ[3]
كرَرْتَ عَلَيهِ الحِلمَ حتى قتَلتَهُ بغَيرِ طِعانٍ في الوَغَى ورِمَاءِ
إذا حَمّلَ النّاسُ اللّوَاءَ عَلامَةً كَفاكَ مثارُ النّقعِ كلَّ لِواءِ
وَجَيْشٍ مُضرٍّ بالفَلاةِ كَأنّهُ رِقَابُ سُيُولٍ أوْ مُتُونُ نِهَاءِ[4]
كأنّ الرُّبَى زَرّتْ عَلَيهِ جُيوبَها وَرَدّتْهُ مِنْ بَوْغائِها بِرِداءِ[5]
وَخَيلٍ تغالى في السرُوجِ كَأنّها صُدُورُ عوَالٍ أوْ قِداحُ سَرَاءِ[6]
لها السبقُ في الضّمَاتِ والسبقُ وَخدُها إذا غُطّيَتْ مِنْ نَقعِها بغِطاءِ[7]
وَليسَ فتًى من يدّعي البأسَ وَحدَه إذا لَمْ يُعَوِّذْ بأسَهُ بسَخَاءِ
وَما أنتَ بالمَبخوسِ حَظّاً من العلى وَلا قانِعاً مِنْ عَيشِهِ بكِفَاءِ
نَصِيبُكَ من ذا العيدِ مثلُكَ وافرٌ وَسَعدُكَ فيهِ مُؤْذِنٌ بِبَقَاءِ
وَلَوْ كانَ كلٌّ آخذاً قدرَ نَفسِهِ، لكانَتْ لَكَ الدّنيَا بغَيرِ مِرَاءِ

---

١ تلببت : وقعت بلبته ، موضع القلادة من صدره . ذكاء : الشمس .
٢ الموتور : الذي قتل له قتيل ولم يثأر به . تطلع : تدفق . المراء : الملاجة والمنازعة .
٣ الكفاء : الستر .
٤ النهاء : الغدران ، الواحد نهي .
٥ بوغائها : تربتها الرخوة .
٦ تغالى : تتسرع وترتفع . السراء : شجر تتخذ منه القسي .
٧ الضمات ، الواحدة ضمة : حلبة الرهان . الوخد : ضرب من السير . النقع : غبار الحرب .

وَمَا هذهِ الأعيادُ إلاّ كَواكِبٌ تَغُورُ وتُولينا قَليلَ ثَواءِ
فخُذْ من سرُورٍ ما استطعتَ وفزْ بهِ فللنّاسِ قِسما شدّةٍ ورَخاءِ
وبادِرْ إلى اللّذّاتِ ، فالدهرُ مولَعٌ بتَنغيصِ عَيشٍ وَاصْطِلامِ عَلاءِ[1]
أبثُّكَ مِنْ وُدّي بغَيرِ تَكَلّفٍ وأرْضِيكَ مِنْ نُصْحي بغيرِ رِياءِ
وَأذكُرُ ما أوْلَيتَني مِنْ صَنيعَةٍ ، فأصْفيكَ رَهْنَيْ طاعَةٍ وَوَفاءِ
أعِنّي على دَهْرٍ رَماني بصَرْفِهِ ، وَرَدّ عِناني ، وَهوَ في الغُلَواء[2]
وَحَلأني عَمّنْ أعُدّ بِعادَهُ سَقامي وَمَن قُرْبي إلَيهِ شِفائي[3]
فَقَدْتُ، وَفي فَقدِ الأحِبّةِ غرْبةٌ وَهِجرانُ مَنْ أحبَبتُ أعظَمُ داءِ
فَلا تَطمَعَنْ، يا دَهرُ، فيّ، فإنّهُ مَلاذِيَ مِمّا رَاعَني ، وَوِقائي
أرُدّ بهِ أيْدي الأعادي ، وَأتّقي نَوافِذَ شَتّى مِنْ أذًى وَبَلاءِ
ألَذّ بقَلبي مِنْ مُنايَ تَقَنُّعي ، وَأحسنُ عندي من غنايَ غَنائي[4]
وَمَنْ كانَ ذا نَفسٍ تُطيعُ قَنوعةً رَضِي بِقَليلٍ مِنْ كَثيرِ ثَراءِ
حدَوْا بالمَطايا يوْمَ جالَتْ غُرُوضُها وَيَوْمَ اتّقَتْ رُكبانُها برُغاءِ[5]
تَوَمّكَ لا تَلوِي عَلى كلّ رَوْضَةٍ يَصيحُ بهَا حَوْذانُها ، وَأضاءِ[6]

1 الاصطلام: الاستئصال .
2 غلواء الشباب : أوله .
3 حلأني : منعني .
4 الغناء : الاستغناء والاكتفاء .
5 غروضها : أحزمتها . الرغاء : صوت الجمال .
6 يصيح : يطول . الحوذان : نبات طيب الطعم زهره أحمر في أصله صفرة . الاضاء ، الواحدة أضاة : الغدير .

وَلا تَشرَبُ الأمواهَ إلاّ تَعِلّةً ، إذا عثَرَتْ أخفافُهُنّ بِماءِ
لهَا سائِقٌ يَطغَى علَيها بسَوْطِهِ وَيَشْدُو على آثارِهَا بحُداءِ
غُلامٌ كَأشْلاءِ اللّجَامِ تُجيزُهُ صُدُورُ القَنَا والبيضُ كُلَّ فَضاءِ[1]
إذا بَلَغَتْ ناديكَ نَالَ رِفَاقُها عَرِيضَ عَطاءٍ مِنْ طَوِيلِ ثَنَاءِ
وَمِثلُكَ مَنْ يُعشَى إلى ضَوْءِ نارِه وَيُلفَى قِرَاهُ عِندَ كُلّ خِبَاءِ
وَما كلُّ فَعّالِ النّدَى بشبائِهِ ، وَلا كلُّ طُلاّبِ العُلَى بسَوَاءِ[2]

شيم الملوك

يمدح الملك بهاء الدولة ويهنئه بشهر رمضان سنة ٣٨١ :

بَهَاءُ المُلْكِ مِنْ هذا البَهَاءِ ، وَضَوْءُ المَجدِ مِنْ هذا الضّيَاءِ
وَمَا يَعلُو عَلى قُلَلِ المَعَالي ، أحَقُّ مِنَ المُعَرَّقِ في العَلاءِ
وَلا تَعنُو الرُّعاةُ لِذي حُسَامٍ ، إذا مَا لمْ يكُنْ راعي رُعَاءِ[3]
وَمَا انتَظَمَ المَمالِكَ مثلُ ماضٍ يَتِمّ لَهُ القَضاءُ عَلى القَضاءِ

---

١ أشلاء اللجام : سيوره . تجيزه : تجعله يقطع .
٢ بشبائه : أراد بمشابهين له .
٣ الرعاء ، الواحد راع : من ولي أمر قوم .

إذا ابتَدَرَ الرِّهانَ مُبادِرُوهُ ، تَمَطّرَ دونَهُمْ ، يوْمَ الجِرَاءِ[1]
وَإنْ طَلَبَ النّدى خرَجَتْ يَداه خُرُوجَ الوَدقِ من خلَلِ الغَماءِ[2]
حَذارِ ، إذا تَلَفَّعَ ثوبَ نَقْعٍ ، حَذارِ ، إذا تَعَمّمَ باللّوَاءِ
حَذارِ مِنِ ابنِ غيطلَةٍ مُدِلٍّ ، يَسُدُّ مَطالِعَ البِيدِ القَوَاءِ[3]
إذا ألقَى على لَهَوَاتِ ثَغْرٍ يَدَيْ غَضبانَ مَرْهوبِ الرُّواءِ[4]
تَمُرُّ قَعاقِعُ الرِّزّيْنِ مِنْهُ كَمَعمَعَةِ اللّهيبِ مِنَ الأبَاءِ[5]
وَمِطرَاقٍ على اللّحَظاتِ صِلٍّ مَرِيضِ النّاظِرَيْنِ مِنَ الحَيَاءِ
تَنَكّسَ كالأميمِ ، فإنْ تَسامَى مَضَى كالسّهمِ شَذّ عنِ الرِّماءِ[6]
وَما يُنجي اللّديغَ بهِ تَداوٍ ، وَقَدْ أمسَى بداءٍ أيِّ داءِ
وَلا قُضُبُ الرِّجالِ الصِّيدِ فَضْلاً عَنِ الأصواتِ في حَلْيِ النّساءِ[7]
وَيَوْمُ وَغًى على الأعداءِ هَوْلٌ تُمازُ بهِ السّراعُ مِنَ البِطَاءِ
رَمَيتُ فُرُوجَهُ حتى تَفَرّى بأيدي الجُرْدِ وَالأسَلِ الظِّماءِ[8]

---

١ تمطر : جاء مسرعاً .
٢ الودق : المطر . الغماء : الغمام .
٣ الغيطلة : الظلام المتراكم . المدل : الذي يدل على أقرانه بشجاعته . القواء : الخالية .
٤ اللهوات ، الواحدة لهاة : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم . الرواء : المنظر .
٥ القعاقع : صوت السلاح ، الواحدة قعقعة . الرزان : حدا السيف . المعمعة : صوت الحريق
الأباء : القصب .
٦ تنكس : طأطأ رأسه . الأميم : المشجوج في أم رأسه .
٧ القضب ، الواحد قضيب : السيف القطاع . الصيد ، الواحد أصيد : الذي يرفع رأسه كبراً .
٨ تفرى : تشقق . الاسل : الرماح .

فَمِنْ غُلْبٍ كَأَنَّهُمُ أُسُودٌ … عَلى قُبٍّ ضَوَامِرَ كالظِّبَاءِ[1]

وَمِنْ بِيضٍ كَأَنَّ مُجَرِّدِيهَا … يُمِرّونَ الأكُفَّ عَلى الأضَاءِ

نَوَاحِلَ لمْ يَدَعْ ضَرْبُ الهَوَادي … بِهَا أبَداً مَكاناً للجِلاءِ[2]

وَمِنْ هَاوٍ تَرَنّحَ في العَوَالي ، … وَعَارٍ قَدْ أقَامَ عَلى العَرَاءِ[3]

وآخَرَ مَالَ كالنّشوانِ مَالَتْ … بِهَامَتِهِ شَآبِيبُ الطِّلاءِ[4]

وَعُدتُ وَقد خبَأتُ الحَرْبَ عَنهُ … إلى سِلْمِ الرّغائبِ وَالعَطَاءِ

فَيَوْمٌ للمَكَارِمِ وَالعَطَايَا ؛ … وَيَوْمٌ للحَمِيّةِ وَالإبَاءِ

تَقُودُ الخَيلَ أرْشَقَ مِنْ قَنَاها … شوازِبَ كالقِداحِ مِنَ السَّرَاءِ[5]

بغارَاتٍ كَوَلغِ الذّئْبِ تَتْرَى ، … عَلى الأعداءِ بَيّنَةِ العَدَاءِ

عَزَائِمُ كالرّياحِ مَرَرْنَ رَهواً ، … عَلى الأقطارِ مِنْ دانٍ وَنَاءِ

وَقَلبٌ كالشّجاعِ يَسُورُ عَزْماً … وَيَجذِبُ بالعُلى جذبَ الرّشَاءِ

وكَفٌّ كالغَمامِ يَفيضُ حتى … يَعُمَّ الأرْضَ مِنْ كَلإٍ وَماءِ

وَوَجْهٌ مَاجَ ماءُ الحُسنِ فيهِ … وَلاحَ عَلَيْهِ عُنوانُ الوَضَاءِ

يُشارِكُ في السّنى قَمَرَ الدّياجي … وَيَفضُلُهُ بزَائِدَةِ السّنَاءِ

وَمُعتَلِجِ الجَلالِ نَزَعتَ عَنْهُ ، … عَلى عَجَلٍ ، رِداءَ الكِبرِيَاءِ[6]

---

١ الغلب ، الواحد أغلب : العزيز الممتنع . القب ، الواحد أقب : الضامر من الخيل .

٢ الهوادي : الأعناق ، الواحدة هادية .

٣ أراد بالهاوي : الرمح ، وبالعاري : السيف .

٤ شآبيب ، الواحد شؤبوب : الدفعة من المطر ، استعاره للطلاء : الخمر .

٥ الشوازب : الضامرة . القداح : السهام . السراء : شجر تتخذ منه القسي .

٦ المعتلج : المجتمع . الجلال : الترفع والتعظم .

فأصْبَحَ خارِجاً مِنْ كُلِّ عِزٍّ خُرُوجَ العُودِ بُزَّ مِنَ اللّحَاءِ
وَحُزْتَ جِمامَ نِعمَتِهِ وكانَتْ غِماراً لا تُكَدَّرُ بالدِّلاءِ
برَأيٍ ثُقّفَ الإقبالُ مِنْهُ ، فأقدَمَ كالسِّنَانِ إلى اللّقَاءِ
إذا أشِرَ القَرِيبُ عَلَيكَ فاقطَعْ بِحَدّ السّيْفِ قُرْبَى الأقرِباءِ
وكُنْ إنْ عَقّكَ القُرَباءُ مِمّنْ يَمِيلُ عَلى الأخُوّةِ للإخَاءِ
فَرُبّ أخٍ خَلِيقٍ بالتّقالي ، وَمُغتَرِبٍ جَدِيرٍ بالصّفَاءِ
وَلا تُدْنِ الحَسُودَ ، فذاكَ عُرٌّ مَضِيضٌ لا يُعالَجُ بِالهِنَاءِ[1]
كَفاكَ نَوائِبَ الأيّامِ كَافٍ طَرِيرُ العَزْمِ مَشحُوذُ المَضاءِ[2]
أمِينُ الغَيبِ لا يُوكَى حَشاهُ لآمِنِهِ عَلى الدّاءِ العَيَاءِ[3]
أقَامَ يُنَازِلُ الأبْطالَ ، حتى تَفَلّلَ كُلُّ مَشهُورِ المَضَاءِ
إزَاءَ الحَرْبِ يَعتَنِقُ العَوَالي ، وَيَغتَبِقُ النّجيعَ مِنَ الدّمَاءِ
إذا مَا قِيلَ : مِلْ ، رَأيتَ مِنْهُ نَوازِعَ تَشرَئِبّ إلى اللّقَاءِ
فَجَرّبْنِي تَجِدْني سَيْفَ عَزْمٍ يُصَمّمُ غَرْبُهُ ، وَزِنَادَ رَاءِ[4]
وَأسمَرَ شارِعاً في كُلِّ نَحْرٍ شرُوعَ الصِّلّ في يَنبُوعِ مَاءِ
إذا عَلِقَتْ يَداكَ بِهِ حِفَاظاً ، مَلأتَ يَدَيكَ مِنْ كَنْزِ الغَنَاءِ

---

١ العر : الجرب . الهناء : القطران .
٢ طرير العزم : شديده .
٣ يوكى : يربط .
٤ يصمم : يمضي في العظم ويقطع . غربه : حده . زناد راء : أي زناد رأي . شبه اقتداح الرأي يقدح الزناد ، أي إخراج النار منه .

يُعاطيكَ الصّوابَ بلا نِفاقٍ ، وَيَمحَضُكَ السَّدادَ بِلا رِيَاءِ
جَرِيٌّ يَوْمَ تَبعَثُهُ لحَرْبٍ، وَقُورٌ يَوْمَ تَبحَثُهُ لرَاءِ
إذا كانَ الكُفاةُ لِذا عَبيداً ، فَذا كَافي الكُفاةِ ، بِلا مِرَاءِ
بهَاءَ الدّوْلَةِ المَنصُورَ إنّي دَعَوْتُكَ بَعْدَ لأيٍ مِنْ دعائي
وكنتُ أظُنّ أنّ غِنَاكَ يَسْرِي إليّ بِمَا تَبَيّنَ مِنْ غِنَاءِ
فَلِمْ أنَا كالغَريبِ وَرَاءَ قَوْمٍ لَوِ اختُبِرُوا لَقَدْ كانُوا وَرَائي
بَعيدٌ عَن حِماكَ وَلي حُقُوقٌ قَوَاضٍ أنْ يَطُولَ بهِ ثَوَائي
أأبْلَى ثُمّ يَبْدُو باصطِناعي، كَفَاني مَا تَقَدّمَ مِنْ بَلائي[1]
وَذَبّي عَنْ حِمَى بَغدادَ قِدماً بفَضْلِ العَزْمِ وَالنّفسِ العِصَاءِ[2]
غَداةَ أظَلّتِ الأقْطارُ مِنهَا مُضَرَّجَةً تَبَزّلُ بالدّمَاءِ
دُخانٌ تَلهَبُ الهَبَواتُ مِنهُ ، مَدَى بَينَ البَسيطَةِ وَالسّمَاءِ
صَبَرْتُ النّفْسَ ثمّ عَلى المَنَايَا إلى أقْصَى الثّمِيلَةِ وَالذّمَاءِ[3]
رَجَاءَ أنْ تَفُوزَ قِداحُ ظَنّي ، وَتَلْوِي بالنّجاحِ قُوَى رَجَائي
وَلي حَقٌّ عَلَيكَ،فَذاكَ جِدّي قَدِيمٌ في رِضَاكَ وَذا ثَنَائي
وَمِنْ شِيَمِ المُلوكِ عَلى اللّيالي مُجَازَاةُ الوَليّ عَلى الوَلاءِ
سَيَبلُو مِنكَ هذا الصّوْمُ خِرْقاً رَحيبَ الباعِ فَضْفاضَ الرّداءِ[4]

---

١ يبدو باصطناعي : أي يظهر له رأي آخر فيّ .
٢ العصاء : العاصية ، وهو نعت بالمصدر .
٣ الثميلة : البقية . الذماء : بقية الروح .
٤ الخرق : الكريم السخي .

تَصُومُ فَلا تَصُومُ عَنِ العَطايَا ... وَعَنْ بَذْلِ الرَّغائِبِ وَالحِبَاءِ
أَلا فَاسعَدْ بهِ ، وَبِكُلِّ يَوْمٍ ... يُفَوِّقُهُ الصَّبَاحُ إلى المَسَاءِ
وَدُمْ أبَدَ الزَّمَانِ ، فأنْتَ أوْلى ... بَني الدّنْيَا بِعارِيَةِ البَقَاءِ
عَلِيّ الجَدّ، مُقتَرِبَ الأمَاني، ... عَزِيزَ الجَارِ،مَطْرُوقَ الفِنَاءِ

ابن السابقين إلى المعالي

قال عطر الله مرقده يفتخر ويشكو الزمان :

أيَا لله ! أيُّ هَوًى أضَاءَ ... بَرِيقٌ بالطُّوَيْلِعِ إذْ تَرَاءَى
ألَمّ بِنَا كَنَبْضِ العِرْقِ وَهناً، ... فَلَمّا جَازَنَا مَلأَ السّمَاءَ
كَأنّ وَمِيضَهُ أيدي قُيُونٍ ... تُعِيدُ عَلى قَوَاضِبِهَا جِلاءَ
طَرِبْتُ إلَيهِ ، حتى قالَ صَحبي ... لأمرٍ هَاجَ مِنكَ البَرْقُ داءَ
وَلَمْ يَكُ قَبلَهَا يَقتَادُ طَرْفي ، ... وَلا يَمضِي بلُبّي حَيْثُ شَاءَ
خَليلَيّ اطْلِقَا رَسَني ، فَإنّي ... أشَدُّكُمَا عَلى عَزْمٍ مَضَاءَ
أبَتْ لي صَبْوَتي إلاّ التِفَاتاً ... إلى الدِّمَنِ البَوَائِدِ وانثِنَاءَ
فإنْ تَرَيا،إذا ما سِرْتُ،شَخصِي ... أمَامَكُمَا ، فَلي قَلْبٌ وَرَاءَ
وَرُبّتَ سَاعَةٍ حَبَسْتُ فيهَا ... مَطَايَا القَوْمِ أمنَعُهَا النَّجَاءَ

عَلى طَلَلٍ كَتَوْشيعِ اليَمَاني أمَحَّ ، فَخالَطَ البِيدَ القَوَاءَ[1]
قِفَارٌ لا تُهَاجُ الطّيرُ فِيهَا ، وَلا غَادٍ يَرُوعُ بِهَا الظّبَاءَ
فَيا لي مِنْهُ يُصْبِيني أنيقاً بسَاكِنِهِ ، وَيُبكِيني خَلاءَ
أُنادي الرّكْبَ : دُونَكُمُ ثَرَاه لَعَلّ بِهِ لِذِي داءٍ دَوَاءَ
تَسَاقَيْنَا التذَكّرَ ، فَانثَنَينَا كَأنّا قَدْ تَسَاقَيْنَا الطّلاءَ
وَعُجنَا العِيسَ تُوسِعُنا حَنِيناً تُغَنّينَا ، وَنُوسِعُها بُكَاءَ[2]
إلى كَمْ ذا التّرَدّدُ في التّصَابي ، وَفَجرُ الشّيبِ عندي قَدْ أضَاءَ
فَيا مُبدي العُيُوبِ سقَى سَواداً يَكُونُ عَلى مَقابِحِها غِطَاءَ
شَبَابي إنْ تَكُنْ أحسَنتَ يَوْماً ، فَقَد ظَلَمَ المَشيبُ ، وَقد أسَاءَ
وَيا مُعطي النّعيمِ بِلا حِسابٍ ، أتَاني مَنْ يُقَتّرُ لي العَطَاءَ
مَتَاعٌ أسْلَفَتْنَاهُ اللّيَالي ، وَأعجلَنا ، فأسْرَعْنا الأدَاءَ
تَسَخّطنا القَضاءَ ، وَلَوْ عقَلنا فَما يُغْني تَسَخُّطُنا القَضاءَ
سأمضي للّتي لا عَيبَ فيها ، وَإنْ لمْ أستَفِدْ إلاّ عَنَاءَ
وَأطلُبُ غَايَةً إنْ طَوّحَتْ بي ، أصَابَتْ بي الحِمَامَ أوِ العَلاءَ
أنَا ابنُ السّابِقِينَ إلى المَعَالي ، إذا الأمَدُ البَعيدُ ثَنَى البِطَاءَ
إذا رَكِبُوا تَضَايَقَتِ الفَيَافي ، وَعَطّلَ بعضُ جمعِهِمُ الفضَاءَ
نَماني مِنْ أُبَاةِ الضّيمِ نَامٍ ، أفاضَ عَليّ تِلكَ الكِبرِيَاءَ

---

1 التوشيع : رقم الثوب . اليماني : التاجر اليماني . امح : بلي :
2 العيس : النياق .

شَـأَوْنَـا النّـاسَ أخلاقاً لِداناً ، وَأيْماناً رِطَاباً ، وَاعتِلاءَ
وَنَحنُ النّازِلُونَ بكلّ ثَغْرٍ ، نُرِيقُ عَلى جَوانِبِهِ الدّماءَ
وَنَحنُ الخائِضُونَ بكُلّ هَوْلٍ إذا دَبّ الجَبَانُ بِهِ الضَّرَاءَ[1]
وَنَحنُ اللاّبِسُونَ لِكُلّ مَجدٍ إذا شِئْنَا ادّراعاً وَارْتِداءَ
أقَمنَا بالتّجارِبِ كُلَّ أمْرٍ أبَى إلاّ اعوِجَاجاً والتِواءَ
نَجُرّ إلى العُداةِ سُلافَ جَيشٍ كعَرْضِ اللّيلِ يَتّبِعُ اللّوَاءَ[2]
نُطيلُ بهِ صَدى الجُرْدِ المَذاكي إلى أنْ نُورِدَ الأسَلَ الظِّماءَ
إذا عَجَمُ العِدا أدْمَى وأصْمَى وَطَيّرَ عَن قَضِيبِهِمُ اللّحَاءَ
عَجَاجٌ تَرْجِعُ الأرْوَاحُ عَنْهُ فَلا هُوجاً يُجِيزُ وَلا رُخَاءَ[3]
شَوَاهِقُ مِنْ جبالِ النّقعِ تَرْمي بِهَا أبَداً غُدُوّاً أوْ مَسَاءَ
وَغِرٍّ آكِلٍ بالغَيْبِ لَحْمي ، وَإنّ لأكْلِهِ داءً عَيَاءَ
يُسِيءُ القَوْلَ إمّا غِبْتُ عَنهُ ، وَيُحسِنُ لي التّجَمّلَ وَاللّقَاءَ
عَبَأتُ لَهُ وَسَوْفَ يَعُبّ فيها مِنَ الضّرّاءِ آنِيَةً مِلاءَ
وَمِنّا كلُّ أغلَبَ مُستَحِينٌ إنَ انتَ لَدَدْتَهُ بالذّلّ قَاءَ[4]
إذا مَا ضِيمَ نَمّرَ صَفْحَتَيْهِ ، وَقَامَ عَلى بَرَاثِنِهِ إبَاءَ[5]

---

١ الضراء : المشي مستخفياً بين الشجر .
٢ سلاف الجيش : مقدمته .
٣ الهوج : الرياح العاصفة . الرخاء : الريح اللينة الهبوب .
٤ المستحين : المترقب الحين المناسب . لددته : سقيته .
٥ نمر صفحتيه : غير وجهه .

وَإنْ نُودي بهِ ،وَالحِلمُ يَهفُو ، صَغَا كرماً إلى الدّاعي ، وفَاءَ[1]
وَنَـأبَى أنْ يَنالَ النّصْفَ مِنّا ، وَأنْ نُعطي مُقارِعَنَا السّوَاءَ
وَلَوْ كانَ العِداءُ يَسُوغُ فِينَا ، لمَا سُمنا الوَرَى إلاّ العِـدَاءَ

أنعاك للخيل المغيرة

وقال رحمه الله يرثي أبا الفتح ، ابن الطائع لله ، ويعزيه عنه سنة ست وتسعين وثلثمائة :

أيُّ العُيُونِ تُجَانِبُ الأقْـذاءَ ، أمْ أيُّ قَلْبٍ يَقْطَعُ البُرَحَاءَ[2]
وَالمَوْتُ يَقنِصُ جَمْعَ كُلّ قَبيلَةٍ ، قَنْصَ المُرِيعِ جَآذِراً وَظِبَاءَ[3]
يَتَناوَلُ الضّبَّ الخَبيثَ مِنَ الكُدَى وَيَحُطّ مِنْ عَلْيَائِهَا الشّغوَاءَ[4]
تَبكي عَلى الدّنْيَا رِجالٌ لمْ تَجِدْ للعُمْرِ مِنْ داءِ المَنُونِ شِفَاءَ
وَالدّهْرُ مُختَرِمٌ تَشُنُّ صُرُوفُهُ ، في كُلّ يَوْمٍ ، غَارَةً شَعوَاءَ
إنّا بَنُو الدّنْيَـا تَسيرُ رِكَابُنَا ، وَتُغالِـطُ الإدْلاجَ وَالإسْرَاءَ[5]

---

١ فاء : رجع .
٢ البرحاء : شدة الأذى .
٣ المريع : المخيف ، المفزع .
٤ الكدى : الأرض الصلبة . الشغواء : العُقاب .
٥ الادلاج : السير أول الليل . الإسراء : سير الليل كله .

وَكَـأنّنَا في العَيشِ نَطْلُبُ غَايَةً ، وَجَميعُنا يَدَعُ السِّنِينَ وَرَاءَ
أينَ المَقاوِلُ ، وَالغَطارِفَةُ الأُولى هَجَرُوا الدّيارَ ، وَعَطّلُوا الأفناءَ
فاخلِطْ بصَوْتِكَ كلَّ صَوْتٍ وَاستَمعْ هَلْ في المَنازِلِ مَنْ يُجيبُ دُعَاءَ
وَاشمُمْ تُرَابَ الأرْضِ تَعلَمْ أنّهَا جَرْبَاءُ تُحدِثُ كُلَّ يَوْمٍ داءَ
كَمْ رَاحِلٍ وَلَيْتُ عَنهُ ، وَمَيّتٍ رَجَعَتْ يَدي مِنْ تُرْبِهِ غَبْرَاءَ
وَكَذا مَضَى قَبلي القُرُونُ يَكُبّهُمْ صَرْفُ الزّمَانِ تَسَرُّعاً وَنَجَاءَ[1]
هذا أميرُ المُؤمِنِينَ ، وَظِلّهُ يَسَعُ الوَرَى ، وَيُجَلّلُ الأحْيَاءَ
نَظَرَتْ إلَيهِ مِنَ الزّمَانِ مُلِمّةٌ ، كَاللّيثِ لا يُغْضِي الجُفُونَ حَيَاءَ
وَأصَابَهُ صَرْفُ الرّدَى بِرَزِيّةٍ ، كالرّمْحِ أنْهَرَ طَعْنَةً نَجْلاءَ[2]
ماذا نُؤمّلُ في اليَرَاعِ ، إذا نَشَتْ رِيحٌ تَدُقّ الصَّعدَةَ الصّمّاءَ[3]
عَصَفَ الرّدَى بِمُحَمّدٍ وَمُذَمّمٍ ، فَكَأنّمَا وَجَدَ الرّجَالَ سَوَاءَ
وَمُصَابُ أبْلَجَ مِنْ ذُؤابَةِ هَاشِمٍ وَلَجَ القُبُورَ وَأزْعَجَ الخُلَفَاءَ
وَتَرَ الرّدَى مَنْ لَوْ تَنَاوَلَ سَيفَهُ ، يَوْماً، لَنَالَ مِنَ الرّدَى مَا شَاءَ[4]
غُصْنٌ طَمُوحٌ عَطّفَتْهُ مَنيّةٌ لِلخَابِطِينَ ، وَطَاوَعَ النّكْبَاءَ[5]
يا رَاحِلاً وَرَدَ الثّرَى في لَيْلَةٍ كَادَ الظّلامُ بِهَا يَكُونُ ضِيَاءَ

---

١ يكبهم : يصرعهم . النجاء : السرعة .
٢ أنهر : وسع . نجلاء : واسعة .
٣ نشت : عاودت مرة بعد أخرى . الصعدة : القناة .
٤ وتره : أصابه بمكروه .
٥ الخابطون : الذين يخبطون الشجر بعصيهم .

لمّا نَعاكَ النّاعِيانِ مَشى الجَوَى بَينَ القُلُوبِ وَضَعضَعَ الأحْشاءَ
وَاسودّ شَطرُ اليَوْمِ تَرْجُفُ شَمسُهُ قَلَقاً ، وَجَرّ ضِياؤهُ الظّلْماءَ
وَارْتَجّ بَعدَكَ كُلُّ حيٍّ باكِياً ، فَكَأنّمَا قُلِبَ الصّهِيلُ رُغاءَ
قَبرٌ تَشبّثَ بالنّسيمِ تُرَابُهُ ، دُونَ القُبُورِ ، وَعَقّلَ الأنْواءَ
تَلْقاهُ أبكارُ السّحابِ وَعُونُها ، تَلقى الحَيَا ، وَتُبَدّدُ الأنْداءَ[1]
مُتَهلّلُ الجَنَباتِ تَضْحكُ أرْضُهُ ، فَكَأنّ بَينَ فُرُوجِهِ الجَوْزَاءَ
أوْلى الرّجالِ بِرَيّ قَبرٍ مَاجِدٍ غَمرَ الرّجالَ تَبَرّعاً وَعَطاءَ
وَلَوَ انّ دُفّاعَ الغَمَامِ يُطيعُني لجَرَى عَلى قَبْرِ اللّئيمِ غُثَاءَ[2]
لا زَالَ تَنطُفُ فَوْقَهُ قِطَعُ الحَيَا ، بمُجَلجِلٍ يَدَعُ الصّخُورَ رُوَاءَ[3]
وَتَظُنّ كُلُّ غَمَامَةٍ وَقَفَتْ بِهِ ، تَبكي عَلَيْهِ تَوَدّداً وَوَلاءَ
وَإذا الرّياحُ تَعَرّضَتْ بتُرَابِهِ ، قُلْنَا السّمَاءُ تَنَفّسُ الصُّعَداءَ
إيهاً تَمَطّرَ نَحوكَ الدّاءُ الّذي قَرَضَ الرّجَالَ وَفَرّقَ القُرَباءَ[4]
إنّ الرّمَاحَ رُزِئْنَ مِنكَ مُشَيَّعاً ، غَمْرَ الرّداءِ مُهَذَّباً مِعطاءَ
وَطَوِيلَ عَظْمِ السّاعِدَينِ كَأنّمَا رَفَعَتْ بعِمّتِهِ الجِيَادُ لِوَاءَ[5]
وَلَقِينَ بَعدَكَ كُلّ صُبْحٍ ضَاحِكٍ يَوْماً أغَمّ وَلَيْلَةً لَيْلاءَ

١ أبكار السحاب : السحب الغزيرة . العون : النصف أي التي في نصف عمرها .
٢ الدفاع : السيل العظيم . الغثاء : ورق الشجر البالي يخالط السيل .
٣ تنطف : تسيل . المجلجل : السحاب الرعاد .
٤ تمطر : أسرع .
٥ كان سادات العرب يجعلون من عمائمهم ألوية .

أنعاكَ للخيْلِ المُغيرَةِ شزَّباً ، وَاليوْمَ يَضْرِبُ بالعَجاجِ خِباءَ
وَالحوْضِ سَيفِكَ وَالفَوَارِسُ تدّعي حَرْباً يَجُرّ نِداؤها الأسْماءَ
وَغَيابَةٍ فَرّجتَها ، وَمَقامَةٍ سَدّدْتَ فِيها حُجّةً غَرّاءَ
وَخلَطْتَ أقْوَالَ الرّجالِ بِمقْوَلٍ ذَرِبٍ كَما خَلَطَ الضّرَابُ دِماءَ
وَمَطِيّةٍ أنْضَيْتَها ، وَكِلاكُما تَتَنازَعانِ السّيْرَ وَالإنْضاءَ
إنّ البُكاءَ عَلَيكَ فَرْضٌ وَاجِبٌ، وَالعَيشُ لا يُبكَى عَلَيْهِ رِياءَ
بأبِيكَ ، يَطمَحُ نَحوَ كُلّ عَظيمَةٍ طَرْفٌ تَعَلّمَ بَعدَكَ الإغضاءَ
فَاسْلَمْ أميرَ المُؤمنِينَ ، وَلا تَزَلْ تُجرِي الجِيادَ وَتُحرِزُ الغُلَوَاءَ[1]
فَإذا سَلِمْتَ مِنَ النّوَائبِ أصْبَحتْ تَرْضَى ، وَنَرْضَى أنْ يكُونَ فِداءَ
وَلَئِنْ تَسَلّطَتِ المَنُونُ لَقَد أتَتْ مَا رَدّ لَوْمَ اللائِمِينَ ثَنَاءَ
وَهَبَتْ لَنَا هَذا الحُسَامَ المُنْتَضَى فِينَا ، وَهَذي العِزّةَ القَعسَاءَ
نَهنَهْتَ بادِرَةَ الدّمُوعِ تَجَمّلاً ، وَالعَينُ تُؤنِسُ عَبْرَةً وَبُكَاءَ[2]
فاستَبقِ دَمعَكَ في المَصائبِ وَاعلَمن أنّ الرّدَى لا يُشْمِتُ الأعْداءَ
وَتَسَلّ عَنْ سَيْفٍ طَبَعتَ غِرارَهُ وَأعَرْتَ شَفْرَتَهُ سَناً وَمَضَاءَ
وَالصّبْرُ عَنْ وَلَدٍ يَجِيءُ بِمِثْلِهِ أوْلَى ، وَلَكِنْ نَنْدُبُ الآبَاءَ
فَلَقَدْ رَجَعْتَ عَنِ المُطيعِ بسَلوَةٍ مِنْ بَعدِ مَا جرَتِ الدّموعُ دِمَاء
وَالإبْنُ للأبِ إنْ تَعَرّضَ حادِثٌ ، أوْلَى الأنَامِ بِأنْ يَكُونَ وِقَاءَ

---

١ الغلواء : أول الشباب .

٢ تؤنس : تحس .

وَإذا ارْتَقَى الآبَاءُ أمنَعَ نَجوَةٍ ، فَدَعِ الرَّدَى يَسْتَنزِلُ الأبنَاءَ
وَرَدَ الزَّمَانُ بِهِ وَأوْرَدَهُ الرَّدَى بَغياً ، فأحسَنَ مَرّةً ، وَأسَاءَ
وَرَمَى سِنِيهِ إلى الحِمَامِ ، كأنّما ألقَى بِهَا عَنْ مَنكِبَيهِ رِداءَ
فَلْتَعْلَمِ الأيّامُ أنّكَ لَمْ تَزَلْ تَفرِي الخُطُوبَ ، وَتَكشِفُ الغَمّاءَ
خَضَعَتْ لكَ الأعداءُ يَوْمَ لَقِيتَها جَلْداً تُجَرِّدُ للمُصَابِ عزَاءَ
وَتَمَطّتِ الزّفَرَاتُ ، حتى قَوَّمَتْ ضِلعاً عَلَى أضغانِهَا عَوْجَاءَ
وَمُضَاغِنٍ مَلآنَ يَكتُمُ غَيْظَهُ جَزَعاً ، كَما كَتَمَ المَزَادُ المَاءَ
مُتَحَرِّقٌ ، فَإذا رَأتْكَ لِحَاظُهُ نَسِيَتْ مَجامِعُ قَلبِهِ الشّحْنَاءَ
وَأما وجُودكَ ، إنّهُ قَسَمٌ لَقَدْ غَمَرَ القُلُوبَ وَأنْطَقَ الشّعَرَاءَ
وَأنَا الّذي وَالبَيتُ فِيكَ مَدائِحاً ، وَعَبَأتُ للباغي عَلَيْكَ هِجَاءَ
وَنَفَضْتُ إلاّ مِنْ هَوَاكَ خَوَاطِرِي نَفْضَ المُشَمِّرِ بالعَرَاءِ وِعَاءَ
فَاسْلَمْ ، وَلا زَالَ الزّمَانُ يُعِيرُني طَمَعاً يَمُدّ إلى نَداكَ رَجَاءَ

العمر روحة راكب

يرثي والدته فاطمة بنت الناصر
وتوفيت في ذي الحجة سنة ٣٨٥ :

أبكيكِ لَوْ نَقَعَ الغَليلَ بُكَائي ، وَأقُولُ لَوْ ذَهَبَ المَقالُ بِدائي[١]
وَأعُوذُ بالصّبْرِ الجَميلِ تَعَزّياً ، لَوْ كَانَ بالصّبْرِ الجَميلِ عَزائي
طَوْراً تُكَاثِرُني الدّمُوعُ ، وَتَارَةً آوِي إلى أكْرُومَتي وَحَيَائي
كَمْ عَبْرَةٍ مَوّهْتُهَا بِأنَامِلي ، وَسَتَرْتُهَا مُتَجَمِّلاً بِرِدائي
أبْدي التّجَلّدَ ، للعَدُوّ ، وَلَوْ درَى بتَمَلْمُلي لَقَدِ اشتَفَى أعدائي
مَا كُنتُ أذخَرُ في فِداكِ رَغيبَةً ، لَوْ كَانَ يَرْجِعُ مَيّتٌ بفِداءِ
لَوْ كانَ يُدْفَعُ ذا الحِمَامُ بقُوّةٍ لتَكَدّسَتْ عُصَبٌ وَرَاءَ لِوَائي
بِمُدَرَّبِينَ عَلى القِرَاعِ تَفَيّأُوا ظِلَّ الرِّمَاحِ لكُلّ يَوْمِ لِقَاءِ
قَوْمٌ إذا مَرِهُوا بِأغبابِ السُّرَى ، كَحَلُوا العُيُونَ بإثمِدِ الظّلْمَاءِ[٢]
يَمشُونَ في حَلَقِ الدّرُوعِ كأنّهُمْ صُمُّ الجَلامِدِ في غَديرِ المَاءِ
ببُرُوقِ أدرَاعٍ وَرَعْدِ صَوَارِمٍ ، وَغَمَامِ قَسطَلَةٍ وَوَبْلِ دِمَاءِ[٣]

---

١ نقع الظمأ : أرواه . الغليل : حرارة الحزن .
٢ مرهوا : ابيضت حماليق أعينهم . الاغباب : الغوامض من الأرض ، الواحد غبب . الاثمد : الكحل استعاره للظلام .
٣ القسطلة : غبار الحرب . الوبل : المطر الغزير .

فَارَقْتُ فِيكِ تَماسُكي وَتَجَمّلي ، وَنَسِيتُ فِيكِ تَعَزُّزي وَإبَائي
وَصَنَعْتُ مَا ثَلَمَ الوَقَارَ صَنِيعُهُ مِمّا عَرَاني مِنْ جَوَى البُرَحَاءِ[1]
كَمْ زَفْرَةٍ ضَعُفَتْ فصَارَتْ أنّةً ، تَمّمْتُهَا بِتَنَفّسِ الصُّعَدَاءِ
لَهفَانَ أنْزُو في حَبَائِلِ كُرْبَةٍ ، مَلَكَتْ عَليّ جَلادَتي وَغَنَائي
وَجَرَى الزّمَانُ عَلى عَوَائِدِ كَيْدِهِ في قَلْبِ آمَالي ، وَعَكْسِ رَجَائي
قَدْ كُنتُ آمُلُ أنْ أكونَ لكِ الفِدا مِمّا ألَمّ ، فكُنْتِ أنْتِ فِدائي
وَتَفَرُّقُ البُعَداءِ بَعْدَ مَوَدّةٍ صَعْبٌ ، فكَيْفَ تَفرّقُ القُرَبَاءِ
وَخَلائِقُ الدّنْيَا خَلائِقُ مُومِسٍ لِلمَنْعِ آوِنَةً ، وَلِلإعْطَاءِ
طَوْراً تُبادِلُكَ الصّفَاءَ ، وَتَارَةً تَلْقَاكَ تُنْكِرُهَا مِنَ البَغضَاءِ
وَتَداوُلُ الأيّامِ يُبْلِينَا كَمَا يُبْلي الرّشَاءَ تَطاوُحُ الأرْجَاءِ[2]
وَكَأنّ طُولَ العُمْرِ روحَةُ رَاكِبٍ قَضّى اللُّغُوبَ وَجَدّ في الإسْرَاءِ
أنْضَيتِ عَيشَكِ عِفّةً وَزَهَادَةً ، وَطُرِحْتِ مُثْقَلَةً مِنَ الأعْبَاءِ
بِصِيَامِ يَوْمِ القَيظِ تَلْهَبُ شَمْسُهُ ، وَقِيَامِ طُولِ اللّيْلَةِ اللّيْلاءِ
مَا كانَ يَوْماً بالغَبِينِ مَنِ اشْتَرَى رَغْدَ الجِنَانِ بِعِيشَةٍ خَشْنَاءِ
لَوْ كَانَ مِثْلَكِ كُلُّ أمٍّ بَرّةٍ غَنيَ البَنُونَ بِهَا عَنِ الآبَاءِ
كَيفَ السّلُوّ ، وَكُلُّ مَوْقِعِ لحظَة أثَرٌ لفَضْلِكِ خالِدٌ بإزَائي
فَعَلاتُ مَعرُوفٍ تُقِرّ نَوَاظِرِي ، فتَكُونُ أجْلَبَ جالِبٍ لبُكَائي

---

١ البرحاء : الشدة والأذى . .

٢ تطاوح : ترامي . الأرجاء ، الواحد رجا : حافة البئر ، والناحية .

مَا مَاتَ مَنْ نَزَعَ البَقَاءَ ،وَذِكْرُهُ   بالصّالحاتِ يُعَدّ في الأحْيَاءِ
فَبِأيّ كَفٍّ أستَجِنّ وَأتّقي   صَرْفَ النّوَائِبِ أمْ بِأيّ دُعَاءِ[1]
وَمَنِ المُمَوِّلُ لي،إذا ضاقَتْ يَدي،   وَمَنِ المُعَلِّلُ لي مِنَ الأدْوَاءِ
وَمَنِ الذي إنْ سَاوَرَتْني نَكْبَةٌ ،   كَانَ المُوَقّي لي مِنَ الأسْوَاءِ
أمْ مَنْ يَلِطّ عَليّ سِتْرَ دُعَائِهِ ،   حَرَماً مِنَ البَأسَاءِ وَالضّرّاءِ[2]
رُزْآنِ يَزْدادانِ طُولَ تَجَدّدٍ   أبَدَ الزّمَانِ : فَنَاؤهَا وَبَقَائي
شَهِدَ الخَلائِقُ أنّهَا لَنَجِيبَةٌ   بدَليلِ مَنْ وَلَدَتْ مِنَ النُّجَبَاءِ
في كُلّ مُظْلِمِ أزْمَةٍ أوْ ضِيقَةٍ   يَبْدُو لهَا أثَرُ اليَدِ البَيْضَاءِ
ذَخَرَتْ لَنا الذّكرَ الجَميلَ إذا انقضَى   مَا يَذْخَرُ الآبَاءُ للأبْنَاءِ
قَدْ كُنْتُ آمُلُ أنْ يَكُونَ أمامَها   يَوْمي وَتُشفِقُ أنْ تَكُونَ وَرَائي
كَمْ آمِرٍ لي بالتّصَبّرِ هَاجَ لي   داءً ، وَقَدّرَ أنّ ذاكَ دَوَائي
آوِي إلى بَرْدِ الظّلالِ ، كَأنّني   لِتَحَرّقي آوِي إلى الرّمضَاءِ
وَأهُبّ مِنْ طِيبِ المَنَامِ تَفَزّعاً   فَزَعَ اللّدِيغِ نَبَا عَنِ الإغْفَاءِ
آبَاؤكِ الغُرّ الّذِينَ تَفَجّرَتْ   بِهِمِ يَنَابيعٌ مِنَ النَّعْمَاءِ
مِنْ نَاصِرٍ للحَقّ أوْ داعٍ إلى   سُبُلِ الهُدَى ، أوْ كَاشِفِ الغَمّاءِ
نَزَلُوا بعَرْعَرَةِ السَّنَامِ مِنَ العُلَى   وَعَلَوا عَلى الأثْبَاجِ وَالأمْطَاءِ[3]

---

١ استجن : استتر .
٢ لط الستر : أرخاه .
٣ عرعرة السنام : رأسه . الأثباج ، الواحد ثبج : ما بين الكاهل إلى الظهر . الأمطاء ، الواحد مطا : الظهر .

مِنْ كلِّ مُسْتَبِقِ اليَدَيْنِ إلى النّدى ... وَمُسَدَّدِ الأقْوَالِ وَالآرَاءِ
يُرْجَى عَلى النّظَرِ الحَدِيدِ تَكَرّماً، ... وَيُخَافُ في الإطْرَاقِ وَالإغْضَاءِ
دَرَجُوا عَلى أثَرِ القُرُونِ وَخَلّفُوا ... طُرُقاً مُعَبَّدَةً مِنَ العَلْيَاءِ
يا قَبْرُ ! أمْنَحُهُ الهَوَى وَأوَدّ لَوْ ... نَزَفَتْ عَلَيْهِ دُمُوعُ كُلِّ سَمَاءِ
لا زَالَ مُرْتَجِزُ الرّعُودِ مُجَلْجِلٌ ... هَزِجُ البَوَارِقِ مُجلِبُ الضّوْضَاءِ
يَرْغُو رُغَاءَ العَوْدِ جَعجَعَهُ السُّرَى، ... وَيَنُوءُ نَوْءَ المُقرِبِ العُشَرَاءِ[1]
يَقتَادُ مُثْقَلَةَ الغَمَامِ ، كأنّمَا ... يَنهَضْنَ بالعَقَدَاتِ وَالأنْقَاءِ[2]
يَهْفُو بِهَا جِنحَ الدّجَى، وَيَسوقُهَا ... سوْقَ البِطَاءِ بِعاصِفٍ هَوْجَاءِ
يَرْمِيكَ بَارِقُهَا بِأفْلاذِ الحَيَا ، ... وَيَفُضّ فِيكَ لَطَائِمَ الأنْداءِ[3]
مُتَحَلّياً عَذْرَاءَ كُلِّ سَحَابَةٍ ... تَغْذُو الجَمِيمَ برَوْضَةٍ عَذْرَاءِ
للَوْمتُ إنْ لَمْ أسْقِها بمَدامِعي ، ... وَوَكَلْتُ سُقْيَاهَا إلى الأنْوَاءِ
لهفي على القَوْمِ الأولى غَادَرْتُهُمْ ، ... وَعَلَيْهِمُ طَبَقٌ مِنَ البَيْداء
مُتَوَسّدِينَ عَلى الخُدُودِ كَأنّمَا ... كَرَعُوا عَلى ظَمَإٍ مِنَ الصّهبَاءِ
صُوَرٌ ضَنَنْتُ عَلى العُيُونِ بلَحظِها، ... أمْسَيْتُ أُوقِرُها مِنَ البَوْغَاءِ[4]

---

١ ينوء : يثقل . المقرب : التي قرب ولادها . العشراء : التي مضى لحملها عشرة أشهر .

٢ العقدات ، الواحدة عقدة : ما تعقد وتراكم من الرمل . الانقاء ، الواحد نقا : القطعة من الرمل .

٣ اللطائم ، الواحدة لطيمة : وعاء المسك . الأنداء ، الواحد ندى : مطر خفيف يسقط في الليل ، وشيء كالبخور يتطيب به .

٤ أوقرها : أحملها . البوغاء : التربة الرخوة .

وَنَوَاظِرٌ كَحَلَ التّرَابُ جُفُونَها ، قَدْ كنتُ أحرُسُها مِنَ الأقْذاءِ
قَرُبَتْ ضَرَائِحُهُمْ عَلى زُوّارِهَا ، وَنَأوْا عَنِ الطّلاّبِ أيّ تَنَائي
وَلَبِئْسَ مَا تَلقَى بِعُقْرِ دِيَارِهِمْ أذْنُ المُصِيخِ بِهَا وَعَينُ الرّائي
مَعْرُوفُكِ السّامي أنيسُكِ ، كلّما وَرَدَ الظّلامُ بوَحشَةِ الغَبْرَاءِ
وَضِيَاءُ مَا قَدّمتِهِ مِنْ صَالِحٍ لكِ في الدّجَى بَدَلٌ منَ الأضْوَاءِ
إنّ الذي أرْضَاهُ فِعلُكِ لا يَزَلْ تُرْضِيكِ رَحْمَتُهُ صَبَاحَ مَسَاءِ
صَلّى علَيكِ ، وَما فَقَدْتِ صَلاتَهُ قَبلَ الرّدَى، وَجَزَاكِ أيّ جَزَاءِ
لَوْ كَانَ يُبلِغُكِ الصّفيحُ رَسَائِلي ، أوْ كانَ يُسمِعُكِ التّرَابُ نِدائي
لَسَمِعتِ طُولَ تَأوّهي وَتَفَجّعي ، وَعَلِمتِ حُسْنَ رِعَايَتي وَوَفَائي
كَانَ ارْتِكاضِي في حَشاكِ مُسَبِّباً رَكضَ الغَلِيلِ عَلَيكِ في أحشائي

أكلتهم الأرض التي ولدتهم

يرثي صديقاً له ، وقيل إنها في الطائع لله وأخفى ترجمتها لما كان يراقبه :

أتَرَى السّحَابَ ، إذا سرَتْ عُشَرَاؤهُ ، يُمْرَى عَلى قَبْرٍ بِبَابِلَ مَاؤهُ[1]
يا حَادِيَيْهِ قِفَا بِبُزْلِ مَطِيّهِ ، فإلى ثَرَى ذا القَبْرِ كانَ حُداؤهُ

---

١ يمرى : يستدر .

يَسقي هَوًى للقَلْبِ فيهِ ومَعهَداً ، رَقّتْ مَنَابِتُهُ وَرَقّ هَوَاؤهُ
قَدْ كانَ عاقَدَني الصّفَاءَ فلمْ أزُلْ عَنْهُ ، وَمَا بَقّى عَلَيّ صَفَاؤهُ
وَلَقَدْ حَفِظتُ لهُ ، فأينَ حِفاظُهُ ، وَلَقَدْ وَفَيْتُ لَهُ ، فأينَ وَفَاؤهُ
أوَعَى الدّعاءَ ، فلَمْ يُجبْهُ قَطيعةً ، أمْ ضَلّ عَنْهُ مِنَ البعَادِ دعَاؤهُ
هَيهَاتَ أصْبَحَ سَمْعُهُ وَعِيَانُهُ في التُّرْبِ قَدْ حَجَبَتهُمَا أقذاؤهُ
يُمْسِي ، وَلِينُ مِهَادِهِ حَصْبَاؤهُ فيهِ ، وَمُؤنِسُ لَيلِهِ ظَلْمَاؤهُ
قَدْ قُلّبَتْ أعْيانُهُ ، وَتَنَكّرَتْ أعْلامُهُ ، وَتَكَسّفَتْ أضْوَاؤهُ
مُغْفٍ ، وَلَيسَ لِلَذّةٍ إغْفَاؤهُ ، مُغْضٍ ، ولَيسَ لفِكرَةٍ إغضَاؤهُ
وَجْهٌ كلَمحِ البَرْقِ غاضَ وَميضُهُ ، قَلْبٌ كصَدْرِ العَضْبِ فُلّ مَضَاؤهُ
حَكَمَ البِلَى فيهِ ، فَلَوْ يَلقَى بهِ أعداءَهُ لَرَثَى لَهُ أعْداؤهُ
إنّ الّذي كَانَ النّعيمُ ظِلالَهُ ، أمْسَى يُطَنّبُ بِالعَرَاءِ خِبَاؤهُ
قَدْ خَفّ عَنْ ذاكَ الرِّوَاقِ حضُورُهُ أبَداً ،وَعَنْ ذاكَ الحِمَى ضَوْضَاؤهُ
كانَتْ سَوَابِقُهُ طِرازَ فِنَائِهِ يَجْلُو جَمَالَ روَائِهِنّ روَاؤهُ
وَرِمَاحُهُ سُفَرَاؤهُ ، وَسُيُوفُهُ خُفَرَاؤهُ ، وَجِيَادُهُ نُدَمَاؤهُ
مَا زَالَ يَغدُو ، وَالرّكَابُ حُدَاؤهُ ، بَيْنَ الصّوَارِمِ وَالعَجَاجِ رِدَاؤهُ
انْظُرْ إلى هَذا الأنَامِ بِعِبْرَةٍ لا يُعْجِبَنّكَ خَلْقُهُ وَبَهَاؤهُ[1]
بَيْنَاهُ كَالوَرَقِ النّضيرِ تقَصّفَتْ أغْصَانُهُ وَتَسَلّبَتْ شَجْرَاؤهُ[2]

١ العبرة : العجب .
٢ تسلبت : سقطت .

أنّى تحاماهُ المنُونُ ، وإنّما	خُلِقَتْ مَراعيَ للرّدَى خَضْراوُهُ
أمْ كيفَ تأمُلُ فَلتَةً أجْسادُهُ ،	مِنْ ذا الزّمانِ ، وحَشوُها أدْواؤهُ
لا تَعجَبَنْ ، فَمَا العَجيبُ فَنَاؤهُ	بِيَدِ المنُونِ ، بَلِ العَجيبُ بَقَاؤهُ
إنّا لنَعْجَبُ كيْفَ حُمّ حِمامُهُ ،	عَنْ صِحّةٍ ، ويَغيبُ عنّا داؤهُ
مَنْ طاحَ في سُبُلِ الرّدَى آباؤهُ ،	فَلْيَسْلُكَنْ طَريقَهُ أبْنَاؤهُ
وَمُؤمَّرٍ نَزَلُوا بِهِ في سُوقَةٍ ،	لا شَكْلُهُ فيهِمْ وَلا قُرَنَاؤهُ
قَدْ كَانَ يَفرَقُ ظِلّهُ أقْرَانُهُ ،	وَيَغُضّ دُونَ جَلالِهِ أكْفَاؤهُ[1]
وَمُحَجَّبٍ ضُرِبَتْ علَيهِ مَهابَةٌ ،	يُغْشِي العُيُونَ بَهاؤهُ وَضِياؤهُ
نَادَتْهُ مِنْ خَلْفِ الحِجابِ مَنيّةٌ	أمَمٌ ، فكَانَ جَوابَها حَوْباؤهُ[2]
شُقّتْ إلَيْهِ سُيُوفُهُ وَرِماحُهُ ،	وَأُمِيطَ عَنْهُ عَبيدُهُ وَإماؤهُ
لَمْ يُغْنِهِ مَنْ كانَ وَدّ لَوَ انّهُ	قَبْلَ المنُونِ مِنَ المنُونِ فِداؤهُ
حَرَمٌ عَلَيْهِ الذّلُّ ، إلاّ أنّهُ	أبَداً لِيَشْهَدُ بالجَلالِ بِنَاؤهُ
مُتَخَشّعٌ بَعْدَ الأنِيسِ جَنَابُهُ ؛	مُتَضَائِلٌ بَعْدَ القَطِينِ فِنَاؤهُ
عُرْيَانُ تَطْرُدُ كُلُّ رِيحٍ تُرْبَهُ ،	وَتُطيعُ أوّلَ أمْرِهَا حَصبَاؤهُ
وَلَقَدْ مَرَرْتُ بِبَرْزَخٍ ، فسألتُهُ :	أيْنَ الأُولى ضَمّتْهُمُ أرْجاؤهُ[3]
مِثْلِ المَطِيّ بَوَارِكاً أجْداثُهُ ،	تُسْفَى عَلى جَنَبَاتِها بَوْغاؤهُ

[1] يفرق منه : يفزع ، ونصب ظلا بنزع الخافض .
[2] الأمم : القريب . الحوباء : النفس .
[3] البرزخ : الحاجز بين الشيئين ، وأراد به هنا المقبرة ، لأنها حجزت بين الدنيا والآخرة .

نَادَيْتُهُ ، فَخَفِي عَلَيَّ جَوَابُهُ بِالقَوْلِ إِلاَّ مَا زَقَتْ أَصْدَاؤُهُ[1]
مِنْ نَاظِرٍ مَطْرُوفَةٍ أَلحَاظُهُ ، أَوْ خَاطِرٍ مَطْلُولَةٍ سَوْدَاؤُهُ[2]
أَوْ وَاجِدٍ مَكْظُومَةٍ زَفَرَاتُهُ ، أَوْ حَاقِدٍ مَنْسِيَّةٍ شَحْنَاؤُهُ
وَمُسَنَّدِينَ عَلَى الجُنُوبِ ، كَأَنَّهُمْ شَرْبٌ تَخَاذَلَ بِالطِّلا أَعْضَاؤُهُ
تَحْتَ الصَّعِيدِ لِغَيْرِ إِشْفَاقٍ إِلَى يَوْمِ المَعَادِ تَضُمُّهُمْ أَحْشَاؤُهُ
أَكَلَتْهُمُ الأَرْضُ الَّتِي وَلَدَتْهُمُ أَكْلَ الضَّرُوسِ حَلَتْ لَهُ أَكْلاؤُهُ[3]
حَيَّاكَ مُعْتَلِجُ النَّسِيمِ ، وَلا يَزَلْ سَحَراً تُفَاوِحُ نَوْرَهُ أَصْبَاؤُهُ[4]
يَمْرِي عَلَيْكَ مِنَ النُّعَامَى خِلْفَهُ مِنْ عَارِضٍ مُتَبَزِّلٍ أَنْدَاؤُهُ[5]
فَسَقَاكَ مَا حَمَلَ الزُّلالَ سِجَالُهُ ، وَنَحَاكَ مَا جَرَّ الزُّحُوفَ لِوَاؤُهُ[6]
لَوْلا اتِّقَاءُ الجَاهِلِيَّةِ سُقْتُهُ ذَوْداً تَمُورُ عَلَى ثَرَاكَ دِمَاؤُهُ[7]
وَأَطَرْتُ تَحْتَ السَّيْفِ كُلَّ عَشِيَّةٍ عُرْقُوبَ مُغْتَبِطٍ يَطُولُ رُغَاؤُهُ
لَكِنْ سَيَخْلُفُ عَقْرَهَا وَدِمَاءَهَا ، أَبَدَ اللَّيَالِي ، مَدْمَعِي وَبُكَاؤُهُ
أَقْنِي الحَيَاءَ تَجَمُّلاً لَوْ أَنَّهُ يَبْقَى مَعَ الدَّمْعِ اللَّجُوجِ حَيَاؤُهُ

---

١ زقت : صاحت . أصداؤه ، الواحد صدى : ذكر البوم . وكان الجاهليون يعتقدون انه يخرج من رأس القتيل .

٢ مطلولة : مهدورة . سوداؤه : حبة قلبه .

٣ الضروس : الناقة . أكلاؤه : عشبه ، الواحد كلأ .

٤ أصباؤه ، الواحدة صبا : الريح الشرقية .

٥ النعامى : ريح الجنوب . خلف الناقة : ضرعها .

٦ السجال ، الواحد سجل : الدلو العظيمة فيها ماء ، استعاره للسحاب . نحاك : قصدك . الزحوف ، الواحد زحف : الجيش الزاحف .

٧ الذود : الإبل . تمور : تجري .

وَإذا أعَادَ الحَوْلُ يَوْمَكَ عَادَني ، مِثْلَ السَّلِيمِ يَعُودُهُ آنَاؤهُ[1]
داءٌ بِقَلْبي لا يَعُودُ طَبيبُـهُ يَـأساً إليَّ ، وَلا يُصَابُ دَوَاؤهُ
فاذهَبْ ، فلا بقيَ الزّمانُ ، وَقد هوَى بكَ صَرْفُهُ وَقضَى علَيكَ قَضَاؤهُ

ما لي أودع

يرثي صديقاً له :

مَا لي أُوَدِّعُ كُلَّ يَوْمٍ ظَاعِناً ، لَوْ كُنْتُ آمُلُ للوَدَاعِ لِقَاءَ
وَأرُوحُ أذْكَرَ مَا أكُونُ لعَهْدِهِ ، فَكَأنّني اسْتَوْدَعْتُهُ الأحشَاءَ
فرَغَتْ يدي منهُ ، وَقدْ رَجَعَتْ بهِ أيْدي النّوَائِبِ وَالخُطُوبِ مِلاءَ
تَشكُو القَذى عَيْني ، فيكثُرُ شكوُها حتى يَعُودَ قَذًى بِهَا أقْذاءَ
شَرَقٌ مِنَ الحِدْثَانِ لَوْ يُرْمَى بهِ ذا المَاءُ مِنْ ألَمٍ أغَصّ المَاءَ[2]
أحبَابِيَ الأدْنَينَ كَمْ ألْقَى بكُمْ داءً يَمُضُّ ، فَلا أداوي الدّاءَ
أحيَا إخاءَكُمُ المَماتُ ، وَغَيرُكُمْ جَرّبْتُهُمْ ، فَثَكِلْتُهُمْ أحيَاءَ
إلاّ يكُنْ جَسَدي أُصيبَ ، فإنّني فَرّقْتُهُ ، فَدَفَنْتُهُ أعْضَاءَ

١ السليم : اللديغ . آناؤه ، الواحد أني : كل النهار أو جزء منه .
٢ الشرق : الغص بالماء .

قال لي صاحبي

قال في النسيب :

حيِّ ، بَيْنَ النَّقَا وَبَيْنَ المُصَلّى ، وَقَفَاتِ الرَّكَائِبِ الأنْضَاء[1]
وَرَوَاحَ الحَجيجِ لَيْلَةَ جَمْعٍ ، وَبِجَمْعٍ مَجَامِعُ الأهْوَاءِ[2]
وَتَذَكّرْ عَنّي مُنَاخَ مَطِيّي بأعَالي مِنًى وَمَرْمَى خِبَائي[3]
وَتَعَمَّدْ ذِكْرِي، إذا كنتَ بالخيـ ـفِ، لظَبيٍ من بعضِ تلكَ الظِّبَاءِ[4]
قُلْ لهُ : هل تُراكَ تَذكرُ ما كا نَ بِبَابِ القُبَيْبَةِ الحَمراءِ
قالَ لي صاحِبي ، غداةَ التَقَيْنَا نَتَشاكَى حَرَّ القُلُوبِ الظِّمَاءِ :
كُنتَ خَبّرْتَني بأنّكَ في الوَجْـ ـدِ عَقيدي ، وَأنّ داءكَ دائي[5]
مَا تَرَى النَّفْرَ وَالتّحَمّلَ للبَيْـ ـنِ ، فَماذا انْتِظارُنا للبُكَاءِ
لَمْ يَقُلْها حتى انثَنَيتُ لمَا بي أتَلَقّى دَمْعي بفَضْلِ رِدائي

١ النقا : القطعة من الرمل تنقاد محدودبة. المصلى : مكان الصلاة، ولعله أراد بهما موضعين بعينهما
الانضاء ، الواحد نضو : المهزول .
٢ جمع : المزدلفة ، وهي بين عرفات ومنى ، وليلة جمع ليلة عرفة .
٣ منى : موضع في مكة .
٤ الخيف : ناحية من منى . غرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس وهو جبل في مكة .
٥ عقيدي : معاهدي .

امر بداره فأطيل شوقاً !

قال رحمه الله وكتب بها إلى صديق
يسأله عن حال نكبة لحقته :

خُطُوبٌ لا يُقَاوِمُهَا البَقَاءُ ، وَأَحْوَالٌ يَدِبّ لهَا الضَّرَاءُ[1]
وَدَهْرٌ لا يَصُحّ بِهِ سَقِيمٌ ، وَكَيْفَ يَصُحّ ، وَالأيّامُ داءُ
وَأَمْلاكٌ يَرَوْنَ القَتْلَ غُنْماً ، وَفي الأمْوَالِ لَوْ قَنِعُوا فِداءُ
هُمُ استَوْلَوْا عَلى النُّجَبَاءِ مِنّا ، كَمَا استَوْلى عَلى العُودِ اللّحَاءُ
مُقَامٌ لا يُجَاذِبُهُ رَحِيلٌ ؛ وَلَيْلٌ لا يُجَاوِرُهُ ضِيَاءُ
سَيَقْطَعُكَ المُثَقَّفُ مَا تَمَنّى ، وَيُعطِيكَ المُهَنّدُ مَا تَشَاءُ
بَلَوْنَا مَا تَجِيءُ بِهِ اللّيَالي ، فَلا صُبْحٌ يَدُومُ وَلا مَسَاءُ
وَأَنْضَيْنَا المَدَى طَرَباً وَهَمّاً ، فَمَا بَقِيَ النّعِيمُ وَلا الشّقَاءُ
إذا كَانَ الأسَى داءً مُقِيماً ، فَفي حُسْنِ العَزَاءِ لَنَا شِفَاءُ
وَمَا يُنجِي مِنَ الأيّامِ فَوْتٌ ، وَلا كَدٌّ يَطُولُ ، وَلا عَنَاءُ
تَنَالُ جَمِيعَ مَا تَسعَى إلَيْهِ ، فَسِيّانِ السّوَابِقُ وَالبِطَاءُ
وَمَا يُنْجِي مِنَ الغَمَرَاتِ إلاّ ضِرَابٌ ، أَوْ طِعانٌ ، أَوْ رِمَاءُ
وَرُمْحٌ تَستَطِيلُ بِهِ المَنَايَا ، وَصَمْصَامٌ تُشَافِهُهُ الدّمَاءُ

١ الضراء : النقص في النفوس والأموال .

وَإنّي لا أميلُ إلى خَليلٍ سَفيهِ الرأيِ شيمَتُهُ الرِّيَاءُ
يُسَوِّمني الخِصامَ،وَليسَ طَبعي، وَمَا مِنْ عَادَةِ الخَيْلِ الرُّغَاءُ
أقُولُ لِفِتْيَةٍ زَجَرُوا المَطَايَا ، وَخَفَّ بِهِمْ عَلى الإبْلِ النَّجَاءُ[1]
عَلى غَوْرَاءَ تَشْتَجِرُ الأداوى بعَرْصَتِها ، وَتَزْدَحِمُ الدِّلاءُ[2]
رِدُوا وَاستَفضِلُوا نُطَفاً ، فحَسبي مِنَ الغدرَانِ مَا وَسِعَ الإنَاءُ
وَبَعْدَكُمُ أنَاخَ إلى مَحَلٍّ يُطَلِّقُ عِنْدَهُ الدَّلْوَ الرِّشَاءُ
تَقَلّصُ عَنْ سَوَائِمِهِ المَرَاعي، وَتَخرُزُ دِرّةَ الضَرْعِ الرِّعَاءُ[3]
إذا مَا الحُرُّ أجدَبَ في زَمَانٍ ، فَعِفَّتُهُ لَهُ زادٌ وَمَاءُ
أرَى خَلْقاً سَوَاسِيَةً ، وَلَكِنْ لغَيرِ العَقْلِ مَا تَلِدُ النّسَاءُ[4]
يُشَبَّهُ بالفَصِيلِ الطّفلُ مِنْهُمْ ، فَسِيّانِ العَقِيقَةُ وَالعِفَاءُ[5]
تَصُونُهُمُ الوِهَادُ ، وَأيُّ بَيْتٍ حَمَى اليَرْبُوعَ لَوْلا النّافِقَاءُ[6]
هُمُ يَوْمَ النّدَى غَيْمٌ جَهَامٌ ، وَفي اللأوَاءِ رِيحٌ جِرْبِيَاءُ[7]
قِرًى لا يَستَجيرُ بهِ خَمِيصٌ ، وَنَارٌ لا يُحَسّ بِهَا الصِّلاءُ

١ النجاء : السرعة .
٢ الغوراء : أي البئر . تشتجر : تتنازع . الأداوى ، الواحدة إداوة : إناء صغير من جلد .
٣ تقلص : ترتفع . السوائم : الماشية الراعية . تخرز : تخيط . الدرة : اللبن . الضرع : مدر اللبن وهو للنياق وغيرها كالثدي . الرعاء : الرعيان .
٤ سواسية : متساوون .
٥ العقيقة : شعر الطفل . العفاء : وبر البعير .
٦ اليربوع : نوع من الفأر قصير اليدين طويل الرجلين . النافقاء : جحر اليربوع .
٧ الجهام : السحاب لا ماء فيه . اللأواء : الشدة . الجربياء : ريح الشمال أو بردها .

وَضَيْفٌ لا يُخَاطِبُهُ أديبٌ ، وَجَارٌ لا يَلَذُّ لَهُ الثَّوَاءُ
هَوَى بَدْرُ التَّمَامِ ، وكُلُّ بَدرٍ سَتَقذِفُهُ إلى الأرْضِ السَّمَاءُ
وَعِلْمي أنّهُ يَزْدادُ نُوراً ، وَيَجْذِبُهُ عَنِ الظُّلَمِ الضّيَاءُ
أمُرُّ بدارِهِ فأُطِيلُ شَوْقاً ، وَيَمْنَعُني مِنَ النّظَرِ البُكَاءُ
تَعَرّضُ لي فتُنْكِرُها لِحَاظي ، مُعَطَّلَةً كَما نُقِضَ الخِبَاءُ
كَأنّي قَائِفٌ طَلَبَ المَطَايَا ، عَلى جَدَدٍ تُبَعْثِرُهُ الظِّبَاءُ[1]
دِيَارٌ يَنْبُتُ الإحْسَانُ فِيهَا ، وَنَبْتُ الأرْضِ تَنُّومٌ وَآءُ[2]
وَقَدْ كَانَ الزّمَانُ يَرُوقُ فيها ، وَيَشرَبُ حُسنَها الحَدَقُ الظِّمَاءُ
وَدارٌ لا يَلَذُّ بِهَا مُقِيمٌ ، وَلا يُغْشَى لِسَاكِنِها فِنَاءُ
تُخَيِّبُ في جَوَانِبِهَا المَساعي ، وَيُنقَصُ في مَوَاطِنِها الإبَاءُ
وَما حَبَسَتكَ مَنقَصَةٌ ، وَلَكِنْ كَرِيمُ الزّادِ يُحرِزُهُ الوِعَاءُ
فَلا تَحزَنْ عَلى الأيّامِ فِينَا ، إذا غَدَرَتْ، وَشِيمَتُنا الوَفَاءُ
فَإنّ السّيْفَ يَحْبِسُهُ نِجَادٌ ، وَيُطْلِقُهُ عَلى القِمَمِ المَضَاءُ
لَئِنْ قَطَعَ اللّقَاءَ غَرَامُ دَهْرٍ ، لمَا انقَطَعَ التّوَدُّدُ وَالإخَاءُ
وَمَا بَعَثَ الزّمَانَ عَلَيْكَ إلاّ وُفُورُ العِرْضِ وَالنّفسُ العِصَاءُ
وَلَوْ جَاهَرْتَهُ بِالبَأسِ يَوْماً ، لأبرَأ ذَلِكَ الجَرَبَ الهِنَاءُ
وَكُنتَ، إذا وَعَدْتَ عَلى اللّيالي، تَمَطّرَ في مَوَاعِدِكَ الرّجَاءُ

١ القائف : الذي يعرف الآثار . الجدد : الأرض .
٢ التنوم و الآء : ضربان من الشجر .

وَأعْجلَكَ الصّرِيخُ إلى المَعَالي ، كَمَا يَستَعجِلُ الإبْلَ الحُداءُ
وَأيّ فَتًى أصَابَ الدّهْرُ منّا ، تُصَابُ بِهِ المُرُوءَةُ وَالوَفَاءُ
صَقيلُ الطّبْعِ رَقْرَاقُ الحَوَاشِي ، كما اصْطفَقَتْ على الرّوْضِ الأضَاءُ
يَنَالُ المَجْدَ وَضّاحُ المُحَيّا ، طَوِيلُ البَاعِ ، عِمّتُهُ لِوَاءُ
كَلامٌ تَستَجيبُ لَهُ المَعالي ، وَوَجْهٌ يَستَبِدّ بِهِ الحَيَاءُ
فَلا زَالَتْ هُمُومُكَ آمِرَاتٍ عَلى الأيّامِ يَخدُمُها القَضَاءُ
تَجُولُ عَلى ذَوَابِلِكَ المَنَايَا ، وَيَخطِرُ في مَنَازِلِكَ العَلاءُ

تعيرني فتاة

قال رحمه الله في معنى سئل القول به :

تُعَيّرُني فَتَاةُ الحَيّ أنّي حَظِيتُ مِنَ المُرُوءةِ وَالفَتَاءِ
وَأنّي لا أمِيلُ إلى جَوَادٍ يُعَبِّدُهُ حُرٌّ وَجْهي للعَطَاءِ
لَعَمْرُك مَا لِغَدْرِك فيّ ذَنْبٌ ، وَلَيْسَ الذّنْبُ إلاّ مِنْ وَفَائي
وَمَا جُودُ الزّفِيرِ عَلَيك جُوداً ، وَلَكِنْ ذاكَ مِنْ لُؤمِ العَزَاءِ[1]
مُعاداةُ الرّجَالِ عَلى اللّيَالي ، أُطِيقُ ، وَلا مُدارَاةُ النّسَاءِ

[1] الزفير : الداهية .

يلوذ بأبياتنا الخائفون

قال رحمه الله جواباً عن قصيدة
كتبها إليه ذو السعادتين أبو سعيد
علي بن محمد بن خلف :

رَضِينا الظُّبَى من عِناقِ الظِّبَا ، وَضَرْبَ الطُّلى مِنْ وِصَالِ الطَّلا[1]
وَلَمْ نَرْضَ بالبَأسِ دونَ السَّماحِ وَلا بالمَحامِدِ دُونَ الجَدَا
وَقُمْنَا نَجُرّ ذُيُولَ الرّجَا ، وَتَرْعَى العُيُونُ بُرُوقَ المُنَى
إلى أنْ ظَفِرْنَا بكَأسِ النّجيـ ـحِ ، فالرّمحُ يشربُ حتى انتَشَى
وَمِلْنَا على القُورِ مِنْ نَقْعِنَا ، بِأوْسَعَ مِنْهَا وَأعْلَى بِنَا[2]
وَللخَيْلِ في أرْضِنَا جَوْلَةٌ ، تَحلّلَ عَنْهَا نِطَاقُ الثّرَى
أثَرْنَا عَلَيْهَا صُدُورَ الرِّمَا حِ يَمْرَحُ في ظِلّهِنّ الرّدَى
فَجَاءَتْ تَدَفّقُ في جَرْيِهَا ، كَمَا أُفْرِغَتْ في الحِيَاضِ الدّلاَ
وَلَيْلٍ مَرَرْنَا بظَلْمَائِهِ ، نُضَاوِي كَوَاكِبَهُ بِالظُّبَى
إذا مُدّتِ النّارُ بَاعَ الشُّعاعِ مَدَدْنَا إلَيهَا ذِرَاعَ القِرَى
وَيَوْمٍ تَعَطّفُ فيهِ الجيَا دُ ، تَشرَقُ ألوَانُهَا بالدّمَا

[1] الظبى ، الواحدة ظبة : حد السيف . الظباء ، الواحدة ظبية : الغزالة . الطلى : الأعناق ، الواحدة طلية وطلاة . الطلا : ولد الظبية ساعة يولد .
[2] القور ، الواحدة قارة : الجبل الصغير .

فَمَا بَرِحَتْ حَلْبَةُ السَّابِقَا ... تِ تُورِدُنَا عَفَوَاتِ المَدَى[1]
بِرَكْضٍ يُصَدِّعُ صَدْرَ الوِهَا ... دِ ، حَتَّى تَئِنَّ قُلُوبَ الصَّفَا
يَلُوذُ بِأَبْيَاتِنَا الخَائِفُو ... نَ ، حَتَّى طَرَائِدُ وَحْشِ الفَلا
وَتُصْغِي لَنَا فَارِيَاتُ الخُطُو ... بِ ، قَوَاضِبَ ما آجِنَتْ بالصَّدَا[2]
يُبَشِّرُهَا بُعْدُ هِمَّاتِنَا ، ... بِأَنَّ الحِمَامَ قَرِيبُ الخُطَا
وَجَوٍّ تَقَلَّبُ فِيهِ الرِّيَا ... حُ ، بَيْنَ الجَنُوبِ وَبَيْنَ الصَّبَا
سَلَلْنَا النَّوَاظِرَ فِي عَرْضِهِ ، ... فَطَوَّلَ مِنْ شَأْوِهَا المُنْتَضَى
تُصَافِحُ مِنْهُ لِحَاظُ العُيُونِ ... مَرِيضَ النَّسِيمِ أَرِيضَ الرُّبَى
وَإِنِّي عَلَى شَغَفِي بِالوَقَارِ ... أَحِنُّ إِلَى خَطَرَاتِ الصِّبَا
وَمِمَّا يُزَهِّدُنِي فِي الزَّمَانِ ، ... وَيَجْذِبُنِي عَنْ جَمِيعِ الوَرَى
أَخٌ ثَقَّفَ المَجْدُ أَخْلاقَهُ ، ... وَأَشْعَرَ أَيَّامَهُ بِالعُلَى
وَأَنْكَحَهُ بِهَدِيِّ السَّنَا ، ... وَطَلَّقَهُ مِنْ قَبِيحِ النَّشَا[3]
وَقُورٌ ، إِذَا زَعْزَعَتْهُ الخُصُو ... مُ ، وَانفَرَجَتْ حَلَقَاتُ الحُبَى
إِذَا هَزْهَزَ الرُّمْحَ رَوَّى السِّنَا ... نَ ، وَاستَمْطَرَ السَّيْفُ هَامَ العِدَى
وَمَا هُوَ إِلاَّ شِهَابُ الظَّلا ... مِ صَافَحَ لَحْظِي بِحُسْنِ الرُّوَا
يَقُصُّ ، وَمِنْ غَيْرِ سَهْمٍ أَصَابَ ... وَيَرْمِي ، وَمِنْ غَيْرِ قَوْسٍ رَمَى[4]

١ العفوات ، الواحد عفو : الأرض الغفل ليس بها آثار .
٢ تصغي : تميل . فاريات ، من فرى : شق وقطع . القواضب : السيوف . آجنت : تغيرت .
٣ النشا : الرائحة .
٤ يقص : يقطع ، ومن الموت : يدني ، ومن فلان : ينتقم .

فَغَيْثٌ يُعانِقُني في السّحَابِ ، وَبَدْرٌ يُنَادِمُني في السّمَا
سَقَاني علَى القُرْبِ كاسَ الإخَا ءِ ، مَطْلُولَةً بِنَسِيمِ الصّفَا
فَلِلّهِ كاسٌ صَرَعْتُ الهُمُو مَ بسَوْرَتِها ، وَعَقَرْتُ الأسَى
وَسِرْبٍ تُنَفّرُهُ بِالرّمَاحِ ، وَوَعْدٍ تُعَفّرُهُ بِالعَطَا
وَمَاءٍ تُصَارِعُهُ بِالرّكابِ ، وَجَيْشٍ تُقَارِعُهُ بِالقَنَا
وَيَوْمٍ تُسَوّدُهُ بِالعَجَاجِ ، وَنَادٍ تُبَيّضُهُ بِالنّدَى
سَنَاءٌ تَبَلّدُ عَنْهُ السّمَاءُ ، وَمَجْدٌ سَهَا عَنْ مَداهُ السُّهَا[1]
بَني خَلَفٍ أنْتُمُ في الزّمَانِ غُيُوثُ العَطَاءِ لُيُوثُ الوَغَى
بُدُورٌ ، إذا ازْدَحَمَتْ في الظّلا مِ ، شَمّرَ بُرْدَيْهِ عَنها الدّجَى
حَرِيّونَ إنْ نُسِبُوا بالسّمَا حِ ، جَرِيّونَ في كُلّ أمرٍ عَرَا
لَهُمْ كُلّ يَوْمٍ إلى الغَادِرِيـ نَ جَمْعٌ تَقَلْقَلَ عَنْهُ الفَضَا
حَلَفْتُ بِسابِحَةٍ في الفِجَاجِ تَمْزُجُ أخْفَافَهَا بِالذُّرَى
وَتَنْهَضُ في صَهَوَاتِ الهَجيـ رِ بَيْنَ النّعَامِ وَبَيْنَ المَهَا
بِخَطْوٍ يُمَزّقُ بُرْدَ الصّعِيدِ ، وَرَكْضٍ يُلَطّمُ وَجْهَ المَلا[2]
هَبَبْنَ ، وَلَمْ تُغْرِهِنّ الحُدَاةُ ، فَقَامَ الهِبَابُ مَقَامَ الحُدَا
تَحُطّ رَحَائِلَهَا بالمَقَامِ ، وَتُلْقي أزِمّتَهَا بِالصّفَا
لَقَدْ حَلّ وِدُّكَ مِنْ مُهجَتي ، بحَيْثُ يُقِيلُ الأسَى وَالإسَا[3]

١ تبلد : تتقاصر . السها : نجم خفي من بنات نعش الصغرى .
٢ الملا : الصحراء .
٣ الأسى : الحزن . الإسا : الدواء .

وَحاشاكَ أنْ تَستَسِرَّ الوِدادَ ، وَتُرْمِدَ بالهَجْرِ طَرْفَ الهَوَى
لبَذْلِ النّدى ، إنْ ثَوَيتَ ، الثّوَى ، وَفَلّ العِدى ، إن سرَيتَ ، السُّرَى
رَأيتَ عَلِيّاً يَرُدّ الرّسيلَ حَسيرَ القَوَائِمِ دامي القَرَا[1]
إذا الرّكْبُ حَطّ بِأبْوَابِهِ ، تَنَفّضَ عَنْهُ غُبَارُ النّوَى
وَإنْ سَلَكَ البرَّ هَزّ الرّعَا نَ ، حتى يُنَفّرَ ذَوْدَ القَطَا
بِكُلّ مُعَوَّذَةٍ بِالحَدِيـ ـدِ ، إنْ رَوّعَتْهَا نِبَالُ العِدَى
سَأشدُو بذِكْرِكَ ما استَعبَرَتْ مَطِيٌّ يُثَلِّمُ فيها الوَجَى
وَأُصْفيكَ وُدّي ، وَبَعضُ الرّجا لِ يَمزِجُ بالودّ مَاءَ القِلى
يَخيطُ الضّلُوعَ عَلى إحْنَةٍ ، وَيَرْعَى الإخَاءَ بِعَيْنِ العَمَى[2]
وَلَمّا ذَكَرْتُكَ حَنّ الفُؤا دُ وَاعتَلّ في مُقْلَتيّ الكَرَى
فَلا زِلْتَ في رَقَدَاتِ النّعيـ ـمِ تَهْفُو بِلا مُوقِظٍ مِنْ أذَى
رِيَاضٌ تَشُقّ عَلَيْكَ النّسيمَ ، وَلَيْلٌ يَمُجّ عَلَيْكَ الضّحَى

١ الرسيل : المتابع له في النضال . القرا : الظهر .
٢ الاحنة : الحقد .

كربلا كرب وبلا

قال وهو بالحاير الحسيني يرثي
جده سيد الشهداء عليه السلام :

كَرْبَلا ، لا زِلْتِ كَرْباً وبَلا ، مَا لَقِي عِندَكِ آلُ المُصْطَفَى
كَمْ عَلى تُرْبِكِ لمّا صُرّعُوا ، مِنْ دَمٍ سَالَ وَمِنْ دَمعٍ جرَى
كَمْ حَصَانِ الذّيلِ يَرْوِي دَمعُها خَدَّهَا عِندَ قَتيلٍ بالظّمَا[1]
تَمْسَحُ التُّرْبَ عَلى إعْجَالِهَا ، عَنْ طُلَى نَحرٍ رَميلٍ بالدّمَا
وَضُيُوفٍ لِفَلاةٍ قَفْرَةٍ ، نَزَلُوا فيها عَلى غَيرِ قِرَى
لمْ يَذُوقُوا المَاءَ حتّى اجتَمَعُوا ، بحِدَى السّيفِ على وِرْدِ الرّدَى
تَكْسِفُ الشّمسُ شُموساً منهُمُ لا تُدانيهَا ضِيَاءً وَعُلى
وَتَنُوشُ الوَحْشُ مِنْ أجسادهِم أرْجُلَ السّبْقِ وَأيْمَانَ النّدَى
وَوُجُوهاً كَالمَصابيحِ ، فَمِنْ قَمَرٍ غابَ ، وَنَجْمٍ قَدْ هوَى
غَيّرَتْهُنّ اللّيَالي ، وَغَدَا جَايِرَ الحُكْمِ عَلَيهِنّ البِلَى
يا رَسُولَ اللهِ لَوْ عايَنْتَهُمْ ، وَهُمُ مَا بَينَ قَتْلَى وَسِبَا
مِنْ رَمِيضٍ يُمْنَعُ الظّلّ ، وَمن عاطِشٍ يُسقَى أنَابيبَ القَنَا[2]

١ قتيل الظما : هو الحسين بن علي بن أبي طالب جد الشاعر .
٢ الرميض : المتحرق القدمين من الحر .

وَمَسُوقٍ عَاثِرٍ يُسْعَى بِهِ   خَلْفَ مَحْمُولٍ عَلى غَيرِ وَطَا

مُتْعَبٍ يَشكُو أذَى السّيْرِ عَلى   نَقبِ المَنسِمِ ، مَجزُولِ المَطَا[1]

لَرَأَتْ عَيْنَاكَ مِنهُمْ مَنْظَراً   للحَشَى شَجْواً ، وَللعَينِ قَذَى

لَيْسَ هذا لرَسُولِ اللهِ ، يَا   أُمّةَ الطّغْيَانِ وَالبَغي ، جزَا

غارِسٌ لمْ يَألُ في الغَرْسِ لهُمْ ،   فَأذاقُوا أهْلَهُ مُرَّ الجَنَى

جَزَرُوا جَزْرَ الأضَاحي نَسْلَهُ ،   ثُمّ سَاقُوا أهلَهُ سَوْقَ الإمَا

مُعجَلاتٍ لا يُوَارِينَ ضُحَى ،   سُنَنَ الأوْجُهِ أوْ بِيضَ الطُّلَى[2]

هَاتِفَاتٍ بِرَسُولِ اللهِ في   بُهَرِ السّعْيِ ، وَعَثْرَاتِ الخُطَى[3]

يَوْمَ لا كِسْرَ حِجَابٍ مَانِعٌ   بِذْلَةَ العَيْنِ وَلا ظِلٌّ خِبَا[4]

أدْرَكَ الكُفْرُ بِهِمْ ثَارَاتِهِ ،   وَأُزِيلَ الغَيّ مِنْهُمْ فاشتَفَى

يا قَتيلاً قَوّضَ الدّهْرُ بِهِ   عُمُدَ الدّينِ وَأعْلامَ الهُدَى

قَتَلُوهُ بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُمُ   أنّهُ خامِسُ أصْحابِ الكِسَا[5]

وَصَرِيعاً عَالَجَ المَوْتَ بِلاَ   شَدّ لَحيَينِ وَلا مَدّ رِدَا[6]

١ نقب المنسم : رقته . والمنسم : طرف خف البعير والنعامة والفيل وغيرها . استعارة للمتعب . المجزول : المقطوع . المطا : الظهر .

٢ سنن الوجه : دوائره . ، الواحدة سنة .

٣ البهر : انقطاع النفس من العياء .

٤ أراد ببذلة العين : تكشف النساء .

٥ أصحاب الكساء هم : النبي وعلي وفاطمة والحسن ، والحسين خامسهم . وقيل لهم ذلك لالتفافهم بالكساء اليماني في بيت فاطمة ، فقال النبي : هؤلاء عترتي وأهل بيتي .

٦ أراد بشد اللحيين ومد الرداء : الغسل والتكفين ، أي أنه لم يغسل ولم يكفن .

غَسَلُوهُ بِدَمِ الطَّعْنِ ، وَمَا كَفَّنُوهُ غَيرَ بَوْغَاءِ الثَّرَى[1]
مُرْهَقاً يَدْعُو،وَلا غَوْثَ لَهُ ، بِأَبٍ بَرٍّ وَجَدٍّ مُصْطَفَى
وَبِأُمٍّ رَفَعَ اللهُ لهَا عَلَماً مَا بَينَ نُسْوَانِ الوَرَى
أَيُّ جَدٍّ وَأَبٍ يَدْعُوهُمَا ، جَدّ ، يا جَدّ ، أغِثْني يا أبَا
يا رَسُولَ اللهِ يَا فَاطِمَةٌ ، يا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ المُرْتَضَى
كَيْفَ لمْ يَستَعجِلِ اللهُ لَهُمْ بانقِلابِ الأرْضِ أوْ رَجمِ السّمَا[2]
لَوْ بِسِبْطَيْ قَيصَرٍ ، أوْ هِرْقِلٍ فَعَلُوا فِعْلَ يَزِيدٍ ، مَا عَدَا[3]
كَمْ رِقَابٍ مِنْ بَنِي فَاطِمَةٍ عُرِقَتْ ما بينَهمْ ، عَرْقَ المِدَى[4]
وَاختَلاها السّيفُ حَتّى خِلتَها سَلَمَ الأبرَقِ ، أوْ طَلحَ العُرَى[5]
حَمَلُوا رَأساً يُصَلّونَ عَلى جَدّهِ الأكْرَمِ طَوْعاً وَإبَا[6]
يَتَهَادَى بَيْنَهُمْ لمْ يَنْقُضُوا عَمَمَ الهَامِ ، وَلا حَلّوا الحُبَى[7]

١ البوغاء : التّربة الرخوة .

٢ رجم السما : أي أن ترجمهم السماء برجومها ، والرجوم النجوم أو ما يتساقط منها من حجارة .

٣ عدا : جرى ، ظلم ، ترك حقه .

٤ عرقت : أزيل لحمها . المدى ، الواحدة مدية : الشفرة .

٥ اختلاها : جزها أو نزعها . السلم : شجر من العضاه يدبغ به . الأبرق : أرض غليظة ، وأراد هنا مكاناً بعينه . الطلح : شجر عظام من شجر العضاه ترعاها الإبل . العرى ، الواحدة عروة : الجماعة من العضاه يرعاها الناس إذا أجدبوا ، وقوله : طلح العرى من باب إضافة الشيء إلى نفسه .

٦ طوعاً وإباء : أي طائعين ومكرهين .

٧ لم ينقضوا : لم يحلوا . العمم : اسم من الاعتمام ، أي لبس العمامة . الحبى ، الواحدة حبوة : الاشتمال بالثوب ، وأراد أنهم لم يكبروا المصاب ولم ينهضوا إجلالا .

مَيّتٌ تبْكي لَهُ فاطِمَةٌ ، وَأبُوها ، وَعَليٌّ ذُو العُلَى
لَوْ رَسُولُ اللهِ يَحيَا بَعْدَهُ ، قَعَدَ اليَوْمَ عَلَيْهِ للعزَا
مَعْشَرٌ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ وَالْ كَاشفُ الكَرْبِ، إذا الكَرْبُ عرَا
صِهْرُهُ البَاذِلُ عَنْهُ نَفْسَهُ، وَحُسَامُ اللهِ في يَوْمِ الوَغَى
أوّلُ النّاسِ إلى الدّاعي الّذي لَمْ يُقَدِّمْ غَيْرَهُ لَمّا دَعَا
ثُمّ سِبْطَاهُ الشّهيدانِ ، فَذا بحَسَا السّمّ ، وَهذا بالظُّبَى[1]
وَعَليّ ، وَابنُهُ البَاقِرُ ، وَالصّادِقُ القَوْلِ ، وَموسَى ، وَالرّضَا
وَعَليّ ، وَأبُوهُ وَابْنُـهُ ، وَالذي يَنْتَظِرُ القَوْمُ غَدَا[2]
يا جِبَالَ المَجدِ عِزّاً وَعُلًى ، وَبُدُورَ الأرْضِ نُوراً وَسَنَا
جَعَلَ اللهُ الّذي نَابَكُمُ سَبَبَ الوَجْدِ طَوِيلاً وَالبُكَا
لا أرَى حُزْنَكُمُ يُنسَى ، وَلا رُزْءَكم يُسلى، وَإنْ طالَ المَدَى
قَد مضَى الدّهرُ،وَعَفّى بَعدكمْ، لا الجَوَى باخَ ، وَلا الدّمعُ رَقَا[3]
أنتُمُ الشّافُونَ مِنْ داءِ العَمَى، وَغداً ساقُونَ مِنْ حوْضِ الرّوَا[4]
نَزَلَ الدّينُ عَلَيْكُمْ بَيتَكُمْ، وَتَخَطّى النّاسَ طُرّاً ، وَطَوَى
أينَ عَنكُمْ للّذي يَبغي بِكُمْ ظِلّ عَدْنٍ دُونَهَا حَرٌّ لَظَى

١ أراد بالذي قتل بحسا السم ، أي بشربه، الحسن ، وبالذي قتل بالظبى ، أي بحد الحسام، الحسين
٢ الذي ينتظر القوم : أي المهدي .
٣ باخ : سكن . رقأ : انقطع جريانه .
٤ الرواء : الماء العذب .

أينَ عَنْكُمْ لِمُضِلٍّ طالِبٍ وَضَحَ السُّبْلِ وأقمارَ الدّجَى
أينَ عَنكُمْ للّذي يرْجُو بِكُمْ مَعْ رَسُولِ اللهِ فَوْزاً ونَجَا
يَوْمَ يَغْدُو وَجْهُهُ عَنْ مَعشَرٍ مُعرِضاً مُمْتَنِعاً عِندَ اللّقَا
شاكِياً مِنهُمْ إلى اللهِ ، وَهَلْ يُفلِحُ الجيلُ الّذي مِنْهُ شَكَا
رَبِّ ! ما حامَوْا ، ولا آوَوْا ، وَلا نَصَرُوا أهْلِي ، ولا أغْنَوْا غَنَا
بَدّلُوا دِينِي ، ونَالُوا أُسرَتِي بالعَظيماتِ ، ولَمْ يَرْعَوْا ألَى[1]
لَوْ وَلِي مَا قَدْ وَلُوا مِنْ عِترَتِي قَائِمُ الشّرْكِ لأبْقَى وَرَعَى
نَقَضُوا عَهدِي ، وقَدْ أبرَمْتُهُ ، وَعُرَى الدّينِ ، فَما أبقَوْا عُرَى
حُرَمِي مُسْتَرْدَفَاتٌ ، وَبَنُو بِنْتِيَ الأدْنَوْنَ ذِبْحٌ للعِدَى
أتُرَى لَستُ لَدَيْهِمْ كامرِىءٍ خَلَفُوهُ بجَميلٍ إذْ مَضَى
رَبِّ ! إنّي اليَوْمَ خَصْمٌ لَهُمُ ، جِئتُ مَظلُوماً وَذا يَوْمُ القَضَا

كل دواء داء

أشْكُو إلى اللهِ قَلْباً لا قَرَارَ لَهُ ، قامَتْ قِيامَتُهُ ، وَالنّاسُ أحْيَاءُ
إنْ نال مِنكمْ وِصَالاً زَادَهُ سَقَماً كَأنّ كُلّ دَوَاءٍ عِندَهُ داءُ
كَأنّ قَلْبِيَ يَوْمَ البَيْنِ طارَ بهِ مِنَ الرِّفاعِ نَجيبُ السّاقِ عَدّاءُ[2]

---

١ الألى : النعمة .
٢ الرفاع : السير السريع .

يوم نزال ويوم نوال

كَرِيمٌ لَهُ يَوْمَانِ قَدْ كَفِلا له بنَيلِ العُلَى من بأسِهِ وَسَخائِهِ
فَيَوْمُ نِزَالٍ مُشمِسٌ من سيُوفه، وَيَوْمُ نَوَالٍ ماطِرٌ مِنْ عَطائِهِ

أوجه كالسيوف

لَوْ كانَ قِرْنُكَ مَن تَعِزُّ بمَنعِهِ، أوْ مَنْ يُهَابُ تَخَمّطاً وَإبَاءَ[1]
سَالَتْ مَحارِمُها عَلَيْكَ بأوْجُهٍ مثلِ السّيُوفِ مَهابَةً وَضِيَاءَ

دِما ودُمى

رَجَعْتَ بِهِنّ دَوَامي الصِّفَا حِ، يُنْزَعُ منهنّ شَوْكُ القَنَا
وَضَمّخْتَ أعنَاقَها بالدّمَا، وَأوْقَرْتَ أكْفَالَهَا بالدُّمَى[2]

١ التخمط : التكبر .
٢ الدمى ، الواحدة دمية : الصورة المنقوشة ، وأراد هنا السبايا .

تداعي الرغاء وزجر الرعا

وَهَلْ أُنْجِدَنْ بعَبْدِيَةٍ تَمُدّ عَلابِيبَهَا للحُدَا[1]
وَأسْمَعُ لَيْلَةَ أوْرَادِهَا تَداعي الرُّغَاءِ وَزَجْرِ الرُّعَا

غداً يهدم المجد

غداً يَهدِمُ المَجدُ المُؤثَّلُ مَا بَنَى ، وَتكسدُ أسوَاقُ الصَّوَارِمِ وَالقَنَا
مضَى المُصْدِرُ الآرَاءِ وَالمُورِدُ النُّهَى، فمَنْ يَعدِلُ المَيلاءَ أوْ يرْأبُ الثَّنَا[2]

١ العبدية : ناقة . العلابيب : أعصاب العنق .

٢ يرأب : يصلح . الثنا : الأمر .

حرف الباء

عزّ شعري إلا عليك

يمدح الطائع لله ويهنئه بالمهرجان ويقتضيه
وعداً سبق منه له سنة ٣٧٨ :

لَوْ عَلى قَدرِ ما يُحاوِلُ قَلْبي ، طَلَبي لمْ يَقَرّ في الغِمدِ عَضْبي
هِمّةٌ كالسّمَاءِ بُعْداً ، وكالرّيـ حِ هُبُوباً في كلّ شَرْقٍ وَغَرْبِ
وَنِزَاعٌ إلى العُلَى يَفطِمُ العيـ سَ عَنِ الوِرْدِ بَينَ مَاءٍ وَعُشْبِ
ربّ بُؤسٍ غَدا عَليّ بِنَعْمَا ءَ ، وَبُعْدٍ أفضَى إليّ بقُرْبِ
أتَقَرّى هَذا الأنَامَ ، فَيَغْدُو عَجَبي مِنْهُمُ طَرِيقاً لعُجْبي
وَإذا قَلّبَ الزّمَانَ لَبِيبٌ ، أبْصَرَ الجَدَّ حَرْبَ عَقْلٍ وَلُبّ
أمُقَاماً ألَذُّ في غَيْرِ عَلْيَا ءَ ، وَزَادي مِنْ عيشَتي زَادُ ضَبّ
دونَ أن أترُكَ السّيوفَ كَقَتلا ها رَزَايَا مِنْ حَرّ قَرْعٍ وَضَرْبِ
وَمِنَ العَجزِ إنْ دَعَا بكَ عَزْمٌ ، فرَآكَ الحُسَامُ غَيرَ مُلَبّي
وَإذا مَا الإمَامُ هَذّبَ دُنْيَا يَ كَفَاني وَصَالَحَ الغِمدَ غَرْبي[1]

[1] الغرب : حد السيف .

يا جَميلاً جَمَالُهُ مِلءُ عَيْني ، وَعَظيماً إعْظامُهُ مِلءُ قَلْبي
بكَ أبصَرْتُ كَيفَ يَصْفو غَديري من صُرُوفِ القَذى وَيأمنُ سِرْبي
أنتَ أفسَدْتَني عَلى كلّ مَأمُو لٍ ، وَأعدَيتَني على كلّ خَطبِ
فإذا مَا أرَادَ قُرْبي مَليكٌ ، قلتُ: قُرْبي مِنَ الخَليفةِ حَسبي
عزّ شِعرِي إلاّ عَلَيْكَ ، وَما زَا لَ عَزيزاً يأبَى عَلى كلّ خَطبِ
أيُّ نَدْبٍ ما بَينَ بُرْدَيك ، وَالدّهْـ رُ أجَدُّ اليَدَينِ مِنْ كلّ نَدْبِ[1]
بَينَ كَفٍّ تَقي المَطامعَ وَالآمَا لَ ، أوْ ذابِلٍ يُغيرُ وَيَسْبي
مَا تُبَالي بِأيّ يَوْمَيْكَ تَغدُو ، يَوْمِ جُودٍ بالمالِ ، أوْ يومِ حَرْبِ
كَمْ غَدَاةٍ صَبَاحُها في حِدادٍ ، نَسَجَتْهُ أيْدي نَزَائِعَ قُبّ[2]
تَتَرَاءَى السّيُوفُ فيها ، وَتَخفَى ، وَيُنِيرُ الطّعَانُ فيهَا ، وَيُخبي
فَرّجتَهَا يَداكَ ، وَالنّقْعُ قَدْ سَدّ عَلى العاصِفَاتِ كُلَّ مَهَبّ
وَمُرَبّي العُلَى ، إذا بَلَغَ الغَا يَةَ ، رَبّاهُ في العُلَى مَا يُرَبّي
يا أمِينَ الإلَهِ ، وَالنّبَأُ الأعْـ ظَمُ ، وَالعَقْبُ مِنْ مَقاوِلَ غُلْبِ
عادَةُ المِهْرَجَانِ عِنْدِيَ أنْ أرْ وِيَ بذِكرَاكَ فيهِ قَلْبي وَلُبّي
هُوَ عيدٌ ، وَلا يَمُرّ على وَجْـ هِكَ يَوْمٌ إلاّ يَرُوقُ وَيُصْبي
رَاحلٌ عنكَ ، وَهوَ يَرْقُبُ لُقْيَا كَ إلى الحَوْلِ عَن عَلاقةِ صَبّ
كَيفَ أنسَى وَقد مَحَضْتُكَ أهْوَا يَ وَحَصّيتُ عَنْ عَدُوّكَ حُبّي[3]

---

١ أجد : مقطوع .
٢ النزائع : الإبل أو غيرها التي انتزعت من غير بلادها . القبّ : المضمرة .
٣ حصيت : وقيت .

أنْتَ ألْبَسْتَني العُلَى ، فأطِلها ، أحسَنُ اللبس ما يُجَلّلُ عقبي
إنّني عائذٌ بنُعمَاكَ أنْ أكْـ ـثِرَ قَوْلي، وَأنْ أطَوّلَ عَتْبي
بيَ داءٌ شِفَاؤهُ أنْتَ ، لَوْ تَدْ نُو ، وَأيْنَ الطّبيبُ لِلْمُستَطِبّ
كَيفَ أرْضَى ظَمأً بقَلبي وَطَرْفي يتَجلّى بَرْقُ الرَّبَابِ المُرِبّ[1]
نَظرَةٌ منكَ تُرْسِلُ الماءَ في عُو دي ، وَتُمطي ظِلّي وَتُنبِتُ تُرْبي
مَا تَرَجّيتُ غَيرَ جُودِكَ جُوداً، أيُرَجّى القِطَارُ مِنْ غَيرِ سُحبِ[2]
لا تَدَعْني بَينَ المَطامِعِ وَاليأ سِ وَوِرْدي ما بَينَ مُرٍّ وَعَذْبِ
وَارْمِ بي عَن يَديكَ إحدى الطرِيقيْـ ـنِ ، فَما الشّعرُ جُلّ مالي وكَسبي
وَإذا حاجَةٌ نَـأتْ عَنْ سُؤالي منكَ لم تَنأ عن غِلابي وَغَضْبي

قوام الدين والدنيا

قال رحمه الله يمدح بهاء الدولة ويشكره على تلقيبه بالرضى ذي الحسبين ويذكر أبا العباس الخارجي وكتب بها إليه وهو في البصرة في المحرم سنة ٣٩٨ :

يَدٌ في قَائِمِ العَضْبِ ، فَمَا الإنْظَارُ بالضّرْبِ
وَقَدْ أمْكَنَتِ الهَامُ ظُبَى المَطْرُورَةِ القُضْبِ

١ الرباب : السحاب . المرب : المقيم
٢ القطار : المطر .

وَلِلأرْمَـاحِ بِالقَوْمِ حِكَاكُ الإبِلِ الجُرْبِ
يُنَازِعْنَ نِزَاعَ الذّوْ دِ ، يَرْمِينَ عَنِ الشُّرْبِ
قِوَامُ الدّينِ وَالدّنْيَا ، غِيَاثُ الأزْلِ وَاللّزْبِ[1]
لَزِدْتَ المُلْكَ أوْضَاحاً إلى أوْضَاحِهِ الشُّهْبِ
وَقَرّرْتَ مَبَانِيهِ عَلى الذّابِلِ وَالعَضْبِ
وَأوْضَحْتَ إلى المَجْدِ مَنَارَ اللّقَمِ اللّجْبِ[2]
رَأيْنَا المُلْكَ مِنْ بَأسِ كَ قَدْ دارَ عَلى القُطْبِ
فَقُلْ للخَائِنِ المَغْرُو رِ : مَنْ أغراكَ بالشّغْبِ
وَمَنْ طَوّحَكَ اليَوْمَ بِدارِ الأُسُدِ الغُلْبِ
فَأقْبَلْتَ بِمِحْفَارِ كَ كَيْ تَصْدَعَ بالهَضْبِ
وَهَيهَاتَ لَقَدْ طَالَعَ كَ الحَيْنُ مِنَ النَّقْبِ[3]
ضَلالاً لكَ مِنْ غَاوٍ ، سَلِيبِ الرّأيِ وَاللّبّ
أبَى العِزُّ لِبَيْتِ الصّ لِ أنْ يُطْرَقَ بالضّبّ
وَمَاذا آنَسَ الكُرْدُ بِمَنْ زَلْزَلَ بِالعُرْبِ
شِمِ السّيْفَ ، فَقَدْ قُوتِ لَ أعْداؤكَ بِالرُّعْبِ
وَمُذْ أسْخَطَكَ المَغْرُو رُ مَا قَرّ عَلى الجَنْبِ

١ الأزل : الضيق . اللزب : الشدة .
٢ اللقم : معظم الطريق . اللجب : الكثير الجلبة .
٣ الحين : الهلاك .

وَقِدْماً طَالَـهُ الخَوْفُ مَطَالَ المَخْضِ للوَطْبِ[1]
بَغَى السِّلْمَ ، وَقَدْ أشْفَى عَلى مَزْلَقَةِ الخَطْبِ
وَكَمْ سِلْمٍ ، وَإنْ غَرَّ الـ عِدَى،أدْمَى مِنَ الحَرْبِ
نَقَلْتَ الطَّعْنَ في الجِلْدِ إلى طَعْنِكَ في القَلْبِ
تَقُوا مِنْ رَبْضَةِ اللّيْثِ، فَقَدْ يَرْبِضُ للوَثْبِ[2]
وَخَافُوا نَوْمَــةَ الأسيَا فِ في الأغْمادِ وَالقُرُبِ[3]
سَتُرْمَوْنَ بِهَا يَقْظَى ، إذا قَالَ لهَا : هُبّي
قَضَى اللهُ لِـرَايَـا تِكَ بِالإظْهَارِ وَالغَلْبِ
وَأصْفَاكَ بِمُلْكِ الأرْ ضِ مِنْ شَرْقٍ إلى غَرْبِ
وَأغْنَى بِكَ مِنْ عُدْمٍ ، وَأسْقَى بِكَ مِنْ جَدْبِ
وَوَلّى بِأعَــادِيكَ مَعَ الزّعَازِعِ النُّكْبِ[4]
عَلى آثَارِهِمْ حَدْوُ الـ قَنَا بِالضُّمّرِ القُبِّ
رَفَعْتَ اليَوْمَ مِنْ قَدْرِي، وَأوْطَأتَ العِدَى عَقْبي
وَوَطّأتَ لِيَ الرّحْــلَ عَلى عَرْعَرَةِ الصّعْبِ[5]

١ الوطب : سقاء اللبن .
٢ تقوا : اتقوا .
٣ القرب : جمع قراب .
٤ الزعازع : الشدائد . النكب ، الواحدة نكباء : الريح التي تنحرف عن مهاب الرياح القوّم ، وتقع بين ريحين .
٥ العرعرة : رأس كل شيء . الصعب : أراد به هنا الأسد .

لِيَ العَـــاطِـ لَ بالطَّوْقِ وَبالقُلْبِ[1]
لِيَ الضَّيـقَ إلى المُضْطَرَبِ الرَّحْبِ
وَزَاوَجْتَ لِيَ الطَّـــوْلَ زَوَاجَ المَاءِ للعُشْبِ[2]
فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ مِنْكَ كَعَرْفِ المَنْدَلِ الرَّطْبِ[3]
أتَتْني سَمْحَةَ القَوْدِ ، ذَلُولاً سَهْلَةَ الرَّكْبِ
مُهَنَّـاةً ، كَمَا سَاغَ زُلالُ البَارِدِ العَذْبِ
وَلَمْ أظْفَرْ بِهَا مِنْكَ ، جِذابَ العِلْقِ بالعَضْبِ[4]
وَمَا إنْعَامُكَ الغَمْرُ بِزَوّارٍ عَــلى الغِبّ
سَقَاني كَرَعَ الجَـــمّ بِلا وَاسِطَةِ القَعْبِ[5]
وَأرْضَاني عَلى الأيّـــا مِ بَعْدَ اللّوْمِ وَالعَتْبِ
وَأعْلَى المَدْحِ مَا يُثْني بِهِ العَبْدُ عَلى الرّبّ

١ القلب : سوار المرأة .
٢ الطول : الفضل .
٣ العرف : الرائحة الطيبة . المندل : عود طيب الرائحة .
٤ العلق : النفيس .
٥ القعب : القدح .

كثروا مجداً وطابوا

قال رحمه الله يمدحه ويهنئه بمهرجان سنة أربعمائة

حَيّيَا ، دُونَ الكَثيبِ ، مَرْتَعَ الظّبْيِ الرّبِيبِ
وَاسألاني عَنْ قَرِيبٍ في الهَوَى غَيرِ قَرِيبِ
وَارِدٍ مَاءَ عُيُونٍ ، مُصْطَلٍ نَارَ قُلوبِ
وَقْفَةً بالرَّبْعِ أقْوَى بَينَ أعْقَادِ الكَثيبِ
وَعَفَا اليَوْمَ عَلى كَرَّيْ قِطَارٍ وَجَنُوبِ
بِسَوَافي التُّرْبِ البَارِحِ ، وَالتُّرْبِ الغَرِيبِ[1]
وَالّذِي بِالرَّبْعِ مِنْ بُعْدِهِمُ بَعْضُ الّذِي بي
وَاحْبِسَا الرّكْبَ عَلى حاجَةِ ذي القَلْبِ الطّرُوبِ
مُسْتَهَامٌ دَلّهُ الشّوْقُ عَلى دارِ الحَبيبِ
مَوْقِفٌ مُيّزَ للرّكْبِ بَرِيّاً مِنْ مُرِيبِ
يا غَزَالَ الرّمْلِ ! قَلْبي لَكَ مُنْقَادُ الجَنيبِ
هَلْ سَبيلٌ لي إلى رَاحَةِ قَلْبٍ مِنْ وَجِيبِ
نَظْرَةً يَمْلِكُهَا الطّرْفُ عَلى عَينِ الرّقيبِ
مَا لِقَائي مِنْ عَدُوّي كَلِقَائي مِنْ مَشيبِ

[1] السوافي : الرياح التي تسفو التراب ، تذروه .

مُوقِدٍ نَاراً أضَاءَتْ فَوْقَ فَوْدَيَّ عيُوبي
وَبَيَاضٍ هُوَ عِنْدَ الـ ـبِيضِ مِنْ شَرّ ذُنُوبي
يَا قِوَامَ الدّينِ وَالقَا ئِمُ مِنْ دُونِ الخُطُوبِ
وَالّذي يَدْعُو النّدَى مِنْـ ـهُ بِداعٍ مُسْتَجيبِ
وَمُغَطّي الذّنْبِ بِالعَفْـ ـوِ وَكَشّافَ الكُرُوبِ
بِيَدَيْهِ رَكْدَةُ السّلْـ ـمِ ، وَزَلْزَالُ الحُرُوبِ
قُرِعَتْ مِنْ عُودِهِ الأعْـ ـداءُ بِالنّبْعِ الصّلِيبِ[1]
بِمَهِيبِ البِشْرِ في المَحْـ ـفِلِ مَرْجُوِّ القُطُوبِ
قَائِدِ الخَيْلِ تَسَاقَى بِدَمِ الطّعْنِ الصّبِيبِ
كُلُّ أحْوَى عَاقِصٌ بِالدّ مِ أطْرَافَ السّبِيبِ[2]
مِنْ رِجَالٍ أسْفَرُوا بالـ ـطَّوْلِ أيّامَ الشّحُوبِ
كَثُرُوا مَجْداً وَطَابُوا مِنْ نَجِيبٍ ، فَنَجِيبِ
وَتَرَى الحَيّ سِوَاهُـمْ مُكْثِراً غَيرَ مَطِيبِ
رُبّ غَاوٍ طُرُقَ المَجْـ ـدِ طُرُوقَ المُسْتَرِيبِ
سَاوَرَ الأمْرَ ، وَلَمْ يَعْـ ـلَمْ بِأسْرَارِ الغُيُوبِ
ظُلّةٌ يَسْلُكُ مِنْهَـا لَقَماً غَيْرَ رَكُوبِ
أبَداً يَدْحُو بِهِ الغَيّ إلى الأمْرِ المُرِيبِ

١ النبع : شجر تتخذ منه القسي و السهام .
٢ الأحوى : أسود الشعر . العاقص : الضافر ، أو المضفور . السبيب : خصلة الشعر

سَارَ وَالأُمَّـاتُ يُعْدِدْ   نَ لَهُ شَقَّ الجُيُوبِ
يُسْلِفُ الدَّمْعَ ، يَقِيناً   بِرَدَى اليَوْمِ العَصِيبِ
شَامَهَا وَانْصَاعَ مَحْلُو   لَ عُرَى القَلْبِ النَّخِيبِ[1]
مُرْهَقَ الوَقْفَـةِ لا   يَغمِزُ سَاقاً مِنْ لُغُوبِ[2]
طَارِحاً مُنْخَرِقَ السَّجْ   لِ إلى جُولِ القَلِيبِ[3]
مَزِقَ الجِلْدِ يُرَى القَلْ   بُ مِنَ الجُرْحِ الرَّغِيبِ[4]
نَاجِياً ، مُنْقَلَبَ الأبْ   غَثِ مِنْ بَازٍ طَلُوبِ[5]
يَوْمَ لا يَثْبُتُ وَجْـهٌ   مِنْ كُلُومٍ وَنُدُوبِ
نَغَرَتْ قِـدْرُ المَنَايَا   مِنْ أُوَارٍ وَلَهِيبِ[6]
تَقْذِفُ المَوْتَ ، إذا   حُشَّ لَظَاهَا بالكُعُوبِ[7]
اخْسَئِي يَا نُوَبَ الأيَّـا   مِ مَا عِشْتُ وَخِيبِي
وَارْجِعِي نَاصِلَةَ الأظْفَا   رِ بِبَيْضَاءَ النُّيُوبِ[8]
عَجَباً كَيْفَ تَطَاوَلْـ   تِ إلى اللَّيْثِ المَهِيبِ

١ النخيب : الجبان .
٢ الغمز : العرج . اللغوب : التعب .
٣ السجل : الدلو . الجول : الجدار . القليب : البئر .
٤ الرغيب : الواسع الجوف .
٥ الأبغث : طائر .
٦ نغرت : غلت .
٧ حش : أوقد . الكعوب ، الواحد كعب : الأنبوبة بين العقدتين
٨ ناصلة الأظفار : خارجة أظفارها من مواضعها .

وَإلى طَوْدٍ مِنَ العِـزّ ةِ مِزْلاقِ الجُنُوبِ
ظَهْرُ صَعْبٍ يَقِصُ الرّا كِبَ مِنْ قَبْلِ الرّكُوبِ
كَمْ لَبِسْتُ الطَّوْلَ منكمْ بَدَلَ البُرْدِ القَشيبِ
نِعَمٌ كَالمُزْنِ نَقّطْ نَ ثَرَى الرّوْضِ الغَرِيبِ
نَافِحَاتٍ بِنَسِيمٍ ، سَافِيَاتٍ بِذَنُوبِ[1]
كُلَّ يَوْمٍ أنَا مِنْهَا بَيْنَ داعٍ وَمُجيبِ
انْجُ مِنْ رَوْعاتِ أيّا مٍ وَغارَاتِ خُطُوبِ
بَاقِياً مَا اختَلَفَ النّوْ رُ عَلى الغُصْنِ الرّطيبِ
هَزّةَ الرّيحِ سَليماً مِنْ وُصُومٍ وَعُيُوبِ[2]
لا لَقَاكَ الخَطْبُ إلاّ رَامِياً غَيْرَ مُصِيبِ
كُلّمَا أفْنَيْتَ عَقْباً جَاءَ دَهْرٌ بِعَقِيبِ
مِهْرَجَانٌ عَادَ إلْمَا مَ مُحِبٍّ بِحَبِيبِ
وَافِداً جَاءَ مِنَ الإقْ بَالِ في زَوْرٍ غَرِيبِ
إنّ رَيْبَ الدّهْرِ أمْسَى لَكَ مَأمُونَ المَغيبِ
هَلْ لِداءٍ بَيْنَ جِسْمٍ وَفُؤادٍ مِنْ طَبِيبِ
هُوَ في الأجْسَامِ مِنكُمْ ، وَهْوَ مِنّا في القُلُوبِ
يَا طُلُوعَ البَدْرِ ! لا نَالَكَ مَحذُورُ الغُرُوبِ

١ السافيات : الذاريات . الذنوب : الدلو .
٢ هزة الريح : أي نشيطاً .

صدقت ظن العلى

قال رحمه الله يمدح الوزير أبا نصر سابور بن ازدشير وقد قدم مع شرف الدولة إلى بغداد سنة ست وسبعين وثلثمائة:

مَا يَصْنَعُ السَّيرُ بالجُرْدِ السَّرَاحِيبِ ... إنْ كانَ وَعدُ الأماني غيرَ مَكذوبِ[1]

لله أمرٌ مِنَ الأيّامِ أطْلُبُهُ ، ... هَيهاتَ أطْلُبُ أمْراً غَيرَ مَطْلُوبِ

لا تَصْحَبِ الدّهرَ إلاّ غيرَ مُنتَظِرٍ ، ... فَالهَمُّ يَطْرُدُهُ قَرْعُ الظّنَابيبِ[2]

وَاقذِفْ بنَفسِكَ في شَعوَاءَ خابِطَةٍ ، ... كالسّيلِ يَعصِفُ بالصّوّانِ وَاللُّوبِ[3]

إنْ حَنّتِ النِّيبُ شَوْقاً،وَهيَ وَاقفةٌ، ... فَإنّ عَزْمِيَ مُشتَاقٌ إلى النِّيبِ

أوْ صَارَتِ البِيضُ في الأغمادِ آجِنَةً، ... فإنّما الضّرْبُ مَاءٌ غَيرُ مَشْرُوبِ

مَتَى أرَاني وَدِرْعي غَيرُ مُحقَبَةٍ ، ... أجُرّ رُمحي، وَسَيفي غيرُ مَقرُوبِ[4]

أيْدٍ تَجَاذَبُ دُنْيَا لا بَقَاءَ لَهَا ، ... خِبَاؤهَا بَينَ تَقوِيضٍ وَتَطنِيبِ

قَد كُنتُ غِرّاً وكانَ الدّهرُ يَسمَحُ لي، ... إنّ الرّقيبَ عَلى دُنْيَايَ تَجرِيبي

وَعَدْتَ يا دَهرُ شَيئاً بِتُّ أرْقُبُهُ ، ... وَمَا أرَى منكَ إلاّ وَعْدَ عُرْقُوبِ

١ السراحيب : الطويلة ، الواحد سرحوب .

٢ الظنابيب ، الواحد ظنبوب : حرف عظم الساق من قدم . ومعنى قرع الظنابيب : الجد في الأمور وعدم الفتور .

٣ الشعواء : الغارة المتفرقة . اللوب : العطش .

٤ محقبة : موضوعة في الحقيبة . المقروب : الموضوع في قرابه .

وَحَاجَةٍ أتَقَاضَاهَا وَتَمْطُلُنِي ، كَأنّهَا حَاجَةٌ في نَفْسِ يَعقُوبِ
لأُتْعِبَنّ عَلَى البَيْدَاءِ رَاحِلَةً ، وَاللّيْلُ بالرّيحِ خَفّاقُ الجَلابيبِ
ما كنتُ أرْغَبُ عن هوْجاءَ تَقذِفُ بي هَامَ المَرَوْرَى وَأعنَاقَ الشّنَاخيبِ[1]
في فِتيةٍ هَجرُوا الأوْطانَ وَاصْطَنَعوا أيدِي المَطَايَا بإدْلاجٍ وَتَأوِيبِ[2]
مِنْ كلّ أشعَثَ مُلتاثِ اللّثَامِ ، لَهُ لَحظٌ تُكَرّرُهُ أجفَانُ مَدْؤوبِ[3]
يُوَسِّدُ الرّحْلَ خَدّاً مَا تَوَسّدَهُ قَبلَ المَطالبِ غيرُ الحُسنِ وَالطّيبِ
إلَيكَ طارَتْ بِنا نُجْبٌ مُدَفَّعَةٌ ، تحتَ السّياطِ ، رَميضَاتُ العَرَاقيبِ[4]
وَرَدْنَ مِنْكَ سَحَاباً غَيرَ مُنْتَقِلٍ عَنِ البِلادِ ، وَبَدْراً غَيرَ مَحجوبِ
مَا زِلْتَ تَرْغَبُ في مَجْدٍ تُشَيّدُهُ عَفْواً وَغَيرُكَ في كَدٍّ وَتَعذِيبِ
حتى بَلَغْتَ مِنَ العَلْيَاءِ مَنْزِلَةً ، تُفْدَى الأعَاجِمُ فِيها بالأعارِيبِ
إنّي رَأيتُكَ مِمّنْ لا يُخَادِعُهُ حَثُّ الزّجَاجَةِ بالغِيدِ الرّعَابيبِ
وَلا تَحُلّ يَدُ الأقْداحِ حُبْوَتَهُ ، إذا احتَبَى بَينَ مَطعُونٍ وَمَضرُوبِ
يُهَابُ سَيفُكَ مَصْقولاً وَمُختَضِباً ، وَأهيَبُ الشَّعرِ شَيبٌ غَيرُ مَخضُوبِ
يَأوِي حُسامُكَ إنْ صَاحَ الضِّرَابُ بِه إلى لِوَاءٍ مِنَ العَلْيَاءِ مَنْصُوبِ
وَيَرْتَمي بكَ ، وَالأرْمَاحُ وَالِغَةٌ طِمَاحَ كُلّ أسِيلِ الخَدّ يَعبُوبِ[5]

١ الهوجاء : الناقة السريعة . المرورى ، الواحدة مروراة : الأرض لا شيء فيها . الشناخيب : أعالي الجبال ، الواحد شنخوب وشنخاب .
٢ الإدلاج : السير من أول الليل . التأويب : مشي كل النهار ، والنزول في الليل .
٣ ملتاث اللثام : عاصبه . المدؤوب : المعتاد .
٤ نجب مدفعة : نياق كريمة . رميضات : محترقات .
٥ الطماح : الجماح . اليعبوب : الجواد السهل في عدوه .

لمْ يَسْلُ هَمُّكَ مِنْ مَالٍ تُفَرّقُهُ ... إلاّ تَعَشّقَ أطْرَافَ الأنَابِيبِ
إذا مَنَحْتَ العَوَالي كَفَّ مُسْتَلِبٍ ... أقطَعتَ بَذْلَ العَطَايا كَفَّ مَسلوبِ
لا يَرْكَبُ النّدبُ إلاّ كلَّ مُعضِلَةٍ ، ... كَأنّ ظَهْرَ الهُوَيْنَا غيرُ مَرْكوبِ[1]
وَلا يَرَى الغَدْرَ أهْلاً أنْ يُلِمَّ بِهِ ، ... وَإنّمَا الغَدْرُ مَأخُوذٌ عَنِ الذّيبِ
مَا نَالَ مَدْحي أبُو نَصْرٍ بِنَائِلَةٍ ، ... وَلا بِسُلْطَانِ تَرْغيبٍ وَتَرْهيبِ
إلاّ بِشيمَةِ بَسّامٍ وَتَكْرِمَةٍ ... غَرّاءَ تَعدِلُ عندي كلَّ مَوْهُوبِ
أنْتَ المُعِينُ عَلى أمْرٍ تُصَاوِلُهُ ، ... وَحَاجَةٍ شَافَهَتْنَا بِالأعَاجيبِ
وَمِثْلُ سَمعِكَ يَدعُوهُ إلى كَرَمٍ ، ... قَوْلٌ تُشَيّعُهُ أنفَاسُ مَكْرُوبِ
سَبَى فنَاؤكَ آمَـالاً لِطينَتِها ، ... سَبْيَ الأزِمّةِ أعنَاقَ المَصَاعيبِ[2]
يا خَيرَ مَنْ قالَ بَلّغْ خَيرَ مُستَمعٍ ... عَنّي وَحَسبُكَ مِنْ وَصْفٍ وتَلقيبِ
لَوْلاكَ يا مَلِكَ الأمْلاكِ سَالَ بِنَا ... مِنَ النّوَائِبِ عَرّاصُ الشّآبِيبِ[3]
زَجَرْتَ عَنّا اللّيَالي ، وَهيَ رَابِضَةٌ ... تَقْرُو بِأنْيَابِهَا عَقْرَ المَخاليبِ[4]
أرْعَيْتَنَا الكَلأَ المَمْطُورَ نَنشُطُهُ ... نَشطَ الخَمائِلِ بَعدَ المَرْبِعِ المُوبي[5]
فكُنْتَ كالغَيْثِ مَسّ المَحلَ رَيّقُهُ ... فَهَذّبَ الأرْضَ منهُ أيَّ تَهذِيبِ
هذا أتَى قائِلاً ، وَالصّدْقُ يَنصُرُهُ ، ... أقالَ عُنُقي وكانَ السّيفُ يُغْري بي

---

١ الندب : الخفيف بالحاجة ، النجيب . الهوينا : التؤدة والرفق .
٢ المصاعيب ، الواحد مصعب : الفحل لم يمسه حبل ولم يركب .
٣ العراص : السحاب ذو البرق والرعد .
٤ تقرو : تقصد .
٥ ننشطه : نأخذه بسرعة . الخمائل ، الواحدة الخميلة : الموضع الكثير الشجر . الموبي : القليل الماء .

صَدَقَتْ ظَنَّ العُلَى فيه، وَحاسِدُهُ   يُعطي الحقائِقَ أطْرَافَ الأكاذيبِ
تَرَكْتَهُ زَاهِداً في العَيْشِ مُنقَطِعاً   عَنِ القَرَاينِ مِنّا وَالأصاحيبِ
وَكانَ بالحَرْبِ يَلقَى مَنْ يُنافِرُهُ ،   فَصَارَ يَلقَى الأعادي بِالمَحاريبِ
ما قُلتَ ما كانَ صَرْفُ الدّهرِ أدّبَهُ ،   بَلى قَديماً ، وَهذا فَضْلُ تأديبِ
الحَمدُ لِلّهِ لا أشْكُو إلى أحَدٍ ؛   قَلّ الوَفَاءُ منَ الشبّانِ والشِّيبِ
هَيّأتَ مَجدَكَ يَستَوْفي الزّمانَ بهِ   عَزْماً حُساماً ، وَرأياً غيرَ مَغلوبِ
وَلا صَبَرْتَ على ذُلٍّ وَمَنْقَصَةٍ ،   وَلا حَذِرْتَ على عَذْلٍ وَتأنيبِ
خَطَبْتَ شِعري إلى قَلْبٍ يَضِنّ بهِ ،   إلاّ عَلَيكَ ، فَباشِرْ خَيرَ مَخطُوبِ
شَبّبْتَ بالعِزّ ، إذْ كانَ المَديحُ لَهُ ،   فَما أصُولُ بمَدْحي دُونَ تَشْبيبِ
لا عُلّقَ المَوْتُ نَفْساً أنْتَ صَاحبُها ؛   إنّ الحِمامَ مُحِبٌّ غَيرُ مَحبُوبِ

فتى تقلق الأعداء منه

يمدح الوزير أبا منصور بن صالح ويذكر
هزيمة باد الكردي الخارجي بالجزيرة والموصل :

أشَوْقاً ، وَمَا زَالَتْ لَهُنّ قِبابُ ،   وَذِكْرَ تَصَابٍ وَالمَشيبُ نِقَابُ
وَغَيْرُ التّصَابي للكَبيرِ تَعِلّةٌ ،   وَغَيْرُ الغَوَاني للبَيَاضِ صِحَابُ
وَمَا كُلُّ أيّامِ المَشيبِ مَريرَةٌ ،   وَلا كُلُّ أيّامِ الشّبَابِ عِذابُ

أُؤمّلُ مَا لا يَبلُغُ العُمْرُ بَعضَهُ ، كَأنّ الذي بَعْدَ المَشيبِ شَبَابُ
وَطُعم لبازي الشّيبِ لا بُدّ مُهجَتي ، أسَفّ عَلى رَاسِي ، وَطارَ غُرَابُ
لِدَاتُكَ إمّا شِبْتَ وَاتّبَعُوا الرّدَى جَميعاً ، وَإمّا إنْ رَدِيتَ وَشَابُوا
بُكَاءٌ على الدّنْيا وَلَيسَ غَضارَةٌ ، وَمَاضٍ مِنَ الدّنيا وَلَيسَ مآبُ[1]
إذا شِئتُ قَلّبتُ الزّمانَ وَصَافَحَتْ لِحاظي أُمُوراً ، كُلّهُنّ عُجابُ
ضَلالاً لقَلْبي ما يُجنّ مِنَ الهَوَى ، وَمِنْ عَجَبِ الأيّامِ كَيفَ يُصَابُ
يُعَذَّلُ أحيَاناً ، وَيُعذَرُ مِثْلُها ، وَيُستَحسَنُ البَادي بِهِ ، وَيُعابُ
وَإنّ أقَظّ المَالِكِينَ خَرِيدَةٌ ، وَإنّ أضَنّ البَاذِلِينَ كَعَابُ[2]
وَلَمّا أبَى الأظْعَانُ إلاّ فِرَاقَنَا ، وَللبَيْنِ وَعْدٌ لَيْسَ فيهِ كِذابُ
رَجَعْتُ ،وَدَمعي جازِعٌ من تجَلّدي ، يَرُومُ نُزُولاً للجوَى فَيَهَابُ
وَأثقَلُ مَحمُولٍ عَلى العَينِ دَمعُها ، إذا بَانَ أحْبَابٌ وَعَزّ إيَابُ
فَمَنْ كانَ هذا الوَجدُ يَعمُرُ قلبَهُ ، فقَلبي مِنْ داءِ الغَرَامِ خَرَابُ
وَمَنْ لَعِبَتْ بِيضُ الثّغُورِ بعَقْلِهِ ، فَعِندي أحَرُّ البَارِدَينِ رُضَابُ
يَعِفّ عَنِ الفَحشاءِ ذَيْلي ، كأنّما عَلَيْهِ نِطَاقٌ دُونَها وَحِجَابُ
إذا لَمْ أنَلْ مِنْ بَلْدَةٍ مَا أُرِيدُهُ ، فَمَا سَرّني أنّ البِلادَ رِحَابُ
وَهَلْ نافعي أنْ يَكثُرَ الماءُ في الدُّنَا ، وَلَمّا يُجِرْني ، إنْ ظَمِئْتُ ، شَرَابُ
وَلِي سَاعَةٌ في كُلّ أرْضٍ ، كأنّمَا عَلى الجَوّ مِنها وَالعُيُونِ ضَبَابُ

[1] الغضارة : النعمة والسعة . المآب : الرجوع .
[2] الخريدة : البكر لم تمس . الكعاب : التي نهدت .

بَعيدَةُ أُولَى النَقْعِ مِنْ أُخرَيَاتِهِ ، وَللطّعْنِ فيهَا جيئَةٌ وَذَهَابُ
وَمَا بَينَ خَيْلي وَالمَطالِبِ حاجِزٌ ، وَلا دُونَ عَزْمي للظّلامِ حِجَابُ
جِيَادٌ إلى غَزْوِ القَبَائِلِ تُمْتَطَى ، وَأَرْضٌ إلى نَيْلِ العَلاءِ تُجَابُ
وَأَبْلَجَ وَطّاءٍ عَلى خَدّ لَيْلِهِ ، كَمَا فَارَقَ النّصْلَ المَضِيَّ قِرَابُ
يَعَافُ طَعاماً مَا جَنَاهُ حُسَامُهُ ، وَخَيْرٌ مِنَ الطُّعمِ الذّليلِ تُرَابُ
وَكَيْفَ يَخافُ الذّلّ مَن كانَ دارَهُ ظَلامُ اللّيَالي ، وَالرّمَاحَ جَنَابُ
وَمَا يَبْلُغُ الأعْداءُ مِنّي بِفَتْكَةٍ ، وَدُوني فِنَاءٌ لِلأميرِ وَبَابُ
تَسَاقَطُ أطْرَافُ الأسِنّةِ دُونَهُ ، وَتَنْبُو ، وَلَوْ أنّ النّجُومَ حِرَابُ
لَبِستُ بهِ ثَوْباً مِنَ العِزّ ، يُتّقَى طِعَانٌ مِنَ البَلْوَى بهِ ، وَضِرَابُ
دَعَوْتُ ، فَلَبّاني ، وَلَوْ كنتُ داعِياً سِوَاهُ مَضَى قَوْلٌ وَعَيَّ جَوَابُ
وَإنّ العَطَايَا مِنْ يَمِينِ مُحَمّدٍ لأمْطَرُ مِنْ قَطْرٍ مَرَاهُ سَحَابُ[1]
لحَاظٌ كَمَا شَقّ العَجاجَ مُهَنّدٌ ، وَوَجْهٌ كَمَا جَلّى الظّلامَ شِهابُ
بلا شافِعٍ يُعطي الذي أنْتَ طالِبٌ ، وَبَعْضُ مَوَاعِيدِ الرّجَالِ سَرَابُ
فَتًى تَقْلَقُ الأعداءُ مِنْهُ ، كَأنّهُ لَظَى نَاجِرٍ ، وَالخالِعُونَ ضَبَابُ[2]
إذا شاءَ نَابَ القَوْلُ عَنْ فَعَلاتِهِ ، وَقَامَ مَقَامَ العَضْبِ مِنهُ كِتَابُ
يُعَظّمُ أحيَاناً ، وَلَيسَ تَجَبُّرٌ ، وَيَنظُرُ غَضْبَاناً ، وَلَيسَ سِبابُ

١ مراه : استدره .

٢ ناجر : كل شهر من شهور الصيف . الخالعون : المنقادون إلى هواهم ، أو الذين يعدون على الناس بشرهم .

بَغيضٌ إلى قَلبي سِواهُ ، وَإن غَدَتْ لَهُ نِعَمٌ تَتْرَى إليّ رِغَابُ
وَعِبْءٌ عَلى عَيْنيّ رُؤيَةُ غَيْرِهِ ، وَلَوْ كانَ لي فيهِ مُنًى وَطِلابُ
فَلا جودَ إلاّ أنْ تَمَلّ مَطَامِعٌ ، وَلا عَفْوَ إلاّ أنْ يَطُولَ عِقَابُ
فِداؤكَ قَوْمٌ أنْتَ عالٍ عَلَيْهِمُ ، شِدادٌ عَلى بَذْلِ النّوَالِ صِعَابُ
إذا بَادَرُوا مَجداً بَرَزْتَ،وَبَلّدُوا ، وَإنْ طالَعُوا عِزّاً شَهِدْتَ وَغابُوا[1]
وَقاؤكَ مِنْ ذَمّ العِدى خُلفُ نائلٍ يَدُرّ ، وَلَمْ تُرْبَطْ عَلَيهِ عِصَابُ[2]
وَما كلّ مَن يَعلُو كقَدرِكَ قَدْرُهُ ؛ وَلا كُلّ سَامٍ في السّماءِ عُقَابُ
وَمَا المَلِكُ المَنْصُورُ إلاّ ضُبَارِمٌ ، لَهُ منكَ ظُفْرٌ في الزّمانِ وَنَابُ[3]
بعَزْمِكَ يَمضِي عَزْمُهُ في عَدُوّهِ ، مضَاءَ طَرِيرٍ أيّدَتْهُ كِعَابُ[4]
تَلافَيْتَ أسْرَابَ الرّعِيّةِ ، بَعْدَما تَوَقّدَ أضْغَانٌ لهَا وَضِبَابُ[5]
وَلمّا طَغَى بَادٍ وَأضرَمَ نَارَهُ عَلى الغَدْرِ ، إنّ الغَادِرِينَ ذِئَابُ
بَعَثْتَ لَهُ حَتْفاً بغَيرِ طَليعَةٍ ، تَخُبّ بهِ قُبُّ البُطُونِ عِرَابُ
نَزَائعُ يَعجُمنَ الشّكيمَ ، وَقد جرَى عَلى كُلّ فَيفَاءٍ دَمٌ وَلُعَابُ[6]
خَوَاطِرُ بالأيدي لَوَاعِبُ بالخُطَى ، وَللطّعْنِ في لَبّاتِهِنّ لِعَابُ

١ بلدوا : ضربوا بأنفسهم الأرض .
٢ الخلف : الناقة كالثدي للمرأة . النائل : العطاء .
٣ الضبارم : الأسد الشديد الخلق .
٤ الطرير : المسنون . الكعاب : الرماح .
٥ الضباب ، الواحد ضب : الحقد الخفي .
٦ يعجمن : يلكن . الشكيم ، الواحدة شكيمة : الحديدة المعترضة في فم الفرس . الفيفاء : المفازة لا ماء فيها . اللعاب : ما سال من الفم .

وَلا أرْضَ إلاّ وَهْيَ تَحثُو تُرَابَهَا عَلَيهِ ، وَتَرْمِيهِ رُباً وَعِقَابُ
فَوَلّى وَوَلّيْتَ الجِيَادَ طِلابَهُ ، وَسَالَتْ مُرُوجٌ بالقَنَا وَشِعَابُ
تَغامَسَ في بَحرِ الحَديدِ ، وَخَلفَهُ لِمَاءِ المَنَايَا زَخْرَةٌ وَعُبَابُ
وَقَدْ كانَ أبدَى تَوْبَةً ،لَوْ قَبِلتَها، وَلَوْ نَفَعَ الجَاني عَلَيْكَ مَتَابُ
كَأني برَكْبٍ حَابِسٍ هُوَ مِنهُمُ ، أقَامُوا بأرْضٍ ، وَالجُذُوعُ رِكَابُ[1]
عَوَارِيَ إلاّ مِنْ دَمٍ فَتَأتْ بهِ مَعَاصِمُ مِنْ أسرِ الرّدَى وَرِقَابُ[2]
يُعَرِّدُ عَنهُمْ كلُّ حيٍّ ، كَأنّهُمْ جِمَالٌ مُطَلاّةٌ الجُلُودِ جِرَابُ[3]
وَلِلهِ عَارٍ في بَنَانِكَ مَتْنُهُ يَشُبُّ، وَمِنْ لَوْنِ المِدادِ خِضَابُ[4]
أمِينٌ عَلى سِرٍّ ، وَلَيسَ حَفِيظَةً ؛ وَمَاضٍ عَلى قِرْنٍ ، وَلَيسَ ذُبَابُ
وَمَا مَسّهُ مَجْدٌ ، بلَى إنّ رَاحَةً لهَا نَسَبٌ في المَاجِدينَ قِرَابُ
وَإنّي لأرْجُو مِنْكَ حَالاً عَظِيمَةً، وَأمْراً أُرَجّي عِنْدَهُ وَأهَابُ
لَعَلّ زَمَاني يَنْثَني لي بِعَطْفَةٍ ، وَتَرْضَى مُلِمّاتٌ عَليّ غِضَابُ
وَمَا أنَا مِمّنْ يَجْعَلُ الشِّعرَ سُلّماً إلى الأمْرِ إنْ أغنَى غِنَاهُ خِطَابُ
وَلَيسَ مَديحٌ ما قَدَرْتُ ، فإنْ يكُن مَديحٌ عَلى رُغمي ، فَلَيْسَ ثَوَابُ
أبَى لي عَليٌّ وَالنّبيُّ وَفَاطِمٌ جُدُودِيَ أنْ يُلوِي بعِرْضِيَ عَابُ

١ الجذوع ، الواحد جذع : ساق النخلة . الركاب : الإبل . لعله أراد أنهم مصلوبون في جذوع النخل ، فكأنها إبل لهم ركبوها .
٢ فتأت : زالت . الأسر : الشدة .
٣ يعرد : ينحرف . مطلاة : ملطخة . الجراب : الجربى .
٤ أراد بالعاري : السيف . يشب : يتقد .

فَلا تُغضِ عَنْ يَوْمِ العَدُوّ وَلَيلِهِ ،　　وَثَمّ طُلُوعٌ بِالأذَى وَغِيَابُ
فَقَد يَحمِلُ الباغي عَلى المَوْتِ نفسَه　　إذا صَفِرَتْ مِمّا أرَادَ وِطَابُ
وَخُذْ ما صَفَا من كُلّ دَهرٍ ، فإنّما　　غَضَارَتُهُ غُنْمٌ لَنَا وَنِهَابُ
وَعِشْ طالِعاً في العِزّ كُلَّ ثَنِيّةٍ ،　　عَلَيْكَ خِيَامٌ للعُلَى وَقِبَابُ

لهفي على عهد الشباب

يمدح أبا علي وزير بهاء الدولة ويعاتبه وكان بينهما عقد المصاهرة على بنت الوزير ثم انفسخ لأسباب تجددت وكتب بها إليه من فارس :

أمَانيُّ نَفْسٍ مَا تُنَاخُ رِكَابُهَا ،　　وَغَيْبَةُ حَظٍّ لا يُرَجّى إيَابُهَا
وَوَفْدُ هُمُومٍ مَا أقَمْتُ ببَلدَةٍ ،　　وَهُنّ مَعي ، إلاّ وَضَاقَتْ رِحَابُهَا
وَآمَالُ دَهْرٍ إنْ حَسِبتُ نَجاحَها ،　　تَرَاجَعَ مَنْقُوضاً عَليّ حِسَابُهَا
أهُمّ ، وَتَثْني بالمَقَادِيرِ هِمّتي ،　　وَلا يَنْتَهي دَأبُ اللّيَالي وَدابُهَا
فَيَا مُهْجَةً يَفنَى غَليلاً دَمَاؤهَا ،　　وَيَا لِمّةً يَمْضِي ضَيَاعاً شَبَابُهَا[1]
وَعِندي إلى العَلياءِ طُرْقٌ كَثيرَةٌ ،　　لوِ انجابَ مِنْ هذي الخطوبِ ضَبابُهَا
عِنَادٌ مِنَ الأيّامِ عَكْسُ مَطالبي　　إذا كانَ يُوطيني النّجاحَ اقترَابُهَا[2]

١ الغليل : حرارة الجوف . الدماء : الحشاشة .
٢ يوطيني : يوطئني ، يجعلني أطأ .

وَحَظّيَ مِنْها صَابُهَا دونَ شَهدِها ، فلَوْ كانَ عندي شَهدُها ثمّ صَابُهَا
تَميلُ بأطْمَاعِ الرّجَالِ بُرُوقُهَا ، وَتُوكى عَلى غِشّ الأنَامِ عِيَابُهَا[1]
وَلَكِنّهَا الدّنْيَا التي لا مَجيئُهَا عَلى المَرْءِ مأمُونٌ فيُخشَى ذَهابُهَا
تَفُوهُ إلَيْنَا بالخُطُوبِ فِجاجُها ، وَتَجرِي إلَيْنَا بالرّزَايَا شِعَابُهَا
ألاَ أبْلِغَا عَنّي المُوَفَّقَ قَوْلَةً ، وَظَنّيَ أنّ الطَّوْلَ مِنْهُ جَوَابُهَا
أتَرْضَى بأنْ أرْمي إلَيْكَ بِهِمّتي ، فَأُحجَبَ عَنْ لُقيا عُلًى أنتَ بابُهَا
وَأظْمَا إلى دَرّ الأمَاني ، فَتَنْثَني بأخلافِهَا عَنّي ، وَمنكَ مَصَابُهَا ؟
وَلَيسَ منَ الإنصَافِ أنْ حلّقتْ بكُم قَوَادِمُ عِزٍّ طَاحَ في الجَوّ قَابُهَا[2]
وَأصْبَحتُ مَحصُوصَ الجَنَاحِ مُهَضَّماً ، عَليّ غَوَاشِي ذِلّةٍ وَثِيَابُهَا
تَعُدّ الأعَادي لي مَرَامي قِذافِهَا ، وَتَنْبحُني أنّى مَرَرْتُ كِلابُهَا[3]
مُقَاميَ في أسْرِ الخُطُوبِ تُهَزّ لي قَوَاضِبُهَا مَطْرُورَةً وَحِرَابُهَا
لَقد كنتُ أرْجُو أن تكُونوا ذَرَائعي إلى غَيرِكُمْ حَيثُ العُلى وَاكتسابُهَا
فَهَذي المَعالي الآنَ طَوْعى لأمرِكُمْ ، وَفي يَدِكُمْ أرْسَانُهَا وَرِقَابُهَا
إذا لَمْ أُرِدْ في عِزّكُمْ طَلَبَ العُلى فَفي عِزّ مَن يُجدي عَليّ طِلابُهَا
وَلَوْلاكُمُ مَا كُنتُ إلاّ بِبَاحَةٍ مِنَ العِزّ مَضْرُوباً عَليّ قِبَابُهَا
أجُوبُ بِلادَ اللهِ ، أوْ أبْلُغَ الّتي يَسُوءُ الأعَادي أنْ يَعُبّ عُبَابُهَا

[1] توكى : تربط . العياب ، الواحدة عيبة : وهي من الرجل موضع سره
[2] قابها ، الواحد قابة : الفرخ .
[3] القذاف : ما تقذفه .

وكَانَ مُقامي أنْ أقَمْتُ بِبَلْدَةٍ مُقامَ الضّوَارِي الغُلْبِ يُحذَرُ غابُهَا
وَإنّي لَتَرّاكُ المَطالِبِ إنْ نَأى بِهَا قَدَرٌ أوْ لُطّ دوني حِجَابُهَا
وَأعزِلُ مِنْ دُونِ التي لا أنَالُهَا نَوَازِعَ نَفْسِي ، أوْ تَذِلّ صِعابُهَا
وَأقرَبُ مَا بَيْني وَبَينكَ حُرْمَةٌ تَداني نُفُوسٍ ودُّهَا وَحِبَابُهَا
شَوَاجِرُ أرْحَامٍ ، إذا ما وَصَلْتَها ، فَعِنْدَ أميرِ المُؤمِنينَ ثَوَابُهَا
وَمَا بَعدَ ذا مِنْ آصِرَاتٍ إذا انتَهتْ يَكُونُ إلى آلِ النّبيّ انتِسَابُهَا
وَهَلْ تُطْلَبُ العَليَاءُ إلاّ لأنْ يُرَى وَلِيٌّ يُرَجّيهَا وَضِدٌّ يَهَابُهَا
فجَرّدْ لأمرِي عزْمَةً مِنكَ صَدْقَةً كَمَطرُورَةِ الغَرْبَيْنِ يَمضِي ذُبَابُهَا[1]
وَلا تَترُكَنّي قاعِداً أرْقُبُ المُنَى ، وَأرْعَى بُرُوقاً لا يَجُودُ سَحَابُهَا
وَغَيرُكَ يَقْرِي النّازِلِينَ بِبَابِهِ ، عداتٍ كأرْضِ القاعِ يَجرِي سَرَابُهَا
بكَفّيْكَ عَقْدُ المَكرُماتِ وَحَلُّها ، وَعِنْدَكَ إشرَاقُ العُلَى وَغِيَابُهَا
وَعِنْدِي لَكَ الغُرُّ التي لا نِظَامُهَا يَهِي أبَداً ، أوْ لا يَبُوخُ شِهَابُهَا[2]
وَعِنْدِيَ لِلأعْداءِ فِيكَ أوَابِدٌ ، لُعَابُ الأفَاعي القَاتِلاتِ لُعَابُهَا[3]

١ الغربان : الحدان . الذباب : حد السيف .
٢ يهي : يضعف . يبوخ : يسكن ، يفتر .
٣ أراد بالأوابد : القوافي الشرد .

كم ليلة كابدنا هولها

قال هـذه القصيدة وهو في طريق نجد ، وذلك في صفر سنة ٣٩٤ ، وكان دليلهم يسمى كعباً من بني كلاب ، وهو يذكر المودة التي جرت بينه وبين الوزير أبي علي الحسن بن حمد بن أبي الزمان في طريق مكة ويصف ما لقياه في ذهابهما وعودهما وعدولهما إلى البحر :

تُرَى نُوَبُ الأيّامِ تُرْجي صِعابَهَا ، وَتَسْأَلُ عَنْ ذي لِمّةٍ مَا أشابَهَا[١]
وَهَل سَبَبٌ للشّيبِ مِنْ بَعدِ هذهِ ، فدأبُكَ يا لَوْنَ الشّبَابِ وَدابُهَا
شَرِبْنَا مِنَ الأيّامِ كَأساً مَرِيرَةً ، تُدارُ بِأيْدٍ لا نَرُدّ شَرَابَهَا
نُعَاتِبُهَا ، وَالذّنبُ مِنها سَجيّةٌ ، وَمَنْ عاتَبَ الخَرْقاءَ مَلّ عتابَهَا[٢]
وَقالُوا: سِهامُ الدّهرِ خاطٍ وَصَائِبٌ، فكَيْفَ لَقينا ، يا لقَوْمٍ ، صِيَابَهَا
أبَتْ لِقحَةُ الدّنيا دُرُوراً لعاصِبٍ ، وَيَحْلُبُها مَنْ لا يُعَاني عِصَابَهَا[٣]
وَقَدْ يُلْقِحُ النّعمَاءَ قَوْمٌ أعِزّةٌ ، وَيَخسَرُ قَوْمٌ عَاجِزُونَ سِقَابَهَا[٤]
وَكُنتُ إذا ضَاقَتْ مَناديحُ خِطّةٍ ، دَعَوْتُ ابنَ حَمدٍ دَعوَةً فأجابَهَا[٥]

١ ترجي : ترجيه ، تؤخر . اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .
٢ الخرقاء : الحمقاء .
٣ اللقحة : الناقة ذات لبن . العاصب : الذي يشد فخذي الناقة لتدر .
٤ السقاب : ولد الناقة ساعة يولد .
٥ المناديح ، الواحد مندوح : الكثرة والسعة .

أخٌ ليَ إنْ أعْيَتْ عليّ مَطالِبي ، رَمَى ليَ أغراضَ المُنَى ، فأصَابَهَا
إذا استَبهَمَتْ علَيْاءُ لا يُهتَدَى لهَا قَرَعْتُ بِهِ دُونَ الأخِلاّءِ بَابَهَا
بهِ خَفّ عَنّي ثِقْلُ فادِحَةِ النّوَى، وَحَبّبَ عِنْدي نَأيَهَا وَاغْتِرابَهَا
ثَمَانُونَ مِنْ لَيلِ التّمامِ نَجُوبُها رَفيقَينِ تَكْسُونَا الدّيَاجي ثِيَابَهَا
نَؤمّ بِكَعْبِ العَامِرِيّ نُجُومَهَا، إذا ما نَظَرْنَاها انتَظَرْنَا غِيَابَهَا
نُقَوِّمُ أيْدِي اليَعْمَلاتِ وَرَاءَهُ ، وَنَعْدِلُ مِنْهَا أيْنَ أوْمَى رِقَابَهَا[1]
كَأنّا أنَابِيبُ القَنَاةِ يَؤمّهَا سِنانٌ مضَى قُدْماً ، فأمضَى كِعابَهَا
كَذِئبِ الغَضَا أبصَرْتَهُ عندَ مَطمعٍ ، إذا هَبَطَ البَيْداءَ شَمّ تُرَابَهَا
بعَينِ ابنِ لَيلى لا تُداوَى منَ القَذَى، يُرِيبُ أقاصِي رَكْبِهِ مَا أرَابَهَا
تَرَاهُ قَبُوعاً بَينَ شَرْخَيْ رِحَالِهِ ، كَمَذْرُوبَةٍ ضَمّوا عَلَيها نِصَابَهَا[2]
فَمِنْ حِلّةٍ نَجْتَابُهَا وَقَبِيلَةٍ نَمُرّ بِهَا مُسْتَنبحِينَ كِلابَهَا
وَمِنْ بَارِقٍ نَهْفُو إلَيْهِ ، وَنَفْحَةٍ تُذَكّرُنَا أيّامَهَا وَشَبَابَهَا
وَلَهفي عَلَى عَهْدِ الشّبَابِ وَلِمّةٍ أطَرّتْ غَدَاةَ الخَيْفِ عَنّي غُرَابَهَا
وَمِنْ دارِ أحْبَابٍ نَبُلّ طُلُولَهَا بِمَاءِ الأمَاقِي أوْ نُحَيّي جَنَابَهَا
وَمِنْ رِفْقَةٍ نَجْدِيّةٍ بَدَوِيّةٍ ، تُفَاوِضُنَا أشْجَانَهَا وَاكْتِئابَهَا

١ اليعملات : النياق المطبوعة على العمل ، الواحدة يعملة .

٢ قبوعاً : مدخلاً رأسه في قميصه . شرخا الرحال : حرفاها ، ويكنى به عن كثرة السفر . المذروبة : السيف المسموم .

وَتُذْكِرُها الأشْوَاقَ حتى تُحِنَّهَا، وَتُعْدي بأطْرَافِ الحَنينِ رِكَابَهَا
إذا مَا تَحَدّى الشّوْقُ يَوْماً قُلُوبَنا عَرَضْنَا لَهُ أنْفَاسَنَا وَالتِهَابَهَا
وَمِلْنَا علَى الأكْوَارِ طَرْبَى ، كأنّما رَأيْنَا العِرَاقَ ، أوْ نَزَلْنَا قِبَابَهَا
نُشَاقُ إلى أوْطَانِنَا ، وَتَعُوقُنَا زِيَادَاتُ سَيْرٍ مَا حَسِبْنَا حِسَابَهَا
وَكَمْ لَيْلَةٍ بِتْنَا نُكَابِدُ هَوْلَهَا، وَنَمزُقُ حَضْبَاهَا ، إذا الغَمرُ هابَهَا
وَقَد نَصَلَتْ أنضَاؤنَا مِنْ ظَلامِهَا، نُصُولَ بَنَانِ الخَوْدِ تَنضُو خِضَابَهَا[1]
وَهَاجِرَةٍ تُلْقي شِرَارَ وَقُودِهَا على الرّكْبِ أنعَلنا المَطيَّ ظِرَابَهَا[2]
إذا مَاطَلَتْنَا بَعْدَ ظَمْءٍ بِمَائِهَا، وَعَجّ الظّوَامي أوْرَدَتْنَا سَرَابَهَا
تَمَنّى الرّفَاقُ الوِرْدَ وَالرّيقُ نَاضِبٌ، فَلا رِيقَ إلاّ الشّمسُ تُلْقي لُعَابَهَا
إلى أنْ وَقَفْنَا المَوْقِفَينِ وَشَافَهَتْ بِنَا مَكّةٌ أعْلامَهَا وَهِضَابَهَا
وَبِتْنَا بجَمْعٍ ، وَالمَطيُّ مُوَقَّفٌ ، نُؤمّلُ أنْ نَلْقَى مِنًى وَحِصَابَهَا
وَطُفْنَا بِعَادِيّ البِنَاءِ مُحَجَّبٍ نَرَى عِنْدَهُ أعْمَالَنَا وَثَوَابَهَا
وَزُرْنَا رَسُولَ اللهِ ثُمّ بُعَيْدَهُ قُبُورَ رِجَالٍ مَا سَلَوْنَا مُصَابَهَا
وَجُزْنَا بسِيفِ البَحْرِ وَالبَحْرُ زَاخِرٌ بلُجّتِهِ حَتّى وَطِئْنَا عُبَابَهَا
خُطُوبٌ يُعِنَّ الشّيبَ في كلّ لِمّةٍ ، وَيُنْسِينَ أيّامَ الصِّبَا وَلِعَابَهَا

١ نصل منه : خرج منه . الأنضاء : الهزلى من الإبل . الخود : الشابة الحسنة الخلق . تنضو خضابها : تذهب لونها .

٢ ظرابها : حجارتها الناتئة ، الواحد ظرب .

عَسَى اللهُ أنْ يَـأوِي لشُعْثٍ تَناهَبوا هِبَابَ المَطَايَا نَصَّها وَانجِذابَهَا[1]
وَجَاسُوا بأيدِيهَا عَلى عِلَلِ السُّرَى حِرَارَ أمَاعِيزِ الطّرِيقِ وَلابَهَا[2]
فَيَرْمي بِهِا بَغدادَ كُلُّ مُكَبِّرٍ ، إذا مَا رَأى جُدْرَانَهَا وَقِبابَهَا
فكَمْ دَعْوَةٍ أرْسَلْتُها عِنْدَ كُرْبَةٍ إلَيهِ فكانَ الطَّوْلُ مِنهُ جَوَابَهَا

ما ضحك الدهر إلا إليك

يمدح أباه ويهنئه بقدومه من فارس
خـلاصه من القلعة سنة ٣٧٦ :

طُلُوعٌ هَداهُ إلَيْنَا المَغِيبُ ، وَيَوْمٌ تَمَزّقُ عَنْهُ الخُطُوبُ
لَقِيتُكَ في صَدْرِهِ شَاحِباً ، وَمِنْ حِلْيَةِ العَرَبيّ الشّحُوبُ
إلَيْهِ تَمُجُّ النّفُوسَ الصّدُورُ ، وَفيهِ تُهَنّي العُيُونَ القُلُوبُ
تَعَزّيْتَ مُسْتَأنِساً بالبِعَادِ ، وَاللّيْثُ في كُلّ أرْضٍ غَرِيبُ
وَأحْرَزْتَ صَبْرَكَ للنّائِبَاتِ ، وَللدّاءِ يَوْماً يُرَادُ الطّبِيبُ
لحَا اللهُ دَهْراً أرَانَا الدّيَـا رَ يَنْدُبُ فِيهَا البَعيدَ القَرِيبُ

١ هباب المطايا : نشاطها .
٢ جاسوا : طافوا . علل السرى : حالاتها المختلفة . الحرار ، الواحدة حرة، واللاب، الواحدة لابة : الأراضي ذات الحجارة السود النخرة . الأماعيز ، الواحدة معزاء : الأرض الغليظة ، ذات أحجار .

وَمَا كَانَ مَوْتاً ، وَلَكِنَّهُ فِرَاقٌ تُشَقّ عَلَيْهِ الجُيُوبُ
لَئِنْ كُنتَ لَمْ تَسترِبْ بالزّمَانِ ، فَقَدْ كانَ مِنْ فِعلِهِ مَا يُرِيبُ
رَمَى بِكَ ، وَالأمرُ ذاوِي النّبَاتِ ، فآلَ ، وَغُصْنُ المَعَالي رَطِيبُ
وَلَمّا جَذَبْتَ زِمَامَ الزّمَانِ ، أطَاعَ ، وَلَكِنْ عَصَاكَ الحَبيبُ
وَلَمّا استَطَالَ عَلَيْكَ البعَادُ ، وَذَلّلَ فيكَ المَطِيَّ اللّغُوبُ[1]
رَجَوْتَ البُعَادَ عَلَى أنّهُ كَفيلُ طُلُوعِ البُدُورِ الغُرُوبُ
رَحَلْتَ ، وَفي كُلّ جَفْنٍ دَمٌ عَلَيكَ ، وَفي كلّ قَلبٍ وَجيبُ
وَلا نُطْقَ إلاّ وَمِنْ دُونِهِ عَزَاءٌ يَغُورُ وَدَمْعٌ رَبِيبُ
وَأنْتَ تُعَلّلُنَا بِالإيَابِ ، وَالصّبرُ مُرْتَحِلٌ لا يَؤوبُ
وَسَرّ العِدَى فيكَ نقصُ العُقولِ ، وَأعْلَمُ أن لا يُسَرّ اللّبِيبُ
أمَا عَلِمَ الحَاسِدُ المُسْتَغِرّ أنّ الزّمَانَ عَلَيْهِ رَقِيبُ
قَدِمْتَ قُدُومَ رِقَاقِ السّحَابِ تَخُطّ وَالرَّبعُ رَبعٌ جَدِيبُ
فَمَا ضَحِكَ الدّهْرُ إلاّ إلَيْكَ مُذْ بانَ في حاجبَيهِ القُطُوبُ
حَلَفْتُ بِمَا ضُمّنَتْهُ الحُجُونُ وَمَا ضَمّ ذاكَ المَقَامُ الرّحيبُ
لَقَدْ سرّكَ الدّهرُ في الغادِرِينَ ، بِعُذْرٍ تَضَاءَلُ فيهِ الذّنُوبُ
وَأجْلَى رُجُوعَكَ عَنْ حَاسِدِيكَ هَذا قَتِيلٌ وَهَذا سَلِيبُ
تَحَرّقُ مِنكَ قُلُوبُ العُدَاةِ غَيظاً ، وَأنتَ ضَحوكٌ قَطُوبُ[2]

....

١ اللغوب : الإعياء الشديد .
٢ القطوب : الأسد لعبوسته .

وَأجهَلُ ذا النّاسِ مُستَنهِضٌ دُعَاءٌ إلى سَمْعِ مَنْ لا يُجيبُ
زَعَانِفُ يَستَصْرِخُونَ العُلَى، وَمَا استَلَبَ العِزَّ إلاّ نَجيبُ[1]
وَطَالَ مُقَامُكَ في مَنزِلٍ ، تَطَلّعُ مِنْ جَانِبَيْهِ الحُرُوبُ
بضَرْبٍ كمَا اشتَرَطَتْهُ السّيوفُ، وَطَعْنٍ كمَا اقتَرَحَتْهُ الكُعُوبُ
وَنَجلٍ تَغَلْغَلَ فيهَا الطّعَا نُ، وَانشَقّ عَنها النّجيعُ الصّبيبُ[2]
وَصُحْبَةِ كُلّ غُلامٍ عَلَيْـ ـهِ مِنْ سِمَةِ العِزّ حُسْنٌ وَطيبُ
إذا خَضَبَ الرّمحَ أدْمَى بِهِ ، كَأنّ السّنَانَ بَنَانٌ خَضِيبُ
وَقَطعِكَ كُلَّ بَعيدِ النّيَاطِ ، كَأنّ الجَوَادَ بِهِ مُستَريبُ[3]
وَأرْضاً ، إذا مَا اجتَلاهَا الهَجيـ ـرُ طَلّقَها مِنْ يَدَيْهِ الضّرِيبُ[4]
وَمَا زَالَ مِنكَ عَلى النّائبَاتِ مَقَامٌ عَظيمٌ وَيَوْمٌ عَصِيبُ
فَيَوْمٌ حُسَامُكَ فيهِ الخَطيبُ ؛ وَيَوْمٌ لِسَانُكَ فيهِ الخَطِيبُ
طَلَبْتَ لنَفسِكَ ، فَاطلُبْ لَنَا مِنَ العِزّ ، إنّ المُحَامي طَلُوبُ
وَإنْ كُنْتَ تَأنَفُ مِنْ حُبّهِ ، فَإنّ العَلاءَ إلَينَا حَبيبُ
وَمَا نَحنُ أنْتَ ، وَكُلٌّ إلى دُعَاءِ العُلَى طَرِبٌ مُستَجيبُ
وَنَحنُ قِسَامٌ إلَينَا الشّبَابُ ؛ وَأنْتَ قِسَامٌ إلَيْكَ المَشيبُ[5]

---

١ الزعانف : الجماعة ليس لهم أصل واحد ، الأدعياء .
٢ النجل : الطعن الواسع الجرح . النجيع : دم الجوف . الصبيب : المصبوب .
٣ بعيد النياط : أي المفازة البعيدة الغاية .
٤ الضريب : الثلج ، والصقيع .
٥ القسام : الحسن .

عَلى أنّهُ أنْتَ عَيْنُ الزّمانِ ، وَعَيْشٌ بلا ناظِرٍ لا يَطيبُ
وَلَوْلاكَ ما لَذّ طَعْمُ الفَخارِ ، وَلا رَاقَ بُرْدُ العَلاءِ القَشيبُ
أتَرْضَى لمَجدِكَ أنْ لا يَكُونَ لَنَا مِنْ عَطايَا المَعالي نَصيبُ
فَلا يُقْعِدَنّكَ كَيْدُ الحَسُو دِ ، وَانهَضْ فكُلُّ مَرامٍ قَريبُ
وَحُثّ الطِّلابَ ، فإنّا نَجُدّ ، وَأمْضِ الأمُورَ ، فَإنّا نَتُوبُ
وَلِمْ لا يَضِيفُ العُلَى مَنْ لَهُ غَديرٌ مَعِينٌ وَمَرْعًى خَصيبُ
لحَيّاكَ مِنّيَ ، عِنْدَ اللّقَا ءِ ، خَلْقٌ عَجيبٌ وَخُلْقٌ أديبُ
وَخَلّفْتَنِي غَرْسَ مُسْتَثْمِرٍ ، فَطالَ وَأوْرَقَ ذاكَ القَضِيبُ
ذَخَرْتُ لكَ الغُرَرَ السّائِرَاتِ ، يُعَبِّرُ عَنْهَا الفُؤادُ الكَئيبُ
تَصُونُ مَنَاقِبَكَ الشّارِدا تِ أنْ تَتَخَطّى إليْهَا العُيُوبُ
إذا نَثَرَتْهَا شِفَاهُ الرّوَا ةِ رَاقَكَ مِنها النّظامُ العَجيبُ
وَإنّي لأرْجُوكَ في النّائِبَاتِ، إذا جاءَنَي الأمَلُ المُستَثيبُ[1]

[1] المستثيب : الطالب الثواب .

قريب الفتى صديقه

يمدحه أيضاً ويهنئه بعيد الفطر سنة ٣٧٧ :

لُغَامُ المَطَايَا مِنْ رُضَابِكَ أعذَبُ ، وَنَبْتُ الفَيافي منكَ أشهَى وَأطْيَبُ[1]
وَمَا لِيَ عِندَ البِيضِ يا قَلْبِ حَاجَةٌ وَعِنْدَ القَنَا وَالخَيلِ وَاللّيلِ مَطلَبُ
أحَبُّ خَليلَيّ الصّفِيّيْنِ صَارِمٌ ، وَأطْيَبُ دارَيّ الخِبَاءُ المُطَنَّبُ
ذَليلٌ لرَيبِ الدّهرِ مَن كانَ حاضراً ، وَحَرْبٌ لَدَى الأيّامِ مَنْ يتَغَرّبُ
وَلي مِنْ ظُهورِ الشَّدْقَميّاتِ مَقعدٌ ، وَفَوْقَ مُتُونِ اللاّحقيّاتِ مَرْكَبُ[2]
لِثامي غُبَارُ الخَيلِ في كُلّ غَارَةٍ ، وَثَوْبي العَوَالي وَالحَديدُ المُذَرَّبُ[3]
أُساكِتُ بَعضَ النّاسِ وَالقوْلُ نافعٌ ، وَأُغمِدُ عَنْ أشياءَ وَالضّرْبُ أنجبُ
وَأطمَعَني في العِزّ أنّي مُغَامِرٌ ، جَرِيٌّ عَلى الأعداءِ وَالقلبُ قُلَّبُ[4]
وَعِنْدِيَ مِمّا خَوّلَ اللهُ سَابحٌ ، وَأسْمَرُ عَسّالٌ وَأبيَضُ مِقضَبُ[5]
وَلَيسَ الغِنَى في الخُلقِ إلاّ غَنيمَةً تُحَامي عَلَيهَا ، وَالمَعَالي تَغَلّبُ

١ اللغام : زبد أفواه الإبل . الرضاب : الريق .
٢ الشدقميات : النياق المنسوبة إلى شدقم ، فحل للنعمان بن المنذر . اللاحقيات : أفراس منسوبة إلى لاحق ، وهو فرس عتيق .
٣ المذرب : المسموم .
٤ القلب : البصير بتقلب الأمور .
٥ السابح : الفرس . المقضب : الشديد القطع .

إذا قلّ مالي قلّ صحبي ، وإنْ نما | فلي من جميعِ النّاسِ أهلٌ ومرحب
غِنَى المرْءِ عِزٌّ ، والفقيرُ كأنّهُ | لدى النّاسِ مهنوءُ الملاطَينِ أجرَبُ[1]
تُطالبُني نفْسي بكلّ عظيمةٍ ، | أرى دُونَها جاري دَمٍ يتَصبّبُ
ويأمرُني الذّلاّنُ أنْ لا أُطيعَها ، | وأعلَمُ من طُرْقِ العُلى أينَ أذهبُ[2]
إذا كانَ حبُّ المرْءِ للشيءِ ضيعةً ، | فأضيَعُ شيءٍ ما يقُولُ المُؤنّبُ
أنا السّيْفُ إلاّ أنّني في مَعاشرٍ | أرى كُلّ سيْفٍ فيهِمُ لا يُجرَّبُ
ولا عِلْمَ لي بالغيْبِ إلاّ طَليعةً | مِنَ الحزْمِ لا يخفى علَيها المُغيَّبُ
أُجرِّبُ مَنْ أهوَاهُ قبلَ فراقِهِ ، | فيصْدُقُ منهُ الغَدْرُ والوُدّ يكذبُ
تغيّرُ لي أخلاقُ مَنْ كنتُ أصْطفي ، | وتَغدُرُني أيّامُ مَنْ كنتُ أصْحَبُ
فلَوْ لوّحَتْ لي بالبُرُوقِ سَحابَةٌ ، | لأغضَيتُ علماً أنّ ما بانَ خُلّبُ
إذا شِئتُ فارَقتُ الحبيبَ ، وبَينَنا | مِنَ الشّوْقِ ما يُملي عَليّ وأكتُبُ
ولَيسَ نَسيبي أنّ في القلْبِ لَوْعةً ، | ولَكنّني أبْكي زَماني وأنْدُبُ
ومَا نافعي عِنْدَ البَعيدِ تقَرُّبي ، | ولا ضائري عِندَ القَريبِ التّجنّبُ
قَريبُ الفتَى دونَ الأنامِ صَديقُهُ ، | ولَيسَ قَريباً منهُ مَنْ لا يُقَرَّبُ
ومَا في نِجادِ السّيْفِ زَيْنٌ لحامِلٍ ، | ولا الزّينُ إلاّ للفتَى يوْمَ يَضرِبُ
أخُو الحرْبِ مَنْ للسّيفِ فيه علامةٌ ، | وللطّعنِ في جنبَيْهِ طُرْقٌ ومَلعَبُ
وحَسْبُ غُلامٍ شاهِداً بِشَجاعَةٍ | تَغيظُ العِدى ، أنّ القَنا منه تُخضَبُ

١ المهنوء : المطلي بالقطران . الملاطين : جانبي السنام .
٢ الذلان : الذليل .

إلى غَايَةٍ تَجرِي الأنَامُ لِنَحوِهَا ، فَمَاشٍ بَطِيءٌ مَشيُهُ وَمُقَرِّبُ[1]
يَغُرُّ الفَتَى ما طالَ من حَبلِ عُمرِهِ ، وَتُرْخي المَنَايَا بُرْهَةً ، ثمّ تَجذِبُ
يَقُولُونَ عَنْقَا مُغرِبٍ مُستَحيلَةٌ ، ألا كلّ حيٍّ ماتَ عَنقَاءُ مُغْرِبُ[2]
يَطولُ عَناءُ العِيسِ ما دُمتُ فوْقَها ، وَمَا دامَ لي عَزْمٌ وَرَأيٌ وَمَذْهَبُ
وَهَوّنَ عِندي ما بقلْبي من الصّدَى ، ظِمَاءٌ تُجافي مَوْرِدَ المَاءِ لُغَّبُ
فَما أنَا بالوَاني ، إذا كُنتُ صَادِياً ؛ وَلا المَاءُ يُعطيني قُوًى يوْمَ أشرَبُ
وَمَا الوِرْدُ بَعدَ الوِرْدِ بَلاًّ لِغُلّتي ، وَإنْ بَلّ ظَمأً الداعرِيّاتِ مَشْرَبُ[3]
وَمَا لي إلى غَيْرِ الحُسَينِ وَسيلَةٌ ، وَفي جُودِهِ دُونَ الرّغائِبِ أرْغَبُ
جَرِيءٌ عَلى الأمْرِ الّذي لا يَرُومُهُ مِنَ القَوْمِ إلاّ حازِمُ الرّأيِ أغْلَبُ
ألا إنّ فَحْلاً سَاعَدَتْهُ نَجيبَةٌ ، فَجَاءَ بنَجْلٍ كَالحُسَينِ ، لمُنجِبُ
وَإنّ مَحَلاًّ حَلّ فيهِ لَوَاسِعٌ ؛ وَإنّ زَمَاناً عَاشَ فِيهِ لَطَيّبُ
لكَ اللهُ مِنْ مُغضٍ عَلى جُرْمِ جارِمٍ ، وَلَوْ شاءَ ما استَوْلى على الذّنبِ مذنبُ
وَفي كلّ يَوْمٍ أنتَ طَالِبُ غَارَةٍ تُجَرّرُ أذْيَالَ العَوَالي وَتَسْحَبُ
تَنَامُ عَلى أمْرٍ ، وَهَمُّكَ سَاهِرٌ ، وَتَنزِلُ عَنْ أمْرٍ ، وَعَزْمُكَ يَرْكبُ
تَحَقّقَتِ الأحْيَاءُ أنّكَ فَخْرُهَا ، وَأغضَتْ عَلَى عِلْمٍ نِزَارٌ وَيَعرُبُ
إذا شِئْتَ أحْيَاناً شَفَاكَ مِنَ العِدى سِنَانٌ بَصِيرٌ بالطّعَانِ وَمَضْرَبُ

١ المقرب ، من قرب الفرس : عدا سريعاً .
٢ عنقاء مغرب : طائر وهمي .
٣ الغلة : العطش الشديد . الداعريات : إبل منسوبة إلى داعر بن الحماس .

وَخَيْلٌ لهَا في كلّ شَرْقٍ ومَغرِبٍ عَقيرٌ مُدَمّى أوْ طَعِينٌ مُخَضَّبُ

إذا طَلَعَتْ نَجداً أضاءتْ وُجُوهُهَا وَقُدّامَها مِنْ سائِقِ النّقْعِ غَيهَبُ

يَصِيحُ القَنَا في كُلّ حَيٍّ تَرُومُهُ ، وَيُرْدي بكَ الأعداءَ يومٌ عصَبصَبُ[1]

ألا رُبّ حَالٍ سَاعَدَتكَ وَفتْكَةٍ رَدَدتَ بهَا قَرْنَ الرّدى وَهوَ أعضَبُ[2]

رَمَيْتَ بهَا قَلْبَ العَدُوّ بخيفَةٍ ، وَأعرَضْتَ ، وَالمَغرُورُ يَلهُو وَيَلعَبُ

كَمَا خرَقَ الرّامي بسَهْمٍ رَمِيّهِ ، وَأعرَضَ عِلْماً أنّهُ سَوْفَ يَعطَبُ

عَدُوّانِ ، أمّا وَاحِدٌ فَمُكَاشِفٌ جَرِيٌّ ، وَأمّا آخَرٌ فَمُؤلِّبُ

يُمَسِّحُ خَلْفَ الشّرّ ذاكَ بخيفَةٍ ، وَهذا طَوِيلُ البَاعِ يَمرِي فيَحلُبُ

يَرُومونَ غَيّاً،وَالعَوَائِقُ دونَهُمْ ، وَيَرْمُونَ بَغْياً ، وَالمَقاديرُ تَحجُبُ

سَما بِكَ طَلاّعاً إلى العُمْرِ مَشرِقٌ ، وَأدْبَرَ بالبَاغي إلى المَوْتِ مَغرِبُ

فَذاكَ كَمَا شَاءَ الفُسُوقُ مُبَغَّضٌ ، وَأنْتَ كَمَا شَاءَ العَفافُ مُحَبَّبُ

أُهَنّيكَ بِالعيدِ الجَديدِ تَعِلّةً ، وَغَيرُكَ بالأعْيَادِ وَاللّهوِ يُعجَبُ

فَلا زَالَ مَمْدُوداً علَيْكَ ظِلالُهُ ، وَلا زِلْتَ في نَعمَائِهِ تَتَقَلّبُ

وَلا ظَفِرَ البَاغي عَلَيْكَ بفُرْصَةٍ ، وَلا طَلَبَ الأعداءُ ما كنتَ تَطْلُبُ

غَمَامُكَ فَيّاضٌ،وَرِيحُكَ غَضّةٌ ، وَحَوْضُكَ ملآنٌ،وَرَوْضُكَ مُعشِبُ

إذا قُلْتُ فيكَ الشّعرَ جَوّدَ مادِحٌ ، وَأكثَرَ وَصّافٌ ، وَأعرَقَ مُطْنِبُ

[1] العصبصب : الشديد .

[2] الأعضب : المكسور .

وَغَيرُكَ لا أُطْرِيهِ إلاّ تَكَلّفاً ، وَغَيرُ حَنيني عِندَ غَيرِكَ مُصْحِبُ[1]
بَغيضٌ إلى الأيّامِ أنّكَ لي حِمًى ، وَغَيظُ بَني الأيّامِ أنّكَ لي أبُ
أبَعْدَ النّبيّ وَالوَصِيّ تَرُوقُني مَناسِبُ مَنْ يُعزَى لمَجدٍ وَيُنسَبُ
يُقِرّ بِفَضْلي كُلُّ بادٍ وَحاضِرٍ ، وَيَحسدُني هذا العَظِيمُ المُحَجَّبُ
وَمَنْ لي بأنْ يَشتَاقَ مَا أنَا قائِلٌ ، وَيَسمَعَ مني مَا يَرُوقُ وَيُعجِبُ
وَلَوْلا جَزَاءُ الشّعْرِ مِمّنْ يُرِيدُهُ ، وَجَدْتُ كَثيراً مَنْ أُغَنّي وَيَطرَبُ
ألا إنّ رَاعي الذّوْدِ يُعنى بذَوْدِهِ حِفاظاً وَرَاعي الناسِ حَيرَانُ مُغرِبُ[2]
أُحِبّكُمُ مَا دُمْتُ أُعزَى إلَيكُمُ ، وَمَا دامَ لي فيكُمْ مُرَادٌ وَمَطلَبُ
وَإنّي عَنِ الرَّبْعِ الذي لا يَضُمّكُمْ عَلى كُلّ حالٍ نَازِحُ الوِدّ أجنَبُ
فَلا تَترُكَنّي عَاطِلاً مِنْ مُرُوّةٍ ، وَلا قَانِعاً بالدّونِ أرْضَى وَأغضَبُ
فَمَا أنَا بالوَاني ، إذا مَا دَعَوْتَني ، وَلا مَوْقِفي عَمّا شَهِدْتَ مُغَيَّبُ
أمَا لي قَرَارٌ في نَعيمٍ وَلَذّةٍ ، فإنّيَ في الضّرّاءِ أطْفُو وَأرْسُبُ
أُرِيدُ مِنَ اللهِ القَضَاءَ بحَالَةٍ تَقَرُّ بِهَا عَينٌ وَقَلْبٌ مُعَذَّبُ
وَأسألُ أنْ يُعطيكَ في العُمرِ فَسحَةً ، لعِلميَ أنّ العُمْرَ يُعطَى وَيُوهَبُ

١ مصحب : ذليل ، منقاد .
٢ المغرب : الذي يأتي بالغريب .

ولقد وقفت على الأعادي

يمدحه ويهنئه بعيد الفطر سنة ٣٧٨ :

مَثْوَايَ إمّا صَهْوَةٌ أوْ غَارِبُ ، وَمُنَايَ إمّا زَاغِفٌ أوْ قاضِبُ[١]
في كُلّ يَوْمٍ تَنْتَضِيني عَزْمَةٌ ، وَتَمُدّ أعْنَاقَ الرّجَاءِ مَآرِبُ
قَلْبٌ يُصَادِقُني الطِّلابَ جَرَاءَةً ، وَمِنَ القُلُوبِ مُصَادِقٌ وَمُوَارِبُ
مَا مَذْهَبي إلاّ التّقَحّمُ بالقَنَا بَينَ الضّلُوعِ وَللرّجَالِ مَذاهِبُ
وَعَليّ في هَذا المَقَالِ غَضَاضَةٌ ، إنْ لمْ يُساعِدْني القَضَاءُ الغَالِبُ
مَا لي أُخَوَّفُ بالرّدَى ، فَأخَافُهُ ، هَيهاتَ لي في الخَلْقِ بَعدُ عَجائِبُ
وَالعَزْمُ يَطْرَحُني بِكُلّ مَفَازَةٍ ، مُتَشابِهٍ فيهَا زُبًى وَغَوَارِبُ[٢]
أُعْطي الهَجيرَ مُرَادَهُ مِنْ صَفْحَتي ، وَتَكُدّ سَمْعي بالصّرِيرِ جَنادِبُ[٣]
إمّا أُقيمُ صُدُورَ مَجْدي بِالقَنَا ، وَيَقَرّ عَضْبي ، أوْ تَقُومُ مَنادِبُ
مُتَأنّقاً ، وَذُرَى الرّمَالِ كَأنّهَا ، دونَ النّوَاظِرِ ، عارِضٌ مُتَراكِبُ[٤]
أصَبَابَةً مِنْ بَعْدِ مَا ذَهَبَ الهَوَى طَلَقاً ، وَأعوَزَ مَا يُرَامُ الذّاهِبُ

١ المثوى : المنزل ، المقام . الصهوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس . الغارب : أراد به كاهل الناقة . الزاغف : أراد به الرمح الطاعن . القاضب : السيف القاطع .

٢ الزبى ، الواحدة زبية : الرابية . الغوارب : أعالي كل شيء .

٣ تكد : تتعب . الصرير : صوت الجنادب .

٤ متأنقاً : متتبعاً . العارض : الجبل المعترض .

وَعَلَيَّ تَضْمِيرُ الجِيَادِ لِغَارَةٍ ، فِيهَا خَضِيبٌ بالدّمَاءِ وَخَاضِبُ
أرِضاً، وَذُؤبَانُ الخُطوبِ تَنوشُني ، وَالعَزْمُ مَاضٍ وَالرّمَاحُ سَوَالِبُ[1]
أنَا أُكْلَةُ المُغتَابِ ، إنْ لمْ أجْنِهَا شَعوَاءَ يَحضرها العُقَابُ الغَائِبُ
وَكَأنّمَا فيها الرّمَاحُ أرَاقِمٌ ؛ وَكَأنّمَا فيها القِسِيّ عَقَارِبُ
قَدْ عزّ مَنْ ضَنّتْ يَداهُ بِوَجْهِهِ ؛ إنّ الذّليلَ مِنَ الرّجَالِ الطّالِبُ
إنْ كانَ فَقْرٌ فالقَرِيبُ مُباعِدٌ ، أوْ كانَ مَالٌ فالبَعيدُ مُقَارِبُ
وَأرَى الغَنيّ مُطَاعِناً بِثَرَائِهِ أعْداءَهُ وَالمَالُ قِرْنٌ غَالِبُ
يَشْكُو تَبَدّليَ الصّحابُ ، وَعاذِرٌ أنْ يَنْبُذَ المَاءَ المُرَنَّقَ شَارِبُ
مِنْ أجْلِ هذا النّاسِ أبعدتُ الهَوَى، وَرَضِيتُ أنْ أبْقَى، وَمَا لي صَاحِبُ
وَأْيُ اللّيَالي إنْ غَدَرْنَ ، فَإنّهُ مَا سَنّ أحْبَابٌ لَنَا وَحَبَائِبُ[2]
الذّنْبُ لي أنّي جَزِعْتُ وَعَنوَنَتْ عَنّي دُمُوعُ العَينِ ، وَهيَ سَوَاكِبُ
دُنْيَا تَضُرّ ، وَلا تَسُرّ ، وَذا الوَرَى كُلٌّ يُجَاذِبُهَا ، وَكُلٌّ عَاتِبُ
تُلْقِي لَنَا طَرَفاً ، فَإنْ هيَ أعرَضَتْ نَزَعتْ ، وَلَوْ أنّ الجِبَالَ جَوَاذِبُ[3]
هَيهاتَ، يا دُنْيَا،وَبَرْقُكِ صَادِقٌ، أرْجو ، فكَيفَ إذاً وَبَرْقُكِ كاذِبُ
وَالنّاسُ إمّا قَانِعٌ أوْ طَالِبٌ لا يَنتَهي ، أوْ رَاغِبٌ أوْ رَاهِبُ
وَإذا نَعِمتَ فَكُلّ شَيْءٍ مُمكِنٌ ، وَإذا شَقِيتَ فكُلّ شيءٍ عَازِبُ

١ السوالب : الطوال .
٢ الوأي : الوعد .
٣ نزع عنه : كف عنه ، وأقلع .

قَدْ قُلْتُ للبَاغي عَليّ ، وَدُونَهُ ... مِنْ فَضْلِ أحلامي ذُرًى وَذَوَائِبُ[1]

احْذَرْ مُبَاغَضَةَ الرّجَالِ ، فإنّهَا ... تُدمي ، وَتَقْدُرُ أنْ يَقُولَ العَائِبُ[2]

البِيدَ يا أيْدي المَطيّ ، فإنّني ... للضّيْمِ ، إنْ أسْرَى إليّ ، مُجَانِبُ

وَمَجاهِلُ الفَلَوَاتِ أطيَبُ مَنزِلٍ ... عندي ، وَأوْفَى الوَاعدينَ نَجائِبُ

وَإذا بَلَغْنَ بَنِيَ الحُسَيْنَ ، فإنّهُ ... حَقٌّ لَهُنّ عَلى المَطَايَا ، وَاجِبُ

في بَلْدَةٍ فيها العُيُونُ حَوَافِلٌ ، ... وَالرّوْضُ غَضٌّ ، وَالرّيَاحُ لَوَاعِبُ[3]

عَجَبٌ مِنَ الأيّامِ رُؤيَةُ مِثْلِهِ ... نَجْمَ العُلَى ، إذْ كلّ نَجمٍ غارِبُ

أوْرَدْنَهُ أطْرَافَ كُلّ فَضِيلَةٍ ، ... شِيَمٌ تُسَانِدُهَا عُلًى وَمَنَاقِبُ

وَلَهُ ، إذا خَبُثَتْ أُصُولُ عُداتِهِ ، ... في تُرْبَةِ العَلْيَاءِ عِرْقٌ ضَارِبُ

مُتَفَيّءُ الآرَاءِ في ظِلَلِ القَنَا ، ... تَجرِي إلَيْهِ مِنَ العَلاءِ مَذانِبُ[4]

أنْتَ المُنَوَّهُ في المَحَافِلِ بِاسْمِهِ ، ... وَإذا حَضَرْتَ فكُلّ لُؤمٍ غَائِبُ

لكَ من حِياضِ المَجدِ زُرْقُ جِمامها ، ... فَلِمَ يُنَازِعُكَ الوُرُودَ غَرَائِبُ

وَيَرُومُ شأوَكَ مَنْ غُبَارُكَ ، دُونَه ... يَوْمَ الجَزَاءِ ، غَيَاطِلٌ وَغَيَاهِبُ[5]

نَفَحاتُ كَفّكَ للوَليّ غَمَائِمٌ ... تَهْمي ،وَهُنّ عَلى العَدُوّ نَوَائِبُ

١ الذوائب : أعالي كل شيء .

٢ تقدر : أي تجعله مقدوراً .

٣ العيون : أراد بها عيون الماء . حوافل

٤ المذانب ، الواحد مذنب : مسيل الماء .

٥ الغياطل والغياهب : الظلمات الشديدة .

فَشَمائِلٌ فيها النّدَى ، وَضَرَائِبٌ، وَكَتَائِبٌ فِيهَا الرّدَى وَمَقانِبُ[1]
وَلَقَدْ وَقَفْتَ عَلى الأعادي وَقْفَةً فيهَا لِمَنْ أبْقَى المَنُونُ تَجارِبُ
تَحتَ العَجاجِ ، وَللدّرُوعِ قَعاقِعٌ ضَرْباً ، وَغِرْبانُ الرّماحِ نَوَاعِبُ
وَمُطَاعِنٌ وَلّى بِهَا ، وَكَأنّهُ ، مِمّا يَجُرّ مِنَ العَوَامِلِ ، حاطِبُ
مِنْ كُلّ نَافِذَةِ المَغَارِ كَأنّهَا في قَلْبِ حَامِلِهَا فَمٌ مُتَثَاوِبُ[2]
وَمُزَمْجِرٌ قَطَعَ العَجَاجَ أمَامَهُ ، للهَامِ مِنْهُ عَمَائِمٌ وَذَوَائِبُ
يَرْمي الوُحُوشَ على الوُحوشِ زُهاؤه، وَالأكْمُ فيهِ مَعَ الجِيَادِ لَوَاعِبُ
تَهْدِي أوَائِلَهُ الأوَاخِرَ كُلّمَا طَلَعَ الجَنَيبُ طَغَى عَلَيهِ الجانبُ[3]
شَدٌّ كَمَعْمَعَةِ الحَرِيقِ ، وَكَبّةٌ كَاللّيلِ ، أنْجُمُهَا قَناً وَقَوَاضِبُ[4]
وَالنّقْعُ قَدْ كَتَمَ الرّبَى ، فَكَأنّهُ سَيْلٌ تَحَدّرَ ، وَالجِيَادُ قَوَارِبُ
وَلَرُبّ لَيْلٍ قَدْ طَوَيْتَ رِداءَهُ ، وَعَلى الإكَامِ مِنَ الظّلامِ جَلابِبُ
لَيْلٍ تَرَامَى بِالعَبِيرِ نَسِيمُهُ ، وَالتّرْبُ تَحفِزُهُ صَباً وَجَنَائِبُ
وَرَكِبْتَ أعْجازَ النّجُومِ وَفِتْيَة مِثْل النّجُومِ طَوَالِعٌ وَغَوَارِبُ
خُضْنَا الظّلامَ ، وَكُلّنَا بجَنَانِهِ ماضٍ على عَجَلٍ ، وَلَيسَ كَوَاكِبُ
غُلْبٌ كَأنّهُمُ الصّقُورُ جَوَانِحاً ، وَكَأنّ أكْنَافَ الجِيَادِ مَرَاقِبُ
وَإذا قُلُوبٌ لَمْ تَكُنْ كَعُيُونِنَا لَمْ يُغْنِنَا أنّ النّجُومَ ثَوَاقِبُ

١ الضرائب : السيوف . المقانب ، الواحد مقنب : جماعة الخيل تجتمع للغارة .
٢ المغار : المدخل . متثاوب : متثائب ، من تثاءب : استرخى ففتح فاه واسعاً من غير قصد .
٣ الجنيب : المجنوب ، المنقاد . الجانب : الذي لا ينقاد .
٤ الكبة : الدفعة في القتال .

وَأذَلَّ مِنْ قَبْرِ الخُمُولِ نَشَرْتَهُ ، فَغَدَا يُنَاهِبُكَ العُلَى وَيُجَاذِبُ
أوْسَعْتَهُ كَرَماً ، فَأوْغَرَ صَدْرَهُ أنّ الأقَارِبَ بَعدَهَا لَعَقَارِبُ
جُودٌ ضَعِيفٌ إنْ تُلِمّ مُلِمّةٌ لمُؤمِّلٍ ، وَأذًى ألَدُّ مُشَاغِبُ
وَلَقَدْ مَلأتَ عَلى عَدُوّكَ جِلْدَهُ ، حتى طَمَى جِزْعٌ ، وَضَاقَ مذاهبُ[1]
بِالعَقْلِ يُبْلَغُ مَا تَعَذّرَ بِالقَنَا ، وَظُبَى القَوَاضِبِ،وَالعُقُولُ مَوَاهبُ
أمُنِيلَ طالِبِ نَائِلٍ مِنْ جُودِهِ كَمُنَالِ صَدْرِ العَضْبِ يَوْمَ يُضَارِبُ
اليَوْمُ مِنْ فَتَيَاتِ دَهرِكَ ، فارْعَه، وَجَميعُ أيّامِ الزّمَانِ أشَائِبُ
وَالعِيدُ داعِيَةُ السّرُورِ ، وَلَيْتَهُ أبَداً عَلى بَعضِ الرّجَالِ مَصَائِبُ
فَتَهَنّ طَمّاحَ العَلاءِ ، وَلا تَزَلْ في غَمْرِ جُودِكَ للرّجالِ رَغَائِبُ
خَيرٌ مِنَ المَالِ الذي يُعطيكَهُ ، وَأحَدُّ مِنْ غَرْبِ الحُسامِ الضّارِبُ

هنيئاً لك العيد الجديد

يمدحه ويهنئه بعيد الفطر سنة ثلاثمائة وثمانين
ويذكر حسن تلافيه للفتنة الحادثة بين السنة والشيعة :

ألا حَيّهَا ، ربَّ العُلى ، من غَوَارِبِ تَعَرّقُني بَينَ العُلَى وَالمَطَالِبِ
وَمَا لي وَللآمَالِ مِنْ دُونِهَا القَنَا تُهَزّ ، وَسَوْرَاتُ النّوَى وَالنّوَائِبِ[2]

١ الجزع من الوادي : مكان قطعه .
٢ سورات النوى : سطوتها واعتداؤها .

سئِمْتُ زَمَاناً ، تَنتَحيني صُرُوفُهُ ، وُثُوبَ الأفاعي أوْ دَبيبَ العَقارِبِ
مَقَامُ الفَتَى عَجزٌ على ما يَضيمُهُ ، وَذُلٌ الجرِيءِ القلبِ إحدى العجائبِ
سَأرْكَبُهَا بزَلاءَ إمّا لِمَادِحٍ يُعَدّدُ أفعَالي ، وَإمّا لِنَادِبِ[1]
إذا قَلّ عزْمُ المَرْءِ قَلّ انتِصَارُهُ ، وَأقْلَعَ عَنهُ الضّيمُ دامي المَخالِبِ
وَضَاقَتْ إلى ما يَشتَهي طُرْقُ نَفسه ، وَنَالَ قَليلاً مَعْ كَثيرِ المَعائبِ
وَمَا بلّغَ المَرْمَى البَعيدَ سوَى امرِىءٍ يَرُوحُ وَيَغدُو عِرْضَةً للجَوَاذِبِ
وَما جرّ ذُلاً مِثلُ نَفْسٍ جَزُوعَةٍ ، وَلا عاقَ عَزْماً مثلُ خَوْفِ العَوَاقِبِ
ألا لَيتَ شِعرِي هَلْ تُسالمُني النّوَى وَتَخبُو هُمومي من قِرَاعِ المَصَائبِ
إلى كَمْ أذُودُ العَينَ أنْ يَستَفِزّهَا وَميضُ الأماني وَالظّنُونِ الكَوَاذِبِ
حُسِدْتُ عَلى أنّي قَنِعتُ فكَيفَ بي إذا مَا رَمَى عَزْمي مَجالَ الكَوَاكبِ
وَما زَالَ للإنسَانِ حاسِدُ نِعمَةٍ عَلَى ظَاهِرٍ مِنهَا قَليلٍ وَغَائِبِ
وَأبقَتْ ليَ الأيّامُ حزْماً وَفِطْنَةً ، وَوَقّرْنَ جَأشِي بالأُمُورِ الغَرَائِبِ
تَوَزّعَ لَحمي في عَوَاجِمَ جَمّةٍ ، وَبَانَ عَلى جَنبَيّ وَسْمُ التّجارِبِ
وَأرْضٍ بهَا بعتُ الصّبَابَةَ وَالصِّبَا ، وَنَاهَضَ قَلبي الهَمّ مِنْ كلّ جانبِ
وَزَوْرٍ مِنَ الأضْغَانِ نحوِي ، كأنّما يُلاقيهِمُ شَخصِي لِقَاءَ المُحَارِبِ
أُنَاسِيهِمُ بغضَاءَهُمْ غَيرَ غَافِلٍ ، وَأسْألُهُمْ مَعرُوفَهُمْ غَيرَ رَاغِبِ
وَإنّي لأطْوِيهِم عَلى عُظْمِ دائِهِمْ ، وَأقعُدُ مِنهُمْ بَينَ دامٍ وَجَالِبِ[2]

١ البزلاء : أراد بها عظام الأمور .
٢ أطويهم : آتي إليهم . الجالب : الذي ييس عليه الدم .

ألا رُبَّ مَجْدٍ قَدْ ضَرَحتُ قَذاتَهُ ، وَكانَ عَلى الأيّامِ جَمَّ الشَّوائِبِ[1]
وَسِرٍّ كَتَمْتُ النّاسَ حتى كتمتُهُ ضُلُوعي ، وَلَمْ أُطْلِعْ عَلَيهِ مآرِبي
وَأغيَدَ مَحسُودٍ على نُورِ وَجْهِهِ هَجَرْتُ سِوَى لحظِ البَعيدِ المُجانِبِ
وَغيداءَ قِيدَتْ للعِنَاقِ مَلَكْتُها ، فَنَزّهْتُ عَنها بَعدَ وَجْدٍ تَرائِبي
وَمَا عِفّةُ الإنْسَانِ إلاّ غَبَاوَةٌ ، إذا لمْ يُكَافِحْ داءَ وَجْدٍ مُغالِبِ
وَعَزْمٍ كَأطْرَافِ الأسِنّةِ في الحَشَا طَعَنْتُ بهِ كَيدَ العَدُوّ المُوارِبِ
وَضَيْمٍ كَمَا نَضّ الجِرَاحَ نَجوْتُهُ إلى المَنظَرِ الأعلى نَجاءَ الرّكائِبِ[2]
وَخُطّةِ خَسْفٍ فِتُّها غَيرَ لاحِقٍ بيَ العارُ إلاّ مَا نَفَضْتُ ذَوائِبي[3]
عَلى هِمّةٍ ، أيْدي المَنُونِ سِياطُها ، تَسُوقُ بِهَا الآمَالَ سوقَ النّجائبِ
إلى قَائِمٍ بِالمَجْدِ يَحمي فُرُوجَهُ ، وَيَطْعَنُ عَنْهُ بالقَنَا وَالرّغائِبِ[4]
مُقيمٌ بطيبِ الذّكْرِ في كُلّ بَلْدَةٍ ، وَقَدْ عُوّدَ الأكْوارُ جَبَّ الغَوَارِبِ[5]
فَتًى صَحِبَ البأسُ النّدى في بَنَانِهِ ، بفَيضِ العَطايَا وَالدّمَاءِ السّوَارِبِ
لأمْجَدِ فَرْعٍ في عَرانينِ هَاشِمٍ ، وَأنجَبِ عُودٍ مِنْ لُؤيّ بنِ غالِبِ
لَهُمْ سُرّةُ المَجْدِ التّليدِ وَسِرّهُ ، وَمَحضُ المَعالي فيهِمُ وَالمَناقِبِ[6]

١ ضرحت : نحيت ودفعت .
٢ نجوته : علوته ، سبقته . النجاء : السرعة .
٣ الخطة : الحال والأمر . الخسف : النقيصة .
٤ الرغائب : العطايا ، الواحدة رغيبة .
٥ الأكوار : الرحال ، الواحد كور . جب : قطع .
٦ سرة المجد : أفضل مواضعه . سره : فضل نسبه . المحض : الخالص . المناقب : المفاخر .

يَبيتُونَ ، أغمادُ السّيُوفِ نحُورُهُم ، وَيَغدُونَ جُرّارَ الرّمَاحِ السّوَالِبِ
تَرَقّوْا عَلَيْهَا كُلّ مَجْدٍ وَنكّسُوا بأطرافِها عَنْ عاقِداتِ السّباسِبِ[1]
وَخَطْبٍ عَلى الزّوْرَاءِ ألقَى جِرَانَهُ ، مَدِيدِ النّوَاحي مُدلَهِمٍّ الجَوَانِبِ[2]
وَأضرَمَهَا حَمْرَاءَ يَنْزُو شَرارُها إلى جَنَبَاتِ الجَوّ نَزْوَ الجَنادِبِ
سَلَلْتَ عَلَيْهِ الحَزْمَ حتى جَلَوْتَهُ كما انجَابَ غَيمُ العارِضِ المُتراكِبِ
وَقَدْ عَلِمَ الأعْداءُ أنّكَ تَحتَهُ غَلَبْتَ ، وَمَا كانَ القَضَاءُ بغالِبِ
وَأقشَعتَ عَنْ بَغدادَ يَوْماً ، دَوِيُّهُ إلى الآنَ بَاقٍ في الصَّبَا وَالجَنَائِبِ
وَلَوْلاكَ عُلّي بالجَماجِمِ سُورُهَا ، وَخُندِقَ فيها بالدّمَاءِ الذّوَائِبِ
وَكَمْ لكَ مِنْ يَوْمٍ تركتَ به الظُّبَى مَضَارِبُهَا مَشغُولَةً بالضّرَائِبِ[3]
سَوَابِقُهُ مَا بَينَ كَابٍ وَنَاهِضٍ ، وَأقرَانُهُ مَا بَينَ هَاوٍ وَوَاثِبِ
وَقُدْتَ إلَيْهِ الخَيلَ يُسبِبنَ بالقَنَا ، وَيَسبُبْنَ بوغَاءَ المَلا وَالسّبَاسِبِ[4]
ثِقَالاً بِأعْبَاءِ العَوَالي كَأنّمَا يَطَأنَ الرّبَى وَطْءَ الإماءِ الحَوَاطِبِ
مُعاوِدَةً عَضَّ الشّكِيمِ يَمُصّها رَشَاشَ الجَوَاني بالنّبالِ الصّوَائِبِ[5]
وَقَد شَمّرَ التّحجيلُ عَنْ جَنَبَاتِها وَحَجّلَهَا خَوْضاً نَجيعُ المَقانِبِ[6]

١ قوله بأطرافها : الباء زائدة . السباسب : القفار . ولعله أراد بعاقدات السباسب القفار التي تعقدت فيها الرمال . ومعنى البيت غامض .

٢ ألقى جرانه : ثبت واستقر . الزوراء : بغداد .

٣ المضارب : أماكن الضرب . الضرائب : الكثيرة الضرب .

٤ يسببن بالقنا : يطعن بالقنا . يسببن الثانية : يقطعن . البوغاء : الأرض الرخوة . الملا : الصحراء .

٥ الجواني : فسرت في الديوان بالجوانب ، ولعل الشاعر حذف الباء ومثل هذا كثير في شعر العرب .

٦ النجيع : الدم . المقانب : جماعة الخيل ، وقد مر .

فَقَصَّرْتَ فيهِ كُلَّ سَمراءَ لَدْنَةٍ ، وَأَنحَلْتَ فيهِ كُلَّ أبيَضَ قاضِبِ
وَأَصْدَرْتَ عنهُ الجيشَ من بعدِ هَبوَةٍ تُوَصِّلُ أعناقَ القَنَا وَالقَوَاضِبِ
وَأَرْعَنَ دَمّاغِ الرُّبَى في مَجَرّهِ ، يُطَبِّقُ عَرْضَ البيدِ ذاتِ المَناكِبِ[1]
سَرَيْتَ بِهِ حتى تَقَلَّصَ نَقْعُهُ عَنِ الفَجرِ طَلّاعاً جِبالَ الغَياهِبِ
وَفي كلّ يَوْمٍ أنتَ بالعَزْمِ رَاكِبٌ قَرَاديدَ أمْرٍ لا تَذِلّ لرَاكِبِ[2]
وَلَيسَ عَجيباً إنْ تَخَمّطَ بَازِلٌ سَرَتْ فيهِ أعرَاقُ القُرُومِ المَصَاعبِ[3]
تَدارَكْتَ أطنابَ الخِلافَةِ بَعْدَمَا دَنَا الضّيمُ حتى مَسّهَا بالرّوَاجِبِ[4]
وَمَا زِلْتَ تَرْمي كُلّ قَلبٍ مُجاذِبٍ تُجاذِبُهَا حتى قُلُوبَ الأقَارِبِ
هَنيئاً لكَ العيدُ الجَديدُ ، فَإنّهُ يَسُلّ لك الإقبالَ عَضْبَ المَضَارِبِ
وَعِزُّكَ بَاقٍ لا يُزَلْزَلُ طَوْدُهُ ، وَكُلّ المَعَالي بَينَ مَاضٍ وَآيِبِ
وَمَا رَاقَتِ الأعيَادُ إلاّ بِغُرّةٍ تَبَلّجُ عَنْ نُورٍ مِنَ المَجْدِ ثاقِبِ
وَكَيفَ يَسُرّ الفِطرُ من عاشَ دهرَهُ بعُنوانِ مَعرُوفِ الجَناجِنِ شاحِبِ[5]
إذا ما امرُؤٌ لمْ يَكْسُهُ الشّيبُ عِفّةً فَما الشّيبُ إلاّ سُبّةٌ لِلأشَائِبِ
أنَا القَائِلُ المَرْمُوقُ مِنْ كلّ ناظرٍ إذا صَلصَلَتْ للسّامِعِينَ غَرَائِبي
وَما صُنتُ شِعرِي عنكَ زُهداً ، وَإنّما هُوَ الدّرّ لا يَمرِي بغَيرِ الحَوَالِبِ

١ الأرعن : الجيش .
٢ القراديد ، الواحد قردد : ما ارتفع وغلظ من الأرض .
٣ تخمط : هدر .
٤ الرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، وأراد الاصابع كلها .
٥ الجناجن : عظام الصدر .

وَلي مِنْ قَرِيضِي مُنْبِهٌ لِضَميرِهِ ، وَلَكِنّني آبَى دَنِيَّ المَكَاسِبِ
وَمَا كُلُّ شُغْلِي بالمَقَالِ أرُوضُهُ ؛ وَلا أنَا بالقَوّالِ ضَرْبَةَ لازِبِ

دعيني أطلب الدنيا

يمدحه ويهنئه بعيد الأضحى من هذه السنة

أرَابَكِ مِنْ مَشِيبي مَا أرَابَا ، وَمَا هَذا البَيَاضُ عَلَيّ عَابَا
لَئِنْ أبغَضْتِ مِنّي شَيبَ رَأسِي ، فإنّي مُبْغِضٌ مِنْكِ الشّبَابَا
يَذُمّ البِيضُ مِنْ جَزَعٍ مَشِيبي ، وَدَلُّ البِيضِ أوّلُ مَا أشَابَا
وكَانَتْ سَكرَةٌ ، فصَحوْتُ منها ، وَأنْجَبَ مَنْ أبَى ذاكَ الشّرَابَا
يَمِيلُ بِي الهَوَى طَرَباً ، وَأنْأى وَيَجذِبُنِي الصِّبَا غَزَلاً فَآبَى
وَيَمْنَعُني العَفَافُ كَأنّ بَيْني وَبَينَ مَآرِبِي مِنْهُ هِضَابَا
نَصَلْتُ عَنِ الصّبَا وَمُصَاحبيهِ ، وَأبْدَلَني الزّمَانُ بهِمْ صِحَابَا
وَلَمّا جَدّ جَدُّ البَينِ فِينَا ، وَهبَبْتُ لَهُ الظّعَائِنَ وَالقِبَابَا
وَمَا رَوّعْتُ مِنْ جَزَعٍ جَنَاناً ؛ وَلا رَوّيْتُ مِنْ دَمْعٍ جَنَابَا
دَعِيني أطْلُبِ الدّنْيَا ، فإنّي أرَى المَسعُودَ مَنْ رُزِقَ الطّلابَا
وَمَنْ أبْقَى لآجِلِهِ حَدِيثاً ، وَمَنْ عَانَى لِعَاجِلِهِ اكْتِسَابَا

وَمَا المَغْبُونُ إلاّ مَنْ دَهَتْهُ ، وَلا مَجْداً وَلا جِدَةً أصَابَا[1]
فَلا وَاللهِ أترُكُهَا خَلِيّاً ، وَلَمّا أجْنُبِ الأُسْدَ الغِضَابَا
وَأرْكَبُهَا مُحَصَّنَةً شَبُوباً ، تُمَانِعُ غَيرَ فارِسِها الرِّكَابَا[2]
إذا نَهنَهْتُهَا أرِنَتْ جِمَاحاً إلى أمَلي ، تُجاذِبُني جِذابَا[3]
فَإمّا أمْلأُ الدّنْيَا عَلاءً ؛ وَإمّا أمْلأُ الدّنْيَا مُصَابَا
سَجِيّةُ مَنْ رَعَى الأيّامَ ، حتى أشَابَ جَمَاجِماً مِنها ، وَشَابَا
وَهَلْ تُشْوِي حقَائقُ ألْمَعِيٍّ ، إذا مَا ظَنّ أغرَضَ أوْ أصَابَا[4]
وَلَمْ أرَ كالمَسَارِبِ رَامِيَاتٍ بِنَا الدّنْيَا بِعَاداً وَاقْتِرَابَا
تُخَوّضُنَا البِحَارَ مُزَمْجِرَاتٍ ، وَتُسْلِكُنَا المَضَايِقَ وَالعُقَابَا[5]
وَأعظَمُ مِنْ عُبابِ البَحرِ حِرْصٌ عَلى الأرْزَاقِ أرْكَبَنَا العُبَابَا
وَغُلْبٌ كالقَوَاضِبِ مِنْ قُرَيشٍ يرُوّونَ القَوَاضِبَ وَالكِعَابَا
فَمَا وَلَدَ الأجَارِبُ مِنْ تَمِيمٍ نَظيرَهُمُ ، وَلا الشُّعرُ الرّقَابَا[6]
وَإنّ المَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ، وَدارَ العِزّ وَالنّسَبَ القُرَابَا
لأطوَلِهِمْ ، إذا رَكِبُوا، رِمَاحاً، وَأعلاهُمْ ، إذا نزلُوا ، قِبَابَا

١ الجدة : الغنى .
٢ الشبوب : الفرس تجوز رجلاه يديه .
٣ أرنت : نشطت .
٤ الحقائق : أراد بها اليقينيات . الألمعي : الذكي الفؤاد . أغرض : أصاب الغرض .
٥ العقاب ، الواحدة عقبة : المرتقى الصعب .
٦ الأجارب : حي من بني سعد . الشعر الرقاب : الرجال الأقوياء على التشبيه بالأسود ، أو لعله أراد قوماً بعينهم .

وَأغزَرِهِمْ ، إذا سُئِلوا ، عَطاءً، وَأوْحاهُمْ ،إذا غَضِبُوا، ضِرَابَا[1]
بَنُو عَمّ النّبيّ وَأقرَبُوهُ ، وَألْصَقُهُمْ بهِ عِرْقاً لُبَابَا
عُلّى بيَدِ الحُسَينِ ذُؤابَتَاهَا، وَفرْعَاهَا اللّذا كَثُرَا وَطَابَا
وَكَانَتْ لا تُجَارُ مِنَ الأعَادي، فَسانَدَ غَرْبُهُ ذاكَ النّصَابَا
وَحَصّنَهَا ، فَلَيسَ يَنَالُ مِنها ذَنُوباً ، مَنْ يَهُمّ ، وَلا ذِنَابَا[2]
هُمَامٌ مَا يَزَالُ بِكُلّ أرْضٍ يُبَرْقِعُ تُرْبُهَا الخَيلَ العِرَابَا
نَزَائِعَ كالسّهامِ كُسِينَ نَحضاً خَفيفاً ، لا اللّؤامَ وَلا اللُّغَابَا[3]
مُحَبَّسَةً عَلى الأهْوَالِ تَلْقَى بهَا العِقْبَانَ رَافِعَةَ الذُّنَابَى
يُوَقِّرُهَا ، فَتَحسَبُهَا أسُوداً ، وَيُطْلِقُهَا ، فَتَحسَبُهَا ذِئَابَا[4]
وَأعْطَتْهُ الرّؤوسَ مُسَوَّمَاتٌ تَدُقّ بِهَا الجَنادِلَ وَالظِّرَابَا[5]
إذا قَطَعَتْ بهِ شَأواً بَلاهَا بِأبْعَدَ غَايَةً وَأمَدَّ قَابَا[6]
تَجاوَزَهُ المَقَاوِلُ ، وَهوَ بَاقٍ يَبُذّ رِقَابَ غُلْبِهِمِ غِلابَا
كَنَصْلِ السّيْفِ تَسْلَمُ شَفرَتاهُ وَيُخْلِقُ كُلّ أيَامٍ قِرَابَا
إذا اشتَجَرَ القَنَا فَصَلَ الهَوَادي؛ وَإنْ قَرّ الوَغَى فَصَلَ الخِطَابَا[7]

١ أوحاهم : أسرعهم .
٢ الذنوب : الدلو . الذناب : خيط يشد به ذنب البعير .
٣ النحض : اللحم . اللؤام : من لأم السهم جعل له ريشاً . اللغاب : السهم الذي لم يحسن بريه .
٤ يوقرها : يسكنها .
٥ المسومات ، من سوم الخيل : أرسلها . الجنادل : الحجارة . الظراب : ما نتأ من الحجارة .
٦ القاب : المقدار .
٧ الهوادي : الأعناق .

بَلَى وَبَلَتْ يَداهُ مِنَ الأعادي ... أرَاقِمَ نُزَّعاً وَقَناً صِلابَا
فَقَوّمَ بالأذى منِها صِعاداً ، ... وَذَلّلَ بالرُّقَى مِنْهَا صِعابَا
وَغادَرَ كُلّ أرْقَمَ ذي طُلُوعٍ ... عَلَى الأعْداءِ يَدّرِعُ التّرَابَا
حَذارِ بَني الضّغائنِ مِنْ جَرِيٍّ ... إذا مَا الرّيْبُ بَادَهَهُ أرَابَا
يَعَضّ عَلَى لَوَاحِظَ أفعُوانٍ ، ... فإنْ سِيمَ الأذَى طَلَبَ الوِثَابَا
وَإنّ وَرَاءَ ذاكَ الحِلْمِ صَوْلاً ؛ ... وَإنّ لِتِلْكُمُ البُقْيَا عِقَابَا
وَلَوْ أنّ الضّرَاغِمَ نَابَذَتْهُ ، ... تَوَلّجَ خَلْفَهَا أجَماً وَغَابَا
رَمَاكُمْ بالضّوَامِرِ مُقْرَبَاتٍ ... يُزَاوِلْنَ المَحَانيَ وَالشّعَابَا[1]
وَيُعْجِلْنَ الصّرِيخَ ، وَهُنّ زَوْرٌ ... إلى الأعْداءِ يُرْسِلْنَ اللُّعَابَا[2]
فأرْعَى مِنْ جَماجِمِكُمْ جَميماً ، ... وَأمطَرَ مِنْ دِمائِكُمُ سَحَابَا
لكَ الهِمَمُ التي عَرَفَ الأعادي ... تَشُبّ بِكُلّ مُظْلِمَةٍ شِهَابَا
إذا خَفَقَتْ رِيَاحُ العَزْمِ فِيهَا ... تَبَلّجَ عَارِضٌ منهَا ، فَصَابَا
وَمُشْرَعَةِ الأسِنّةِ ذاتِ جَرْسٍ ... يَقُودُ عُقَابُ رَايَتِها العُقَابَا[3]
تخُوضُ اللّيْلَ يَلْمَعُ جَانِبَاهَا ، ... كَأنّ الصّبحَ قَدْ حَدَرَ النّقَابَا
لهَا في فُرْجَةِ الفَجْرِ اختِلاطٌ ، ... يَرُدّ الصّبْحَ من رَهَجٍ غِيَابَا

١ المحاني : معاطف الأودية .
٢ اللعاب : السم .
٣ مشرعة الأسنة : الكتيبة . الجرس : الصوت . يقود عقاب رايتها العقاب: لعله أراد أن العقبان حينما ترى راياتها سارت إلى الحرب تتبعها يقيناً منها أنها ستأكل من جثث أعدائها .

وَتَغْدُو كالكَوَاكِبِ لامِعَاتٍ تُمَزِّقُ مِنْ عَجاجَتِها الحِجَابَا
يُصَافِحُها شُعَاعُ الشّمسِ حتى كَأنّ عَلى الظُّبَى ذَهَباً مُذابَا
صَدَمتَ بهَا العَدُوّ ، وَأنتَ تَدعو نَزَالِ ، فَأيُّ داعِيَةٍ أجَابَا
وَقَوّضْتَ الخِيَامَ تَذُبّ عَنها أُسُودُ وَغًى ، وَأصْفَرْتَ الوِطَابَا
رَأيْنَا الطّايِعَ المَيْمُونَ بَدْءاً يَسُلُّكَ في النّوَائِبِ ، وَاعتِقَابَا
وَلمّا جَرّبَ البِيضَ المَوَاضِي ، رَآكَ مِنَ الظُّبَى أمضَى ذُبَابَا
فَألحَمَكَ العِدَى ، حتّى تَهاوَوْا وَلا دِمَناً تَحِسّ وَلا ضِبَابَا[1]
هُنَاكَ قُدُومُ أعيادٍ طِرَاقٍ ، تَصُوبُ العِزّ ما وَجدَتْ مَصَابَا
وَأيّامٌ تَجُوزُ عَلَيْكَ بِيضٌ ، وَقَدْ قَرَعَتْ مِنَ الإقبَالِ بَابَا
فكَمْ يَوْمٍ كَيَوْمِكَ قُدتَ فيهِ ، عَلى الغُرَرِ ، المَقانِبَ وَالرّكَابَا[2]
إلى البَلَدِ الأمينِ مُقَوَّمَاتٍ يُمَاطِلُهَا التّعَجّلَ وَالإيَابَا
بِحَيثُ تُفَرِّغُ الكُومُ المَطَايَا حَقَائِبَهَا ، وَتَحتَقِبُ الثّوَابَا
مَعالِمُ إنْ أجَالَ الطّرْفَ فِيهَا مُصِرٌّ القَوْمِ أقْلَعَ ، أوْ أنَابَا
فَفُزْتَ بِهَا ثَمَانِيَ مُعْلَمَاتٍ ، نَصَرْتَ بِهَا النّبُوّةَ وَالكِتَابَا[3]
بَعَثْتُ لكَ الثّنَاءَ عَلى صَنيعٍ ، إذا مَا هِبْتَ دَعوَتَهُ أهَابَا
رَغَائِبُ قد قَطَعنَ حَنينَ عِيسٍ ، فَلا نَأياً أُرِيغُ ، وَلا اغتِرَابَا
وَقَبلَ اليَوْمِ مَا أغمَدْنَ عَنّي ، مِنَ الأيّامِ ، نَائِبَةً وَنَابَا

---

١ الدمن والضباب : الأحقاد .
٢ على الغرر : أي على شدة الحر .
٣ قوله : ثماني معلمات ، لعله أراد أنه حج ثماني مرات ، حين كان أمير الحج .

كن كيف شئت

وقال رحمه الله يمدح خاله أبا الحسين أحمد
ابن الحسين الناصر ويهنئه بمولودة جاءته :

لِكُلِّ مُجتَهِدٍ حَظٌّ مِنَ الطَّلَبِ ، فاسبُقْ بعزْمِكَ سيرَ الأنجُمِ الشُّهُبِ
وَارْقَ المَعالي الّتي أوْفَى أبُوكَ بِهَا ، فَكَمْ تَنَاوَلَهَا قَوْمٌ بغَيرِ أبِ
وَلا تَجزْ بصُرُوفِ الدّهرِ في عَصَبٍ مِنَ القَرَائِنِ غَيرِ السُّمرِ وَالقُضُبِ
نَدْعُوكَ في سَنَةٍ شَابَتْ ذَوَائِبُهَا حتّى تُفَرّجَها مُسْوَدّةُ القُصُبِ[1]
وَلَمْ تَزَلْ خَدَعَاتُ الدّهْرِ تَطْرُقُها حتّى تَعانَقَ عُودُ النَّبْعِ وَالغَرَبِ[2]
أتَيْتَ تَحْتَلِبُ الأيّامَ أشْطُرَهَا ، فَكُلُّ حادِثَةٍ مَنزُوحَةُ الحَلَبِ[3]
لَوْلا وَقَارُكَ في نَصْلٍ سَطَوْتَ بِهِ ، فَاضَتْ مَضَارِبُهُ مِنْ خِفّةِ الطّرَبِ
وَحُسنُ رَأيِكَ في الأرْمَاحِ يُنهِضُها إلى الطّعَانِ ، وَلَوْلا ذاكَ لَمْ تَثِبِ
كنْ كيفَ شئتَ فإنّ المَجدَ مُحتَمِلٌ عَنْكَ المَغافِرَ في بَدْءٍ وَفي عَقِبِ
ما زَالَ بِشرُكَ في الأزْمانِ يُؤنِسُها ، حتّى أضَاءَتْ سُرُوراً أوْجُهُ الحِقَبِ
يَفديكَ كُلُّ بَخيلٍ ماتَ خاطِرُهُ ، فإنْ خَطَرْتَ عَدَدْنَاهُ مِنَ الغَيَبِ

١ مسودة القصب : مباركة من قولهم سهم أسود مبارك .
٢ خدعات الدهر : قلة الريع . النبع : شجر تتخذ منه القسي والسهام ، يوصف بالشدة ، الغرب : شجر لين .
٣ تحتلب الأيام أشطرها : تجرب خيرها وشرها . منزوحة ، من نزحت البئر : قل ماؤها أو نفد .

إذا المَطامِـعُ حامَتْ حَوْلَ مَوْعِدِهِ أنّتْ إليهِ أنينَ المُدْنَفِ الوَصِبِ
وَعُصْبَةٍ جاذَبُوكَ العزّ ، فانقَبَضَتْ أكفُّهُمْ عَن دِرَاكِ المَجدِ بالطّلَبِ
شابَهتَهُمْ مَنظَراً، أوْ فُتَّهمْ خَبراً؛ إنّ الرّدَيْنيّ مَعدُودٌ مِنَ القَصَبِ
هَابُوا ابتِسامَكَ في دَهْياءَ مُظْلِمةٍ ، وَلَيسَ يُوصَفُ ثَغرُ اللّيثِ بالشّنَبِ
سَجيّةٌ لكَ ، فاتَتْ كُلَّ مَنْزِلَةٍ ، وَضَعضَعَتْ جَنَباتِ الحادثِ الأشِبِ[1]
نَسيمُها من طِباعِ الرّوْضِ مُستَرَقٌ، وَطِيبُ لذّتِها مِنْ شيمَةِ الضَّرَبِ[2]
تَلقَى الخَميسَ إذا اسوَدّتْ جَوانبُه بالمُستَنيرَينِ مِنْ رَأيٍ وَذي شُطَبِ
وَنَثْرَةٌ فَوْقَهَا صَبْرٌ تُظاهِرُهُ ، أرَدُّ مِنها لأذْرَابِ القَنَا السّلَبِ[3]
لَوْلمْ يُعَوّضْكَ هَجْرُ العَيشِ صالحة ما كُنتَ تَخرُجُ من أثوابِهِ القُشُبِ
يا ابنَ الذينَ، إذا عَدّوا فَضَائِلَهمْ ، عَدّ النّدى ضَرْبَهمْ في هامةِ النّشبِ[4]
بِألْسُنٍ رَاضَةٍ للقَوْلِ لَوْ نُضِيَتْ نابَتْ عنِ السُّمرِ في الأبدانِ وَالحُجُبِ[5]
لا يَستَشيرُونَ إلاّ كُلَّ مُنْصَلِتٍ حامي الحَقيقَةِ طلاّعٍ على النُّقَبِ
ذي عزْمَةٍ إنْ دَعاها الرّوْعُ مُنتصراً تَلَفّتَتْ عن غِرَارِ الصّارِمِ الخَشِبِ[6]
يَقرُونَ حتّى لَوَ انّ الضّيفَ فاتَهمُ حَثّوا إلَيْهِ صُدُورَ الأيْنُقِ النّجُبِ

١ الأشب : المشتبك ، من أشب الشر : اشتبك .
٢ الضرب : العسل .
٣ النثرة : الدرع . الأذراب ، الواحد ذرب : الجرح الذي لا يبرأ . السلب : الطوال .
٤ النشب : المال الأصيل من ناطق وصامت .
٥ راضة : مذللة . الحجب ، أراد حجب القلوب الواحد حجاب : الغلاف .
٦ الخشب : المسنون .

أوْ أعوَزَ الحَطْبُ في لَيلٍ بُيُوتَهُمُ   مَدّوا يَدَ النّارِ في الأعمادِ وَالطُّنُبِ
لَوْ أنّ بأسَهُمُ جَارَى الزّمَانَ إذاً ،   لارْتَدّ عَنْ شأوِهِ مُستَرْخيَ اللَّبَبِ[1]
إنْ أُورِدوا المَاءَ لمْ تَنهَلْ جِيادُهُمُ   حتّى تُعَلّ بِرَقرَاقِ الدّمِ السّرِبِ
قَادُوا السّوَابِقَ مُحفَاةً مُقَوَّدَةً ،   كَأنّها بحَثَتْ عَنْ مُضْمَرِ التُّرَبِ
أعطافُها بالقَنَا الخَطّيّ مُثْقَلَةٌ ،   تكادُ تَعصِفُ بالسّاحاتِ وَالرُّحَبِ[2]
مَا انفَكّ يَطعَنُ في أعقابِ حافِلَةٍ   بذابِلٍ مِنْ دَمِ الأقرَانِ مُختَضِبِ
إذا امتَرَى عَلَقَ الأوْداجِ عَامِلُهُ ،   أعشَى العَوَالي فلمْ تَنظُرْ إلى سَلَبِ[4]
وَلا يَزَالُ يُجَلّي نَقْعَ قَسطَلِهِ ،   بمُحرَجِ الغَرْبِ ملآنٍ من الغَضَبِ[5]
إذا انْتَضَاهُ لِيَوْمِ الرّوْعِ تَحْسَبُهُ   يَسُلّ من غِمدِهِ خَيطاً منَ الذّهبِ
أوْ إنْ أشَاحَ بِهِ سَالَ الحِمَامُ لَهُ   في مَضْرَبَيْهِ فلمْ يَرْقأ وَلَمْ يَصُبِ[6]
جَذْلانُ يَرْكَعُ إنْ مالَ الضِّرَابُ به   مُطَرَّباً في قِبَابِ البِيضِ وَاليَلَبِ[7]
يا أيّهَا النّدْبُ إنّ السّعْدَ مُتّضِحٌ   بطَلْقَةِ الوَجْهِ جَلّتْ سُدفَةَ الرّيَبِ
مَوْلُودَةٍ سَقَطَتْ عَنْ حِجرِ وَالدةٍ   جاءتْ بها ملءَ حِجرِ المَجدِ وَالحسبِ

١ اللبب : ما يشد في صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل .
٢ تعصف : تشتد مسرعة .
٣ الحافلة : الناقة الغزيرة اللبن ، ولعله أراد بها الكتيبة الكثيرة العدد .
٤ امترى : استخرج . العلق : الدم . الأوداج ، الواحد ودج : عرق في العنق .
٥ محرج الغرب : أراد حد السيف المضيق عليه في غمده .
٦ أشاح : جد . يرقأ : يجف . يصوب : ينصب .
٧ اليلب : الدروع من الجلود .

لمّا ظَمِئْتَ إليها قبلَ رُؤيَتِها ... أُعْطِيتَ لذّةَ ماءِ الوِرْدِ بالقَرَبِ[1]
باشِرْ بطَلْعَتِها العَلْياءَ مُقْتَبِلاً، ... فإنّها دُرّةٌ في حِلْيَةِ النّسَبِ
واسعَدْ بها واشكُرِ الأقدارَ أنْ حملتْ ... إلَيكَ قُرّةَ عَينِ العُجْمِ والعَرَبِ
وَحُثّ خيلَ كؤوسِ العِزّ جامِحَةً ... إلى السّرُورِ بخَيلِ اللّهْوِ واللّعِبِ
وانثُرْ على الشَّرْبِ سِمطاً من فَوَاقعِها، ... وَابنَ الغَمَامِ مُسَمًّى بابنةِ العِنَبِ
وَاصْدُمْ بكأسكَ صَدرَ الدّهرِ مُعتقلاً ... بصَارِمِ اللّهوِ يَجلُو قَسطَلَ الكُرَبِ
كأسٍ، إذا خُضِبَتْ بالمَاءِ لِمّتُها ... شابَتْ، وإنْ زَلّ عَنها المَاءُ لم تَشِبِ
نَفسي تَقِيكَ فكَمْ وَقّيتَني بيَدٍ، ... وَقَدْ ألَظّ بيَ الرّامُونَ عَن كَثَبِ[2]
إذا اتّقَيْتُ بكَ الأعداءَ رَامِيَةً، ... فَوَاجِبٌ أنْ أُوَقّيكَ النّوائِبَ بي
أبَا الحُسَينِ أعِرْ شِعرِي إصَاخَةَ مَن ... يَرْوِي مسامِعُهُ عن مَسمَعٍ عَجَبِ
إذا مَدَحتُكَ لمْ أمْنُنْ عَلَيكَ بهِ، ... فالمَدْحُ باسمِكَ وَالمَعنى بهِ نَسَبي

وعتب عليه في هذا فقال يعتذر إليه ويعلمه أنه ما قصد ولا عنى إلا مشاركته في النسب بقصيدة رائية تأتي في موضعها من القافية .

١ القرب : البئر القريبة الماء .
٢ ألظ بي : لازمني .

تهنّ بمهرجانك

وقال رحمه الله يمدح أبا سعيد بن خلف
ويهنئه بمهرجان :

ألانَ جوَانبي غمْزُ الخُطُوبِ ، وَأعجلَني الزّمَانُ إلى المَشيبِ
وكَمْ يَبقَى على عَجْمِ اللّيَالي ، وَقَرْعِ الدّهْرِ جائِرَةُ الكُعُوبِ
نَبَا ظَهرُ الزّمَانِ وكُنتُ منْهُ على جَنْبَيْ مُوَقَّعَةٍ رَكُوبِ[1]
وَقالوا : الشّيبُ زَارَ، فقلتُ: أهْلاً بِنَوْرِ ذوائِبِ الغُصْنِ الرّطيبِ
ولَمْ آكُ قبلَ وَسمِكَ لي مُحِبّاً، فيَبعُدَ بي بَياضُكَ مِنْ حَبيبِ
وَلا سَتْرُ الشّبَابِ عَليّ عَيْباً ، فَأجْزَعَ أنْ يَنِمّ على عُيُوبي
ولَمْ أذْمُمْ طُلُوعَكَ بي لشَيْءٍ ، سوَى قُرْبِ الطّلُوعِ إلى شَعُوبِ[2]
وَأعْظَمُ مَا أُلاقي أنّ دَهرِي يَعُدّ مَحاسِني لي مِنْ ذُنُوبي
أقُولُ إذا امتَلأتُ أسًى لنَفْسِي : أيَا نَفْسِ اصْبرِي أبداً وَطِيبي
دَعي خَوْضَ الظّلامِ بكُلّ أرْض وَإعْمَالَ النّجيبَةِ وَالنّجيبِ
وَجَرَّ ضَوَامِرِ الأحْشَاءِ تَجرِي كَمَا تَهْوِي الدّلاءُ إلى القَليبِ
مُتَرَّفَةٌ إلى الغَايَاتِ ، حتّى تَرَنّحُ في الشّكيمِ مِنَ اللُّغُوبِ[3]

---

1 الموقعة : الخفيفة الوطء .
2 شعوب : المنية .
3 مترفة ، من ترّفته النعمة : أطغته .

فَلَيْسَ الحَظُّ للبَطَلِ المُحَامي ، وَلا الإقْبَالُ للرّجُلِ المَهِيبِ
وَنَيلُ الرّزْقِ يُؤخَذُ من بَعيدٍ ، كَنَيلِ الرّزْقِ يُؤخَذُ من قَرِيبِ
وَغَايَةُ رَاكِبِي خُطَطِ المَعالي كَغَايَةِ مَنْ أقامَ عَنِ الرّكُوبِ
ألَيْسَ الدّهْرُ يَجمَعُنا جَميعاً عَلى مَرْعًى مِنَ الحَدَثانِ مُوبي
كِلانَا تَضْرِبُ الأيّامُ فِيهِ بجُرْحٍ مِنْ نَوَائِبِهَا رَغيبِ[1]
أرَى بُرْدَ العَفَافِ أغَضّ حُسناً عَلى رَجُلٍ مِنَ البُرْدِ القَشِيبِ
عَلَيّ سَدادُ نَبْلي يَوْمَ أرْمي ، وَرَبُّ النَّبْلِ أعْلَمُ بالمُصِيبِ
وَلي حَثُّ الرّكابِ وَشَدُّ رَحْلي ، وَمَا لي عِلْمُ غامِضَةِ الغُيُوبِ
وَمَا يُغْني مُضِيُّكَ في صُعُودٍ ، إذا مَا كانَ جَدُّكَ في صُبُوبِ
تَطَأطَأتِ الذّوَائِبُ للذُّنَابى ، وَأُسْجِدَتِ المَوَارِنُ للعُجوبِ[2]
وَخَرْقٍ كالسّمَاءِ خَرَجْتُ مِنْهُ بجَرْيِ أقَبَّ يَرْكَعُ في السُّهُوبِ[3]
يَجُرّ عِنَانَهُ ، في كُلّ يَوْمٍ ، إلى الأعْداءِ مَعْقُودَ السّبِيبِ[4]
وَخُوصٍ قد سَرَيتُ بهِنّ ، حتّى تَقَوّضَتِ النّجُومُ إلى الغُيُوبِ[5]
وَجُرْدٍ قَد دَفَعتُ بهِنّ ، حتّى وَطِئْنَ عَلى الجَماجِمِ وَالتّرِيبِ
وَيَوْمٍ تُرْعَدُ الرَّبَلاتُ مِنْهُ ، كمَا قَطَعَ الرُّبَى عَسَلانُ ذِيبِ[6]

١ الرغيب : الواسع .
٢ الموارن : الأنوف ، الواحد مارن . العجوب ، الواحد عجب : أصل الذنب .
٣ السهوب : الفلوات ، الواحد سهب .
٤ السبيب : شعر الذنب والعرف والناصية .
٥ الخوص : الإبل الغائرة العيون .
٦ الربلات ، الواحدة ربلة : باطن الفخذ . العسلان : الاضطراب في السير .

هتَكْتُ فُرُوجَهُ بِالرّمْحِ لمّا دَعَوْا باسمي، وَيا لكَ من مُجيبِ
وَعِنْدَ تَعانُقِ الأقرانِ يَبْلَى قِرَاعُ النّبْعِ بالنّبْعِ الصّلِيبِ
إخاؤكَ ، يا عليّ ، أسَاغَ رِيقي ، وَوُدُّكَ ، يا عليّ ، جَلا كُرُوبي
فيَا عَوْني ، إذا عَدَتِ اللّيَالي عَليّ ، وَيا مِجَنّي في الحُرُوبِ
عَجِبتُ مِنَ الأنامِ ،وَأنتَ منهم، وَمِثْلُكَ في الأنَامِ مِنَ العَجيبِ
عَلَوْتَ عَلَيهِمُ في كُلّ أمْرٍ ، بِطُولِ البَاعِ وَالصّدْرِ الرّحيبِ
وَفُتّهُمُ مِرَاحاً في سُفُورٍ بِلا نَزَقٍ وَجَداً في قُطُوبِ
خِطَابٌ مِثْلُ ماءِ المُزْنِ تَبْرِي مَوَاقِعُهُ العَلِيلَ مِنَ القُلُوبِ
وَعَزْمٌ ، إنْ مَضَيتَ به جَرِيّاً ، هَوَى مَطَرُ القَنَا بِدَمٍ صَبيبِ
وَحِلْمٌ إنْ عَطَفْتَ به مُعِيداً ، أطَارَ قَوَادِمَ اليَوْمِ العَصِيبِ
وَألْفَاظٌ كَمَا لَعِبَتْ شَمَالٌ مَلاعِبَها عَلى الرّوْضِ الخَصِيبِ
بطَرْفٍ لا يُخَفِّضُ من خُضُوعٍ ، وَقَلْبٍ لا يُتَعتِعُ من وَجيبِ
تَهَنّ بمِهرَجانِكَ ، وَاعْلُ فيهِ إلى العَلْيَاءِ أعْنَاقَ الخُطُوبِ
وَعِيشْ صَافي الغَدِيرِ مِنَ الرّزَايَا بهِ خالي الأديمِ مِنَ النُّدُوبِ
لَعَلّي أنْ أهزّكَ في مَرَامٍ ، فَأبْلُوَ مِنكَ مُندَلِقَ الغُرُوبِ
وَحَاجٍ في الضّميرِ مُعَضَّلاتٍ سَأُسْلِمُهَا إلى عَزْمٍ طَلُوبِ
لأقضِيَهُنّ ، أوْ أقْضِي بِهَمّي غَرِيبَ الوَجْهِ في البَلَدِ الغَرِيبِ
مُنَازَعَةً إلى العَلْيَاءِ ، حتّى أزُرّ عَلى ذَوَائِبِهَا جُيُوبي
فَإمّا نَيْلُ جَانِبِهَا ، وَإمّا لِقَاءُ مُسَتَنّدِينَ عَلى الجُنُوبِ[1]

[1] المستدون على الجنوب : المدفونون في القبور .

رآينا بوجهك نور اليقين

يهنىء بعض أصدقائه من الرؤساء
بقدومه من سفر في المساء :

وَفَى ذا السّرُورُ بتلْكَ الكُرَبْ ، وَهَذا المَقَامُ بِذاكَ التّعَبْ
قَدِمتَ، فأطرَقَ صَرْفُ الزّمَانِ عَنَاءً وَأغضَتْ عيُونُ النُّوَبْ
وَمِثْلُكَ مَنْ قَذَفَتْهُ الخُطُوبُ في صَدْرِ كلّ خميسٍ لَجِبْ
قَرِيبُ المُرَادِ ، بَعيدُ المَرَامِ ، عَظِيمُ العَلاءِ ، جَليلُ الحَسَبْ
وَمَنْ قَلْقَلَ البَيْنُ أطْنَابَهُ ، وَنَالَ أقَاصِي المُنَى بالطّلَبْ
غَدَتْ تَشتَكيكَ كؤوسُ المُدامِ ، وَيُثْني عَلَيكَ القَنَا وَالقُضُبْ
وَكُنّا نُصَانِعُ فيكَ الهُمُومَ ، فصِرْنَا نُصانِعُ فيكَ الطّرَبْ
إذا مَا الفَتَى وَصَلَ الزّائِرِينَ أثْنَوْا عَلَيْهِ نَأى أوْ قَرُبْ
وَكَيْفَ يُهَنّيكَ لَفظُ امرِىءٍ يُهَنّي بِقُرْبِكَ أعْلَى الرُّتَبْ
وَكُنّا بذِكرِكَ نَشفي الغَلِيلَ ، وَمَا بَيْنَنَا أمَدٌ مُنْشَعِبْ
إلى أنْ تَهَلّلَ وَجْهُ الزّمَانِ ، وَمَنْ بَانَ مِثلُكَ عَنهُ شَحَبْ
رَأيْنَا بِوَجْهِكَ نُورَ اليَقِينِ ، حَتّى خَلَعنا ظَلامَ الرِّيَبْ
وَمَا زِلْتَ تَمسَحُ خَدّ الصّبَاحِ ، وَتَرْحَمُ قَلْبَ الظّلامِ الأشِبْ
بِمَطْرُورَةِ الصّدْرِ خَفّاقَةٍ تَطِيرُ مَجاذِيفُهَا كَالعَذَبْ[1]

---

[1] العذب ، الواحدة عذبة : ما سدل بين الكتفين من العمامة ، والأطراف من كل شيء .

تُعَانِقُكَ الرّيحُ في صَدْرِهَا ، وَيَشتَاقُكَ المَاءُ حتّى يَثِبْ
تَمُرّ بشَخْصِكَ مَرّ الجِيَادِ ، وَتَسْرِي بِرَحْلِكَ سَيرَ النُّجُبْ
إذا اطّرَدَتْ بكَ خِلتَ القُصُو رَ تُرْعَدُ بالبُعْدِ أوْ تَحتَجِبْ
يُسَرّ بِهَا عَاشِقٌ لا يُلَذّ ذُ بالنّأيِ ، أوْ نَازِحٌ يَقْتَرِبْ
وَقَدْ بَلّغَتْكَ الّذِي رُمْتَهُ ، وَحَقٌّ المُبَلِّغِ أنْ يُصْطَحَبْ
أبَا قَاسِمٍ كَانَ هَذا البِعَادُ إلى طُرُقِ القُرْبِ أقْوَى سَبَبْ
فَمَا كُنْتُ أوّلَ بَدْرٍ أتَى ؛ وَلا كُنْتَ أوّلَ نَجْمٍ غَرَبْ
ألا إنّني حَسْرَةُ الحَاسِدِينَ ، وَمَا حَسْرَةُ العُجْمِ إلاّ العَرَبْ
فَلا لَبِسُوا غَيرَ هذا الشّعَارِ ؛ وَلا رُزِقُوا غَيرَ هَذا اللّقَبْ
مَنَحتُكَ مِنْ مَنطِقي تُحْفَةً ، رَأيْتُ بِهَا فُرْصَةً تُستَلَبْ
تُصَفّقُها بالنّشيدِ الرّوَاةُ ، كَمَا صَفّقَ المَاءُ بِنْتَ العِنَبْ
وَأنْتَ تُسَاهِمُني في العَلا ءِ فَخراً ، وَتَشرَكُني في النّسَبْ

لأشكرنك

وقال رحمه الله يشكر حمزة
ابن إبراهيم على قضاء حاجة له:

لأشْكُرَنّكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ ، وَإنْ عَجَزْتُ عَنِ الحَقّ الذي وَجبَا
فَمَا التَفَتُّ إلى نَعْمَاءَ سَابِغَةٍ إلاّ رَأَيتُكَ فيها الأصْلَ وَالسّبَبَا
أخدَمْتَني نُوَبَ الأيّامِ طَائِعَةً ، وَكانَ كلُّ الرّضَى أنْ آمَنَ النُّوَبَا
وَلا لَقِيتُ يَداً للدّهْرِ جارِحَةً ، إذا بَقيتَ ، وَلا ألقَى لهَا السّبَبَا
وَقَدْ أقَمْتَ عِمَادَ البَيْتِ رَاسِخَةً على القَوَاعدِ ، فامدُدْ بعدَها الطُّنُبَا

لغير العلى مني القلى

قال رحمه الله يفتخر ويمدح
أهل البيت عليهم السلام :

لِغَيْرِ العُلَى مِنّي القِلَى وَالتّجَنّبُ ، وَلَوْلا العُلى ما كنتُ في الحُبّ أرْغبُ
إذا اللهُ لمْ يَعذُرْكَ فيمَا تَرُومُهُ ، فَما النّاسُ إلاّ عاذِلٌ أوْ مُؤنِّبُ[1]

[1] لم يعذرك : لم ينصرك .

مَلَكْتُ بحِلمي فُرْصَةً ما استَرَقّها ... مِنَ الدّهْرِ مَفتُولُ الذّرَاعَينِ أغلبُ
فإنْ تكُ سِنّي ما تَطاوَلَ بَاعُهَا ، ... فَلي مِنْ وَرَاءِ المَجْدِ قَلْبٌ مُدَرَّبُ
فحَسْبيَ أنّي في الأعَادي مُبَغَّضٌ ، ... وَأنّي إلى غُرّ المَعَالي مُحَبَّبُ
وَللحِلْمِ أوْقاتٌ ، وَللجَهْلِ مِثْلُها، ... وَلَكِنّ أوْقَاتي إلى الحِلْمِ أقْرَبُ
يَصُولُ عَليّ الجَاهِلُونَ ، وَأعتَلي ، ... وَيُعْجِمُ فيّ القَائِلُونَ وَأُعْرِبُ[1]
يَرَوْنَ احتِمَالي غُصّةً ، وَيَزِيدُهمْ ... لَوَاعِجَ ضَغْنٍ أنّني لَسْتُ أغضَبُ
وَأُعرِضُ عَنْ كأسِ النّديمِ ، كأنّها ... وَميضُ غَمامٍ ، غائرُ المُزْنِ خُلّبُ
وَقُورٌ، فَلا الألحَانُ تأسِرُ عَزْمَتي ، ... وَلا تَمكُرُ الصّهبَاءُ بي، حينَ أشرَبُ
وَلا أعرِفُ الفَحشاءَ إلاّ بِوَصْفِهَا ، ... وَلا أنطِقُ العَوْرَاءَ وَالقلبُ مُغضَبُ
تَحَلّمُ عَنْ كَرّ القَوَارِضِ شِيمَتي ، ... كَأنّ مُعيدَ المَدحِ بالذّمّ مُطنِبُ[2]
لساني حَصَاةٌ يَقرَعُ الجَهلَ بالحِجَى ... إذا نَالَ مِنّي العَاضِهُ المُتَوَثّبُ[3]
وَلَستُ بِرَاضٍ أنْ تَمَسّ عَزَائِمي ... فُضَالاتِ ما يُعطي الزّمَانُ وَيَسلُبُ
غَرَائِبُ آدابٍ حَبَاني بِحِفْظِهَا ... زَماني ، وَصَرْفُ الدهرِ نعمَ المُؤدِّبُ
تُرَيّشُنَا الأيّامُ ثُمّ تَهِيضُنَا ، ... ألا نِعْمَ ذا البَادي وَبِئْسَ المُعَقِّبُ
نَهَيْتُكَ عَنْ طَبعِ اللّئَامِ ، فإنّني ... أرَى البُخْلَ يَأتي وَالمَكارِمَ تُطلَبُ
تَعَلّمْ ، فإنّ الجُودَ في النّاسِ فِطنَةٌ ... تَنَاقَلَها الأحْرَارُ ، وَالطّبعُ أغلَبُ

١ يعجم : يبهم القول . أعرب : أفصح .
٢ القوارض : المادحون بالقريض ، الشعر .
٣ الحصاة : العقل والرأي والرزانة . الحجى : العقل . العاضه : الكاذب . المتوثب : المعتدي

تُضَافِرُني فيكَ الصَّوَارِمُ وَالقَنَا ، وَيَصْحَبُني مِنكَ العُذَيقُ المُرَجَّبُ[1]
نصَحتُ وَبعضُ النّصْحِ في الناسِ هُجنةٌ وَبَعضُ التّناجي بالعِتَابِ تَعَتُّبُ[2]
فإنْ أنْتَ لَمْ تُعطِ النّصيحَةَ حقّها فَرُبّ جَمُوحٍ كَلّ عَنهُ المُؤنِّبُ
سَقَى اللهُ أرْضاً جاوَرَ القَطرُ رَوْضَها إذِ المُزْنُ تَسقي وَالأباطحُ تَشْرَبُ
ذكَرْتُ بهَا عَصرَ الشّبابِ ، فحسرَةٌ أفَدْتُ وَقد فاتَ الذي كنتُ أطلُبُ
سَكَنْتُكِ ، وَالأيّامُ بيضٌ كأنّها مِنَ الطِّيبِ في أثْوَابِنَا تَتَقَلّبُ
وَيُعجِبُني مِنْكِ النّسيمُ إذا هَفَا ، ألا كلّ ما سرّى عنِ القَلبِ مُعجِبُ
وَفي الوَطَنِ المَألُوفِ للنّفْسِ لَذّةٌ ، وَإنْ لَمْ يُنِلْنا العِزَّ إلاّ التّقَلّبُ
وَبَرْقٍ رَقيقِ الطُّرّتَينِ لحَظْتُهُ ، إذِ الجَوّ خَوّارُ المَصَابيحِ أكْهَبُ[3]
فَمَرّ كَمَا مَرّتْ ذوَائِبُ عُشْوَةٍ ، تُقَادُ بِأطْرَافِ الرّمَاحِ وَتُجنَبُ[4]
نَظَرْتُ وَألحَاظُ النّجُومِ كَليلَةٌ ، وَهَيهَاتَ دونَ البَرْقِ شأوٌ مُغَرِّبُ
فَمَا اللّيْلُ إلاّ فَحْمَةٌ مُستَشَفّةٌ ؛ وَمَا البَرْقُ إلاّ جَمْرَةٌ تَتَلَهّبُ[5]
أمِنْ بَعْدِ أنْ أجلَلْتَها وَرَقَ الدّجى سِراعاً ، وَأغصَانُ الأزِمّةِ تُجذَبُ
وَعُدْنَا بِهَا مَمْغُوطَةً بِنُسُوعِهَا ، كما صَافَحَ الأرْضَ السّرَاءُ المُعَبَّبُ[6]

١ العذيق : مصغر عذق ، النخلة بحملها . المرجب: من الترجيب وهو ارفادها من جانب لتمنع من السقوط ، وأراد أنه تصحبه عشيرة قوية .
٢ التعتب ، من تعتبه : خاطبه الإدلال .
٣ الطرتين ، الواحدة طرة : الطريقة من السحاب . الأكهب : فيه غبرة مشربة سواداً .
٤ العشوة : الشعلة من النار ترى ليلا من بعيد وتقصد .
٥ مستشفة : منشورة . وفي الديوان مستشفة : جافة .
٦ السراء : شجر . المعبب : الطويل .

كَـأَنَّ تَـرَاجِيعَ الحُدَاةِ وَرَاءَهَـا صَفِيرٌ تَعاطَاهُ اليَرَاعُ المُثَقَّبُ
وَرَدْنَ بِهَا مَاءَ الظّلامِ سَوَاغِباً ، وَللّيلِ جَوٌّ بالدّرَارِيّ مُعْشِبُ
تُنَفِّرُ ذَوْدَ الطّيرِ عَنْ وُكَرَاتِهَا ، فَكُلٌّ ، إذا لاقَيْتَهُ ، مُتَغَرِّبُ
وَتَلْتَذّ رَشْفَ المَاءِ رَنْقاً ، كَأنّهُ مَعَ العِزّ ثَغْرٌ بَارِدُ الظَّلْمِ أشْنَبُ
أذَعْنا لَهُ سِرّ الكَرَى مِنْ عُيُونِنَا ، وَسِرُّ العُلَى بَيْنَ الجَوَانِحِ يُحجَبُ
حَرَامٌ عَلى المَجْدِ ابْتِسامي لِقُرْبِهِ ، وَمَا هَزّني فيهِ العَنَاءُ المُقَطِّبُ
تَهُرّ ظُنُوني في المَآرِبِ إرْبَةٌ ، وَيَجنُبُ عَزْمي في المَطالِبِ مَطْلَبُ[1]
وَدَهمَاءَ مِنْ لَيلِ التّمامِ قَطَعتُها أُغَنّي حِداءً ، وَالمَرَاسِيلُ تَطرَبُ[2]
وَلَوْ شِئْتُ غَنّتْنِي الحَمامُ عَشِيّةً ، وَلَكِنّني مِنْ مَاءِ عَيْنيَ أشرَبُ
أقولُ إذا خاضَ السّميرانِ في الدّجى أحَاديثَ تَبدُو طَالِعَاتٍ وَتَغْرُبُ
ألا غَنّيَاني بالحَديثِ ، فإنّني رَأيْتُ ألَذّ القَوْلِ مَا كانَ يُطرِبُ
غناءً ، إذا خاضَ المَسامعَ لمْ يَكُنْ أميناً عَلى جِلْبَابِهِ المُتَجَلْبِبُ
وَنَشوَانَ مِنْ خمرِ النعاسِ ذَعَرْتُهُ ، وَطَيفُ الكَرَى في العينِ يطفو وَيرْسُبُ
لَهُ مُقْلَةٌ يَستَنْزِلُ النّوْمُ جَفنَها إلَيْهِ كَمَا استَرْخى على النّجمِ هيدبُ
سَلَكتُ فِجاجَ الأرْضِ غُفلاً وَمَعلماً تَجدّ بهَا أيْدي المَطَايَا وَتَلْعَبُ[3]
وَمَا شَهْوَتي لَوْمَ الرّفيقِ ، وَإنّمَا كما يَلتقي في السّيرِ ظِلفٌ وَمِخلَبُ

١ تهر : تكره . الإربة : الدهاء . يجنب : يقود .
٢ المراسيل : النياق السهلة السير ، الواحدة مرسال .
٣ الغفل : ما لا علامة فيه من الطرق . المعلم : ما يستدل به على الطريق .

عَجِبْتُ لغَيْرِي كَيفَ سَايَرَ نجمَها، وَسَيرِيَ فيها، يا ابنَةَ القَوْمِ، أعجَبُ
أسيرُ وَسَرْجي بالنّجَادِ مُقَلَّدٌ ، وَأثْوِي وَبَيْتي بالعَوَالي مُطَنَّبُ
وَمَصْقُولَةِ الأعطافِ في جَنَباتِهَا مِرَاحٌ لأطْرَافِ العَوَالي وَمَلْعَبُ
تَجرُّ عَلى مَتْنِ الطّرِيقِ عَجَاجَةً ، يُطارِحُها قَرْنٌ من الشّمسِ أعضَبُ
نَهَارٌ بِلألاءِ السّيُوفِ مُفَضَّضٌ ؛ وَجَوٌّ بحَمْرَاءِ الأنَابيبِ مُذْهَبُ
تَرَى اليَوْمَ مُحمَرَّ الحَوَافي ، كأنّما عَلى الجَوّ غَرْبٌ مِنْ دَمٍ يَتَصَبّبُ[1]
صَدَمنا بها الأعداءَ، وَاللّيلُ ضَارِبٌ بأرْوَاقِهِ جَوْنُ المِلاطَينِ أخطَبُ[2]
أخَذْنَا عَلَيْهِمْ بالصّوَارِمِ وَالقَنَا ، وَرَاعي نُجُومِ اللّيلِ حَيرَانُ مُغرِبُ[3]
فَلَوْ كانَ أمراً ثابِتاً عَقَلُوا لَهُ ، وَلَكِنّهُ الأمْرُ الذي لا يُجَرَّبُ
يُرَاعُونَ إسْفَارَ الصّبَاحِ ، وَإنّمَا وَرَاءَ لِثَامِ اللّيْلِ يَوْمٌ عَصَبْصَبُ
وَكلٌّ ثَقيلِ الصّدرِ مِنْ جَلَبِ القَنا خَفيفِ الشّوَى وَالمَوْتُ عجلانُ مُقرِبُ
يجُمّ ، إذا ما استَرْعَفَ الكَرُّ جُهدَهُ، كَمَا جَمّتِ الغُدرَانُ وَالمَاءُ يَنضُبُ[4]
وَمَا الخَيلُ إلاّ كالقِداحِ نُجيلُهَا لِغُنْمٍ ، فَإمّا فَائِزٌ أوْ مُخَيَّبُ
دَعُوا شَرَفَ الأحسابِ يا آلَ ظَالِمٍ ، فلا المَاءُ مَوْرُودٌ ، وَلا التُّرْبُ طيّبُ
لَئِنْ كُنْتُمُ في آلِ فِهْرٍ كَوَاكِباً إذا غاضَ منها كوْكَبٌ فاضَ كَوكبُ

١ الحوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت . الغرب : الدلو العظيمة .
٢ ضارب بأرواقه : سادل ظلامه . الجون : الأسود . الملاطين : الجانبين . الأخطب : ما كان فيه غبرة ترهقها خضرة .
٣ المغرب : الآتي المغرب .
٤ يجم : يكثر . استرعف : استخرج ، من الرعاف وهو الدم يخرج من الأنف . ينضب : يغور .

فنَعَتي كَنَعتِ البَدرِ يُنسَبُ بَينَكُم جِهاراً، وَمَا كلّ الكَوَاكِبِ تُنسَبُ
صَحِبتُمْ خِضابَ الزّاعبيّاتِ ناصِلاً، وَمن عَلَقِ الأقرانِ ما لا يُخَضَّبُ[1]
أهَذّبُ في مَدْحِ اللّئَامِ خَوَاطِرِي فأصْدُقُ في حُسنِ المَعاني وَأكذِبُ
وَمَا المَدْحُ إلاّ في النّبيّ وَآلِهِ يُرَامُ، وَبَعضُ القَوْلِ ما يُتَجَنّبُ
وَأوْلى بِمَدْحي مَنْ أعِزُّ بفَخْرِهِ، وَلا يَشْكُرُ النّعمَاءَ إلاّ المُهَذَّبُ
أرَى الشّعْرَ فِيهِمْ باقِياً، وَكَأنّمَا تُحَلِّقُ بالأشْعارِ عَنقاءُ مُغرِبُ
وَقالوا: عَجيبٌ عُجبُ مثلي بنَفسِهِ، وَأينَ عَلى الأيّامِ مِثلُ أبي أبُ
لَعَمرُكَ ما أعْجِبْتُ إلاّ بمدحِهِمْ، وَيُحْسَبُ أنّي بالقَصائِدِ مُعجَبُ
أعِدّ لفَخرِي في المَقامِ مُحَمّداً، وَأدْعُو عَلِيّاً للعُلَى حينَ أرْكَبُ

نبي او وصي نبي

وقال رحمه الله من قصيدة قالها وله عشر سنين ثم هذبها وأسقط منها أشياء :

المَجدُ يَعلَمُ أنّ المَجدَ مِنْ أرَبي، وَلَوْ تَمادَيتُ في غَيٍّ وَفي لَعِبِ
إنّي لَمِنْ مَعشَرٍ إنْ جُمّعُوا لعُلًى تَفَرّقُوا عَنْ نَبيٍّ أوْ وَصِيّ نَبي

[1] الزاعبيات : الرماح .

إذا هَمَمتُ ففتّشْ عن شَبا هِمَمي		تَجِدْهُ في مُهَجاتِ الأنجُمِ الشُّهُبِ
وَإنْ عزَمْتُ فعزْمي يَستَحيلُ قذًى		تَدمى مَسالِكُهُ في أعيُنِ النُّوَبِ
وَمعركٍ صَافَحَتْ أيْدي الحِمَامِ بهِ		طُلى الرّجالِ على الخُرْصَانِ من كَثَبِ[1]
حلّتْ حبَاهَا المَنَايَا في كَتَائِبِهِ		بالضّرْبِ فاجتَثّتِ الأجسادَ بالقُضُبِ
تلاقتِ البيضُ في الأحشاءِ فاعتَنَقَتْ		وَالسّمْهَرِيِّ مِنَ المَاذِيّ وَاليَلَبِ[2]
بكَتْ على الأرْضِ دَمعاً مِنْ دِمائِهِمُ		فاستَعرَبَتْ من ثُغُورِ النَّورِ وَالعُشُبِ

صلاة الله تخفق كل يوم

قال رحمه الله يفتخر بأهل البيت
عليهم السلام ويذكر قبورهم ويتشوقها:

ألا للهِ بَادِرَةُ الطِّلابِ ،		وَعزْمٌ لا يُرَوَّعُ بِالعِتَابِ
وَكُلُّ مُشَمَّرِ البُرْدَيْنِ يَهوِي		هُوِيَّ المُصْلَتَاتِ إلى الرّقَابِ
أُعاتِبُهُ عَلى بُعْدِ التّنَائي ،		وَيَعْذُلُني عَلى قُرْبِ الإيَابِ
رَأيْتُ العَجزَ يَخْضَعُ للّيَالي ،		وَيَرْضَى عَنْ نَوَائِبِها الغِضَابِ
وَلَوْلا صَوْلَةُ الأيّام دُوني ،		هَجَمْتُ على العُلى من كلّ بابِ

١ الطلى : الأعناق . الخرصان : قنا الرماح .
٢ الماذي : الدرع اللينة . اليلب : الدروع من الجلود

وَمِنْ شِيَمِ الفَتَى العَرَبِيّ فِينَا ، وِصَالُ البِيضِ وَالخَيلِ العِرَابِ
لَهُ كِذْبُ الوَعِيدِ مِنَ الأعادي، وَمِنْ عاداتِهِ صِدْقُ الضّرَابِ
سَأُدّرِعُ الصّوَارِمَ وَالعَوَالي ، وَمَا عُرّيتُ مِنْ خِلَعِ الشّبابِ
وَأشتَمِلُ الدّجَى وَالرّكبُ يَمضِي مَضَاءَ السّيْفِ شَذّ عَنِ القِرَابِ
وكَمْ لَيلٍ عبَأتُ لهُ المَطَايَا ، وَنَارُ الحَيّ حَائِرَةُ الشّهَابِ
لَقِيتُ الأرْضَ شَاحِبَةَ المُحَيّا تَلاعَبُ بالضّرَاغِمِ وَالذّئَابِ
فَزِعتُ إلى الشّحُوبِ وكنتُ طَلقاً، كمَا فَزِعَ المَشيبُ إلى الخِضَابِ
وَلَمْ نَرَ مِثْلَ مُبْيَضّ النّوَاحي تُعَذّبُهُ بِمُسْوَدّ الإهَابِ[1]
أبِيتُ مُضَاجِعاً أمَلي ، وَإنّي أرَى الآمَالَ أشْقَى للرّكَابِ
إذا مَا اليَأسُ خَيّبَنَا رَجَوْنَا ، فَشَجّعَنَا الرّجَاءُ عَلى الطِّلابِ
أقُولُ إذا استَطَارَ مِنَ السّوَارِي زَفُونُ القَطْرِ رَقّاصُ الحَبَابِ[2]
كَأنّ الجَوّ غَصّ بهِ ، فَأوْمَى لِيَقذِفَهُ عَلى قِمَمِ الشّعَابِ
جَدِيرٌ أنْ تُصَافِحَهُ الفَيَافي ، وَيَسحَبَ فَوْقَها عَذَبَ الرّبَابِ
إذا هَتَمَ التّلاعَ رَأيْتَ مِنْهُ رُضَاباً في ثَنِيّاتِ الهِضَابِ
سَقَى اللهُ المَدِينَةَ مِنْ مَحَلٍّ ، لُبَابَ المَاءِ وَالنُّطَفِ العِذابِ
وَجَادَ عَلى البَقيعِ وَسَاكِنِيهِ رَخِيُّ الذّيْلِ مَلآنُ الوِطَابِ[3]

١ مبيض النواحي : الشائب . ولعله أراد بمسود الإهاب : الخضاب .
٢ الزفون ، من الزفن : الرقص . القطر : المطر .
٣ البقيع : موضع في المدينة .

وَأعْلام الغَرِيّ ، وَمَا اسْتَبَاحَتْ مَعَالِمُها مِنَ الحَسَبِ اللُّبَابِ[1]
وَقَبْراً بالطُّفُوفِ يَضُمُّ شِلْواً ، قَضَى ظَمَأً إلى بَرْدِ الشَّرَابِ[2]
وَسَامَرّا ، وبَغداداً ، وَطُوساً ، هَطُولَ الوَدْقِ مُنْخَرِقَ العُبَابِ
قُبُورٌ تَنطُفُ العَبَرَاتُ فيها ، كمَا نَطَفَ الصَّبِيرُ علَى الرَّوَابي[3]
فلَوْ بَخِلَ السّحَابُ علَى ثَرَاهَا لَذابَتْ فَوْقَهَا قِطَعُ السّرَابِ
سَقَاكَ فكَمْ ظَمِئتُ إلَيكَ شوْقاً علَى عُدَوَاءِ دارِي وَاقترَابي
تَجَافَي يا جَنُوبَ الرّيحِ عَنّي ، وَصُوني فَضْلَ بُرْدِكِ عن جَنابي
ولا تَسري إليّ مَعَ اللّيَالي ، وَما استَحقَبْتُ من ذاكَ التّرَابِ
قَليلٌ أنْ تُقَادَ لَهُ الغَوَادي ، وَتُنحَرَ فيهِ أعنَاقُ السّحَابِ
أمَا شَرِقَ التّرَابُ بِسَاكِنِيهِ فيلفظَهُمْ إلى النِّعَمِ الرّغَابِ
فكَمْ غدتِ الضّغائنُ وَهيَ سكرَى تُديرُ علَيهِمُ كَأسَ المُصَابِ
صَلاةُ اللهِ تَخفُقُ كُلّ يَوْمٍ علَى تِلْكَ المَعَالِمِ وَالقِبَابِ
وَإنّي لا أزَالُ أكُرّ عَزْمي ، وَإنْ قَلّتْ مُسَاعَدَةُ الصّحَابِ
وَأخْتَرِقُ الرّيَاحَ إلى نَسيمٍ ، تَطَلّعَ مِنْ تُرَابِ أبي تُرَابِ[4]
بوَدّي أنْ تُطَاوِعَني اللّيَالي ، وَيَنْشَبَ في المُنى ظِفرِي وَنَابي

١ الغري ، واحد الغريين : بناءين مشهورين بالكوفة . استباحت : استأصلت .
٢ الطفوف ، الواحد طف الفرات : شاطئه ، وما ارتفع من جانبه . الشلو : الجسد . وأراد به جسد الحسين .
٣ تنطف : تسيل . الصبير : السحاب .
٤ أبو تراب : كنية الإمام علي كناه بها النبي .

فأرْمي العِيسَ نَحوكُمُ سِهَاماً ، تَغَلْغَلُ بَينَ أحْشَاءِ الرَّوَابي
تَرَامَى باللُّغَامِ عَلَى طُلاهَا ، كَمَا انْحَدَرَ الغُثَاءُ عَنِ العِقَابِ[1]
وَأجنُبُ بَينَها خُرُقَ المَذاكي ، فأملي باللُّغَامِ عَلَى اللُّغَابِ[2]
لَعَلّي أنْ أبُلّ بِكُمْ غَليلاً تَغَلْغَلَ بَينَ قَلبي وَالحِجَابِ
فَمَا لُقْيَاكُمُ إلاّ دَليلٌ عَلَى كَنْزِ الغَنيمَةِ وَالثّوَابِ
وَلي قَبْرَانِ بالزّوْرَاءِ أشْفي بِقُرْبِهِمَا نِزَاعي وَاكْتِئَابي
أقُودُ إلَيهِمَا نَفْسِي وَأهْدِي سَلاماً لا يَحِيدُ عَنِ الجَوَابِ
لِقَاؤهُمَا يُطَهّرُ مِنْ جَنَاني ، وَيَدْرَأُ عَنْ رِدائي كلّ عَابِ
قَسيمُ النّارِ جَدّي يَوْمَ يُلْقَى بهِ بَابُ النّجَاةِ مِنَ العَذابِ[3]
وَسَاقي الخَلْقِ وَالمُهَجاتُ حرّى ، وَفَاتِحَةُ الصّرَاطِ إلى الحِسَابِ
وَمَنْ سَمَحَتْ بخَاتَمِهِ يَمِينٌ تَضَنّ بكُلّ عَالِيَةِ الكِعَابِ
أمَا في بَابِ خَيبَرَ مُعْجِزَاتٌ تُصَدِّقُ ، أوْ مُنَاجَاةُ الحِبَابِ
أرَادَتْ كَيْدَهُ ، وَاللهُ يَأبَى ، فَجَاءَ النّصْرُ مِنْ قِبَلِ الغُرَابِ
أهَذا البَدْرُ يُكْسَفُ بالدّيَاجي ، وَهذي الشمسُ تُطمَسُ بالضِّبابِ

١ اللغام : زبد أفواه الإبل . طلاها : أعناقها . الغثاء : البالي من أوراق الشجر يخالطه زبد السيل . العقاب ، الواحدة عقبة : المرتقى الصعب من الجبال .
٢ أجنب : أقود . الخرق ، الواحد أخرق : الأحمق . المذاكي ، الواحد مذكي : وهو من الخيل ما تم سنه وكملت قوته . أملي ، من أملى البعير : أرخى له ووسع في قيده . اللغاب : السهم لم يحسن بريه . وفي البيت غموض .
٣ قسيم النار : الإمام علي، مأخوذ من قوله : أنا قسيم النار ، أي أن من أحبني دخل الجنة ومن أبغضني دخل النار .

وَكانَ إذا استَطالَ عَليهِ جَانٍ ، يَرَى تَرْكَ العِقَابِ منَ العِقَابِ
أرَى شَعْبَانَ يُذْكِرُني اشْتِياقي ، فَمَنْ لي أنْ يُذَكِّرَكُمْ ثَوَابي
بكُمْ في الشِّعرِ فَخرِي لا بشِعرِي ، وَعَنكُمْ طَالَ بَاعي في الخِطابِ
أُجَلّ عَنِ القَبَائِحِ غَيرَ أنّي لَكُمْ أرْمي وَأُرْمَى بالسِّبَابِ
فَأجْهَرُ بالوَلاءِ ، وَلا أُوَرّي ، وَأنْطِقُ بالبَرَاءِ ، وَلا أُحابي
وَمَنْ أوْلَى بِكُمْ مِنّي وَلِيّاً ، وَفي أيْدِيكُمُ طَرَفُ انْتِسَابي
مُحِبُّكُمُ وَلَوْ بُغِضَتْ حياتي ، وَزَائِرُكُمْ وَلَوْ عُقِرَتْ رِكَابي
تُبَاعِدُ بَيْنَنَا غِيَرُ اللّيَالي ، وَمَرْجِعُنَا إلى النّسَبِ القُرَابِ

نعيب ولا نعاب

قال يفتخر :

إنّا نَعيبُ ، وَلا نُعَــابُ ، وَنُصِيبُ مِنكَ ، وَلا نُصَابُ
آلُ النّبيّ ، وَمَنْ تَقَلّبَ في حُجُورِهِمُ الكِتَابُ
خُلِقَتْ لَهُمْ سُمرُ القَنَا ، وَالبِيضُ وَالخَيْلُ العِرَابُ
فَاقْنَي حَيَاءَكِ ، إنّمَا الأيّامُ غُنْمٌ ، أوْ نِهَابُ
مَنْ لَذّ وِرْدَ المَوْتِ لا يَصْفُو لَهُ أبَداً شَرَابُ

وَتَطرّفي حَيْثُ السّمَا حُ الغَمْرُ وَالحَسَبُ اللُّبَابُ[1]
في حَيْثُ للرّاجي الثّوَا بُ نَدًى ، وَللجَاني العِقَابُ
قَوْمٌ ، إذا غَمَزَ الزّمَا نُ قَنيّهُمْ كَرُمُوا وَطَابُوا
وَإذا دَعَوْا ، وَالخَيْلُ في الإجْفَالِ ، ثَابُوا ، أوْ أجَابُوا
أبَني عَدِيٍّ ! إنّمَا سَالَتْ بخَيْلِكُمُ الشِّعَابُ
وَشَرُفْتُمُ بالطّعْنِ ، وَالدّنْيَا ضِرَامٌ ، أوْ ضِرَابُ
مَا كُنْتُمُ إلاّ البُحُو رَ تَوَالَغَتْ فيهَا الذّئَابُ
وَقَرَعتُمُ بِالبِيضِ ، حَتّى ضَاعَ في اللِّمَمِ الشّبَابُ
وَاليَوْمَ تُستَلّ السّيُو فُ بِهِ وَتَنْسَلّ الرّقَابُ
كَتَمَتْ دِمَاءَكُمُ الظُّبَى ، كالشَّيبِ يَكْتُمُهُ الخِضَابُ
فَتَنَازَعُوا شَمَطَ الظّلا مِ ، فخَلّفَهُ الأُسْدُ الغِضَابُ[2]
وَتَعَلّمُوا أنّ الصّبَا حَ ضُبَارِمٌ ، وَاللّيلَ غَابُ[3]
لا صُلْحَ حَتّى تَطْمَئِنّ إلى مَنَاسِمِهَا الرّكَابُ
وَيَعُودَ وَجْهُ الشّمْسِ لا نَقْعٌ عَلَيْهِ ، وَلا ضَبَابُ
حَتّى تَشَبّثَ بالظُّبَى الأغْمَادُ ، وَالجُرْدُ الرّحَابُ
وَتُمَدّ أطْنَابُ البُيُو تِ ، وَتُضْمِرَ القَوْمَ القِبَابُ

١ تطرفي : مجاوزتي حد الاعتدال ، أو أخذي الشيء من أطرافه ، أو إغارتي ، وفي الديوان : شرح تطر من فعل طر الماشية : ساقها سوقاً شديداً .
٢ شمط الظلام : اختلاطه بالضياء .
٣ الضبارم : الأسد .

وَتَرَدَّفُ الأَدْرَاعُ مُشْ ـ ـرَجَةً ، عَلَيْهِنَّ العِيَابُ[1]
وَتَرَى الرُّبَى وَالرَّوْضَ يُنْ ـ ـشَرُ مِنْ مَطَارِفِهَا السَّحَابُ
مَا كَانَ فَضَّضَهُ فَضِيـ ـضُ الطَّلِّ أَذْهَبَهُ الذِّهَابُ[2]
كَانَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ يَكْ ـ ـتُمُهَا مِنَ النَّقْعِ الغَيَابُ
فَالآنَ أَصْحَرَ فِي السَّمَا ـ ـءِ البَدْرُ، وَانكَشَفَ النِّقَابُ[3]
وَعَلَتْ إِلى أَوْكَارِهَا العِقْ ـ ـبَانُ وَانْحَطَّ العُقَابُ[4]
عُودُوا إِلى ذَاكَ الغَدِيـ ـرِ ، وَقَلَّ مَا غَدَرَ الرُّبَابُ[5]
وَتَغَنَّمُوا تِلْكَ المَنَا ـ ـزِلَ ، وَهيَ آمِنَةٌ رِغَابُ
وَتَدَارَكُوا ذَوْدَ المَسَا ـ ـرِحِ ، وَهيَ بَيْنَكُمُ سِقَابُ
وَكَأَنَّ أَيَّامَ الهَوَى فِيكُمْ نَشَاوَى أَوْ طِرَابُ
مُتَمَنْطِقَاتٌ بِالحُلِيِّ ، وَفِي قَلائِدِهَا المَلابُ
إِنِّي عَلى لِينِ النَّقِيـ ـبَةِ لا أُعَابُ وَلا أُحَابُ[6]
مَا شُدَّ لِي يَوْماً عَلى ذُلٍّ وَلا طَمَعٍ حِقَابُ
مَنْ لِي بِغُرَّةِ صَاحِبٍ لا يَسْتَطِيلُ عَلَيْهِ عَابُ

١ تردفه : ركب خلفه . لعله أراد أن تردف ذوات الأدراع سبية ، والأدراع، الواحد درع: من ثياب النساء . المشرجة : المخيطة . العياب ، الواحدة عيبة : ما يوضع فيها الثياب .
٢ فضضه : نثره . الفضيض : الماء العذب . الذهاب ، الواحدة ذهبة : المطرة الضعيفة ، أو الجود .
٣ أصحر : ظهر .
٤ العقاب : الراية والرابية .
٥ الرباب : أحياء ضبة .
٦ أحاب ، من الحوبة : الاثم .

مَا حَارَبَ الأيّامَ إ ... لاّ كَانَ لي وَلَهُ الغِلابُ
وَلِكُلِّ قَوْلٍ سَامِعٌ ، ... وَلِكُلِّ داعِيَةٍ جَوَابُ
هَيْهَاتَ أطْلُبُ مَا يَطُو ... لُ بِهِ بِعَادٌ وَاقْتِرَابُ
قَلّ الصّحَابُ ، فَإنْ ظَفِرْ ... تَ بنِعْمَةٍ كَثُرَ الصّحَابُ
مَنْ لي بِهِ سَمْحاً ، إذا ... صَفِرَتْ مِنَ القَوْمِ الوِطَابُ
غَيْرَانَ دُونَ الجَارِ ، لا ... يَطْوِي عَزَايِمَهُ الحِجَابُ
يَسْتَعذِبُ المَوماةَ مَنْزِلَةً ... وَإنْ بَعُدَ الإيَابُ[1]
رَقّتْ حَوَاشِي بَيْتِهِ ، ... مِمّا يُلاطِمُهَا السّرَابُ
لا يَسْتَقِلّ بِرَحْلِهِ ، ... إلاّ الذّوَائِبُ وَالهِضَابُ
تَهْفُو بِكَفّيْهِ الصّوَا ... رِمُ ، أوْ تَسِيلُ بِهَا الكِعَابُ
جَذْلانُ يَلْتَقِطُ النّسِيـ ... مَ ، إذا تَسَاقَطَتِ الثّيَابُ
يُنْمَى إلَيْهِ الشِّيحُ ، وَالْـ ... حَوْذانُ وَالإبِلُ الجِرَابُ
وَكَأنّ غُرّتَهُ ، وَرَاءَ لِـ ... ثَامِ لَيْلَتِهِ ، شِهَابُ
مَنْ لي بِهِ ، يا دَهْرُ ، وَالأ ... يّامُ كَالِحَةٌ غِضَابُ
إنّ الصّدِيقَ مُشَيَّعٌ ، ... إنْ جَلّ خَطْبٌ أوْ خِطَابُ
وَيَجُودُ عَنْكَ بِنَفْسِهِ ، ... وَالحَرْبُ تَقْرَعُهَا الحِرَابُ
وَأخٍ حُرِمْتُ الوِدّ مِنْـ ... هُ ، وَبَيْنَنَا نَسَبٌ قُرَابُ
نَازَعْتُهُ ثَدْيَ الرّضَاعِ ، ... وَمَا يَلَذّ لَنَا الشّرَابُ

١ الموماة : المفازة .

يَا سَعْدُ ! أعْظَمُ مِحْنَةً مَنْ لا يُرَوّعُهُ العِتَابُ
يَجْنِي عَلَى جِيرَانِهِ ، حَتّى يُعَاقِبَهُ السِّبَابُ
حَسْبِي مِنَ الأيّامِ أنْ أبْقَى ، وَيُسْعِدُنِي الطُّلّابُ

يا جنتي ان رماني الزمان

قال رحمه الله وهي قصيدة متشعبة الأغراض والفنون :

دَوَامُ الهَوَى في ضَمانِ الشّبَابِ، وَمَا الحُبّ إلاّ زَمَانُ التّصَابي
أحِينَ فَشَا الشّيْبُ في شَعرِهِ ، وَكَتّمَ أوْضَاحَهُ بالخِضَابِ
تَرُوعِينَ أوْقَاتَهُ بالصّدُودِ ، وَتَرْمِينَ أيّامَهُ بِالسِّبَابِ
تَخَطّى المَشيبُ إلى رَأسِهِ ، وَقَدْ كانَ أعلى قِبَابِ الشّبَابِ
كَذاكَ الرّيَاحُ إذا استَلأمَتْ تَقَصّفَ أعْلى الغُصُونِ الرّطَابِ[1]
مَشيبٌ كَمَا استُلّ صَدْرُ الحُسَا مِ ، لمْ يَرْوَ مِنْ لبثِهِ في القِرَابِ
نُضِي ، فاستَبَاحَ حِمَى المُلهياتِ، وَرَاعَ الغَوَاني بِظِفْرٍ وَنَابِ
وَألوَى بِجِدّةِ أيّامِهِ ، فَأصْبَحَ مَقْذًى لعَينِ الكَعَابِ[2]

١ قوله : استلأمت ، هكذا في الأصل ، وسياق الكلام يدل على أن المراد اشتدت
٢ المقذى : ما تقذى منه العين . الكعاب : الجارية .

مِنْهُ مَجَالَ السِّوَارِ إذا مَا بَدَا وَمَنَاطَ النِّقَابِ
وَكَانَ ، إذا شَرَدَتْ نِيَّةٌ ، يَرُدّ رِقَابَ الخُطُوبِ الغِضَابِ
وَكُنْتُ أُرَقْرِقُ مَاءَ الوِصَالِ ، وَبَحْرُ الشَّبِيبَةِ طَاغِي العُبَابِ
وَكَأسِي مُعَوَّدَةٌ بِالسَّمَاعِ تَرْكُضُ بَيْنَ القُلُوبِ الطِّرَابِ
إذا نُصِفَتْ فَهْيَ فِي مِئْزَرٍ ، وَتَبْرُزُ إنْ أُتْرِعَتْ فِي نِقَابِ
سَمَائِي مُذَهَّبَةٌ بِالبُرُوقِ ؛ وَأرْضِي مُفَضَّضَةٌ بِالحَبَابِ
وَرَوْضِي مَطَارِفُهُ غَضّةٌ ، تُطَرِّزُ أطْرَافَهَا بِالذَّهَابِ
وَلَيْلٌ تَرَى الفَجْرَ فِي عِطْفِهِ ، كَمَا شَابَ بَعضُ جَنَاحِ الغُرَابِ
يَغَارُ الظّلامُ عَلَى شَمْسِهِ ، إلى أنْ يُوَارِيَهَا بِالحِجَابِ
وَتَصْقُلُ أنْجُمَهُ العَاصِفَاتُ ، إذا صَدِيَتْ من غُمُودِ السَّحابِ
وَبَرْقٌ يُنَفِّضُ أطْرَافَهُ ، كَمَا رَمَحَتْ بُلْقُ خَيْلٍ عِرَابِ
وَمَاءٌ يُضَارِعُ خَيْطَ السِّقَاءِ ، وَيُرْمَى بِهِ فِي وُجُوهِ الشِّعَابِ
تُزَعْزِعُ رِيحُ الصَّبَا مَتْنَهُ ، كَمَا لَطَمَ المَزْجُ خَدَّ الشَّرَابِ
وَذَوْدٌ يُغَادِرُ وَجْهَ الصَّعِيدِ مِـ نْ حِلّةِ العُشْبِ عَارِي الإهَابِ
فَمَا تَطْلُبُ البِيدُ مِنْ سَاهِمٍ يُثِيرُ عَلَيْهَا رِقَابَ الرِّكَابِ[1]
يُسَاعِدُهَا فِي احتِمَالِ الصَّدَى ، وَيَشْرَكُهَا فِي وُرُودِ السَّرَابِ
يُذَكِّرُهُ أخْذَ أوْتَارِهِ ، صَهِيلُ السَّوَابِقِ حَوْلَ القِبَابِ

[1] الساهم : المهزول .

دَفَعْنَ بِخَضْخَضَةٍ للمزَادِ ، نَجَاءً ، وَخَشخَشَةٍ للعيَابِ[1]
لَبَلّ أنَابيبَهُ بِالطّعَانِ ، وَأنْحَلَ أسْيَافَهُ بالضّرَابِ
يَبِيتُ وَثَوْبُ الدّجَى شَاحِبٌ ، طَمُوحَ المَعالِمِ سامي الشّهَابِ
وَمَا كُنتُ أجرِي إلى غَايَةٍ فَأسألَها : أينَ وَجْهُ الإيَابِ ؟
إذا استَنْهَضَتْ هِمَمي عَزْمَةٌ عَصَفْتُ بأيدي المَطِيّ العِرَابِ
تَحَرّيْتُ أعْجَازَهَا بِالسّيَاطِ ، فَخَاضَتْ صُدُورَ الأمُورِ الصّعابِ
فَكَمْ قائِفٍ قَدْ هَدَتْ لحظَهُ بُدُورٌ مَنَاسِمُهَا في التّرَابِ[2]
إذا مَاتَ في وَخْدِهِنّ المَدَى لَطَمْنَ خُدُودَ الرّبَى وَالرّحابِ
فِداؤكَ نَفْسِيَ يَا مَنْ لَهُ مِنَ القَلْبِ رَبْعٌ مَنِيعُ الجَنَابِ
فَلَوْلاكَ مَا عَاقَ قَلْبي الهَوَى، وَعَزّ عَلى كُلّ شَوْقٍ طِلابي
إذا مَا صَدَدْتَ دَعَاني الهَوَى ، فَمِلْتُ إلى خُدُعَاتِ العِتَابِ
فَيَا جُنّتي إنْ رَمَاني الزّمَانُ ؛ وَيَا صَاحِبي إنْ جَفَاني صِحَابي
دَفَعْتُ بِكَفّي زِمَامي إلَيْكَ ، وَقَدْ كنتُ أُبْطي عَلى مَن حدا بي
فَلا تَحْسَبَنّي ذَلِيلَ القِيَادِ ، فَإنّي أبيّ عَلى كُلّ آبي
وَسَاعٍ إلى الوُدّ شَبّهْتُهُ ، وَيَرْتَعُ مَعْ أهْلِهِ في جَنَابِ[3]
يُؤمِّنُ سَطْوَةَ لَيْثِ العَرِينِ ، وَمَضْجَعُهُ بَينَ غِيلٍ وَغَابِ

١ دفعن : أراد به رحلن ، مشين . نجاء : سراعاً
٢ القائف : من يقفو الآثار يتتبعها .
٣ شبهته : لبست عليه الأمر .

حَمَتْهُ مَذَلّتُهُ سَطْوَتي ، وَكَيْفَ يَنَالُ ذُباباً ذُبَابي[1]
وَمُلْتَثِمٍ قَالَ لي لَثْمُهُ : عَذابُ الهَوَى في الثّنَايا العِذابِ
نُعَاقِرُ بالضّمّ كَأسَ العِنَاقِ ، وَنَسْفِكُ بِاللّثْمِ خَمْرَ الرُّضَابِ
عِنَاقٌ كَمَا ارْتَجّ مَاءُ الغَديرِ ، وَلَثْمٌ كَمَا اسْتَنّ وَلْغُ الذّئَابِ
غَدَوْنَا عَلى صَهَوَاتِ الخُطُوبِ جَوَادَيْ رِهَانٍ وَسَيْفَيْ قِرَابِ
صَقيلَيْنِ تَستَلّنَا النّائِبَاتُ ، فَتُثْلَمُ فيهِنّ ، وَالدّهرُ نَابِ
وَغُصْنَيْنِ يَلعَبُ فِينَا النّسيمُ ، وَتَنْطِفُ عَنّا نِطَافُ الرَّبَابِ
وَنَجْمَينِ يَقْصُرُ عَنْ نَيْلِنَا مِنَ الطّالعاتِ الذُّرَى وَالرّوَابي
وَكُنّا ، إذا مَسّنَا حَادِثٌ نُقَلّمُ بالصّبْرِ ظِفْرَ المُصَابِ
إلَيكَ تَخَطّتْ فُرُوجَ القُلُوبِ بِكْرٌ مِنَ الآنِسَاتِ العِرَابِ
أُشَبّبُ فيها بِذِكْرِ المَشيبِ ، وَمَا استَيأسَتْ لِمّتي مِنْ شَبَابي

أغدراً يا زمان !

قال يفتخر

أغَدْراً يا زَمَانُ وَيا شَبَابُ ، أُصَابُ بذا ، لقَد عَظُمَ المُصَابُ
وَمَا جزَعي لأنْ غرَبَ التّصَابي ، وَحَلّقَ عَنْ مَفَارِقيَ الغُرَابُ

---

[1] الذباب : حد السيف ، والشر الدائم .

فَقَبْلَ الشَّيْبِ أسْلَفْتُ الغَوَاني قِلًى ، وَأمَالَني عَنْهَا اجْتِنَابُ
عفَفْتُ عنِ الحِسانِ ، فلَم يرُعني المَشيبُ ، وَلَمْ يُنَزِّقْني الشَّبَابُ
تُجَاذِبُني يَدُ الأيّامِ نَفْسِي ، وَيُوشِكُ أن يكُونَ لهَا الغِلابُ
وَتَغدُرُ بي الأقارِبُ وَالأداني ، فَلا عَجَبٌ ، إذا غَدَرَ الصِّحابُ
نهَضْتُ،وَقَدْ قَعَدْنَ بيَ اللّيالي، فَلا خَيْلٌ أعَنّ ، وَلا رِكَابُ
وَما ذَنبي إذا اتّفَقَتْ خُطُوبٌ مُغَالِبَةٌ ، وَأيّامٌ غِضَابُ
وَآمُلُ أنْ تَقي الأيّامُ نَفْسِي ، وَفي جَنْبي لهَا ظِفْرٌ وَنَابُ
فَمَا لي وَالمُقَام عَلى رِجَالٍ دَعَتْ بهِمُ المَطامعُ ، فاستَجابُوا
وَلَمْ أرَ كالرّجَاءِ اليَوْمَ شَيْئاً ، تَذِلّ لَهُ الجَماجِمُ وَالرّقَابُ
وَكَانَ الغَبْنُ لَوْ ذَلّوا وَنَالُوا ، فكَيْفَ إذاً وَقَدْ ذَلّوا وَخَابُوا
يُرِيدُونَ الغِنَى ، وَالفَقْرُ خَيْرٌ، إذا مَا الذّلّ أعْقَبَهُ الطِّلابُ
وَبَعْضُ العُدْمِ مَأثَرَةٌ وَفَخْرٌ؛ وَبَعض المَالِ مَنقَصَةٌ وَعَابُ
بنَاني وَالعِنَانُ ، إذا نَبَتْ بي رُبَى أرْضٍ وَرَحْلي وَالرِّكَابُ
وَسَابِغَةٌ كَأنّ السَّرْدَ فيهَا زُلالُ المَاءِ لَمّعَهُ الحَبَابُ
مِنَ اللاّئي يُمَاطُ العَيْبُ عَنْهَا إذا نُثِلَتْ لَدَى الرّوْعِ العِيابُ[1]
إذا ادَّرِعَتْ تَجَنّبَتِ المَوَاضِي مَعاجِمَها ، وَقَهقَهَتِ الكِعابُ[2]
وَمُشْرِفَةُ القَذالِ تَمُرّ رَهْواً ، كمَا عَسَلَتْ على القاعِ الذّئَابُ[3]

---

١ نثلت : أخرجت .
٢ الكعاب : أي كعاب الرماح .
٣ المشرفة : المرتفعة. القذال: مؤخر الرأس . الرهو: السير السهل. عسلت: اضطربت في مشيها.

مَجَلّيَةٌ تَشُقّ بِهَا يَدَاهَا ، كمَا جَلّى لِغَايَتِهِ العُقَابُ[1]
وَمَرْقَبَةٍ رَبَأْتُ عَلى ذُرَاهَا ، ولِلّيْلِ انْجِفَالٌ وَانْجِيَابُ[2]
بِقُرْبِ النّجْمِ عالِيَةِ الهَوَادي ، يَبِيتُ عَلى مَنَاكِبِهَا السّحَابُ
إلى أنْ لَوّحَ الصّبْحُ انْفِتَاقاً ، كمَا جُلّي عَنِ العَضْبِ القِرَابُ
وَقَدْ عَرَفَتْ تَوَقُّليَ المَعَالي ، كمَا عَرَفَتْ تَوَقُّليَ العِقَابُ
وَنَقْبِ ثَنِيّةٍ سَدّدْتُ فيهَا أصَمّ كَأنّ لَهْذَمَهُ شِهَابُ[3]
لأمْنَعَ جَانِباً وَأُفِيدَ عِزّاً ، وَعِزُّ المَرْءِ مَا عَزّ الجَنَابُ
إذا هَوْلٌ دَعَاكَ ، فَلا تَهَبْهُ ، فَلَمْ يَبْقَ الّذِينَ أبَوْا وَهَابُوا
كُلَيْبٌ عاقَصَتْهُ يَدٌ ، وَأوْدَى عُتَيْبَةُ يَوْمَ أقْعَصَهُ ذُؤابُ[4]
سَوَاءٌ مَنْ أقَلّ التُّرْبُ مِنّا ، وَمَنْ وَارَى مَعَالِمَهُ التّرَابُ
وَإنّ مُزَايِلَ العَيْشِ اختِصَاراً ، مُسَاوٍ للّذِينَ بَقُوا ، فَشابُوا
فَأوّلُنَا العَنَاءُ ، إذا طَلَعْنَا إلى الدّنْيَا ، وَآخرُنَا الذّهَابُ
إلى كَمْ ذا التّرَدّدُ في الأمَاني ، وَكَمْ يُلْوِي بنَاظِرِيَ السّرَابُ
وَلا نَقْعٌ يُثَارُ ، وَلا قَتَامٌ ، وَلا طَعْنٌ يُشَبّ ، وَلا ضِرَابُ
وَلا خَيْلٌ مُعَقَّدَةُ النّوَاصِي ، يَمُوجُ عَلى شَكَائِمِهَا اللُّعَابُ

١ المجلية : السابقة في الحلبة .
٢ المرقبة : مكان المراقبة . ربأت : علوت .
٣ الهذم : السنان الحاد القاطع .
٤ كليب بن ربيعة من تغلب ابنة وائل قتله جساس بن مرة . عتيبة بن الحارث أحد أبطال العرب أقعصه : قتله .

عَلَيها كلُّ مُلْتَهِبِ الحَوَاشِي ، يُصيبُ مِنَ العَدُوّ ولا يُصَابُ
أمَامَ مُجَلْجِلٍ كاللّيْلِ تَهوِي، أوَاخِرَهُ ، الجَمَايلُ وَالقِبَابُ[1]
وَأينَ يَحِيدُ عَنْ مُضَرٍ عَدُوٌّ ، إذا زَخَرَتْ وَعَبّ لهَا العُبَابُ
وَقد زَأدَتْ ضَرَاغِمُها الضّوَارِي، وَقَدْ هَدَرَتْ مَصَاعِبُها الصِّعابُ[2]
هُنَالِكَ لا قَرِيبَ يَرُدّ عَنّا ، وَلا نَسَبٌ يَنُطّ بِنَا قَرَابُ[3]
سَأخطُبُهَا بِحَدّ السّيْفِ فِعلاً إذا لمْ يُغْنِ قَوْلٌ ، أوْ خِطَابُ
وَآخُذُهَا ، وَإنْ رُغِمَتْ أُنُوفٌ مُغالَبَةً ، وَإنْ ذَلّتْ رِقَابُ
وَإنّ مُقَامَ مِثْلِي في الأعَادي ، مُقَامُ البَدْرِ تَنْبَحُهُ الكِلابُ
رَمَوْنِي بِالعُيُوبِ مُلَفَّقَاتٍ ، وَقَدْ عَلِمُوا بِأنّي لا أُعَابُ
وَإنّي لا تُدَنّسُنِي المَخَازِي ، وَإنّي لا يُرَوّعُنِي السِّبَابُ
وَلَمّا لَمْ يُلاقُوا فِيّ عَيْباً كَسَوْنِي مِنْ عُيُوبِهِمُ وَعَابُوا

١ تهوي : تسرع . الجمايل : جمع جمل .
٢ زأدت : أفزعت . مصاعبها : فحولها .
٣ ينط بنا : يشد بنا ، يمد بنا .

أبى الناس إلا النفاق

قال رحمه الله :

أثِرْهَا علَى مَا بِهَا مِنْ لَغَبْ ، يُقَلْقِلُ أغرَاضَهَا وَالحَقَبْ[١]
ولا تَرْقُبِ اليَوْمَ مَيْطَ الأذَى عَن اخْفَافِها وَانْدِماء الجُلَبْ[٢]
إلى أنْ تُعَجْعِجَهَا كَالحَنيّ ، تَجتَرّ بِالدّم لا بالعُشُبْ[٣]
عَلَيها أخامِصُ مِثلُ الصّقُورِ ، طِوَالُ الرّجَاءِ جِسَامُ الأرَبْ[٤]
وَكُلُّ فَتًى حَظُّ أجْفَانِهِ مِنَ الضّيْمِ مَضْمَضَةٌ تُستَلَبْ[٥]
فَبَيْنَا يُقَالُ كَرَى جَفْنُهُ بقِطْعٍ مِنَ اللّيلِ إذْ قيلَ : هَبّ
إذا وَقَعُوا بَعْدَ طُولِ الكَلالِ ، لَمْ يَغمِزُوا قَدَماً مِنْ تَعَبْ[٦]
وَلَمّا يَعَافُوا ، عَلَى عِزّهِمْ ، تَوَسُّدَ أعضَادِهَا وَالرّكَبْ
وَعَرّجْ عَلَى الغُرّ مِنْ هَاشِمٍ ، فَأهْدِ السّلامَ لَهُمْ مِنْ كَثَبْ
وَقُلْ لِبَني عَمّنَا الواجِدِين : بَني عَمّنا ، بعضَ هذا الغضَبْ[٧]

١ الأغراض ، الواحد غرض : هو للرحل كالحزام للسرج . الحقب : الحزام يلي حقو البعير .
٢ الميط : الإبعاد . اندماء : سيلان الدم . الجلب ، الواحدة جلبة : القشرة تعلو الجرح عند البرء
٣ تعجعجها : تجعلها تصوت . الحني ، الواحدة حنية : القوس .
٤ الأخامص : الضوامر البطون ، الواحد خميص .
٥ المضمضة : دبيب النعاس في العينين .
٦ الغمز : الظلع ، العرج .
٧ الواجدين : الغاضبين . وقوله بعض هذا الغضب أراد : قللوا غضبكم .

أمَا آنَ للرّاقِدِ المُستَمِرّ في ظُلَمِ الغَيّ أنْ يَستَهِبّ
سَرَحتُمْ سَفاهتَكُمْ في العُقوق وَلَمْ تَحفِلُوا الحِلْمَ لمّا غرَبْ
وَلمّا أرِنتُمْ إرَانَ الجَمُوحِ ، وَمَاجَ بِكُمْ حَبلُكُمْ وَاضْطَرَبْ
أقَمْنَا أنَابيبَكُمْ بالثِّقافِ ، وَداوَى الهِنَاءُ مِطَالَ الجَرَبْ
وَيَا رُبّمَا عَادَ سُوءُ العِقَابِ عَلى المُذْنِبِينَ بِحُسْنِ الأدَبْ
وليْسَ يُلامُ امرُؤٌ شَفّهُ مَضِيضٌ مِنَ الدّاءِ أنْ يَستطِبّ
أطَالَ وَأعْرَضَ مَا بَيْنَنَا ، مُبِيرَ الحَيَاءِ مُثِيرَ الرِّيَبْ
أفي كُلّ يَوْمٍ لِرِقّ الهَوَانِ صَبِيّةُ أنْفُسِكُمْ تَنْسَكِبْ
إذا قَادَكُمْ مثلَ قَوْدِ الذّلُولِ نَفَرْنَا نُفُورَ البَعِيرِ الأزَبّ[1]
وَفي كُلّ يَوْمٍ إلى دارِكُمْ مَزَاحِفُ مِنْ فَيْلَقٍ ذي لجَبْ
بِوَهْوَهَةِ الخَيْلِ تَحتَ الرِّمَاحِ مُكَرْهَةً ، وَرُغَاءِ النُّجُبْ[2]
سِيَاطُ الجِيَادِ بِهِ إنْ وَنَينَ ، وَزَجْرُ الرِّحَالِ بِهَالٍ وَهَبْ[3]
وَتَلْقَوْنَهَا كَقِدَاحِ السَّرَاءِ ، قُوداً تَجُرّ العَوَالي وَقُبّ[4]
كَأنّ حَوَافِرَهَا وَالصّخُورَ إذا مَا ذَرَعْنَ الدّجَى في صَخَبْ
تَسُدّ عَلى البِيدِ خَرْقَ الشَّمَالِ بِمَا نَسَجَتْ من سَحيلِ التُّرَبْ[5]

....

١ الأزب : الكثير الشعر .
٢ الوهوهة : صوت الفرس في آخر صهيله .
٣ الونى : التعب . هال وهب : زجر للخيل .
٤ القود : الخيول التي تقاد . القب : الضوامر البطون ، الواحد أقب .
٥ السحيل : ثوب لا يبرم غزله .

وَطِئْنَ التَّجيعَ بِأرْسَاغِهِنّ ، مِمّا انْتَعَلْنَ الرُّبَى وَالذَّأْبْ[1]
وَكَمْ قَرَعَ الدّوَّ مِنْ حَافِرٍ يُخَالُ عَلى الأرْضِ قَعباً يُكَبّ
تُهَزّ السّيُوفُ لأعْنَاقِكُمْ ، فتَأبَى مَضَارِبَ تِلْكَ القُضُبْ
وَتُسْفِرُ أحْسَابُنَا بَيْنَنَا ، فنُلْقي طَوَائِلَنَا أوْ نَهَبّ[2]
يُنَاشِدُنَا اللهَ في حَرْبِكُمْ عُرَيْقٌ لَكُمْ في أبِينَا ضَرَبْ
وَمَا أحْدَثَ الدّهْرُ مِنْ نَبْوَةٍ ، وَقَطّعَ مَا بَيْنَنَا مِنْ سَبَبْ
فَإنّ النّفُوسَ إلَيْكُمْ تُشَاقُ ؛ وَإنّ القُلُوبَ عَلَيكُمْ تَجِبْ
وَإنّا نَرَى لجِوَارِ الدّيَارِ حُقُوقاً ، فَكَيْفَ جِوَارُ النّسَبْ
تَمَاسُسُ أرْحَامِنَا ، وَالذّمَا مُ مِنْ دونِ ذاكَ عَلَينا يَجِبْ
فَإنْ نَرْعَ شِرْكَةَ أحْسَابِنَا جَميعاً ، فَذلِكَ دِينُ العَرَبْ
إذا لَبِسَتْ بِقُوَاهَا قُوًى ، وَإنْ طُنُبٌ مَسّ مِنها طُنُبْ
أرَاحَ بَني عَامِرٍ ذُلُّهُمْ ، وَعَرّضَنَا عِزُّنَا للتّعَبْ
وَفَرْنَا عَلَيْهِمْ طَرِيقَ البَقَاءِ ، وَخَلّوْا لَنَا عَنْ طَرِيقِ العَطَبْ
فَقَدْ أصْبَحوا في ذِمامِ الخُمولِ ، لا تَدّرِيهِمْ مَرَامي النُّوَبْ[3]
أبَى النّاسُ إلاّ ذَميمَ النّفَاقِ ، إذا جَرّبُوا ، أوْ قَبيحَ الكَذِبْ
كِلابٌ تُبَصْبِصُ خَوْفَ الهَوَانِ ، وَتَنْبَحُ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ غَلَبْ

١ الذأب : الخوف ، والطرد .
٢ نلقي : نبذل .
٣ تدريهم : تختلهم .

أذُمّ لِوَجْهي عَلى مَا بِهِ ، وَلا يَعدِلُ الذّلُّ عندي النّشَبْ
وَمَنْ وَجَدَ الرِّزْقَ عِندَ السيوفِ فَلَمْ يَتَحَمّلْ لذلّ الطّلَبْ
وَإنّ مَنَازِلَ هَذا الزّمَانِ لأبْنَائِهِ نُوَبٌ أوْ عُقَبْ
لِذَلِكَ يَرْكَبُ مَنْ قَدْ سَعَى طَوِيلاً وَيَرْحَلُ مَنْ قد رَكِبْ
أنَا ابنُ الأنَاجِيبِ مِنْ هَاشِمٍ ، إذا لمْ يَكُنْ نُجُبٌ مِنْ نُجُبْ
ثَلاثُ بُرُودُهُمُ بِالرِّمَاحِ ، وَتُلْوَى عَمائِمُهُمْ بالشُّهُبْ
عِتَاقُ الوُجُوهِ ، وَعُتْقُ الجيا دِ في الضُّمْرِ تَعْرِفُهُ وَالقَبَبْ
يَشِفّ الوَضَاءُ خِلالَ الشّحُو بِ مِنها،وَخَلْفَ الدّخَانِ اللّهَبْ
وَقَارٌ يُهَابُ ، وَنَادٍ يُنَابُ ، وَحِلْمٌ يُرَاحُ ، وَرَأيٌ يُغَبّ[1]
إذا استبَقَ القَوْمُ طُرْقَ النّجَاءِ ، وَذَمّ الجبَانُ قُعُودَ الهَرَبْ
رَأيتَهُمُ في ظِلالِ القَنَا ، وَقَدْ ضَاقَ للكَرْبِ عِقْدُ اللّبَبْ[2]
قَدِ امتَنَعُوا بحُصُونِ الدّرُو عِ ،وَاستَعصَمُوا بِقِبَابِ اليَلَبْ[3]
أُولَئِكَ قَوْمي لَمْ يُغْمَزُوا بهُجْنَةِ أُمٍّ وَلا لُؤمِ أبْ
وَمَنْ قالَ : إنّ جَميعَ الفَخَارِ لِغَيْرِ ذَوَائِبِ قَوْمي كَذَبْ

١ يناب : يتردد إليه . يغب ، من غب الرأي : تأنى فيه
٢ اللبب : كناية عن الضيق والشدة .
٣ اليلب : خالص الحديد والفولاذ .

إلى كم آشق الليل

هلِ الطّرْفُ يُعطي نَظرَةً من حَبيبهِ ، أمِ القَلبُ يلقَى رَاحَةً مِنْ وَجيبهِ
وهَلْ لِلّيالي عَطْفَةٌ بعدَ نَفرةٍ ، تعودُ فتُلهي ناظراً عن غُروبهِ
وَلِلّهِ أيّامٌ عَفَوْنَ كَمَا عفَا ذَوَائِبُ ميّاسِ العَرَارِ رَطيبهِ
أحِنّ إلى نَورِ الرّبَى في بِطَاحِهِ ، وَأظْمَا إلى رَيّا اللّوَى في هُبُوبِهِ
وَذاكَ الحِمَى يَغدُو عَليلاً نَسيمُهُ ، وَيُمْسِي صَحيحاً مَاؤهُ في قَليبهِ
حبَبْتُ لِقَلْبي ظِلّهُ في هَجيرِهِ إذا ما دجا أوْ شَمسَهُ في ضَرِيبهِ[1]
وَعَهْدي بذاكَ الظّبيِ إبّانَ زُرْتُهُ ، رَعَاني، وَلَمْ يَحفِلْ بعَيْنَيْ رَقيبهِ
وَحَكّمَ ثَغْرِي في إنَاءِ رُضَابِهِ ، وَأدْنَى جَوَادي مِنْ إنَاءِ حَليبهِ
هوَ الشّوْقُ مَدلولاً على مَقتَلِ الفتى إذا لَمْ يَعِدْ قَلْباً بِلُقْيَا حَبيبهِ
تُعَيّرُني تَلْوِيحَ وَجْهي ، وَإنّمَا غَضَارَتُهُ مَدْفُونَةٌ في شُحُوبهِ
فَرُبَّ شَقَاءٍ قَدْ نَعِمْنَا بِمُرّهِ ؛ وَرُبَّ نَعيمٍ قَدْ شَقِينَا بطيبهِ
وَلَوْلا بَوَاقي نَائِبَاتٍ مِنَ الرّدَى غَفَرْتُ لهَذا الدّهرِ مَاضِي ذُنُوبهِ
وَإنّي لعِرْفَانِ الزّمَانِ وَغَدْرِهِ أبِيتُ وَمَا لي فِكْرَةٌ في خُطُوبهِ
وَأُصْبِحُ لا مُسْتَعْظِماً لعَظِيمِهِ بقَلْبي ، وَلا مُسْتَعْجِباً لعَجيبهِ
يَغُمّ الفَتَى ذِكْرُ المَشيبِ ، وَرُبّما يَلْقَى انقِضَاءَ العُمْرِ قَبلَ مَشيبهِ

---

[1] ضريبه : ثلجه .

وَيُنْسيهِ بَدْءَ العَيْشِ ما في عقَبيهِ ، وَجيئَتُهُ تُبْدي لَنَا عَنْ ذُهُوبِهِ
إلى كمْ أشُقّ اللّيلَ عَنْ كلّ مَهمهٍ ، وَأرْعَى طُلُوعَ النّجمِ حتى مَغيبِهِ
أخُطّ بِأطْرَافِ القَنَا كُلّ بَلْدَةٍ ، وَأملي جَلابيبَ المَلا مِنْ نُدُوبِهِ[1]
وكُنْتُ إذا خَوّى نَجيبٌ تَرَكْتُهُ أسيرَ عِقالٍ مُؤلِمٍ مِنْ لُغُوبِهِ[2]
رَجاءً لِعِزٍّ أقْتَنيهِ وَحَالَةٍ تَزيدُ عَدُوّي مِنْ غَوَاشِي كُرُوبِهِ
وَبَزْلاءَ مِنْ جُنْدِ اللّيَالي لَقيتُهَا بقَلْبٍ بَعيدِ العَزْمِ فيها قَريبِهِ[3]
نَصَبْتُ لهَا وَجْهِي ، وَلَيسَ كعاجزٍ يُوَقّيهِ حَرَّ الطّعْنِ مَنْ يَتّقي بهِ
وَخَيْلٍ كأمْثَالِ القَنَا تَحملُ القَنَا عَلى كُلّ عُنْقٍ عاقِدٍ من سَبيبِهِ
حَمَلْتُ عَلَيها كُلّ طَعّانِ سُرْبَةٍ كمَا نَهزَ السّاقي بِجَنْبَيْ قَليبِهِ
قَضَى وَطَرَ العَلياءِ مَنْ رَكِبَ القَنا ، وَأوْلَغَ بيضاً مِنْ دَمٍ في صَبيبِهِ
وَكَمْ قَعْدَةٍ مِنّي أقَمْتُ بِبَأسِها إلى الطّعْنِ مَيّادَ القَنَا في كُعُوبِهِ
وَلمّا رَكِبْتُ الهَوْلَ لمْ أرْضَ دونَهُ ، وَمَنْ رَكِبَ اللّيثَ اعتَلى عن نجيبِهِ
تُرِيحُ عَلَينا ثَلّةَ المَجْدِ شُزّبٌ تُغالي ، وَأيْدٍ مِنْ قَناً في صَليبِهِ[4]
وَأبْيَضَ مِنْ عَلْيَا مَعَدٍّ ، بَنانُهُ مُقَاوِمُ رَيّانِ الغِرارِ خَصيبِهِ
أخَفُّ إلى يَوْمِ الوَغَى مِنْ سِنَانِهِ ، وَأمضَى عَلى هامِ العِدى من قَضيبِهِ
هَلِ السّيْفُ إلاّ مُنتَضًى من لحاظِهِ ، أوِ البَدْرُ إلاّ طَالِعٌ مِنْ جُيُوبِهِ

---

١ أملي : أطيل وأوسع . الملا : الصحراء . الندوب : آثار الجراح ، الواحد ندب .
٢ خوى : خمص بطنه .
٣ البزلاء : الداهية .
٤ ثلة المجد : أراد كساء المجد . الشزب : الخيول الضامرة . تغالي : أي في سيرها .

إذا سُئِلَ انْهالَ النّدَى مِنْ بَنانِهِ ، كما انهالَ أذيالُ النّقا مِنْ كَثيبِهِ
جَوَادٌ ، إذا مَا مزّقَ الذّوْدَ عَضْبُهُ أذاعَ النّدى مِنْ جُرْدِهِ بَعدَ نيبِهِ[1]
يَسيرُ أمَامَ النّجْمِ عِنْدَ طُلُوعِهِ ، وَيَهْوِي أمَامَ النّجْمِ عندَ غرُوبِهِ
رَضِيتُ بهِ في صَدْرِ يَوْمِ عَجاجِهِ عَلى شَمْسِهِ عارِيّةً مِنْ سُهُوبِهِ
مضَى يحرُسُ الأقرانَ بالطّعنِ في الطُّلى ، وَقَدْ لَجّ نَعّابُ القَنَا في نَعيبِهِ
أنَا ابنُ نَبيّ اللهِ ، وَابنُ وَصِيّهِ ، فَخَارٌ عَلا عَنْ نِدّهِ وَضَرِيبِهِ
تَأدّبَ مني رائِعُ الخَطْبِ بَعدَمَا تَجلّى سَفيهُ الجَدّ لي عَنْ أديبِهِ
فَوَاللهِ لا ألْقَى الزّمَانَ بِذِلّةٍ ، وَلَوْ حَطّ في فَوْدَيّ أمضَى غُرُوبِهِ
قَنِعْتُ ، فَعندي كُلُّ مَلْكٍ نُزُولُه عَنِ العِزّ وَالعَلْيَاءِ مثلُ رُكُوبِهِ
وَمَا أسَفي إلاّ عَلى مَا جَلَوْتُهُ عَلى سَمْعِ مَنْزُورِ النّوَالِ نَضُوبِهِ
إذا مَا رآني قَطّعَ اللّحْظَ طَرْفُهُ ، وَعَنْوَنَ لي إطْرَاقُهُ عَنْ قُطُوبِهِ
وَمَن لمْ يكُنْ حَمدي نَصيباً لبِشرِهِ جَعَلْتُ ضُرُوبَ الذّمّ أدنَى نصيبِهِ
وَلَوْ أنّ عَضْبِي مُمكِنٌ ما ذَمَمتُهُ ، وَكانَ مَكَانَ الذّمّ رَدْعُ جُيُوبِهِ[2]
وَإنّ عَنَاءَ النّاظِرِين كِلَيْهِمَا ، إذا طَمِعَا مِنْ بارِقٍ في خُلُوبِهِ
أُعَابُ بشِعرِي ، وَالّذي أنَا قَائِلٌ يُقَلْقِلُ جَنْبِي عائبٌ مِنْ مَعيبِهِ
وَكُلٌّ فَتًى يَرْنُو إلى عَيبِ غَيرِهِ سَرِيعاً وَتَعمَى عَينُهُ عَنْ عُيُوبِهِ

[1] الذود : الجماعة من الإبل . الجرد : الخيول القصيرة الشعر ، الواحد أجرد . النيب : المسنات من النياق ، الواحدة ناب .

[2] الردع : أثر الطيب في الثياب .

وَمَا قَوْلِيَ الأَشْعَارَ إلاَّ ذَرِيعَةً إلى أمَلٍ قَدْ آنَ قَوْدُ جَنيبِهِ
وَإنّي ، إذا مَا بَلّغَ اللهُ مُنْيَتي ، ضَمِنتُ لهُ هَجرَ القَرِيضِ وَحُوبِهِ[1]
فَهَلْ عائِبي قَوْلٌ عَقَدْتُ بفَضْلِهِ فَخارِي ، وَحَصّنتُ العُلى بضُرُوبِهِ
سأترُكُ هذا الدّهرَ يَرْغُو رُغَاؤهُ ، وَتَصرُفُ من غَيظي بَوادي نُيُوبِهِ
وَأجعَلُ عَضْبي دُونَ وَجْهي وِقايَةً ، ليأمَنَ عندي مَاؤهُ مِنْ نُضُوبِهِ

قضاء الإله

قال رحمه الله يعزي بهاء الدولة
عن ولده أبي منصور بويه
وتوفي في شعبان سنة ٣٩٨ :

كَانَ قَضَاءُ الإلَهِ مَكْتُوبَا ، لَوْلاكَ كَانَ العزَاءُ مَغْلُوبَا
مَا بَقِيَتْ كَفُّكَ الصَّنَاعُ لَنَا ، فَكُلُّ كَسْرٍ يَكُونُ مَرْؤوبَا[2]
ما احتَسَبَ المَرْءُ قد يَهُونُ ، وَمَا أوْجَعَ مَا لا يَكُونُ مَحْسُوبَا[3]
نَهْضاً بِهَا صَابِراً ، فأنْتَ لهَا ، وَالثّقْلُ لا يُعْجِزُ المَصَاعِيبَا

١ الحوب : الإثم .
٢ كفك الصناع : أي الحاذقة الماهرة في العمل . المرؤوب : المجبور
٣ احتسب ولده : فقده كبيراً .

فَقَدْ أرَتكَ الأسى ، وَإنْ قدُمتْ ، عَنْ يُوسُفٍ كيفَ صَبرُ يَعقُوبَا
طَمِعتَ ، يا دَهرُ ، أنْ تُرَوِّعَهُ ، ظَنّاً على الرّغمِ منكَ مَكذُوبَا
مَا يُؤمِنُ المَرْءَ بَعْدَ مَسمَعِهِ قَرْعَ اللّيَالي لَهُ الظّنَابيبَا[1]
تُنْذِرُ أحْداثُهَا وَيَأمَنُهَا مَا آنَ أنْ يَستَرِيبَ مَنْ رِيبَا
شَلّ بَنَانُ الزّمَانِ كَيفَ رَمَى مُسَوَّماً للسّبَاقِ مَجْنُوبَا
طِرْفُ رِهَانٍ رَمَاهُ ذُو غَرَرٍ نَالَ طَلُوباً ، وَفَاتَ مَطْلُوبَا
كَانَ هِلالُ الكَمَالِ مُنْتَظَراً ، وَكَانَ نَوْءُ العَلاءِ مَرْقُوبَا
وَأعْجَمِيُّ الأُصُولِ تَنْصُرُهُ بَداهَةٌ تَفْضَحُ الأعَارِيبَا
مَدّتْ إلَيْهِ الظُّبَا قَوَائِمَهَا تُعْجِلُهُ ضَارِباً وَمَضْرُوبَا
مُرَشَّحاً للجِيَادِ يُطْلِعُهَا عَلَى العِدَى ضُمّراً سَرَاحِيبَا[2]
وَللمَبَاتِيرِ في وَغًى وَقِرًى يُولِغُهَا الهَامَ وَالعَرَاقِيبَا[3]
ذَوَى كَمَا يَذبُلُ القَضيبُ ، وكمْ مَأمُولِ قَوْمٍ يَصِيرُ مَندُوبَا
صَبراً فَرَاعي البِهامِ إنْ كَثُرَتْ لا بُدّ مِنْ أنْ يُحاذِرَ الذّيبَا
وَإنّ دُنْيَا الفَتَى ، وَإنْ نُظِرَتْ ، خَمِيلَةٌ تُنْبِتُ الأعَاجِيبَا
نَسيغُ أحْداثَها عَلَى مَضَضٍ ، ما جَدّحَ الدّهْرُ كانَ مَشرُوبَا
إذا السّنَانُ الطّرِيرُ دامَ لَنَا فَدَعْهُ يَسْتَبْدِلُ الأنَابِيبَا

١ قرع ظنابيب الأمر : كناية عن تسهيله . والظنبوب : حرف الساق من قدم .
٢ السراحيب ، الواحد سرحوب : العتيق الخفيف .
٣ المباتير : أراد بها السيوف ، من بتر قطع .

وَهَلْ يَخُونُ الطّعانَ يَوْمَ وَغًى أنْ نُقِصَ السّمْهَرِيّ أنْبُوبَا
مَا هَيبَةُ السّيفِ بالغُمودِ ، وَلا أهيب مِنْ أنْ تَراهُ مَسْلُوبَا
وَالبَدْرُ مَا ضَرّهُ تَفَرّدُهُ ، وَلا خبَا نُورُهُ وَلا عِيبَا
وَمَا افتِراقُ الشُّبُولِ عَنْ أسَدٍ بِمانِعٍ أنْ يَكُونَ مَرْهُوبَا
وَالفَحلُ إنْ وَافَقَتْ طَرُوقَتُهُ ، أبْدلَ مِنْ مُنجِبٍ مَناجِيبَا
وَالعَنْبَرُ الوَرْدُ إنْ عَبَثْتَ بِهِ ، مِثْلَما زادَ عَرْفُهُ طِيبَا
يَطيحُ مُستَصْغَرُ الشّرارِ عَنِ الزّنْدِ ، وَيَبْقَى الضّرامُ مَشْبُوبَا
مَحّصَتِ النّارُ كُلّ شَائِبَةٍ ، وَزادَ لَوْنُ النُّضَارِ تَهْذِيبَا
إنْ زَالَ ظِفرٌ ، فأنْتَ تُخْلِفُهُ ، وَاللّيثُ لا يُخْلِفُ المَخالِيبَا
بِقَدْرِ عِزّ الفَتَى رَزِيّتُهُ ، مَنْ وَتَرَ الدّهْرُ بَاتَ مَرْعُوبَا[1]
وَاللّؤلُؤ الرّطْبُ في قَلائِدِهِ ، مَا كَانَ لَوْلا الحَلالُ مَثْقُوبَا
إنْ كُنْتُ مُسْتَسقِياً لمَنْجَعَةٍ ، مُجَلْجِلاً بالقُطارِ أسْكُوبَا[2]
فَاسْتَسْقِ مُستَغنِياً بهِ أبَداً ، مِنْ قَطرِ جَدوَى أبيهِ شُؤبُوبَا
وَمَا انْتِفَاعُ النّبَاتِ صَوّحَهُ هَيفُ الرّدى أن يكونَ مَهضُوبَا[3]
فَاسْلَمْ مَليكَ المُلُوكِ ما بقيَ الدّهْرُ مُبَقًّى لَنَا وَمَوْهُوبَا
لا خَافَ أبنَاؤكَ الّذِينَ بَقُوا حَدّاً مِنَ النّائِبَاتِ مَذْرُوبَا

١ وتره : أفزعه .
٢ المنجعة : مكان طلب الكلإ . القطار : المطر . الأسكوب : المنسكب .
٣ صوحه : أيبس أعلاه . الهيف : العطش . المهضوب : الممطور .

وَلا تَرَى السّوءَ فيهِمُ أبَداً ، حتّى يَكُونُوا الدّوَالِفَ الشُّيبَا
لا رَوّعَتْ سَرْحَكَ المَنُونُ ، وَلا أصْبَحَ سِرْبٌ حَمَيْتَ مَنْهُوبَا
لا يَجِدُ الدّهْرُ مَسْلَكاً أبَداً ، وَلا طَرِيقاً إلَيْكَ مَلْحُوبَا
وَلا رَأيْنَا الخُطُوبَ داخِلَةً رِوَاقَ مَجدٍ عَلَيكَ مَضرُوبَا

القدر الغالب

يرثي الصاحب عميد الجيوش أبا علي ، وتوفي ليلة الجمعة التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ٤٠١ من شكية لحقته وتولى هو الصلاة عليه وكان سنه تسعاً وأربعين سنة ودفن بمقابر قريش :

كَذا يَهْجُمُ القَدَرُ الغالِبُ ، وَلا يَمْنَعُ البَابُ وَالحَاجِبُ
تَغَلْغَلَ يَصْدَعُ شَمْلَ العُلَى ، كَمَا ذَعذَعَ الإبِلَ الخارِبُ[١]
وَقَدْ كَانَ سَدّ ثَنَايَا العَدُوّ ، فمِنْ أينَ أوْضَعَ ذا الرّاكِبُ
وَهَابَتْ جَوَانِبَهُ النّائِبَاتُ ، زَمَاناً ، وَقَدْ يُقدِمُ الهَائِبُ
طَوَاكَ إلى غَيْرِكَ المُعتَفي ، وَجَاوَزَ أبْوَابَكَ الرّاغِبُ
وَهَلْ نَحْنُ إلاّ مَرَامي السّهامِ ، يَحْفِزُهَا نَابِلٌ دائِبُ
نُسَرّ إذا جَازَنَا طَائِشٌ ، وَنَجْزَعُ إنْ مَسّنَا صَائِبُ

١ الخارب : سارق الإبل .

فَفي يَوْمِنَا قَدَرٌ لابِدٌ ، وَعِنْدَ غَدٍ قَدَرٌ وَاثِبُ
طَرائِدُ تَطْلُبُهَا النّائِبَاتُ ، وَلا بُدّ أنْ يُدْرِكَ الطّالِبُ
أرَى المَرْءَ يَفْعَلُ فِعْلَ الحَدِيـ ـدِ ، وَهوَ غَداً حَمَأٌ لازِبُ[1]
عوارِيُّ مِنْ سَلَبِ الهَالِكِينَ ، يَمُدّ يَداً نَحْوَهَا السّالِبُ
لَنَا بالرّدَى مَوْعِدٌ صَادِقٌ ، وَنَيْلِ المُنى وَاعِدٌ كاذِبُ
نُصَبَّحُ بالكَأسِ مَجدُوحَةً ، وَلا عِلْمَ لي أيُّنَا الشّارِبُ
حَبَائِلُ للدّهْرِ مَبْثُوثَةٌ ، يُرَدّ إلى جَذْبِهَا الهَارِبُ
وَكَيْفَ يُجاوِزُ غَايَاتِنَا ، وَقَدْ بَلَغَ المَوْرِدَ القَارِبُ[2]
لَقَدْ كانَ رَأيُكَ حَلّ العِقالِ ، إذا طَلَعَ المُعْضِلُ الكَارِبُ
وَقَدْ كانَ عندَكَ فَرجُ المَضِيقِ ، إذا عَضّ بالقَتَبِ الغَارِبُ[3]
يَفيءُ إلَيْكَ مِنَ القَاصِيَاتِ مُراحُ المَنَاقِبِ وَالعازِبُ[4]
فَيَوْمُ النُّهَى مُشرِقٌ شامِسٌ ؛ وَيَوْمُ النّدَى ماطِرٌ ساكِبُ
فَأيْنَ الفَيَالِقُ مَجرُورَةً ، وَقَدْ عَضّلَ اللّقَمُ اللاّحِبُ[5]
وَأيْنَ القَنَا كَبَنَانِ الهَلُوكِ ، بِمَاءِ الطُّلَى أبَداً خَاضِبُ[6]

١ الحمأ : الطين الأسود المنتن . اللازب : الذي يلصق باليد لاشتداده .
٢ القارب : طالب الماء ليلا .
٣ أراد : إذا عض القتب بالغارب فقلب . والقتب : الرحل . الغارب : أعلى السنام .
٤ يفيء : يرجع . المراح : المأوى .
٥ عضل : ضاق . اللقم : معظم الطريق . اللاحب : الواضح .
٦ الهلوك من النساء : الفاجرة .

كَـأنّ السّوَابِقَ مِنْ تَحتِها ، دَبَى طَائِرٌ ، أوْ قَطاً سَارِبُ[1]
لهَا قَسْطَلٌ كَنَسيجِ السَّدُوسِ ، بِهَامِ الرُّبَى أبَداً عَاصِبُ[2]
وَمَلْبُونَةٍ في بُيُوتِ الغُزِيِّ يُقَدِّمُ إغْبَاقَهَا الحَالِبُ[3]
نَزَائِعَ لا شَوْطُهَا في المُغَارِ قَرِيبٌ ، وَلا غَزْوُهَا خَائِبُ
فَسَرْجُ وَغًى مَا لَهُ وَاضِعٌ ؛ وَجَيْشُ عُلًى مَا لَهُ غَالِبُ
وَكُنْتَ العَمِيدَ لهَا وَالعِمَادَ ، فَضَاعَ الحِمَى ، وَوَهَى الجانبُ
فَمَاذا يُشِيدُ هُتَافُ النّعيّ فِيكَ ، وَمَا يَنْدُبُ النّادِبُ
أمَدّتْ عَلَيْكَ القُلُوبُ العُيُونَ فَلَيْسَ يُرَى مَدْمَعٌ نَاضِبُ
أرَى النّاسَ بَعْدَكَ في حَيرَةٍ ، فَذُو لُبّهِمْ حَاضِرٌ غَائِبُ
كمَا اختَبَطَ الرّكْبُ جِنحَ الظّلامِ وَقَدْ غَوّرَ القَمَرُ الغارِبُ
وَلَمّا سَبَقْتَ عُيُوبَ الرّجَالِ ، تَعَلّلَ مِنْ بَعْدِكَ العَائِبُ
وَلَمْ أرَ يَوْماً كَيَوْمٍ بِهِ خَبَا مَثْقَبٌ ، وَهَوَى ثَاقِبُ[4]
تَلُومُ الضّوَاحِكَ فيكَ البُكاةُ ، وَيَعْجَبُ للبَاسِمِ القَاطِبُ
سَقَاكَ ، وَإنْ كُنتَ في شَاغِلٍ عَنِ الرّيّ ، داني النّدَى صَائِبُ
مُرِبّ إذا مَخَضَتْهُ الجَنُوبُ ، أبَسّتْ بِهِ شَمْألٌ لاغِبُ[5]

١ الدبى : الجراد الصغير .
٢ السدوس : الطيلسان الأخضر .
٣ الملبونة : الفرس المغذاة باللبن . الغزي : الواحد غاز . إغباقها : سقيها اللبن مساء .
٤ مثقب ، مصدر ميمي من ثقبت النار : اتقدت ، والمثقب بكسر الميم : النافذ الرأي . الثاقب النجم المرتفع على النجوم .
٥ المرب ، من أربت السحابة : دام مطرها . مخضته : حركته . ابست به : ساقته . اللاغب : الضعيف

يَجُرُّ ثَقَائِلَ أَرْدافِهِ كَمَا بَادَرَ القِرَّةَ الحَاطِبُ[1]
كَسَوْقِ البَطيءِ بِسَوْطِ السَّرِيعِ ، يَنُوءُ ، وَيُعْجِلُهُ الضَّارِبُ
يُصِيبُكَ بالقَطْرِ شَفَّانُهُ ، كَمَا قَرَعَ الجَمْرَةَ الحَاصِبُ[2]
وَلَوْلا قِوَامُ الوَرَى أَصْبَحَتْ يُرِنَّ عَلَى صَدْعِهَا الشَّاعِبُ
وَبَاتَتْ ، وَقَدْ ضَلَّ عَنهَا الرِّعَاءُ ، مُحَفَّلَةً مَا لَهَا حَالِبُ
وَسَاقَ العَدُوُّ أَضَامِيمَهَا ، وَمَا آبَ مِنْ طَرْدِهَا آيِبُ
وَمَا بَقِيَ الجَبَلُ المُشْمَخِرُّ ، فَمَا ضَرَّنَا الجَبَلُ الوَاجِبُ[3]
وَمَا يُنْقِصُ الثَّلْمُ في المَضْرِبَيْنِ إذا اهتَزَّ في القَائِمِ القَاضِبُ[4]
بِمِثْلِ بَقَائِكَ غَيْثَ الأَنَا مِ يَرْضَى عَنِ الزَّمَنِ العَاتِبُ
لَهَانَ عَلَيْنَا ذَهَابُ الرَّدِيفِ مَا بَقِيَ الظَّهْرُ وَالرَّاكِبُ

١ القرة : البرد .
٢ الشفان : البرد والمطر . الجمرة : الحصاة . الحاصب : رامي الجمار .
٣ المشمخر : العالي . الواجب : الساقط .
٤ مضرب السيف : حده . القاضب : السيف القاطع .

حسام أغمد في الضريح

وقال رحمه الله يرثي أبا القاسم الشريف علي بن الحسين
أبا تمام الزينبي نقيب العباسيين وتوفي في ذي القعدة سنة
٣٨٤ وكان بينهما صداقة وكيدة :

مِنَ ايِّ الثّنَايَا طالَعَتْنَا النّوائِبُ ، وَأيَّ حِمًى مِنّا رَعَتْهُ المَصَائِبُ
خَطَوْنَ إلَينا الخَيلُ وَالبِيضُ وَالقَنا، فَمَا مَنَعَتْ عَنّا القَنا وَالقَوَاضِبُ
وَضَلّ بِنَا قَصْدُ الطّرِيقِ ، كَأنّمَا تَؤمّ المَنَايَا لا النّجَاءُ الرّكَائِبُ
نَرُوغُ كَما راغَ الطّرائِدُ دُونَهَا ، وَتَجلُبُنَا عَوْداً إلَيْهَا الجَوالِبُ
طِوَالُ رِمَاحٍ لا تَقي ، وَعَقائِلٌ مِنَ الجُرْدِ لا يَنجُو عَلَيهِنّ هارِبُ
فَأيْنَ النّفُوسُ الآبِيَاتُ مُلِيحَةً من الضّيمِ وَالأيدي الطّوالُ الغَوالِبُ[1]
وَأينَ الطّعانُ الشَّزْرُ يُثْنَى بِمِثْلِهِ رِقَابُ الأعادي دُونَنَا وَالكَتَائِبُ
إذا لَمْ يُعِنْكَ اللهُ يَوْماً بِنُصرَةٍ ، فَأكبَرُ أعْوَانٍ عَلَيْكَ الأقَارِبُ
وَإنْ هُوَ لَمْ يَعصِمْكَ منهُ بجُنّةٍ ، فَقَد أكثَبَتْ للضّارِبِينَ المَضارِبُ[2]
تَناهَى بِنا الآجَالُ عَنْ كلّ مُدّةٍ ، وَمَا تَنْتَهي بالطّالِبِينَ المَطالِبُ
نُغَرّ بِإيعَادِ الرّدَى ، وَهْوَ صَادِقٌ ، وَنَطمَعُ في وَعدِ المُنَى، وَهوَ كاذِبُ
أفي كُلّ يَوْمٍ لي صَديقٌ مُصَادِقٌ يُجيبُ المَنَايَا ، أوْ قَرِيبٌ مُقارِبُ

١ مليحة : محاذرة .
٢ الجنة : الترس ، الوقاية . أكثبت : أدنيت .

لَعَمْرِي ، لَقَدْ أبْقَى عَليّ يَوْمِهِ ... لَوَاعِجَ تُمْلِيهَا عَليّ العَوَاقِبُ
رَمَاهُ الرّدَى عَنْ قَوْسِهِ ، فأصَابَه ، ... وَلَمْ يُغنِنا أنْ دَرّعَتْنا التّجارِبُ
هُوَ الوَالِجُ العَادي الّذِي لا يَرُوعُه ... مِنَ البَابِ بَوّابٌ عَلَيْهِ وَحَاجِبُ
وَلا نَاصِرٌ ، سِيّانِ مَنْ هُوَ حاضِرٌ ، ... إذا مَا دَعَا مِنّا ، وَمَنْ هُوَ غائِبُ
نَسِيرُ وَلِلآجَالِ فَوْقَ رُؤوسِنَا ... تَهَزُّمُ نَوْءٍ بالمَقادِيرِ صَائِبُ[1]
وَمَا يَعْلَمُ الإنْسَانُ في أيّ جانِبٍ ... من الأرْضِ يأوِي منهُ في التُّرْبِ جانِبُ
مُصَابٌ رَمَى مِنْ هاشِمٍ في صَمِيمِها ... فَأمسَتْ ذُرَاها خُشّعاً وَالغوارِبُ
وَأطلَقَ من وَجدٍ حُبَاها ، وَلَمْ تكُنْ ... لهَاشِمَ ، لَوْلاهُ ، العُقولُ العَوَازِبُ
وَزَالَتْ لَهُ الأقْدامُ عَنْ مُستَقَرّها ، ... كَمَا مالَ للبَرْكِ المَطيُّ اللّوَاغِبُ
أطالَ بهِ الشّبّانُ لَطْمَ خُدودِهمْ ، ... وَصُكّ لَهُ غُرّ الوُجُوهِ الأشايِبُ
يَعَضُّونَ مِنْهُ بِالأكُفّ ، وَإنّما ... تُعَضّ بِأطْرَافِ البَنَانِ العَجائِبُ
مضَى أملَسَ الأثوابِ لمْ يُخزَ مادِحٌ ... بِإطْنَابِهِ فِيهِ ، وَلَمْ يُزْرَ عائِبُ[2]
وَخَلّى فجَاجاً لا تُسَدّ بِمِثْلِهِ ، ... وَتِلْكَ صُدُوعٌ أعوَزَتْها الشّوَاعِبُ[3]
لَقَدْ هَزّ أحْشَاءَ البَعِيدِ مُصَابُهُ ، ... فكَيفَ المُداني وَالقَرِيبُ المُصَاقِبُ
وَلَمْ أنْسَهُ غَادٍ ، وَقَدْ أحْدَقَتْ بهِ ... أدانٍ تُرَوّي نَعْشَهُ وَأقَارِبُ
يَحِسّونَ مِنْ أعوَادِهِ ثِقْلَ وَطْئِهِ ، ... وَمَا أثْقَلَ الأعناقَ إلاّ المَنَاقِبُ

١ تهزم، من تهزمت السحب : تشققت بالماء . النوء: النجم مال للغروب ، وكانت العرب تضيف الشتاء والبرد والحر إليه .
٢ أملس الأثواب : كناية عن نزاهته . لم يزر : لم يعب ، يعاتب .
٣ الشواعب ، الواحدة شاعبة : ما يصلح بها الصدع .

كَـأنّا عـرَضْنَا زَاعبيـّاً مُثَقَّفاً عَلى نَعْشِهِ قَدْ جرّبَتْهُ المَقانِبُ[1]

تَعلّقتُ مِنْ وَجدي بفَضْلِ رِدائِهِ ، وَهَلْ ذاكَ مُغنٍ ، وَالمَنايا الجَواذِبُ

وَقارَعَني دَهْرِي علَيْهِ ، فَحازَه ، ألا إنّ أقْرانَ اللّيَالي غَوالِبُ

وكُنتُ بِهِ ألقَى الحُرُوبَ ، وَأتّقي ، فَجاءَ مِنَ الأقدارِ ما لا أُحارِبُ

تَعَاقَدَ حَاثُو تُرْبِهِ أيّ نَجْدَةٍ تَلاقَتْ علَيْهَا بالتّرابِ الرّواجِبُ[2]

كَأنّهُمُ أدْلَوْا إلى القَبْرِ ضَيغَماً ، يَنُوءُ ، وَتَثْنيهِ الأكفُّ الحَوَاصِبُ

وَأيّ حُسَامٍ أغْمَدوا في ضَرِيحِهِ ، كهَمّكَ ،لا يَعصَى به اليَوْمَ ضَارِبُ[3]

فَـآثارُهُ مُحْمَرّةٌ في عَدُوّهِ ، وَمِنهُ وَرَاءَ التُّرْبِ أبيَضُ قاضِبُ

وَمَا كانَ إلاّ بُرْهَةً ثُمّ أسْفَرَتْ نُزُوعاً عن الوَجدِ الوُجوهُ الشّوَاحِبُ

وَجَفّتْ عيُونُ البَاكِياتِ وَأُنسِيَتْ من الغَدِ مَا كانَتْ تَقُولُ النّوَادِبُ

تَسلّوا،وَلَوْلا اليَأسُ ما كنتُ سالِياً، وَقَدْ يَصْبِرُ العَطشانُ وَالوِرْدُ ناضِبُ

ألَسنَا بَني الأعمامِ دُنيا ، تَمازَجَتْ بِأخْلاقِهِمْ أخْلاقُنَا وَالضّرَائِبُ

جَميعاً نَمَانَا في رُبَى المَجْدِ هَاشِمٌ ، وَأنْجَبَ عِرْقَيْنَا لُؤيٌّ وَغَالِبُ

إذا عُمّمُوا بِالمَجدِ لاثَتْ بِهَامِنَا عَمائِمُهُمْ ، أعراقُنَا وَالمَناسِبُ

نَرَى الشُّمَّ مِنْ آنافِنا في وُجُوهِهِمْ ، وَأعْنَاقُنَا طَالَتْ بِهِنّ المَنَاصِبُ

وَكَمْ داخِلٍ مَا بَيْنَنَا بنَميمَةٍ تَقَطّرَ لَمّا زاحَمَتْهُ المَصَاعِبُ

1 الزاعبي : الرمح . المقانب : جماعات الخيل ، الواحد مقنب

2 الرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، الواحدة راجبة .

3 كهمك : كحسبك . يعصى به : يضرب به .

سِوَى هَبَوَاتٍ شَابَتِ الوُدَّ بَيْنَنَا ،   وَأيُّ وَدادٍ لَمْ تَشُبْهُ الشَّوَائِبُ

لَنَا الدَّوْحَةُ العُلْيَا الّتِي نَزَعَتْ لهَا   إلى المَجْدِ أغصَانُ الجُدُودِ الأطايبُ

إذا كَانَ في جَوّ السَّمَاءِ عُرُوقُهَا ،   فَأيْنَ أعَاليهَا ، وَأيْنَ الذَّوَائِبُ

عَلَوْنَا إلى أثْبَاجِهَا وَلِغَيْرِنَا ،   عَنِ المَنكِبِ العالي، إذا رَامَ ناكِبُ

فَمَا حَمَلَ الآبَاءُ مِنّا ، وَسَاقَطَتْ   إلى الأرْضِ مِنّا المُنجِباتُ النّجائِبُ

سُيوفٌ على الأعداءِ تَمضِي نُفوسُها،   وَلَمْ تَتَبَدّلْهُنّ أيْدٍ ضَوَارِبُ

فَإنْ تَرَ فِينَا صَوْلَةً عَجرَفِيّةً[1] ،   فَقَدْ عُرِفَتْ فينا الجدودُ الأعارِبُ

فَصَبراً جَميلاً ، إنّمَا هيَ نَوْمَةٌ ،   وَتُلْحِقُنَا بِالأوّلِينَ النّوَائِبُ

وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَمنَعِ اللهُ مانعٌ،   وَلا لِقَضَاءِ اللهِ في الأرْضِ غالِبُ

وَلَوْ رَدّ مَيتاً وَجْدُ ذي الوَجْدِ بعدَه،   لرَدّكَ وَجدي ، وَالدّموعُ السّوَارِبُ

سَيُعطي رِجَالٌ مَا مَنَعتَ وَيَشتَفي   مِنَ الأقرِبَاءِ الأبْعَدُونَ الأجانِبُ

لَنا فيكَ عِندَ الدّهرِ ثَأرُ نَزيعَةٍ ،   وَإنّي لِثَارَاتِ المَقاديرِ طالِبُ

أدَرّتْ عَلَيكَ السّارِياتُ وَرَقرَقَتْ   عَلى ذلِكَ القَبرِ الرّياحُ الغَرَائِبُ

وَلا زَالَ عَنْ ذاكَ الضّريحِ مُنَوِّرٌ   مِنَ الرّوْضِ تَفليهِ الصَّبَا وَالجَنائِبُ

وَلا، بَلْ سَقَينَاكَ الدّمُوعَ، وَإنّنَا   لَنَأنَفُ إنْ قُلْنا سَقَتكَ السّحائِبُ

[1] عجرفية : لا تبالي .

كل يوم رنة

يرثي خاله أبا الحسين أحمد بن الحسين الناصر وتوفي في رجب سنة ٣٩١ :

لَنَا كُلَّ يَوْمٍ رَنّةٌ خَلْفَ ذاهِبِ، وَمُستَهلَكٍ بَينَ النّوَى وَالنّوَادِبِ
وَقَلْعَةُ إخْوَانٍ كَأنّا وَرَاءهمُ نُرامِقُ أعجَازَ النّجومِ الغَوارِبِ
نُوادِعُ أحداثَ اللّيَالي علَى شَفاً مِنَ الحَرْبِ لَوْ سالمنَ مَن لم يُحارِبِ
وَنأمُلُ مِنْ وَعدِ المُنى غيرَ صادِقٍ، وَنأمَنُ مِنْ وَعدِ الرّدى غيرَ كاذِبِ
وَما النّاسُ إلاّ دارِعٌ مِثْلُ حاسِرٍ يُصابُ، وَإلاّ داجنٌ مثلُ سارِبِ[1]
إلى كَمْ نُمَنّى بالغُرُورِ، وَنَنثَني بِأعْنَاقِنا للمُطْمِعَاتِ الكَوَاذِبِ
وَهَلْ يَنفَعُ المَغرُورَ قُرْبَ للنّوَى تَلَوُّمُ مَغْرُورٍ بِأرْجَاءِ جَاذِبِ
لُزِزْنا مِنَ الدّهرِ الخَؤونِ بمِصْدَمٍ يُحَطِّمُ أشْلاءَ القَرِينِ المجَاذِبِ[2]
هوَ القَدَرُ المَجلوبُ من حيثُ لا يُرَى، وَأعيَا علَينَا رَدُّ تِلْكَ الجَوَالِبِ
نُراعُ إذا ما شيكَ أخمَصُ بَعضِنا، وَأقدامُنَا مَا بَينَ شَوْكِ العَقَارِبِ
وَنُمْسي بِآمَالٍ طِوَالٍ كَأنّنَا أمِنّا بَيَاتَ الخَطْبِ دُونَ المَطالِبِ
نَعَمْ إنّهَا الدّنْيَا سِمَامٌ لِطَاعِمٍ، وَخَوْفٌ لمَطْلُوبٍ، وَهَمٌّ لِطَالِبِ

١ الداجن : المقيم . السارب : الذاهب .
٢ لززنا : طعنا . المصدم : الشجاع .

تَصَدّى لنا قُرْبُ المُوَامِقِ ذي الهَوَى، وَيَخْتِلُنَا كَيْدُ العَدُوّ المُجَانِبِ
وَإنّا لَنَنهَوْاهَا عَلى الغَدْرِ وَالقِلى، وَنَمْدَحُهَا مَعْ عِلْمِنَا بالمَعائِبِ
وَحَسْبِيَ مِنْ ضَرّاءِ دَهرِيَ أنّني أُقِيمُ الأعادي لي مَقَامَ الحَبَائِبِ
ألَمْ يَأنِ ، يا للنّاسِ ، هَبّةُ نائمٍ رَأى سيرَةَ الأيّامِ أوْجَدَ لاعِبِ ؟
حدَتْ بعَصَاها آلَ ساسان وَالتَوَتْ يَداهَا بِآلِ المُنْذِرَيْنِ الأشَاهِبِ
وَحَلّتْ عَلى أطْلالِ عَادٍ وَحِمْيَرٍ سَنَابِكُها حَلّ الجِيادِ اللّوَاغِبِ
نَزَلْنَ قِبابَ المُنْذِرِ بنِ مُحَرِّقٍ ، وَأنْدِيَةَ الشُّمّ الطّوالِ بمَارِبِ[1]
نَبَا ببَني العَنقاءِ نابٌ ، وَقَعقَعَتْ عِمادُ بَني الرّيّان إحدى الشّوَاعِبِ[2]
فَقَادَتْهُمُ قَوْدَ الأيَانِقِ في البُرَى، وَزَمّتْهُمُ زَمّ القُرُومِ المَصاعِبِ[3]
أهَبّتْ عَلَيهِمْ قاصِفاً مِنْ رِيَاحِها، فَطارُوا كمَا وَلّى جُفَاءُ المَذانِبِ[4]
مَسيرٌ مَعَ الأقْدارِ مَا فيهِ وَنْيَةٌ ، وَلا وَقْعَةٌ بَعْدَ اللُّغُوبِ لِرَاكِبِ
وَمَنْ كَانَتِ الأيّامُ ظَهْراً لرَحْلِهِ فَيا قُرْبَ ما بَينَ المَدَى وَالرّكائِبِ
وَمَنْ أصْبَحَ المِقدارُ حادي مَطيّهِ ، أجَدّ بِلا رُزْءٍ وَلا سَوْطِ ضَارِبِ
عَلى مِثْلِهَا يُدْمي الحَليمُ بَنَانَهُ ، عِضاضاً على أيدي المَنايا السّوَالِبِ
عَلى أيّ خَلْقٍ آمَنُ الدّهرَ بَعدَمَا تَبَاعَدَ مَا بَيْني وَبَيْنَ الأقَارِبِ

١ مارب : مأرب ، مدينة باليمن كانت قاعدة التبابعة .

٢ بنو العنقاء : الأوس والخزرج . بنو الريان : من ملوك العمالقة .

٣ الأيانق : النياق . البرى ، الواحدة برة : حلقة توضع في أنف الناقة .

٤ الجفاء : الزبد . المذانب ، الواحد مذنب : مسيل في الحضيض .

سِنانُ عُلًى، عزّي، قَناتي، ومَضرَبٌ مِنَ المَجدِ مُستَثنًى به من مَضارِبي
ولمّا طُوِي طَيَّ البُرُودِ، وأقبَلُوا يُهادُونَهُ بَينَ الطُّلَى والمَناكِبِ
صَبرْتُ عليه أطلُبُ النّصرَ بُرهَةً من الدّهرِ ثمّ انقدتُ طوعَ الحَواذِبِ
تقطّعتِ الأسبابُ بَيني وبَينَهُ، فلَم تَبقَ إلاّ عُلقَةٌ للمناسِبِ[1]
لئنْ لمْ نُطِلْ لَدمَ التّرائبِ لوعةً، فإنّ لَنا لَدماً وَرَاءَ التّرائِبِ
يتِمّ تَمامَ الرّمحِ زادتْ كُعوبُهُ، ويَهتزّ للحَمدِ اهتِزازَ القَواضِبِ
فلا الحِلمُ في عَرْكِ الخُطوبِ بعازِبٍ، ولا الرّيقُ في كَرّ الرّزايا بناضِبِ
يُداهي ضِبابَ القاعِ، وهوَ كأنّهُ من اللّينِ غَمرٌ غيرُ جَمّ المَذاهِبِ[2]
إذا طبَعَ الآرَاءَ ماطَلَ غربَها، فلَمْ يُمضِها إلاّ بإذنِ العَواقِبِ
مِنَ القَومِ حلّوا في المَكارِمِ والعُلى بمُلتَفّ أعياصِ الفُرُوعِ الأطايِبِ
أقامُوا بمُستَنّ البِطاحِ، ومَجدُهمْ مَكانَ النّواصِي من لُؤيّ بنِ غالِبِ
بَهاليلُ، أزوَالٌ، تُعاجُ إليهِمُ صُدُورُ القَوافي أوْ صُدورُ النّجائِبِ[3]
عِظَامُ المَقارِي يُمطِرُونَ نَوالَهُمْ بأيْدي مَساميحٍ سِباطِ الرّواجِبِ[4]
إذا طَلَبُوا الأعداءَ كانُوا نَغيضَةً ليَومِ الوَغَى من قَبلِ جَرّ الكتائِبِ[5]
وَباتُوا مَبيتَ الأُسدِ تَلتمسُ القِرَى بمَطرُورَةِ الأنيابِ عُوجِ المَخالِبِ

١ العلقة : البقية .
٢ يداهي : يصيب بداهية . الغمر : الذي لا يجرب الأمور .
٣ البهاليل ، الواحد بهلول : السيد الجامع لكل خير . الأزوال ، الواحد زول : الشجاع .
٤ المقاري ، الواحدة مقراة : كل ما اجتمع فيه الماء .
٥ النغيضة : جماعة يبعثون في الأرض لينظروا أفيها ماء أم لا .

وَأَضْحَوْا على الأعوادِ تَسمُو لحاظهمْ كلَمحِ القَطاميّاتِ فَوْقَ المَرَاقِبِ[1]
فَما شِئْتَ مِنْ داعٍ إلى الله مُسمِعٍ، وَمِنْ ناصِرٍ للحقّ ماضِي الضّرَائِبِ
هُمُ استَخدموا الأملاكَ عِزّاً وَأرْهفوا بَصائِرَهُمْ بَعدَ الرّدَى وَالمَعاطِبِ
وَهمْ أنزَلوهُمْ بَعدَما امتَدّ غَيُّهمْ جَماماً على حُكمٍ من الدّينِ وَاجبِ[2]
تَسَامَوْا إلى العِزّ المُمَنَّعِ، وَارْتَقَوْا من المَجدِ أنشازَ الذُّرَى وَالغَوَارِبِ[3]
عَلى إرْثِ مَجْدِ الأوّلِينَ تَعَلّقُوا ذَوَائِبَ أعْنَاقِ العُلَى وَالمَنَاصِبِ
بحَيثُ ابتَنَتْ أُمُّ النّجُومِ مَنَارَهَا، وَأوْفَتْ رَبَايَا الطّالِعاتِ الثّوَاقِبِ[4]
لَهُمْ وَرَقٌ مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَتُبَّعٍ حَديدُ الظُّبَى إلاّ انثِلامَ المَضَارِبِ[5]
فُضَالاتُ ما أبْقَى الكُلابُ وَطَخفَةٌ، وَمَا أسْأرَ الأبطالُ يَوْمَ الذّنَائِبِ
بهِنّ فُلُولٌ مِنْ وَرِيدَيْ عُتَيْبَةٍ، وَنَضْخُ نَجيعٍ من ذُؤابِ بن قارِبِ
تُقَلقَلُ في الأغمادِ هزْلاً، وَخَطبها جَسيمٌ إذا جُرّبْنَ بَعضَ التجارِبِ
غُدُوّاً إلى هَدْمِ الكَوَاهِلِ وَالطُّلَى، وَعَوْدٌ إلى حَذْفِ الذُّرَى وَالعَرَاقِبِ
لتُبكَ قُبُورٌ أفرَغَ المَوْتُ تَحتَهَا سِجَالَ العَطَايَا بَعدَهُمْ وَالرّغائِبِ
وَطابَ ثَرَاها، وَالثّرَى غَيرُ طَيّبٍ، وَذابَ نَداها، وَالنّدى غَيرُ ذائِبِ
كَأنّ اليَمَاني ذا العِيَابِ بِأرْضِها، يُقَلّبُ مِنْ دارِينَ ما في الحَقائِبِ

---

١ القطاميات، الواحد قطامي: الصقر الحديد البصر.
٢ جماماً: أراد به طافحاً.
٣ أنشاز، الواحد نشز: المكان المرتفع.
٤ الربايا، الواحدة ربيئة: الطليعة.
٥ قوله: لهم ورق، لعله استعار الورق للسلاح.

إذا اجتَازَ رَكْبٌ كانَ أجوَدَ عندَهَا بعقرِ المَطَايَا مِنْ سُحَيْمٍ وَغالِبِ[1]
أفي كلّ يَوْمٍ يَعرُقُ الدّهْرُ أعظُمي، وَيَنهَسُ لحمي جَانِباً بَعدَ جَانِبِ[2]
فَيَوْماً رَزَايَا في صَديقٍ مُصَادِقٍ ؛ وَيَوْماً رَزَايَا في قَرِيبٍ مُقارِبِ
فَكَمْ فَلّ منّي ساعِداً بَعدَ ساعِدٍ ؛ وَكَمْ جَبّ منّي غارِباً بَعدَ غارِبِ
وَفادِحَةٍ يُستَهزَمُ الصّبرُ باسمِها ، وَتُظمَى إلى مَاءِ الدموعِ السّوَاكِبِ[3]
صَبَرْنَا لهَا صَبرَ المَناكِبِ حِسبَةً ، إذا اضْطرَبَ الناسُ اضْطرَابَ الذوائِبِ[4]
تُعَاصِي أنَابِيبُ الحُلُمِ جَلادَةً ، وَتَهفُو يَرَاعَاتُ العُقولِ العَوازِبِ
كَظُوماً على مثلِ الجَوائِفِ أتعبَتْ نَطاسِيَّها مِنْ قارِفٍ بَعدَ جالِبِ[5]
تَحِلّ الرّزَايَا بالرّجَالِ وَتَنْجَلي ، وَرُبّ مُصَابٍ يَنجَلي عَنْ مَصَائِبِ
مِنَ اليَوْمِ يَستَدعي مَنازِلَكَ البكا ، إذا مَا طَوَى الأبوابَ مَرُّ المَواكِبِ
وَتَضْحَكُ عنكَ الأرْضُ أُنساً وَغبطة ، وَتَبكيكَ أخْدانُ العُلَى وَالمَنَاقِبِ
سَقاكَ الحَيا إنْ كانَ يرْضَى لك الحَيا بِغُرّ الأعَالي مُظْلِمَاتِ الجَوَانِبِ
تَمُدّ بِأرْدافٍ ثِقَالٍ وَتَرْتَمي عَلى عَجرَفِيّاتِ الصَّبَا وَالجَنَائِبِ[6]

١ سحيم وغالب : من أجواد العرب .
٢ عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم . ينهس : يأخذ بمقدم أسنانه .
٣ الفادحة : النازلة الثقيلة . يستهزم : يكسر .
٤ الحسبة : الأجر والثواب .
٥ الجوائف ، الواحدة جائفة : الطعنة تبلغ الجوف . القارف : المنقشر من جلد الجرح . الجالب الجرح الذي تعلوه قشرة .
٦ العجرفيات : المسرعات .

كَـأنَّ لِـوَاءً يَـزْدَحِـمْـنَ وَرَاءَهُ ، إذا اخـتـلَـجَ الـبـرْقُ ازْدحامَ المَقَـانـبِ
بِوَدْقٍ كأخْلافِ العِشَارِ استَفَـاضَهَا تَـداعِي رُغَـاءٍ مِنْ مُبِسٍّ وَحالِـبِ[1]
يَقَـرُّ بِعَيْـنِي أنْ تُـطِيلَ مَـوَاقِفاً عَـلَيْـكَ مَجَرُّ المُدْجِناتِ الهَوَاضِبِ
وَأنْ تَـرْقُـمَ الأنْـوَاءُ تُرْبَـكَ بَعدَها بِكُـلِّ جَـدِيدِ النَّـورِ رقمَ الكَـوَاكِـبِ
ذَكَرْتُـكُمُ ، وَالعَينُ غيرُ مُحِيلَةٍ ، فأنبَطتُ غُـدرانَ الدّموعِ السّوَاكِـبِ
وَمَا جَالَتِ الألحَاظُ إلاّ بِقَاطِرٍ ؛ وَلا امتَـدّتِ الأنفاسُ إلاّ بحَاصِبِ
وَهَلْ نافِعِي ذِكْرُ الأخِلاّءِ بَعْدَهُ ، جَـرَى بَينَنا مَوْرُ النَّقَا وَالسّبَاسِبِ

غاض غدير الكلام

يرثي أبا منصور المرزبان الشيرازي الكاتب ، وكان بينهما صداقة وكيدة ومكاتبات بالنظم والنثر . وتوفي صبيحة يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وقد بلغ من السن ٨٦ سنة وكان من أماثل كتاب الرسائل ومذكوريهم :

أيُّ دُمُوعٍ عَلَيْكَ لمْ تَصُبِ ؛ وَأيُّ قَلْبٍ عَلَيْكَ لمْ يَجِبِ
خبّتْ إلَيكَ الخُطوبُ مُعجِلَةً ، ضُرُوبَ شَدّ الجِيَادِ وَالخَبَبِ
وَاعَجَبي للزّمَانِ كَيْفَ نَبَا ، وَاعَجَبٌ أنْ أقُولَ وَاعَجَبي

١ الأخلاف ، الواحد خلف : الضرع . العشار : النياق . المبس ، من أبس بالناقة : دعاها إلى الحلب

مَا لِي وَمَا للخُطُوبِ تَسْلُبُنِي | في كُلِّ يَوْمٍ غَرَائِبَ السَّلَبِ
إمّا فَتًى نَاضِرَ الصِّبَا كَأَخي | عِنْدِيَ ، أوْ زَائِدَ المَدَى كَأَبي
وَإنّنِي للشّقَاءِ أحْسَبُنِي | ألعَبُ بالدّهْرِ ، وَهوَ يَلعَبُ بِي
مَا نِمْتُ عَنهُ ، إلاّ وَأيقَظَنِي ، | مِنَ الرّزَايَا ، بفَيْلَقٍ لَجِبِ
وَلَمْ أزَعْهُ ، إلاّ وَأعْقَبَنِي | سَطْواً كَوَقْعِ الظُّبَى عَلى اليَلَبِ
في كُلِّ دارٍ تَعْدُو المَنونُ وَمِنْ | كلّ الثّنَايَا مَطَالِعُ النُّوَبِ
يَفُوزُ بالرّاحَةِ الفَقيدُ ، وَلا | فَاقِدِ طُولُ العَنَاءِ وَالتّعَبِ
يَطِيبُ نَفْساً عَنّا ، وَوَاحِدُنَا | إنْ طَيّبَ القَلْبَ عَنهُ لمْ يَطِبِ
أحْمَدُ كَمْ لي عَلَيكَ من كَمَدٍ | بَاقٍ وَمِنْ جَوْدِ أدْمُعٍ سَرِبِ
وَلَوْعَةٍ تَحْطِمُ الضّلُوعَ ، إذا | ذكَرْتُ قُرْبَ اللّقَاءِ عَن كَثَبِ
إنْ قَطَعَ المَوْتُ بَيْنَنَا ، فَلَقَدْ | عِشْنَا وَمَا حَبْلُنَا بِمُنْقَضِبِ
كَمْ مَجْلِسٍ صَبّحَتْهُ ألسُنُنَا | تُفَضّ فيهِ لَطائِمُ الأدَبِ
مِنْ أثَرٍ يُونِقُ الفتَى حَسَنٍ ، | أوْ خَبَرٍ يَبْسُطُ المُنَى عَجَبِ[1]
أوْ غَرَضٍ أصْبَحَتْ خَواطِرُنَا | تُساقِطُ الدّرَّ مِنهُ في الكُتُبِ
كالبَارِدِ العَذْبِ رَوّقَتْهُ صَبَا الـ | فَجْرِ ، أوِ الظَّلْمِ زِينَ بالشّنَبِ[2]
غَاضَ غَدِيرُ الكَلامِ مَا بَقيَ الـ | دّهْرُ وَقَرّتْ شَقَاشِقُ الخُطَبِ
يا عَلَمَ المَجْدِ لِمْ هَوَيْتَ وَقَدْ | كُنْتَ أمِينَ العِمَادِ وَالطُّنُبِ

١ يونق : يعجب .
٢ الظلم : ماء الأسنان . الشنب : البرودة والعذوبة .

يا مِقْوَلَ الدّهْرِ لِمْ صَمتَّ وَقدْ كُنتَ زَمَاناً أمضَى مِنَ القُضُبِ
يا ناظِرَ الفَضْلِ لِمْ غَضَضْتَ وَما كُنتَ قَدِيماً تُغضِي على الرِّيَبِ
كنتَ قَرِيني وَلَسْتَ منْ لِدَتي ؛ كنتَ نَسيبي وَلَستَ من نَسَبي
مِمّا يُقَوّي العزَاءَ عَنكَ ، وَإن شَرّدَ قَلْبي العزَاءُ بالكُرَبِ
أنّكَ أحرَزْتَهَا ، وَإنْ رُغِمَ الـ دّهْرُ ، ثَمَانِينَ طَلْقَةَ الحِقَبِ
فَإنْ دُمُوعي جرَينَ نَهنَهَهَا عِلْمي بِأنْ قَدْ ظَفِرْتَ بالأرَبِ
فَلَيْتَ عِشْرِينَ بِتّ أحْسُبُهَا باعدْنَ بَينَ الوُرُودِ وَالقَرَبِ[1]
إنّيَ أظْمَى إلى المَشيبِ ، وَمَنْ يَنْجُ قَليلاً مِنَ الرّدَى يَشِبِ
وَإنْ يَزُرْ طَالِعُ البَيَاضِ أقُلْ يا لَيْتَ لَيلَ الشّبابِ لَمْ يَغِبِ
مرّ عَلى ذَلِكَ التّرابِ مِنَ الـ مُزْنِ خَفُوقُ الأعْلامِ وَالعَذَبِ
كَالعِيرِ ذاتِ الأوْساقِ صَاحَ بهَا مُعْتَسِفٌ بالأيَانِقِ النُّجُبِ
إذا خبَا بَرْقُهُ استَعَانَ عَلى إيقَادِهِ بِالمُجَلْجِلِ اللّجِبِ
لِتَرْتَوِي ثَمّ أعْظُمٌ نَزَلَتْ داجي الدّماميمِ مُوحِشَ الحَدَبِ[2]
بحَيْثُ تُزْوَى عَنِ النّسيمِ ،وَتَسْـ تَدْرِجُ عَنّا مَطالعَ الشّهُبِ
فَثَمّ بِشْرٌ أصْفَى مِنَ الغَدِقِ الـ عَذْبِ وَجُودٌ أنْدَى من السُّحبِ
وَأجْبُلٌ كَانَ يُستَذَمّ بِهِ مِنَ اللّيَالي فَساخَ في التُّرُبِ[3]

١ القرب : سير الليل لورد الغد .
٢ الدماميم ، الواحدة ديمومة : الفلاة الواسعة . الحدب : الغليظ المرتفع من الأرض .
٣ يستذم به : يستجار به .

لا تَحْسَبَنَّ الخُلُودَ بَعدَكَ لي؛ إنَّ المَنَايَا أعْدَى مِنَ الجَرَبِ
إنَ انْجُ مِنها وَقد شَرِبتَ بِهَا ، فإنَّ خَيْلَ المَنُونِ في طَلَبي

صبراً على الضرّاء

قال رحمه الله يعزي أخاه عن ابنة له توفيت :

لا لوم للدهرِ ، ولا عِتابا ، تغاب! إن الجلد من تغابى
صَبْراً عَلى الضَّرّاءِ واحتِسَابَا، أصْبَرُنَا أعْظَمُنَا ثَوَابَا
مَا الدَّمْعُ مِمّا يَزَعُ المُصَابَا ، وَلا يَرُدُّ القَدَرَ الغَلاّبَا
أمْضَى الزّمَانُ حُكْمَهُ غَلاّبَا ، أصَابَنَا وَطَالَ مَا أصَابَا
يُولِغُ ظِفْراً للرّدَى ، ونَابَا ، لا يَبْكِيَنْ حاضِرُنَا مَنْ غَابَا
مَا غَابَ مِنّا غَائِبٌ فَآبَا ، وَرُبَّ حَيٍّ دَعَمُوا القِبَابَا
وَاستَفْسَحُوا الأعطانَ وَالرّحَابَا، وَطَبّقُوا السّهُولَ وَالعِقَابَا
لا يَرْهَبُونَ للعِدَى ذُبَابَا ، أمْسَوْا لَقَاحاً ، وَغَدَوْا نِهَابَا
جَرّ عَلى دارِهِمُ ذِنَابَا ، وَأتْبَعَ القَوَادِمَ الذُّنَابَى[1]
بِمُعْجِلٍ يَنْتَزِعُ الأطْنَابَا ، يُوطي الحِمَى وَيَهْتِكُ الحِجَابَا

[1] الذناب : الدلاء . الذنابى : ذنب الطائر .

كالبَاتِرَاتِ تَبْذُرُ الرّقَابَا ، نَسعَى ، وَيَطوِينَا الرّدى وِثَابَا
كَمْ قَطَعَ الأقرَانَ وَالأسبَابَا ، وَفَرّقَ الجيرَانَ وَالأحبَابَا
وَاستَدْرَجَ العَبيدَ وَالأرْبَابَا ، سَيلُ رَدًى قَدْ مَلأ الشّعَابَا
وَجُنّ مَوْجاً ، وَطَغَى عُبابَا، قَارَعَنَا وَانتَزَعَ اللُّبَابَا
أعجِبْ وَأخلِقْ أنْ تَرَى عجابَا يُبَلِّدُ الأفهَامَ وَالألبَابَا
إن الردى وإن رمى فصابا ، وجاد بتنا يده جدابا
يَعْجِمُ مِنْ عِيدانِنَا صِلابَا ، صَعْباً يُلاقي أنفُساً صِعَابَا
لا تُنْكِرُ المَوْتَ لهَا شَرَابَا ، وَلا تَعَافُ الصَّبِرَ المُذَابَا
سَوَالِباً وَمَرّةً أسْلابَا ، إذا أنَا انقَدْتُ وَلمّا آبَى
مُنْجَفِلاً مَعَ الرّدَى مُنْجَابَا ، فَلِمْ سَنَنْتُ الصّارِمَ القِرْضَابَا
وَلِمْ رَبَطْتُ الشُّزَّبَ العِرَابَا ، يَمْرِينَ بالشّكائمِ اللُّعَابَا[1]
خَمَايِصاً تُحَاضِرُ الذّيَابَا ، يَحْمِلنَ أُسْداً في الوَغَى غِضَابَا
قَدْ سَلَبُوا السّوَابغَ العِيَابَا ، رَكْباً ، وَطَوْراً للقَنَا رِكَابَا
يَحْمي الحِمَى وَيَمْنَعُ الجَنَابَا، حتّى إذا داعي الرّدَى أهَابَا
أسْقَطَ مِنْ أيمَانِنَا الكِعَابَا ، وَبَزّنَا أرْوَاحَنَا إغْصَابَا
لا طَعْنَ نَسطِيعُ ، وَلا ضِرَابَا، مُقْتَحِمٌ عَلى الأُسُودِ الغَابَا
وَرُبّ إخوَانٍ مَضَوْا شَبَابَا ، تَلاحَقُوا إلى الرّدَى صِحَابَا

....

١ الشزب : الضوامر . يمرين : يمسحن . الشكائم ، الواحدة شكيمة ، وهي من اللجام: الحديدة المعترضة في فم الفرس .

لا نَتَرَجّى مِنهُمُ إيَابَا ، وَلا نَعُدّ لَهُمُ الأحقَابَا
لا يَحْفِلُ الحُجّابَ وَالأبْوَابَا ، إذا دُعُوا لَمْ يُرْجِعُوا جَوَابَا
وَلَبِسُوا الجَنْدَلَ وَالظِّرَابَا ، لِقَدَرٍ مَا عَمَرُوا الخَرَابَا
يا غُصُناً طَالَ وَفَرْعاً طَابَا ، لَمّا ذَوَى أوْدَعْتُهُ التّرَابَا
أرَابَ مِنْ يَوْمِكَ مَا أرَابَا ، لا زِلْتُ أستَسقي لكَ السّحَابَا
كُلّ أغَرّ يَدِقُ الذّهَابَا مُجَرِّراً عَلى الرُّبَى أهْدَابَا[1]
يُبْقي بأجوازِ الثّرَى أنْدابَا ، وَيَنْثَني مُجَوِّلاً جَوّابَا
وَإنْ لَبِسْتَ للبِلَى جِلْبَابَا ، أرَى البُكَاءَ سَفَهاً وَعَابَا
لا تَجْعَلَنْهُ دَيْدَناً وَدَابَا ، وَافَقَ مِنّا أجَلٌ كِتَابَا

غارة الموت

وقال رحمه الله يعزيه أيضاً عن مولودة له توفيت :

لأظْمَا مُعلّينَا وَأرْوَى المَصَائِبَا ، وَأسْخَطَ آمَالاً وَأرْضَى نَوَائِبَا[2]
مُصَابٌ نُجُومُ المَجدِ فيهِ نَوَاجِمٌ ، تَرَكْنَ نجُومَ الصّبرِ عَنهُ غَوَارِبَا

١ يدق : يمطر . الذهاب : المطر الغزير .
٢ معلينا ، من أعله : سقاه سقياً بعد سقي .

أصابَتْ سِهامُ الحادِثاتِ قُلُوبَها، فكَمْ أعقبَتْ رَوْعاً يرُوعُ العَواقِبَا
لَقَدْ وَعدَتْنا ، إذْ رَغِبْنا رَغابِياً ، فلَمّا أصبْنَ الظّنّ أعطَتْ مَصايبَا
وَأرْضَعنَ أفوَاهَ المَطامِعِ فَجعَةً ، فَطَمْنَ بِهَا عِنْدَ النّجاحِ المَطالِبَا
بِمَفْقُودَةٍ يَنْهَلّ ماءُ مُصابِها دُمُوعاً على خَدّ الزّمَانِ سَوَاكِبَا
إذا قعَدَتْ أحزَانُهَا في قُلُوبِنَا ، أقَمْنَا على الصّبرِ الشّفَاهَ نَوَادِبَا
صَبَرْنَا فَغَصّصْنا الزّمانَ بِرِيقِهِ ، على أنّ لِلأيّامِ فينَا مَضَارِبَا
ولَمْ نَطْرَحِ الأسلابَ يَوْماً لنكبَةٍ ، وَإنْ جَذَبَ المِقدارُ مِنّا المَجاذِبَا
ألا إنّ هذا الثّاكِلَ الحسَبِ الّذي بِهِ ثَكِلَ المَجدُ التّليدُ المَنَاقِبَا
رَمَى في يَمِينِ الدّهْرِ دُرّةَ سُؤدُدٍ ، فأحجِ بِها يَحنُو علَيها الرّوَاجِبَا[1]
وَقَد شَنّ فيها حادثُ المَوْتِ غارَةً ، ثَنَتْنَا وَلَمْ تَطْلُعْ إلَيْنَا كَتَائِبَا
فَلا تَحْسَبَنْ رُزْءَ الصّغائِرِ هَيّناً ، فإنّ وَجَى الأخفافِ يُنضِي الغَوَارِبَا
سَقَى اللهُ حَصْبَاءَ الثّرَى كلّ لَيلَةٍ سَحَائِبَ يَتزعنَ الرّيَاحَ الحَوَاصِبَا
جَنَادِلُ مِنْ قَبْرٍ كأنّ صُدُورَهَا ، حَبَاهُ الحَيَا دُونَ القُبُورِ، مَحارِبَا
أقَامَتْ بِهِ حتّى لَوَدّتْ عيُونُنَا ، ولَمْ تُبْقِ دَمْعاً أنْ يَكونَ سَحائِبَا
تُرَابٌ يرَى أنّ النّجُومَ تُرَابُهُ ، وَيَحسبُ أحجَارَ الصّفيحِ الكَوَاكِبَا
وَسَيْفٌ نُضِي مِنْ جفْنِهِ ، غيرَ أنّهُ رَضِي لحدَه من غِمدِهِ الدّهرَ صَاحبَا
يُغطّي الثّرَى عَنّا وُجُوهاً مُضِيئَةً ، كمَا كفَرَ الغَيمُ النّجومَ الثّوَاقِبَا

[1] أحج بها : أخلق بها . يحنو : يلوي .

وَرُزْءٌ رَمَى صَدْرَ الأَمَانِي بِيَأْسِهَا ، وَكُنَّ إلى وِرْدِ المَعَالي قَوَارِبَا
ألا رُبَّ لَيْلٍ قَلْقَلَتْهُ عَزَائِمي إلى أنْ نَضَا عَنْ مَنكِبَيهِ الغَيَاهِبَا
جَذَبتُ بِضَبْعِ العَزْمِ مِن بينِ أضْلُعي ، وَزَاحَمْتُ بالهَمّ الدُّجَى وَالسَّبَاسِبَا
وَجُرْداً ضَرَبْنَ الدّهْرَ في أُمّ رَأسِهِ ، وَجُزْنَ بِنَا أعْجَازَهُ وَالمَنَاكِبَا
وَمَرّتْ حَوَامِيها عَلى لِمّةِ الدُّجَى ، تُجاذِبُ بالإدلاجِ منها الذّوَائِبَا
وَإنّي لَمِنْ قَوْمٍ إذا رَكِبُوا النّدَى إلى الحَمْدِ باتُوا يَعسِفُونَ الرّكائِبَا
إذا فَاضَ رَقراقُ المَحَامِدِ صَيّرُوا لَهُ جُودَهُمْ دونَ اللّئَامِ نَصَائِبَا
وَإنْ ضَاقَ صَدرُ الخَطبِ وَسّعَ بأسُهم لسُمرِ القَنَا بَيْنَ الضّلوعِ مَذاهِبَا
بِطَعْنٍ كَدُفّاعِ الغَمَامِ تَحُثّهُ ذَوَابِلُ يُمْطِرْنَ الدّمَاءَ صَوَائِبَا[1]
لَهُ شَرَرٌ يَرْمي الرّمَاحَ بِلَفْحِهِ ، يَكَادُ يُرَى مَاءُ الأسِنّةِ ذائِبَا
إذا أنْكَرُوا في النّقعِ ألوَانَ خَيلِهِمْ أضَاءَ لَهُمْ حتّى يَشِيمُوا السّبَائِبَا
أبَا قاسِمٍ جَاءَتْ إلَيْكَ قَلائِدٌ تُقَلِّدُ أعْنَاقَ الكِرَامِ مَنَاقِبَا
قَلائِدُ مِنْ نَظمي يَوَدّ لحُسنِها قُلُوبُ الأعادي أنْ تكونَ تَرَائِبَا
إذا هَدّهَا رَاوِي القَرِيضِ حَسِبْتَهُ يَقُومُ بِهَا في نَدْوَةِ الحَيّ خاطِبَا[2]
فَلَوْ كُنّ غُدْرَاناً لَكُنّ مَشارِبا ، وَلَوْ كُنّ أحْداثاً لَكُنّ تَجَارِبَا

١ الدفاع : قوة الموج أو السيل .
٢ هدها : صوت بها ، أنشدها .

حجاب العفافة

يرثي بعض أخواته توفيت ودفنت
في مشهد الحسين عليه السلام :

يا دِينَ قَلْبِكَ مِنْ بَا رِقٍ يُنِيرُ[1]
عَلى شَرِيقِيِّ نَجْدٍ مَرْعًى لِعَيْنِكَ جَدْبُ
كَمَا تُلِيحُ ذِرَاعٌ ، فِيها مِنَ النَّضرِ قُلْبُ[2]
كَأَنَّهُ نَارُ عَلْيَاءَ لِلضُّيُوفِ تُشَبّ
أَوْ سَاطِعَاتٌ أَرَاهَا ، وَاللَّيْلُ داجٍ أَزَبّ
مُرَاوِحٌ بِيَدَيْهِ عَلَى الزِّنَادِ مُكِبّ
أَوْ أُمُّ مَثْوَى يَلَنْجُو جُهَا عَلَى النَّارِ رَطْبُ[3]
الغَوْرُ مِنْهُ مَعَانٌ ، وَعَاقِلٌ وَالهَضْبُ[4]
لَهُ حَفِيفُ رُعَادٍ يُرَاعُ مِنْهُ السِّرْبُ[5]

١ الدين : الداء ، المرض .

٢ النضر : الجوهر الخالص من التبر . القلب : السوار .

٣ أم المثوى : صاحبة المنزل . اليلنجوج : عود يتبخر به .

٤ الغور : المطمئن من الأرض . المعان : المنزل . عاقل : موضع . الهضب : ما ارتفع من الأرض. ولعله أراد مواضع بعينها .

٥ الحفيف : الصوت . الرعاد : الرعد . السرب : القلب .

وَبَارِقَاتٌ كَمَا شَقَّ تِ العَجَاجَ القُضُبُ

أمَا تَرَى البَرْقَ يَبْدُو ، إلاّ لِعَيْنَيْكَ غَرْبُ

وَلِلزّفِيرِ هَبَابٌ بَيْنَ الضّلُوعِ وَهَبّ

يُضِيءُ بِالطّفّ قَبْراً فِيهِ الأعَزّ الأحَبّ

فِيهِ مِنَ العَيْنِ مَاءٌ ، لا بَلْ مِنَ القَلْبِ خِلْبُ

مَا كُنْتُ أحسَبُ يَوْماً ، وَالدّهْرُ ضَرْبٌ وَضَرْبُ

أنّي أبِيتُ وَبَيْنِي وَبَيْنَ لُقْيَاكِ سَهْبُ[1]

وَأنْ تُطَارِدَ مَا بَيْ نَنَا زَعَازِعُ نُكْبُ[2]

بِحَيْثُ يَرْتَعُ أُدْمٌ مِنَ الجَوَازِي ، وَحُقْبُ[3]

وَكَيْفَ يَكْرَعُ مُسْتَوْ رِدُ القَطَا وَيَعُبّ

يا دارَ قَوْمِيَ أيْنَ الْ أولى بِرَبْعِكِ لَبّوا

مَصَاعِبٌ حَطّمَتْهُمْ أيْدِي المَنُونِ ، فَخَبّوا

يَسُوقُهُمْ لِلْمَقَادِرِ سَائِقٌ [illegible][4]

١ السهب : الفلاة .

٢ الزعازع : الشدائد ، والرياح الّتي تزعزع كل شيء . النكب ، الواحدة نكباء : الريح الّتي انحرفت عن الرياح القوم ووقعت بين ريحين .

٣ الأدم ، الواحدة أدماء : البيضاء . الجوازيء ، الواحدة جازئة : بقرة الوحش . الحقب، الواحد أحقب وحقباء : حمار الوحش .

٤ المتلثب : العطشان البعيد عن الماء .

مُقْحَمٌ للجَرَاثِيمِ إنْ وَنَوْا ، أوْ أغْبَبُوا[1]
كَانُوا السّيُوفَ إذا عَا يَنُوا المُقَاتِلَ هَبّوا
وَالزّاغبِيّاتِ إنْ أُشْ رِعُوا عَنِ الدّارِ ذَبّوا[2]
مَنَازِلٌ كَانَ فِيهَا للقَوْمِ أمْنٌ وَرُعْبُ
تُكَدّ فِيهَا الأنَابِي بُ وَالرِّبَاطُ القُبُّ[3]
يَهْمي السّنَانُ ، وَيُسْ تَضْمَرُ الجَوَادُ الأقَبّ
رَأيٌ يَغُبّ لِحَزْمٍ ، وَنَائِلٌ لا يَغُبّ
يَنْقَادُ في كُلّ يَوْمٍ مِنّا الأبِيُّ الصّعْبُ
يُجَذّ أصْلٌ وَرِيقُ الـ ذُّرَى ، وَيُدْرَحُ عَقْبُ[4]
لا مُبْغِضُ القَوْمِ يَبْقَى ، وَلا المُجِلّ المُحِبّ
سَوَاءٌ المُلْسُ في غَمَا رَةِ الرّدَى وَالجُرْبُ
يَجْرِي القَضَاءُ ، وَيَمْضِي الطّبِيبُ وَالمُسْتَطِبّ
كَمْ ذا الأمَانُ وَللنّا ثِبَاتِ سَلْبٌ وَجَذْبُ
وَبالرِّيَالِ لِغِرْبَا نِهَا شَحِيجٌ وَنَعْبُ
يَغُرّ سِلْمُ اللّيَالي ، وَالسّلْمُ مِنهُنّ حَرْبُ

١ الجراثيم ، الواحدة جرثومة : أصل الشيء . والمقحم : المدخل ، والمعنى غامض . ونوا ضعفوا وكلوا . أغبوا : جاؤوا يوماً بعد يوم .

٢ الزاغبيات : الرماح . ذبوا : دافعوا .

٣ الأنابيب : الرماح . الرباط : الخيول . القب : المضمرة .

٤ يدرح : يدفع . العقب : الآتي بعد آخر .

لَنَا مِنَ الدّهْرِ رَبْضٌ عَلَى وَعِيدٍ وَوَثْبُ
يَوْماً غُرُورٌ ، وَيَوْماً عَدْوٌ عَلَيْنَا وَشَغْبُ
يَنْحُو المَضِيقَ ، وَقَدْ أَعْرَضَ الطّرِيقُ اللّحْبُ
أآخِرُ اللّعْبِ جِدٌّ ، أمْ آخِرُ الجِدّ لِعْبُ
شَقِيقَتِي ! إنّ خَطْباً عَدا عَلَيْكِ لَخَطْبُ
وَإنّ رُزْءاً رَمَانِي بِالبُعْدِ عَنْكِ لَصَعْبُ
سَهْمٌ أصَابَكِ مِنْهُ لِلقَدْرِ فُوقٌ وَغَرْبُ
لا النّصْلُ مِنْهُ بِنَابٍ يَوْماً ، وَلا الرّيشُ لَغْبُ[1]
يَبِيتُ بَعْدَكِ في مَضْجَعي الجَوَى وَالكَرْبُ
كَمَا يَبِيتُ رَمِيضٌ بَعْدَ السّنَامِ الأجَبّ[2]
أنّى عَلَى قَضَضِ الهَمّ يَطْمَئِنّ الجَنْبُ[3]
لَوْ رَدّ عَنْكِ المَنَايَا الـعِجَالَ طَعْنٌ وَضَرْبُ
لَخَاضَ فِيهَا سِنَانٌ مَاضٍ وَطَبّقَ عَضْبُ
وَقَامَ دُونَ الرّدَى غُلْظُ السّوَاعِدِ غُلْبُ
وَنَاقَلَتْ بِالعَوَالي ذُؤبَانُ لَيْلٍ تَخُبّ
قَضَيْتِ نَحْباً قَضَى بَعْدَهُ مِنَ المَجْدِ نَحْبُ

[1] الريش اللغب : الذي يلتئم لرداءته .
[2] الأجب : المقطوع .
[3] القضض : التراب يعلو الفراش .

وَلَمْ يَكُنْ لكِ إلاّ مِنَ المَقَادِيرِ خَطْبُ
وَدُونَ كُلّ حِجابٍ مِنَ العَفَافَةِ حُجْبُ
وَقَبْرُكِ الصّوْنُ مِنْ قَبْـلِ أنْ يَضُمّكِ تُرْبُ
كَأنّني كُلّ يَوْمٍ قَلْبي إلَيْكِ أصَبّ
وَكُلّمَا انْدَمَلَ الـقَرْحُ عَادَ قَلْبيَ نَدْبُ
يَكِلّ وَاقِعُ طَرْفي عَمّنْ سِوَاكِ وَيَنْبُو
أُجِلُّ قَبرَكِ عَنْ أنْ أقُولَ حَيّاهُ رَكْبُ
أوْ أنْ أقُولَ سَقَاهُ صَوْبُ الغَمَامِ المُرِبّ
إلاّ لِحَاجَةِ نَفْسٍ تَهْفُو إلَيْكِ وَتَصْبُو
أوْ أنْ يُبَلّ غَلِيلٌ إنْ بَلّ قَبرَكِ شُرْبُ
وَكَيْفَ يَظْمَأُ قَبْرٌ فيهِ الزّلالُ العَذْبُ
أمْ كَيْفَ تُظْلِمُ أرْضٌ أُجِنّ فيهَا الشّهْبُ
نُوّارُهَا المَجْدُ ، لا حَنْـوَةُ الرُّبَى وَالعِرْبُ[1]
جَاوَرْتِ جَاراً تَلَقّا كِ مِنْهُ بِرٌّ وَحُبّ
شِعْبٌ غَدا ، وَهْوَ للّـهِ وَالمَلائِكِ شِعْبُ
يا نَوْمَةً ثُمّ مِنْهَا إلى الجِنَانِ المَهَبّ
إنْ كَانَ للشّخْصِ بُعدٌ فَلِلْعَلائِقِ قُرْبُ

١ نوارها : زهرها الأبيض . الحنوة : نبات سهلي . العرب : يبيس البقل ، والبهمى .

أغُبّــهُ ، وَبِرُغْمي ، إنّ الزّيَــارَةَ غِبّ
لَئِنْ خَلا مِنْكِ طَرْفٌ ، لَقَدْ مُلي مِنْكِ قَلْبُ
وَإنْ غَرَبْتِ فَلِطَــا لِعَاتِ شَرْقٌ وَغَرْبُ
خَلاكِ ذَمٌّ ، وَذَمٌّ للدّهْرِ فيكِ وَقَصْبُ[1]
وَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ يَوْمي مِنّي عَلى الدّهْرِ عَتْبُ
فَكَمْ أبيتُ وَعِنْدِي لِذِي المَقَادِيرِ ذَنْبُ

أودع كل يوم حبيباً

قال في قوم من أصدقائه وأهل بيته انقرضوا يرثيهم ويتوجع لفقدهم ، وذلك في شهر رمضان سنة ٣٨٧ :

أُوَدّعُ في كلّ يَوْمٍ حَبِيبَا ، وَأُهدي إلى الأرْضِ شَخصاً غَرِيبَا
وَأرْجِعُ عَنْهُ جَميلَ العَزَاءِ ، أمْسَحُ عَنْ نَاظِرَيّ الغُرُوبَا[2]
كَأنّيَ لَمْ أدْرِ أنّ السّبِيـ ـلَ سَبيلي ، وَأنّي مُلاقٍ شَعُوبَا[3]
وَأنّ وَرَائيَ سَوْقاً عَنيفاً ، وَأنّ أمَاميَ يَوْماً عَصِيبَا

١ القصب : الشتم .
٢ الغروب : الدموع .
٣ الشعوب : المنية .

وَلا أنّني بَعْدَ طُولِ البَقَاءِ ، أصَابَ كَمَا أنّ غَيرِي أصِيبَا
أمَانيُّ أُوضِعُ في غَيِّهَا لرِيحِ الغُرُورِ بِهَا مُستَطِيبَا[1]
تَذَكّرْ عَوَاقِبَ مُوبِي النّبَاتِ ، وَلا تُتْبعِ العَينَ مَرْعًى خَصِيبَا
قَعَدْتُ بِمَدْرَجَةِ النّائِبَاتِ ، يُمِرّ الزّمَانُ عَليّ الخُطُوبَا
علَى الهَمّ أُنفِقُ شَرْخَ الشّبابِ ، وَأُعْطِي المَنَايَا حَبِيباً حَبِيبَا
تَصَامَمتُ عَنْ هتَفَاتِ المَنونِ بغَيرِي وَلا بُدّ مِنْ أنْ أُجِيبَا
وَأعلَمُ أنّي مُلاقِي الّتي شَعَبْنَ قَبَائِلَنَا وَالشّعُوبَا
ألا إنّ قَوْمِي لِوِرْدِ الحِمَامِ مَضَوْا أمَماً ، وَأجَابُوا المُهِيبَا
بِمَنْ أتَسَلّى وَأيْدِي المَنُونِ تُخَالِسُ فَرْعِي قَضِيباً قَضِيبَا
نَزَعْنَ قَوَادِمَ رِيشِ الجَنَاحِ ، وَأثْبَتْنَ في كُلّ عُضْوٍ نُدُوبَا
نجُومٌ ، إذا شَهِدُوا الأنْدِيَاتِ ، رُجُومٌ ، إذا مَا أقَامُوا الحُرُوبَا
إذا عَقَدُوا للعَطَاءِ الحُبَى ، وَإنْ زَعْزَعُوا للطّعَانِ الكُعُوبَا
عَرَاعِرُ لا يَنْطِقُونَ الخَنَا ، وَلا يَحفَظُونَ الكَلامَ المُعِيبَا[2]
يُرِمّ الفَتَى مِنهُمُ جُهْدَهُ ، فَإنْ قَالَ قَالَ بَلِيغاً خَطِيبَا[3]
جَلابيبُ لا تُضْمِرُ الفَاحِشَاتِ ، وَأرْدِيَةٌ لا تَضُمّ العُيُوبَا
وَبِشْرٌ يُهَابُ عَلَى حُسْنِهِ ، فَتَحْسَبُهُ غَضَباً أوْ قُطُوبَا

١ أوضع : أسرع .
٢ عراعر : أسياد شرفاء .
٣ يرم : يسكت .

لَقَدْ أرْزَمَتْ إبِلي بَعْدَكُمْ ، وَأبْدى لها كُلُّ مَرْعًى جُدُوبَا[1]
نَزَعْتُ أزِمّتَهَا للمقَامِ ، وَأعفَيْتُ منها الذُّرَى وَالجُنُوبَا
لمَنْ أطْلُبُ المالَ مِنْ بَعْدِكُمْ ، وَأحفي الحِصَانَ وَأُنضِي الجنيبَا
حَوامي جِبَالٍ رَعَاها الحِمَامُ ، فَسَوّى بِهِنّ الثّرَى وَالجُنُوبَا
وكَمْ وَاضِحٍ مِنكُمُ كالهِلا لِ هَالَتْ يَدايَ عَلَيْهِ الكَثِيبَا
وَنَازَعَني المَوْتُ مِنْ شَخْصِهِ سِنَاناً طَرِيراً وَعَضْباً مَهِيبَا
وَحِلْماً رَزِيناً وَأنْفاً حَمِيّاً ، وَعَزْماً جَرِيّاً وَرَأياً مُصِيبَا
صَوَارِمُ أغمَدْتُهَا في الصّعِيدِ ، وَفَلّلْتُ مِنْهَا الظُّبَى وَالغُرُوبَا
أقُولُ لرَكْبٍ خِفَافِ المَزَادِ ، وَقَدْ بَدّلُوا بِالوَضَاءِ الشّحُوبَا
ألِمّوا بِأجْوَازِ تِلْكَ القُبُورِ ، فَعرّوا الجِيَادَ وَجُزّوا السّبِيبَا[2]
قِفُوا فامْطِرُوا كلّ عَينٍ دَماً بِهَا ، وَاملأُوا كُلّ قَلْبٍ وَجِيبَا
وَلا تَعْقِرُوا غَيرَ حَبّ القُلُو بِ ، إذا عَقَرَ النّاسُ بُزْلاً وَنيبَا
وَإنّي عَلى أنْ رَمَاني الزّمَانُ ، وَأعقَبَ بالقَلْبِ جُرْحاً رَغِيبَا
لتَعجُمُ منّي ضُرُوسُ الخُطُو بِ قَلْباً جَليداً وَعُوداً صَلِيبَا
وَأبْقَى العَواجمُ مِنْ صَعْدَتي عَشَوْزَنَةً تَسْتَقِلّ النّيُوبَا[3]
أخِلاّءِ ! لا زَالَ جَمُّ البُرُوقِ ، أجشُّ الرّعُودِ يُطيعُ الجَنُوبَا

١ أرزمت : حنت .
٢ السبيب من الفرس : شعر الذنب والعرف والناصية
٣ الصعدة : القناة . العشوزنة : الصلبة .

إذا مَا مَطايَاهُ جُبْنَ الفَلا ... أمِنّا عَلَيْهَا الوَجَى وَاللُّغُوبَا
يَشُقّ المَزَادَ عَلى تُرْبِكُمْ ، ... وَيَمْرِي عَلى كُلّ قَبْرٍ ذَنُوبَا
وَأسْألُ أيْنَ مَصَابُ الغَمَامِ ... شُرُوقاً ، إذا مَا غدا ، أوْ غُرُوبَا
أضِنّ عَلى القَطْرِ أنْ يَسْتَهِلّ ... عَلى غَيرِ أجْداثِكُمْ أوْ يَصُوبَا
غُلِبْتُ عَلَيْكُمْ فَيَا صَفْقَةً ... غُبِنْتُ بِهَا العَيْشَ غُصْناً رَطِيبَا
فَلَوْلا الحَيَاءُ لَعَطّ القُلُوبَ ... عَلَيكمْ عَصَائبُ عطّوا الجُيُوبَا[1]
وَلَمْ يَكُ قَدْرُ الرّزَايَا بِكُمْ ، ... جَنَاناً مَرُوعاً ، وَدَمْعاً سَكُوبَا
وَإنّ ضَرايحكُمْ في الصّعيدِ ، ... لتَكسو الخَبيثَ من الأرْضِ طيبَا
وَهَبْنَا لفَيضِ الدّمُوعِ الخدُودَ ... عَلَيكُمْ ، وَحَرَّ الغرامِ القُلُوبَا
لَقَدْ شَغَلَتْني المَراثي لَكُمْ ، ... بوَجدِيَ عَنْ أنْ أقُولَ النّسيبَا
وَكُنْتُ أعُدّ ذُنُوبَ الزّمَانِ ، ... فَبَعْدَكُمُ لا أعُدّ الذّنُوبَا
أرَابَ الرّدَى فيكُمُ جاهِداً ، ... وَزَادَ ، فَجازَ مَدَى أنْ يُرِيبَا
أأنْشُدُ مَنْ قَدْ أضَلّ الحِمامُ ... عَنَاءً لَعَمْرُكَ أعْيَا الطّبيبَا

[1] عط : شق .

صبراً أخي

يعزي صديقاً له :

لَوْ كَانَ يُعْتِبُنِي الحِمَا ... مُ لَطَالَ بَعْدَ اليَوْمِ عَتْبِي
إنّي وَمَـــا عَاتَبْتُـهُ ... إلاّ وَأعْتَبَنِي بِذَنْبِي
صَبْراً أُخَيَّ ، فَإنّهَا ... تَمضِي، وَلَوْ وَقَعَتْ بهَضْبِ
هَوّنْ عَلَيْكَ ، فَقَدْ يَكُو ... نُ الصّعبُ عِندَكَ غَيرَ صَعْبِ
وَانهَضْ فَمَا حُمِلَتْ عَلَى ... قَصِفِ الفَقَارِ وَلا أجَبّ
كُنْتَ الطّبِيبَ لمثْلِهَا ، ... لَوْ يُتّقَى قَدَرٌ بِطِبّ
وَلَئِنْ رَمَى رَامي الرّدَى ... غَرَضاً ، فَزَعزَعَ غَيرَ سِرْبِي
فَلَقَدْ أصَابَ بِسَهْمِهِ ... الغَرَضَينِ مِنْ عَيْني وَقَلْبِي

كرام الرجال ذهبوا

وقال رحمه الله يرثي بعض الرؤساء :

اذْهَبْ وَلا تَبْعَدَنّ مِنْ رَجُلٍ ! ... إنّ كِرَامَ الرّجَالِ قَدْ ذَهَبُو
أدركْتَ فَوْقَ الذي طَلَبتَ نَدًى ... غَمْراً ، وَفَاتَ اللّئَامَ مَا طَلَبُو

لا يُخْلِفُ الدّهْرُ مَا تَجُودُ بهِ ، وَلا يُعِيرُ الرّجَالَ مَا تَهَبُ
عِرْضٌ نَقِيٌّ مِنَ الوُصُومِ ، إذا أَحكّ عِرْضَ المُذَمَّمِ الجَرَبُ
مَضَى التّلِيدُ الأعْلَى لِطَيّبِهِ ، وَاسْتَأخَرَ المَنْسِمَانِ وَالذّنَبُ
تَرْعِيَةٌ طَاعَتِ الصّعَابُ لَهُ ، وَاسْتَوْسَقَتْ في زِمَامِهِ العَرَبُ[1]
يَا دَهْرُ رَشْقاً بِكُلّ نَائِبَةٍ ، قَدِ انتَهَى العَتْبُ وَانقَضَى العَجَبُ
رُدّ يَدِي مَا استَطَعْتَ عَنْ أرَبي، لَمْ يَبْقَ لي بَعْدَ مَوْتِهِمْ أرَبُ

غرور القلب

قال رحمه الله يرثي امرأ يخصه :

عَلَى أيّ غَرْسٍ آمَنُ الدّهرَ بَعدَمَا رَمَى فادحَ الأيّامِ في الغُصُنِ الرّطْبِ
ذوَى قَبلَ أنْ تَذوِيَ الغصُونُ ، وَعهدُه قَرِيبٌ بِأيّامِ الرَّبِيلَةِ وَالخِصْبِ[2]
كَفَى أسَفاً للقَلْبِ ما عِشتُ أنّني بكفّي على عَيني حثَوْتُ من التُّرْبِ
جرَتْ خطرَةٌ منها وَفي القلبِ عَطشَةٌ رَفَعتُ لهَا رأسِي عَنِ البَارِدِ العَذبِ
وَقُلْتُ لجَفْني رُدّ دَمعاً عَلى دَمٍ ، وَللقَلْبِ عالجْ قَرْحَ نَدبٍ على نَدْبِ

---

١ الترعية : المقتحم الأمور .

٢ الربيلة : النعمة .

وَمِمّا يُطيبُ النَّفْسَ بَعدَكَ أنّني عَلى قُرَبٍ من ماءِ وِرْدِكَ أوْ قُرْبِ[1]
ألا لا جَوًى مسّ الفؤادَ كذا الجَوَى، وَلا ذَنْبَ عندي للزّمانِ كذا الذّنبِ
خَلا منكَ طَرْفي وَامتَلا منك خاطري، كَأنّكَ مِنْ عَيْني نَقَلْتَ إلى قَلبي

نار الهموم

قال بديهاً يرثي أبا الحسن أحمد بن علي البتّي وكان من أصدقائه القدماء وتوفي في شعبان سنة خمس وأربعمائة وبعده بشهور توفي الرضي رضي الله عنه :

مَا للهُمُومِ كَأنّهَا نَارٌ عَلى قَلْبي تُشَبُّ
وَالدّمْعُ لا يَرْقَا لَهُ غَرْبٌ كأنّ العَينَ غَرْبُ
لوَداعِ إخْوَانِ الشّبَا بِ مضَتْ مَطاياهم تخُبّ
فارَقْتُهُمْ ، وَالعَينُ عَيْنٌ بعدَهم، وَالقلبُ قلبُ
مَا كُنتُ أحسَبُ أنّني جَلْدٌ على الأرْزاءِ صَعبُ
أوْ أنّني أبْقَى وَظَهْري بَعْدَ أقرَاني أجَبّ
لا الوَجْدُ مُنقَطِعُ الوُقودِ ولا مَزارُ الدمعِ غِبّ
مَا أخْطَأتْكَ النّائِبَاتُ إذا أصَابتْ من تحبّ

[1] القرب : أن لا يكون بينك وبين الماء إلا ليلة واحدة .

الشوق للبعد والقرب

أقُولُ ، وَقَدْ أرْسَلتُ أوّلَ نَظرَةٍ ، وَلَمْ أرَ مَن أهوَى قَريباً إلى جَنْبي
لئِنْ كنتُ أخليتُ المكانَ الذي أرَى ، فهَيهاتَ أنْ يَخلُو مكانُكَ من قَلبي
وكنتُ أظنّ الشّوْقَ للبُعْدِ وَحْدَهُ ، ولَمْ أدْرِ أنّ الشّوْقَ للبُعدِ وَالقُرْبِ
خَلا منكَ قَلبي وَامتَلا منكَ خاطري ، كَأنّكَ مِن عَينِي نَقَلتَ إلى قَلبي[1]

الحبيب الشاكي

أيَا شاكِياً مِنّي لذَنْبٍ جَنَيْتُهُ ، فَدَيتُكَ مِنْ شاكٍ إليّ حَبيبِ
لَئنْ رابَ منّي ما يُرِيبُ فإنّني عَلى عُدَوَاءِ الدّهرِ غَيرُ مُرِيبِ
وَإنّي لأرْعَى منكَ وَالغَيبُ بَينَنا هَوًى قَلّمَا يُرْعَى بظَهرِ مَغيبِ
فَهَبْ ليَ ذَنْباً واحداً ، كان قُلتُه ، فَمَا زَلَلٌ مِنْ حازِمٍ بعَجيبِ
فيا حُسنَ حالِ الوُدّ ما دمتُ مُذنباً أتُوبُ وَما دامَتْ تُعَدّ ذُنُوبي

[1] ورد هذا البيت في أبيات سابقة (صفحة ١٧٠) وفيه : «طرفي» في الصدر بدلاً من «قلبي» وهو الصواب .

أنة الشاكي وتنفس المكروب

لا وَالذي قَصَدَ الحَجيجُ لبَيْتِـهِ ، مَا بَينَ نَـاءٍ نَازِحٍ وَقَرِيبِ
وَالحِجرِ وَالحَجَرِ المُقَبَّلِ تَلتَقي فيهِ الشّفَاهُ ، وَرَكنِهِ المَحْجُوبِ
لا كانَ مَوْضِعُكَ الذي مُلّكْتَهُ بَينَ الأضَالِـعِ بَعدَ ذا لحَبيبِ
إنّي وَجَدْتُ لَذاذَةً لكَ في الحشا لَيستْ لمَـأكُولٍ وَلا مَشْرُوبِ
لي أنّةُ الشّاكي إذا بَعُدَ المَدَى مَا بَيْنَنَا وَتَنَفُّسُ المَكرُوبِ

طيف الحبيب

إنّ طَيْفَ الحَبيبِ زَارَ طُرُوقاً، وَالمَطايَا بَينَ القِنَانِ وَشِعْبِ
فَوْقَ أكْوَارِهِنّ أنْضَاءُ شَوْقٍ طَرَقُوا بالغَرَامِ دُونَ الرّكْبِ
كُلّمَا أنّتِ المَطيُّ مِنَ الإعْـيَاءِ أنُّوا مِنَ الجَوَى وَالكَرْبِ
زارَني وَاصِلاً عَلى غَيرِ وَعْدٍ ، وَانْثَنَى هَاجِراً عَلى غَيرِ ذَنْبِ
كَانَ قَلْبي إلَيْهِ رَائِدَ عَيْنَي ، فَعَلَى العَيْنِ مِنّةٌ للقَلْبِ
بِتُّ ألْهُو بِنَاعِمِ الجِيدِ غَضٍّ ، وَفَمٍ بَارِدِ المُجَاجَةِ عَذْبِ
بَلّ وَجْدي ،وَمَن رَأى اليَوْمَ قَبلي نَاقِعاً للغَلِيلِ مِنْ غَيرِ شُرْبِ

سامِحاً لي عَلى البعادِ بنَيْلٍ كانَ يلْويهِ في زَمانِ القُرْبِ
كانَ عِندي أنّ الغُرُورَ لِطَرْفي، فإذا ذَلِكَ الغُرُورُ لقَلْبي

سلوت المعالي إن سلوتك

كتب إلى صديق له جواباً عن أبيات أتته منه :

حلَفْتُ بأعلامِ المُحَصَّبِ مِنْ مِنًى، وَمَا ضَمّ ذاكَ القاعُ وَالمَنزِلُ الرَّحبُ
وكُلٍّ بُجاوِيٍّ يَجُرّ زِمامَهُ، إذا مَا تَراخَتْ في أزِمّتِها النُّجْبُ[1]
وَتَرْجيعِ أصْوَاتِ الحَجيجِ وَقَد بَدا وَقُورُ النّواحي تَستَبِدّ بهِ الحُجْبُ
وَرَوْعَةِ يَوْمِ النّحرِ، وَالهَدْيُ حائرٌ، وكُلِّ دَمٍ أوْدَى بِجُمّتِهِ الرَّكْبُ
لَقَدْ جَلّ ما بَيْني وَبَيْنَكَ عن قِلًى، سَوَاءٌ تَدانَى البُعدُ أوْ بَعُدَ القُرْبُ
وَلي دَمْعُ عَينٍ لا يُرَنّقُ سَاعَةً، وَنَارُ غَرَامٍ بَيْنَ جَنبَيّ لا تَخبُو[2]
وَقَلْبٌ يَمُورُ الطّرْفُ إنْ قَرّ في الحشا، وَطَرْفٌ، إذا سَكّنْتَهُ نَفَرَ القلبُ[3]
وَجِسْمٌ، إذا جَرّدْتَهُ مِنْ قَمِيصِهِ على النّاسِ قالوا: هكذا يَفعلُ الحُبّ

---

١ البجاوي : نوع من الإبل ينسب إلى بجاوة وهي أرض النوبة
٢ يرنق : يضعف ، يتوقف .
٣ يمور : يجري . الطرف : العين .

فَمَا لِي عَلَى مَا بِي أُعَنَّفُ في الهَوَى ، وَيُرْمِضُني العَذْلُ المُؤرِّقُ وَالعَتبُ[1]
عَلى حينَ أُعطيكَ الوَفَاءَ مُصَرَّحاً ، وَأُصْفيكَ مَحْضَ الوُدّ ما عظمَ الخطبُ
وَكُنتُ ، إذا فَارَقتُ دارَكَ سَاعَةً ، صَمَتُّ ، فَلا جِدٌّ لَدَيّ وَلا لِعبُ
ألا لَيتَ شِعْرِي هَلْ أبيتَنّ لَيلَةً بميثَاءَ يَلطَى في أبَاطِحِها التُّرْبُ[2]
تَطَرّقَهَا مَاءُ الغَمَامِ وَدَرّجَتْ بها الرّيحُ مُخضَرّاً كما نُشرَ العَصْبُ[3]
وَهَلْ أذْعَرَنْ قَلْبَ الظّلامِ بفِتيَةٍ تَهاوَى بهِمْ قُودُ السّوَالِفِ أوْ قُبّ[4]
وَهَلْ أرِدَنْ مَاءً وَرَدْنا بِمِثْلِهِ جميعاً وَفي غُصْنِ الهَوَى وَرَقٌ رَطبُ
وَهَلْ لي بدارٍ أنْتَ فِيها إقَامَةٌ ، فَأنْشُرَ مَا تَطوِي الرّسائلُ وَالكتْبُ
سَلَوْتُ المَعالي إنْ سَلَوْتُكَ سَاعَةً ، وَمَا أنَا إلاّ مُغْرَمٌ بالعُلَى صَبّ

مشغوف ومشغوفة

يَقَرُّ بعَيْني أنْ أرَى لَكِ مَنْزِلاً بِنَعمَانَ يَزْكُو تُرْبُهُ وَيَطِيبُ
وَأرْضاً بِنُوّارِ الأقَاحي صَقيلَةً ، تَرَدَّدُ فيهَا شَمْألٌ وَجَنُوبُ

١ يرمضني : يحرقني .
٢ الميثاء : الأرض السهلة . يلطى : يلزق .
٣ العصب : ضرب من البرود ، والبلاب .
٤ القود ، الواحد أقود : الذليل المنقاد . وقوله السوالف : أراد الخيل ذات السوالف . وسالفة الفرس : ما تقدم من عنقه . القب : الضوامر البطون .

وَأيُّ حَبيبٍ غَيّبَ النأيُ شَخْصَهُ ، وَحَالَ زَمَانٌ دُونَهُ وَخُطُوبُ
تَطاوَلَتِ الأعلامُ بَيْني وَبَيْنَهُ ، وَأصْبَحَ نَائي الدارِ ، وَهوَ قَرِيبُ
لكِ اللهُ من مَطلولَةِ القَلبِ بالهَوَى، قَتيلَةِ شَوْقٍ ، وَالحَبيبُ غَريبُ
أُقِلُّ سَلامي إنْ رَأيتُكِ خيفَةً ، وَأُعرِضُ كَيما لا يُقَالَ مُرِيبُ
وَأُطْرِقُ وَالعَينانِ يُومِضُ لحظُها إلَيكِ ، وَمَا بَينَ الضّلوعِ وَجيبُ
يَقُولونَ : مَشغُوفُ الفُؤادِ مُرَوَّعٌ ، وَمَشغُوفَةٌ تَدْعُو بِهِ فَيُجيبُ
وَمَا علِمُوا أنّا إلى غَيرِ رِيبَةٍ ، بَقَاءَ اللّيَالي نَغْتَدي وَنَؤوبُ
عَفَافِيَ مِنْ دُونِ التّقيّةِ زَاجِرٌ ، وَصَوْنُكِ من دونِ الرّقيبِ رَقيبُ
عَشِقتُ وَما لي، يَعلَمُ اللهُ، حاجَةٌ سوَى نَظَرِي،وَالعاشِقُونَ ضُرُوبُ
وَمَا ليَ يَا لَمْيَاءُ بالشّعْرِ طائِلٌ ، سِوَى أنّ أشعاري عَلَيكِ نَسيبُ
أُحِبّكِ حُبّاً،لَوْ جَزَيْتِ بِبَعضِهِ ، أطاعَكِ مِنّي قَائِدٌ وَجَنيبُ
وَفي القَلْبِ داءٌ في يَدَيْكِ دَوَاؤهُ ، ألاَ رُبَّ داءٍ لا يَرَاهُ طَبيبُ
سَرَى لكِ مِنْ أوْطانِهِ كلُّ عارِضٍ تَضاحَكَ فيهِ البَرْقُ وَهوَ قَطُوبُ
وَلا زَالَ خَفّاقُ النّسيمِ مُرَقْرِقاً عَلَيْكِ ، وَأنْوَاءُ الغَمَامِ تَصُوبُ

اشتياق ولغوب

أغيبُ فأنسَى كلَّ شيءٍ سِوَى الهوَى، وَإنْ فَجَعَتْني بالحَبيبِ النّوَائِبُ
وَلا زَادَ يَوْمُ البَيْنِ إلاّ صَبابَةً ، فلا الشّوْقُ مَنسيٌّ وَلا الدّمعُ ناضِبُ
أحِنُّ ، إذا حَنّتْ رِكابي ، وَفي الحشا بَلابِلُ لا تَعْيَا بهِنّ النّجائِبُ
فعِندي اشتِياقٌ ما يَحِنّ أخو الهوَى، وَعِندِي لُغُوبٌ ما تَحنّ الرّكائِبُ
وَإنّي لأرْعَى مِنْ وَدادِ أحِبّتي عَلى بُعُدٍ ، مَا لا تُراعي الأقارِبُ

من دل عينيك على قلبي

هَلْ نَاشِدٌ لي بِعَقيقِ الحِمَى غُزَيِّلاً مَرّ عَلى الرّكْبِ
أفْلَتَ مِنْ قَانِصِهِ غِرّةً ، وَعَادَ بالقَلْبِ إلى السِّرْبِ
وَأظْمَأَ القَلْبَ إلى مَالِكٍ لا يُحْسِنُ العَدْلَ عَلى القَلْبِ
يَعْجَبُ مِنْ عُجْبي بهِ في الهوَى، وَا عَجَبي مِنْهُ وَمِنْ عُجْبي
أقْرَبُ بالوُدّ ، وَيَنأى بهِ ، وَيْلي عَلى بُعْدِكَ مِنْ قُرْبِ
مُنَعَّمٌ يَعْطِفُ مِنْهُ الصَّبَا ، لِعبَ الصَّبَا بالغُصُنِ الرّطْبِ
بَلادَةُ النّعْمَةِ في طَبْعِهِ ، وَرُبّمَا نَاقَشَ في الحُبّ

أمَا اتّقَى اللهَ علَى ضُعْفِهِ ، مُعَذِّبُ القَلْبِ بِلا ذَنْبِ
يا مَاطِلاً لي بِدُيُونِ الهَوَى مَنْ دَلّ عَيْنَيْكَ عَلى قَلْبي

الوعد الكذاب

وَشَمَمْتُ في طَفَلِ العَشيّةِ نَفحَةً حبَسَتْ بِرامَةَ صُحْبَتي ورِكَابي[1]
مُتَمَلْمِلِينَ عَلى الرّحَالِ كَأنّما مَرّوا بِبَعْضِ مَنَازِلِ الأحْبَابِ
ذَكَرَتْ ليَ الأرَبَ القَديمَ من الهوَى عَهْدَ الصِّبَا ولَيَاليَ الأطْرَابِ
فَبَعَثْتُ دَمعي ثمّ قُلْتُ لصَاحبي : إيهِ دُمُوعَكَ يَا أبَا الغَلاّبِ
في سَاعَةٍ لَمّا التَفَتُّ إلى الصِّبَا بَعُدَتْ مَسَافَتُهُ عَلى الطُّلاّبِ
وَتَأرّجَتْ منهَا زَلازِلُ رَيْطَتي ، حتّى تَعَارَفَ طيبَهَا أصْحَابي
فَكَأنّمَا استَعبَقتُ فَارَةَ تَاجِرٍ ، وَبَعَثْتُ فَضْلَتَهَا إلى أثْوَابي
أشْكُو إلَيكَ وَمِنْ هَوَاكَ شِكايتي ، وَيَهُونُ عِندَكَ أنْ أبيتَ كَمَا بي
يا مَاطِلي بالدَّينِ ، وَهوَ مُحَبَّبٌ ! مَنْ لي بِدائِمِ وَعْدِكَ الكَذّابِ

[1] طفل العشي : قبل غروب الشمس .

آمير رعيته القلوب

رَمَاني كَالعَدُوّ يُرِيدُ قَتْلي ، فَغَالَطَني ، وَقَالَ: أنَا الحَبِيبُ
وَأنْكَرَني ، فَعَرّفَني إلَيْهِ لَظَى الأنفَاسِ وَالنّظَرُ المُرِيبُ
وَقَالوا: لِمْ أطَعتَ؟ وكيفَ أعصِي أميراً مِنْ رَعِيّتِهِ القُلُوبُ

ضوء الحسن وضوء القلب

أيُّ عِيدٍ مِنَ الهَوَى عادَ قَلبي ، بعدَما جَعجَعَ الدّجَى بالرّكْبِ[1]
لَوْ دَعَاني مِنْ غَيرِ أرْضِكَ داعٍ لغَرَامٍ لَكُنْتُ غَيرَ مُلَبّي
أيْنَ ظَبيٌ بِذي النّقَا يُوقِدُ النّا رَ عِشَاءً بالمَنْدَليّ الرّطْبِ[2]
كُلّمَا أخْمِدَتْ زَهَاهَا بضَوءِ الـ حُسنِ مِن جيدِهِ وَضَوْءِ القَلبِ
سَكَنَ الهَضْبَ مِنْ قَبَا فوَجَدنا أثَراً للهَوَى بذاكَ الهَضْبِ
لَيْتَ أحبابَنا ، وَقَدْ أشرَقُونَا ، سَوّغُونَا بَرْدَ الزّلالِ العَذْبِ
يَا لهَا نظرَةً عَلى الشِّعبِ دَلّتْ ني غُرُوراً عَلى غَزَالِ الشِّعْبِ
قَسَمُوا السّوءَ بينَ عَيْني وَقَلبي ، لِمْ جَنَى ناظري فَعَذّبَ قَلْبي

١ جعجع : صوت .
٢ المندلي : عود طيب الرائحة حينما يوقد .

القلب الذائب

ألا أيّها الرّكبُ اليمانُونَ عهدُكم، على ما أرَى ، بالأبْرَقَينِ قرِيبُ
وإنّ غزَالاً جزْتُمُ بِكِناسِهِ ، على النّأيِ عِندِي ، والمطالِ حبيبُ
ولمّا التقَينا دلّ قلْبي على الجوَى دليلانِ : حُسنٌ في العيُونِ وطيبُ
ولي نظْرَةٌ لا تملِكُ العينُ أُختَها ، مخافةَ يشْنُوها عليّ رقيبُ
وهَلْ ينفَعَنّي اليوْمَ دعوَى براءةٍ لقلبي، ولحظي، يا أميمَ، مُرِيبُ
وأنهلَني في القَعْبِ فضْلُ غبُوقهِ خليطانِ : رِيقٌ بارِدٌ وضَرِيبُ[1]
ولَوْ نفَضَتْ تِلْكَ الثّنيّاتُ برْدَها على الصّبِرِ الممْرُورِ كادَ يَطيبُ[2]
فيَا بَرْدَ ماءٍ ذابَ ما ذِيقَ برْدُهُ ، بلَى ، إنّ لي قلْباً علَيْه يذُوبُ

عيني عين على قلبي

يا رِيمَ ذا الأجْرَعِ يرْعَى بهِ ثِمارَ قلْبي بدَلَ الرّطْبِ
هناكَ شُرْبُ الدّمْعِ مِن ناظِرِي، يا مُشْرِقِي بالبارِدِ العذْبِ

١ القعب : القدح . الضريب : العسل
٢ الصبر : عصارة شجر مر .

أنْتَ علَى البُعْدِ همُومي، إذا غِبْتَ ، وَأشجاني علَى القُرْبِ
لا أتْبَعُ القَلْبَ إلى غَيرِكُمْ ، عَيْني لَكُمْ عيْنٌ علَى قَلْبي[1]

بكاء على الشباب

قال وقد حلق وفرته بمنى وسنه يومئذ فوق الثلاثين بقليل وقد رأى فيها بياضاً وكان ذلك سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة :

لا يُبْعِدَنّ اللهُ بُرْدَ شَبيبَةٍ ألقَيْتُهُ بِمِنًى ، وَرُحْتُ سَلِيبَا
شَعَرٌ صَحِبتُ بهِ الشّبابَ غُرَانقاً ، وَالعَيشَ مُخضَرَّ الجَنابِ رَطِيبَا[2]
بَعْدَ الثّلاثِينَ انْقِرَاضُ شَبيبَةٍ ، عَجَباً أُمَيمَ لَقَدْ رَأيتُ عَجيبَا
قَدْ كانَ لي قَطَطاً يُزَيّنُ لِمّتي شَرْوَى السِّنَانِ يُزَيّنُ الأُنْبُوبَا[3]
فاليَوْمَ أطّلِبُ الهَوَى مُتَكَلِّفاً ، حَصِراً ، وَألقَى الغَانِيَاتِ مُرِيبَا
إمّا بَكَيْتُ علَى الشّبَابِ ، فإنّهُ قَد كانَ عَهدي بالشّبابِ قَرِيبَا
لَوْ كانَ يَرْجِعُ مَيّتٌ بتَفَجّعٍ وَجَوًى شَقَقتُ على الشّبابِ جيُوبَا
وَلَئنْ حَنَنتُ إلى مِنًى من بَعدِها ، فَلَقَدْ دَفَنتُ بِها الغَداةَ حَبيبَا

١ العين : الجاسوس .
٢ الغرانق : الشاب الأبيض .
٣ القطط : الشعر القصير الجعد . الشروى : المثل . الأنبوب : القناة .

تلفت القلب !

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلى دِيَارِهِمُ ،   وَطُلُولُهَا بِيَدِ البِلَى نَهْبُ
فَوَقَفْتُ حتّى ضَجّ مِنْ لَغَبٍ   نِضْوِي ، وَلَجّ بعَذْلِيَ الرّكْبُ[1]
وَتَلَفّتَتْ عَيني ، فَمُذْ خَفِيَتْ   عَنها الطّلُولُ تَلَفّتَ القَلْبُ

مات الشباب ولم يعقب

قال أيضاً وهي قطعة عجيبة تشتمل على نسيب وذم المشيب ومراث فألحقتاها بهذا الباب تغليباً لحكم الأول لأن السبق له :

وَلَقَدْ أكُونُ مِنَ الغَوَاني مَرّةً ،   بِأعَزّ مَنْزِلَةِ الحَبيبِ الأقْرَبِ
أقتَادُهُنّ بِفَاحِمٍ مُتَخَايِلٍ ،   فيُرِبْنَني وَيَرِينُ لي وَيَزِنُ بي[2]
وَإذا دَعَوْتُ أجَبْنَ غَيرَ شَوَامِسٍ ،   زَفَفَ النّيَاقِ إلى رُغَاءِ المُصْعَبِ[3]
فَاليَوْمَ يَلْوِينَ الوُجُوهَ صَوَادِفاً ،   صَدّ الصّحَاحِ عَنِ الطليّ الأجرَبِ

١ اللغب : التعب . النضو : البعير المهزول .
٢ عجز البيت غامض ، وربما كان فيه تحريف .
٣ الزفف : الإسراع . المصعب : الفحل .

وَإذا لَطَفْتُ لَهُنّ قالَ عَوَاذِلي : ذِئْبُ الغَضَاةِ يَرِيغُ وُدَّ الرَّبْرَبِ
فَلَئِنْ فُجِعْتُ بِلِمّةٍ فَينَانَةٍ ، مَاتَ الشّبَابُ بِهَا وَلَمّا يُعْقِبِ
فَلَقَدْ فُجِعْتُ بِكُلّ فَرْعٍ باذخٍ مِن عِيصِ مُدرِكَةَ الأعزّ الأطيَبِ[1]
قَوْمي تَقارَعَتِ السُّنُونُ عَلَيْهِمُ ، فَثَلَمنَ كلّ فَتًى كَحَدّ المِقضَبِ
شُعَباً مُفَرَّقَةً يَطِيرُ فُضَاضُهَا ، كَالقَعْبِ مُنْصَدِعاً ، وَلمّا يُرْأبِ[2]
هَتَفَ الرّدَى بِجَميعِهِمْ فتَتَابَعُوا طَلْقَ العُطَاسِ بَنِي أبٍ وَبَني أبِ
وَرَدُوا ، وَإنّي بَعدَهُمْ كَظَمِيّةٍ تَسَلُ القَوَارِبَ عَن بُلُوغِ المَشرَبِ[3]
طَرَقَ الزّمانُ بكلّ خَطْبٍ بَعدَهُم ، فَإذا رَأيْتُ عَجيبَةً لَمْ أعْجَبِ

لئن فارقتهم

غَدَا في الجِيرَةِ الغَادِينَ لُبّي جَميعاً ، ثُمّ رَاجَعَني وَثَابَا
لَئِنْ فَارَقْتُهُمْ ،وَبَقِيتُ حيّاً ، لَقَدْ فَارَقْتُ بَعْدَهُمُ الشّبَابَا

١ العيص : الأصل . مدركة : من أجداد العرب .
٢ الشعب ، الواحدة شعبة : الفرقة ، الطائفة من الشيء . الفضاض : ما تفرق من الشيء عند كسره يرأب : يصلح .
٣ القوارب ، الواحد قارب : طالب الماء ليلا .

بادر قبل المشيب

تَمَلَّ مِنَ التّصَابي حِينَ تُمْسِي ... وَلا أمَمٌ صِبَاكَ ، وَلا قَرِيبُ[1]
سَوَادُ الرّأسِ سِلْمٌ للتّصَابي ، ... وَبَينَ البِيضِ وَالبِيضِ الحُرُوبُ
وَوَلاّكَ الشّبَابُ عَلى الغَوَاني ، ... فَبَادِرْ قَبْلَ يَعزِلُكَ المَشيبُ

التعلل بالدموع

الدّمْعُ مُذْ بَعُدَ الخَليطُ قَرِيبُ ، ... وَالشّوْقُ يَدْعُو ، وَالزّفيرُ يُجيبُ
مَا كُنْتُ أعْلَمُ أنّ يَوْمَ فِرَاقِكُمْ ... تُبْقي عَليّ نَوَاظِرٌ وَقُلُوبُ
إنْ لمْ تَكُنْ كَبِدِي غَدَاةَ وَداعكم ... ذابَتْ ، فَأعْلَمُ أنّهَا ستَذُوبُ
داءٌ طَلَبْتُ لَهُ الأُسَاةَ ، فلَم يكنْ ... إلاّ التّعَلّلُ بالدّمُوعِ طَبيبُ
إمّا أقَمْتُ ، فَإنّ دَمعي غالِبٌ ... لِعَوَاذِلي ، وَتَجَلّدِي مَغْلُوبُ
أبْقَوْا عَلَيلاً بَعدَهُمْ لا بُرْؤهُ ... يُرْجَى ، وَلا الآمَالُ فيهِ تَخيبُ
كَطَرِيدِ يَوْمِ الوِرْدِ طَالَ هُيَامُهُ ، ... فَغَدا يَحُومُ عَلى الرّدَى وَيَلُوبُ
بفُؤادِهِ وَبصَفحَتَيْهِ مِنَ الصّدَى ... وَمِنَ الرِّمَاءِ عَنِ الحِياضِ نُدُوبُ
أسْوَانُ يُفْتِقُ صَبْرُهُ إفْتَاقَةً ... أمَماً ، وَيَغْمِزُ بالجَوَى ، فيَغيبُ

---

[1] الأمم : القصد ، الوسط .

الصبر مر

سَأصْبِرُ إنّ الصّبْرَ مُرٌّ صُدُورُهُ ، ألاَ رُبّمَا لَذّتْ لِقَلْبي عَوَاقِبُهْ
وَلا بُدّ أنْ يُعطي على البُعْدِ دَوْلَةً ، فَنَأمَنَ بَيْناً ، أوْ رَقِيباً نُرَاقِبُهْ
فَلا قَلْبَ لي إلاّ وَأنْتَ حِجَابُهُ ؛ وَلا سِرّ لي إلاّ وَذِكْرُكَ حَاجِبُهْ

كمل المجد أخلاقه

كتب بها إلى بعض أصدقائه وقد استزاره :

وَأبْيَضَ كالنّصْلِ مِنْ هَمّهِ قِرَاعُ المُطالِبِ للطّالِبِ
أنِيسِ اليَدَيْنِ بِبَذْلِ النّوَالِ إذا احْتَشَمَتْ رَاحَةُ الوَاهِبِ
فَتًى كَمّلَ المَجْدُ أخْلاقَهُ ، فَسَدّ الفِجَاجَ عَلَى العَائِبِ
دَعَا ، فأطَعتَ ، وكانَ الدّعَاءُ إلى الفَخْرِ وَالشّرَفِ الرّاتِبِ
وَكُنْتَ إلى مِثْلِهَا في النّهُوضِ أثقَلَ مِنْ كاهِلِ الحَاطِبِ

ضياء العقل والحسب

أبْراً إلى المَجدِ من حرْصِي على الطّلَبِ، وَمِنْ قِراعي على الأرْزاقِ والرُّتبِ
لَوْ أنصَفَ الدّهرُ دَلّتْني غَياهِبُهُ على العُلَى بِضِياءِ العَقْلِ والحَسبِ
ما يَنفعُ المَرْءَ أحْسابٌ بِلا جِدَةٍ، ألَيْسَ ذا مُنْتَهى حَظّي وَذاكَ أبي
الآنَ أطْلُبُ ثاراتي بِمَقْرَبَةٍ خَدّعتُها عن غَميرِ النّورِ والعُشُبِ
يَجولُ صَدرُ الضّحى في أُفقِ قَسطلِها، وَاليَوْمُ بَيْنَ العَوَالي ضَيّقُ اللَّبَبِ
أنْضَيتُ سِتّاً وَعَشراً ما قَضَيتُ بها، سِوَى المُنَى، وَطَراً إلاّ من الأدَبِ

بين ليث وكلب

لَعَلّ الدّهرَ أمْضَى مِنْكَ غَرْبا، وَأقوَى في الأُمُورِ يَداً وَقَلْبا
وَمُقْلَتُهُ، إذا لَحَظَتْ حُسامي، تَغُضُّ مَهابَةً وَتَفيضُ رُعْبا
فَكَيْفَ، وَأنْتَ أعْمَى عَنْ مَقالي، وَلَوْ عايَنْتَهُ لَرَأيْتَ شُهْبا
عَذَرْتُكَ أنتَ أرْدَى النّاسِ أصْلاً، وَأخْبَثُ مَنْصِباً وَأذَلُّ جَنْبا
وَأنْتَ أقَلُّ في عَيْنَيّ مِنْ أنْ أرُوعَكَ أوْ أشُنّ عَلَيْكَ حَرْبا
ألْعَجَبُ مِنْ خِصامِكَ لي وَجَدّي رَسُولُ اللهِ يُوسِعُ مِنكَ سَبّا

وَمَنْ رَجَمَ السّمَاءَ ، فَلا عَجيبٌ يُقَالُ : حَثَا بِوَجْهِ البَدْرِ تُرْبَا
فإنّكَ إنْ هَجَوْتَ هَجَوْتَ لَيثاً ؛ وَإنّي إنْ هَجَوْتُ هَجَوْتُ كَلْبَا

نجوم كبياض الحصى

خَليليّ مَا بَيْني وَبَينَ مُحَرِّقٍ سوَى وَقْعِ أطرَافِ القَنَا وَالقَوَاضِبِ
أتَاني بِهَا بَزْلاءَ تُلْقي جِرَانَهَا عَلى خَيرِ بَيتٍ في لُؤيّ بنِ غالِبِ[1]
وَفَازَ بِكُومٍ ذي رِقَابٍ مُنِيفَةٍ ، وَأسْنِمَةٍ مَلْوِيّةٍ بالغَوَارِبِ[2]
أرَى إبِلي مَطْرُوحَةً عَنْ مَرَاحِهَا ، يَصِيحُ بِهَا الأعْداءُ مِنْ كلّ جانِبِ
إذا هُنّ طَالَعْنَ المِيَاهَ عَشِيّةً نَشَجنَ وَرَاءَ الذّوْدِ نَشجَ الغرَائِبِ
وَكُنّا ، إذا مَا أبْعَدَ المَجْدُ غَايَةً ، دَفَعْنَا إلَيْهَا مِنْ صُدُورِ النّجائِبِ
تَسِيرُ أمَامَ العَاصِفَاتِ كَأنّهَا طَلائِعُ أعْنَاقِ الصَّبَا وَالجَنَائِبِ
خَوَارِجُ مِنْ لَيْلٍ كَأنّ نجُومَهُ بَيَاضُ الحصَى بالأمعَزِ المُتَرَاكِبِ

١ البزلاء : الداهية . تلقي جرانها : تبرك .
٢ الكوم : القطعة من الإبل .

من أشكو ؟

كتب إلى صديق له وقد وعده بوعد فأخره عنه فقال :

إيّاكَ أنْ تَسْخُو بِوَعْـ ـدٍ لَيسَ عَزْمُكَ أنْ تَفي بِهْ
فَالصِّدْقُ يَحْسُنُ بِالفَتَى ، وَالكِذْبُ يُحْسَبُ مِنْ عُيُوبِهْ
وَإذا قَدَرْتَ عَلى الوَفَـا ءِ ، فَعَدِّ عَنْ غَدْرٍ وَذِيبِهْ
أشْكُوكَ أمْ أشْكُو الزّمَـا نَ ، لأنّ مَطلَكَ مِنْ ذُنُوبِهْ
بَلْ أشْتَكيهِ ، فَكَمْ دفعْـ ـتُ إلى الغَرَائِبِ مِنْ خُطُوبِهْ

سحاب كبطون الآتن

قال رحمه الله يصف السحاب ويذكر أغراضاً كثيرة :

سَما كَبُطونِ الأُتْنِ رَيعانُ عارِضٍ تُزَجّيهِ لَوْثَاءُ النّسيمِ جَنُوبُ[1]
رَغَا بينَ دَوْحِ الوَادِيَيْنِ بِرَعْدِهِ ، رُغَاءَ مَطَايَا مَسّهُنّ لُغُوبُ
بَصِيرٌ بِرَمْيِ القَطْرِ حتّى كَأنّهُ عَلى الرّمْلِ قَارِيٌّ السّهَامِ نَجيبُ

١ الأتن ، الواحدة أتان: أنثى الحمار . الريعان : الأول . تزجيه : تسوقه . اللوثاء : الديمة البطيئة .

تَدافَعَ ، أمّا بَرْقُهُ فَصَوَارِمٌ ، جِلاءٌ ، وَأمّا عَرْضُهُ فَكَثيبُ
إذا مَا أرَاقَ المَاءَ أسفَرَ وَجهُهُ ، وَيَغدُو بِعِبْءِ المَاءِ ، وَهْوَ قَطوبُ
سَهِرْتُ لَهُ نَابي الوِسَادَةِ ،بَرْقُهُ يَحُومُ عَلى أعْنَاقِهِ وَيَلُوبُ
فُؤادي بنَجْدٍ ، وَالفتَى حيَثُ قَلبُه أسيرٌ ، وَمَا نَجْدٌ إليّ حَبيبُ
وَمَا لي فيهِ صَبْوَةٌ غَيْرَ أنّني خَلَعْتُ شَبَابي فيهِ ، وَهْوَ رَطيبُ
بَلَى! إنّ قَلْباً رُبّمَا التَاحَ لَوْحَةً ، فَهَلْ مَاؤهُ للوَارِدِينَ قَرِيبُ
ألاَ هَلْ تَرُدّ الرّيحُ،يا جَوّ ضَارِجٍ ، نَسيمَكَ يَحْلَوْلي لَنَا وَيَطِيبُ
وَهَلْ تَنْظُرُ العَيْنُ الطّليحَةُ نظرَةً إلَيكَ ، وَمَا في المَاقِيَيْنِ غُرُوبُ
وَمَا وَجدُ أدْمَاءِ الإهَابِ مَرُوعَةٍ لأحْشَائِهَا تَحْتَ الظّلامِ وَجيبُ
تَرُودُ طَلاً أوْدَتْ بِهِ غَفَلاتُهَا ، وَفي كُلّ حَيٍّ للمَنونِ نَصيبُ
بغومٍ عَلى آثَارِهِ ، وَقَدِ اكْتَسَى ظَلامَ الدّيَاجي غَائِطٌ وَسُهُوبُ[1]
فَلَمّا أضَاءَ الصّبْحُ لاحَ لعَيْنِهَا دَمٌ بَينَ أيْدِي الضّارِيَاتِ صَبيبُ
كوَجدي وَقَدْ عَرّى الشّبابُ جَوادَهُ ، وَغَيّرَ لَوْنَ العَارِضَيْنِ مَشيبُ
وَلَكِنّهَا الأيّامُ ، أمّا قَليبُهَا فَمُكْدٍ ، وَأمّا بَرْقُها فخَلُوبُ[2]
إذا مَا بَدا أنْ الأمرَ أفسَدْنَ عَقبَهُ ، وَعَفّى عَلى إحسَانِهِنّ ذُنُوبُ
فَلِلّهِ دَرّي يَوْمَ أنْعَتُ قَوْلَةً لهَا في رُؤوسِ السّامِعِينَ دَبيبُ
وَلِلّهِ دَرّي يَوْمَ أرْكَبُ هِمّةً إلى كُلّ أرْضٍ أغْتَدي وَأؤوبُ

١ الغائط : المطمئن من الأرض . السهوب ، الواحد سهب : المستوي من الأرض .
٢ القليب : البئر . المكدي : القليل الماء .

وكمْ مَهمَهٍ جاذَبتُ بالسَّيرِ عَرْضَهُ ، وَغالَبتُهُ بالعَزْمِ ، وَهوَ غَلُوبُ
وَلَيلٍ رَأيتُ الصّبحَ في أُخرَياتِهِ ، كمَا انسلّ من سِرّ النّجادِ قَضيبُ
سَرَيتُ بهِ أُوفي عَلى كُلّ رَبْوَةٍ ، وَلَيسَ سِوَى نَجْمٍ عَليّ رَقيبُ
وَأزْرَقِ ماءٍ قَدْ سَلَبْتُ جُمامَه ، يَعُومُ الشّوَى في غَمرِهِ وَيَغيبُ
وَهَاجِرَةٍ فَلّلْتُ بالسّيرِ حدّها ، وَلا ظِلٌّ إلاّ ذابِلٌ وَنَجيبُ
وَيَوْمٍ بِلا ضَوْءٍ يُتَرْجِمُ نَقْعُهُ عَنِ الرّوْعِ وَالإصْباحُ فيه مُرِيبُ
حبَسْتُ بِهِ قَلْباً جَرِيّاً على الرّدى ، وَقَدْ رَجَفَتْ تحتَ الصّدُورِ قُلُوبُ
وَطَعنَةِ رُمْحٍ قدْ خرَطتُ نَجيعَها ، كمَا مَاجَ فَرْغٌ في الإنَاءِ ذَنُوبُ[1]
وَضَرْبَةِ سَيفٍ قد ترَكتُ مُبينَةً ، وَحَامِلُها عُمْرَ الزّمَانِ مَعيبُ
وَآلامِ مَصْحُوبٍ قَذَفْتُ إخَاءَهُ ، كمَا قَذَفَ المَاءَ المَرِيضَ شَرُوبُ
وَمَنْ كَانَ مَا فَوْقَ النّجومِ طِلابُه أمَلّ عَنَاءٌ قَلْبَهُ وَدُؤوبُ
نَظَرْتُ إلى الدّنْيَا بِعَينٍ مَرِيضَةٍ ، وَمَا لِيَ مِنْ داءِ الرّجَاءِ طَبيبُ
وَمَنْ كانَ في شُغلِ المُنَى فَفراغُهُ مَنَالُ الأمَاني ، أوْ رَدًى وَشَعُوبُ
فَما لِيَ طُولَ الدّهرِ أمشِي كَأنّني لفَضْليَ في هَذا الزّمَانِ غَرِيبُ
إذا قُلتُ قَدْ عَلّقتُ كَفّي بصَاحبٍ تَعُودُ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ
وَمَا فيهِ شَيْءٌ خَالِدٌ لِمُكَادِحٍ ، وَكُلٌّ لِغَايَاتِ الأُمُورِ طَلُوبُ

١ الفرغ : مخرج الماء من الدلو . الذنوب : الدلو .

تحكم الظلم والشنب

يا سَعْدَ كُلُّ فُؤادٍ في بُيُوتِكُمُ ... مِثْلي تَحَكَّمَ فيهِ الظَّلْمُ وَالشَّنَبُ[1]

إنّي لأُكْرِمُ نَفْسِي أنْ يُقَالَ جَنَى ... عَلَى الفَتَى العَرَبِيِّ الخُرَّدُ العُرُبُ

إنّي عَلَى شَغَفِي بالحُبِّ مُعتَذِرٌ ... مِنْ أنْ يُقَالَ شُجاعٌ قَلّهُ الوَصَبُ

إنّا مَعَاشِرُ لا تَبْلَى مَطارِفُنَا ، ... إلاّ وَهُنَّ لطُلاّبِ النّدَى سَلَبُ

مُوَقَّرُونَ وَأيْدي الحِلْمِ طائِشَةٌ ، ... وَالجِدُّ يُنقِصُ مِنْ أطرافِهِ اللّعِبُ

فالآنَ تَغْصِبُنَا الدّنْيَا غَضَارَتَهَا ، ... ظُلْماً ، وَتَأخُذُ مِنْ أيّامِنا النُّوَبُ

حذارك أن تغالبني

إلى كَمْ لا تَلِينُ عَلَى العِتَابِ ، ... وَأنْتَ أصَمُّ عَنْ رَدّ الجَوَابِ

حِذارَكَ أنْ تُغالِبَنِي غِلاباً ، ... فَإنّي لا أدُرّ عَلَى الغِضَابِ[2]

وَإنّكَ إنْ أقَمْتَ عَلَى أذاتي ، ... فَتَحْتَ إلى انْتِصَارِي كُلَّ بَابِ

وَأحْلُمُ ثُمّ يُدْرِكُني إبَائي ، ... وَكَمْ يَبقَى القَرِينُ عَلَى الجِذابِ

١ الظلم : بريق الأسنان . الشنب : بياض الأسنان وحسنها .

٢ لا أدر على الغضاب : أي لا تكثر خيراتي على من يغاضبني .

إذا وَلَيْتَنِي ظِفْراً وَنَاباً ، فَدُونَكَ فاخشَ مِن ظِفرِي وَنَابِي
فَإِنّ حَمِيّةَ القُرَنَاءِ تَطْغَى ، فَتَشْلِمُ جانِبَ النّسَبِ القُرَابِ
نَفِرُّ إلى الشّرَابِ ، إذا غَصَصْنا ، فكَيْفَ إذا غَصَصْنا بالشّرَابِ
فَلا تَنْظُرْ إليّ بِعَيْنِ عَجزٍ ، فَرُبّ مُهَنّدٍ لَكَ في ثِيَابي
وَمَن لكَ بي يَرُدّ عَلَيكَ شَخصِي إذا أثْبَتُّ رِجْلي في الرّكَابِ
وَما صَبرِي، وَقد جاشَتْ هُمومي إلى أمْرٍ وَعَبّ لَهُ عُبَابي
سَيَرْمي عَنْكَ بي مَرْمًى بَعيدٌ، وَتَغْدُو غَيْرَ مُنْتَظِرٍ إيَابي
إذا الإشْفَاقُ هزّكَ عُدْتَ مِنهُ بِعَضّ أنَامِلٍ أوْ قَرْعِ نَابِ
وَتَسمَعُ بي وَقَدْ أعلَنتُ أمْرِي ، فتَعلَمُ أنّ دأبَكَ غَيرُ دابي
وَرُبّ رَكائِبٍ مِنْ نَحوِ أرْضِي ، تَخُبّ إلَيكَ بالعَجَبِ العُجَابِ
وَتُظْهِرُ أُسرَةً مِنْ سِرّ قَوْمي ، تَمُدّ إلى انتِظَارِي بالرّقابِ[1]
وَتُصْبِحُ لا تَني عَجَباً وَقَوْلاً : أهَذا الحَدّ أطْلَقَ مِنْ ذُبَابي
فكَيْفَ إذا رَأيْتَ الخَيْلَ شُعْثاً طَلَعْنَ مِنَ المَخارِمِ وَالعِقَابِ
تُعَاظِلُ كَالجَرَادِ زَفَتْهُ رِيحٌ فَمَرّ يُطِيعُهَا يَوْمَ الضَّبَابِ
أمَضّتْهَا الشّكائِمُ فَهيَ خُرْسٌ تَسيلُ لهَا دَماً بَدَلَ اللُّعَابِ
تُذَكّرُكُمْ بِذي قَارٍ طِعَاناً ، وَمَا جَرّ القَنَا يَوْمَ الكُلابِ
عَلَيْها كُلُّ أبْلَجَ مِنْ قُرَيْشٍ ، لَبِيقٍ بِالطّعَانِ وَبِالضّرَابِ

---

١ سر قومي : محض نسبهم .

يَسِيرُ ، وَأَرْضُهُ جُرْدُ المَذاكي ، وَجَوُّ سَمَائِهِ ظِلُّ العُقَابِ
وَعِنْدِي للعِدَى، لا بُدَّ ، يَوْمٌ يُذِيقُهُمُ المُسَمَّمَ مِنْ عِقابِي
فَأنْصُبُ فَوْقَ هامِهِمِ قُدُورِي ، وَأمْزُجُ مِنْ دِمَائِهِمُ شَرَابِي
وَأرْكزُ في قُلُوبِهِمُ رِماحِي ، وَأضْرِبُ في دِيارِهِمُ قِبَابِي
فإنْ أهْلِكْ فَعَنْ قَدَرٍ جَرِيٍّ ، وَإنْ أمْلِكْ فَقَدْ أغنَى طِلابِي

وا لهف أمي عليكم وأبي

لمْ يَبْقَ عِنْدِي مِنَ الإباءِ سِوَى الـ نّظْرَةِ مُحَمَّرَةٍ مِنَ الغَضَبِ
وَعَضٍّ كَفّي عَلى الزّمَانِ مِنَ الغَيْـ ظِ ، وَشَكْوَى وَقَائِعِ النُّوَبِ
أوْ زَفْرَةٍ ، تَحْسَبُ الضّلُوعُ لهَا أُطْرَ قِسِيٍّ يَرْمِينَ بِاللّهَبِ[1]
مَضَى الرّجَالُ الأولى مُذِ افتَرَقُوا عَنّيَ صَارَ الزّمَانُ يَلْعَبُ بي
أقُولُ لَمّا عَدِمْتُ نَصْرَهُمُ : وَا لهْفَ أُمّي عَلَيْكُمُ وَأبي

١ الأطر : منحنى القوس .

ألحاظ القلوب

كتب إلى أبي الحسن البتّي :

أبَا حَسَنٍ ! أتَحسَبُ أنّ شَوْقي يَقِلّ عَلى مُعارَضَةِ الخُطُوبِ
وَأنّكَ في اللّقَاءِ تَهيجُ وَجْدي، وَأمْنَحُكَ السُّلُوّ عَلى المَغيبِ
وَكَيْفَ،وَأنْتَ مُجتَمَعُ الأماني، وَمَجنى العَيشِ ذي الوَرَقِ الرّطيبِ
يَهشّ لَكُمْ عَلى العِرْفَانِ قلبي هَشَاشَتَهُ إلى الزَّوْرِ الغَرِيبِ
وَألفُظُ غَيرَكُمْ، وَيَسوغُ عندي وَدادُكُمُ مَعَ المَاءِ الشَّرُوبِ
وَيُسْلِسُ في أكُفّكُمُ زِمَامي ، وَيَعْسُو عِندَ غَيرِكُمُ قَضِيبي
وَبي شَوْقٌ إلَيْكَ أعَلّ قَلْبي ، وَمَا لي غَيرَ قُرْبِكَ مِنْ طَبيبِ
أغَارُ علَيكَ من خَلَوَاتِ غَيرِي، كمَا غَارَ المُحِبُّ عَلى الحَبيبِ
وَما أحظَى،إذا مَا غِبتَ عَنّي ، بِحُسْنٍ للزّمَانِ ، وَلا بِطِيبِ
أشَاقُ،إذا ذَكَرْتُكَ من بَعيدٍ ، وَأطرَبُ،إنْ رَأيتُكَ مِنْ قَرِيبِ
كَأنّكَ قُدْمَةُ الأمَلِ المُرَجّى عَلَيّ ، وَطَلْعَةُ الفَرَجِ القَرِيبِ[1]
إذا بُشّرْتُ عَنْكَ بِقُرْبِ دارٍ ، نَزَا قَلْبي إلَيْكَ مِنَ الوَجيبِ
مَرَاحُ الرّكْبِ بَشّرَ بَعدَ خِمسٍ بِبَارِقَةٍ تَصُوبُ عَلى قَلِيبِ
أسَالِمُ حِينَ أُبصِرُكَ اللّيَالي ، وَأصْفَحُ للزّمَانِ عَنِ الذّنُوبِ

[1] القدمة : السابقة في الأمر .

وَأنْسَى كُلَّ مَا جَنَتِ الرّزَايَا ... عَليّ مِنَ الفَوَادِحِ وَالنُّدُوبِ
تَميلُ بِي الشّكُوكُ إلَيكَ حتّى ... أميلَ إلى المُقَارِبِ وَالنّسيبِ
وَتَقْرُبُ في قَبيلِ الفَضْلِ مِنّي ... علَى بُعْدِ القَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ
أكَادُ أُرِيبُ فيكَ، إذا التَقَيْنَا، ... مِنَ الأنْفَاسِ وَالنّظَرِ المُرِيبِ
وَأينَ وَجَدْتَ مِنْ قَبْلي شَبَاباً ... يَحِنّ مِنَ الغَرَامِ علَى مَشيبِ
إذا قَرُبَ المَزَارُ، فَأنْتَ مِنّي ... مكانَ الرّوحِ من عُقَدِ الكُرُوبِ
وَإنْ بَعُدَ اللّقَاءُ علَى اشتِيَاقي، ... تَرَامَقْنَا بِألحَاظِ القُلُوبِ

لا يشتم إلا كذبا

جَاءَتْ بِهِ مِنْ مُضَرٍ مُهَذَّبَا ... مِثْلَ السّنَانِ ذَلِقاً مُذَرَّبَا
يَضُمّ بُرْدَاهُ الجِرَازَ المِقْضَبَا، ... تَخَيّرَ الأحْسَابَ أُمّاً وَأبَا
أبْلَجَ لا يَشْتِمُ إلاّ كَذِبَا

حسن الصبر

لا تُنْكِرِي حُسْنَ صَبرِي، ... إنْ أوْجَعَ الدّهْرُ ضَرْبَا
فَالعَبْدُ أصْبَرُ جِسْماً، ... وَالحُرُّ أصْبَرُ قَلْبَا

فتيان الغارات

نَزَوْتُ نِزَاءَ الجُنْدُبِ الجَوْنِ ضِلّةً ... إلى بَاسِلٍ عَبْلِ الذّرَاعَيْنِ أغْلَبِ
وَمَا كنتُ في الأحيَاءِ إلاّ ضَميمَةً ... تُنَاطُ بِهِمْ نَوْطَ الإبَاءِ المُذَبْذَبِ
تُجَاوِرُ زَلاًّ ، أوْ تُعَاقِدُ قِلّةً ... مِنَ الهُونِ لا تُدْلي بِأُمٍّ وَلا أبِ
فَحَوْلَ مَعَدٍّ مُنْجِبُونَ ، وَأنْتُمُ ... نِزَالَةُ فَحْلٍ مِنهُمُ غَيرِ مُنجِبِ
تَقَنّصَهُ صَرْفُ المَقَادِيرِ غِرّةً ، ... وكَم فاتَ مِن نابٍ علوقٍ وَمِخلَبِ
وَلَوْ هِيجَ للهَيْجَاءِ طَارَ بِسَرْجِهِ ... جَوَادٌ كَذِئْبِ الرّدهَةِ المُتَأوِّبِ[1]
وَكُلٌّ سِنَانٍ طَالِعٍ فَوْقَ ضَامِرٍ، ... كَمَا حامَ زُنْبُورٌ على ظَهرِ عَقرَبِ
وَفِتْيَانِ غَارَاتٍ كَأنّ رِمَاحَهُمْ ... بجَانِبِ ذي القُلاّمِ عِيدانُ أثْأبِ[2]
بِأيْمَانِهِمْ بِيضٌ يُضِيءُ وُجوهَهُم ... قَوَاضِبُ قَدْ جُرّبْنَ كلَّ مُجَرَّبِ
غَرَانِقُ أزْوَالٌ رَعَوْا عازِبَ الحِمَى ... بِصُمّ العَوَالي ، وَالصّفيحِ المُقَلَّبِ[3]
فَلا تَحْسَبُوهَا قَطْرَةً مِنْ دِمَائِنا ... تَضِيعُ وَلَوْ في طافحِ النّجمِ مُطلِبِ[4]

١ الردهة : الحفرة في الجبل .

٢ القلام : القاقلي . وذو القلام : موضع . الأثأب : شجر .

٣ الغرانق : الشباب البيض . الأزوال ، الواحد زول : الظريف الشجاع . عازب الحمى : أي الحمى الذي لم يرع قط . الصفيح ، الواحدة صفيحة : السيف .

٤ المطلب : البعيد .

إذا أعشَبَ الشّقُّ اليَمانيُّ فَابْشِرُوا	بِيَوْمٍ عُقَامٍ يَنضَحُ الشرَّ أجرَبِ[1]
فإنْ تَرْحَمونا اليوْمَ نَرْحَمْكمُ غداً	بِعَوْدٍ مِنَ الجُزْمِ النّزَارِيّ مُصْعَبِ[2]

لكم لقحة الأرض

لَكُمْ لِقْحَةُ الأرْضِ تَحمونَها،	وَفي يَدِكُمْ صَرُّهَا وَالحَلَبْ[3]
فَمِنْ أيْنَ نَبْلُغُ مَا نَشتَهي ؛	وَمِنْ أيْنَ نَطْمَعُ فيمَا نُحِبّ
إذا المَالُ أصْبَحَ في البَاخِلِينَ ،	فَإنّ مُرَجّي الغِنى في تَعَبْ

لي اللآلي وله الثقوب

قال في سرقة شعره

انْظُرْ أبَا قرّانَ مَا تَعيبُ ،	مُلْسَ الذُّرَى قَوْمَهَا لَبيبُ
تُصْغي لهَا الأسمَاعُ وَالقُلُوبُ،	مِثْلَ السّهَامِ كُلُّهَا مُصِيبُ

١ الشق : الناحية ، الجانب . يوم عقام : يوم شديد .
٢ العود : المسن من الإبل . الجزم ، الواحد جازم ، والبعير الجازم : الريان . المصعب : الفحل
٣ المراد باللقحة هنا : الفيء والخراج .

لَطِيمَةٌ نَمَّ عَلَيْهَا الطِّيبُ ، تُودِعُهَا الأرْدَانُ وَالجُيُوبُ
وَيَغْنَمُ الهِلْبَاجَةُ المَعِيبُ ، يَتْعَبُ ذُو البَرَاعَةِ الأدِيبُ[1]
يَخْرُجُ عَنّي العَاسِلُ المَذرُوبُ ، قَدْ قُوِّمَ الأُنْبُوبُ وَالأُنْبُوبُ[2]
فَلا يَزَالُ العَضُّ وَالتَّنْيِيبُ ، حَتّى يَعُودَ الذّابِلُ الصّلِيبُ
وَهْوَ بِأيْدِي مَعْشَرٍ كُعُوبُ ، إنّ رَزَايَاتِ الفَتَى ضُرُوبُ
في كُلّ يَوْمٍ هَجْمَةٌ تَلُوبُ ، هَاجَ عَلَيْهَا الكَلأُ الرّطِيبُ
يَطْلُبْنَ أرْضِي ، وَالهَوَى طَلوبُ ، لا أمَمٌ مِنّي ، وَلا قَرِيبُ
عِنْدَ الأعَادِي وَسْمُهَا غَرِيبُ ، يَرْصُدُهنّ الحَارِبُ المُرِيبُ
لَهُ عَلى مَطْلَعِهَا رَقِيبُ ، إذا طَلَعْنَ اعْتَرَضَ القَلِيبُ
تَهْوِي بِهِ الأظْفَارُ وَالنُّيُوبُ ، كَمَا هَوَتْ خَائِبَةٌ طَلُوبُ
يَألَمُ قَلْبِي ، وَبِهَا النُّدُوبُ يَشكُو المَطَى ما ألِمَ العُرْقُوبُ[3]
أطْبَعُهَا ، وَهْوَ بِهَا الكَسُوبُ ، لِيَ اللآلي ، وَلَهُ الثّقُوبُ
دَاءٌ عَلى إعْضَالِهِ عَجِيبُ ، يَضْحَكُ مِنْ أوْصَافِهِ الطّبِيبُ
هَلْ تَأمَنُ اليَوْمَ ،وَأنتَ ذِيبُ ، بِهِمْ بِأكْنَافِ الحِمَى غَرِيبُ
إنْ لَمْ يَدُمَّ اللهُ وَالخُطُوبُ[4]

١ الهلباجة : الأحمق الفدم الجامع لكل شر .
٢ العاسل : الرمح . المذروب : المحدد .
٣ المطى : الظهر .
٤ يدم : يهلك .

بنت كرم ظئرها الشمس

قال وقد حدث أن بعض العرب رؤي
وقد أخذ منه السكر كل مأخذ شديد :

كَيْفَ صَبّحْتَ أبَا الغَمْرِ بِهَا صَعْبَةً تَنْزُو نِزَاءَ الجُنْدُبِ
مَرَحَ الشّقْرَاءِ في مِضْمَارِها ، تَتّقي الصّوْتَ بِمَرٍّ عَجَبِ
يَرْكَبُ الرّاكِبُ إنْ جَشّمَهَا دَلَجَ اللّيْلِ ، وَتُسْبي المُسْتَبي
بِنتُ كَرْمٍ ظِئرُها الشّمسُ، وَما دَرَجَتْ في حِجْرِ أُمٍّ وَأبِ
غُصِبَتْ مَا أثّرَتْ في جِسْمِهَا قَدَمُ العِلْجِ بِرَأسِ العَرَبي

يعاقبني وهو المذنب

يُعَاقِبُني ، وَهُوَ المُذْنِبُ ، لَقَدْ ذَلّ جارُكَ يا جُنْدُبُ
وَيَعجَبُ مِنْ غَضَبي جَهلَةً ؛ وَمَنْ ذا يُضَامُ فَلا يَغضَبُ
نُزَادُ مِنَ اللّوْمِ عَنْ وِرْدِكُمْ ، فَعَمّ نُزَادُ وَلا مَشْرَبُ
نَعَمْ أعْوزَ الطّوْلُ رَاجيكُمُ ، فَلِمْ أعْوَزَ الأهْلُ وَالمَرْحَبُ
إذا إبِلي مُطِلَتْ رَعْيَهَا ، فَهَلْ يَنْفَعُ البَلَدُ المُعْشِبُ

وَهَلْ نَافِعِي ظَاهِرٌ بَاسِمٌ ، وَمِنْ خَلْفِهِ بَاطِنٌ يَقْطِبُ
لَقَدْ وَقَفَ الرَّكْبُ مِنْ بَابِكُمْ عَلَى مَطْلَبٍ مَاؤُهُ مُطْلِبُ
وَمَا كُنْتُ في النَّفَرِ الشَّائِمِينَ ، بِأَوَّلِ مَنْ غَرَّهُ الخُلَّبُ
ذُنَابَى مَصَعْنَ بِأَبْعَارِهِنَّ ، وَقَدْ يُمصَعُ الذَّنَبُ الأَهْلَبُ[1]
لَقَدْ سَاءَنِي أَنْ يَمُوتَ السَّمَاحُ بِمَوْتِ الكِرَامِ ، وَلا يُعْقِبُ
أَلاَ تَعْجَبُونَ لِذِي سَوْءَةٍ تَحَكَّكَ في عِرْضِهِ الأَجْرَبُ
وَجَعْجَعَ لي ظَهْرُ عَارِي الصِّفَاحِ عَقِيرٍ ، وَقَال: أَلا تَرْكَبُ[2]
وَسَوْفَ أُغَنِّي بِأَعْرَاضِكُمْ غِنَاءً مِنَ الشَّرِّ لا يُطْرِبُ
قَوَافٍ مُطِلْنَ لِحَزِّ الجُنُوبِ مَطْلَ المَدَى جَرْعُهَا مُوعِبُ[3]
وَحَسْبُكَ مِنْ سَفَهٍ أَنَّنِي أَجُـدُّ ، وَتَحْسَبُنِي أَلْعَبُ
وَقَالُوا : احتَلِبْ دَرَّهمْ بالسؤالِ ، إنَّ الغَوَارِزَ لا تُحْلَبُ[4]
وَكَيْفَ ، وَلَمْ يَرْغَبُوا في الثَّنَاءِ إلى المَادِحِينَ وَلَمْ يُرْغِبُوا
لَقَدْ وَسَّعَ اللهُ مَا ضَيَّقُوا ، وَقَدْ عَوَّضَ اللهُ مَا خَيَّبُوا

١ مصعت الدابة ذنبها : حركته . الأهلب : الكثير الشعر .
٢ جعجع : صوت . عاري الصفاح : عاري الجوانب .
٣ مطلن : صنعن .
٤ الغوارز : النياق التي قل لبنها ، الواحدة غارز .

تنحَّ عن طريق العا

نزَلَ المَسيلَ ، وبَاتَ يشكو سَيلَهُ ، ألاّ علَوْتَ فَبِتَّ غيرَ مُراقَبِ
جَمَعَ المَثالبَ ، ثمّ جاءَ تَعرُّضاً بالمُخزِياتِ يدُقّ بابَ الثّالبِ
وَإذا اجتَمَعتَ على مَعايبَ جَمّةٍ فتَنَحَّ جهدك عَن طَريقِ العَايِبِ

ركب ينتهب الترب

ورَكْبٍ تَفَرّى بينهم قِطَعُ الدّجَى ، يَسيرُ عَلَى البَيداءِ يَنْتَهِبُ التُّرْبَا
يَصُدّونَ عَنْ وِرْدِ الكَرَى وَعيونُهم خَوامسُ حتّى تَشرَبُ المَنظرَ العذبَا
إذا ذَعَرَتهُمْ نَبْأَةٌ غادَرَتْهُمُ وَقد أيقَظوا مِنْ بَينِ أجفانها القُضْبَا
سَرَوْا وَخيُولُ اللّيلِ دُهمٌ وَعرّسوا وَقد غادَرُوها في طِرَادِ الضّحى شُهبَا
يَضُوعُ هَجيرُ السّيرِ بَينَ رِحالِهِمْ ، إذا مَا نَسيمُ اللّيلِ في ثَوْبِهِ هَبّا

ثناء لا أريد به الغنى

أسِنّةُ هذا المَجْدِ آلُ المُهَلَّبِ ،   وَفُرّاطُهُ في كُلّ شَرْقٍ
سَلُوني عَنْ مَجْدِ المُفَضَّلِ ، وَاسألوا   أبي عَن أبيهِ ذي الجَلالِ المُهَذَّبِ
يَقُلْ : إنّ ذاكَ اللّيثَ في كلّ مَعرَكٍ ،   وَهذا الحُسامُ العضبُ في كلّ مَضربِ
وَهذا الرّبيعُ الطَّلْقُ رَقّتْ فُرُوعُهُ ،   نَتيجَةَ ذاكَ العارِضِ المُتَصَبِّبِ
أخِلاّيَ مِنْ بَينِ المُلُوكِ وَإخوَتي ،   وَأحلى بقَلبي مِنْ بَعيدي وَأقْرَبي
هم قَوْمِيَ الأدْنَوْنَ مِنْ بينِ أُسرَتي ،   وَإن كانَ شِعبُ القوْمِ من غيرِ مَشعَبي
فَهَذا ثَنَائي لا أُريدُ بِهِ الغِنَى ،   أبَى المَجدُ لي أن أجعل المدحَ مكسبي
وَلَكِنْ رَجاءً أنْ تَكُونَ لِهِمّتي   طَريقاً تُؤدّيني إلى كُلّ مَطْلَبي
فَأزْحَمُ مِنْكَ الحادِثاتِ بمَنكبٍ ،   وَأقطَعُ مِنكَ النّائِباتِ بِمِقْضَبِ
وَأرْمي إلى أمرٍ أظُنّكَ بَابَهُ ،   ألا إنّ بَعْضَ الظّنّ غَيرُ مُكَذَّبِ

١ الفراط : السابقون ، المتقدمون .

باب دار المعالي

قال رحمه الله وكتب إلى أبي الخطاب المنجم :

قلْ للخطوبِ: ضَعي سلاحكِ قد حمى سِرْبي وَآمَنَني أبُو الخَطّابِ
وَلَقَدْ حَطَطْتُ بكَ الرّجاءَ، ولَم يكنْ إلاّ إلَيْكَ تَسَبّبي وَطِلابي
يَا مُلْبِسِي النّعَمَ القَديمَ لِباسُها، جَدّدْ عَليّ نَضارَةَ الأثْوَابِ
دارُ المَعَالي أنْتَ بابُ دُخُولِهَا ، فَأْذَنْ ، فَإنّي وَاقِفٌ بِالبَابِ

نوابض القلب

قال رحمه الله في الغزل

دَعَوْا لي أطِبّاءَ العِرَاقِ لِيَنْظُرُوا سَقامي وَمَا يُغْني الأطبّاءُ في الحُبّ
أشارُوا بريحِ المَندَلِ اللّدنِ وَالشّذا، وَرَدٌّ ذَماءِ النّفسِ بالباردِ العَذْبِ[1]
يُطِيلُونَ جَسّ النّابِضَينِ ضَلالَةً ، وَلَوْ عَلموا جَسّوا النوابضَ من قلبي

[1] المندل : عود طيب . الذماء : البقية .

صاحب كالغرّ

صَاحِبٌ كالغِرّ لَيْسَ أرَى جِدَّهُ مِنّي ، وَلا لَعِبَه[1]
يَتّقِيني بِالخِلابِ ، وَإنْ جَدَحُوا عِرْضِي لَهُ شَرِبَه[2]
داعِياً لي بِالخُلُودِ ، وَلَوْ طَلَبُوا مِنْهُ دَمي وَهَبَه
قَسَماً بِالبَيْتِ طُفْتُ بِهِ ، وَبِرَمْيِ جَمْرَةِ العَقَبَه

هان المأمول والمطلوب

بَيْنَ عَزْمي وَبَيْنَهُنّ حُرُوبُ ، إنّ أقْوَاهُمَا هُوَ المَغْلُوبُ
عَرَضَتْ رِحْلَةٌ فَعَرّضَ بِالدّمْعِ ، فَهانَ المَأمولُ وَالمَطْلُوبُ

١ الغر : الشاب لا خبرة له .
٢ الخلاب : الخداع بالكلام . جدحوا : أخذوا دمي في إناء .

شرّ إلى شرّ

إساءَتُهُ شَهْوَةٌ ثَرَّةٌ ، وَإحْسَانُهُ دَرّةُ الأرْنَبِ[1]
فَقَدْ زِيدَ شَرّاً إلى شَرّهِ ، كمَا استُنفِرَ الضّبُّ بالعَقرَبِ

الخوف محبة

أخَافُكَ : إنّ الخَوْفَ مِنْكَ مَحبّةٌ، وَمَا كُلُّ مَخشِيّ العِقابِ مُحَبَّبَا
لَئِن كانَ خَوْفي من سَطاكَ مُبَعِّداً، فَيَا رُبّمَا كانَ الرّجَاءُ مُقَرِّبَا

مضى حامي السروح

ضَمّوا قَوَاصِيَ كُلّ سَرْحٍ سَارِبٍ، وَقَفُوا السّوَائِمَ بِالنّدَى المُتَقَارِبِ
فلَقَدْ مضَى حامي السُّرُوحِ من العِدى وَمُبيحُ أسْوُقِهَا غِرَارَ القَاضِبِ[2]

١ درة الأرنب : أي حليب الأرنب كناية عن القلة . وهي ضد الثرة ، أي الغزارة .
٢ الغرار : حد السيف . القاضب : القاطع .

آه من دائين

آهِ مِنْ دائَينِ عُدْمٍ وَمَشيبْ رُبَّ سُقْمٍ لا يُداوَى بِطَبيبْ

كأن نزاراً

كَأنَّ نِزَاراً وَالخُمُولُ رِداؤهُ ، غَداةَ بَغَى جَهْلاً عَليَّ وَأجْلَبَا
مُشَبَّجَةٌ مِنْ خُذَّلِ العِينِ وَاقَعَتْ على المَاءِ مَفْتُولَ الذّرَاعَينِ أغْلَبَا[1]

ترفق أيها الرامي

تَرَفَّقْ أيّهَا الرّامي المُصيبُ ، فمِن أغرَاضِ أسهُمِكَ القُلوبُ
تَسُوءُ قَطيعَةً وَتَشُوقُ حُبّاً ، فَمَا أدْرِي عَدُوٌّ أمْ حَبيبُ

١ المشبجة : المردودة . الخذل ، الواحدة خاذل : المتخلفة عن صواحبها ، المنفردة عن القطيع العين ، الواحدة عيناء : البقرة الوحشية . الأغلب : الأسد .

حرف التاء

لا تشمتوا

ليس له في المديح على هذه القافية
شيء . قال بالافتخار وشكوى الزمان :

عَذيرِي من العشرينَ يَغمِزْنَ صَعْدتي، وَمِنْ نُوَبِ الأيّامِ يَقرَعنَ مَرْوَتي[1]
وَمِنْ هِمَمٍ أوْجَدْنَني في عَشيرَتي، وَأكْثَرْنَ مَا بَينَ الأقارِبِ غُرْبَتي
وَمِنْ عزَماتٍ كلَّ يَوْمٍ يَقِفنَ بي على كُلّ بابٍ للمَقَاديرِ مُصْمَتِ
وَمِنْ مُهْجَةٍ لا تَرْأمُ الضّيمَ مَرّةً يُعَجِّلُ عَنْ دارِ المَذَلّةِ نَهضَتي[2]
وَمِنْ لَوْعةٍ للحُبّ مَشحوذَةِ الظُّبَى، إذا ضَرَبَتْ في جانِبِ القَوْمِ ثَنّتِ
وَمِنْ زَفْرَةٍ تحتَ الشّغافِ مُقيمَةٍ، إذا قُلْتُ قدْ وَلّى بِهَا الدّهرُ كَرّتِ
تُذَكّرُ أيّاماً مَضَينَ، وَلَوْ فَدَتْ بنَانُ يَدِي تِلْكَ اللّيَالي لَفُلّتِ[3]
يُخَالِسُنَا الأحبابُ حتّى تَقَطّعَتْ قَرَائِنُنَا، رَيْبَ الزّمَانِ المُشَتِّتِ[4]

١ الصعدة : القناة . المروة : الصفاة .
٢ ترأم : تألف .
٣ فلت : ثلمت .
٤ قوله قرائيننا لعله جمع قرآن من قرأ الشيء : ضمه وجمعه .

وَلَمْ يَبْقَ لي إلاّ عُلَيْقُ مَضَنّةٍ أُدارِي اللّيَالي عَنْهُ، إمّا أَلَمّتِ[1]

فَيَا لَيْتَهَا قَدْ أنْسَأَتْهُ ، وَلَيْتَها علَيْهِ ، وَإنْ لَمْ يَنجُ يَوْماً، أذَمّتِ[2]

سقى اللهُ مَن أمسَى على النأيِ عِلّتي ، وَقد كانَ مع قُرْبِ المَزَارِ تَعِلّتي

أقِلْني ،أقِلْني نَظرَةً ما احتَسَبْتُها، فَقَدْ أنْهَلَتْ قَلْبي غَلِيلاً وَعَلّتِ

فَشَوْقاً إلى وَجْهِ الحَبيبِ تَلَهّفي ، وَمَيْلاً إلى دارِ الحَبيبِ تَلَفّتي

جرَتْ خَطْرَةٌ منهُ على القَلبِ كُلّما زَجَرْتُ لهَا العَينَ الدّمُوعَ أرَشّتِ

وَمَرّتْ على لُبّي ، فَقُلْتُ لَعَلّهَا تُجاوِزُني مَكْظُومَةً ، فاستَمَرّتِ

أُدارِي شَجاها كَيْ يُخَلّى مَكانُهُ ، وَهَيهاتَ، ألقَتْ رَحلَها وَاطمَأنّتِ

وَأعْلَمُ ما خاضَتْ يَدُ الدّهرِ للفتَى أمَرَّ مَذاقاً مِنْ فرَاقِ الأحِبّةِ[3]

فكَمْ زَعزَعَتْني النّائِبَاتُ فلم أزِلْ لهَا قَدَمي عَنْ وَطْأةِ المُتَثَبِّتِ

وَكَمْ صَاحَتِ الأيّامُ خَلفي برَوْعَةٍ فَصِرْتُ بِعَينِ الجازِعِ المُتَلَفّتِ

تَسُلّ عَليّ الحادِثَاتُ سُيُوفَهَا ، فمِنْ مُغمَدٍ قدْ نالَ منّي وَمُصْلَتِ

زِمَامي بِكَفّ الدّهْرِ أتبَعُ خَطْوَهُ ، وَمَا الدّهْرُ إلاّ مَالِكٌ لِلأزِمّةِ

وَقَدْ كُنْتُ آبَى أنْ أُقَادَ ، وَإنّمَا ألانَ قِيَادي مَنْ ألانَ عَرِيكَتي

فَلا تَشمَتوا إنْ يَثلمِ الدّهرُ جانبي ، فَأكْثَرُ مِمّا مَرّ مِنّي بَقيّتي

تَحَيّفَ شُوساً من عُيونٍ فأغمَضَتْ ، وَذَلّلَ غُلْباً مِنْ رِقَابٍ فَذَلّتِ

١ العليق ، تصغير علق : الشيء النفيس . المضنة : ما يضن ، يبخل به

٢ أنسأته : أجلته . أذمته : أجارته ، أخذته تحت حمايتها .

٣ خاضت : خلطت .

فَـآهٍ عَلَى الدّنْيَا إذِ الجَدُّ صَاعِدٌ ؛ وَآوهٍ مِنَ الدّنْيَا إذا النّعلُ زَلّتِ
ألا هَلْ أُخيضُ الطّرْفَ يوْماً بغَمرَةٍ إذا الخَيْلُ بالغُرّ الوُجُوهِ تَمَطّتِ
وَلَمْ تَلْقَ فيها غَيرَ طَعْنٍ مُضَجِّجٍ ، وَضَرْبٍ سَرِيعٍ بالمَنَايَا مُسَكّتِ
تَرِنّ لَهُ هامُ الرّجالِ ، وَإنْ رَمَتْ بِأعْيُنِهَا فِيهِ النّسَاءُ أرَنّتِ
فَسَوْفَ تَرَاني طَائِراً في غُبَارِهَا عَلَى سَابِحٍ تَهْفُو غَدائِرُ لِمّتي
بِيَوْمٍ كَثِيرٍ بِالغُبَارِ عُطَاسُهُ ، إذا ثَوّبَ الدّاعي قَليلُ المُشَمِّتِ[1]
مَعَارِكُ يُخدِجنَ المِهارَ ، وَبعدَها مَنَاعي رِجالٍ مُلقِيَاتُ الأجِنّةِ[2]
وَرُمحي إلى الأعداءِ كَيدي ، وَصَارِمي جَنَاني يَوْمَ الرَّوْعِ ، وَالصّبرُ جُنّتي
وَكلُّ غُلامٍ ذي جِلادٍ وَنَجدَةٍ ؛ وَكُلُّ جَوَادٍ ذي هِبَاتٍ وَمَيعَةِ[3]
إذا مَا الجِيَادُ الجُرْدُ أجرَى لَبَانَهَا ، وَشَمّصَهَا وَقْعُ الظُّبَى وَالأسِنّةِ[4]
فَإنّ عِنَاني في يَمِينٍ مُعَوَّدٍ عَلَى عُقَبِ الأيّامِ قَوْدَ الأعِنّةِ[5]
إذا اعتَرَضَ المَأمولُ من دونِهِ الرّدى شَقَقْتُ إلَيْهِ الدّارِعِينَ بِمُهجَتي
وَغَامَسْتُ فِيهِ لا أُبَالي لَوَ انّني تَلَقّيتُ مِنهُ مُنيَتي ، أوْ مَنِيّتي
إذا سَمَحَتْ بِالمَوْتِ نَفْسِي ، فإنّهُ يَقِلّ احتِفالي بالّذي جَرّ مِيتَتي
وَمَا إنْ أُبَالي مَا جَنَى الدّهْرُ بعدَما يَبُلّ يَمِيني قَائِمٌ مِنْ صَفيحَتي

١ المشمت ، من شمت العاطس : دعا بقوله مثلا يرحمك الله .
٢ الخداج : القاء الدابة ولدها قبل تمامه .
٣ الهبات ، من الهبوة : الغبار . الميعة : جري الفرس .
٤ لبانها : نحرها . شمصها : نخسها ، فصارت تفعل فعل الشموص ، أي الشموس .
٥ عقب الأيام : تعاقبها .

فَمَا حَدَثَانُ الدّهرِ عندي بفاتِكٍ ، وَلا جِنّةُ البَقّارِ عِندي بجِنّةِ[1]
ألا لا أعُدّ العَيْشَ عَيشاً معَ الأذَى، لأنّ قَعيدَ الذّلّ حَيٌّ كَمَيّتِ
يُخيفونَني بالمَوتِ ، وَالمَوْتُ رَاحَةٌ لمَنْ بَيْنَ غَرْبَيْ قَلبِهِ مثلُ هِمّتي
فَلا تَبرُزُوا لي بالأنُوفِ ، فَإنّني مُعَوَّدَةٌ جَدْعَ المَوَارِنِ شَفرَتي
بَنَيْنَا رِوَاقَ المَجْدِ تَعلو سُموكُهُ ، لقَدْ عَظُمتْ تلكَ المَباني وَجلّتِ
أقِلّوا عَلَيْنَا لا أبَاً لأبيكُمُ ، وَلا تَرْشُقُونَا باللُّتَيّا وَبالّتي
تُرِيدُونَ أنْ نُوطى،وَأنتُمْ أعِزّةٌ، بِأيّ كِتَابٍ أمْ بِأيّةِ سُنّةِ
فإنْ كُنتُمُ منّا ، فَقَدْ طالَ مَيلُكم قَديماً عَلى عِيدانِ تِلْكَ الأرُومَةِ
فَلا صُلْحَ حتّى تَسمَعوا مِنْ أزيزِها صَوَاعِقَ إمّا صَكّتِ الأذْنَ صُكّتِ[2]
وَلا صُلْحَ حتّى يَنظُرُوا مِنْ زُهائِها شَوَاهِقَ لا يَبلُغْنَ صَوْتَ المصَوِّتِ[3]
وَحَتّى تَرَوْهَا كَالسَّعَالَى إلَيكُمُ تَفَلَّتُ مِنْ أرْسَانِهَا وَالأجِلّةِ
فَإنّي زَعِيمٌ للأعَادي بِمِثْلِهَا ، وَذَلِكَ رَهْنٌ في ذِمامي وَذِمّتي
فَيا مُنْبِيّ هلْ أنْتَ بالعِزّ مُورِقي، حَنانَيكَ كمْ أبقَى، وَقد طالَ مَنبِتي
أمَا كَمَلَتْ عندَ الخُطُوبِ تجَارِبي ؛ أمَا خلَصَتْ عندَ الأمُورِ رَوِيّتي
أمَا أنَا مَوْزُونٌ بِكُلّ خَليفَةٍ أرَى أنَفاً مِنْ أنْ يكونَ خَليفَتي
ألَسْتُ مِنَ القَوْمِ الأولى قَد تَسَلّفوا ديونَ العُلى قَبلَ الوَرَى في الأظِلّةِ

١ البقار : موضع برمل عالج يزعمون أنه كثير الجن .
٢ الأزيز : الصوت . صكت الأذن : ضربتها ضرباً شديداً . صكت الثانية على المجهول : أغلقت ، ولعلها تحريف صمت أي ذهب سمعها .
٣ الزهاء : المقدار .

وَمَا خُلِقَتْ أقْدامُهُمْ وَأكُفُّهُمْ لِغَيْرِ العَوَالي وَالظُّبَى وَالأسِرَّةِ
ذَوو الجَبَهاتِ البِيضِ تَلمعُ بَينَها وُسُومُ المَعَالي وَالوُجُوهِ المُضِيئَةِ
أبَوْا أنْ يُلِمّ الذّلُّ مِنهُمْ بجانبٍ، وَمَا العِزّ إلاّ للنّفُوسِ الأبِيّةِ
وكَمْ بَينَ ذي أنفٍ حَمِيٍّ وَحَاملٍ مَوَارِنَ قد عُوّدنَ جَذبَ الأخِشّةِ[1]
بَلَى ! إنّني مَنْ تَعْلَمانِ ، وَإنّمَا أرَى الدّهرَ يَعمَى عن بَيانِ فَضيلَتي
فَخَرْتُ بنَفْسِي لا بِأهْلي مُوَفَّراً عَلى ناقِصِي قَوْمي مَناقِبَ أسْرَتي
وَلا بُدّ يَوْماً أنْ يَجيءَ فُجاءَةً ، فَلا تَنظُرَاني عندَ وَقْتٍ مُوَقَّتِ
وَوَالله لا كَذّبْتُ دُونَ مَنَالِهَا ، وَظَنّي بِرَبّي أنْ يُبِرّ ألِيّتي[2]

آفة الأخبار رواتها

وقال أيضاً رحمه الله :

أبَيّنْتَهَا أمْ نَاكَرَتْكَ شِيَاتُهَا ، نَزَائِعَ يَنْقُلْنَ الرّدَى صَهَوَاتُهَا[3]
طَلَعْنَ سَوَاءً ، وَالرّمَاحُ عَوَابِسٌ تُعَاسِلُهَا أعْنَاقُهَا وَطَلاتُهَا[4]

١ الأخشة ، الواحد خشاش : عود يدخل في عظم أنف البعير .
٢ يبر ، من أبر اليمين : أمضاها على الصدق . الألية : اليمين .
٣ أبينتها : أي أوضحت لك . شياتها ، الواحدة شية : العلامة . النزائع : النجائب التي تجلب إلى غير بلادها .
٤ تعاسلها ، من عسل الفرس في عدوه إذا اضطرب وهز رأسه . الطلاة : العنق .

رَأوا نَقْعَها يَدْنُو فَظَنّوا غَمامَةً، فَمَا شَعَرُوا حتّى بَدَتْ جَبَهاتُهَا
وَفَوْقَ قَطَاهَا غِلْمَةٌ غالِيَةٌ، تَمِيسُ عَلى أكْتَافِهَا وَفَرَاتُهَا[1]
مَغَاوِيرُ لا مِيلٌ تُثَنّي رِقَابَهَا، وَلا بِكَسَالَى أوْهَنَتْهَا سِنَاتُهَا[2]
تَلَثّمُ فَوْقَ اللّثْمِ بالنّقْعِ وَالدّجى، فَلَوْلا ظُبَاهَا لَمْ تَبِنْ صَفَحاتُهَا
مَتَى تَرَهَا في حَيّهَا تَرَ فِتْيَةً لِيَوْمِ الوَغَى مَأخُوذَةً أُهُبَاتُهَا
مُفَرَّغَةً مِمّا تُنِيلُ عُبَابَهَا مِنَ المَالِ أوْ مَمْلُوءَةً جَفَنَاتُهَا
تَخَطّى بِهَا أعْنَاقَ كُلّ قَبِيلَةٍ صَوَارِمُهَا تَهْتَزّ أوْ قَنَوَاتُهَا
تَرَى عِندَها الشّهرَ الحَرَامَ مُحلَّلاً إذا خَفَرَتْهَا لِلوَغَى عَزَمَاتُهَا
وَأحلَمُ خَلْقِ اللهِ، حتّى إذا دَنَا إلَيْهَا الأذَى طارَتْ بِهَا جَهَلاتُهَا
إذا وُسِمَتْ بالنّارِ خَيْلٌ، فعِنْدَها كَرَائِمُ آثَارُ الطّعَانِ سِمَاتُهَا
مَتى سَمعتْ صَوْتَ الصّرِيخِ تَنصّتتْ قِيَاماً إلى داعي الوَغَى سَمَعَاتُهَا
رَحَلْنَا بِأكْبَادٍ غِلاظٍ عَلى الهَوَى قَلِيلٍ إلى ما خَلْفَهَا لَفَتَاتُهَا
إذا أزْمَعَتْ إزْماعَةَ الجدّ لمْ تُبَلْ: أفِتْيَانُهَا البَاكُونَ أمْ فَتَيَاتُهَا
سَوَابِقُهَا أوْلَى بِهَا لا نِساؤهَا، وَأدْرَاعُهَا وَالبِيضُ لا أُمّهَاتُهَا
وَحَيٍّ مِنَ الأعْداءِ بَاتُوا بِلَيْلَةٍ مُنَعَّمَةٍ لَوْ لَمْ تُذَمّ غَدَاتُهَا
وَخَيْلٍ خَشَشْنَا جَوّهم بِرِمَاحِنا، كَمَا خَشّ آنافَ القُرُومِ بُرَاتُهَا
فَما استَيقَظُوا حتّى تداعَى صَهيلُها وَقَدْ سَبَقَتْ ألحَاظَهُمْ عَبَرَاتُهَا

١ قطاها : ظهرها . وفراتها ، الواحدة وفرة : ما سال من الشعر على الأذنين
٢ السنات ، الواحدة سنة : النعاس .

وَلَمْ يَنْجُ إلاّ مَنْ تَخاطَتْ سُيُوفُنا، وَذاقَ الرّدى مَن عَمّمتْ شَفَرَاتُهَا
قَوَاضِبُ لا يُودى بشَيءٍ قَتيلُهَا ، إذا أمْسَتِ القَتْلَى تُسَاقُ دِيَاتُهَا
أنِسْنَا بِأطْرَافِ الرِّمَاحِ ، وَإنّنَا لَنَحْنُ مُحِلّوهَا وَنَحْنُ سُقَاتُهَا
نَبَتْنَ لأيْدِينَا خُصُوصاً ، وَإنّمَا لَنَا يَتَوَاصَى بالطّعَانِ نَبَاتُهَا
بِأبْوَابِنَا مَرْكُوزَةٌ ، وَإلى الوَغَى تَزَعْزَعُ في أيمانِنَا قَصَبَاتُهَا
أبِيتُ ، وكَانَ العِزُّ مِنّي خَليقَةً ، وَهَلْ سُبّةٌ إلاّ وَقَوْمي أبَاتُهَا
فَلا تُفْزِعُوني بالوَعيدِ سَفَاهَةً ، فَلي هَامَةٌ لا تَقْشَعِرّ شَوَاتُهَا[1]
تَغاوَتْ على عِرْضِي عَصَائبُ جَمّةٌ ، وَلَوْ شِئْتُ مَا التَفَتْ عَليّ غُوَاتُهَا
أُوَلّيهِمُ صَمّاءَ أذْنٍ سَمِيعَةٍ ، إذا مَا وَعَتْ ألْوَتْ بِهَا غَفَلاتُهَا
يَطُولُ إذاً هَمّي، إذا كانَ كُلّمَا سَمِعتُ نَبيحاً من كِلابٍ خَسَاتُهَا[2]
لِذِلّتِهَا هَانَتْ عَليّ ذُنُوبُهَا ، فلَمْ أدرِ مِنْ نَبذي لهَا مَنْ جُناتُهَا
قَوَارِصُ لمْ تَعْلَقْ بجِلْدي نِصَالُها، وَلَوْ كانَ غَيرِي أنفَذَتهُ شَذاتُهَا[3]
همُ استَلدَغوا رُقْشَ الأفاعي وَنَبّهوا عَقَارِبَ لَيْلٍ نَائِمَاتٍ حُمَاتُهَا
وَهمْ نَقَلُوا عَنّي الذي لم أفُهْ بهِ ، وَمَا آفَةُ الأخْبَارِ إلاّ رُوَاتُهَا
رَمَوْني بِما لَوْ أنّ عَيْني رَمَتْ بِهِ جَنَاني ، على عِزّي لهَا ، لَفَقَاتُهَا
أُرِيدُ لَئِنْ أحنُو عَلى الضّغْنِ بَينَنا، وَتَأبَى قُلُوبٌ أنْغَلَتْهَا هَنَاتُهَا

١ الشواة : قحف الرأس وجلدته .
٢ خساتها ، مسهل خسأتها ، وخسأ الكلب : طرده .
٣ الشذاة : بقية القوة .

دَعَوْهَا نُدُوباً بَيْنَنا باندِ مَالِهَا ، وَلا تَبْلُغُوا مِنّي ، وَإلاّ نَكاتُهَا
فَإنّي مَطُولٌ للأعادي مُمَاحِكٌ ، إذا نَصّفُوا أوْساقَ ضَغنٍ مَلاتُهَا
لَقَد غَرّبَتني حُظوَةُ الفَضْلِ عنكُمُ ، وَإنْ جَمّعَتْ أعراقَنَا نبعَاتُهَا
وَمَا النّفسُ في الأهلِينَ إلاّ غَرِيبَةٌ ، إذا فُقِدَتْ أشْكَالُهَا وَلِداتُهَا
بَني مُضَرٍ خلّوا نُفُوساً عَزِيزَةً تنَامُ فَأوْلَى أنْ يَطُولَ سِنَاتُهَا
دَعُوها فَخَيرٌ لِلأعَادي هُجُودُها ، وَشَرٌّ لِمَنْ يَغرَى بِها يَقَظَاتُهَا
ثِقُوا عَنْ قليلٍ أنْ يَهُبّ شَرَارُها ، وَإنْ قُلتُمُ قَدْ أُخمِدَتْ جَمَرَاتُهَا
وَلا تَأنَسُوا أنّ الجِيادَ بِشُكْلِها ، فَيَا رُبّمَا أرْدَتكُمُ نَزَوَاتُهَا
وَلا تأمَنُوا صَوْلَ النّفوسِ وَإن غدتْ مَضَارِبُهَا مَفْلُولَةً وَظُبَاتُهَا
بَنُو هَاشِمٍ عَينٌ ، وَنَحْنُ سَوَادُها عَلى رُغْمِ أقْوَامٍ ، وَأنْتُمْ قَذاتُهَا
وَمَا زِلْتُمُ داءً يُفَرّي إهَابَهَا ، وَإنْ كُنتُمُ مِنها ، وَنَحنُ أُساتُهَا
وَأعْجَبُ مَا يَأتي بِهِ الدّهرُ أنّكم طَلَبْتُمْ عُلًى مَا فيكُمُ أدَوَاتُهَا
وَأمّلْتُمُ أنْ تُدْرِكُوهَا طَوَالِعاً ، دَعُوهَا ستَسعَى للمَعَالي سُعَاتُهَا
وَإمّا حَرَنْتُمْ عَنْ مَدَاهَا ، فإنّنَا سِرَاعٌ ، إذا مُدّتْ لَنَا حَلَبَاتُهَا
أبَى دُونَكُمْ ذاكَ الذي ما تَعَلّقَتْ بِأثْوَابِهِ الدّنْيَا ، وَلا تَبِعَاتُهَا
تَجَنّبَهَا هَوْجَاءَ لا مُسْتَقِيمَةً خُطَاهَا ، وَلا مَأمُونَةً عَثَرَاتُهَا
غَدَا رَاضِياً بالنّزْرِ مِنهَا قَنَاعَةً ، وَلَوْ شاءَ قَدْ كانَتْ لهُ جَفَنَاتُهَا
تَلافَظَها مِنْ بَعْدِ ما ذاقَ طَعمَها ، فَكَانَتْ زُعَاقاً عِنْدَهُ طَيّبَاتُهَا
تَلافَى قُرَيْشاً حِينَ رَقّ أدِيمُهَا ، وَخَفّتْ عَلى أيدي الرّجالِ حَصَاتُهَا

وَرَجّبَها مِنْ بَعدِ ما مالَ فَرْعُهَا ، وَحِينَ أبَتْ إلاّ اعْوِجَاجاً قَناتُهَا[1]
وكَمْ عادَ في إحدَى عَوَاليهِ هَامَةً لجَبّارِ قَوْمٍ قَطّرَتْهُ شَبَاتُهَا
فَمَنْ غَيْرُهُ لليَعْمَلاتِ يُقيمُهَا ، إذا وَقَعَتْ مَثْنِيّةً رُكُبَاتُهَا
وَمَنْ لعَجاجِ الحَرْبِ يَجلو ظَلامَهُ ، إذا خَفَقَتْ في نَقْعِها عَذَبَاتُهَا
وَمَنْ للمَعَالي القُودِ يَقْرَعُ هَامَها ، إذا نَفَتِ الإقْدامَ عَنها صِفَاتُهَا
وَمَنْ لأضَاميمِ الجِيَادِ ، غدوُّها لِطَعْنِ حَماليقِ العِدَى وَبَيَاتُهَا
لَنَا وَعَلَيْنا إنْ لَبِثْنَا هُنَيهَةً ، قِطَافُ رُؤوسٍ أينَعَتْ ثَمرَاتُهَا
فَيَا لهَفي كَمْ مِنْ نُفُوسٍ كَرِيمَةٍ تَمُوتُ ، وَفي أثْنَائِهَا حَسَرَاتُهَا
يَعِزّ عَلَينَا أنْ تَفُوتَ ، وَأنّهَا قَضَتْ نحبَها أوْ ما انقضَتْ زَفَرَاتُهَا
وَكَانَ بِدارِ الهُونِ مُلْقًى جُنُوبُها سَوَاءٌ عَلَيْها مَوْتُها وَحَيَاتُهَا
أسَارَى تُعَنّيها الكُبُولُ ، مَذُودَةٌ بَوَاطِشُها ، مَقْصُورَةٌ خَطَوَاتُهَا
وَمَا بَرِحَتْ تَبكي قَتيلاً عُيُونُهَا ، فَلا دَمْعُها يَرْقَا ، وَلا عَبَرَاتُهَا
عَسَى اللهُ أنْ يَرْتَاحَ يَوْماً بفَرْحَةٍ ، فتَنطِقَ أنْضَاءٌ أُطِيلَ صُمَاتُهَا
وَيُؤخَذَ ثَارٌ مَاتَ هَمّاً وُلاتُهُ ، وَلَمّا تَمُتْ أضْغَانُهَا وَتِرَاتُهَا
فكَمْ فُرّجَتْ من بَعدِ ما أغلِقَتْ لَنا مَغالِقُها ، وَاستَبهَمَتْ حَلَقَاتُهَا
غَرَسْتُ غُرُوساً كنتُ أرْجو لَحاقَهَا ، وَآمُلُ يَوْماً أنْ تَطِيبَ جَنَاتُهَا
فَإنْ أثْمَرَتْ لي غَيرَ ما كنتُ آمِلاً ، فَلا ذَنْبَ لي إنْ حَنظَلَتْ نَخَلاتُهَا

---

١ رجبها : أراد قواها .

خير ميت من آل مروان

قال يرثي عمر بن عبد العزيز وقد أجرى ذكره وما تفرد به من الصلاح والعدل وجميل السيرة عن أهل بيته ولما روى جعفر الصادق أنه قال كان العبد الصالح أبو حفص يهدي إلينا الدراهم والدنانير في زقاق العسل خوفاً من أهل بيته :

يا ابنَ عَبْدِ العَزيزِ ! لَوْ بَكَتِ العَيْـ ... ـنُ فَتًى مِنْ أُمَيّةٍ لَبَكَيْتُكْ

غَيْرَ أنّي أقُولُ إنّكَ قَدْ طِبْـ ... ـتَ ، وَإنْ لمْ يَطِبْ وَلَمْ يَزْكُ بَيتُكْ

أنْتَ نَزّهْتَنَا عَنِ السّبّ وَالقَذْ ... فِ ، فَلَوْ أمكَنَ الجَزَاءُ جَزَيْتُكْ

وَلَوَ انّي رَأيْتُ قَبْرَكَ لاستَحْـ ... ـيَيْتُ مِنْ أنْ أرَى وَمَا حَيّيْتُكْ

وَقَلِيلٌ أنْ لَوْ بَذَلْتُ دِمَاءَ الْـ ... ـبُدْنِ حُزْناً عَلى الذُّرَى وَسَقَيْتُكْ[1]

دَيْرَ سَمْعَانَ لا أغبّكَ غَادٍ ، ... خَيرُ مَيتٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَيتُكْ[2]

أنْتَ بالذّكْرِ ، بَينَ عَيْنِي وَقَلْبِي ، ... إنْ تَدانَيْتُ مِنكَ أوْ قَد نَأيْتُكْ

وَإذا حَرّكَ الحَشَا خَاطِرٌ مِنْـ ... ـكَ تَوَهّمْتُ أنّني قَدْ رَأيْتُكْ

وَعَجِيبٌ أنّي قَلَيْتُ بَنِي مَرْ ... وَانَ طُرّاً ، وَأنّنِي مَا قَلَيْتُكْ

١ البدن بضم الدال وسكنت هنا مراعاة للوزن ، الواحدة بدنة : للذكر والأنثى ، وهي الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة فتنحر بها . سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها .

٢ دير سمعان بفتح السين وكسرها : دير بنواحي دمشق في موضع نزه ، وبساتين محدقة به . عنده قصور ودور وعنده قبر عمر بن عبد العزيز . لا أغبك غاد : أي لا أمطرك يوماً بعد يوم بل كل يوم . والغادي : السحاب الذي ينشأ غدوة .

قَرُبَ العَذْلُ مِنْكَ لَمّا نَأى الجَوْ رُ بِهِمْ ، فاجتَوَيْتُهُمْ وَاجتَبَيْتُكْ[1]
فَلَوَ انّي مَلَكْتُ دَفْعاً لِمَا نَا بَكَ مِنْ طارِقِ الرّدَى لَفَدَيتُكْ

قعود على الهموم

قال في قريب من معنى المراثي :

مَنْ يكُنْ زَائِرِي يَجِدْنِي مُقيماً أَتْبَعُ الغَانِيَاتِ بِالزّفَرَاتِ
في نَدامَى عَلَى الهُمُومِ قُعُودٌ يَدْعَمُونَ الأذْقَانَ بِالرّاحاتِ
كُلّمَا أنْزَفُوا مِنَ الدّمعِ مدّتْ هُمْ دَوَاعي الهُمُومِ بِالعَبَرَاتِ

بادر اللذات

إذا مَضَى يَوْمٌ عَلى هِدْنَةٍ ، وَأنْتَ في سِلْمٍ مِنَ النّائِبَاتْ
فَعَاجِلِ الفُرْصَةَ قَبْلَ الرّدَى ، وَبَادِرِ اللّذّاتِ قَبْلَ البَيَاتْ
وَاسبُقْ ، وَفي حَبلِكَ أُنْشُوطَةٌ ، ضَغْطَ اللّيَالي بِيَدِ الحَادِثَاتْ[2]

١ اجتويتهم : كرهتهم . اجتبيتك : اخترتك واصطفيتك .
٢ الأنشوطة : ربطة دون العقدة إذا مدت بأحد طرفيها انفتحت .

آنائم قلبك ؟

قَدْ آنَ أنْ يُسْمِعَكَ الصَّوْتُ ؛ أنَائِمٌ قَلْبُكَ أمْ مَيْتُ
يَا بَانِيَ البَيْتِ عَلى غِرّةٍ ! أمَامَكَ المَنْزِلُ وَالبَيْتُ
أيَجْزَعُ المَرْءُ لِمَا فَاتَهُ ، وَكُلُّ مَا يُدْرِكُهُ فَوْتُ
وَإنّمَا الدّنْيَا ، عَلى طُولِهَا ، ثَنِيّةٌ مَطْلَعُهَا المَوْتُ

ليال مقمرات بالغواني

مَنْ مُعِيدٌ لِيَ أيّـا مي بِجِزْعِ السَّمُرَاتِ[1]
وَلَيَـالِيّ بِجَمْـعٍ وَمِنًى وَالجَمَرَاتِ
وَظِبَـاءٌ حَالِيَاتٍ ، كَظِبَـاءٍ عَاطِلاتِ
رَائِحَاتٍ فِي جَلابِيـ ـبِ الدّجَى مُخْتَ ـتِ
رَامِيَـاتٍ بِالعُيُونِ الـ نُّجْلِ قَبْلَ الحَصَيَاتِ

١ جزع السمرات : لعله موضع . والسمرات ، الواحدة سمرة : ضرب من الشجر .

ألِعقْرِ القلْبِ رَاحُوا ، أمْ لِعقْرِ البدَنَاتِ
كَيْفَ أوْدَعْتُ فُؤادِي أعيناً غيرَ ثِقَاتِ
أيّهَا القَانِصُ مَا أحْ سَنْتَ صَيْدَ الظّبيَاتِ
فاتَكَ السّرْبُ ، وَمَا زُوّ دْتَ غيرَ الحَسَرَاتِ
يَا وُقُوفاً مَا وَقَفْنَ في ظِلالِ السّلَمَاتِ
مَوْقِفاً يَجْمَعُ فِتْيَا نَ الهَوَى وَالفَتَيَاتِ
نَتَشاكَى مَا عَنَانَا بِكَلامِ العَبَرَاتِ
نَظَرٌ يَشْغَلُ مِنّا كُلّ عَيْنٍ بِقَذاةِ
كَمْ نَأى، بالنّفْرِ عنّا، مِنْ غَزَالٍ وَمَهَاةِ
آهِ مِنْ جِيدٍ إلى الدّا رِ كَثِيرِ اللّفَتَاتِ
وَغَرَامٍ غَيْرِ مَاضٍ بِلِقَاءٍ غَيْرِ آتِ
فَسَقَى بَطْنَ مِنًى وَالْ خَيْفَ صَوْبَ الغادِيَاتِ
وَزَمَاناً نَائِمَ العُـذّ الِ مَأمُونَ الوُشَاةِ
في لَيَالٍ كَاللآلي ، بالغَوَاني مُقْمِرَاتِ
غَرَسَتْ عِندِيَ غَرْسَ الْ شّوْقِ مَمْرُورَ الجَنَاةِ
أيْنَ رَاقٍ لغَرَامي ، وَطَبِيبٌ لِشَكَاتي

البين المشتّ

وقال رحمه الله :

أحِنّ إلى لِقَائِك كُلّ يَوْمٍ ، وَأسْألُ عَنْ إيَابِك كُلّ وَقتِ
وَأذْكُرُ مَا مضَى فيَغيض صَبْرِي ، وَتَنفُرُ عَبْرَتي وَيَبُوحُ صَمْتِي
وَلي قَلْبٌ ، إذا ذَكَرَ التّلاقي ، تَظَلّمَ مِنْ يَدِ البَيْنِ المُشتّ

أين ذاك الصبا

قالَ لي عندَ مُلتَقَى الرّكْبِ عَمروٌ: قُوِّمَ العُودُ بَعْدَنَا ، فَانصَاتَا[1]
أيْنَ ذاكَ الصِّبَا ، وَأيْنَ التّصَابي ، سبَقَا الطّالِبَ المُجِدّ ، وَفَاتَا
مَنْ قضَى عُقْبَةَ الثّلاثِينَ يَغْدُو رَاجِعاً يَطْلُبُ الصِّبَا ، هَيهَاتَا
لَمْ تَزَلْ ، وَالمَشيبُ غَيرُ قَرِيبٍ ، نَاعِياً للشّبَابِ حَتّى مَاتَا
كنتَ تَبكي الأحياءَ فاستَكثِرِ اليَوْ مَ مِنَ الدّمْعِ ، وَانْدُبِ الأمْوَاتَا

1 انصات المنحني : استوى .

يا ضيعة الأمل

قال عند خروجه إلى واسط لتلقي
والده وقد عاد من فارس سنة ٣٩٥:

قَدْ قُلْتُ للنفسِ الشَّعاعِ أضُمُّها : كَمْ ذا القِرَاعُ لكلِّ بابٍ مُصْمَتِ[١]
قَدْ آنَ أنْ أعصِي المَطامِعَ طائِعاً لليَأسِ ، جامِعَ شَمْلِيَ المُتَشَتِّتِ
يَقضِي الحريصُ وليس يَقضِي أرْبَةً مُتَعَلِّلاً أبَداً بِغَيْرِ تَعِلَّةِ
قُلْ للّذينَ بَلَوْتُهُمْ ، فَوَجَدْتُهُم آلاً ، وَغَيرُ الآلِ يَنْقَعُ غُلّتي
أعْدَدْتُكُمْ لدِفَاعِ كُلِّ مُلِمّةٍ عَنّي ، فكُنْتُمْ عَوْنَ كلِّ مُلِمّةِ
وَتَخِذْتُكُمْ لي جُنّةً فكَأنّمَا نَظَرَ العَدُوُّ مَقاتِلِي مِنْ جُنّتي
سُمَعٌ يَبُلّ بِهَا الحَسُودُ غَليلَهُ ، وَمَتَى نُبِشْنَ عَلى عَدُوٍّ يَشْمَتِ[٢]
تَأبَى ثِمَارٌ أنْ تَكُونَ كَرِيمَةً ، وَفُرُوعُ دَوْحَتِهَا لِئَامُ المَنْبِتِ
لَمّا رَمَيْتُ إلَيْكُمُ بِمَطامِعِي ، كَثُرَ الخِلاجُ مُقَلِّباً لرَوِيّتي[٣]
وَوَقَفْتُ دُونَكُمُ وُقُوفَ مُقَسَّمٍ ، حَذَرَ المَنِيّةِ رَاجِيَ الأُمْنِيّةِ[٤]
قَدَمٌ تَؤمّكُمُ ، وَأُخرَى تَنْثَنِي عَنكُمْ ، وَحَزْمُ الرّأيِ للمُتَثَبِّتِ

١ الشعاع : التي تفرقت همها وآراؤها .
٢ السمع ، الواحدة سمعة : الذكر والصيت .
٣ الخلاج : ما يخالج القلب أي يخامره وينازعه من فكر
٤ المقسم : المهموم .

لَوْلا الحَوَادِثُ ما أفَدْتُ تَجارِباً ، يَعسُو الرّطيبُ وَيَقرَحُ الجذَعُ الفَتي
يَأسٌ ثَنَى سُنَنَ المَطالِبِ عنكُمُ ، وَلَوَى إلى الأوْطانِ عُنُقَ مَطيّتي
لا عُذْرَ لي إلاّ ذَهابي عَنكُمُ ، فإذا ذَهَبْتُ فيأسُكُمْ من رَجعَتي
فَلأرْحلَنّ رَحيلَ لا مُتَلَهّفٍ لِفِرَاقِكُمْ ، أبَداً ، وَلا مُتَلَفّتِ
وَلأنفُضَنّ يَدَيّ يَأساً مِنكُمُ ، نَفْضَ الأنَامِلِ مِنْ تُرَابِ المَيّتِ
وَلألمَعَنّ بِكُلّ بَيْتٍ شَارِدٍ لَمْعَ المُهَنّدِ في يَمينِ المُصْلِتِ
مِنْ كُلّ قافِيَةٍ تَخُبّ إلَيكُمُ بِشُوَاظِها خبَبَ الجَوَادِ المُفْلِتِ
وَأقولُ للقلبِ المُنَازِعِ نَحوَكُمْ : أقْصِرْ هَوَاكَ لَكَ اللّتَيَا وَالّتي
أأهُزّ مَنْ لا يَنْثَني وَأُديرُ مَنْ لا يَرْعَوي، وَألومُ مَنْ لا يَختَتي[1]
يا ضَيعَةَ الأمَلِ الّذي وَجّهْتُهُ طَمَعاً إلى الأقوَامِ بَلْ يا ضَيعَتي
وَسَرَى السّفائِنُ يَنْثَني بِصُدُورِها مَوْجٌ كأسنِمَةِ الجِمَالِ الجِلّةِ[2]
قَوْمٌ ، إذا حَضَرُوا النّديّ مهانَةً عَطَسَتْ مَوَارِنُهُمْ بِغَيْرِ مُشَمّتِ
يا دَهرُ! حَسبُكَ قد أصبتَ مَقاتلي ، ما زِلْتَ تَطْلُبُ بالمَقادِرِ غِرّتي
مَا لي أُحيلُ عَلى سِوَاكَ بِمَا جَنَى قَدَرٌ عَلى قَدَرٍ ، وَأنْتَ بَليّتي

[1] يختتي : ينكسر من حزن أو مرض فيتخشع .
[2] الجلة : المسنة .

فيا لك دنيا

قال بديهاً في غرض :

وَقَفْنَا لَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الخُطُو ... بِ، نُطالِعُهُمْ مِن خَصَاصَاتِهَا
وَنَرْقُبُ يَوْماً كَأيَّامِهَا ، ... ولَيْلَةَ نَحْسٍ كَلَيْلاتِهَا
فَإنّ عَصَا الدّهْرِ لَمّا تَدَعْ ... سِيَاقَ الأُمُورِ لِغَايَاتِهَا
وَإنّ الحَبَائِلَ مَنْصُوبَةٌ ، ... فَلا تُسْتَغَرّوا بِإفْلاتِهَا
تَسَنّمْتُمُوهَا طِوَالَ الذُّرَى ، ... فَصَبْراً عَلى بُعْدِ مَهْوَاتِهَا
وَمَنْ أمْطَرَتْهُ سَمَاءُ الغِنَى ... هَوَى في سُيُولِ قَرَارَاتِهَا
فَيَا لَكِ دُنْيَا تَرِيشُ الرّجَا ... لَ، وَتُنحي عَلَيهِمْ بِمِبرَاتِهَا[1]
وَإنّ مَنَائِحَهَا لِلفَتَى ، ... لَرَهْنٌ لَهُ بِنِكَايَاتِهَا
فَبَيْنَا تَقُولُ لَهُ : هَاكَهَا ! ... إلى أنْ تَقُولَ لَهُ : هَاتِهَا
ألَمْ تَعْلَمُوا أنّ أيّامَكُمْ ... تُعَدّ إلى حِينِ مِيقَاتِهَا
فَكَيْفَ وَثِقْتُمْ بِأعْوَامِهَا . ... وَنَحْنُ نَضِنّ بِسَاعَاتِهَا
فَلا تَطْلُبَنّ لَهُمْ عَثْرَةً ، ... سَتَأتِيهِمُ هيَ مِنْ ذاتِهَا
تَمُرّ اللّيَالي عَلى نَهْجِهَا ، ... وَتَجرِي الخُطُوبُ لِعَادَاتِهَا

١ تريش : تغني . تنحي عليهم : تقبل عليهم . المبراة : ما يبرى به القوس .

ريح من الزفرات

هَلْ يَبلُغَنَّهمُ نُضُوبُ مَدامِعي ، وَفَنَاءُ قَلْبي بَعْدَهُمْ حَسَرَاتِ
رِيحٌ مِنَ الزّفَرَاتِ تَعصِفُ في الحَشا، وَوَرَاءَهَا مَطَرٌ مِنَ العَبَرَاتِ

عيب الأموات

يَعِبْنَ مَوْتَاهُمُ بأحْيَائِهِمْ ، كَمَا يُعَابُ الحَيُّ بالمَيّتِ
قَوْلُكُمْ زُورٌ ، وَقَوْلي لكُمْ يبقَى بَقَاءَ الجَبَلِ المُصْمَتِ

حرف الثاء

لم يبق للمجد وارث

قال رحمه الله يرثي حرب بن سعيد بن حمدان وتوفي في شعبان سنة ٣٨٢ وكان أخوه أبو فراس الحارث بن سعيد قد مات قبله بقليل:

رَجَوْنَا أبَا الهَيجاءِ إذْ ماتَ حارِثٌ، فمُذْ مَضَيَا لمْ يَبقَ للمَجدِ وَارِثُ
ألا إنَّ قَرْمَيْ وَائِلٍ ،لَيلَةَ السُّرَى، أقامَا ، وَقَدْ سارَ المَطيُّ الدَّلائِثُ[1]
هُمَا البَازِلانِ المُقْرَمَانِ تَنَاوَبَا عُرَى المَجدِ لمّا عَجّ بالعِبْءِ لاهِثُ[2]
رَفِيقَانِ مَا بَاغاهُمَا العِزَّ صَاحِبٌ؛ نَدِيمَانِ مَا سَاقَاهُمَا المَجدَ ثَالِثُ
حُسَامَانِ إنْ فَتّشتَ كلَّ ضَرِيبَةٍ ، فَأُثْرُهُمَا فيهَا قَدِيمٌ وَحَادِثُ[3]
بَقِيّةُ أسْيَافٍ طُبِعْنَ معَ الرّدَى ، فجاءَ وَجاءَتْ عاثِيَاتٌ وَعَائِثُ[4]

١ الدلائث : السريعة ، الواحدة دلاث .

٢ المقرمان : المسودان .

٣ الأثر : جوهر السيف .

٤ العاثيات : المفسدات . العائث : الأسد .

أحَقّـاً بِأنّ المَجْدَ هِيضَتْ جُبُورُهُ ... وَزَالَ عَنِ الحَيّ الطِّوَالُ المَلاوِثُ[1]
وَأيْدٍ على بُسْطِ السّمَاحِ رَقَائِقٌ ، ... وَهُنّ عَلى قَبضِ الرِّمَاحِ شَرَائِثُ[2]
وَسِربٌ بَنُو حَمْدانَ كانُوا حُماتَه ... رَعَتْ فيهِ ذُؤبَانُ اللّيَالي العَوَائِثُ
فَأيْنَ كُفَاةُ القُطْرِ في كلّ أزْمَةٍ ؛ ... وَأيْنَ المَلاجي منهُمُ ، وَالمَغاوِثُ
وَأينَ الجِيَادُ المُعجِلاتُ إلى الوَغَى ، ... إذا غَامَ بالنّقعِ المَلا المُتَوَاعِثُ[3]
وَأينَ الثّنَايَا المُطلِعاتُ عَنِ الأذَى ، ... إذا نَابَ ضَغّاطٌ مِنَ الأمرِ كارِثُ
إذا مَا دَعَا الدّاعونَ للبَأسِ وَالنّدى ... فَلا الجُودُ مَنزُورٌ وَلا الغَوْثُ رَائِثُ
يرَفّ عَلى نَادِيهِمُ الحِلْمُ وَالحِجَا ... إذا مَا لَغَا لاغٍ مِنَ القَوْمِ رَافِثُ[4]
مِنَ المُطعَمِينَ المَجدَ بالبِيضِ وَالقَنا ... مِلاءَ المَقارِي ، وَالعرِيبُ غَوَارِثُ[5]
إذا طَرَحُوا عِمّاتِهِمْ وَضَحَتْ لهمْ ... مَفارِقُ لمْ يَعصِبْ بِها العَارَ لائِثُ[6]
بكَتهُمْ صُدُورُ المُرْهَفاتِ وَبُشّرَتْ ... هِجانُ المَتَالي ، وَالمَطيُّ الرّوَاغِثُ[7]
قُرُومٌ عَلى مَا رَوّحُوا مِنْ وُسُوقِها ... وَلا مِنهُمُ الوَاني ، وَلا المُتَمَاكِثُ
يُخلّى لهُمْ مِنْ كلّ وِرْدٍ جِمامُهُ ... إذا وَرَدُوا ، وَالمُعشِباتُ الأثائِثُ[8]

١ الملاوث : الأشراف .
٢ الشرائث : الغلاظ ظهور الأكف .
٣ الملا : الصحراء . المتواعث : الطريق العسر .
٤ الرافث : المفحش .
٥ المقاري : الجفنات . الغوارث : الجياع .
٦ اللائث ، من لاث العمامة : عصبها .
٧ الهجان ، من كل شيء : خياره . المتالي من النوق : التي يتبعها أولادها . الرواغث : المرضعات
٨ الأثائث : الكثيرات الملتفة .

مشَوْا في سُهُولِ المَجدِ حيناً وَوَقّفُوا بحَيْثُ ابتَدَتْ أوْعارُهُ وَالأوَاعثُ
إذا رَكِبُوا سَالَ اللّديدانِ بالقَنَا ، وَحنّتْ مَطايَاها المَنَايَا الرّوَائثُ[1]
كأنّ الصّقُورَ اللاّمِحَاتِ تَلَمّظَتْ إلى الطُّعمِ وَانصَاعَتْ لهنّ الأباغثُ[2]
مَضَوا لا الأيادي مُخدَجاتٌ نَوَاقِصٌ ولا مِرَرُ العَلْيَاءِ مِنْهُمْ رَثَائِثُ[3]
وَلا طِولُ النّعْمَاءِ فيهمْ مُقَلَّصٌ ، إذا عَلِقَتْهُ المُعصِمَاتُ الشّوَابِثُ[4]
خَلَجتُمْ لجَسّاسِ بنِ مُرّةَ طَعنَةً رَأى الجِدّ فيها هِجرِسٌ وَهوَ عابثُ
وَغادَرْتُمُ أشلاءَ بَكْرٍ مُقيمَةً على العارِ لا تُحثَى عَلَيها النّبَائثُ
وَقَدْ كانَ دَينٌ في كُلَيبٍ وَفَى بِهِ غَرِيمٌ مَطُولٌ بالدّيُونِ مُمَاغِثُ[5]
وَقائِعُ أيّامٍ كَأنّ إكَامَهَا ، بجاري دَمِ الطّعنِ ، الإماءُ الطّوَامِثُ
تَعُودُونَ عَنهَا في قَنَاكُمْ مَبَاشِمٌ ، وَعِندَ قَنَا بَكرٍ إلَيكُمْ مَغَارِثُ[6]
عَقَدْتُمْ بِهَا حَبْلَيْ إسَارٍ وَمِنّةٍ ، وَخَانَهُمُ نَقْضُ القُوَى وَالنّكائثُ
تحَلّلتُمُ مِنْ نَذْرِ طَعنٍ ، وَغَيرُكم كَثيرُ الألايا ، غِبَّ ما قالَ حانِثُ[7]
حُرُوبٌ مِنَ الأقدارِ طاحَ عِرَاكُهَا ، بحَرْبٍ ، وَلَمْ يَسْلَمْ عَلَيهِنّ حارِثُ

١ اللديدان : صفحتا العنق .
٢ الطعم : الطعام . انصاعت : مرت سراعاً . الأباغث ، الواحد أبغث وهو من الطير : ما لا يصيد ولا يرغب في صيده .
٣ المرر : الحبال المفتولة والمراد هنا القوة .
٤ المعصمات : المتعلقات . الشوابث ، من تشبث بالشيء : تعلق به .
٥ المماغث : المخاصم .
٦ المباشم ، من البشم : التخمة من كثرة الأكل . المغارث : الجياع .
٧ الالايا ، الواحدة الية : اليمين .

وَكانَ سِناناً أوْجَرَ الخَطْبَ حَدَّهُ … وَكانَ يَداً أرْدي بِها مَنْ ألاوِثُ[1]
بأخلاقِ أبْاءٍ يَعُودُ بِهَا الأذَى … وَعُوراً على الأعداءِ وَهيَ دَمَائِثُ
أقُولُ لِناعيهِ إلى المَجْدِ وَالعُلَى: … رَمَى فَاكَ مَسمومُ الغِرارَيْنِ فارِثُ[2]
كأنّ سَوَادَ القَلْبِ طَارَ بِلُبّهِ ، … إلى الطَّوْدِ أقْنى يَنفُضُ الطَّلَّ ضَابِثُ[3]
وَرُزْءٌ رَمَى بَينَ القُلُوبِ شُوَاظَهُ ، … أجيجُ المَصَالي أسْعَرَتْهَا المَحارِثُ[4]
برُغميَ تُمسِي نَازِلاً دارَ هِجرَةٍ ، … وَأنْتَ المُصَافي وَالقَرِيبُ المُنافِثُ
وَأنْ لا أُجَافي التُّرْبَ عَنكَ بِرَاحَةٍ ، … وَلَوْ نَازَعَتْنيها الرِّقَاقُ الفَوَارِثُ[5]
وَإنْ تَشتَمِلْ أرْضٌ عَلَيكَ ، فإنّما … على مَاءِ عَينَيّ النّقَا وَالكَثَاكِثُ[6]
سَقَى النَّضَدَ النّجديَّ مَلقَى ضَرائحٍ … بها منكُمُ المُستَصرَخُونَ الغَوَايِثُ[7]
فَسِيّانِ فيها، مِنْ وَقَارٍ وَمن عُلًى، … عِظامُكُمُ وَالرّاسِيَاتُ اللّوَابِثُ
وَلا بَرِحَتْ تُندي عُقُودَ صَعِيدِها ، … نُفَاثَةُ مَا جادَ الغَمامُ النّوَافِثُ
لهَا خَدَشَاتٌ بالمَوَامي ، كَأنّهَا … على لَقَمِ البَيْداءِ أيْدٍ عَوَابِثُ
صُبَابَةُ عِزٍّ عَبّ في مَائِها الرّدَى ، … وَعَادَ إلَيْهَا ، وَهوَ ظَمآنُ غَارِثُ

١ ألاوث : أطالب بالأحقاد .
٢ الفارث : المفرق .
٣ الأقنى : أراد البازي . الضابث : القابض بمخالبه .
٤ المصالي، من صلي النار : احترق بها، أو قاسى حرها . المحارث ، الواحد محراث : ما تحرك به النار .
٥ الرقاق الفوارث : السيوف .
٦ النقا : القطعة من الرمل . الكثاكث : التراب ، الواحد كثكث .
٧ النضد : الجبل . الغوايث : المغيثون من يلجأ إليهم .

وَأفنانُ دَوْحاتٍ من المَجدِ أشرِعَتْ   مَشاظي الرّدَى ما بَينَها وَالمَشاعثُ[1]
وَما كنتُ أخشَى الدّهرَ إلاّ عَلَيهِمُ ،   فَهانَ الرّزَايَا بَعدَهُمْ وَالحَوَادِثُ

الأرض تشبع والبطون غراث

قال رحمه الله في الزهد :

يَا آمِنَ الأقْدارِ بَادِرْ صَرْفَهَا ،   وَاعلَمْ بِأنّ الطّالِبِينَ حِثَاثُ
خُذْ مِنْ تُرَاثِكَ ما استَطَعتَ فإنّما   شُرَكَاؤكَ الأيّامُ وَالوُرّاثُ
لَمْ يَقْضِ حَقَّ المَالِ إلاّ مَعْشَرٌ   وَجَدُوا الزّمَانَ يَعيثُ فيهِ ، فَعاثُوا
تَحثُو على عَيبِ الغَنيّ يَدُ الغِنى ،   وَالفَقْرُ عَنْ عَيْبِ الفَتى بَحّاثُ
المَالُ مَالُ المَرْءِ ما بَلَغَتْ بِهِ الـ   شّهَوَاتُ ، أوْ دَفَعَتْ بِهِ الأحداثُ
مَا كَانَ مِنْهُ فَاضِلاً عَنْ قُوتِهِ ،   فَلْيَعْلَمَنّ بِأنّهُ مِيرَاثُ
ما لي ، إلى الدّنيَا الغَرُورَةِ ، حاجَةٌ ،   فَلْيَخزَ سَاحِرُ كَيْدِها النّفّاثُ
طَلّقْتُهَا ألفاً لأحسِمَ دَاءَهَا ،   وَطَلاقُ مَنْ عَزَمَ الطّلاقَ ثَلاثُ
سَكَنَاتُهَا مَحذُورَةٌ ، وَعُهُودُهَا   مَنْقُوضَةٌ ، وَحِبَالُهَا أنْكَاثُ
أمٌّ المَصَائِبِ لا يَزَالُ يَرُوعُنَا   مِنهَا ذُكُورُ نَوَائِبٍ وَإنَاثُ

[1] المشاظي ، من التشظية : التفريق . والمشاعث من التشعث : التفرق .

إنّي لأعْجَبُ مِنْ رِجَالٍ أمسَكُوا ... بحَبَائِلِ الدّنْيَا ، وَهُنّ رِثَاثُ
كَنَزُوا الكُنوزَ، وَأغفَلوا شَهَوَاتِهم، ... فالأرْضُ تَشبَعُ وَالبُطُونُ غِرَاثُ
أتُرَاهُمُ لَمْ يَعْلَمُوا أنّ التّقَى ... أزْوَادُنَا ، وَدِيَارُنَا الأجْدَاثُ

سلام على الامال

قال في غرض له :

خُذُوا نَفَثَاتٍ من جَوَى القَلبِ نافثِ ... دفاينَ ضَغْنٍ قَدْ وُمِينَ بِنَابِثِ[1]
لَقَدْ كُنّ مِنْ قَبلِ البَوَاحثِ نُزَّعاً ... فكَيْفَ بهِنّ اليَوْمَ بَعدَ البَوَاحِثِ
عَذيرِيَ مِنْ سَيْفٍ رَجَوْتُ قِرَاعَهُ ... أعَادِيَّ طُرّاً مِنْ قَدِيمٍ وَحَادِثِ
فَخَانَ يَدي ثُمّ انْثَنَى بِغِرَارِهِ ، ... فَكَانَ لعُنْقِي اليَوْمَ أوّلَ فَارِثِ
وَمِنْ جَبَلٍ أعدَدْتُ شُمَّ هِضَابِهِ ، ... مَرَدّاً لأيْدِي النّائبَاتِ الكَوَارِثِ
فَطَوّحَ لي مِنْ حَالِقٍ ، وَأزَلّني ... زَلِيلَ المَطَايَا عَنْ مُتُونِ الأوَاعِثِ
وَمِنْ مَشْرَبٍ أنبَطتُ يَنْبُوعَ مَائِهِ ... بِأعْلَى الرّوَابي وَالرّيَاضِ الأثَائِثِ
يَضِنّ عَلَيّ اليَوْمَ مِنْهُ بِنَهْلَةٍ ، ... وَتُبْذَلُ دُوني النّقَا وَالكَثَاكِثِ
هُوَ الرّزْقُ مَقْسُوماً ، وَلَيسَ تَنَالُهُ ... بِبَرْدِ التّبَاطي أوْ بِحَرّ الحَثَاحِثِ

---

١ النابث ، من نبث : نبش .

أعَنْتُمْ عَلَى حَرْبِي المَقَادِيرَ عَنْوَةً ، وَرِشْتُمْ إلى قَلْبِي سِهَامَ الحَوَادِثِ
وَلَمْ تَدْعُونِي وَالزّمَانَ ، فَإنّهُ لأكْرَمُ فِعْلاً مِنكُمُ في الهَنَابِثِ[1]
كَذَاكَ مَنِ استَدرَى إلى غَيرِ هَضْبَةٍ وَشَدّ يَداً بالمُطْمِعَاتِ الرّثَائِثِ
دُعَائي ذِئَابَ القَاعِ خَيْرٌ مَغَبّةً إذاً ، من دُعَائي بَعضَكُمْ للمَغاوِثِ
فَلَوْ أنّني أدْعُو لُؤيّ بنَ غَالِبٍ ، لَقَدْ أنْجَدُونِي بالطّوَالِ المَلاوِثِ
يجيشُ بهمْ وَادي الظّلامِ كَأنّهُمْ صُدُورُ العَوَالي بِالمَلا المُتَوَاعِثِ
هُمُ أطْلَعُونِي بالنّجَادِ وَأرْزَمُوا لنَصْرِيَ إرْزَامَ المَطِيّ الرّوَاعِثِ[2]
وَأرْخَوْا خِنَاقِي ، بَعدَما كانَ فَتلُهُ يُغَارُ عَلَى عُنقي بِأيْدٍ عَوَابِثِ[3]
تَرَى حِلمَهمْ تحتَ الظُّبَى غيرَ طائش وَخَطوَهُمُ بَينَ القَنَا غَيرَ رَائِثِ
فَلا الحِلْمُ بالنّائي ، إذا ما دَعَوْتَه ، وَلا العَزْمُ بالوَاني ، وَلا المُتَمَاكِثِ
وَكُلُّ فَتًى إنْ آدَ ثِقْلُ مُلِمّةٍ ، تَوَرّكَ حِنوَيْ عِبئِها غَيرَ لاهِثِ[4]
ضَنينٌ بودّي ، لا يَزَالُ بوَجْهِهِ كَلامُ العِدَى عَنّي وَنَفثُ النّوَافِثِ
شِعَارِيَ مِنْ دُونِ الشّعَارِ ، وَتارَةً قَرِيبِيَ مِنْ دُونِ القَرِيبِ المُنَافِثِ
تَعَمّمْتُمُوها سَوْأةً جَاهِلِيّةً ، لَقَدْ فازَ مَنْ أمسَى بهَا غَيرَ لائِثِ
فَجُرّوا ذُيُولَ العَارِ ، ثمّ تَضَاءَلُوا تَضَاؤلَ أطْهَارِ الإمَاءِ الطّوَامِثِ

١ الهنابث : الشدائد ، الواحدة هنبثة .
٢ أرزموا : صوتوا تصويتاً شديداً . الرواعث : اللابسة الأقراط .
٣ يغار : يشد .
٤ آد : ثقل وشق . تورك : ركب . الحنو : عود الرحل المعوج .

تَقَطّعَتِ الأطْماعُ فيكُمْ ، ولَمْ يَدَعْ ... لَكُمْ أملاً لُؤمُ الطِّبَاعِ الخَوَابِثِ
وَأصْبَحتُمُ أطْلالَ دارٍ بقَفْرَةٍ ، ... تَرَى الرّكبَ مُجتازاً بها غَيرَ لابِثِ
وَكَيْفَ أُرَجّيكُمْ لدَفْعِ مَغارِمٍ ، ... وَقَدْ خابَ رَاجيكُمْ لدَفعِ مَعارِثِ[1]
فَعُوا وقعةَ السّارِي، فقد طالَ حثُّكم ... إلى العَارِ ، أعْنَاقَ المَطيِّ الدّلاثِثِ
فَحتّى متَى أخفي التِّرَاتِ ، وَأنتمُ ... تُثيرُونَ عَنْ مَدفُونِها بالمَباحِثِ
وَكمْ أُدْمُلُ الأضْغَانَ بَيني وبَينكم ... وَأُغضِي علَى نَقضِ القُوَى وَالنكائِثِ
إذا رُمْتُ مِنْ سَوْآتِكُمْ سَدَّ هوّةٍ ... تَشَاغَلْتُمُ عَنْ غَيرِها بالنّبَائِثِ
رَأيتُ الصّقورَ الغُلبَ خمصَى من الطوَى ... وَما مَطعَمُ الدّنيَا لغَيرِ الأبَاغِثِ
فَلا حَظَّ في استِنزَالِ رِزْقٍ مُحلَّقٍ ... وَلا نَفعَ في حثّ الحظوظِ الرّوَائثِ
تَرَكْتُ صُدُوعاً بَيْنَنا لانْشِعَابِهَا ... وَلَمْ أتَجَشّمْ لَمَّ تِلْكَ المَشاعِثِ
فَزِيدُوا ، فإنّي بَعدَها غَيرُ نَاقِصٍ ... وَجِدّوا فإنّي بَعدَها غَيرُ عَابِثِ
دُيونٌ مِنَ الأضْغانِ إنْ أبقَ أجزِكم ... بهِنّ وَإنْ أعطَبْ يَرِثْهُنّ وَارِثي
وَإنْ أنسَ يوْماً ذمّكم يُمسِ فعلُكمْ ... علَى الذّمّ عِندي مِنْ أشَدّ البَوَاعثِ
وَإنْ أبْطِ يُسْرِعْ بي إلى ما يَسوءُكم ... لَوَاعِجُ أضْغانٍ إلَيكُمْ حَثَائِثِ
نَحلْتُ إذاً مَا فيكُمُ مِنْ مَعائِبٍ ، ... وَنازَعتُكُمْ طُعماتِ تلكَ الخَبائِثِ
لئِنْ أنا لمْ أُعلِقْ بأعراضِ قَوْمِكمْ ... بَرَاثِنَ أظفارِ القَرِيضِ الضَّوَابِثِ[2]

[1] قوله : المعارث وهي من العرث : الانتزاع والدلك ، لا يؤدي معنى ، ولعلها المغارث بالغين جمع مغرث مصدر ميمي من غرث : جاع . فيكون المعنى دفع الجوع عن الجائعين .

[2] الضوابث ، من ضبث : قبض عليه بكفه .

فوَاللهِ لا أقْلَعْنَ إلاّ دوَامِياً ؛ أليّةَ برّ ٍ لا أليّةَ حَانِثِ
لكَيْ تعلَمُوا غِبَّ العَداوَةِ بينَنا ، ويَعرُكَكم كَيدُ المَطولِ المُماغِثِ[1]
سَلامٌ عَلى الآمالِ فيكُمْ ، ولا سقَى مَعاهِدَها جَوْدُ القِطارِ الدّثَائِثِ[2]
لعَلّمتُمُوني اليَأسَ من كلّ مَطمَعٍ وَعوّدْتُمُوني الصّبرَ في كلّ حادثِ
وَعَرّفتُمُوني كَيفَ ألتَمِسُ الجَدا إلى غَيرِ أيدي الألأمينَ الشّرَابِثِ
تُذَلّلُكُمْ لُقْيَايَ باليَأسِ منكُمُ ولَمْ أتَذَلّلْ للمِطَالِ المُلابِثِ
فشكراً لمنْ لمْ يَجعَلِ الرّزْقَ عندكمْ فَلا رَيَّ ظَمآنٍ ولا شِبعَ غَارِثِ
لئِنْ ساءَكُمْ منّي حزُونُ خَلائِقي فَقَدْ طالَ ما لمْ أنتَفِعْ بالدّمَائِثِ
خُذُوها كأطْوَاقِ الحَمامِ ، فإنّها ستَبقَى بَقَاءَ الرّاسِيَاتِ اللّوَابِثِ
قَوَافيَ يقْطُرْنَ النّجيعَ ، كأنّما طُبِعْنَ على طَبْعِ الرّقَاقِ الفَوَارِثِ
إذا مَا مَطَلْنَاهُنّ بُقْيا عَلَيْكُمُ ، خرَجْنَ خرُوجَ الخالِعينَ النّوَاكِثِ
فَلَيْتُ لا أُعْطي اللّئَامَ مَقَادَةً ، ولَوْ تَحتَ ضَغْاطٍ منَ الأمرِ كارِثِ
ذُنُوبي أنِ استَمطَرْتُ من غَيرِ ماطِرٍ وأنّي طَلَبتُ الغَيثَ من غَيرِ غائِثِ

١ المماغث : المخاصم .
٢ الدثائث : الضعاف المطر .

نار القرى

وَإنّ لَنَا النّارَ القَدِيمَةَ للقِرَى ، تُوُرِّثُ مِنْ أُولَى الزّمَانِ وَتُورَثُ
لَنَا القَدَمُ الأُولى إلى كُلّ غَايَةٍ ، وَسُعْيَانُ شيْءٍ فَارِطٌ وَمُلَبَّثُ[1]
وَفي النّاسِ أخْيَافٌ جَهَامٌ وَمَاطِرٌ وَنَابٌ ، وَمَضّاءٌ ، وَبَازٌ ، وَأبغَثُ[2]

١ الفارط : السابق . الملبث ، من لبثه في المكان : جعله يقيم فيه .
٢ الأخياف : الضروب المختلفة في الأشياء والأخلاق . الجهام : السحاب غير الممطر .

حرف الجيم

غياهب الأماني

قال يفتخر

لِيَ الحَرْبُ مَعْطُوفاً عَليّ هِيَاجُهَا ... وَظِلٌّ جَوَادي قَيظُهَا وَعَجاجُهَا
وَيَأْنَفُ عَزْمي أنْ يُرَدّ رِمَاحَهَا ... إذا اشتَبَهَتْ خُرْصَانُهَا وَزِجاجُهَا[1]
فَما بالُ بَغدادٍ ، إذا اشتَقتُ رِحلَةً ... تَشَبّثَ بي غِيطَانُهَا وَفِجَاجُهَا
كَأنّ لَهَا دَيْناً عَلَيّ ، وَإنّني ... سيَطْلُبُها سَيفي وَدَيْني خَرَاجُهَا
أبَغدادُ مَا لي فيكِ نَهلَةُ شَارِبٍ ، ... من العَيشِ ، إلاّ وَالخطوبُ مِزَاجُهَا
وَلَوْ أنّني أرْضَى بِأدْنَى مَعِيشَةٍ ، ... لأرْضَتْ مُنَائي عندَ أهليكِ حاجُهَا
وَلَكِنّني جَارٍ عَلى حُكْمِ هِمّةٍ ، ... كَثيرٍ عَنِ الطّبعِ الذّليلِ انعِرَاجُهَا
يُخَيَّلُ لي أنّ الأمَاني غَيَاهِبٌ ، ... وَلا تَنْجَلي ، إلاّ وَعَزْمي سِرَاجُهَا

[1] الخرصان : الأسنة ، الواحد خرص . الزجاج ، الواحد زج : الحديدة التي في أسفل الرمح .

فارس الفرسان عمرو

يرثي صديقاً له من العرب قتله بنو تميم وقيل
إن هذا الرجل كان داعيته فدعا هذه الطائفة
فخالفته ، وله فيه مراث كثيرة تأتي بعد :

أُدارِي المُقلَتَينِ عَنِ ابنِ لَيلَى ، وَيَأبَى دَمْعُهَا إلاّ لَجَاجَا
لهَا ثَبْطٌ عَلى الأيّامِ بَاقٍ تَجِيشُ بِهَا مَعِيناً أوْ أُجَاجَا
كَأنّ بِهَا رَكِيّةَ مُستَمِيتٍ ، يُخَضْخِضُها بُكُوراً وَادّلاجَا
أذُودُ النّفسَ عَنهُ ، وَذاكَ مِنها عِنَانٌ مَا مَلَكْتُ لَهُ مَعَاجَا[1]
كَأنّ العَينَ، بَعدَ اليَوْمِ ، جُرْحٌ إذا طَبّوا لَهُ غَلَبَ العِلاجَا
تَجُمّ على القَذَى،وتَفيضُ دَمعاً، مَطالُ الدّاءِ وَادَعَ ثُمّ هَاجَا[2]
وَأينَ كَفَارِسِ الفُرْسَانِ عمرٍو، إذا رُزْءٌ مِنَ الحِدْثَانِ فَاجَا[3]
بِحَقٍّ كَانَ أوّلَهُمْ وُلُوجاً عَلى هَوْلٍ وَآخرَهُمْ خرَاجَا
إذا رَسَبَتْ حَصَاةُ القَلْبِ مِنْهُ ، طَفَا قَلْبُ الجَبَانِ بهِ انْزِعَاجَا
بَكَيْتُكَ للسّوَابِقِ مُوضِعَاتٍ قِماصُ السِّرْبِ أعجزَ أنْ يُعاجَا[4]

١ المعاج : عطف رأس البعير بالزمام .
٢ جم الماء : تجمع بكثرة .
٣ فاجا : مسهل فاجأ .
٤ موضعات : مسرعات . القماص، من قمص الفرس: رفع يديه وطرحهما معاً وعجن الأرض برجليه.

يُقَرِّطُهَا الأعِنّةَ مُبْدَلاتٍ ، مكانَ جِلالِها ، العَلَقَ المُجاجَا[1]
يَدَعنَ على الأجالِدِ مُوضِحاتٍ ، كَأنّ عَلى مَفارِقِها شِجاجَا[2]
وَإرْقاصِ المَطيّ عَلى وَجاهَا ، يَجُبْنَ إلى العُلَى طُرُقاً نِهاجَا
مُرَنَّقَةَ العُيُونِ كَأنّ فيها دهانَ مَوَاقِدٍ يَصِفُ الزِّجاجَا[3]
وَرِثْتَ عَنِ الأبينِ قَناً وَبَأساً ، فَأنفَقتَ اللّهاذِمَ وَالزِّجاجَا[4]
وَمُنخَرِقٍ أخَوْتَ السّيفَ فيهِ ، وَحَبلُ اللّيلِ يَندَمجُ اندِماجَا[5]
أرَابَكَ ، فاكتَلأتَ بِغَيرِ رمحٍ كَأنّ عَلى عَوَامِلِهِ سِرَاجَا
تَوَقَّرُ جاشَكَ الأهوَالُ فيهِ ، إذا اعتَلَجَ الجَبَانُ بهِ اعتِلاجَا
وَقد جابَ الذَّميلُ عَلَيكَ وَهناً ، مِنَ الظّلْماءِ مَدْرَعَةً وَسَاجَا[6]
وَمَزْلَقَةٍ تُرَشّ بِهَا المَنَايَا ، وَتَسْمَعُ للقُلُوبِ بِهَا رَجَاجَا
وَفُقْتَ بشَوكِ أخمَصِكَ العَوَالي وَيَلقَى المَرْءُ للغَمّ انفِرَاجَا
وَمُظْلِمَةٍ مِنَ الغَمَرَاتِ عطشَى جَعَلتَ لهَا منَ القُضُبِ انبِلاجَا
وَمَائِلَةٍ أقَمْتَ لهَا كُعُوباً ، وَقَد شغَرَتْ على القَوْمِ اعوِجَاجَا
وَداهِيَةٍ تُشَوِّلُ بالذُّنَابى ، غَدَوْتَ لبَابِ مَطلَعِها رِتَاجَا

١ العلق : الدم . المجاج : المسال .
٢ الأجالد : جماعة الأشخاص . الموضحات ، من أوضحت الشجة في الرأس : كشفت العظم .
٣ الزجاج ، الواحد أزج : النعام الذي فوق عينيه ريش أبيض .
٤ اللهاذم ، الواحد لهذم : السنان القاطع . الزجاج من الرماح : مر ذكرها .
٥ أخوت السيف : اتخذته أخاً .
٦ الذميل : السير اللين . المدرعة : ضرب من الثياب . الساج : الكساء المربع .

وَمُعضِلَةٍ كفَيتَ ، وَذاتِ وَهْيٍ شَدَدْتَ لهَا العَرَاقي وَالعِنَاجَا[1]

وَفاصِلَةٍ كَسَيْلِ الطَوْدِ عَجلَى قطَعتَ بها التّشادُقَ وَالضّجَاجَا

وَآنِيَةِ اللّحُومِ مِنَ القَضَايَا، أعَدْتَ لَهُنّ كَيّاً ، أوْ نُضَاجَا

وَشَارِدَةٍ رَبَطْتَ لهَا الحَوَايَا ، وَقَدْ مَرِجَ البِطَانُ بهَا وَمَاجَا

وَرَأيٍ يَفْرُقُ الجُلّى ، وَيَهدِي وَرَاءَ مَضِيقِهَا سُبُلاً فِجَاجَا

قَطَعْتَ بِمَطْرَبَيْهِ عَلى تَمَارٍ خِلاجَ الشكّ ، إنّ لَهُ خِلاجَا[2]

كأنّكَ صُبتَ مِنهُ بذاتِ فَرْعٍ عَلى البَوْغَاءِ لَبّدَتِ العَجَاجَا[3]

كمَزلَقَةِ الذّبابِ ، إذا أُمِرّتْ عَلى ذي الدّاءِ بالغتِ الوِداجَا[4]

لَئِنْ نَبَحَتْهُ آونَةً كِلابٌ ، لَقَدْ لَبِسَتْ بِهِ الأسَدَ المُهَاجَا

فمَنْ يزَعُ العُرَيبَ، إذا تَنَاغَتْ، وَيَضرِبُ بَينَ غارِبِها سِيَاجَا[5]

وَيُذْكِرُهَا الحُلُومَ عَلى تَنَاسٍ وَقَدْ بَلَغَتْ حَفَائِظُهَا الهِيَاجَا

يُحَاجِجُها عَنِ الأرْحامِ ، حتّى يُقِرّ القَوْمُ أنّ لَهُ الحِجَاجَا

وَمَنْ رَدّ النّقَائِذَ بَعْدَ يَأسٍ ، وَقَدْ جَاوَزْنَ ضُوراً وَالوِلاجَا[6]

١ العراقي ، الواحدة عرقوة : خشبة الدلو . العناج : حبلها .

٢ مطربيه : طريقيه . التماري : الجدال .

٣ صبت : أمطرت . ذات فرع : أراد السحابة . البوغاء : التراب .

٤ الوداج : عرق في العنق ينتفخ عند الغضب . ومعنى البيت غامض .

٥ يزع : يكف . العريب : مصغر عرب ، ولعلها العريب ، بفتح العين : حي من عرب اليمن
تناغت : تدانت .

٦ النقائذ : أراد النساء . ضور : حي من العرب . الولاج : الغامض من الأرض .

تَغَلغَلَ في النّفاقِ فَتيٌّ سَعْدٍ ، رَوَاغَ الذّئْبِ قَدْ وَلَجَ الحِرَاجَا
تَمادَحتِ الرِّبابُ بهِ ، وَكانَتْ تُنَابِزُ بِالمَعَائِبِ أوْ تُهَاجَى
برُغْمي أنْ يَكُنَّ قَنَا تَميمٍ قَضَينَ على الذّنائِبِ منكَ حَاجَا
حَمَيتَ مَنابِتَ الرِّمرَامِ مِنهُمْ ، وَأخلَيتَ الأنَاعِمَ وَالنِّبَاجَا[1]
مَنَعتَهُمُ اللِّقَاحَ وَمُلْقَحَاتٍ، يَكَادُ الخَوْفُ يَمْنَعُها النّتَاجَا
فَما لَقِحَتْ لَهُمْ إلاّ اختِلاساً، وَلا وَلَدَتْ لَهُمْ إلاّ خِدَاجَا[2]
أبَى البَاغُونَ مِثْلَ مَداكَ إلاّ ضَلالاً عَنْ طَرِيقِكَ وَانعِرَاجَا
سَأبْعَثُهَا عَلَيْكَ مُسَقَّفاتٍ طِباقَ الأرْضِ ، أُطلِعُها الفِجاجَا
مُسَالاتِ الأغِرّةِ مُلْجَمَاتٍ ، وِحَاداً أوْ مُقَرَّنَةً زِوَاجَا
وَأجْعَلُهَا سُلُوّاً بَعْدَ يَأسٍ ، وَمِنْ ألَمِ الصَّدى وَرَدَ الأُجَاجَا
أفَاضَ حَقَّ قَبرِكَ ذُو غرَامٍ ، أعاجَ الرّكْبَ عَنْ طَرَبٍ وَعَاجَا
يُرِيقُ عَلَيكَ مَاءَ القَلْبِ صِرْفاً وَمَاءُ العَينِ يَجْعَلُهُ مِزَاجَا
وَلَوْ بَلَغَ المُنَى إنْسَانُ عَيْني ، خَلا مِنها وَأسكَنَكَ الحُجَاجَا[3]

١ الرمرام : نبت أغبر . النباج : قرية بالبادية .
٢ الخداج : القاء الناقة ولدها قبل تمامه .
٣ الحجاج : العظم الذي ينبت عليه الحاجب .

لا تيأسن

لا تَيْأسَنّ ، فرُبّمَا عَظُمَ البَلاءُ وَفُرّجَا
قَدْ يَنْسَخُ الخَوْفَ الأما نُ ، وَيغلبُ اليأسَ الرّجَا

الدنيا كثيرة الأزواج

إنّي إذا حلَبَ البَخيلُ لِبَانَهَا ، أمْسَيْتُ أحلُبُها دَمَ الأوْداجِ
خَطَبَتْنيَ الدّنيا فقُلتُ لها ارْجِعي إنّي أرَاكِ كَثِيرَةَ الأزْوَاجِ

لم يبق إلا مضغ

وَالعِيسُ قَدْ نَشَفَ مِنها السُّرَى صَفوَ العَرِيكاتِ، وَنِقيَ الأجاجْ
لَمْ يَبْقَ إلاّ مُضَغٌ لاكَهَا طولُ الطَّوَى،وَاستَرَطَتها الفِجاجْ

حرف الحاء

سيال اليدين

قال يمدح الطائع ويذم بعض أعدائه
وذلك سنة أربع وسبعين وثلاثمائة :

أَغَارُ عَلَى ثَرَاكَ مِنَ الرِّيَاحِ ، وَأَسْأَلُ عَنْ غَدِيرِكَ وَالمَرَاحِ
وَأَجْهَرُ بِالسَّلَامِ وَدُونَ صَوْتِي مَنِيعٌ لا يُجَاوِزُ بِالصِّيَاحِ
وَأَهْوَى أَنْ يُخَالِطَكَ الخُزَامَى وَيَلْمَعَ فِي أَبَاطِحِكَ الأَقَاحِي
وَكَمْ لِي نَحْوَ أَرْضِكَ مِن مَسِيرٍ ، دَفَعْتُ بِهِ الغُدُوَّ إِلَى الرَّوَاحِ
وَهذَا الدَّهْرُ خَفَّضَ مِن عُرَامِي ، وَرَنَّقَ مِنْ غَبُوقِي وَاصْطِبَاحِي
وَقَدْ كَانَ المَلامُ يُطِيفُ مِنِّي بِمُنْجَذِبِ العِنَانِ إِلَى الجِمَاحِ
تَؤُولُ النَّائِبَاتُ إِلَى مُرَادِي ، وَيُعْطِينِي الزَّمَانُ عَلَى اقْتِرَاحِي
وَعَالِيَةِ السَّوَالِفِ وَالهَوَادِي ، تَدَافَعُ فِي الأَسِنَّةِ وَالصِّفَاحِ
إِذَا اسْتَقْصَيْنَ غَامِضَةَ الدَّيَاجِي ، فَقَأْتُ بِهِنَّ عَاشِيَةَ الصَّبَاحِ
وَمُدَّرِعٍ سَمَوْتُ لَهُ مُغِذّاً ، وَقَدْ غَرِضَ المُقَارِعُ بِالرِّمَاحِ

بِنَافِذَةٍ تَمَطَّقُ عَنْ نَجيعٍ ، تَمَطُّقَ شاربِ المَقِرِ الصُّرَاحِ[1]
وَأُخرَى في الضّلُوعِ لهَا هَديرٌ ، هَديرَ الفَحلِ قُرّبَ للّقَاحِ
فَمَا لي تَطْلُبُ الأعْداءُ حَرْبي، وَيُصْبِحُ جانِبِي غَرَضَ اللّوَاحِ
أبَا هَرِمٍ ، وَأنْتَ تُرِيدُ ضَيمي ، بأيّ يَدٍ تُطامِنُ مِنْ طَمَاحي
لَحِقْتُ أبي نِزَاعاً في المَعَالي ، وَعِرْقاً في الشّجَاعَةِ وَالسّمَاحِ
وَأنْتَ فَما لَحِقْتَ أبَاكَ إلاّ كَمَا لَحِقَ الذُّنَابَى بالجَنَاحِ
نُميتَ مِنَ العُقُوقِ إلى المَخازي، كَمَا يُنْمَى الهَرِيرُ إلى النّبَاحِ
فَنَحنُ نَرَى مكانَكَ مِنْ نِزَارٍ مكَانَ الدّاءِ في الأدَمِ الصّحَاحِ
بَني مَطَرٍ دَعُوا العَلْيَاءَ يَطلَعْ إلَيْهَا كُلُّ مُنْدَلِقٍ وَقَاحِ
وَوَلّوا عَنْ مُقَارَعَةِ المَنَايَا ، وَلُقْيَانِ المُلَمْلَمَةِ الرَّدَاحِ
أيَخفَى لُؤمُ أصْلِكُمُ ، وَهَذي قُرُوفُكُم تَنمّ عَلى الجِرَاحِ
تُعَيّرُنَا القَبَائِلُ أنْ قَطَعْنَا قَرَائِنَ عَامِرٍ وَبَني رِيَاحِ
وَعَلّقْنَا مَطَامِعَنَا بِحَبْلٍ ، تُعَلّقُهُ القُلُوبُ بِغَيرِ رَاحِ
وَكُلُّهُمُ يَجُرّونَ العَوَالي ، مُحَافَظَةً عَلى عُشُبِ البِطَاحِ
فَبَلّغْ سَادَةَ الأحيَاءِ أنّا سَلَوْنَا بالغِنَا ضَرْبَ القِدَاحِ
وَعِفْنَا القَاعَ نَسْكُنُهُ وَمِلْنَا عَنِ السَّمُرَاتِ وَالنَّعَمِ المِرَاحِ
وَطَبّقَتِ العِرَاقَ لَنَا قِبَابٌ نُظَلّلُهَا بِأطْرَافِ الرّمَاحِ

١ المقر : نبات مر .

نُعَلَّلُ بالزُّلالِ مِنَ الغَوَادي ، وَنُتْحَفُ بالنّسيمِ مِنَ الرّيَاحِ
وَجاوَرْنَا الخَليفَةَ حَيثُ تَسْمُو عَرَانِينُ الرّجَالِ إلى الطّمَاحِ
نُوَجِّهُ بِالثّنَاءِ لَهُ مَصُوناً ، وَنَرْتَعُ مِنْهُ في مَالٍ مُبَاحِ
وَسَيّالُ اليَدَينِ مِنَ العَطَايَا ، مَهِيبُ الجِدّ مَأمُونُ المُزَاحِ
إذا ابْتَدَرَ المَلامَ نَدَى يَدَيْهِ ، مَضَى طَلْقاً على سُنَنِ المِراحِ
أميرُ المُؤمِنِينَ أذالَ سَيرِي ، ذُرَى هَذي المُعَبَّدَةِ الرِّزَاحِ[1]
فَكَمْ خاضَ المَطيُّ إلَيكَ بَحراً يَمُوجُ على الأمَاعِزِ وَالضّوَاحي
سَرَابٌ كَالغَدِيرِ تَعُومُ فيهِ رُبًى كَغَوَارِبِ الإبِلِ القِمَاحِ[2]
وَكَمْ لَكَ مِنْ غَرَامٍ بالمَعَالي ، وَهَمٍّ في الأمَاني وَارْتِيَاحِ
وَأيّامٍ تَشُنّ بِهَا المَنَايَا عَوَابِسَ يَطّلِعْنَ مِنَ النّوَاحي
إذا رِيعَ الشّجاعُ بِهِنّ ، قُلْنَا : لأمْرٍ غَصّ بِالمَاءِ القَرَاحِ
فَلا نَقَلَ المُهَيْمِنُ عَنكَ ظِلاًّ مِنَ النّعْمَاءِ لَيْسَ بِمُسْتَبَاحِ
وَوَاجَهَكَ الثّنَاءُ بِكُلّ أرْضٍ مُعاوِنَةٍ لِشُكْرِي وَامْتِداحي

١ أذاله : لم يحسن القيام عليه . المعبدة : المطلية بالقطران . الرزاح : التي سقطت إعياء أو هزالا .
٢ القماح : الممتنعة عن الشرب .

إلام أصفيكم ودي

قال يمدح أباه ويتألم لبعده وكان بفارس فيما كان أنفذ فيه للإصلاح بين الملكين بهاء الدولة وصمصامها ابني عضد الدولة والعسكرين البغدادي والفارسي وأقام يماطل بالعودة مدة طويلة وذلك في شهر رمضان من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة :

مثالُ عَينَيكَ في الظّبيِ الذي سَنَحا ، وَلّى، وَما دَمّلَ القَلبَ الذي جرَحَا
فرُحتُ أقبضُ أثناءَ الحَشَا كَمَداً ؛ ورَاحَ يَبسُطُ أثناءَ الخُطَا مرَحَا
صَفَحْتُ عَنْ دَمِ قَلبٍ طَلّهُ هَدَراً بُقْياً علَيْهِ ، فَما أبقَى ولا صَفَحَا
حَمَى لهُ كلَّ مَرْعًى سَهمُ مُقلتهِ وَمَوْرِدَ الماءِ مَغبُوقاً وَمُصْطَبحَا
أمَاتِحٌ أنتَ غَرْبَ الدّمْعِ من كمَدٍ علَى الظّعائنِ ، إذْ جاوَزْنَ مُطّلَحَا
أتْبَعْتُهُمْ نَظَراً تَدْمَى أوَاخِرُهُ ، وَقد رَمَلنَ علَى رَملِ العَقيقِ ضُحًى[1]
فيهنّ أحوَى غَضِيضُ الطَّرْفِ رِعيَتُهُ حَبُّ القُلُوبِ إذا مَا رَادَ أوْ سَرَحَا
عندي مِنَ الدّمعِ ما لَوْ كانَ وَارِدَهُ مَطيُّ قَوْمِكَ يَوْمَ الجِزْعِ ما نَزَحَا
غَادَرْنَ أسْوَانَ مَمْطُوراً بِعبْرَتِهِ يَنحُو مَعَ البارِقِ العُلْويّ أينَ نحَا
يَرُوعُهُ الرّكْبُ مُجتَازاً وَيُزْعِجُهُ زَجرُ الحُداةِ تَشُلّ الأينُقَ الطُّلُحَا[2]
هَلْ يُبلِغَنّهُمُ النّفسَ التي ذَهَبَتْ فيهِمْ شَعاعاً ، أوِ القَلبَ الذي قَرِحَا

١ رملن : هرولن في مشيهن .
٢ الطلح ، الواحد طليح : المعيي .

إنْ هانَ سَفحُ دَمي بالبَينِ عندَهُمُ ، فَوَاجِبٌ أن يَهونَ الدّمعُ إنْ سُفِحَا

قُلْ للعوَاذلِ : مَهلاً فالمَشيبُ غَداً يَغدو عِقالاً لذي القَلبِ الذي طَمَحَا

هَيهاتَ أُحوَجُ معْ شَيبي إلى عَذَلٍ ، فالشّيبُ أعذَلُ مِمّنْ لامَني وَلَحَا

قِفْ طالعاً أيّها السّاعي ليُدْرِكَني ، فَبَعدَكَ الجَزَعُ المَغرُورُ قَدْ قَرَحَا

لا عَزّ أخبَثُنَا عِرْقاً ، وَأهْجَنُنَا أُمّاً ، وَأصْلَدُنَا زَنْداً إذا قُدِحَا

أظُنّ رَأسَكَ قَدْ أعْيَاكَ مَحمَلُهُ ، وَرُبّ ثِقْلٍ تَمَنّاهُ الذي طُرِحَا

كَمِ المُقَامُ عَلَى جيلٍ سَوَاسيَةٍ ، نَرْجو النّدى من إناءٍ قَلّ ما رَشَحَا

تَشَاغَلَ النّاسُ باستِدْفَاعِ شرّهِمُ عَنْ أنْ يَسُومَهم الإعطاءَ وَالمِنَحَا

في كُلّ يَوْمٍ يُنَادِيني لِبَيْعَتِهِ مُشَمِّرٌ في عِنَانِ الغَيّ قَدْ جَمَحَا

إنْ تُمنيَنّ لمِنْديلٍ ، إذاً لَكُمُ مَتَى يَشَا مَاسحٌ مِنكُمْ بهَا مَسَحَا

إلامَ أُصْفِيكُمُ وُدّي عَلى مَضَضٍ ، وَكَمْ أُنيرُ وَأُسْدِي فيكُمُ المِدَحَا[1]

يَرُومُ نُصْحيَ أقوَامٌ وَرَوْا كَبِدي ، وَالعَجزُ أنْ يُجعَلَ المَوْتورُ مُنتَصَحَا

أرَى جَنانيَ قَدْ جاشَتْ حَلائبُهُ ، ما يَمنَعُ القَلبَ من فَيضٍ وَقد طفَحَا

شَمّرْ ذُوَيلَكَ ، وَارْكَبها مذكَّرَةً ، وَاطلُبْ عن الوَطنِ المَذموم مُنتدَحَا

وَحَمّلِ الهَمّ ، إنْ عَنّاكَ نَازِلُهُ ، غَوَارِبَ اللّيلِ وَالعَيرَانَةَ السُّرُحَا[2]

وَانفُضْ رِجالاً سقَوْكَ الغَيظَ أذنبَةً وَأوْرَثوكَ مَضيضَ الدّاءِ وَالكَشَحَا[3]

1 أنير ، من أنار الثوب : جعل له نيراً ، خلاف أسداه .

2 السرح : السريعة .

3 الكشح : داء في الكشح ، أي الخاصرة .

إنْ عَايَنُوا نِعْمَةً ماتُوا بِها كَمَداً ؛ وَإنْ رَأَوْا غُمّةً طارُوا بهَا فَرَحَا
أوْهَتْ أكفُّهُمُ بَيْني وَبَيْنَهُمُ فَتْقاً بغَيرِ العَوَالي قَلّ ما نُصِحَا[1]
نَالُوا المَعَالي ، وَلَمْ تَعرَقْ جِباهُهُمُ فيها لُغُوباً ، وَما نالَ الذي كَدَحَا
سائِلْ عنِ الطَّوْدِ لِمْ خَفّتْ قَوَاعِدُهُ وَكَانَ إنْ مَالَ مِقدارٌ بهِ رَجَحَا
قَدْ جَرّبوهُ ، فَما لانَتْ شَكيمَتُهُ ، وَحَمّلُوهُ فَمَا أعْيَا وَلا رَزَحَا
رَمَوْا بِهِ الغَرَضَ الأقصَى ، فشافَهَهُ ، مَرَّ القطاميّ جَلّى بَعدَمَا لَمَحَا[2]
مِنَ العِرَاقِ إلى أجْبالِ خُرّمَةٍ ؛ يا بُعْدَهُ مَنْبَذاً عَنّا وَمُطّرَحَا[3]
لَيسَ المَلُومُ الذي شَدّ اليَدَيْنِ بهِ ، بَلِ المَلُومُ المُرَزّا مَنْ بِهِ سَمَحَا
هُوَ الحُسَامُ ، فَمَنْ تَعلَقْ يداهُ به يَضْمَمْ على الصّفقَةِ العظمى وَقد رَبِحَا
إنْ أغْمَدُوهُ فَلَمْ تُغْمَدْ فَضَائِلُهُ وَلا نَأى ذِكْرُهُ الدّاني ، وَقد نَزَحَا
أهدَى السّلامَ إلَيكَ اللهُ ما حَمَلَتْ غَوَارِبُ الإبِلِ الغَادِينَ وَالرُّوَحَا
وَلا أغَبّ بِلاداً أنْتَ سَاكِنُهَا مَسرَى نَسيمٍ يُميطُ الداءَ إنْ نَفَحَا
أغْدُو عَلى سُبُلِ الأنْوَاءِ مُشْتَرِطاً سُقْيَاكَ في البَلَدِ النّائي وَمُقتَرِحَا
أفْرَدْتَ للهَمّ صَدْراً مِنْكَ مُتّسِعاً عَلى الهُمومِ ، وَقلباً منكَ مُنشَرِحَا
كَساهُمُ البُهمَةَ الدّهماءَ عَجزُهمُ ، وَالعَزْمُ ألبَسَكَ التّحجيلَ وَالفَرَحَا[4]

١ نصح : خيط .
٢ القطامي : الصقر .
٣ خرمة : قرية بفارس . منبذ ، من نبذه : طرحه ورمى به
٤ البهمة : الخطة الشديدة .

عَلّ اللّيَالِيَ أنْ تُثْنى بِعَاطِفَةٍ ، فيَستَقيلَ زَمَانٌ بَعدَما اجترَحَا
كمَا رَمَى الدّاءُ عُضْواً بَعدَ صِحتّهِ كذا إذا التاثَ عُضْوٌ رُبّما اصْطلَحَا
فكَمْ تَلاحَكَ بابُ الخَطبِ ثمّ رُمي بقارِعٍ مِنْ يَمينِ اللهِ ، فَانْفَتَحَا[1]
وَكَمْ تَلاحَمَ كَرْبٌ عِندَ مُعْضِلَةٍ فانجَابَ عَنْ قَدَرٍ لله ، وَانفَسَحَا
أرَى رِجالاً كَبُهْمِ القَاعِ عِندَهُمُ سِيّانِ مَنْ مَزّقَ الآرَاءَ أوْ صَرَحَا[2]
يَعْلُو عَلى قُلَلِ الأعْنَاقِ بَينَهُمُ مَن غَشّ رِئياً وَيُوطا عنقُ من نَصَحَا[3]
تَظاهَرُوا بِنِفَاقِ الغَيّ عِنْدَهُمُ حتّى ادّعاهُ على مكرُوهِهِ الفُصَحَا

عظيم من قريش

قال في القادر بالله وقد جلس للناس ودخل إليه في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة :

تَخَطّيْنَا الصّفُوفَ إلى رِوَاقٍ ، تَحَجّبَ بالصّوَارِمِ وَالرّمَاحِ
وَحَيّيْنَا عَظِيماً مِنْ قُرَيْشٍ ، كَأنّ جَبِينَهُ فَلَقُ الصّبَاحِ
عَلَيْهِ سِيمِيَاءُ المُلْكِ يَبْدُو وَعُنْوَانُ الشّجَاعَةِ وَالسّمَاحِ

١ تلاحك : تداخل .
٢ البهم : الحيوانات العجم .
٣ الرئي : حسن المنظر .

آنا ابن الآئمة

قال رحمه الله يفتخر :

عَقَدْنَا لِوَاءَ العُلَى وَالسَّمَاحِ ... بِرُوْمِ السُّيُوفِ وَغَرْبِ الرِّمَاحِ[1]
وَكُلُّ غُلامٍ حَيِيٍّ اللِّحَاظِ ، ... يَلْقَى الطِّعَانَ بِرُمْحٍ وَقَاحِ
إذا مُطِلَ الثَّارُ جَرَّ القَنَا ... نَشَاوَى تَقَاضَى صُدُورَ الصِّفَاحِ
فأغمَدَها في احْمِرَارِ الشَّقِيـ ... قِ ،وَجَرَّدَهَا في بَيَاضِ الأقَاحِ
بِكُلِّ فَلاةٍ تَقُودُ الجِيَادَ ... تَعْثُرُ فِيهَا بِبَيْضِ الأداحي[2]
فَيُلْجِمُ أعْنَاقَهَا بِالحِبَالِ ، ... وَيُنْعِلُ أرْسَاغَهَا بِالبِطَاحِ
وَأشْقَرَ يَسْرِقُ صِبْغَ المُدا ... مِ ، أنْهَبْتُ جِلْدَتَهُ للسِّلاحِ
إذا يَابِسُ المَاءِ بَلَّ الحِزَامَ ، ... طَارَتْ بِهِ غُلَوَاءُ المِرَاحِ[3]
تَجُولُ القُرُونُ بِأعْطَافِهِ ، ... مَجالَ الفَوَاقِعِ في كَاسِ رَاحِ
يَشُقُّ الظَّلامَ بِسَيْفِ الضُّحَى ، ... وَيَرْمي العُدُوَّ بِسَهْمِ الرَّوَاحِ
فَيَا رَاكِبَ العَجزِ مُرْخِي العِنَانِ ... لِلذُّلِّ يَخبِطُ ، وَالعِزُّ ضَاحِ[4]

١ قوله : بروْم السيوف ، هكذا في الأصل ولعلها محرفة .
٢ قوله : تقود الجياد ، هكذا في الأصل ولعلها تزود : تضمنك . الأداحي ، الواحدة أدحية مبيض النعام في الرمل .
٣ غلواء المراح : سرعته .
٤ الضاحي : الذي لا ظل له .

تقَاضَ المَطالِبَ وَاستَنبِطِ الـ ـرّجَاءَ وَنَبّهْ عُيُونَ النّجَاحِ
فلَوْلا المَطامِعُ تحدُو الطِّلابَ، لمَا خَفَقَتْ قادِمَاتُ الجَنَاحِ
وَمَا العَيْشُ عِنْدِيَ إلاّ الإبَاءُ، وَبُعْدِي عَنِ المَنزِلِ المُستَبَاحِ
أُحِبُّ الخِيَامَ وَسُكّانَهَا وَأحْسُدُ كُلَّ بَعِيدِ المَرَاحِ
وَأغْبِطُ كُلَّ فتًى لا يَزَالُ عِبْئاً علَى الزّاعِبَاتِ القِمَاحِ[1]
يُخَاطِرُ فِيهَا بِعَقْرِ السَّوَامِ، وَيَشْرَبُ مِنْهَا لِبَانَ اللّقَاحِ
طَرُوبُ المَسَامِعِ أينَ استَقَلّ صَهِيلُ الجِيَادِ وَجَرْسُ النّبَاحِ
وَمَنْ لي بِأنْ أتَلافَى الخُطُوبَ، إنْ نَافَرَتْنِي صُدُورُ الرِّمَاحِ
وَمَنْ لي بِتَقْبِيلِ كَفّ الزّمَا نِ مِنْ قَبلِ تَوْقيعِها باطّرَاحي
كَبَا الدّهرُ بَيْني وَبَينَ المُنَى، وَطَالَ بِزَنْدِ الرّجَاءِ اقتِداحي
أرَى الحِلمَ يَطوِي سِبابَ الرّجالِ، وَالجَهْلَ يَنْشُرُهُ في التّلاحي
فيُحسَبُ عَيّاً سُكوتُ الحَليمِ، وَيُعطَى السّفيهُ حُظُوظَ الفِصَاحِ
أُكاشِرُ أبْنَاءَ هَذا الزّمَانِ، وَأهزَأُ مِنْ نُبْلِهِمْ بامْتِداحي
فَبَينَ البَوَاطِنِ حَلُّ الطّلاقِ؛ وَبَينَ الظّوَاهِرِ عَقْدُ النّكَاحِ
وَإنّي لأحفَظُ غَيْبَ الخَليلِ إنْ ضَاعَ وَاستَلَبَتْهُ اللّوَاحي
وَإنّي لأقْصِفُ بَطْشَ الفَتَى، وَلَوْ رَدّ بَاعَ القَضَاءِ المُتَاحِ
تَكَدّرُ دُونِي نِطَافُ الكَلامِ، وَأصْقُلُهَا بِالبَيَانِ الصُّرَاحِ

[1] الزاعبات، من زعب البعير: إذا مر مثقلا أو سريعاً. القماح، من قمح البعير: رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب.

أُدافِعُ بالجِدِّ عَنْ غَايَةٍ ،   وَلَوْ شِئْتُ بُلّغْتُها بِالمُزَاحِ
أُرَاني سَيُخْلِقُ عُمرِي الزّمَانَ ،   وَكُلَّ ظَلامٍ جَدِيدِ الصّبَاحِ
زَجَرْتُ السّرُورَ ، فَمَا يُجتَنَى   بِغَيرِ العُلَى طَلَبي وَارْتِيَاحي
فَبِاللهِ يَا نَشَوَاتِ الشَّمُولِ   عُودي إلى نَفَحَاتِ الرِّيَاحِ
وَصُوني عَنِ السّكْرِ مَن لا يزَالُ   يُنَدّي المُدامَ بِمَاءِ القَرَاحِ
أعَافُ ابنَةَ الكَرْمِ لا ابنَ الغَمَا   مِ، بَيْنَ غَبُوقي، وَبينَ اصْطِبَاحي
يَمُرّ الغِنَاءُ فَيَعتَاقُني ،   وَعِشقُ الحُرُوبِ ثنى من جِماحي
وَلَوْ لمْ أغَنّ بِذِكْرِ السّيُوفِ ،   لَقَلّ عَلى النّغَماتِ ارْتِيَاحي
وَسَمْرَاءَ تَرْشُفُ ظَلْمَ القُلُو   بِ ، قَذّافَةٍ بالنّجيعِ المُبَاحِ
تُطَارِدُ في كُلّ مَلْمُومَةٍ   مُنَطَّقَةٍ بِالعَوَالي رَداحِ
تُرِيقُ عَلَيْها كُؤوسَ الدّمَا   ءِ بالطّعنِ وَالمَوْتُ نَشوَانُ صَاحِ
فَتَخضِبُ فيها جِبَاهَ الظُّبَى ،   وَتُرْمِدُ فِيهَا عُيُونَ الجِرَاحِ
كأنّا نَرَى الضّرْبَ نَحرَ السّوَامِ ،   وَنَحتَسِبُ الطّعنَ ضَرْبَ الصِّفَاحِ
فمَنْ ذا أُسَامي ، وَجَدّي النّبيُّ ،   أمْ مَنْ أُطاوِلُ أمْ مَنْ أُلاحي
أنَا ابنُ الأئِمّةِ وَالنّازِلِينَ   كُلَّ مَنيعِ الرُّبَى وَالبَرَاحِ[1]
وَأيْدٍ تُصَافِحُ أيدي الكِرَامِ ،   وَإنْ نَفَرَتْ مِنْ أكَفّ الشِّحاحِ
إذا استُصرِخُوا عَصَفُوا بالصّبَا   حِ بَينَ الظُّبَى وَالوُجوهِ الصِّبَاحِ

١ البراح : المتسع من الأرض لا زرع فيه ولا شجر .

وَسَالوا إلى الطّعنِ سَيلَ القَنَا ، وَمَالُوا على الضّرْبِ مَيلَ الصِّفاحِ
نَشَرْنَا عَلى عَذَبَاتِ الرّيَــا حِ كُلَّ لِوَاءٍ صَقيلِ النّوَاحي
وَأحْسَابُنَا سَامِيَاتُ الأُنُوفِ بَينَ المَقَامِ وَبَينَ الضُّرَاحِ[1]

انوف بني معد

بَعضَ المَلامِ فقدْ غَضَضْتُ طَماحي، وَكَفَيتُ من نَفسِي العَذولَ اللاّحي[2]
مِنْ بَعْدِ مَا خَطَرَ الصِّبَا بمَقادَتي، وَجرَى إلى الأمَدِ البَعيدِ جِماحي
عشرُونَ أوْجَفَ في البَطالَةِ خلفَهَا عَامَانِ غَلاَّ مِنْ يَدَيَّ مِرَاحي
زَمَنٌ يَخِفّ بِهِ الجَناحُ إلى الصِّبَا ، لمّا ظَفِرْتُ بهِ خَفَضْتُ جَنَاحي
أُغضِي عَنِ المَرْأى الأنيقِ زَهَادَةً فِيهِ . وَأدْفَعُ لَذّتي بِالرّاحِ
أمَعاهِدَ الأحْبَابِ ! هَلْ عَوْدٌ إلى مَغدًى نَبُلّ بِهِ الجَوَى وَمَرَاحِ
يَكْفِيكِ مِنْ أنْفَاسِنَا وَدُمُوعِنَا أنْ تُمطرِي مِنْ بَعدِنَا وَتُرَاحي
فَلَرُبَّ عَيشٍ فيك رَقّ نَسيمُهُ ، كَالمَاءِ رَقّ عَلى جُنُوبِ بِطَاحِ
وَتَغَزّلٍ كَصَبَا الأصَائِلِ أيْقَظَتْ رَيّا خُزَامَى بِاللّوَى وَأقَاحِ

١ الضراح : البيت المعمور في السماء الرابعة .
٢ قوله : بعض الملام ، أراد لم بعض الملام . الطماح : الجماح .

كَمْ فيكَ مِن صَاحي الشّمائلِ مُنتشٍ ... بالدّلّ ، أوْ مَرْضَى العيونِ صِحاحِ
فَسقَى اللّوَى صَوْبُ الغَمَامِ وَدَرّهُ ، ... وَسقَى النّوَازِلَ فيهِ صَوْبُ الرّاحِ
وَغَدا فَرَوّحَ ذاكَ عَن تِلكَ الرُّبَى ، ... وَسَرَى فَرَوّحَ ذا عَنِ الأرْوَاحِ
فلَطَالَمَا أقْصَدْنَني ظَبَيَاتُهُ ، ... وَأرِقْتُ فيهِ لِبَارِقٍ لَمّاحِ
وَالتَحتُ مِنْ كَمَدٍ إلَيهِ ، وَوِرْدُهُ ... نَاءٍ يُعَذّبُ غُلّةَ المُلْتَاحِ
أيّامَ في صِبغِ الشّبَابِ ذَوَائِبي ، ... وَإلى التّصَابي غُدْوَتي وَرَوَاحي
قَوْمي أُنُوفُ بَني مَعَدٍّ وَالذُّرَى ... مِنْ وَاضِحٍ فِيهِمْ وَمِنْ وَضّاحِ
السّابِقُونَ إلى عُلًى وَمَفَاخِرٍ ، ... وَالغَالِبُونَ عَلَى نَدًى وَسَمَاحِ
ذَهَبُوا بِشَأوِ المَجْدِ ثُمّ تَلَفّتُوا ... هُزُوءاً إلى الطُّلاّعِ وَالطُّلاّحِ[1]
شُوس الحَوَاجِبِ مُغضَبِينَ وَفي الرِّضَى ... ما شِئْتَ مِنْ بِيضِ الوُجوهِ صِبَاحِ
وَرِثُوا المَعالي بالجُدودِ ، وَبَعدَهَا ... بِضِرَابِ مُرْهَفَةٍ وَطَعْنِ رِمَاحِ
وَقِيَادِ مُخْطَفَةِ الخُصُورِ كَأنّهَا ... العِقبانُ تَحتَ مُجَلجِلٍ دَلاّحِ[2]
يَغْبُقْنَ لَيْلاً بالغَبِيقِ وَتَارَةً ، ... يَصْبَحْنَ بالغارَاتِ كُلَّ صَبَاحِ[3]
ضَرَبَتْ بِعِرْقي دَوْحَةٌ نَبَوِيّةٌ ، ... في مَنصِبٍ وَارِي الزِّنَادِ صُرَاحِ
يُنمى إلى أعياصِ خَيْرِ أُرُومَةٍ ، ... لَيْسَتْ بعَشّاتِ الفُرُوعِ ضَوَاحِ[4]

١ الطلاح : الملحون .
٢ أراد بمخطفة الخصور : الخيول . المجلجل : المصوت . الدلاح : كثير الماء .
٣ قوله بالغبيق : هكذا في الأصل ولم نجد هذه اللفظة في المعاجم ، ولعلها محرفة عن غبوق وهو ما يشرب أو ما يحلب في العشي .
٤ الأعياص : الأصول. العشات : اللئيمات المنبت الدقيقة الأغصان. الضواحي : الأشجار التي لا ظل لها.

وَأبي الذي حَصَدَ الرِّقَابَ بِسَيْفِهِ ، في كُلِّ يَوْمِ تَصَادُمٍ وَنِطَاحِ
رُدَّتْ إليهِ الشَّمسُ يُحدِثُ ضَوْءُها صُبْحاً على بُعْدٍ مِنَ الإصْبَاحِ
سَائِلْ بِهِ يَوْمَ الزُّبَيْرِ مُشَمِّراً ، يَخْتَالُ بَيْنَ ذَوَابِلٍ وَصِفَـاحِ
وَاسْأَلْ بِهِ صِفّينَ إنّ زَئِيرَهُ أوْدَى بِكَبْشِ أُمَيّةَ النّطّاحِ
وَاسْأَلْ شُرَاةَ النّهْرَوَانِ ، فإنّهُمْ ضُرِبُوا بِمُنْذَلِقِ اليَدَيْنِ وَقَاحِ[1]
كَمْ مِنْ طَعِينٍ يَوْمَ ذاكَ مُرَمَّلٍ ، وَحَرِيمِ عِزٍّ بِالطِّعَانِ مُبَاحِ[2]
وَمَنَاقِبٍ بِيضِ الوُجُوهِ مُضِيئَةٍ ، أبَداً ، تُكَاثِرُ ألْسُنَ المُدّاحِ
مَنْ قَاسَ ذا شَرَفٍ بِهِ ، فكَأنّمَا وَزَنَ الجِبَالَ القُودَ بالأشْبَاحِ[3]
قَدْ قُلْتُ للعَادي عَلَيّ بِبَغْيِهِ : مَهْلاً ، فَمَا يَلْحُو القَتَادَةَ لاحِي[4]
فحَذارِ إنْ مطَرَتْ عليكَ صَوَاعقي ؛ وَحَذارِ إنْ هَبّتْ عَلَيْكَ رِيَاحي
أوْفَى الصّبَاحُ فَشَقّ كُلّ دُجُنّةٍ ، وَعَلا الزّئيرُ فَغَضّ كُلَّ نُبَاحِ
أنا مَن علمتَ، على المُكاشحِ مُرْهَفٌ نَابِي ، وَشَاكٍ في الخِصَامِ سِلاحي
وَأبَيْتُ أنْ أُعطي الأعادي مِقوَدي ، أوْ أنْ تَدُرّ عَلى الهَوَانِ لَقَاحي
مِنْ بَعدِ ما أوْضَعتُ في طُرُقِ العُلَى، وَأضَرّ بِالأعْداءِ طُولُ كِفَاحي
وَسَحَبتُ من خُلَعِ الخلائفِ طارِفاً لحَظَاتِ كُلّ مُعَانِدٍ طَمّاحِ

١ الشراة : الذين خرجوا في النهروان على الإمام علي
٢ المرمل : الملطخ بالدم .
٣ القود : المستطيلة .
٤ القتادة : شجرة صلبة لها شوك كالإبر .

وَوَلِيتُ في السّنّ القَرِيبَةِ أُسْرَتي ، فَوَكَلْتُ فَاسِدَهُمْ إلى إصْلاحي
بِمَهَابَةٍ عَمّتْ بِغَيرِ تَكَبّرٍ ، وَصَرَامَةٍ أدْمَتْ بِغَيْرِ جِرَاحِ
حِلْمٌ كَحاشِيَةِ الرّداءِ ، وَدُونَهُ بَأسٌ يَدُقّ عَوَامِلَ الأرْمَاحِ
فَلَئِنْ عَلَوْتُهُمُ ، فَلَيسَ بمُنكَرٍ إمّا عَلَتْ غُرَرٌ عَلى أوْضَاحِ[1]
فَالآنَ أمْدَحُ غَيرَ مَولَى نِعمَةٍ ، لَوْ كُنتُ أُنصِفُ كانَ من مُدّاحي
بُعْداً لِدَهْرٍ خَاضَ بي أهْوَالَهُ ، وَأجَازَني غَمْراً إلى ضَحضَاحِ
لا دَرّ دَرّي إنْ رَضِيتُ بِذِلّةٍ تَلْوِي يَدي وَتَرُدّ غَرْبَ طَماحي
مِنْ دُونِ قَوْدِ الجُرْدِ تَمرِي جَرْيَها رَبَلاتُ كُلّ مُغامِرٍ جَحجَاحِ[2]
عَنَقاً عَلى عُنُقِ الطِّلابِ تَحثُّهَا هِمَمٌ ضَمِنّ عَوَائِدَ الإنْجَاحِ[3]
فُطُعَ البِلادِ وَرَاءَ قَاضِيَةِ العُلَى مُتَغَرّباً عَنْ مَوْطِني وَمَرَاحي
أشْهَى إليّ مِنَ النّعيمِ يَدومُ لي ، وَألَذُّ مِنْ نَعَمٍ عَليّ مُرَاحِ
إنّي إلى العَذْبِ النّميرِ أصَابَني بِيَدِ الهَوَانِ شَرِبْتُ بِالأمْلاحِ
دَعْني أُخَاطِرْ بالحَيَاةِ ، وَإنّمَا طَلَبُ الرّجَالِ العِزّ ضَرْبُ قِداحِ
إمّا لِقَاءُ المُلْكِ قَسْراً ، أوْ كَمَا لَقيَ ابنُ حُجْرٍ مِنْ يَدِ الطّمّاحِ

١ الأوضاح ، الواحد وضح : البرص .
٢ تمري جريها : تستدره . الربلات ، الواحدة ربلة : لحمة باطن الفخذ .
٣ العنق : السير السريع .

الراح والراحة ذل

قال رضي الله عنه

نَبّهتُهُمْ مِثْلَ عَوَالي الرِّمَاحْ إلى الوَغَى قَبلَ نُمُومِ الصَّبَاحْ
فَوَارِسٌ نَالُوا المُنَى بِالقَنَا ، وَصَافَحُوا أعْرَاضَهُمْ بالصِّفاحْ
لِغَــارَةٍ سَامِعُ أنْبَائِهَــا يَغَصّ مِنْهَا بالزّلالِ القَرَاحْ
لَيسَ عَلى مُضْرِمِهَا سُبّةٌ ؛ وَلا عَلى المُجْلِبِ مِنها جُنَاحْ
دُونَكُمُ ، فابتَدِرُوا غُنمَهَا ، دُمًى مُبَاحاتٍ ، وَمَالٌ مُبَاحْ
فَإنّنَــا في أرْضِ أعْدائِنَــا لا نَطَـأُ العَذْرَاءَ إلاّ سِفَاحْ
يا نَفْسُ مِنْ هَمٍّ إلى هِمّةٍ ، فلَيسَ من عِبْءِ الأذى مُستَرَاحْ
قَدْ آنَ لِلقَلْبِ الّذي كَدّهُ طُولُ مُنَاجاةِ المُنَى أنْ يُرَاحْ
لا بُدّ أنْ أرْكَبَهَا صَعْبَةً وَقَاحَةً تَحْتَ غُلامٍ وَقَاحْ
يُجْهِدُهَا ، أوْ يَنْثَنِي بِالرّدَى دُونَ الذي قُدّرَ ، أوْ بالنّجَاحْ
الرّاحُ وَالرّاحَةُ ذُلٌّ الفَتَى ، وَالعِزُّ في شُرْبِ ضَرِيبِ اللِّقَاحْ[1]
في حَيثُ لا حُكْمٌ لغَيرِ القَنَا ، وَلا مُطاعٌ غَيرَ داعي الكِفَاحْ
مَا أطْيَبَ الأمْرَ ، وَلَوْ أنّهُ عَلى رَزَايَا نَعَمٍ في مَرَاحْ[2]

١ الضريب : ما حلب بعضه فوق بعض من عدة لقاح .
٢ الرزايا : الضعاف .

وَأشْعَثِ المَفْرِقِ ذي هِمّةٍ . طَوّحَهُ الهَمُّ بَعيداً . فَطَاحْ
لمّا رَأى الصّبْرَ مُضِرّاً بِهِ ، رَاحَ ،وَمَن لمْ يُطِقِ الذّلّ رَاحْ
دَفعاً بصَدْرِ السّيْفِ لَمّا رَأى ألاّ يَرُدّ الضّيْمَ دَفعاً بِرَاحْ
مَتَى أرَى الزّوْرَاءَ مُرْتَجّةً ، تُمطَرُ بالبِيضِ الظُّبَى أوْ تُرَاحْ
يَصيحُ فيهَا المَوْتُ عَنْ ألسُنٍ مِنَ العَوَالي وَالمَوَاضِي فِصَاحْ
بِكُلّ رَوْعَاءَ عُظَيْنِيّةٍ يَحتَثّهَا أرْوَعُ شَاكي السّلاحْ[1]
كَأنّمَا يَنْظُرُ مِنْ ظِلّهَا نَعَامَةً زَيّافَةً بِالجَنَاحْ
مَتى أرَى الأرْضَ وَقَدْ زُلْزِلَتْ بِعارِضٍ أغْبَرَ دامي النّوَاحْ
مَتى أرَى النّاسَ وَقَدْ صُبّحُوا أوَائِلَ اليَوْمِ بِطَعْنٍ صُرَاحْ
يَلْتَفِتُ الهَارِبُ في عِطْفِهِ مُرَوَّعاً يَرْقُبُ وَقْعَ الجِرَاحْ
مَتى أرَى البِيضَ وَقَدْ أمْطَرَتْ سَيلَ دَمٍ يَغلِبُ سَيلَ البِطاحْ
مَتى أرَى البَيضَةَ مَصْدُوعَةً عَنْ كُلّ نَشْوَانَ طَوِيلِ المِرَاحْ
مُضَمَّخِ الجِيدِ ، نَؤومِ الضُّحَى ، كَأنّهُ العَذْرَاءُ ذاتُ الوِشَاحْ
إذا رَدَاحُ الرّوْعِ عَنّتْ لَـهُ ، فَرّ إلى ضَمّ الكَعَابِ الرَّدَاحْ
قَوْمٌ رَضُوا بالعَجْزِ ، وَاستَبدَلوا بالسّيْفِ يَدمَى غَرْبُهُ كاسَ رَاحْ
تَوَارَثُوا المُلْكَ ، وَلَوْ أنْجَبُوا لَوَرّثُوهُ عَنْ طِعَانِ الرّمَاحْ
غَطّى رِداءُ العِزّ عَوْرَاتِهِمْ ، فافتَضَحُوا بالذّلّ أيَّ افتِضَاحْ

١ العظينية : المنتفخة البطن من أكل شجر العظين .

إنّيَ وَالشّاتِمَ عِرْضي كَمَنْ رَوّعَ آسَادَ الشّرَى بِالنُّبَاحْ
يَطْلُبُ شَأوِي ، وَهْوَ مُسْتَيْقِنٌ أنّ عِنَاني في يَمِينِ الجِمَاحْ
فَارْمِ بِعَيْنَيْكَ مَلِيّاً تَرَى وَقْعَ غُبارِي في عُيونِ الطِّلاحْ[1]
وَارْقَ عَلى ظَلْعِكَ ، هَيهاتَ أنْ يُزَعْزِعَ الطّوْدُ بِمَرّ الرِّيَاحْ[2]
لا هَمّ قَلْبِي بِرُكُوبِ العُلَى يَوْماً ، وَلا بَلّ يَدَيّ السَّمَاحْ
إنْ لمْ أنَلْهَا باشتِرَاطٍ ، كَمَا شِئْتُ عَلى بِيضِ الظُّبَى وَاقتِرَاحْ
أفُوزُ مِنْهَا بِاللُّبَابِ الّذي يُغْني الأمَاني نَيْلُهُ وَالصُّرَاحْ
فَمَا الذي يُقْعِدُني عَنْ مَدًى لا هُوَ بِالنّسْلِ ، وَلا باللِّقَاحْ
طُلَيْحَةٌ مَدّ بِأضْبَاعِهِ ، وَغَرّ قَبْلي النّاسَ حَتّى سجَاحْ[3]
يَطْمَحُ مَنْ لا مجْدَ يَسْمُو بهِ ، إنّي إذاً أُعْذَرُ عِنْدَ الطِّمَاحْ
وَخِطّةٍ يَضْحَكُ مِنْهَا الرّدَى ، عَسرَاءَ تَبرِي القَوْمَ بَرْيَ القِداحْ
صَبرْتُ نَفْسِي عِنْدَ أهوَالِهَا ، وَقُلتُ : مِنْ هَبوَتِهَا لا بَرَاحْ
إمّا فَتًى نَالَ العُلَى فاشْتَفَى ، أوْ بَطَلٌ ذاقَ الرّدَى فاستَرَاحْ

١ الطلاح : شجر عظام .
٢ ارق على ظلعك : أصلح نفسك ، لا تجاوز حدك في وعيدك .
٣ طليحة : هو ابن خويلد تنبأ ثم أسلم . الأضباع : الأعضاد . سجاح : امرأة تنبأت .

نفرت بنات الصبر

قال أيضاً يذكر غرضاً في نفسه :

في كُلّ يَوْمٍ لِلأحِبّةِ مَطْرَحُ ، وَعلى المَنَازِلِ للمَدامِعِ مَسفَحُ
شَوْقٌ على نَأيِ الدّيَارِ مُغَالِبٌ ، وَجَوًى على طُولِ المَطالِ مُبَرِّحُ
نَفَرَتْ بَنَاتُ الصّبرِ مِنكَ ، وَطَالمَا قَصُرَتْ نَوَازِعُ عن ضَمِيرِكَ تَطمَحُ
يَا هَلْ يُمَانِعُ بَعْدَ طُولِ قِيادِهِ قَلْبٌ يُطاوِعُ في القِيادِ وَيَسْمَحُ
وَعلى المَطِيّ ظِبَاءُ وَجْرَةَ كُلّمَا غَفَلَ المُرَاقِبُ تَشرَئِبّ وَتَسنَحُ[1]
خَالَسنَنَا النّظَرَ المُرِيبَ ، كمَا رَنَتْ بَقَرُ الجَوَاءِ إلى وَمِيضٍ يَلمَحُ
يَبْسِمْنَ عَنْ بَرْدِ الغَمامِ وَبَرْدُهُ رَيّانُ يُغْبَقُ بالمُدامِ وَيُصْبَحُ
كلّفْتَ عَيْنَكَ نَظْرَةً مَزْؤودَةً مَنَعَتْكَ لَذّتَهَا مَدامعُ تَسفَحُ[2]
أمْسَوْا كَأنّ لَطَائِماً دارِيّةً باتَتْ تَضُوعُ مِنَ القِبابِ وَتَنفَحُ[3]
مَلَكُوا وَلَمّا يُحسِنُوا وَوَلُوا وَلَمّا يَعدِلُوا وَغَنُوا وَلَمّا يَسمَحُوا
قُلْ لليَالي قَد مَلَكْتِ فَأسجِحي، وَلِغَيرِكِ الخُلُقُ الكَرِيمُ الأسجَحُ[4]

---

١ وجرة : موضع عرف بظبائه . تشرئب : تمد أعناقها . تسنح : تعرض .

٢ مزؤودة : مفزعة .

٣ اللطائم ، الواحدة لطيمة : وعاء المسك . دارية : نسبة إلى دارين وهي مشهورة بمسكها .

٤ اسجحي : أحسني .

مِنْ أيِّ خَطبٍ مِنْ خُطوبكِ أشتكي ، وَعَنَ أيِّ ذَنْبٍ من ذُنوبكِ أصْفحُ
إنْ أشْكُ فِعلَكِ مِنْ فِرَاقِ أحبّتي ، فلَسُوءُ فِعلِكِ في عِذارِي أقبَحُ
ضَوْءٌ تَشَعشَعَ في سَوَادِ ذَوَائِبي ، لا أسْتَضِيءُ بِهِ وَلا أستَصْبِحُ
بعثُ الشّبَابَ بِهِ ، على مِقَةٍ لَهُ ، بَيْعَ العَلِيمِ بِأنّهُ لا يَرْبَحُ
لا تُنْكِرَنّ مِنَ الزّمَانِ غَرِيبَةً ، إنّ الخُطُوبَ قَلِيبُهَا لا يَنْزَحُ
للذّلّ بَيْنَ الأقْرَبِينَ مَضَاضَةٌ ، وَالذّلُّ مَا بَيْنَ الأبَاعِدِ أرْوَحُ
وَإذا رَمَتْكَ مِنَ الرّجَالِ قَوَارِصٌ ، فسِهامُ ذي القُرْبَى القَرِيبَةِ أجرَحُ
الْبَسْ نَسيجَ الذّلّ إنْ ألْبِسْتَهُ مُتَمَلْمِلاً ، وَإنَاءُ قَلْبِكَ يَطفَحُ
مَا دُمْتَ تَنتَظِرُ العَوَاقِبَ لابِداً لا تَغْتَدي لِعُلًى وَلا تَتَرَوَّحُ[1]
وَضَجيعُكَ العَضْبُ الذي لا يُنتضَى ، وَخَليطُكَ الزَّوْرُ الذي لا يَبْرَحُ
وَاعْلَمْ بِأنّ البَيْتَ، إنْ أوطِنْتَهُ، سِجنٌ، وَطُولُ الهَمّ غُلٌّ يَجرَحُ
أأخَيّ لا تَكُ مُضْغَةً مَزْرُودَةً ، تَنْسَاغُ لَيّنَةَ القِيَادِ وَتَسْرَحُ[2]
ألاّ أبَيتَ ، وَأنْتَ مِنْ جَمَرَاتِهَا ؛ وَمِنَ العَجَائِبِ جَمْرَةٌ لا تَلْفَحُ
كُنْ شَوْكَةً يُعيي انتقاشُ شَبَاتِها ، أوْ حَمْضَةً يَشجَى بِهَا المُتَمَلِّحُ[3]
وَانفُضْ يَدَيكَ مِن الثّرَاءِ فكم مضَى مِنْ دونِ ثَرْوَتِهِ البَخيلُ المُصْلِحُ

1 لابداً ، من لبد بالمكان : أقام فيه .
2 المزرودة : المبتلعة .
3 الانتقاش : الاستخراج . الشباة : حد كل شيء ، وإبرة العقرب . الحمضة : ما ملح وأمر من النبات . يشجى ، من الشجا : اعتراض عظم أو نحوه في الحلق . المتملح : أراد الذي يأكلها .

يَبْقَى لِوَارِثِهِ كَرَائِمُ مَالِهِ ، وَلَقَدْ يُرَقِّعُ عَيْشَهُ وَيُرَقِّحُ[1]
قَدْ يُنْتِجُ المَرْءُ العِشَارَ بِجِدِّهِ ، وَسِوَاهُ يَعْتَامُ الفُحُولَ وَيُلْقِحُ[2]
لا عُذْرَ إلاّ أنْ أرَى سُرُبَاتِهَا سَوْمَ الجَرَادِ يَثُورُ مِنها الأبطَحُ[3]
وَالهَامُ تَعْتَصِبُ العَجَاجَ كَأنّهُ في الجَوّ شُؤبُوبُ الغَمَامِ الأمْلَحُ
قَوْمي الأولى ضَمِنَتْ لهُمْ أحسابُهُمْ أنّ الزّمَانَ بِمِثْلِهِمْ لا يَسْمَحُ
عَرَكُوا أديمَ الأرْضِ قَبْلَ نَبَاتِها، وَاستَفْسَحُوا أعْطَانَهَا وَتَفَيّحُوا[4]
فَتَقُوا بشَزْرِ الطّعنِ أكمَامَ العُلَى، وَهُمُ جِذاعُ قَبَائِلٍ لَمْ يَقْرَحُوا
إنْ أحرِجُوا لمْ يَجْهَلُوا،وَإذا قضَوْا لمْ يَقْسِطُوا ، وَإذا عَلَوْا لم يَبجَحُوا
ذَنْبي إلى البُهْمِ الكَوَاذِبِ أنّني الـ طِّرْفُ المُطَهَّمُ ، وَالأغَرُّ الأقرَحُ[5]
يُولُونَني خُزْرَ العُيُونِ لأنّني غَلّسْتُ في طَلَبِ العُلى وَتَصَبّحُوا
وَجَذَبْتُ بالطّولِ الذي لم يَجذِبُوا. وَمَتَحْتُ بالغَرْبِ الذي لمْ يَمتَحُوا
مِنْ كُلّ حَامِلِ إحْنَةٍ لا تَنْجَلي غَطْشَى دُجُنّتُهَا وَلا تَتَوَضّحُ
ضَبٌّ يُداهِنُني ، وَيُشْكِلُ غَيْبُهُ مِمّا يُرَغّي قَوْلَهُ وَيُصَرِّحُ
يَغْدُو وَمِرْجَلُ ضِغْنِهِ مُتَهَزِّمٌ أبَداً عَليّ ، وَجُرْحُهُ مُتَقَرِّحُ
مُسِحَتْ جِبَاهُ الوَانِيَاتِ وَلُطّمَتْ مِنْ دُونِ غايَتِها العِتاقُ القُرَّحُ

-----

١ يرقح ، من الرقاحة : الكسب والتجارة .
٢ العشار : النياق . يعتام : يختار .
٣ سرباتها ، الواحدة سربة : جماعة الخيل .
٤ تفيحوا : توسعوا .
٥ الطرف : المهر الكريم . المطهم : التام من كل شيء . الأقرح : الذي في وجهه بياض دون الغرة .

لَوْ لَمْ يَكُنْ لي في القُلُوبِ مَهَابَةٌ   لَمْ يَطْعَنِ الأعداءُ فِيَّ وَيَقْدَحُوا
مَن خِيفَ خَوْفَ اللّيثِ خُطّ له الرُّبَى ،   وَعَوَتْ لِتُشْهِرَهُ الكِلابُ النُّبّحُ
نَظَرُوا بِعَيْنِ عَداوَةٍ لَوْ أنّها   عينُ الرِّضَى لاستَحسَنوا ما استَقبحُوا
مَا كَانَ مِنْ شُعْثٍ ، فإنّي مِنهُمُ   لَهُمُ أوَدّ عَلى البعَادِ وأسمَحُ

لو وفيت مدحي حقه

قال رحمه الله في معنى مثله :

سلَيمانُ لَوْ وَفَيْتَ مَدْحيَ حقّهُ ،   أرَيتُكَ أسبابَ المُنى كيفَ تَنجَحُ
بَسَطْتُ يَدي حتّى ظَنَنْتُكَ قابضاً   يَدَ الدّهرِ عنّي ، وَهوَ أزْوَرُ أكلَحُ
فأقصَدْتَني باليَأسِ حتّى تركتَني   وَظَنّيَ عَنْ نَيْلِ الغِنَى يتَزَحزَحُ
وأصْعَبتَ لي من بَعدِ ما كنتَ مُسهِلاً   مَغالِقَ بِرٍّ شَارَفَتْ تَتَفَتّحُ
فمَنْ مالُهُ في ذِمّةٍ كَيفَ يَجتَدي؛   وَمَنْ أصْلُهُ في ظُلمَةٍ كَيفَ يُمدَحُ

قبح بعد قبح

أُعيذُكَ مِنْ هِجاءٍ بعْدَ مَدْحٍ ، فَعُذْني مِنْ قِتالٍ بعدَ صُلْحِ
مَنَحتُكَ جُلَّ أشعَاري ، فلَمّا ظَفِرْتَ بِهِنّ لمْ أظفَرْ بِمَنحِ
كبَا زَنْدي بحَيْثُ رَجَوْتُ مِنهُ مُساعَدَةَ الضّياءِ ، فَخابَ قِدْحي
وكُنتَ مُضافري فثلَمْتَ سيفي ، وكُنتَ مُعاضِدي فقصَفتَ رُمحي
وكُنْتُ مُمَنَّعاً فَأذَلَّ داري دُخُولُكَ ذُلَّ ثَغرٍ بَعْدَ فَتْحِ
فيَا لَيْثاً دَعَوْتُ بِهِ لِيَحْمي حِمايَ مِنَ العِدَى فاجتاحَ سَرْحي[1]
وَيَا طِبّاً رَجَوْتُ صَلاحَ جِسْمي بكَفّيْهِ ، فَزَادَ بَلاءَ جُرْحي
وَيَا قَمَراً رَجَوْتُ السّيْرَ فيهِ ، فَلَثّمَهُ الدُّجَى عَنّي بِجِنْحِ
سَأرْمي العَزْمَ في ثَغْرِ الدّيَاجي ، وَأحْدُو العيسَ في سَلَمٍ وَطَلْحِ[2]
لبِشرِ مُصَفَّقِ الأخلاقِ عَذْبٍ ، وَجُودِ مُهَذَّبِ النّشَوَاتِ سَمْحِ
وَقُورٍ مَا استَخَفّتْهُ اللّيَالي ، وَلا خَدَعَتْهُ عَنْ جِدٍّ بِمَزْحِ
إذا لَيْلُ النّوَائِبِ مَدّ بَاعاً ثَنَاهُ عَنْ عَزِيمَتِهِ بِصُبْحِ
وَإنْ رَكَضَ السّؤالُ إلى نَدَاهُ تَتَبّعَ إثْرَ وَطْأتِهِ بِنُجْحِ
وَأصْرِفُ هِمّتي عَنْ كُلّ نِكْسٍ أمَلَّ عَلى الضّمَائِرِ كُلَّ بَرْحِ[3]
يُهَدّدُني بِقُبْحٍ بَعْدَ حُسْنٍ ، وَلَمْ أرَ غَيْرَ قُبْحٍ بَعْدَ قُبْحِ

١ السرح : الماشية .
٢ السلم والطلح : من الشجر .
٣ أمله : أطاله ، أوقعه في الملل . البرح : الشدة والأذى .

الضانون بالود

أبُثّكَ أنّي رَاغِبٌ عَنْ مَعَاشرٍ يَضنّونَ بِالوُدّ القَليلِ ، وَأسْمَحُ
إذا مَا جنَوْا ذَنباً عَليّ احتقَرْتُهُ ، فأعفُو عَنِ الذّنبِ العَظيمِ وَأصْفَحُ
وَيُظْهِرُ لي قَوْمٌ بعَاداً وَجفوَةً ، وَمَا عَلِمُوا أنّي بِذَلِكَ أفْرَحُ

صبراً على نوب الزمان

صَبْراً عَلى نُوَبِ الزّمَا نِ وَإنْ أبَى القَلْبُ القَرِيحُ
فلَرُبّ مُبْتَسِمٍ ، وَقَدْ أخَذَتْ مَآخِذَهَا الجُرُوحُ
يَسْعَى الفَتَى مُتَمَادِياً ، وَيَدُ المَنُونِ لَهُ تُلِيحُ
كَمْ آمِلٍ يَغْدُو عَلى الـ أمَلِ البَعِيدِ ، فَلا يَرُوحُ
بَيْنَا يُشَادُ لَهُ البِنَا حتّى يُخَطّ لَهُ الضّرِيحُ
لا تَيْأسَنْ مِنْ أنْ تَعُو دَ عَوَائِدٌ وَتَهُبّ رِيحُ
قَدْ يَسْقُطُ العَوْدُ الجَلِيـ ـدُ ، وَيَنْهَضُ النِّضْوُ الطّلِيحُ
وَيُفَرِّجُ الغَمّاءَ يَحْـ ـرَجُ عِنْدَهَا العَطَنُ الفَسِيحُ
وَلِكُلّ شَيْءٍ آخِرٌ ، إمّا جَمِيلٌ أوْ قَبِيحُ

صحيح كالجرب

وَلَوْ كنتَ فيها يومَ ذا الأثلِ لم تَوُبْ وَزَادُكَ إلاّ ذاتُ وَدْقَينِ تَنْضَحُ[1]
غَداةَ ذُبَالُ السّمْهَرِيّةِ يَلْتَظي بأيمانِنا ، وَالبِيضُ بالبِيضِ تُقْدَحُ
مَوَاقِفُ تُنسِي المَرْءَ مَا كَانَ قَبلَهَا تَرَى الجَذَعَ العاميّ فيهِنّ يَقرَحُ[2]
كَـأنّ سِقَاطَ البِيضِ ثُمّ ارْتِفَاعَها مَصَارِيعُ أبْوَابٍ تُجَافُ وَتُفْتَحُ[3]
فَإنْ تَكُ قَدْ سُقّيتَ مِثْلي بكاسِها فَما لَكَ يا ذا الضّبّ لا تَتَرَنّحُ[4]
جُعِلْتَ صَحيحاً مثلَ ضَامنِ نُقْبَةٍ ، لَهُ كُلَّ يَوْمٍ جالِبٌ يَتَقَرّحُ[5]

١ ذات ودقين : الداهية .
٢ الجذع : الصغير من البهائم . العامي : الذي بلغ العام . يقرح : يصير قارحاً .
٣ تجاف : ترد .
٤ الضب : الحقد الخفي .
٥ الضامن، من الضمنة : المرض الملازم . النقبة: أول الجرب . الجالب: الجرح الذي تعلوه جليدة عند البرء .

قد يكظم المرء الأذى

قال في قوم يسرقون شعره وينتحلونه
في بعض البــلاد فيفتضحون به ويعرف :

أَلا مَنْ عَذِيرِي في رِجالٍ تَوَاعَدُوا ... لِحَرْبِيَ مِنْ رَامي عُقُوقٍ وَرَامِحِ
وَغَرَّهُمُ مِنّي اصْطِبارٌ عَلى الأَذَى، ... وَقَد يكظِمُ المَرْءُ الأذى غَيرَ صَافحِ
فَما الجَارِمُ الجَاني عُقُوقي بِسَالِمٍ ؛ ... وَلا المَاطِلُ اللاّوِي دُيُوني برَابِحِ
أَغارُوا عَلى ذَوْدٍ مِنَ الشِّعْرِ آمِنٍ ، ... تَقَادَمَ عِندي مِنْ نِتَاجِ القَرَائِحِ
فَيا لَيْتَهُمْ أَدَّوهُ في الحَيّ خَالِصاً، ... وَلَمْ يَخْلِطُوهُ بِالرَّزَايَا الطَّلايحِ[1]
وَإنّكَ لَوْ مَوّهْتَ كُلّ هَجِينَةٍ ... عَلى نَاظِرٍ مَا عُدّدَتْ في الصَّرَائحِ
أرَى كُلَّ يَوْمٍ، وَالأعاجيبُ جَمّةٌ، ... عَلى وَبَرِ الحَرْبَىوُسُومَ الصَّحَايحِ
إذا طَرَدُوهَا خَالَفَتْ بِرِقَابِهَا ... رُجُوعاً إلى أَوْطَانِهَا وَالمَسَارِحِ
وَإنْ أَوْرَدُوها غَيرَ مائيَ حَايَدَتْ ... حِيَادَ عَيُوفٍ يُنكِرُ المَاءَ قَامحِ[2]
إذا انْجَفَلَتْ في غارَةٍ بِتُّ نَاظِراً ... أُرَاقِبُ مِنْها رَوْحَةً في الرَّوائحِ
كَأنّ بَني غَبْرَاءَ، إذْ يَنْهَبُونَهَا ... أحَالُوا عَلى مالٍ بذي الدّوْحِ سارحِ
يُرَجُّونَ مِنْهَا، وَالأمَانيُّ ضِلّةٌ، ... رَجَاءَ نِتَاجِ الحَملِ من غَيرِ لاقحِ

١ الرزايا : الضعاف . الطلايح : المعيية .

٢ القامح : الذي يرد الماء ولا يشرب .

أباغثُ أضرَّتها السَّفاهَةُ ، فاغتَدَتْ تَخَطَّفُ هذا القَوْلَ خطفَ الجَوَارِحِ
هَبُوهَا إلَيْكُمْ من يديَ مَنيحَةً ، فقَدْ آنَ ، يا للقَوْمِ ، رَدُّ المَنايحِ[1]
دَعُوا وِرْدَ مَاءٍ لَسْتُمُ مِنْ حِلالِهِ وَحُلّوا الرَّوَابي قَبْلَ سَيْلِ الأباطحِ
ولا تَستَهِبّوا العاصِفاتِ ، وأصْلُكُمْ نَجيلٌ رَمَتْ فيهِ اللّيَالي بقَادِحِ[2]
فَمَا أنْتُمُ مِنْ مَالِئِي ذلِكَ الحِبَا ، ولا فيكُمُ أكْفَاءُ تِلْكَ المَنَاكِحِ
ولَمْ تُحْسِنوا رَعْيَ السّوَامِخِ قَبْلَها ، فكَيْفَ تَعاطَيْتُمْ رُكوبَ الجَوَامحِ[3]
ولا تَطْلُبُوهَا سِمْعَةً في مَعَرّةٍ تُحَدّثُ عَنْكُمْ كُلُّ غادٍ وَرَايحِ
خُمُولُ الفتَى خيرٌ من الذّكرِ بالخَنا وَجرُّ ذُيُولِ المُنْدِيَاتِ الفَوَاضِحِ[4]
وَعِنْدي قَوَافٍ إنْ تَلَقّينَ بالأذَى نَزَعْنَ بِمُرِّ القَوْلِ نَزْعَ المَوَاتِحِ
تُعَدّدُ نَبْرَاتِ الأُسُودِ نَبَاهَةً ، وَتَنسَى أنابيحَ الكِلابِ النّوَابحِ

مطر غابق وصابح

قَيّدْتُ أزْمَةَ كُلّ مُزْنٍ رَائِحٍ مُتَحَمّلٍ عِبْءَ المَوَاطِرِ دالِحِ
حتّى يَشُقّ على العَقيقِ مَزَادَهُ ، مِنْ غَابِقٍ لِرِيَاضِهِ أوْ صَابِحِ

١ المنيحة : الناقة يجعل لك وبرها ولبنها وولدها .
٢ النجيل : ضرب من الحمض .
٣ السوامخ : الزروع تطلع أولا .
٤ المنديات ، الواحدة مندية : الكلمة يتندى لها الجبين خجلا .

ذكرت

ذَكَرْتُ على فَتْرَةٍ مِنْ مِرَاحِ   مَنَازِلَ بَيْنَ قَنًا ، فالصِّفَاحِ
وَأرْضاً تَبَدَّلَ قُطَّانُهَا ،   مَجَرَّ القَنَا بِمَجَرِّ المَسَاحي

لو كنت شاهدها

فَلَوْ كُنْتَ شاهدَها في الدُّجَى ،   وَقَدْ ضَمَّهَا البَلَدُ الأفْيَحُ
إذا ذَكَرَتْكَ على وِنْيَةٍ   رَأيْتَ ذَفَارِيَّهَا تَنْضَحُ

صلح الطير

في قِتَالٍ كَانَ للطَّيْـ   ـرِ على قَتْلاهُ صلْحُ
يَتَرَاغَيْنَ وَبَيْنَ الـ   ـوَحْشِ وَالعِقْبَانِ ذَبْحُ

حرف الخاء

طود ساخ

قال عند ظهور الأمر في موت عضد الدولة مخاطباً لأبيه وهو إذ ذاك بفارس في القلعة وذلك سنة ٣٧٢ وسنه حينئذ فوق الثلاث عشرة بقليل :

أبْلِغَا عَنّيَ الحُسَيْنَ أَلُوكاً ؛ إنّ ذا الطَّوْدَ بَعدَ عَهدِكَ سَاخَا[١]
وَالشِّهَابَ الّذِي اصْطَلَيْتَ لَظَاهُ عَكَسَتْ ضَوْءَهُ الخُطُوبُ فَبَاخَا[٢]
وَالفَنيقَ الذي تَدَرّعَ طُولَ الـ أرْضِ خَوّى بهِ الرّدَى ، فَأنَاخَا[٣]
إنْ تَرِدْ مَوْرِدَ القَذَى وَهوَ رَاضٍ فَبِمَا يَكْرَعُ الزُّلالَ النُّقَاخَا[٤]
وَالعُقَابُ الشّغْوَاءُ أهْبَطَهَا النّيـ قُ ، وَقَدْ أرْعَتِ النّجُومَ سِمَاخَا[٥]
أعْجَلَتْهَا المَنُونُ عَنّا ، وَلَكِنْ خَلّفَتْ في دِيَارِنَا أفْرَاخَا
وَعَلى ذَلِكَ الزّمَانِ بِهِمْ عَا دَ غُلاماً مِنْ بَعْدِ مَا كانَ شَاخَا

١ ساخ : انخسف .
٢ باخ : سكن .
٣ الفنيق : الفحل المكرم . خوى
٤ النقاخ : الماء البارد .
٥ السماخ : ثقب الأذن .

لم يبق إلا برزخ

قال عند عوده من الحجاز وقد قطع
الرمل المعروف بمربخ وذلك سنة ٣٩٤ :

أقُولُ لها حَيثُ انتَهَى مَسقطُ النّقا: نصلتِ وَأيمُ اللهِ مِنْ رَملِ مُرْبِخِ
نجَوْتِ عَلى ما فيكِ من وِنيَةِ السُّرَى وَطَيِّ المَوَامي سَرْبخاً بعدَ سَرْبَخِ[1]
بحَيْثُ الفَتَى لمّا يُجبْ دَعوَةَ الفَتى وَلا يَعْطِفُ الأخُ الكَرِيمُ على الأخِ
وَلَمْ يَبْقَ إلاّ بَرْزَخٌ، فاقذِفي بِهِ وَرَاءكِ، إنّ الدّارَ من بَعدِ بَرْزَخِ

١ الموامي : الفلوات . السربخ : الأرض الواسعة .

حرف الدال

الحبيب المحجوب

يمدح الطائع ويهنئه بعيد الفطر سنة ٣٧٧
ويعاتبه على تأخير الإذن في لقائه ويذم أعداءه :

إلى كَمِ الطَّرْفُ بالبَيْداءِ مَعقُودُ ، وَكَمْ تَشَكّى سُرَايَ الضُّمَّرُ القُودُ
تَعِلّةٌ لي ، بَعْدَ القُرْبِ ، تَوْلِيَةٌ عَنِ المَقَامِ ، وَبَعْدَ النّوْمِ تَسهيدُ
يا دارَ ذُلٍّ لمَنْ فارَقتِ قَعْدَتَهُ ، وَالعِزُّ أوْلَى بِمَنْ عُلّقتِ يا بيدُ
أرْمي بِأيْدي المَطَايَا كُلَّ مُشْتَبِهٍ تَنْبُو بِأخْفَافِهَا عَنْهُ الجَلاميدُ
وَكُلَّ لَيْلٍ تُضِلّ النّجمَ ظُلمَتُهُ ، قَلْبُ الدّليلِ بهِ حَيرَانُ مَزْؤودُ
وَغِلْمَةٍ في ظُهُورِ العِيسِ أرّقَهُمْ هَمٌّ شَعَاعٌ ، وَآمَالٌ عَبَادِيدُ[1]
مُلَثَّمِينَ بِمَا رَاخَتْ عَمَائِمهُمْ وَكُلُّهُمْ طَرِبٌ للبَيْنِ غِرّيدُ[2]
لا آخُذُ الطّعْنَ إلاّ عَنْ رِمَاحِهِمُ إذا تَطاعَنَتِ الشُّمُّ المَنَاجِيدُ
وَرُبَّ أمْرٍ بَعِيدِ الغَايِ قَرّبَنِي مِنْهُ السّوَابِقُ وَالبُزْلُ المَقَاحِيدُ[3]

١ الشماع : المتفرق . العباديد : الذاهبة في كل وجه .
٢ راخت ، من راخى عمامته : أمن ، واطمأن .
٣ البزل ، الواحدة بازل : التي شق نابها . المقاحيد ، الواحدة مقحاد : الناقة الكبيرة أصل السنام .

وَخِيطَةٍ بَيْنَ أرْمَاحِ العِدَى ضَمِنَتْ نَجَايَ مِنْ ضِيقِهَا سَمرَاءُ قَيدُودُ[1]
ما لي بغَيرِ العُلى في الأرْضِ مُضْطَرَبٌ، ولا لجَنْبي بِغَيرِ العِزّ تَمْهِيدُ
ولا خَطَوْتُ إلى بَأسٍ ولا كَرَمٍ ، إلاّ وَمَوْضِعُ رِجْلي مِنْهُ مَوْجُودُ
ضَاعَ الشّبابُ ، فقلْ لي أينَ أطلُبُهُ ، وَازْوَرّ عَنْ نَظَرِي البِيضُ الرّعاديدُ
وَجَرّدَ الشّيبُ في فَوْدَيّ أبيَضَهُ ؛ يا لَيْتَهُ في سَوَادِ الشَّعْرِ مَغمُودُ
بِيضٌ وَسُودٌ بِرَأسِي لا يُسَلّطُهَا عَلى الذّوَائِبِ إلاّ البِيضُ وَالسّودُ
يُؤمِّلُ النّاسُ أنْ يَبقَوا وَما عَلِمُوا أنّ الفَتَى لِيَدِ الأقْدارِ مَوْلُودُ
شُغِلْتُ بالهَمّ حتّى مَا يُفَرّحُني ، لَوْلا الخَليفَةُ ، نَوْرُوزٌ ولا عِيدُ
أهْوَى لَهُ كُلَّ أيّامٍ يُسَرّ بِهَا ، وَإنْ طَغَى بَيْنَنَا نَأيٌ وَتَبْعِيدُ
مُحَسَّدُ المَجدِ مَغبُوطٌ مَنَاقِبُهُ ، مُتَيَّمُ القَلْبِ بالعَليَاءِ مَعمُودُ
كَرِيمُ مَا ضَمّ بُرْداهُ وَعِمّتُهُ ، عَفِيفُ مَا ضُمّنَتْ مِنهُ المَرَاقِيدُ
مُطَهَّرُ القَلْبِ لا انهَلّتْ مَدامِعُهُ ، وَجْداً ، وَمَا حَقّرَ الأنفاسَ تَصْعيدُ
مَا رَاقَ عَيْنَيْهِ إلاّ ما أقَرّهُمَا مِنَ المَكَارِمِ ، لا عَينٌ وَلا جِيدُ
المُورِدُ الرّمْحَ مَا نَالَتْ عَوَامِلُهُ ؛ وَالمُطْعِمُ العَضْبَ ما عَزّاهُ تَجرِيدُ
وَالقَائِدُ الخَيْلَ يَمطُو في أعِنّتِهَا مَطْوَ النّعَامِ أضَلّتْهَا القَرَادِيدُ[2]
في كُلّ يَوْمٍ لَهُ نُعْمَى يُجَدّدُهَا تَملا يَدي ، وَلقَوْلي فيهِ تجديدُ
وَمَا أُسَرّ بِمَالٍ لا أعِزّ بِهِ ، وَلا ألَذّ بِرَأيٍ فيهِ تَفْنيدُ

١ القيدود : الناقة الطويلة الظهر .

٢ يمطو : يجد . القراديد ، الواحد قردد : المرتفع من الأرض .

لَيسَ السّرَاءُ بغَيرِ المَجدِ فائِدَةً ، وَمَا البَقَاءُ بِغَيرِ العزّ مَحْمُودُ[1]
جُرْحُ الحِمامِ وَلا جُرْحُ الأذى أبَداً، وَالمَوْتُ عندَ طُرُوقِ الضّيمِ مَوْرُودُ
صَارَتْ إلَيكَ، أميرَ المُؤمنينَ، عَلى غَرّاءَ أحْرَزَهَا آبَاؤكَ الصِّيدُ
مِنْ هاشِمٍ أنْتَ في صَمّاءَ شَاهِقَةٍ ، لهَا رِوَاقٌ بِبَاعِ المَجْدِ مَعمُودُ
نِهَايَةُ العِزّ أنْ تَبقَى لَهُ أبَداً ، وَغايَةُ الجُودِ أن يَبقَى لكَ الجُودُ
لأيّ حَالٍ يُدارِي القَلْبُ غُلّتَهُ ، وَجَاءَ وِرْدٍ وَوِرْدي منكَ تَصرِيدُ[2]
قد كنتُ عَنْ عَدَدِ الأيّامِ في شُغُلٍ فاليَوْمَ عامي لوَعْدٍ مِنْكَ مَعدُودُ
ألامُ فيكَ ، وَأُذْني غيرُ سَامِعَةٍ ، فَاللّوْمُ مُطّرَحٌ ، وَالعَذْلُ مَرْدُودُ
يَرُومُ مُلكَكَ مَن لا رأيَ يُنجِدُهُ ، وَلا فَخَارٌ ، وَلا بأسٌ ، وَلا جُودُ
وَكَيفَ يَطلُبُ شأواً منكَ ذو ظَلَعٍ ، بَاقي غُبَارِكَ في عَيْنَيْهِ مَوْجُودُ
ما كلّ بارِقَةٍ تَحدو السّحابَ ، وَلا كُلُّ السّحَابِ مَبَارِيقٌ مَرَاعِيدُ
يَستَفرِهُ الخَيلَ ، وَالأقدارُ تَحصُرُهُ، وَيَستَطيلُ العَوَالي ، وَهْوَ رِعدِيدُ[3]
لا تَحفَلَنْ بوَعيدٍ زَلّ عَنْ فَمِهِ ، فَما يَضُرّ مِنَ المَغرُورِ تَوْعِيدُ
وَلا يُؤمَّلُ أنْ يَلْقَاكَ في عَدَدٍ ، إنْ أصْحَرَ اللّيثُ أخفى شخصَهُ السِّيدُ[4]
وَلَوْ بَسَطتَ يميناً بالعرَاقِ ، إذاً نَالَتْهُ ، وَهْوَ بَعِيدُ الدّارِ مَطْرُودُ

١ السراء بالسين : هكذا في الأصل ، ولعلها الثراء بالثاء .
٢ التصريد : السقي دون الري .
٣ يستفره : يستكرم .
٤ أصحر : خرج إلى الصحراء .

أعيذُ مَجدكَ أنْ أبقَى علَى طَمَعٍ وأنْ تَكُونَ عَطَايَايَ المَوَاعِيدُ
وأنْ أعيشَ بَعيداً مِنْ لِقَائِكُمُ ، ظمآنَ قلبٍ، وَذاكَ الوِرْدُ مَوْرُودُ
ما لِي أُحِبّ حَبِيباً لا أُشَاهِدُهُ ، ولا رَجَايَ إلى لُقْيَاهُ مَمْدُودُ
وأُتْعِبُ القلبَ فيمَنْ لا وِصَالَ لَهُ ؛ يا للرّجَالِ ! أقَلَّ الخُرّدُ الغِيدُ
أكثَرْتُ شِعرِي ولَمْ أظْفَرْ بحَاجتِهِ ، فَسَقّنِي قَبْلَ أنْ تَفنَى الأغاريدُ
قَدْ جاءَ عيدٌ ،وَعيدُ المَرْءِ لَذّتُهُ ، وأنْتَ فيهمْ عَظِيمُ القَدْرِ مَحمُودُ
عَيْشُ الفتَى كُلّهُ وَقْتٌ يُسَرّ بهِ ، مِنَ الدُّنَا ، وَجَميعُ العَيشِ مَفقودُ
فَاسْعَدْ بِهِ ، وَبأيّامٍ طُرِفْنَ بهِ ؛ إنّ العَزِيزَ علَى العِلاّتِ مَسعُودُ
قَلِيلُ مَدْحِكَ في شِعْرِي يُزَيّنُهُ ، حتّى كأنّ مَقَالِي فيكَ تَغْرِيدُ
كَمْ خَوّضَ النّاسُ في قَوْلي وَقائِلِهِ ؛ وَكَمْ غَلا بيَ إغْرَاقٌ وَتَجوِيدُ
أُذَمّ مِنْ أجْلِ أشْعَارِي فَوَا عَجَبا ! تُذَمّ إنْ جَنَتِ الخَمرَ العَنَاقيدُ
وَمَا شَكَوْتُ لأنّ العِزّ يُقْعِدُنِي ، وَأنْتَ سَيفِي وَيَوْمُ الرّوْعِ مَشهُودُ

الأيام يوم واحد

قال يمدح الملك بهاء الدولة ويشكره على ما ورد من أمره بأن يضاف إلى أعماله النظر في أمور الطالبيين بجميع البلاد ولم يبلغ ذلك أحد من أهل هذا البيت، واجتمع الناس في دار فخر الملك وقرئت الكتب الواردة بذلك وكان يوماً مشهوداً مذكوراً وذلك يوم الجمعة السادس عشر من المحرم سنة ٤٠٣ :

مَنْ رَأى البَرْقَ بغَوْرِيّ السَّنَدْ، ... في أديمِ اللّيلِ يَفري وَيَقِد[1]
حَيْرَةُ المِصْبَاحِ تَزْهُوهُ الصَّبَا ... خَلَلَ الظّلْماءِ يَخْبُو وَيَقِدْ
كُلّمَا أنْجَدَ عُلْوِيّ السّنَا، ... قَامَ بالقَلْبِ اشتِيَاقٌ وَقَعَدْ
كَمْ أضَاءَ البَرْقُ لي مِنْ مَعهَدٍ ... ذابَ دَمْعُ العَينِ فيهِ وَجَمَدْ
زَمَغَانٍ أنْبَتَ الحُسْنُ بِهَا ... هَيَفاً تَرْعَاهُ عَيْنِي، وَغَيَدْ
كُلّمَا عَاوَدَ قَلْبِي ذِكْرُهَا، ... لَعِبَ الدّمْعُ بِجَفْنَيّ، وَجَدّ
إنْ رِيمَ السّرْبِ أدْنَى لي الجَوَى، ... وَنَأى بالصّبْرِ عَنّي وَالجَلَدْ
بِنَدَى غُصْنَيْنِ غُصْنٍ وَنَقاً، ... وَجَنَى عَذْبَيْنِ شَهْدٍ وَبَرَدْ
قُلْ لزَوْرِ الشّيْبِ: أهْلاً! إنّهُ ... أخَذَ الغَيّ وَأعْطَاني الرَّشَدْ
طَارِقٌ قَوّمَ عُودي بالنُّهَى، ... بَعدَمَا استَغمزَ من طُولِ الأوَدْ
وَقَرَ اليَوْمَ جُمُوحاً رَأسُهُ، ... جَارَ مَا جَارَ طَوِيلاً وَقَصَدْ

[1] السند: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح. يفري: يشق. يقد: يقطع.

ظَلَّ لَمَّاعٌ جَلاهُ بَارِحٌ ، بَعدَمَا أبْرَقَ حِيناً ، وَرَعَدْ
لا تَعُدَّ العَيْشَ شَيْئاً ، إنّهُ نَفَسٌ يَقْضِي ، وَأيّامٌ تُعَدّ
إنّمَا الأيّامُ يَوْمٌ وَاحِدٌ ، وَغُرُورٌ اسمُهُ اليَوْمَ وَغَدْ
يا قِوَامَ الدّينِ مُلّيتَ بِهَا دَوْلَةً تَجْرِي إلى غَيْرِ أمَدْ
كَسِقَاطِ النّارِ أوْرَى قَدْحُهُ ، كُلّمَا فَرّ عَنِ النّارِ وَقَدْ
أصْلُهَا يَطْلُبُ أعْمَاقَ الثّرَى ، وَذُرَاهَا يَطْلُبُ النّجْمَ صُعُدْ
كُلّمَا زَادَ عُلُوّاً فَرْعُهَا ، زَادَ مَسْرَاهَا قَرَاراً وَوَطَدْ
كَيفَ تُوهي طُنُباً مِنْ بَيْتِهَا ، نُوَبُ الأيّامِ وَالجَدُّ وَتِدْ
أنْتَ آسِيهَا ، إذا لَجّ بِهَا مِنْ أعَادِيهَا رَدَاعٌ وَضَمَدْ[1]
قَائِدُ الخَيْلِ تَسَاقَى بِالرّدَى ، تَحْتَ آسَادٍ لَهَا النّقْعُ لُبَدْ
تَحْسِبُ الشُّوسَ عَلَى أكْتَادِهَا فِلَقَ الجَنْدَلِ في مَاءِ الزّرَدْ[2]
وَعَلَى أرْبَقَ قَدْ أرْسَلَهَا كالقَطَا الجُونِ يُبَادِرْنَ الثَّمَدْ
وَبِيَمٍّ وَدَجُوهَا بِالقَنَا ، رُبّمَا داوَيْتَ مِنْ غَيرِ عَمَدْ[3]
يَوْمَ أمسَى مِنْ قَنَاهَا مَاطِراً ، سَالَ وَادِيهِ مِنَ الطّعْنِ وَمَدّ
فَضّ جَمْعَ الغَيّ عَنْ شِدّتِهَا ، زَأرَ الضَّيْغَمُ فَانْصَاعَ النَّقَدْ[4]

١ رداع : وجع الجسد . الضمد : التظلم .
٢ الشوس ، الواحد أشوس : الجريء . الأكتاد ، الواحد كتد : ما بين مغرز العنق إلى ما بين الكتفين .
٣ اليم : القصد . ودجوها : قطعوا أوداجها . العمد : الوجع .
٤ النقد : الغنم .

وَنَجَا المَغْرُورُ مِنْ جَامِحِهَا مُفْلِتَ الشَّحمَةِ حلْقَ المُزْدَرِدْ
غَاوِياً يَحْلُمُ بالمُلْكِ ، وَهَلْ يَغْلِبُ العَيْرُ عَلى بَيْتِ الأسَدْ
أذكَرُونَا يَوْمَ ذي قَارٍ ، وَقَدْ أقْبَلُوهُ عَارِضَ الطّعْنِ بَرَد
رُحِضَ الأغْلَفُ في تيّارِهِ ، وَرَدَ العِلْجُ ، وَمَا كَادَ يَرِدْ
يَصْطَلي نَارَ طِعَانٍ مَضّةً ، أوْقَدَتْ فيها نِزَارُ بنُ مَعَدّ
سَلْ صَفيحَ الهِنْدِ عَنْ مَوْقِفِهِ ، وَبِعَيْنِ الشّمْسِ للنّقعِ رَمَدْ
جَرّ في دارِ الأعَادي فَيْلَقاً ، كَرُغَاءِ البَحْرِ يَرْمي بالزّبَدْ
فَعَلَى الجَوّ سُقُوفٌ مِنْ قَناً ، وَعَلى الأرْضِ قُطوعٌ مِنْ جَسَدْ
أصْعَقَ الأعْداءَ حَتّى خِلْتُهُ زَفَيَانَ الرّيحِ يَرْمِيَ بِالعَضَدْ[1]
رَكْدَةٌ عَنْ جَوْلَةٍ تَحْسَبُهَا مِرْجَلَ القَيْنِ غَلا ثُمّ بَرَدْ
مَا أضَلّ الرّمْحُ فِيها مِنهُمُ ، عَثّرَ السّيْفُ بهِ فِيمَا وَجَدْ
مِنْ بَني سَاسَانَ أقنَى ضُرِبَتْ حُجَرُ المُلْكِ عَلَيْهِ وَالسُّدَدْ
طَلَعَتْ في كُلّ أُفْقٍ شَمْسُهُ ، هَلْ تَرَى يختَصّ بالشّمسِ بلَدْ
مَا رَأيْنَا كَأبِيهِ نَاجِلاً ، وَلَدَ النّاسَ جَميعاً بِوَلَدْ
إنْ يَكُنْ تَاجاً وَعَضْداً فابنُهُ ، دُرّةُ التّاجِ وَدُمْلُوجُ العَضُدْ
لا ضَحَا ظِلُّكُمُ يَوْماً ؛ وَلا مَطَلَ الإقبَالُ فيكُمْ مَا وَعَدْ
وَتَفَارَطْتُمْ عَلى رَفْهِ السُّرَى ، مَوْرِدَ النّعمَاءِ وَالعَيْشِ الرّغَدْ[2]

١ زفيان الريح : سوقها السحاب . العضد : شجر
٢ تفارطتم : تسابقتم . رفه السرى : لينه .

وَغَدَا الجَدُّ جَمُوحاً بِكُمُ ، مَا لَهُ عَنْ غَايَةِ الأيّامِ رَدّ
تَقْصُرُ الآجَالُ مِنْ أعْدائِكُمْ وَيُطَالُ العَيْشُ فيكُمْ وَيُمَدّ
تَنْفَدُ الغُدْرَانُ أحْيَاناً ، وَمَا لِعُبَابِ اليَمّ ذي اللُّجّ نَفَدْ
جَعْجَعَ المَجْدُ بِكُمْ مَبرَكَهُ ، رَاضِياً بالدّارِ فيكُمْ وَالبَلَدْ
وَقِبَابُ المُلْكِ في أعْطَانِهَا ، رُفِعَتْ مِنكُمْ بعادِيّ العَمَدْ
مَعْشَرٌ فَاتَ المَسَاعي سَعْيُهُمْ ، ضَلّ مَنْ كَاثَرَ رَمْلاً بِعَدَدْ
أفْسَدُوا الدّهْرَ عَلى أوْلادِهِ ، لا يُرَى مِثْلُهُم فيمَنْ وَلَدْ
يا مُعيدَ المَاءِ في عُودي ، وَيَا مُثْبِتِي بَعْدَ اضْطِرَابٍ وَأوَدْ
ثَمَرِي اليَوْمَ لِمَنْ أوْرَقَني ، وَإذا مَا أوْرَقَ الفَرْعُ عَقَدْ
كُلّ يَوْمٍ لَكَ نُعْمَى غَضّةٌ ، تَعْقُدُ الفَخْرَ بِأطْوَاقٍ جُدُدْ
رُبّ مَنّ بَعْدَ مَنٍّ مِنكُمُ ، جَاءَ عَفْواً ، وَيَداً مِنْ بَعدِ يَدْ
فَاعْتَقِدْهَا نَاظِمَاتٍ للعُلَى ، جامِعاتِ المَجدِ ، وَالمَجدُ بَدَدْ
مِنْ مَطَايَا الذّكْرِ لا يَحْسُرُهَا أبَداً وَعْثُ بِلادٍ وَجَدَدْ[1]
عُقَدٌ للمَجْدِ بَاقٍ عَيْنُهَا ، أبَدَ الدّهْرِ ، وَللمَجْدِ عُقَدْ
خَارِجِيّاتٌ يُبَادُونَ المَدَى ، وَلَهَا فيكَ بَوَاقٍ وَقُعُدْ[2]

١ يحسرها : يعييها . الوعث : الطريق العسر . الجدد : الأرض الغليظة المستوية .
٢ الخارجيات : السوابق . القعد ، الواحد قعود : وهو من الإبل ما يقتعده الراعي في كل حاجة

قل للعدى شموا الهوان

يمدحه وقد اشتدت به العلة وأرجف عليه ثم
أبل منها وصلح وذلك في جمادى الأولى سنة ٤٠٢ :

أبَى اللهُ إلاّ أنْ يَسُوءَ بكَ العِدَى، ويُصْبِحَ مُستَثْنَى البَقاءِ على الرّدَى
ومَا كَانَ هَذا الدّهرُ يَوْماً بِنَازِعٍ نِجَادَ حُسَامٍ مِثْلَهُ مَا تَقَلّدَا
لَعًا ولَعًا لا عثرَ مِنْ بَعدِ هَذِهِ تَلَقّى العُلَى واستأنَفَ العِزَّ أغيَدا[1]
خَفِيتَ خَفاءَ البَدرِ يُرْجَى ظهورُهُ، ومَا غابَ بَدْرُ اللّيلِ إلاّ ليُشهَدَا
غُرُوبُ الدّرَارِي ضَامِنٌ لطُلُوعِها، فَيا فَرْقَداً باقٍ عَلى اللّيلِ فَرْقَدَا
مَعَاذاً لهَذا البَحْرِ مِمّا يُغيضُهُ، مَعاذاً لشَمْلِ المَجْدِ أنْ يَتَبَدّدَا
سَلِمتَ لَنَا، وَاللهُ أرْأفُ بالعُلَى مِن انْ يَنطوِي عنّا وَأرْحمُ للنّدَى
فَقُلْ للعِدَى شُمّوا الهَوَانَ بأجدَعٍ، وَعَضّوا عَلى الأيدي القِصَارِ بأدرَدا[2]
أفِيقُوا لهَا مِنْ سَكْرَةِ الغَيّ وَابتَغوا زِمَاماً إلى مَا تَكْرَهُونَ وَمِقْوَدَا
حَسِبْتُمْ بأنّ المُلْكَ هِيضَتْ جُبورُهُ، وَأنّ سَوَامَ المَجْدِ أصْبَحنَ شُرَّدَا
لهَا اليَوْمَ رَاعٍ لا يُرَاعُ سَوَامُهُ، أذَلَّ لهَا نَهْجَ الطّرِيقِ وَعَبّدَا
إذا طَمِعَ الأعْداءُ فيهَا أجَارَهَا، وَأرْتَعَهَا بَينَ العَوَالي، وَأوْرَدَا

١ لعا : دعاء له أي أنعشك الله وأقامك من عثرتك .
٢ الأدرد : الذي ليس له أسنان .

وَإنّ قِوَامَ الدّينِ قَدْ عَبّ بَحْرُهُ ... وَعِيداً أقَامَ الخَالِعِينَ وَأقْعَدَا
تَقُوهُ ، فَبَيْنَا تَنظُرُ البَحرَ ساكِناً ... إلى أنْ تَرَاهُ شَائِلَ اللُّجّ مُزْبِدَا
أألطْمَعَكُمْ أنّ الحُسامَ قضَى المُنى ... ولَمْ يبق عندَ الدّهرِ ثأراً ، فأغمَدَا
وَإنّي ضَمِينٌ إنْ تَجَرّدَ مَازِقٌ ... لغَاوٍ مِنَ الأيّامِ أنْ يَتَجَرّدَا
أمَا يُرْهَبُ القَطّاعُ إلاّ مُجَرَّداً ، ... أمَا يُتّقَى العَسّالُ إلاّ مُسَدَّدَا
لِيَهْنِ اللّيَالي وَالمَعَالي أنّهَا ... إثَابَةُ بُرْءٍ عَدّهَا المَجْدُ مَوْلِدَا
عَلى حِينَ طَارَتْ بالقُلُوبِ مَخافَةٌ ، ... أطِيرَ فَرِيصُ المُلْكِ منها وَأُرْعِدَا
وَأصْبَحَتِ الآمَالُ غَرْثَى ظَمِيّةً ، ... يُوَاعدنَ من نُعماكَ مَرْعًى وَمَوْرِدَا
فَلَوْ يَستَطيعُ الدّهرُ مِنْ بَعدِ هذهِ ، ... لألبَسَكَ اليَوْمَ التّمِيمَ المُعَقَّدَا[1]
بِأيّ مَنَالٍ أمْ بِأيّةِ أذْرُعٍ ... تَعاطَيتُمُ اليَوْمَ البِنَاءَ العَطَوَّدَا[2]
بِنَاءٌ أقَامَ المَجْدَ فيهِ عِمَادَهُ ، ... وَقَرّرَهُ تَحْتَ العَوَالي ، وَوَطّدَا
كَذَا أبِكُمُ مِنهُ غَداةَ حَداكُمُ ، ... تُشَاغِلُهُ الآذانُ عَنْ طَرَبِ الحُدَا
وَكَبّكُمُ كَبَّ الحَجيجِ هَدِيّهُ ... يُحَشحِشُها نخسُ النّصَالِ إلى المَدَى
كَأيّامِ حَنْوَيْ دارَزِينَ وَأرْبَقٍ ، ... مَوَاقِفُ أخبَى الطّعنُ فيها وَأوْقَدَا[3]
أطِيلُ اختِرَاطَ البِيضِ فيها فلَوْ خَفَا ... بهَا لَمَعَانُ البَرْقِ ظُنّ المُهَنّدَا[4]

١ التميم : الشديد ، الطويل الكامل .
٢ العطود : الشديد .
٣ دارزين واربق : موضعان .
٤ خفا البرق : لمع .

وَتَخفَى بهَا الأمطارُ من طول ِ ما جرَى   علَيها نَجيعُ الطّعن ِ وَالضَّرْب ِ سرْمدَا
شُلِلْتُمْ بِهَا شَلّ الطَّرَائِدِ بالقَنَا ،   تَبَرّأ مَنْ وَلّى وَضَلّ الذي هَدَى[1]
وَمَا زَادَكُمْ منهنّ غَيرُ جَوَائف ِ   هَوَادِرَ يَرْدُدْنَ المَسابرَ وَاليَدَا[2]
دَعُوا لَقَمَ العَلْيَاءِ للمُهْتَدي بهِ ،   وَخلّوا طَرِيقاً غَارَ فيهِ وَأنْجَدَا
لأطولِكمْ طَولاً ، إذا المُزْنُ أصْبحتْ   غَوَارِزَ لا يُعْدَمْنَ خَلَفاً مُجَدَّدَا[3]
نَهَيتُكُمُ عَن ذي هماهمَ مُشبل ٍ ،   حمَى بجُنوبِ السِّيءِ ضَالاً وَغَرْقَدَا[4]
فَضَافِضَ غَيل ٍ في الدّمَاءِ عيِيَةً ،   كَأنّ على لَبْتَيهِ سِبّاً مُوَرَّدَا[5]
يُفَرِّقُ بَينَ الجَحْفَلَينِ زَئيرُهُ ،   كمَا أطّ نَجديٌّ الغَمام ِ وَأرْعَدَا
يَجُرّ سَآبيَّ الدّمَاءِ وَرَاءَهُ .   مَجَرّ الخَليع ِ الشّرْعبيَّ المُعَضّدَا[6]
وَحَذّرْتُكُمْ مُغْلَوْلِباً ذا غُطَامِطٍ   إذا كَبّ بوصيَّ السّفينِ وَأزْبَدَا[7]
لَهُ زَجَلٌ كالفَحْلِ يَقْرَعُ شَوْلَهُ ،   ألَظَّ بِقَرْقَارِ الهَديرِ وَرَدّدَا[8]

١ شللتم : طردتم .
٢ الجوائف ، الواحدة جائفة : الطعنة تبلغ الجوف . هوادر : تصوت أو تغلي بالدم . المسابر : ما يسبر به الجرح ليعرف غوره .
٣ الغوارز : القليلة المطر .
٤ السيء : أرض من أراضي العرب . الضال والغرقد : ضربان من الشجر .
٥ الفضافض : الواسعة . الغيل : الماء الجاري على وجه الأرض . وقوله : عيية ، هكذا في الأصل ، والعيية : الكالة . ليتيه ، الواحد ليت : صفحة العنق . السب : الخمار .
٦ السآبي : المرتوي من الدم ، كناية عن الرمح . الخليع : من أعيا أهله خبثاً ومكراً . الشرعبي : ضرب من البرود . المعضد : ثوب له علم في موضع العضد .
٧ المغلولب : القبيلة العزيزة الممنعة . الغطامط : البحر العظيم . البوصي : ضرب من السفن .
٨ ألظ : داوم . قرقار الهدير : البعير الصافي الصوت .

ألا أُخْرِسَ الغَاوِي ، وَلا فَاهَ قَائِلٌ بأمثَالِهَا ، مَا بَلّلَ القَطرُ جَلْمَدَا
وَلا وَجَدَ الرّاجونَ أُفقكَ مُظلِماً ، وَزَنْدُ النّدَى يَوْماً بكَفّكَ مُصْلِدا
وَلا سَمِعَ الأعداءُ إلاّ بِأصْلَمٍ ، وَلا نَظَرَ الحُسّادُ إلاّ بِأرْمَدَا[1]
فلَيسَ المُنى ما عشتَ قالصَةَ الجَنَى علَينا وَلا النُّعمَى بناقصَةِ الجَدَا
بقيتَ بَقَاءَ القَوْلِ فيكَ ، فَإنّهُ إذا بَلَغَ الباقي المَدى جاوَزَ المَدَى
وَلا بَعُدَ المَأمُولُ مِنْ أنْ تَنالَهُ ، فإنْ فاتَ في ذا اليَوْمِ أدْرَكْتَهُ غَدا
وَمُلّيتَ حتّى تَسأمَ العَيشَ مَلّةً ، فَلَوْ خُلّدَ الأقْوَامُ كنتَ المُخَلَّدَا

ساعة بين نيل العز والذل

يمدح الصاحب إسماعيل بن عباد
ولم ينفذها إليه وذلك سنة ٣٧٥ :

إبَاءٌ أقَامَ الدّهْرَ عَنّي وَأقْعَدَا ، وَصَبْرٌ عَلى الأيّامِ أنْأى وَأبْعَدَا
وَقَلْبٌ تَقَاضَاهُ الجَوَانِحُ أنّةً ، إذا رَاحَ مَلآناً مِنَ الهَمّ ، أوْ غَدَا
أخُوذٌ عَلى أيدي المَطامِعِ بالنّوَى نِزَاعاً ، وَمَا يَزْدادُ إلاّ تَبَعُّدَا[2]
إذا رَكِبَتْ آمَالُهُ ظَهْرَ نِيّةٍ ، رَأيْتَ غُلاماً غَائِرَ الشّوْقِ مُنجِدَا

١ الأصلم : المقطوع الأذن .
٢ النزاع : الشوق .

غَذِيٍّ زَمَاعٍ لا يَمَلُّ كَأنّمَا يَرَى اللّيلَ كُوراً وَالمَجرّةَ مِقوَدَا
يُلَثِّمُ عِرنِينَ الحُسَامِ بِهِمّةٍ تُكَلّفُهُ خَوْضَ اللّيَالي مُجَرَّدَا
أبَا خَاطِباً ودّي عَلى النّأيِ ، إنّني صَديقُكَ إنْ كنتَ الحُسامَ المُهَنّدَا
فإنّي رَأيْتُ السّيْفَ أنصرَ للفتَى ، إذا قَالَ قَوْلاً مَاضِياً أوْ تَوَعّدَا
أرَى بَينَ نَيْلِ العِزّ وَالذّلّ سَاعَةً مِنَ الطّعنِ تَقتادُ الوَشيجَ المُقَصَّدَا[1]
فَمَنْ أخّرَتْهُ نَفْسُهُ ماتَ عاجِزاً ؛ وَمَنْ قَدّمَتْهُ نَفْسُهُ مَاتَ سَيّدَا
إذا كَانَ إقدامُ الفَتَى ضَائِراً لَهُ ، فَما المَجدُ مَطلُوباً، وَلا العزُّ مُقتدَى
فِدًى لابنِ عبّادٍ ضَنينٌ بِنَفْسِهِ ، إذا نَقَضَ الرّوْعُ الطِّرَافَ المُمَدَّدَا[2]
وَدَبّرَ أطْرَافَ الرّمَاحِ ، وَإنّمَا يُدَبِّرُ قَبْلَ الطّعْنِ رَأياً مُسَدَّدَا
بهِ طَالَ مِنْ خَطوِي، وكنتُ كأنّني مَشَيْتُ إلى نَيْلِ المَعَالي مُقَيَّدَا
وَمَنْ ماتَ في حَبسِ المَذَلّةِ قَلبُهُ رَأى العزَّ في دارِ المَذَلّةِ مَوْلِدَا
يَسُرّ الفَتَى حَملُ النّجَادِ ، وَرُبّما رَأى حَتفَهُ في صَفحَتَيْ ما تَقَلّدَا
لنَالَ المَعالي مَنْ يُدِلّ بنَفْسِهِ ، وَلا يَذْخَرُ الآبَاءَ مَجْداً مُوَطَّدَا
وَمَا يُستَفَادُ العزّ مِنْ شيمَةِ الفَتى إذا كَانَ في دِينِ المَعَالي مُقَلِّدَا
أبَا قَاسِمٍ هذا الذي كُنتُ رَاجِياً ، لأُرْغِمَ أعْداءً ، وَأكْبِتَ حُسّدَا
إذا جَزِعَتْ أيّامُنَا كنتَ مَعْقِلاً ؛ وَإنْ ظَمِئَتْ آمَالُنَا كُنتَ مَوْرِدَا
وَلَمّا رَأيْتُ الثّوْبَ يُعفي قَرِينَهُ ، لَبِستُ إلَيكَ الشّرْعَبيّ المُعَضَّدَا

١ الوشيج : قصب الرماح . المقصد : المكسر
٢ الطراف : بيت من أدم .

وَلَوْ كانَ لا يَجني على المَرْءِ بَأسُهُ لَدَرّعَني العَزْمُ الدِّلاصَ المُسَرَّدَا
وَلَيْلٍ دَفَعْنَاهُ إلَيْكَ، كَأنّما دَفَعْنَا بِهِ لُجّاً مِنَ اليَمّ مُزْبِدَا
وَشَمسٍ خَلَعناها عَلَيكَ مَرِيضَةً، وَكُنّا لَبِسْنَاهَا رِداءً مُوَرَّدَا
وَمَلْكٍ أنِفْنَا أنْ نُقيمَ بِبَابِهِ، فَزَوّدَنَا زَادَ امرِىءٍ مَا تَزَوّدَا
وَأمْرَدَ حَيٍّ مُلْتَحٍ بِلِثَامِهِ، يَطولُ جَوَاداً قادحَ السّنّ أجرَدَا[1]
رَأى أرْجلَ الخُوصِ الخِماصِ كأنّما تُسَالِبُ أيْدِيهَا النِّجَاءَ العَمَرّدَا[2]
تَرَكْنا لأيدي العِيسِ ما خلفَ ظَهرِها وَمَنْ ذَلّ في دارٍ رَأى البُعدَ أحمَدَا
وَسِرْنا عَلى رُغْمِ الظّلامِ كَأنّنَا بُدُورٌ تُلاقي مِنْ جَنَابِكَ أسعُدَا
تَرَكْتُ إلَيكَ النّاسَ طُرّاً كَأنّني أرَى كلّ مَحجوبٍ بَعيراً مُعَبَّدَا
فَيا لَيتَ رُعيَانَ القَضِيمَةِ خَبّرُوا بأنّي رَعَيْتُ العِزّ غَضّاً مُجَدَّدَا[3]
فَلِلّهِ نُورٌ في مُحَيّاكَ، إنّهُ يُمَزِّقُ جِلبَاباً مِنَ اللّيلِ أرْبَدَا
وَلِلّهِ مَا ضَمّتْ ثَنَايَاكَ، إنّهَا ثَنَايَا جِبَالٍ تُطلِعُ البأسَ وَالنّدَى
أغرُّ ضَوْءَها، يا قِبلَةَ المَجْدِ، إنّني أرَى غُرَرَ الآمَالِ نَحوَكَ سُجّدَا
وَأنتَ الذي ما احتَلّ في الأرْضِ مقعداً مِنَ الجِدّ إلاّ اشتَقّ في الجَوّ مَصْعَدَا
إذا ظَمِئَتْ عِيسٌ إلَيكَ، فَإنّمَا حَقَائِبُهَا تَرْوِي لُجَيْناً وَعَسجَدَا

١ قادح السن : متآكلها .

٢ الخوص : الغائرة العيون . الخماص : الجياع . تسالب : تختلس . النجاء : ما ارتفع من الأرض العمرد : الطويل .

٣ القضيمة : الميرة القليلة .

تُكَتِّمُكَ الأسْرارُ حَزْماً وَفِطنَةً، وَتَفْضَحُكَ الآرَاءُ عِزّاً وَسُؤدُدَا
وَما كنتَ إلاّ السّيفَ يُعرَفُ مُنتَضًى، وَيُنكَرُ في بَعضِ المَوَاطِنِ مُغمَدَا
وَحَيٍّ جِلالٍ قَدْ صَبَحتَ بِغَارَةٍ مِنَ الخَيْلِ يَستَاقُ النّعامَ المُشَرَّدَا
وَيَوْمٍ مِنَ الأيّامِ شَوّهْتَ وَجْهَهُ بأغبَرَ كَدَّ الطّيرَ حتّى تَبَلّدَا[1]
رَمَتْ بكَ أقصَى المَجدِ نفسٌ شَرِيفَةٌ، وَقَلْبٌ جَرِيءٌ لا يَخافُ من الرّدَى
وَهِمّةُ مِقْدَامٍ عَلى كُلّ فَتْكَةٍ، يُفَارِقُ فِيهَا طَبعُهُ مَا تَعَوّدَا
مُقِيمٌ بِصَحرَاءِ الضّغائِنِ مُصْحِراً، إذا أخمَدَتْ مِن نارِها الحرْبُ أوْقَدَا
لَكَ القَلَمُ المَاضِي الذي لَوْ قَرَنْتَهُ بجَرْيِ العَوَالي كَانَ أجرَى وَأجوَدَا
إذا انْسَلّ مِنْ عَقْدِ البَنَانِ حَسبتهُ يَحوكُ على القِرْطاسِ بُرْداً مُعَمَّدَا
يُغازِلُ مِنْهُ الخَطُّ عَيْناً كَحيلَةً إذا عَادَ يَوْماً ناظِرُ الرّمحِ أرْمَدَا
وَإن مَجّ نَصْلٌ من دمِ الصِّرْبِ أحمراً أرَاقَ دَماً من مَقتَلِ الخَطبِ أسوَدَا[2]
إذا استَرْعَفَتهُ هِمّةٌ منكَ غادَرَتْ قَوَادِمَهُ تَجرِي وَعِيداً وَمَوْعِدَا
سَأُثْني بأشعارِي عَلَيكَ، فَإنّني رَأيتُ مَسُودَ القَوْمِ يُطرِي المُسَوَّدَا
فَمَا عَرّفَتْني الأرْضُ غَيرَكَ مَطلَباً، وَلا بَلّغَتْني العِيسُ إلاّكَ مَقصَدَا
ألا إنّ تَرْكَ الحَمدِ تَبخيلُ مُحسِنٍ، وَمَا بَذَلَ المِعْطَاءُ إلاّ لِيُحْمَدَا
لَئِنْ كنتُ في مَدحِ العُلى فَاغِراً فماً، فَإنّي إلى غَيرِ النّدَى باسِطٌ يَدَا
خَطَبْتُ إلَيكَ الوُدّ لا شَيْءَ غَيرَهُ، وَوِدُّ الفَتَى كالبِرّ يُعطَى وَيُجتَدَى

1 الكد : الإلحاح بالطلب . التبلد : الاستكانة والخضوع .
2 الصرب : الصبغ الأحمر .

دَعَاني إلَيْكَ العِزُّ حتّى أجبْتُهُ ، وَمَنْ طَلَبَتْهُ جُمَّةُ المَاءِ أوْرَدَا
وَإنّي لأرْجُو مِنْ جِوَارِكَ فَعْلَةً ، أغيظُ بِهَا الحُسّادَ مَثْنَى وَمَوْحَدَا
وَمَدْحُكَ هذا بِكْرُ مَدْحٍ مَدَحتُه ، وكنتُ أرُوضُ القَوْلَ حتّى تَسَدَّدَا
وَلَوْ عَلِقَتْ مِنّي بغَيرِكَ مَدْحَةٌ ، لَكُنْتُ كَمَنْ يَعتاضُ بالمَاءِ جَلمَدَا
وَلَستُ بِرَاضٍ هذِهِ لَكَ تُحفَةً ، أُضَمّنُهَا فيكَ الثّنَاءَ المُخلَّدَا
فَإنْ كانَ شِعرِي فاتَكَ اليَوْمَ آبِياً عَلَيّ ، فإنّي سَوْفَ أُعطيكَهُ غَدَا
وَلَوْلاكَ ما أوْمَى إلى المَدحِ شاعِرٌ يَعُدّ عَلِيّاً للعُلَى وَمُحَمّدَا
أبُوهُ أبُوهُ المُسْتَطيلُ بِنَفْسِهِ ، عَلى العِزّ مَصْرُوفاً بِهِ وَمُقَلَّدَا
فتًى سِنُّهُ عن خَمسَ عشرَةَ حِجّةً تُرَبّي لَهُ فَضْلاً وَمَجداً وَمَحتِدَا
فَتيُّ الصِّبَا كَهلُ الفَضَائِلِ ما مشَى إلى العُمرِ إلاّ احتَلّ في الفضْلِ مقعدَا
تَفَرّدَ لا يُفْشِي إلى غَيرِ نَفْسِهِ حَديثاً وَلا يَدعُو من النّاسِ مُنجدَا
وَلا طالِباً مِنْ دَهْرِهِ فَوْقَ قُوتِهِ ، كَفَاني مِنَ الغُدرَانِ ما نَقَعَ الصّدَى
سَأحمَدُ عَيشاً صَانَ وَجهي بمائِهِ ، وَإنْ كانَ ما أعطَى قَليلاً مُصَرَّدَا[1]
وَقالوا : لِقَاءُ النّاسِ أُنسٌ وَرَاحةٌ ، وَلَوْ كنتُ أرْضَى النّاسَ ما كنتُ مفرَدَا
طَرِبتُ إلى الفَضْلِ الذي فيكَ وَانتَشَى لذِكرِكَ شِعْرِي رَاقِداً وَمُسَهَّدَا
وَما كنتُ إلاّ عاشِقاً ضَاعَ شَجْوُهُ ، فَأصْبَحَ يَستَملي الحَمَامَ المُغَرِّدَا
وَلَيسَ عَجيباً إن طَغَى فيكَ مِقوَلٌ ، رَآكَ حَقيقاً في المَعالي ، فَجَوّدَا

---

١ المصرد : القليل .

بَعُدتُ عَنِ الإنشادِ مِن غيرِ رَغبَةٍ ، وَلكِنّني استَخلَفتُ نُعماكَ مُنشِدَا
فَمُرْني بِأمرٍ قَبلَ مَوْتي ، فإنّني أرَى المَرْءَ لا يَبقى وَإنْ بَعُدَ المَدَى
وَمَا المَيتُ إلاّ رَاحِلٌ كَرِهَ النّوَى ، وَأعْجَلَهُ المِقْدارُ أنْ يَتَزَوّدَا

بيني وبينك حرمتان

يمدحه أيضاً وقد بلغه أن شيئاً من شعره وقع
إليه فأعجب به وأنفذ إلى بغداد لانتساخ تمام شعره
وكتب بها إليه وذلك في المحرم سنة ٣٨٥ :

أثَرُ الهَوَادِجِ في عِرَاصِ البِيدِ ، مِثْلُ الجِبَالِ عَلى الجِمَالِ القُودِ
يَطلُعنَ مِنْ رَمْلِ الشّقيقِ لَوَاغِباً، زَحفَ الجَنُوبِ بعارِضٍ مَمدُودِ[1]
كَمْ بانَ في المُتَحَمّلينَ عَشيّةً ، مِن ذي لَمًى خَصِرِ الرّضَابِ بَرُودِ[2]
وَقَضِيبِ إسحِلَةٍ لَوِ انعَطَفَ الصّبَا يَوْماً لَنَا بِقَوَامِهِ الأُمْلُودِ[3]
مَرّوا على رَمْلَيْ زَرُودَ ، فهَلْ تَرَى إلْصَاقَةً لِحَشًى بِرَمْلِ زَرُودِ
مُتَلَفّتِينَ مِنَ القِبَابِ ، كَأنّمَا انتَقَبُوا بأعيُنِ رَبْرَبٍ وَخُدُودِ

١ اللواغب : المعيية . العارض : الجبل .
٢ الخصر : البارد .
٣ الإسحلة : شجرة تشبه الأثل تعمل منها المساويك .

غَرَسُوا الغُصُونَ عَلى النَقَا وَتَرَنَّحوا مِنْ كُلِّ مَائِلَةِ الغَدائِرِ رُودِ[1]
إنَّ اللآلي بَينَ أصْدافِ اللَّمَى ، غَلَبَتْ مَرَاشِفُهَا عَلى مَجلُودِي
وَلَوَوْا بوَعْدِي يومَ خَفَّ قَطِينُهم ، وَمِنَ الصُّدُودِ التّيُّ بالمَوْعُودِ
لَمْ تُرْضِنِي تِلْكَ اللّيالي عَنهُمُ بِنَوَاهِمْ ، فأقُولَ يَوْماً : عُودِي
سِيّانِ قُرْبُهُمُ عَليّ ، وَبُعدُهُمْ ، لَوْلا الجَوَى وَعَلاقَةُ المَعْمُودِ[2]
رَبَعَتْ عَلى آثَارِكُمْ نَجدِيَّةٌ ، غَرّاءُ ذاتُ بَوَارِقٍ وَرُعُودِ
تَسقي مَعالِمَ منكُمُ ، لَوْلا النّوَى لَمْ أرْمِهَا بِقِلًى ، وَلا بِصُدُودِ
وَلَعُجْتُ فيها طارِحاً عَنْ نَاظِرِي ، ثِقْلَ الدّمُوعِ ، وَثانِياً مِنْ جِيدِي
هَلْ تَبْرُدُونَ حَرَارَةً مِنْ حَائِمٍ حَرّانَ عَنْ ذاكَ الغَديرِ مَذُودِ
فَلَقَدْ تَمَعّكَ في مَوَاطىءِ عيسكمْ يَوْمَ الوَداعِ ، تَمَعُّكَ المَوْؤودِ[3]
وَأمَا وَذَيّاكَ الغُزَيّلُ إنّهُ عَرَضَ الزّلالَ وَحالَ دونَ وُرُودِي
أغْدُو إلى طَرْدِ الظِّبَاءِ ، وَأنْثَنِي ، وَأنَا الطّرِيدَةُ للظّبَاءِ الغِيدِ
حتامَ تَعْتَلِقُ البَطالَةُ مِقْوَدي ، وَيَعُودُني لِهَوَى الظّعَائِنِ عِيدِي
عِشْرُونَ أرْدَفَها الزّمَانُ بِأرْبعٍ ، أرْهَفنَنِي ، وَمَنَعنَ مِنْ تَجرِيدِي[4]
أعْلَقْتُ في سِرْبِ الخُطُوبِ حَبَائِلي ، وَقَدَحتُ في ظُلَمِ الأمورِ زُنُودِي

١ الرود : الشابة الحسنة .

٢ المعمود : الذي ضناه العشق .

٣ تمعك : تمرغ . الموؤود : المدفون حياً .

٤ أرهفنني : رققنني .

وَكَرَعْتُ في حُلْوِ الزّمَانِ وَمُرّهِ ... ما شِئتُ وَاعتَقَبَ العَوَاجمُ عُودي[1]
وَفَرَعْتُ رَابِيَةَ العُلَى، مُتَمَهِّلاً، ... أجْرِي أمَامَ الطّالِبِ المَجْهُودِ
وَخَبَطْتُ في المُتَعَرّضِينَ بِقَوْلَةٍ ... جَدّاءَ مِنْ بِدَعِ الزّمانِ شَرُودِ[2]
فضَرَبْتُ أوْجُهَهُمْ بِغَيرِ مَنَاصِلٍ، ... وَهَزَمْتُ جَمعَهُمُ بِغَيرِ جُنُودِ
مَا ضَرّني، لمّا فَلَلْتُ غُرُوبَهُمْ، ... أنّي كَثُرْتُ لهُمْ وَقَلّ عَدِيدِي
وَأبي الذي حَسَدَ الرّجَالُ قَدِيمَهُ؛ ... إنّ المَنَاقِبَ آيَةُ المَحْسُودِ
ذو السّنّ وَالشّرَفِ الذي جَمَعَتْ بِهِ ... كَفّاهُ أخمِطَةَ العُلَى. وَالجُودِ[3]
إحدَى أخامِصِهِ رِقَابُ عُدَاتِهِ، ... مِنْ سَيّدٍ بَلَغَ العُلَى وَمَسُودِ
فَالآنَ إذْ نَبَذَ المَشيبُ شَبِيبَتي، ... نَبْذَ القَذَى، وَأقامَ مِنْ تَأوِيدِي
وَفَرَرْتُ مِنْ سِنّ القَرُوحِ تَجارِباً، ... وَعَسَا عَلى قَعَسِ السّنِينَ عَمُودِي[4]
وَلَبِستُ في الصِّغَرِ العُلَى مُسْتَبْدِلاً ... أطْوَاقَهَا بِتَمَائِمِ المَوْلُودِ
وَصَفَقْتُ في أيدي الخَلائِفِ رَاهِناً ... لَهُمُ يَدِي، بِوَثائِقٍ وَعُقُودِ[5]
وَحَلَلْتُ عِندَهُمُ مَحَلّ المُجتَبَى، ... وَنَزَلْتُ مِنْهُم مَنزِلَ المَوْدُودِ
فَغَرَ العَدُوُّ يُرِيدُ ذَمّ فَضَائِلي؛ ... هَيهَاتَ ألْجِمَ فُوكَ بالجُلمُودِ
هَمساً، فكَمْ أسكَتُّ قَبلَكَ كاشحاً ... بِمَنَاقِبي، وَعَليّ فَضْلُ مَزِيدِ

١ اعتقب : تفحص .
٢ جداء : لعله أراد جديدة .
٣ الأخمطة ، الواحد خمط : اللبن الطيب الريح .
٤ القعس : خروج الصدر .
٥ صفقت : أراد بايعتهم بالخلافة .

مَا لي أُرِيغُ النَّصْفَ مِنْ مُتَحَامِلٍ ، أوْ أطلُبُ الإجْمَالَ عِندَ حَسُودِ
أمْ كَيفَ يَرْأمُني ،ولَيسَ بمُنجِبي ، أتَرَى الرّؤومَ تكونُ غَيرَ وَلُودِ
فَلأنْهَضَنّ إلى المَعَالي نَهْضَةً مِلءَ الزّمانِ تَفي بطُولِ قُعُودي
إجمَحْ أمَامَكَ إنْ هَمَمْتَ بفَعلَةٍ ، وَتَغابَ عَنْ عذْلٍ وَعَنْ تَفنِيدِ[1]
وَإذا التَفَتَّ إلى العَوَاقِبِ بَدّلَتْ قَلْبَ الجَرِيّ بِمُهْجَةِ الرِّعْدِيدِ
قَدْ قُلْتُ للإبلِ الطِّلاحِ حَدَوْتُهَا غَلَسَ الظّلامِ بِسَائِقٍ غِرّيدِ
مِنْ كُلّ مُضْطَرِبِ الزّمَامِ ،كأنّهُ في اللّيْلِ زُمّ بِأرْقَمٍ مَطْرُودِ
فَتَلَ الطّوَى أجْوَافَهَا بِظُهُورِها ، وَأحَلّ أكْلَ لحُومِهَا للبِيدِ
إنْ لمْ تَرَيْ كَافي الكُفَاةِ ، فلَم يزَل مِنكُنّ مَسْقِطُ ظالِعٍ أوْ مُودِ[2]
بِهُداهُ يَسْتَضْوِي الوَرَى وَبِهَدْيِهِ قَرُبَ الطّرِيقُ لَهُمْ إلى المَعْبُودِ
أسَدٌ إذا جَرّ القَبَائِلَ خَلْفَهُ ، حَلّ الطُّلَى بِلِوَائِهِ المَعْقُودِ
وَمُقَصِّرٍ في الطُّولِ غَيرِ مُقَصِّرٍ في الضّرْبِ يَقطَعُ كلّ حَبلِ وَرِيدِ
وَمُزَعزَعٍ مثلِ الجَرِيرِ، إذا انْحنَى للطّعْنِ شُيِّعَ بالطّوَالِ المِيدِ[3]
مَا مَرّ يَسْحَبُ مِنهُ إلاّ رَدّهُ رَيّانَ يَقْطُرُ مِنْ دِمَاءِ الصِّيدِ
وَالجَيشُ يَرْفَعُ عِمّةً مِنْ قَسطَلٍ فَوْقَ القَنَا وَيَجُرّ ذَيلَ حَدِيدِ
سَلَفٌ لِكُلّ كَتيبَةٍ يَطَأُ العِدَى، فِيهَا مُفَاجَأةٌ بِغَيرِ وَعِيدِ

١ اجمح أمامك : أي أسرع ، لا يردك شيء .
٢ الظالع : الغامز في مشيه . المودي : الهالك .
٣ الجرير : الحبل .

فِي غِلْمَةٍ حَمَلُوا القَنَا ، وَتَحَمَّلُوا أَعْبَاءَ يَوْمِ المَأزِقِ المَشْهُودِ
قَوْمٌ ، إذا رَكِبُوا الجِيَادَ تَجَلْبَبُوا بِقَسَاطِلٍ وَتَعَمَّمُوا بِبُنُودِ
وَإذا سَرَوْا كَمَنُوا كُمُونَ أرَاقِمٍ ؛ وَإذا لَقُوا بَرَزُوا بُرُوزَ أُسُودِ
وَإذا هَتَفْتَ بِهِمْ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ، تَدْمَى غَوَارِبُ نَحرِهَا المَوْرُودِ
كَثَرُوا الحَصَى بِجُمُوعِهِمْ وَتَلاحَقُوا بِكَ مِنْ قِيَامٍ فِي السُّرُوجِ قُعُودِ
كَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ أبَاتَ كَأنَّمَا يَطْوِي الضُّلُوعَ عَلَى قَنًا مَقْصُودِ
لِوَعِيدِ مُحتَضِرِ العِدَى بِحُسَامِهِ ، قَبْلَ احْتِمَالِ ضَغَائِنٍ وَحُقُودِ
وَمُؤلَّلاتٍ كَالرِّمَاحِ تَلَمَّظَتْ فِيهَا المَنُونُ تَلَمُّظَ المَزْؤودِ[1]
سُودُ المَخَاطِمِ يَنْتَظِمْنَ مَحَاسِناً بِيضاً ، يُضِئْنَ عَلَى اللّيَالي السُّودِ
كَتَفَتّحِ النُّوّارِ فَتّقَهُ الحَيَا ، أوْ كَالصَّبَاحِ فَرَى الدُّجَى بِعَمُودِ
ما زَالَ قَدْرٌ مِنْ عَقِيرَةِ سَيْفِهِ عَلَماً أمَامَ رِوَاقِهِ المَمْدُودِ
وَجِفَانِ جُودٍ كَالرّكَايَا تُستَقَى أبَداً بِأيْدِي نُزّلٍ وَوُفُودَ
كَمْ حَجّةٍ لكَ فِي النّوَافلِ نَوّهَتْ بِدُعَاءِ دِينِ العَدْلِ وَالتّوْحِيدِ
وَمُجَادِلٍ أدْمَى جِدالُكَ قَلْبَهُ ، وَأعَضَّهُ بِجَوَانِبِ الصَّيْخُودِ[2]
وَشَفَيتَ مُعتَرِضَ الهُدَى من مَعشرٍ سَدّوا مِنَ الآرَاءِ غَيرَ سَدِيدِ
قَارَعْتَهُمْ بالقَوْلِ حتّى أذْعَنُوا، وَأطَلْتَ نَوْمَ الصّارِمِ المَغْمُودِ

١ المؤللات : المحددات الأطراف . التلمظ : التذوق . المزؤود : المذعور .
٢ الصيخود : الصخر الشديد .

جَمْرٌ بِمَسهَكَةِ الرِّيَاحِ نَسَفْتَهُ ، كَانَ الضَّلالُ يَمُدُّهُ بوَقُودِ[1]
فِي كُلِّ مُعضِلَةٍ أَضَبَّ رِتَاجُهَا ، يُلْقي إلَيكَ الدِّينُ بالإقْلِيدِ[2]
فَاللهُ يَشْكُرُ وَالنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَقَفَاتِ مُبْدٍ فِي النِّضَالِ مُعِيدِ
رَأْيٌ يُغَبّ ، إذا الرِّجالُ تَلَهْوَجُوا الآرَاءَ ، أَوْ عَجِلُوا عَنِ التَّسْدِيدِ[3]
لَوْ كَانَ يُمكِنُنِي التَّقَلّبُ لَمْ يكُنْ إلاّ إلَيْكَ تَهَائمي وَنُجُودِي
وَطَوَيتُ ، ما بَعُدَتْ ، مَسافَةَ بَينِنَا ، إنّ البَعِيدَ إلَيْكَ غَيرُ بَعِيدِ
وَأَنَختُ عِيسِي فِي جَنَابِكَ طَارِحاً بِفِنَاءِ دارِكَ أَنْسُعِي وَقُتُودِي[4]
وَتَرَكْتُ أسوُقَهَا نُكُوسَ عَقيرَةٍ مُتَبَدّلاتِ صَوَارِمٍ بِقُيُودِ
بَيْنِي وَبَينَكَ حُرْمَتَانِ تَلاقَتَا ، نَثْرِي الذي بِكَ يَقتَدي وَقَصِيدِي
وَوَصَايِلُ الأَدَبِ الذي تَصِلُ الفَتَى لا بِاتّصَالِ قَبَائِلٍ وَجُدُودِ
قَدْ كنتُ أعقِلُ عَن سِوَاكَ عَقَائِلي ، وَأَصُونُ دُرّ قَلائِدي وَعُقُودِي
وَأَحوكُ أفوَافَ القَرِيضِ ، فَلا أرَى أنّي أُدَنِّسُ بِاللّئَامِ بُرُودِي
وَلَقَدْ ذَمَمتُ النّاسَ قَبلَكَ كُلَّهم ، فَالآنَ طُرّقَ لي إلى المَحْمُودِ
إنْ أُهْدِ أَشْعَارِي إلَيْكَ ، فَإنّهُ كَالسَّرْدِ أعْرِضُهُ عَلى داوُدِ
لَكِنّنِي أعطَيتُ صَفوَ خَوَاطِرِي ، وَسَقَيْتُ ما صَبّتْ عَلَيّ رُعُودِي
وَسَمَحْتُ بالمَوْجُودِ عِندَ بَلاغَتي ؛ إنّي كَذاكَ أجُودُ بِالمَوْجُودِ

١ المسهكة : ممر الريح الشديدة .
٢ أضب : صوت . الإقليد : المفتاح .
٣ يغب : يحمد غبه ، عاقبته . تلهوجوا : لم يبرموا أمرهم .
٤ الأنسع ، الواحد نسع : السير تشد به الرحال . القتود ، الواحد قتد : خشب الرحل ..

رداء من الجمال

يمدح الوزير أبا نصر سابور بن ازدشير
وكتب بها إليه وهو بالأهواز بعقب زوال وحشة
كانت بينه وبين والده ويذكره بالوصلة التي
كانت بينهما على بنت الوزير ثم انفسخ ذلك :

أُعَاتِبُ أيّامي ،وَمَا الذّنْبُ وَاحِدٌ . وَهُنّ اللّيَالي البَادِيَاتُ العَوَائِدُ
وَأهْوَنُ شيءٍ في الزّمَانِ خُطُوبُهُ ، إذا لَمْ يُعَاوِنْهَا العَدُوُّ المُعَانِدُ
وكَيفَ تَلَذُّ العَيشَ عَينٌ ثَقيلَةٌ على الخَلْقِ أوْ قَلبٌ على الدّهرِ وَاجِدُ
وناصبُ مالٍ ،وهوَ في الجُودِ فائضٌ ، وناقصُ حَظٍّ . وهوَ في المَجْدِ زائدُ
نَضَوْتُ شَبَاباً لمْ أنَلْ فيهِ سُبّةً . عَلَى أنّ شَيطَانَ البَطَالَةِ مَارِدُ
وكنتُ قَصِيرَ البَاعِ عَنْ كُلّ مُجرِمٍ ، وَمِنْ عِنْدَدي قَلبٌ جَرِيٌّ وَسَاعِدُ
وَعِنِدي إبَاءٌ لا يَلِينُ لغَامِزٍ ، وَلَوْ نَازَعَتْنِيهِ الرِّقَاقُ البَوَارِدُ[1]
وكلُّ فتًى لم يَرْضَ عن عَزْمَةِ القَنا ، ذَليلاً ، ولَوْ ناجَى عُلاهُ الفَرَاقِدُ
وَلَوْلا الوَزِيرُ الأزْدَشيرِيُّ وَحْدَهُ ، لَغَاضَ المَعالي وَالنّدَى وَالمَحامِدُ
وَسُدّ طَرِيقُ المَجدِ عَن كلّ سالكٍ ، وَضَاقَتْ عَلى الآمَالِ هذي المَوَارِدُ
فَتًى نَفَحَتْني مِنْهُ رِيحٌ بَلِيلَةٌ ، تُغادِرُ عُودي وَهوَ رَيّانُ مائِدُ
وَمَدّ بضَبْعي يَوْمَ لا العَزْمُ ناصِرٌ ، وَلا الرّمْحُ مَنّاعٌ ،ولا العَضْبُ ذائِدُ

[1] الرقاق البوارد : السيوف القواتل .

وَسَاعَدَ جَدّي في بُلُوغي إلى العُلى، وَمَا بَلَغَ الآمَالَ إلاّ المُسَاعِدُ
عَلى حِينَ وَلاّني المُقَارِبُ صَدَّهُ ، وَزَادَ عَلى الصّدّ العَدُوُّ المُبَاعِدُ
تَوَدُّ العُلَى طُلاّبُهَا، وَهوَ وَادِعٌ، وَيَبْلُغُ مَا لمْ يَبلُغُوا ، وَهوَ قاعِدُ
يُخَلّي لَهُ عَنْ كُلّ عِزٍّ وَسُؤدُدٍ ، وَيُلْقَى إلَيْهِ في الأمُورِ المَقالِدُ
أنِيسُ سُرُوجِ الخَيْلِ في كلّ ظُلْمةٍ ، وَبَينَ الغَوَاني مَضْجَعٌ مِنهُ بَارِدُ
هُمُومٌ تُنَاجَى بِالعَلاءِ وَهِمّةٌ لهَا فَارِطٌ في كُلّ مَجدٍ وَرَائِدُ[1]
يُعَلّمُهُ بَهْرَامُ كُلَّ شَجَاعَةٍ ، وَيُقْطِعُهُ أقْصَى المَعالي عُطَارِدُ[2]
وَكَيْفَ يَغَصُّ الأقْرَبُونَ بِوِرْدِهِ وَقَدْ نَهِلَتْ مِنْهُ الرّجَالُ الأبَاعِدُ
لكَ اللهُ مَا الآمَالُ إلاّ رَكَائِبٌ ، وَأنْتَ لهَا هَادٍ وَحَادٍ وَقَايِدُ
أبَى لكَ إلاّ الفَضْلَ نَفْسٌ كَرِيمَةٌ ، وَرَأيٌ إلى فِعْلِ الجَميلِ مُعَاوِدُ
وَطَوْدٌ مِنَ العَلْيَاءِ مُدّتْ سُمُوكُهُ فَطالَتْ ذُرَاهُ وَاطمَأنّ القَوَاعِدُ
وَإنّي لأرْجُو مِنْ عَلائِكَ دَوْلَةً تُذَلّلُ لي فِيهَا الرّقَابُ العَوَانِدُ
وَيَوْماً يُظِلّ الخَافِقَيْنِ بِمُزْنَةٍ رَذاذٍ ، غَوَادِيها الرّؤوسُ الشّوَارِدُ
لأعْقِدَ مَجداً يُعجِزُ النّاسَ حَلُّهُ ، وَتَنحَلّ مِنْ هَامِ الأعَادي مَعاقِدُ
فَمَنْ ذا يُرَامِيني وَلِي مِنكَ جُنّةٌ ؛ وَمَنْ ذا يُدانِيني وَلِي منكَ عَاضِدُ
عَلَيّ رِداءٌ مِنْ جَمالِكَ وَاسِعٌ ، وَعِنْدِيَ عِزٌّ مِنْ جَلالِكَ خَالِدُ
وَلَوْ كُنتُ مِمّنْ يَملِكُ المَالُ رِقَّه لَقُلتُ بعُنْقي مِنْ نَداكَ قَلائِدُ

١ الفارط : السابق إلى الماء .
٢ بهرام : هو المريخ عند الفرس . عطارد : نجم معروف .

فَلا تَتْرُكَنّي عُرْضَةً لمُضَاغِنٍ يُطَارِدُ في أضْغَانِهِ وَأُطَارِدُ
وَلَوْلا صُدُودٌ منكَ هانَتْ عَظائِمٌ تَشُقّ على غَيرِي وَذَلّتْ شَدائِدُ
وَلكِنّكَ المَرْءُ الذي تَحتَ سُخطِهِ أسُودٌ تَرَامَى بالرّدَى وَأسَاوِدُ
كَأنّكَ لِلأرْضِ العَرِيضَةِ مَالِكٌ وَحيداً ، وَللدّنْيا العَظِيمَةِ وَالِدُ
فَعَوْداً إلى الحِلْمِ الذي أنْتَ أهلُهُ ، فمِثْلُكَ بالإحْسَانِ بَادٍ وَعَائِدُ
وَحَامٍ عَلى مَا بَيْنَنَا مِنْ قَرَابَةٍ ، فإنّ الذي بَيْني وَبَيْنَكَ شَاهِدُ
وَأرْعِ مَقَالي مِنكَ أُذْناً سَميعَةً ، لَهَا بِلِقَاءِ السّائِلِينَ عَوَائِدُ
وَمُرْ بجَوَابٍ يُشْبِهُ البَدْءَ عَوْدُهُ ، لِيُرْدِي عَدُوّاً ، أوْ لِيكبِتَ حاسِدُ[1]

آكافينا النصيح

قال بديهاً لكافي الكفاة وزير بهاء
الدولة وقد عاتبه على تأخره عنه :

أكَافِينَا النّصِيحَ بَقِيـ تَ فِينَا دائِماً أبَدَا
تَحُثّ إلى العُلَى قَدَماً ، وَتَبْسُطُ بِالنّوَالِ يَدَا
لَئِنْ حَرّقْتَني عَذْلاً ، لَقَدْ نَوّهْتَ بي صُعُدَا
فَطُلْتُ الأطْوَلِينَ عُلًى ، وَفُتُّ الأبْعَدِينَ مَدَى
عَلَيّ طُرُوقُ وِرْدِكُمُ ، وَلَيْسَ عَلَيّ أنْ أرِدَا

---

[1] ليكبت : ليخزى .

نفس صبارة

يمدح أباه ويذم الزمان لخطوب طرقته ،
وذلك سنة أربع وسبعين وثلاثمائة :

إذا احتَبَى بالعُشُبِ الوَادِي ، وَانْحلّ فيهِ الوَاكِفُ الغَادِي
وَفَوّفَتْ رِيحُ الصَّبَا مَتْنَهُ تَفْوِيفَ أعْلامٍ وَأبْرَادِ[1]
فَلا سَقَاكِ اللهُ مِنْ صَفْوِهِ ، أوْ تُنجِزِي في السّيرِ مِيعَادِي
رُبّ طِلابٍ أتْلَعٍ رُمْتُهُ ، وَحَاجَةٍ عَالِيَةِ الهَادِي[2]
مُعْتَجِراً باللّيْلِ أحْدُو بِهِ بَزْلاءَ تَسْتَوْلي عَلى الحَادِي[3]
لا أرِدُ المَاءَ ، وَلَوْ أنّني ضَجيعُ أسْدامٍ وَأعْدَادِ[4]
كَأنّني رَوْعَاءُ مَطْرُودَةٌ يَزْوَرّ عَنْهَا جَانِبُ الوَادِي
هذا ، وَكَمْ فَيضٍ تَرَشّفْتُهُ ، وَالمَاءُ لا يُلْوِي عَلى الصّادِي
تَؤمّ بي الخَرْقَاءَ مَخطُومَةً أمَامَ وُرّادٍ وَرُوّادِ[5]
أشْرَفُ بَيْتٍ مِنْ بَني هاشِمٍ ، وَخَيْرُ أطْنَابٍ وَأعْمَادِ

١ فوفت : خططت .
٢ الأتلع : الطويل . الهادي : العنق .
٣ المعتجر : الذي يلف عمامته على رأسه . البزلاء : الناقة التي شق نابها .
٤ الأسدام ، الواحد سدم : الهم مع الندم ، الغيظ مع الحزن . الأعداد ، الواحد عد : الماء الجاري لا ينقطع .
٥ الخرقاء : الأرض الواسعة . مخطومة : أراد ناقة مخطومة ، أي موضوع لها زمام .

أَلقَتْ إلَيْهِ نَاقَتي ،في السُّرَى ، فُضُولَ إتْهامي وَإنْجادي
تَرَكْتُ مَنْ لَيستْ لَهُ هِمّةٌ مُلْتَفِتاً في المَاءِ وَالزّادِ
تَلَوْتَ مُوسَى بابنِهِ في العُلَى ، بفَضْلِ أجْدادٍ وَأجْدادِ
نِعْمَ حِمَى الدّرْعِ لِيَوْمِ الوَغى أنْتَ وَرَاعي الحِلْمِ للنّادي
إذا القَنَا مُدّ مَدَى بَاعِهِ عَانَقْتَهُ في ثَوْبِ فِرْصَادِ[1]
أدعُوكَ ، وَالدّهرُ لَهُ وَقْفَةٌ مَا بَيْنَ إصْداري وَإيرَادي
لمِثْلِهَا أدْعُو بَنَاتِ السُّرَى ، تَخْلِطُ أعْنَاقاً بأعْضَادِ
نَفسي ، كمَا تَعرِفُ ، صَبّارَةٌ لَوْ لمْ يَفُضَّ الخطبُ مِنْ آدِي[2]
وَلَوْ أمِنْتَ الدّهْرَ أحْداثَهُ صَافَحتَ كَفَّ الضّيغَمِ العادي
ما لي لا أرْغَبُ عَنْ بَلْدَةٍ تَرْغَبُ في كَثْرَةِ حُسّادي
مَا الرّزْقُ بالكَرْخِ مُقيمٌ ، وَلا طَوْقُ العُلَى في جيدِ بَغْدادِ
بِكُلّ أرْضٍ ، إنْ تَوَرّدْتُها ، دِيَارُ أشْكَالٍ وَأضْدادِ
أنْحَلَني فيهَا طِلابُ العُلَى ، وَذاكَ فَخرِي عِندَ أنْدادي
لَوْ كَانَ دائي مِنْ غَرَامِ الهوَى جزِعْتُ مِنْ أبْصَارِ عُوّادي
أينَ الغَوَاني مِنْ طِلابي ، وَمَا أطْلُبُ إلاّ الرّائِحَ الغَادي
أكْثَرُ مَا يَلْقَيْنَني سَاهِراً مَا بَيْنَ أعْرَافٍ وَأكْتَادِ[3]

١ الفرصاد : التوت الأحمر .
٢ من آدي : أراد من قوتي .
٣ الأعراف ، الواحد عرف : شعر عنق الفرس . الأكتاد . الواحد كتد : ما بين الكاهل إلى الظهر.

وَقَلّ ما يَلْقَيْنَني رَاقِداً ... ما بَيْنَ أحْشاءٍ وَأجْيَادِ
إنْ مَسّني نَابُ الرّدَى لمْ أقُلْ ... يا لَيْتَ مَوْتي كَانَ مِيلادِي
سِيّانِ ما سَيْرِي عَلى سَابِحٍ ... أوْ شَرْجَعٍ تَخْفِقُ أبْرَادِي[1]
وَمَا مُقَامُ الحُرّ في عِيشَةٍ ... لَهَا المَقَادِيرُ بِمِرْصَادِ
تَفدِي الفَتَى في عَيشِهِ ألسُنٌ ، ... وَمَا لَهُ مِنْ حَتْفِهِ فَادِ
قَالوا ، وَمَا أُنْكِرُهَا قَوْلَةً ... مِنْ مَائِقٍ في الغَيّ مُنْقَادِ[2]
الظّلْمُ وَالإنصَافُ من فِعلِ مَنْ ... يَحكُمُ في الحَاضِرِ وَالبَادِي
فَقُلْتُ : إنّي وَجَمِيعَ الوَرَى ... مِنْهُ عَلى وَعْدٍ وَإيعَادِ
إنْ كَانَ إسْلامي عَلى هَذِهِ ، ... فَكُلُّ غَيٍّ عِنْدَ إرْشَادِي
هَيهَاتَ لا أحْسُدُ ذا قُدْرَةٍ ، ... وَلَوْ حَوَى عَاقِرَ أغْمَادِي[3]
وَلَوْ حَسَدتُ الفَضْلَ في أهلِهِ ، ... حَسَدْتُ آبَائي وَأجْدادِي

١ الشرجع : الجنازة
٢ المائق : الأحمق .
٣ عجز البيت غامض

عصبة ترى الجور عدلاً

يمدحه ويهنئه بعيد الأضحى
ويعرض بذم ابن عبد الله وزير
عضد الدولة وذلك بعد وفاته
لعداوة كانت بينهما سنة ٣٧٦ :

شَقِيَتْ مِنكَ بالعَلاءِ الأعادي، وَالمَعَالي ضَرَائِرُ الحُسّادِ
وَاستَقَادَ الزّمَانُ بَعدَ التّداني مِنْ رِجَالٍ تَفَاءَلُوا بالبِعَادِ
وَرَعَيْتَ الإيَابَ غَضّاً جَدِيداً ، وَتَبَدّلْتَ مَطْمَحاً بالقِيَادِ[1]
وَإذا مَا الشّجَاعُ شَمّرَ بُرْدَيْـ ـهِ ، فَلِلّهِ أيُّ يَوْمِ جِلادِ
أمْرَعَتْ أرْضُنَا بِكُلّ مَكَانٍ ، وَاستَجابَتْ لَنا بُرُوقُ الغَوَادي
وَحَبَانَا بِوَبْلِهِ كُلُّ أُفْقٍ ، وَأتَانَا بِسَيْلِهِ كُلُّ وَادِ
أتُرَى آنَ للمُنَى أنْ تُقَاضِي حَاجَةً طَالَ مَطْلُهَا في الفُؤادِ
بَيْنَ هَمٍّ تَحتَ المَنَاسِمِ مَطْرُو حٍ ، وَعَزْمٍ عَلى ظُهُورِ الجِيَادِ[2]
وَمَهَارٍ يَكُدُّهَا كُلَّ يَوْمٍ طَرَدٌ ، أوْ قَوَارِحُ في الطّرّادِ[3]
مِنْ قُلُوبٍ لهَا التّقَلّبُ في العَزْ مِ ، وَأيْدٍ طَلِيقَةٍ بالأيَادي[4]

---

١ المطمح ، من الطموح : الجماح .
٢ الهم : الهمة .
٣ الطرد : الصيد .
٤ الأيادي : النعم ، الواحدة يد .

مَا يُبَالي الهُمَامُ أيْنَ تَرَقّى ، وَخِبَاءُ العُلَى أمِينُ العِمَادِ
يا حَيَاةً يَشجَى بهَا كُلُّ حَيٍّ ، وَالتّوَالي شَجِيّةٌ بِالهَوَادِي[1]
إنْ سَمَا بالنّفَاقِ غَيرُكَ ، فالأوْ عَالُ مَلْوِيّةٌ عَلى الأطْوَادِ
أوْ تَعَاطَى مَدَاكَ ، فالمَرْءُ مَسبُو قٌ إذا كَفَّ مِنْ عِنَانِ الجَوَادِ
حرّكَتْ عَزْمَةَ المَعَالي ، وَلكنْ يُحدِثُ السّيلُ خِفّةً في الجَمادِ
كَيفَ يَستَعمِلُ السّماحَ وَبَذْلَ الـ مَالِ غَيرُ المُعَلَّمِ المُستَفَادِ
نحنُ في عُصْبَةٍ تَرَى الجَوْرَ عدلاً ، وَتُسَمّي الضّلالَ دارَ رَشَادِ
في رِجَالٍ تَهزَا بوَفْدِ المَعالي ، وَدِيَارٍ تَسْطُو عَلى الوُرّادِ
إنّمَا أنْتَ نِعْمَةُ اللهِ في الأرْ ضِ ، إذا كَانَ نَقمَةً للعِبَادِ
لكَ طَبْعٌ تَعَرّفَتْهُ اللّيَالي ، وَامترَى فيهِ كُلُّ قَارٍ وَبَادِي
جاعِلٌ قَسْوَةَ الوَعِيدِ عَلى الأيّا مِ عَبْداً لِرِقّةِ المِيعَادِ
أيَكُونُ البَخيلُ غَيرَ بَخيلٍ ، أمْ يَكُونُ الجَوَادُ غَيرَ جَوَادِ
لأجَارَ الزّمَانُ مِنْ كلّ بُؤسٍ ظاهرَ الجَدّ طَاهِرَ الأجْدادِ
فَرِحَاتٌ بِهِ العُيُونُ كَمَا تَفْـ رَحُ بِالعُشْبِ أعيُنُ الرُّوّادِ
وَاضِحُ العَزْمِ مُتْلَئِبّ المَطَايَا ، مُستَطِيبُ الإتْهَامِ وَالإنْجَادِ[2]
أخَذَتْ كَفُّهُ بصَخْرَةِ عَزْمٍ دَوّخَتْ بالطِّلابِ هَامَ البِلادِ
وَجَبَانٍ لَوَيْتَ عَنهُ ، فَأمسَى وَجِلَ العَينِ مِنْ قِرَاعِ الرُّقَادِ

[1] الهوادي : المتقدمات ، ضد التوالي .
[2] المتلئب : المستقيم ، المنتصب .

مُسْتَطِيراً كَأَنَّ هُدّابَ جَفْنَيْـ ... ـهِ عَلَى النّاظِرِينِ شَوْكُ القَتَادِ
لا أقَالَ الإلَهُ مَنْ خَانَكَ العَهْـ ... ـدَ ، وَجازَاكَ بَغْضَةً بالوَدادِ
ظَنّ بالعَجزِ أنّ حَبْسَكَ ذُلٌّ ، ... وَالمَوَاضِي تُصَانُ بِالأغْمَادِ
قَصّرَ الدّهْرُ مِنْ ذُرَاهُ ، وَقَدْ كَا ... نَ بتلكَ الظُّبَى طَوِيلَ النِّجادِ
وَأذَلّ الزّمَانُ بَعْدَكَ عِطْفَيْـ ... ـهِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أعَزّ العِبَادِ
كُنتَ لَيثاً ، وَكانَ ذِئباً ، وَلكِنْ ... لا تَلَذُّ الأشْكَالُ بِالأضْدادِ
وَتَمَادَى بِمَا جَنَاهُ عَلَى الأ ... يّامِ حتّى جَنَى عَلَيهِ التّمَادي
سَمَحَتْ كَفُّهُ بِهِ لِلمَنَايَا ، ... بَعدَ أنْ لمْ يكُنْ مِنَ الأجْوَادِ
ظَنّ أنّ المَدَى يَطُولُ وَفي الآ ... مالِ مَا لا يُعَانُ بِالأجْدَادِ
كُلُّ حَيٍّ يُغالِطُ العَيشَ بالدّهْـ ... ـرِ وَكُلٌّ تَعدُو عَلَيْهِ العَوَادي
لَوْ رَجَعْنَا إلى العُقُولِ يَقِيناً ، ... لَرَأيْنَا المَمَاتَ في الميلادِ
كَيفَ لا يَطلُبُ الحِمامَ عَليلٌ ... حكَمَ الدّهرُ فيهِ رَأيَ المَعَادِ
لَوْ أُجيزَتْ لَهُ العِيادَةُ يَوْماً ... لَقَضَى مِنْ فَظَاظَةِ العُوّادِ
أوْ تَصَدّى لمَجْمَعٍ جرَحَتْهُ ... ألسُنُ القَوْمِ بالعُيُونِ الحِدادِ
هكَذا تُدْرِكُ النّفُوسُ مِنَ الأعْـ ... ـداءِ بَرْدَ القُلُوبِ وَالأكْبَادِ
كُلُّ حَبْسٍ يَهُونُ عِندَ اللّيالي ... بَعدَ حَبسِ الأرْوَاحِ في الأجْسادِ
وَتَدارَكْتَ مَا تَمَنّيتَ ، وَالأحْـ ... ـشاءُ مَزْرُورَةٌ عَلَى الأحْقَادِ
نِلْتَ بَعضاً وَسَوْفَ تُدرِكُ كُلاًّ ، ... إنّمَا السّيلُ بَعْدَ قَطْرِ العِهَادِ
مِثْلَ مَا مَرّ لا تُعيدُ اللّيَالي ، ... وَالحَدِيثُ السّفِيهُ غَيرُ مُعَادِ

رُبّ يَوْمٍ شَهِدْتُهُ ، وَالمَنَايَا تَطرَحُ الطّعنَ من رؤوسِ الصِّعادِ
وَالظُّبَى تَقذِفُ الغُمودَ وَمَاءُ الـ نّقْعِ جارٍ على الرُّبَى وَالوِهَادِ
خَلَقَ الخَيلَ بالنّجيعِ ، وَكانتْ غُرَرُ الخَيلِ مَعْقِلاً للجِسَادِ
يا قَريعَ الزّمَانِ ، دعوَةَ صَبٍّ بِالأمَاني ، مُتَيَّمٍ بالمُرَادِ
لَكَ إنْ ذُمّتِ المَحاضِرُ يَوْماً عُنْفُوَانُ الثّنَاءِ في كُلّ نَادِ
نَظَرَ العيدُ مِنْكَ بَدْراً تخَفّى بُرْهَةً عَنْ نَوَاظِرِ الأعْيَادِ
فتَهَنّ السّرُورَ،فَاليَوْم مَصْقُو لُ الحَوَاشِي مُجَرَّرُ الأبْرَادِ
مِنْ مَرَامٍ بعَادُهُ لتَدانٍ ، وَمُرَادٍ نُقْصَانُهُ لازْدِيَادِ
لَوْ قَدَرْنَا على المُنَى لَفَدَيْنَا ذي الأضَاحي من الظُّبَى بالأعادي
إنّمَا نَحْنُ مُشْبِهُوكَ وَمَا الأشْـ بَالُ إلاّ طَبَائِعُ الآسَادِ
نحنُ ذاكَ الغِرَارُ مِنْ هَذِهِ البِيـ ضِ وَذاكَ الشّرَارُ مِنْ ذا الزّنَادِ
هَذِهِ تُحفَتي إلَيْكَ ، وَخَيرُ الـ شّعْرِ مَا كانَ تُحفَةَ الإنْشَادِ
وَضَميري إذا طَرَحتُكَ فيهِ ، جَاشَ لي بَحرُهُ بخيرِ العَتَادِ[1]
أنَا مِنْ صَفْوَةِ النّبيّ ، وَغَيرِي وَلَدٌ لا يُعَدّ في الأوْلادِ

[1] العتاد : ما أعد لأمر ما .

مناجاة الشعر

قال رحمه الله يمدحه أيضاً :

خَيرُ الهَوَى مَا نجَا مِنَ الكَمَدِ ، وَعَاشِقُ العِزّ مَاجِدُ الكَبِدِ
مَا حَمَلَ الذّلّ ظَهرُ مَارِنَةٍ ، وَلا انزَوَى عَن طَبيعَةِ الصَّيَدِ[1]
كَيفَ يُرَبّي الحَيَاةَ مُقتَبِلٌ يَرَى المُنى عَاقِراً بِلا وَلَدِ
يَعذُلُني في الزِّمَاعِ كُلُّ فَتًى ، وَالسّيفُ إنْ قَرّ في الغُمودِ صَدي
أنَا النُّضَارُ الذي يُضَنّ بِهِ ، لَوْ قَلّبَتْني يَمِينُ مُنْتَقِدِ
إنّي أظُنّ الظّنُونَ صَادِقَةً ، كَأنّ يَوْمي طَلِيعَةٌ لغَدِي
ما وَتَرَ الدّهرُ لِمّتي ، وَيَدِي تَأخُذُ ، قَبلَ المَشيبِ ، بالقَوَدِ
تَغدُرُ بي وَفرَتي ، وَكُنتُ إذا طَلَبْتُ غَيرَ الوَفَاءِ لَمْ أجِدِ
بَعدَكُم حَنّتِ الرّكَابُ ، وَسَا لَ الرّكبُ بالصّحصَحانِ وَالجَدَدِ[2]
وَاللّيلُ بَينَ النّجُومِ تَحسَبُهُ يَخطِرُ في نَثْرَةٍ مِنَ الزَّرَدِ[3]
لَيْلي بِبَغْدادَ لا أقَرُّ بِهِ ، كَأنّني فِيهِ نَاظِرُ الرّمَدِ
يَنفُرُ نَوْمي كَأنّ مُقْلَتَهُ تُشْرَجُ أجْفَانُهَا عَلى ضَمَدِ[4]

---

١ أراد بظهر المارنة : الأنف ، ولعله ظهر مارنه . الصيد : رفع الرأس كبراً .
٢ الصحصحان : ما استوى من الأرض . الجدد : الأرض الغليظة ، وما استرق من الرمل .
٣ النثرة : الدرع .
٤ تشرج : تخاط . الضمد : العصابة يشد بها الجرح .

أُفكِرُ في حَالَةٍ أُطَاوِلُهَا ، وَفَعْلَةٍ تَخْضِبُ القَنَا بِيَدِي
للنّفْسِ أنْ تَبعَثَ العزَائِمَ وَالرّأ يَ ، وكُلُّ الفِعَالِ للجَسَدِ
هَا إنّهَا نَوْمَةٌ بِسَوْرَتِهَا ، أقَالَتِ العَيْنَ عَثْرَةَ السَّهَدِ[1]
لا اطّرَدَتْ بي إلَيْكَ سَابِحَةٌ ، حَتّى أرَى النّقْعَ عاليَ الكَتَدِ
مَا لِيَ لا أرْكَبُ البِعَادَ ، وَلا أدْعَى عَلى القُرْبِ بيضَةَ البَلَدِ[2]
أصْحَبُ مَنْ لا ألُومُ صُحْبَتَهُ ، غَيرَ نَزُورِ النّدَى وَلا جَحِدِ[3]
فَتًى رَأى الدّهْرَ غَيرَ مُؤتَمَنٍ ، فَمَا فَشَا سِرُّهُ إلى أحَدِ
وَاتّهَمَ الخَيلَ ، فَهوَ يَمتَحِنُ الْ مُهْرَةَ قَبْلَ الطّرَادِ بالطّرَدِ
في كُلّ فَجٍّ يَقُودُ رَاحِلَةً ، تَجذِبُها الأرْضُ جِذْبَةَ المَسَدِ[4]
لا يُبْعِدِ اللهُ غِلْمَةً رَكِبُوا أغْرَاضَهُمْ وَاستَفَوْا مِنَ البُعُدِ[5]
رَمَوْا بِعَهْدِ النّعيمِ ، وَاصْطَنَعوا كُلّ بَخيلِ الذُّبَابِ مُطّرَدِ[6]
قَلّوا عَلى كَثْرَةِ العَدُوّ لَهُمْ ، كَمْ عَدَدٍ لا يُعَدّ في العُدَدِ
لي فيهِمُ أشرَفُ الحُظُوظِ ، إذا الْ رَّوْعُ أعَانَ الحُسَامَ بالعَضُدِ

١ سورتها : حدتها . السهد : الأرق .
٢ بيضة البلد : أكبر قومه .
٣ النزور : القليل . الجحد : القليل المطر .
٤ المسد : حبل من ليف .
٥ استفوا : صاروا بالمفاوي وهي الأرضون التي تنبت الفوة وهي عروق دقاق طوال حمر يصبغ ويداوى بها .
٦ المطرد : الطويل . الذباب : لعله أراد حد السيف ، والمعنى غامض .

وَأينَ مِثْلُ الحُسَينِ إنْ حَسُنَتْ صَنائِعُ البِيضِ وَالقَنَا القَصِدِ[1]
أبْلَجُ إنْ صَاحَتِ المَطِيُّ بِهِ ، فَدَى التّنَائي بعيشَةِ الرّغَدِ
مَا خَلَعَ الدّهْرُ عَنْهُ سَابِغَةً ، وَاللّيْثُ لا يُنْتَضَى مِنَ اللِّبَدِ
لَوْ أمْطَرَتْهُ السّمَاءُ أنْجُمَهَا عِزّاً لَمَا قَالَ للسّمَاءِ قَدِي[2]
لا يَسْألُ الضّيْفُ عَنْ مَنازِلِهِ ، وَمَنْزِلُ البَدْرِ غَيرُ مُفْتَقَدِ
رَأى الظُّبَى في الغُمودِ آجِنَةً ، وَالخَيلَ مَلطُومَةً عَنِ الأمَدِ
فَاسْتَلَّ أسْيَافَهُ ، وَأوْرَدَهَا غَمْرَ المَنَايَا بِمَائِهَا الثّمَدِ
تَخْلِقُ أجْفَانُهَا وَيَعْرِضُهَا دَمُ الطُّلَى في غَلائِلٍ جُدُدِ
يا قائِدَ الخَيْلِ في سَنابِكِها ، مَا يَشمَتُ السّهْلُ منهُ بالجَلَدِ
يَفديكَ يَوْمَ الخِصَامِ مُمْتَهِنٌ كَأنّهُ مُضْغَةٌ لمُزْدَرِدِ
وَصَارِخٍ رَافِعٍ عَقِيرَتَهُ ، فَكَكْتَ عَنْهُ جَوَامِعَ الزَّرَدِ
إذا المُنى قَابَلَتْكَ أوْجُهُهَا صَفَدْتَ بَاعَ المَطَالِ بالصَّفَدِ[3]
رُبَّ مَخُوفٍ كَأنّ طَلْعَتَهُ تَلْقَى المَطَايَا بطَلْعَةِ الأسَدِ
حَطَطْتَ فيهِ الرّحَالَ مُحْتَزِماً، وَأنْتَ ثَاني المُهَنّدِ الفَرِدِ
تَسْحَبُ بُرْدَيْكَ في مَلاعِبِهِ ؛ وَمَا اقْتَفَتْهُ بَرَاثِنُ الأسَدِ
زَادَكَ في كُلّ مَا خُصِصْتَ بهِ ، في كُلّ أمنٍ وَيَوْمِ مُحتَشَدِ

١ القصد : المتكسر .
٢ قدي : يكفي .
٣ صفدت : قيدت ، شددت . الصفد : العطاء .

كُلُّ أصَمِّ الكُعُوبِ مُعْتَدِلٍ ، خَلَتْ أنَابِيبُهُ مِنَ الأوَدِ
وَكُلُّ طَاغي الغِرَارِ تَلْحَظُهُ ، مِنْ غِمدِهِ في طَرَائِقٍ قِدَدِ[1]
وَلأمَةٍ سَالَ فَوْقَهَا زَرَدٌ ، كَالمَاءِ في قِطْعَةٍ مِنَ الزَّبَدِ
حُكْمُكَ بالسّيْفِ غيرُ مُنهَجِمٍ ، وَأنْتَ بالضّرْبِ غَيرُ مُتّئِدِ[2]
لِلّهِ بَيْتٌ رَفَعْتَ عِمّتَهُ ، أغْنَاهُ سُلْطَانُهُ عَنِ العَمَدِ
خَلائِقٌ طَلْقَةٌ مُعَبَّسَةٌ ، كالصّابِ يَجرِي بصُورَةِ الشُّهُدِ
فَأنْتَ يَوْمَ النّوَالِ في حُلَلٍ مِنها ، وَيَوْمَ النّوَالِ في زَرَدِ[3]
عَلامَةُ العِزّ إنْ حُسِدْتَ بِهِ ، أنّ المَعَالي . قَرَائِنُ الحَسَدِ
كَمْ لَكَ مِنْ وَقْفَةٍ صَقَلْتَ بها رَسَائِلاً دُبّجَتْ عَلى البُرُدِ
تَنُوبُ عَنْ كُنْهِهَا مَعَارِفُهَا ، وَفَضْلُ بَدْرٍ يَنُوبُ عَنْ أُحُدِ
نَاجَاكَ شِعرِي ، وَكنتُ أخرِسُهُ عَنِ الوَرَى قانِعاً بِمُقْتَصَدِي
كَانَ نِزَاعي إلَيكَ يَسْمَحُ بي ، فالآنَ مُذْ عُدْتُ ضَنّ بي بَلَدِي

١ الطرائق القدد : الأهواء المختلفة .
٢ المنهجم : المنهدم .
٣ النوال الأول : العطاء . النوال الثاني : النصيب ، الصواب .

لا يفرح الأعداء

يمدحه أيضاً ويذكر مجلسه مع المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة حين قبض عليه وحمل إلى فارس فحبس في القلعة هو وابن عمر العلوي وابن معروف قاضي القضاة وقال له: كم تدل علينا بالعظام النخرة ! فقال هذه القصيدة وسنه فوق العشر بقليل :

نُصَافي المَعَالي ، وَالزّمانُ مُعانِدٌ ، وَنَنْهَضُ بِالآمَالِ ، وَالجَدُّ قَاعِدُ
تَمُرّ بِنَا الأيّامُ غَيْرَ رَوَاجِعٍ ، كَمَا صَافَحتْ مَرَّ السّيولِ الجَلامِدُ
وَتُمْكِنُنَا مِنْ مائِهَا كُلُّ مُزْنَةٍ ، وَتَمنَعُنا فَضْلَ السّحابِ المَزَاوِدُ [1]
وَمَا مَرِضَتْ لي في المَطالِبِ هِمّةٌ ، وَأحْداثُهُ في كُلّ يَوْمٍ عَوَائِدُ
عَوَائِدُ هَمٍّ لا يُحَيِّيْنَ غِبْطَةً بهِنّ ، وَلا تُلْقَى لهُنّ الوَسَائِدُ
وَللهِ لَيْلٌ يَمْلأُ القَلْبَ هَوْلُهُ ، وَقَدْ قَلِقَتْ بالنّائِمِينَ المَرَاقِدُ
يَقَرّ بِعَيْنِي أنْ أرَى أرْضَ بَابِلٍ تَخوضُ مَغانيها الجِيادُ المَذَاوِدُ [2]
وَأسْحَبُ فيها بُرْدَ جَذلانَ شامِتٍ، إذا شَاءَ غَنّتْهُ الرِّقَاقُ البَوَارِدُ [3]
سَلَلْنا رِقابَ العِيسِ من خَلَلِ الدُّجى تُلاعِبُهَا أشْطَانُهَا وَالمَقَاوِدُ
وَقَدْ حَفّ بالبَدْرِ النّجُومُ كأنّهُ هَدِيٌّ تَهَاداهُ الإمَاءُ الوَلائِدُ [4]

١ المزاود ، الواحدة مزادة : ما يوضع فيه الماء والزاد .
٢ المذاود : المدافعون عن ذمارهم . وأراد بالجياد : فرسان الخيل .
٣ الرقاق البوارد : السيوف القتالة .
٤ الهدي : العروس . تهاداه : تسوقه .

وفي أعيُنِ القَوْمِ انضِمامٌ مِنَ الكرَى، وَطَرْفُ السُّرَى بَينَ الأزِمّةِ شَاهِدُ

فَمُضْطَرِبٌ في غَرْزِهِ مُتَرَنِّحٌ، وَآخَرُ مَكبُوبٌ على الرّحلِ ساجِدُ

وَغائِرَةٍ قَدْ وَقّرَ النّوْمُ لحظَها تُسَفّهُ جَفْنَيهَا الهُمُومُ العَوَائِدُ

تَقُودُ جِيَاداً ما اتّهِمْنَ على مَدًى، بلَى، رُبّما ارْتابَتْ بهِنّ الأوَابِدُ[1]

إذا جَالَ في أشداقِها الظِّمْءُ قلّصتْ لهَا الأرْضُ وَانقادَتْ إليها المَوَارِدُ

أبَحْنَا لها تَفْتَضّ مِنْ عُذَرِ الرُّبَى، فكَرّتْ علَيها بالعَجَاجِ الفَدافِدُ[2]

طَرَائِقُ بِيدٍ يَعسُلُ الآلُ بَيْنَهَا، كما اضْطرَبَ السِّرْحانُ وَاللّيلُ بارِدُ

هَجَمنا على غَوْلِ الطّريقِ وَبُعْدِهِ وَمَا رَكَضَتْ فيه الرّياحُ الصّوَارِدُ[3]

أأُرْسِلُ خَيلَ اللّحظِ في طَلَبِ الهوَى، وَمِنْ ظَنّهَا أنّ الخُدُودَ طَرَائِدُ

وَلي شُغُلٌ في طالِبٍ ضَلّ قَصْدَهُ، أُسَائِلُ عَنْهُ مَا يَقُولُ المَقَاصِدُ

أقُولُ لِدَهْرٍ تَاهَ إذْ صِيدَ لَيثُهُ: كَذاكَ يُصَادُ اللّيثُ وَاللّيثُ رَاقِدُ

أثَلّمَ هذا النّصْلَ بالضّرْبِ ضَارِبٌ، وَزَعْزَعَ هذا الطّوْدَ بالوَطْءِ صَاعِدُ

تَعزّ، فَمَا كُلّ المَصَائبِ قَادِمٌ عَلَيكَ، وَلا كُلّ النّوَائِبِ عَائِدُ

يَنَالُ الفَتَى مِنْ دَهرِهِ قَدْرَ نَفسهِ، وَتَأتي عَلى قَدْرِ الرّجَالِ المَكَايِدُ

فِدًى لكَ يا مَجدَ المَعالي وَبَأسِهَا، فِعَالُ جَبَانٍ شَجّعَتْهُ الحَقَائِدُ

---

١ الأوابد : الوحوش .

٢ العذر ، الواحدة عذرة : البكارة . يريد أنهم أباحوا لها أن تجتاز ربى لم تجتز بعد . الفدافد الواحد فدفد : الفلاة .

٣ الغول : بعد المسافة والمشقة . الصوارد : الباردة .

فَمَا تَرَكَتْ منكَ الصّوَارِمُ وَالقَنَا ، وَلا أخَذَتْ مِنكَ الحِسَانُ الخَرَائِدُ
عُزِلْتَ وَلَكِنْ ما عُزِلتَ عنِ النّدى ، وَجُودُكَ في جيدِ العُلى لكَ شَاهِدُ
بوَجهِكَ مَاءُ العزّ في العَزْلِ ذائِبٌ ، وَوَجْهُ الذي وُلّي مِنَ المَاءِ جامِدُ
فَأنْتَ تُرَجّي المُلْكَ ،وَهوَ زَوَالُهُ ، بغَيرِ جِلادٍ فيهِ ، وَهْوَ مُجَالَدُ
فلا يَفرَحِ الأعداءُ فالعَزْلُ مَعرِضٌ إذا رَاحَ عَنْهُ صَادِرٌ جَاءَ وَارِدُ
وَما كُنتَ إلاّ السّيفَ يَمضِي ذُبابُهُ ، وَلا يَنْصُرُ العَلْيَاءَ مَنْ لا يُجالِدُ
نُضِي فقضَى حَقَّ الضّرَائبِ في الوَغَى ، وَأثْنَتْ عَلَيْهِ حينَ رُدّ المَغَامِدُ
فأعطَوْا عِنَانَ الضّرّ غَيرَكَ إذْ رَأوْا يَمينَكَ تَستَوْلي عَلَيْهَا الفَوَائِدُ
وَما كنتَ يَوْماً في الزّمانِ بِمُمسِكٍ عُرَى المالِ إنْ ضَجّتْ إليكَ المَوَاعِدُ
وَلا كنتَ تَرْضَى أنْ تَصِحّ بِبَلْدَةٍ ، إذا قيلَ : عُضْوٌ من زَمانِكَ فَاسِدُ
أيَا غُدْوَةً سَاءَ الحُسَيْنَ صَبَاحُها ، وَسَرّ العِدَى فيها الزّمَانُ المُعَانِدُ
لحَقّقْتِ عِنْدِي أنّ كُلَّ صَبيحَةٍ مُجَاجَةُ سُمٍّ ، وَاللّيَالي أسَاوِدُ
يُعَرّفُكَ الإخْوَانُ كُلٌّ بِنَفْسِهِ ، وَخَيرُ أخٍ مَنْ عَرّفَتْكَ الشّدائدُ
وَطاغٍ يُعيرُ البَغْيَ غَرْبَ لِسَانِهِ ، وَلَيسَ لَهُ عَنْ جانبِ الدّينِ ذائِدُ
شَنَنْتَ عَلَيْهِ الحَقّ حتّى رَدَدْتَهُ صَمُوتاً ، وَفي أنْيَابِهِ القَوْلُ رَاقِدُ
يَدِلّ بِغَيرِ اللهِ عَضْداً وَنَاصِراً ؛ وَنَاصِرُكَ الرّحمَنُ ؛ وَالمَجدُ عاضِدُ
تُعَيّرُ رَبّ الخَيرِ بَالي عِظَامِهِ ؛ ألا نُزّهَتْ تِلْكَ العِظَامُ البَوَائِدُ
وَلَكِنْ رَأى سَبّ النّبيّ غَنيمَةً ؛ وَمَا حَوْلَهُ إلاّ مُرِيبٌ وَجَاحِدُ
وَلَوْ كانَ بَينَ الفاطِمِيّينَ رَفْرَفَتْ عَلَيهِ العَوَالي وَالظُّبَى وَالسّوَاعِدُ

ألا إنّ جَدبَ الحِلمِ عندَكَ مُخصِبٌ، وَإنّ لَئيمَ المَجْدِ عِندَكَ رَافِدُ
ضَجِرْتَ مِنَ العَلياءِ فاختَرْتَ عزْلها، كَـأنّكَ قَدْ أفنَتْ نَداكَ المَحَامِدُ
تَرَكْتَ قَلُوصاً بالفَلاةِ وَوَحْشَها، تُجَاذِبُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَتُرَاوِدُ
ستَذْكُرُكَ الأرْماحُ وَهيَ قَوَارِبٌ، وَلَيسَ لهَا إلاّ القُلُوبُ مَوَارِدُ[1]
حوَى المجدَ يا قيسَ بنَ عَيلانَ ماجدٌ، وَجَلّ، فَمَا يُلْقَى لَهُ فيهِ حَاسِدُ
فتًى يَحتَوِي أرْماحَكمْ، وَهوَ صَارِمٌ، وَيُسرِي جُيُوشاً نحوَكمْ، وَهوَ وَاحِدُ
وَيَوْمَ عُوَيْثٍ، وَالسّيوفُ بَوَارِقٌ، تَظَلّ المَنَايَا، وَالقِسِيُّ رَوَاعِدُ
رَدَدْتَهُمُ، وَالسُّمرُ بَينَ ظهورِهمْ تُعَقَّلُ فيهِ المَوْتَ، وَالمَوْتُ شارِدُ[2]
وَقَدْ خَلَقَتْ فيها عُيوناً قَرِيحَةً، يَنَامُونَ عُمرَ اللّيلِ، وَهيَ سَوَاهِدُ
أسِنّةُ فِهْرٍ في صُدُورِ جِيادِهِمْ، كَأنّ قَنَاهَا للجِيَادِ مَقَاوِدُ
هُمُ ذَخَرُوا أعْمَارَهُمْ لسُيُوفِهِ، فأوْلى لهَا وَالحَرْبُ عَذراءُ نَاهِدُ[3]
رَأيْتُ فَيَافي تَقتَضِي هَبَوَاتِهِ، وَتَرْغَبُ أرْسَاغَ الجِيَادِ القَوَادِدِ[4]
مدًى يَمخَضُ الأشوَاطَ حتّى يعيدها، وَلا زُبْدَةٌ إلاّ الجَوَادُ المُجَاوِدُ[5]
لَنِعْمَ حَرِيمُ العَزْمِ أنتَ وَثَغرُهُ، إذا رَجّحَ الرّأيَ الألَدُّ المُجَالِدُ

١ القوارب، الواحد قارب: طالب الماء ليلا، وهنا أراد الرماح الطالبة شرب الدم.
٢ تعقل: تشد وتربط.
٣ أولى لها: كلمة تهدد ووعيد، أي قاربه ما يهلكه.
٤ الفيافي، الواحدة فيفاء: المفازة لا ماء فيها. تقتضي: تطلب. هبواته، الواحدة هبوة: الغبرة
الأرساغ، الواحد رسغ: مفصل ما بين الساعد والكتف. القوادد: القاطعات الفلاة.
٥ المجاود: المفاخر بالجود.

أَلَسْتَ مِنَ القَوْمِ الذينَ إذا سَطَوْا ... تَبَرّى مِنَ التّاجِ العَظِيمُ المُعَاقِدُ
سِياطُهُمُ بِيضُ الظُّبَى وَسُجونُهم ... إذا غَضِبُوا دونَ العَلاءِ المَلاحِدُ
رِقَابُ العِدَى والعِيسُ فيهم ذَليلَةٌ ، ... وللبِيضِ ما نِيطَتْ عَلَيهِ القَلائِدُ
يُعَشّشُ طَيرُ الخضْبِ في حُجُرَاتِهم ، ... وَتُعقَلُ منهُنَّ البُيُوتُ الشّوَارِدُ[1]
وَمَا وَالِدٌ مِثلُ ابنِ مُوسَى لِمَوْلِدٍ ... قَرِيبٍ تَجَافَاهُ الرّجَالُ الأبَاعِدُ
حَمَى الحَجَّ وَاحتَلَّ المَظالِمَ رُتْبَةً ، ... عَلى أنَّ رَيْعَانَ النّقَابَةِ زَائِدُ
فَأقبَلَ ، وَالدّنْيا مَشُوقٌ وَشايِقٌ ، ... وَأعرَضَ ، وَالدّنْيا طَرِيدٌ وَطَارِدُ
وَسَاعَدَهُ ، يَوْمَ استَقَلَّ رِكَابَهُ ، ... أخُوهُ ،وَقالَ البَينُ: نِعْمَ المُسَاعِدُ
هُما صَبَرَا ، وَالحَقّ يَرْكَبُ رَأسَهُ ... عَشِيّةَ زَالَتْ بالفُرُوعِ القَوَاعِدُ
تَفَرّدَ بِالعَلْيَاءِ عَنْ أهْلِ بَيْتِهِ ، ... وَكُلٌّ يُهَادِيهِ إلى المَجْدِ وَالِدُ
وَتَختَلِفُ الآمَالُ في ثَمَرَاتِهَا ، ... إذا شَرِقَتْ بالرّيّ ، وَالمَاءُ وَاحِدُ
وَمَدَّ عَلى الجَوْزَاءِ أطْنَابَ مَنزِلٍ ... يَلُوذُ بحَقْوَيْهِ السُّهَا وَالفَرَاقِدُ
فَقَرٌّ لِنيرَانِ البَوَارِقِ مُصْطَلٍ ، ... وَظِمْءٌ لأحْوَاضِ الغَمَائِمِ وَارِدُ
أحَقٌّ بِلادِ اللهِ بالمُزْنِ أرْضُهُ ، ... إذا شَامَ أقصَى خَطرَةِ البَرْقِ رَائِدُ
كَأنّي بِهِ ، وَالعِزُّ يَنضُو هُمُومَهُ، ... وَقد خضَعَتْ تلكَ الخطوبُ التّوَاكِدُ
أعَادَ إلَيْهِ اللهُ مَاضِي سُرُورِهِ ، ... وَرَدّ اللّيَالي وَهيَ بِيضٌ أمَاجِدُ
مُنِيتَ بشَوْقٍ يَنحرُ الدّمعَ سَيفُهُ ، ... إذا حَادَثَتْهُ بالصّقَالِ المَعَاهِدُ

[1] الخضب : خضرة الشجر ، ولعلها محرفة عن خصب .

أآلَ هُذَيْمٍ هَلْ تَقَرُّ قُلُوبُكُمْ وَقَلْبُ ابنِ عَدنانٍ على الدّهرِ وَاجِدُ
إذا جَحَدُوا نُعماكَ لَوّتْ رِقابَهُمْ لِمَنّكَ أطْوَاقٌ بِهَا وَقَلائِدُ
ولا زَالَتِ الأسيافُ تَسبي حَرِيمَهم، وتَسبي حَرِيمَ المَالِ مِنكَ القَصَائِدُ

السهام الطائشة

يمدحه أيضاً ويهنئه برد أعماله القديمة إليه
وهي النقابة وإمارة الحج والنظر في المظالم
وذلك في جمادى الأولى سنة ثمانين وثلاثمائة :

أُنظُرْ إلى الأيّامِ كَيْفَ تَعُودُ، وَإلى المَعَالي الغُرّ كَيْفَ تَزِيدُ
وَإلى الزّمَانِ نَبَا، وَعاوَدَ عَطْفَهُ، فَارْتَاحَ ظَمْآنٌ، وَأوْرَقَ عُودُ
نِعَمٌ طَلَعْنَ عَلى العَدُوّ بِغَيْظِهِ، فتَرَكْنَهُ حَمِرَ الجَنَانِ يَمِيدُ[1]
قَدْ عَاوَدَ الأيّامَ مَاءُ شَبَابِهَا، فَالعَيْشُ غَضٌّ، وَاللّيَالي غِيدُ
إقْبَالُ عِزٍّ كَالأسِنّةِ مُقْبِلٌ، يَمضِي، وَجَدٌّ في العَلاءِ جَدِيدُ
وَعُلًى لأبْلَجَ مِنْ ذُؤابَةِ هَاشِمٍ، يُثْنَى عَلَيْهِ السّؤدُدُ المَعْقُودُ
قَدْ فَاتَ مَطْلُوباً وَأدْرَكَ طَالِباً، وَمُقَارِعُوهُ عَلى الأُمُورِ قُعُودُ

---

١ حمر الجنان : أي يتحرق غضباً .

خَسأتْ عُيُونُهُمُ ، وَقد طَمَحَتْ له عُدَدٌ عِرَاضٌ في العُلى وَعَدِيدُ[1]
مَا صَالَ إلاّ انجَابَ غَيٌّ مُظْلِمٌ ، وَانْدَقّ مِنْ عَمَدِ الضّلالِ عَمودُ
يَأسُو وَيَجْرَحُ ، فالجِرَاحَةُ عَزْمَةٌ تُصْمَى ، وَآسِيها النّدَى وَالجُودُ
سَطْوٌ وَصَفْحٌ يَطْرُقَانِ عَدُوَّهُ أبَداً ، وَوَعْدٌ صَادِقٌ وَوَعِيدُ
عَنْ أيّ بَاعٍ في العَلاءِ رَمَيْتُمُ لَيْثاً تَقِيهِ مَقَادِرٌ وَجُدُودُ
طَاشَتْ سِهَامُكُمُ وَفَارَقَ نَزْعَهُ سَهْمٌ إلى قَلْبِ العَدُوّ سَدِيدُ
حَسَدُوك لمّا فَاتَ سَعيُكَ سَعيَهُمْ صُعُداً فَمَا نَقَعَ الغَليلَ حَسُودُ
وَرَأوْا بَوَايِجَهَا تَلُوحُ ، وَرِيحَهَا تَسْرِي ، وَعارِضَها الغَزِيرَ يَجُودُ[2]
عَجِلَ الزّمانُ بها إليكَ ، وَحُطّمتْ بَينَ الضّلُوعِ ضَغَائِنٌ وَحُقُودُ
قَدْ كنتُ أخشَى أنْ يَقولَ مُخَبِّرٌ : كادُوا وَمَا أُعطُوا المُرَادَ فَكِيدُوا
أوْ أنْ يُقَالَ : أقَارِبٌ نَزَعَتْ بهمْ ظِنَنٌ ، فَكُلٌّ بالعُقُوقِ بَعِيدُ
سُئِلُوا العَوَادَ ، فجانَبوهُ ، فعاوَدوا ، وَالآنَ إذْ مَلَكَ الزّمانُ ، وَقِيدُوا
لَوْلا الألِيّةُ مِنْكَ ألاّ تَنْتَضِي عَضباً يَقُومُ مَقَامَهُ التّفْنِيدُ
لَسَنَنْتَ في الأقْوَامِ ، غَيرَ مُلَوَّمٍ ، مَا سَنّ يَوْمَ ابنِ الزّبَيرِ يَزِيدُ
اليَوْمَ أصْحَرَتِ الضّغائِنُ ، وَانجَلَتْ تِلْكَ المَوَارِنُ ، وَالجِبَاهُ السّودُ
وَتَرَاجَعُوا عُصَباً إلَيكَ ، وَخَلفَهمْ عَنُفَ السّبَاقُ ، وَللقُلُوبِ وَئِيدُ[3]

١ خسأت : كلت . العراض : الكثيرة .
٢ بوايجها : بروقها ، متسع رملها ، دواهيها .
٣ الوئيد : الصوت الشديد .

فاصْفَحْ فسَوْفَ يَنالُ صَفحكَ منهمُ ... مَا لا يَنالُ العَضْبُ ، وَهوَ حَديدُ
وَحَذارِ مِنْ وَبلِ العِقابِ، وَقد بدتْ ... مِلْءَ العُيُونِ بَوَارِقٌ وَرُعُودُ
وتَغنَمُوا عفْواً يفيضُ ، وَفيئَةً ... تَدْنُو ، وَحِلْماً لا يزَالُ يَعُودُ[1]
فلَسَطْوَةُ الضّرْغَامِ أجمَلُ بالفتى ... مِنْ أنْ يُرَى عَالٍ علَيْهِ السَّيدُ
مَا السّؤدُدُ المَطْلُوبُ إلاّ دونَ ما ... يرْمي إليْهِ السّؤدُدُ المَوْلُودُ
فَإذا هُمَا اتّفَقَا تكَسّرَتِ القَنَا ... إنْ غَالَبَا ، وَتَضَعضَعَ الجُلمُودُ
وَأجَلُّ مَا ضَرَبَ الرّجَالُ بِحَدّهِ الـ ... ـأعْداءَ مَجْدٌ طارِفٌ وَتَليدُ
الآنَ أُطْلِقَتِ النّصُولُ وَرُشّحَتْ ... لِسَبيلِهَا قُبُّ الأيَاطِلِ قُودُ
وَتَبَلّجَ البَيْتُ الحَرَامُ طَلاقَةً ، ... مُذْ قيلَ : إنّ جَمَالَهُ مَرْدُودُ
وَعَلى المَظالِمِ وَالنّقَابَةِ هِمّةٌ ... يَقْظَى ، وَظِلٌّ أمَانَةٍ مَمْدُودُ
حَمْداً لأنْعُمِكَ الجِسامِ ، فَلَم يزَل ... أبَداً يَزِيدُ لهَا عَليّ مَزِيدُ
علَيّتَني حَتّى تَحقّقَتِ العِدَى ... أنّي حَميمٌ للعُلَى وَعَقِيدُ[2]
وَتَرَكْتَ حُسّادي، عَلى زَفَرَاتِهِمْ، ... عُوجَ الضّلوعِ ، فَوَاجِدٌ وَعَميدُ
فَلأشْكُرَنّكَ مَا تَجاذَبَ مِقوَلي ... نَثْرٌ يَشُقّ عَلى العِدَى وَقَصِيدُ
وَالشّكْرُ أنْفَسُ ما وَجَدْتُ، وَإنّما ... أمَلُ الفَتَى أنْ يُقبَلَ المَوْجُودُ

١ الفيئة : الغنيمة .
٢ العقيد : المعاهد .

كنز فخار

يمدح أخاه ويهنئه بمولودة جاءته :

جُرّي النّسيمَ علَى ماءِ العَنَاقيدِ ، وَعَلّلي بِالأمانِي كُلَّ مَعْمُودِ
يا نَفْحَةً هزّتِ الأحْشاءَ شائقَةً ، وَذكّرَتْ نَفَحَاتِ الخُرْدِ الغيدِ
يَضُمُّها اللّيلُ في أثْنَاءِ غَيهَبِهِ ، وَالقَطْرُ يلْمَسُ أطْرافَ الجَلاميدِ
كأنّها عَنْ طَرِيقِ المُزْنِ طائشَةً ، لَحظٌ تُرَدّدُهُ أجفَانُ مَزْؤودِ
لَيْتَ الأحبّةَ أغْرَينَ الرّياحَ بِنَا ، وَإنْ نَأيْنَ عَلى شَحْطٍ وَتَبْعيدِ
وَلَيتَهُنّ عَلى يَأسِ اللّقاءِ لَنَا عَلّلْنَ بالوَعْدِ سَيرَ الضُّمّرِ القُودِ
أبيتُ ، وَاللّيلُ مَبْثُوثٌ حَبَائِلُهُ ، وَالوَجْدُ يَقْنِصُ مِنّي كُلَّ مَجلودِ
شَوْقاً إلَيكَ ، وَإشفاقاً عَلَيكَ ، وَلي دَمعانِ مَا بَينَ مَحْلُولٍ وَمَعقُودِ
لَيسَ الغَرِيبُ الذي تَنأى الدّيارُ بهِ ، إنّ الغَرِيبَ قَرِيبٌ غَيرُ مَوْدُودِ
يا طَائرَ البَانِ مَا غُرّبتَ عَنْ سكَنٍ يَوْماً ، وَلا كنتَ عَن مأوًى بِمَطْرُودِ
وَأنْتَ في ظِلّ أفْنَانٍ مُهَدَّلَةٍ ، تَحْنُو عَلَيْكَ بِقِنوَانِ العَنَاقِيدِ
مَلأتَ عُشّيكَ طَعماً غيرَ مُختَلَسٍ ، بلا رَقيبٍ ، وَوِرْدٍ غَيرِ تَصْرِيدِ
تَبكي وَمَا لكَ مِنْ إلْفٍ فُجِعتَ بهِ ، وَلا لُوِيتَ ، عَلى بُعْدٍ ، بِمَوْعُودِ
ظُلِمتَ ، ما أنتَ مِنْ هَمّي وَلا كَمَدي ، إنّ العَلِيلَ لَقَلْبٌ عَادَهُ عِيدِي
أنا الذي إنْ بَكَى وَجداً فحَقّ لَهُ ، كَمْ بَينَ بَاكٍ مِنَ البَلوَى وَغرّيدِ

وَخُلّةٍ جُذِبَتْ تَشْنِي مَوَدّتَهَا عَنّي ، وَأمسَكْتُ عَنْهَا بالمَوَاعِيدِ
مِنّي إلى الدّهْرِ شكوَى غَيرُ غَافِلَةٍ عَنْ مُوثَقٍ بحِبَالِ العَجزِ مَصْفُودِ
يُحارِبُ الهَمّ إنْ مَالَ الرُّقَادُ بِهِ ، حتّى تَجلّى غَيابَاتُ المَرَاقِيدِ
بَيْني وبَينَ المُنى أنّي أقُولُ لهَا : بَيني وَبَيْنَكِ قَطْعُ البِيدِ وَالبِيدِ
وَسَاهِمِينَ عَلى الأكْوَارِ دَأبُهُمُ قَرْعُ السّيَاطِ بِأعنَاقِ المَقاحِيدِ[1]
عاطَيتُهُمْ مِنْ عُلالاتِ الكرَى نُطَفاً ، وَالسّيرُ يَرْجُمُ جُلمُوداً بجُلمُودِ
وَللحُدَاةِ عَلى آثَارِنَا زَجَلٌ ، يُغْزِي المَطَايَا بأجوَازِ القَرَادِيدِ[2]
يُقَطّعُونَ حُبَى الأيّامِ عَنْ طَبَعٍ وَتَحتَبي بِالمَعَالي وَالمَحامِيدِ[3]
وَيَهْجرُونَ ، إذا جَدّت عزَائِمُهُمْ ، دُنْيَا تَلاعبُ بِالغُرّ المَجَاوِيدِ
ما الفَقرُ عارٌ وَإنْ كَشّفتَ عَوْرَتَهُ ؛ وَإنّمَا العَارُ مَالٌ غَيرُ مَحْمُودِ
تَلْقَى أكُفّهُمُ في كُلّ نَائِبَةٍ ، مَلْوِيّةً بِحِبَالِ البَأسِ وَالجُودِ
إنْ صَاحَ صَائحُهُم يوْمَ الوَغى هَجَمُوا عَلى السّوَابِقِ بالبِيضِ المَذاوِيدِ
وَكَمْ عَدُوٍّ مَشَتْ فِيهِ رِماحُهُمُ ، فاستَنصرَ الرّكضَ من جرْداءَ قَيدودِ[4]
مِنْ كُلّ أبْلَجَ إنْ خبّتْ عزَائِمُهُ ألقَتْ إلَيْهِ الأمَاني بالمَقَالِيدِ

١ الساهمون، الواحد ساهم : المتغير لون الوجه . المقاحيد : النياق العظام الأسنمة ، الواحدة مقحاد.

٢ القراديد ، الواحد قردود : ما ارتفع من الأرض .

٣ عن طبع بسكون الباء وفتحها للوزن : أي عن سجية جبلوا عليها ، أو هي عن طبع بفتح الباء : أي دنس وعيب .

٤ القيدود : الناقة الطويلة الظهر .

إذا تَحَرَّقَ ، أحْشَاءُ الفَلا مُلِئَتْ   مِنْ رَعيِهِ خاطِرَ الرِّئْبالِ وَالسِّيدِ[1]
وَإنْ جَرَى شرِقَتْ بالحَصْلِ رَاحتُهُ   أخذاً وَبَدَّدَ أنفَاسَ المَجاهِيدِ[2]
يابنَ الحُسَينِ وَما دَعوَايَ كاذِبَةً ،   إذا نَسَبْتُكَ في الشُّمِّ المَنَاجِيدِ
الطّاعِنِينَ مِنَ الأعْداءِ مَا لَحِقُوا ،   وَالخَيْلُ تَلطِمُ هَامَاتِ الصّياخيدِ[3]
مُعَوَّدُونَ مِنَ الأيّامِ مَرْتَبَةً ،   لا يَسْتَطِيلُ إلَيها كُلُّ صِنْدِيدِ
يَأبَوْنَ أنْ يَلبَسَ الإظلامُ رَبْعَهُمُ   لَيْلاً ، وَمَا عَذَّبُوا طَرْفاً بتَسهيدِ
وَيَغضَبُونَ إذا عَاطَيتَهُمْ هِمَماً   مُرَفَّهَاتٍ ، وَهَمّاً غَيرَ مَكْدُودِ
هُمُ الضّيُوفُ لأرْضٍ غَيرِ آهِلَةٍ   مِنَ الأنِيسِ ، وَوِرْدٍ غَيرِ مَوْرُودِ
فَأنْتَ أبْسَطُهُمْ بَاعاً ، إذا بَسَطوا   أيدِيَهمْ لِوَعِيدٍ ، أوْ لمَوْعُودِ
الآنَ جَاءَتْ خُيُولُ السّعدِ رَاكِضَةً   تَجرِي بيَوْمٍ مُضِيءِ الوَجهِ مَجدودِ
بِمَوْلِدٍ صَقَلَ الآبَاءُ حِلْيَتَهُ ،   فَطَوَّقَ المَجْدُ أعْنَاقَ المَوَالِيدِ
مَوْلُودَةٌ نَهَبَ الرّاوُونَ بَهْجَتَهَا   لَثماً ، وَعانَقتَها في ثَوْبِ مَحسُودِ
كانَتْ شِهاباً كسا ظَلماءَهُ وَضَحاً ،   وَاللّيلُ يَدْخُلُ في أثْوَابِهِ السّودِ
جَاءَتْ بِهَا لَيْلَةٌ تَثْنِي سَوَالِفَهَا   في صَدْرِ يَوْمٍ رَشِيقِ القَدّ أمْلُودِ
لله شَمْسُ عُلًى جاءتْ بِجَوْهَرَةٍ   غَرّاءَ ، عَنْ قَمَرٍ بالمَجْدِ مَسعُودِ
ما عُدِّدَتْ منكَ إلاّ نُطفَةٌ سَلَكتْ   إلى الأمَاني طَرِيقَ المَاءِ في العُودِ

١ التحرق : العطش . والبيت غامض ، ولعله محرف .
٢ الحصل ، من قولهم : أحرز خصله أي غلب .
٣ الصياخيد ، الواحدة صيخود : الصخرة الشديدة .

نَشرْتَ منها خِماراً في الفَخارِ طوَى ... مَعَ النَّوَائِبِ تِيجَانَ الصَّنَادِيدِ
شَرِيفَةٌ رَشَّحَتْ مِنْهَا مَنَاسِبُها ، ... لحِلْيَةِ العِزِّ ، مَجرَى اللِّيتِ وَالجِيدِ
ما كنتَ تَقبَلُ بَذْلَ الدّهرِ تَكرِمَةً ... حتّى حَبَاكَ بِبَذْلٍ غَيرِ مَرْدُودِ
أعطَاكَ كَنزَ فَخارٍ كَانَ يَصرِفُهُ ... مِنْ نَسلِ غَيرِكَ في شتّى عَبادِيدِ[1]
شجاً لنَفسِ شُجاعِ الحرْبِ مُعترِضاً، ... وَفَرْحَةً لِفُؤادِ العَاتِقِ الرُّودِ[2]
فَرّقتَ عَنكَ العِدى تَدمَى ضَمائرُها ... بِبَاعِ عِزٍّ عَلى الأيّامِ مَمدُودِ
لا زِلْتَ تَملِكُ ،وَالأحداثُ رَاغمةٌ ، ... عِناقَ غُصْنِ الأماني غيرِ مَخضُودِ
وَتَستَنِيرُ لكَ الأيّامُ مُلهِيَةً ، ... يُنمَى بِهَا كُلُّ إصْباحٍ إلى عِيدِ
يا مُطلِقَ السّمعِ وَالأسماعُ ما برِحتْ ... أسيرَةً في يَدَيْ عَذْلٍ وَتَفْنِيدِ
وَرُبّ رُزْءٍ مِنَ الأيّامِ مُنْهَجِمٍ ، ... عَزّاكَ مِنهُ النُّهَى عَن خَيرِ مَفقُودِ
ما زِلْتَ تَرْقُبُ إحسانَ الزّمَانِ لَهُ ... حتّى تَبَدّلْتَ مَوْلُوداً بمَوْلُودِ

[1] العباديد : الفرق من الناس .
[2] العاتق : الجارية أول ما أدركت . الرود ، الواحدة رادة : المرأة السريعة الشباب .

نفس حرّة

قال فيه أيضاً جواباً عن أبيات كتبها بعقب زوال وحشة كانت بينهما :

عَجِبتُ مِنَ الأيّامِ إنجازَها وَعدِي، وَتَقريبَها مَا كانَ منّي على بُعْدِ[1]
وَإنّ اللّيَالي، مُذْ لَبِسْتُ رِداءَها، تُحاذِرُ من حدّي فتَزْرِي علىجِدّي[2]
وَلي إنْ يَطُلْ عمرِي معَ الدّهرِ وَقفةٌ تُذَلّلُ أحداثَ الزّمَانِ لمَنْ بَعدي
وَإنّي لمُرّ البأسِ، مُسترْعَفُ الظُّبَى؛ وَإنّي لحُلْوُ الجُودِ مُستَمطَرُ الرِّفْدِ
إذا بَزّني مَالي عَطَاءً تَرَكْتُهُ حَميداً، وَطالَبتُ القَوَاضِبَ بالرّدّ
وَقَدْ عَجَمَتْ منّي اللّيالي مُذَرَّباً تَخَلّلَ أنيَابَ الأسَاوِدِ وَالأُسْدِ[3]
إذا خَبّ فيهِ، مِلءَ حَيزُومهِ، الجوَى تَوَقّرَ يُخفي منهُ غَيرَ الذي يُبدِي
وكنتُ،إذا الأيّامُ جُلنَ بِسَاحَتي، رَجَعنَ وَلمْ يَبلُغنَ آخرَ مَا عِندِي
وَلَكِنّها نَفسٌ، كما شِئتَ، حُرّةٌ، تَصُولُ وَلَوْ في ماضِغِ الأسدِ الوَرْدِ
وَأعظَمُ ما ألفَيتُ، شَجْواً وَلَوْعَةً، عِتابُ أخٍ فَلّ الزّمانُ بهِ حَدّي
أقِيكَ الرّدَى ماكانَ ماكانَ عن قِلًى، وَلكِنْ هنَاتٌ كِدْنَ يَلعَبنَ بالحِلْدِ

١ قوله : إنجازها وتقريبها ، نصبهما بنزع الخافض ، والتقدير لانجازها .

٢ زرى عليه : عابه .

٣ المذرب : أراد سيفاً محدداً .

وَلا تَحسَبَنّ القَلبَ جازَتْ كُلُومُهُ ... إلى القَلبِ، إلاّ بَعدَمَا حزّ في الجِلْدِ

مَنَحتُكَ ما عندي من الصّدّ مُعلِناً، ... وَعَقْدُ ضَميرِي أنْ أدومَ عَلى الوُدّ

وَلمْ أغدُ مَحلُولَ اللّحاظِ طَلاقَةً، ... وَقَلبي مَعقُودُ الجَنانِ عَلى الحِقْدِ

سَجَايَا رَعَيْنَ المَجْدَ في تَلَعَاتِهِ، ... وَنَاقَلْنَ في العَلْيَاءِ غَوْراً إلى نَجدِ

وَقَدْ كنتُ أبغي رُتْبَةً بَعدَ رُتْبَةٍ، ... فَأنَفُ لي مِن أنْ أفوزَ بهَا وَحْدِي

حِفاظاً على القُرْبَى الرّؤومِ، وَغَيرَةً ... على الحَسَبِ الدّاني، وَبُقيا على المَجدِ

وَلِمْ لا؟ وَنَحْنُ الرّاجعانِ من العُلى ... إلى المَغرِسِ الرّيّانِ وَالسّؤدُدِ الرّغدِ

مِنَ القَوْمِ أشْبَاهُ المَكَارِمِ فيهِمُ، ... وَعِرقُ المَعالي الغُرّ وَالحَسَبِ العِدّ[1]

حَسَدْتُ عَلَيكَ الأجنَبِينَ مَحَبّةً، ... وَنافَستُ فيكَ الأبْعَدِينَ على الوُدّ

وَقَدْ كَانَ لَذْعٌ، فاتّقَيْتُ شَبَاتَه ... بقَلبٍ على الضّرّاءِ كالحَجَرِ الصّلْدِ

تَجَلّدْتُ حَتّى لمْ يَجِدْ فيّ مَغمَزاً، ... وَعُدْتُ كمَا عادَ الجُرَازُ إلى الغِمْدِ

وَهَا أنَا عُرْيَانُ الجَنَانِ مِنَ الّتي ... تَسوءُ وَمَنفوضُ الضّلوعِ من الوَجدِ

وَكَمْ سَخَطٍ أمسَى دَليلاً إلى رِضًى، ... وَكَمْ خَطَإٍ أضْحَى طَرِيقاً إلى عَمدِ

أُقَلّبُ عَيْناً في الإخَاءِ صَحيحَةً، ... إذا ارْتَمَتِ الأعداءُ بالأعيُنِ الرُّمْدِ

وَإنّيَ مُذْ عَادَ التّوَدّدُ بَيْنَنَا ... تَجَلّى الدُّجى عن ناظِرِي وَوَرَى زَندِي

وَعادَ زَماني بَعدَمَا غاضَ حُسنُهُ، ... أنيقاً كبُرْدِ العَصْبِ أوْ زَمَنِ الوَرْدِ[2]

وَكنتُ سَليبَ الكَفّ من كلّ ثَرْوَةٍ، ... فأصْبَحتُ من نَيلِ الأماني على وَعْدِ

١ العد : الكثير من الشيء .
٢ العصب : البرود اليمانية .

وَفارَقتُ ضِيقَ الصّدرِ عنكَ إلى الرِّضَى ، كما نَشَطَ المأسورِ مِنْ حلَقِ القِدِّ
وَقد ضَمّني مَحضُ الصّفاءِ وَصِدْقُهُ إليكَ كمَا ضُمّتْ ذِراعٌ إلى عَضُدِ
وَكنتُ ، علَى مَا بَيننا مِنْ عَيابَةٍ ، أعدُّكَ جَدّي حينَ أسطو على ضِدّي

هلم نعد صفو الوداد

هذه القصيدة ارسلها إليه أخوه الشريف المرتضى علم الهدى أبو القاسم علي قدس الله روحيهما :

تكَشّفَ ظِلُّ العَتبِ عن غُرّةِ العَهدِ ، وَأعدى اقترَابُ الوَصْلِ منّا على البُعْدِ [1]
تجَنّبَني مَن لَستُ عَن بعضِ هجرِهِ صَفُوحاً . وَلا في قَسوَةٍ عنهُ بالجَلْدِ
نَضَتْهُ يَدُ الإعتابِ عَمّا سَخَطتُهُ ، كما يُنتضَى العَضْبُ الجُرَازُ من الغِمدِ
وَكُنتُ علَى مَا جَرّهُ الهَجرُ مُمسكاً بحَبلِ وَفَاءٍ غَيرِ مُنْفَصِمِ العَقْدِ
أمِينُ نَوَاحي السّرّ لَمْ تَسْرِ غَدْرَةٌ ببَالي . وَلمْ أحفِلْ بداعيَةِ الصّدّ
تَلِينُ علَى مَسّ الإخاءِ مَضَارِبي ؛ وَإنْ كنتُ في الأقوَامِ مُستحسَنَ الحِدّ
وَلمّا استَمرّ البَينُ في عُدَوَائِهِ ، تَغَوّلَ عَفوِي أوْ تَرَقّى إلى جُهدِي [2]

١ أعداه : نصره ، وأعانه .
٢ العدواء : البعد ، والموانع

أُصاحبُ حُسنَ الظنّ وَالشكُّ مُقبِلٌ ، بوَجهي إلى حيثُ استترْتَ عُرَى الودّ[1]
إذا اتّسعَتْ في خُطّةِ الصدّ فكرَتي ، تجلّلَني هَمٌّ يَضيقُ بِهِ جِلْدي
وَإنْ نَاكَرَتْني خَلّةٌ مِنْ خِلالِهِ ، تَعَرّضَ قلبي يَفتَديها مِنَ الحقدِ
يَخالُ رِجالٌ مَا رَأوْا لِضَلالَةٍ ، وَلَنْ تُستَشَفّ الشمسُ بالأعينِ الرُّمْدِ
وَكَمْ مُظْهِرٍ سِيما الوِدادِ يرَوْنَهُ حَميداً ، وَمَا يُخفي بَعيداً من الحَمدِ
وَحُوشيتَ أن ألقاكَ سَبطاً تَظاهُرِي ، وَإنْ كُنتَ مَطوِيّاً على باطِنٍ جَعدِ
إذا تَرَكَتْ يُمْنَى يَدَيكَ تَعَلُّقي ، فيا ليتَ شعرِي من تمَسُّكُ من بَعدي
إيَاباً ، فلَمْ تُشرفْ على غايَةِ النّوَى ، وَلَمْ تَنأَ كُلَّ النّأيِ عَن سَنَنِ القَصْدِ
فَلا الدّرُّ نَثْراً لَيسَ يُدْفَعُ حُسنُهُ ، وَلَيسَ كمَا ضَمّتهُ ناحِيَةُ العِقْدِ
وَلَوْ لَمْ يُلاقِ القَدْحُ زَنداً بمِثْلِهِ لمَا انبَعَثَتْ شُهْبُ الشّرَارِ من الزّندِ
فقدْ غاضَ سُخْطانَا ، فهلْ من صُبابَةٍ برَأيكَ ؟ إنّي قد تَصَرّمَ ما عِندي
هَلُمّ نُعِدْ صَفْوَ الوِدادِ كمَا بَدَا ، إعادَةَ مَن لم يُلفِ عَن ذاكَ مِن بُدّ
وَنَغتَنِمِ الأيّامَ ، فَهيَ طَوَائِشٌ ، تُوَاتي بِلا قَصْدٍ ، وَتأبَى بِلا عَمْدِ
وَمِثلُكَ أهدَى أن يُقادَ إلى الهُدَى ، وَأرْشَدُ أنْ يَنحازَ عَن جِهةِ الرُّشْدِ

١ استترت عرى الود : لعله أراد قطعت .

قمر من السعد

قال في أبي سعيد بن خلف وقد تخلص من نكبة لحقته :

يا دارُ مَنْ قَتَلَ الهوَى بَعْدِي ، وَجَدُوا وَلا مِثْلَ الذي عِنْدِي
لا تَعْجَبِي ، يا دارُ ، أنّهُمُ أبدَوْا ، وَمَنْ يَكُ وَاجداً يُبْدِي
رَبْعٌ قَرِيبُ العَهْدِ أحْسَبُهُ بالظّاعِنِينَ ، وَقَد مضَى عَهْدِي
لَوْ حَرّكتَ ذاكَ الرّمادَ يَدٌ لَرَأتْ بَقَايَا الجَمْرِ وَالوَقْدِ
إنّي لَيُعْجِبُنِي حِمَاكَ ، إذا نَشَرَ النّسيمُ ذَوَائِبَ الرّنْدِ
وَالمَاءُ تَصقُلُهُ الرّيَاحُ كَمَا أبدَى العِيابُ مُضَاعَفَ السّرْدِ[1]
حيّا مَرِيضَ ثَرَاكَ غَادِيَةٌ ، تُعْطِيهِ رِيحَ العَنْبَرِ الوَرْدِ
أوْ ذاتُ نَهْدٍ بَيْنَ سَارِيَةٍ ، تَتَلَوّيَانِ تَلَوّيَ القِدّ[2]
يَتَشَقّقُ البَرْقُ اللّمُوعُ بِهَا وَتَرُوعُهُ بِتَهَزّمِ الرّعْدِ
لي مُقْلَةٌ مَا تَستَفِيقُ جَوًى ، تَدْمَى ، وَيَقرَعُ مَاؤهَا خَدّي
وَالعِيسُ مَا وَجَدَتْ تَحِنّ ، وَلا تُخفي ، وَأكتُمُ دائِماً وَجْدِي
وَمَلامُ أيّامٍ ، وَلَيْسَ لهَا عَطفٌ وَبَعضُ اللّوْمِ لا يُجدِي

١ العياب ، الواحدة عيبة : ما توضع فيه الثياب . السرد : اسم لكل درع ، أو حلق .

٢ لعله أراد بذات النهد بين سارية : سحابة فوق سحابة سارية ليلا . القد : السوط .

لا خَيرَ في دُنْيَا نَوَائِبُهَا ... تَدْوِي ، وَداءُ مَنُونِها يُعدِي[1]
لا تَحْسَبَنَّ الرِّزْقَ مُطَّرَحاً ، ... فَالرِّزْقُ بَيْنَ مَوَاضِعِ الأُسْدِ
وَلَرُبَّ مَصْحُوبٍ غَرِضْتُ بِهِ ... غَرَضَ الحَوَامسِ من قذى الوِرْدِ[2]
دانَى يَدِي فنَفَضْتُها حَذَراً ... مِنْ أنْ يُدَنِّسَ هَزْلُهُ جِدّي
وَمُبَخَّلٍ إنْ جادَ بَعْدَ مَدًى، ... فَالمَاءُ يَطْلُعُ مِنْ صَفاً صَلْدِ[3]
كَيْفَ السَّبيلُ إلى بُلَهْنِيَةٍ ... في ذا الزَّمَانِ وَعِيشَةٍ رَغْدِ[4]
في كُلِّ لَيْلٍ لي وَفُودُ مُنًى ، ... وَمَطامِعٌ وَسَدْتُهَا عَضْدِي
وَالمَرْءُ مَا أرْضَى أمَانِيَهُ ... يَنْقَادُ مِنْ لَعِبٍ إلى جِدِّ
وَجهي مَجَالٌ للطِّعَانِ ، فَمَا ... خَوْفي لِقَاءَ الحَرِّ وَالبَرْدِ
فَلأشْرَبَنَّ مَنَاقِباً بِدَمي ، ... وَلأنْقُبَنَّ عَلى العُلَى جُهْدِي
وَلأُرْحِلَنَّ العِيسَ مَرْحَلَةً ... عَوْجَاءَ ، بَيْنَ القُورِ وَالوَهْدِ
عَلِّي أُلاقي مَنْ أُسَرُّ بِهِ ، ... وَيُفَلُّ عِنْدَ لِقَائِهِ كَدِّي
وَأتُوبُ مِنْ ذَمِّ الزَّمَانِ ، إذا ... عَلِقَتْ يَدايَ يَدَيْ أبي سَعدِي
خُلَّي ، وَإنْ بَعُدَ الزَّمَانُ بهِ ، ... يَوْماً ، وَمَاطَلَني بِهِ وَعْدِي
وَمُطالعي في الأُنْسِ إنْ لُوِيَتْ ... عَنّي الرِّقابُ ، وَلَجَّ في صَدِّي

١ تدوي : تمرض .
٢ غرضت به : مللته .
٣ الصفا ، الواحدة صفاة : الحجر الصلد الضخم . الصلد : الصلب الأملس .
٤ البلهنية : رخاء العيش .

لا تَحْسَبُوا ذا البُعدَ غَيّرَني ، فَالبُعْدُ غَيرُ مُغَيِّرٍ وِدّي
وَإذا الفَتَى حَسُنَتْ رِعَايَتُهُ في القُرْبِ ضَاعَفَهَا عَلى البُعْدِ
لَوْ تَسْألُونَ دَمي سَمَحْتُ بِهِ مِنْ غَيرِ مَعْصِيَةٍ ، وَلا رَدّ
أوْ كَانَ جِلْدٌ يُسْتَعَارُ إذاً ، يَوْمَ الطّعانِ ، لعِرْتُكُمْ جِلْدِي
أوْ أنّ خُطْواً يُسْتَرَابُ بِهِ مِنكُمْ سَحَبتُ وَرَاءكُمْ بُرْدِي
كَانَتْ غَيَابَةَ حَادِثٍ فَجَلا دَيْجُورَهَا قَمَرٌ مِنَ السّعْدِ
وَنَهَضْتُ مِنها غَيرَ مُكْتَرِثٍ ، مِثْلَ الحُسَامِ نَزَا مِنَ الغِمْدِ
اللهُ جَارَكَ مَا رَمَتْكَ نَوًى تُذْرِي الرّكَائِبَ أوْ قَطَا الجُرْدِ
وَأنَا الذي إنْ تَدْجُ نَائِبَةٌ يُصْبِحْ أمَامَكَ مُورِياً زَنْدِي

صهوة يعرب

يهنىء بعض أصدقائه بمولود وقيل
إنه أعدها ليهنىء بها أخاه السيد المرتضى
فجاءته بنت فصرفها إلى غيره :

أُسَائِلُ سَيفي : أيُّ بارِقَةٍ تُجْدِي، وَلي رَغْبَةٌ عَمّنْ يُعَلّلُ بالوَعْدِ
وَأطْلُبُ في الدّنْيا العُلَى ، وَرَكائِبي مُقَلْقَلَةٌ مَا بَينَ غَوْرٍ إلى نَجْدِ

يُشَتِّتُ تُرْبُ القاعِ وَسْمَ أكُفّهَا ، وَأخفافُهَا في حَيّزِ النّصّ وَالوَخْدِ[1]
وَخِطّةِ ضَيْمٍ خادَعَتْنِي ، فَفِتُّها إلى مَطْلَعٍ بَيْنَ المَذَمّةِ وَالحَمْدِ
وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعرَى خرَقتُ وَشمسُهُ تَساقَطُ مِنْ هامِ الإكَامِ إلى الوَهْدِ
وَلَيْلٍ دَجُوجيٍّ كَأنّ ظَلامَهُ سَمَاوَةُ مَلْوِيّ الذّرَاعَينِ بالقِدِّ[2]
خَطَوْتُ ، وَفي كَفّي خِطامُ نَجيبَةٍ مُدَفَّعَةٍ مِنْ كُلّ قُرْبٍ إلى بُعْدِ
إذا لحَظَتْ ماءً جَذَبْتُ زِمامَهَا ، وَقُلتُ : ارْغَبي بالعزّ عن مَوْرِدٍ ثَمْدِ
تَوَمّينَ خيرَ الأرْضِ أهْلاً وَتُرْبَةً يُحَطّ بِهَا رَحْلُ المَكارِمِ وَالمَجْدِ
وَفي الأرْضِ قَوْمٌ يَلطِمونَ جِباهَهَا إذا هَجَمَتْ أعلَى المَنَازِلِ بالوَفْدِ
وَتَنبُو أكفُّ العِيسِ عن عَرَصَاتِهِمْ من البُخلِ حتّى تَستَغيثَ إلى الطّرْدِ
فَما خَدَعَتها رَوْضَةٌ عَنْ مَسيرِها ، وَلا لمعُ مَعسُولٍ تَطَلّعَ مِنْ وِرْدِ
أكُفُّ بَني عَدْنانَ تَستَمطِرُ الظُّبَى وَتأنَفُ مِن جُودِ الغَمائمِ بالعَهدِ[3]
وَتَلقَى الوَغَى ، وَاليَوْمُ يَنصُرُ بِيضَهُ على البِيضِ في مجْرًى من الحَدّ وَالجِدّ
مَنازِلُهُمْ عَقْرُ المَطَايَا ، وَإنّمَا تُعَقّلُها بالبِشْرِ وَالنّائِلِ الجَعْدِ[4]
جَذَبتُم بضَبعِ المَجدِ ، يا آلَ غالبٍ ، وَغادَرْتُمُ الإعْدامَ مُنْعَفِرَ الخَدّ
على حِينَ سَدّتْ ثُلمَةَ العارِ عَنكُمُ صُدُورُ العَوَالي وَالمُطَهَّمَةِ الجُرْدِ

١ النص : استخراج أقصى السير . الوخد : ضرب من السير السريع .
٢ سماوة كل شخص : شخصه .
٣ العهد : المطر .
٤ الجعد : الكريم .

وَكَمْ غارَةٍ أقْبَلْتُمُوها مَوَاقِراً … من الأسَلِ الذّيّالِ وَالبيضِ وَالسَّرْدِ
كَمَا قادَ عُلْوِيُّ السّحابِ غَمَامَةً … وَجَلجَلَها مِلءٌ مِنَ البَرْقِ وَالرّعدِ[1]
كَفَى أمَلي في ذا الزّمَانِ وَأهْلِهِ … عليٌّ مُجيراً مِنْ يَدِ الدّهرِ أوْ مُعدِي
فتًى ما مَشَى في سَمعِهِ شَدْوُ قَيْنَةٍ … وَلا جَذَبَتْ أحشاءهُ سَوْرَةُ الوَجْد
وَلا هَجَرَ السُّمْرَ العَوَالي لِلَذّةٍ ، … وَلا عاتَبَ البيضَ الغَوَاني على الصّدّ
إذا أظْلَمَتْ آمَالُ قَوْمٍ بِرَدّهَا … أضَاءَ سَنَا مَعرُوفِهِ ظُلْمَةَ الرّدّ
وَإنْ شَامَ يَوْماً نارَهُ خِلْتَ أنّهَا … تَطَلّعُ نَحْوَ الوَارِدِينَ مِنَ الزّنْدِ
وَكَمْ بَيْنَ كَفّيْهِ إذا احتَدَمَ الرّدَى … وَبَيْنَ العَوَالي مِنْ زِمامٍ وَمن عَقْدِ
لِيَهنِكَ يا ابنَ الأكرَمينَ ابنُ حُرّةٍ ، … تمَزّقَ عَنهُ النّحسُ عن غُرّةِ السّعدِ
فَرُبَّ لَهُ خَيْلَ الوَغَى ، فَلِمِثْلِهِ … تُرَبّي اللّيَالي كاهلَ الفَرَسِ النّهْدِ
وَبَشّرْ بِهِ البيضَ الصّوَارِمَ وَالقَنَا ، … وَبَشّرْهُ عَنْ قَوْلِ النّوَائِبِ بالجَلْدِ
ستَذكُرُهُ وَالحَرْبُ يَنكِحُها الرّدَى … وَقَدْ طَلّقَتْ أغمادَها قُضُبُ الهِنْدِ
كَأنّي بهِ جَارٍ عَلى حُكْمِ سَيفِهِ … يُعاهِدُهُ أنْ لا يَبيتَ عَلى حِقْدِ
إذا أنْهَضَتْهُ للنّزَالِ حَفِيظَةٌ ، … وَأنْهَضَ مُسْتَنَّ الحُسامِ من الغِمدِ
وَأرْخَى بعِطْفَيْهِ حَوَاشِي نِجَادِهِ … وَجَرّ عَلى أعقَابِهِ فاضِلَ البُرْدِ
وَعَطّفَ خِرْصَانَ الرّماحِ ، كأنّهَا … مِنَ الدّمِ في أطْرَافِها شَجَرُ الوَرْدِ
وَزَعزَعَ نَظْمَ الرّمحِ حتّى يَرُدّهُ … نِثَاراً عَلى الأعداءِ بالحَطمِ وَالقَصْدِ[2]

[1] جلجلها : حركها .
[2] النثار : رمي الشيء متفرقاً . القصد : الكسر .

وَشَايِحَ عَنْ أحْسَابِهِ بِحُسَامِهِ ، وَذَبّ عَنِ العِرْضِ المُمَنَّعِ بالرِّفْدِ[1]
رَأيتَ فتًى في كَفّهِ سِمَةُ النّدَى ، وَفي وَجْهِهِ شِبْهٌ مِنَ الأبِ وَالجَدّ
إذا ما احتَبَى في الحَيّ وَامتَدّ بَاعُهُ ، رَأيتَ أبَاهُ حينَ يَحكُمُ أوْ يُجدي
إلى جَدّهِ تُنْمَى شَمَائِلُ مَجْدِهِ ، وَهَلْ تَرْجِعُ الأشبالُ إلاّ إلى الأُسْدِ
وَليدٌ هَمَى مَاءُ العُلَى في جَبينِهِ ، وَقَدْ شِمتُ مِنهُ بارِقَ الحَسَبِ العِدّ
فلَوْ قيلَ يَوْماً: أينَ صَفوَةُ يَعرُبٍ ؟ رَأيتَ العُلَى تُومي إلى ذلكَ المَهْدِ
إلى رَبْعِكَ المَألُوفِ منّي تَطَلّعَتْ رِقَابُ القَوَافي تحتَ أدْعَجَ مُزْبَدّ
وَلَمّا بَعَثْتُ الشّعرَ نحوَكَ قالَ لي : الانَ فَعُقْ ، إلاّ إلى بَابِهِ ، قَصْدي[2]
سقَيتَ النّدَى شِعرِي فأنبَتَ حَمدَهُ وَلَوْ صَابَ في جِسمي لأنبَتَهُ جِلدِي
وَإنّي لأستَحيي العُلَى فيكَ أنْ أرَى ضَنيناً من الشِّعرِ المَصُونِ بما عِندي
كَبَتُّ الحَسُودَ النّدْبَ حتّى كَبَبْتُهُ ، فمَنْ عاذرِي يوْماً من الحاسِدِ الوَغْدِ
إذا الشّمسُ غاضَتْ كلَّ عينٍ صَحيحة فكَيْفَ بهَا في هَذِهِ المُقَلِ الرُّمْدِ

١ شايح : قاتل . ذب : دافع .
٢ الان : مخفف الآن .

العلى نشو سيوف الهند

قال في الافتخار وشكوى الزمان :

أبَارِقٌ طَالَعَنا مِنْ نَجْدِ ، يُضِيءُ في عَارِضِهِ المُرْبَدّ
مُسْتَعْبِراً عَنْ زَفَرَاتِ الرّعْدِ مَاءً كَمَا ارْتَجّتْ شِعابُ العِدّ
يَقْرِنُ أعْنَاقَ الرُّبَى بالوَهْدِ ، وَمَنْهَلٌ مُبَرْقَعٌ بِالثّمْدِ
هَتَكْتُهُ بِاليَعْمَلاتِ الجُرْدِ ، مُلَثّمَاتٍ باللُّغَامِ الجَعْدِ[1]
يَفْقَأنَ بالمَصْدَرِ عَيْنَ الوِرْدِ ؛ وَلَيْلَةٍ صَدِيّةِ الفِرِنْدِ[2]
بِيضُ النّجُومِ وَاحمِرَارُ الوَقْدِ مثلُ سِماطَيْ نَرْجِسٍ وَوَرْدِ
أوْ مُقَلٍ صَحَائِحٍ وَرُمْدِ ، تُنَازِعُ اللّحْظَ وَلَيسَ تُعْدي
يَقولُ لي الدّهرُ: ألا تَستَجدِي: أيْنَ ضِياءُ المَطْلَبِ المُسْوَدّ ؟
أرَى اللّيَالي يَشْتَهِينَ بُعْدي ، وَلا يُقَرِّبْنَ يَداً مِنْ زَنْدِي
يَلِجْنَ بَينَ صَارِمي وَغِمْدِي ، كَأنّ صَمصَامي بِغَيرِ حَدّ
وَحَاجَتِي تُصْلَى بِنَارِ الرّدّ ؛ ألاحِظُ الغَيّ بِعَينِ الرُّشْدِ

١ اللغام : زبد أفواه الإبل . الجعد : الكثير المتراكم .

٢ صدية، مسهل صدئة: ما علاها الصدأ، وهو مادة لونها يأخذ من الحمرة والشقرة تتكون على وجه الحديد ونحوه بسبب رطوبة الهواء . الفرند : السيف . استعار صدأ الفرند لما في الليلة من بياض واحمرار بيّنه في البيت التالي .

وَلا أُبَالِي مِنْ تَمادي بُعْدِي أَعُوذُ مِنْ رِزْقٍ بِغَيْرِ كَدِّ
في ذا الوَرَى قَلْبٌ بِغَيْرِ حِقْدِ ؛ مَنْ ذا الذي عَلى الزّمَانِ يُعْدِي
كُلٌّ جَوَادٍ كَاذِبٌ في الوَعْدِ ؛ وَكُلُّ خِلٍّ خَائِنٌ في الوُدِّ
يَحِلّ بالعُذْرِ نِطَاقَ العَهْدِ ، لا عَانَقَتْ هُوجُ الرّياحِ بُرْدِي
إلاّ عَلى ظَهْرِ أقَبٍّ نَهْدِ ، يَخْطُو عَلى مُلَمْلَمَاتٍ مُلْدِ
كَأنّهُ في سَرَعَانِ الوَخْدِ ، يَلْعَبُ في أرْسَاغِهِ بالنَّرْدِ[1]
يَا أيّهَا المُخَوّفي بِسَعْدِ ، طَرَحْتَنِي بَيْنَ النّيُوبِ الدُّرْدِ
وَلَوْ أتَاكَ النّصْرُ مِنْ مَعَدّ ، جَلجَلتَ من لحمي زَئِيرَ الأُسْدِ
آهاً لنَفْسٍ حُبِسَتْ في جِلْدِي ؛ إنّ الأسِيرَ غَرَضٌ بالقِدِّ
أشْرَفُ ذُخْرِي صَارِمٌ في الغِمْدِ ؛ إنّ العُلَى نَشْوُ سُيُوفِ الهِنْدِ
لا بُدّ أنْ أطْرُقَ بَابَ الجَدّ ، وَأجْعَلَ الخُلّةَ عُرْسَ الرِّفْدِ
وَيَطْرُدَ اللّيْلَ لِسَانُ زَنْدِي ، حَتّى أُقَاسَ بِأبي وَجَدّي
هُنّئْتَ يا مَالِكَ رِقّ المَجْدِ ، وَمُتْعِبِي دُونَ الوَرَى بالحَمْدِ
مِنكَ العَطَايَا وَالمُنى مِنْ عِندِي

[1] سرعان الوخد : أوائل السير السريع .

بحر من دم

كتب بها إلى صديق له :

لَحيّا عَهْدَهنّ حيَا العِهَادِ ، نَدًى يَختَصّ مِنْهُ كُلُّ نَادِ
وَأطْلالاً يُطِلّ الدّمْعُ فِيهَا ، إذا بَدَتِ الحَوَاضِرُ وَالبَوَادِي
رِوَاءٌ لا تُرِيحُ الرّيحُ فِيهَا مِنَ الإدْلاجِ إنْتَاجَ الغَوَادِي[1]
إذا مَاتَ الحَيَا بَينَ السّوَارِي ، أتَاهَا بالغَوَادِي في مَعَادِ[2]
مَجَاهِلُ مَنْزِلٍ كَانَتْ زَمَاناً مَعَالِمَ كُلّ مَكْرُمَةٍ وَآدِ[3]
تَكُفّ رُبُوعَها أيدِي الأمَاني ، وَقَدْ عَانَقْنَ أعنَاقَ الأيَادِي
إذا حَلّ الحُبَى أمَلٌ طَرِيفٌ ، حَبَتْهُ مُهْجَةُ المَالِ التّلادِ
فَمَا لي وَاللّقَاء ، وَكُلّ يَوْمٍ تُهَدّدُني الرّكَائِبُ بِالبِعَادِ
دَعِي عَذْلي فلَيسَ العَذلُ يُجْنى بِهِ مَا أثْمَرَتْ شِيَمي وَعَادِي[4]
وَلي عَزْمٌ تَعُوذُ بِهِ العَوَالي ، إذا فَزِعَتْ إلى مُهَجِ الأعَادِي

١ الرواء ، الواحد ريان : الممتلىء . تريح ، من أراحه: أدخله في الراحة . الادلاج : سير الليل. إنتاج الغوادي : مطر السحب المبكرة .

٢ السواري ، الواحدة سارية : السحابة تسري ليلا .

٣ الآد : القوة .

٤ العاد : الواحدة عادة .

يَضُمُّ شَعَاعَهُ قَلْبٌ ، وَلَكِنْ تَضِيقُ بِهِ حَيَازِيمُ البِلادِ[1]
وَكَمْ قَلْبٍ أَسَرَّ عَلَيَّ حِقْداً ، فَأَفْشَى سِرَّهُ سِرُّ النِّجَادِ
وَيَوْمٍ تَعْثُرُ الخِرْصَانُ عَمْداً بِهِ فِي كُلِّ نَحْرٍ أَوْ فُؤَادِ[2]
يَشُقُّ الرَّوْعَ عَنْ ضَاحِي بُدُورٍ ، بَرَزْنَ مِنَ العَجَاجَةِ فِي دَآدِ[3]
تُرِيهِمْ فِيهِ مِرْآةُ المَنَايَا ، بِصِدْقِ يَقِينِهِمْ ، وَجْهَ المَعَادِ
وَحَشْوُ أَكُفِّهِمْ سُمْرٌ رِوَاءٌ بِوِرْدِ المَوْتِ مِنْ مُهَجٍ صَوَادِ
تُهَدِّيهَا إِلَى الطَّعْنِ المَنَايَا ، بِحَيْثُ تَضِلُّ فِي طُرُقِ الهَوَادِي[4]
وَقَد نَشَأَتْ سَحَابٌ مِنْ عَجَاجٍ تَعُطُّ صُدُورَهَا أَيْدِي الجِيَادِ[5]
بِأَرْمَاحٍ خُلِقْنَ مِنَ المَنَايَا ، وَأَسْيَافٍ طُبِعْنَ عَلَى الجِلادِ
زَرَعْتُ أَسِنَّتِي فِي كُلِّ قَلْبٍ بِهَا ، وَالهَامُ تُزْرَعُ بِالحِصَادِ
وَبَحْرٍ دَمٍ تَعُومُ الطَّيْرُ فِيهِ ، وَتَرْقَى بَيْنَ أَمْوَاجِ الطِّرَادِ
تَرَاهَا فِي فُرُوجِ النَّقْعِ حُمْراً ، كَمَا طَارَ الشَّرَارُ عَنِ الزِّنَادِ
وَلَيْلٍ بَاتَ يُصْلِيتُ لِي هُمُوماً ، يُطَلُّ بِغَرْبِهِنَّ دَمُ الرُّقَادِ
وَكَيْفَ يُحِبُّ أَغْمَارَ اللَّيَالِي ، أَسِيرُ الطَّرْفِ فِي أَيْدِي السُّهَادِ
فَلَوْ حَلَّ المُؤَمِّلُ عَقْدَ هَمِّي شَدَدْتُ بِمُقْلَتَيَّ عُرَى الرُّقَادِ

---

١ شعاعه : متفرقه . الحيازيم : الصدور ، الواحد حيزوم .
٢ الخرصان ، الواحد خرص : الرمح .
٣ الضاحي : البارز . الدآد : اللهو واللعب .
٤ الهوادي : الأعناق .
٥ تعط : تشق .

وَإنّي وَهْوَ في خَيْشُومِ مَجْدٍ ، تَنَفّسَ عَنْ نَسِيمٍ مِنْ وَدادِ
كَأنّ عُهُودَنَا كَانَتْ قُلُوباً ، تُرَبّى بَيْنَ أحْشَاءِ العِهَادِ
أيَنسبُني لَهُ ظَنٌّ غَوِيٌّ ، وَكَانَ الغَيُّ يَمكُرُ بالرّشَادِ
إذاً ، فَثَكِلتُ سَابِحَتي وَسَيفي غَداةَ وَغًى ، وَرَاحِلَتي وَزَادي
أتَخْلَعُ حَلْيُكَ الأشْعَارَ عَنْهَا إذا كُسِيَتْ مِنَ المعنى المُعَادِ
وَمَنْ هَذا يَقُومُ مَقَامَ فَضْلٍ ، قَعَدْنَ لَهُ ذُرَى الصّمِّ الصِّلادِ
أأتْرُكُ ضَيغَماً في ظَهْرِ طَوْدٍ ، وَآخُذُ تَتْفُلاً في بَطْنِ وَادِ[1]
وَألْفِظُ صَفْوَ أحْشاءِ الغَوَادي ، وَأجْرَعُ رَنْقَ أحْشَاءِ الثِّمَادِ
وَقَدْ عَلِمَتْ رَبِيعَةُ أنّ بَيْتي لِغَيرِ الغَدْرِ ، مَرْفُوعُ العِمَادِ
أتَتْكَ قِلادَةٌ لَمْ يَخْلُ مِنْهَا صَلِيفُ الجُودِ أوْ جِيدُ الجَوَادي[2]
فَمَنْ لَمْ يُجْرِ دَمْعَتَهُ عَلَيها فَخَاطِرُهُ أفَظُّ مِنَ الجَمَادِ
وَمَا أجْني بهَا عُذْراً وَلَكِنْ مُحَافَظَةً عَلى ثَمَرِ الوَدادِ

١ التتفل : الثعلب .
٢ الصليف : عرض العنق ، وهما صليفان من الجانبين .

وجوه تقطر المجد

مَرِضَتْ بعدكم صُدورُ الصِّعادِ ، لا دَوَاءٌ إلاّ قُلُوبُ الأعَادِي
إنّ خيرَ الرِّمَاحِ ما شَرِقَتْ بالـ ـطَّعْنِ مِنْهَا مَعَاقِدُ الأكْبَادِ
أيُّ خَطْبٍ أرْخَى ذُؤابَةَ لَيْلٍ ، لَمْ أجُبْهُ مِنْ عَزْمَتي بِزِنَادِ[1]
حكَمَ الدّهرُ أنّ صَاحبَ ذا العَيـ ـشِ قَتيلُ المُنَى بِغَيرِ مُرَادِ
وَقَصيرُ الغِنى طَويلُ يَدِ الجُو دِ ثَقِيلُ الحِجَى خَفيفُ العَتَادِ
كُلّمَا قُلْتُ رَوّحَتْنِي اللّيالي، ضَرَبَتْ بي آفَاقَ هَذِي البِلادِ
وَتَلَقّتْ بيَ الظّلامَ ، رَدِيفَ الـ ـنّجْمِ ، بَيْنَ الإتْهَامِ وَالإنْجَادِ
وَعِتَابُ الزّمَانِ مِثْلُ عِتابِ الـ ـعَيْنِ تُنْهَى،وَدَمْعُهَا بِازْدِيَادِ
ضَجّتِ الخَيلُ من سَرَايَايَ حتّى لحَسَدْنَ البِطَاءَ قُبُّ الجِيَادِ
كُلَّ يَوْمٍ أقُودُهَا شَائِمَاتٍ بَارِقَ المَوْتِ مِنْ سَمَاءِ الجِلادِ
بِلُيُوثٍ تَقْرِي الهَجيرَ وُجُوهاً تَقْطُرُ المَجْدَ بَيْنَ قَارٍ وَبَادِ
شَرِقَتْ غُرّةُ القَرِيضِ بِنَدْبٍ أشرَقَتْ عِنْدَهُ وُجُوهُ الأيَادِي

[1] أجبه ، من جابه : قطعه ، خرقه .

إذا عربي لم يكن مثل سيفه

لأيِّ حَبِيبٍ يَحْسُنُ الرَّأيُ وَالوُدُّ ، وَأكثرُ هذا النّاسِ لَيسَ لَهُ عَهْدُ
أرَى ذَمّيَ الأيّامَ مَا لا يَضِيرُهَا ، فَهَلْ دافِعٌ عَنّي نَوَائِبَهَا الحَمْدُ
وَمَا هَذِهِ الدّنْيَا لَنَا بِمُطِيعَةٍ ، وَلَيسَ لخَلْقٍ مِنْ مُدارَاتِها بُدّ
تَحُوزُ المَعَالي وَالعَبِيدُ لِعَاجِزٍ ، وَيَخْدُمُ فيها نَفسَهُ البَطلُ الفَرْدُ
أكُلُّ قَرِيبٍ لي بَعِيدٌ بِوُدّهِ ؛ وكُلُّ صَدِيقٍ بَينَ أضْلُعِهِ حِقْدُ
وَللهِ قَلْبٌ لا يَبُـلّ غَلِيلَـهُ وِصَالٌ ، وَلا يُلهيهِ عَنْ خِلّهِ وَعْدُ
يُكَلّفُني أنْ أطْلُبَ العِزَّ بالمُنَى ؛ وَأينَ العُلَى إنْ لَمْ يساعدْنيَ الجَدّ
أحِنّ ، وَمَا أهْوَاهُ رُمْحٌ وَصَارِمٌ ، وَسابِغَةٌ زُغْفٌ ، وَذو مَيعَةٍ نَهْدُ[1]
فَيا ليَ مِنْ قَلْبٍ مُعَنًّى بهِ الحَشَا ؛ وَيا ليَ مِنْ دَمْعٍ قَرِيحٍ بِهِ الخَدّ
أُرِيدُ مِنَ الأيّامِ كُلَّ عَظِيمَةٍ ، وَمَا بَينَ أضْلاعي لهَا أسَدٌ وَرْدُ
وَلَيسَ فتًى مَن عاقَ عن حَملِ سيفه إسَارٌ ، وَحَلاّهُ عَنِ الطّلبِ القِدّ[2]
إذا كانَ لا يَمضِي الحُسَامُ بنَفسِهِ ، فَللضّارِبِ المَاضِي بقَائِمِهِ الحَدّ
وَحَوْليَ مِنْ هَذا الأنَامِ عِصَابَةٌ تَوَدُّدُهَا يَخْفَى وَأضْغانُها تَبدُو

١ السابغة : الدرع الطويلة . الزغف : اللينة ، الواسعة المحكمة. الميعة ، من ماع الفرس: جرى . النهد : الفرس الحسن الجميل الجسيم .

٢ حلاه ، لعلها مسهل حلأه : منعه .

يَسُرُّ الفَتى دَهْرٌ، وَقَدْ كانَ ساءه، وَتَخدُمُهُ الأيّامُ ، وَهوَ لهَا عَبْدُ
وَلا مَالَ إلاّ مَا كَسَبتَ بنَيلِهِ ثَنَاءً ، وَلا مَالٌ لمنْ لا لَهُ مَجْدُ
وَمَا العَيشُ إلاّ أنْ تُصَاحِبَ فِتيَةً طوَاعنَ لا يَعنيهِمُ النّحْسُ وَالسّعدُ
إذا طَرِبُوا يوْماً إلى العِزّ شَمّرُوا ؛ وَإنْ نُدِبُوا يوْماً إلى غَارَةٍ جَدّوا
وكَمْ ليَ في يَوْمِ الثّوِيّةِ رَقْدَةٌ يُضَاجِعُني فيهَا المُهَنّدُ وَالغِمْدُ
إذا طَلَبَ الأعداءُ إثْرِي ببَلْدَةٍ ، نجَوْتُ وَقَدْ غَطّى على أثَرِي البُرْدُ
وَلَوْ شاءَ رُمْحي سَدّ كُلّ ثَنِيّةٍ تُطَالِعُني فيهَا المَغَاوِيرُ وَالجُرْدُ
نَصَلْنا عَلى الأكْوَارِ مِنْ عَجزِ لَيلةٍ تَرَامَى بنا في صَدْرِها القُورُ وَالوَهدُ[1]
طَرَدْنَا إلَيها خُفَّ كُلّ نَجيبَةٍ ، عَلَيْهَا غُلامٌ لا يُمَارِسُهُ الوَجْدُ
وَدُسْنا بأيدي العِيسِ لَيْلاً ، كأنّما تَشابَهَ في ظَلمَائِهِ الشِّيبُ وَالمُرْدُ
ألا لَيتَ شِعرِي ! هَلْ تُبَلّغُني المنى وَتَلْقَى بيَ الأعداءَ أحصِنَةٌ جُرْدُ ؟
جِيَادٌ، وَقَدْ سَدّ الغُبارُ فُرُوجَها، تَرُوحُ إلى طَعنِ القَبائِلِ أوْ تَغدُو[2]
خِفَافٌ عَلى إثْرِ الطّرِيدَةِ في الفَلا ، إذا ماجَتِ الرّمضَاءُ وَاختَلَطَ الطّرْدُ
كَأنّ نجُومَ اللّيْلِ ،تحتَ سُرُوجِها، تَهَاوَى عَلى الظّلمَاءِ وَاللّيلُ مُسوَدّ
يُعِيدُ عَلَيها الطّعنَ كُلُّ ابنِ هِمّةٍ كَأنّ دَمَ الأعْداءِ في فَمِهِ شَهْدُ
يُضَارِبُ حتّى مَا لِصَارِمِهِ قِوًى ، وَيَطْعَنُ حتّى مَا لِذابِلِهِ جَهْدُ

---

١ نصلنا : خرجنا . القور : الجبال الصغيرة ، الواحد قارة . الوهد : المطمئن من الأرض .

٢ جياد : مسرعة .

تَغَرّبَ لا مُستَحْقِباً غَيرَ قُوتِهِ ، وَلا قَائِلاً إلاّ لِمَا يَهَبُ المَجدُ[1]
وَلا خَائِفاً إلاّ جَرِيرَةَ رُمْحِهِ ، وَلا طَالِباً إلاّ الذي تَطلُبُ الأُسدُ
إذا عَرَبيٌّ لَمْ يَكُنْ مثلَ سَيفِهِ مَضَاءً عَلى الأعْداءِ أنْكَرَهُ الجَدّ
وَما ضَاقَ عَنهُ كلُّ شَرْقٍ وَمَغرِبٍ من الأرْضِ إلاّ ضَاقَ عن نفسه الجِلدُ
إذا قَلّ مالُ المَرْءِ قَلّ صَديقُهُ ، وَفَارَقَهُ ذاكَ التّحَنّنُ وَالوُدّ
وَأصْبَحَ يُغضِي الطّرْفَ عن كلّ منظرٍ أنيقٍ وَيُلْهِيهِ التّغَرّبُ وَالبُعْدُ
فَمَا لي وَللأيّامِ أرْضَى بِجَوْرِهَا ، وَتَعْلَمُ أنّي لا جَبَانٌ وَلا وَغْدُ
تَغَاضَى عيُونُ النّاسِ عَنّي مَهَابَةً كما تَتّقي شمسَ الضّحى الأعينُ الرُّمدُ
تَخَطّتْ بيَ الكُثْبَانَ جَرْداءُ شَطبَةٌ فَلا الرّعيُ دانٍ من خُطاها وَلا الوِرْدُ[2]
تُدافِعُ رِجْلاهَا يَدَيْهَا عَنِ الفَلا إلى حَيثُ يُنمَى العزّ وَالجَدّ وَالجِدّ
فَجاءتْكَ وَرْهاءَ العِنَانِ بِفَارِسٍ تَلَفّتَ حتّى غابَ عَنْ عَينِهِ نَجدُ[3]
وَمِثلُكَ مَن لا تُوحشُ الرّكبَ دارُه وَلا نازِلٌ عَنها إذا نزَلَ الوَفْدُ
فَيَا آخِذاً مِنْ مَجدِهِ ما استَحَقّهُ ، نَصِيبُكَ هَذا العزّ وَالحَسَبُ العِدّ
أبٌ أنتَ أعلى منهُ في الفَضْلِ وَالعُلى ، وَأمضَى يداً ؛ وَالنّارُ وَالِدُها زَنْدُ
وَمَا عَارِضٌ عُنوَانُهُ البِيضُ وَالقَنا أخو عارِضٍ عُنوَانُه البَرْقُ وَالرّعْدُ

١ مستحقباً ، من استحقبه : شده في مؤخر رحل أو قتب واحتمله خلفه . القائل : الساكن إلى الشيء .
٢ الشطبة : الفرس السبطة اللحم .
٣ الورهاء : الحمقاء .

وَكَمْ لكَ في صَدْرِ العَدُوّ مَرَشَّةٌ يُخَضَّبُ منهُ الرّمحَ مُنبَعِقٌ وَرْدُ[1]
وَفَوْقَ شَوَاةِ الذِّمْرِ ضَرْبَةُ ثَائِرٍ يَكَادُ لَهُ السّيفُ اليَمانيُّ يَنقَدُ[2]
يَوَدّ رِجَالٌ أنّني كُنتُ مُفْحَماً، وَلَوْلا خِصَامي لمْ يَوَدّوا الذي وَدّوا
مَدَحتُهُمُ فاستَقبحَ القَوْلُ فيهِمُ، ألا رُبَّ عُنْقٍ لا يَليقُ بِهِ عِقْدُ
زَهِدتُ وَزُهدي في الحَياةِ لِعِلّةٍ، وَحُجّةُ مَن لا يَبلغُ الأمَلَ الزّهْدُ
وَهَانَ عَلى قَلْبي الزّمَانُ وَأهلُهُ، وَوِجدانُنا، وَالمَوْتُ يَطلُبُنا، فَقْدُ
وَأرْضَى مِنَ الأيّامِ أنْ لا تُميتَني، وَبي دُونَ أقْرَاني فَوَائِبُهَا النُّكْدُ

قول الفحول ونجدة الأنجاد

لَيْتَ الخَيالَ فَريسَةٌ لِرُقَادي، يَدْنُو بطَيفِكِ عَنْ نَوًى وَبِعَادِ
وَلَقَدْ أطَلْتُ إلى سُلُوّكِ شِقْوَتي وَجعلتُ هَجرَكِ وَالتجَنّبَ زَادي
أهْوِنْ بِما حَمّلتِنِيهِ منَ الضّنَى لَوْ أنّ طَيفَكِ كانَ مِنْ عُوّادي
وَلَقَلّمَا نَزَلَ الخَيَالُ بمُقْلَةٍ رَوْعَاءَ نَافِرَةٍ بِغَيرِ رُقَادِ
ما تَلتَقي الأجفَانُ منها سَاعَةً، وَإذا التَقَتْ فَلِغَضّ دَمْعٍ بَادِ

١ المرشة : الطعنة الواسعة . المنبعق : أراد به الدم المتفجر ، من انبعق السحاب : تفجر بالمطر . الورد : الأحمر .

٢ الشواة : الأطراف . الذمر : الشجاع .

لا يَبْعَدَنْ قَلْبي الذي خَلَّفْتُهُ وَقْفاً عَلى الإتْهامِ وَالإنْجادِ
إنّ الذي عَمَرَ الرّقادَ وِسادَةً ، لمْ يَدْرِ كَيفَ نَبَا عَليّ وِسادي
لا زَالَ جَيبُ الليلِ مُنفصِمَ العُرَى عَن كلّ أوْطَفَ مُبرِقٍ مِرْعادِ[1]
يَسقي مَنازِلَ عاثَ فيهنّ البِلَى ، بَينَ الغُوَيْرِ فَجانبِ الأجْمَادِ
وَإذا الرّيَاحُ تَبَوّعَتْ ، فصُدورُها لعِناقِ حاضِرِ أرْضِكُمْ وَالبَادي[2]
وَلَقد بَعَثتُ من الدّموعِ إلَيكُمُ برَكَائِبٍ، وَمِنَ الزّفِيرِ بِحادِ
إنّي متى استَنجدتُ سِربَ مَدامعٍ خَلّفتُهُ أسرابُ الفِراقِ العادي
لَوْلا هَوَاكِ لمَا ذَلَلْتُ ، وَإنّمَا عِزّي يُعَيّرُني بِذُلّ فُؤادي
مَا للزّمانِ يَذُودُني عَن مَطلَبي ، وَيُرِيغُني عَن طارِفي وَتِلادي
يَحْنُو عَليّ ،إذا أقَمْتُ كَأنّنيَ الـ أسرَارُ في أحشَاءِ كلّ بِلادِ
عاداتُ هذا النّاسِ ذَمُّ مُفَضَّلٍ ، وَمَلامُ مِقدامٍ ، وَعَذْلُ جَوَادِ
وَلَقَدْ عَجِبتُ، ولا عَجيبٌ أنّهُ كُلّ الوَرَى للفَاضِلِينَ أعادي
وَأرَى زَمَاني يَستَلينُ عَرِيكَتي ، وَأرَى عَدُوّي يَستَحِرّ عِنادي[3]
أتَظُنّني ألقَى إليكَ يَداً ، وَمَا بَيني وَبَينَكَ غيرُ ضَرْبِ الهَادي
أسعَى لِكُلّ عَظِيمَةٍ ، فَأنَالُها عَزْماً يَفُوتُ هَوَاجِسَ الحُسّادِ
عَزْماً قَوِيّاً لا يُشَاوِرُ رِقْبَةً للخَطْبِ في الإصْدارِ وَالإيرَادِ

١ الأوطف : السحاب المسترخي لكثرة مائه .
٢ تبوعت : مدت باعها .
٣ استحره : وجده حاراً .

مَا زَالَ يَشهَدُ لي إذا استَنطَقتُهُ ... بالجُودِ في لَيلي ، لِسَانُ زِنَادِي
إنّي لَتَحقُنُ ماءَ وَجهي هِمّتي ... مِنْ أنْ يُرَاقَ عَلى يَدَي بِأيَادِ
مِمّا يُقَلِّلُ رَغبَتي أنّي أرَى ... صَفَدي بِبَذلِ المالِ مثلَ صِفادِي[1]
وَالمَالُ أهوَنُ مَطلَباً من أنْ أرَى ... ضَرِعاً أرَامي دُونَهُ وَأُرَادِي[2]
وَمُنَاضِلٍ عَثَرَتْ بِهِ أحْسَابُهُ ... في مَسلَكٍ وَعرٍ مِنَ الأجْدادِ
خَلّقتُ عُرْفَ جَوَادِهِ بنَجيعِهِ ، ... وَالسّبقُ في طَلَقِ الرّدى لجَوَادِي
وَكَرُبَتْ يَوْمٍ غَضّةٍ أطْرَافُهُ ... صُقِلَتْ بخَطوِ رَوَائحٍ وَغَوَادِي
يوْمٍ أرَاقَ دمَ الغَمَامِ على الثّرَى ... بظُبًى مِنَ الإيماضِ غَيرِ حِدادِ
وَلِغُرّةِ الجَوّ الرّقيقِ أسِرّةٌ ... يَلمعنَ من قِطَعِ السّحابِ الغادِي
جاذَبتُهُ صَافي أديمِ هَجيرِهِ ، ... وَاليَعمَلاتُ شَوَاحِبُ الأعضَادِ
في فِتْيَةٍ سَلَبُوا النّهارَ ضِيَاءَهُ ... وَرَمَوْا بَيَاضَ جَبينِهِ بِسَوَادِ
وَحشَوْا حَشا الظّلماءِ ملءَ جنانها ... حتّى تصَدّعَ بالصّديعِ البادِي[3]
وكأنّما بِيضُ النّجومِ فَوَاقِعٌ ... في زَاخِرٍ مُتَتَابِعِ الإزْبَادِ
نَالُوا عَلى قَدْرِ الرّجَاءِ ، وَإنّمَا ... يَرْوَى عَلى قَدْرِ الأُوَامِ الصّادِي
قَوْمٌ إذا قَرَعُوا زُنُوداً للقِرَى ، ... سَتَرُوا فُرُوجَ النّارِ بالوُرّادِ
ما ضَلّ في قلبِ امرِىءٍ أمَلٌ سرَى ... إلاّ وَجُودُهُمُ الهُدَى وَالهَادِي

١ صفدي : عطائي . صفادي : وثاقي .
٢ الضرع : الذليل . ارادي : اداري .
٣ الصديع : الصبح .

طُنُبٌ يُعَثِّرْنَ الخُطُوبَ، وَبَاحَةٌ مَمْنُوعَةٌ إلاّ مِنَ الرُّوّادِ[1]
سَحَبُوا أنَابِيبَ القَنَا ، فكأنّمَا سَحَبُوا بِهِنّ حَوَاشِيَ الأبْرَادِ
يَزْجُرْنَ جُرْداً لا تُقِرّ على الثّرَى مَرَحاً كَأنّ التُّرْبَ شَوْكُ قَتَادِ
من كُلّ تَلعاءِ المَنَاكِبِ، جِيدُها يُغْني عَنِ القَرَبُوسِ يَوْمَ طِرَادِ[2]
ضَرَبُوا قِبابَ البِيضِ فوْقَ مَفارِقٍ أطْنَابُهَا شَرْعُ القَنَا المَيّادِ[3]
ذُبُلٌ يُهَذّبُهَا الطّعانُ ، وَإنّهَا تَزْدادُ جَهْلاً كُلّ يَوْمِ جِلادِ
يَحمِلنَ عِبْءَ المَوْتِ وَهيَ خَفايفٌ في الطّعنِ بَيْنَ جَنَاجِنٍ وَهَوَادِ[4]
هُمْ أنشَبُوا قِصَدَ القَنَا من وَائِلٍ من حَيْثُ نارُ الحِقْدِ في إيقَادِ[5]
وَلَغُوا بِوَقْعِ حَوَافِرٍ في مأزِقٍ ، مَلأُوا بِهِنّ مَسامِعَ الأضْدادِ
نَجْبٌ نَفَضْنَ لهُ الفَرَائِصَ خِيفَةً تحتَ العَرِينِ ، بَرَاثِنُ الآسَادِ[6]
لَبِسَتْ لَهُ الحَرْبُ المَشوبةُ قِبلةً وَتَعَوّدَتْ مِنْهُ صُدُورَ صِعَادِ[7]
وَلَدَتْ وُجوهُهُمُ العجاجةَ طلعةً وَظُبَى السّيُوفِ ثَوَاكِلُ الأغمادِ
مِنْ كلّ نَصْلٍ أضْمَرَتْ أحشَاؤهُ الـ أرْوَاحَ وَهوَ حشًى بغَيرِ فُؤادِ

١ أعاد ضمير الجمع المؤنث في يعثّرن إلى طنب المفرد على نية الجمع .

٢ التلعاء : الطويلة العنق . القربوس : حنو السرج أي قسمه المقوس المرتفع قدام المقعد ومن مؤخره

٣ اطنابها : حبالها . شرع القنا : الرماح المسددة .

٤ الجناجن : عظام الصدر . الهوادي : الأعناق ، وقد مر .

٥ القصد ، الواحدة قصدة : القطعة مما يكسر .

٦ النجب : السخي الكريم ، ولم ندر لم يعود .

٧ معنى هذا البيت غامض ، وربما كان فيه تحريف .

الخَيلُ تَرْتَشِفُ الصّعيدَ نُسورُها ... طَرْداً ، وَتَلفِظُهُ عَلى الأكْتَادِ[1]
أقبلْنَ مِثْلَ السّيلِ صَوّبَ عُنْقَه ... نَشَزُ العِقَابِ إلى قَرَارِ الوَادِي
وَتَكادُ تَمسَحُ من دِماءِ جِرَاحِها ... آثارَ مَا نَقَشَتْ عَلى الأطْوَادِ
تَرْجيعُ قَعقَعَةِ الشّكيمِ إذا سرَتْ ... لِعُداتِهَا ، بَدَلٌ مِنَ الإيعَادِ
يَوْمٌ كأنّ الأرْضَ فيهِ عانَقَتْ ... صَدْرَ السّماءِ بعارِضٍ مُنْقَادِ
وَيَكادُ جامحُهُ يُثَقِّفُ في الطُّلَى ... بالطّعْنِ ، أطرَافَ القَنَا المُنْآدِ
وَكأنّهُنّ ، إذا انحَنَينَ ، رَوَاكِعٌ ... صَلّتْ إلى قِبَلٍ مِنَ الأكْبادِ
وَشَقَقْنَ أرْدِيةَ الضّغائنِ بالرّدَى ... من بَعدِ ما شَمَلَتْ قلوبَ إيَادِ
إنْ يُسلَبوا ضَافي الدّرُوعِ ، فإنّهم ... كاسونَ من عَلَقٍ دُرُوعَ جِسادِ
وَجَعَ الضّرّابُ رِجالَهُمْ بعَمائمٍ ... مُحْمَرّةٍ وَنِساهُمُ بجِدادِ
لا يَنقُضُونَ بُنَى الحُقودِ كأنّما ... شِيدَتْ ضُلُوعُهُمُ على الأحقَادِ
مُهَجٌ كأُنبُوبِ اليَرَاعِ ، إذا عَدَا ... رَوْعٌ وَعِندَ المُطْمِعاتِ عَوَادِي
كادَتْ تَطِيرُ مَخافَةً لَوْ لمْ تَكُنْ ... مِنْ شُرّعِ الأرْمَاحِ في أسْدَادِ
بَلَغَتْ لَنَا الأرْماحُ كُلَّ طَماعَةٍ ... وَحَوَتْ لَنَا الأسيافُ كُلَّ مُرَادِ
أنا خِلُّ كلِّ فتًى إذا أيقَظتُهُ ... أيقظتُ كالنضّاضِ أوْ كالعَادِي[2]
ألِفَ الحُسامَ ، فلَوْ دَعَاهُ لغارَةٍ ... عَجْلانُ ، صَاحَبَهُ بغَيرِ نِجَادِ

١ نسورها : ما ارتفع من بواطن حوافرها ، الواحد نسر . الأكتاد ، الواحد كتد : مجتمع الكتفين من الإنسان .
٢ النضاض : الحية . العادي : الأسد .

كَفَّاهُ تَصْدِيها الدِّماءُ من القَنَا ، طَوْراً ، ويَصْقُلُها النَّدى في النَّادِي
إنْ جادَ أقنى المُعسرِينَ ، وإن سطا أفنَى القَنَا بمَوَايرِ الفِرْصَادِ[1]
مَنْ مُبلِغُ الشُّعَرَاءِ عنّي أنّ لي قَوْلَ الفُحولِ وَنَجدَةَ الأنجادِ
قد كانَ هذا الشِّعرُ يُنزَعُ في الدُّنَا عنهُمْ ، فكانَ عِقَالَهُ ميلادِي

عزمه في حده

يمدح وسئل ذلك

هُوَ سَيْفُ دَوْلَتِنا الذي يَوْمَ الوَغَى يَفْرِي قُلُوبَ عُداتِهِ بفِرِنْدِهِ
يَعدُو بطِرْفٍ إنْ جرَى سَبَقَ الرَّدى وَبِصَارِمٍ يَسِمُ الطُّلَى في غِمْدِهِ
جَارٍ ، وَلَكِنْ رَأيُهُ في جَرْيِهِ ، مَاضٍ ، وَلَكِنْ عَزْمُهُ في حَدِّهِ

١ أقنى : أغنى . موابر الفرصاد : أراد الدم السايل .

السابقون إلى المجد

قال يفتخر بقريش ونزار على قحطان
واليمن وذلك في رمضان سنة ٣٨٥ :

أَرَاكَ سَتُحدِثُ للقَلْبِ وَجْدا ، إذا مَا الظّعائِنُ وَدّعْنَ نَجْدَا
بَوَاكِرُ يَطْلُعْنَ نُقْبَ الغُوَيرِ ، شَأَوْنَ النّوَاظِرَ نَأياً وَبُعْدَا[1]
تُتَبّعُهُمْ نَظَرَاتِ الصّقُورِ آنَسْنَ هَفْهَفَةَ الطّيرِ جَدّا[2]
عَلى قَنَوَينِ ، ألا مَنْ رَأى ظَعائنَ بالطّعنِ وَالضّرْبِ تَجْدَا[3]
نُخَالِسُهَا مِنْ خِلالِ القَنَا سَلاماً ، وَنَعْلَمُ أنْ لا تَرُدّا
كَأنّ هَوَادِجَهَا وَالقِبَابَ يَشِنّ مِنهُنّ بَاناً وَرَنْدَا
فَما شِئتَ تَنسِمُ بالقَلْبِ نَشْراً ، وَمَا شِئتَ تَقطِفُ بالعَينِ وَرْدَا
كَأنّ قَوَانيَ أنْمَاطِهَا قُطُوعُ رِياضٍ من الطّلّ تَندَى[4]
يَصُدّونَ عَنّا بلَمعِ الخُدُودِ ، وَيَمْنَعُنا وَجدُنَا أنْ نَصُدّا
كَأنّا بِنَجْدٍ غَدَاةَ الوَداعِ نُصَادي عُيُوناً من الدّمعِ رُمْدَا[5]

---

١ النقب : الطريق . الغوير : ماء لكلب . شأون : سبقن .
٢ هفهفة الطير : صوت طيرانه .
٣ القنوان : جبلان . النجد : الغلبة ، ولعله نعت بالمصدر .
٤ القواني : الحمر . الأنماط ، الواحد نمط : ضرب من البسط . القطوع ، الواحد قطع : البساط والطنفسة تكون تحت الراكب .
٥ نصادي : نساتر ، نداري .

وَأيسَرُ مَا نَالَ مِنّا الغَلِيلُ   أنْ لا نُحِسَّ مِنَ المَاءِ بَرْدَا
أثَارُوا زَفِيراً يَلُفُّ الضّلُوعَ   لَفَّ الرّيَاحِ أنَابِيبَ مُلْدَا
فَكُلٌّ حَرَارَةُ أنْفَاسِهِ   تَدُلُّ عَلى أنّ في القَلْبِ وَقْدَا
وَإنّيَ لِلشّوْقِ مِنْ بَعْدِهِمْ   أُرَاعي الجَنُوبَ رَوَاحاً وَمَغْدَى
وَأفرَحُ مِنْ نَحْوِ أوْطَانِهِمْ   بِغَيْثٍ يُجَلْجِلُ بَرْقاً وَرَعْدَا
إذا طَلَعَ الرّكْبُ يَمّمْتُهُ   أُحَيّي الوُجُوهَ كُهُولاً وَمُرْدَا
وَأسألُهُمْ عَنْ جَنُوبِ الحِمَى   وَعن أرْضِ نجدٍ وَمَن حَلّ نَجدَا
نَشَدْتُكُمُ اللهَ ، فَلْيُخْبِرَنَّ   مَنْ كانَ أقرَبَ بالرّمْلِ عَهْدَا
هَلِ الدّارُ بالجِزْعِ مَأهُولَةٌ ،   أنَارَ الرّبيعُ عَلَيْهَا وَأسْدَى[1]
وَهَلْ حَلَبَ الغَيْثُ أخْلافَهُ   عَلى مَحضَرٍ مِنْ زَرُودَ وَمَبْدَا؟
وَهَلْ أهْلُهُ عَنْ تَنائي الدّيَارِ ،   يُرَاعُونَ عَهْداً وَيَرْعَوْنَ وُدّا ؟
لَئِنْ أقْرَضَ اللهُ ذاكَ النّعِيمَ   فيهِمْ ، لقَدْ كانَ قَرْضاً مُؤدّى
أعَارَ الزّمَانُ ، وَلَكِنّهُ   تَعَقّبَ إعْطَاءَهُ ، فَاستَرَدّا
أنَا ابنُ العَرَانِينِ مِنْ هَاشِمٍ .   أرَقُّ القَبَائِلِ رَاحاً وَأنْدَى
أكَنُّهُمُ لِلمَرَامِيلِ ظِلاًّ ،   وَأثْقَبُهِمْ لِلمَطَارِيقِ زَنْدَا[2]

١ الجزع : محلة القوم ، وجزع الوادي : حيث تقطعه . ولعله هنا موضع بعينه . أنار الثوب جعل له نيراً ، أي هدباً ولحمة . أسدى الثوب : أقام سداه . وهو ما مد من خيوطه خلاف اللحمة والفظتان مستعارتان لإزهار نبات الربيع .

٢ المراميل : الفقراء . المطاريق : الضيوف يطرقون ليلا .

سِرَاعٍ إلى نَزَوَاتِ الخُطُوبِ ، يَهُزّونَ سُمراً،وَيَمرُونَ جُرْداً[1]
كَأنّ الصّرِيخَ يُهَاهي بِهِمْ ، أُسُوداً تَهُبّ مِنَ الغِيلِ رُبْداً[2]
إذا أغرَقُوا بِيضَهُمْ في الطُّلَى وَسامُوا القَنا من دمِ الطعنِ وِرْداً
عَلى القُبّ تَشغَلُهُنّ السّيَاطُ أمَامَ الرّعِيلِ عُنُقاً وَشَدّاً
رَمَيْنَ السِّخَالَ،وَقَينَ النّفُوسَ حتّى بلَغنَ لغُوباً وَجُهْداً
فَمَا أوْمَأُوا بِصُدُورِ الرّمَاحِ يَوْماً إلى القِرْنِ إلاّ تَرَدّى
سُيُوفٌ تُطِيلُ قِرَاعاً وَقَرْعاً ، وَخَيْلٌ تُعِيدُ طِرَاداً وَطَرْداً
وَتَغْلَقُ فِيهِمْ رُهُونَ المُلُوكِ قَتلاً بيَوْمِ طِعانٍ وَصَفْداً
وَكَمْ صَافَ مِنْ دارِهِمْ سَيّدٌ، وَقَاظَ يُعَالِجُ في الجِيدِ قِدّا
كَأنّ الفتَى مِنهُمُ في النّزَالِ يَرَى أكبَرَ الغُنْمِ إنْ قِيلَ أوْدَى
وَلا يَحمَدُ العَيشَ في يَوْمِهِ ، إذا لمْ يُلاقِ منَ السّيفِ هَدّاً[3]
يَبِيتُ عَلى ظُبَتَيْ هِمّةٍ يُجَاني خُصُوماً من النّوْمِ لُدّاً[4]
إذا غَلّ أيْدِي الرّجَالِ النّعَاسُ، شَدّ عَلى العَضْبِ باعاً أشَدّا
وَأصْبَحَ تَزْفِيهِ رِيحُ العَجَاجِ غَضْبَانَ أعجَلَ أنْ يَستَعِدّا[5]
وَسِيّانِ مَنْ جَرّ عَزْمَاتِهِ وَحيداً إلى الرّوْعِ أوْ جَرّ جُنْدا

١ يمرون ، من مرى الفرس : استخرج ما عنده من جري بسوط أو غيره .
٢ هاهى به : قال له : هيه ، وهي كلمة طرد واستزادة .
٣ الهد : الكسر بشدة .
٤ الظبة : حد السيف . يجاني : يجالس .
٥ زفته : استخفته وطردته .

يَرَى مَهْرَباً ، فَيُلاقِي الرّدَى لِقَاءَ امرِيءٍ لا يَرَى مِنْهُ بُدّا
مُضِيءُ المُحَيّا كَأنّ الجَمَالَ ، إذا هَبّ منهُ ، جَبِيناً وَخَدّا[1]
تَرَى وَجْهَهُ في حُضُورِ النّدَى كالعَضْبِ رَقرَقتَ فيهِ الفِرِنْدا
يُنِيرُ وَيُلْحِمُ في خِفْيَةٍ ، إلى أنْ يَحُوكَ مِنَ الرّأيِ بُرْدا
بَنِي عَمّنَا أينَ قَحْطانُكُمْ ، إذا عَبّ بَحرُ نِزَارٍ وَمَدّا
مَضَغْنَاكُمُ إذْ عَدَدْنا قُرَيْشاً، وَنَلْهَمُكُمْ إذْ بَلَغْنا مَعَدّا
هُمُ ألدَغُوكُمْ حُمَاةَ الرّمَاحِ وَلَدّوكُمُ بظُبَى البِيضِ لَدّا[2]
حَمَوْكُمْ مَنابتَ عُشبِ البِلادِ ، تَحَلّوا مِنَ النّورِ سَبطاً وَجَعدا
وَسَامُوا بِنَجْدٍ مَطَايَاكُمُ ، لِمَا نَشِطَتْ مِنْهُ بالغَوْرِ رَدّا
لَنَا مَنْ تَعُجّ الوَرَى بِاسْمِهِ ، إلى اللهِ نَدْعُوهُ في المَجْدِ جَدّا
وَبَيْتٌ تَهَاوَى إلَيْهِ المَطِيُّ ، تَهُزّ الدِّلاءَ ذَمِيلاً وَوَخْدا[3]
بِنَا أنقَذَ اللهُ هَذا العُرَيْبَ ، حَتّى اسْتَقَامَ إلى الدّينِ قَصْدا
وَذَلّ غَوَاشِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا سَعَى في الضّلالَةِ سَعْياً مُجِدّا
وَأخفَتَ زَمْجَرَةَ المُشْرِكِينَ ، يَفْرِي الجَمَاجِمَ قَطّاً وَقَدّا
فَأكْثِرْ بِمَا طَلّ تِلكَ الدّمَاءَ ، وَأعْظِمْ بِما جَرّ بَدْراً وَأحْدا
وَإنّ لَنَا بَضّ تِلكَ العُرُوقِ ، إذا عُدْنَ يَنبِضْنَ كَيّاً مُعدّا

١ هب منه : أراد تناول منه .
٢ الحماة ، الواحدة حمة : إبرة العقرب . لدكم : خصمكم .
٣ الدلاء : سمة للإبل . الذميل والوخد : من ضروب السير .

فَلا تَشمَخَنْ يا ابنَ أمّ الضّلالِ ، بجَدّي وَجَدْتَ منَ النّارِ بَرْدَا
أجارَ على عَجَلٍ أخمَصَيْكَ مِنْ زَلَقِ الغَيّ إذْ كِدْتَ تَرْدَى
وَأعتَقَ عُنْقَكَ مِنْ سَيْفِهِ ، فَأصْبَحَ رَأسُكَ حُرّاً وَعَبْدَا
يَزِيدُ عَلى مُشتَهَى الجُودِ جُوداً ، وَيَبْني عَلى غايَةِ المَجدِ مَجْدَا
نُلِينُ عَطَائِفَنَا للقَرِيبِ ، وَنُولي المُجَانِبَ قُرْباً أجَدّا[1]
وَلَيسَ لَنَا شَيَخُ الرّاحَتَينِ ، إذا جَادَ أعطَى قَليلاً وَأكْدَى[2]
لَقَدْ زَجَرَ المَجْدَ حتى أصَابَ بِنا مَطْلَعَ النّجمِ لا بَلْ تَعَدّى
كَذاكَ مَنَاقِبُنَا ، فانظُرُوا : أأحصَيتُمُ رَمْلَ يَبرِينَ عَدّا
سَبَقْنَا إلى المَجدِ مَنْ كانَ قَبلاً فكَيفَ نُقاسُ بمَنْ جاءَ بَعْدَا

لنا القنا والبيض

قال قدست نفسه الزكية أيضاً

لَوْ عَلِمَتْ أيّ فَتًى مَاجِدٍ ذاتُ اللّمَى وَالشّنَبِ البَارِدِ
لمَا وَفَى لي مَوْعِدِي بِالنّوَى . مِنْ غَيرِ ذَنْبٍ وَوَفَى وَاعِدِي

١ العطائف : الواحدة عطيفة : القوس .
٢ الشيخ : تقبض الجلد . أكدى : منع .

كالغُصْنِ مَهزُوزاً ، ولَكِنَّهُ يَفْعَلُ فِعْلَ الخَطِلِ المَائِدِ[1]
أضْلَلْتَ قَلْبي فيكَ عَمْداً وَقَدْ تَعَيّنَ الثّأرُ عَلى العَامِدِ
فَهَلْ لِمَا أضْلَلْتَ مِنْ نَاشِدٍ ؛ وَهَلْ لِمَا ضَيّعتَ مِنْ وَاجِدِ
قُلُوبُنَا عِندَكَ مَعقُودَةٌ بِطَرْفِ ذاكَ الشّادِنِ العَاقِدِ
أفلَتَنا ، ثُمّ ثَنَى طَرْفَهُ ، تَلَفُّتَ الظّبْيِ إلى الصّائِدِ
مَا أنْصَفَ الفَاسِقُ في لحظِهِ ، لَمّا أرَانَا عِفّةَ العَابِدِ
تَعَزُّزُ الحُبّ لَهُ ذِلّةٌ ، وَنَاقِصُ الحُبّ إلى زَائِدِ
وَالمَرْءُ مَحْسُودٌ بِلَذّاتِهِ ، وَالحُبُّ مَلْذُوذٌ بِلا حَاسِدِ
يا عَذْبَةَ المَبْسِمِ بُلّي الجَوَى بِنَهْلَةٍ مِنْ رِيقِكِ الصّارِدِ[2]
أرَى غَدِيراً شَبِماً مَاؤهُ ، فَهَلْ لذاكَ المَاءِ مِنْ وَارِدِ
مَنْ لي بِهِ مِنْ عَسَلٍ ذائِبٍ يَجرِي خِلالَ البَرَدِ الجَامِدِ
أنَا ابنُ مَنْ لَيسَ بِجَدٍّ لَهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ بالمَاجِدِ الجائِدِ
وَلَمْ يَكُنْ في سِلْكِ آبَائِهِ غَيرُ طَوِيلِ البَاعِ وَالسّاعِدِ
قَدْ حَلَبَ الدّهْرَ أفَاوِيقَهُ ، وَأتْبَعَ الشّارِدَ بِالطّارِدِ[3]
لَنَا الجِبَالُ القُودُ مَرْفُوعَةً تَزِلّ عَنْهَا قَدَمُ الصّاعِدِ
لَنَا الجِيَادُ القُبُّ أخّاذَةٌ عَلى العِدَى بِالأمَدِ الزّائِدِ

١ الخطل : أراد الرمح المضطرب .
٢ الصارد : البارد .
٣ الأفاويق : اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين .

لَنَا القَنَا وَالبِيضُ مِطْوَاعَةٌ في الضَّرْبِ يَعْصِينَ يَدَ الغَامِدِ
لَنَا الأُسُودُ الغُلْبُ في غِيلِهَا مِنْ ثَائِرٍ بَأْساً وَمِنْ لابِدِ
مِنْ أسَدٍ طَالَ بِهِ عُمْرُهُ ؛ وَمِنْ قَرِيبِ العُمْرِ مُسْتَاسِدِ
يا أيّهَا العَائِبُ لي جَهْلَةً حَذارِ مِنْ أرْقَمِيَ الرّاصِدِ
أقْدَمُ النّذْرَ ، وَلي سَطْوَةٌ تُنَفِّرُ النّوْمَ عَنِ الرّاقِدِ
كَلَمْعَةِ البَارِقِ مُجتَازَةٌ ، تَقْضِي عَلى زَمْجَرَةِ الرّاعِدِ
إنْ كُنْتَ مَا جَرّبْتَنِي ضَارِياً ، فاصْبِرْ لِما جاءَكَ مِنْ ساعِدِي
وَهَاكَ مِنْ كَفّيَ مَفْرُوجَةً فَرْجَ القَبَا مُوسِيَةَ العَائِدِ[1]
رُبّ نَعِيمٍ زَالَ رَيْعَانُهُ بِلَسْعَةٍ مِنْ عَقْرَبِ الحَاسِدِ
أنَا الّذِي أبْذُلُ مِنْ طَارِفي مِثْلَ الّذِي أبْذُلُ مِنْ تَالِدِي
مَا مَرْوَتي للنّاحِتِ المُنْتَحي يَوْماً ، وَلا غُصْنيَ للعَاضِدِ[2]
أسْعَى لِقَوْمٍ قَعَدُوا في العُلَى ؛ مَا أكْثَرَ السّاعِي إلى القَاعِدِ
أنَا الّذِي يُوسِعُهَا جَوْلَةً تُجَفِّلُ الذّوْدَ عَنِ الذّائِدِ
أنَا الّذي يُوطِىءُ أكْتَافَهَا مَا رَنّ رُمْحٌ بِيَدَيْ مَارِدِ
أنَا الّذِي يُضْرِمُ آفاقَهَا ، كَأنّهَا مَعْمَعَةُ الوَاقِدِ
أنَا الّذي يُوجِرُ أبْطَالَهَا ضَرْباً كَخَبْطِ الجَمَلِ الوَارِدِ
مَا أنَا للعَلْيَاءِ إنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَلَدِي مَا كَانَ مِنْ وَالِدِي

١ موسية : معاونة .
٢ العاضد : القاطع بالمعضد ، حديدة كالمنجل تقطع الشجر

وَلا مَشَتْ بي الخَيْلُ إنْ لمْ أطَأ سَرِيرَ هذا الأغلَبِ المَاجِدِ
فإنْ أنَلْهَا ، فَكَمَا رُمتُهُ ، أوْ لا ، فَقَدْ يَكذِبُني رَائِدي
وَالغَايَةُ المَوْتُ ، فَما فِكرَتي أسَائِقي أصْبَحَ أمْ قَائِدي

زرد النفاق

قال أيضاً ويذكر غرضاً في نفسه سنة ٣٨٩ :

هَلْ رِيعَ قَلْبُكَ للخَليطِ المُنجِدِ ، بلِوَى البُرَاقِ تَزَايَلُوا عن مَوْعِدي
قالُوا: غَداً يَوْمُ النّوَى، فتَسلّفُوا عَضّاً لأطْرَافِ البَنَانِ عَلى غَدِ
رَفَعُوا القِبَابَ ، وَبَيْنَهُنّ لُبانَةٌ لَمْ تَقْضِها عِدَةُ الغَزَالِ الأغْيَدِ
وَغَدَوْا غُدُوَّ الرّوْضِ ألبَسَهُ الحَيَا نَسْجَينِ بَينَ مُسَرَّدٍ وَمُعَضَّدِ
وَوَرَاهُمُ قَلْبٌ يُشَاقُ وَمُهجَةٌ بَرَدَتْ رَدًى ، وَغَليلُها لمْ يَبْرُدِ
لاثُوا خدودَهُمُ على عينِ النّقَا ، وَدُمَى النّمارِقِ وَالغُصُونِ المُيَّدِ
وَأهِلّةٍ بِتْنَا نَضَلُّ بِضَوْئِهَا ، وَلَقَدْ تَرَانَا بالأهِلّةِ نَهْتَدي
فَسَقَى ثَرَى تلكَ الغُصُونِ نَبَاتِهِ مَا شَاءَ مِنْ سَبَلِ الغَمامِ المُزْبِدِ
وَلَقَدْ مَرَرْتُ على الدّيارِ ، فعزّني جلَدي وَكَانَ أعَزَّ منهُ تجَلّدي
لَوْلا مُكَاثَرَةُ الدّمُوعِ عَشِيّةً ، لَعَرَفْتُ رَسْمَ المَنزِلِ المُتَأبِّدِ

لهفي لأيّامِ الشّبابِ على نَدَى أطْرافِهِنّ وَظِلّهِنّ الأبْرَدِ
أيّامَ أنفُضُ للمِرَاحِ ذَوَائِبي ، وَأرُوحُ بَيْنَ مُعَذَّلٍ وَمُفَنَّدِ
وَمُرَجَّلِينَ مِنَ الحِمَامِ غَرَانِقٍ ، مثلِ الغُصُونِ ثيابُها الوَرَقُ النّدِي[1]
مُتَمَلّيِينَ مِنَ الشّبابِ كَأنّهُمْ أقْمَارُ غَاشِيَةِ الظّلامِ الأرْبَدِ
صُقِلَتْ نُصُولُ خدودِهِمْ بيدِ الصِّبَا ، مُرْدُ العَوَارِضِ في زَمَانٍ أمْرَدِ
تَستَنبِطُ الألحَاظُ مَاءَ وُجُوهِهِمْ ، فيَكادُ يَنقَعُ من غَضَارَتِها الصّدِي[2]
لا تَنفُرُ الحَسْنَاءُ مِنْ مَسّي ، وَلا تُثْنَى إذا مُدّتْ إلى أرَبٍ يَدِي
وَبَيَاضُ مَا بَيْني وَبَيْنَ أحِبّتي ، يَوْمَ اللّقَاءِ ، مِنَ الغُرَابِ الأسْوَدِ
فالآنَ إذْ قَدَعَ النّوَائِبُ مَرْوَتي ، وَألَنّ مَعْجِمَ عُودِيَ المُتَشَدِّدِ
وَقَصرْنَ خَطوِي عن مُرَاهَنَةِ الصِّبَا ، فخَطَوْتُ للّذّاتِ خَطْوَ مُقَيَّدِ
ألْبَسْنَني بُرْدَ الوَقَارِ ضَرُورَةً ، وَأرَيْنَني جَدَدَ الطّرِيقِ الأقصَدِ[3]
فاليَوْمَ أسْلَسُ في القِيَادِ ، وَطَالَما مَنَعتْ فُضُولُ عَرَامَتي من مِقوَدِي
مَا لي أذلُّ ، وَصَارِمي لَمْ يَنْثَلِمْ بِطُلَى العِدى وَقَنَايَ لمْ يَتَقَصّدِ
قَدْ طَالَ في ثَوْبِ الهُمُومِ تَزَمُّلي ، فَلآخُذَنّ لِنَهْضَتي مِنْ مَقْعَدِي
وَلأطْعَنَنّ دُجَى الظّلامِ بجَسرَةٍ هَوْجَاءَ تَسألُ مَوْرِداً عَنْ مَوْرِدِ[4]

١ مرجلين، من رجل الشعر : سرحه . الحمام، الواحدة حمة : السواد ولعله أراد الشعر الأسود. الغرانق بفتح الغين جمع غرانق بضمها : الشبان البيض الجميلون .
٢ ينقع : يروى . الغضارة : النعمة وطيب العيش .
٣ الجدد : الأرض الغليظة المستوية . الأقصد : الأشد استقامة .
٤ الجسرة : الناقة القوية . الهوجاء : المسرعة .

في غِلْمَةٍ هَدَمُوا ذُرَى عَبْدِيَّةٍ … أنْضَاءِ خَمْسٍ للنَّجَاءِ
تَصِلُ الدُّؤوبَ كأنَّ طاليَ أنيُقٍ … نَضَحَ الذَّفَارَى بالكُحَيلِ المُعْقَدِ[2]
مَشْقَ الهَجِيرُ لحُومَها ، وتَناضَلَتْ … أخفَافُها بالأمْعَزِ المُتَوَقِّدِ
وَإذا المَوَامي غُلْنَ آخرَ جُهْدِهَا ، … صَاحتْ بها الأعرَاقُ : دونكَ ، فازْدَدِ
حتّى إذا رَكِبُوا الرّؤوسَ من الكرَى … وتَصَوّبَ العَيّوقُ بَعْدَ تَصَعّدِ[3]
جَعَلُوا الخُدُودَ على أزِمّةِ ضُمّرٍ ، … فتَنَلَ الكَلالُ قُيُودَهنّ بلا يَدِ
مِثلُ الصّوَارِمِ وَالدُّجَى أغمادُهَا . … حتّى تُسَلَ إلى المَغَارِ الأبْعَدِ
أنا في الضّحى سَرْجُ الحصَانِ وَفي الدُّجى … كُورٌ على ظَهْرِ الأمُونِ الجَلْعَدِ[4]
بيَدِي من الهِنديّ فَضْلُ عِمَامَةٍ ، … لا بُدّ أعْصِبُهَا بِرَأسٍ مُسَوَّدِ
إنّي لأغْلَطُ آنِفاً بمواسي ، … وَأُقِيمُ مِنْ عُنُقِ الأبيّ الأصْيَدِ[5]
قُلْ للعِدَى ، إنْ بِتُّ أُوقِدُ نارَها … مَا بَيْنَنَا أبَداً ، إذا لَمْ تَخْمَدِ
فَدَعُوا مُصَاوَلَةَ الضّرَاغمِ وَانبَحوا … نَبحَ الكِلابِ على نجُومِ الأسْعدِ
لا يَغْرُرَنّكُمُ تَنَاوُمُ ضَيغَمٍ ، … وَتَنَاذَرُوا وَثَبَاتِ أغْلَبَ مُلْبِدِ[6]
الصّارِمُ المَشْهُورُ يُنْذِرُ نَفْسَهُ ، … فخُذُوا الحِذارَ مِنَ الحُسامِ المُغمَدِ

١ العبدية : وصف للنياق . العمرد : الطويل ، وقد مر .
٢ الذفارى ، الواحدة ذفرى : الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن . الكحيل : القطران
٣ العيوق : نجم يتلو الثريا ولا يتقدمها .
٤ الأمون : الناقة المأمونة العثار . الجلعد : الصلبة الشديدة .
٥ قوله بمواسي : هكذا في الأصل . ولعل في اللفظة تحريفاً اختل الوزن معه وغمض المعنى .
٦ الملبد : الأسد اللاصق بالأرض .

وَأَقَارِبٌ جَعَلُوا العُقُوقَ سَجِيَّةً ، يَتَوَارَثُونَ سَفَاهَةً عَنْ قُعْدُدِ[1]
لَبِسُوا لَنَا زَرَدَ النِّفَاقِ ، فَأَصْبَحُوا في ذِمَّةِ الخُلُقِ اللَّئِيمِ الأَوْغَدِ
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الضُّلُوعُ قَسَاوَةً تُثْنَى عَلَى قِطَعِ الصَّفَاءِ الجَلْمَدِ
قَالُوا : الصَّفَاحُ ! فَقُلْتُ : إِنَّ أَلِيَّةً أَنْ لا أَمُدَّ يَدِي بِغَيْرِ مُهَنَّدِ
مِنْ كُلِّ مَنْخُوبِ الجَنَانِ كَأَنَّهُ ، في الرَّوْعِ مَطْرُودٌ وَإِنْ لَمْ يُطْرَدِ[2]
إِنْ عَايَنَ النَّقْعَيْنِ أَنْكَرَ قَلْبَهُ ، وَنَجَا بِنَاصِيَةِ الطِّمِرِّ الأَجْرَدِ
لَوْ عِيدَ مِنْ دَاءِ الفَهَاهَةِ وَاحِدٌ عَادُوهُ مِنْ عَيٍّ إِذَا حَضَرَ النَّدِي
مُتَقَدِّمٌ في لُؤْمِهِ مِيلادُهُ ، وَمِنَ الخُمُولِ كَأَنَّهُ لَمْ يُولَدِ
قُلْ لِلَّذِي بِالغَيِّ سَوَّى بَيْنَنَا : أَيْنَ الغُبَارُ مِنَ الجِبَالِ الرُّكَّدِ
لا تُدْنِيَنَّ مُوَارِبِينَ دَعَوْتَهُمْ يَوْمَ الطِّعَانِ فَسَوَّفُوكَ إِلى الغَدِ
تَرَكُوا القَنَا تَهفُو إِلَيكَ صُدُورُهُ ، وَالقَوْمُ بَيْنَ مُهَلِّلٍ وَمُغَرِّدِ
حَتَّى اتَّقَوا بِكَ ثَمَّ فَاغِرَةَ الرَّدَى ، فَنَجَوْا ، وَأَنْتَ عَلَى طَرِيقِ المَزْرَدِ[3]
قَذَفُوكَ في غَمَّائِهَا ، وَتَبَاعَدُوا عَنْهَا ، وَقَالُوا: قُمْ لِنَفسِكَ وَاقعُدِ
قَطَعَ الزَّمَانُ قِبَالَ نَعلِكَ ، فَانْتَعِلْ أُخرَى تَقِيكَ مِنَ العِثَارِ وَجَدِّدِ[4]
يَصِلُ الذَّلِيلُ إِلى العَزِيزِ بِكَيْدِهِ ، وَالشَّمسُ تُظْلِمُ مِن دُخَانِ المَوْقِدِ

١ القعدد : الجد الأعلى .
٢ منخوب الجنان : ضعيف القلب .
٣ المزرد مصدر ميمي من زرده : خنقه .
٤ القبال من النعل : زمامها .

وَاشْدُدْ يَدَيْكَ إلى الوَغَى بِمُغَامِرٍ نَدْبٍ ، لعاداتِ الطّعانِ مُعَوَّدِ
لمْ يَنْتَقِشْ شَوْكُ القَنَا مِنْ جلدِهِ في الرّوْعِ إلاّ بالقَنَا المُتَقَصِّدِ
مِنْ كُلّ مُرْبَدّةِ النّجيعِ إذا علتْ نَغَرَاتُهَا قَطَعَتْ حُضُورَ العُوّدِ[1]
إنْ سَوّمُوهُ إلى الرّهَانِ ، فَإنّمَا مَسَحُوا جَبِينَ مُقَلَّدٍ لِمُقَلَّدِ
مَا عُذْرُ مَنْ ضَرَبَتْ بهِ أعْرَاقُهُ ، حَتّى بلَغْنَ إلى النّبيّ مُحَمّدِ
أنْ لا يَمُدّ إلى المَكَارِمِ بَاعَهُ ، وَيَنَالَ مُنْقَطِعَ العُلَى وَالسّؤدُدِ
مُتَحَلّقاً حَتّى تَكُونَ ذُيُولُهُ أبَدَ الزّمَانِ عَمَائِماً للفَرْقَدِ
أعِنِ المَقَادِرَ لا تَكُنْ هَبَابَةً ، وَتَأزّرِ اليَوْمَ العَصَبْصَبَ وَارْتَدِ[2]
لا تَغْبِطَنّ عَلَى البَقَاءِ مُعَمَّراً ، فَلَقُرْبُ يَوْمِ مَنِيّةٍ مِنْ مَوْلِدِ

أنا الغلام القرشي

قال قلست نفسه الزكية

يَا قَلْبِ جَدّدْ كَمَدَا ، فَمَوْعِدُ البَيْنِ غَدَا
لَمْ أرَ فَرْقاً بَعْدَهُمْ بَيْنَ الفِرَاقِ وَالرّدَى

١ مربدة النجيع : أي أن دمها فيه ربدة : اغبرار . النغرات : الصوت الذي يحدثه جيشان الدم وسيلانه من جوف الطعنة .
٢ الهبابة ، من هب : صاح وانهزم . العصبصب : الشديد .

يَا زَفْرَةً هَيَّجَهَا حَادٍ مِنَ الغَوْرِ حَدَا
أغْنَتْ زَفِيرُ العَاشِقِيـ نَ عِيسَهُ عَنِ الحُدَا
أرْعَى الحُمُولَ نَاظِراً ، وَألْزِمُ القَلْبَ يَدَا
وَأطْرُدُ الطَّرْفَ عَلَى آثَارِهِمْ مَا انْطَرَدَا
مُذْ أوْقَدُوا بِأضْلُعِي جَمْرَ الغَضَا مَا خَمَدَا
وَمُذْ أذَابُوا مَاءَ عَيْـ نِي بِالأسَى مَا جَمَدَا
يا هَلْ أرَى مِنْ حَاجَةٍ حِقْفَ النَّقَا وَالجَمُدَا[1]
وَحَيْثُ سالَ الرَّمْلُ عَنْ جَرْعَائِهِ ، وَانْعَقَدَا
وَهَلْ أعِيدُ نَاظِراً يَتْبَعُ سِرْباً مُنْجِدَا
يَمْشِينَ هَزَّاتِ القَنَا . مَالَ وَمَا تَحَصَّدَا
هَلْ نَاشِدٌ يَنْشُدُ لي ذاكَ الغَزَالَ الأغْيَدَا
مَا ضَلَّ عَنّي إنّمَا ضَلَّ بِقَلْبي كَمَدَا
رَهَنْتُهُ قَلْبي ، وَمَنْ يَرْهُنُ قَلْباً أبَدَا
يَا مُنْجِزاً وَعِيدَهُ ، وَمَاطِلاً مَا وَعَدَا
أرَاكَ مِنّي أقْرَباً ، وَإنْ غَدَوْتَ أبْعَدَا
عَذّبْتَ قَلْبي عَنَتاً ، وَالطَّرْفُ لا القَلْبُ بَدَا
رُبَّ ثَنَايَا بَرَدَتْ لِذِي جَوًى مَا بَرَدَا
يَا حَرَّ قَلْبي ! مَنْ سُقي رُضَابَهُنَّ الأبْرَدَا

[1] حقف النقا : ما اعوج من الرمل . الجمد : جبل بنجد .

لَمْ يَدْرِ هَلْ ذاقَ بِهَا جَمْرَ غَضاً أوْ بَرَدَا[1]
يَا كَبِدِي تَجَلُّداً ، فَمَا أُطِيقُ الجَلَدَا
عَسَى فُؤادٌ يَرْعَوِي ، رُبَّ مُضِلٍّ وَجَدَا
وَحَمَّلَ الحَاجَ الرِّمَا حَ لا الأمُونَ الجَلْعَدَا
إنّي ، إذا مَا لَمْ أجِدْ إلاّ الهَوَانَ مَوْرِدَا
كُنْتُ أُدَاوِي كَبِدِي، لَوْ غَادَرُوا لي كَبِدَا
دَعْ لِلمَشِيبِ ذِمّةً ، إنّ لَهُ عِنْدِي يَدَا
أعْتَقَ مِنْ رِقّ الهَوَى مُذَلَّلاً مُعَبَّدَا
لَكِنْ هَوًى لي أنْ أرَى لَوْنَ عِذارِي أسْوَدَا
مَرّ البَيَاضَانِ عَلَيْـ ـهِ : شَائِباً وَأمْرَدَا
مَا أخْلَقَ البُرْدَ ، فَلِمْ بَدّلَ لي وَجَدّدَا
لَوْلا تَكَالِيفُكَ لَمْ أُعْطِ الزّمَانَ مِقْوَدَا
وَلا ثَنَيْتُ عُنُقِي إلى اللّيَالي صَيَدَا
سَجِيّةٌ مِنْ بَطَلٍ لازَمَ مَا تَعَوّدَا
بَايَعَ أطْرَافَ القَنَا ، وَعَاقَدَ المُهَنّدَا
شَاوَرْتُ قَلْباً آبِياً ، فَقَالَ لي : لا تَرِدَا
إنّي لِقَوْمٍ بَعُدُوا في المَجْدِ وَالجُودِ مَدَى

[1] قوله : بها ، أعاد ضمير المؤنث إلى الرضاب وهو مذكر ولعله على نية الجمع ، أو أنه عرف عن بـه .

شوسٍ ، إذا الباغي بَغَى ، سُمْحٍ ، إذا الحادي جَدَا
تَفَرّعُوا طَوْدَ العُلَى ، وَالجَبَلَ العَطَوَّدَا[1]
مَجْدُهُمُ أقْدَمُ مِنْ هَضْبِ القِنانِ مَوْلِدَا
أصادِقٌ في الخَطْبِ لِلْ سَيْفِ ، ولِلمالِ عِدَا
إذا اهْتَدَى بِنارِهِمْ طارِقُ لَيْلٍ ما اهتَدَى
تَقَارَعُوا عَلى القِرَى ، وَاقْتَرَعُوا عَلى الجَدَا
وَغارَةٍ في سُدْفَةٍ تُوقِظُ حَيّاً رَقَدَا
بِضُمَّرٍ أسْقَطَهَا عَلَيْهِمُ مَعَ النّدَى
تُلْهِبُ نَضّاً زَعْزَعاً ، أوْ قَرَباً عَمَرَّدَا[2]
كَأنّني أبْعَثُهَا فِيهِمْ ثُنَى وَمَوْحِدَا
مُزَاحِمٌ يَقْذِفُ في يَوْمِ الحِصَابِ جَلْمَدَا
مِنْ كُلّ مَحْبُوكٍ كَما أمَرّ لاوٍ مَسَدَا
يُغْنِي الفَتَى عِنَانُهُ عَنْ سَوْطِهِ ، إذا عَدَا
كَأنّمَا فَارِسُهُ يَقْدَعُ ذِئْباً أصْرَدَا[3]
أنْزَعُ عَنْ صَفْحَتِهِ شَوْكَ القَنَا مُقَصَّدَا
لَوْ شِمْتَهُ بِبَارِقٍ مَاءَ الكُلابِ أوْرَدَا

1 العطود : الطويل ، وقد مر .
2 النض : الريح . القرب : البئر القريبة الماء . العمرد : الطويل
3 يقدع : يكف . الأصرد : الحنق المغتاظ .

وَكُلُّ صِلٍّ لامِظٍ يَطْلُبُ رَيّاً للصَّدَى
أقْدَمَ مِنْ سِنَانِهِ ، إذا الجَبَانُ عَرَّدَا[1]
مَاضٍ ، فَإنْ شَمَّ طُرُو قَ الضَّيْمِ زَاغَ حَيَدَا
يَلْقَى الطِّرَادَ جَذِلاً ، كَمَا يُلاقي الطَّرَدَا
أنَا الغُلامُ القُرَشِيُّ مُنْجِباً مَا وَلَدَا
أنْزَعتُ دَلوِي قَبْلَكُمْ إلى العِرَاقِ سُودُدَا
مَا زَالَ عَزْمي لِيَ عَنْ دارِ الهَوَانِ مُبْعِدَا
مُرَحِّلي عَنْ بَلَدٍ ، وَرَاجِماً بِي بَلَدَا
إنْ لَمْ يَكُنْ نَيلُ مُنًى فَابْغِ إذاً وِرْدَ رَدَى

ما هذه يدي

قال وقد اختار هذين البيتين من
قصيدة قالها في صباه وأسقط الباقي :

أبَرَّ عَلى الأنْوَاءِ فَضْلي وَنَائِلي ، وَطَالَ على الجَوْزَاءِ قَدري وَمحْتِدِي
يَدِي ألِفَتْ بَذْلَ النّوَالِ فلوْ نبَتْ عنِ الجُودِ يَوْماً قلتُ: ما هذه يَدِي

[1] عرد : هرب .

موتوا بغيظكم

قال وقد بلغه عن رجل من
الطالبيين ذكره في معنى النقابة :

قُلْ للعِدَى مُوتُوا بِغَيْظِكُمُ ، فَإِنّ الغَيْظَ مُرْدِي
وَدَعُوا علُىّ أحرَزْتُهَا ، يَا وَادِعِينَ بِطُولِ جُهْدِ
كَمْ بيَنَ أيْدِيكُم ، وَبَيْنَ النّجْمِ مِنْ قُرْبٍ وَبُعدِ
وَلِيَ النّقَابَةَ خَالُ أُمّي قَبْلُ ، ثُمّ أبي وَجَدّي
وُلّيتُهَا طِفْلاً ، فَهَلْ مَجْدٌ يُعَدَّدُ مثْلَ مَجدِي
وَأظُنّ نَفْسِي سَوْفَ تَحْمِلُني عَلى الأمْرِ الأشَدّ
حَتّى أرَى مُتَمَلِّكاً شرْقَ العُلى وَالغرْبَ وَحدِي

فتى هاشم

قال وقد بلغه عن بعض قريش افتخار على ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بمن لا نسب بينه وبين الصحابة رضي الله تعالى عنهم :

يُفَاخِرُنا قَوْمٌ بِمَنْ لَمْ يَلِدْهُمُ ... بتَيمٍ . إذا عُدَّ السَّوَابقُ أوْ عَدِي
وَيَنسَوْنَ مَنْ لَوْ قَدّمُوهُ لقدّموا ... عِذارَ جَوَادٍ في الجِيادِ مُقَلَّدِ
فَتَى هاشِمٍ بَعْدَ النّبيّ وَبَاعُهَا ، ... لمَرْمى عُلًى أوْ نَيلِ مجْدٍ وَسُؤدُدِ
وَلَوْلا عَليٌّ مَا عَلَوْا سَرَوَاتِهَا ؛ ... وَلا جَعجَعُوا منها بمَرْعًى وَمَوْرِدِ
أخَذْنا عَلَيهِمْ بالنّبيّ وَفَاطِمٍ ... طِلاعَ المَساعي من مَقامٍ وَمَقعَدِ[1]
وَطُلْنَا بسِبْطَيْ أحْمَدٍ وَوَصِيّهِ ... رِقابَ الوَرَى من مُتهِمينَ وَمُنجِدِ
وَحُزْنا عَتيقاً ، وَهوَ غايَةُ فَخرِكم ... بمَوْلِدِ بِنتِ القاسِمِ بنِ مُحَمّدِ
فجِدٌّ نَبيّ ثمّ جَدّ خَلِيفَةً . ... فَما بَعدَ جَدّينا عَليٍّ وَ
وَمَا افتَخَرَتْ بَعدَ النّبيّ بغَيرِهِ ... يَدٌ صَفّقَتْ يَوْمَ البِيَاعِ على يَدِ

١ طلاع المساعي : ملؤها .

مستن المكارم والعلى

قال قدست نفسه الزكية :

نَزَلْنَا بِمُسْتَنِّ المَكَارِمِ وَالعُلَى ، فَلَمْ نُبْقِ فَضْلاً للرِّجالِ وَلا مَجْدَا[1]
وَلَيْسَ نَرَى للفَضْلِ وَالمَجْدِ دونَنا عَلى حَالَةٍ قَصْداً وَلا خلفَنا مَعْدَى
نَمَانِي قُرُومٌ مِنْ ذَوَائبِ غالبٍ ، يَمُدُّونَ بي في كلِّ طَوْدِ عُلًى مَدّا
لئِنْ جَحَدوا أنّي ابنُ خيرِ الوَرَى أباً فلَن يجحدوا أنّي ابنُ خيرِ الوَرَى جَدّا

وا لهفتاه لعصبة علوية

يرثي الحسين بن علي عليهما السلام
في يوم عاشوراء سنة ٣٩١ :

هَذِي المَنَازِلُ بالغَمِيمِ ، فَنَادِهَا ، وَاسكُبْ سَخِيَّ العَيْنِ بَعدَ جَمادِهَا
إنْ كانَ دَيْنٌ للمَعالِمِ ، فاقضِهِ ، أوْ مُهْجَةٌ عِنْدَ الطُّلُولِ فَفَادِهَا
يَا هَلْ تَبُلُّ مِنَ الغَلِيلِ إلَيْهِمُ ، إشْرَافَةٌ للرَّكْبِ فَوْقَ نِجَادِهَا

١ المستن : المضمار .

نُوْيٌ كَمُنْعَطِفِ الحَنيّةِ دُونَهُ   سُحمُ الخُدُودِ لهنّ إرْثُ رَمَادِهَا
وَمَنَاطُ أطْنَابٍ وَمَقْعَدُ فِتْيَةٍ ،   تَخْبُو زِنَادُ الحَيّ غيرَ زِنَادِهَا
وَمَجَرُّ أرْسَانِ الجِيَادِ لِغِلْمَةٍ   سَجَفُوا البُيُوتَ بِشُقْرِها وَوِرَادِهَا
وَلَقَدْ حَبَسْتُ عَلى الدّيارِ عِصَابَةً   مَضْمُومَةَ الأيْدي إلى أكْبَادِهَا
حَسْرَى تَجاوَبُ بالبُكَاءِ عُيُونُهَا   وَتَعُطّ بالزّفَرَاتِ في أبْرَادِهَا[1]
وَقَفُوا بِهَا حَتّى كأنّ مَطِيّهُمْ   كَانَتْ قَوَائِمُهُنّ مِنْ أوْتَادِهَا
ثُمّ انثَنَتْ ، وَالدّمعُ مَاءُ مَزَادِها ،   وَلَوَاعِجُ الأشْجَانِ مِنْ أزْوَادِهَا
مِنْ كُلّ مُشْتَمِلٍ حَمَايِلَ رَنّةٍ   قَطْرُ المَدامعِ مِنْ حُلَيّ نِجَادِهَا[2]
حَيّتْكَ بَلْ حَيّتْ طُلُولَكَ دِيمَةٌ   يَشْفِي سَقِيمَ الرَّبْعِ نَفْثُ عِهادِهَا
وَغَدَتْ عَلَيْكَ مِنَ الخَمايلِ يَمنةً   تَستَامُ نَافِقَةً عَلى رُوّادِهَا[3]
هَلْ تَطْلُبُونَ مِنَ النّوَاظِرِ بَعدَكم   شَيْئاً ، سِوَى عَبَرَاتِها وَسُهادِهَا
لمْ يَبقَ ذُخرٌ للمَدامعِ عَنكُمُ ،   كَلاّ ، وَلا عَينٌ جرَى لرُقَادِهَا
شَغَلَ الدّمُوعَ عَنِ الدّيارِ بُكاؤنا   لِبُكَاءِ فَاطِمَةٍ عَلى أوْلادِهَا
لمْ يَخلُفُوهَا في الشّهِيدِ وَقَدْ رَأى   دُفَعَ الفُرَاتِ يُذادُ عَنْ أوْرَادِهَا[4]

١ تعط : تشق . أبرادها : ثيابها ، الواحد برد .
٢ الحمايل ، الواحدة حمالة : علاقة السيف . الرنة : الصوت ، ولعله أراد بها رنة السيف كناية عن السيف بدليل قوله الحمايل والنجاد ، وهي من لوازم السيوف .
٣ الخمايل ، الواحدة خميلة : القطيفة . اليمنة : برد يمني . تستام : تسأل تعيين الثمن . روادها : طلابها .
٤ الدفع ، الواحدة دفعة : دفقة المطر ، استعارها للفرات . أو أنه أراد بالفرات الماء العذب . تذاد : تمنع . أورادها : شربها .

أتُرَى دَرَتْ أنّ الحُسَينَ طَرِيدَةٌ لقَنَا بَنِي الطّرداءِ عِنْدَ وِلادِهَا
كَانَتْ مَـآتِمُ بالعِرَاقِ تَعُدّها أمَوِيَةٌ بِالشّامِ مِنْ أعْيادِهَا
مَا رَاقَبَتْ غَضَبَ النّبيّ، وَقَد غَدَا زَرْعُ النّبيّ مَظِنّةً لِحِصَادِهَا
بَاعَتْ بَصَائِرَ دِينِهَا بِضَلالِهَا ، وَشَرَتْ مَعَاطِبَ غَيّهَا بِرَشَادِهَا
جَعَلَتْ رَسُولَ اللهِ مِنْ خُصَمائِهَا، فلَبِئْسَ ما ذَخَرَتْ لِيَوْمِ مَعَادِهَا
نَسْلُ النّبيّ عَلى صِعابِ مَطِيّهَا ، وَدَمُ النّبيّ عَلى رُؤوسِ صِعَادِهَا
وَا لَهْفَتَاهُ لِعُصْبَةٍ عَلَوِيّةٍ ، تَبِعَتْ أمَيّةَ بَعْدَ عِزّ قِيادِهَا
جَعَلَتْ عِرَانَ الذّلّ في آنَافِهَا ، وَعِلاطَ وَسْمِ الضّيمِ في أجْيَادِهَا[1]
زَعَمَتْ بِأنّ الدّينَ سَوّغَ قَتْلَهَا ، أوَلَيسَ هَذا الدّينُ عَنْ أجدادِهَا
طَلَبَتْ تُرَاثَ الجَاهِلِيّةِ عِنْدَهَا ، وَشَفَتْ قَدِيمَ الغِلّ من أحقَادِهَا[2]
وَاستَأثَرَتْ بالأمْرِ عَنْ غُيّابِهَا ، وَقَضَتْ بمَا شاءَتْ عَلى شُهّادِهَا
اللهُ سَابَقَكُمْ إلى أرْوَاحِهَا ، وَكَسَبْتُمُ الآثَامَ فِي أجْسادِهَا[3]
إنْ قُوّضَتْ تِلْكَ القِبابُ ، فإنّمَا خَرّتْ عِمَادُ الدّينِ قَبْلَ عِمادِهَا
إنّ الخِلافَةَ أصْبَحَتْ مَزْوِيّةً عَنْ شَعْبِهَا بِبَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا
طَمَسَتْ مَنَابِرَهَا عُلُوجُ أمَيّةٍ ، تَنْزُو ذِئَابُهُمُ عَلَى أعْوَادِهَا
هيَ صَفْوَةُ اللهِ الّتي أوْحَى لهَا ، وَقَضَى أوَامِرَهُ إلى أمْجَادِهَا

١ العران : عود يجعل في أنف البعير . العلاط : حبل يجعل في عنقه .
٢ الغل : الحقد .
٣ أجسادها : دماؤها ، الواحد جسد .

أخَذَتْ بِأطْرَافِ الفَخارِ ، فَعَاذِرٌ أنْ يُصْبِحَ الثَّقَلانِ مِنْ حُسّادِهَا
الزّهْدُ وَالأحْلامُ في فُتّاكِهَا ، وَالفَتْكُ ، لَوْلا اللهُ ، في زُهّادِهَا
عُصَبٌ يُقَمَّطُ بِالنّجادِ وَلِيدُهَا ، وَمُهُودُ صِبيَتِهَا ظُهُورُ جِيَادِهَا
تَرْوِي مَنَاقِبَ فَضْلِها أعْداؤهَا أبَداً ، وَتُسْنِدُهُ إلى أضْدادِهَا
يا غَيرَةَ اللهِ اغْضَبي لِنَبِيِّهِ ، وَتَزَحْزَحي بِالبِيضِ عَنْ أغْمادِهَا
مِنْ عُصْبَةٍ ضَاعَتْ دِمَاءُ مُحَمّدٍ وَبَنِيهِ بَيْنَ يَزِيدِهَا وَزِيَادِهَا
صَفَدَاتُ مَالِ اللهِ مِلءُ أكُفِّها ، وَأكُفُّ آلِ اللهِ في أصْفَادِهَا[1]
ضَرَبُوا بِسَيْفِ مُحَمّدٍ أبْنَاءَهُ ضَرْبَ الغَرَائِبِ عُدْنَ بَعدَ ذِيادِهَا
قَدْ قُلْتُ للرّكبِ الطِّلاحِ كَأنّهم رُبْدُ النّسُورِ على ذُرَى أطوَادِهَا[2]
يَحْدُو بِعُوجٍ كَالحَنيّ أطَاعَهُ مُعتَاصُها . فَطَغَى عَلى مُنقَادِهَا[3]
حَتّى تَخَيّلُ ، مِنْ هَبابِ رِقَابِهَا ، أعنَاقَهَا في السّيرِ مِنْ أعْدَادِهَا[4]
قِفْ بي ، وَلَوْ لَوْثَ الإزَارِ . فإنّما هيَ مُهجَةٌ عَلِقَ الجَوَى بفُؤادِهَا
بالطَّفِّ حَيْثُ غَدا مُرَاقُ دِمائِها . وَمُنَاخُ أيْنُقِهَا لِيَوْمِ جِلادِهَا
القَفْرُ مِنْ أرْوَاقِها ، وَالطّيرُ مِنْ طُرّاقِهَا . وَالوَحْشُ مِنْ عُوّادِهَا
تَجْرِي لهَا حَبَبُ الدّمُوعِ . وَإنّمَا حَبُّ القُلُوبِ يكُنّ مِنْ أمْدادِهَا

١ الصفدات : العطايا . الأصفاد : الأغلال .
٢ الطلاح : المعيون ، الواحد طلح .
٣ العوج ، الواحدة عوجاء : الناقة السيئة الخلق .
٤ الهباب : النشاط والسرعة . الأعداد ، الواحد عد : الماء الجاري لا ينقطع . شبه مواصلتها لسيرها السريع بالماء الجاري الذي لا ينقطع .

يا يَوْمَ عَاشُوراءَ كَمْ لكَ لَوْعَةً تَتَرَقّصُ الأحْشَاءُ مِنْ إيقَادِهَا
مَا عُدْتَ إلاّ عَادَ قَلْبي غُلّةً حَرّى ، وَلَوْ بَالَغْتُ في إبْرَادِهَا
مِثْلُ السّلِيمِ مَضِيضَةٌ آنَاؤهُ ، خُزْرُ العُيُونِ تَعُودُهُ بِعِدادِهَا
يا جَدُّ لا زَالَتْ كَتَائِبُ حَسْرَةٍ تَغْشَى الضّمِيرَ بِكَرّهَا وَطِرَادِهَا
أبداً عَلَيْكَ ، وَأدْمُعٌ مَسْفُوحَةٌ ، إنْ لَمْ يُرَاوِحْهَا البُكَاءُ يُغَادِهَا
هذا الثّنَاءُ ، وَمَا بَلَغْتُ ، وَإنّمَا هِيَ حَلْبَةٌ خَلَعُوا عِذارَ جَوَادِهَا
أأقُولُ : جادَكُمُ الرّبِيعُ ، وَأنْتُمُ في كُلّ مَنْزِلَةٍ رَبِيعُ بِلادِهَا
أمْ أسْتَزِيدُ لَكُمْ عُلاً بمَدائحي، أينَ الجِبالُ مِنَ الرُّبَى وَوِهَادِهَا
كَيفَ الثّناءُ على النّجومِ ، إذا سَمتْ فَوْقَ العُيُونِ إلى مَدَى أبْعادِهَا
أغنى طُلُوعُ الشّمسِ عَنْ أوْصَافِها بِجَلالِهَا وَضِيَائِهَا وَبِعَادِهَا

رب ساع لقاعد

قال أيضاً يرثيه عليه السلام
في يوم عاشوراء سنة ٣٩٥ :

وَرَاءَكَ عَنْ شَاكٍ قَلِيلِ العَوَائِدِ ، تُقَلّبُهُ بالرّمْلِ أيْدِي الأبَاعِدِ
يُرَاعي نجُومَ اللّيلِ وَالهَمُّ ، كُلّمَا مَضَى صَادِرٌ عَنّي بآخَرَ وَارِدِ
تَوَزّعَ بَيْنَ النّجمِ وَالدّمعِ طَرْفُهُ بِمَطْرُوفَةٍ إنْسَانُهَا غَيْرُ رَاقِدِ

وَمَا يَطّبيهَا الغُمْضُ إلاّ لأنّهُ طَرِيقٌ إلى طَيْفِ الخَيالِ المُعَاوِدِ[1]
ذَكَرْتُكُمُ ذِكْرَ الصِّبَا بعدَ عَهدِهِ، قَضَى وَطَراً منّي وَلَيسَ بِعائِدِ
إذا جَانَبُوني جانِباً مِنْ وِصَالِهِمْ عَلِقْتُ بِأطْرَافِ المُنَى وَالمَوَاعِدِ
فَيا نَظرَةً لا تَنظُرُ العَينُ أُختَهَا إلى الدّارِ من رَملِ اللّوَى المُتَقاوِدِ[2]
هيَ الدّارُ لا شَوْقي القَديمُ بِناقِصٍ إلَيْهَا، وَلا دَمْعي عَلَيها بجَامِدِ
وَلي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ لَوْ أضَاعَهَا مِنَ السُّقمِ غَيرِي ما بَغاها بناشِدِ
أمَا فَارَقَ الأحبابَ قَبلي مُفَارِقٌ، وَلا شَيّعَ الأظْعَانَ مِثْلي بِوَاجِدِ
تَأوّبَني داءٌ مِنَ الهَمّ لَمْ يَزَلْ بقَلْبيَ حتّى عادَني مِنهُ عَائِدي
تَذَكّرْتُ يَوْمَ السِّبطِ من آلِ هاشِمٍ وَمَا يَوْمُنا مِنْ آلِ حَرْبٍ بِوَاحِدِ
وَظَامٍ يُرِيغُ المَاءَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ سَقَوْهُ ذُبَابَاتِ الرِّقَاقِ البَوَارِدِ
أتَاحُوا لَهُ مُرَّ المَوَارِدِ بِالقَنَا، عَلى مَا أبَاحُوا مِنْ عِذابِ المَوَارِدِ
بنَى لَهُمُ المَاضُونَ آسَاسَ هَذِهِ، فَعَلّوا عَلى آسَاسِ تِلكَ القَوَاعِدِ[3]
رَمَوْنَا كَمَا يُرْمَى الظِّماءُ عن الرِّوَا يَذُودُونَنَا عَنْ إرْثِ جَدٍّ وَوَالِدِ[4]
وَيا رُبّ سَاعٍ في اللّيَالي لِقَاعِدٍ. عَلى ما رَأى، بَلْ كلّ ساعٍ لقاعِدِ
أضَاعُوا نُفُوساً بالرّمَاحِ ضَيَاعُهَا يَعِزُّ عَلى البَاغِينَ مِنّا النّوَاشِدِ

١ يطبيها : يدعوها .

٢ المتقاود : المتطاول .

٣ علوا : بنوا العلالي .

٤ الرواء : الماء العذب . يذودوننا : يدفعوننا ويمنعوننا .

أللهُ ! مَا تَنْفَكُّ في صَفَحَاتِهَا خُمُوشٌ لِكَلْبٍ مِنْ أُمَيَّةَ عاقِدِ
لَئِنْ رَقَدَ النُّصَّارُ عَمَّا أصابَنَا ، فَمَا اللهُ عَمَّا نِيلَ مِنَّا بِرَاقِدِ
لَقَدْ عَلَّقُوهَا بالنَّبيِّ خُصُومَةً إلى اللهِ تُغني عَنْ يَمينٍ وَشَاهِدِ
وَيَا رُبَّ أدْنَى مِنْ أُمَيَّةَ لِحمَةً ، رَمَوْنا عَلَى الشَّنَآنِ رَمْيَ الجَلامِدِ
طَبَعْنَا لَهُمْ سَيْفاً ، فَكُنَّا لحَدِّهِ ضَرائبَ عَنْ أيْمَانِهِمْ وَالسَّوَاعِدِ
ألاَ لَيسَ فِعلُ الأوّلِينَ ، وَإنْ عَلا عَلى قُبْحِ فِعْلِ الآخِرِينَ، بِزَائِدِ
يُرِيدُونَ أنْ نَرْضَى وَقَد مَنَعوا الرِّضَى لسَيرِ بَني أعمَامِنَا غَيرِ قَاصِدِ[1]
كَذَبْتُكَ ، إنْ نازَعتَني الحَقَّ ظالماً، إذا قُلْتُ يَوْماً إنّني غَيرُ وَاجِدِ

لا فرار من المنايا

يرثي أبا طاهر بن ناصر الدولة وكان صديقاً له :

تَفُوزُ بِنَا المَنُونُ وَتَستَبِدُّ ، وَيَأخُذُنَا الزّمَانُ ، وَلا يَرُدُّ
وَأنْظُرُ مَاضِياً في عَقْبِ مَاضٍ ، لَقَدْ أيْقَنْتُ أنّ الأمْرَ جِدّ
رُوَيْداً بالفِرَارِ مِنَ المَنَايَا ، فَلَيْسَ يَفُوتُهَا السّارِي المُجِدّ
فَأيْنَ مُلُوكُنَا المَاضُونَ قِدْماً، أعَدّوا للنّوَائِبِ ، وَاستَعَدّوا

---

[1] القاصد : المستقيم .

وَأيْنَ مُعَاقِدُو الدّنْيَا قَدِيماً ، نَبَتْ بِهِمُ ، فَلا إلٌّ وَعَقْدُ[1]
وَكُلٌّ فَتًى تَحُفُّ بِجَانِبَيْهِ خَوَاطِرُ بالقَنَا قُبٌّ وَجُرْدُ
فَمَا دَفَعَ المَنَايَا عَنْهُ وَفْرٌ ، وَلا هَزَمَ النّوَائِبَ عَنْهُ جُنْدُ
وَلا أسَلٌ لهَا قَرْعٌ وَوَخْزٌ ؛ وَلا قُضُبٌ لَهَا قَطٌّ وَقَدّ
أعَارَهُمُ الزّمَانُ نَعِيمَ عَيْشٍ ، فَيَا سُرْعَانَ مَا نَزَعُوا وَرَدّوا
هُمُ فَرَطٌ لَنَا في كُلّ يَوْمٍ نَمُدّهُمُ . وَإنْ لمْ يَسْتَمِدّوا[2]
فَلا الغَادِي يَرُوحُ فَنَرْتَجِيهِ ، وَلا المُتَرَوِّحُ العَجْلانُ يَغْدُو
وَلِلإنْسَانِ مِنْ هَذِي اللّيَالي وَهُوبٌ لا يَدُومُ وَمُسْتَرِدّ
تُجِدّ لَنَا مَلابِسَهَا . فَيَبْقَى جَدِيداهَا . وَيَبْلَى المُسْتَجَدّ
أإبْرَاهِيمُ ! أمّا دَمْعُ عَيْنِي عَلَيْكَ . فَما يُعَدّ. وَلا يُحَدّ
يُغَصِّصُ بالأوَائِلِ مِنهُ طَرْفٌ . وَيَدْمَى بالأوَاخِرِ مِنْهُ خَدّ
بَكَيْتُكَ للوِدادِ ، وَرُبّ بَاكٍ عَلَيكَ مِنَ الأقَارِبِ لا يَوَدّ
وَإنّ بُكَاءَ مَنْ تَبكِيهِ قُرْبَى لَدُونَ بُكَاءِ مَنْ يَبكِيهِ وُدّ
إذا غِضْنَا الدّمُوعَ أبَتْ عَلَيْنَا مَنَاقِبُ مِنكَ لَيسَ لهنّ نِدّ
فَمِنهُنّ اشتِطاطُكَ في المَساعي، وَفَضْلُ العَزْمِ . وَالبَاعُ الأشَدّ
فَأيْنَ مُسَابِقُ الآجَالِ طَعْناً . يَعُودُ وَرُمْحُهُ رَيّانُ وَرْدُ
وَأيْنَ الآسِرُ الفَكّاكُ يَسْرِي إلَيْهِ مِنَ العِدَى ذَمٌّ وَحَمْدُ

١ الإل : العهد .

٢ الفرط : المتقدم قومه إلى الماء ، وما تقدمك من الأجر . والعجلة . والأمر الذي يفرط فيه صاحبه

فَأعْنَاقٌ أحَاطَ بِهِنّ مَنٌّ ؛ وَأعْنَاقٌ أحَاطَ بِهِنّ قِدّ

أبَا سَهْماً رَمَى غَرَضاً ، فأخْطَا ، وَذِي الأقْدارُ أسْهُمُهَا أسَدّ

وَلَوْ غَيرُ الرّدَى جَاءَكَ أقْعَى بِهِ مِنْ بَأسِكَ الخَصْمُ الألَدّ

قَتِيلٌ فَلَهُ نَابٌ كَهَامٌ ، وَكانَ العَضْبَ ضَوّأهُ الفِرِنْدُ[1]

وَذَلّ بِذُلّ قَاتِلِهِ ، فَأضْحَى لقَاتِلِهِ بِهِ عِزٌّ وَمَجْدُ

فَيَا أسَداً يَصُولُ عَلَيْهِ ذِئْبٌ ، وَيَا مَوْلًى يَطُولُ عَلَيهِ عَبْدُ

وَكَيْفَ رَجَوْتُ أنْ يَبقى سَليماً ، وَمَا شُرْبُ القُرُونِ لَهُ مُعَدّ[2]

وَهَلْ بَقِيَتْ قَبَائِلُهُ ، فَيَبْقَى ، رَبِيعَةُ أوْ نِزَارٌ أوْ مَعَدّ

مِنَ القَوْمِ الأُلى طَلَبُوا وَنَالُوا ، وَجَدّ بِهِمْ إلى العَلْيَاءِ جَدّ

إذا نُدِبُوا إلى البَأسَاءِ عَاجُوا ؛ وَإنْ أُدْنُوا إلى العَوْرَاءِ صَدّوا

تَصَدّعَ مَجْدُ أوّلِهِمْ ، فشَدّوا جَوَانِبَهُ بِأنْفُسِهِمْ وَسَدّوا

إذا عُدّ الأمَاجِدُ جَاءَ مِنْهُمْ عَدِيدٌ كَالرّمَالِ ، فَلَمْ يُعَدّوا

سَقَاهُ أحَمٌّ نَجْدِيُّ التّوَالي ، يُعَمٌّ بِوَدْقِهِ غَوْرٌ وَنَجْدُ[3]

إذا مَخَضَتْ حَوَافِلَهُ جَنُوبٌ ، مَرَى لَقَحاتِهِ بَرْقٌ وَرَعْدُ[4]

تَدَافَعَ مِنْهُ مَلآنَ الحَوَايَا ، سِيَاقُ النِّيبِ أصْدَرَهُنّ وِرْدُ[5]

١ الكهام : الكليل . ضوأه : أناره . الفرند : جوهر السيف .

٢ القرون : لعله جمع القرن : الدفعة من المطر ، وأراد هنا الماء مطلقاً .

٣ الأحم : أراد سحاباً أحم . والأحم : الأسود والأبيض . الودق : المطر .

٤ حوافله : ضروعه . مرى الضرع : مسحه ليدر . اللقحات ، الواحدة لقحة : الناقة .

٥ الحوايا ، الواحدة حوية : ما تحوى ، أي انقبض واستدار من الأمعاء . سياق النيب : أي النياق المسوقة .

وَلا عَرّى ثَرَاهُ مِنَ الغَوَادي وَمِنْ نُوّارِهَا سَبْطٌ وَجَعْدُ
إذا مَا الرّكْبُ مَرّ عَلَيهِ قالُوا : أيَا حَالي الصّعيدِ سقَاكَ عَهْدُ
لَقَدْ كَرُمَتْ يَمينُكَ قبلُ حَيّاً وَقَدْ كَرُمَ الغَمَامُ عَلَيكَ بَعْدُ

مضى النجباء الأطولون

يرثي أبا حسان المقلد بن المسيب وقتله غلمان داره بالأنبار غيلة ليلا وذلك في صفر سنة ٣٩١ وكان صديقاً له :

أعَامِرُ ! لا لليَوْمِ أنتَ ، وَلا الغَدِ ، تَقَلّدْتَ ذُلّ الدّهرِ بَعدَ المُقَلَّدِ
وَأصْبَحتَ كالمَخطُومِ مِنْ بَعدِ عِزّة مَتَى قِيدَ مَشّاءٌ عَلى الضّيمِ يَنقَدِ
فَإنْ سَارَ للأعْداءِ غَيرُكَ فَارْبَعي ؛ وَإنْ قَامَ للعَلْيَاءِ غَيرُكَ فَاقعُدِ[1]
وَقُلْ للحِمَى لا حَاميَ اليَوْمَ بَعدَهُ وَلا قائِمٌ مِنْ دُونِ مَجدٍ وَسُودُدِ
وَللبِيضِ لا كَفٌّ لمَاضٍ مُهَنّدٍ ، وَللسُّمْرِ لا بَاعٌ لِعَالٍ مُسَدَّدِ[2]
وَقُلْ للعِدَى أمْناً عَلى كلّ جانِبٍ مِنَ الأرْضِ أوْ نَوْماً على كلّ مَرْقَدِ
فقَد زَالَ مَن كانَتْ طَلائعُ خَوْفِهِ تُعارِضُكُمْ في كُلّ مَرْعًى وَمَوْرِدِ

١ قوله : فاربعي ، هكذا في الأصل، ولعل الياء متولدة من اشباع الكسرة . واربع : توقف، وانتظر ، وأقم .
٢ العالي : أعلى قناة الرمح .

فَأينَ الجِيادُ المُلْجَماتُ عَلى الوَحى ... سِراعاً إلى نَقْعِ الصَّرِيخِ المُنَدَّدِ [1]

وَأيْنَ الطِّوالُ الزّاعِبِيّاتُ لَوْ يَشا ... لِتَنالَ بِها مَا بَينَ نَسْرٍ وَفَرْقَدِ [2]

وَأيْنَ الظُّبَى مَا زَالَ مِنْها بِكَفِّهِ ... رِداءٌ عَظِيمٌ ، أوْ عِمامَةُ سَيّدِ

وَأيْنَ المَطايَا تَذْرَعُ البِيدَ وَالدُّجَى ... إلى أقْرَبٍ مِنْ نَيْلِ عِزٍّ وَأبْعَدِ

وَأيْنَ الجِفانُ الغُرُّ مِنْ قَمَعِ الذُّرَى ... هِجانُ الأعالي بالسَّدِيفِ المُسَرْهَدِ [3]

وَأيْنَ القُدُورُ الرّاسِياتُ كَأنّها ... سَماواتُ ربلانِ النَّعامِ المُطَرَّدِ [4]

وَأيْنَ الوُفُودُ المَاتِحُونَ بِبابِهِ ... بِسَجْلَينِ مِن بَحرَيْ وَعِيدٍ وَمَوْعِدِ [5]

مُرِمّونَ مِنْ قَبْلِ اللّقاءِ مَهابَةً . ... إذا رَمَقُوا بابَ الطِّرافِ المُمَدَّدِ [6]

يُشِيرُونَ بالتّسليمِ من خَلَلِ القَنَا ... إلى وَاضِحٍ مِنْ عامِرٍ غيرِ قُعْدُدِ

يُحَيّونَ مَرْهُوباً كَأنّ رِواقَهُ ... وَلِيجَةُ مَفْتُولِ الذّرَاعَينِ مُلْبِدِ

إذا هَمّ أمضَى الرّأيَ غَيرَ مُلَوَّمٍ ؛ ... وَإنْ قَالَ أجرَى القَوْلَ غَيرَ مُفَنَّدِ

حُسَامٌ نَبَكنا فيهِ كَهَامٌ بِغُرّةٍ ... وَأوْلَى لَهُ لَوْ هَزّهُ غَيرَ مُغْمَدِ

لَئِنْ فَلّلَ الذُّلانُ مِنهُ ، فَرُبّما ... تَحَيّفَ من ماضِي الظُّبَى شَتّ مِبرَدِ [7]

١ الوحى : العجلة والإسراع . وفي نسخة الوجى : أي الحفا . المندد : الرافع صوته بالاستغاثة .
٢ الزاعبيات : صفة للرماح المنسوبة إلى زاعب ، بلد ، أو رجل . النسر والفرقد : من النجوم .
٣ القمع ، الواحدة قمعة : رأس سنام الجمل . الذرى: الأسنمة . الهجان : البيض . السديف : شحم السنام . المسرهد : المقطع .
٤ سماوات، الواحدة سماوة، وسماوة كل شيء: شخصه . ربلان: هكذا في الأصل ولم نجدها، ولعلها محرفة عن ربلات : أصول الأفخاذ .
٥ السجل : الدلو .
٦ مرمون : ساكتون .
٧ الذلان : الذليل . تحيف : تنقص .

فَلا نَعِمَ البَاغُونَ يَوْماً بعيشَةٍ ؛ وَلا حَضَرُوا إلاّ بِألأمِ مَشْهَدِ

وَلاصَادَفُوا في الدّهرِ مَنجىً لخائِفٍ؛ وَلا وَجَدُوا في الأرْضِ مأوًى لمُطرَدِ

وَلا شَرِبُوا إلاّ دَماً بَعْدَهُ ، وَلا تَحَابَوْا بِغَيرِ الرّاعِبيّ المُقَصَّدِ

وَلا نَظَرُوا إلاّ بِعَمْيَاءَ بَعْدَهُ ؛ وَلا ارْتَضَعُوا إلاّ بخِلْفٍ مُجَدَّدِ[1]

أبَعْدَ الطّوَالِ الشُّمّ مِنْ آلِ عَامِرٍ إلى البِيضِ وَالأدرَاعِ وَالخيلِ وَالنَّدِي

وَأهلِ القِبابِ الحُمرِ يُرْخَى سُدولُها عَلى سُؤدُدٍ عَوْدٍ وَمَجدٍ مُوَطَّدِ[2]

إذا فَزِعُوا للأمرِ ألجَوْا ظُهُورَهُمْ إلى كُلّ طَوْدٍ مِنْ نِزَارٍ عَطَوَّدِ[3]

لهُمْ جَامِلٌ داجي المِرَاحِ كَأنّمَا تَرَاغَيْنَ عَنْ قِطْعٍ من اللّيلِ أسوَدِ

تَرُوحُ لَهُمْ حُمْرُ الهَوَادي كأنّها قَوَاني عُرُوقِ العَنْدَمِ المُتَوَرِّدِ

كَأنّ الرِّيَاضَ الغُرّ حَوْلَ بُيُوتِهِم ذِئابُ الغَضَا يَمرَحنَ في كلّ مَرْوَدِ[4]

إذا ما انتَشَوْا هزّوا رُؤوساً كَريمَةً لهَا طَرَبٌ بالجُودِ قَبْلَ التّغَرّدِ

تَرَامَوْا بهَا حَمرَاءَ تَحسَبُ شَرْبَها ذَوِي قِرّةٍ حَفّوا جَوَانبَ مَوْقِدِ[5]

لهُم سامِرٌ تَحتَ الظّلامِ وَرَاكِدٌ عَلى النّارِ يُذْكيها بضَالٍ وَغَرْقَدِ[6]

يَقُولُ الفَتَى منهُمْ لرَاعي عِشَارِهِ : ألاَ لا تُقَيِّدْهَا بِغَيرِ المُهَنّدِ

١ المجدد : المقطوع .
٢ العود : القديم . الموطد : الثابت .
٣ ألجوا : مسهل ألجأوا . العطود : الطويل ، وقد مر .
٤ المرود : مكان الرود : الذهاب والمجيء ، وتفقد ما في الأرض من مراع ومياه .
٥ الشرب : الشاربون . القرة : البرد .
٦ الضال والغرقد : نوعان من الشجر .

مضَى النُّجَبَاءُ الأَطْوَلُونَ كأنَّهُمْ صُدُورُ القَنَا في الشَّرْعَبِيِّ المُعَضَّدِ
رَمَتْ فيهِمُ بَعْدَ التِئَامٍ وأُلْفَةٍ يَدُ الأُرَبَى ، صَدْعَ البَلاطِ المُمَرَّدِ[1]
تَشَظَّوا تَشَظِّي العودِ تجري فُرُوعُه على ثَغْرِها خَرْقَاءَ مَجنُونَةَ اليَدِ
تَكَبُّهُمُ الأيامُ عَنْ جَحَمَاتِها كَمَا كُبَّ أعجازُ الهَدِيِّ المُقَلَّدِ
خَانَتْ بهِمُ الأجداثُ عَنَّا وأُطبِقَتْ على المَجدِ منهم كلُّ بيداءَ قَرْدَدِ[2]
فمَنْ يَعدِلُ المِيلاءَ أوْ يَرْأَبُ الثَّأى وَيَأخُذُ مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ على يَدِ
تَفَانَوْا عَلَى كَسْبِ العُلى ، وتَجرَّعوا بأيديهِمُ كأسَ الرَّدى جَرَعَ الصَّدِي
كَمَا رَضَّ في مَرِّ السُّيُولِ عَشِيَّةً ذُرَى جَلمدٍ صَعبِ الذُّرَى قَرْعُ جُلمدِ
الا في سَبيلِ المَجدِ ثَاوُونَ لمْ تَكُنْ قُبورُهُمُ غَيرَ الدِّلاصِ المُسَرَّدِ[3]
وَكانُوا أحاديثَ الرِّفاقِ ، فأصبَحوا أغَانيَّ للغوريِّ وَالمُتَنَجِّدِ
لعاً لَكُمُ مِنْ عَاثِرِينَ تَتَابَعُوا عَلى زَلَلِ الأقْدامِ عَثْرَ المُقَيَّدِ
أفي كُلِّ يَوْمٍ قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِكُمْ تُمَسِّحُها مِن ظِفرِ شَنعاءَ مُوئِدِ[4]
مُلُوكٌ وَإخْوَانٌ كَأنِّيَ بَعْدَهُمْ عَلَى قُرُبٍ مِن خِمْسِ يَوْمٍ عمَرَّدِ
عَرَاعِرُ يَنزُو القَلبُ عِندَ ادِّكارِهِمْ نِزَاءَ الدَّبَى بِالأمْعَزِ المُتَوَقِّدِ[5]

---

١ الأربى : الداهية . وقوله : صدع البلاط ، أراد صدعهم صدع البلاط المملس .

٢ القردد : ما ارتفع من الأرض .

٣ الدلاص : الدرع . المسرد : المنسوج زرداً .

٤ الموئد : الداهية .

٥ عراعر : شرفاء . الدبى : صغار الجراد . الأمعز : المكان الصلب .

سَقَاكُمْ ، وَلَوْلا عَادَةٌ عَرَبِيّةٌ ، لَقَلّ لَكُمْ قَطْرُ الحَيِّ المُنَضّدِ
مِنَ المُزْنِ رَجْرَاجُ العُبابِ ، كأنّهُ مِنَ البُطْءِ تَرْجافُ الكَسيرِ المُقَوَّدِ
تَخَالُ عَلى هَامِ الرُّبَى مِنْ رَبَابِهِ عَنَاصِيَ هَامَاتِ الحُجَيجِ المُلَبّدِ[1]
تَرَادَفَ يُزْجِي كَلْكَلاً بَعدَ كَلْكَلٍ ، تَطَلّعَ رَكْبٍ مِنْ أبَانَينِ مُنجِدِ[2]
خَفَى بَرْقُهُ ثُمّ اسْتَطَارَ كَأنّهُ يُشَقّقُ هُدّابَ المُلاءِ المُعَمَّدِ[3]
لِحَأْنَا مِنَ الدّنْيَا إلى مُسْتَقِرّةٍ تُنَوّلُنَا عَذْبَ الجَنَى وَكَأنْ قَدِ
عَلِقْنَا جَمادَ النّبلِ نَاقِصَةَ الجَدا ، تَرُوحُ عَلَيْنَا بالغُرُورِ وَتَغْتَدِي[4]
أمِنْ بَعدِهِم أرْجُو الخُلُودَ وَهَذِهِ سَبِيلي وَمِنْ تِلْكَ الشّرَائِعِ مَوْرِدِي
فإنْ أنْجُ مِنْ ذا اليَوْمِ قاطِعَ رِبْقَةٍ ، فَقَصرِيَ مِنْ رَيْبِ المَنُونِ عَلى غَدِ
سَوَاءٌ مُخَلّى للمَنَايَا أكِيلَةٌ ، وَمَنْ رَاحَ مِنّا في التّميمِ المُعَقَّدِ[5]
فَقُلْ لليَالي بَعدَهم : هاكِ مِقوَدي تَقَضّى إبابي ، فاصْدُرِي بِيَ أوْ رِدِي
وَدُونَكِ مِن ظَهرِي وَقد غالَ أسرَتي طَرِيقُ الرّدَى ، ظَهرَ الذّلُولِ المُعَبَّدِ
بِأيّ يَدٍ أرْمي الزّمَانَ وَسَاعِدٍ ، وكانوا يدي أعطَيْتُها الخطبَ عن يدي
وَمَا كانَ صَبرِي عَنهمُ مِنْ جَلادَةٍ ؛ أبَى الوَجْدُ لي بَلْ عادةٌ من تجَلّدي

١ العناصي : النبات المتفرق . الحجيج تصغير الحاج : النبات لا شوك له .
٢ أبانان : جبلان .
٣ المعمد : الموشى .
٤ جماد النبل : هكذا في الأصل ، والنبل بالفتح : السهم وحوادث الدهر . وبالضم : الذكاء والنجابة ، والفضل وكمال الجسم .
٥ التميم ، الواحدة تميمة : عوذة تعلق في عنق الصبي دفعاً للعين الشريرة .

هو القدر

يرثي أبا شجاع بكر بن أبي الفوارس ويعزي عنه الوزير أبا علي الحسن بن أحمد لصداقة كانت بينهما اقتضت ذلك :

أَلا مَنْ يُمْطِرُ السَّنَةَ الجَمَادَا؛ وَمَنْ للجَمْعِ يُطْلِعُهُ النِّجَادَا
وَمَنْ للخَيْلِ يُقْبِلُهُنَّ شُعْثاً ، وَيَرْكَبُهُنَّ شُقْراً ، أَوْ وِرَادَا
غَدَاةَ الرَّوْعِ يُنْعِلُهَا الهَوَادِي مِنَ الأَعْدَاءِ وَاللِّمَمَ الجِعَادَا
مُجَلْجِلَةً كَأَنَّ بِهَا أُوَاماً إلى وَقْعِ الصَّوَارِمِ أَوْ جُوَادَا[1]
يُسَامِحُهَا القِيَادَ إلى المَعَالي ؛ وَعِنْدَ الضَّيْمِ يُمْطِلُهَا القِيَادَا
وَمَنْ للحَرْبِ يَنْضَحُ ذِفْرَيَيْهَا ، وَيَعْرُكُهَا جِلاداً أَوْ طِرَادَا
يُبَدِّلُ مِنْ دَمِ الأَعْدَاءِ فيها لِصَارِمِهِ الحَمَائِلَ وَالعِمَادَا
هَوَى قَمَرُ الأَنَامِ ، وكَانَ أَوْفَى عَلى قَمَرِ التَّمَامِ عُلًى وَزَادَا
فَقُلْ للقَلْبِ: لِبُكَّ وَالتَعَزِّي ؛ وَقُلْ للعَيْنِ : جَفْنَكِ وَالرُّقَادَا
مَصَائِبُ لا أُنَادِي الصَّبْرَ فِيهَا . وَلا أُدْعَى إلَيْهِ ، وَلا أُنَادَى
أَلِلْعَيْنَيْنِ قَدْ قَذِيَا بُكَاءً . أَمِ الجَنْبَيْنِ قَدْ قَلِقَا وِسَادَا
كَأَنَّ الوَسْمَ شَعْشَعَ فيهِ قَيْنٌ بِجُذْوَتِهِ عَلَطْتُ بِهِ الفُؤَادَا[2]

[1] الأوام والجواد : العطش .
[2] علطت : وسمت .

مِنَ القَوْمِ الأُولى مَلأُوا اللّيَالي إلى أصْبَارِهَا كَرَماً وَآدَا[1]
وَرَسّوا في فَوَاغِرِ كُلّ خَطْبٍ صُدُورَ البِيضِ وَالزُّرْقَ الحِدادَا[2]
إذا صَابَ الحَيَا بِبِلادِ ضَيْمٍ جَلَوْا عَنهنّ ، وَانتَجَعُوا بلادَا
هُمُ الجَبَلُ المُطِلُّ على الأعادي إذا رَجَمَ الزّمَانُ بهِ ، وَرَادَا
لهُمْ حَسَبٌ ، إذا نَقَبْتَ عَنْهُ ، تَضَرّمَ جَمْرَةً ، وَوَرَى زِنَادَا
لهُمْ أنفٌ يَذُبّ الضّيمَ عَنهُم ، وَرَأيٌ يَفرِجُ الكُرَبَ الشّدادَا
وَأيمانٌ ، إذا مَطَرَتْ عَطَاءً ، حَسِبْتَ النّاسَ كُلّهُمُ جَوَادَا
تَرَى رَأيَ الفَتَى فيهِمْ مُطَاعاً ، وَقَوْلَ المَرْءِ مِنهُم مُستَعَادَا
وَقَدْ بَلَغُوا مِنَ العَلْيَاءِ أقصَى ذَوَائِبِهَا ، وَمَا بَلَغُوا المُرَادَا
أشَتَّ جَميعَهُمْ صَرْفُ اللّيَالي ، وَلا يُبقي الجَميعَ ، وَلا الفُرَادَا
مُصَابُكَ لمْ يَدَعْ قَلْباً ضَنِيناً بغُلّتِهِ . وَلا عَيْناً جَمَادَا
كَأنّ النّاسَ بَعْدَكَ في ظَلامٍ ، أوِ الأيّامَ ألْبِسَتِ الحِدادَا
وَكُنْتُ أفَدْتُ خِلّتَهُ ، وَلَكِنْ أفَادَنيَ الزّمَانُ ، وَمَا أفَادَا
فَإنْ لَمْ أبْكِهِ قُرْبَى تَلاقَتْ مَغَارِسُهَا بَكَيْتُ لَهُ وِدادَا
يَعِزّ عَليّ أنْ أطْوِيهِ صَفْحاً ، وَأذْهَبَ عَنْهُ نَأياً أوْ بِعَادَا
تَعِزّ ، أبَا عَليٍّ . إنّ خَطْباً عَلى العِلاّتِ يَبْلُغُ مَا أرَادَا
هُوَ القَدَرُ الذي خَبَطَتْ يَدَاهُ ثَمُوداً . مِنْ مَعَاقِلِها ، وَعَادَا

١ أصبارها : رأسها . الآد : القوة .
٢ وسوا : دسوا . فواغر ، من فغر فاه : فتحه .

وَضَعْضَعَ كُلَّ مِنْ حَمَلِ العَوَالي | وَأَرْجَلَ كُلَّ مَن رَكِبَ الجِيادَا
يُعَرّي ظَهْرَ أكْثَرِنَا عَدِيداً ، | وَيَهْجُمُ بَيْتَ أطْوَلِنَا عِمَادَا
كَذَاكَ الدّهرُ إنْ أبْقَى قَلِيلاً | أحَالَ عَلَى بَقِيّتِهِ ، وَعَادَا
وَبَيْنَا المَرْءُ يَجْنيهِ ثِمَاراً ، | إلى أنْ عَادَ يَخْرُطُهُ قَتَادَا
وَأقْرَبُ مَا تَرَى فيهِ انْتِقَاصاً ، | إذا مَا قيلَ قَدْ كَمَلَ ازْدِيَادَا
وَنَعْلَمُ أنْ سَيُوجِرُنَا مُرَاراً ، | بِآيَةِ أنْ يُلَمّظَنَا شِهَادَا
وَمَا تُجْدِي الدّمُوعُ عَلى فَقِيدٍ | وَلَوْ غَسَلَتْ مِنَ العَينِ السّوَادَا
وَكُنْتَ مُقَلَّداً مِنْهَا حُسَاماً | عَلى الأعْدَاءِ داهِيَةً نَآدَى[1]
فَنَافَسَكَ الرّدَى في مَضْرِبَيْهِ . | فَبَزّ النّصْلَ ، وَاخْتَلَعَ النِّجَادَا
فَنَادِ اليَوْمَ غَيرَ أبي شُجَاعٍ ، | وَصَمّ أبَا شُجَاعٍ أنْ يُنَادَى[2]
حَدَا غَيرَ الغَمَامِ إلَيْهِ كُوماً | تَعِزّ عَلى المَقَاوِدِ أنْ تُقَادَا
نَزَائِعَ مِنْ رِيَاحِ الغَوْرِ شَبّتْ ، | عَلى القُلَلِ ، البَوَارِقَ وَالرِّعَادَا
مُخِضْنَ بِهِنّ مَخضَ الوَطبِ حتّى | إذا جَلْجَلْنَ أطْلَقْنَ المَزَادَا[3]
تَلامَحَتِ البُرُوقُ بِجَانِبَيْها ، | كَأنّ لَهَا انْحِلالاً وَانْعِقَادَا
كَأنّ بِهِنّ رَاعِي مُرْزِمَاتٍ | أبَسّ فَحَرّكَ الخُورَ الجِلادَا[4]

١ النآدى : الداهية . وصف الشيء بمثله للتعظيم .

٢ أبا شجاع : هكذا في الأصل ، ولعلها أبو شجاع فاعل صم ، أي انسدت أذنه .

٣ المزاد : راويات الماء . وأراد بإطلاق المزاد : الإمطار .

٤ أبس الراعي : إذا دعا ما يرعاه إلى الماء . الخور : النوق الغزر . الجلاد : الكبار من الإبل

فَيَا للنّاسِ أُوقِرُهُ تُرَاباً ، وَأستَسقي لأعظُمِهِ العِهَادَا
وَمَا السُّقيَا لِتَبلُغَهُ ، وَلَكِنْ وَجَدْتُ لهَا عَلى قَلبي بُرَادَا

الأيام أسدٌ مذلة

يرثي عمه أبا عبد الله أحمد بن موسى وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ٣٨١ ويعزي والده عنه وقد خرج إلى واسط لتلقي بهاء الدولة :

سَلا ظاهرَ الأنفاسِ عن باطنِ الوَجدِ ، فَإنّ الذي أُخفي نَظيرُ الذي أُبْدي
زَفيراً ، تَهَاداهُ الجَوَانِحُ كُلّمَا تَمَطّى بقَلبي ضَاقَ عَنْ مَرّه جِلدِي
وَكَيفَ يُرَدّ الدّمعُ، يا عَينِ، بعدَما تَعَسّفَ أجفاني ، وَجارَ على خَدّي
وَإنّيَ إنْ أنضَحْ جَوَايَ بِعَبْرَةٍ يَكُنْ كَتَخبيءِ النّارِ يُقدَحُ بالزّندِ
فهَذي جُفُوني مِنْ دُموعيَ في حَياً، وَهَذا جَنَاني مِنْ غَليليَ في وَقْدِ
حَلَفتُ بِما وَارَى السّتارُ، وَما هوَتْ إلَيهِ رِقابُ العيسِ تُرْقِلُ أوْ تَخدي
لَقَدْ ذَهَبَ العَيشُ الرّقيقُ بذاهِبٍ هوَ الغارِبُ المَجزُولُ من ذُرْوَةِ المجدِ
وَإنّي ، إذا قالُوا مَضَى لِسَبيلِهِ ، وَهيلَ عليهِ التُّرْبُ من جانبِ اللّحدِ
كَسَاقِطَةٍ إحْدَى يَدَيْهِ إزَاءَهُ ، وَقَدْ جَبّها صَرْفُ الزّمانِ من الزّندِ
وَقَدْ رَمَتِ الأيّامُ مِن حيثُ لا أرَى صَميميَ بالدّاءِ العَنيفِ عَلى عَمْدِ

فلا تعجبا أني تحلّتُ من الجوى، فأيسرُ ما لاقيتُ ما حزّ في الجلدِ
ولو أنّ رزءاً غاض ماءً لكانه، وجفّت له خضرُ الغصون من الرّندِ
سقى قبرهُ مستمطرٌ ذو غفارةٍ، يجرّ عليه عرفَ ملآنَ مربدّ[1]
إذا قلتُ: قد خفّت متاليه أرزمت وأجلبَ بالبرقِ المشقّقِ والرّعدِ[2]
حسامٌ جلا عنه الزّمانُ. فصمّمت مضاربُه حيناً، وعاد إلى الغمدِ
سنانٌ تحدّته الدّروعُ بزغفها، فبدّدَ أعيانَ المضاعفِ والسّردِ
جوادٌ جرى حتّى استبدّ بغايةٍ تقطّعُ أنفاسَ الجيادِ من الجهدِ
سحابٌ علا حتّى تصوّبَ مزنُهُ. وأقلعَ لمّا عمّ بالعيشةِ الرّغدِ
ربيعٌ تجلّى، وانجلى، ووراءهُ ثناءٌ، كما يُثنى على زمنِ الوردِ
نعضّ على الموتِ الأناملَ حسرةً، وإنْ كانَ لا يُغني غناءً ولا يُجدي
وهل ينفعُ المكلومَ عضٌّ بنانه ولو ماتَ من غيظٍ على الأسدِ الوردِ
عوارٍ منَ الدّنيا يهوّنُ فقدَها تيقّننا أنّ العواريَ للردّ
ينالُ الرّدى من يعرضُ الهضبُ دونه ولو كانَ في غورٍ من الأرضِ أو نجدِ
ويسلمُ من تُسقى الأسنّةُ حولَه بأيدي الكماةِ المعلمينَ على الجردِ
فما ذاكَ إن لم يلقَ حتفاً بخالدٍ، ولا ذا منَ الحتفِ المُطلّ على بُعدِ
لئن ثلمت منّي اللّيالي عشائري فما ثلموا إلاّ منَ الحسبِ العِدّ

١ الغفارة: كل شيء يغطى به شيء آخر، وأراد هنا سحابة. العرف: الشعر النابت في محدب رقبة الفرس، استعاره للسحاب. والعرف أيضاً: موج البحر.

٢ البرق المشقق: المستطيل.

شَجَوْني ، وَلَمْ يُبْقُوا لِعَيْني بَلّةً من الدّمع إلاّ استَفرَغوها من الوَجْدِ
عزَاءَكَ . فَالأيّامُ أسْدٌ مُذِلّةٌ ، تَعُطّ الفَتَى عَطَّ المَقارِيضِ للبُرْدِ[1]
إذا أوْرَدَتْهُ نَهْلَةً مِنْ نَعيمِهَا ، أعادَتْهُ حرّانَ الضّلُوعِ من الوِرْدِ
أغَلَّ إلى القَلْبِ المَنيعِ مِنَ القَنَا ، وَأجرَى إلى الآجَالِ من قُضُبِ الهِنْدِ
أرَادَ بِكَ الحُسّادُ أمْراً ، فَرَدّهُ عَلَيهِمْ سفاهُ الرّأي وَالرّأيُ قد يُرْدي
فَلا يُغمِدَنّ السّطْوَ وَالحِلْمَ ضَائِرٌ ، وَقَدْ نَزَعَ الأعْداءُ آصِرَةَ الوُدّ
هُمُ قَعقَعُوا بَغياً عَلَيكَ وَأجلَبُوا ، فَآبُوا ، وَما قامُوا بحَلٍّ ، وَلا عَقْدِ
وَقَدْ رَكِبُوهُ مَرّةً بَعْدَ مَرّةٍ ، فَيا لَذلولِ البَغيِ من مَرْكبٍ مُرْدي
فحتّى متى تُغضِي مِرَاراً عَلى القَذَى وَتَلحَظُكَ الأضْغانُ من مُقَلٍ رُمْدِ
فَإنْ لا تَصِلْ تُصْبِحْ عِداكَ كَثيرَةً عليكَ ، وَداءُ الطّعنِ إن هبتَه يُعدِي
وَهَلْ كانَ ذاكَ البُعدُ إلاّ تَنَزُّهاً على المُضْمِرِ البَغضَاءِ وَالحاسدِ الوَغدِ
وَجِئتَ مَجيءَ البَدْرِ أخلَقَ ضَوءُهُ ، فَعادَ جَديدَ النّورِ بالطّالعِ السّعْدِ
وكمْ من عَدوٍّ قد سرَى فيكَ كَيدُهُ سُرَى السّمّ من رَقطاءَ ذاتِ قَراً جَعدِ
فأغْفَلْتَهُ ثُمّ انتَضَيتَ عَزِيمَةً نزَعتَ بِها مِنْ قَلبِهِ حُمَةَ الحِقْدِ
وَذي خَطَلٍ أوْجرْتَهُ منكَ غُصّةً ، فأطْرَقَ مِنها لا يُعيدُ وَلا يُبْدي

[1] تعط : تشق .

وجد على وجد

قال بديهاً يرثي في شهر ربيع الآخر
سنة ٣٩٤ أحد فقهاء الشيعة وقد نعي
إليه عند عوده من مكة وهو بالعذيب :

أتَاني ، وَرَحلي بالعُذَيبِ ، عَشيّةً ، وَأيدي المَطَايا قَدْ قَطَعْنَ بنا نَجْدَا
نَعِيٌّ أطَارَ القَلْبَ عَنْ مُسْتَقَرّهِ ، وَكنتُ على قَصْدٍ فأغلَطَني القَصْدَا
فَلَيتَ نَعَى الرّكبُ العِرَاقيُّ غَيرَهُ ، فَما كُلُّ مَفقُودٍ وَجِعْتَ لَهُ فَقدَا
وَيا ناعِيَيهِ اليَوْمَ غُصّا على قَذًى ، فَقد زِدتُما قلبي على وَجدِهِ وَجْدَا[1]
فَبِئْسَ ، عَلى بُعدِ اللّقَاءِ ، تحيّةٌ أحَيّا بهَا تُذْكي على كَبدي وَقدَا
برُغمِيَ أنْ أورِدْتَ قَبلي بِمَوْرِدٍ ، تَبَرّضْتَ مِنهُ لا زُلالاً وَلا بَرْدَا[2]
جزَتكَ الجَوَازِي عَن عِمادٍ أقَمتَها ، وَعَنْ عُقَدٍ للدّينِ أحكَمتَها شَدّا
وَذي جَدَلٍ ألجَمْتَ فَاهُ بِغُصّةٍ ، تَلَجلَجُ فيهِ ، لا مَسَاغاً ، وَلا رَدّا
قَعَستَ لَهُ حتّى التَقَيْتَ سِهَامَهُ ، وَأثبَتَّ في تامُورِهِ الحُجَجَ اللُّدّا[3]
وَمَزْلَقَةٍ للقَوْلِ ما شِئْتَ دَحضَهَا ، وَقد زَلّ عَنها مَن أعادَ وَمَن أبدَى

١ الوجد : الحزن .

٢ تبرضت منه : أخذت قليلا من مائه .

٣ قعست له : أي قعدت له خارجاً صدرك وداخلا ظهرك . تاموره : قلبه ، أو نفسه . اللد : الشديدة الخصومة .

وَإنّي لأستَسقي لكَ اللهَ عَفوَهُ ، وَيا لكَ غَيثاً مَا أعَمّ ، وَمَا أندَى
وَأخْلِقْ بِمَنْ كانَ النّبيُّ وَرَهطُهُ مُحامِينَ عَنهُ أنْ يَفُوزَ وَلا يَرْدَى
بكَيتُكَ حتّى استَنفَدَ الدّمعَ ناظرِي، وَلَوْ مَدّني دَمعي عَلَيكَ لمَا أجدَى

جبل هوى

يرثي أبا إسحق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب وتوفي في شوال سنة ٣٨٤ وكان بينهما من المودة الأكيدة والمكاتبات بالنظم والنثر ما هو معروف وبلغ من العمر إحدى وتسمين سنة :

أعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلى الأعْوَادِ ؛ أرَأيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النّادِي
جَبَلٌ هَوَى لوْ خَرّ في البَحرِ اغتَدى مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعَ الإزْبَادِ
ما كنتُ أعلَمُ قَبلَ حطّكَ في الثّرَى أنّ الثّرَى يَعْلُو عَلى الأطْوَادِ
بُعْداً لِيَوْمِكَ في الزّمَانِ . فَإنّهُ أقذَى العُيُونَ وَفَتّ في الأعْضَادِ
لا يَنْفَدُ الدّمْعُ الذي يُبْكَى بِهِ ؛ إنّ القُلُوبَ لَهُ مِنَ الأمْدَادِ
كَيفَ انمحى ذاكَ الجَنابُ وَعُطّلَتْ تلكَ الفِجاجُ وَضَلّ ذاكَ الهَادي
طاحَتْ بتِلْكَ المَكْرُماتِ طَوَائِحٌ، وَعَدَتْ عَلى ذاكَ الجَوَادِ عَوَادي
قالوا: أطاعَ وَقيدَ في شَطَنِ الرّدَى ، أيْدي المَنُونِ مَلَكْتِ أيّ قِيَادِ
مِنْ مُصْعَبٍ لَوْ لمْ يَقُدْهُ إلَهُهُ بِقَضَائِهِ مَا كَانَ بِالمُنْقَادِ

هَذا أبُو إسْحَقَ يُغْلِقُ رَهْنُهُ ، هَلْ ذا يَدٍ ، أوْ مانعٍ ، أوْ فَادِ
لَوْ كُنْتَ تُفدَى لافتَدَتكَ فَوَارِسٌ مُطِرُوا بعارِضِ كُلِّ يَوْمِ طِرَادِ
وَإذا تَألّقَ بَارِقٌ لِوَقِيعَةٍ ، وَالخَيْلُ تَفحَصُ بالرّجَالِ بَدادِ[1]
سَلّوا الدّرُوعَ مِنَ العُبابِ ، وَأقبَلُوا يَتَحَدّبُونَ عَلى القَنَا المَيّادِ
لَكِنْ رَمَاكَ مُجَبِّنُ الشّجعانِ عن إقدامِهِمْ ، وَمُضَعضِعُ الأنْجادِ
كاللّيْثِ يُوهَنُ بالتّرابِ ، وَيَمتَلي نَوْماً عَلى الأضْغَانِ وَالأحقَادِ
وَالدّهْرُ تَدْخُلُ نَافِذاتُ سِهامِهِ مَأوَى الضّلالِ وَمَرْبَضَ الآسَادِ
ألقَى الجِرَانَ عَلى عَنَطْنَطِ حِمْيَرٍ، فَمَضَى ، وَمَدّ يَداً لأحْمَرِ عَادِ[2]
أعْزِزْ عَلَيّ بأنْ أرَاكَ ، وَقَدْ خلَتْ مِنْ جَانِبَيْكَ مَقَاوِدُ العُوّادِ
أعْزِزْ عَلَيّ بِأنْ يُفَارِقَ نَاظِرِي لَمَعَانَ ذاكَ الكَوْكَبِ الوَقّادِ
أعْزِزْ عَلَيّ بِأنْ نَزَلْتَ بِمَنْزِلٍ مُتَشَابِهِ الأمْجَادِ وَالأوْغَادِ
في عُصْبَةٍ جُنِبُوا إلى آجَالِهِمْ ، وَالدّهْرُ يُعْجِلُهُمْ عَنِ الإرْوَادِ[3]
ضَرَبُوا بِمَدْرَجَةِ الفَنَاءِ قِبَابَهُمْ مِنْ غَيرِ أطْنَابٍ ، وَلا أوْتَادِ
رَكْبٌ أنَاخُوا لا يُرَجّى مِنْهُمُ قَصْدٌ لإتْهَامٍ ، وَلا إنْجَادِ
كَرِهُوا النّزُولَ ، فأنزَلَتْهُمْ وَقعَةٌ للدّهْرِ بَارِكَةٌ بِكُلّ مَقَادِ
فتَهافَتُوا عَنْ رَحْلِ كلّ مُذَلَّلٍ ، وَتَطاوَحُوا عَنْ سَرْجِ كلّ جَوَادِ

١ تفحص : تبحث بأرجلها . بداد : متفرقة .
٢ الجران : عنق البعير . العنطنط : الطويل .
٣ الاروادِ : الرفق ، والتمهل .

بَادُونَ في صُوَرِ الجَميعِ ، وَإنّهُمْ مُتَفَرّدُونَ تَفَرُّدَ الآحَادِ
مِمّا يُطيلُ الهَمَّ أنّ أمَامَنَا طُولَ الطّرِيقِ وَقِلّةَ الأزْوَادِ
عُمري ! لقَدَ أغمَدتُ منكَ مُهَنّداً في التُّرْبِ كانَ مُمَزِّقَ الأغْمَادِ
قَدْ كنتُ أهوَى أنْ أشاطِرَكَ الرّدى ، لَكِنْ أرَادَ اللهُ غَيرَ مُرَادِي
وَلَقَدْ كَبَا طَرْفُ الرّقَادِ بِنَاظِرِي أسَفاً عَلَيْكَ . فَلا لَعاً لِرُقَادِ
ثَكِلَتْكَ أرْضٌ لَمْ تَلِدْ لكَ ثانياً ، أنّى . وَمِثْلُكَ مُعْوِزُ المِيلادِ[1]
مَنْ للبَلاغَةِ وَالفَصَاحَةِ إنْ هَمَى ذاكَ الغَمَامُ ، وَعَبَّ ذاكَ الوَادي
مَنْ للمُلُوكِ يَجُزّ في أعْدائِهَا بِظُبًى مِنَ القَوْلِ البَليغِ حِدَادِ
مَنْ لِلمَمَالِكِ لا يَزَالُ يُلِمّهَا بِسَدادِ أمْرٍ ضَائعٍ وَسَدَادِ
مَنْ للجَحَافِلِ يَسْتَزِلُّ رِمَاحَهَا ، وَيَرُدُّ رَعْلَتَهَا بِغَيْرِ جِلادِ[2]
مَنْ للمَوَارِقِ يَسْتَرِدّ قُلُوبَهَا بِزَلازِلِ الإبْرَاقِ وَالإرْعَادِ
وَصَحَائِفٍ فيهَا الأرَاقِمُ كُمَّنٌ ، مَرْهُوبَةُ الإصْدارِ وَالإيرَادِ
تَدْمَى طَوَائِعُهَا . إذا استعْرَضْتَهَا ، مِنْ شِدّةِ التّحْذيرِ وَالإيعَادِ
حُمْرٌ عَلى نَظَرِ العَدُوّ ، كأنّمَا بِدَمٍ يَخُطّ بِهِنّ لا بِمِدادِ
يُقْدِمْنَ إقْدامَ الجُيُوشِ ، وَبَاطِلٌ أنْ يَنْهَزِمْنَ هَزَائِمَ الأجْنَادِ
فِقَرٌ بِهَا تُمْسِي المُلُوكُ فَقِيرَةً . أبَداً إلى مَبْدًى لَهَا وَمَعَادِ
وَتَكُونُ صَوْتاً للحَرُونِ ، إذا وَنَى ، وَعِنَانَ عُنْقِ الجامِحِ المُتَمَادي

[1] معوز الميلاد ، من أعوذه : دعا له بالحفظ وقال له : أعيذك بالله . والمعنى غامض .
[2] رعلتها : كثرتها . الجلاد : القتال .

تُرْقِي، وَتَلذَعُ في القلوبِ، وَإن يَشَا حَطَّ النّجُومَ بِهَا مِنَ الأبْعَادِ
إنّ الدّمُوعَ عَلَيْكَ غَيرُ بَخيلَةٍ ، وَالقَلْبَ بالسُّلْوَانِ غَيرُ جَوَادِ
سَوّدْتَ مَا بَينَ الفَضَاءِ وَنَاظِرِي ، وَغَسَلْتَ مِنْ عَيْنَيّ كُلَّ سَوَادِ
وَرَيُّ الخُدُودِ مِنَ المَدامِعِ شَاهِدٌ أنّ القُلوبَ مِنَ الغَليلِ صَوَادِ
ما كنتُ أخشَى أنْ تَضِنّ بلَفظَةٍ ، لتَقُومَ بَعْدَكَ لي مَقَامَ الزّادِ
ماذا الذي مَنَعَ الفَنيقَ هَديرَهُ مِنْ بَعْدِ صَوْلَتِهِ عَلَى الأذْوَادِ
ماذا الذي حَبَسَ الجَوَادَ عنِ المَدَى مِنْ بَعْدِ سَبْقَتِهِ إلى الآمَادِ
ماذا الذي فَجَعَ الهُمَامَ بِوَثْبَةٍ . وَعَدَا عَلَى دَمِهِ ، وَكَانَ العَادي
قُلْ للنّوَائِبِ : عَدّدِي أيّامَهُ ؛ يَغنى عَنِ التّعْدِيدِ بِالتّعْدادِ
حَمّالُ ألْوِيَةِ العَلاءِ بنَجْدَةٍ ، كَالسّيْفِ يَغنى عَنْ مَناطِ نِجَادِ
قَلَصَتْ أظِلّةُ كُلّ فَضْلٍ بَعدَهُ ، وَأمَرّ مَشْرَبُهَا عَلى الوُرّادِ
لَقَضَى لِسانُكَ ، مُذْ ذَوَتْ ثَمَرَاتُه . أنْ لا دَوَامَ لِنُضْرَةِ الأعْوَادِ
وَقَضَى جَنانُكَ ، مُذْ قَضَتْ وَقَداتُهُ ، أنْ لا بَقَاءَ لِقَدْحِ كُلّ زِنَادِ
بَقِيَتْ أعَيْجَازٌ يَضِلّ تَبِيعُهَا . وَمَضَتْ هَوَادِ لِلرّجَالِ هَوَادِ
يا لَيتَ أنّي ما اقتَنَيتُكَ صَاحِباً . كَمْ قِنيَةٍ جَلَبَتْ أسًى لِفُؤادي
إنْ لمْ تَسُعْ إلى التّناسُلِ نَفْسُهُ . كُفِيَ الأسَى بِتَفَاقُدِ الأوْلادِ
بَرْدُ القُلُوبِ لِمَنْ تُحِبّ بَقَاءَهُ مِمّا يَجُرّ حَرَارَةَ الأكْبَادِ
لَيسَ الفَجَائِعُ بِالذّخائِرِ مِثلَها بِأمَاجِدِ الأعْيَانِ وَالأفْرَادِ
وَيَقولُ مَنْ لمْ يَدْرِ كُنهَكَ : إنّهم نَقَصُوا بِهِ عَدَداً مِنَ الأعْدادِ

هَيهاتَ! أُدرِجَ بَينَ بُرْدَيكَ الرَّدَى رَجُلَ الرِّجَالِ وَأَوْحَدَ الآحَادِ

لا تَطلُبي ، يا نَفسِ ، خِلاًّ بَعدَهُ ، فَلَمِثْلُهُ أَعْيَا عَلَى المُرْتَادِ

فُقِدَتْ مُلائِمَةُ الشُّكُولِ بفَقدِهِ وَبَقِيتُ بَينَ تَبَايُنِ الأَضْدادِ

مَا مَطْعَمُ الدُّنْيَا بِحُلْوٍ بَعدَهُ أَبَداً ، وَلا مَاءُ الحَيَا بِبُرَادِ

الفَضْلُ نَاسَبَ بَيْنَنَا ، إنْ لمْ يَكُن شَرَفي مُنَاسِبَهُ وَلا مِيلادي

إنْ لمْ تكُنْ مِنْ أُسرَتي وَعَشيرَتي ، فَلأَنْتَ أَعْلَقُهُمْ يَداً بِوِدادي

لَوْ لمْ يَكُنْ عالي الأُصُولِ فقد وَفَى شَرَفُ الجُدُودِ بِسُؤدُدِ الأَجدادِ

لا دَرَّ دَرّي إنْ مَطَلْتُكَ ذِمّةً في بَاطِنٍ مُتَغَيِّبٍ ، أَوْ بَادِ

إنّ الوَفَاءَ ، كمَا اقتَرَحتُ ، فلوْ يكُنْ حَيّاً ، إذاً مَا كُنْتُ بالمُزْدادِ

لَيسَ التّنَافُثُ بَيْنَنَا بِمُعَاوَدٍ أَبَداً ، وَلَيْسَ زَمَانُنَا بِمُعَادِ[1]

ضَاقَتْ عَليّ الأَرْضُ بَعدَكَ كُلُّهَا ، وَتَرَكْتَ أَضْيَقَهَا عَليّ بِلادي

لكَ في الحَشَى قَبْرٌ ، وَإنْ لمْ تأوِهِ ، وَمِنَ الدّمُوعِ رَوَائِحٌ وَغَوَادي

سَلّوا مِنَ الأَبرَادِ جِسمَكَ وَانثَنَى جِسمي يُسَلّ عَلَيْكَ في الأَبْرَادِ

كَمْ مِنْ طَوِيلِ العُمْرِ بَعدَ وَفَاتِهِ بالذّكْرِ يَصْحَبُ حاضِراً ، أَوْ بادي

مَا مَاتَ مَنْ جَعَلَ الزّمَانَ لِسَانَهُ يَتْلُو مَنَاقِبَ عُوَّداً وَبَوَادي

فَاذْهَبْ كمَا ذَهَبَ الرّبيعُ وَإِثْرُهُ بَاقٍ بِكُلّ خَمَايِلٍ وَنِجَادِ

لا تَبْعَدَنّ وَأَينَ قُرْبُكَ بَعدَهَا ؛ إنّ المَنَايَا غَايَةُ الأَبْعَادِ

[1] التنافث : المخاطبة ، والمسارة .

صَفَحَ الثّرَى عَنْ حُرّ وَجهِكَ أنّهُ مُغْرًى بِطَيّ مَحاسِنِ الأمْجَادِ
وَتَمَاسَكَتْ تِلْكَ البَنَانُ ، فَطالمَا عَبِثَ البِلَى بِأنَامِلِ الأجْوَادِ
وَسَقَاكَ فَضْلُكَ إنّهُ أرْوَى حَياً مِنْ رَائِحٍ مُتَحَرِّسٍ ، أوْ غَادِ
جَدَثٌ عَلى أنْ لا نَبَاتَ بِأرْضِهِ ، وَقَفَتْ عَلَيْهِ مَطالِبُ الرُّوّادِ

يبغي النجاة غداً

قال في الزهد

تَرَكَ الدّنْيَا لِطَالِبِهَا ، وَرَضِي بالدّونِ مُقْتَصِدَا
نَافِراً مِنْهَا ، فَلَيسَ يرَى بِالأمَانِي آنِساً أبَدَا
بَعْدَ أنْ نَالَ العَلاءَ ، وَمَا زَالَ يَنْمي جَدُّهُ صُعُدَا
نَفَضَ الأطْمَاعَ عَنْ يَدِهِ وَاستَخارَ الوَاحِدَ الأحَدَا
وَرَأى أنْ لا نَجَاةَ لَهُ ، فَمَضَى يَبغي النّجَاةَ غَدَا

ناقض الوداد

قال في النسيب

يا غَائِباً نَقَضَ الوِدَادَا . أشْمَتَّ بالقُرْبِ البِعَادَا
وتَرَكْتَني ، وَالشَّوْقُ يَأْ بَى أنْ يُرَوِّحَ لِي فُؤَادَا
تَأبَى سَوَابِقُ عَبْرَتِي أنْ تَخدَعَ المُقَلُ الرُّقَادَا
لَوْ أنَّ طَرْفِي سَارَ نَحْ وَكَ لاتَّخَذْتُ النَّوْمَ زَادَا
فَارْجِعْ إلى رَسْمِ الصَّفَا ءِ ، فَإنَّهُ إنْ عُدتَ عَادَا
وَدَعِ العِدَى . فَوَحُرْمَةِ الْ عَلياءِ لا بَلَغوا المُرادَا
بَسَطُوا لَنَا أيْدِي النَّوَا لِ . وَمَا نَرَى منهم جَوَادَا
قَلْبِي أسِيرٌ في حِبَـا لِكَ لا أُؤمِّلُ أنْ يُقَادَا
أعْجَلْتَ قَلْبِي أنْ يَمَسَّ الْ هَجْرَ . فاستَلَبَ الوِدَادَا
يَا بَائِعِي بِالنَّزْرِ مُخْ تَاراً لِيَبْلُغَ مَا أرَادَا
إنْ جُدْتَ بِي فَلْيَنْدَمَنْ مَنْ كَانَ بِي يَوْماً جَوَادَا
مَنْ ضَاعَ مِثْلِي مِنْ يَدَيْ هِ . فَلَيتَ شِعرِي ما استفادَا
لا يَلْبَسُ الوُدَّ الطَّرِيـ فَ مُجَامِلٌ خَلَعَ التِّلادَا

صبر ولا جلد

مِثْلُ وُدّي لا يُغَيِّرُهُ　　لكَ هِجْرَانٌ وَلا بُعُدُ
وَجُفُونِي لا يَزَالُ بِهَا　　طَيفُ حِلمٍ مِنكَ يَطَّرِدُ
وَضَمِيرِي أنتَ تَعلَمُهُ،　　لكَ لا يَلْوِي بِهِ أحَدُ[1]
يامُقِيدَ الشّوْقِ من كَبِدِي!　　آهِ لا صَبْرٌ ، وَلا جَلَدُ[2]
دُ[3]

القلب الوفي

قال أيضاً رحمه الله

أتُرَى الأحبَابُ مُذْ ظَعَنُوا　　وَجَدُوا للبَينِ مَا أجِدُ
لا يَبِتْ ذاكَ الحَبِيبُ كَمَا　　بَاتَ هذا القَلْبُ وَالكَبِدُ
كَانَ زُوراً بَعْدَ بَيْنِهِمُ ،　　وَغُرُوراً ذَلِكَ الجَلَدُ
وَمَتَى تَدْنُ الدّيَارُ بِهِمْ ،　　يَجِدُوا قَلبي كَمَا عَهِدُوا

١ يلوي به : يجحده .
٢ المقيد ، من أقاد القاتل بالقتيل : قتله به قوداً أي بدلا منه .
٣ قوله : عدد ، لعل مراده أن اعضاءه محصاة لها ، أو معدة لها .

الهوى داؤه يعدي

خُذي نَفَسي يا رِيحُ من جانبِ الحمى فَلاقي بِهَا لَيلاً نَسيمَ رُبَى نَجْدِ
فَإنّ بذاكَ الحَيّ إلْفاً عَهِدْتُهُ ، وَبالرّغمِ منّي أنْ يَطولَ به عَهدِي
وَلَوْلا تَداوِي القَلْبِ من ألمِ الجَوَى بِذِكْرِ تَلاقِينا قَضَيْتُ من الوَجْدِ
وَيَا صَاحِبِيّ اليَوْمَ عُوجَا لتَسألا رُكَيْباً من الغَوْرَينِ أنضَاؤهم تخدِي
عَنِ الحَيّ بالجَرْعاءِ جَرْعاءِ مالكٍ ، هَلِ ارْتَبَعوا وَاخضَرّ وَاديهِمُ بَعدِي
كَأنّ بِعَيْنَي بَعْدَهُمْ غائرَ القذى إذا أنَا لَمْ أنْظُرْ إلى العَلَمِ الفَرْدِ
شَمَمْتُ بنَجدٍ شِيحَةً حَاجِرِيّةً . فأمطَرْتُها دَمعي. وَأفرَشتُها خَدّي
ذَكَرْتُ بهَا رَيّا الحَبيبِ عَلى النّوَى ، وَهَيهاتَ ذا يا بُعدَ بَينِهِما عِندِي
وَإنّي لمَجلُوبٌ ليَ الشّوْقُ كُلّمَا تَنَفّسَ شَاكٍ . أوْ تألّمَ ذو وَجْدِ
تَعَرّضَ رُسلُ الشّوْقِ وَالرَّكبُ هاجد ، فتُوقِظُني مِنْ بَينِ نُوّامهمْ وَحدِي
فَقُلْتُ لأصْحَابي : ألاَ تَتَزَافَرُوا ؟ رُوَيدَكُمُ ! إنّ الهوَى داؤهُ يُعدِي
وَمَا شَرِبَ العُشّاقُ إلاّ بَقيّتي ، وَلا وَرَدُوا في الحُبّ إلاّ على وِرْدِي

التفات القلب

أقُولُ وَقد جازَ الرِّفاقُ بذي النَّقَا ، وَدُونَ المَطَايَا مُرْبَخٌ وَزَرُودُ[1]
أتَطْلُبُ يا قَلْبي العِرَاقَ منَ الحِمَى، ليَهْنِكَ مِنْ مَرْمًى عَلَيْكَ بَعِيدُ
وَإنّ حَدِيثَ النّفْسِ بالشّيْءِ دُونَهُ رِمَالُ النّقَا مِنْ عالجٍ ، لَشَدِيدُ
تَرَى اليَوْمَ في بَغدادَ أنْدِيَةَ الهوَى لهَا مُبْدِىءٌ مِنْ بَعدِنَا وَمُعِيدُ
فمِن وَاصِفٍ شوْقاً وَمن مُشتكٍ حشاً، رَمَتْهُ المَرَامي أعيُنٌ وَخُدُودُ
تَلَفّتَ حتّى لَمْ يَبِنْ مِنْ بِلادِكم دُخانٌ وَلا مِنْ نارِهِنّ وَقُودُ
وَإنّ التِفَاتَ القَلْبِ مِنْ بَعدِ طَرْفه طَوَالَ اللّيَالي نَحْوَكُمْ لَيَزِيدُ
وَلمّا تَدَانَى البَيْنُ قالَ ليَ الهوَى : رُوَيداً ! وَقالَ القَلبُ: أينَ تُرِيدُ
أتَطْمَعُ أنْ تَسْلُو على البُعدِ وَالنّوَى وَأنتَ عَلى قُرْبِ المَزَارِ عَمِيدُ
وَلَوْ قالَ لي الغادونَ : ما أنتَ مُشتَهٍ غَدَاةَ جزَعْنا الرّملَ، قُلتُ: أعُودُ
ألصّبرُ، وَالوَعْسَاءُ بَيْني وَبَيْنَكُم، وَأعلامُ خَبْتٍ ؟ إنّني لجَلِيدُ[2]

١ المربخ : رملة في البادية . زرود : موضع .

٢ الخبت : المتسع من بطون الأرض .

القلب الظمآن

يا طيبَ نجدٍ ، وحُسنَ ساكِنهِ   لَوْ أنهُمْ أنجزُوا الذي وَعَدُوا
قالُوا ، وقَدْ قرّبَتْ ركائِبُنَا ،   والقَلْبُ يَظْمَا بهِمْ ، ولا يَرِدُ :
أتارِكٌ أرْضَنَا ، فَقُلْتُ لَهُمْ :   أنجَدَ قَلْبي وأعرَقَ الجَسَدُ

أيام سود

صدّتْ . ومَا كانَ لها الصّدُودُ .   وازْوَرّ عنّي طَرْفُها وَالجِيدُ
يَقُولُ لمّا أخلَقَ الجَدِيدُ .   إذا البَجَالُ ذَلِكَ الوَلِيدُ[1]
يا أينَ ذاكَ الخَضِلُ الأُمْلُودُ .   رَيّانَ مِنْ مَاءِ الصِّبَا يَمِيدُ
تَصْحبُهُ اللّحظَ العَذارَى الغِيدُ .   غَدا الغَزَالُ اليَوْمَ ، وَهوَ سِيدُ
قُلتُ: نَعَمْ! ذاكَ الذي أُرِيدُ .   مَضَى حَبيبٌ قَلّمَا يَعُودُ
لَشُدّ مَا أوْجَعَني الفَقِيدُ .   أيّامُنَا بَعْدَ البَيَاضِ سُودُ

[1] البجال : الشيخ الكبير المبجل .

طريد الحسان

أُمَيْمَ ! إنَّ أخاكِ غَضٌّ جِمَاحُهُ ... بيضٌ طَرَدْنَ عَنِ الذَّوائبِ سُودَا
عُقَبُ الجَديدِ إذا مَرَرْنَ على الفتى ... مَرَّ الفَوادِحِ لَمْ يَدَعْنَ جَدِيدَا[1]
قدْ كانَ قَبْلَكِ للحِسانِ طَرِيدَةً ، ... فاليَوْمَ راحَ عَنِ الحِسَانِ طَرِيدَا
حَوَّلْنَ عَنْهُ نَوَاظِراً مَزْوُرَّةً ، ... نَظَرَ القِلَى ، ولَوَيْنَ عنهُ خُدُودَا
نَشَدَ التَّصابي ، بعدَما ضاعَ الصِّبا ، ... غَرَضاً ، لَعَمْرُكِ يا أُمَيمَ ، بَعيدَا

ترى العين ما لا تنال اليد

تَحَمَّلَ جِيرَانُنَا عَنْ مِنًى ، ... وقالُوا : النَّقَا بَيْنَنَا مَوْعِدُ
وَهَلْ نَاقِعٌ قَوْلُ ذِي غُلَّةٍ . ... وقَدْ بَعِدَ الرَّكْبُ: لا يَبْعَدُوا[2]
تَنَادَوْا بِأَنَّ التَّنَائِي غَداً ؛ ... لكَ السُّوءُ مِنْ طَالِعٍ ، يا غَدُ
فَلِلَّهِ مَا جَمَعَ المَأْزِمَا ... نِ وَجَمْعٌ لقَلْبِيَ وَالمَسْجِدُ

١ العقب : الآثار ، الواحدة عقبة . الفوادح : الخطوب ، الواحدة فادحة .

٢ الناقع : المسكن . ذو الغلة : العطشان .

يُضَاعُ فَيُنشَدُ قَعْبُ الغَبُوقِ ، وَقَلْبي يُضَاعُ ، ولا يُنْشَدُ[1]
وَغَيْداءَ مِنْ مَاطِلاتِ الدُّيُونِ ، لهَا بالحِمَى زَمَنٌ أغْيَدُ
تَرِيعُ كمَا التَفَتَتْ ظَبْيَةٌ بِذي البَانِ عَنّ لهَا المَوْرِدُ[2]
نَظَرْتَ وَهَيهَاتَ مِنْ نَاظِرَيْكَ ظِبَاءُ تِهَامَةَ يَا مُنْجِدُ
وَيَا رُبّمَا ، وَالهَوَى ضِلّةٌ ، تَرَى العَيْنُ مَا لا تَنَالُ اليَدُ

سقى الله

قال في معنى مثل القول فيه :

سَقَى اللهُ يَوْماً ساعَدَتنا كُؤوسُهُ ، عَلى حِينَ مَا جَادَ الزّمانُ بِمُسْعِدِ
جَلَوْنا عَلَيهِ الخَمرَ حتى تكَشّفَتْ فَوَاقِعُهَا عَنْ لَوْنِهَا المُتَوَرِّدِ
نَفَضْنَ لَنَا عَنْهَا حَبَاباً كَأنّهُ قَذًى يَتَمَشّى بَينَ أجفَانِ أرْمَدِ
وَنَدْمَانِ صِدْقٍ تَسْلُبُ الرّاحُ عَقْلَه ، وَتَسْلُبُهَا خَدّاهُ حُسْنَ التَوَرّدِ
فَلا زَالَتِ الأيّامُ تَجرِي صُرُوفُهَا عَلَينا بمَغْبُوطٍ مِنَ العَيشِ سَرْمَدِ

١ القعب : القدح الضخم
٢ تريع : تخاف .

عيش رقيق ندٍ

قال وكتب بها إلى صديق له :

حَطَطْتُ المَكَارِمَ عَنْ عَاتِقِي . وَجَرَّدَنِي الذُّلُّ عَنْ مَحْتِدِي
وَإِلاَّ . فَلا أَمَّنِي النَّازِلُونَ ، وَلا جَاءَنِي الطَّارِقُ المُجْتَدِي
وَلا قُلْتُ . إِنِّيَ عِنْدَ الفَخَا رِ . إِلاَّ لِغَيْرِ أَبِي أَحْمَدِ
مَتَى حُلْتُ عَنْ وِدِّكَ المُصْطَفَى وَأَخْلَفَ مَا رُمْتُهُ مَوْلِدِي
سَأَلْقَاكَ بِالعَهْدِ عِنْدَ المَشِيبِ . وَهَا أَنَا فِي حِلْيَةِ الأَمْرَدِ
وَإِنِّي . إِذَا لَمْ أَجِدْ نَاصِراً . وَجَدْتُكَ أَنْصَرَ لِي مِنْ يَدِي
خُذِ الوَقْتَ . وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّبِيبَ يَأْخُذُ مِنْ يَوْمِهِ لِلغَدِ
فَمَا يَنْفَعُ المَرْءَ . بَعْدَ المَنُونِ . قَوْلُ النَّوَادِبِ : لا تَبْعَدِ
عَلَى أَنَّنِي تُحْفَةٌ لِلصَّدِيقِ يَرُوحُ بِنَجْوَايَ ، أَوْ يَغْتَدِي
وَإِنِّي لَيَأْنَسُ بِي الزَّائِرُونَ أَنِيسَ النَّوَاظِرِ بِالأُثْمُدِ
تُغَمِّضُ لِي أَعْيُنُ الحَاسِدِينَ . كَالشَّمْسِ فِي نَاظِرِ الأَرْمَدِ
فَلا دَخَلَ البُعْدُ مَا بَيْنَنَا . وَلا فَكَّ مِنَّا يَداً عَنْ يَدِ
وَطُوِّلَ أَيَّامُنَا بِالمُقَامِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ رَقِيقٍ نَدِي

أول زلة وآخرها

هَبْ للدِّيَارِ بَقِيَّةَ الجَلَدِ . وَدَعِ الدُّمُوعَ وَبَاعِثَ الكَمَدِ
وَاذْهَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ يُقَالَ سَلا وَصَفَا لِدَاعِي العَذْلِ وَالفَنَدِ
أَتَصُدُّ عَنْ طَلَلٍ رَعَيْتَ بِهِ مَا شِئْتَ مِنْ هَيَفٍ وَمِنْ غَيَدِ
طَوَتِ اللَّيَالِي مِنْ مَعَارِفِهِ مَا كَانَ مِنْ عَلَمٍ وَمِنْ نَضَدِ
أَمْسَى الهَوَى فِيهِ بِلا أَثَرٍ . وَجَرَى البِلَى فِيهِ بِلا أَمَدِ
وَلَقَدْ عَهِدْتُ رُبَاهُ جَامِعَةً بَيْنَ الظِّبَاءِ الغِيدِ وَالأُسُدِ
أَيَّامَ مَنْ فَتَكَ الغَرَامُ بِهِ يَمْشِي بِلا عَقْلٍ وَلا قَوَدِ
إِنَّ الأُولَى بَعَثُوا بِبَيْنِهِمُ مَا زَوَّدُوا فِي القُرْبِ لِلبُعْدِ
مَا ضَرَّهُمْ ، وَالبَيْنُ يَحْفِزُهُمْ ، لَوْ عَلَّلُونَا بِانْتِظَارِ غَدِ
وَجَدُوا وَمَا جَادُوا ، وَمُحْتَقِبٍ لِلنَّوْمِ مِنْ أَثَرِي . وَلَمْ يَجِدِ[1]
لَيْتَ الَّذِي عَلِقَ الرَّجَاءُ بِهِ . إِذْ لَمْ يَجُدْ لِلصَّبِّ لَمْ يَجُدِ
وَلَقَدْ رَأَيْتُهُمُ . وَحَيُّهُمُ مُتَقَعْقِعُ الأَطْنَابِ وَالعَمَدِ[2]
فَكَأَنَّمَا أَقْنَى بِرَائِنِهِ يَنْشَبْنَ بَيْنَ القَلْبِ وَالكَبِدِ

١ وجدوا : غضبوا ، أو حزنوا . المحتقب : الجامع .

٢ متقعقع : مضطرب .

وَغَرِيرَةٍ خَلْفَ السُّجُوفِ لهَا نَسَبٌ إلى أوْمَانَةِ العُقُدِ[1]
خَرَجَتْ خُرُوجَ الرِّيمِ عَاطِلَةً، وَبِجِيدِهَا حَلْيٌ مِنَ الجَيَدِ
تُجْرِي الأرَاكَ عَلى مُفَلَّجَةٍ يَجْرِينَ مِنْ شَهْدٍ عَلى بَرَدِ
عَنّي إلَيكِ، فَلَستِ مِنْ أرَبي، مَا أنتِ من غَيّي وَمِنْ رَشَدِي
قَضَتِ اللّيَالي مِنكِ مَأرَبَتي، وَنَفَضْتُ من عَلَقِ الغَرَامِ يَدِي
وَحَدَا النُّهَى وَالشّيبُ رَاحِلَتي، عَلى استِقَامَاتي عَلى الجَدَدِ
فَاليَوْمَ أتبَعُ الزِّمَامَ، وَهَلْ يُغْنِي إبَايَ اليَوْمَ أوْ صَيَدِي
لا تَقرِ، يا ضَيفَ الهُمومِ، قِرًى، إلاّ قِرَى العَيْرَانَةِ الأُجُدِ[2]
وَانهَضْ، فإنْ لمْ تَحظَ في بَلَدٍ بالرِّزْقِ، فَاقْطَعْهُ إلى بَلَدِ
وَابغِ العُلَى أبَداً، فكَمْ طَلَبٍ قَدْ بَاتَ مِنْ نَيلٍ عَلى صَدَدِ[3]
إمّا يُقَالُ: سعَى، فأحرَزَهَا، أوْ أنْ يُقَالَ: مضَى، وَلَمْ يَعُدِ
قُولا لهَذا الدّهرِ مَعتَبَةً: أسرَفتَ بي، يا دَهرُ، فَاقتَصِدِ
كَمْ لَوْعَةٍ تُهدَى إلى كَبِدِي، وَعَظِيمَةٍ تُلْقَى عَلى كَتَدِي
وَعَجَائِبٍ مَا كُنَّ في فِكَرِي، وَغَرَائِبٍ مَا دُرْنَ في خَلَدِي
أيُصَاحُ بي عَنْ كُلّ صَافِيَةٍ طَرْداً إلى الأقْذَاءِ وَالثَّمَدِ
وَأُسَامُ في أكْلاءِ مُوبِئَةٍ مُحْتَشُّهَا دُونَ السَّوَامِ رَدِي

[1] قوله: أومانة، هكذا في الأصل ولم نجدها. العقد: اسم قبيلة وهو بسكون القاف وحرك للقافية
[2] العيرانة: الناقة تشبه العير بصلابتها. الأجد: القوية.
[3] الصدد: القرب.

هَلْ نَافِعِي ، وَالجَدُّ في صَبَبٍ، مَرِّي مَعَ الآمالِ في صُعُدِ
أمْسَى عَلَيَّ مَعَ الزّمَانِ أخٌ قَدْ كُنْتُ آمُلُ يَوْمَهُ لِغَدِ
مَنْ كَانَ أحنَى ، عِندَ نَائِبَةٍ ، مِنْ وَالِدِي وَأبَرَّ مِنْ وَلَدِي
لَمْ يُثْمِرِ الظّنُّ الجَمِيلُ بِهِ ، فَقَدِي مِنَ الظّنّ الجَمِيلِ قَدِي
لَوْ كَانَ مَا بَيْني وَبَيْنَكُمُ بَيْني وَبَيْنَ الذّئْبِ وَالأسَدِ
لأوَيْتُ مِنْ هَذا إلى حَرَمٍ ، وَلجأتُ مِنْ هَذا على عَضُدِ
وَلأصْبَحا في الرّوْعِ مِنْ عَدَدِي كَرَماً وَفي اللأوَاءِ مِنْ عُدَدِي
وَلَمانِعَا عَنّي ، إذا جَعَلَتْ نُوَبُ الزّمانِ تَهِيضُ من جَلَدِي
أوْ كانَ مَا قَدّمْتُ مِنْ مِقَةٍ سَبَباً إلى البَغْضاءِ لَمْ يَزِدِ
بَلْ لَوْ قَذَفْتُ بِمِدْحَتي لكُمُ في البَحْرِ ذِي الأمْوَاجِ وَالزّبَدِ
لَرَمَى إليّ أشَفَّ جَوْهَرَةٍ ، وَسَقَى بِأعذَبِ مَائِهِ بَلَدِي
كَمْ من مَطالِبَ قَد عَقَدْتُ بهَا طَمَعي ، فَحَلّ مَرَائِرَ العُقَدِ
وَأعادَني مِنْهَا عَلى أسَفٍ ، وَأبَاتَني فِيهَا عَلى ضَمَدِ
الفِعْلُ مَهزَأةٌ لِكُلِّ فَمٍ ، وَالعِرْضُ مِنديلٌ لِكُلّ يَدِ
فَلْيَثْبُتَنّ الآنَ إنْ ثَبُتَتْ قَدَمٌ عَلى جَمْرٍ لمُعْتَمِدِ
وَلْيَصْبِرَنّ لِوَقْعِ صَاعِقَتي ، وَيُوَطِّنَنّ حَشاً عَلى الزُّؤدِ[1]
فَلَتَدْخُلَنّ عَلَيْهِ قُبّتَهُ ، وَلاَجَةٌ تَخفَى عَلى الرَّصَدِ
وَهَوَاجِمٍ يَدْفَعْنَ كُلَّ يَدٍ ، وَنَوَافِذٍ يَهزَأنَ بِالزَّرَدِ

[1] الزؤد : الفزع .

كَالبِيضِ لا يُصْقَلْنَ عَنْ طَبَعٍ ، وَالسُّمْرِ لا يُغْمَزْنَ عَنْ أوَدِ
حَتّى يَذُوقَ لِحَدّ أنْصُلِهَا طَعْناً ، وَلا طَعْنَ القَنَا القَصَدِ
وَمَتى يُوقِعْ فَلْ مِقْنَبِهَا . لَمْ أُخْلِهَا أبَداً مِنَ المَدَدِ[1]
أخطَاتُ في طَلَبي . وَأخطَا في يَأسِي ، وَرَدّ يَدِي بِغَيرِ يَدِ
فَلأجْعَلَنّ عُقُوبَتِي أبَداً ، أنْ لا أمُدّ يَداً إلى أحَدِ
فَتَكُونَ أوّلَ زَلّةٍ سَبَقَتْ مِنّي ، وَآخِرَهَا إلى الأبَدِ

كريم القوم من خدم العلى

قال أيضاً وكان قد سافر إلى الكوفة وتحدث عنه أنه قد عزم على التوجه إلى مصر ثم عاد إلى بغداد فقال هذه القصيدة ينبىء عما في نفسه ويمدح فيها الأتراك وانه لا يفارقهم ويذم بعض أعدائه ويذكر فيها ملوك بني بويه :

تَزَوّدْ مِنَ المَاءِ النُّقَاخِ ، فَلَنْ تَرَى بِوَادِي الغَضَا مَاءً نُقَاخاً وَلا بَرْدَا[2]
وَنَلْ من نَسيمِ الرَّنْدِ وَالبَانِ نَفحَةً ؛ فَهَيهاتَ وَادٍ يُنْبِتُ البَانَ وَالرَّنْدَا
وَعُجْ بالحِمَى عَيْناً ، فلَستَ برَامِقٍ طَوَالَ اللّيَالي ذَلِكَ العَلَمَ الفَرْدَا

١ المقنب : الجماعة من الخيل .
٢ الماء النقاخ : الماء البارد العذب الصافي .

وَكُرٌّ إلى نَجْدٍ بِطَرْفِكَ إنّهُ متى يَعْدُ لا يَنظُرْ عَقيقاً وَلا نَجْدَا

تَلَفّتَ دُونَ الرّكْبِ وَالعَينُ غَمْرَةٌ وَقَدْ مَدّها سَيلُ الدّمُوعِ بما مَدّا

لَعَلّي أرَى داراً بِأسْنِمَةِ النَّقا ، فَأطْرَبُنَا للدّارِ أقْرَبُنَا عَهْدَا

تَلاعَبُ بي بَينَ المَعَالِمِ لَوْعَةٌ ، فتَذهَبُ بي يأساً وَتَرْجعُ بي وَجْدَا

مَنازِلُ نَاشَدْتُ السّحَابَ فَما قضَى فَرِيضَتَها عنّي السّحابُ. وَلا أدّى

وَهَلْ بَالِغٌ مَا يَبْلُغُ الدّمعُ عِندَهَا حَقَائبَ غَيْثٍ تحملُ البرْقَ وَالرّعْدَا

أمنكِ الخَيالُ الطّارِقي بَعدَ هَجعَةٍ . يُعاطي جوَى الظّمآنِ مُبتَسماً بَرْدَا

دَنَا مِنْ أعَالي الرّقمتَينِ ،وَمَا دَنَا ، وَصَدَّ وَقَدْ وَلّى الظّلامُ. وَما صَدّا

وَمِنْ عَجَبٍ رَيّي وَما نَقَعَ الصّدَى ، وَعَدّي لَهُ مَنّاً عَليّ . وَما اعتَدّا

أسَاءَ لَيَالي القُرْبِ نَأياً وَهِجْرَةً . وَأسدَى على بُعدٍ من الدارِ ما أسدَى

أفي كُلّ يَوْمٍ للمَطامِعِ جَاذِبٌ يُجَشّمُني ما يُعجِزُ الأسدَ الوَرْدَا

كَأنّي إذا جادَلْتُ دونَ مَطالبِي . أجَادِلُ لِلأيّامِ ألْسِنَةً لُدّا

أحُلّ عُقُودَ النّائِبَاتِ . وَأنْثَني . وَخَلفي يَدٌ للدّهْرِ تُحكِمُها عَقْدَا

إذا مَا نَفَذْتُ السّدّ مِن كلّ حادثٍ رَأيتُ أمامي دُونَ مَا أبْتَغي سَدّا

أأتْرُكُ أمْلاكاً رِزَاناً حُلُومُهُمْ . حُلُولاً عَلى الزّوْرَاءِ أيمانُهُمْ تَنْدَى

كَأنّكَ تَلْقَى مِنهُمُ أجَمِيّةً مُؤلّلَةَ الأنْيَابِ أوْ قُلَلاً صُلْدَا[1]

١ الأجمية : نسبة إلى الأجمة : مأوى الأسد . و«أُزْد أُسد» . مؤللة : محددة . القلل. الواحدة قلة : أعلى الشيء . الصلد : الصلب . وقد وصف الجمع هنا بالمفرد . إلا إذا كان في عجز البيت تحريف ، لأن معنى قلل صلد غامض .

وَلا يَأنَفُ الجَبّارُ أنْ يَحتَفِيهِمُ ، وَلا الحُرُّ يأبَى أن يكُونَ لهم عَبدَا
إذا مَا عَدِمْنَا الجُودَ مِنهُمْ لعِلّةٍ ، فلَنْ نَعدَمَ العَلياءَ منهم وَلا المَجدَا
وَإنّ كَرِيمَ القَوْمِ مَنْ خَدَمَ العُلى؛ وَإنّ لَئِيمَ القَوْمِ مَن خَدَمَ الرِّفْدَا
إذا مَا طَرَقْتَ المَرْءَ منهُمْ وَجَدْتَهُ عَلى النّارِ لا كابي الزّنادِ وَلا وَغْدَا
لهُمْ كُلُّ مَوْقوذٍ مِنَ التّاجِ رَأسُهُ غَنيٍ بالعُلى أنْ يَنسُبَ الأبَ وَالجَدَّا[1]
نُحاسِنُ أقْمارَ الدُّجَى بِوُجُوهِهِم فَنَبْهَرُهَا نُوراً وَنَغْلِبُهَا سَعدَا
تَخَالُهُمُ غِيداً، إذا يَذكُرُوا النّدَى، وَتحسَبُهُمْ جِنّاً، إذا ركبوا الجُرْدَا
إذا طَرِبُوا للجُودِ أمطَرْتَهُمْ حَيَاً ؛ وَإنْ غَضِبُوا للمَجدِ هيّجتَهم أُسدَا
وَأنْقُلُ بَيْتي في البِلادِ مُجاوِراً بُيُوتَ المَخازي قد ضَلَلْتُ إذاً جِدّا
خِياماً قَصيراتِ العِمَادِ تَخَالُهَا كِلاباً على الأذنَابِ مُقعِيَةً رُبْدَا
إذا عَزّ مَاءٌ بَينَهُمْ وَرَدُوا القَذَى؛ وَإنْ قَلّ زَادٌ عندَهم مَضَغوا القِدّا
تَرَى الوَفْدَ عَن أعطانِهِم وَقِبابِهِمْ مِنَ اللّوْمِ أنأى مِنْ نَعامهم طَرْدَا
أأترُكُ أمْطَاءَ السّوَابِقِ ضِلّةً ، وَأستَحمِلُ الحَاجَاتِ أحمِرَةً قُفْدَا[2]
لرَأيٍ لَعَمري غَيرِ دانٍ مِنَ النُّهَى، وَلا وَاسِطٍ في الحَزْمِ قَبْلاً وَلا بَعدَا
فَلا طَرَبٌ إنْ زِدْتُ قُرْباً إلَيْهِمُ ؛ وَلا أسَفٌ إنْ زَادَ مَا بَينَنَا بُعْدَا
كَعَمتُ لساني أنْ يَقولَ ،وَإنْ يَقُلْ ، فقُلْ في الجرازِ العَضْبِ إن فارَقَ الغمدَا
وَإنّ بُرُوداً للمَخَازي مُعَدّةٌ ، فمَنْ شاءَ في ذا الحَيّ أسحَبْنُهُ بُرْدَا

[1] الموقوذ : لعله من وقذه النعاس : غلبه كأنه سكران ، أو من وقذه : تركه عليلا .
[2] القفد ، الواحد أقفد : المسترخي العنق .

قَلائِدُ في الأعْنَاقِ بِالعَارِ لا تَهِي ... عَلى مَرّ أيّامِ الزّمَانِ ، وَلا تَصْدَا
إذا صَلصَلَتْ بَينَ القَنَا قَصَتِ القَنَا ، ... وَإنْ زَفَرَتْ بالسّرْدِ قَطّعتِ السّرْدَا
لهَا بَينَ أعرَاضِ الرّجَالِ قَعَاقِعٌ ، ... مَدارِجُها أسعَى من الغُرّ أوْ أعدَى[1]
أآلَ بُوَيْهٍ ما نَرَى النّاسَ غَيرَكم ، ... وَلا نَشتَكي للخَلْقِ أوْلاكمُ فَقدَا
نَرَى مَنعَكُمْ جُوداً وَمَطلَكُمُ جَداً ، ... وَإذْلالَكُمْ عِزّاً وَإمرَارَكم شَهدَا
وَعَيشَ اللّيالي عِندَ غَيرِكُمُ رَدًى ، ... وَبَرْدَ الأمَاني عِندَ غَيرِكمُ وَقْدَا
إذا لمْ تَكُونُوا نازِلي الأرْضِ لم نجِدْ ... بها الوَادِيَ المَمطورَ وَالكَلأَ الجَعْدَا
وَيُنْبِطُ مِحفَارِي بِأرْضِكُمُ الغِنى ، ... إذا ما نَبَا عن جانبِ اللّؤمِ أوْ أكدَى[2]
وَكنتُ أرَى أنّي متى شِئتُ دونَكُمْ ... وَجَدْتُ مَجازاً للمَطالِبِ أوْ مَعدَى
فلَمْ أرَ لي مِنْ مَطلَعٍ عَن بِلادِكم ، ... وَلا مِنْ مَرَاحٍ للأمَاني وَلا مَغدَى
خُذُوا بزِمَامي قَدْ رَجَعْتُ إليكُمُ ، ... رُجُوعَ نَزِيلٍ لا يَرَى منكُمُ بُدّا
أُرِيدُ ذَهَاباً عَنكُمُ ، فَيَرُدّني ... إلَيكُمْ تجارِيبُ الرّجَالِ ، وَلا حَمدَا

[1] الغر ، الواحد الأغر : وهو من الخيل ما كان بجبهته غرة

[2] ينبط : يستخرج الماء . أكدى : قطع ومنع .

مغلقو الجود

أرَى وُجُوهاً وَأيْمَاناً مُقَفَّلَةً ، فَمُغْلَقُ البِشرِ مِنها مُغلَقُ الجُودِ
مُعَبِّسِينَ لِئَلاّ يُحْدِثُوا طَمَعاً لِلسّائِلِينَ ، وَلا يُوفُوا بِمَوْعُودِ
نَوَالهُمْ بَيْنَ صَعْبِ النَّيْلِ مُمْتَنِعٌ بالمَطلِ أوْ مُسْتَخَسٍّ القَدرِ مَرْدودِ

جنود ادى

هَوًى لَكُما إنّ الشّبَابَ يُعَادُ ، وَإنّ بَيَاضَ العَارِضَينِ سَوَادُ
وَإنّ اللّيَالي عُدْنَ ، وَالحَيُّ جِيرَةٌ ، كمَا كُنّ ، أمْ لا ! مَا لهنّ مَعَادُ
حَنَنْتُ إليكُم حَنّةَ النِّيبِ أصْبَحتْ تَلُوبُ عَلى المَاءِ الرَّوَى وَتُذادُ[1]
تَوَانٍ بِأعْنَاقِ الغَلِيلِ ، وَقد حوَى مَشَارِعَهُ عَذْبُ الجُمامِ بُرَادُ[2]
دَعِ الوَجْدَ يَبْلُغْ ما أرَادَ ، فما الهوَى بِدانٍ ، وَلا عَهْدُ الدّيَارِ مُعَادُ

١ النيب ، الواحدة ناب : الناقة المسنة . تلوب : تحوم حول الماء . الروى : الماء الغزير المروي . تذاد : تدفع ، تمنع .

٢ قوله : توان بأعناق الغليل ، هكذا في الأصل ولعلها محرفة . المشارع ، الواحدة مشرعة : مورد الماء . الجمام : الماء الكثير المجتمع . البراد : البارد .

وَإنّ بذاكَ الجِزْعِ وَحْشاً غَريرَةً ، تَصيدُ ، وَأعيَا النّاسَ كيفَ تُصادُ
إذا أنبَضَ الرّامي رَمَيْنَ فُؤادَهُ ، فَظَلّ ، ولَمْ يُمْلِكْ لَهُنّ قِيادُ
غَداةَ وَقَفْنا ، وَالدّمُوعُ مُرِشّةٌ ، كَأنّ عُيُونَ الوَاقِفِينَ مَزَادُ
أبَى طُولُ هَمٍّ أنْ تكونَ مَضَاجعٌ ، وَغُزْرُ دُمُوعٍ أنْ يُكَنّ رُقَادُ
فَبَيْنَ ضُلُوعي وَالهُمُومِ تَقَارُعٌ ؛ وَبَيْنَ جُفُوني وَالمَنَامِ طِرَادُ
لَهُمْ كُلّ يَوْمٍ ، وَالنّوَى مُطمئنّةٌ ، سَليمٌ لَهُ يَوْمَ الفِرَاقِ عِدَادُ[1]
فَيَا بَينُ لمْ تَنفَعْ إلَيكَ وَسيلَةٌ ؛ وَيا وَجْدُ لمْ يَسلَمْ عَلَيكَ فُؤادُ
حَلَفتُ بِأيدِيهِنّ في كُلّ مَهْمَهٍ ، عَلَيهِنّ مِنْ بَاقي الظّلامِ سَوَادُ
كَأيدي العَذارَى الفَاقِداتِ تَدارَعَتْ لِلَدْمِ الطُّلَى أطمارُهنّ حِدادُ[2]
خَوَانِفُ ، مَهْبُوطٌ بهِنّ عَشيّةً ، قَرَارٌ . وَمَطْلُوعٌ بهِنّ نِجَادُ[3]
تُقَصّ بِآثَارِ الدّمَاءِ . كَأنّها مَسَاحِبُ جَرْحَى يَوْمَ طالَ طِرَادُ
يُطَيِّرْنَ بِالوَقْعِ الشّرَارَ ، كأنّمَا مَنَاسِمُهَا تَحْتَ الظّلامِ زِنَادُ
كَأنّ الدّجَى وَالفَجرُ يَرْكَبُ عِقبَهُ نَزَائِعُ دُهْمٍ خَلْفَهُنّ وِرَادُ
أزِيزُ سُرًى ما فيهِ لِلغَمضِ مَطمَعٌ . كَأنّ قُتُودَ اليَعْمَلاتِ قَتَادُ[4]
رَوَامٍ إلى جَمْعٍ كَأنّ رُؤوسَهَا قِبَابٌ بَنَتْهَا بِالمَرَاقِبِ عَادُ

١ العداد : الجنون ، ووقت الموت .
٢ قوله : تدارعت لعلها تدرعت : لبست دروعها أي قمصانها . أو أنها محرفة . اللدم : اللطم . الطلى ، الواحدة طلية وطلاة : العنق . أطمارهن : ثيابهن الرثة .
٣ الخوانف ، الواحدة خانفة : الشامخة بأنفها .
٤ الأزيز : شدة السير . القتود ، الواحد قتد : الرحل . القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر .

يُجَعْجِعنَ أجْلاداً وَهَاماً رَوَاجِفاً ، وَهُنّ عَلى مَا نَابَهُنّ جِلادُ[1]
لِحَيٍّ عَلى الجَرْعاءِ الأمِ رِحلَةٍ إذا ظَعَنُوا سَاقُوا العُيُوبَ وَقَادُوا
إذا رَحَلُوا عَنْ خِطّةِ اللّؤمِ خالفوا إلَيْهَا بِأعْنَاقِ المَطِيّ وَعَادُوا
لهمْ مَجْلِسٌ ما فيهِ للمَجْدِ مَقعَدٌ ، وَمَرْبَطُ عَارٍ مَا عَلَيْهِ جِيَادُ
بُيُوتُهُمُ سُودُ الذُّرَى ، وَلِنَارِهِمْ مَوَاقِدُ بِيضٌ مَا بِهِنّ رَمَادُ
لَهُمْ حَسَبٌ أعمَى أضَلّ دَلِيلَهُ ، فَلَمْ يَدْرِ في الأحْسابِ أينَ يُقَادُ
تَحَيّرَ في الأحْيَاءِ ذُلاً مَتى يَرُمْ سَبيلَ العُلَى يُضْرَبْ عَلَيْهِ سِدادُ
لَهُ عَنْ بُيُوتِ الأكْرَمينَ دَوَافعٌ ؛ وَعَنْ هَضَبَاتِ المَاجِدِينَ ذِيَادُ
قِبَابٌ يُطَاطي اللّؤمُ مِنْهَا كَأنّها، وَلَوْ رُفِعَتْ فَوْقَ الجِبَالِ ، وِهَادُ
وَأيْدٍ جُفُوفٍ لا تَلِينُ ، وَإنّهَا ، وَلَوْ مَطَرَتْ فِيهَا الغُيُومُ ، جَمادُ
لهنّ عَلى طَرْدِ الضّيُوفِ تَعاقُدٌ ، هِرَاشُ كِلابٍ بَيْنَهُنّ عِقَادُ
نُصَاَنُ النُّصُولُ النّابِيَاتُ ، وَعندَهم نُصُولٌ مَوَاضٍ مَا لهنّ غِمَادُ
أمَا كانَ فيكُم مُجمِلٌ ، أوْ مُجامِلٌ ، إذا لمْ يَكُنْ فيكُمْ أغَرُّ جَوَادُ ؟
فَلا مَرْحَباً بالبَيْتِ لا فيهِ مَفزَعٌ لِلاجٍ ، وَلا للمُسْتَجِنّ عِمَادُ[2]
فَلا تُرْهِبُوني بِالرّمَاحِ سَفَاهَةً ، فَعِيدانُ أوْطَاني قَنًا وَصِعَادُ
وَلا تُوعِدُوني بِالصّوَارِمِ ضِلّةً ، فَبَيْني وَبَينَ المَشْرَفيّ وِلادُ
سأمضَغُ بالأقوَالِ أعرَاضَ قَوْمكُمْ ، وَللقَوْلِ أنْيَابٌ لَدَيّ حِدَادُ

١ يجعجعن ، من جعجع البعير : حركه للإناخة والنهوض ، بركه . الاجلاد : الأجسام .
٢ لاج : مستهل لاجيء .

تَرَى للقَوَافي ، وَالسَّمَاءُ جَلِيَّةٌ ، عَلَيْكُمْ بُرُوقٌ جَمّةٌ وَرِعَادُ
فحَمْداً لآلِ الغَوْثِ إنَّ أكُفَّهُمْ سِبَاطُ الحَوَاشِي ، وَاللِّمَامُ جِعَادُ
إذا وَقَفُوا في المَجدِ خافُوا نَقيضَهُ ، فَتَمّوا عَلى عُنْفِ السّياقِ وَزَادُوا
أقامُوا بِأقْطارِ العُلَى ، وَتَنَاقَلُوا عَلَيها وَأبْدَوْا في العُلَى ، وَأعادُوا
إلى حَسَبٍ منهُ عَلى البَدْرِ عِمّةٌ ، وَفي عاتِقِ الجَوْزاءِ مِنْهُ نِجَادُ
بِمَنْ تَنزِلُ الحاجاتُ، يا أمَّ مالكٍ ، وَأيْنَ رِجَالٌ تُعتَفَى وَبِلادُ !
حبَستُ مَقالي مَحبَسَ البُدنِ أبتَغي بِهِ عِوَضاً جَمّاً ، وَلَيسَ يُرَادُ
أرَى زُهْدَ مُستَامٍ وَأرْجُو زِيَادَةً ، ضَلالاً ، أبَيْنَ الزّاهِدِينَ أزَادُ
فَلا اخضَرّ وَادٍ أنتُمُ مِنْ حِلالِهِ ، وَلا جِيدَ مَا جَادَ البِلادَ عِهَادُ
وَلا رُفِعَتْ نارٌ لكُمْ مِثْيَ لَيْلَةٍ . وَلا رَاجَ مَالٌ طارِفٌ وَتِلادُ
فَما للنّدَى فيكُمْ نَصِيبٌ وَسَهمُهُ ، وَلا لِلأمَاني مَسْرَحٌ وَمُرَادُ
ألا إنّ مَرْعَى الطّالِبِينَ هَشَائِمٌ لَدَيكُمْ ، وَوِرْدَ الآمِلِينَ ثِمَادُ
لَكُمْ عِقْدَةٌ قَبْلَ النّوَالِ مَرِيرَةٌ ، وَداهِيَةٌ بَعْدَ النّوَالِ نَآدُ
زَرَعتم وَلَكنْ حالَ من دونِ زَرْعِكُم جُنُودُ أذًى مِنْها دَبًى وَجَرَادُ

غارة الجليد

قال في سقوط الثلج ببغداد الذي لم يرَ مثله وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٣٩٨ :

أرَى بَغدادَ قَدْ أخنَى علَيهَا ، وَصَبّحَهَا بِغَارَتِهِ الجَلِيدُ
كَأنّ ذُرَى مَعالِمِهَا قِلاصٌ نَوَاءٍ كُشّطَتْ عَنْهَا الجُلُودُ[1]
كَأنّ بِهِ لُغَامَ العِيسِ بَاتَتْ تُسَاقِطُهُ عِجَالُ الرّجعِ قُودُ
غَطَى قِمَمَ النّجادِ ، فكلٌّ وَادٍ عَلى نَشَزَاتِهِ سِبٌّ جَدِيدُ[2]
كَمَا تَعرّى بهِ الغِيطانُ مَحْلاً ، وَتَغْبَرُّ التّهَايِمُ وَالنّجُودُ[3]
فَمَهما شِئْتَ تَنظُرُ مِنْ رُبَاهَا إلى بِيضٍ عَوَاقِبُهُنّ سُودُ
أقُولُ لَهُ ، وَقَدْ أمْسَى مُكِبّاً عَلى الأقطَارِ يَضْعُفُ، أوْ يَزِيدُ :
وَرَاءَكَ ، فَالخَوَاطِرُ بَارِدَاتٌ عَلى الإحْسانِ ، وَالأيدِي جُمودُ
وَإنّكَ لَوْ تَرُومُ مَزِيدَ بَرْدٍ إلى بَرْدٍ ، لأعْوَزَكَ المَزِيدُ

١ القلاص ، الواحدة قلوص : الناقة الشابة . نواء ، الواحدة نائية : البعيدة .
٢ غطى : ستر . نشزاته : مرتفعاته . السب : الخمار والعمامة .
٣ الغيطان ، الواحد غوط : المطمئن الواسع من الأرض . التهايم : الأراضي المنحدرة إلى البحر

ردوا تراث محمد

رُدّوا تُراثَ مُحَمّدٍ رُدّوا ، لَيسَ القَضيبُ لكُمْ ، ولا البُرْدُ[1]
هَلْ عرّقَتْ فيكُمْ كَفَاطِمَةٍ ، أمْ هَلْ لَكُمْ كَمُحَمّدٍ جَدّ
جُلُّ افتِخَارِهِمُ بِأنّهُمُ عِنْدَ الخِصَامِ مَصَاقِعٌ لُدّ[2]
إنّ الخَلائِفَ وَالأولى فَخَرُوا بِهِمُ عَلَيْنَا قَبْلُ ، أوْ بَعْدُ
شَرُفُوا بِنَا وَلجَدّنَا خُلِقُوا ، وَهُمُ صَنَائِعُنَا . إذا عُدّوا

بان عهد الشباب

بانَ عَهْدُ الشّبابِ مِنكُمْ حميدَا ، وَجَديداً لَوْ كَانَ دامَ جَدِيدَا
فَتَرَى الظّاعنَ المُقَوِّضَ بَيْتَيْـ ـهِ يُرَجّي من قُلعَةٍ أنْ يَعُودَا[3]

١ القضيب : أراد به قضيب الملك ، الصولجان . البرد : أراد بردة النبي التي كان يتوارثها الخلفاء ويلبسونها في الأعياد .

٢ المصاقع ، الواحد مصقع : البليغ العالي الصوت . اللد : الشديد .

٣ القلعة : الرحلة .

لا يُرَى نَاقِلاً إلى الحَيّ رِجْلاً ، لا وَلا ثَانِياً إلى الدّارِ جِيداَ
فإذا شِئْتَ أنْ تُبَكّي لَيَالِيهِ ،فمِلآنَ قُلْ لعَينَيكَ جُودَا![1]

لكل هبوب ركود

أُحَاجي رِجَالاً : ما مَلابِسُ سُودُ، جَدائِدُ لا يَبْقَى لَهُنّ جَدِيدُ؟
سَحائِبُ تَمضِي بالفَتَى ،فَصَوَاعِقٌ، وَغَيْثٌ ، وَهَيفٌ زَعزَعٌ وَبُرُودُ[2]
كَذلكَ ، وَالأيّامُ نُعمَى وَأبْؤسٌ ، لِكُلّ هُبُوبٍ ، يا أُمَيمَ، رُكُودُ

اقتدح بفؤادي

يَا قَادِحاً بِالزّنَادِ ، مُرْ ، فَاقتَدِحْ بفُؤادِي
نَارُ الغَضَا دُونَ نَارِ الـ قُلُوبِ وَالأكْبَادِ

١ ملآن : من الآن .
٢ الهيف : الريح الحارة .

أمير المؤمنين

قال ويعني نفسه :

هَذا أميرُ المُؤمِنينَ مُحَمّدٌ ، كَرُمَتْ مَغارِسُهُ وَطابَ المَوْلِدُ
أوَمَا كَفَاكَ بِأنّ أمّكَ فاطِمٌ ، وَأبُوكَ حَيْدَرَةٌ ، وَجَدُّكَ أحمَدُ
يُمسي، وَمَنزِلُ ضَيفِهِ لا يُحتَوَى كَرَماً ، وَبَيْتُ نُضَارِهِ لا يُقْلَدُ

غيري أضلكم

غَيرِي أضَلّكُمُ ، فلِمْ أنَا نَاشِدُ، وَسِوَايَ أفْقَدَكُمْ ، فلِمْ أنا وَاجِدُ
عَجَباً لَكُمْ يأبَى البُكَاءَ أقَارِبٌ مِنكُمْ ، وَتَشْرَقُ بالدّموعِ أباعِدُ

أسلاب الأسود

أتَوْا بِمَخالِبِ الآسَادِ سُلّتْ بَرَاثِنُهَا ، وَأشْلاءِ الجُلُودِ
وَأيٌّ مُمَنّعٍ يَأبَى عَلَيْهِمْ ، إذا آبُوا بِأسْلابِ الأُسُودِ

عقود العقود

ظَبْيٌ بِرَامَةَ كُحْلُهُ مِنْ طَرْفِهِ . يَرْمِي القُلُوبَ وَحَلْيُهُ مِنْ جِيدِهِ
بَاتَتْ تَرَائِبُهُ وِشَاحَ وِشَاحِهِ ، وَغَدَتْ مَضَاحِكُهُ عقودَ عُقُودِهِ

رشاش كالإبر

مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ كَأَنَّ رَشَاشَهَا إِبَرٌ تُخَيِّطُ للرِّيَاضِ بُرُودَ
نَثَرَتْ فرَائِدَها . فنَظَّمتِ الرُّبَى مِنْ درِّهِنَّ قَلائِداً وَعُقُودَ

بعاداً

بعَاداً، فَلَيتَ اليَمَّ دُونَكَ أَزْبَدَا ، وَلَيتَ مَكَانَ الطَّوْقِ مِنكَ المُهنّدَ
أعَذلاً علىأنأصْحِبَ الجودَ مقوَدي، وَأَرْهُنَ في كَسْبِ المَكارِمِ لي يَدَ

خيام كالكلاب

وَلاحَتْ لَنَا أبْيَاتُ آلِ مُحَرِّقٍ ، بِهَا اللّوْمُ ثَاوٍ لا يَرُوحُ وَلا يَغْدُو
خِيَامٌ قَصِيرَاتُ العِمَادِ ، كَأنّهَا كِلابٌ عَلى الأذْنابِ مُقْعِيَةٌ رُبْدُ

مشغول بالهوى

جَعَلْتُ لكَ الفَرْخَيْنِ يا نَصرُطُعمةٌ ، فقُمْ غَيرَ رِعديدٍ لنَفسِكَ وَاقعُدِ
فَإنّيَ مَشْغُولٌ عَنِ الرّأيِ بالهَوَى . وَبابنِ سُرَيْجٍ وَالغَرِيضِ وَمَعْبَدِ[1]

لبيك

أقُولُ لَبّيْكَ ، وَلَمْ تُنَادِ . مَا أوْقَعَ المَوْتَ عَلى الجَوَادِ
مَا كُنْتَ إلاّ حَيّةً بِوَادِ . وَأسَداً عَلى العَدُوّ عَادِ
وَرُبّ جَارٍ لي مِنَ الأعَادِي ، أقَامَ بَعْدَ ذِلّةٍ عِمَادِي
كَأنّهُ في الكُرَبِ الشّدَادِ ، جَارُ الحُذاقيّ أبي دُوَادِ[2]

١ ابن سريج والغريض ومعبد : مغنون مشهورون .
٢ الحذاقي : الفصيح .

حرف الذال

طاعة العذل أذى

قال في الغزل رحمه الله :

تَرَى النّازِلِينَ بِأرْضِ العِرَا ... قِ ، قَدْ عَلِموا أنّ وَجدي كَذَا
فَلا حَبّذا بَلَدٌ بَعْدَهُمْ ، ... وَإنْ أوطِنُوهُ ، فَيَا حَبّذَا
دَنَا طَرَبٌ ، وَالهَوَى نَازِحٌ ، ... فَيَا بُعْدَ ذاكَ ، وَيَا قُرْبَ ذَا
هَوًى لي أطَعْتُ بهِ العَاذِلِينَ ، ... وَمَا طَاعَةُ العَذْلِ إلاّ أذَى
وَكُنْتُ أُقَذّي بِهِ نَاظِرَيّ ، ... فَمُذْ غَابَ صَارَ لِعَيْني قَذَى[1]

[1] أقذي : أخرج القذى من ناظري . والقذى : ما يقع في العين فيؤذيها .

حرف الراء

صفقة الغبن

يمدح بهاء الدولة ويهنئه بنيروزه

مَا للبَيَاضِ وَالشَّعَرْ ... مَا كُلُّ بِيضٍ بِغُرَرْ
صَفْقَةُ غَبْنٍ في الهوَى ... بَيْعُ بَهِيمٍ بِأغَرّ
صَغّرَهُ في أعْيُنِ الغِيدِ ... بَيَاضٌ وَكِبَرْ
لَوْلا الشّبَابُ مَا نَهَى ... عَلى المَهَا ، وَلا أمَرْ
ما كَانَ أغْنَى لَيْلَ ذا المَفْرِقِ ... عن ضَوءِ القمرْ
قَدْ كَانَ صُبْحُ لَيْلِهِ ... أمَرّ صُبْحٍ يُنْتَظَرْ
وَاهاً ، وَهَلْ يُغْني الفَتَى ... بُكَاءُ عَيْنٍ لأثَرْ
يَا حَبّذا ضَيْفُكَ مِنْ ... مُفَارِقٍ ، وَإنْ عَذَرْ
أيْنَ غزَالٌ دَاجِنٌ ، ... رَأى البَيَاضَ ، فَنَفَرْ
هَيهَاتَ رِيمُ السِّرْبِ لا ... يَدْنُو إلى ذِيبِ الخَمَرْ[1]

[1] الريم : الغزال . الخمر : ما يواريك من الشجر وغيره .

يا دَهْرُ ! مَا ذَنْبُكَ في مَا رَابَنِي بِمُغْتَفَرْ
رُبَّ ذُنُوبٍ للفَتَى لَيْسَ لَهَا اليَوْمَ عِذَرْ
أقْصِرْ فقَدْ جُزْتَ المَدى مُجَامِلاً ، أوْ فَاقْتَصِرْ
الآنَ إذْ لَفَّ النُّهَى مِرّةَ حَزْمٍ بِمِرَرْ[1]
وَعَادَ مُنْصَاتي عَلى أيْدِي اللّيَالي يَنْأطِرْ[2]
وَسَالَمَتْ شَمَائِلِي ، جِنُّ العَرَامِ وَالأشَرْ[3]
كَانَ ظَلاماً، فَانْجَلَى الـ يَوْمَ ، وَظِلاً فانحسرْ
أقْسَمْتُ بالأطْلاحِ قَدْ أدْمَجَ مِنْهُنَّ الضَّمَرْ[4]
كَأنَّ أيْدِيهَا يُلا طِمْنَ مِنَ المَرْوِ إبَرْ[5]
يُمْطَلْنَ بالعُشْبِ ، فَلا رِعْيٌ لَهَا إلاّ الجِرَرْ[6]
كُلُّ عَلاةٍ تَتَّقي السَّوْ طَ بِمَجْدُولٍ مُمَرّ
كَأنّهَا حَنِيّةٌ ، إلاّ اللِّيَاطَ وَالوَتَرْ[7]
يَحْمِلْنَ كُلَّ شَاحِبٍ، طَوَى اللّيَالي وَنَشَرْ
مُلَبِّداً يَرْمِي إلى مَكّةَ حَصْبَاءَ الوَبَرْ

١ المرة : قوة الخلق . المرر ، الواحدة مرة : طاقة الحبل .
٢ المنصاة من النصي : عظم العنق . ينأطر : يتعطف .
٣ جن العرام : معظم الشراسة والأذى . الأشر : البطر .
٤ الأطلاح : الإبل . أدمج : لف . الضمر : الهزال .
٥ المرو : حجارة بيض رقيقة .
٦ الرعي : ما يرعى ، الكلأ . الجرر ، الواحدة جرة : ما يفيض به البعير فيأكله ثانية
٧ الحنية : القوس . اللياط : قشرة القصبة ، القناة ، القوس .

إذا رَأى أعْلامَهَــا عَجَّ إلَيْهَــا وَجَــأرْ
أمٌّ اللّوَى ثُمَّ نَحَا الـ خَيْفَ . وَلَبّى وَجَمَرْ
في مُحْرِمينَ بَسدّلُوا الـ غَيْظَ بِنَعقَادِ الأزُرْ
إنّ قِوَامَ الدّينِ أوْ لى بِالعُلَى مِنَ البَشَرْ
وَبِالجِيَــادِ وَالقَنَا . وَبِالحَدِيدِ وَالنّفَرْ
وَبِالمَقَــاوِيمِ العُــلا . وَبِالمَعَاظِيمِ الكِبَرْ
مُهَذّبُ الأعْيَاصِ في الـ آبَاءِ مُخْتَارُ الشّجَرْ
مُفْتَرِشٌ لِلمُلْكِ أحْـ لَى في المَعَالي وَأمَرّ
في صِبْيَةٍ تَفَوّقُوا . مِنْ حَلَبِ العِزّ دِرَرْ
مَلاعِبٌ بَيْنَ قِبَــابِ المُلْكِ مِنهمْ وَالحُجَرْ
مِنْ مَعشَرٍ لَمْ يُخْلَقُوا إلاّ لِنَفْعٍ . أوْ ضَرَرْ
لِسَدّ ثَغْرٍ فَاغِرٍ . بِالبِيضِ . أوْ طَعْنِ ثُغَرْ
كَانُوا ثِمَالَ النّاسِ وَالـ أمْنَ . إذا مَا الأمْرُ هَرّ[1]
أيّامَ لا نَلْقَى انْتَــا مُعْتَصَماً . وَلا وَزَرْ
جَرّوا إلى طَعْنِ العِدَى أرْعَنَ هَدّادَ المَجَرّ[2]
جَحافِلاً . كَالسّيْلِ أبْـ قَى غُمَراً بَعْدَ غُمَرْ[3]

٢ ارعن : أي جيش ارعن له فضول .
٣ غمراً بعد غمر : شدة بعد شدة ، مكروه بعد مكروه

قَدْ لَبِسَتْ جِيَادُهَا بَرَاقِعاً مِنَ الغُرَرْ
ضُمْرٌ كَأَمْثَالِ القَنَا ، لَوْلا السَّبِيبُ وَالعُذَرْ
مُعْجِلَةٌ فُرْسَانُهَا حَتَّى عَنِ الدِّرْعِ تُزَرْ
يَقْرَعُ فِيهِنَّ القَنَا ، وَقْعَ المَدَارِي فِي الشَّعَرْ
أَلَمْ أَكُنْ أَنْهَى العِدَى عَنْ نابِ نَضْنَاضٍ ذَكَرْ
لَهُ إلَيْهِمْ مَسْحَبٌ يَهْدِي المَنَايَا وَمَجَرْ
مُجَالِياً بِكَيْدِهِ ، إنْ عَاجَزَ القَوْمَ أَسَرْ
يُمْسِي بَطِيناً مِنْ دَمِ الـ أعداءِ وَهوَ مُضْطَمِرْ
يَنَامُ لا عَنْ غَفْلَةٍ ، عَيْناً ، وَبالقَلْبِ سَهَرْ
مَا ضَرَّهُ مِنْ سَمْعِهِ أنْ لا يُعَانَ بِالبَصَرْ
بَقِيَّةٌ مِنْ قِدَمِ الـ أضْلالِ وَقَادُ النَّظَرْ
وَمُوجِدُ المُتَنَبِّنِ إنْ صَمَّمَ لِلعَقْرِ عَقَرْ
كَأَنَّ فِي سَاعِدِهِ وَعْياً وَعَى ثُمَّ جَبَرْ
كالقَاتِلِ اعتامَ القِوَى بَعْدَ القِوَى ثُمَّ شَزَرْ
مُخَفَّضُ الجَأْشِ ، إذا صَاحَ بِهِ الجَمْعُ وَقَرْ
أَخْبَرَ خَافِي الشَّخْصِ إ لاّ بِالمَقَامِ المُشْتَهَرْ
يُقْعِي بِنَجْدٍ وَالحِمَى ، مِنْ وَثْبَةٍ عَلَى غَرَرْ
مُبْتَرِكُ الصَّالِي عَلَى النَّارِ لَيَالِيَ القَرَرْ
كَمْ قُلْتُ مِنهُ لِلعِدَى: حَذَارِ إنْ أَغْنَى الحَذَرْ

وَعَوِّذُوا مِنْهُ النُّحُو رَ وَالرِّقَابَ وَالقَصَرْ
إيّاكُمُ مِنْهُ ، إذا أَوْعَدَ نَاباً ، وَظُفُرْ
وَقَامَ نَفْضَ الحِلسِ يَجْلُو نَاظِراً ثُمّ زَأَرْ[1]
مُلْتَفِعاً بِشَمْلَةٍ ، فِيهَا البُجَارِي وَالبُجَرْ[2]
أنْذَرَهُمْ مِنْهُ ، وَعِنْدَ القَوْمِ أضْعَافُ الخَبَرْ
تَوَقّعُوا طِلاعَهَا كَنَاغِرِ العِرْقِ نَغَرْ[3]
إنّ العِدَى لَيُنْضِهَا ، إنْ لمْ يَقِ العَفْوُ حَزَرْ[4]
كَأنّهَا حَائِمَةُ العِقْبَانِ في اليَوْمِ المَطِرْ
يَمْشِينَ مِنْ صِبْغِ الدّمَاءِ في رِيَاطٍ وَأُزُرْ
تُخَاطِرُ البُزْلُ ، وَقَدْ مَارَ عَلَيْهِنّ القَطَرْ
في كُلّ يَوْمٍ تَحْتَهَا مُنْجَدِلٌ وَمُنْعَفِرْ
تَجَرّ في شَوْكِ القَنَا جَرّ القَدِيدِ المُصْطَهِرْ[5]
تَخَبّرُوا اليَوْمَ ، فَمَا بَعْدَ الطّعَانِ مِنْ خَبَرْ
آلَ بُوَيْهٍ أنْتُمُ الأمْطَارُ ، وَالنّاسُ الخُضَرْ
مَا في اللّيَالي غَيْرُكُمْ شَيْءٌ بِهِ العَيْنُ تَقَرّ

---

١ الحلس : ما يوضع على ظهر البعير تحت البرذعة .
٢ البجاري : الدواهي . البجر : العيوب .
٣ طلاع الشيء : قدره ، والطلاع من الإناء : ملؤه . الناغر : الجرح يسيل منه الدم .
٤ قوله : لينضها وحزر ، هكذا في الأصل ، وفي البيت تحريف .
٥ المصطهر : الذائب .

إنْ تَنهَضِ الجَأشُ بِكُمْ فَمَا نُبَالي مَنْ عَثَرْ
لَوْلاكُمُ لَمْ يَبْقَ في عُودِ الرّجَاءِ مُعْتَصَرْ
قَدْ غَنيَ المُلْكُ بِكُمْ ، وَهْوَ إلَيْكُمْ مُفْتَقِرْ
قَدَمُ عَلَى الأيّامِ أرْ سَى في العُلَى مِنَ الحَجَرْ
تَرْفَعُ ذَيْلاً لِمَرَاقي الـ مَجْدِ ، أوْ ذَيْلاً تَجُرْ
وَانْعَمْ بِذا النّيْرُوزِ زَوْ راً نَازِلاً وَمُنْتَظَرْ
يُفَاوِحُ النّعْمَى ، كَمَا فَاوَحَتِ الرّوْضُ المَطَرْ
قَضَيْتَ فيهِ وَطَراً ، وَمَا قَضَى مِنْكَ وَطَرْ
مَا جزَعي لِمَنْ مَضَى ، وَأنْتَ لي ، فيمَنْ غَبَرْ
أنْتَ المُرَادُ وَالمَرَا دُ ، وَالمَعَاذُ وَالعَصَرْ[1]
رِدْ مِنْ جِمَامِ العِزّ لا مُطَرَّقاً ، وَلا كَدِرْ[2]
وَازْدَدْ بَقَاءً وَعُلًى ، مَا بَعْدَ وِرْدَيْكَ صَدَرْ
مُقَدَّماً إلى العُلَى ، مُؤخَّراً عَنِ القَدَرْ

١ المراد بالفتح : المرعى . العصر : الدهر والمطر والعطية .
٢ المطرق : الماء الذي خوضته الإبل .

مقلم أظفار الخطوب

قال في الصاحب عميد الجيوش أبي علي بن
اشتاذ هرمز وكتب بها إليه وقد توجه من واسط
إلى بغداد في كتاب يعتذر فيه من تأخره عن تلقيه
لشكاة لحقته وذلك في المحرم سنة ٣٩٦ :

أيا مَرْحَباً بالغَيْثِ تَسري بُرُوقُهُ . تَرَوّحَ بِنُدِي لا بَكِيّاً ولا نَزْرَا
طَلَعتَ على بَغدادَ والخَطبُ فاغِرٌ . فَعادَ ذَميماً يَنزِعُ النابَ والظُّفْرَا
أضاءَتْ وعزّتْ بَعدَ ذُلٍ وَرُوّضَتْ كأنكَ كُنتَ الغَيثَ واللّيثَ والبَدْرَا
تُغَايِرُ أقْطارَ البِلادِ مَحبّـةً عليكَ، فهذا القُطرُ يحسُدُ ذا القُطرَا
وَقَلّمتَ أظفارَ الخُطوبِ فَما اشتَكى نَزيلُكَ كَلْماً للخُطُوبِ ولا عَقْرَا
وَمَن ذا الذي تُمسي من الدّهرِ جارَهُ فيَقْبَلَ للمِقدارِ، إنْ رابَهُ، عُذْرَا
فَيا وَاقِفاً دُونَ الذي تَستَحِقّهُ . لوَ انكَ جُزْتَ الشمسَ لم تجُزِ القَدرَا
فَعَثْراً لأعداءٍ رَمَوْكَ، ولا لَعاً ، وَنَهْضاً على رُغْمِ العَدُوّ، ولا عَثْرا

جواد لا يشق غباره

قال يمدح فخر الدين أبا غالب بن خلف وكتب بها إليه وهو بفارس ويشكره على قضاء حاجة كاتبه بها فأمر بقضائها حين وقف على ذكرها في كتابه قبل أن يستتم قراءة جميعه وذلك في شعبان سنة ٣٩٦ :

لَنْ تَشُقّوا لِذا الجَوَادِ غُبَارَا ، فَارْبَحُوا خَلْفَهُ الوَحَى وَالعِثَارَا[1]
وَقَفُوا في مَصَارِعِ العَجْزِ عَنهُ ، فاتَ فَوْتَ الوَمِيضِ مَن لا يُجارَى
سابِقٌ عُضّتِ الأكُفُّ عَلَيْهِ ، أنْجَدَ اليَوْمَ في العَلاءِ وَغَارَا
قامَ يَجني العُلَى،وَأنتُمْ قُعودٌ، وَصَحَا للنّدَى ، وَأنتُمْ سُكارَى
طَلَبُوا شأوَكَ المُبَرِّزَ ، هَيهَا تَ طَرِيقاً عَلى الجِيادِ خَبَارَا[2]
لَيسَ مِنهم مَن ساقَ تلكَ المَصَاعِيـ ـبَ غِلاباً ، وَقَادَ ذاكَ القِطَارَا
شَمّرِي أيّهَا الرِّكَابُ ، وَخَلّي عَطَنَ اللّوْمِ وَالعِمَادَ القِصَارَا
وَانزِلي بي مُجاوِراً في أُنَاسٍ ، لا يَذُمّ النّزِيلُ فيهِمْ جِوَارَا
خَلَطوا الضّيفَ بالنّفوسِ على العُسْـ ـرِ ، وَبَاتوا على السّماحِ غَيَارَى
عِندَ أقنى مِنَ البُزَاةِ عَتِيقٍ ، تَرَكَ الطّيرَ وَاقِعَاتٍ وَطَارَا

١ الوحى : السرعة . ولعلها الوجى : الحفا

٢ الخبار : الأرض اللينة المسترخية .

مَنْ إذا عرّضوا تعرّض جوداً ، وإذا جارت الليالي أجارا
ما مقامي على الجداول أرجو هنا لنيل ، وقد رأيت البحارا
كالذي شاور الدجى في سراه ، واستغش النجوم والأقمارا
يا أبا غالب دعوتك للخطـ ب، ومن يظلم يستدر القطارا
لم أجاوزك بالدعاء ، فلبّيـ ت جهاراً ، وقد دعوت سرارا
لم تقل لا ، ولم تشد على خلـ ف الندى بين راحتيك صرارا[1]
وسبقت العلات، لم تنتظرها، ولو شئتها لكانت كثارا[2]
قد هززناك للندى ، فوجدنا ورقاً ناضراً ، وعوداً نضارا
ورأينا النوال عيناً بلا مطـ ل ، إذا ما النوال كان ضمارا[3]
لم تزل كاملاً ،ولم تسم بالكا مل من قبل أن تشد الإزارا
صبية من معاشر حذقوهم أدب الجود والعلاء صغارا
ألين الناس بالسماح أكفاً ، والمعالي شمائلاً ونجارا
في صيال الأسود إن نزل الخطـ ب عليهم وفي حياء العذارى
كلقاح تأبى على العصب درّاً، وعلى المسح تستهل غزارا[4]
أطلقونا من الخطوب فبتنا في يد المن مطلقين أسارى

١ الخلف : ضرع الناقة ، أو حلمته . الصرار : خيط يشد به الضرع .
٢ العلات : لعله من قولهم : تعالت الناقة إذا استخرجت ما عندها من السير . وهذا البيت مختل الوزن ، غامض المعنى .
٣ الضمار : المال الذي لا يرجى عوده .
٤ العصب : شد فخذي الناقة لتدر . المسح ، من مسح ضرع الناقة : أمر يده عليه لتدر .

لَوْ أقامُوا لهَا سِوَاكَ لَشبّتْ ، صَعْبَةً تَمْنَعُ المَطَا وَالعِذَارَا[1]
ضَرَبُوا أوْجُهَ البِكَارِ ، وَقَادُوا لِلأعَادِي قَبَاقِباً هَدّارَا[2]
وَرَأوْا في مَنَاكِبِ المُلْكِ وَهْناً ، فَدَعَوا باسمِهِ ، فكانَ جبَارَا
قَائِداً للقِرَاعِ كُلَّ حِصَانٍ ، تَتَرَاءى بِهِ عُقَاباً مُطَارَا
مِثْلَ لَوْنِ العُقَارِ تَحْسَبُهُ نَا رَاً يَطِيرُ الطّعَانُ مِنهَا شرَارَا
دافِعاً بالرّمَاحِ في كُلّ ثَغْرٍ لُجَجاً تَرْكَبُ العَدُوَّ غِمَارَا
يَتَلاغَطْنَ باصْطِكَاكِ العَوَالي ، لَغَطَ الحَجّ يَرْجُمُونَ الجِمارَا
عَجَباً للّذي أجَرْتَ مِنَ الأ يّامِ لِمْ لا يُحَارِبُ الأقْدَارَا
أيَخَافُ الخُطُوبَ مَنْ كانَ للّيْـ ـثِ نَزِيلاً ، وَكانَ للنّجمِ جَارَا
لَوْ قَدَرْنَا ، وَسَاعَفَتنا اللّيَالي ، لَوَصَلْنَا بِعُمْرِكَ الأعْمَارَا

بحر النعماء

قال رحمه الله وكتب بها إليه أيضاً :

يَا نَاشِدَ النَّعْماءِ يَقْفُو إثْرَهَا! قِفِ المَطَايَا قَدْ بَلَغتَ بَحرَهَا
مَسِيلُهَا فِينَا ، وَمُسْتَقَرُّهَا طَوْدُ العُلَى وَشَمْسُها وَبَدْرُهَا

١ المطا : الظهر . العذار من اللجام : ما سال على خد الفرس .
٢ البكار ، الواحد بكر : الفتيّ من الإبل . القباقب : الجمل الهدار .

فوضتِ الدنيا إليهِ أمرها ، وقلدته نفعها وضرها
عُدّتْ مَساعيها،فكانَ فَخرَها ، لمْ تَفْقدَ عينُ المَجدِ مُذْ أقرّهَا
ذُو شيمةٍ تُعطي العُيونَ خُبرَها، لا تُحوِجُ النّاظِرَ أنْ يُقرّهَا
نَرْجُو ونَخشَى حُلْوَها ومُرّها، كَجَمّةِ المَاءِ نُرَجّي غَمرَهَا
يَوْمَ الوُرُودِ،ونَهَابُ قَعْرَهَا ، يَبعَثُها بَعثَ السّحابِ قَطرَهَا
مُحَجّلاتِ نِعَمٍ وَغُرَّهَا ، شَغَلَتنَا حتّى نَسِينَا شُكْرَهَا
يُهْدي إلَيْنَا شَفْعَهَا وَوِتْرَهَا، عِيَابَ دارِينَ حَمَلنَ عِطرَهَا[1]
إنّ المَعَالي وَلَدَتْكَ بِكْرَهَا ، ما ضَمّنَتْ مِثلَكَ يَوْماً حِجرَهَا
أمَا رَوَوماً أرْضَعَتكَ دَرّهَا ، لَوْ ألّفَتْ عَلى النّظامِ نَثْرَهَا
قَلائِدُ المَجدِ لَكُنتَ دُرَّهَا ، نَرَى الأعادِي إنْ عَزَمتَ ثَغرَهَا
أبَاغِثَ الطّيرِ تَرَاءتْ صَقرَهَا ، فَحلُ وَغًى يُنسِي الفُحولَ هَدرَهَا
لأصْبَحَتْنَا ، ووُقِينَا شَرَّهَا ، ظَلمَاءُ أمْ لا تَكُونُ فَجرَهَا

[1] العياب ، الواحدة عية : زبيل من أدم . دارين : بلد مشهور بمكة .

قرت عيون المجد والفخر

يمدح أبا سعيد بن خلف ويهنئه بخلع السلطان عليه :

قَرّتْ عُيُونُ المَجدِ وَالفَخْرِ بخِلْعَةِ الشّمْسِ على البَدْرِ
صَبّتْ على عِطْفَيْهِ أطْرَافَهَا مُعْلَمَةً بِالعِزّ وَالنّصْرِ
كَأنّها خِلْعَةُ ثَوْبِ الدُّجَى، في عَاتِقِ العَيّوقِ وَالنّسْرِ
زَرّ عَلَيْهِ المَلْكُ فَضْفَاضَهَا ، وَإنّمَا زَرّ على البَحْرِ
خَطَوْتَ فِيهَا غَيرَ مُستَكبِرٍ ، خَطْوَ السُّهَا في خِلَعِ الفَجرِ
جَاءَتْ عَوَاناً مِنْ تَحِيّاتِهِ . وَأنْتَ مِنْهَا في عُلًى بِكْرِ
فَكُلّ يَوْمٍ أنْتَ في صَدْرِهِ فَارِسُ طِرْفِ الحَمْدِ وَالأجْرِ
تَغْدُو بِكَ الأيّامُ نَهّاضَةً تَطْلُعُ مِنْ مَجْدٍ إلى فَخْرِ
فَانهَضْ فَلَوْ رُمْتَ لَحاقَ العُلَى صَافَحتَ أيْدِي الأنْجُمِ الزُّهْرِ
وَلَوْ زَجَرْتَ المُزْنَ عن صَوْبِهِ ، لَضَنّتِ الأقْطَارَ بِالقَطْرِ[1]
وَضَمّتِ الأنْوَاءُ أخْلافَهَا ، كَمَا اسْتَمَرّ المَاءُ في الغُدْرِ
فَأنْتَ سِرٌّ في ضَمِيرِ العُلَى ، كَالعِقْدِ بَينَ الجِيدِ وَالنّحْرِ
تَبَرّجَتْ مِنكَ وُجُوهُ المُنَى مُرْتَجَةً في النّائِلِ الغَمْرِ

١ قوله : ضنت الأقطار ، نصب بنزع الخافض ، والمراد ضنت على الأقطار .

إنّكَ مِنْ قَوْمٍ ، إذا استَلأمُوا تَقَبّلُوا في البِيضِ وَالسُّمْرِ
وقَطّرُوا الخَيْلَ بِفُرْسَانِهَا ، خارِجَةً عَنْ حَلْقَةِ الحُضْرِ[1]
وَجاذَبُوا الأيّامَ أثوَابَهَا عَنْهَا ، بِأيْدِي النَّهْيِ وَالأمْرِ
من كلّ طَلْقِ الوَجهِ سَهلِ الحَيَا يَبْسِمُ عَنْ أخلاقِهِ الغُرّ
مُقَدَّمٍ في القَوْمِ مَا قَدّمَتْ عَنْ رِيشِهَا قَادِمَةُ النّسْرِ
رَيّانَ ، وَالأيّامُ ظَمْآنَةٌ ، مِنَ النّدَى ، نَشوَانَ بالبِشْرِ
لا يُمْسِكُ العَذْلُ يَدَيهِ ، وَلا تَأخُذُ مِنْهُ سَوْرَةُ الخَمْرِ
إلَيْكَ سَيّرْتُ بِهَا شَامَةً ، وَاضِحَةً في غُرّةِ الدّهْرِ
شَدَا بِهَا العُتْرُفُ في جَوّهِ ، وَارْتَاحَ طَيرُ الصّبحِ في الوَكْرِ[2]
أبْيَاتُهَا مِثْلُ عُيُونِ المَهَا ، مَطْرُوفَةُ الألحَاظِ بالسِّحْرِ
جاءَتْ تُهَنّيكَ بطَوْقِ العُلى. وَلَفْظُهَا يَفْتَرّ عَنْ دُرّ
فَاسْعَدْ ، أبَا سَعْدٍ ، بإقْبَالِهِ . فالمَدْيُ مَجنُوبٌ إلى النّحْرِ
مَا هُوَ إنْعَامٌ ، وَلَكِنّهُ مَا خَلَعَ الغَيْثُ على الزّهْرِ
جاءَتْكَ مِنْ قِبلي ، وَإحسَانُها يَقُومُ لي عِنْدَكَ بالعُذْرِ
وَلَوْ أجَبْتُ الشّوْقَ لَمّا دَعَا جاءَكَ بي مِنْ قَبلِ أنْ تَسْرِي

[1] الحضر : ارتفاع الفرس في عدوه .
[2] العترف : الديك .

البشر عنوان البشير

يمدح أباه في يوم الغدير ويذكر
رد أملاكه عليه وذلك في سنة ٣٩٦ :

نَطَقَ اللّسانُ عَنِ الضّميرِ ، وَالبِشْرُ عُنْوَانُ البَشيرِ
الآنَ أعْفَيْتَ القُلُو بَ مِنَ التّقَلْقُلِ وَالنُّفُورِ
وَانجَابَتِ الظّلْماءُ عَنْ وَضَحِ الصّبَاحِ المُسْتَنيرِ
مَا طَالَ يَوْمُ مُلَثَّمٍ إلاّ استَرَاحَ إلى السّفُورِ
خَبَرٌ تَشَبّثَ بِالمَسَا مِعِ عَن فَمِ المَلِكِ الخَطيرِ
وَأذَلّ أعْنَاقَ العِدَى . ذُلٌّ المَطِيّةِ لِلجَرِيرِ
يَسْمُو بِهِ قَوْلُ الخَطِيـ بِ وَتَستَطِيلُ يَدُ المُشيرِ
وَضَمَائِرُ الأعْداءِ تَقْـ ذِفُ بِالحَنِينِ عَلى الزّفِيرِ
وَسَوَابِقُ العَبَرَاتِ تَرْ كُضُ في السّوَالِفِ وَالنّحورِ
تَغْدي ضَمِيرَكَ في النّوَا ئِبِ غَيرَ فَضْفَاضِ الضّميرِ
مُتَحَيِّرٌ عِنْدَ النّوَا ئِبِ مُسْتَرِيبٌ بِالأُمُورِ
غَرِضٌ بِنِعْمَتِهِ . وَبَعْـ ضُ القَوْمِ يَشرَقُ بالنّميرِ[1]

[1] الغرض لعله من غرض الإناء: ملأه، فيكون المعنى أنه مملوء بنعمته. أو من الأنف الغارض: الطويل، فيكون المعنى أنه شامخ بأنفه . يشرق : يغص .

يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ، وَحَبْـ ـلُكَ لا يُدَلَّى بِالغُرُورِ
حَسِبَ المُضَمَّخَ بِالدِّمَا ءِ كَمَنْ تَغَلَّفَ بالعَبِيرِ
وَلأَنْتَ مِثْلُ القُرِّ يَعْـ ـصِفُ منهُ بالشِّعرَى العَبُورِ[1]
كُنْتَ النَّسِيمَ جَرَى عَلَيْـ ـهِ ، فَخَضَّ مِن نارِ الحَرُورِ
عَجْلانَ يَحْمِلُ مَغْرَمَ الـ ـدُّنْيَا عَلَى ظَهْرٍ حَسِيرِ
يَسطُو بِلا سَبَبٍ ، وَتِلْـ ـكَ طَبِيعَةُ الكَلْبِ العَقُورِ
أنْتَ المُكَلَّلُ بِالمَنَا قِبِ عِنْدَ إيمَاضِ الثُّغُورِ
في رِفْقَةِ البَيْدَاءِ ، أَوْ بَيْنَ المَنَازِلِ وَالقُصُورِ
غَيَّرْتَ أَلْـوَانَ الرِّمَا حِ ، وَرَوْنَقَ البِيضِ الذُّكُورِ
وَرَدَدْتَ أعطَافَ الظُّبَى ، تَخْتَالُ في العَلَقِ الغَزِيرِ
بِضَوَامِرٍ مِثْـلِ النُّسُو رِ وَغِلْمَةٍ مِثْلِ الصُّقُورِ
وَبِأُسْرَةٍ مِنْ هَـاشِمٍ غَدَرُوا بِرَبَّاتِ الخُدُورِ
سُمْرِ التَّرَائِبِ وَالطُّلَى ، بِيضِ العَوَارِضِ لا الشُّعورِ
مُسْتَنْجِدُونَ عَلَى البِعَا دِ ، وَمُنجدونَ عَلَى الحُضُورِ
المَانِعُونَ مِنَ الأَذَى ، وَالمُنْقِذُونَ مِنَ الدُّهُورِ
لَهُمُ الكَلامُ ، وَإنَّمَا لِلأُسْدِ صَوْلاتُ الزَّئِيرِ
النَّجْرُ مُخْتَلِفٌ ، وَإنْ كَانَ النِّبَالُ مِنَ الجَفِيرِ[2]

١ القر : البرد . الشعرى العبور : نجم .
٢ الجفير : جعبة السهام تكون من جلد .

في النّاسِ غيرُ مُطَهّرٍ ، وَالحُرُّ مَعْدُومُ النّظِيرِ
وَالنّسْلُ يَخْبُثُ بَعْضُهُ ، مَا كُلُّ مَاءٍ للطّهُورِ
لَكَ دُونَ أعرَاضِ الرّجَا لِ حَميّةُ الرّجُلِ الغَيُورِ
وَلِمَاءِ كَفّكَ في المُحُو لِ طَلاقَةُ العَامِ المَطِيرِ
مَا بَينَ نِعْمَةِ طَالِبٍ فينَا ، وَدَعوَةِ مُسْتَجيرِ
العِزُّ مِنْ شِيَمِ الغِنَى ، وَالذّلُّ أوْلَى بِالفَقِيرِ
وَلَرُبّمَا رُزِقَ الغِنَى رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالبَعِيرِ
عَصَفَتْ بِمُبْغِضِكَ النّوَا ئِبُ مِنْ أميرٍ ، أوْ وَزِيرِ
لَمّا أرَادَ بِكَ المَنِ يّةَ صَارَ مِنْ تُحَفِ القُبورِ
جَذَبَتْهُ في شَطَنِ المَنُو نِ يَدُ النّآدِ العَنْقَفِيرِ[1]
وَضَحَتْ بِهِ الأيّامُ في ظِلّ النّعيمِ إلى الهَجيرِ
مُتَأوّهاً تَحتَ الخُطُوبِ تَأوّهَ الجَمَلِ العَقِيرِ
لَعِبَتْ بِكَ الدّنْيَا ، وَسَعْ يُكَ في فَمِ الجَدّ العَثُورِ
وَالرّيحُ تَلْعَبُ بِالذّوَا بِلِ ، وَهيَ تَطعَنُ في الصّدورِ
مَا التَذّ لُبْسَ الصّوفِ إ لاّ مَنْ تَعَمّمَ بِالقَتِيرِ[2]
مُتَخَدّدُ الخَدّيْنِ مُغْ بَرُّ الذّوَائِبِ وَالضُّفُورِ
سَامٍ بِفَضْلِ حَيَائِهِ ، وَالطَّرْفُ يُوصَفُ بالفُتُورِ

١ النآد العنقفير : الداهية .
٢ القتير : الشيب .

أَسَرَ الوَقَارُ طِمَاحَهُ ، وَالقَيْدُ أَمْلَكُ بِالأَسِيرِ
مِنْ بَعْدِ مَا صَحِبَ الرِّكَا بَ لا يَعِفُ عَنِ المَسِيرِ
جَذْلانَ يَنْظُرُ وَجْهَهُ في عَارِضِ العَضْبِ الشَّهِيرِ
مُتَغَطْرِفاً كَالسَّيْلِ يَبْ طُشُ بِالجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ
إنَّا بَنِي الدُّنْيَا نُعَلَّ لُ بِاللَّيَالي وَالشُّهُورِ
كَفَلَتْ بِأَنْفُسِنَا ، وَهَلْ طِفْلٌ يَعِيشُ بِغَيْرِ ظِيرِ
نَحْنُ الشُّبُولُ مِنَ الضَّرَا غِمِ وَالنِّطَافُ مِنَ البُحُورِ
وَإذا عَزَانَا نَاسِبٌ نَسَبَ الشُّمُوسَ إلى البُدُورِ
غَدَرَ السُّرُورُ بِنَا ، وَكَا نَ وَفَاؤهُ يَوْمَ الغَدِيرِ
يَوْمٌ أَطَافَ بِهِ الوَصِيُّ ، وَقَدْ تَلَقَّبَ بِالأَمِيرِ
فَتَسَلَ فِيهِ وَرُدَّ عَا رِيَةَ الغَرَامِ إلى المُعِيرِ
وَابْتَزَّ أَعْمَارَ الهُمُو مِ بِطُولِ أَعْمَارِ السُّرُورِ
فَلَخَيْرُ قَلْبِكَ مَنْ يُعَلَّ لُ هَمَّهُ نُطَفُ الخُمُورِ
لا تَقْنَعَنْ عِنْدَ المَطَا لِبِ بِالقَلِيلِ مِنَ الكَثِيرِ
فَتَبَرَّضُ الأَطْمَاعِ مِثْلُ تَبَرُّضِ الثَّمَدِ الجَرُورِ[1]
هَذا أَوَانُ تَطَاوُلِ الحَا جَاتِ وَالأَمَلِ القَصِيرِ
فَانفَحْ لَنَا مِنْ رَاحَتَيْ كَ بِلا القَلِيلِ وَلا النَّزُورِ
لا تُحْوِجَنَ إلى العِصَا بِ وَأَنتَ في الضَّرْعِ الدَّرُورِ

[1] التبرض : التبلغ بالقليل . الثمد : الماء القليل . الجرور : البعيد القعر

آثَارُ شُكْرِكَ في فَمي ، وَسِمَاتُ وُدّكَ في ضَمِيرِي
وَقَصِيدَةٍ عَذْرَاءَ مِثْـ ـلِ تَـألُّقِ الرَّوْضِ النَّضِيرِ
فَرِحَتْ بِمَالِكِ رِقّهَا ، فَرَحَ الجَمِيلَةِ بِالغَدِيرِ
وَكَأنّهُ في رَصْفِهَـا ، جَارُ الفَرَزْدَقِ أوْ جَرِيرِ
وَكَأنّهُ في حُسْنِهَـا بَيْنَ الخَوَرْنَقِ وَالسّدِيرِ

المنى نهزة الثائر

يمدحه ايضا

رَأيتُ المُنى نُهْزَةَ الثّائِرِ ، وَسَهْمَ العُلَى في يَدِ القَامِرِ
وَمَا عَدِمَ المَجْدَ مُسْتَأسِدٌ يَبُلُّ القَنَا بِالدّمِ المَائِرِ
وَلَوْ ضَمِنَ العِزُّ بَعضَ الوُكورِ أغَارَتْ يَدَاهُ عَلى الطّائِرِ
وَإنْ وَلَجَ الضّغْنُ أثْوَابَـهُ نَضَا لِبْدَةَ الأسَدِ الخَادِرِ
يُسَفّهُ في الرّوْعِ فِعلَ القَنَا ، وَيَرْضَى عَنِ المِقْضَبِ البَاتِرِ
فَشَمّرْ لِمُظْلِمَةٍ مَا تَزَا لُ تَقبِضُ مِن بَطشَةِ النّاظِرِ
وَرِدْ غَمْرَةَ العِزّ بَيْنَ الرِّمَاحِ ، وَاحجُرْ عَلى المَاءِ في الحَاجِرِ
رَأيْتُكَ تَصْلَى بِحَرّ الطّعَا نِ ، كَما صَلِيَتْ شَحمةُ الصّاهِرِ
أبُثّكَ أنّي قَطَعْتُ الزّمَا نَ أطْلُبُ عِزّيَ ، أوْ نَاصِرِي

فَمَا ارْتَاحَ هَمِّي إلى صَاحِبٍ ، وَلا نَامَ عَزْمِي عَلَى سَامِرِ
إذا قَيَّدَ اللَّيلُ خَطْوَ المُنَى مَشَى النَّوْمُ في مُقْلَةِ السَّاهِرِ
وَإنّي أخِفُّ إلى المُسْمِعَا تِ عَن خَطْرَةِ الشَّغَفِ الخاطِرِ
وَمَا ذاكَ جَهْلاً ، وَلَكِنَّهُ نِزَاعُ الجَوَادِ إلى الصَّافِرِ
وَلَوْلا القَرِيضُ وَأشْغَالُهُ شَغَلْتُ بِغَيرِ المُنَى خاطِرِي
وَمَا الشِّعْرُ فَخرِي ، وَلَكِنَّهُ أطُولُ بِهِ هِمَّةَ الفَاخِرِ
أُنَزِّهُهُ عَنْ لِقَاءِ الرِّجَا لِ وَأجْعَلُهُ تُحْفَةَ الزَّائِرِ
فَمَا يَتَهَدَّى إلَيْهِ المُلُو كُ إلاَّ مِنَ المَثَلِ السَّائِرِ
وَإنّي ،وَإنْ كُنْتُ مِنْ أهْلِهِ ، لَتُنْكِرُنِي حِرْفَةُ الشَّاعِرِ
وَطَوَّقَنِي الدَّهْرُ ثِنْيَ الزِّمَا مِ ، فَالآنَ أهْزَأُ بِالزَّاجِرِ
وَإنّي لألْقَى مِنَ النَّائِبَا تِ مَلْقَى الأشَاءِ مِنَ الآبِرِ[1]
أوَانِسُ وَحْشِيَّ هَذا البَرُو قِ في مَوْطِنِ النَّعَمِ النَّافِرِ[2]
وَأصْحَبُ فِيهَا رِفَاقَ السَّحَا بِ تَنْبُو عَنِ البَلَدِ العَامِرِ
لَعَلّيَ ألْقَى عِصِيَّ النَّوَى ، تَأوُّبَ ذِي اللِّبَدِ الصَّادِرِ
وَكُنْتُ ، إذا مَنَحَتْنِي المُلُوك نَزَازاً مِنَ النَّائِلِ الغَامِرِ[3]
أبَيْتُ القَلِيلَ ، وَلَكِنَّنِي رَدَدْتُ الرَّذاذَ عَلَى المَاطِرِ

١ الاشاء : صغار النخل . الآبر : ملقح النخل .
٢ البروق : الجبان . ولعله أراد به السحاب البارق ، أو غير ذلك مما لم ندركه .
٣ النزاز ، من نز المكان : تحلب منه الماء .

وَمَا الفَخْرُ في أدَبٍ نَاتِجٍ يُضَافُ إلى مَطْلَبٍ عَاثِرِ
وكمْ قُمتُ في مَشهدٍ للخُطوبِ قِيَاماً بَغِيضاً إلى الحَاضِرِ
أرُدّ النّوَائِبَ بِالمُوسَوِيّ ، وَأُعْطي الرّغَائِبَ بالنّاصِرِي
وَلَوْلا الحُسَينُ عَصَبتُ الرّجاءَ ، وَأغْضَيْتُ عَنْ بَرْقِهِ النّاثِرِ
وَأشْمَتُّ بالقُرْبِ أيْدِي النّوَى ، وَخاطَرْتُ بالطّمَعِ العَاثِرِ
إذا هَمّ بَاعَ الطُّلَى بِالظُّبَى ، وَكَفَّ المُعَاقِرَ بِالثّائِرِ
كَأنّ الظّلامَ إذا خَاضَهُ تَلَثّمَ بِالقَمَرِ السّافِرِ
رَأى المَجْدَ أعْظَمَ مَا يُقتَنَى ، إذا السّيْفُ عَقّ يَدَ الشّاهِرِ
فَطَاعَنَ حتّى استْبَاحَ الرّمَا حَ ؛ إنّ الغَنيمَةَ للظّافِرِ
وَمَى بِالجِيَادِ صُدُورَ الرّكَا بِ عَنْ قُدْرَةِ الآمِلِ القَادِرِ
فَقَادَ الجَدِيلَ إلى لاحِقٍ ، وَأهْدَى الوَجِيهَ إلى دَاعِرِ[1]
وَأصْبَحَ ، وَهْوَ وَرَاءَ المَطِيّ يَلْعَبُ بالأجْرَدِ الضّامِرِ
إذا مَشَقَ الخِفَّ فَوْقَ البِطَا حِ وَقّعَ فِيهِنّ بِالحَافِرِ
يُوَقّعُ ألحَاظَهُ ، وَالشّجَا عُ يَلْحَظُ عَنْ نَاظِرٍ فَاتِرِ
إذا عزّ عَنْ حِلْمِهِ أوّلٌ ، فَإنّ الحَمِيّةَ في الآخِرِ
فَمَا انفَرَجَ الدّهْرُ عَنْ مِثْلِهِ إذا عَصَفَ الرّوْعُ بِالصّابِرِ
أحَدّ عَلى الطّعنِ مِنْ صَارِمٍ ، وَأصْفَحَ عَنْ زَلّةِ العَاثِرِ
وَأجْدَرَ ، إنْ نَابَهُ نَائِبٌ ، بِردّ الأُمُورِ إلى الآمِرِ

[1] الجديل ولاحق ووجيه وداعر : أسماء فحول من الخيل .

أبَا أحْمَدٍ ! ثَمَرَاتُ المَدِي ... حِ تُحرَزُ عَنْ فَرْعِكَ النّاضِرِ

إذا العَجزُ حَطّ المَعَالي هَجَمْ ... تَ عَلى هَالَةِ القَمَرِ البَاهِرِ

وَمَا زِلْتَ تَعْدِلُ في الغَادِرِي ... نَ ، حتّى انتَصَفتَ مِنَ الجائِرِ

أتَتْكَ تُشَبّبُ لُبَّ الفَتَى ، ... كَمَا مَزّقَتْ نَفْثَةَ السّاحِرِ[1]

لو تعلم الأفلاك

يمدحه أيضاً وقد توجه من فارس
رف الدولة سنة ٣٧٥ :

وَقَفٌ عَلى العَبَرَاتِ هَذا النّاظِرُ . ... وَكَفَاهُ سُقْماً أنّهُ بِكِ سَاهِرُ

رُدّي عَلَيْهِ مَا نَضَا مِنْ لحظِهِ ، ... خَدّاكِ وَالغُصْنُ الوَرِيقُ النّاضِرُ

فَلأنْتِ آمَنُ أنْ يَلُومَكِ عَاذِلٌ ... في فَرْطِ حُبّ ، أوْ يَغُرَّكِ عَاذِرُ

هَذا الفِرَاقُ ، وَأنْتِ أعْلَمُ بالهَوَى . ... فَارْعَيْ ، فَأيّامُ المُحِبّ غَوَادِرُ

وَأنَا الفِداءُ لِمَنْ أبَاحَ حِمَى الهوَى ... فَغَدَتْ تَطَاهُ مَنَاسِمٌ ، وَحَوَافِرُ

حُوشِيتِ أنْ ألقَاكِ سَارِقَ لحظَةٍ ... تَلِدُ الوَفَاءَ ، وَأُمُّ عَهدِكِ عَاقِرُ

وَأبَى الهَوَى ما كدتُ أسلُو في الكَرَى ... إلاّ ارْتَقَى طَرْفي الخَيالُ الزّائِرُ

[1] تشبب : تحسّن .

اليَوْمَ جَارَ البَيْنُ في أحكَامِهِ . فَكَأَنَّ أَسْبَابَ الوَفَاءِ جَرَائِرُ
هَذِي الدِّيَارُ لَهَا بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى . قَفْراً . تَجَنَّبَهَا الغَمَامُ البَاكِرُ
أَرْضٌ أَقُولُ بِهَا لِسَانِحَةِ المَهَا : أَنَا ، إِنْ عَثَرْنَ ، لَعاً وَقَلْبِي العَاثِرُ
قَالَتْ وَقَدْ غَمَرَتْ دُمُوعِي وَجْنَتِي : لِلهِ مَا فَعَلَ المَحَلُّ الدَّائِرُ
أَغْضَيْتُ عن وَجهِ الحَبِيبِ تَكَرُّماً . وَأَرَيْتُهُ أَنَّ الجُفُونَ كَوَاسِرُ
هَبْ لِي وَحَسْبِي نَظْرَةً أَرْنُو بِهَا . فَمَقَرُّهَا وَجْهُ الحُسَيْنِ الزَّاهِرُ
فَلَثَمَّ أَبْلَجُ إِنْ أَهَلَّ جَبِينُهُ جَمَحَتْ إِلَيْهِ خَوَاطِرٌ . وَنَوَاظِرُ
قَرُبَ الغَمَامُ فَعَنْ قَرِيبٍ يَنْثَنِي فَيَبُلُّ مَرْبَعَكَ العَرِيضُ المَاطِرُ
إِنْ حَلَّ بِيداً فَالخَلاءُ مَحَافِلٌ . أَوْ قَادَ خَيْلاً فَالسُّرُوجُ مَنَابِرُ
يَا ابنَ الأَكَابِرِ لا أَقَمْتَ بِمَشْهَدٍ . إِلاَّ وَذِكْرُكَ في المَكَارِمِ سَائِرُ
مَا سِرْتَ حَتَّى سَارَ نَعْتُكَ أَوَّلاً . فَسَرَيْتَ تَتْبَعُهُ . وَهَمُّكَ آخِرُ
نَفَثَتْ لكَ الأَمطارُ في عُقَدِ الرُّبَى . فَقَصَدْتَهَا . إِنَّ الغَمَامَ لَسَاحِرُ
ذَلِّلْ رِكَابَكَ أَيْنَ سِرْتَ كَأَنَّمَا وَصَّى المَطِيَّ بِكَ الجَدِيلُ وَدَاعِرُ
مَا ضَرَّ مَنْ شَرِبَ الحِمَامَ تَكَرُّهاً بِظُبَاكَ في رَوْعٍ . وَأَنْتَ تُعَاقِرُ
قُضُبَ الأَعَادِي لا تَرُومِي ضَرْبَهُ أَبَداً . فَأَنْتِ لِمَا يَخُدُّ مَسَابِرُ
سَايَرْتُ أَزْمَانِي . فَلَمْ أَبلُغْ مَدًى . حَتَّى اسْتَقَلَّ بِيَ الثَّنَاءُ السَّائِرُ
وَصَحِبْتُ أَيَّامَ الهَوَى فَرَأَيْتُهَا سَرْحاً حَمَتْهُ عَوَاذِلٌ وَعَوَاذِرُ
وَرَأَيْتُ أَكْبَرَ مَا رَأَيْتُ مُتَيَّمـاً مُتَنَازِعَاهُ آمِرٌ . أَوْ زَاجِرٌ
فَنَدِمْتُ بَعدَ الحبِّ كَيفَ أُطِيعُهُ . وَعَصَيْتُ عَزْمَاتِي . وَهُنَّ أَوَامِرُ

أبكي على الأيّامِ وَهيَ ضَوَاحِكٌ في وَجْهِ غَيْرِي وَهْوَ فيهَا حائِرُ
لَوْ شَابَ طَرْفٌ شابَ أسوَدُ ناظرِي، من طُولِ ما أنا في الحَوَادثِ نَاظِرُ
أوْ أنّ هَذِي الشّمسَ تَصْبُغُ لِمّةً، صَبَغَتْ شَوَاتي طُولَ ما أنا حَاسِرُ[1]
أوْ كانَ يَأنَسُ بالأنيسِ أوَابِدٌ يَوْماً ، لَزَمّ ليَ النّعَامُ النّافِرُ[2]
مَا المَجْدُ إلاّ في السُّرَى، وَالحَمْدُ إ لاّ في القِرَى ، وَالمُستَغِرُّ الخَاسِرُ[3]
وَغداً أُمَشّي العيسَ بَينَ حَطيطَةٍ وَوَديقَةٍ لَمْ يُغْنِ فِيهَا مَاطِرُ[4]
تَنْدَى مَنَاسِمُهَا دَماً ، وَشِفَاهُها تَنْدَى لُغَاماً ، وَالخِفافُ مَشافِرُ
يَخبِطْنَ أجوَازَ الصّفيحِ على الوَجَى، وَاللّيْلُ مُنْتَشِرُ القَوَادِمِ طَائِرُ
بَيْنَا يُوَسّدُنَا الكَرَى أعْضَادَهَا حتّى قَذَفْنَ النّوْمَ ، وَهْيَ نَوَافِرُ
خُوصٌ ، كَأنّ عُيُونَهَا في هَامِهَا قُلُبٌ بَعُدْنَ عنِ الوُرُودِ غَوَائِرُ[5]
وَإذا عَبَرْنَ بِماءِ وَادٍ جُزْنَهُ عُجُلاً ، يَخِدْنَ ، كأنّهنّ صَوَادرُ
وَإلَيكَ أخلَتِ الفَلا أخفَافَهَا ، تُطْوَى بِهِنّ قَبَائِلٌ وَعَمَائِرُ[6]
يَحْمِلْنَ رَكْباً مُغرَمِينَ ، إذا سرَوْا رُفِعَتْ لهُمْ تَحْتَ الظّلامِ عقَائِرُ[7]

١ شواتي : جلدة رأسي .
٢ الأوابد : الوحوش . زم : تقدم في السير .
٣ المستغر بكسر الغين : المخدوع ؛ وبفتحها : من أتي على غرة ، أي غفلة .
٤ الحطيطة والوديقة : قد يكونان اسمي موضعين .
٥ القلب ، الواحد قليب : البئر .
٦ العمائر ، الواحدة عمارة : أخص من القبيلة .
٧ العقائر ، الواحدة عقيرة ، ورفع عقيرته : أي رفع صوته .

نَحِلُوا مِنَ البَلْوَى نُحُولَ مَطِيّهِمْ فَضَوَامِرٌ مِنْ فَوْقِهِنّ ضَوَامِرُ
فَأتَتْكَ لَوْ كَلّفْتَ مَا كَلّفْتَهَا نُوَبَ الزّمَانِ أتَتْكَ ، وَهيَ زَوَافِرُ
لله صَبرُكَ حَيثُ تَفترِقُ الظُّبَى بَينَ الهَوَادِي ، وَالقَنَا مُتَشَاجِرُ
وَاليَوْمُ أسْوَدُ لِمّةً مِنْ لَيْلِهِ ، سَتَرَتْكَ مِنْهُ ذَوَائِبٌ وَغَدائِرُ
في حَيْثُ سُدّ عَلَى الطّيورِ مَجالُها ، حتّى رَعَى مَا في الوُكُورِ الطّائِرُ
لَثَمْتَ خَدّ الشّمسِ مِنهُ بِأسْوَدٍ ، وَالنُّورُ يَشْهَدُ أنّ وَجْهَكَ سَافِرُ
يَوْمٌ تَوَدُّ السُّمْرُ أنّ صُدُورَهَا ، لِتَعُدّ مَا كَسَبَتْ يَدَاكَ ، خَنَاصِرُ
وَالسّبْيُ تَعْصِفُ بِالجُيُوبِ أكُفُّها ، في جَنْبِ ما عَصَفَتْ قَناً وَبَوَاتِرُ
فَعَلَى النّساءِ مِنَ الخُرُوقِ يَلامِقٌ ؛ وَعَلَى الرّجَالِ مِنَ النّجيعِ مَغافِرُ[1]
وَلّوا ، وَأيدِيهِمْ عَلَى هَامَاتِهِمْ ، فَكَأنّمَا تِلْكَ الأكُفُّ مَعَاجِرُ[2]
وَبَذَلْتَ أجْسَادَ الكُمَاةِ لِوَحْشَةٍ ، فَعَلِمْنَ أنّكَ أنْتَ فِيهِ الظّافِرُ
أنّى تُعَرِّسُ فَالرّيَاضُ مَطَافِلٌ لِسَوَامِ إبْلِكَ ، وَالوُحوشُ جآذِرُ[3]
وَإذا تُسَالِمُ فالسَّمُومُ صَوَارِدٌ ؛ وَإذا تُحَارِبُ ، فَالنّسِيمُ هَوَاجِرُ[4]
وَكَأنّ رُمحَكَ حالِبٌ لِدَمِ الطُّلَى ، وَكَأنّ سَيفَكَ في الجَماجِمِ جازِرُ
لَوْ تَعْلَمُ الأفْلاكُ أنّكَ وَالِدِي ، لَمْ تَرْضَ أنّي لِلسّمَاءِ مُصَاهِرُ

١ اليلامق ، الواحد يلمق : القباء (القنباز) . النجيع : الدم . المغافر ، الواحد مغفر : زرد يلبس على الرأس تحت القلنسوة .
٢ المعاجر ، الواحد معجر : ثوب تشده المرأة على رأسها .
٣ المطافل ، الواحد مطفل : المكان الرخص الناعم .
٤ السموم : الريح الحارة . صوارد : باردة .

وَبِحَسْبِ جُودِكَ أنّني لكَ مادِحٌ؛ وَبِحَسْبِ مَجدِي أنّني بِكَ فاخِرُ
إنّ الّذي حلّتْهُ غُرُّ مَدائِحي ، نَدْبٌ كَساهُ مَفَاخِرٌ وَمَآثِرُ
كثُرَتْ نُعُوتُ صِفاتِهِ في مَدْحِهِ ، فكَأنّ مادِحَهُ المُفَوَّهَ ساحِرُ
كَفَلَ البَقاءَ بنَفْسِهِ فلَوِ انقَضَى ذا الدّهْرُ عاوَدَهُ الزّمانُ الغابِرُ
وَاليَوْمَ كَمْ في صَدْرِهِ لكَ آمِلٌ يُعطَى، وكَمْ في عَجزِهِ لكَ شاكِرُ
أمُعَثِّرَ الأحْداثِ في أذْيالِها نَاجاكَ مَدْحِي ، وَالجُدُودُ عَواثِرُ
إنّي رَضِيتُكَ في الزّمانِ مُمَدَّحاً ، وَعُلاكَ لا تَرْضَى بِأنّيَ شاعِرُ

بنينا مصاد العلى

يمدحه ويذكر خلاصه وخلاص
خيه من القلعة وحصولهما بشيراز :

مِنَ الظُّلْمِ أنْ نَتَعاطَى الخُمارَا ، وَقَدْ سَلَبَتْنا الهُمُومُ العُقَارَا
وَفِينا شَآبِيبُ صَرْفِ الزّمانِ ، تَرْوَى مِراراً وَتَظْمَا مِرارَا
تُخَيّرُني عِفّتِي وَالغِنَى ، وَمَنْ لِيَ أنّي مَلَكْتُ الخِيارَا
وَلَوْ أنّ لي رَغْبَةً في النّوَا لِ أجْمَمْتُهُ ، وَاجتَدَيتُ البحارَا
وَهَوّنَ صَوْلَتَهُ أنّني أرَى العَيشَ ثَوْبَ بِلًى مُستَعارَا
فَما أرْكَبُ الخَطبَ إلاّ جَليلاً ، وَلا أجْذُبُ الأمْرَ إلاّ اقْتِسَارَا

وَكُنْتُ ، إذا مَا استَطَالَ العَدُوُّ نَثَلْتُ عَلَيْهِ القَنَا وَالشّفَارَا
وَكَمْ لي إلى الدّهْرِ مِنْ حَاجَةٍ أبُلّ بِهَا ذابِلاً أوْ غِرَارَا
تُجَرّ إلَيْهَا ذُيُولُ المُنَى ، وَيَخْلَعُ فِيهَا الزّمَانُ العِذارَا
وَيَوْمٍ تَخَرّقْتَ فيهِ السّيُوفَ ، وَخُضْتَ إلَيْهِ الدّمَاءَ الغِزَارَا
أثَرْتَ العَجَاجَ عَلَيْهِ دُخَاناً ، وَأضْرَمْتَ مِنْ مائِرِ الطّعْنِ نَارَا
وَعَانَقْتَ مِنْ بِيضِهِ في النّجيعِ شَقِيقاً ، وَمِنْ سُمْرِهِ جُلّنَارَا
وَلَيْلَةِ خَوْفٍ شِعَارُ الفَتَى يُصَافِحُ بالسّمْعِ فِيهَا السّرَارَا
أبَحْنَا حِمَاهَا أكُفَّ المَطِيّ ، حتّى انتَهَبْنَا الرُّبَى وَالجِرَارَا[1]
وَأرْضٍ مُقَنَّعَةٍ بِالهَجِيرِ تَنضُو مِنَ الآلِ عَنها خِمَارَا
هَجَمْتَ عَلى جَوّهَا بِالرّمَاحِ تَبْنِي مِنَ الطّلّ فيها مَنَارَا
فَما أرْتَعتَ من شُعُبَاتِ الحِمامِ ، وَلا خِفْتَ فِيهِ لأمْرٍ خِطَارَا
وَفَلّلْتَ مِنْ جَنَبَاتِ الخُطُوبِ بِعَزْمٍ ؛ إذا جَارَ دَهْرٌ أجَارَا
وَمِمّا يُحَلّلُ ذَمَّ الزّمَانِ إقْصَاؤهُ المَاجِدِينَ الخِيَارَا
أسَمْعِي ذُؤابَةَ هَذا الأنَامِ دُعَاءٌ يَجُرّ عَليّ الجِهَارَا
ثِقَا بِالإلَهِ ، فَإنّ الزّمَانَ يُعطي أماناً ، وَيُمطي حِذارَا
وَلا عَجَبٌ أنْ يُعِيرَ الثّرَاءَ ، فَالمَجدُ أكْرَمُ مِنْ أنْ يُعَارَا
إذا سالَمَ المَوْتُ نَفْسَيْكُمَا، فَلا حَارَبَ الدّهْرُ إلاّ اليَسَارَا
أصَابَتْكُمَا نَكْبَةٌ فانجَلَتْ ، وَعَاوَدْتُمَا العِزَّ إلاّ الدّيَارَا

١ الجرار : الوهاد ، الواحد جر .

وَدَهْرٌ يَرُدُّ عَلَيْنَا العَـلا ءَ ، أجدِرْ بهِ أنْ يَرُدَّ الغُفَارَا[1]
أَلَمْ تَرَ يا مَنْ رَمَتْهُ الخُطُوبُ يَمِيناً تُنَازِعُهُ أوْ يَسَارَا
وَمَنْ خَوّضَ الدّهْرُ مِنْ مَالِهِ قَوَارِحَ أحْدَاثِهِ وَالمَهَارَى
وَمَا أكَلَ الحَطْبُ مِنْ عِزّنَا ، وكُنّا لَهُ سلَعاً أوْ مُرَارَا[2]
بَنَيْنَا مَصَادَ العُلَى مُصْمَتاً ، فَبَعْثَرَ لِلذّلّ فِيهِ وِجَارَا[3]
عَقَدْنَا بِبَاعِ الرّدَى ذِمّةً ، فحلّ الذّمَامَ وَفَضّ الذّمَارَا
وَنَحنُ نُؤمّلُ أنّ الزّمَانَ يَرُدّ الّذي مِنْ عُلانَا استعارَا
وَتَملِكُ أعْنَاقَ أحْدَاثِهِ ، فَنُلْبِسُهَا مِسْحَلاً أوْ عِذَارَا[4]
وَتَجلُو غَمَايِمُهَا عَنكُمَا هُمُوماً تُظِلّ القُلُوبَ الحِرَارَا
وَيُعْطِيكُمَا اللهُ نَفْسَ الحَسُو دِ رِقّاً مُسَلَّمَةً ، أوْ أسَارَى
وَيَرْجِعُ شَانِيكُمَا شَاحِباً ، يُنَفّضُ عَنْ مَنكِبَيْهِ الغُبَارَا
وَمَنْ قَمَرَ الدّهْرُ أمْوَالَهُ قَضَى جَدُّهُ أنْ يَرُدّ القِمَارَا
وَحَسْبُكَ كَيْداً يُمِيتُ العَدُوّ أنْ يَطْلُبَ الذّلُّ مِنكَ الفِرَارَا
لَئِنْ جُلْتُمَا في مَكَرّ الزّمَانِ ، فَبَوّاكُمَا مِنْ مَدَاهُ العِثَارَا
فَمَا يَقْرَعُ الجَهْلُ إلاّ الحَلِيمَ ، وَلا يَنكُثُ الخُرْقُ إلاّ الوَقَارَا

١ الغفار بالضم : شعر كالزغب يكون على العنق واللحيين والقفا ونحو ذلك . وبالكسر : ميسم يكون على الخد . والمراد من هذه اللفظة غامض .
٢ السلع والمرار : من أنواع الشجر المر .
٣ المصاد : مكان الصيد . الوجار : جحر الضبع وغيرها .
٤ المسحل : اللجام . العذار : ما سال من اللجام على خد الفرس .

تَفَرّقَ مَالُكُمَا في العِدَى ، وَشَخْصُكُمَا وَاحِدٌ لا يُمَارَى
وَلَمْ ألْقَ مُنْفَرِداً في الزّمَانِ يُسَائِلُ عَنْ إلْفِهِ : أينَ سَارَا
سَأنْتَظِرُ الدّهْرَ مَا دامَ لي بوَعْدٍ وَأسْأرُ عِندِي انْتِظَارَا
لحَى اللهُ دَهْراً كَثِيرَ العَدُوّ ، حَتّى الظّلامُ يُعَادِي النّهَارَا
تَصَفّحْتُ أوْجُهَ أبْنَائِهِ ، فَلَمْ يَجِدِ اللّحْظُ فيهِمْ قَرَارَا
رَأيْتُ الصّبَاحَ يَذُمّ المَسَاءَ ذَمّي ، وَيَكْرَهُ مِنهُ الجِوَارَا
وَيَشْحَبُ فِيهِ عَلَى أنّهُ يُبَدّلُ في كُلّ يَوْمٍ صِدَارَا[1]
فكونُوا كما أنا في النائباتِ آبَى معَ القَدْحِ إلاّ استِعارَا
فَمَا غَرّني جُودُهُ بالثّرَاءِ ، وَمَا زَادَني مِنْهُ إلاّ نِفَارَا

سماح في جوانبه إباء

يمدحه أيضاً :

أمَا ذُعِرَتْ بِنا بَقَرُ الخُدُورِ ، وَغِزْلانُ المَنَازِلِ وَالقُصُورِ
عَشِيّةَ مَا التَفَتْنَ عَلى رَقِيبٍ ، وَلا استَحْيَيْنَ مِنْ نَظَرِ الغَيُورِ
أمَا وَاللهِ لَوْ أطْلَقْتُ شَوْقِي لَفَاضَ عَلى التّرَائِبِ وَالنّحُورِ
أكُنْتَ مُعَنّفي لَمّا التَقَيْنَا عَلى وَطَرٍ مِنَ الدِّمَنِ الدُّثُورِ

١ الصدار : قميص يغشى الصدر بلا كمين .

نَبُلُّ مِنَ الدُّمُوعِ عَلى زَفيرٍ   مَرَاتِعَ ذَلِكَ الظَّبْيِ الغَرِيرِ
وَقَدْ أظمَا الهَوَى مِنّا قُلُوباً ،   كَرَعْنَ مِنَ الصَّبَابَةِ في غَدِيرِ
وَللسّيرِ التِدامٌ في المَطَايَا ،   وَللبَيْنِ احتِدامٌ في الصّدُورِ
أحِينَ جَذَبتُمُ الأوْطانَ عَنّا   بِأعْنَاقِ المُخَطَّمَةِ النَّفُورِ
وَجَدْنَ الشّجْوَ في نَغَمِ الأغاني،   وَنَشْوَ الشّوْقِ في نُطَفِ الخُمورِ
بوَاقِينَا تُتَيِّمُ بِالمَوَاضِي .   وَزَائِرُنَا يَتِيهُ عَلى المَزُورِ
سَقَى اللهُ البِطَاحَ وَمَا تَصَدّى   لَنَا بَينَ الخَوَرْنَقِ وَالسّدِيرِ
وَآراماً بِرَامَةَ ، كُلُّ غَيْثٍ   تَمَلّسَ مِنْ سَحَائِبِهِ مَطِيرِ
فَفِيهَا هَزّني أرَجُ الخُزَامى ،   وَأعْداني عَلى نَارِ الهَجِيرِ
قَبَضْتُ يدَ السّحابِ بفَيضِ دمعي ،   وَأسْكَتُّ الحَمَايِمَ بالزّفيرِ
رَكِبْتُ إلَيْكَ أعجَازَ اللّيَالي ،   أخُوضُ مِنَ المَسَاءِ إلى البُكُورِ
وَفِتْيَانٍ تَهُزُّهُمُ المَذاكي ،   بِأطْرَافِ الحَمَايِلِ وَالسّيُورِ
فَجِئْتُكَ رَاكِباً صَهَوَاتِ دَهْرٍ   كَثِيرٍ وَقَائِعِ الجَدّ العَثُورِ
لحَى اللهُ امرأً يَنْضُو حُسَاماً ،   فَيَجْبُنُ ، وَهْوَ مَلآنُ الضّمِيرِ
أمَا في هَذِهِ الدّنْيَا نَجِيبٌ   يُسَاعِدُني عَلى حَرْبِ الدّهُورِ
فَنَشرَبَ آجِنَ الغُدْرَانِ فِيهَا .   إذا مَا الذّلُّ حَامَ عَلى النّمِيرِ
وَنَلْقَى أشْهَبَ الأمْوَاهِ تَرْمي   بِرَغْبَتِنَا إلى شِبْهِ البُحُورِ
أبِيتُ . إذا المَطامِعُ أيْقَظَتْني   ألاحِظُهُنّ عَنْ طَرْفٍ كَسِيرِ
وَأمْلأُ مُقْلَتيَّ مِنَ العَوَالي ،   إذا امتَلأتْ مِنَ العَلَقِ الغَزِيرِ

وَيُعْجِبُني أطيطُ الرّحْلِ تَرْمي أزِمّتُهُ السّهُولَ إلى الوُعُورِ
وَلا أرْضَى مُصَاحَبَةَ الهُوَيْنَا ، إلى طُرُقِ المَطَالِبِ وَالشُّقُورِ[1]
وَيَصْحَبُني ذُؤالَةُ مُستَرِيباً بِشَخْصِي في الأمَاعِزِ كَالخَفِيرِ[2]
لأنّي مَا تَحَيّفَني زَمَانٌ ، فَأحْوَجَني الحُسَامُ إلى نَصِيرِ
وَلا اقتَضَتِ الهَوَاجِرُ لَثْمَ خَدّي فَماطَلَها لِثَامي عَنْ سُفُورِي
وَكُنْتُ ، إذا تَوَعّدَني قَبِيلٌ وَرَبّى الطّعْنَ في البِيضِ الذّكورِ[3]
رَمَيتُهُمُ بِمُحتَبِلِ الأعَادي ، وَقاطِعِ حَبوَةِ المَلِكِ الخَطِيرِ[4]
كَأنّي لَمْ أشُقّ عَلى اللّيَالي بحَرْبٍ ، أوْ خِصَامٍ ، أوْ مَسِيرِ[5]
وَلا أضْحَكْتُ سَيفي في جِهادٍ يُمَزِّقُ عَنْهُ تَعْبِيسَ الثّغُورِ
عَذِيرِي مِنْ بلادٍ ليسَ تَخلُو ، سِوَائي ، مِنْ مَلِيكٍ أوْ أمِيرِ
تَضَنّ وَقَد ضَنَنْتُ ، فَما أرَاهَا بِعَيْنِ المُستَعِيرِ ، وَلا المُعيرِ
إذا أدْنَيْتُ رِجْلي مِنْ ثَرَاهَا ، فَزِعْتُ بِهَا إلى قَتَدِ البَعِيرِ
أرَى تَرْكَ الصّلاةِ بِهَا حَلالاً ، فَما أمْتَاحُهَا مَاءَ الطّهُورِ[6]
وَكَيْفَ تَتِمّ في بَلَدٍ صَلاةٌ ، وَجُلُّ بِقَاعِهِ قِبَلَ الفُجُورِ

١ الشقور : الأمور الملتصقة بالقلب المهمة له ، الواحد شقر .
٢ ذؤالة : علم للذئب . الأماعز ، الواحد أمعز : المكان الصلب الكثير الحجارة .
٣ ربى الطعن : هذبه .
٤ المحتبل من الأحبولة : المصيدة . الحبوة : ما يحتبى أي يشتمل به .
٥ أشق : أصعب ، أوقع المشقة .
٦ امتاح الماء : نزعه .

أُلاحِظُ في جَوَانِبِهَا رِجَالاً ، فَأَعْرِفُ مَنْ أَرَى غَيْرَ النَّظِيرِ
تُغَمِّضُ عن وُجوهِهِمُ الدَّرَارِي ، وَتُسحَبُ فيهِمُ غُرَرُ البُدُورِ
عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ صَوْتِي ، وَلَكِنْ صَهِيلُ الخَيْلِ يُطرِقُ لِلهَرِيرِ[1]
مَضَوْا إلاّ بَقَايَا سَوْفَ تَمْضِي ، وَشَرُّ القَوْمِ شَذَّ عَنِ القُبُورِ
وَمَا زَالَتْ جِمَامُ المَاءِ تَفْنَى ، وَتُختَمُ مَدَّةُ الثَّمَدِ الجَرُورِ[2]
وَنِكْسٍ شَاطَرَتْهُ مِنَ اللّيَالِي يَدٌ عَنْ شِيمَتَيْ كَرَمٍ وَخِيرِ
فَأَصْبَحَ لا يَرَى لِلمَالِ عِتْقاً ، وَتَمْلِكُ كَفُّهُ رِقَّ البُدُورِ[3]
تَخَيَّلَ ضَوْءَ دِرْهَمِهِ الأَمَانِي مُضَاجِعَ هَامَةِ القَمَرِ المُنِيرِ
صَحِبْنَا الدَّهْرَ ، وَالأَيّامُ بِيضٌ ، وَنَحْنُ نَوَاضِرٌ سُودُ الشُّعُورِ
فَلَمَّا اسْوَدَّتِ الدُّنْيَا بَرَزْنَا لَهَا بِيضَ الذَّوَائِبِ بِالقَتِيرِ
تَمِيلُ عَلَى مَنَاكِبِنَا اللّيَالِي ، بِأَلْوَانِ الغَدَائِرِ وَالضُّفُورِ
وَتَرْسُبُ في مَصَائِبِهَا ، وَتَطْفُو لِغَيْرِ بَنِي أَبِينَا بِالسُّرُورِ
إذا لَحَظَتْ عَزَائِمُنَا التَقَيْنَا إلى مُقْبِلٍ مِنَ الأَيّامِ حُسُورِ
تُرِينَا في جِبَاهِ الأُسْدِ ذُلاً ، وَفي حَدَقِ الأَرَاقِمِ كَالفُتُورِ
أَقُولُ لِنَاقَتِي ، وَاليَوْمُ يَمْلا إنَاءَ البِيدِ مِنْ مَاءِ الحَرُورِ
وَقَدْ سَحَبَتْ ذَوَائِبَهَا ذُكَاءٌ عَلَى قِمَمِ الجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ

١ يطرق : يصمت .
٢ المدة ، من مده بالماء : ساعده فيه ، زاده فيه . الثمد : الماء القليل .
٣ البدور ، الواحدة بدرة : كيس فيه عشرة آلاف درهم .

تَمُرّ علَى الظّبَاءِ مُكَنّسَاتٍ، كمَا قَطَنَ العَذارَى في الخُدورِ[1]
تُعَاتِبُها المَرَاتِعُ في الفَيَافي ، ويَشكُوهَا الكَبَاثُ إلى البَرِيرِ[2]
إذا بَابُ الحُسَينِ أضَافَ رَحْلي ، أذُمّ علَى المَطِيّ مِنَ المَسيرِ
فثَمّ الغَيْثُ مَعقُودُ النّوَاصِي ، ولَيْثُ الغَابِ مَحلُولُ الزّئيرِ
أطَالَ العُشْبَ مِنْ سُرَرِ الرّوَابي، وَحَطّ المَاءَ في قِطَعِ الصّبيرِ[3]
سَماحٌ في جَوَانِبِهِ إبَاءٌ ، كحُسنِ المَاءِ في السّيفِ الشّهيرِ
فتًى يَصْلَى بِأطْرَافِ المَوَاضِي ، ونَارُ الحَرْبِ طَائِشَةُ السّعيرِ
ويَمْشُقُ بالعَوَالي في الهَوَادِي ، وطِرْسُ اليَوْمِ مُختَلِطُ السّطورِ[4]
يَرُدّ الشّمسَ مَطرُوفاً سَنَاهَا ، وقَدْ حُجِبَتْ بأجْنِحَةِ النّسُورِ
هُمَامٌ جَرّ أرْسَانَ المَعَالي إلَيْهِ ، وَطَاسَ أطنَابَ الأمُورِ[5]
يُشَاوِرُ، وَهْوَ أعلَمُ بِالقَضَايَا، فيَسْبُقُ رَأيُهُ قَوْلَ المُشيرِ
ويُفرِغُ صَائِبَاتِ الرّأيِ فيهَا ، كإفْرَاغِ النّبَالِ مِنَ الجَفيرِ
رَمَى بِالنّارِ في ثَغْرِ الدّيَاجي ، وَأدّبَ شيمَةَ الكَلْبِ العَقُورِ
لمَزْؤودٍ تَقَاذَفُهُ المَطَايَا ، وَيُسْنِدُهُ إلى ظَهْرٍ حَسيرِ
علَى ظَلْمَاءَ قَابِضَةٍ إلَيْهِ بِلَحْظِ المُجْتَلي وَيَدِ المُشيرِ

١ مكنسات ، من كنس الظبي : تغيب واستتر في كناسه ، أي بيته .
٢ الكباث : النضيج من ثمر الأراك . البرير : الأول من ثمر الأراك .
٣ السرر ، الواحدة سرة : أفضل مواضع الوادي . الصبير : السحاب .
٤ يمشق : يسرع بالطعن .
٥ طاس : وطيء .

تَنَاعَسَ نَجمُها عَنْ كلّ سارٍ، فَيَقْظٌ بَيْنَ رَاحِلَةٍ وكُورِ
متَى ألْقاكَ قَائِدَهَا عِرَاباً مُثَلَّمَةَ الأشاعِرِ وَالنّسُورِ[1]
تَهَادَى كالعَذارَى حَالِيَاتٍ، مَعَاقِدُ حُزْمِهَا بَدَلُ الخُصُورِ
فأسبَحُ مِنْ دِماثِكَ في خَلُوقٍ، وَأرْفُلُ مِنْ عَجاجِكَ في عَبيرِ
إذا رَكَضَتْ بِساحَتِكَ اللّيَالي، فَلا زَالَتْ تَقاعَسُ في الشّهُورِ
وَإنْ طَالَتْ بهَا أيْدِي الأماني، فَلا امتَدّتْ يَدُ الوَعْدِ القَصِيرِ
وَلا زَالَتْ رِماحُكَ مُطْلَقَاتٍ تُرَدّدُهَا إلى الأجَلِ الأسيرِ

رضوا بخيال المجد

قال أيضاً يمدحه ويذم بعض أعدائه
وذلك سنة ٣٧٤ ويذكر فيها أغراضاً
كثيرة وهي أطول ما قاله :

بِغَيْرِ شَفِيعٍ نَالَ عَفْوَ المَقَادِرِ، أخُو الجَدّ لا مُسْتَنْصِراً بالمَعَاذِرِ
وَأعجبُ فِعلاً من قُعودي على العُلى، سُرَايَ بِأعْقَابِ الجُدُودِ العَوَاثِرِ
أؤمّلُ مَا أبْقَى الزّمَانُ، وَإنّمَا سَوَالِفُهُ مَعْقُودَةٌ بِالغَوَابِرِ
فخَلّ رِقابَ العيسِ يَجذِبُها السُّرَى بِآمَالِ قَوْمٍ مُحْصَدَاتِ المَرَائِرِ

[1] الأشاعر : ما استدار بالحافر من منتهى الجلد . النسور ، الواحد نسر : لحمة في باطن الحافر.

فَمَا التذّ طَعْمَ السّيرِ إلاّ بمُنيَةٍ ، وَإنّ الأمَاني نِعْمَ زَادُ المُسَافِرِ
وَدُونَ مُدارَاةِ المَطيّ عَلى الوَجَى مُشَاغَبَةُ الأشجَانِ دونَ الضّمائرِ
فلَيتَ قُلُوبَ العَاشِقِينَ إذا وَنَى بهَا السّيرُ كانَتْ في صُدُورِ الأباعرِ
وَلله قَلْبي مَا أرَقّ عَلى الهَوَى وَأصبَى إلى لَثْمِ الخُدُودِ النّوَاضِرِ
يَحِنّ إلى ما تَضْمَنُ الخُمرُ وَالحِلَى وَيَصْدُفُ عَمّا في ضَمَانِ المَآزِرِ
وَلَمّا غَدَوْنَا للوَدَاعِ وَنَقّرَتْ صُرُوفُ النّوَى دونَ الخَليطِ المُجاوِرِ[1]
عَنيتُ مِنَ القَلْبِ العَفيفِ بعاذِلٍ ، وَمِنْ خُدَعِ الشّوْقِ السّفيهِ بِعَاذِرِ
عَشيّةَ لا عِرْسُ الوَفَاءِ بِمُرْمِلٍ لَدَيْنَا ، وَلا أُمُّ الصّفَاءِ بِعَاقِرِ
وَمَنْ لمْ يَنَلْ أطْمَاعَهُ مِنْ حَبيبِهِ رَضِي ، غيرَ رَاضٍ ، بالخَيالِ المُزَاوِرِ
وَكُنْتُ أذُودُ الدّمْعَ إلاّ أقَلّهُ لسُقيَا حِمىً من بَعدِ بَينِكَ داثِرِ
وَإنّيَ لا أرْضَى ، إذا مَا تَحَمّلَتْ إلَيْهِ مَرَابيعُ السّحَابِ المَوَاطِرِ
كِلِيني إلى لَيْلٍ كَأنّ نُجُومَهُ تُغازِلُ طَرْفي عَن عُيُونِ الحَوَاذِرِ
أمُرّ بِدارٍ مِنْكِ مَشجُوجَةِ الثّرَى بِمَجْرَى نَسيمِ الآنِسَاتِ الغَرَائِرِ[2]
تَمُرّ عَلَيْهَا الرّيحُ ، وَهيَ كأنّهَا تَلَفّتُ في أعْطَافِ تِلْكَ المَقَاصِرِ
وَيَشْهَقُ فِيهَا بِالأصَايلِ وَالضّحَى حَيَا كُلّ عَرّاصِ الشّآبيبِ ماطِرِ[3]
وَيَسْتَنّ فِيهَا البَرْقُ حَتّى تَخالَهُ يَفيضُ بفَيضِ القَطرِ في كلّ حاجِرِ

١ قوله : نقرت ، هكذا في الأصل وهي لا تؤدي معنى بيناً ، ولعلها محرفة .
٢ مشجوجة : ممزوجة .
٣ العراص : السحاب ذو البرق والرعد .

وَلَمّا رَأيتُ اللّيلَ مُستَرِقَ الخُطَى ، وَأطْرَافَهُ تَجْلُو وُجُوهَ التّبَاشِرِ[1]
أرِقْتُ لأجفَانِ الرّكَائبِ هَبّةً بِألحاظِ جَوّالِ العزائمِ سَاهِرِ
وَسِيماً بهِ يَعْتَلّ بالأعيُنِ الكَرَى ، وَيَنشَقّ عَنْ مَكنُونِهِ كلُّ نَاظِرِ[2]
بِبَيْهَمَاءَ يَستَغوِي الحُداةَ سَرَابُهَا عَلى ظَمَإٍ بَينَ الجَوَانِحِ ثَائِرِ[3]
وَيَحبُو بِهَا الأعيَاسُ حَتّى كأنّها تُنَصّ عَلى أخفَافِهَا بالكَرَاكِرِ[4]
وَمُوَلّي أدانيهِ على السّخطِ وَالرّضَى ، وَيَبعَطُ عَنّي ، وَالقَنَا في الحَنَاجِرِ[5]
يَهُزّ عَليّ السّوْطَ ، وَالرّمْحُ دُونَهُ ، وَهَزُّ العَوَالي غَيرُ هَزّ المَخَاصِرِ
عَطَفْتُ لَهُ صَدْرَ الأصَمّ ، وَتَحتَهُ عَوَاطِفُ أسبَابِ الحُقودِ النّوَافِرِ
فَخَرّ ، وَفيهِ للطّعَانِ مَنَاظِرٌ يُطَالِعُهَا طَيْرُ الفَلا بِالمَنَاسِرِ
فَمَا ظَفِرَتْ من نَفسِهِ أُمُّ قَشْعَمٍ ، بِمَا ظَفِرَتْ مِنْ جِسمِهِ أُمُّ عامِرِ[6]
وَرَكْبٍ تَفادَى النّوْمُ أنْ يَستَخِفّهُ إذا ما الكَرَى ألقَى يَداً في المَحاجِرِ
وَرَدْتُ بهِ بُحبُوحَةَ الوِرْدِ ، فانثَنى يُقَلّصُ صَافي مَائِهِ في المَشَافِرِ
وَغَادَرَ أحشَاءَ الغَدِيرِ ضَوَامِراً ، مِنَ المَاءِ في ظِمْءِ النّوَاحي الضّوَامِرِ

١ التباشر : أول الصباح . وقوله : مسترق الخطى ، أي هارب .
٢ الرسيم : ضرب من سير الإبل . يعتل : يتعلل ، يتشغل .
٣ البهماء : الفلاة لا ماء فيها .
٤ الأعياس : النياق . تنص ، من نص الناقة : استحثها شديداً . الكراكر ، الواحدة كركرة : رحى زور البعير .
٥ يبعط : يبعد .
٦ أم قشعم : المنية . أم عامر : الضبع .

وُرُودَ خَفيفِ الوِرْدِ أوّلَ وَارِدٍ طُرُوقاً إلى مَاءٍ ، وأوّلَ صَادِرِ
إذا هَزّ أطْرَافَ الخَليجِ رَمَتْ بهِ الـ مَوَارِدُ خِفّاً في وُجُوهِ المَصَادِرِ
وكَانَ إذا مَا عَاقَهُ بُعْدُ مَطْلَبٍ يُضَعْضِعُ أعضَادَ المَطِيّ الزّوَافِرِ
تَمَرّسَ بالأيّامِ حتّى ألِفْنَهُ ، وكَرّ على أحْداثِهَا وَالدّوَائِرِ
وَأخْطَأ سَهْمُ القِطْرِ مَقْتَلَ مَحلِهِ فزَمّ قَسِيّ العَادِيَاتِ المَوَامِرِ[1]
فتًى حينَ أكْدَتْ أرْضُهُ هَجَمَتْ به على لابنٍ مِنْ آلِ عَدْنَانَ تَامِرِ
على مَاجِدٍ لا يَسرَحُ اللّوْمُ عِندَهُ ، ولا تُدّرَى أفْعَالُهُ بالمَنَاكِرِ[2]
إذا رَاوَحَ الرُّعْيَانُ لَيلاً سَوَامَهُ ، فَقَدْ لَفّهَا جِنْحُ الظّلامِ بِعَاقِرِ
تَفَرّعْتُ حتّى عَوّدَتْني رِمَاحُهُ ، فعَوّدتُ مِنْ سُوءِ الظّنونِ سرَائِرِي
تَشَابَهُ أيّامي بِهِ ، فَكَأنّمَا أوَائِلُهَا مَمْزُوجَةٌ بالأوَاخِرِ
هُوَ الوَاهِبُ الألفِ الّتي لَوْ تَسومُهَا قبيلاً ، فَدَاهَا بالجَديلِ وَدَاعِرِ[3]
يَطُولُ إذا مَدّ الرُّدَيْنيّ بَاعُهُ ، وَعَانَقَ أعْنَاقَ الرّجَالِ المَسَاعِرِ[4]
فيَفْرِي طَرِيقاً للسّبَارِ ، كَأنّمَا لهَا ذِمّةٌ في الطّعنِ ، رِسْلُ المَسَابِرِ[5]
تَعَلّقَ في ثِنْيِ العَرِينِ بِعَزْمَةٍ تُذَلّلُ أمْطَاءَ اللّيُوثِ الخَوَادِرِ

١ القطر : ضرب من النحاس . المحل : الخديعة والكيد . ورجل محل : لا ينتفع به . زم : تقدم في السير . القسي : السير الشديد . العاديات : الخيل . الموامر : الضاربات بحوافرها شديداً .

٢ تدرى : تختل ، تخدع .

٣ الجدير وداعر : فحلان .

٤ المساعر : الطوال الأعناق .

٥ السبار : ما يسبر به غور الشيء . الرسل : التمهل والتؤدة والرفق .

فَطَرّدَهَا حتّى استَبَاحَ شُبُولَها ، وَمَا ضَعْضَعَتْهُ أُسْدُهَا بِالزَّمَاجِرِ
يَخِفّ إليهِ الجَيشُ ، حتى كَأَنّهُ يَمُدّ بِأعْنَاقِ النّعَامِ النّوَافِرِ
جَزَى اللهُ عَنْهُ الخَيلَ ما تَستَحِقّهُ إذا رَقَصَتْ بالدّارِعِينَ المَغَاوِرِ
وَخَبّتْ عَلى بَيْداءَ تَشْرَقُ مَاءَهَا عنِ الرّكبِ في طَيّ العُيونِ الغَوَائِرِ[1]
تَمُرّ عَلى المَعْزَاءِ خَفّاقَةَ الحَصَى ، وَتَحثو بوَجهِ الشّمسِ تُرْبَ القَرَاقِرِ[2]
وَتَسترْعِفُ الآفَاقُ لَمْعَ صَفَائِها بمُغبَرّةٍ تَمْحُو سُطُورَ الهَوَاجِرِ
حمَى بَيضَةَ الإسلامِ بالحَقّ فاحتمتْ وَقَرّتْ بأعشاشِ الرّمَاحِ الشّوَاجِرِ
وَمِنْ قَبلُ ما كانَتْ تَقَلْقَلُ خِيفَةً وَتَرْقُبُ في الأيَامِ وَهْصَةَ كَاسِرِ[3]
إذا عَبّقَتْ أخلاقُهُ أرَجَ العُلَى ، تَضَوّعَ في الحَيّيْنِ كَعْبٍ وَعَامِرِ
وَلمّا انجلَتْ من حَوْزَةِ الشّرْكِ فُرْصَةٌ تَقَنّصَهَا وَالدّينُ دامي الأظَافِرِ
تَدارَكَهَا وَالرّمْحُ يَرْكَبُ رَأسَهُ ، فَيَرْعَفُ مِنْ قَطْرِ الدّمَاءِ القَوَاطِرِ
بطَعنٍ كوَلغِ الذّئبِ، إنْ زَعزَعَ القَنا سَقَاهَا شَآبِيبَ الدّمَاءِ المَوَائِرِ
أفَاضَ عَلى عَدْنانَ فَضْلَ وَقَارِهِ ، وَقَدْ مَسّهَا طَيشُ السّهامِ الغَوَائِرِ
فَبَوّأ أوْفَاهُمْ يَداً قُلّةَ العُلَى وَمَدّ بِأضْبَاعِ الرّجَالِ البَحَاتِرِ[4]
إذا جَنّبُوهُ للرّهَانِ أتَوْا بِهِ جَوَاداً يُفَدّى شَأوُهُ بِاليَعَافِرِ

١ تشرق : تغص . ماءها : أراد بمائها فنصب بنزع الخافض .

٢ القراقر ، الواحدة قرقرة : الأرض اللينة .

٣ الوهصة : الوطأة الشديدة .

٤ القلة : القمة . البحاتر : القصار ، الواحد بحتر .

يُغَطّي عَلى أوْضَاحِهَا بِغُبَارِهِ ، وَيَخرُجُ سَهْلاً من جُنُوبِ الأوَاعِرِ
إذا ذَكَرُوهُ للخِلافَةِ لَمْ تَزَلْ تَطَلّعُ مِنْ شَوْقٍ رِقَابُ المَنَابِرِ
لَعَلّ زَمَاناً يَرْتَقي دَرَجَاتِهَا بِأرْوَعَ مِنْ آلِ النّبيّ عُرَاعِرِ[1]
وَمَنْ لي بِيَوْمٍ أبْطَحيٍّ سُرُورُهُ ، يُجَوِّلُ مَا بَينَ الصّفَا وَالمَشَاعِرِ
فَهَا إنّ طَوْقَ المُلكِ في عُنقِ ماجِدٍ ؛ وَإنّ حُسَامَ الحَقّ في كَفّ شَاهِرِ
وَيَا رُبّ قَوْمٍ مَا استَعَاضُوا لِذِلّةٍ شَهِيقَ العَوَالي مِنْ حَنِينِ المَزَامِرِ
كُؤوسُهُمُ أسْيَافُهُمْ وَخِضَابُهَا إذا جَرّدُوهَا مِنْ دِمَاءِ المَعَاصِرِ
رَضَوْا بخَيَالِ المَجدِ وَالشّخصُ عندَهُ ، وَمَا قيمَةُ الأعرَاضِ عِندَ الجَوَاهِرِ
هُمُ تَبِعُوهُ مُقْصِرِينَ ، وَرُبّمَا تَوَسّدَتِ الأظْلافُ وَقْعَ الحَوَافِرِ
إذا عَدّدُوا المَجدَ التّليدَ تَنَحّلُوا عُلًى تَتَبَرّى مِنْ عُقُودِ الخَنَاصِرِ
حَرِيّونَ إلاّ أنْ تُهَزّ رِمَاحُهُمْ . ضَنِينُونَ إلاّ بِالعُلَى وَالمَفَاخِرِ
هُمُ انتَحَلُوا إرْثَ النّبيّ مُحَمّدٍ ، وَدَبّوا إلى أوْلادِهِ بِالفَوَاقِرِ
وَمَا زَالَتِ الشّحنَاءُ بَينَ ضُلُوعِهِمْ تُرَبّي الأمَاني في حُجُورِ الأعَاصِرِ
إلى أنْ تَنَوّهَا دَعْوَةً أُمَوِيّةً ، زَوَتْهَا عَنِ الإظْهَارِ أيْدي المَقَادِرِ
وَلَوْ أنّ مِنْ آلِ النّبيّ مُقِيمَهَا ، لَعَاجُوا عَلَيْهِ بالعُهُودِ الغَوَادِرِ
فَمَا هَرَقُوا في جَمْعِهَا رِيّ عَامِلٍ ؛ وَلا قَطَعُوا في عَقدِها شِبْعَ طَائِرِ
وَقَدْ مَلأُوا مِنهَا الأكُفّ ، وَأهلَهَا ، فَمَا مَلأوا مِنهَا لَحَاظَ النّوَاظِرِ
فَرَاشُوا لَهُمْ نَبلَ العَداوَةِ بَعدَمَا بَرَوْها وَكَانَتْ قَبلُ غَيرَ طَوَائِرِ

[1] العراعر : الشريف .

شَهِدْتُ لَقَدْ أدّى الخِلافَةَ سَيفُهُ ... إلى جانِبٍ مِنْ عَقْوَةِ الدّينِ عامِرِ
يُفَرِّقُ ما بَينَ الكُؤوسِ وَشَرْبِهَا ، ... وَيَجْمَعُ مَا بَيْنَ الطُّلى وَالبَوَاتِرِ
فَيَرْفَعُ صَدْرَ السّيفِ إنْ حَطَّ كأسَه ، ... وَيَمْرِي دِماءَ الهَامِ إنْ لَمْ يُعَاقِرِ
وَيَنهَضُ مُشتَاقاً إلى مَصرَعِ القَنَا ، ... فَيَسحَبُ بُرْدَيْ فاسقِ السّيفِ طاهِرِ
مُعَظَّمُ حيٍّ ما رَمَتْهُ هَجِيرَةٌ ، ... فَقَعْقَعَ في أعْرَاضِهَا بالهَوَاجِرِ
وَلمّا طَغَتْ عَيلانُ في عِشقِ غَيّهَا ... رَمَاهَا مِنَ الكَيْدِ الوَحِيّ بِسَاحِرِ
رَمَاهُمْ مِنَ الرّمحِ الطّويلِ بجالِبٍ ، ... وَمِنْ شَفْرَةِ العَضْبِ الحُسامِ بجازِرِ
وَأضْرَمَ نَاراً ، فاستَرَابُوا بضَوْئِهَا ، ... وَمَا هيَ إلاّ للضّيُوفِ السّوَائِرِ
فلَمّا تَرَاخَتْ في الضّلالِ ظُنُونُهُم ... تَرَاخَى فَطارَتْ نارُهُ في العَشَائِرِ
وَلمّا أرَوْهُ نَفْرَةَ العَارِ خافَهَا ، ... وَلَوْ نَفَرَتْ أرْمَاحُهُمْ لَمْ تُحاذِرِ
فَأرْسَلَهَا شَعْوَاءَ تَقْدَحُ نَارَهَا ... عَلى جَنَبَاتِ الأمْعَزِ المُتَزَاوِرِ
شَمَاطِيطَ يُجْرُونَ الحَديدَ كأنّما ... مَشَيْنَ عَلى مَوْجٍ من اليَمّ زَاخِرِ
عَلَيها مِنَ البِيضِ العَوَارِضِ فِتيَةٌ ... خِضَابٌ قَنَاهَا مِنْ دِماءِ المَنَاحِرِ
مَفَارِقُ لا يَعْلُو عَلَيها مُطَاوِلٌ ، ... غَداةَ وَغًى ، إلاّ قِبَابُ المَغَافِرِ
فَجَاؤوكَ وَالخَيلُ العِتَاقُ طَلائِحٌ ... تَضَاءلُ مِنْ عِبْءِ الرّماحِ العَوَاثِرِ
وَمَا حَرّكُوهَا للطّعَانِ ، كأنّما ... زِجَاجُ قَنَاهَا عُلّقَتْ بالأشَاعِرِ
وَجارَتْ سِهَامُ المَوْتِ فيهِم ، وَإنّما ... دَليلُ المَنَايَا في السّهَامِ الجَوَائِرِ
وَطَأتَهُمُ باللاّحِقِيّاتِ وَطْأةً ... تُذَلّلُ خَدَّ الجَانِبِ المُتَصَاغِرِ
فَأزْعَجتَ داراً مِنهُمُ مُطْمَئِنّةً ، ... وَأخْلَيْتَهَا مِنْ كُلّ عافٍ وَسَامِرِ

شَنَنْتَ بِهَا الغَارَاتِ حتّى تُرَابُهَا يَثُورُ عَلى العاداتِ مِنْ غَيرِ حَافِرِ
وكُلُّ فَتَاةٍ مِنْ نِزَارٍ تَرَكْتَهَا تَرِيعُ إلى ظِلّ الرّبُوعِ الدّوَاثِرِ
تُحَشّشُ في أذْيَالِهَا مُسْتَكِينَةً، وتَحْطِبُ ذُلاًّ في حِبَالِ الغَدَائِرِ[1]
وكُلُّ غُلامٍ مِنْهُمُ شَامَ سَيْفَهُ رَأى فيهِ وَجْهَ الحَقّ طَلْقَ المَنَاظِرِ
وَلمّا امتَطَى ظَهْراً مِنَ الغَيّ كَاسِياً تَنَدّمَ أنْ أعْرَى ظُهُورَ البَصَائِرِ
جَفَتهُ العُلى، فانسَلّ من عُقْداتِها، وَمَا عَلِقَتْ أعْطَافُهُ بِالمَآثِرِ
وَلَوْ لَمْ تُمَسَّحْ بِالأمَانِ رُؤوسُهُم لَمَا أنِسَتْ هَامَاتُهُمْ بِالغَفَائِرِ
تَفَرّتْ قُلُوبُ القَوْمِ حتّى تَهَتّكتْ بِمَا استَتَرَتْ فيهِ بَنَاتُ السّرَائِرِ
أبَا أحْمَدٍ ثِقْ بِالمَعَالي، فإنّهَا، إذا لَمْ تُرَعْ بالبُخْلِ غَيرُ غَوَادِرِ
فَمَا مَالُكَ المَدْخُورُ إلاّ لِطَالِبٍ؛ وَلا رَبْعُكَ المَعْمُورُ إلاّ لِزَائِرِ
وَلا تَطْلُبَا ثَارَ الرّمَاحِ، وَإنّمَا دِمَاءُ المَعَالي في رِقَابِ الجَرَائِرِ[2]
جَلَوْتَ القَذَى عَن مُقلَتيّ فباشَرَتْ صَنِيعَكَ أجْفَاني بِألحَاظِ شَاكِرِ
فَإنْ هَزّ يَوْماً فَرْعَ مُلْكِكَ حاسِدٌ فَإنّ المَعَالي مُحْكَمَاتُ الأوَاصِرِ
هُوَ العُودُ سَهْلٌ للسّمَاحِ جَنَاتُهُ، وَلكِنْ عَلى الأعداءِ وَعْرُ المَكَاسِرِ
أذَمّ عَلى الأيّامِ مِنْ كلّ حَادِثٍ، وَحَاطَ جَنَابَ الدّينِ من كلّ ذاعِرِ[3]

١ تحشش : تجمع الحشيش .
٢ تطلبا : الألف بدل من نون التوكيد الخفيفة ، والأصل تطلبن . الجرائر ، الواحدة جريرة : الذنب والجناية .
٣ أذم : أجار . الذاعر : الخبيث .

وَضَمَّ شِفَاهَ الوَحشِ حتّى ظَنَنْتُهُ   سَيَصْدَى صِقَالاً في نيوبِ القَساوِرِ
وَمَا زَالَ يَسْمُو بِالمَعالي كَأنّها   تَجُرُّ إلَيْهِ بِالنّجُومِ الزّوَاهِرِ
لَهُ سَابِقاتُ القَبْلِ في كُلّ أوّلٍ ،   مضَى ، وَبَقَاءُ البُعدِ في كلّ آخِرِ
تَرَفّعَ في العَلْيَاءِ عَنْ وَصْفِ مادِحٍ ،   وَرَفّعتُ عَنْ مَدحِ المُلوكِ خوَاطِري
فَمَا هُوَ لَوْلا مَا أقُولُ بِسَامِعٍ ؛   وَلا أنَا لَوْلا مَا يَمُنّ بِشَاعِرِ

المجد شاعره

يمدحه أيضاً

بَلاءُ القَلْبِ نَاظِرُهُ ،   وَأنْجَى النّاسِ كَاسِرُهُ
إذا مَا عَنّ حُسْنٌ لَمْ   تُشَبّثْهُ نَوَاظِرُهُ
وَأذْكَى المُضْمَرَاتِ حشاً   تُطَهّرُهُ ضَمَائِرُهُ
وَتَشْهَدُ بِالعَفَافِ عَلَى   بَوَاطِنِهِ ظَوَاهِرُهُ
وَمَا فَخْرُ العَفِيفِ الجِسْـ   ـمِ إنْ فَسَقَتْ سَرَائِرُهُ
وَلي طَرْفٌ تُصَرّفُهُ   عَلى حُكْمي مَحَاجِرُهُ
وَقَلْبٌ عَاقِرٌ في الدّهْـ   ـرِ مِنْ داءٍ يُخَامِرُهُ
وَلَفْظٌ فَمٍ ، إذا مَا جَا   لَ لا تُخْشَى هَوَاجِرُهُ
وَرُبّ سَناً أرِقْتُ لَهُ   يُخَادِعُني تَبَاشُرُهُ

حَيَاً يَسْتَنّ بَارِقُهُ ، كَمَا يَسْتَنّ مَاطِرُه
وَيَشْدُو فِيهِ رَاعِدُهُ كَمَا تَشْدُو زَوَاخِرُه
وَمَسْجُورٍ عَلَى جَدَدٍ تَمَطّى بِي هَوَاجِرُهُ[1]
تَخُرّ لِنَهْضِهِ الحِرْبَا ءُ ، سَاجِدَةً يَعَافِرُهُ[2]
تُرَشّفُنِي مَوَارِدُهُ ، وَتَلْفِظُنِي مَصَادِرُه
وَنَائِي الحَجْرَتَيْنِ يَكَا دُ يُدْنِيهِ تَضَافُرُهُ[3]
تَمَسّ أَسِنّةَ الأرْمَا حِ مِنْ طُولٍ مَغَافِرُه
كَأَنّ الشّمْسَ تَرْمُقُهُ فَتُخْجِلُهَا بَوَاتِرُه
وَتَطْرُدُ ضَوْءَهَا مِنْهُ ، عَلَى ذُعْرٍ كَوَاسِرُه
فَمَا يَنْسَابُ لَحْظُ الشّمْـ سِ ، أوْ يَنْسَابُ طَائِرُه
يَمُجّ شُعَاعُهَا تِبْراً ، قَوَادِمُهَا نَوَاثِرُه
دَنَانِيرٌ تَلَمّعُ مِنْ مَوَاقِعِهَا دَيَاجِرُه
تَنَقّلُ فِي مَغَافِرِهِ ، كَمَا انْتَقَلَتْ حَوَافِرُه
وَكُلّ مُلَثّمٍ بِالنّقْـ عِ هَافِيَةٍ غَدَائِرُه
يَخِفّ مُشَيَّعاً كَبُرَتْ بِصَارِمِهِ جَرَائِرُه
وَيَنْثُرُ طَعْنَهُ شَزْراً ، إذَا انْتَظَمَتْ مَفَاخِرُه

١ المسجور : الموقد . الجدد : الأرض الغليظة المستوية ، وما استرق من الرمل .
٢ اليعافر ، الواحد يعفور : ظبي بلون التراب .
٣ الحجرتين : الناحيتين .

وَلَيْسَ كَهَائِبٍ يَلْقَى الرّدى وَالسّيفُ زَاجِرُه
يَرُوحُ عَنِ الوَغى أَبَداً مُرَفَّهَةً ضَوَامِرُه
وَمَا حُطِمَتْ ذَوَابِلُهُ ، وَلا قُرِعَتْ مَحَاضِرُه
وَلا قَبَضَتْ أَنَامِلَهُ عَلى مَالٍ زَوَاجِرُه
وَلا ثُنِيَتْ لَهُ إلاّ عَلى مَجْدٍ خَنَاصِرُه
إذا ذُكِرَ اسمُهُ ارتَجّتْ ، أوِ ارْتَعَدَتْ مَنَابِرُه
وَحِيدٌ في طِلابِ المَجْـدِ ، تَرْفُضُهُ عَشَائِرُه
وَيَعْلَمُ جُرْحُ صَارِمِهِ بِأنّ الرّمْحَ سَابِرُه
فَيَا لَيْثاً يُرَاوِحُهُ قَبِيلٌ لا يُبَاكِرُه
وَيَعْلَمُ مَنْ يُنَازِلُهُ بِأنّ المَوْتَ آسِرُه
وَأيُّ الأُسْدِ قَادَ المَوْتَ تَحْمِيهِ زَمَاجِرُه
تَقُودُ زِمَامَ جَيشٍ أنْتَ أوّلُهُ وَآخِرُه
تَنَطّقَ بِالقَنَا يَحْمَرُّ نَاهِضُهُ وَعَاثِرُه
يَبُزّ اللّيْثَ جِلْدَتَهُ ، إذا أرْدَاهُ بَاتِرُه
وَلا تَلْوِي عَلى سَلَبٍ ، إذا ظَفِرَتْ عَسَاكِرُه
فَيَا غَيْثاً يَغيضُ الغَيْثُ إنْ هَجَمَتْ هَوَامِرُه
وَيَا رَجُلاً تَخَافُ الأُسْدُ إنْ خَفَقَتْ أعَاصِرُه
وَيَا طَوْقاً تَخَاوَصُ عَنْ جَوَانِبِهِ جَبَابِرُه[1]

[1] تخاوص : تغض من بصرها .

وَيَا قَمَراً دُجَاهُ مَا تُثِيرُ لَهُ مَنَاسِرُهُ[1]
وَيَا نَصْلاً تَطَلّعُ مِنْ غِرَارَيْهِ مَحَاذِرُهُ
وَيَا رَوْضاً يُحَيّي مَا رِنَ العَلْيَاءِ نَاضِرُهُ
وَيَا عُوداً تَنُمّ عَلى أعَالِيهِ عَنَاصِرُهُ
وَكَمْ هَزَأَتْ بِعَاجِمَةٍ عَلى طَمَعٍ مَكَاسِرُهُ
يُمَزِّقُ عَنْكَ جَيْبَ النّقْعِ مَصْقُولٌ تسايرُه
وَلَيْلٍ بَاتَ يَسْهَرُهُ، كَأنّ المَجْدَ سَامِرُهُ
يَبُثّ سَوَامَ لَحْظَتِهِ، وَأنْجُمُهُ أزَاهِرُهُ
إذا مَا افْتَرّ خَالَ اللّيْلُ أنّ الفَجْرَ بَاهِرُهُ
وَإنْ أسْرَى يَوَدّ الأفْقُ أنّ البَدْرَ ضَامِرُهُ
وَتَغْشَى في الظّلامِ بِضَوْءِ غُرّتِهِ عَذَافِرُهُ[2]
فَلا عَجَبٌ لَهُ في اللّيْلِ إنْ ضَلّتْ أبَاعِرُهُ
لَقَدْ مَلَكَ الفَخَارَ وَبَاتَ يَنهاهُ وَيأمُرُهُ
جَوَادٌ أنْتَ رَاكِبُهُ، وَسَيْفٌ أنْتَ شَاهِرُهُ
وَلَمْ أرَ في الزّمَانِ فَتًى تَجَنّبُهُ بَوَادِرُهُ
يَحُوطُ الدّهْرُ مُهْجَتَهُ وَتَكْلَؤهَا مَقَادِرُهُ
وَتُقْبَلُ في سِوَاهُ مَتَى جَنَى جُرْماً مَعَاذِرُهُ

. . . . .

١ المناسر ، الواحد منسر : القطعة من الخيل ، أو الجيش .
٢ العذافر : الأسود ، الأشداء من الإبل .

وَلَمّا تاهَ مَدْحي فيـ ـهِ دَلّتْهُ مَآثِرُه
إذا ما ضَلّ نَابُ اللّيْـ ـثِ هَرّتْهُ أظَافِرُه
ألا مَنْ كنتُ شاعِرَهُ ، فَإنّ المَجْدَ شاعِرُه
وَإنّ اللّفْظَ مَطْرُوحٌ عَلى فِكْرِي جَوَاهِرُه
فَأمّا النّظْمُ نَاظِمُهُ ؛ وَأمّا النّثْرُ نَاثِرُه
إذا ما كُنتَ لي فَخْراً ، فَمَنْ هَذا أُفَاخِرُه

كفك مأوى كل مكرمة

يمدح أباه ويذكر غرضاً في نفسه :

شيمي لحاظَكِ عنّا ظَبيَةَ الخَمَرِ ، لَيسَ الصِّبا اليَوْمَ مِن شأني وَلا وَطَرِي[1]
ماتَ الغَرَامُ ، فما أُصْغي إلى طَرَبٍ ، وَلا أُربّي دُمُوعَ العَيْنِ للسّهَرِ
مَنْ يَعشَقُ العِزّ لا يَعنُو لِغَانِيَةٍ ؛ في رَوْنَقِ الصّفْوِ ما يُغني عن الكَدَرِ
شُغِلْتُ بالمَجْدِ عَمّا يُستَلَذّ بِهِ ، وَقائِمُ اللّيلِ لا يَلوِي عَلى السَّمَرِ
طَوَيتُ حَبلَ زَمانٍ . كنتُ أندُبُهُ ، إذا جَذَبْتُ بِهِ باعاً مِنَ العُمُرِ
لا يُبْعِدِ اللهُ مَنْ غارَتْ كَتائِبُهُم ، وَأنجَدَ الشّوْقُ بَينَ القَلبِ وَالبَصَرِ

١ شيمي : اغمدي . الخمر : ما واراك من شجر أو غيره .

يا وَقْفَةً بِوَرَاءِ اللّيْلِ أعْهَدُهَا ، كَانَتْ نَتيجَةَ صَبْرٍ عاقِرِ الوَطَرِ
وَالوَجْدُ يَغصِبُني قَلباً أضَنُّ بِهِ ، وَالدّمْعُ يَمنَحُ عَيني لَذّةَ النّظَرِ
طَرَقْتُهُمْ وَالمَطَايَا يُستَرَابُ بِهَا ، وَاللّيْلُ يَرْمُقُني بِالأنْجُمِ الزُّهُرِ
أصَانعُ الكَلبَ أنْ يُبدِي عَقيرَتَهُ ، وَالحَيُّ منّي، إذا أغفَوْا عَلى غَرَرِ
وَفي الخِبَاءِ الذي هَامَ الفُؤادُ بِهِ ، نَجْلاءُ مِنْ أعيُنِ الغِزْلانِ وَالبَقَرِ
أبْرَزْتُهَا ، فتَحاضَرْنا ، مُبَاعَدَةً عَنِ الخِيَامِ، نُعَفّي الخَطوَ بالأُزُرِ
ثُمّ انثَنَيتُ وَلَمْ أدنَسْ سوَى عَبَقٍ عَلى جُنُوبي لِرَيّا بُرْدِها العَطِرِ
لا أغفَلَ المُزْنُ أرْضاً يَعقِلُونَ بِهَا وَلا طَوَى عَنهُمُ مُستَعذَبَ المَطَرِ
جَرّ النّسيمُ عَلى أعطَافِ دارِهِمُ ذَيلاً ، وَألبَسَها مِنْ رِقّةِ السّحَرِ
وَمَا بُكائي عَلى إلْفٍ فُجِعتُ بِهِ ، إلاّ لكُلّ فتًى كالصّارِمِ الذّكَرِ
مَا حَارَبُوا الدّهْرَ إلاّ لانَ جَانِبُهُ ، إنّ المُشَيَّعَ أوْلى النّاسِ بالظّفَرِ
يا للرّجَالِ ، دُعَاءٌ لا يُشَارُ بِهِ ، إلاّ إلى غَرَضٍ بالذّلّ وَالحَذَرِ
رِدُوا الرّحيلَ فإنّ القَلبَ مُرْتَحِلٌ ، وَسَافِرُوا إنّ دَمعَ العَينِ في سَفَرِ
وَيَوْمَ ضَجّتْ ثَنَايَا بابِلٍ ، وَمَشَتْ بالخَيلِ في خِلَعِ الأوْضَاحِ وَالغُرَرِ
قُمنَا نُجَلّي وَرَاءَ اللّثْمِ كلَّ فتًى كَأنّ حِلْيَتَهُ في صَفحَةِ القَمَرِ
إنّي لأمْنَحُ قَوْماً لا أزُورُهُمُ مَجَّ القَنَا من دَمِ الأوْداجِ وَالثُّغَرِ
طَعناً كمَا صَبّحَ الغُدْرَانَ مُمتَحِنٌ رَمَى ، فَشَتّتَ شَمْلَ المَاءِ بالحجَرِ
وَجاهلٍ نالَ مِنْ عِرْضِي بِلا سَبَبٍ، أمسَكْتُ عَنْهُ بلا عَيٍّ وَلا حَصَرِ

حَمَتْهُ عَنّي المَخازِي أنْ أُعاقِبَهُ ، كَذاكَ تُحمى لحُومُ الذَّوْدِ بالدَّبَرِ[1]
وَمَهمَهٍ كَشِفَارِ البيضِ مُطّرِدٍ بالآلِ ، عارٍ مِنَ الأعلامِ وَالخَمَرِ
إذا تَدَلّتْ عَلَيْهِ الشّمسُ أوْحَشَها تَوَلُّعُ المَوْرِ بالأنهارِ وَالغُدُرِ
غَصَصْتُ تُرْبَتَهُ بالعيسِ مَالِكَةً ، عَلى النَّجاءِ ، رِقَابَ الوِرْدِ وَالصَّدَرِ
أطوِي البِلادَ إلى ما لا أذِلُّ بِهِ مِنَ البِلادِ ، وَمَا أطوِي على خَطَرِ
مَجاهِلاً مَا أظُنُّ الذّئبَ يَعرِفُهَا ، وَلا مَشَى قَائِفٌ فِيهَا عَلَى أثَرِ
يَنْسَى بِهَا اليَقِظُ المِقْدامُ حاجَتَهُ ، وَيُصْبِحُ المَرْءُ فِيهَا مَيّتَ الخَبَرِ
لا تَبْعَدَنّ أمَانيُّ الّتي نَشَزَتْ عَلى الزّمَانِ بأيدي الأينُقِ الصُّعُرِ
إلَيْكَ لَوْلاكَ مَا لَجّ البعَادُ بِهَا ، تَرَى المَنَازِلَ بِالإدْلاجِ وَالبُكَرِ
يا ابنَ النّبيّ مَقَالاً لا خَفَاءَ بِهِ ، وَأحسَنُ القَوْلِ فينا قولُ مُختَصِرِ
رَأيتُ كَفّكَ مأوَى كلّ مَكْرُمَةٍ ، إذا تَوَاصَتْ أكُفُّ القَوْمِ بالعَسَرِ
لَطَابَ فَرْعُكَ ، وَاهتَزّتْ أرَاكَتُهُ في المَجْدِ ، إنّ المَعالي أطْيَبُ الشّجَرِ
ما كلُّ نَسلِ الفَتى تَزْكُو مَغَارِسُهُ ، قَدْ يُفْجَعُ العُودُ بالأوْرَاقِ وَالثّمَرِ
إنّ الرّمَاحَ ، وَإنْ طَالَتْ ذَوَائِبُهَا مِنَ العِدى تَتَوَاصَى عَنكَ بالقِصَرِ
تَسُلّ مِنكَ اللّيَالي سَيْفَ مَلحَمَةٍ يَستنهضُ المَوْتَ بينَ البِيضِ وَالسُّمُرِ
مُشَيَّعُ الرّأيِ إنْ كَرّتْ أسِنّتُهُ ، جَرُّ القَنَا بَينَ مُنَادٍ وَمُنأطِرِ[2]
فَاسلَمْ ، إذا نكَبَ المَرْكوبُ رَاكِبَهُ ، وَاستَأسَدَ الدّهْرُ بالأقدارِ وَالغِيَرِ

١ الذود : القطعة من الإبل . الدبر : الزنابير .
٢ المنآد : المنحني ، المنعطف . المنأطر : المثني .

ابن خيراب

يمدح خاله ويعتذر من البيت
الذي في آخر القصيدة البائية لأنه
عتب عليه لأجله وقد تقدم :

لكَ السَّوابِقُ وَالأَوْضَاحُ وَالغُرَرُ ، وَنَاظِرٌ مَا انْطَوَى عَنْ لحظِهِ أَثَرُ
وَعَاطِفَاتٌ مِنَ البُقْيَا ، إذا جُعِلَتْ مُحَقَّرَاتٌ مِنَ الأَضْغَانِ تَبْتَدِرُ
إطْرَاقَةٌ كَقُبُوعِ الصِّلِّ يَتْبَعُهَا عَزْمٌ يَسُورُ ، فلا يُبْقِي وَلا يَذَرُ[1]
وَاللَّيْثُ لا تَرْهَبُ الأَقْرَانُ طَلْعَتَهُ حتّى يُصَمِّمَ منهُ النَّابُ وَالظُّفُرُ
أنتَ المُؤَدِّبُ أخلاقَ السَّحابِ ، إذا ضَنَّتْ بِدَرَّتِهَا العَرَّاصَةُ الهُمُرُ[2]
من بعدِ ما اصْطَفَقَتْ فيها صَوَاعِقُهَا، وَشَاغَبَ البَرْقَ في أطرَافِهَا المَطَرُ
وَالبالغُ الأمرِ جالَتْ دونَ مَبلَغِهِ سُمرُ القَنَا ، وَأُمِرَّتْ دونَهُ المِرَرُ[3]
وَالقاذِفُ النّفسِ في حمرَاءَ إنْ خفيتْ بالنّقْعِ نَمّ عَلى ضَوْضَائِهَا الشَّرَرُ
في جَحْفَلٍ لَمْ تَزَلْ تَهدِي أوَائِلَهُ مَطالِعٌ مِنْ نِجَادِ الأَرْضِ تنتظِرُ
إنْ نَالَ مِنْكَ زَمَانٌ في تَصَرّفِهِ مَا لا يُمَلِّكُهُ مِنْ غَيرِكَ القَدَرُ
فالبِيضُ تَعلَقُ إنْ سَارَتْ مُهَجَّرَةً مِنَ الشُّحوبِ بِما لا تَعلَقُ السُّمُرُ

١ القبوع ، من قبع : أدخل رأسه في جلده وتوارى .
٢ العراصة : السحابة ذات البرق والرعد . الهمر : السيالة .
٣ المرر ، الواحدة مرة : قوة الخلق وشدته .

مَا ناهَضَ الرِّحلَةَ الخَرْقاءَ مُعتَقِلاً ... بالحَزْمِ مَنْ فَلّ مِنْ آرائِهِ السّفَرُ
فاسلُبْ مَرَاحَ المَطَايا مِنْ مَناسِمِها ... مُزَامِلَ النّجمِ وَالإظْلامُ مُعتَكِرُ[1]
وَجُبْ بَينَ فُرُوجِ اللّيلِ أسنِمَةً ، ... ما استَافَ أخفافَهَا أيْنٌ وَلا ضَجَرُ[2]
خُرْسُ البُغامِ ،تَرُدّ الصّوْتَ كاظمَةً ، ... وَقَدْ تَصَاعَدَ مِنْ أعناقِها الجِرَرُ
كَمْ حَاجَةٍ بِمَكّانِ النّجْمِ قرّبها ... طُولُ التّعَرّضِ وَالرّوْحاتُ وَالبُكَرُ
أسَالَ في اللّيْلِ إفْرِنْدَ الصّبَاحِ بنَا ... سَيْرٌ تَسَاقَطُ مِنْ إدْمانِهِ الأُزُرُ
وَمَشهَدٍ مِثْلِ حَدّ السّيفِ مُنصَلِتٍ ... تَنزِلُ عَنْ غَرْبِهِ الألْبَابُ وَالفِكَرُ
طَعَنْتَ بِالحُجّةِ الغَرّاءِ ثُغرَتَهُ ، ... وَرُمْحُ غَيرِكَ فيهِ العَيُّ وَالحَصَرُ
وَقَسطَلٍ شَرِقَتْ شمسُ النّهارِ بهِ ، ... فأسفَرَ النّقْعُ ، وَالآفَاقُ تَعتَجِرُ
تَسَلّطَتْ فيهِ أطرَافُ الظُّبَى وَدَنَتْ ... عَوَامِلُ السُّمرِ فارْتابَتْ بهَا الثُّغَرُ
فَوّقْتَ فيهِ سِهَاماً غَيرَ طَائِشَةٍ ، ... في حيثُ يَرْمَحُ صَدرَ المَعجِسِ الوَتَرُ[3]
فما استَخفّكَ من حملِ النُّهَى خَرَقٌ ، ... وَلااستَكَفّكَ عن طَعنِ العدى خَفَرُ
وَمَا نَظَرْتَ إلى الأيّامِ مُعْتَبِراً ، ... إلاّ وَأعطاكَ كَنزَ العِبرَةِ النّظَرُ
وَنِعْمَ قَادِحُ زَنْدٍ أنْتَ في ظُلَمٍ ، ... لا يُوقِدُ النّارَ فيها المَرْخُ وَالعُشَرُ[4]
بذِكْرِ جُودِكَ يُستَسقَى المُحولُ إذا ... لمْ يُلْهِ فِيهَا نِسَاءَ الحِلّةِ السّمَرُ

١ المزامل ، من زامله : عادله على البعير .
٢ استاف : اشمّ . الأين : التعب .
٣ المعجس : مقبض القوس .
٤ المرخ والعشر : ضربان من الشجر سريعا الوري .

لمّا جَرَيتَ جَرَتْ خيلٌ سَوَاسِيَةٌ ، وَلّتْ وَخَافَ عَلى أنْفَاسِهَا البَهَرُ[1]

إنّ البَهيمَ إذا مَسّحْتَ جَبْهَتَهُ ، فالحكمُ أنْ تُلطمَ الأوْضَاحُ وَالغُرَرُ

قارَعْتَ دَهرَكَ حتّى لاحَ مَقتَلُهُ ؛ ما استُقبحَ الرّوْعُ حتى استُحسنَ الظّفَرُ

الآنَ نِعْمَ مَقِيلُ التّاجِ لِمتّتُهُ ، وَنِعْمَ مَغْنَى العُلَى أيّامُهُ الزُّهُرُ

تَطِيشُ أمْوَالُهُ وَالبَذْلُ يَطْلُبُهَا ، مَا وَفّرَ المَالَ عَنْ أعْرَاضِهِ وَقَرُ[2]

مُشَيَّعٌ هَذّبَ الأرْماحَ مُذْ فَطَنَتْ إلى طِعَانِ الأعادي ، وَالرّدى غُمَرُ[3]

يَسْرِي مِنَ الكَيدِ جَيشاً لا غُبارَ لهُ ، وَلا طَلائِعَ تَهْدِيهِ وَلا نُذُرُ

كَمْ باتَ في لهَوَاتِ اللّيلِ تَعْرُكُهُ مَا بَينَ أكْوَارِها المَهْرِيّةُ الصُّعُرُ

وَالخَيْلُ تَقدَحُ مِنْ أرْساغِها شَرَراً أمسَى يُعَثّنُ مِنهُ التُّرْبُ وَالمَدَرُ[4]

رَدّ السّيُوفَ ، فمَغلُولٌ وَمُنْثَلِمٌ ، عَلى الرّمَاحِ ، وَمُنْآدٌ وَمُنْأطِرُ

إذا أشَاحَ بِنَصْلٍ في أنَامِلِهِ قَامَتْ تُعَانِقُهُ الهَاماتُ وَالقَصَرُ[5]

نَصْلٌ تَمَطّى المَنَايَا في مَضَارِبِهِ ، إذا المُعَزِّرُ أثْنَى نَصْلَهُ الخَوَرُ[6]

عَارٍ، يُصَافِحُ أعنَاقَ الرّجالِ بِهِ ، يَوْمَ النّزَالِ ، وَمَا في بَاعِهِ قِصَرُ

إذا الوُفُودُ دَعَتْ للضّرْبِ شَفرَتَهُ أطَاعَ فاحتَشَمَتْ من ضِيقِهِ العَكَرُ[7]

١ قوله : خاف هكذا في الأصل ولعلها خيف للمجهول . البهر : انقطاع النفس .
٢ الوقر : الثقل .
٣ الغمر ، الواحدة غمرة ، وغمرة الشيء : شدته ومزدحمه .
٤ يعثن : يدخن .
٥ القصر : أصول الأعناق .
٦ المعزر : المعين النصير ، والملوم . الخور : الضعف .
٧ العكر ، الواحدة عكرة : القطعة من الإبل .

سَأَلْتُ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْماءَ مُقمِرَةً عَنْهُ ، وَهَلْ يُتَمارَى أنّهُ القَمَرُ
نَفْسِي فداءُ أخٍ لمْ يُقْذِ صُحْبَتَهُ ، إذْ كُلُّ صَافِيَةٍ في مَائِهَا كَدَرُ
مَا حَانَ مِنّا لغَيرِ العزّ مُضْطَرَبٌ ، وَلا اطّبَانَا إلى غَيرِ العُلَى وَطَرُ
أأعذُرُ الدّهرَ إذْ جارَتْ حُكُومَتُهُ إذاً فَفُسّقَ عُذْرِي حينَ أعتَذِرُ
عِنْدَ ابنِ خَيرِ أبٍ حَامَتْ أنامِلُهُ عَلَى القَنَا وَمَشَتْ في كَفّهِ البُتُرُ
وَرُبّ قَوْلٍ مَرِيضٍ قَدْ سَهِرْتُ لَهُ ، أفضَى إليّ بهِ عَنْ لَفظِكَ الخَبَرُ
مَا لي تُسَفّهُ أشعارِي الّتي شَهِدَتْ أنّي بِبَعْضِ فَخَارٍ مِنكَ أفتَخِرُ
يا ابنَ الّذين تَبَارَى في نِدائِهِمُ أصْوَاتُنَا ، إنْ عَرَتْ أوْطانَنا الغِيَرُ
إذا كَرّرْنَا حَدِيثاً مِنهُمُ اعتَرَضَتْ تَجلُو قَديمَهُمُ الآيَاتُ وَالسُّوَرُ
وَكَمْ عَدُوٍّ ، إذا شَاغَبْتَ دَوْلَتَهُ يَزْوَرّ عَنْ طَاعَتَيْهِ السّمعُ وَالبَصَرُ
قَدْ كانَ مُلْكُكَ خَلفَ العزّ يرْضَعُهُ حتّى عَصَاكَ فخانَتْ رِشفَهُ الدِّرَرُ
كَمْ حاطِبٍ خانَهُ حَبلٌ ، فأقعَصَهُ ذُلاً ، وَشَرُّ الحِبَالِ الحَيّةُ الذّكَرُ
وَمَجلِسٍ ما أظُنّ الهَمَّ يَعْرِفُهُ ، يَنضُو الكَرَى عَنْ مآقي شَرْبه السّهَرُ
ألمَى الظِّلالِ ، إذا ما القَيظُ جَلّلَهُ تَرَاكَضَتْ في حَوَاشِي رَوْضِهِ الغُدُرُ
مَاءٌ كَجِيدِ الفَتَاةِ الرُّودِ قَابِضَةً مِنَ الحُلِيّ عَلى أثنَائِهِ الزَّهَرُ
ضَمّختَ بالرّاحِ أثوَابَ الكؤوسِ كمَا فَضّ النّسيمَ عَلى أعطافِهِ السّحَرُ
مُتَيَّمٌ بِالعُلَى ، وَالمَجْدُ يَألَفُهُ ، وَمَا مَشَى في نَوَاحي خَدّهِ الشَّعَرُ
يُخَبِّرُ الوَفْدُ مِنهُ عِندَ رِحلَتِهِ ، وَالماءُ يُخبِرُنَا عَنْ وِرْدِهِ الصَّدَرُ
أُعِيذُ مَجدَكَ أنْ يَشكُو إلَيهِ فَمٌ أعدَى على الشّهدِ فيهِ الصّابُ وَالصَّبِرُ

حيّاكَ بالعُذْرِ في عذراءَ قد خرقَتْ عنها الحجابَ وَما اقتُضّتْ لها عُذَرُ
زُفّتْ إليكَ وَسجفُ الخِدرِ يعلقُها، وَمَعْ قَبُولِكَ لا يَغلُو لها مَهرُ

شرف الخمار

يهنىء أخاه بمولودة، وهذه
من أوائل شعره :

لَبستُ الوَغَى قبلَ ثَوْبِ الغُبارِ، وَقارَعْتُ بالنّصْلِ قبلَ الغِرارِ
وَأسْدٍ ، إذا شَعَرَتْ بالحِمَامِ رَأتْ عَيشَها خلفَ ذاكَ الشّعَارِ
طِوَالِ الخُدُودِ، قِصَارِ الحُقودِ، رِوَاءِ الشّفَارِ ، ظِمَاءِ المِهَارِ
وَمُنْتَجِعِينَ دِيَارَ العَدُوّ في كُلّ مُضْطَرِمٍ ذي أوَارِ
بِسُمْرٍ مُثَقّفَةٍ للطّعَانِ ، وَجُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ للغِوَارِ
وَيَوْمٍ خَتَمْنَا عَلَيْهِ الرّدَى ، وَقَدْ فُضّ عَنْهُ خِتَامُ الذّمَارِ
تَصِيدُ قُلُوبَ الأعادِي بِهِ صُدُورُ القَنَا ، وَهيَ هيمٌ ضَوَارِ
إذا سَتَرَ النّقعُ آثارَهَا ، هَتَكْنَ الضّمائِرَ عَنْ كُلّ ثَارِ
قُلُوبُهُمُ بِذُيُولِ الحِمَامِ مِنْ وَقعِ أطرَافِها في عِثَارِ
وَتَجْهَرُ بالمَوْتِ أرْوَاحُهُمْ ، وَسُمْرُ القَنَا مَعَهَا في سِرَارِ
وَقَدْ وَرَدُوا بِصُدُورِ الرّمَاحِ ، كمَا صَدَرُوا بِصُدُورِ الشّفَارِ

كَسَوْنَا قَنَانَا ثِيَابَ الدِّمَاءِ ، وَنَحْنُ مِنَ العَارِ فِيهَا عَوَارِ
لَقَدْ كُنْتُ أَسحَبُ بُرْدَ الشِّماسِ لا يَرْفعُ العَذلُ مُرْخى إزَارِي
فَأصْبَحتُ قَبْلَ نُزُولِ العِذَارِ مُعْتَرِفاً ، صَابِراً للعِذَارِ
ألاَ رُبَّ صَبٍّ بِحُبِّ العُلَى ، وَلِيدِ المَطَايَا ، رَضِيعِ السِّفَارِ
بَعِيدِ المَعَالي ، قَرِيبِ العَوَالي ، صَدِيقِ الأيَادي ، عَدُوِّ النُّضَارِ
فَتًى لا يُعَفِّرُ أحْلامَهُ غِرَارُ التَّصَابي بِأيدِي العُقَارِ
يُمَزِّقُ بالعِيسِ جَيْبَ الدُّجَى ، وَيَهْتِكُ بالخَيْلِ صَدرَ النَّهَارِ
إذا غَاضَ مَاءُ النّدَى أسْبَلَتْ يَدَاهُ بِمَاءٍ مِنَ الجُودِ جَارِ
إذا مَا رَعَتْ في رُبَى جُودِهِ هِزَالُ الأمَاني غَدَتْ كالشِّبَارِ[1]
وَكَمْ نَدِيَتْ مِنْ نَدَاهُ المُنَى ، نَدَى سُمْرِهِ بالنَّجِيعِ المُمَارِ
وَمَنْ كُنَّ يَهْوِينَ خَلْفَ الرَّجاء ، فَأمسَيْنَ مِنْ جُودِهِ في قَرَارِ
كَمَا قَدَّ قَلْبُكَ يا ابنَ الحُسَيْنِ ، مِنْ شَوْقِهِ وَعُيُونِ الفَخارِ
بِمَوْلِدِ غَرّاءَ أعْطَيْتَهَا بُدُوَّ الأهِلّةِ بَعْدَ السِّرَارِ
أغَارَتْ عَلَى الحُسْنِ أسْبَابُهَا ، فَأسْبَابُهُ عِندَهَا في إسَارِ
وَلا عَجَبٌ أنْ تَرَى مِثْلَهَا ، وَزَنْدُكَ في كَرَمِ العِرْقِ وَارِي
نَثَرْنَ عَلَيْهَا سَوَادَ القُلُوبِ ، وَكَانَ الهَنَا في خِلالِ النِّثَارِ
وَلَوْ أنْصَفَ الدّهْرُ لمْ نَقْتَنِعْ بِغَيْرِ قُلُوبِ النّجُومِ الدَّرَارِي
هُنَاكَ بِهَا اللهُ مَا غَرّدَتْ صُدُورُ القَنَا في أعَالي نِزَارِ

---

[1] قوله : كالشبار ، لعله من شبر إذا بطر .

وَأحيَيْا بِهَا لَكَ مَيْتَ العُلَى، وَأرْدَى بِهَا كُلُّ عَابٍ وَعَارِ
وَذَلَّتْ عَمَائِمُ قَوْمٍ بِهَا، كَمَا أنّهَا شَرَفٌ للخِمَارِ
فَحَسْبُكَ فَخْرٌ بِهَذا المَدِيحِ، وَإنْ غاضَ في المدحِ ماءُ افتخارِي
يَزُورُكَ بَينَ قُلُوبِ العُداةِ، فَيَقْطَعُهَا في اتّصَالِ المَزَارِ
غَدَتْ كفُّ مَجدِكَ من مَدحَتي تَجُولُ مَعاصِمُهَا في سِوَارِ

الجار قبل الدار

قال على لسان رجل نزل بقبيلة من
العرب فحمدها فسأله القول في ذلك :

جَرّبتُ آلَ الغَوْثِ ثُمّ تَرَكتُهُمْ مُتَخَيِّراً وَالجَارُ قَبْلَ الدّارِ
السّابِقِينَ إلى مُنَاخِ مَطيّتي، لمّا تَدافَعَتِ العَرِيبُ جِوَارِي
وَالضّارِبِينَ عَلَيّ بَيْتَ زِمَامَةٍ خَسَأَ العَدُوُّ فَما يُطِيقُ ضِرَارِي
أعظَمتُمُ حَسَبي، وَلمّا تَحفِلُوا مَا وَتَّ مِنْ سَلَبي وَلا أطْمارِي
وَعَرَفْتُمُ مِنّي مَخيلَةَ سُودُدٍ خَفِيَتْ وَرَاءَ مَلابِسِ الإقْتَارِ
كَيْفَ اعتِرَافي للزّمَانِ وَرَيْبِهِ، فِعْلَ الذّليلِ، وَأنْتُمُ أنصَارِي
أجمَمتُمُ في الصّبحِ رَاعِيَ هَجمَتي، وَكَفَيْتُمُ باللّيلِ مُوقِدَ نَارِي

عقيد العلى

قال أيضاً في صديق له أهدى إليه
رداء فلم يقبله فعتب عليه فكتب إليه :

عَقِيدَ العُلى لا زِلْتَ تَسْتَعبِدُ العُلى، وَتُعْتِقُ مِنْهَا رِقَّ كُلِّ أسِيرِ
لَئِنْ خَفَّ من ضَافي رِدائِكَ عاتِقي فودُّكَ يَخْطُو في رِداءِ قَتِيرِي[1]
سَتَعْلَمُ أنّ الثّوْبَ يَدْثُرُ رَسْمُهُ، وَرَسْمُ الهَوَى في القَلْبِ غَيرُ دَثُورِ
فَلا تُشْمِتَنَّ الحَاسِدِينَ ، فَسِرُّهم يَشِفّ لِظَنّي مِنْ وَرَاءِ أُمُورِ

سيف وعارض ممطر

يشكر صديقاً له :

لأيِّ صَنَائِعِهِ أشْكُرُ ، وَفي أيِّ أخْلاقِهِ أنْظُرُ
فَتًى طَانَبَ المَجْدُ في بَيْتِهِ ، هُوَ السّيْفُ وَالعارِضُ المُمْطِرُ
فَتًى، كالحُسَامِ وَصَوْبِ الغَمَامِ، ذا يَسْتَهِلّ ، وَذا يُمطِرُ

١ القتير : الشيب .

إذا ازْدَحَمَتْ فيهِ الحَافِظُنَا ، وَقَدْ ضَمّ أعْطَافَهُ المَحْضَرُ
تَرَى أنّ جِلْبَابَهُ لامَــةٌ مِنَ البَأسِ ، أوْ تَاجَهُ مِغْفَرُ
وَأجْرَيْتُ شُكْرِي إلى شأوِهِ، فَجَاءَ ، وَأنْفَاسُهُ تَزْفِرُ

نوام عن الحمد والأجر

قال ومثل ذلك

سَأُنْزِلُ حَاجَاتي إذا طَالَ حَبسُهَا بِأبْوَابِ نُوّامٍ عَنِ الحَمْدِ وَالأجْرِ
بِأرْوَعَ مَصْبُوبٍ عَلى قالبِ الحَيَا ، وَأبْيَضَ مَطبُوعٍ عَلى سِكّةِ البَدرِ

ذوائب العجاج

قال يفتخر وهي من أول قوله :

يا حَبّذا فَوْقَ الكَثِيبِ الأعْفَرِ ، رَكْزُ الذّوَابِلِ في ظِلالِ الضُّمّرِ
وَمُنَاخُ كُلّ مَطِيّةٍ مَعْقُولَةٍ ، وَمَجَالُ كُلّ مُنَاقِلٍ مُتَمَطّرِ[1]

[1] المناقل : الفرس السريع نقل القوائم . المتمطر : المسرع

تَطَرُّحُ الرَّكْبِ الطِّلاحِ عَلى النَّقَا   يَهْفُونَ بَيْنَ مُزَمَّلِ
رُفِعَتْ لِعَيْنِ النَّاظِرِ المُتَنَوِّرِ ،   وَاللَّيْلُ مِثْلُ الوَاقِفِ المُتَحَيِّرِ
نَارٌ كَأَطْرَافِ البُرُوقِ تَشُبُّهَا ،   بِمَطَالِعِ البَيْدَاءِ ، أَيْدي مَعْشَرِ
كَمْ نَفَّرَتْ مِنْ شَجْوِ قَلْبٍ نَافِرٍ ،   وَاسْتَمطَرَتْ مِنْ دَمْعِ عَيْنٍ مُمْطِرِ
لِلّهِ ! أَيَّةُ سَاعَةٍ حَضَرَ الأَسَى   فِيهَا ، فَغُيِّبَ فِي القُلُوبِ الحُضَّرِ
أَجَنَتْ بِهَا غُدْرَ الوَفَاءِ فَلَمْ تَغِضْ ،   وَالغُدْرُ طَامِي المَاءِ غَيْرُ مُكَدَّرِ
وَفَوَارِسٍ رَكِبُوا النَّجاءَ ، وَأَدْلَجُوا   مِنْ مُوغِلٍ خَلْفَ المُنَى وَمُغَرَّرِ[1]
مَرُّوا يَجُرُّونَ الرِّمَاحَ لِغَارَةٍ ،   وَالطَّالِعَاتُ عَنِ الدُّجَى لَمْ تُجْرَرِ
فَكَأَنَّمَا الحَرْبَاءُ لِمَّةُ أَحْلَسٍ   وَلَهَا المَجَرَّةُ مَفْرِقٌ لَمْ يُسْتَرِ[2]
أَفْشَى حَنِينُ رِكَابِهِمْ سِرَّ السُّرَى   لَغَبًا ، فَأَضْمَرَ فِي نَزَائِعَ ضُمَّرِ
نَحَرُوا بِهَا نَحْرَ الفَلَاةِ ، وَقَلَّبُوا   قَلْبَ الظَّلامِ عَلَى ذَمِيلٍ مِسْعَرِ[3]
وَالعِيسُ تَلْطِمُ خَدَّ كُلِّ مَفَازَةٍ ،   وَتُرِيقُ مَا أَبْقَى المَزَادُ وَتَمْتَرِي
وَلَرُبَّ مُنْذَلِقٍ تَمَنْطَقَ سَيْفَهُ ،   بِنَجِيعِ كُلِّ مُمَنْطَقٍ وَمُسَوَّرِ
وَمُسَوِّدٍ بِالغَدْرِ وَجْهَ وَفَائِهِ ،   عَصْفَرْتُهُ بِشَبَا الوَشِيجِ الأَسْمَرِ
فَشَفَيْتُ غُلَّ النَّفْسِ مِنْ حَوْبَائِهِ   نَهَلاً يُعَلُّ مِنَ الدَّمِ المُثْعَنْجِرِ[4]

١ النجاء ، لعلها جمع ناجية : الناقة السريعة .

٢ الحرباء : السماء . الأحلس : الكثير الشعر .

٣ المسعر ، لعله من السعران : شدة العدو .

٤ الحوباء : النفس . المثعنجر : السائل .

خَلَعَ الحَيَاءَ جُنَاتُهُ ، وَصَوَارِمي خَلَعَتْ عَلَيْهِ يَلْمَقاً لمْ يُزْرَرِ
وَلَقَدْ رَمَيتُ ضَميرَهُ مِنْ خَشيَتي بِأحَدّ مِنْ طَرَفِ السّنَانِ ، وَأعقَرِ
وَلَرُبّ روعٍ رُعتُهُ بفَوَارِسٍ ، قَلَبُوا صُدورَ رِماحِهِمْ للأظْهُرِ
فكَدَّرْتُ تحتَ النّقعِ ، من جَبَهاتِهِم مثلَ النّجومِ عَلى العَجَاجِ الأكْدَرِ
وَهُمُ الألى رَبّتْ لَهُمْ أحسابُهُمْ وَلَدَ المَعَالي في حُجُورِ الأعصُرِ
مِنْ كُلّ أبْلَجَ مُذْ تَلَثّمَ وَجهُهُ بالنّقْعِ في طَلَبِ العُلَى لمْ يُسفِرِ
ما زَالَ يَخطِرُ في غَمامَةِ قَسطَلٍ ، بَينَ العَوَالي ، أوْ قَميصِ سَنَوَّرِ[1]
لا يَتّقي الشّمسَ ،الظّهائرَ ،إنْ سرَى ، إلاّ بظِلّ قَناً وَعَارِضِ عِثْيَرِ[2]
في مَعْرَكٍ سَحَبَ العَجاجُ ذَوَائِباً سُوداً بِهِ ، فَوْقَ النّجيعِ الأحْمَرِ
فكَسَفْتُ ضَاحِيَهُ بِنَقْعٍ مُظْلِمٍ ، وَكَشَفْتُ داجِيَهُ بِوَجْهٍ مُقْمِرِ
وكَأنّمَا ثَغَرَ الظّلامُ نُجُومَهُ ، فتَسَاقَطَتْ فَوْقَ الرّمَاحِ الخُطّرِ
أفَلَ السّنَانُ عَنِ الطّعَانِ كَأنّهُ الـ ـمرّيخُ بَعْدَ طُلُوعِهِ كَالمُشتَرِي[3]
وَتَقَعقَعَتْ بَينَ الكُلَى قِصَدُ القَنَا، فَكَأنّ كُلّ حَشًى رِبَابَةُ مَيسِرِ[4]
عَثَرَتْ بأرْيَاشِ القَشَاعِمِ شَمسُهُ . وَالطّعْنُ في هَبَوَاتِهِ لمْ يَعْثُرِ
نَثَرَتْ عَلى بَيْضِ الكُمَاةِ دَرَاهِماً، فَنَثَرْنَ ضَرْباً ، وَهيَ لَمْ تَتَنَثّرِ

١ السنور : السلاح . ولبوس من قد كالدرع .
٢ الظهائر ، الواحدة ظهيرة : انتصاف النهار . العثير : الغبار .
٣ المريخ : نجم أحمر . المشتري : نجم أبيض .
٤ الربابة : خرق تجمع فيها السهام .

لَمْ تَشْعُرِ الهَامَاتُ عِنْدَ نِثَارِهَا بِقَرَارِهَا ، فَكَأَنَّهَا لَمْ تُنْثَرِ
يَجْرُونَ ، وَهِيَ مُقِيمَةٌ ، لكِنَّهَا خَطَّارَةٌ مِنْ مِغْفَرٍ فِي مِغْفَرِ
مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي القَبَائِلَ أنَّنِي مُتَوَطِّنٌ عُنُقَ العَلاءِ بِمَفْخَرِ
أشرَعْتُ ضَمَّ الجُودِ مَشرَعَ تَالِدِي فامتَاحَهُمْ، وَطِلاحُهُمْ لم تَصْدُرِ[1]
جَاءَتْ كَمَا جَاءَ الشِّهَابُ مُضِيئَةً ، تَجلُو الأسَى عَن قَلبِ كُلّ مُفَكّرِ
مِنْ خاطِرٍ خَطَرَتْ بهِ هِمَمُ العُلَى، وَالشِّعْرُ بَعْدُ بِقَلْبِهِ لَمْ يَخْطُرِ
نائي الخَنا، داني النُّهَى، صَافي السَّدى، ضَافي العَطَايَا ، وَالعُلَى وَالمَفْخَرِ

جو من ماء وأرض من نار

أمَا لَوْ لَمْ تُعَاقِرْهُ العُقَارُ ، عُقَارَ الشَّوْقِ مَازَجَهُ الوَقَارُ
وَقَفْنَا نَغْصِبُ الأجْفَانَ مَاءً ، لَهُ مِنْ نَارِ أضْلُعِنَا انْتِصَارُ
فَكَمْ مِنْ نَشْوَةٍ للشَّوْقِ تَهفُو بِصَبْرٍ مَسَّهُ مِنْهَا خُمَارُ
سَقَى دِرَرُ السَّحابِ صَدَى رُبُوعٍ بِمَا يَظْمَا إلَيْهِنَّ المَزَارُ
وَجَاذَبَها فُضُولَ المَحْلِ عَنهَا بِأيْمَانٍ مِنَ الخِصْبِ القِطَارُ
لَيَالِيَ يُوقِظُ التذْكَارُ شَوْقِي ، وَهَجْعَةُ سَلْوَتِي فِيهَا غِرَارُ

١ الضم : الجمع والقبض ، ولم ندرك المراد منها هنا ، ولعله أراد مجموع الجود .

أَلا إنَّ الزّمَانَ قَضَى عَلَيْنَا بِأحْداثٍ لَنَا فِيهَا اعْتِبَارُ
إذا مَا الخَطْبُ ضَلّلَنَا دُجَاهُ ، أَنَارَتْ مَنْ تَحَارُ بِنَا مَنَارُ
نَصُدّ عَنِ الحَيَا ، وَالجَوُّ مَاءٌ ، وَنَسْتَلِمُ الثّرَى ، وَالأرْضُ نَارُ
سَرَيْنَا في ضَمِيرِ البِيدِ حَتّى تَرَكْنَاهَا ، وَنَحْنُ لَهَا شِعَارُ
أَبَا للمَجْدِ مِنْ قَوْمٍ لِئَامٍ ، أَلاَ حُرٌّ عَلى عِرْضٍ يَغَارُ
فَأشجَعُهُمْ ، إذا فَزِعُوا ، جَبَانٌ ، وَأَذكاهُمْ ، إذا نَطَقُوا ، حِمَارُ
لَبُونُكُمُ تَدُرّ لأبْعَدِيكُمْ ، وَعِنْدِي الذّينُ مِنهَا وَالنّفَارُ[1]
لغَيرِي ضَوْءُ نارِكُمُ ، وَعِنْدِي دَوَاخِنُهَا السّوَاطِعُ وَالأُوَارُ
وَجُرْدٍ قَدْ لَبِسْنَ ثِيَابَ لَيْلٍ ، ضَوَامِرَ في أيَاطِلِهَا اقوِرَارُ
بِرَكْبٍ تُرْعَدُ الظّلْمَاءُ مِنهُمْ فَيَسْتُرُهَا مِنَ الجَزَعِ النّهَارُ
يُهَلهِلُ نَسجَ ثَوْبٍ من عَجَاجٍ ، تَشُفّ وَرَاءَ طُرّتِهِ الشِّفَارُ
سَتَرْنَ الجَوّ بالقَسطَالِ حَتّى كَأنّ البَدْرَ أضْمَرَهُ السِّرَارُ
وَيَوْمٍ سُلّطَتْ فِيهِ العَوَالي عَلى الأرْوَاحِ ، وَاخترِمَ الذّمَارُ
نُعَانِقُ فِيهِ أبْكَارَ المَنَايَا ، وَهُنّ لِغَيرِ أنْفُسِنَا ظُؤارُ[2]
وَقَدْ حَجَزَ العَجَاجُ ، فَلا نَجَاءٌ ، وَقَدْ ضَاقَ المَجَالُ ، فَلا قَرَارُ
وَمِلْنَا بِالجِيَادِ عَلى وَجَاهَا ، وَقَدْ دَمِيَ الشّكَائِمُ وَالعِذَارُ
وَقَدْ وَسَمَتْ حَوَافِرُهَا كُؤوساً ، وَمِنْ عَلَقِ الدّمَاءِ لهَا عُقَارُ

١ الذين بكسر الذال : العيب .
٢ الظؤار ، الواحدة ظئر : العاطفة على غير ولدها ، المرضعة له

وَأجرَى الضّرْبُ في الأحشاءِ غَدراً تَبَرَّضُ مَاءَهَا الأسَلُ الحِرَارُ[1]
ضَرَبْنَ لَنَا النّسُورُ رِوَاقَ ظِلٍّ تَلُوذُ بِحَقْوَةِ القُبِّ المِهَارُ
تُحَلّ الهَامُ فِيهِ بِالمَوَاضِي ، وَفي الأعنَاقِ حَبْلُ رَدًى مُغَارُ
تَخُوضُ تَرَائِكاً مِنْهَا لُجَيْناً ، وَتَصْدُرُ، وَهيَ مِن عَلَقٍ نُضَارُ[2]
بِضَرْبٍ يَنْثُرُ الشّفَرَاتِ ، حتى لَهَا في كُلّ جَانِحَةٍ غِرَارُ
بِكُلّ فَتًى يَزِلّ العَارُ عَنْهُ ، إذا مَا هَزّ ضَبْعَيْهِ الفَخَارُ
حُسَامٌ لا يَضِبّ عَلَيْهِ غِمْدٌ . وَلَيْثٌ لا يُطِلّ عَلَيْهِ زَارُ[3]
تَألّفُ حَدّ صَارِمِهِ المَنَايَا ، وَفيهَا عَنْ حُشَاشَتِهِ ازْوِرَارُ
يُجَرِّدُ مِخْضَماً مِنْ صَدْرِ رُمْحٍ ، وَيَرْجِعُ ، وَالفُؤادُ لَهُ سِوَارُ
وَسُمْرِ الخَطّ تَعْثُرُ بِالهَوَادِي ، فَيَجْذِبُهَا إلى المُهَجِ العِثَارُ
وَكَمْ مِنْ طَعنَةٍ في رَحبِ صَدرٍ يَجُوزُ بِها إلى القَلْبِ الصِّدارُ
فَلَوْلا أنّهَا فَهَقَتْ نَجيعاً ، تَخَرّقَهَا لوَسْعَتِهَا الغُبَارُ
وَقَدْ جَشّمَ الرّدَى في كُلّ سَهمٍ لَهُ في كُلّ حَيزُومٍ مَطَارُ
إذا اخْتَارَتْ بَنُو قَيْسٍ نِزَالي رَجَعْتُ وَللرّدَى فِيهَا الخِيَارُ
بِرُمْحٍ طَرْفُهُ يَزْدادُ لَحْظاً ، إذا مَا غَضّ مِنْهُ دَمٌ مُمَارُ
صَمُوتٌ بَيْنَ أطْرَافِ العَوَالي ، وَفي طَعْنِ القُلُوبِ لَهُ خُوَارُ

١ تبرض : تتبلغ بالقليل . الأسل : الرماح . الحرار : العطاش .

٢ الترائك . الواحدة تريكة : بيضة الحديد .

٣ يضب عليه : يحتويه . زأر : صوت الأسد .

إذا سَالَتْ عَوَالِيهِ بِحَتْفٍ ، فَلَيْسَ لهَا سِوَى قَلْبٍ قَرَارُ
يَصُدّ حُسَامُهُمْ عَنْ مَاءِ قَلبي ، وَأعلَمُ أنّ غَرْبَيْهِ حِرَارُ
وَيَنكُصُ رُمْحُهُمْ في الطّعنِ حتّى كَأنّ كُعُوبَهُ عَنّي قِصَارُ
عُقَابُ النّصْرِ تَحتَهُمُ مَهيضٌ ؛ وَنَسْرُ المَوْتِ فَوْقَهُمُ مُطَارُ[1]
لَقَدْ أضْحَكْتُ عَنّي آلَ فِهرٍ بِأرْمَاحٍ بَكَتْ فيهَا نِزَارُ
هُمُ شُهبٌ ، إذا اتّقَدُوا لحَرْبٍ فخِرْصَانُ الرّمَاحِ لهَا شِرَارُ
إذا وَقَفَتْ قَنَاهُمْ عَنْ طِعَانٍ ، فلَيسَ لهَا سِوَى المَوْتِ انتِظَارُ
إذا اطّرَدَتْ أكُفُّهُمُ بِجُودٍ أسَرّتْ مَاءَهَا السّحُبُ الغِزَارُ
بهِمْ ألِفَ الضّرَائِبَ حَدُّ سَيفي ، وَشَجّعَني عَلى الطّلَبِ الخِطارُ[2]

النصل المغمود

قال يفتخر أيضاً :

قَدْ زَيّلَتْ عَظيمَةٌ ، فشَمّري ؛ وَارْضَيْ بما جَرّ القَضَاءُ وَاصْبِري[3]
يا نَفْسِ قَدْ عَنّ المُرَادُ ، فخُذي إنْ كُنتِ يَوْماً تأخُذينَ أوْ ذَرِي

١ أراد بعقاب النصر : الراية .
٢ الخطار : جمع خطر .
٣ زيلت : فرقت .

نُهْزَةُ مَجْدٍ كُنْتُ في طِلابِهَا ، لِمِثْلِهَا يَنصُفُ سَاقِي مِئْزَرِي
عِشْرُونَ أعجلْنَ الصّبا وَجزْنَ بي غَايَاتِهِ ، وَمَا قَضَيْنَ وَطَرِي
فَكَيْفَ بالعَيْشِ الرّطيبِ بَعدَمَا حَطّ المَشيبُ رحلَهُ في شَعَرِي
سَوَادُ رَأسٍ أمْ سَوَادُ نَاظِرٍ ، فَإنّهُ مُذْ زَالَ أقذَى بَصَرِي
مَا كَانَ أضْوَى ذَلِكَ اللّيْلَ على سَوَادِ عِطْفَيْهِ ، وَلَمّا يُقْمِرِ
عُمْرُ الفَتَى شَبَابُهُ ، وَإنّمَا آوِنَةُ الشّيْبِ انقِضَاءُ العُمُرِ
ألاّ صَدِيقٌ في الزّمَانِ مَاجِدٌ أشْكُو إلَيْهِ عُجَرِي وَبُجَرِي[1]
يُعتِقُ مِنْ رِقّ الهَوَانِ عَاتِقاً ، عَجّ مِنْ الضّيمِ عَجِيجَ المُوقَرِ
حَسبيَ مِنْ رَعيِ الهَشيمِ المُجتوَى؛ حَسبيَ مِنْ وِرْدِ الأُجاجِ الكَدِرِ
فَمَا أرَى إلاّ سَوَاماً هُمَّلاً ، أوْ صُوَراً مَذْمومَةً كَالصُّوَرِ[2]
مَا أنَا إلاّ النّصْلُ مَغمُوداً ، وَلَوْ جَرّدَني الرّوْعُ لَبَانَ جَوْهَرِي
لا بُدّ أنْ يَظْهَرَ مَعْرُوفي فَقَدْ طَالَ عَلى مَرّ الزّمَانِ مُنكَرِي
لا بُدّ أنْ أصْدُرَ بَعدَ مَوْرِدِي ، فَرُبّ قَوْمٍ يَرْقُبُونَ صَدَرِي
لا بُدّ أنْ أشعِرَ وَجْهي جُرْأةً ، فَطَالَمَا ذَلّلَ عُنْقِي خَفَرِي
لا بُدّ أنْ أحْمِلَ أبْنَاءَ الوَغَى عَلى خِفَافٍ في الطّرَادِ ضُمّرِ
يَطّلُعُ للنّاظِرِ هَادِي نَقْعِهَا ، طُلُوعَ قَيدُومِ السّحابِ الأغبَرِ[3]

١ عجري وبجري : أمري كله .

٢ الصور : الاعوجاج . وأكال في الرأس .

٣ قيدوم الشيء : مقدمه وصدره .

حَوَامِلاً إلى العِدَى خَطِّيَّةً تُعِيرُ طَرْفَ البَطَلِ المُقَطَّرِ[1]
مِنْ كُلِّ أظْمَى نَاهِلٍ سِنَانُهُ أوْ حَسَنِ الإثْرِ قَبِيحِ الأثْرِ
يَنْطَحْنَ بِالأقْرَانِ بَيْنَ مُعْلَمٍ بالدَّمِ ، أوْ مُعَلَّمٍ بِالعِثْيَرِ
كُلُّ جَرِيِّ القَلْبِ في مُقْتَحَمٍ للرَّوْعِ ، مَغْرُورٍ بِهِ مُغَرَّرِ
عَمَائِمٌ مِنَ التَّرِيكِ وُضَّحٌ عَلى جَلابِيبٍ مِنَ السَّنَوَّرِ
كَأنَّمَا فَوْقَ قَطَا جِيَادِهَا أُسُودُ خَفّانٍ وَجِنُّ عَبْقَرِ
مِنْ كُلِّ مَمْشُوقٍ يُجَارِي ظِلَّهُ كالطَّائِرِ الزَّائِفِ في التَّمَطُّرِ[2]
مُرَوَّعٍ مِنْ حَوْلِهِ كَأنَّهُ صَالٍ يَقِي البَرْدَ نَوَازِي الشَّرَرِ
دونَكَ فانظُرْني ، فإنْ جَهِلتَني ، فَرُبَّمَا دَلَّ عَلَيَّ مَنْظَرِي
كَيفَ وَقَدْ طابَتْ أُصُولُ دَوْحَتي تُمِرُّ للجَانِينَ يَوْماً ثَمَرِي
أوَائِلِي مَنْ قَدْ عَلِمتَ في العُلَى ، وَمَعْشَرِي عَلى القَدِيمِ مَعْشَرِي
ذَوَائِبُ المَجْدِ المُنِيفَاتُ عَلى جَمَاجِمٍ مُنِيفَةٍ في مُضَرِ
ذَوُو البِطاحِ الفِيحِ وَالبيتِ الذي يَعْلُو الوَرَى وَالعَدَدِ المُجَمْهَرِ
كُلَّ عُذَيْقٍ في العُلى مُرَجَّبٍ عِزّاً وَعَوْدٍ في العُلى مُجَرْجِرِ[3]
كَمْ يَوْمِ مَجْدٍ ظَاهِرٍ فَخَارُهُ عَنْهُمْ ، ظُهورَ الأبْلَقِ المُشَهَّرِ
يا قَدَمِي دونَكِ مَسعاةَ العُلَى ، قَدْ ضَمِنَ الإقبالُ أنْ لا تَعثِرِي

1 تعير ، من أعوره : صيره أعور . المقطر : المصروع على أحد قطريه ، أي شقيه وجانبيه .
2 التمطر : إسراع الطير في هويه .
3 العود : المسن من الإبل .

لَيَسْكُثُرَنْ خَطْوُكِ ، أوْ تَنتَعِلِي   سَرِيرَ مُلْكٍ ، أوْ مَرَاقِي مِنْبَرِ
لا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أعِزَّ نَصْرُهُ ،   يُقِرُّ عَيْنَ الوَاجِدِ المُسْتَعبِرِ
فإنْ نُصِرْتِ ، فالنّعيمُ مُدّةً ،   وَالمَضْجَعُ العاذِرُ إنْ لمْ تُنْصَرِي
كَمْ مَطْلَبٍ مُنتَظَرٍ خِدمَتُهُ ،   وَمَطْلَبٍ جاءَ وَلَمْ أنْتَظِرِ
عِلّةُ مِثْلِي السّيفُ لا مُمرِضَةٌ   أضُجّ مِنْهَا كَضَجيجِ الأدْبَرِ[1]
لا بُدّ مِنْ تَعْفِيرِهِ في تُرْبِهَا   بِالدّاءِ ، أوْ بِالقَاطِعِ المُذَكَّرِ
فَبالسّقَامِ ذِلّةٌ لِمَنْ قَضَى ،   وَبالظُّبَى أعَزُّ للمُغَفَّرِ
فإن أمُتْ من دونِها يَمضِي الرّدَى   بِمُعْذِرٍ في السّعيِ لا بِمُعْذِرِ[2]
وَإنْ أعِشْ هُنَيْهَةً . فَرُبّمَا   شَقّ عَلى أُذْنِ العَدُوّ خَبَرِي

فجر الردى

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الخَيْلَ دامِيَةً .   تَختَالُ في أعْطَافِهَا السُّمْرُ
في ظُلْمَةٍ مِنْ لَيْلِ غَيْهَبِهَا ،   مَا إنْ لهَا إلاّ الرّدَى فَجْرُ
فَكَأنّ مَجّ دَمِ النّحُورِ بِهَا   إثْرَ الطّعَانِ مَقَاوِدٌ حُمْرُ

١ الأدبر : المقروح .
٢ المعذر الأولى : بمعنى أتى بما يعذر عليه ، أبدى عذراً ، والثانية : بمعنى مقصر ، أو مذنب

آين الذوائب من الخافر

قال أيضاً في المحرم سنة ٣٨٨ :

ما عِندَ عَينِكَ في الخيالِ الزّائِرِ ... أطُرُوقُ زَوْرٍ أمْ طَمَاعَةُ خاطِرِ
بَاتَ الكَرَى عِندي يُزَوِّرُ زَوْرَةً ... مِنْ قَاطِعٍ نَاثي الدّيَارِ مُهَاجِرِ
أحْذاكَ حرَّ الوَجْدِ غيرَ مُساهِمٍ، ... وَسَقَاكَ كأسَ الهَمّ غيرَ مُعَاقِرِ
إنّ الظّعَائِنَ يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ ... عَاوَدْنَ قَلْبي عِنْدَ يَوْمِ الحَاجِرِ
سَارَتْ بهِمْ ذُلُلُ الرّكابِ فَلا رِوًى ... للظّامِيَاتِ، وَلا لَعاً للعَاثِرِ
كَمْ في سُرَاها مِنْ سُرُوبِ مَدامعٍ ... تَقْفُو سُرُوبَ رَبَارِبٍ وَجَآذِرِ[1]
حلَبَتْ ذَخائِرَها المَدامِعُ بَعدَكم ... في أرْبُعٍ قَبْلَ العَقيقِ دَوَاثِرِ
يَبكِينَ حيّاً خَفّ غيرَ مُقَايِضٍ ... بهَوًى، وَحَيّاً قَرّ غَيرَ مُزَاوِرِ
لَوْ تَحفِلُونَ بِزَفْرَةٍ مِنْ وَاجِدٍ، ... أوْ تَسْمَعُونَ لأنّةٍ مِنْ ذاكِرِ
لا تَحْسَبُوا أنّي أقَمْتُ، فإنّمَا ... قَلْبُ المُقِيمِ زَمِيلُ ذاكَ السّائِرِ
قالوا: المَشيبُ! فعِمْ صَباحاً بالنُّهَى، ... وَاعقُرْ مَرَاحَكَ للطّرُوقِ الزّائِرِ
لَوْ دامَ لي وُدُّ الأوَانِسِ لَمْ أُبَلْ ... بطُلُوعِ شَيْبٍ وَابيضَاضِ غَدائِرِ
لَكِنّ شَيبَ الرّأسِ إنْ يَكُ طالِعاً ... عِندي فوَصْلُ البِيضِ أوّلُ غَائِرِ

[1] سروب المدامع : جريانها . السروب الثانية واحده سرب : القطيع . الربارب ، الواحد ربرب : القطيع من بقر الوحش . الجآذر ، الواحد جؤذر : ولد البقرة الوحشية .

وَاهاً عَلى عَهْدِ الشّبَابِ وَطِيبِهِ ، وَالغَضُّ مِنْ وَرَقِ الشّبَابِ النّاضِرِ
وَاهاً لَهُ مَا كَانَ غَيرَ دُجُنّةٍ ، قَلَصَتْ صُبَابَتُهَا كَظِلّ الطّائِرِ[1]
سَبعٌ وَعشرُونَ اهتَصَرْنَ شَبيبَتي ، وَألَنّ عُودِي للزّمَانِ الكَاسِرِ
كَانَ المَشيبُ وَرَاءَ ظِلٍّ قَالِصٍ لأخي الصّبَا ، وَأمَامَ عُمرٍ قَاصِرِ
وَأرَى المَنَايَا إنْ رَأتْ بكَ شَيبَةً جَعَلَتْكَ مَرْمَى نَبْلِهَا المُتَوَاتِرِ
تَعْشُو إلى ضَوْءِ المَشيبِ فتَهتَدِي، وَتَضِلُّ في لَيْلِ الشّبَابِ الغَابِرِ
لَوْ يُفْتَدَى ذاكَ السّوَادُ فَدَيْتُهُ بِسَوَادِ عَيْني بَل سَوَادِ ضَمائِرِي
أبَيَاضُ رَأسٍ وَاسوِدادُ مَطالِبٍ ؟ صَبراً عَلى حُكْمِ الزّمَانِ الجَائِرِ
إنْ أصْفَحَتْ عَنهُ الخُدودُ، فطالمَا عَطَفَتْ لَهُ بِلَوَاحِظٍ وَنَوَاظِرِ
وَلَقَدْ يَكُونُ وَمَا لَهُ مِنْ عاذِلٍ ، فَاليَوْمَ عَادَ وَمَا لَهُ مِنْ عَاذِرِ
كَانَ السّوَادُ سَوَادَ عَينِ حَبيبِهِ ، فَغَدا البَيَاضُ بَيَاضَ طَرْفِ النّاظِرِ
لَوْ لمْ يَكُنْ في الشّيْبِ إلاّ أنّهُ عُذْرُ المَلُولِ وَحُجّةٌ للهَاجِرِ
سَالِمْ تَصَارِيفَ الزّمَانِ ، فمَنْ يرُمْ حَرْبَ الزّمانِ يَعُدْ قَليلَ النّاصِرِ
مَنْ كانَ يَشكو من رَشَاشِ خُطُوبِه فَلَقَدْ سَقَاني بالذَّنُوبِ الوَافِرِ[2]
أبْلِغْ ظِبَاءَ الحَيّ أنّ فُؤادَهُ قَطَعَ العَلاقَةَ ، وَارْعَوَى للزّاجِرِ
أوْرَدْتَني فَعَلِمْتُ أنّ مَوَارِدِي ، لَوْلا النُّهَى، لمْ أدْرِ أيْنَ مَصَادِرِي

[1] قلصت : انقبضت . الصبابة : بقية الماء ، استعارها لبقية الدجنة ، أي الظلمة .

[2] الذنوب : الدلو .

فَالَتُ لُبّاً مِنْ عَلائِقِ صَبْوَةٍ ، وَنَشِطْتُ قَلْباً مِنْ جوًى مُتَخامِرِ[1]
أنا مَنْ عَلِمْتُنّ ، الغَداةَ ، نَقيّةٌ أُزُرِي، وَضامِنَةَ العَفافِ مَآزِرِي
فاعْرِفْنَ كَيْفَ شَمَائِلِي وَضَرائِبي ، وَانْظُرْنَ كَيْفَ مَناقِبي وَمَآثِرِي
كمُعاقِدِ الجَبَلِ الأشَمّ مُعَاقِدِي، وَمُجَاوِرِ البَيْتِ الحَرَامِ مُجاوِرِي
لمْ يَشْتَمِلْ قَلْبي الرّجاءَ وَلَمْ يكُنْ طَرْفي جَنِيبَةَ كُلّ بَرْقٍ نَائِرِ
وَأبَيْتُ أنْ تَرِدَ المَطالِبَ هِمّتي ، أوْ أنْ يُسِفّ إلى المَطامعِ طائِرِي
أسعَى عَلَى أثَرِ النّوَائِبِ مُنْصِفاً مِنْها ، وَآسِي كُلّ عِرْقٍ نَاغِرِ
قُلْ لِلأعَادي جَنّبُوا عَنْ ساحِلِي، لا يُغْرِقَنّكُمُ التِطَامُ زَوَاخِرِي
لَوْلا خُمُولُكُمُ لَقَدْ قُلِّدْتُمُ عَاراً بِنَظْمِ غَرَائِبِي وَسَوَائِرِي
أخزَيْتُمُ ذا كَبْرَةٍ وَتَكاوُسٍ ، وَفَضَلْتُمُ ذا وَدْعَةٍ وَقَرَاقِرِ[2]
فَتَنَاذَرُوا نَابَ الشّجَاعِ مَشَى بِهِ جِنحُ الدُّجَى ، وَيَدُ العَقورِ الخادِرِ
يا سَاعِياً لِيَنَالَ مَطْمَحَ غَايَتي ، أيْنَ الذّوَائِبُ مِنْ مَدَقّ الحَافِرِ
إذْهَبْ بِسَبّي إنْ سَبَبْتُكَ فاخِراً، قَدْ نَوّهَتْ بِكَ ضَرْبَةٌ مِنْ باتِرِ
مِنْ عَارِ هذا الدّهرِ نَيْلُكَ للعُلَى، وَجُنُونُ هذا المَنجَنونِ الدّائِرِ[3]
قَوْمي الأُولى لَحَبُوا إلى نَيْلِ العُلَى وَضَحَ الطّرِيقِ لمُنجِدٍ أوْ غَائِرِ

---

١ فالت : فاجأت ، صادفت ، ولعلها أفلت أي خلصت وأطلقت .

٢ التكاوس : تراكب اللحم ، وكثرة العشب والتفافه . الودعة من الودع : مناقيف صغار تخرج من البحر ، أو جوف في جوفها دويبة، وقد يعلق الودع في أعناق الأطفال أو على صدورهم وقاية لهم من العين الشريرة . القراقر : الحادي الحسن الصوت .

٣ المنجنون : الدولاب يستقى عليه . وأراد دوران الدهر .

أخذُوا المَعالي عَنْ مُتُونِ قَوَاضِبٍ تَرِدُ الغِوَارَ وَعَنْ ظُهُورِ ضَوَامِرِ
وَعَنِ الرِّمَاحِ يَشِيطُ في أطْرَافِهَا بالطَّعْنِ كُلُّ مُغَامِرٍ وَمُغَاوِرِ[1]
قَوْمٌ إذا اشتَجَرَتْ عَلَيْهِمِ خُطَّةٌ زَعَمُوا النّوَائِبَ بِالقَنَا المُتَشَاجِرِ
وَإذا التقَتْ أيْدِيهِمُ في أزْمَةٍ سَاجَلْنَ أذْنِبَةَ السّحَابِ المَاطِرِ
لا نَارُهُمْ نَارٌ مُغَمَّضَةٌ ، وَلا أبْيَاتُهُمْ بِالغَائِطِ المُتَزَاوِرِ[2]
وَتَسُوفُ أفْوَاهُ المُلُوكِ أكُفَّهُمْ سَوْفَ السَّوَامِ رَبِيعَ رَوْضٍ بَاكِرِ[3]
شُجَعَاءُ أفْئِدَةٍ بِغَيرِ صَوَارِمٍ ، خُطَبَاءُ ألْسِنَةٍ بِغَيرِ مَنَابِرِ
ذَمَرُوا قُلُوبَ المَادِحِينَ ؛ وَإنّمَا مَدْحُ المُلُوكِ شَجَاعَةٌ للشّاعِرِ[4]
يَتَغَايَرُونَ عَلى السَّمَاحِ ، كأنّمَا يَتَغَايَرُونَ عَلى وِصَالِ ضَرَائِرِ
أهْدِي إلى قَوْمي نَصِيحَةَ حَازِمٍ طَبٍّ بِأدْوَاءِ الضّغَائِنِ خَابِرِ
لا تَنْظُرُوا الجَاني لِمَحْوِ ذُنُوبِهِ بِمُلَفَّقَاتِ تَنَصُّلٍ وَمَعَاذِرِ
لَنْ تَظْفَرُوا بالعِزّ حتّى تَصْبُغُوا ثَوْبَ المَعَالي بالنّجِيعِ المَائِرِ
لا تَعْتَبُوا إلاّ بِألسِنَةِ القَنَا ، فَلَهُنّ إطْآرُ البَعِيدِ النّافِرِ[5]
وَدَعُوا التّظاهُرَ بالحُلُومِ ، فإنّهَا سَبَبُ انْبِعَاثِ جَرَائِمٍ وَجَرَائِرِ
لا تُخْدَعَنّ ، فَمَا عُقُوبَةُ قَادِرٍ إلاّ بِأحْسَنَ مِنْ تَجَاوُزِ قَادِرِ

١ يشيط : يهلك .
٢ المغمضة : المبهمة ، ولعله أراد المخفية لئلا يراها طراق الليل . الغائط : المطمئن من الأرض . المتزاور : المنحرف .
٣ تسوف : تشم .
٤ ذمروا : شجعوا .
٥ الإطآر : العطف من أطر .

ضرب المجد عليهم بيته

يفتخر بالاسلام وبقوته على الفرس
وذلك في ذي الحجة سنة ٣٩٧ وقد
اجتاز بالمدائن ونظر إلى إيوان كسرى:

قَرَّبُوهنّ لِيُبْعِدْنَ المَغَارَا ، وَيُبَدّلْنَ بِدارِ الهُونِ دارَا
وَاصْطَفُوهنّ لِيُنْتِجْنَ العُلَى بالعَوَالي ، لا لِيُنْتِجْنَ المِهَارَا
في بُيُوتِ الحَيّ أدْنَى مَنْزِلاً ، وَمَقامَاتٌ مِنَ البِيضِ العَذارَى
أخْدِمُوهُنّ الغَوَاني غَيْرَةً ، إنّهُمْ كانُوا على المَجدِ غَيَارَى
غُرَرٌ تَقْنِصُ مَنْ لاطَمَهَا يَوْمَ تُمسِي لَطمَةُ الذِّمرِ جُبَارَا[1]
جَلّلُوهَا الرَّقْمَ مِنْ عِزّتِهَا ، وَأدَرّوا لمَقَارِيهَا العِشَارَا[2]
أقْضَمُوهَا بَدَلَ الرُّطْبِ الجَنَى ، وَسَقَوْهَا بَدَلَ المَاءِ العُقَارَا[3]
كُلُّ مَحبُوكِ القَرَا تَحسَبُهُ طائِراً أوْفَى على النِّيقِ ، وَطَارَا[4]
تَخْرُجُ النَّبْأةُ مِنْهُ وَثْبَةً ، مَضْرِبَ الرّيحِ عَلى الطّوْدِ الإزَارَا
يَلحَقُ الرّمحَ ، وَلَوْ كُنّ القَنَا كَسِيَاطِ الاعوَجِيّاتِ قِصَارَا

١ الذمر : الشجاع . جباراً : هدراً .
٢ الرقم : الثوب المخطط . المقاري : أراد الضيوف . العشار : النياق التي مضى على حملها عشرة أشهر .
٣ الرطب : العشب .
٤ القرا : الظهر . النيق : أرفع موضع في الجبل .

وَأغَرُّ الخَلْقِ ، وَالخُلْقُ لَهُ نَسَبٌ رُدِّدَ في السَّيْفِ مِرَارَا
وَبَيَاضُ الخُلْقِ أعلى رُتْبَةً مِنْ بَيَاضٍ زَانَ وَجهاً وَعِذارَا
سَلْ بِقَوْمٍ نَزَلَ الدّهْرُ بِهِمْ ، فَأسَاءَ اللُّبْثَ فِيهِمْ وَالجِوارَا
لَمْ تَكُنْ عَلْيَاؤهُمْ مَنْحُولَةً أبَدَ الدّهْرِ ، وَلا المَجدُ مُعَارَا
طَيِّبُو الأرْدانِ إنْ جَالَسْتَهُمْ قُلْتَ دارِيّونَ قَد فَضّوا العِطارَا[1]
كانَ نَشْرُ المِسكِ باقي عَهدِهِمْ ، وَعُهُودُ النّاسِ دِمْناً وَذِثَارَا[2]
نَابَ عَرْفُ الطّيبِ عن نارِ القِرَى في لَيَالِيهِمْ ، إذا الطّارِقُ حَارَا
ضَرَبَ المَجْدُ عَلَيْهِمْ بَيْتَهُ وَغَدَوْا دونَ حِمَى المَجدِ إطارَا
شَذّبَتْ أيْدِي اللّيَالي مِنْهُمُ عَدَداً لا يَرْأمُ الضَّيمَ كِثَارَا[3]
عانَقُوا الهَضْبَ، وَكانُوا هَضْبَةً لا يُلاقي عِندَها السّيلُ قَرَارَا
صَدَعَ المِقْدارُ فِيهِمْ صَدْعَةً مَنْبَذَ القَعْبِ أبَى إلاّ انكِسَارَا[4]
لمْ تَكُنْ خَتْلاً ، وَلَكِنْ غارَةً أمِنَ الشَّلّةَ مَن لاقَى العِوَارَا[5]
قَدْ نَزَلْنَا دارَ كِسْرَى بَعدَهُ أرْبُعاً مَا كُنّ للذّلّ ظُؤارَا
أسفَرَتْ أعْطَانُهَا عَنْ مَعْشَرٍ شَغَلوا المَجدَ بهِمْ عَن أنْ يُعارَا
تَصِفُ الدّارُ لَنَا قُطّانَهَا : المَعَالي ، وَالمَسَاعي وَالنِّجَارَا

١ داريون : نسبة إلى دارين ، بلد مشهور بمسكه .
٢ الدمن : السرقين والزبل . الذثار : السرقين قبل خلطه بالتراب .
٣ يرأم الضيم : يألفه .
٤ منبذ ، من نبذه : طرحه ورمى به لقلة الاعتداد به . القعب : القدح الضخم .
٥ الشلة : أن يصيب الثوب سواد لا يذهب بالغسل . العوار : الخرق والشق بالثوب .

وَإذا لمْ تَدْرِ مَا قَوْمٌ مَضَوْا ، فَسَلِ الآثَارَ وَاستَنْبِ الدّيَارَا
آلُ سَاسَانَ حَدا الخَطبُ بِهِمْ ، وَاستَرَدّ الدّهْرُ مِنهُمْ مَا أعَارَا
بَعْدَمَا شَادُوا البُنَى تَرْفَعُها عَمَدُ المَجْدِ قِبَاباً وَمَنَارَا
كُلُّ مَلمُومِ القَرَا صَعْبِ الذّرَى، يَزْلَقُ العِقْبَانُ عَنْهُ وَالنّسَارَا
جَعجَعُوا الإيوَانَ في مَبْرَكِهِ ، مَبرَكَ البَازِلِ قد قضّى السّفَارَا
حَمَلَ الدّهْرَ إلى أنْ رَدّهُ ضَاغِطَ العِبْءِ ضُلُوعاً وَفِقَارَا
مُطْرِقاً إطْرَاقَ مَأمُونِ الشّذَا غَمَرَ النّادِيَ حِلْماً وَوَقَارَا[1]
أوْ مَلِيكٍ وَقَعَ الدّهْرُ بِهِ ، فَأمَاطَ الطّوْقَ عَنْهُ وَالسّوَارَا
أوْهَنَتْ مِنْهُ اللّيَالي فَقْرَةً ، لا يُلاقي وَهْنَهَا اليَوْمَ جُبَارَا
أينَ لا أينَ المَعَالي جَمّةً ، وَالحِمَى أفيَحَ ، وَالرّأيُ مُغَارَا
وَرِجَالٌ شُدِخَتْ أوْضَاحُهُمْ ، غَلَبُوا الأعْنَاقَ مَنّاً وَإسَارَا[2]
يُهْمِلُونَ المَالَ إهْمَالَهُم غَارِبَ السّرْحِ وَيَرْعَوْنَ الذّمارَا
كُلُّ مَوْقُوذٍ مِنَ التّاجِ لَهُ نَهَرٌ يَسقي يَلَنْجُوجاً وَغَارَا[3]
ذي ضِيَاءٍ إنْ جَلا عِرْنِينَهُ ضَوّأ اللّيْلَ ، وَمَا أوْقَدَ نَارَا
تَسْكُنُ الضّوْضَاءُ عَنْهُ هَيْبَةً مثلَ مَا لَبّدَتِ المُزْنُ الغُبَارَا
كَزَئِيرِ اللّيْثِ يَنْفي صَوْتُهُ ، عَنْ خَفاً فيهِ ، ثُؤاجاً وَيُعَارَا[4]

١ الشذا : الأذى .
٢ أوضاحهم : جماعاتهم .
٣ الموقوذ : الثقيل . اليلنجوج : العود يتبخر به .
٤ عن خفاً فيه : هكذا في الأصل ولعلها محرفة عن : حفافيه أي جانبيه . الثؤاج : صياح الغنم . اليعار : صوت المعزى .

عُمَرُوا لَمْ يَعْلَمُوا أنّ لَنَا جَائِزَ الأمْرِ عَلَيْهِمْ وَالإمَارَا
قَدّرُوا جَدّ نِزَارٍ وَاقِفاً ، وَمَشَى الجَدُّ فَما عَزّوا نِزَارَا
لاوَذُوا لمّا رَأوْا مِنْ دُونِهِمْ وَادِياً يُلْقِي بِهِ السّيْلُ غِمَارَا[1]
عَايَنُوا الضّرْبَ دِرَاكاً في الطُّلى، يُعجِلُ الفارِسَ ، وَالطّعنَ بِدارَا
أصْحَرَ اللّيثُ العِفِرْنَى ، فانثَنى يَطلُبُ اليَرْبوعُ في الأرْضِ وِجارَا
قَهْقَرُوا الشّرْكَ عَلى أعْقَابِهِ ، بَعْدَمَا استَقدَمَ غَيّاً وَضِرَارَا
وَأثَارُوا الدّينَ مِنْ مَرْبِضِهِ ، وَأطَارُوا عَنْ مَجالِيهِ الخِمَارَا
دايَنُوا المَجْدَ بِأطْرَافِ القَنَا ، فَغَدا عَيْناً ، وَقَدْ كانَ ضِمَارَا
عَلِمُوا ، لمّا أذِيقُوا بَأسَنَا ، أنّ عِقْبَ الجَرْيِ قد بَذّ الحِضَارَا
لا أغَبَّ الدّارَ مِنْ بَعدِهِمُ شُوَّلٌ يَحْمِلْنَ وَبْلاً وَقِطَارَا[2]
في غَمَامٍ بُهَّلٍ أخْلافُهَا ، أطْلَقَ الرّاعِدُ عَنْهُنّ الصِّرَارَا[3]
مُثْقَلاتٍ تَرْجُمُ الوَدْقَ ، بِهَا كَأكُفّ الحَجّ يَرْمُونَ الجِمارَا
تَحْفِزُ المَاطِرَ في جَرْعَائِهَا ، نَغَرَ العِرْقُ إذا ما العِرْقُ فَارَا[4]
كُلُّ دَهْمَاءَ تَرَى القَطْرَ بِهَا مِنْ لُجَيْنٍ، وَتَرَى البرْقَ نُضَارَا
جَهْمَةٌ تَضْرِبُ غارَيهَا الصَّبَا ، رَجّةَ الرّكْبِ يكُدّونَ البِثَارَا[5]

١ لاوذوا : راوغوا .
٢ الشول ، الواحدة شائلة : لعله أراد بها السحابة المرتفعة من شالت الناقة ذنبها رفعته .
٣ البهل : التي لا صرار عليها . والصرار : ما يربط به ضرع الناقة لئلا يرضعها ولدها .
٤ تحفز : تسوق . الجرعاء : رملة مستوية . نغر العرق : سال الدم منه .
٥ غاريها مثنى الغار : الجيش . يكدون : ينزعون . البثار : جمع بثر .

كَالمَطَايَا أَقْبَلَتْ مَرْحُولَةً ، شَلّهَا حَادٍ ، إذا أنْجَدَ غَارَا
أَوْ نَعَامُ الدّوّ بَادَرْنَ الدُّجَى ، يَتَجَاوَبْنَ عِرَاراً وَزِمَارَا[1]
طاوَلُوا الدّهرَ وَلَمْ يَبقَوا ، وَمَنْ يَأمَنُ اللّيْلَ عَلَيْهِ وَالنّهَارَا

لله ملقى على الرمضاء

يرثي الحسين بن علي بن أبي طالب
عليهما السلام في عاشورا سنة ٣٧٧ :

صَاحَتْ بِذَوْدِيَ بَغْدادٌ ، فَآنَسَني تَقَلُّبي في ظُهُورِ الخَيْلِ وَالعيرِ
وَكُلّما هَجهَجَتْ بي عَنْ مَنَازِلِها عَارَضْتُهَا بِجَنَانٍ غَيرِ مَذْعُورِ
أطْغَى عَلى قَاطِنِيهَا غَيرَ مُكْتَرِثٍ ، وَأفْعَلُ الفِعْلَ فيهَا غَيرَ مَأمُورِ
خَطْبٌ يُهَدّدُني بالبُعدِ عَن وَطَني ، وَمَا خُلِقتُ لغَيرِ السّرْجِ وَالكُورِ
إنّي ، وَإنْ سَامَني ما لا أُقَاوِمُهُ ، فَقَد نَجَوْتُ وَقِدحي غَيرُ مَقْمُورِ
عجلانَ ألبِسُ وَجهي كُلّ داجيَةٍ ، وَالبَرُّ عُرْيَانُ مِنْ ظَبْيٍ وَيَعفُورِ
وَرُبَّ قَائِلَةٍ ، وَالهَمُّ يُتْحِفُني بِنَاظِرٍ مِنْ نِطَافِ الدّمعِ مَمطورِ :
خَفّضْ عَلَيكَ ، فلِلأحزَانِ آوِنَةٌ ، وَمَا المُقِيمُ عَلَى حُزْنٍ بِمَعْذُورِ

[1] الدو : الفلاة . العرار : صياح الظليم . الزمار : صوت النعام .

فقلتُ: هيهاتَ! فاتَ السَّمعُ لائمَه، لا يُفْهِمُ الحزْنُ إلاّ يوْمَ عاشُورِ
يوْمٌ حدَا الظُّعنَ فيهِ لابنِ فاطمةٍ سِنانُ مُطّرِدِ الكَعْبَيْنِ مَطْرُورِ[1]
وخرّ للموْتِ لا كفٌّ تُقلّبُهُ، إلاّ بوَطْءٍ منَ الجُرْدِ المَحاضيرِ[2]
ظَمْآنَ سلّى نَجيعُ الطّعنِ غُلّتَهُ عَنْ باردٍ من عُبابِ الماءِ مقرُورِ
كأنّ بيضَ المَواضي، وَهيَ تنهبُهُ، نارٌ تَحكّمُ في جسمٍ منَ النّورِ
للهِ مُلْقًى على الرّمْضاءِ عَضّ بهِ فَمُ الرّدَى بينَ إقْدامٍ وتَشْميرِ
تَحنُو عليْهِ الرُّبَى ظِلاًّ، وتَسترُهُ عنِ النّواظرِ أذْيالُ الأعاصيرِ
تهابُهُ الوَحشُ أنْ تَدْنو لمَصْرَعهِ، وقدْ أقامَ ثلاثاً غيرَ مَقبُورِ
ومُورِدٌ غمَرَاتِ الضّرْبِ غُرّتَهُ، جرّتْ إليْهِ المَنايا بالمَصاديرِ
ومُستطيلٌ على الأزْمانِ يَقدِرُها جنَى الزّمانُ عليْها بالمَقاديرِ[3]
أغرَى بهِ ابنَ زِيادٍ لُؤمُ عُنصُرِهِ، وسَعْيُهُ ليزِيدٍ غيرُ مشكُورِ[4]
وَوَدّ أنْ يتلافَى ما جنَتْ يدُهُ، وكانَ ذلكَ كسراً غيرَ مَجبُورِ
تُسبَى بناتُ رسُولِ اللهِ بيْنَهُمُ، والدّينُ غَضُّ المَبادي غيرُ مَستُورِ
إنْ يَظفَرِ المَوْتُ منّا بابنِ مُنْجِبةٍ، فطالَما عادَ ريّانَ الأظافيرِ[5]

١ المطرور : المحدد .
٢ المحاضير : الخيول التي ترتفع بعدوها .
٣ يقدرها : يوقتها ويدبرها .
٤ ابن زياد : أي عبيد الله بن زياد ابن أبيه .
٥ ريان الأظافير : يريد أن الموت عاد مخضوب الأظافر من دماء الذين قتلهم الحسين ، أو عاد الحسين أحمر الأظافر من دماء قتلاه .

يَلْقَى القَنَا بجَبينٍ شَانَ صَفْحَتَهُ ... وَقْعُ القَنَا بَيْنَ تَضْمِيخٍ وَتَعْفيرِ[1]
مِنْ بَعْدِ مَا رَدّ أطرَافَ الرّمَاحِ بهِ ... قَلْبٌ فَسيحٌ وَرَأيٌ غَيرُ مَحصُورِ
وَالنّقْعُ يَسحَبُ مِنْ أذْيَالِهِ ، وَلَهُ ... عَلى الغَزَالَةِ جَيبٌ غَيرُ مَزْرُورِ
في فَيْلَقٍ شَرِقٍ بالبِيضِ تَحسَبُهُ ... بَرْقاً تَدَلّى عَلى الآكَامِ وَالقُورِ
بَني أُمَيّةَ ! مَا الأسْيَافُ نَائِمَةٌ ... عَنْ شَاهِرٍ في أقاصِي الأرْضِ مَوْتورِ
وَالبَارِقَاتُ تَلَوّى في مَغَامِدِهَا ، ... وَالسَّابِقَاتُ تَمَطّى في المَضَامِيرِ
إنّي لأرْقُبُ يَوْماً لا خَفَاءَ لَهُ ، ... عُرْيَانَ يَقْلَقُ مِنْهُ كُلُّ مَغْرُورِ
وَللصّوَارِمِ مَا شَاءَتْ مَضَارِبُهَا ، ... مِنَ الرّقَابِ شَرَابٌ غَيرُ مَنْزُورِ
أكُلَّ يَوْمٍ لآلِ المُصْطَفَى قَمَرٌ ... يَهْوِي بِوَقْعِ العَوَالي وَالمَبَاتِيرِ ؟
وَكُلَّ يَوْمٍ لَهُمْ بَيْضَاءُ صَافِيَةٌ ... يَشُوبُهَا الدّهرُ مِنْ رَنْقٍ وَتَكدِيرِ
مِغْوَارُ قَوْمٍ ، يرُوعُ المَوْتُ من يَدِهِ ، ... أمْسَى وَأصْبَحَ نَهْباً للمَغَاوِيرِ
وَأبْيَضُ الوَجْهِ مَشْهُورٌ تَغَطْرُفُهُ ، ... مَضَى بِيَوْمٍ مِنَ الأيّامِ مَشهورِ
مَا لي تَعَجّبْتُ مِنْ هَمّي وَنَفرَتِهِ ، ... وَالحُزْنُ جُرْحٌ بقَلبي غَيرُ مَسبُورِ
بِأيّ طَرْفٍ أرَى العَلْيَاءَ إنْ نضبَتْ ... عَيْني ، وَلَجْلَجتُ عَنْها بالمَعَاذِيرِ[2]
ألقَى الزّمَانَ بكَلْمٍ غَيرِ مُندَمِلٍ ، ... عُمرَ الزّمَانِ ، وَقَلْبٍ غَيرِ مَسرُورِ
يا جَدّ لا زَالَ لي هَمٌّ يُحَرّضُني ... عَلى الدّمُوعِ وَوَجْدٌ غَيرُ مَقْهُورِ
وَالدّمْعُ تَحْفِزُهُ عَينٌ مُؤرَّقَةٌ ، ... حَفْزَ الحَنِيّةِ عَنْ نَزْعٍ وَتَوْتِيرِ
إنّ السّلُوّ لَمَحظُورٌ عَلى كَبِدي ، ... وَمَا السّلُوّ عَلى قَلْبٍ بِمَحْظُورِ

١ التضميخ بالطيب ، والتعفير بالتراب .
٢ لجلجت : ترددت بالكلام .

نجمان آفلان

يرثي أبا طاهر بن ناصر الدولة وقتله أبو النواد العقيلي في المحرم سنة ٣٨٢ وقد تقدمت له مرثية أخرى في قافية الدال، وهذه القصيدة فصيحة الألفاظ كثيرة المعاني وفسرها ابن جني في حياة الرضي فمدحه لأجل ذلك :

أَلْقِي السِّلاحَ رَبيعَةَ بنَ نِزَارِ ، أَوْدَى الرَّدَى بِقَرِيعِكِ المِغْوَارِ[1]
وَتَرَجَّلِي عَنْ كُلِّ أَجْرَدَ سابحٍ ، مِيلَ الرِّقابِ نَوَاكِسَ الأَبصَارِ
وَدَعِي الأَعِنَّةَ مِنْ أَكُفِّكِ إنّها فَقَدَتْ مُصَرِّفَهَا لِيَوْمِ مَغَارِ
وَتَجَنَّبِي جَرَّ القَنَا ، فَلَقَدْ مضَى عَنهُنَّ كَبْشُ الفَيْلَقِ الجَرّارِ
وَلْيَغْدُ كُلُّ مُغَرِّضٍ مِنْ بَعدِهِ مُغْرًى بِحَلِّ مَعَاقِدِ الأَكْوَارِ[2]
قطعَ الزّمانُ لسانَكِ العضْبَ الشَّبَا ، وَهَدَى تَخَمُّطَ فَحلِكِ الهَدّارِ[3]
وَاجتَاحَ ذاكَ البَحرَ يَطفَحُ مَوْجُهُ ، وَطَوَى غَوَارِبَ ذَلِكَ التَّيّارِ
اليَوْمَ صَرَّحَتِ النَّوَائِبُ كَيْدَها فِينَا ، وَبَانَ تَحَامُلُ الأَقْدارِ
مُستَنْزِلُ الأَسَدِ الهِزَبْرِ بِرُمْحِهِ وَلّى ، وَفَالِقُ هامَةِ الجَبّارِ
وَتَعَطَّلَتْ وَقَفَاتُ كُلِّ كَرِيهَةٍ أَبَداً ، وَحُطَّ رِوَاقُ كُلِّ غُبَارِ

١ القريع : السيد المختار من قومه .
٢ المغرض : المتفكه . المازح . والجاعل آخر غرضاً له
٣ التخمط : الهدير .

هَيهاتَ لا عَلَقُ النّجيعِ بِعامِلٍ يَوْماً ، وَلا عَاقَ السُّرَى بعِذارِ[1]
يا تَغْلِبَ ابنَةَ وَائِلٍ ! ما لي أرَى نَجميَنْكِ قَدْ أفَلا عَنِ النُّظّارِ
غَرَبا ، فَذاكَ غُرُوبُهُ لِمَنِيّةٍ عَجِلَى ؛ وَذاكَ غُرُوبُهُ لإسَارِ
مَا لي رَأيْتُ فِنَاءَ دارِكِ عَاطِلاً مِنْ كلّ أبلَجَ كالشّهابِ الوَارِي
مُتَخَلّيَ الأقْطَارِ إلاّ مِنْ جوًى وَنَشيجِ كُلّ خَرِيدَةٍ مِعْطَارِ
وَحَنِينِ مُلْقَاةِ الرِّحَالِ مُنَاخَةً ، وَصَهيلِ وَاضِعَةِ السّرُوجِ عَوَارِي
فُجِعتْ سماؤكِ بالشموس وَحُوّلَتْ عَنْهَا وَعَنْكِ مَطالِعُ الأقْمَارِ
في كُلّ يَوْمٍ نَوْءُ مَجدٍ ساقِطٌ مِنهَا ، وَنَجمُ مَناقِبٍ مُتَوَارِ
عَضّتْ بِبَازِلِهَا المَنُونُ وَلَم تزَلْ تَفْرُو طَرِيقَ النّابِ بالأظفَارِ
يا طَالِباً بالثّارِ أعجلَكَ الرّدَى عَنْ أنْ تَنَامَ على وُجُودِ الثّارِ
يَعتَادُ ذِكْرُكَ مَا تَهَزّمَ مِرْجلٌ وَطَغَى تَغَيُّضُ بُرْمَةٍ أعشَارِ[2]
هجرَتْ رِكابُ الركبِ بعدكَ قطعَها هَوْلَ الدُّجَى وَمَهَاوِلَ الأوْعَارِ
وَعَدِمْنَ كُلّ مَفازَةٍ مَرْهُوبَةٍ ، وَأمِنّ كُلّ مُخَاطِرٍ عَقّارِ[3]
فَالآنَ يَجرُرْنَ الأزِمّةَ بُدَّناً ، بَيْنَ المِيَاهِ تَفِيضُ وَالأنْوَارِ
أينَ القِبَابُ الحُمرُ تَفهَقُ بالقِرَى مَهْتُوكَةَ الأسْتَارِ لِلزُّوّارِ

١ العذار : ما سال من اللجام على خد الفرس ، وشفرتا النصل .
٢ تغيض الماء : نقص أو غار أو نضب ، والثمن : نقص . ولعل اللفظة محرفة . البرمة : القدر من حجر . الاعشار : العظيمة لا يحملها إلا عشرة .
٣ العقار : الذي يعقر الإبل ، والذي يوقع بالصيد .

أينَ القِناءُ تَموجُ في جنَاتِهِ ... بصَهيلِ جُردٍ أوْ رُغاءِ عِشارِ[1]
أينَ القَنا مَركوزَةً تَهفو بِها ... عَذَبُ البُنودِ يَطِرْنَ كلَّ مَطارِ
أينَ الجيادُ مَلَلْنَ من طولِ السُّرى ... يَقذِفنَ بالمَهَراتِ وَالأمهارِ
مِن مَعشرٍ غُلْبِ الرّقابِ جَحاجحٍ ... غَلَبوا علَى الأقدارِ وَالأخطارِ
من كلّ أرْوَعَ طاعنٍ أوْ ضارِبٍ ، ... أوْ واهِبٍ ، أوْ خالعٍ ، أوْ قارِ
وَفَوارِسٍ كالشُّهبِ تَطرَحُ ضَوءَها ... يَوْمَ الوَغى وَأُوارِ حَرّ النّارِ
ركِبُوا رِماحَهُمُ إلى أغرَاضِهِمْ ... أمَمَ العُلى، وَجرَوْا بغَيرِ عِثارِ[2]
وَاستَنزَلُوا أرْزَاقَهمْ لسُيُوفِهِمْ ، ... فَغَنُوا بِغَيرِ مَذَلّةٍ وَصَغارِ
كانُوا هُمُ الحَيَّ اللّقاحَ، وَغيرُهم ... ضَرَعٌ علَى حُكْمِ المَقاوِلِ جارِ[3]
لا يَنبُذُونَ إلى الخَلائِفِ طاعَةً ... بِقَعاقِعِ الإيعادِ وَالإنْذارِ
عَقَدُوا لوَاءهُمُ ببِيضٍ أكفّهمْ ... كِبْراً علَى العَقّادِ وَالأمّارِ
وَاستَقطَعُوا خِلَعَ المُلُوكِ وَأيقَنوا ... أنّ اللّباسَ لها ادّرَاعُ العارِي
كَثُرَ التّصيرُ لهمْ ، فلَمّا جاءَهمْ ... أمْرُ الرّدَى وُجِدُوا بِلا أنصارِ
هُمْ أعجَلوا داعي المَنونِ تَعرُّضاً ... للطّعْنِ بَينَ ذَوابِلٍ وَشِفارِ
أوَلَيْسَ يَكْفِينَا تَسَلُّطُ بأسِها، ... حتّى تَسَلُّطُها علَى الأعمارِ
نَزَلُوا بِقارِعَةٍ تَشابَهَ عِندَها ... ذُلُّ العَبِيدِ وَعِزّةُ الأحرَارِ

١ قوله : في جناته ، لعلها محرفة عن جنباته .
٢ أمم العلى : قصد العلى .
٣ اللقاح : لعله جمع لقحة : العقاب . الضرع : الضعيف الجبان . المقاول : الملوك .

سَدٌّ البِلَى، وَأثارَ فَوْقَ جُسومِهِم مِنْ كُلِّ مُنْهَالِ النّقَا مَوّارِ

خُرْسٌ قدِ اعتَنَقوا الصّفيحَ، وَطالما اعتَنَقُوا الصّفائحَ وَالدّمَاءُ جَوَارِ

نُقِضَتْ مَرَائِرُهم، وكنّ أكفُّهم مَبْلُولَةً بالنّقْضِ وَالإمْرَارِ

صَارُوا قَرَاراً للمَنُونِ، وَإنّمَا كَانُوا لسَيْلِ الذّلّ غَيرَ قَرَارِ

كُنّا نرَى أعيانَهم مَمدُوحَةً، فَاليَوْمَ يُمْتَدَحُونَ بِالآثَارِ

شَرَفاً بني حَمدانَ! إنّ نفوسَكمْ مِنْ خَيرِ عِرْقٍ ضَارِبٍ وَنِجَارِ

أنِفَتْ من المَوْتِ الذّليلِ فأشعرَتْ جَلَداً عَلى وَقْعِ القَنَا الخَطّارِ

بَكَرَتْ عَلَيْكَ سَحَابَةٌ نَفّاحَةٌ تُلْقي زَلازِلَهَا عَلى الأقْطَارِ

شَهّاقَةٌ أسَفاً عَلَيْكَ بِرَعْدِهَا، طَوْراً، وَبَاكِيَةً بعَذْبِ قِطارِ

وَسَقَتْكَ أوْعِيَةُ الدّموعِ فجاوَزَتْ قَطَرَاتِ ذاكَ العَارِضِ المِدْرَارِ

وَإذا الصَّبَا حدَتِ النّسيمَ مَرِيضَةً تَفلِي جَمِيمَ الرّوْضِ وَالنّوّارِ[1]

مَمطُورَةَ الأنْفاسِ فاهَ بطِيبِهَا سَحَرٌ يَبِينُ بِهَا مِنَ الأسْحَارِ

فَجَرَتْ عَلى ذاكَ التّرَابِ سَليمةً مِنْ غَيرِ اضْرَارٍ لهَا بِجِوَارِ

تجرِي وَذاكَ القَبرُ غَيرُ مُرَوَّعٍ مِنهَا، وَذاكَ التُّرْبُ غَيرُ مُثَارِ

إنّي ذَكَرْتُكَ خَالِياً، فكَأنّما أخَذَتْ عَليّ الأرْضُ بالأطْرَارِ[2]

وَكَأنّمَا مالَتْ عَليّ بحَدّهَا نَزَوَاتُ قَانِيَةِ الأدِيمِ عُقَارِ

١ تفلي: ترعى.

٢ الأطرار: الأطراف والنواحي.

لا زَالَ زَائِرُ قَبْرِهِ في عَبْرَةٍ تَنْعَى البَقَاءَ إلَيْهِ ، وَاستِعبَارِ
وَالرَّوْضُ من حالٍ عَلَيهِ وَعاطلٍ ، وَالمُزْنُ مِنْ غَادٍ عَلَيْهِ وَسَارِ

وقائع الدهر[1]

يرثي المظفر أبا الحسن عبيد الله بن محمد وتوفي في ذي القعدة سنة ٣٨٧ وقد ورد الخبر بوفاته وهو متوجه من الري إلى مدينة السلام، وكان بينهما مودة قديمة وصداقة وكيدة وكذلك بينه وبين أبيه رضي الله عنهما :

أوَمَا رَأيْتَ وَقَائِعَ الدّهْرِ ، أفَلا تُسِيءُ الظّنّ بالعُمْرِ
بَيْنَا الفَتَى كالطّوْدِ تَكنُفُهُ هَضَبَاتُهُ، وَالعَضْبِ ذي الأثْرِ
يَأبَى الدّنِيّةَ في عَشِيرَتِهِ ، وَيُجاذِبُ الأيدي عَلى الفَخْرِ
وَإذا أشَارَ إلى قَبَائِلِهِ ، حَشَدَتْ إلَيْهِ بِأوْجُهٍ غُرّ
يَتَرَادَفُونَ عَلى الرّماحِ كأنّهم سَيْلٌ يَعُبّ وَعارِضٌ يَسْرِي
إنْ نَهْنَهُوا زَادُوا مُقَارَبَةً ، فَكَأنّمَا يَدْعُونَ بِالزّجْرِ
عَدَدُ النّجُومِ ، إذا دُعي بهمُ ، يَتَزَاحَمُونَ تَزَاحُمَ الشَّعْرِ
عَقَدُوا عَلى الحُلَى مآزِرَهُمْ ، سُبْطَ الأنَامِلِ طَيّبي الأُزْرِ

[1] هذه القصيدة هي من الكامل الأحذ وقد وردت فيها بعض أبيات تامة .

زَلّ الزّمَانُ بِوَطْءِ أخْمَصِهِ ، وَمَوَاطِىءُ الأزْمَانِ للعثْرِ
نَزَعَ الإبَاءَ ، وكانَ شَمْلَتَهُ ، وَأقَرّ إقْرَاراً عَلى صُغْرِ
صَدْعُ الرّدَى أعْيَا تَلاحُمَهُ ؛ مَنْ ألحَمَ الصّدَفَينِ بالقِطْرِ؟[1]
جَرّ الجِيادَ عَلى الوَجَى وَمَضَى أمَماً يَدُقّ السّهْلَ بالوَعْرِ
حتّى التَقَى بالشّمسِ مَغمَدُهُ في قَعْرِ مُنْقَطِعٍ مِنَ البَحْرِ
ثمّ انْثَنَتْ كَفُّ المَنُونِ بِهِ ، كالضِّغْثِ بَيْنَ النّابِ وَالظُّفْرِ[2]
لمْ تَشْتَجِرْ عَنْهُ الرّمَاحُ ، وَلا رَدّ القَضَاءَ بِمَالِهِ الدَّثْرِ[3]
جَمَعَ الجُنُودَ وَرَاءَهُ . فكأنّما لاقَتْهُ . وَهْوَ مُضَيَّعُ الظّهْرِ
وَبَنَى الحُصُونَ تَمَنّعاً فكأنّمَا أمسَى بِمَضْيَعَةٍ ، وَلا يَدْرِي
وَبَرَى المَعَابِلَ للعِدَى فكأنّما لحِمَامِهِ كَانَ الذي يَبْرِي[4]
هَذا عُبَيْدُ اللهِ حِينَ رَمَى عَرْضَ العُلَى ، وَأبَى على الدّهرِ
وَرَمَتْ بِهِ العَيّوقَ هِمّتُهُ ، فَوَطي رِقَابَ الأنْجُمِ الزُّهْرِ[5]
غَلَبَتْ مَآثِرُهُ النّجُومَ عَلى عَرَصَاتِهَا . وَبَدَأنَ بِالبَدْرِ
وَتَنَاذَرَ الأعْداءُ صَوْلَتَهُ ، فَأبَاتَ أشجَعَهُمْ عَلى ذُعْرِ
قَادَتْ حَزَامَتُهُ المَنُونَ فَلَمْ تَمْنَعْ مَضَارِبَ بِيضِهِ البُتْرِ

١ الصدفان : غلافا اللؤلؤ . القطر : النحاس .
٢ الضغث : قبضة الحشيش .
٣ المال الدثر : المال الكثير .
٤ المعابل : نصول السهام .
٥ وطي : مسهل وطيء .

نَكَصَتْ أسنّتُه وَأحجَمَ جُنْدُه جَزَعاً لمَطْلَعِ ذَلِكَ الأمْرِ
قَدْ كَانَ مَشهُوراً إذا ذُكِرَتْ خُطَطُ الوَغَى وَمَوَاقِفُ الصّبرِ
مُتَهَلّلاً في كُلّ نَائِبَةٍ ، تَضَعُ القُطوبَ مَوَاضِعَ البِشْرِ
يَرْقَى إلى أمَدِ المَكَارِمِ وَالعُلَى ، لَمْ تَختَزِلْهُ مَوَانِعُ الكِبْرِ
لَوْ لَمْ يُعَارِضْهُ الحِمَامُ ، إذاً لمَضَى عَلَى غُلَوَائِهِ يَجْرِي
أوْدَى ، وَمَا أوْدَتْ مَنَاقِبُهُ ، وَمِنَ الرّجَالِ مُعَمَّرُ الذّكْرِ
طَوَتِ اللّيَالي بَعْدَ مَصْرَعِهِ نَارَ القِرَى وَمُعَرَّسَ السَّفْرِ
خُلّي وَتِرْب أبي لَقَدْ سَلَبَتْ منّي النّوَائِبُ أنْفَسَ الذّخْرِ
قد كانَ مِن عُدَدي إذا طَرَقَتْ بَزْلاءُ ضَاقَ بِهَا حِمَى الصّدرِ[1]
وَهوَ الزّمَانُ عَلى تَقَلّبِهِ ، يَنْوِي العُقُوقَ بِنِيّةِ البِرّ
كَمْ زَفْرَةٍ خَرْسَاءَ أكْظِمُهَا ضَمُرَتْ بحِرتِهَا عَلَيكَ ، وَفي أحْشَائِهَا كَلَوَاعِجِ الجَمرِ
لَوْ أنّ مَا أنحَى عَلَيْكَ يَدٌ رَاعَتْكَ بالإنْبَاضِ عَنْ عَقْرِ[2]
لَوَقفتُ بَينكما لأعكِسَ سهمها عَنْ نَحرِكَ البَادي إلى نَحرِي
وَلَوَ انّهَا سَمْرَاءُ مُشْرَعَةٌ ، أعطَيتُ حَدّ سِنَانِها صَدْرِي
وَسَمَحتُ دونَكَ بالحَيَاةِ عَلى ضَنّي بِهَا ، وَكَرَائِمِ الوَفْرِ
أوْ بَالِغاً بِالنّفْسِ مَعذِرَةً ، وَالسّعْيُ بَينَ النُّجْحِ وَالعُذْرِ

١ البزلاء : الداهية العظيمة .
٢ العقر : محلة القوم ، المنزل ، البناء المرتفع

لَكِنْ رَمَتْكَ أشَدُّ رَامِيَةٍ   سَهْماً ، وَأهداها إلى العَقْرِ[1]
بَلَغتكَ من خَلفِ الدّرُوعِ وَمن   خَلَلِ القَنَا ، وَالعَسكَرِ المَجرِ
حَمَلَ الغَمامُ جَديدَ رَيّقِهِ ،   فَسَقَى مُغَيَّبَ ذَلِكَ القَبْرِ
لَوْلا مُشَارَكَةُ المَدَامِعِ في   سُقْيَاهُ قَلّ لَهُ نَدَى القَطْرِ
لَوْ أنْبَتَتْ تُرَبُ الرّجَالِ عَلى   قَدْرِ العُلَى وَنَبَاهَةِ القَدْرِ
نَبَتَتْ عَلَيْهِ مِنْ شَجَاعَتِهِ   تِلْكَ الجَنَادِلُ بِالقَنَا السُّمْرِ
إنّ التّوَقّي فَرْطُ مُعجِزَةٍ ،   فَدَعِ القَضَاءَ يَقُدُّ أوْ يَفرِي
لَوْ مَالَ بالقَرْنَينِ خَوْفُهُمَا   للمَوْتِ، ما اضطَغنا عَلى الوِتْرِ[2]
أوْ عَدّدَا مَا في الخِطَالِ ، إذاً   لَتَوَادَعَا أبَداً عَلى غِمْرِ[3]
نَحمي المَطَاعِمَ للبَقَاءِ، وَذي   الآجَالُ مِلءُ فُرُوجِها تَجرِي
لَوْ كَانَ حِفْظُ النّفسِ يَنفَعُنا   كَانَ الطّبِيبُ أحَقّ بالعُمْرِ
المَوْتُ داءٌ لا دَوَاءَ لَهُ ،   سِيّانِ مَا يُوبي وَمَا يَمْرِي

١ العقر ، من عقره : جرحه ، أوقع به .
٢ اضطغنا : أضمرا الحقد . الوتر : الظلم ، الانتقام .
٣ عددا : أحصيا . الخطال ، الواحد خطل : الفحش في الكلام . الغمر : الحقد .

دار القبر

قال بديهاً يرثي أبا بكر بن شاهويه توفي في جمادى الأولى سنة ٣٩٦ ولم يتبع نعشه إلا ثلاثة نفر الرضي أحدهم على كثرة أصدقائه، وكان هذا الرجل جليل القدر ببغداد :

لَعَمْرِي لَقَدْ ماطَلْتُ لوْ دَفَعَ الرّدى مِطالٌ وَقَد عاتَبتُ لَوْ سَمِعَ الدّهرُ
أفي كُلّ يَوْمٍ أنْتَ غَادٍ مُشَيِّعٌ حَبِيباً إلى دارٍ يُقَالُ لهَا القَبْرُ
لئِنْ كانَ لي في كُلّ ما أنَا تَارِكٌ وَرَاءَ الثّرَى أجرٌ لَقَدْ عَظُمَ الأجرُ
سَقَيْتُ أبَا بَكْرٍ عَلَى البُعدِ وَالنّوَى، وَلا بَلّ هامَ الشّامِتِينَ بِكَ القَطْرُ
أخي مَا أقَلّ التّابِعِيكَ إلى الثّرَى ، وَإخْوَانُكَ الأدْنَوْنَ من قَبلِها كُثْرُ
لَقَدْ كَانَتِ النّكراءُ منكَ خَلِيقَةً ، وَلا عُرْفَ حَتّى يُتّقَى قَبلَه النُّكْرُ
ألاَ إنّمَا المَاضُونَ مِنّا هُمُ الأولى أرَاحُوا وَحَطّوا وَالبَوَاقي هم السَّفْرُ
نُتَبِّعُهُ أبْصَارَنَا ، وَهوَ ذاهِبٌ ، كما مالَ قَرْنُ الشمسِ أوْ وَجبَ البدرُ[1]
عَلَيكَ سَلامُ اللهِ فَاتَ بكَ الرّدَى، وَلَمْ يَبْقَ عَينٌ لِلّقَاءِ وَلا أثْرُ

[1] وجب : غاب .

المرء كالقضيب

يعزي أبا سعيد بن خلف عن ابنه

لَوْ رَأَيْتُ الغَرَامَ يَبلُغُ عُذْرَا ، قُلْتُ حُزْناً وَلَمْ أقُلْ لكَ صَبْرَا
وَاستَزَدْنَا رِيحَ الزَّفيرِ هُبُوباً ، وَسَحَابَ الدّمُوعِ وَبْلاً وَقَطْرَا
وَرَأَيْنَا مُعَرَّسَ الحُزْنِ سَهْلاً في الرّزَايَا وَجانِبَ الصّبرِ وَعْرَا
لَكِنِ الأمرُ مَا عَلِمْتَ، وَهَلْ تَنْظُرُ مِنْ وَقْعَةِ الزّمَانِ مُبِرّا
وَاقِعاً بالأضْدادِ أرْوَى ، وَأظمَا ، وَقَضَى ، وَاقتَضَى ، وَسَاءَ وَسَرّا
كُلَّ يَوْمٍ يَغْدُو بِقَاطِعَةِ الآ مَالِ غَضْبَانَ قَدْ تَأبّطَ شَرّا
مُذْنِباً كُلّما شَكَا شاكَ كيداً ، وَإذا قِيلَ قَدْ أنَابَ أصَرّا
ضَيْغَماً يَخبِطُ السُّرُوبَ طَرُوباً، كُلّمَا مَرّ بِالعَقِيرَةِ كَرّا[1]
وَأرَى النّاسَ وَافِراً وَمُلَقّى بالرّزَايَا ، وَالأرْضَ داراً وَقَبْرَا
مَنْزِلي قَلْعَةٌ وَلُبْثٌ ، فَهَذا كَ مَجَازاً لَنَا ، وَهذا مَقَرّا
كُلَّ يَوْمٍ نَذُمّ للدّهْرِ عَهْداً خانَ فيهِ وَنَشتَكي منهُ غَدْرَا
قَدْ أُنِيخَتْ لَنَا الرّكَائِبُ، فالحا زِمُ عَبّى زَاداً، وَوَطّأ ظَهْرَا
أسمَعَ الحاديانِ، وَاستَعجَلَ الرّكْ بُ ، زِمَاعاً إلى المَنُونِ وَنَفْرَا
كَمْ فَقِيدٍ لَنَا طَوَتْهُ اللّيَالي ، ذُقْنَ مِنْهُ حُلْواً وَذَوّقْنَ مُرّا

١ السروب : الطرق . العقيرة : ما عقر من الصيد ، وصوت الباكي .

وَكَأنّ الأيّامَ يُدْرِكْنَ ثَأراً عِندَنا فيهِ ، أوْ يُقَضّينَ نَذْرَا
إنّمَا المَرْءُ كَالقَضِيبِ ، تَرَاهُ يَكتسي الأخضَرَ الرّطيبَ ليَعرَى
مَعكَسُ السّهمِ ذا يُرَاشُ ليمضِي في المَرَامي وَذا يُرَاشُ لِيُبْرَى
مَنْ مُؤدٍّ إلى عَليٍّ ألُوكاً ، أبِجِدٍّ عَصَيتَ للصّبْرِ أمْرَا
أيُّ خَطْبٍ رَاخَى قِوَاكَ ، وَقَدْ كنْتَ جَديلاً على الخُطوبِ مُمَرّا[1]
وَقَنَاةٍ صَمّاءَ تَطْعَنُ في الخَطْبِ خِلاجاً عَلى الزّمَانِ ، وَشَزْرَا[2]
أعْلُ مِنْ عَثْرَةِ الأسَى إنّ للأجْوادِ نَهْضاً وَللأعَاجزِ عَثْرَا
أيُّ بَاقٍ يُبْقي عَلَيْكَ ، وَلَوْ كُنْتَ مُوَقًّى مِنَ الخُطوبِ مُعَرّى
أفَقَدَ الأصْلَ بالغاً مُنتَهَى النّبْتِ المُرَجّى مَن أفقدَ الفَرْعَ نَضرَا
كُنْ كَعودِ الطّرِيقِ طالَ سُرَاهُ يَشتَكي قَفْرَةً وَيَألَمُ عَقْرَا
وَالجَليدَ الذي إذا الدّهرُ أبْكَى مِنهُ قَلباً جَلّى عَلى النّاسِ ثَغْرَا
مُستَميتاً يَزُرّ بالصّبرِ دِرْعاً ، وَيَرَاهُ في ظُلْمَةِ الهَمّ فَجْرَا
وَقَرَتْهُ رَوَائِعُ الدّهْرِ ، حتّى لمْ يُرَعْ غَيرَ مَرّةٍ ، وَاستَمَرّا
كُلّمَا زِيدَ غُمّةً ، زَادَ صَبراً ، ضَرَمُ الزّنْدِ كُلّمَا لُزّ أوْرَى
أرْمَضَتْهُ هَوَاجِرُ الخَطْبِ ، فانقادَ حَمولَ الأذى، وَما قال هُجرَا
هابَ ضَحضَاحَها ، وَمَرّ بهِ الدّهْرُ عَلى سُبْلِهَا ، فَخاضَ الغَمرَا
كُلّمَا غَابَ مِنْ بَني خَلَفٍ بدْرٌ يُضِيءُ الظّلامَ أخْلَفَ بَدْرَا

---

١ الجديل : الزمام المجدول من أدم . الممر : المحكم الفتل .
٢ الخلاج : الغمز ، والجذب والانتزاع . وطعن الشزر : طعن على غير استواء .

نقض الدهر منهمُ ، ثمّ أعيو ه بُدُوراً مِنَ المَطاميعِ تترى
عَجَباً سمتُكَ السّلُوّ ، وَعِندي مس جُرْحٍ من الهوَى ليسَ يَبرَا
أتوَخّى بَرْدَ القُلُوبِ مِنَ الوَجْ دِ ، وَقَلْبي يَزْدادُ بالوَجْدِ حرّا
وَإذا قُلْتُ : يَنْزِعُ الدّهْرُ ناباً مِنْ بَقَايَا ذَوِيّ أعْلَقَ ظُفْرَا
كُلّمَا أبْلَغَ العَوَاذِلُ سَمْعي في التّسَلّي عَنْ مَعْشَرٍ زَادَ وَقرَا
أجِدُ القَلْبَ بَعدَ لَوْمِيَ أسخَى ، فكَأنّ اللاّحي بما قالَ أغرَى
زَادَ عَذْلاً ، فزَادَ قَلْبي وُلُوعاً ؛ رُبّ آسٍ أرَادَ نَفْعاً ، فَضَرّا
فَسقَى الدّمعُ مَعْشَراً نَزَلوا القَلْ بَ ، وَأخلَوْا بَاقي المَنازِلِ طُرّا
كُلّمَا قَصّرَ الحَيَا كَانَ ماءُ العَيْ نِ أبقَى صَوْباً ، وَأعظَمَ غَزْرَا
كَمْ حَشَوْتُ الثّرَى حُساماً طريراً ، وَطَوِيلاً لَدْناً ، وَطِرْفاً أغَرّا[1]
وَخُدُوداً مِثلَ الذّوَابلِ مُلْساً ، وَجِبَاهاً مِثْلَ الدّنَانيرِ غُرّا
وَكأنّ القُبورَ منهمْ بِذي الجِزْ عِ عِيابٌ حَمَلنَ دُرّاً وَعِطْرَا
أوْجُهٌ صَانَهَا الجَلالُ ، فَأمْسَيْ نَ تُرَاباً تَحتَ الجَنَادِلِ غُبْرَا
عَطّلَ الدّهْرُ مِنْ حِلاهِنّ فِينَا ، وَتَحَلّى الثّرَى بِهِنّ وَأثرَى
قَطَعَ المَوْتُ بَيْنَنَا ، فَتَبَايَ نّا لِقَاءً ، إلاّ نِزَاعاً وَذِكْرَا
فَبَعُدْنَا ، وَمَا اعتَمَدْنَا بعاداً ، وَهَجَرْنَا ، وَمَا أرَدْنَا الهَجْرَا
رَوْعَةٌ إنْ جَزِعْتُ منها فعُذْرٌ لِلجَزُوعِ ، وَإنْ صَبَرْتُ، فأحرَى
وَقَعَتْ مَوْقِعَ العَوَانِ مِنَ الدّهْ رِ ، وَإنْ كانَتِ الرّزِيّةُ بِكْرَا[2]

١ الطرير : المحدد . الطرف : الكريم من الخيل .
٢ العوان : ما كان في منتصف السن من كل شيء ، والحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى .

أين بنو أم المكارم

يرثي قوماً من عشيرته وأقاربه انقرضوا ويتألم لفقدهم وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٣٩٣ :

تَنَاسَيْتُ، إلاّ بَاقِيَاتٍ مِنَ الذّكرِ، لَيَالِيَنَا بَيْنَ القَرِينَةِ وَالغَمْرِ[1]
وَكمْ زَادَني فيها الهوَى عَنْ جِمامِهِ، وَقارَعَني الغَيرَانُ عَن بَيضَةِ الخِدرِ[2]
وَذي دَعَجٍ لا نَابِلُ الحَيّ رَايِشاً، وَلا بَارِياً يَبرِي من الشّرّ ما يَبرِي
يُقَلّبُ لي في مِحْجَرَيْ أُمّ شَادِنٍ تَجَفّلُ، أوْ يَدْنُو دُنُوّاً عَلى ذُعْرِ
تَلَقّيْتُ مِنْ طَرْفَيْهِ سَهْماً وَجَدتُهُ يَلَذّ عَلى عَيني وَيُؤلمُ في صَدْرِي
فَيَا لَكَ مِنْ رَامٍ أضَمّ سِهَامَهُ، وَإنْ نِلْنَ مِنّي باليَدَينِ إلى النّحرِ
أقُولُ لغَيداقٍ، وَأذْكَرَني الهوَى على النّأيِ: ما للقَلبِ وَيْبكَ وَالذّكرِ[3]
تُذَكّرُني ما حالَتِ الأرْضُ دُونَهُ، ألا إنّمَا سَوّلْتَ للدّمعِ أنْ يَجرِي
وَطَيٌّ اللّيَالي وَالجَديدُ إلى بِلًى، وَلَيسَ لما يَطوِي الجَديدانِ من نَشْرِ
وَشَرُّ الرّفيقَينِ الذي إنْ أمَرْتَهُ عصَاكَ وَإن ما حُطتَه الدّهرَ لمْ يَدْرِ
يُقَارِعُني، حتّى إذا كَلّ غَرْبُهُ، نَسِينَا التّصَافي وَاندَمَلنَا عَلى غِمْرِ

١ القرينة : موضع في الطائف . الغمر : موضع بينه وبين مكة يومان .
٢ الجمام : ما علا رأس المكيال فوق طفافه . بيضة الخدر : الجارية .
٣ الغيداق : الناعم والكريم ، ولعله اسم رجل . ويبك : ويلك .

أفي كُلّ يَوْمٍ أنْتَ مَاتِـحُ عَبْرَةٍ عَلى طَلَلٍ بالودّ ، أوْ مَنْزِلٍ قَفْرِ[1]
وَمُنْتَزِحٍ جَمّاتِ عَينَيكَ رَاجِعاً إلى غَزْرِ مَاءٍ لا بَكيءٍ وَلا نَزْرِ[2]
أقولُ : عَزَاءً ، وَالجَوَى يَستَفِزّهُ ، وَأعيَا الأوَاسِي عَيَّ عَظْمٍ عَلى وَقرِ
فَلَمّا أبَى إلاّ البُكَاءَ رَفَدْتُهُ بعَيْنَيْنِ كَانَا للدّمُوعِ عَلى قَدْرِ
وَقُلتُ لهُ : رُدّ الجُفُونَ عَلى القَذَى وَخَلّ الجَوَى يَمرِي منَ الدّمعِ ما يَمرِي
قَسَمتُ زَفيرَ الوَجدِ بَيْني وَبَيْنَهُ ، دَوَالَيْكَ أقرِيهِ اللّوَاعِجَ أوْ يَقرِي[3]
عَشيّةَ تَغْشَاني منَ الدّمْعِ كَنّةٌ ، كَأنّي مَرْهُومُ الإزَارَينِ بالقَطْرِ[4]
فَنَزعتُ إلى فَضْلِ الرّداءِ مُبَادِراً ، تَلَقّيَ دَمْعي أنْ يَنُمّ عَلى سِرّي
كَأنّي وَغَيْداقاً طَرِيدا مَخَافَةٍ ، أصَابَا دَماً في مَالِكٍ وَبَني النّضْرِ
نُحَلّأُ عَنْ ماءِ الحُلولِ ، وَنَنْثَني عَلى رَصْفِ أكْبَادٍ أحَرّ منَ الجَمْرِ
فَأينَ بَنُو أُمّ المَكارِمِ وَالنّدَى ، وآلُ الجِيادِ الغُرّ وَالجاملِ الدّثْرِ
وَأينَ الطّوَالُ الغُلْبُ كانَتْ سيُوفُهم فُرَادى عَنِ الأجفانِ للضّرْبِ وَالعَقْرِ
كأنّكَ تَلقى هَجمَةَ الخَطبِ منهُمُ بزَيدِ القَنَا ، أوْ بالقَلَمّسِ أوْ عمرِو[5]

١ الماتح ، من متح الماء : نزعه .
٢ المنتزح : المستخرج الماء . الجمات ، الواحدة جمة : معظم الشيء أو الكثير منه ، وأراد جمات الدمع . البكيء والنزر : القليل .
٣ دواليك : أي مداولة بعد مداولة ، كرات بعضها بعد أخرى .
٤ الكنة : السكون . المرهوم : الممطور .
٥ القلمس : الرجل الداهية البعيد الغور ، ورجل من كنانة من نسأة الشهور . عمرو : هو ابن معدي كرب . ولعله أراد بزيد القنا زيد الخيل أحد فرسان العرب .

إذا عَدِمُوا أثْرَوْا طِعَاناً ، وَغَيرُهمْ   لَئيمُ الغِنَى يَوْمَ الغِنى عاجزُ الفَقرِ
لَهُمْ كُلُّ شَهْقَى بالنّجيعِ كما رَغَا   قَرَاسِيَةٌ رَدَّ العَجيجَ عَلى الهَدْرِ[1]
لَهَا رَقَصَاتٌ بالدّمَاءِ ، كَأنّمَا   تَشَقّقُ عَن أعرَافِ أحصِنَةٍ شُقْرِ
تَلَمَّظُ تَلْمَاظَ المَرُوعِ ، وَتَنكفي   جَوَاشنُها من مُظلِمِ الجالِ ذي قَعرِ[2]
رَمَوْا بجِبَاهِ الخَيْلِ مَأسَدَةَ الرّدى ،   وَسَدّوا بمَرْبوعِ القَنَا طِلَعَ الثّغْرِ
وَلَمْ تَدْرِ أيمَانُ القَوَابِلِ منهُمُ   أسَلّتْ رِجَالاً أمْ ظُبَى قُضُبٍ بُتْرِ؟
همُ استَفرَغوا ما كان في البِيضِ وَالقنا ،   فلَمْ يَبقَ إلاّ ذُو اعوِجاجٍ وَذو كسرِ
قِبَابٌ مِنَ العَلْيَاءِ أعْلَى عِمَادَهَا   فُحولُ الوَغَى بَينَ الزّماجرِ وَالخَطْرِ
بَنَوْها بِأيّامِ الطّعَانِ ، وَمَا بَنَتْ   لتَغْلِبَ أيّامُ الطّعَانِ عَلى بَكْرِ
يَعودونَ قَدْ رَدّوا العَظيمةَ عَن يَدٍ   وَقَدْ أغلَقوا بابَ الطُّلاطِلةِ البِكْرِ[3]
وَغَيّرَ ألْوَانَ القَنا طُولُ طَعْنِهِمْ ،   فبالحُمرِ تُدعَى اليَوْمَ لا بالقنا السُّمرِ
غَدَوْا سَهَكي الأيمانِ من صَدإِ الظُّبَى ،   وَرَاحوا كِرَاماً طَيّبي عُقَدِ الأُزْرِ[4]
همُ الحاجبونَ العِرْضَ عن كلّ سُبّةٍ   إذا طَرَقُوا وَالآذِنونَ عَلى القَدْرِ
وَهمْ يُنفِدونَ المالَ في أوّلِ الغِنى ،   وَيَستَأنِفُونَ الصّبرَ في أوّلِ الصّبرِ
مَلِيئونَ أنْ يُبدوا بِذِي التّاجِ ذِلّةً   إذا كرُموا في طاعةِ الجودِ ذي الطِّمْرِ[5]

١ شهقى بالنجيع : أي طعنة تشهق بالدم . القراسية : الضخم الشديد من الإبل .
٢ تنكفي : ترجع . جواشنها : صدورها . الجال : جانب الجبل ، أو جدار القبر .
٣ الطلاطلة : الداهية .
٤ السهكى من السهك : صدأ الحديد .
٥ الطمر : الفرس الجواد الطويل القوائم ، والثوب البالي .

إذا سُئِلُوا لمْ يُتْبِعُوا المَالَ وَجْمَةً ، ... وَلَمْ يَدفَعوا في صَفحةِ الحقّ بالعُذْرِ[1]
مِنَ البِيضِ يَستامُونَ ، وَالعامُ كالحٌ ... جُدُوباً وَمَطّارُونَ في الحِجَجِ الغُبْرِ
كأنّ عُفَاةَ المَرْءِ ذي الطّولِ منهُمُ ... يَمُدّونَ أوْذامَ الدّلاءِ مِنَ البَحْرِ[2]
مَغَاوِيرُ في الجُلّى ، مَغابيرُ للحِمَى ، ... مَفارِيجُ للغُمّى ، مَداريكُ للوِتْرِ[3]
سِرَاعٌ إلى الوِرْدِ الذي مَاؤهُ الرّدَى ، ... إذا أُرْعِدَ النِّكْسُ الجَبانُ بلا قُرّ
وَتَأخُذُهمْ في ساعَةِ الجُودِ هِزّةٌ ، ... كما خايَلَ المطرَابُ عن نَزْوَةِ الخَمرِ
فتَحسَبُهُمْ فيها نَشاوَى مِنَ الغِنى ، ... وَهُمْ في جَلابيبِ الخَصَاصَةِ وَالفَقْرِ
عَظِيمٌ عَلَيهمْ أنْ يَبيتُوا بِلا يَدٍ ، ... وَهَيّنٌ عَلَيهم أنْ يُفيئوا بلا وَفْرِ
إذا نَزَلَ الحَيَّ الغَرِيبُ تَقارَعُوا ... عَلَيْهِ ، فلَمْ يَدْرِ المُقِلّ من المُثْرِي
يَميلُونَ في شِقّ الوَفَاءِ مَعَ الرّدَى ... إذا كانَ مَحبُوبَ البَقاءِ مَعَ الغَدْرِ
حَوَاقِلَةٌ مِثْلُ الصّقُورِ ، وَفِتْيَةٌ ، ... إذا مَا حَنَاني طارِقٌ دَعَمُوا ظَهرِي[4]
وَمَا لَطَمُوا عَنْ غايَةِ المَجدِ جَبهَتي ، ... بَلى، خَلَعوا عنّي لإدرَاكِها عُذْرِي
تَوَارِكُ لي في حَالِ يُسرِي، فإنْ رَأوْا ... دُنُوّي من الإملاقِ جاء بهم عُسرِي
إذا أوْهَنَتْ عَظمي اللّيالي وَجَدْتُهمْ ... بأيدي النّدى وَالطّعنِ قد جبرُوا كسرِي
هُمُ أنهَضُوني بَعدَمَا قيلَ لا لَعاً ، ... وَهُم أغرَموا الأيّامَ لي ما جنى عَثرِي

١ الوجمة : العبوسة .

٢ الأوذام : السيور بين آذان الدلو . وذو الطول : ذو الفضل والعطاء .

٣ المغابير : النخل التي علاه الغبار ، ولعلها محرفة .

٤ الحواقلة : السريعو المشي .

كَفَوْنِي ، وَمَا استكفيتُهم مِن ضراعةٍ ، تَرَافُدَ أيدي الأبعدينَ على نَصْرِي
ترى كُلَّ ذَيَّالِ العِطافِ ، كأنّما تَفَرَّجَ منهُ اللّيلُ عن قمرٍ بَدْرِ[1]
لهُ رائدٌ يلقاكَ مِنْ قَبلِ شخصِهِ جَلالاً كما دَلَّ الضّياءُ على الفَجرِ
يُصَدَّعُ عنهُ النّاظِرُونَ كأنّما يَرَوْنَ بهِ ذا لِبْدَتَينِ أبَا أجْرِ[2]
لهُ عَبَقٌ يُغنيهِ عن طيبِ عِرْضِهِ ، سُطُوعاً منَ البانِ المَدينيِّ والعِطْرِ
لقَدْ أولعَ المَوْتُ الزّؤامُ بجَمعِهِمْ ، كأنّ الرّدَى فيهِمْ تحَلّلَ مِنْ نَذْرِ
وَرَوّا كَبِدي في آخِرِ الدّهرِ لَوْعَةً بِمَا بَرّدُوا قلبي على أوّلِ الدّهْرِ
مَضَوْا . فكأنّ الحَيَّ فَرْعُ أراكَةٍ على إثْرِهِمْ عُرِّي مِنَ الوَرَقِ النّضرِ
وَأصْبَحَ وِرْدُ الدّمْعِ للعَينِ بَعْدَهُمْ على الغِبِّ إذْ وِرْدُ الفِرَاءِ على العَشْرِ[3]
وَمَا تَرَكُوا عِندَ الرّماحِ بَقيّةً لحَزْ إلى يَوْمِ العَماسِ ولا جَرّ[4]
نَبَذْتُهُمُ نَبذَ الإداوَةِ لَمْ تَدَعْ مِنَ المَاءِ ما يُعدي على غُلّةِ الصّدْرِ[5]
بَقيتُ مُعَنًّى بِالبَقاءِ خِلافَهُمْ ، وَمَا بَيْنَنَا إلاّ قُدَيدِمَةُ السَّفْرِ[6]
وَأغْدَوْا على آثارِهِمْ وَوَدادَتي لَوَ انّهُمُ الغادونَ بعدي على إثْري
وَفي الحَيّ بَيْتي خالِفاً ، وَكأنّني مِنَ الوَجْدِ يُورِي بَينَ أقبُرِهم قبري

١ العطاف : الرداء ، الإزار .
٢ ذو اللبدتين : الأسد . الأجري : الواحد جرو .
٣ الفراء ، الواحد فرا : حمار الوحش . العشر : نهيق الحمار عشر مرا
٤ العماس : الحرب الشديدة .
٥ الاداوة : إناء من جلد . يعدي : يعين .
٦ قديدمة تصغير قيدام : مقدم الشيء .

كأنّيَ مَغلُوبٌ علَى نَصْلِ سَيْفِهِ ، أقَامَ بِلا نَابٍ يَرُوعُ وَلا ظُفُرِ
فَمَا أتَلافَى الغُمْضَ إلاّ علَى قَذًى، وَلا أتَنَاسَى الوَجْدَ إلاّ علَى ذِكْرِ
وَقالوا اصْطَبرْ للخَطبِ، هيهاتَ إذْ مضَى مُقَوّمُ دَرْئي ، وَالمُعِينُ علَى دَهرِي

ذكرتك

يرثي امرأ يخصه :

وَذي نَضَدٍ لا يَقْطَعُ الطَّرْفُ عَرْضَه، إذا قِيلَ نَجْدِيٌّ المُبَاحِ تَغَوَّرَا[1]
تَخَالُ بِهِ رُكْنَيْ أبَانَ وَشَابَةٍ أطَلاّ وَرَجرَاجاً من الرّملِ أعْفَرَا[2]
إذا مَدَّ بالأعْنَاقِ قَعْقَعَ رَعْدُهُ كعَوْدِ المَلا إن عضّهُ العِبءُ جَرْجَرَا[3]
كما اضْطرَعتْ رَاياتُ قَيسٍ وَخِنِدِفٍ عَجالَى يَجُرّونَ العَدِيدَ المُجَمهَرَا
إذا أجّ بالإيماضِ قُلتَ : ابنُ كُفّةٍ يُضَرِّمُ بِالغَابِ الأبَاءَ المُسَعَّرَا[4]
تَشَوّلَ تَشْوَالَ البُرُوقِ بِبُرْقَةٍ، وَرَجّعَ قَرْقَارَ الفَنِيقِ بِقَرْقَرَا[5]

١ النضد من الجبال : جنادل بعضها فوق بعض . المباح : مفعول من أباح الشيء: أظهره . ولعله أراد به نجماً . تغور : غاب ، أو أتى الغور .
٢ ابان وشابة : جبلان .
٣ العود : الجمل المسن . الملا : الصحراء .
٤ الكفة من الغيم : طرته . الأباء : القصب .
٥ تشول : ارتفع . البرقة : الأرض الغليظة . القرقار : هدير البعير . الفنيق : الفحل المكرم . القرقر : القاع الأملس .

كَأنَّ بِهِ النَّوتيَّ مِنْ سيفِ جُدَّةٍ ... على عَجَلٍ يُزْجي السَّفِينَ المُوَقَّرَا

لَهُ نَعَرَاتٌ بَينَ قَوٍّ وَرَامَةٍ ، ... وَلانَعَرَاتُ الشَّيْخِ أوْسِ بنِ مَعْبِرَا[1]

أبَسَّتْ بِهِ رِيحُ النُّعامَى مَنِيحَةً ، ... كَمَا جَعجَعَ الوُهْمُ الثِّفَالُ ليَعقِرَا[2]

وَهَوْجَاءَ في أشْوَاطِهَا عَجرَفِيَّةٌ ... تَسوقُ من الغَوْرِ الغَمامَ الكَنَهوَرَا[3]

تَبَعَّقُ بِالأطْبَاءِ مِنْ كُلِّ فِيقَةٍ ، ... كَمَخضِ الغَرِيرِيِّ المَزَادَ المُوكَّرَا[4]

وَأقْلَعَ إقْلاعَ الظَّلامِ ، وَقَدْ وَزَى ... قِلالَ الرَّوَابي وَالرَّكِيَّ المُغَوَّرَا[5]

قَضَى بِكَ لا ضَنّاً عَلَيْكَ بِمَدمعي ... وَلكِنْ رَسِيلُ الدّمعِ جَادَ وَأمطَرَا

لَقَدْ سَاءَنِي أنّ البَلابِلَ رَوّحَتْ ، ... وَأنّ مَطَالَ الدّاءِ بَعْدَكَ أقْصَرَا

تَضَرّعْتُ في أعقابِ وَجْدٍ علَيكمُ ، ... وَمَنْ فَاتَهُ الإعْذارُ بالأمْرِ عَذّرَا

وَأهجرُكُمْ هَجْرَ الخَلِيِّ ، وَأنتُمُ ... أعزُّ على عَيْنَيَّ مِنْ طارِقِ الكَرَى

وَكَمْ أزْجرِ العَينَ الدُّمُوعَ لتَنتَهِي ، ... وَكَمْ أعْذُلِ القَلْبَ اللّجُوجَ ليَصْبِرَا[6]

وَقَالُوا : أرِحْ قَرْحَ الفُؤادِ ، وَإنّمَا ... أحَبُّ فُؤادِيَّ انطَوَى دُونَه البَرَى[7]

١ نعرات : هيجان . قو ورامة : موضعان .

٢ أبست : ساقت سوقاً سهلا . النعامى : ريح الجنوب . المنيحة : الناقة . الوهم : البعير الذلول في ضخم وقوة . الثفال : البطيء من الإبل .

٣ الهوجاء : الريح تقلع البيوت . العجرفية : قلة المبالاة . الكنهور : قطع من السحاب كالجبال .

٤ تبعق السحاب : انبعج بالمطر . الأطباء : حلمات الضرع . الفيقة : اللبن يجتمع بالضرع بين الحلبتين . الغريري : نسبة إلى الغرير ، وهو فحل من الإبل . الموكر : المملوء .

٥ وزى : تجمع . القلال ، الواحدة قلة : القمة . الركي ، الواحدة ركية : البئر . المغور : الذاهب في الأرض .

٦ قوله : الدموع ، نصب بنزع الخافض ، والمراد عن الدموع .

٧ البرى : التراب .

كَفَى جانِبَ القَبرِ الذي أنتَ ضِمنَهُ ... زَفيري وَدَمعي أنْ يُرَاحَ وَيُمْطَرَا
وَمَا ضَرّ قَلْبي إذْ غَدا مِنكَ آهِلاً، ... تَأمُّلُ عَيْني مَنْزِلاً مِنكَ مُقْفِرَا
ذَكَرْتُكَ وَالأرْضُ العَرِيضَةُ بَينَنَا، ... وَشَرٌّ عَلى ذي الوَجْدِ أنْ يَتَذَكّرَا
فإنْ لمْ يَزَلْ قَلبي إلَيكَ فَقَدْ هَفَا، ... وَإنْ لم يَزِدْ دَمعي عَلَيكَ فقَدْ جرَى

ركب تأنى وسار

قال وقد اجتاز بالحيرة يرثي
آل المنذر بن ماء السماء :

أينَ بَانُوكِ أيّهَا الحِيرَةُ البَيـ ... ـضَاءُ، وَالمُوطِئونَ مِنكِ الدّيَارَا
وَالأولى شَقّقُوا ثَرَاكِ من العُشْـ ... ـبِ، وَأجرَوْا خِلالَكِ الأنْهارَا
المُهيبُونَ بِالضّيُوفِ، إذا هبّـ ... ـتْ شَمالاً وَالمُوقدونَ النّارَا[1]
كُلّمَا بَاخَ ضَوْؤهَا أقْضَمُوهَا ... بالقُبَيْبَاتِ مَنْدَلِيّاً وَغَارَا[2]
رَبَطوا حَوْلَكِ الجِيادَ وَخَطّوا ... لكِ مِنْ مَرْكَزِ العَوَالي عِذارَا
وَحَمَوْا أرْضَكِ الحَوَافِرَ حتّى ... لَثَمُوا أرْضَها خُدُودَ العَذارَى
لمْ يَدَعْ منكِ حادِثُ الدّهرِ إلاّ ... عِبَراً للعيُونِ وَاستِعْبَارَا

١ المهيبون : الداعون .
٢ أقضموها : أطعموها . القبيبات : مواضع . المندل : عود طيب الرائحة ، وكذلك الغار .

وَبَقَايَا مِنْ دَارِسَاتِ طُلُولٍ ، خَبَّرَتْنا عَنْ أَهْلِهَا الأَخْبَارَا
عَبِقَاتِ الثَّرَى كَأَنَّ عَلَيْها لَطَمِيِّينَ يَنفُضُونَ العِطَارَا[1]
وَقِبَابٍ كَأَنَّمَا رَفَعُوا مِنْـ ـهَا لِمُسْتَرْشِدِ الظَّلامِ مَنَارَا
عَقَلُوا بَيْنَها وَبَيْنَ نُجُومِ الـ أُفْقِ مِنْ سَالِفِ اللَّيَالِي جِوَارَا
أَيْنَ عِقْبَانُكِ الخَوَاطِفُ حَلَّقْـ ـنَ ، وَأَبْقَيْنَ عِندَكِ الأَوْكَارَا
وَرِجَالٌ مِثْلُ الأُسُودِ مَشَوْا فِيـ ـكِ ، تَدَاعَوْا قَوَاثِماً وَشِفَارَا
حَبَّذا أَهْلُكِ المُحِلُّونَ أَهْلاً ، يَوْمَ بَانُوا ، وَحَبَّذا الدَّارُ دارَا
لَمْ يَكُونُوا إِلاَّ كَرَكْبٍ تَأَنَّى بُرْهَةً فِي مُنَاخِهِ ثُمَّ سَارَا

ليس هذا مطلع القمر

قال رحمه الله في النسيب :

طَلَعَتْ ، وَاللَّيلُ مُشْتَمِلٌ ، سَابِغُ الأَذْيَالِ وَالأُزُرِ
مِنْ خَصَاصَاتِ الغَبِيطِ ، وَقَدْ غَرَّدَ الحَادِي عَلَى أُقُرِ[2]
وَرِقَابُ القَوْمِ مَايِلَةٌ مِنْ بَقَايَا نَشْوَةِ السَّهَرِ

١ اللطميون : بائعو المسك ، نسبة إلى اللطيمة : المسك ، ونافجته . العطار : لعله جمع عطر
٢ الخصاصات : الفروج . الغبيط : الرحل . أقر : واد .

فَاستَقَامُوا في رِحَالِهِمُ يُتْبِعُونَ الضَوْءَ بِالنّظَرِ
فَامتَرَيْنَا ، ثُمّ قُلْتُ لَهُمْ : لَيْسَ هَذا مَطْلِعُ القَمَرِ

مِعاد دمع العين

أَلا يا لَيَالي الخَيفِ! هلْ يَرْجعُ الهوَى إلَيكنّ لي؟ لا جازكنّ نَدَى القَطْرِ
فَيَا دِينَ قَلْبِي مِنْ ثَلاثٍ عَلَى مِنًى مَضَيْنَ ولَمْ يُبقِينَ غيرَ جوَى الذّكْرِ
وَرَامِينَ وَهْناً بِالجِمَارِ ، وَإنّمَا رَمَوْا بَيْنَ أحْشَاءِ المُحِبّينَ بالجَمْرِ
رَمَوْا لا يُبَالُونَ الحَشَى ، وَتَرَوّحُوا خَلِيّينَ، وَالرّامي يُصِيبُ، وَلا يدرِي
وَقالُوا: غَداً مِيعادُنا النّفْرُ عن مِنًى، وَمَا سَرّني أنّ اللّقَاءَ مَعَ النّفْرِ
وَيَا بُؤسَ لِلقُرْبِ الذي لا نَذُوقُهُ سوَى سَاعَةٍ ثُمّ البِعَادُ مَدى الدّهرِ
فَيَا صَاحبي! إنْ تُعطِ صَبراً، فإنّني نزَعتُ يديّ اليَوْمَ من طاعَةِ الصّبرِ
وَإنْ كُنتَ لمْ تَدْرِ البُكَا قبلَ هَذه، فمِيعَادُ دَمعِ العَينِ مُنقَلَبُ السَّفْرِ

زينة الصفصاف

أَرْتَاحُ إنْ أخَذَ الصّفصَافُ زِينَتَهُ ... من الرّبيعِ وَقالَ : الرّكبُ قد مُطِرَا
مُسَائِلاً ، كُلّمَا هبّتْ يمَانيَةٌ ، ... وَفدَ القَرِينَةِ : هل أحسَستمُ خبَرَا[1]
إنْ لمْ أرِقْ فيكَ ماءَ النّاظرَينِ أسًى ... على الزّمَانِ الذي وَلّى، فَلا نَظَرَا!

شعار الوفاء

قال وكتبها إلى صديق له :

نَأتِ القُلُوبُ وَسَوْفَ تَنْأى الدّارُ، ... وَتَغَيّرَتْ بِمَذاعِهَا الأسْرَارُ
وَلَقَد شَقَقتُ حشَى الزّمانِ فلَم يكنْ ... فيهِ سِوَى سِرّ النّوَى إضْمَارُ
مَا للخُطُوبِ تَبزّني ثَوْبَ الهوَى ، ... وَعَليّ مِنْ أحْداثِهَا أطْمَارُ
ألِفَتْ ضَمِيرِي النّائِبَاتُ كَأنّهَا ... لِعِتَاقِ أفْرَاسِ الجَوَى مِضْمَارُ
مَا لي أُرَقْرِقُ فيكَ دَمْعاً تَرْتَوِي ... مِنْهُ الخُطُوبُ ، وَمَا لَهُ مُشْتَارُ[2]

---

١ القرينة : موضع أو روضة بالصمان .

٢ المشتار : الانقطاع .

إيهاً مؤمَّلَ طيّءٍ لا تَنقُضَنْ   وِدّاً لهُ مِنْ ذِمّةٍ إمرارُ
فلقَدْ حلَلْتَ مِنَ الفؤادِ محلّةً   في حيثُ ليسَ من الورَى لكَ جارُ
فلئِنْ وَفيْتَ فما الوفاءُ ببِدْعةٍ ؛   إنّ الوفاءَ لذي الصّفاءِ شِعارُ
ولئِنْ غدَرْتَ ، ولا عجيبٌ أنّهُ   بعضُ الزّمانِ ببَعْضِهِ غدّارُ
نفْسي فِداءُ الغادِرِينَ تباعَدُوا ،   أوْ قارَبُوا ، أوْ أنْصفُوا أوْ جارُوا

خمار الهوى

قال وقد سئل وصف مجلس

ورُبّ ليْلٍ طرِبْتُ فيهِ ،   وما استرَقتْنيَ العُقارُ
صحَوْتُ مِنْ سُكْرِهِ ولكِنْ   بي مِنْ بقَايا الهوَى خُمارُ
نَجهَلُ فيهِ مع الأغاني ،   والجهْلُ في مِثْلِهِ وقارُ
لمّا استَضاءَ الظّلامُ مِنّا ،   تعانَقَ اللّيْلُ والنّهارُ
زارَ حبيبُ الفؤادِ فيهِ ،   مِنْ بعْدِ ما استُبْعِدَ المزارُ
إذا تنَاءَتْ بِنا قلُوبٌ ،   فلا تدانَتْ بِنا دِيارُ

المشيب هو الفقر

خُذا اليَوْمَ كَفّي للبياعِ علىالنُّهَى، فلَمْ يَبقَ للإطرابِ عَينٌ ، ولا أثْرُ
فقَدكُنتُ لا أعطي العَوَاذِلَ طاعَةً ، وَأعذِرُ نَفْسِي في التّصَابي وَلا عُذْرُ
تَقَضّتْ لُبَانَاتُ الصِّبا،وَتَصَرّمتْ، فَلا نَهْيَ للاّحي عَليّ ، وَلا أمرُ
وَلا تَحْسِبَا أنّي نَضَوْتُ بَطَالَتي نُزُوعاً ، وَلكِنْ صَغّرَ اللّذّةَ الكِبْرُ
وَلا أمتَري أنّ الشّبَابَ هُوَ الغِنَى ، وَإنْ قَلّ مَالٌ فالمَشِيبُ هُوَ الفَقْرُ

ذنب غير مغتفر

قال على لسان رجل شيخ سأله مدح جارية سوداء :

لامُوا وَلَوْ وَجَدوا وَجدي لقَد عذرُوا، وَذَنْبُ مَنْ لامَ ظُلْماً غَيرُ مُغتَفَرِ
لمّا تَمَالَوْا عَلَى عَذْلي أجَبْتُهُمُ بِعِزّ مُعْتَرِفٍ لا ذُلّ مُعتَذِرِ[1]
أهْوَى السّوَادَ برَأسِي ثمّ أمقُتُهُ ، فكَيْفَ يَختَلِفُ اللّوْنَانِ في نظَرِي
تَأبَى طَلائِعُ بِيضٍ ذَرّ شَارِقُهَا في عارِضِي أن تكونَ البِيضُ منْ وَطَرِي

١ تمالوا مسهل تمالأوا : اجتمعوا وتعاونوا .

إنّي عَلِقْتُ سَوَادَ اللّوْنِ بَعدَكُمُ ... عَلاقَةً تُشْمِتُ الظَّلْماءَ بالقَمَرِ
لوْ لم يكنْ فوْقَ لوْنِ البيضِ ما رُقِمَتْ ... صِبْغُ اللّيَالِي عَلى الأجْيادِ وَالعُذُرِ
جَعَلْتُهُ لِسَوَادِ الرّأسِ تَذْكِرَةً ، ... إنْ تَفْقِدِ العَينُ يَرْضَ القَلبُ بالأثَرِ
وَاللّيلُ أستَرُ للخَالي بِلَذّتِهِ ، ... وَالصّبْحُ أفْضَحُ للسّارِي عَلى غَرَرِ
وَللفَتَى في ظَلامِ اللّيْلِ مَعْذِرَةٌ ، ... وَمَا لهُ في الضّحَى إن ضَلّ من عُذُرِ
لا أجمَعُ الحُبّ للبيضِ الحِسانِ إلى ... ما بَيّضَ الدّهرُ وَالأيّامُ مِن شَعَرِي
وَكَيفَ يَذهَبُ عن قَلبي وَعن بصرِي ... مَنْ كانَ مثلَ سَوَادِ القَلبِ وَالبَصرِ

شر ضياء لشر نار

لَيْسَ عَلى الشّيْبِ للغَوَاني ، ... وَإنْ تَجَمّلْنَ ، مِنْ قَرَارِ
كَأنّمَا البِيضُ مِنْ لِداتي ... ضَرَائِرُ البِيضِ مِنْ عِذارِي
إنْ خَيّمَتْ هَذِهِ بِأرْضِي ، ... تَحَمّلَتْ تِلْكَ عَنْ دِيَارِي
أرَيْنَ في رَأسِيَ اللّيَالِي ، ... شَرّ ضِيَاءٍ لِشَرّ نَارِ
يُبْدِي الخَفِيّاتِ مِنْ عُيُوبِي ، ... وَيُظْهِرُ السّرّ مِنْ عَوَارِي
أعدُو بِهِ اليَوْمَ للغَوَاني ، ... أعدَى مِنَ الذّئبِ للضّوَارِي
وَكُنّ طَرْبَى إلى طُرُوقِي ، ... إذْ لَيْلُ رَأسِي بِلا دَرَارِي
فَمُذْ أضَاءَ المَشيبُ فَوْدِي، ... تَوَرّعَ الزَّوْرُ عَنْ مَزَارِي
مِثْلُ الخَيَالاتِ زُرْنَ لَيْلاً ، ... وَزُلْنَ مَعْ طَالِعِ النّهَارِ

أنا الفداء

أنَا الفِداءُ لظَبْيٍ ما اعترَضْتُ لَهُ ، إلاّ وَهتّكَ شَوْقاً لي أستَرَّهُ
لاحَظْتُهُ ، وَالنّوَى تَدْمَى مَلاحظُه بعارِضٍ مِنْ رَشاشِ الدّمعِ يُمطِرُهُ
ما انفكّ مِنْ نَفَسٍ للوَجدِ يكتُمُهُ تحتَ الضّلُوعِ وَمِنْ دَمْعٍ يُوَفّرُهُ
أهْوَى إليّ يَداً عَقْدُ العِناقِ بِهِا ، وَالبَيْنُ يَعْذُلُهُ ، وَالحُبّ يَعذِرُهُ
وَقالَ : تَذكُرُ هذا بَعْدَ فُرْقَتِنا ؟ فَقُلْتُ : مَا كُنتُ أنْساهُ فَأذكُرُهُ

عهد الغرام

أقُولُ ، وَقَدْ عادَ عِيدُ الغَرَامِ لمّا هَبَطنَ بنَا الأجْفَرَا :[1]
أيَا صَاحِبِي ! أتَرَى نارَهُمْ ؟ فَقَالَ : تُرِينيَ مَا لا أرَى
دَعَاني الغَرَامُ ، وَلَمْ يَدْعُهُ ، فأبصَرْتُ ما لم يكُنْ مُبصِرَا
فَما زِلْتُ أطرِبُهُ بِالحَنِينِ ، وَأذْكِرُهُ المَنْزِلَ المُقْفِرَا
إلى أنْ تَنَفّسَ عَنْ زَفْرَةٍ ، وَأنّ مِنَ الوَجْدِ مُسْتَعبِرَا

١ الأجفر : موضع بين الخزيمية وفيد .

يا قلب

قال متغزلا

يا قَلْبِ! ما أنتَ من نَجدٍ وَسَاكِنِهِ ، خَلّفْتَ نَجداً وَرَاءَ المُدلجِ السّارِي
رَاحَتْ نَوَازِعُ مِنْ قَلْبي تُتَبِّعُهُ عَلى بَقَايَا لُبَانَاتٍ وَأوْطَارِ
أهْفُو إلى الرّكْبِ تَعلُو لي رِكابُهُمُ مِنَ الحِمَى في أُسَيحاقٍ وَأطْمَارِ[1]
تَضُوعُ أرْوَاحُ نَجْدٍ مِنْ ثِيَابِهِمُ ، عندَ النّزُولِ لقُرْبِ العَهْدِ بالدّارِ
يا رَاكِبَانِ! قِفَا لي وَاقضِيا وَطَرِي ، وَخَبّرَانيَ عَنْ نَجْدٍ بِأخْبَارِ
هل رُوّضَتْ قاعةُ الوَعساءِ أمْ مُطِرَتْ خَميلَةُ الطّلْحِ ذاتِ البَانِ وَالغَارِ
أمْ هَلْ أبيتُ وَدارٌ عندَ كاظِمَةٍ دارِي وَسُمّارُ ذاكَ الحَيّ سُمّارِي
أيّامَ أُودِعُ سرّي في الهَوَى فَرَسِي ، وَأكتُمُ الحَيّ إدْلاجي وَأخطَارِي
فَلَمْ يَزَالا إلى أنْ نَمّ بي نَفَسِي ، وَحَدّثَ الرّكْبَ عنّي دَمعيَ الجارِي

[1] أسيحاق ، مصغر اسحاق : الثياب البالية .

عثرة العشاء بالسحر

قال في قصر الليل

أشكُو ليَاليَ ، غيرَ معتبَةٍ ، إمّا مِنَ الطّولِ ، أوْ مِنَ القِصَرِ
تَطُولُ في هَجرِكمْ وَتَقصُرُ في الوَصْلِ ، فَمَا نَلْتَقي عَلى قَدَرِ
يَا لَيْلَةً كَادَ مِنْ تقَارُبِهَا ، يَعْثُرُ فيهَا العِشاءُ بالسَّحَرِ

رح غانماً بالعفو

قال وكتب بها إلى صديق له
وقد أغضبه ، يصفح عنه :

أتَحسِبُ سوءَ الظن يَجرَحُ في فكري ، إذاً فاحتَوِي بي العَجزَ من كنَفِ الصّبرِ
وَعَاقَتْ يَدَي عِندَ النّزَالِ عَوَائِقٌ عنِ السّيفِ لا تُدني يدَيّ من النّصْرِ
فَلا تَقْرِنَا ظَنّي بِظَنٍّ مُسَفَّهٍ ، يَظُنّ بِوَقْعِ الأثرِ في غُرّةِ البَدْرِ
فقَلْبيَ يَأبَى أنْ يُدَنِّسَ سِرَّهُ برَيبٍ وَوُدّي أن يُعنِّفَ من غَدرِي
وَقَد جُدْتُ بالنّعمَى عَلَيكَ لأنّني حلَلتُ عُرَى ضِغني وكفكَفتُ من وِترِي
وَلَوْ أنّني جازَيتُ قَوْماً بِفِعْلِهِم ، لألبَستُهُمْ حَلياً من البِيضِ والسُّمْرِ

وأخلاقُنا ماءٌ زُلالٌ على الرِّضَى ، وإنْ أُسخِطتْ عادتْ على السخطِ من صَخرِ
إذا ما غضبْنا كادَتِ الأرْضُ تَنطوي حِفاظاً ويَرْمي الأفقُ بالأنجُمِ الزُّهْرِ
ومَا نحنُ إلاّ عارِضٌ إنْ قَصَدْتَهُ بجُودٍ حَبَاكَ النّائلَ الغَمرَ بالقَطْرِ
وإنْ هزّ للأضْغَانِ عادَتْ برُوقُهُ حَرِيقاً على الأعداءِ مُضْطَرِمَ السّعرِ
غفَرْتُ ذُنوباً منكَ أذْكَتْ عزَايمي ، وكادَ شهابُ السّخطِ يطلعُ من صَدرِي
صَفَحتُ وقد كانَ التّغَصُّصُ ذادَني عنِ الصّفحِ لكن أنتَ من كرَمِ البَحرِ[1]
ومَنْ قيّدَ الألفَاظَ عِندَ نزَاعِها بقَيْدِ النُّهَى أغنَتْهُ عَن طلبِ العُذْرِ
فَرُحْ غانِماً بالعَفوِ ممّن لَوِ انطوَى على حَنَقٍ ماتَ الحمَامُ من الذُّعْرِ
بكَفّيَ أنّي شِئْتُ ناصيَةَ العُلَى ، أهزُّ ، وأعناقُ المكارِمِ في أسْرِي

هجران القوافي

ألا إنّهَا غَمرُ السّخائِمِ والغَمْرِ ، جِنايَةُ مَن يَجني بها ثمرَ الدّهرِ[2]
تَحِنّ الرُّبَى للقَطْرِ لا لغَمَامِهِ ، ومَا تَنفعُ السُّحبُ السّوَارِي بلا قَطرِ
سأهجرُ أبْكَارَ القَوَافي ، فإنّني أرَاها على الأيّامِ تَقتَصّ بالغَدرِ

١ ذادني : ردني ، دفعني .

٢ غمر السخائم : كثيرة الأحقاد ، الواحدة سخيمة . الغمر : الحقد .

ألا ربّ دويّة

قال يصف السماء والنجوم :

ألا رُبّ دَوِّيّةٍ خُضْتُها ، وقد قَيّدَ العَيْنَ دَيْجُورُها[1]
وَحَاجَةُ رُمْحي ذَيّالُها ، وَهَمُّ جَوَادِيَ يَعفُورُها[2]
رَبَأتُ بِها في ذُرَى قُلّةٍ قَرِيبٍ مِنَ النّجمِ دَيْجُورُها[3]
كَأنّ السّماءَ بِها لامَةٌ ، وَزُهْرُ النّجُومِ مَسامِيرُها

جنود الجهل

لمّا رَأيْتَ جُنُودَ الجَهْلِ غَالِبَةً ، وَالنّاسَ في مثل شدقِ الضّيغمِ الضّاري
نَهَضْتَ تَكتُمُ في بُرْدَيْكَ سَابِغَةً لِفَيْلَقٍ كَنُجُومِ اللّيْلِ جَرّارِ
وَالحُرُّ تُنْهِضُهُ إمّا شَجَاعَتُهُ إلى المُلِمّ ، وَإمّا خَشيَةُ العَارِ

١ الدوية : الفلاة . الديجور : الظلام .
٢ الذيال : الثور الوحشي . اليعفور : الغزال .
٣ ديجورها : ترابها .

الفايز من صبر

قال وقد سئل ذلك :

صَبْراً فَما الفَايزُ إلاّ مَنْ صَبَرْ ؛ إنّ اللّيَالي وَاعِداتٌ بالظّفَرْ
لا بُدّ أنْ يَمضِيَ بِمَا فيهِ القَدَرْ ، يَلقَى الفَتَى مِنْ دَهرِهِ خَيراً وَشَرّ
لا بد ان ينهض جد من عثر ، قد ينضب الحلف الغزير ويدر
وَرُبَّ عَظْمٍ هِيضَ حِيناً، وَانجَبَرْ ؛ أخُوكَ مَنْ كانَ مَآلاً وَوَزَرْ[1]
إذا نَحَا الدّهْرُ بِنَابٍ وَعقَرْ ، لَيسَ الذي إنْ جانَبَ الخَوْفَ انحَسَرْ
أقْبَلَ في الأمنِ وَوَلّى في الحَذَرْ ؛ أبْلِغْ مَقَالي ذَلِكَ العَضْبَ الذّكَرْ
ذا العُنُقِ الأغلَبِ وَالوَجهِ الأغَرّ ، لَوْلاهُ مَا لاقَوا بعُودِي من خَوَرْ
وَلَوْ تَعَاطَاني العَدُوُّ مَا قَدَرْ ، وَكَانَ لِلخُصُومِ عَنّي مُزْدَجَرْ
حُرِمْتُ حظّي منهُ مِن دونِ البَشَرْ، خُصِصْتُ بالغُلّةِ مِنْ ذاكَ المَطَرْ
وَقَدْ سَقَى البَدْوَ وَطَبّقَ الحَضَرْ ؛ عَسَى الذي سَاءَ قَرِيباً أنْ يَسُرّ
فَلَيْسَ ظَنّي فيهِ كَاذِبَ الخَبَرْ ، وَلا رَجَائي بِبَعِيدِ المُنْتَظَرْ
قَدْ زَادَهُ اللهُ عَلى عُظْمِ الخَطَرْ ، مَكَارِماً ذاتَ حُجُولٍ وَغُرَرْ
فَاتَ بِهَا كُلّ جَوَادٍ وَطِمِرّ ، سَبْقاً إلى غَايَةِ كُلّ مُفْتَخِرْ
فَاللهُ يُعْشِي عَنْهُ نَاظِرَ الغِيَرْ ، مَا طَلَعَ النّجمُ ، وَأوْرَقَ الشّجَرْ

---

١ المآل : المرجع . الوزر : الملجأ .

الفرج المختصر

قال وقد كثرت على قلبه الهموم :

أرَى ركْدَةً رِيحهُا يرُتَجى ، وَمُظْلِمَةً صُبْحُهَا يُنْتَظَرْ
لَعَلَّ هُمُومَكَ هَذي الطّوَالَ سَيَكْشِفُهَا فَرَجٌ مُخْتَصَرْ
فتأمَن من حَيثُ يُخشَى الأذَى ، كما خِبتَ من حيثُ يُقضَى الوَطَرْ
إذا عَادَ جَدٌّ كَأنْ لَمْ يَزَلْ ، وَإنْ سَرّ دَهْرٌ كَأنْ لَمْ يَضُرّ
وَقَالُوا : انتَظِرْها عَلى بُطئِها ، وَمَنْ ضَامِنُ العُمْرِ للمُنْتَظِرْ
وَهَلْ نَافعي يَوْمَ أقضِي صَدًى . إذا صَابَ وَادِيَ قَوْمي المَطَرْ ؟
فَإنْ لمْ يَكُنْ فَرَجٌ في الحَيَاةِ ، فَكَمْ فَرَجٍ في انقِضَاءِ العُمُرْ

همّ الطارق

إذا ضَافَني هَمٌّ أمَلٌّ طُرُوقُهُ بِبَعْضِ اللّيَالي ، أوْ أضِيقُ به صَدرَا
وَلَمْ أرَ لي مَا يَطرُدُ الهَمَّ مِثْلَهُ ، سَمَاعاً يُجَلّي عَن ضَميرٍ وَلا خَمرَا
أقُولُ لِنَدْمَانَيّ كُرّا إلى المُنَى وَذِكرِ التّصَابي وَاندُبَا ذلكَ العَصْرَا
فَقَدْ طَالَ مَا أحدَثْتُ عَهداً بطَيبَةٍ ، فرُدّا عَليّ القَوْلَ أُحدِثْ به ذِكْرَا
فَمَا كَانَ إلاّ خِلْسَةً ثُمّ إنّني رَأيْتُ يَدِي مِمّا عَلِقتُ بهِ صِفرَا

ناديته

نادَيْتُهُ بالرّملِ وَالأمْرُ ذَكَرْ ، وَقد مضَى الوِرْدُ وَأعجزَ الصَّدَرْ [1]
يا عَمرُو، ذا الجُمّةِ وَالوَجهِ الأغَرّ، قُمِ اضْطِرَاراً جاوَزَ الأمْرُ الخَبَرْ
فَقَامَ مَشْزُورَ القُوَى عَلى مِرَرْ ، كَأنّمَا نَاطَ عَلى الجِيدِ القَمَرْ [2]
مُضْطَرِبَ الإزْرَةِ وَقّادَ النّظَرْ ، كَأنّمَا يَنْظُرُ مِنْ وَقْبَي حَجَرْ [3]
قَدْحُ لِحَاظٍ كَمُطّارَاتِ الشّرَرْ ، يُلْهِبُ في إزَارِهِ ، إذا نَظَرْ
كَالصِّلّ إنْ جَرّ ذُنَابَاهُ زَفَرْ ، أوِ الغَرِيرِيِّ إذا عَجّ هَدَرْ [4]
جَرْجَرَ لمّا سِيمَ ضَيْماً وَزَأرْ ، جَرْجَرَةَ العَوْدِ بَلا طُولَ السّفَرْ [5]
فَرَدّهَا بَعْدَ العِرَاكِ وَالبَهَرْ ، وَاليَوْمُ ذُو مَزَادَةٍ تَنْضَحُ شَرّ
حتّى رَمَاني بِهَوَادِيهَا وَمَرّ ، مُبْتَسِماً كَأنّمَا قَضَى وَطَرْ

١ ذكر : جليل .

٢ المرر ، الواحدة مرة : قوة الخلق وشدته . ناط : علق

٣ الوقب : النقرة في الصخر يجتمع فيها الماء .

٤ الغريري : نسبة إلى غرير وهو فحل من الإبل .

٥ بلا : جرب ، اختبر .

شهادة الصادقين

خُذْ مِن صَديقكَ مرأى دون مُستَمَعٍ ، يا بُعْدَ بَيْنَ عِيانِ المَرْءِ وَالخبَرِ
قَد يُورِقُ العُودُ يَوْماً وَهوَ ذويَبس ، وَتُقْبَسُ النّارُ من ذي نعمَةٍ حَصِرِ
كَذّبْ عليهِ ، إذا أرْضَاكَ ظَاهِرُهُ ، شَهَادَةَ الصّادِقَينِ السّمْعِ وَالبَصَرِ
وَإنْ سَمِعتَ فقُلْ ما كانَ عن أُذُنٍ ، وَإنْ نَظَرْتَ فقُلْ ما كانَ عن نَظَرِ
إنْ كُنْتَ لا تَصْطَفي إلاّ أخَا ثِقَةٍ ، فَاخْلُقْ لنَفْسِكَ إخوَاناً عَلى قَدَرِ

يا ذا المعارج

قال يشكر الله تعالى على ما يسر له من الحج وكفاه في ذهابه ورجوعه :

يا ذا المَعارِجِ كَمْ سألتُكَ نِعمَةً ، فَمَنَحتَنيهَا بِالذّنُوبِ الأوْفَرِ
أيُّ العَوَارِفِ مِنكَ أشكُرُ فَضْلَهُ ، عَجزَ المُقِلُّ وَزَادَ طَولُ المُكْثِرِ
أكَفَيْتَني ما قَدْ حَذِرْتُ وُقُوعَه ، أمْ مَا كُفِيتُ من الذي لمْ أحْذَرِ ؟

المودات المطلقة

فِي كُلِّ يَوْمٍ مَوَدَّاتٌ مُطَلَّقَةٌ ... قَدْ كانَ أنْكَحَنيها الدَّهْرُ مَغْرُورَا
يُطَيِّبُ النَّفسَ عَنْ قَطعي عَلائِقَها ... أنّي أُفارِقُ مَن فارَقْتُ مَعْذُورَا
كُنْ فِي الأنَامِ بِلا عَيْنٍ وَلا أُذُنٍ ، ... أوْ لا فَعِشْ أبَدَ الأيّامِ مَصْدُورَا
غَيْبُ الرِّجالِ ظُنُونٌ قَبلَ مَبحَثِهِ ، ... فَما طِلابُكَ أنْ تَلقاهُ مَوْفُورَا
فَمَا نُلائِمُ إلاّ عَادَ مُنْصَدِعاً ؛ ... وَلا نُثَقِّفُ إلاّ عَادَ مَأطُورَا
مَحلُ البِلادِ ، وَلا جارٌ تَغَصّ بهِ ، ... يَضْوِي الفَتى وَيَكونُ العامُ مَمطورَا
وَالنّاسُ أُسْدٌ تُحَامي عَنْ فَرَائِسها ، ... إمّا عَقَرْتَ ، وَإمّا كنتَ مَعقُورَا
كَمْ وَحدَةٍ هيَ خَيرٌ مِنْ مُصَاحَبَةٍ ، ... يُنْسَى الجَميعُ وَيَغدُو الفَذُّ مَذكورَا
مَنْ كَشّفَ النّاسَ لمْ يَسلَمْ له أحدٌ ؛ ... النّاسُ داءٌ فَخَلِّ الدّاءَ مَستُورَا

المشيب ذنب لا يغتفر

مَنْ شافِعي، وَذُنوبي عندَها الكِبَرُ ؛ ... إنّ المَشيبَ لَذَنْبٌ لَيسَ يُغتَفَرُ
رَاحتْ تُرِيحُ عَلَيكَ الهَمَّ صَاحِيَةً ، ... وَعِندَ قَلبِكَ من غَيِّ الهوَى سَكَرُ
رَأتْ بَياضَكَ مُسْوَدّاً مَطَالِعُهُ ، ... مَا فِيهِ للحُبّ لا عَيْنٌ وَلا أثَرُ

وَأيُّ ذَنْبٍ لِلَوْنٍ رَاقَ مَنظَرُهُ ، إذا أرَاكَ خِلافَ الصِّبْغَةِ الأثَرُ
وَمَا عَلَيْكَ وَنَفْسِي فيكَ وَاحِدَةٌ إذا تَلَوّنَ في ألْوَانِهِ الشَّعَرُ
أنْسَاكَ طُولُ نَهارِ الشّيبِ آخِرَهُ ، وَكُلُّ لَيْلِ شَبَابٍ عَيْبُهُ القِصَرُ
إنّ السّوَادَ عَلى لَذّاتِهِ لعَمًى ، كَمَا البَيَاضُ عَلى عِلاّتِهِ بَصَرُ
البِيضُ أوْفَى وأبْقَى لي مُصَاحَبَةً ، وَالسّودُ مُستَوْفِزَاتٌ للنّوَى غُدُرُ
كُنتَ البَهيمَ وَأعْلاقُ الهَوَى جُدُدٌ ، وَأخلَقَتْكَ حُجُولُ الشّيبِ وَالغُرَرُ
وَلَيسَ كُلُّ ظَلامٍ دامَ غَيْهَبُهُ ، يَسُرّ خابِطَهُ أنْ يَطْلَعَ القَمَرُ
أمَا تَرَيْنِي كَصِلٍّ تحتَ هَضْبَتِهِ بالرّملِ أطْرَقَ لا نَابٌ ، وَلا ظُفُرُ
مُسَالِماً يَأمَنُ الأقْرَانُ عَدْوَتَهُ ، مُلْقَى الحَنِيّةِ عَرّى مَتنَهَا الوَتَرُ
كالفَرْعِ سَاقَطَ ما يَعلُوهُ مِن وَرَقٍ ، وَالجَفْنِ أُفرِدَ عَنهُ الصّارِمُ الذّكَرُ
إنْ أشْهَدِ القَوْمَ لا أعلَمْ نَجيّهُمُ ، ماذا قَضَوا، وَيُجَمجِمِ دُونيَ الخَبَرُ
كانَ الشّبابُ الذي أنضَيتُ مِندَلَهُ ، عِقْبَ الخَميلَةِ لَمّا صَوّحَ الزّهَرُ
مِن بَعدِ ما كنتُ أستَسبي المَها شغَفاً، أمسَتْ تَرُوعُ بيَ الغِزْلانُ وَالبَقَرُ
لمْ أدْرِ أنّ الصِّبَا تَبْلَى خَميصَتُهُ ، وَأنّ مُنصَاتَ ذاكَ العُودِ يَنْأطِرُ[1]
إنْ أمسِ لا يَتّقِي زَجْرِي وَلا غضَبي وَلائِذُ الحَيّ ، مَملُولاً ليَ العُمُرُ
فَقَدْ أرُدّ العَفَرْنَى عَنْ أكيلَتِهِ ، وَأزْجُرُ الضّيغَمَ الغادي فَيَنْزَجِرُ
ما للزّمَانِ رَمَى قَوْمي فَذَعْذَعَهمْ ، تَطَايُرَ القَعْبِ لَمّا صَكّهُ الحَجَرُ
يَنفَضّ جُمّاعُهمْ عَن كلّ نائِبَةٍ ، كَمَا تَهَالَكَ تَحْتَ المِيسَمِ الوَبَرُ

---

١ الخميصة : ثوب أسود مربع . المنصات : المستوي . ينأطر : ينحني .

مَا كانَ ضَرّ اللّيَالي لَوْ نَفَسْنَ بهم، عَلى النّوَائِبِ، وَاستَثْناهُمُ القَدَرُ
أصْبَحتُ بَعدَهُمُ في شَرّ خَالِفَةٍ ، مثلَ السَّلَى حوْلَهُ الذّوْبانُ وَالنّمِرُ
في كُلّ يَوْمٍ لرَحْلي عَنْ نَوَاقِرِهم إلى المَعَاطِبِ مَهْوَاةٌ وَمُحتَفَرُ[1]
أرُدّ نَبْلَ الأداني مَا رُميتُ بِهَا ، فَهَلْ إلى الرّحِمِ البَلْهَاءِ لي عُذُرُ
وَقَدْ أرُوعُ سَوَامَ الحَيّ رَاتِعَةً . بِمُقْرَبٍ لا يُوَارِي عُنْقَهُ الخَمَرُ[2]
إذا تَوَجّسَ كانَ القَلْبُ نَاظِرَهُ ، وَالقَلْبُ يَنظُرُ ما لا يَنظُرُ البَصَرُ
أجفُو لَهُ الوُلْدَ ،مَذْخُوراً لَه شَفَقي عَلَيهِ ، دُونَهُمُ الرّوْعاتُ وَالحَذَرُ
يُمْسُونَ شُعْثاً ، وَيُمسِي في بَلَهنيةٍ كَأنّما جَدُّهُ عَدْنَانُ أوْ مُضَرُ
فَفي القُلُوبِ عَلى حَوْبائِه حَنَقٌ ، وَبالعُيُونِ إلى مِضْمَارِهِ شَزَرُ
مِنْ عَاطِيَاتٍ تَعَالَى في أعِنّتِهَا ، صَكّ القِداحِ رَمَاها القامِرُ اليَسَرُ
وَاليَوْمُ عُرْيانُ مَشْهُورٌ بقُرْجَتِهِ ، يَعتَمّ بالنّقْعِ أطْواراً ، وَيَأتَزِرُ
كَأنّهُنّ ذِئَابُ القَاعِ مُجْفِلَةً ، لَوْلا السّبيبُ على الأعناقِ وَالعُذُرُ
يَطّلُعْنَ نَزْوَ الدَّبَى العَاميّ آوِنَةً ، أوْ مِطرَقَ القَيْنِ يَنزُو تحتَه الشّرَرُ
تَخَالُهُنّ مَزَادَ المَاءِ أغْفَلَهَا بالدّوّ رَبْطُ العزَالي فهْيَ تَبتَدِرُ[3]
سَوَاهِماً كَصَوَالي النّارِ ألْجَأهَا إلى مَوَاقِدِهَا الشَّفّانُ وَالقِرَرُ[4]

١ نواقرهم : دواهيهم ، مخاصماتهم .

٢ المقرب : الفرس الكريم .

٣ العزالي ، الواحدة عزلاء : مصب الماء من الراوية .

٤ السواهم : الضوامر ، المتغيرات اللون . الشفان : الريح . القرر ، الواحدة قرة : البرد .

تَكَادُ تَسْبُقُ أَيْدِيهَا نَوَاظِرَهَا إلى الطَّرِيدَةِ لَوْلا النَّجْمُ وَالعُذُرُ

إنّي حلَفْتُ بأيدي الرّاقصاتِ ضُحًى، وَبالحَجيجِ وَمَا لَبّوا وَمَا جَمَرُوا

وَالرّائِحَاتِ إلى جَمْعٍ مُحَزَّمَةً، مَرَّ اليَمَامِ دَعَا أَوْرَادَهَا الصَّدَرُ

تَنُوسُ رُكبانُها نَوْسَ القِرَاطِ، إذا مَالَتْ مِنَ السّهَرِ الأجْيَادُ وَالعُذُرُ[1]

وَمَا أُرِيقَ بأعلى الخَيْفِ مِنْ عَلَقٍ، تُوجَى لَهُ البُدْنُ المُلقاةُ وَالجُزُرُ

وَالبَيْتِ قَالِصَةً عَنْهُ ذَلاذِلُهُ، سَوْمَ المَخيضِ جَلا عن ركنه الحجرُ[2]

لأُمْطِرَنّ بَني الدّيّانِ دامِيَةً، هَطْلَى، تُذَمّ بهَا الأنْوَاءُ وَالمَطَرُ

قَلّوا عَنَاءً، وَإنْ أثرَى عَدِيدُهُمُ، وَرُبّمَا قَلّ أقوَامٌ، وَإنْ كَثُرُوا

لا يَجبُرُونَ عَلى الأيّامِ مَنْ وَهَنُوا بالقارِعاتِ وَلا يأسُونَ مَنْ عَقَرُوا

تَمَسّكُوا بِوَصَايَا اللّؤمِ تَحسبُهمْ تُتْلَى عَلَيْهِمْ بهَا الآياتُ وَالزُّبُرُ

يا أعثَرَ اللهُ أيْدي أينُقٍ حَمَلَتْ رَحْلي إلى حَيْثُ لا ماءٌ وَلا شَجَرُ

مَنَازِلٌ لا يُرَجّى عِندَهَا أمَلٌ عَلى اللّيَالي، وَلا يُقضَى بهَا وَطَرُ

مَنَابتٌ سَارَ فيها قادِحٌ عَمِلٌ يَرْمي العُرُوقَ، وَعِيدانٌ بهَا خَوَرُ

مِنْ كلّ وَجْهٍ نِقَابُ العَارِ نُقْبَتُهُ كالعِرّ مَرّ عَلَيْهِ القَارُ وَالقَطِرُ[3]

يَصْدَى مِنَ اللّؤمِ حتّى لَوْ تُعاوِدُهُ أيدي العُيُونِ زَمَاناً لانجَلَى الأثَرُ

١ تنوس: تتحرك، تتذبذب. القراط، الواحد قرط: ما يعلق في الآذان.

٢ ذلاذله: أسافل ثيابه. المخيض: المستخرج زبده. جلا: أذهب، كشف. وعجز البيت غامض المعنى، ولعل فيه تحريفاً.

٣ القطر: أراد به القطران.

أبقَوْا مَخازِيَ لا تُعفي مَوَاطِنَهَا عَلى البِلادِ فُضُولُ الرَّيطِ وَالأُزُرُ
يا طَلْحَ رَامَةَ لا سُقّيتَ مِنْ شَجَرٍ مُذَمَّمِ الأرْضِ لا ظِلٌّ وَلا ثَمَرُ
كَأنّني يَوْمَ أستَدْرِيكَ مِنْ حذَرٍ جَاني دَمٍ طَاحَ لا مَنجى وَلا وَزَرُ
سِيّانِ عِندي وَأيدي الحَيّ جَامِدَةٌ إنْ أخطَأَ القَطرُ وَاديهِم وَإن مُطِرُوا
مَا كُلُّ مُثْمِرَةٍ تَحْلُو لِذايِقِها ؛ إنّ السّيَاطَ لهَا مِنْ مِثلِها ثَمَرُ[1]
ألُومُ مَنْ لا يَعُدّ اللّوْمَ مَنقَصَةً ، وَضَاعَ عتبُ مُسيءٍ ليسَ يَعتَذِرُ
يا نَفسِ لا تَهلَكي يأساً، وَلا تَدَعي لَوْكَ الشّكائِمِ حتّى يَنجَلي العُمُرُ
قالوا: انتَظرْها وَإنْ عَزّتْ مَطالِبُها، هَلْ يُنْظِرُ القَدَرُ الجَاني ، فأنتَظِرُ
ألقَى المَطَامِعَ مَبْثُوثاً حبَائِلُهَا للرّزْقِ وَالرّزْقُ لا الدّاني وَلا القَفِرُ[2]
طَأمِنْ رَجاءَكَ لا الأطوَادُ مُورِقَةٌ يَوْماً وَلا جَنْدَلُ البَقْعَاءِ مُعتَصَرُ
لَيْلٌ مِنَ الهَمّ لا يُدْعَى السّميرُ له أعْمَى المَطالِعِ لا نَجْمٌ وَلا سَحَرُ
أنقَلُ النّفْسَ مِنْ صَبرٍ إلى جزَعٍ ، وَالصّبرُ أعْوَدُ إلاّ أنّهُ صَبِرُ[3]

١ الشمر : عقدة في طرف السوط ، نشبيهاً بالشمر في الهيئة والتدلي .
٢ القفر : القليل المال .
٣ الأعود : الأنفع . الصبر : عصارة شجر مر .

ماء وجه المرء

أرَى ماءَ وَجهِ المَرْءِ مِنْ ماءِ عِرْضِه، فحِذْرَكَ لا يَقطُرْ علَى العَارِ قاطِرُه
فإنْ أنْتَ لمْ تَستَبْقِ بالصَّوْنِ بَعضَه، تَتَابَعَ مَطْلُولاً علَى الذّلّ سَائِرُه
تَنكَّرَ هَذا النّاسُ بَعْدَكَ للنّدَى، وَأقْلَعَ مِنْ نَوْءِ المَكارِمِ مَاطِرُه
فَأوْلاهُمُ بالحَمْدِ مَنْ لانَ رَدُّهُ، وَمَنْ حَسُنَتْ عِلاّتُهُ وَمَعَاذِرُه

تجاف عن الأعداء

تَجافَ عَنِ الأعْداءِ بُقْيا، فَرُبّما كُفِيتَ وَلَمْ تَعْقُرْ بِنَابٍ وَلا ظُفْرِ
وَلاتبْرِ مِنهُمْ كُلَّ عُودٍ تَخَافُهُ، فإنّ الأعَادِي يَنْبُتُونَ معَ الدّهْرِ
دُخولٌ على زُحلُوفةِ الحَطبِ بعدَما تَرامَتْ بهِمْ أرْجاءُ مُظلمَةِ القَعْرِ[1]
إذا شِئتَ أنْ تَبقَى خَليّاً من العِدى فعِشْ عيشَ خالٍ من علاءٍ ومن وَفرِ
إذا أنتَ أفنَيتَ العَرَانِينَ وَالذُّرَى، رَمَتكَ اللّيالي عَن يدِ الخاملِ الغمرِ
وَهَبكَ اتّقيتَ السّهمَ مَنحيثُ يُتّقى، فمَن ليدٍ تَرْميكَ من حيثُ لا تَدرِي
تُحَامي علَى دارِ المَقَامِ سَفَاهَةً، ضَلالاً لذا رَأياً، وَنحنُ مَعَ السَّفْرِ

١ الزحلوفة : الزحلوقة .

الشر أقرب من غد

وَلَوْلا هَنَاةٌ ، وَالهَنَاةُ مَعَاذِرٌ ، لَطَارَتْ برَحْلي عَنكَ بَزْلاءُ ضَامِرُ[1]
وَشَيّعْتُ أظْعَاناً ، كَأنّ زُهَاءَهَا ، بجانِبِ ذي القَلاّمِ ، نَخلٌ مَوَاقِرُ[2]
مُفَارِقَ دارٍ طأطأ الذّلّ أهلَهَا ، وَمَا عِزٌّ دارٍ لَيْسَ فِيهَا مَعَاشِرُ
أقَمْتُ عَلى مَا سَاءَ أُذْناً وَمُقْلَةً ، يُبَلّغُني المَكْرُوهَ سَمْعٌ وَنَاظِرُ
أبِيتُ رَمِيضاً صَالِياً حَرَّ زَفْرَةٍ ، لِلَيْلِيَ مِنْ زَوْرِ المُلِمّاتِ سَامِرُ
أرِقْتُ وَلمْ يَأرَقْ مَعي مَنْ رَجَوْتُهُ لِيَوْمي ، إذا دارَتْ عَليّ الدّوَائِرُ
أقَامَ عَلى دارِ القَطيعَةِ وَالقِلَى ، يُشَاوِرُ فِيمَا سَاءَني وَيُوَامِرُ
رَمَانيَ عَنْ قَوْسِ العَدُوّ، وَقالَ لي: أمَامَكَ! إنّي مِنْ وَرَائِكَ ثَائِرُ
وَعِنْدِي لتَبْدِيلِ الدّيَارِ مُنَاخَةٌ تُوَقّعُ مَا تُمْلي عَليّ المَقَادِرُ
أقولُ: غداً، وَالشرّ أقرَبُ مِن غَدٍ ، أبَى الضّيمُ أنْ يَبقَى بعُشّكَ طائِرُ
فَمَا أنْتَ نَظّارٌ ، وَغَيرُكَ رَائِحٌ ، وَنِضْوُكَ مَزْمُومٌ ، وَرَحْلُكَ قَاتِرُ[3]
إذا لمْ يَكُنْ لي نَاصِرٌ من عَشيرَتي ، فَلي مِنْ يَدِ المَوْلى وَإنْ ذَلّ نَاصِرُ
وَإنّي وَإنْ قَلّوا لَمُستَمْسِكٌ بهم ، وَقد تُمسكُ السّاقَ المَهيضَ الجَبَائِرُ

[1] الهناة : الداهية . البزلاء : الناقة .

[2] زهاؤها : مقدارها . ذو القلام : موضع . المواقر : المثقلة بثمرها

[3] القاتر من الرحال : اللطيف .

وَبَعضُ مَوَالي المَرْءِ يَغمِزُ عُودَهُ ، كَمَا غَمَزَ القِدحَ الخَليعُ المُقامِر
وَقَدْ كَانَ مَوْلى الزِّبْرِقانِ هِرَاسَةً لَهَا وَاخِذٌ في الأخمَصَين وَنَاقِرُ[1]
وَقَدْ أكلَ الجيرانُ قَيسَ بنَ عاصِمٍ ، وَجَارُ الأيادِيِّ الحُذاقِيِّ وَاقِرُ
وَقَدْ كانَ فيها للسّمَوْألِ عُذْرَةٌ ، وَمَنْ رَامَ عُذْراً أمكَنَتهُ المَعَاذِرُ
وَلَكِنّهُ أصْغَى لِمَا قَالَ لائِمٌ ، فَأوْفَى ، وَلَمْ يَحفِلْ بما قالَ عاذِرُ
فَلا يَغرُرَنْكَ اليَوْمَ ثَغرُ ابنِ حُرّةٍ تَبَسّمَ لِلأعْدَاءِ وَالصّدْرُ وَاغِرُ
شَكَا النّاسَ يَبكي قَلبُهُ وَلِسَانُهُ ، وَإنْ كَتَمَتْ عَنكَ الدّموعَ النّوَاظِرُ
تَوَاكَلَهُ الخُلاّنُ ، حَتّى حُسَامُهُ وَأعوَانُهُ ، حَتّى الجَنَانُ المُوَازِرُ
وَمَا كُنتَ إلاّ كَالمُوَارِبِ نَفْسَهُ بَغَى وَلَداً ، وَالعِرْسُ جَدّاءُ عاقِرُ[2]
وَهَلْ يَنفَعَنّ الطّارِقِينَ عَلى الطّوَى إذا غابَ جُودُ المَرْءِ وَالزّادُ حاضِرُ
يَفُوزُ الفَتَى بالحَمدِ ، وَالمالُ ناقِصٌ ، وَتَتْبَعُ مَوْفُورَ الرّجَالِ المَعَاثِرُ
وَلَوْ كُنْتُ في فِهْرٍ لَقَامَ بِنُصْرَتي غَضُوبٌ ، إذا لمْ يَغضَبِ الحيُّ ، غائِرُ
وَسَدّدَ مِنْ دُوني سِنَاناً كَأنّهُ إلى الطّعْنِ نَابٌ يُقلِسُ السّمَّ قاطِرُ[3]
إذا ضَاقَتِ الحَيَّ الحَرِيدَ مُغِيرَةٌ أدَرّ عَلَيْهَا لَقْحَةَ الطّعْنِ عَامِرُ[4]
كَلَيْثِ الشّرَى مَا فاتَ حَدَّ نُيُوبِهِ مِنَ الطُّعْمِ يَوْماً ، أدرَكَتهُ الأظَافِرُ

١ هذا البيت مضطرب التركيب ، غامض . الزبرقان : هو ابن بدر أحد سادات العرب . وكل ما يأتي في البيتين التاليين أسماء لرجال من العرب مشهورين .
٢ الموارب : المخاتل . الجداء : الصغيرة الثدي الذاهبة اللبن .
٣ يقلس : يمج .
٤ الحريد : المنفرد .

وَيأبَى الفَتَى ، وَالسّيفُ يَحطِمُ أنفَه ، وَفي النّاسِ مَصْبُورٌ على السّيفِ صَابرُ[1]
وَلَوْ بِأبِي العَوّامِ كَانَ مُنَاخُهَا لَغَامَرَ عَنْهَا اللَّوْذَعِيُّ المُغَامِرُ
وَرَاحَتْ طِرَاباً لمْ تُشَمَّسْ رِحَالَهَا ، وَلا نَغَرَتْ منها القُدورُ النّوَاغِرُ[2]
سَوَارِحَ لمْ يَدفَعْ عَنِ الرّعْيِ دافِعٌ لئيمٌ ، وَلَمْ يَنْهَرْ عَنِ المَاءِ زَاجِرُ
فَتَلْتُمْ عَلى ضَلْعَاءَ مَنقوضَةِ القوَى إذا مَا استَمَرّتْ بِالرّجَالِ المَرَائِرُ
سِهامُكُمُ في كُلّ عَارٍ سَدِيدَةٌ ، وَسَهمُكُمُ في مَرْشَقِ المَجدِ عائِرُ
وَمَا كُنتُمُ لُجمَ الجَوَامحِ قَبلَهَا ، فَتَثْنُونَني إنْ أعْجَلَتْني البَوَادِرُ
إذا ما دُعوا لليوْمِ ذي الخَطبِ أصْفَحوا صُدورَ الحَرَابِي أرْمَضَتْها الهَوَاجِرُ
كَأنّ بُكُوراً مِنْ نَطاةٍ وَخَيْبَرٍ لَهَا نَاحِطٌ مِنهُمْ رَمِيضٌ وَنَاعِرُ[3]
وَمَا أنَا إلاّ أكْلَةٌ في رِحَالِهِمْ ، لَهَا القَمُ ، إلاّ أنْ يَقي اللهُ ، فاغِرُ
وَلَوْلا أبو العَوّامِ لمْ يَملِكُوا العُلَى عَلَى النّاسِ إلاّ أنْ تَشِبّ النّوَائِرُ[4]
وَلَمْ يَرْفَعُوا بَينَ الغُوَيْرِ وَحَاجِرٍ قِبَابَهُمُ مَا دامَ للبُدْنِ نَاحِرُ
أرُدّ عَلى قَوْمي فُضُولَ تَغَمُّدِي ، وَإنّي عَلى مَا سَاءَ قَوْمي لَقَادِرُ
وَإنّي لأسْتَأني حُلُومَ عَشِيرَتي ، لِيَعْدِلَ مُنْآدٌ ، وَيَرْجِعَ نَافِرُ

١ نغرت : غلت ، وفارت .
٢ اصفحوا : قلبوا .
٣ البكور : لعله جمع بكر . الناحط : من يسعل شديداً . الرميض : الذي آذاه الحر . الناعر : الذي فوجىء ببرد وهو في حر .
٤ النوائر ، من نأرت نائرة في الناس : هاجت هائجة .

وَأطْلَسَ مَثّاني الكِذابَ، وَقالَ لي: لِيَهنِكَ ، إحْدَى اللّيلتَينِ لَبَاكِرُ[1]
يُنَافِطُ فِيهَا هِجرِسٌ،وَهوَ نائِمٌ، وَجُرّرَ فيها هِجرِسٌ ، وَهوَ فَاتِرُ[2]
تَشَبّهَ بالمُجرِينَ في حَلْبَةِ النّدَى؛ أقِمْ وَادِعاً، يا عمرو، إنّكَ عَاثِرُ
وَأهْمَلَهَا مَرْعِيّةً في ضَمَانِهِ ، زَمَانَ ادّعَى نِسيانَهَا، وَهوَ ذاكِرُ
رَآهَا عَلى عِلاّتِهَا ظَهرَ صَعبَةٍ ، تَحَادَرُ مِنْ إرْقاصِها وَتُحَاذِرُ[3]
فَأحْجَمَ عَنْهَا هَائِباً نَزَوَاتِها ، وَطَارَ عَلَيها الشّحشَحانُ المُخاطِرُ[4]
رَأى سَيْفَهُ فِيهَا فَعَضّ بَنَانَهُ ، فَألاّ ، أبَا الغلاّقِ ، كنتَ تُبَادِرُ ؟
يَكِشّ كَشيشَ البَكرِ في الحيّ أُجليتْ عَلَيهِ برُمّانَ القُرُومُ الخَوَاطِرُ[5]
تَطاوَحَ ، وَالأوْرَادُ تَرْكَبُ

وَإني مَلِيءٌ إنْ بَقِيتُ ، لعُرْضِكُمْ بِشُوهِ المَجَالي ، تَحتَهُنّ النّوَاقِرُ[6]
عُلالَةُ رُكْبَانِ الظّلامِ ، إذا وَنَوْا مِنَ السّيرِ مَرْفُوعٌ بهِنّ العَقَائِرُ
قَوَارِعُ مَن تَخبِط يَعُدْ وَهوَ موضَحٌ أميمٌ،وَمَن تُخطىء يَبِتْ وَهوَساهِرُ[7]
بوَاقٍ بأعرَاضِ الرّجالِ خُدُوشُها ، كمَا رَقّشَتْ رَقّ الأبِيلِ المَزَائِرُ[8]

١ الأطلس : اللص ، الرجل إذا رمي بقبيح .
٢ نافط : صوّت ، عطس . الهجرس : القرد ، الثعلب ، اللئيم . جرر : جر جراً شديداً .
٣ تحادر : تنحدر . ارقاصها : ارتفاعها وانخفاضها في السير .
٤ الشحشحان : الشجاع الغيور .
٥ يكش : يهدد . البكر : الفتيّ من الإبل . أجليت : كشفت . رمان: موضع . القروم : الفحول الخواطر : التي تخطر في مشيتها .
٦ الشوه ، الواحد أشوه : المشوه . المجالي ، الواحد مجلى : مقدم الرأس . النواقر : الدواهي .
٧ الموضح ، من أوضحت الشجة في الرأس : كشفت العظم . الأميم : الذي أصيبت أم رأسه وشج
٨ الرق : جلد يكتب عليه . الأبيل : الراهب . المزائر ، لعلها جمع مزار : مكان الزيارة .

حَقِيبَةُ شَرٍّ بئسَ ما اختارَ رَبُّهَا ، إذا نُفِضَتْ عِندَ الإيابِ المـآزِرُ
نَلُمُّكُمُ ،وَاللهُ يَصْدَعُ شَعبَكُم ، وَلا يَجْبُرُ الأقْوَامُ مَا اللهُ كَاسِرُ
أحِنّ إلى قَوْمي ، كَمَا حَنّ نَازِعٌ إلى المَاءِ قَد دانَى لَهُ القَيدَ قاصِرُ[1]
تَذَكّرَ جَوْناً بِالبِطَاحِ تَلُفّهُ بِمُنْتَضِدِ الدّوْحِ الغَمَامُ المَوَاطِرُ[2]
وَجَنّتْ عَلَيْهِ لَيْلَةٌ عَقْرَبِيّةٌ ، لَهَا سَائِلٌ في كُلّ وَادٍ وَقَاطِرُ[3]
بِأبْطَحَ مِعْشَابٍ كَأنّ نِطَافَهُ دُمُوعُ العَذَارَى أسْلَمَتْها المَحاجِرُ
يَبِيتُ عَلى المَاءِ الذي في ظِلالِهِ كِنَانَةُ وَالحَيّانِ كَعبٌ وَعَامِرُ
لهمْ في كِفافِ الأرْضِ شَرْقاً ومَغرِباً عَمَاعِمُ يَبْنُونَ العُلَى وَكَرَاكِرُ[4]
أدارُوا رَحًى بالأعوَجيّاتِ قَمحُها صُدُورُ المَوَاضِي وَالرّؤوسُ النّوَادِرُ
همُ نَشَطُوني مَنشَطَ السّجْلِ بعدَما تَطاوَحَهُ الجَوْلانُ ، وَالقَعرُ غَايِرُ[5]
وَمَدّوا يدي من بَعدِ ما كانَ مَطرَحي من الأرْضِ مَجرُوراً عَلَيهِ الجَرَائِرُ
وُقُوا شَرَّها وَاليَوْمُ مُستوْجِفُ الحَشَا ، لَهُ أبجَلٌ مِنْ عائِذِ الطّعنِ فائِرُ[6]
وَمَا غَيرُ دارِ المَرْءِ إلاّ مَذَلّةٌ ؛ وَلا غَيرُ قَوْمِ المَرْءِ إلاّ فَوَاقِرُ
وَأخْلَيْتُ مِنْ قَلْبي مَكَاناً لذِكرِهم ، وَقد يُذكرُ البادي وَتُنسَى الحوَاضِرُ

١ القاصر : الذي يضيق قيد البعير .
٢ الجون : النبات تضرب خضرته إلى السواد . المتنضد : المجتمع .
٣ عقربية : لعله من قولهم : عيش ذو عقارب : أي فيه شر وشدة ، أو أنها محرف عبقرية : أي ليس فوقها شيء في قوتها .
٤ العماعم : الجيش الكثير . الكراكر : الجماعة من الناس .
٥ نشطوني : نزعوني . السجل : الدلو . الجولان : التراب .
٦ مستوجف : ذاهب . الأبجل : عرق غليظ في الرجل أو في اليد .

الظنّ غرّار

قال مما كان يحدث نفسه ويتمناه من الخلافة :

فَيَا عَجَبا مِمّا يَظُنّ مُحَمّدٌ ، وَلَلظّنّ في بَعضِ المَوَاطِنِ غَرّارُ
يُقَدِّرُ أنّ المُلْكَ طَوْعُ يَمِينِهِ ، وَمِنْ دونِ ما يَرْجُو المُقدِّرُ أقدارُ
لَهُ كُلّ يَوْمٍ مُنْيَةٌ وَطَمَاعَةٌ ، وَنَبْذُ قَرِيضٍ بِالأمَانيّ سَيّارُ
لَئِنْ هُوَ أعْفَى للخِلافَةِ لِمّةً ، لَهَا طُرَرٌ فَوْقَ الجَبِينِ وَأطْرَارُ[1]
وَأبْدَى لَهَا وَجْهاً نَقِيّاً كَأنّهُ ، وَقَدْ نُقِشَتْ فيهِ العَوَارِضُ، دينَارُ
وَرَامَ العُلَى بالشّعْرِ ، وَالشّعر دائباً، فَفي النّاسِ شُعْرٌ خامِلونَ وَشُعّارُ[2]
وَإنّي أرَى زَنْداً تَوَاتَرَ قَدْحُهُ ، وَيُوشِكُ يَوْماً أنْ تَشبّ لَنَا النّارُ

مرامي للبغي

رَمَوْا بِمَرَامي بَغْيِهِمْ ، فاتّقَيْتُها وَقُلتُ لهُمْ : بَيْني وَبَينكُمُ الدّهرُ
كَأنّي بِكُمْ لا تَستَطيعُونَ حيلَةً ، وَلَيسَ لَكُمْ نَهْيٌ يُطاعُ وَلا أمرُ

١ الطرر والأطرار ، الواحدة طرة : الناصية ، علم الثوب ، طرف كل شيء وحرفه .
٢ هذا البيت غامض ، ولعل فيه تحريفاً .

حباب على عقار

بَغَى الذُلاّنُ غايَتَنا ، وَأنّى يُقامُ المَجْدُ بالعَمَدِ القِصارِ
وَأهْتَكُهُمْ لكُلِّ خِباءِ نَقْعٍ ، إذا ما مُدَّ أطْنابُ الغُبارِ
كَأنّ الدّمْعَ فَوْقَ الخَدّ منها حَبابٌ يَسْتَديرُ على عُقارِ

لا ناهٍ ولا آمر

لِأمْثالِها يَسْخَرُ السّاخِرُ ، لَقَدْ ذَلّ جارُكَ يا عامِرُ
تَراهُ لَقًى بَينَ أيْدي الخُطُو بِ ، لا أنتَ ناهٍ ولا آمِرُ

حيان

أما تَراها كالجُرازِ البَتّارْ ، تَحتَلِقُ القَوْمَ احتِلاقَ الأشعارْ
حيٌّ على السّيرِ ، وَحيٌّ قَدْ سارْ

تمطت بي العشرون

وَعَيْنٌ عَوَانٌ بالدّمُوعِ وَغَيرُهَا ... مِنَ الدّمْعِ يَعرَوْرِي جَوَانِبَها بِكرُ[1]
تَمَطّتْ بيَ العشرُونَ حتّى رَمَيْنَ بي ... إلى غَايَةٍ مِنْ دُونِها يُقطَعُ العُمرُ

صلح

يَقولون: نَمْ في هدْنَةِ الدّهْرِ آمناً، ... فقلتُ: وَمَنْ لي أنْ يُهادنَني الدّهرُ
هلِ الحَرْبُ إلاّ مَا تَرَوْنَ نَقيصَةً ... من العُمرِ،أوْ عُدمٌ منَ المالِ أوْ عُسرُ
فَلا صُلْحَ حتّى لا يَكُونَ لِواجِدٍ ... ثَرَاءٌ ، وَلا يَبْقَى على وَافرٍ وَفْرُ

[1] العوان : الحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى ، ولعله أراد أن الدموع تعاود هذه العين مرة بعد أخرى .

تطاير كالأجادل

تَطَايَرُ في مَرّ العَجَاجِ كَأنّهَا أجادِلُ حَطّتها سِغَاباً وُكُورُها[1]
لهَا بَينَ جَنْبَيْ ضَرْغَدٍ فَضَرِيّةٍ ، غُرَيرِيّةٌ يهدِي الضّيُوفَ زَفيرُها[2]

ربة الخدر

أيَا رَبّةَ الخِدْرِ المُمَنَّعِ بالقَنَا ، أتَنَأينَ لمْ تَنْظُرْ بكِ العَينُ مَنظَرَا
وَمِنْ عَجَبٍ أصْفَيْتُكِ الودّ بعدَما تَعاطَى القَنَا قَوْمي وَقَوْمُكِ أعصُرَا

١ الأجادل : الصقور . السغاب : الجياع .
٢ ضرغد : جبل أو حرة لغطفان . ضرية : قرية بين البصرة ومكة . الغريرية : نسبة إلى غرير أحد الفحول .

رب أبيض مغمود

أُنَاشِدُ أَنْتَ أَطْلالاً بِذِي القُورِ ، أَضَلَّهَا جَوَلانُ القَطْرِ وَالمُورِ[1]
فَمَا أُحِيلُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ نَازِلَةٍ ، لَكِنْ أُحِيلُ عَلَى ذَنْبِ المَقَادِيرِ
إِنْ تَقْتَطِعْهُ الأَعَادِي عَنْ مَذَاهِبِهِ ، فَرُبَّ أَبْيَضَ مَغْمُودٍ لِمَنْشُورِ

ذهب أحمر

وَمِنْ عَامِرٍ غِلْمَةٌ كَالسُّيُو فِ جِرْيَالُ أَوْجُهِهِمْ يَقْطُرُ[2]
إِذَا صَدِئَ القَوْمُ لا يَصْدَأُونَ ، كَأَنَّهُمُ الذَّهَبُ الأَحْمَرُ

١ ذو القور : موضع . والقور ، الواحدة قارة : الجبل الصغير . المور : التراب تثيره الرياح .
٢ الجريال : صبغ أحمر ، وسلافة العصفر .

الشباب يغطي العيوب

رَأيْتُ شَبَابَ المَرْءِ لَيْلاً يُجِنّهُ ، يُغَطّي عَلى بَادِي العُيُوبِ وَيَسْتُرُ
وَشَيْبُ الفَتَى صُبْحٌ يَبِينُ عَوَارُهُ ، وَيُرْمَقُ فِيهِ بالعُيُونِ فَيُنْظَرُ
فَإنّ ضَلالي في النّهَارِ لَهُجْنَةٌ ؛ وَإنّ ضَلالي في دُجَى اللّيْلِ أعْذَرُ

الغنى مرّ

صَبَرْتُ عَلى عَرْكِ النّوَائِبِ فيكُمُ ، وَقَدْ بَلَغَ المَجلودُ أوْ غَلَبَ الصّبرُ
وَقَيّدَني مَرُّ الحِفَاظِ بِدارِكُمْ ، وَأطْلَقَ غَيري مِن حبالِكُمُ العُذْرُ[1]
فَمَا كانَ لَوْلاكُمْ يَمُرُّ ليَ الغِنى ، وَيَحلُو إلى قَلْبي الخَصَاصَةُ وَالفَقْرُ

١ المر : الحبل .

أفلت أبو عامر

وَأفلَتَهُنّ أبُو عَـامِرٍ يُقَبِّلُ نَاصِيَةَ الأشْقَرِ
يَقُولُ ، إذا أرْهَقَتْهُ الرّماحُ: إنْ لَمْ تَزِدْ عَنَقاً تُعْـذَرِ
سَلِيباً يُخَفِّفُ حَتّى رَمَى ، مِنَ الرُّعبِ، بالدِّرْعِ وَالمِغفَرِ

هان على الأملس

هَذهِ كَانَ الزّمَانُ يُنْتَظَرْ ، لمْ يَبْقَ مِنْ بَعدِكَ للمَجدِ وَطرْ
تأمُرُني بالصّبرِ ، هَيهَاتَ لَقَدْ هانَ على الأملَسِ ما لاقَى الدَّبِرْ[1]
لَوْلا ظُبَى سَيْفِكَ في صُدُورِها لمَا نَهَى فِيهَا الرّدَى ، وَلا أمَرْ

لا يغررنك

لا يَغرُرَنّكَ سِلْمٌ جاءَ يَطْلُبُهُ ، لمْ يَخطُبِ السّلْمَ إلاّ بَعدَمَا عُقِرَا
أعْطَى يَداً بَعدَمَا شَلّتْ أنَامِلُها ، وَأسلَمَ النّفْسَ لمّا لمْ يَجِدْ وَزَرَا

[1] الأملس: السليم الظهر من الإبل. الدبر : المعقور. مثل يضرب في استخفاف السليم بشدة المصاب.

هواقي اللغام

قال في صفة بعير :

رُبَّ نَائي المِلاطِ يُحْسَبُ جيداً ، حَائِلاً بَيْنَ غَرْضِهِ وَصِدارِهِ[1]
إنْ ثَنَاهُ الزِّمَامُ جَرْجَرَ كَالرَّا عِدِ بِاللَّيْلِ لَجَّ في قَرْقَارِهِ[2]
وَكَأنَّ اللُّغَامَ يَسْقُطُ مِنْ فِيـ ـهِ هَوَافي مَا طَمَّ مِنْ أوْبَارِهِ[3]

أغلب

أغْلَبُ لا يَخشَى وَعيدَ السَّفْرْ ، كَأنَّمَا يَدْعُونَهُ بالزَّجْرْ

لا بد للمسرع من عثار

كَمْ قابِسٍ عَادَ بغَيرِ نَارِ ، لا بُدَّ للمُسرِعِ مِنْ عِثَارِ

١ الملاط : جانبا السنام . الغرض : هو للرحل كالحزام للسرج . الصدار : علامة صدر البعير
٢ قرقاره : هديره .
٣ الهوافي : ما طار من الصوف في الهواء . طم : قص .

حرف الزاي

من عز بز

قال يرثي صديقاً له ولم يوجد
له على هذه القافيــة غيرها :

إطْمَحْ بطَرْفِكَ هَلْ تَرَى   إلاّ مُصَاباً أوْ مُعَزّى ؟
نَأبَى التّعَزّي ، ثمّ يُلْـ   حِقُنا الزّمانُ بِمَنْ تَعَزّى
أغْدُو وَرَاءَ الذّاهِبِيـ   نَ تَهُزّنِي الزّفَرَاتُ هَزّا
لا نَاظِراً أثَراً ، وَلا   مُتَوَجّساً لِلقَوْمِ رِزّا[1]
أبكي ظُبُيّ، فُجِعَتْ يَدِي   مِنْهَا بِأصْدَقِهَا مَهَزّا
قَدْ كُنْتُ صُلْبَ العُودِ لا   يَجِدُنِي الزّمَانُ عَليّ غَمزَا
حتّى مَضَى بِكُمُ يَوُزُّ   كُمُ القَضَاءُ الجَدُّ أزّا[2]
لمْ أسْتَطِعْ مَنْعاً ، فيَا   لِلهِ عَزْماً عَادَ عَجْزَا
هَلْ غَادَرُوا إلاّ حَشاً   قَلِقاً وَقَلْباً مُسْتَفَزّا

١ الرز : الصوت البعيد .
٢ الاز : الإزعاج الشديد .

أمْسِي كَـأنَّ مِنَ القَنَا بِأضَالِعِي قَرْعاً وَوَخْزَا
يا ثَانِياً للنّفْسِ ، بَـلْ يَا ثَالِثَ العَيْنَيْنِ عِزّا
عُضْوٌ عَشَتْ فِيهِ المَنـ يّةُ ، مَا أجَلّ وَمَا أعزّا
عَزّ الحِمَامُ عَلَيْكَ ، إ نّ القِرْنَ إنْما عَزّ بَزّا[1]

[1] من عز بز : أي من غلب سلب .

حرف السين

ذخيرة الزمان

يمدح القادر بالله حين استقر في دار الخلافة في شهر رمضان سنة ٣٨١ :

شَرَفُ الخِلافَةِ ، يا بني العبّاسِ ، اليَوْمَ جَدّدَهُ أبُو العَبّاسِ
وَافَى لحِفْظِ فُرُوعِها ، وكَنّيهُ كانَ المُشيرَ مَوَاضِعَ الأغرَاسِ[1]
هذا الّذي رَفَعَتْ يَداهُ بِنَاءَها الـ عالي وَذاكَ مُوَطِّدُ الآساسِ
ذا الطّوْدُ بَقّاهُ الزّمَانُ ذَخيرَةً مِنْ ذَلكَ الجَبَلِ العَظيمِ الرّاسِي
مُلْكٌ تَطاوَحَ مالِكُوهُ وَأصْبَحوا مِنْهُ وَرَاءَ مَعَالِمٍ أدْرَاسِ
غابٌ أبَنّ بِهِ ضَرَاغِمُ هاشِمٍ ، مِنْ كلّ أغْلَبَ للعِدى فَرّاسِ[2]
حتّى نَبَا بِهِمُ الزّمانُ فأزْعِجوا عَنْ تِلكُمُ الأغيَالِ وَالأخْيَاسِ[3]
فاليَوْمَ لُمّ العِزُّ بَعْدَ تَشَعّثٍ ، وَأُعِيدَ ذِكْرُ الدّينِ بَعدَ تَناسِ
قَدْ كانَ زَعزَعَكَ الزّمانُ فَرَاعَه عُودٌ عَلى عَجْمِ النّوَائِبِ عاسِ

١ المشير : المعرف . مواضع : منصوب بنزع الخافض .
٢ أبن به : أقام به . الأغلب : الأسد .
٣ الأغيال والأخياس : عرائن الأسود .

ما كانَ غَيرَ مُجَرَّبٍ لكَ في العُلى	لتكُونَ رَاعيَ الأمْرِ دونَ النّاسِ
فَبَلاكَ عَيبَ البأسِ يوْمَ كَرِيهَةٍ ،	ورَآكَ طَوْدَ الحِلْمِ يوْمَ مِرَاسِ[1]
فلأنْتَ قائِمُ سَيفِها الذّرِبُ الشَّبَا	مَجداً وَوَابِلُ نَوْئِها الرّجّاسِ[2]
مِنْ مَعشَرٍ وَسَمُوا الزّمانَ مَنَاقِباً	تَبقَى بَقاءَ الوَحْيِ في الأطرَاسِ
مُتَرَادِفِينَ على المَكارِمِ وَالعُلى ،	مُتَسَابِقِينَ إلى النّدَى وَالبَاسِ
خَطَمُوا أنُوفَ الخالِعِينَ وَذَلّلوا	أمَماً مِنَ الأعداءِ بَعْدَ شِمَاسِ
طَلَعُوا عَلى مَرْوَانَ يوْمَ لِقَائِهِ	مِنْ كُلّ أرْوَعَ بالقَنَا دَعّاسِ
سَدّوا النّجاءَ عليهِ دونَ جُمامهِ	بِقِرَاعِ لا عُزْلٍ وَلا نُكّاسِ
بالزّابِ وَالآمَالُ وَاقِفَةُ الخُطَى	بَينَ الرّجَاءِ لنَيْلِها ، وَاليَاسِ
حتّى رَأى الجَعدِيُّ ذُلَّ قِيادِهِ	لِيَدِ المَنُونِ تُمَدّ بِالأمْرَاسِ
وَهَوَتْ بِهِ أيْدٍ أنامِلُهَا القَنَا ،	مَهوَى كُلَيبٍ عن يدَيْ جَسّاسِ
ضَرَبُوهُ في بَطْنِ الصّعيدِ بنَوْمَةٍ	أبَدَ الزّمَانِ ولاتَ حينَ نُعَاسِ
وَتَسَلّمُوها غَضّةً ، فَمَضَى بهَا	الأبْرَارُ نَاشِزَةً عَنِ الأرْجَاسِ
فَالآنَ قَرّ العِزُّ في سَكِنَاتِهِ ،	ثَلْجُ الضّمَائِرِ بَارِدُ الأنْفَاسِ
وَقَفَتْ أخامِصُ طالبيه، وَرُفّهتْ	أيْدٍ نَفَضْنَ مَعَاقِدَ الأجْلاسِ[3]

1 قوله : عيب البأس ، هكذا في الأصل .

2 الذرب : الحديد . الشبا : من كل شيء حده . الرجاس : الرعاد .

3 الأجلاس ، الواحد جلس : الصخرة الشديدة العظيمة ، كل مرتفع من الأرض ، والجمل الجلس : الوثيق ، ولعل المعنى الأخير هو المقصود .

وَاحتَلَّ غَارِبَهُ وَلِيُّ خِلافَةٍ ، مَا كانَ يَلبَسُها على ألبَاسِ[1]
سَبَقَ الرِّجالَ إلى ذُرَاها نَاجِياً مِنْ نَابِ كُلِّ مُجاذِبٍ نَهّاسِ
يَقظانَ يَخرُجُ في الخُطوبِ وَيَنثني وَلُهاهُ للكَلْمِ الرَّغيبِ أوَاسِ[2]
وَيَرِقُّ أحياناً ، وَبَينَ ضُلُوعِهِ قَلْبٌ على المَالِ المُشَمَّرِ قَاسِ
تَغدُو ظُبَى البِيضِ الرِّقاقِ بقلبهِ أحلَى وَأعذَبَ من ظِباءِ كِناسِ
وَكأنَّ حَملَ السّيفِ يَقطُرُ غَرْبُهُ أنسَى يَمينَ يَدَيهِ حَملَ الكاسِ
أحَسودَ ذي الغُرَرِ الشّوَادخِ أنّها حَرَمٌ علَى الأغيارِ للأفرَاسِ[3]
لا تَحسُدَنْ قَوْماً إذا فاضَلتَهم فَضَلُوكَ في الأخلاقِ وَالأجناسِ
وَإذا رَمَيْتَ الطَّرْفَ رَاعَكَ منهمُ أطلالُ أجبالٍ عَلَيكَ رَوَاسِ
كانوا نجُوماً ثمّ شَعشَعَ نُورُهُمْ ، وَالنّارُ أوّلُها مِنَ الأقبَاسِ
مَجْدٌ ، أميرَ المُؤمنينَ ، أعَدْتَه غَضّاً كَنُورِ المُورِقِ المَيّاسِ
وَبَعَثتَ في قَلبِ الخِلافَةِ فَرْحَةً دَخَلَتْ على الخُلَفاءِ في الأرْمَاسِ
وَمَكِيدَةٍ أشلَى عَلَيكَ نُيُوبَها غضْبانُ ، للقُرْبَى القَرِيبَةِ نَاسِ
فَغَرَتْ إلَيكَ ففُتَّها وَتَرَاجعَتْ ، فَفَرَتْهُ بالأنيَابِ وَالأضرَاسِ
حَمرَاءَ من جَمرِ الخُطوبِ وَطِئتَها فلَبِستَ فيها الصّبرَ أيَّ لِبَاسِ
فَرْداً سَلَكْتَ بهَا المَضِيقَ وَإنّما طُرُقُ العَلاءِ قَلِيلَةُ الإينَاسِ

١ الألباس : الشبهات ، الواحد لبس .
٢ لهاه : عطاياه . الكلم : الجرح . الرغيب : الواسع .
٣ الشوادخ من الشدخ : انتشار الغرة .

أَوْرِقْ أَمِينَ اللهِ عُودِي ، إِنّمَا أَغْرَاسُ أَصْلِكَ فِي العُلَى أَغْرَاسِي
وَامْلِكْ على مَنْ كانَ قَبلَكَ شَاوَهُ فِي فَرْطِ تَقْرِيبِي ، وَفِي إِينَاسِي
إِنّي لأَجْتَنِبُ السّؤالَ مُتَارِكاً خِلْفاً يَدُرُّ عَلَيّ بِالإِبْسَاسِ
وَلَقَدْ أَطَعْتُكَ طَاعَةً ما رَامَها مِنّي امرُؤٌ إِلاّ عَصَاهُ شِمَاسِي
فَرّتْ إِلَيكَ ،بغَيرِ داعٍ ،هِمّتي ، وَصَغَا إِلَيكَ ، بلا قِيادٍ ، رَاسِي

للعلى النفوس النفائس

يمدح الملك بهاء الدولة وأنفذها إليه وهو
بفارس في شهر صفر سنة ٣٩٤ :

تَمَنّى رِجَالٌ نَيلَها،وَهيَ شَامِسُ ، وَأَينَ مِنَ النّجمِ الأكُفُّ اللّوَامِسُ
وَإِنّ المَعَالي عَنْ رِجَالٍ طَلائِقٌ ، وَهنّ عَلَى بَعضِ الرّجالِ حَبائِسُ
وَلَمْ أرَ كالعَلْيَاءِ تُرْضَى عَلَى الأذَى، وَتُهوَى على عِلاّتِها ، وَهيَ عانِسَ
فقُلْ للحسودِ اليَوْمَ أغضِ على القَذى، فَما كلّ نَارٍ أُوقِدَتْ أنتَ قابِسُ
وَما لكَ وَالإقدامَ بالخَيلِ وَالقَنَا ، وَحَظُّكَ عَنْ نَيْلِ العُلى مُتَقاعِسُ
وَهَلْ نافعٌ يَوْماً وَجَدُّكَ رَاجِلٌ ، إذا قيلَ، يوْمَ الرّوْعِ : إنّكَ فارِسُ
فطِبْ عَن بُلُوغِ العزّ نَفْساً لئيمَةً ، فَمَا للعُلى إلاّ النّفُوسُ النّفَائِسُ
وَإنّ قِوَامَ الدّينِ من دُونِ ثَغرِهَا ، لَهُ نَاظِرٌ يَقظانُ وَالنّجمُ نَاعِسُ

رَعَاهَا بِهَمٍّ لا يَمَلُّ وَهِمَّةٍ إذا نَامَ عَنها حارِسٌ قامَ حارِسُ

أخُو الحَرْبِ ذاقَ الرّائعاتِ وَذُقْنَهُ ، وَنَالَ ، وَنَالَتْهُ القَنَا وَالفَوَارِسُ

يُغاديكَ يَوْمَ السّلْمِ طلقاً ، وَفِكرُهُ يُمارِسُ حَدّ الرّوْعِ فيما يُمَارِسُ

كأنّ مُلُوكَ الأرْضِ حَوْلَ سَرِيرِهِ بُغَاثٌ وَقُوفٌ وَالقَطَاميُّ جَالِسُ[1]

إذا رَمَقُوهُ ، وَالجُفُونُ كَوَاسِرٌ عَلى غَيرِ داءٍ ، وَالرّقابُ نَوَاكِسُ

يُحَيُّونَ وَضّاحاً ، كأنّ جَبِينَهُ سَنَا قَمَرٍ مَا غَيّرَتْهُ الحَنَادِسُ

تُصَرِّفُ أعْنَاقُ المُلُوكِ لأمْرِهِ ، وَتُستَخدَمُ الأعضَاءُ وَالرّأسُ رَائسُ

مِنَ القَوْمِ حَلّوا بالرُّبَى وَأمَدَّهُمْ قَدِيمُ المَسَاعي، وَالعَلاءُ القَدامِسُ[2]

تُحِلُّهُمُ دارَ العَدُوّ شِفَارُهُمْ ، وَتُرْعِيهِمُ الأرْضَ القَنيُّ المَدَاعِسُ[3]

بَهَالِيلُ أزْوَالٌ بِكُلّ قَبِيلَةٍ مَلاذِعُ مِنْ نِيرَانِهِمْ وَمَقَابِسُ[4]

وَمَا جالَسُوا إلاّ السّيُوفَ مُعَدّةً لِيَوْمِ الوَغَى، وَالمَرْءُ ممّنْ يُجالِسُ

إذا أخطأُوا مَرْمًى مِنَ المَجدِ أجهَشُوا، زَئِيرَ الضّوَارِي أفلَتَتها الفَرَائِسُ

فمِن خائضٍ غَمرَ الرّدَى غيرَ نَاكِصٍ ، وَمِنْ صَافقٍ يوْمَ النّدى لا يُماكِسُ

إذا ما اجتَداهُ المُجتَدونَ على الطّوَى يَبيتُ رَطيبَ الكَفّ وَالبَطنُ يَابِسُ

١ القطامي : الصقر .

٢ القدامس ، الواحد قدموس : قديم .

٣ القني ، الواحدة قناة : الرمح أو عوده . المداعس ، الواحد مدعس ومدعاس: الرمح يطعن به ، والطعّـان .

٤ الأزوال ، الواحد زول : الشجاع والجواد .

لَهُ في الأعادي كلُّ شَوْهاءَ يَهتَدي ... بتَهدارِها طُلْسُ الذّئابِ العَلاوِسُ [1]
وَنَشّاجَةٌ تَحتَ الضّلُوعِ مُرِشّةٌ ، ... كمَا هاعَ مَملُوءٌ مِنَ الخَمرِ قالِسُ [2]
مُطَرَّقَةُ الجالَينِ هَطْلَى كأنّما ... إزَارُ الفتَى فيها من الدّمِ وَارِسُ [3]
ألاَ رُبّ حَيٍّ مِنْ رِجَالٍ أعِزّةٍ ... أسالَتْ بهِمْ منكَ الغَمامُ الرّوَاجِسُ
أرَادُوكَ بِالأمْرِ الجَليلِ فَرَدّهُمْ ... علَى عِوَجِ الأعقابِ جِدٌّ مُمَارِسُ
تُطاعِنُهُمْ عَنْكَ السّعُودُ بجَدّها ، ... وَلا يَتّقي طَعْنَ المَقاديرِ تَارِسُ
إذا أفلَتُوا طَعنَ الرّماحِ رَمَتْهُمُ ... بطَعنٍ عَوَاليها النّجُومُ الأنَاحِسُ
سَلَبتَهُمُ عِزَّ الثّرَاءِ ، فلَمْ تَدَعْ ... لهُمْ مَا يرَى مِنْهُ العدُوّ المُنافِسُ
فَمَا لَهُمُ ، غَيرَ الشّعُورِ ، عَمائمٌ ، ... وَلا لَهُمُ ، غَيرَ الجُلُودِ ، مَلابِسُ
وَعَمّتْهُمُ مِنْ حَدّ بأسِكَ سَطوَةٌ ... بها اجتُدِعَتْ أعناقُهُمْ لا المَعاطِسُ
فَما جَازَها في ذُرْوَةِ النِّيقِ صَاعِدٌ ؛ ... وَلا فاتَهَا في لُجّةِ المَاءِ قامِسُ [4]
وَلا نَاطِقٌ للخَوْفِ إلاّ مُخَافِتٌ ؛ ... وَلا نَاظِرٌ للذّلّ إلاّ مُخَالِسُ
تَرَى الأبَ يَنْبُو عَنْ بَنيهِ وَيَتّقي ... أخَاهُ الفتَى وَهوَ القَرِيبُ المُوَانِسُ
وَلَيْسَ يُحَيّا مِنْهُمُ اليَوْمَ طَالِعٌ ... هَوَاناً ، وَلا يُجدي إذا اعتامَ بائِسُ [5]

١ لعله أراد بشوهاء : طعنة شوهاء ، أي مشؤومة . تهدارها : صوت فوران الدم منها . العلاوس ، الواحد لعوس : الذئب الشره .
٢ النشاجة : التي تغلي بالدم . المرشة ، من أرشت الطعنة : اتسعت فتفرق الدم . هاع : قاء . القالس ، من قلست الطعنة بالدم : فاضت .
٣ مطرقة : مرققة . الجالين : الجانبين . الوارس : الأحمر .
٤ القامس : الغائص .
٥ اعتام : اختار العيمة ، أي خيار المال .

تَمَلَّسُ أعْوَادُ القَنَا مِنْ أكُفّهِم ، وَيَنفُضُهم من عن قَطاها العَوَانِسُ[1]
يَكُونُ مَزَرٌّ المَرْءِ غُلاً لِعُنْقِهِ ، من الخَوْفِ ، حتّى يَنزِعَ الثوْبَ لابِسُ
إذا ضَرَبُوا في الأرْضِ فهيَ مَهالكٌ ، وَإنْ أوْطَنُوا الأبيَاتَ فَهيَ مَحابِسُ
وَعاطِسُهُمْ في الحَفْلِ غَيرُ مُشمَّتٍ ، فكَالنّابحِ العاوِي من القوْمِ عاطِسُ
وَأطْرَقَ شَيْطَانُ الغَوَايَةِ مِنهُمُ ، فلَمْ يَبقَ مِنْ نَعّابَةِ الغَيّ نابِسُ
وَعِندَ طَبيبِ المُعضِلاتِ شِفَاؤهُمْ ، إذا عَادَ مِنْ داءِ العَدَاوَةِ نَاكِسُ
فَيَوْمَاهُ يَوْمٌ بِالمَوَاهِبِ غَائِمٌ عَلَينا ، وَيَوْمٌ بالقَوَاضِبِ شَامِسُ
سَجِيّةُ بَسّامٍ يَقُولُ عَدُوُّهُ : أهذا الّذي يَلْقَى الوَغَى وَهوَ عابسُ
نُزَادُ ، وَيَرْوَى الأبعَدُونَ بمائِكمْ ، وَنَحنُ عَلى الوِرْدِ الظِّمَاءُ الخَوَامِسُ
وَتَندَى لقَوْمٍ آخَرِينَ سَحَابُكُمْ ، وَنَحنُ مَنَاشِي أرْضِكُمْ وَالغَرَائِسُ[2]
رَجَوْتُكَ وَالعِشْرُونَ مَا تَمّ عِقدُهَا ، فَلِمْ أنَا مِنْ بَعْدِ الثّلاثِينَ آيِسُ
وَلي خِدْمَةٌ قَدّمْتُها لِتُعِزّني ، وَلَوْلا الجَنَى ما رَجّبَ الفَرْعَ غارِسُ
وَمَا هِمّتي إلاّ المَعَالي ، وَإنّني عَلى المَرْءِ بالعَلْيَاءِ لا المَالِ نَافِسُ
وَقَد غَارَ حَظٌّ أنتَ ثاني جِمَاحِهِ ، وَتُقدَعُ من بَعدِ الجِماحِ الشّوَامسُ[3]
عَسَى مَلِكُ الأملاكِ يَنتاشُ أعظُماً بَرَتْهُنّ ذُؤبَانُ اللّيَالي النّوَاهِسُ
وَقد كُنتُ شِمتُ العزّ مِنكَ وَجَادَني بغَيظِ الأعادي ماطِرٌ مِنهُ رَاجِسُ

١ قطاها : ظهرها . العوانس : النياق ، الواحدة عنس .
٢ المناشي ، من نشأ : شب .
٣ تقدع : تكبح .

فَبَاعَدَنِي مِنْ صَوْبِ مُزْنِكَ حَاسِدٌ يُضَاحِكُ ثَغْرِي وَالجَنَانُ مُعَابِسُ
يُرِينِي حَنَاناً ، وَهوَ يُضْمِرُ بَغْضَةً ، كَيلا نَاظِرَيْنَا مِن قِلًى مُتَشَاوِسُ
فَجَدِّدْ يَداً عِندِي يُرَفُّ لِبَاسُهَا ، فَقَدْ أخلَقَتْ تلكَ الأيادي اللّبائِسُ
وَبابُكَ أوْلى بي مِنَ الأرْضِ كُلّهَا ، فحتّامَ لي عَنْ قَرْعِ بابِكَ حابِسُ
وَأقسِمُ لَوْلا أنّ دارَكَ فَارِسٌ ، لمَا انتَصَفَتْ من أرْضِ بغدادَ فارِسُ

اقول لركب

قال يمدحه وكتب بها إليه وهو
بفارس ، ووجدت هذه القطعة في
مسودة خارجة عن الديوان :

أقُولُ لرَكْبٍ خَابطِينَ إلى النّدَى ، رَمَوْا غَرَضاً وَاللّيلُ داجي الحَنادِسِ
أقِيمُوا رِقَابَ اليَعْمَلاتِ ، فَإنّني سَأسْتَمْطِرُ النَّعْمَاءَ نَوءاً بفَارِسِ
بَنَاناً إذا سِيمَ الحَيا غَير بَاخِلٍ ، وَوَجْهاً إذا سِيلَ النّدى غَيرَ عَابِسِ
أُحِبّ ثَرَى أرْضٍ أقَمتَ بِجَوّها ، وَإنْ كانَ في أرْضٍ سِوَاها مَغارِسِي
وَكَمْ رُفِعَتْ لي نَارُ حَيٍّ فَجزْتُها ، وَمَا نَارُ مَمْنُونِ القِرَى من مَقَابسِي
نَزَعْتُ فَخَارِي يَوْمَ أَلبَسُ نِعمَةً لغَيرِكَ ، مَا زُرّتْ عَليّ مَلابِسِي
إذا كُنتَ لي غَيْثاً ، فأنْتَ غَرَسْتَني ، وَمُورِقُ عُودِي بالنّدى مثلُ غارِسِي
تَرَكْتُ رِجَالاً لَمْ يَهَشّوا لِمِنّةٍ ، وَلَمْ يَنقَعُوا غِلّ الظِّماءِ الخَوَامِسِ

عَلى القُرْبِ إني فيهِمُ غَيرُ طامِعٍ ، وَمِنكَ عَلى بُعدِ المَدَى غَيرُ آيِسِ
غِياثُ النّدَى ضُمّتْ أكفٌّ وَأُغلقتْ على اللّوْمِ أبوابُ النّفوسِ الخَسائِسِ
وَلَوْلاكَ أمسَى النّاسُ في كلّ مَذهبٍ على أثَرٍ مِنْ مَعلَمِ الجُودِ طامِسِ
عَضَلتُ ثَنائي عَنْهُمُ وَذَخَرْتُهُ لأبْلَجَ مَمْنُونِ النّقيبَةِ رائِسِ[1]
وَما كُنْتُ إلاّ الطِّرْفَ يَمنَعُ ظهرَهُ جَباناً ، وَيُعطي ظَهرَهُ كلَّ فارِسِ

لا ترقدن على الأذى

يمدح أباه ويذكر غرضاً في نفسه

لا تَرْقُدَنّ عَلى الأذَى ، وَاعزُمْ كما عزَمَ ابنُ موسَى
لمّا ألَظّ بِهِ العِدَى عَنَتاً ، وَأضرَاراً وَبُوسَا[2]
وَرَمَوْا إلَيْهِ نَوَاظِراً كَأسِنّةِ اليزَنيّ شُوسَا[3]
أغْضَى لَهُمْ ، وَأثَارَ لَيْثَ الغابِ يَقتَنصُ النّفوسَا
غَضْبانَ يَغْلي بِالزّمَا جِرِ كُلّما نَظَرَ الفَرِيسَا
يَتَنَكّبُ اللّحْمَ الذّلِيلَ وَيَطلُبُ العُضْوَ الرّئيسَا

١ عضلت : منعت .
٢ ألظ : أقام . عنتاً : فساداً .
٣ اليزني : الرمح المنسوب إلى ذي يزن أحد ملوك

أظَنَنْتُمُوهُ عَلى الأذَى ... في دارِكُمْ أبَداً حَبِيسَا
إنّ الذَّلُولَ عَلى القَوَا ... رِعِ عادَ بَعدَكمُ شَمُوسَا
وَأرَمَّ مِثْلَ الصِّلِّ يَنْـ ... ـتَظِرُ الّتي تَشفي النَّسيسَا [1]
حتّى أحَدَّ لَكُمْ حُسَا ... ماً قاطِعاً نَغَضَ الرّؤوسَا
إمّا عَقَرْنَ ظِبَاهُ أعْـ ... ـجلنَ العَقايرَ أنْ تكُوسَا [2]
إنْ تُفْجَأُوا بِدُخَانِهَا ، ... فبِعَقْبِ ما شَجرَ الوَطِيسَا [3]
كَيْداً سَرَى لَكُمُ ، وَلَمْ ... تَسْمَعْ لَهُ أُذُنٌ حَسِيسَا
قَدْ يَنْزِعُ اللّينَ الكَرِيمُ ... وَيلبسُ الخُلُقَ الشَّرِيسَا
وَتَكُونُ طَلْقاً ثُمّ يُوْ ... نِسُ ذِلّةً فيُرَى عَبوسَا
وَيَعُودُ مُرَّ الطّعْمِ لا ... عَذبُ المَذاقِ وَلا مَسوسَا [4]
ألْقَحتُمُ النُّعْمَى ، وَلَـ ... ـكِنْ طَرّقتْ لكمُ ببُوسَى
وَغَمَطْتُمُ تِلْكَ السّعُو ... دَ ، فأُبدِلتْ بكمُ نحُوسَا
وَأهَنتُمُ ثَوْبَ العُلَى ، ... فَغَدا الهَوَانُ لكُمْ لَبُوسَا
مِنْ بَعْدِ مَا حَلّتكُمُ الـ ... ـعَلْيَاءُ جَوْهَرَهَا النّفِيسَا
حتّى ظَنَنّا اللهَ لَيْـ ... ـسَ بِرَازِقٍ إلاّ خَسِيسَا
يا حُسنَكُمْ في الدّهْرِ أذْ ... نَاباً ، وَأقبَحَكُمْ رُؤوسَا

١ ارم : سكت . النسيس : الجوع ، بقية الروح في الجسد .
٢ تكوس : تمشي على ثلاث قوائم .
٣ شجر : منع . الوطيس : الحرب .
٤ المسوس : الماء بين العذب والملح .

خَلّوا الطّريقَ لِمَنْ تَعَدَّ   وَدَّ أنْ تُجَرِّبَهُ خَمِيسَا
وَدَعُوا السّيَاسَةَ في العُلى،   لأغَرَّ يُحسِنُ أنْ يَسُوسَا
هَذا خُمَارُ فَتًى أدَا   رَ مِنَ البَلاءِ لكُمْ كُؤُوسَا

البحر الزاخر

قال في صديق له

يا ذاكِرَ النَّعماءِ إنْ نُسِيَتْ ،   وَمُجَدِّدَ المَعْرُوفِ إنْ دَرَسَا
وَمُنَبِّهَ الآمَالِ إنْ رَقَدَتْ   بالطَّوْلِ لا أغْفَى وَلا نَعَسَا
نَصْلٌ إذا وَقَفَ النُّصُولُ مضَى ؛   جَبَلٌ إذا اضْطَرَبَ الجِبالُ رَسَا
لِلّهِ بَحْرٌ مَا هتَفْتُ بِهِ   حَتّى استَهَلّ عَليّ وَانبَجَسَا
أجمَمتُ جُمّتَهُ ، فَفَاضَ بهَا   يَطَأُ الرُّبَى وَيُبَلّلُ اليَبَسَا
زَخَرَتْ غَوَارِبُهُ إليّ ، وَلَمْ   يَقُلِ الرّجَاءُ : لَعَلّما وَعَسَى
وَأغَرَّ مُخْتَلِسٍ مَكَارِمَهُ ؛   إنّ الكَرِيمَ يرَى النّدى خُلَسَا
غَرَسَ الصّنَائِعَ ثمّ عَادَ بِهِ   عَودُ النّدى، فَسَقى الذي غَرَسَا
كالعَضْبِ فيهِ صَاقِلٌ عَمِلٌ   يَنفي القَذى ، وَيُبَاعِدُ الدّنَسَا
مِنْ مَعشَرٍ رَكِبوا المكَارِمَ في   أوْلى الزّمَانِ مَصَاعِباً شُمُسَا

شَغَلُوا مَلابِسَهَا فَلَمْ يَدعُوا ... لِلنّاسِ إلاّ الدّنِسَ اللُّبُسَا[1]

العَاطِفُونَ ، إذا الصّديقُ نَبَا ؛ ... وَالمُحسِنُونَ إذا الزّمَانُ أسَا

وَإذا خِنَاقُ الكَرْبِ ضَاقَ بِنَا ، ... رَدّوا النّفوسَ وَرَدّدوا النّفَسَا

مَا ضَرّ مَنْ مُطِرُوا بِبَلْدَتِهِ ... إنْ كانَ مَاءُ المُزْنِ مُحتَبِسَا

لا أزْلَقَ اليَوْمُ العَبُوسُ لكُمْ ... قَدَماً ، وَلا أطفَى لكُم قَبَسَا

لا تَفْتُرُنّ عَلى الزّمَانِ ، وَإنْ ... عَثَرَ الزّمَانُ بِعِزّكُمْ تَعَسَا

القلب في مأتم والعين في عرس

قال في الافتخار وشكوى الزمان وذم بعض أعدائه :

خُذْي حديثَكِ مِن نَفسِي عنِ النّفَسِ ، ... وَجْدُ المَشُوقِ المُعَنّى غيرُ مُلتَبِسِ

المَاءُ في ناظرِي ، وَالنّارُ في كَبِدِي ، ... إنْ شِئتِ فاغترِفي ، أوْ شئتِ فاقتبسِي

كم نظرَةٍ منكِ تَشفي النفسَ عن عرَضٍ ، ... وَتُرْجِعُ القَلبَ مني جِدَّ مُنتَكِسِ

تَلَذُّ عَيْني ، وَقَلبي منكِ في ألَمٍ ، ... فالقَلبُ في مأتَمٍ وَالعَينُ في عُرُسِ

كِمُّ الفؤادِ ،حَبيساً، غَيرُ مُنطَلِقٍ ، ... وَدَمعُ عَيني ،طَليقاً،غَيرُ مُنحَبِسِ[2]

١ اللبس من الالتباس : الشبهة .

٢ قوله : كم الفؤاد ، هكذا في الأصل ، والكم : غلاف الزهر .

هَلِ الزّمانَ عَلى الحَلصاءِ يَسمَحُ لي ... يَوْماً بذاكَ اللَّمَى المَمنوعِ وَاللَّعَسِ
يقَولُ : مُنّي ، كأنّ الحُبّ أوّلُهُ ، ... فكَيفَ أذكَرَني هذا الضّنَا وَنَسِي[1]
قُلْ للّيَالي: فِرِي نَحضِي على بَدَني، ... أوْ فَاعرُقيني بالأنيابِ ، وَانتَهِسِي[2]
خُذِي سِلاحَكِ لي إنْ كُنتِ آخِذَةً ، ... قد أمكَنَ النّاشِطُ الذّيّالُ وَافترِسِي[3]
فكَمْ أُرِيغُ العُلى، وَالحَظُّ في صَبَبٍ، ... وكَمْ أقولُ: لعاً، وَالجَدُّ في تَعَسِ
مُذَبذَبُ الرّزْقِ لا فَقْرٌ ولا جِدَةٌ ؛ ... حَظٌّ لعَمرُكَ لم يَحمَقْ وَلم يَكِسِ[4]
في كُلّ يَوْمٍ بسِرْبي منكِ غَادِيَةٌ ؛ ... إحَالَةُ الذّئْبِ بَادٍ غَيرَ مُختَلِسِ[5]
فَوْهَاءُ تَفْغَرُ نَحوِي، وَهيَ سَاغبَةٌ ، ... شَجوَ الوَليدِ إذا ما عَبّ في النّفَسِ
يا بُؤسَ للدّهرِ ألْقَاني بِمَسْبَعَةٍ ، ... وَقال لي عندَ غِيلِ الضّيغَمِ : احترِسِ
مضَى الرّجالُ الأُولى كانَتْ نَقَائِبُهم ... لا بالرِّجاعِ ، وَلا المَبذولَةِ اللُّبُسِ
وَصِرْتُ أهوَنَ عندَ الحَيّ بعدَهُمُ ، ... ممّا عَلى الإبلِ الجَرْبا من العَبَسِ[6]
أستَنزِلُ الرّزْقَ مِنْ قَوْمٍ خَلائِقُهم ... شُمْسُ الأعنّةِ عندَ الزّجرِ وَالمَرَسِ[7]
يَستَبْدِلُونَ بيَ الأبْدالَ مُعجِزَةً ، ... مَن يرْضَ بالعَيرِ يهجُرْ كاهلَ الفرَسِ

١ قوله : كأن الحب أوله ، هكذا في الأصل .
٢ فري : اقطعي . نحضي : لحمي . اعرقيني، من عرق العظم: أكل ما عليه من اللحم . انتهسي من النهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان .
٣ الناشط الذيال : الثور الوحشي .
٤ يكس : ينقص .
٥ عجز البيت غامض ولعل فيه تحريفاً .
٦ العبس : ما تعلق بأذناب الإبل من أبوالها وأبعارها .
٧ المرس : الممارسة ، الشدة .

العِرْضُ يُتْرَكُ للرّامي بِمَضْيَعَةٍ ، وَالمَالُ يُحفَظُ بالأعوَانِ وَالحَرَسِ
يُحَصِّنُونَ عَلى الرّاجي مَطالِعَهُ ، خَوْفاً مِنَ السَّلّةِ الحَذّاءِ وَالخَلَسِ[1]
أصْبَحتُ حينَ أُرِيغُ النّفعَ عندَهُمُ ، كناشِدِ الغُفْلِ بينَ العُمْيِ وَالخُرُسِ
لَقَدْ زَلَلْتُ، وكانَتْ هَفوَةٌ أمَماً، أيّامَ أرْجو النّدى الجارِي من اليَبَسِ
وَإنّ أعْجزَ مَنْ لاقَيتُ ذُو أمَلٍ يَرْجو الصِّلا عندَ زَنْدٍ ضَنّ بالقَبسِ
أبا الذّوائبِ مِنْ قَوْمي أُوَازِنُهُمْ ، لقدْ وَزَنْتُ الصّفا العاديّ بالدّهَسِ[2]
يا صَاحبيّ اشدُدا النِّضْوَيْنِ ،وَانطَلِقَا إنْ سَلّمَ اللهُ أفجَرْنَا مِنَ الغَلَسِ
لا تَنظُرَا غَيرَ وَعدِ السّيفِ آوِنَةً ، مَن لم يرِسْ بذُبابِ السّيفِ لم يرِسِ[3]
سِيرَا عَنِ الوَطَنِ المَذْمومِ وَاتّبِعَا إلى الإبَاءِ قِيَادَ الأنفُسِ الشُّمُسِ
وَلا تُقِيمَا على صَعْبٍ مَغَالِقُهُ ، بعِرْضِهِ مَا بِثَوْبَيْهِ مِنَ الدّنَسِ

[1] السلة : أخذ الشيء في رفق وخفة . الحذاء : السريعة . الخلس : الاختلاس .
[2] الصفا : الحجر الصلب . العادي : القديم . الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب .
[3] قوله : لم يرس ، هكذا في الأصل ولم نجدها .

قربت بالبعد

قَرُبْتُ بِالبُعْدِ مِنَ النّاسِ ، وَفُضّتِ الأطْمَاعُ بِاليَـاسِ
إلاّ بَقَايَا مِنْ جَميعِ الهَوَى ، تَهفُو بِلُبّ الجَبَلِ الرّاسِي
دَمعي كَجُودي عندَ بَذلِ النّدى ، وَحَرُّ بَأسِي مِثلُ أنفَاسِي
وَجْهِي رَقِيقٌ يُستَشَفُّ الحَيَا مِنهُ ، وَقَلْبي دُونَهُ قَاسِ
لا حَظَّ في المَجْدِ لِمَنْ لمْ يَزَلْ في حَيّزِ الإبْرِيقِ وَالكَاسِ
كُلُّ غُلامٍ رَامَ خَدْعَ العُلَى يلطفُ في بِرّي وَإينَاسِي

الحي كالمرموس

يرثي بعض أصدقائه :

بَقَاءُ الفَتَى مُستَأنَفٌ مِنْ فَنَائِهِ ، وَمَا الحَيُّ إلاّ كالمُغَيَّبِ في الرّمْسِ
أرَى النّاسَ وَرّادِينَ حَوْضاً منَ الرّدَى ، فمِن فارِطٍ أوْ بالغِ الوِرْدِ عن خِمسِ
وَيَجرِي عَلى مَنْ ماتَ دَمعي وَمَا لَهُ بكَيتُ وَلَكِنّي بكَيتُ على نَفْسِي
وَكُلُّ فتًى باقٍ سيَتبَعُ مَنْ مَضَى ؛ وَكُلُّ غَدٍ جاءٍ سيَلحَقُ بالأمْسِ
فَلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ مِنْ مُتَفَرّدٍ ، رَأى المَوْتَ أُنْساً فاستَرَاحَ إلى الأنسِ

أقُولُ وَقَدْ قَالُوا مَضَى لِسَبِيلِهِ ، مضَى غَيرَ رِعديدِ الجَنَانِ وَلا نِكْسِ
كَأنّ حِدادَ اللّيلِ زَادَ سَوَادَهُ عليكَ وَرَدّ الضّوْءَ من مطلعِ الشّمسِ
أرَى كُلّ رُزْءٍ دونَ رُزْئِكَ قَدْرُهُ ، فلَيسَ يُلاقيني لِيَوْمِكَ مَا يُنْسِي

بقلبي للنوائب جانحات

قال وقد حلق جمته بمنى ورأى
فيها طاقات من البياض في غير أوانه
وذلك في شعبان سنة ٣٩٢ :

بِقَلْبي لِلنّوَائِبِ جَانِحَاتٌ عِمَاقُ القَعْرِ مُؤنِسَةُ الأوَاسِي
أقَارِعُ شَغْبَهَا لَوْ كَانَ يُغْني قِرَاعي لِلنّوَائِبِ أوْ مِرَاسِي
وَتَعْذِمُني فتُخْطي صَفحَتَيها عِذامي يَوْمَ أعذِمُ أوْ ضِرَاسِي
كَأنّي بَينَ قَادِمَتَيْ نَزُورٍ تُرَاوِحُ بَينَ وَلْغي وَانتِهَاسِي
وَلَمْ يَلْبَثْنَ غِربَانُ اللّيَالي نَغيقاً أنْ أطَرْنَ غُرَابَ رَاسِي
وَمَا زَالَ الزّمَانُ يَحيفُ حَتّى نَزَعتُ لَهُ على مَضَضٍ لِبَاسِي
نَضَا عَنّي السّوَادَ بِلا مُرَادي وَأعطَاني البَيَاضَ بِلا التِمَاسِي
أرُوعُ بِهِ الظِّبَاءَ وَقَدْ أرَاني زَمِيلاً للغَزَالِ إلى الكِنَاسِ
لمَسقِطِ حَامِلِ الشّعَرَاتِ عَنّي بحَدّ السّيفِ في اليَوْمِ العَمَاسِ

أحَبُّ إليَّ مِنْ نَزْعِي رِداءً كَسَانِيهِ الشَّبَابُ وَأيّ كَاسِ
وَأخْلَقَ وَهوَ يُذْكِرُني التّصَابي وَعُودُ النّبعِ يَغمِزُ وَهوَ عاسِ
وَددتْ بِأنّ ما تَخبى المَوَاضِي بدالٌ لي بِمَا جَنَتِ المَوَاسِي
وَبَغّضَني المَشيبُ إلى لِداتي، وَهَوّنَني البَقَاءُ عَلى أُنَاسِي
خُذُوا بِأزِمّتي فَلَقَدْ أرَاني قَليلاً مَا يَلِينُ لَكُمْ شِماسِي
ألَيْسَ إلى الثّلاثِينَ انْتِسَابي وَلَمْ أبْلُغْ إلى القُلَلِ الرّوَاسِي
فمَنْ دَلّ المَشيبَ عَلى عِذارِي وَمَا جَرّ الذّبُولَ على غِرَاسِي
سَأبْكي للشّبَابِ بِشَارِداتٍ كَصَارِدَةِ السّهامِ عَنِ القِياسِ[1]
يُعَلّلُ شَدْوُهَا الطّلْحَ المُعَنّى إذا سَقَطَ العَصِيُّ مِنَ النّعَاسِ
فمَنْ يَكُ نَاسِياً عَهْداً فإنّي لِعَهْدِكَ يا شَبَابي غَيرُ نَاسِ
وَكُنتُ عَلَيكَ مَعْ طَمَعي جَزُوعاً، فكَيفَ يكُونُ وَجدي بعدَ يَاسِي
لضَاعَ بُكَاءُ مَنْ يَبكيكَ شَجواً ضَيَاعَ الدّمعِ بالطّلَلِ الطّمَاسِ
وَلَوْ أجدَى البُكاءُ عَلى نَوَارٍ لأعْيَا الدّمْعُ عَيْنَ أبي فِرَاسِ
فإنّ العَيشَ بَعدَكَ غَيرُ عَيشٍ، وَإنّ النّاسَ بَعْدَكَ غَيرُ نَاسِ

[1] صاردة السهام : المخطئة منها .

لا تنكري هذا النحول

قال في الغزل

أمُضِرَّةٌ بِالبَدْرِ طَالِعَةً ، عِندَ العُيُونِ ،وَضَرَّةُ الشَّمسِ
أنا مِنكِ في كَمَدٍ على كَمَدِ يَوْمي عليّ أمَرُّ مِنْ أمْسِي
جِنِّيَّةٌ وَقَبيلُهَا بَشَرٌ عَظُمَ البَلاءُ بِها على الإنْسِ
وَتَقُولُ لَمّا جِئْتُ أسألُها : كَيفَ الشّفاءُ لداءِ ذي النّكسِ
عَجَباً لَهُ إذْ جاءَ يَسْألُ مِنْ مَسّ الفُؤادِ رُقًى مِنَ المَسّ
لا تُنكِرِي هَذا النّحُولَ أمَا نَفسِي تَذوبُ علَيكِ من نَفسِي

الدمع الطليق

هُمُ خَلّفُوا دَمْعي طَلِيقاً ، وَغادرُوا فُؤادِي على داءِ الغَرَامِ حَبيسَا
طلاعُ الحَشَى لمْ يَترُكُوا فيه فَضْلَةً تَضُمّ جَوًى مِنْ بَعدِهم وَرَسِيسَا [1]
يَخَافُكُمْ قلبي ، وَأنتُمْ أحِبّةٌ ، كَأنّ الأعَادِي يَنظُرُونيَ شُوسَا
لَقَدْ خِفتُ عَيني أنْ تكونَ طَلِيعَةً لكُم وَفُؤادِي أنْ يكُونَ دَسِيسَا

١ طلاع الشيء : قدره . وطلاع الإناء : ملؤه .

خمار من اللمى

قال في صفة سواد اللون وسئل ذلك

باحَ بالمُضمَرِ الدّفينِ لسَا　　نٌ مِنَ النّفَسْ
عَنْ مُبِلٍّ مِنَ الجَوَى　　رَاجعَ الدّاءَ فانتَكَسْ
مَا لِقَلْبي عَنِ السّلُـ　　وّ رَأى النّارَ فاقتَبَسْ
جَدّدَتْ نَظْرَةُ المَهَا　　ةِ مِنَ الوَجدِ ما دَرَسْ
طَلَبَتْ غِرّةَ الفُـؤا　　دِ المُعَنّى، وَمَا احترَسْ
رَكّبَتْ صِبْغَةَ الهِلا　　لِ عَلَى صِبْغَةِ الغَلَسْ
في خِمَارٍ مِنَ اللّمَى ،　　وَقَمِيصٍ مِنَ اللَّعَسْ

الناس اسواء

قال وقد سئل ذلك

كُنّا نُعَظّمُ بِالآمَالِ بَعْضَكُمُ ،　　ثُمّ انقَضَتْ فتَسَاوَى عندَنا النّاسُ
لَمْ تَفْضُلُونَا بِشَيْءٍ غَيرَ وَاحِدَةٍ ،　　هيَ الرّجَاءُ ، فَسَوّى بَينَنَا اليَاسُ

كم عرّضوا لي بالدنيا

قال في معنى آخر :

كَمْ عرّضُوا ليَ بالدّنيَا وَزُخرُفِها   مَعَ الهَلُوكِ ، فلَمْ أرْفَعْ بهَا رَاسَا[1]
وكَيفَ يقبَلُ رِفدَ النّاسِ مُحتَمِلاً   ذُلّ المَطَالِبِ مَنْ لا يَمدَحُ النّاسَا

غيم على شمس

قال في الزيادة :

وَمُعْتَادَةٍ للطّيبِ لَيْسَتْ تُغِبُّهُ ،   مُنَعّمَةِ الأطرَافِ تَدمَى من اللّمسِ
إذا مَا دُخانُ النّدّ مِنْ ثَوْبِهَا عَلا   على وَجهِها أبصرْتَ غَيماً على شمسِ

١ الهلوك : المرأة الفاجرة .

حرف الشين

يا نفس اذهبي أسفاً

قال يرثي قوماً من أصدقائه من العرب :

لِتَبْكِ اليَوْمَ نِسْوَةُ آلِ كَعْبٍ بِأجْيَادٍ مُدَمّاةِ الخُدُوشِ
عَلى الفُرْسَانِ مِنْ سَلَفَيْ تَميمٍ يَثُلُّهُمُ الرّدَى ثَلَّ العُرُوشِ
مَضَوْا وبَقِيتُ بَعْدَهُمُ مَهِيضاً ، كَمَا نَهَضَ الجَنَاحُ بِغَيرِ رِيشِ
وَمَنْ نَهَشَتْ أسِنّةُ آلِ كَعْبٍ ، فَلا دِرْيَاقَ للرّجُلِ النّهِيشِ
فَيَا نَفْسِ اذْهَبي أسَفاً عَلَيْهِمْ ، فَبُعْدُهُمُ كَمَوْتِكِ انْ تَعيشي

حرف الصاد

لا مناص من حكم القدر

قال يرثي صديقاً له من العرب
وقيل إنه كان قد عاهده أن يدعو إليه
في أمر الخلافة وله فيه عدة مراث :

مَا هاجَ مِن ذي طَرَبٍ مِخمَاصِ ، لَيْلُ أبي العَوّامِ وَالقِلاصِ [1]
أرْسَلَهَا خَمْصَاءَ في خِمَاصِ ، زَوْرَاءَ من رَعيِ الحَميمِ الوَاصِي [2]
بَعْدَ مِطالِ القَرَبِ البَصّاصِ ، رَامٍ إلى غَايَتِهَا الأقَاصِي [3]
قَذَى المَآقي لَبِدُ العَنَاصِي في مُطْلَقٍ أنْجُمُهُ شَوَاصِي [4]
لَمعُ المَدارِي جُلْنَ في العِقَاصِ ، كَأنّ خَفقَ الكَوْكَبِ الوَبّاصِ [5]
زَرْقَاءُ مِنْ زُرْقِ بَني مِلاصِ ، حتّى اتّقَينَ الشّمسَ بالنّوَاصِي [6]

١ المخماص : الجائع ، الضامر البطن . القلاص : النياق .
٢ الواصي : المتواصل .
٣ القرب : البئر القريبة الماء . البصاص : المتلألىء .
٤ اللبد : المتلبد . العناصي : النبت المتفرق . شواصي : شواخص .
٥ المداري : الأمشاط . العقاص : غدائر الشعر ، الواحدة عقيصة . الوباص : البراق .
٦ بنو ملاص : بطن من هذيل .

مُفْتَقَةٌ مِنْ جَانِبِ النَّشَّاصِ ، تَطَلُّعَ الرُّودِ مِنَ الخَصَاصِ[1]
مَا لِي وَمَا لِلقَدَرِ المُعَاصِي ، كَالعَيْرِ مَضرُوباً عَلَى القِمَاصِ[2]
أيْنَ أبُو العَوَّامِ لِلعَوَاصِي ، يَرُوضُهَا ، وَالخَيْلِ وَالدِّلاصِ
وَرَعْيِهَا بَيْنَ القَنَا العَرَّاصِ ، مِنْ آمِنِ القُلاَّمِ وَالقُرَّاصِ[3]
وَلِلقِرَى وَالطُّرُقِ الخِرَاصِ ، وَلِلقَنَا يَلْدَغْنَ بِالأخْرَاصِ[4]
هَيهَاتَ لا حَامي إلى العِرَاصِ ، شِيمَ الظُّبَى وَضُمَّتِ القَوَاصِي[5]
سَمُّ المَطَايَا لَيلَةَ الإرْقَاصِ ، يَرْجِعْنَ أرْمَاقاً بِلا أشْخَاصِ
زَادَ الفَتَى وَالقَوْمُ في انتِقَاصِ ، وَبَعُدُوا عَنْ جَامحٍ فَحَاصِ
بُعْدَ اللَّغَادِيدِ مِنَ القِصَاصِ ، قَامَ المُجَارِي وَكَبَا المُنَاصِي[6]
مِنْ مَعْشَرٍ مُطَيَّبِ الأعْيَاصِ ، بَيْنَ لُبَابِ المَجدِ وَالمُصَاصِ[7]
لَهُمْ بِآدَابِ النَّدَى تَوَاصِي ، مِنْ كُلِّ سَبَّاقِ المَدَى نَوَّاصِ[8]
قَوْمٌ لأعنَاقِ العِدَى قَوَّاصِ ، قِرْنٌ لِقَاءِ عَجِلُ الإقْعَاصِ[9]

١ النشاص : السحاب . الرود : الفتاة الحسناء .
٢ القماص ، من قمص العير : وثب ونفر .
٣ العراص : اللدن . القلام : القاقلى . القراص : البابونج .
٤ الخراص : لعلها من خرص الشيء : أصلحه . الأخراص : الأسنة .
٥ القواصي : النواحي .
٦ اللغاديد ، الواحد لغدود : لحمة في الحلق . قصاص الشعر : حيث ينتهي نبته . المناصي ، من ناصاه قبض كل واحد على ناصية الآخر .
٧ المصاص : خالص الشيء .
٨ النواص : النهاض ، المتحرك .
٩ قواص : قواطع . الاقعاص : القتل .

يا قَبْرُ بَيْنَ القُورِ وَالدَّعَاصِ ، ضُمَّ عَلَى لُؤْلُؤَةِ الغَوّاصِ
ضَمَّ الوِعَا وَبَزَّ بِالعِقَاصِ ، سُقِيتَ مِنْ داني الحَيَا وَالقَاصِي
قَادَ ابنَ لَيْلى قَائِدُ المُعتَاصِ ، كَانَ سِيَاغي فَغَدا اغتِصَاصِي
مَا أَثقَلَ اليأسَ عَلَى الحِرَاصِ ، هَل بِجُرُوحِ الدّهرِ مِن قِصَاصِ
جَدَّ الرّدَى وَالنّاسُ في حِيَاصِ ، حِيدَ الأَقاطِيعُ عَنِ القَنّاصِ[1]
قَدْ يَنْزِلُ العَالي مِنَ الصَّيَاصِي ، وَقَدْ يُطيعُ الرّأسُ وَهوَ عَاصِي[2]
أَمْرٌ لِجَامِ القَدَرِ القَرّاصِ ، مَا شَاءَ مِنْ حُكْمٍ ، فلا مناصِ[3]

ذهب الغزال بلبه

قال في النسيب :

يا بُؤسَ مُقتَنِصِ الغَزَالِ طَمَاعَةً ، ذَهَبَ الغَزَالُ بِلُبّ ذاكَ القَانِصِ
كَالدّرّةِ البَيْضَاءِ حَانَ ضَيَاعُهَا مِنْ بَعْدِ مَا مَلأتْ يَمينَ الغَائِصِ
مَا كَانَ قُرْبُكَ غَيرَ بَرْقٍ لامِعٍ ، وَلّى الغَمَامُ بِهِ ، وَظِلٍّ قَالِصِ
أَغدُو عَلَى أَمَلٍ كَحُبّكَ زَائِدٍ ، وَأَرُوحُ عَن حَظٍّ كَوَصْلِكَ نَاقِصِ

١ الأقاطيع جميع قطيع على غير قياس .
٢ الصياصي : الحصون .
٣ فلا مناص : هكذا في الأصل .

لمن الديار ؟

قال يعرض ببعض من انتمى إلى معد ابن عدنان وليس منهم ويذكر غرضاً له :

لِمَنِ الدِّيَارُ طُلُولُهَا وُقُصُ . مَا لِلقَطِينِ بِعُقْرِهَا شَخَصُ [1]
أَبْقَى الخَلِيطُ بِهَا مَعَاهِدَهُ ، أَثَرٌ لَعَمْرُكَ مَا لَهُ قَصَصٌ
وَلَقَدْ تَحِلُّ بِهَا مُرَبَّبَةٌ ، ظَمْأَى الوِشَاحِ وَلِلبُرَى غَصَصٌ [2]
غَنِيَتْ بِحَلْيِ الحُسْنِ عَاطِلَةٌ ، مَا لِلنُّضَارِ بِجِيدِهَا وَبَصُ
فَرْعَاءُ إِنْ نَهَضَتْ لِحَاجَتِهَا . عَجِلَ القَضِيبُ وَأَبْطَأَ الدَّعِصُ
وَمُرَجَّلٍ جَعْدٍ يَنُوءُ بِهِ جِيدُ الغَزَالِ ، وَنَاعِمٌ رَخْصُ
سَرَقَتْ بِطَرْفِ الرِّيمِ مُهْجَتَهُ ، وَمِنَ النَّوَاظِرِ قَاطِعٌ لُصٌّ
قَسَماً بِشُعْثٍ جَعْجَعَتْ لَهُمُ بِالمَأْزِمَيْنِ ظَوَالِعٌ خُمُصٌ [3]
طَعَنُوا الظَّلَامَ بِكُلِّ نَاجِيَةٍ ، فِي مُوقِ كُلِّ دُجًى لَهَا بَخَصُ [4]
تَرْمِي الإِكَامَ بِمَنْسِمٍ عَمَمٍ ، دَامِي الأَظَلِّ كَأَنَّهُ قُرُصُ [5]

١ وقص : مدقوقة . العقر : المنزل .
٢ ظمأى الوشاح : ضامرة الخصر . البرى : أراد بها الخلاخيل . غص : أي ممتلئة .
٣ المأزمان : بين مكة ومنى . ظوالع : تغمز في مشيها . خمص : جياع ، عطشى .
٤ البخص : قلع العين .
٥ المنسم : خف البعير . العمم : التام . الأظل : باطن الخف .

وَالرّاجِمِينَ جِمَارَهَا بِمِنًى ، غَدَوْا وَمَا حَلَقُوا وَمَا قَصّوا
مُتَجَرّدِينَ مِنَ الرّياضِ ضُحًى ، حُلَّ النّطاقُ وَأُطْلِقَ العَقْصُ[1]
لأسقِيَنّكَ كَأْسَ لاذِعَةٍ ، لا العَبُّ يُنفِدُهَا وَلا المَصّ
بِقَوَارِعٍ يُمْسِي الرّميُّ بِهَا ، مِنْ غَيرِ ما طَرَبٍ، لَهُ رَقْصُ
تُنْسِي جَرَائِحُها قَوَارِصَهَا ، وَالطّلْقُ يُنْسَى عِندَهُ المَغْصُ
أإلى مَعَدٍّ جِئْتَ مُرْتَقِياً ، يا عَيرُ ! أينَ رَمى بكَ القَمْصُ
أمِنَ الوِهَادِ إلى الرُّبَى عَجِلاً ، سُرْعانَ ذا الذَّمَلانُ وَالنَّصّ[2]
ألحَقتَ رِيشَكَ في قَوَادِمِهِمْ ، عَجْلانَ تُلْصِقُهُ وَيَنحَصّ
إنْ زِدْتَهُمْ ،فَلَقَدْ نَقَصْتَهُمُ ؛ إنّ الزّيَادَةَ بالشَّغَا نَقْصُ[3]
غادَرْتَهَا شَنْعَاءَ ضَاحِيَةً ، لا النِّقْسُ يَصْبُغُها وَلا الحُصّ[4]
وَمِنَ المَخَازِي عِنْدَ لابِسِهَا مَا لا تُوَارِي الأُزْرُ وَالقُمْصُ
يا مُوعِدِي بِذِنَابِ مِخْلَبِهِ ، إنّ البَعُوضَ أذاتُهُ القَرْصُ
لا تَحْسُدَنّ المَرْءَ ثَرْوَتَهُ ، إنّ البِطَانَ إلى غَدٍ خُمْصُ
وَخَفِ السَّقَاطَ عَلى الذينَ عَلَوْا ، وَمِنَ العُلُوّ يُحَاذِرُ الوَقْصُ[5]

١ الرياض : موضع . العقص : فتل الشعر .
٢ الذملان : السير المتوسط . النص : استخراج أقصى السير .
٣ الشغا : اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر والدخول والخروج
٤ النقس : الحبر . الحص : الزعفران .
٥ الوقص : دق العنق .

وَاعقُدْ يَدَيكَ بِمُجْتَني كَرَمٍ لا قدحَ في حَسَبٍ، وَلا غَمْصُ[1]
أسَدٍ ، إذا بَصُرَ الرّجالُ بِهِ خفُضَ الكلامُ وَطومنَ الشّخصُ
مِنْ مَعْشَرٍ رَكِبَتْ أوَائِلُهُمْ أولى العُلى ، وَجِيادُها شُمْصُ
إنْ أحْسَنُوا عَمّوا بِنَائِلِهِمْ ؛ وَإذا رَمَوْا بِجَرِيرَةٍ خَصّوا
عَدَدُ المَكَارِمِ في بُيُوتِهِمُ ، وَالجَامِلُ القَبْقَابُ وَالقَبْصُ[2]
رَفَعُوا المَسَاعي مِنْ قَوَاعِدِها، يَعْلُو بِهِنَّ الرَّضْمُ وَالرَّصُ[3]
حتّى انتَمَوْا في رَأسِ أشْرَفِها ، وَعَلى الكُعُوبِ يُوَقَّعُ الخُرْصُ
أفنَى العَدُوَّ ، وَلَيْسَ يَنقُصُهُمْ مِنْ رَملِ مُنقَطعِ اللّوَى القَبصُ

رداء من العلى

رُبّ مُستَغمِزٍ إبَائي وَفي النّا سِ ذَلُولٌ على الأذَى وَقَمُوصُ[4]
نَاصِبٌ لي حبَائِلَ الطّمَعِ المُزْ رِي ، وَغَيرِي للمُطمِعاتِ قَنِيصُ
بذلَ المَالَ لي يُسَاوِمُ عِرْضِي ؛ إنّ عِرْضِي إذاً عَلَيّ رَخِيصُ

١ الغمص : العيب .
٢ الجامل : الحي العظيم . القبقاب : الواسع الكثير الماء . القبص : العدد الكثير من الناس
٣ الرضم : الصخور العظيمة يرضم بعضها فوق بعض . الرص : الضم .
٤ الذلول : السهل الانقياد . القموص : الدابة التي تثب بصاحبها .

لا يُعَابُ المُقِلُّ ، وَهوَ قَنُوعٌ ، وَيُعَابُ الغَنيُّ ، وَهوَ حَرِيصُ
لِبُسَتي عَلّهَا تَجَلّى ، وَلَمْ يَدْ نَسْ رِداءٌ مِنَ العُلى وَقَمِيصُ
وَانْظُرَنْهَا تَجُرُّ زَعَازِعُها النُّكْ بُ ، وَبَطْني من النّوَالِ خَمِيصُ
وَارْقُبي عَطْفَةَ الزّمَانِ بِجِدٍّ ، رُبّما حَلّقَ الجَنَاحُ الحَصِيصُ
يُقْدِمُ البَاسِلُ الأبيّ عَلى الحَتْ فِ، وَفيهِ عنِ الهَوَانِ نُكُوصُ
كُلّما عَضّهُ الأذى غَصّ بالصّبْ رِ يُزَجّي الأيّامَ وَهيَ غَصِيصُ
قَسَماً بالأشاعِثِ الحُمْصِ أدّتْ هُمْ إلى المَأزِمَينِ قُودٌ وَخُوصُ
تَرْتَعي جِرّةَ البُطُونِ مِنَ الجَهْ دِ ، إذا عَزّ أجْرِدٌ وَقَصِيصُ[1]
أكَلَتْ نِيّهَا المَوَامي فَلَمْ يَبْ قَ عَلَيْهَا إلاّ الذّمَا وَالشُّخُوصُ[2]
لا جَعَلتُ الهَوَانَ دارَ مُقَامٍ ، وَعنِ الضّيمِ مَعدَلٌ وَمَحِيصُ
خَفّ عَنْ عَاتِقي الرّجَاءُ وَكَمْ با تَ بمَنّ الرّجالِ وَهوَ وَقِيصُ
إنْ يكُنْ في نَدَى المُلوكِ سبوغٌ للمُرَجّي ، فَفي رَجَايَ قُلُوصُ

١ الجرة : ما يفيض به البعير فيأكله ثانية . الأجرد والقصيص : نباتان .
٢ الذما : بقية النفس .

حرف الضاد

لا أطلب غير الرضا

قال يمدح الملك بهاء الدولة ويعتذر إليه مما اتفق في أمره، وذلك أن الملك تقدم بكتب الكتب من البصرة إلى بغداد بتولية النقابة وإمارة الحج في أول يوم من جمادى الأولى سنة ٣٩٧ فكان من الاتفاق العجيب أن الصاحب عميد الجيوش ألزمه ببغداد النظر في هذه الأعمال في ذلك اليوم بعينه، ثم دخلت الكتب بعد أيام وبلغ الملك ذلك فثقل عليه لأنه آثر أن يكون هو المبتدىء بالمنة والسابق إلى الصنيعة، وبلغ ذلك الرضي فكتب إليه بهذه القصيدة يعتذر مما جرى :

كَيفَ أضاءَ البرْقُ ، إذْ أوْمَضَا، مَنابِتَ الرِّمْثِ بِوَادي الغَضَا[1]
عَهدُ الحِمى، لا أينَ عَهدُ الحِمى، قَضَى عَلى الصّبّ جَوًى وَانقَضَى
وَنَـازِلٍ بِالقَلْبِ أوْطَـانُهُ بَينَ حِمَى الرّملِ وَبَينَ الأضَا[2]
لا نَالَهُ الدّاءُ الّذِي نَالَني مِنْهُ ، وَإنْ شَفّ ، وَإنْ أمرَضَا
وَلا يُكَابِدْ لَيْلَ ذي غُلّةٍ ، لَوْ طَلَعَ البَدْرُ بِهِ مَا أضَا
هَانَ عَلى الوَاجِدِ طَعمُ الكَرَى؛ إنّ الفَتى السّاهِرَ مَا غَمّضَا

١ الرمث : مرعى للإبل من الحمض .
٢ الاضا ، الواحدة أضاة : مستنقع الماء .

مَا آنَ للمَمْطُولِ أنْ يقْتَضِي ، وَلا لِذا المَاطِلِ أنْ يُقْتَضَى
إنّ غَرِيمِي بِدُيُونِ الهَوَى أدانَ قَلْبي وأساءَ القَضَا
يَا رَاكِباً تَحْمِلُهُ جَسْرَةٌ ، كالهِقْلِ ناشَ البَلَدَ الأعرَضَا[1]
أنْحلَهُ الخَوْفُ ، وَخَوْفُ الفتى سَيْفٌ عَلى مَفْرِقِهِ مُنْتَضَى
قُلْ لِبَهَاءِ المُلْكِ ، إنْ جِئْتَهُ ، سَوّدَ دَهْرِي بِكَ مَا بَيّضَا
سُخطٌ لَوَ انّ الطّوْدَ يُرْمَى بهِ ، سَاخَ عَنِ الأطْوَادِ ، أوْ خفّضَا
وَمُرُّ قَوْلٍ ذَلّ عِزّي لَهُ ، لَوْ مُزِجَ المَاءُ بِهِ عَرْمَضَا[2]
أعُوذُ بِالعَفْوِ ، وَهَلْ آمِنٌ نَذِيرَةَ الصِّلّ إذا نَضْنَضَا
أيَا غِيَاثَ الخَلْقِ إنْ أجْدَبوا ، وَيَا قِوَامَ الدّينِ إنْ قُوّضَا
وَيَا ضِيَاءً ، إنْ نَأى نُورُهُ ، لَمْ نَرَ يَوْماً بَعْدَهُ أبْيَضَا
مَا لِيَ مَطْوِيّاً عَلى غُلّةٍ ، أرْمَضَنِي وَجْدُكَ مَا أرْمَضَا
قَدْ قَلِقَ الجَنْبُ وَطالَ الكَرَى، وَأظْلَمَ الجَوُّ وَضَاقَ الفَضَا
لا تُعْطِشِ الزّهْرَ الّذِي نَبْتُهُ بِصَوْبِ إنْعَامِكَ قَدْ رَوّضَا
إنْ كانَ لِي ذَنْبٌ، وَلا ذَنْبَ لِي، فاستَأنِفِ العَفوَ وَهَبْ ما مضَى
لا تَبْرِ عُوداً أنْتَ رَيّشْتَهُ ، حَاشَا لِبَاني المَجْدِ أنْ يَنْقُضَا
وَارْعَ لِغَرْسٍ أنْتَ أنْهَضْتَهُ ، لَوْلاكَ مَا قارَبَ أنْ يَنْهَضَا
لَوْ عُوّضَ الدّنْيَا عَلى عِزّهَا مِنْكَ ، لمَا سُرّ بِمَا عُوّضَا

١ الجسرة : الناقة القوية . الهقل : الفتيّ من النعام . ناش : طلب .
٢ عرمض : طحلب .

وَلا يكُنْ عَهدُكَ، بَعدَ الهوَى، غَيْماً تَجلّى وَخِضَاباً نَضَا
يا رَامِياً لا دِرْعَ مِنْ سَهْمِهِ، أقصَدَني مِنْ قَبْلِ أنْ يُنتَضَى
قضَى عَلى قَلْبي بِإقْلاقِهِ، مَا أنَا بِالجَلْدِ عَلى مَا قَضَى
وَكَيْفَ لا أبْكي لإعْرَاضِ مَنْ يُعرِضُ عَنّي الدّهرُ إنْ أعرَضَا
قَدْ كُنتُ أرْجُوهُ لنَيْلِ المُنَى، فاليَوْمَ لا أطْلُبُ غَيرَ الرِّضَا

أين من يجير على الدهر

يفتخر ويذم الزمان

عِنْدَ قَلْبي عَلاقَةٌ مَا تَقَضّى، وَجَوًى كُلّما ذَوَى عادَ غَضّا
وَبُكَاءٌ عَلى المَنَازِلِ أبْلَتْهُنّ أيدِي الأيّامِ بَسْطاً وَقَبضَا
وَالتِفاتٌ إلى التّصَابي، وَقَدْ أسْرَعَ بي جامحُ الثّلاثِينَ رَكْضَا
مَنْ مُعِيدٌ أيّامَ ذِي الأثْلِ، أوْ مَا قَلّ مِنها دَيْناً عَليّ وَقَرْضَا
سَامِحاً بالقَليلِ مِنْ عَهْدِ نَجدٍ، رُبّمَا أقْنَعَ القَليلُ وَأرْضَى
إنّ عِيداً مِنَ الغَوَاني، إذا رُمْتُ التّسَلّي أشْجَى لقَلبي وَأنضَى[1]
وَإذا مَا عَزَمْتُ صَبراً أرَتْني مُقَلاً تَفْسَخُ العَزَائِمَ مَرْضَى

[1] العيد : الموسم ، وما اعتادك من مرض أو حزن أو هم .

مُحْسِنَاتٌ إلى الغَرِيمِ مِطَالاً   مَنَعَ الدّلُّ دَيْنَهَا أنْ يُقَضَى
وَإذا مَا أمتَنّ بالبُعْدِ بَعْضاً   مِنْ فُؤادي أحيَيْنَ بالقُرْبِ بعضا
فَسَقَى الرّمْلَ مَنْزِلاً وَمَعَاناً   هَزِجاتٌ يَنبِضْنَ بالبَرْقِ نَبضا
وَمَشَتْ فِيهِ بِالنّسيمِ عَلِيلاً   قِطَعُ المُزْنِ في الرّياضِ المَرْضَى
مَا لِذا الزّوْرِ مَا يَغِبّ مِنَ الرّمْـ   ـلِ طَرُوقاً في مَضْجَعٍ قَدْ أقِضَا
مُهْدِياً لي مِنْ طيبِ أرْوَاحِ نجدٍ   ما يُداوِي نُكسَ العليلِ المُنَضَّى[1]
لمْ يَكُنْ غَيرَ خَطْرَةِ البَرْقِ مَا   زَوّدَ عَينَ المَشُوقِ إلاّ وَمْضا
قادَهُ الغَمضُ مِنْ زَرُودَ فَلَمّا   زَارَ أنبَى عَنْ مُقلَتَيّ الغُمْضا[2]
قد لَبِستُ الخطوبَ سوداً وَبِيضاً ،   وَقَطَعتُ الزّمانَ طُولاً وَعَرْضا
وَوَرَدْتُ الأمُورَ صَفْواً ورَنْقاً ،   وَرَعَيتُ الآمالَ رَطْباً وَحَمضا
وَتَلَفّعْتُ رَيْطَةً مِنْ بَيَاضٍ ،   أنَا رَاضٍ مِنها بما لَيسَ يُرْضَى
أبْرِمَتْ لي مِنْ صَنعَةِ الدّهرِ لا   يُسرِعُ فيها إلاّ المَنَايَا نَقْضا
مَخبرٌ فَاحِمٌ وَلَوْنٌ مُضِيءٌ ؛   مَنْ رَأى اليَوْمَ فَاحِماً مُبْيَضّا
كَمْ مُقَامي تُلْقي عَليّ اللّيَالِي   نُوَباً ، لا أطِيقُ مِنْهُنّ نَهْضا
وَخُطُوباً ، إذا نَحَتْنَ مِنَ العَظْـ   ـمِ فَلا بَدْعَ إنْ عَرَقْنَ النَّحضا
قَاعِداً مَطرَحَ السّقَاءِ انتَحَتْهُ   بصُرُوفِ الأقدارِ جَرّاً وَمَخْضا

[1] المنضى : المهزول .

[2] الغمض بالفتح : المطمئن من الأرض . زرود : موضع في بلاد العرب . الغمض بالضم : انطباق الجفن ، النوم .

رَكِبَتْنِي وَهَمّاً جُلالاً ، فَمَا زَا ل جِذابي حتّى رَمَى بِيَ نِقْضَا[1]
كُلَّ يَوْمٍ عَلى مَزَلّةِ خَطْبٍ ، أتَوَقّى مَرْمًى إلى الذّلّ دَحضَا[2]
وَمُسْتَقٍّ عَلى القَذَى يَرِدُ الوِرْ دَ جُماماً فيَشرَبُ المَاءَ بَرْضَا[3]
كُلّمَا سَارَ طالِباً خَفْضَ عَيشٍ نَالَ ذُلاًّ مِنَ الزّمانِ وَخَفْضَا
أينَ لا أينَ مَنْ يُجيرُ عَلى الدّهْـ رِ، إذا الدّهرُ هَرّ يَوْماً وَعَضّا
قَدْ وَهَبْنَا رَجاءَنَا لِزَمَانٍ لَمْ يَدَعْنَا حتّى وَهَبْنَا العِرْضَا
وَتَرَكْنَا نَفْلَ الزّمَانِ قُنُوعاً ، ثُمّ زِدْنَا حتّى تَرَكْنَا الفَرْضَا
فَذِمَاماً عَلى النّدَى أنْ يُرَجّى ، وَعِيابُ البَخيلِ مِنْ أنْ يُفَضّى[4]
وَأمَاناً مِنّي عَلَيْهِ ، فَمَا أذْ عَرُ سِرْباً ، وَلا أُنازِلُ أرْضَا
لا حَمَلْتُ الحُسَامَ إنْ لمْ أُحَمّلْـ هُ رُؤوسَ العِدى قِرَاعاً وَعَضّا
فِعْلُ مُسْتَثْقِلِ الحَيَاةِ يَعُدّ الـ ذّلّ بَعثاً عَلى المَنُونِ وَحَضّا
مُسْتَمِيتاً يَرَى التّحيّةَ بالضّيْـ مِ لِطَاماً ، وَالعَارَ جُرْحاً مُمِضّا
طارِحاً نَفسَهُ عَلى كُلّ هَوْلٍ ، قَد تَعامَى عَنهُ الجَبانُ وَأغضَى
حَيثُ يَلْقَى ضَرْبَ السّيوفِ أخادِيـ ـدَ تَمُجّ الدّماءَ وَالطعنَ وَخضَا[5]
وَفُتُورٌ مِثْلُ الأُسُودِ أعَدّوا لِقَنِيصِ العَلْيَاءِ وَثْباً وَرَبْضَا

١ الجلال : العظيم . الجذاب : المنازعة . النقض : البناء المنقوض ، المهدم
٢ الدحض : الزلق .
٣ البرض : القليل .
٤ يفضى : يفتقر .
٥ الوخض : الطعن يخالط الجوف ولم ينفذ .

فَوْقَ أكْوَارِ ضُمَّرٍ أقلَقَ النِّسْـ ع َ قَدِيمٌ اضْطِمَارِهَا وَالغَرَضَا
كُلَّمَا اجلَوَّذَ الظّلامُ استَلَذّوا لَعِبَ اللّيْلِ بالطِّلاحِ الأنْضَا[1]
كُلُّ مُسْتَعْسِفِ اليَدَيْنِ بِقَوْسِ الـ مَجدِ يَرْمي عن المكارِمِ عرْضَا
حامِلٍ بَزّهُ على رَبِذِ التّقْـ رِيبِ إنْ أسْخَطَ الضّوَامرَ أرْضَى[2]
مُنقَعاً في مَاءِ النّجَابَةِ مَنْسُو باً لُبَاباً إلى المَنَاجِيبِ مَحْضَا
سَوْطُهُ نِسْعَةُ العِنانِ ، إذا حَـ رّكَ جَلّى إلى المُرَادِ وَأفْضَى
مِثْلُ بَازِ العَلْيَاءِ عَنّ لَهُ الطّعْـ مُ ، فَتَخَلّى يَفَاعَهُ وَانقَضَّا
فَلَعَلّي ألْقَى المُنَى أوْ خِلاجاً مِنْ حِمَامٍ قَضَى عَليّ وَأمضَى
رَاكِباً صَهْوَةَ الخِطَارِ عَقِيداً لِبَنَاتِ الفَلا ، يَجُبْنَ الأرْضَا[3]
كَابِناً للأُنُوفِ جَدْعاً وَرَغْماً ، وَلِهَامِ الأعداءِ وَقْماً وَغَضّا[4]
بَرْدُ عِزٍّ ، أوْ حَرُّ نَصْلٍ ، فإنّي أجِدُ اليَوْمَ في ضُلُوعيَ رَمْضَا

[1] اجلوذ : أسرع ومضى . الطلاح : الإبل المعيية . الأنضاء ، الواحد نضو : المهزول من الحيوان
[2] الربذ : السريع . التقريب : ضرب من المشي .
[3] الخطار : المراهنة ، ولعله اسم فرس . العقيد : المعاهد . بنات الفلا : أراد بهن وحوش الفلا
[4] كابناً : هكذا في الأصل ولعلها محرفة عن كابتاً أي مذلا ، مخزياً . الوقم : القهر .

بخل وذل

مَوَاقِدُ نِيرَانِهِمْ قِرَّةٌ ، وَسِرْبَالُ طَاهِيهِمُ أَبْيَضُ
إذا حُرِّكُوا للمَسَاعِي أبَوْا ، وَإنْ أُنْزِلُوا دارَ ضَيْمٍ رضُوا

اليوم الأبيض

حَذارِ ، فإنّ اللّيثَ قَدْ فَرّ نَابُهُ ، وَقَدْ أوْتَرَ الرّامي المُصِيبُ وَأنبَضَا[1]
أُسَرّ بِمَنْ أرْجَا إلى اليَوْمِ يَوْمَهُ ، فأدْرَكَ مَا يَهوَى، وَآسَى لمَنْ مضَى
وَقَدْ كُنتُ أدْعُو أنْ تُؤخَّرَ مُدّتي لَعَلّي أرَى يَوْماً مِنَ العَدْلِ أبيَضَا

١ فر : كشف . انبض : رمى عن قوسه .

أهلاً به

أهْلاً بِهِ مِنْ رَائِحٍ مُتَصَعِّدٍ ، بِخَوَالِجٍ مِنْ بَرْقِهِ وَنَوَابِضِ
هَزِجِ البُرُوقِ ، كَأنَّهُ مُتَمَسْطِقٌ بِأرَاقِمٍ قِلْنَ الرِّمالَ نَضَانِضِ[1]
حَتّى يَقُولَ السّاهِرُونَ لِوَمْضِهِ : نَضَرَ العِرَاقُ بِقَطْرِ هذا العارِضِ

باق مضيء

ضَوّاً ، حِينَ أوْمَضَا ، مَتْنِيتَ الرَّمْلِ وَالغَضَا
بَارِقاً مُزْنُهُ أطَا لَ اسْتِنَاناً وَأعْرَضَا[2]

طول الأرض وعرضها

لِغَيْرِ تَقْدِيرٍ ذَرَعْنَ الأرْضَا ، حَتّى عَلِمْنَ طُولَهَا وَالعَرْضَا

١ المتمطق : المصوت . ولعلها متمنطق بأراقم : أي متزنر بالحيات . قلن : تمن القيلولة . النضانض، الحيات التي تحرك ألسنها ، أو التي لا تستقر بمكان .
٢ استنان : اضطراب . أعرض : ظهر .

لجام المشيب

قال في المشيب

لِجَامٌ للمَشيبِ ثَنَى جِمَاحي، وَذَلَّلَني لِأيّامٍ وَرَاضَا
أُقَرُّ بِلُبْسِهِ ، وَلَقَدْ أرَاني أُجاحِدُهُ إباءً وَامتِعَاضَا
تَعَوّضْتُ الوَقَارَ مِنَ التّصَابي ، لَشُدَّ عَلى المُعَوَّضِ ما استَعَاضَا
لَوَى عَنّي الخُدودَ مِنَ الغَوَاني ، وَقَطّعَ دُونيَ الحَدَقَ المِرَاضَا
فَصَارَ بَيَاضُهُ عِندي سَوَاداً ؛ وَكانَ سَوَادُهُ عِندي بَيَاضَا

قل للعدى عضوا الأخامص

قال في غرض له وقيل إنه
عاتب بها أباه وأخاه في أمر جرى :

رَضِيتُ منَ الأحبابِ دونَ الذي يُرْضِي ، وَدايَنتُ من تُقضَى الديونُ وَلا يَقضِي
وَقَدْ أنْهَرَتْ فيّ اللّيالي جِرَاحَها ، مِرَاراً، وَأنضَاني مِنَ الهَمّ ما يُنضِي[1]

[1] انهرت : وسعت . أنضاني : أهزلني .

طوَى الدّهرُ أسبابَ الهوَى عن جوَانحي ، وَحلّ الصِّبا عقدَ الرّحايلِ عن نقضي[1]
ولَمْ يَبقَ لي في الأعيُنِ النُّجلِ طَرْبةٌ ، ولا أرَبٌ عندَ الشّبابِ الذي يَمضي
أضحَى اليَوْمُ عن ظِلِّ الشّبيبةِ مَفرِقي ، وَأبْدَلَ مُسْوَدّ العِذارِ بِمُبْيَضِّ
تَاني ، ومَمْطُولٌ مِنَ النّأيِ بَينَنا ، قَوَارِصُ تَنبُو بالجُفونِ عن الغُمضِ
وَمولًى وَرَى قَلْبي بِلَذْعَةِ مِيسَمٍ من الكَلِمِ العَوْرَاءِ مَضّاً على مَضّ
فَعُذْراً لأعْدائي ، إذا كَانَ أقْرَبي يُشذّبُ من عُودي ويَعرُقُ من نَحضي
إذا مَا رَمَى عِرْضِي القَرِيبُ بسَهمِهِ عذَرْتُ بَعيدَ القَوْمِ إمّا رَمى عِرْضِي
ألَمْ يَأتِهِ أنّي تَفَرّدْتُ بَعْدَهُ ، رَوَابيَ للعَلْيَاءِ جاشَ لهَا نَهْضِي
وَأنّي جَعَلتُ الأنفَ من كُلِّ حَاسِدٍ قِبالي وَخَدّيْ كلِّ مُضْطغِنٍ أرْضِي[2]
وكَمْ مِنْ مَقَامٍ دونَ مَجدكَ قُمتُهُ عَلى زَلَقٍ بَينَ النّوَائِبِ أوْ دَحْضٍ[3]
وَقارَعْتُ مَنْ أعيَاكَ قَبْلَ قِرَاعِهِ ، فَدَامَجَني بَعدَ التّشاوُرِ وَالبُغضِ[4]
لَقَدْ أمستِ الأرْحامُ مِنّا عَلى شفاً ، فَأخْلِقْ بمُشْفٍ لا يُعلَّلُ أنْ يقضي
رَأيتُ مَخيلاتِ العُقُوقِ مَلِيحَةً ، فلا تجعلَنْ برْقَ الأذى صَادقَ الوَمضِ
وَلا تُشْمِتَنْ مَنْ وَدّ لَوْ أنّنَا مَعاً شَحيحانِ تُلطينا الجَنادلُ بالأرْضِ[5]

[1] النقض : المهزول من السير ناقة كان أم جملا .
[2] القبال : زمام النعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها
[3] الدحض : المكان الزلق .
[4] دامجني : وافقني .
[5] تلطينا : تلزقنا .

إذا كُنْتُ أُغضِي ،وَالقَوَاذِعُ جَمّةٌ ، فمِثلُكَ أوْلى أنْ يرُمّ وَأنْ يُغضِي[1]
عَلى غُصُصٍ لوْ كنّ في البَدرِ لمْ يُنرِ ، وَفي العُودِ لم يُورِقْ وَفي السّهمِ لم يَمضِ
رُزِئْتُكَ حيّاً بالقَطيعَةِ وَالقِلَى ، وَبعضُ الرّزَايا قبلَ يوْمِ الفتى المقضِي
أُناديكَ فَارْجِعْ مِنْ قَرِيبٍ ، فإنّني إذا ضَاقَ بي ذَرْعي مضَيتُ كما تَمضِي
لقَدْ كانَ في حُكمِ الوَشائجِ لوْ رَأى عَنِ المَجدِ بُطئي أن يُبالغَ في حَضّي
فكَيفَ وَلمْ تَخرُجْ مَناديحُ هِمّتي ، وَلا ذَمّتِ العَلْيَاءُ بَسطي وَلا قَبضِي[2]
إذا هُوَ أغضَى ناظِرَيّ عَلى القَذَى ، وَكانَ لمِثْلي مُسخِطاً فلِمَنْ يُرْضِي
خَليليّ مَا عُودِي لأوّلِ غَامِزٍ ، وَلا زُبدُ وَطْبي للمُقيمِ على مَخضِ
فقُلْ للعِدى عَضّوا الأخامصَ إنّكمْ تَعَرّقتُمُ الأيْدِي عَليّ مِنَ العَضّ[3]
هُمُ نَقَضُوا مَا قَدْ بَنَى أوّلُوهُمُ ، وَشِدْنا وَهَيهاتَ البِناءُ من النّقْضِ
وَفي كُلّ يَوْمٍ يَصْبُغُ العَارُ مِنهُمُ رِداءَ امرِىءٍ وَالعارُ باقٍ على الرَّحضِ[4]
يُرِيدُونَ أنْ يُخفُوا النّوَاقِرَ بَينَنا ، وَقَدصَاحتِ الأضْغانُ في الحدَقِ المُرْضِ[5]
ذَكَرْتُ حِفاظي وَالحَفيظَةُ في الحَشا لهَا نَغَضَانُ العِرْقِ يُحفَزُ بالنّبضِ[6]
دَعَوْتُكُمُ قَبْلَ الّتي لا شوًى لهَا ، وَقلتُ لهم: فيئوا إلى الخُلُقِ المُرْضِي[7]

١ القواذع ، من قذعه : رماه بالفحش . يرم : يصلح .
٢ المناديح ، الواحدة مندوحة : السعة .
٣ الأخامص ، الواحد أخمص : باطن القدم .
٤ الرحض : الغسل .
٥ النواقر : الكلام المسيء .
٦ الحفيظة : الغضب . النغضان : التحرك . يحفز : يدفع .
٧ الشوى : الأمر الهين . فيئوا : عودوا .

رِدُوني نَميراً قبلَ أنْ أحمِلَ القَذى، وَلا تَرِدُوا إلاّ عَلى الثَّمَدِ البَرْضِ
وَلُسّوا جَميمي قبلَ أنْ يَمنعَ الحِمى إبَائيَ أوْ يُوبَى على رَعيكُمْ حَمضِي
وَمن قَبلِ أن يَسدي المُعادونَ بَينَنَا بُرُودَ الخَنا ما شئتُ في الطولِ وَالعرْضِ
وَلا تَرْكَبُوا سِيساءَ دامِيَةَ القَرَا، بلا حقبٍ تَطوِي البلادَ وَلا غَرَضِ[1]
تَقُوا عَارَ حَرْبٍ لا يَعُودُ مُشيرُها وَإنْ غَلَبَ الأقرَانَ إلاّ عَلى رَمْضِ
وَلا تُولجُوا زَورَ العُقوقِ بُيُوتَكُمْ، أُناشِدُكُمْ باللهِ في الحَسَبِ المَحضِ
أرَاهَا بِعَينِ الظّنّ حَمْرَاءَ جَهْمَةً، ستَجرِي إلى عارِ العَوَاقِبِ أوْ تُفضِي
تَهَضّمَني مَنْ لا يكُونُ لِغَيْرِهِ مِنَ النّاسِ إطرَاقي على الهُونِ أوْ غَضّي
أُفَوِّقُ نَبلَ القَوْلِ بَيْني وَبَيْنَهُ، فيُؤلِمُني مِنْ قَبلِ نَزْعي بها عِرْضِي
وَأرْجِعُ لمْ أُولِغْ لسَاني في دَمي، وَلَمْ أُدْمِ أعضَائي بنَهشِي وَلا عَضّي
إذا اضْطَرَمَتْ ما بَينَ جَنبيّ غَضْبَةٌ وكادَ فَمي يُمضِي من القوْلِ ما يُمضِي
شفَعتُ على نفسي بنفسي فكَفكَفتْ من الغيظِ وَاستعطفتُ بعضِي على بعضِي

[1] السيساء: منتظم فقار الظهر. الحقب: الحزام الذي يلي حقو البعير. الغرض: التصدير للرحل، وهو كالحزام.

لولا الندى

أرَى مَوْضِعَ المَعرُوفِ لَوْ أستَطيعُهُ ، وَأُغضِي وَلَوْ شاءَ الغنى ليَ لم أُغضِ
أُلاحِظُ خَلاّتِ الكِرَامِ بِغُصّةٍ ، وَيَقصُرُ مالي عن بُلُوغِ الذي يُرْضِي
وَأقبِضُ كَفّي عَن عَطايَ وَقد يُرَى ذَهابي بها عندَ الفُضُولِ عن القَبضِ
تُقَتّلُنَا هَذي اللّيَالي وَلا تَدِي ، وَتَستَقرِضُ الأيّامُ مِنّا وَلا تَقضِي
وَلَوْلا النّدى ما طَأطأ العُدْمُ هامَتي ، وَلا كانَ يُنضِيني من الهَمّ ما يُنضِي
وَكَيفَ وُفُورُ العِرْضِ وَالمَالُ وَافِرٌ ، وَمَن يَخزُنِ الأموَالَ يُنفِقْ منَ العِرْضِ
وَمِنْ عَدَمٍ أقرِي النّوَازِلَ عِذْرَةً ، وَلَوْ حلّ لي لَحمي قرَيتُهُمُ بَعضِي

ما سرني ليسوءني

قالُوا : تَزَاوَرَ عِطْفُهُ ، وَأرَابَنَا إيمَاضُهُ
وَأبَى إبَاءَ الصّعْبِ لا يَسْطِيعُهُ رُوّاضُهُ
غَضْبَانُ سُلّ خِطَامُهُ عَنْهُ وَحُلّ إبَاضُهُ[1]

١ الاباض : الحبل الذي تشد به يد البعير .

عَطَلَتْ رُباهُ مِنَ الصَّفا ءِ ، وَعُرِّيَتْ أنْقَاضُهُ
إنْ يَستَعِضْ منّي ، فلا مَغْبُوطَــةٌ أعْوَاضُهُ
قَدْ عَزّ مَنْ يَعتَاضُ منْـ ـهُ وَذَلّ مَنْ يَعتَاضُهُ
هَيْهَاتَ لا أحْبَابُهُ منّي ، وَلا أبْغَاضُهُ
مَا سَرّني إقْبَالُهُ ، فَيَسُوءني إعْرَاضُهُ

حرف الطاء

أبا علي

قال رحمه الله يرثي أبا علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي وتوفي ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ٣٧٧ ودفن بالشونيزية عند قبر أبي بكر الرازي الفقيه وكان قد تجاوز التسعين سنة :

أبَا عَلِيٍّ لِلألَدِّ إنْ سَطَا ، وَلِلخُصُومِ إنْ أطَالُوا اللَّغَطَا
تُصِيبُ عَمداً إنْ أصَابُوا غَلَطَا ، وَلُمَعٌ تَكْشِفُ عَنهُنَّ الغِطَا
كَشفكَ عَن بِيضِ العذاريَ الغِطا ؛ وَمُصْعَبٍ للقَوْلِ صَعبِ المُمتَطَى
عسفتَ حتّى عادَ مَجزُولَ المَطَا دامي المِلاطِ رحلُهُ قَد أغبَطَا[1]
وَسَائِرَاتٍ بالخُطَى لا بالخِطَا ، شَوَارِدٍ عَنكَ قَطَعنَ الرُّبُطَا
كمَا رَأيتَ الخَيلَ تَعدُو المَرَطَى ، ألبَستَ فيها كلَّ أُذْنٍ قُرُطَا[2]

١ مجزول : مقطوع . المطا : الظهر . الملاط : جانبا السنام . أغبط : لعله أراد أنه صار كالغبيط ، وهو الرحل يشد عليه الهودج .

٢ المرطى : ضرب من العدو .

قَدْ وَرَدَتْ أفهامَنَا وِرْدَ القَطَا؛ وَمُشْكِلاتٍ ما نَشَطَنَ مَنْشَطَا
عِطَالُها بِمِقْوَلٍ ، إذا عَطَا مَيَّزَ مِنْ دَيْجُورِها ما اختَلَطَا[1]
غَلَّلَ مَا بَيْنَ العِقاصِ المُشُطَا ، ضَلَّ المُجَارُونَ وَمَا تَوَرَّطَا
مَلّوا مُجارَاةَ فَنيقٍ قَدْ مَطَا ، قَرْمٌ يَهُدُّ الأرْضَ إنْ تَخَمَّطا[2]
مَلَّ المَطِيُّ القَرَبَ العَنَطْنَطَا ، تَطَرَّفُوا الفَجَّ الذي تَوَسَّطَا[3]
لا جَزِعاً أوْدَى وَلا مُغْتَبِطَا ، كانُوا العَقابِيلَ ، وكنتَ الفَرَطَا[4]
عندَ السِّرَاعِ يَعرِفُ القَوْمُ البِطا، أرْضَى زَمَانٌ بِكَ ثمّ أسْخَطَا
مَا أطْلَبَ الأيّامَ مِنّا شَطَطَا

اين السريع الى المنايا

يرثي صديقاً له من العرب :

كَأنّكَ لَمْ تَقُدْ بِعُوَيرِضَاتٍ، أبَا العَوّامِ ، فِتيَاناً قِطَاطَا[5]
وَلَمْ تَحْمِلْ عَلى الأعداءِ مِنهُمْ قَناً لَدْناً وَأيْمَاناً سِبَاطَا

١ عطالها : لعله من عطلت المرأة : لم يكن عليها حلي ، عطا الشيء : تناوله .
٢ تخمط : هدر .
٣ القرب : سير الليل . العنطنط : الطويل .
٤ العقابيل : بقايا العلة . الفرط : السابق .
٥ عويرضات : موضع . القطاط : القصار الشعر .

إذا المَنْجُودُ نَبّهَهُمْ طُرُوقاً ... رَأى زَعَلَ الشّبيبَةِ وَالنّشَاطَا[1]
قِيَامَ السّمْهَرِيّ تبَادَرُوهَا ، ... وَقَدْ لَبِسُوا المَخيلَةَ وَالشّطاطَا[2]
وَلَمْ تَسُقِ الجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ ، ... تُجَشِّمُهَا المَغَاوِرَ وَالوِرَاطَا
وَتُرْسِلُهَا العَرَضْنَةَ صَادِيَاتٍ ... مُبَادِرَةً إلى المَاءِ الغُطَاطَا[3]
تُصِيبُ بهَا فَوَاغِرَ كُلّ ثَغْرٍ ، ... كأنّكَ تُرْسِلُ النَّبلَ المِرَاطَا
فَلَيْنَ مَفَارِقَ المَعزَاءِ وَخْداً ، ... كَفَلْيِ الأنمُلِ اللِّمَمَ الشِّمَاطَا
وَمَنْ جَعَلَ الدّليلَ لَهُ ابنَ ليلى ، ... فلَنْ يَخشَى الضّلالَ وَلا الغِلاطَا
وَنَاجِيَةٍ تُسَاقِطُهَا حَسِيراً ، ... سِقاطَ حُسامِكَ البُدنَ العِبَاطَا
وَتُطْلِقُ رَحْلَهَا وَالفَجْرُ طِفْلٌ ... وَقَدْ أكَلَ البَوَانيَ وَالمِلاطَا[4]
وَشَاذِبَةٍ طَوَيْتَ بِهَا اعتِسَافاً ، ... بِسَاطَ الدّوّ ، إنّ لَهُ بِسَاطَا[5]
ذَوَارِعَ للبِلادِ بِغَيرِ حَادٍ ، ... تَخَالُ فضُولَ أنسُعِهَا سِيَاطَا
وَعُدْتَ بِهَا تُسَاوِكُ مِنْ وَجَاهَا ... دَبِيبَ النّملِ يَنتَعِلُ البَلاطَا[6]
وَمُنْخَرِقٍ كَأنّ عَلى رُبَاهُ ... مِنَ الظُّلَمِ الأكِنّةَ وَاللِّيَاطَا[7]

١ المنجود : المغموم . زعل الشبيبة : نشاطها .

٢ المخيلة : الكبر . الشطاط : حسن القامة واعتدالها .

٣ العرضنة : الناقة تمشي معارضة . الغطاط بالضم : الصبح ، وبالفتح : القطا .

٤ البواني : أضلاع زور الدابة وقوائمها .

٥ الشاذبة : الضامرة . الدو : الفلاة .

٦ تساوك : تسير سيراً ضعيفاً .

٧ الأكنة ، الواحد كن : الستر ، والبيت . اللياط ، الواحدة ليطة : القوس والقناة .

تَعَلَّقَتِ النّجُومُ بِجانِبَيْهِ ، كَأنّ اللّيْلَ ألْبَسَهَا القِرَاطَا
طَعَنْتَ ظَلامَهُ بالرّكْبِ حتّى رَأيْتَ لَهُ انجِيَاباً وَانعِطَاطَا[1]
وكُلُّ فتًى تَبَطّنَ بَيْتَ نَبْعٍ ، وَصَيّرَ غِمْدَ قَاطِعِهِ إبَاطَا[2]
أغَيْلِمَةٍ زَحَمْتَ بِهَا الأعَادي تَعَاطَى بالذّوَابِلِ مَا تَعَاطَى
تَخَالُ عَلى عَوَامِلِهَا ، إذا مَا وَرَدْنَ الطّعنَ ، ألسُنَها السِّلاطَا
وَيَوْمٍ للوَقِيعَةِ ذي أُوَارٍ ، كَكِيرِ القَينِ أوقِدَ فاستَشَاطَا
فَرَقْتَ جُمُوعَهُ فَرْقَ العَنَاصِي وَقَد مَرَجَ الطّعانُ به اختِلاطَا[3]
تُعاطَى كَأسَهُ فتَعُبّ فِيها ، وَيُحتَقَرُ الجَبَانُ فَلا يُعَاطَى
جَعَلْتَ طُلَى العِدى فيه اقتِرَاحاً عَلى بِيضِ القَوَاضِبِ وَاشتِرَاطَا
تُغَلْغِلُ في جَماجِمِها العَوَالي ، كمَا غَلْغَلْتَ في اللِّمَمِ المِشَاطَا
تَتَرّى بَعدَ يوْمِكَ كُلُّ خَطبٍ، كَأنّكَ كُنتَ للجُلّى رِبَاطَا[4]
ألا أينَ السّرِيعُ إلى المَنَايَا ، إذا المِعزَالُ عَرّدَ ، أوْ تَبَاطَا
إذا وَلَجَ الرِّوَاقَ رَأيْتَ مِنْهُ طَوِيلَ البَاعِ قَد غَمزَ السِّمَاطَا
وكُنتُ إذا أخَذْتُ بِمَنْكِبَيْهِ ، غَداةَ الضّيقِ ، فَرّجَ لي الضِّغَاطَا
وكَمْ بَزْلاءَ صِيحَ بِها إلَيْهِ ، تَطَاطَا لهَا تَجُزْكَ ، فَما تَطاطَا

١ انجياب : انخراق . انعطاط : انشقاق .
٢ الاباط : ما يوضع تحت الإبط .
٣ العناصي : قطعة من إبل أو غنم . مرج : خلط .
٤ تترى : تواتر .

فقُولا للمُنَقَّضِ مِذْرَوَيْهِ : خُضِ الأمْرَ انغِماساً وَانغِطَاطَا
مِراسُ الحَرْبِ أسحبَهُ العَوَالي، وَطُولُ الأمْنِ أسحبَكَ الرِّيَاطَا
هُمُ حَمَلوا لكَ الإحسانَ عَفواً، فَدُونَكَهُنّ وَلْغاً وَاستِراطَا
حَمَوْكُم، وَالأسِنّةُ في الهَوَادي، وُقُوعَ الطّيرِ تَبْتَدِرُ اللِّقَاطَا
غداةَ خَلا بِدارِكُمُ الأعَادي ، فَلَمْ يَدَعُوا لِحَوْضِكُمُ لِيَاطَا
تُشَقِّقُ في جُلُودِكُمُ العَوَالي ، كَأنّ الطّعْنَ يُلْبِسُها الرِّهاطَا
بِكُلّ قَرَارَةٍ مِنكُمْ لَحِيمٍ ، يُقَضّي اللّيلَ زَفْراً وَانتِحَاطَا
أجَمَّكُمُ ، وَلاقَى عَنْ عُلاكُم عِضَاضَ الطّعنِ وَالضرْبَ الخِلاطَا
وَمَدّ بِبُوعِكُمْ حتّى غَدَوْتُم وَعَالي النّجْمِ أقرَبُكُمْ مَنَاطَا
وَحَلّقَ مَضرَحيٌّ كانَ فيكُمْ ، وَإنّ لِكُلّ طَائِرَةٍ سِقَاطَا[1]
فَلا تَبعَدْ رِجَالٌ مِنْ قُرَيشٍ ، وُسِمتُ بِهِمْ فلَمْ أعدُ العِلاطَا
رَعَوْا تَلَعَاتِ هَذا المَجدِ لَسّاً بِأنيابِ العَوَامِلِ ، وَانتِشَاطَا
تَخَيّرَهُمْ حِمَامُ المَوْتِ مِنّا ، خِيارَ الزّائِدِ اعتَرَضَ النِّمَاطَا
تَداعَوْا، كالسُّلُوكِ وَهَتْ قُوَاها، مُرُوقاً بالنّوَائِبِ وَانْخِرَاطَا
مَضَوْا مِنْ كُلّ أغلَبَ مُستَميتٍ إذا مَا العَارُ جَلّلَهُ أمَاطَا
نَأوْا عَنّي، فضَعضَعَني نَوَاهُمْ ، وَمَا كانُوا ، فقَدْ قَطَعوا النِّيَاطَا

[1] المضرحي : الصقر الطويل الجناح .

راض وساخط

قال في النسيب :

سَنَحَتْ لَنَا بِلِوَى العَقِيقِ ، وَرُبَّما عَرَضَ الزُّلالُ وَزِيدَ عنهُ الفارِطُ
قَلْبي وَطَرْفي ، يَوْمَ حُمَّ لِقَاؤُهَا، ضِدّانِ ذا رَاضٍ وَهذا سَاخِطُ
نَظَرَتْ بلا قصْدٍ فأقصَدتِ الحَشَا ، وَيُذِيقُ طَعمَ المَوْتِ سَهْمٌ غَالِطُ
قُلْ للغزَالِ إذا مرَرْتَ بذي النّقَا ، فلَعَلَّ جأشَكَ للبَلابِلِ رَابِطُ
لِمْ أنْتَ في هِبَةِ القَلِيلِ مُنَاقِشٌ أبَداً ، وَفي عِدَةِ الوِصالِ مُغَالِطُ

ظالم متحكم

قال في غرض له :

مَا لِذا الدّاني إلى القَلْبِ شَحَطْ، وَغَرِيمِ الحُبِّ بالدَّيْنِ ألَطّ
ظَالِمٌ قُلِّدَ أحْكَامَ الهوَى ، طَالَمَا جَارَ عَلَيْنَا وَقَسَطْ
نَسْخَطُ الشّيْءَ وَنَرْضَاهُ ، إذا لمْ تَرَ العُتبَى عَلى طُولِ السَّخَطْ
كُلَّ يَوْمٍ لي خَصِيمٌ ضَالِعٌ ، وَالمَقَادِيرُ لهَا حُكْمٌ شَطَطْ
عَجِبَتْ أنْ عَادَ شَغْباً مَنطِقي، كلُّ ذي حِلْمٍ ، إذا ضِيمَ ، لَغَطْ

وَرَأَتْ وَخْطَ بَيَاضٍ طَارِقٍ ، وَخَطَ التَّهْمَامُ قَلْبِي ، فَوُخِطْ[1]
مَا لهَا تُنْكِرُ مَعْ هَذَا الشَّجَى وَقَعَاتِ الشَّيْبِ بالجَعْدِ القَطَطْ
وَأرَى عُودِي ، عَلى صَمّائِهِ ، أنّ مِنْ غَمزِ اللّيَالي وَنَحَطْ
مُوقَراً يَحْبِسُني عَنْ غَايَتي ، لا المَدى يُطوَى وَلا العِبْءُ يُحَطّ
إنّ قَوْمي صَدّعَتهمْ نَوْبَةٌ ، شِقَقَ البُرْدِ اليَمَانيّ يُعَطّ[2]
خِلتُهُمْ ، وَالخَطبُ يَعتامُهُمُ ، شَجَرَ الوَادِي رَمَاهُ المُخْتَبِطْ
وَكَمَا خَايَلَ يَوْماً عَاقِرٌ ، كُلّمَا ثَارَتْ لَهُ البُدْنُ عَبَطْ
تَبِعُوا أمْرَ المَقَادِيرِ فَهُمْ قَاطِنٌ يَظْعَنُ ، أوْ دانٍ يَشُطّ
فُلّ أحداثٍ رَمَى الدّهْرُ بِهِمْ ، فَهُمُ في رُقَعِ الدّهْرِ نُقَطْ
ذاقَهُمْ مُسْتَحْلِياً أرْوَاحَهُمْ ، وَرَأى المَضْغَ طَوِيلاً ، فاستَرَطْ
يَصْطَفي كُلّ كَرِيمٍ مِنْهُمُ ، وَإذا استَكْرِمَ ذو العَقْبِ رَبَطْ
وَبَوَاقٍ غَيرُ بَاقِينَ ، وَكَمْ يَلْبَثُ القارِبُ مِن بَعدِ الفَرَطْ
كَمْ طَوَى المَوْتُ لهمْ مِنْ بَهمَةٍ خائِضِ الغَمرَةِ فَرّاجِ الضَّغَطْ
وَجَوَادٍ مُتْعِبٍ مِضْمَارُهُ ، كُلّمَا لَزّتْ بِهِ الخَيْلُ مَعَطْ
سَلْهُمُ ، أوْ فَسَلِ الرّوْعَ بهِمْ ، يَوْمَ خِدرُ الشّمسِ بالنّقعِ يُلَطّ
يُبْصِرُ النّاسُ عَلى أيْدِيهِمُ قَصَبَ الأعنَاقِ بالبِيضِ يُقَطّ
أقبَلُوا الأعداءَ مُلْتَفَّ القَنَا ، بَينَ مَعرُوضٍ وَمَجرُورٍ يُحَطّ

١ وخط : طعن . التّهمام : لعله مصدر همّ على تفعال بمعنى القلق والحزن .
٢ يعط : يشق .

تُحْسَبُ الأرْمَاحُ مِنْ قَعقَاعِها شَجَراً للطّيرِ ، فيهِنّ لَغَطْ

وَمَواضٍ تُنْشَرُ الهَامُ لَهُمْ ، هَبّةَ العَاصِفِ تَرْمي بالخَبَطْ

فَارَقُونَا ، فَبَقِينَا بَعْدَهُمْ كالرّذايا ، وُضِعَتْ عَنها الغُبُطْ

في ذُنَابَى مَعْشَرٍ جِيرَانُهُمْ مُضَغٌ للخَطْبِ يَغدُو ، أوْ لُقَطْ

لَيْسَ بالرّاضِي ، إذا نَبّهَهُمْ طَارِقُ اللّيلِ ، وَلا بالمُغتَبِطْ

صُوَرٌ رَائِعَــةٌ لا يُرْتَجَى نَفْعُهَا ، مِثْلُ تَهَاوِيلِ النَّمَطْ

شَمَخُوا أنْ حَلّقَ الجَدُّ بِهِمْ ، غَلِطَ الدّهرُ ، وَكَمْ يَبقى الغَلَطْ

كَسَلُ الأيّامِ عَنهُمْ غَرّهُمْ ، رُبّمَا جَاءَ زَمَانٌ قَدْ نَشَطْ

كُلُّ مَخْنُوقٍ عَلى جِرّتِهِ ، خَلَطَ العَجزَ بشَوْكٍ ، فاختَلَطْ

إنْ رَأى المَغْرَمَ طَاطَا ، وَلَهُ حَاجِبٌ مِنْ حَافِرِ اللّوْمِ يُمَطّ

أهمَلَ العِرْضَ عَلى عِلْمٍ بِهِ ، وَرَعَى ، لمّا رَعَى ، المَالَ فَقَطْ

طَمَعٌ وَرّطَنِي في حَبْلِهِمْ ، وَيُصَادُ الطّيرُ مِن حيثُ لُقِطْ

كُنْتُ أرْجُوهُمْ ثِمَاراً تُجتَنَى ، فَهُمُ اليَوْمَ قَتَادٌ يُختَرَطْ

مَنْ عَذيرِي من رَصِيدٍ كَيدُهُ رَاشَ ما رَاشَ طَوِيلاً وَمَرَطْ

جَامِعٌ لي بَينَ فَخْرٍ وَأذًى ، رُبّمَا بَرّحَ بالأُذْنِ القُرُطْ

حَمَلَ الثّقْلَ عَلى ذي غَارِبٍ ، كُلّمَا عَجّ مِنَ الحَملِ ضَغَطْ

أتّقي الرّمْيَ ، وَلَوْ شِئْتُ مضَى كُلُّ مَطْرُورٍ إذا صَمّمَ عَطّ

وَإذا كَشّفْتُ مَا يُرْمِضُني من مَضِيضِ الداء قال الحلم : غَطّ

كُلَّ يَوْمٍ رَحِيمٌ مَنْبُوذَةٌ ، كَرَؤُومِ البَوِّ عَضْبَاءَ تَئِطّ[1]
مَطْرَحَ الشَّنَّةِ قَدْ أَيْبَسَهَا قِدَمُ العَهْدِ بِحَامِيِّ الأَقَطّ[2]
يَسْأَلُ البُقْيَا ، وَقَدْ أَحْمَيْتُهُ مِيسَماً لَوْ مَرَّ بالطَّوْدِ غَلَطْ
صَدَّقَ الوَاشِينَ ، فِيمَا زَعَمُوا ، فَنَأَى بالوُدِّ عَنِّي ، وَشَحَطْ
لا أَرَى الجِنَّ وَآفَاكاً بِهِ ، فِي دُجَى اللَّيلِ ، وَلا الوَحيُ هَبَطْ
نَفْثَةٌ مِنْ وَاغِرٍ جَمْجَمَهَا فِيكَ ، لَوْلا اللهُ وَالحِلْمُ قَسَطْ

١ العضباء : المشقوقة الأذن . تئط : تئن .
٢ الشنة : القربة البالية . الأقط : الغالي السعر .

حرف الظاء

انظر الى هذا الزمان

قال رحمه الله في الزهد :

قُلْ للهَوَامِلِ في الدُّنا: ما بالُكُم كَالنَّائِمِينَ ، وَأنْتُمُ أيقَاظُ
أينَ المَقاوِلُ وَالجَبابِرُ قَبلَكُمْ ، فاضُوا على عِلَلِ الزّمانِ وَفاظُوا
مُتَنَافِسِينَ عَلى المُقَامِ ، وَإنّما خَلْفَ الرّكائِبِ سائِقٌ مِلظَاظُ
اللَّبْثُ لَمْحٌ، وَالمُنَاخُ مُحَفَّزٌ ، وَالرَّعْيُ خَطْفٌ،وَالوُرُودُ لَمَاظُ[1]
انظُرْ إلى هَذا الزّمَانِ بعَيْنِهِ ، تَرْجِعْ إلَيْكَ بِمَقْتِهِ الألحَاظُ

١ اللماظ : الذوق بطرف اللسان .

خلة حر

قال رضي الله عنه

يا عمرو! لا أعرِفُ ثِقْلاً بهَظَلَكْ خُلّةُ حُرٍّ ، فأعِرْها مَلْحَظَكْ
مِنْ قَائِمٍ عَلَى العُلا ما أحفَظَكْ ما نامَ عَنْ حاجَتِهِ مَنْ أيقَظَكْ

عض اليدين

أسِيغُ الغَيْظَ مِنْ نُوَبِ اللّيَالي ، وَمَا يَشعُرْنَ بالحَنَقِ المَغِيظِ
أرَجّي الرّزْقَ مِنْ خُرْتٍ دَقيقٍ ، يُسَدّ بسِلْكِ حِرْمَانٍ غَلِيظِ[1]
وَأرْجِعُ لَيْسَ في كَفّيّ مِنْهُ سِوَى عَضّ اليدينِ على الحُظُوظِ

[1] الخرت : الثقب .

حرف العين

أيامك الغرّ

قال يمدح الملك بهاء الدولة وأنفذها إليه
وهو في البصرة وقد افتتحها في آخر
سنة ٣٩٤ :

أَلْهَاكِ عَنّا ، رَبّةَ البُرْقُعِ ، مَرُّ الثّلاثِينَ إلى الأرْبعِ
أنتِ أعَنْتِ الشّيبَ في مَفرِقي ، مَعَ اللّيَالي، فصِلي، أوْ دَعي
يا حاجَةَ القَلْبِ ألَمْ تَرْحَمي جِنَايَةَ الدّمْعِ على مَدمَعي
لَوْلا ضَلالاتُ الهَوَى لم يكُنْ عِنانُ قَلْبي لكِ بالأطْوَعِ
كيفَ طَوَى دارَكِ ذو صَبوَةٍ ، عَهْدِي بِهِ يَطرَبُ للمَرْبَعِ
كَانَ يَرَى نَاظِرَهُ سُبّةً إنْ مَرّ بالدّارِ وَلَمْ يَدْمَعِ
يا حَبّذا مِنكِ خَيالٌ سَرَى فَدَلّهُ الشّوْقُ على مَضْجَعي
أنّى تَسَرّى من عَقيقِ الحِمَى مَنَازِلَ الحَيّ على لَعْلَعِ
بَاتَ يُعَاطِيني جَنَى ظَلْمِهِ ، وَبِتُّ ظَمْآنَ ، وَلَمْ أُنْقَعِ
مُعَانِقاً كَانَ عِنَاقي لَهُ وَرَاءَ أحْشَائيَ وَالأضْلُعِ
عاقَرَني يَشْرَبُ مِنْ مُهْجَتي رَيّا ، وَيَسقيني مِنْ أدمُعي

هَل تُبلِغَنّي الدّارَ من بَعدِهم ... علَى الطّوَى جائِلَةُ الأنسُعِ
كَأنّ مَجرَى النِّسعِ في ذَفّها ... مُضطَرِبُ الأيمِ على الأجرَعِ[1]
تَحمِلُني وَالشّوْقُ في كُورِها، ... أنّى دَعاني طَرَبٌ أسمَعِ
إنّ بَهَاءَ المُلْكِ إنْ أدْعُهُ ، ... وَالخَطبُ قَدْ نازَلَني ، يَمنَعِ
رُبّ زِمَامٍ ليَ في ضِمنِهِ ، ... لَمْ أتَقَوّلْهُ ، وَلَمْ أدّعِ
مُصْطَنِعي وَالسّنُّ في رَوْقِها ، ... أصَابَ مِنّي غَرَضَ المَصْنَعِ
لمْ أرْضَ إلاّهُ ، وَمِنْ قَبلِهِ ... أقنَعَني الدّهْرُ ، وَلَمْ أقنَعِ
أغَرُّ ، إنْ رُوّعَ جِيرَانُهُ ... لمْ يَذُقِ الغَمْضَ ،وَلم يَهجعِ
كَأنّمَا الضّيمُ إلَيْهِ سَرَى ، ... وَهْوَ عَلى المُطّلَعِ الأمْنَعِ
في حَسَبٍ أصْبَحَ وَضّاحُهُ ... قد غَلَبَ الشّمسَ على المَطلَعِ
لَئِنْ نَأى عَنّا ، فإحسانُهُ ... أدْنَى مِنَ النّاظِرِ وَالمَسْمَعِ
سَوْمُ الحَيَا أقلَعَ عَنْ أرْضِنَا ... وَنَحْنُ في آثارِهِ نَرْتَعِي
كَمْ نَفْحَةٍ مِنْهُ عَلى فَاقَةٍ ... تُنبِتُ عُشْبَ البَلَدِ البَلْقَعِ
وَنَظْرَةٍ تَجْبُرُ وَهْنَ الفَتَى، ... وَعَظمُهُ مُنصَدِعٌ مَا وَعِي[2]
إذا قَضَى مَرّ عَلى نَهْجِهِ ، ... وَاستَوْقَفَ الحَقّ على المَقطَعِ
كَم طارَ في مُلكِكَ ذو نَخوَةٍ ... قَالَتْ لَهُ رِيحُ المَنَايَا : قَعِ

---

١ النسع : سيور تشد بها الرحال . الذف : الإسراع . الأيم : الحية . الأجرع : رملة مستوية لا تنبت شيئاً .

٢ وعي : انجبر .

إنْ شَمَخَ اليَوْمَ بِعِرْنِينِهِ ، فَهوَ غَداً يَعطُسُ عَن أجدَعِ
لمْ يَلقَكَ المَغْرُورُ إلاّ غَدَا يُقَوِّمُ الجَنْبَ عَلى المَصْرَعِ
يَنْتَظِرُ الحَيُّ بهِمْ هَتْفَةً من النّوَاعي وكأنْ قد نُعِي
من جاهِدٍ خابَ، وَمن طالِبٍ أوْفَى عَلى الفَجّ وَلَمْ يَطْلُعِ
وَمُسْرِعٍ أقْلَعَ مِنْ عَثْرَةٍ رَوْعاءَ ، وَالعَثْرَةُ للمُسرِعِ
وَنَادِمٍ أطرَقَ عَنْ حِزْبِهِ ، قَدْ نَادَمَ النّاجِذَ بالإصْبَعِ
مَعَاشِرٌ مَا اختَلَطُوا بالعُلَى ، وَلا رَبَوْا وَالعِزُّ في مَوْضِعِ
شابَهتِ السّوْأةُ ما بَيْنَهُمْ ، مَا أشْبَهَ الحَالِقَ بالأنْزَعِ
ارْتَضَعُوا وَالعَارَ مِنْ فِيقَةٍ ، وَتَرَعُوا وَاللّوْمَ مِنْ مَنْزِعِ
مِنْ عاقدٍ أغدَرَ مِنْ مُومِسٍ ، وَوَاعِدٍ أكذَبَ مِنْ يَلمَعِ [1]
رَامُوكَ بالأيدي وكانَ السُّهَى أعلى مِنَ انْ يُدرِكَ بالأذْرُعِ
قَدْ عَلِمُوا عندَ قِرَاعِ الصّفَا أنّ الصّفَا العاديَ لمْ يُقْرَعِ
قُلْ لِبُهامٍ نُشِرَتْ في الرُّبَى : هذا قِوَامُ الدِّينِ ، فاستَجمعي
قد أصْحَرَ الضّيغَمُ مِنْ غِيلِهِ ، أظفُورُهُ مِنكِ عَلى مَطْمَعِ
غَضْبَانَ قَدْ غَرّكِ هَمْهامُهُ عَلى مَجازِي اللَّقَمِ المَهْيَعِ [2]
كَمْ فيكِ مِن خَرْقٍ لأظفارِهِ ، كَمَلغَمِ الأشدَقِ ، لمْ يُرْقَعِ [3]

١ اليلمع : البرق الخلب ، السراب .
٢ اللقم : معظم الطريق . المهيع : الواضح ، البين .
٣ الملغم : الفم .

لَيسَ كَعَنزٍ وَالذِّئبِ بُهمَ الحمى، ... إنْ مَرّ بالسَّخلَةِ لمْ يَرْجِعِ

إنْ لمْ تُشاوِرْ حِلمَهُ تُصْبحي ... وَلِيمَةَ الذّوْبَانِ وَالأضْبُعِ[1]

يَستَمِعُ الرّأيَ، وَعَنهُ غِنًى، ... قد يُصْقَلُ السّيفُ وَلم يُطبَعِ

لا بُدّ أنْ تُرْمِضَ رَوْعَاتُهُ ، ... وَإنْ عَفَا اليَوْمَ وَلَمْ يُوقِعِ[2]

وَالسّيفُ إنْ مَرّ عَلى هَامَةٍ ... رَوّعَهَا إنْ هُوَ لَمْ يَقْطَعِ

قُلْ لحَسُودِ النّجمِ في فَوْتِهِ: ... عِشتَ بداءِ الكَمَدِ المُوجِعِ

لا بُدّ للبِطْنَةِ مِنْ خَمْصَةٍ ، ... فَتجُعْ على غَيظِكَ أوْ فاشبَعِ

أمَا نَهَى الأعْداءَ مَا جَرّبُوا ... منكَ بزَعزَاعِ القَنَا الشُّرّعِ

مَوَاقِفُ تَفسَخُ فيها الظُّبَى ... عُقْدَةَ رَأيِ البَطَلِ الأرْوَعِ

أيّامُكَ الغُرّ تَسَرْبَلْتَهَا ... مثلَ مُتُونِ القُضُبِ اللُّمّعِ

أفاقَتِ البَصرَةُ مِنْ دائِها ، ... وَقَدْ رَقَى النّاسَ وَلَمْ يَنجَعِ

عاداتُ أسيافِكَ في غَيرِهَا ، ... وَالسّيفُ مَدلولٌ على المَقطَعِ

قُدني إلى ما قُدْتَني قَبلَهَا ، ... أيُّ جَنِيبٍ لكَ لمْ يُوضِعِ

فَلَسْتُ بالحَامِلِ مِنْ غارِبي ... عَلى سَنَامِ النِّقْبِ الأظْلَعِ[3]

قد خابَ مَن أصبحَ من غيرِكمْ ... عَلَيّ، وَالإقبالُ مِنكُمْ مَعي

يا أيّهَا البَحْرُ بِنَا غُلّةٌ ، ... فهَلْ لَنا عندَكَ من مَكرَعِ

١ قوله : إن لم تشاور ، هكذا في الأصل .

٢ ترمض : تشتد .

٣ النقب : البعير الذي رقت أخفافه .

شمس تغيب وأخرى تطلع

قال وكتب بها إلى حضرة الملك الأجل أبي شجاع فناخسرو بن قوام الدين وقد عقد له بأرجان بعد أبيه أمر الملك يهنئه بمتجدد هذه الحال وذلك في جمادى الآخرة سنة ٤٠٣ :

تَمضِي العُلى وَإلى ذَرَاكم تَرْجِعُ؛ شَمسٌ تَغيبُ لكمْ وَأُخرَى تَطلُعُ
إنّ الصّفا العادِيّ يُقرَعُ بالأذَى من غيرِكُم، وَصَفاكُمُ لا يُقرَعُ
مُتَداوِلينَ لِباسَ أثوَابِ العُلَى، هَذا يُجابُ لَهُ، وَهذا يُنزَعُ
في كُلّ يَوْمٍ للنّوَاظِرِ مِنكُمُ أعْلامُ عَلْيَاءٍ تُحَطّ وَتُرْفَعُ
لا مثلَ مَن مَلَكَ العُلى مُستَقبَلٌ فينا، وَمَن طَوَتِ المَنونُ مُوَدَّعُ
عَيْنَانِ، عَيْنٌ للمَزِيدِ قَرِيرَةٌ مِنّا، وَعَيْنٌ للنّقيصَةِ تَدْمَعُ
وَإذا اطْمَأنّ من العَطيّةِ مَضْجعٌ يَوْماً أقَضّ من الرّزِيّةِ مَضْجَعُ
فَلَئِنْ فَرِحْنَا إنّ ذَلِكَ مُفرِحٌ، وَلَئِنْ جَزِعْنا إنّ ذلكَ مُجْزِعُ
للمَجدِ مِنْ عَليَاكُمُ وَمَصَابِكُم أنْفٌ بهِ شَمَمٌ، وَآخَرُ أجْدَعُ
بُؤسَى وَنُعْمَى أعقَبَتْ، فكأنّما رُدّتْ عَلى أعقَابِهِنّ الأدْمُعُ
لَوْلا الأعزّ أبُو شُجاعٍ لم يَكُنْ وَهْيُ النّوَائبِ عَن قَليلٍ يُرْقَعُ
لَوْلاهُ مَا انْجَبَرَ الكَسيرُ وَلا سَمَا طَرْفُ الحَسيرِ، وَلا سَلا المُتَفَجِّعُ
مَا كانَتِ العَلْيَاءُ بَعدَ مصَابِهَا لَوْلاهُ بالبَدَلِ المُجَدَّدِ تَقْنَعُ

نَشَلوا كَنائنَ مَجدهم، فتَخيَّروا ... مِنهُنَّ أقوَمَ نَصلَةٍ لا تُنزَعُ
سَهماً رَمَى غَرَضَ العُلى من بعد ما ... لمْ يَبقَ في قَوسِ المَعالي مَنزَعُ
لا يَطمَعُ الأعداءُ مَطلَعَ نَجدِهِ، ... قَد ضاقَ إلاّ عَنهُ ذاكَ المَطلَعُ
طَلَبتكَ قَد قَلِقَتْ إليك نُصولُها ... حتّى استقَرَّ بهَا النِّصابُ الأمنَعُ
ظَمأى إليكَ وأينَ عنكَ مَحيدُها ... والرِّعيُ عندَكَ والرُّوا والمَرتَعُ
ما كانَ غارِبُها بغيرِك يُمتَطَى ... يَوْماً، وَطينَتُها بغَيرِكَ تُطبَعُ
سَبَقَتْ ببيعَتك القُلُوبُ أكفَّها، ... أيدِ أطَعنكَ، والضّمائرُ أطوَعُ
مِنْ مُضمِرٍ يَخشَى الهوَى لا يَنثَني، ... أوْ صافقٍ بيدِ الرِّضَى لا يَرْجِعُ
أعطَتْ تَخايُلَها الصّدُورُ، ورُبّما ... تُعطي يَدٌ، ولَها ضَميرٌ يَمنَعُ
اللهُ أيّدَ مُلْكَكُمْ وَسَمَا بِهِ ... مَجْدُ القَواعِدِ والبِناءُ الأرْفَعُ
بَيتٌ يُسَقَّفُ بالسّماءِ رِواقُهُ، ... وَتَهابُ ذُرْوَتَهُ الحَمامُ الوُقَّعُ
أطنَابُ قُبّتِهِ أنابيبُ القَنَا، ... وَسُجوفُ ظِلّتِهِ المَواضي اللُّمَّعُ
إن ساخَتِ الأركانُ أشرَفَ رُكنُهُ، ... أوْ ضُعضِعَ البُنيانُ لا يَتَضَعضَعُ
كَمْ مُصعَبٍ مَنَعَ الخِطامَ تركتَه ... تَحتَ الرِّحالَةِ يَستَقيمُ ويَظلَعُ
أوْ خالعٍ قَصُرَتْ يداهُ عَنِ العُلى، ... بُوعٌ لكم تَقِصُ الرِّقابَ وأذرُعُ
فسبَقتمُ وكَبَا بِهِ مِنْ جَدِّهِ ... دُونَ المُنَى قَصفُ الفَقارِ مُوَقَّعُ
تَخفَى مَكائدُهُ ويَظهَرُ سَطوُكم، ... الذَّرُّ يَقرُصُ، والأراقمُ تَلسَعُ
لا تُلّ عَرشُ بَني بُوَيهِ أنَّهمْ ... غُدُرُ المَكارِمِ والجَنابُ الأمرَعُ
فَعَلى رُواقِهِمُ يَحُومُ المُعتَفي، ... وَإلى رُوائِهِمُ تُشيرُ الإصبَعُ

إنْ قارَبُوا فَهُمُ الشِّهادُ المُجتَنى ، وَإذا أَبَوْا فَهُمُ السِّمامُ المُنقَعُ
أيديهِمُ طُرُقُ النّدى ، وَجِباهُهُمْ أَبْهَى مِنَ التّيجانِ لا بَلْ أَلمَعُ
فَهُمُ لِأيّامِ الحَفائِظِ مَفزَعٌ ؛ وَهُمُ لِأيّامِ المَكارِمِ مَطْمَعُ
هتَفَ العَلاءُ بهِمْ إلى غاياتِهِ ، فتَضَرّعَ القَوْمُ اللّئامُ وَأسرَعُوا
أنا غَرْسُكم وَالغُصْنُ لَدنٌ وَالصِّبا غَضٌّ وَللعِيسِ القِيادُ الأطوَعُ
رِشتُم سِهَامي للعِدَى ، وَتَرَكتُمُ قَدَمي إلى أمَدِ المَعالي تَتْبَعُ
وَحَشَتُمُ حَظّي ليَلْحَقَ شأوَكم ، حتّى استَمَرّ وَحَظُّ غَيرِي يُقدَعُ[1]
وَصَنَعتُمُ فَعَرَفتُ قَدرَ صَنيعِكُم ، وَلَرُبّما غَلِطَ الطّرِيقَ المُصْنِعُ[2]
وَحفظتُ ما استُودعتُ من نعمائكم ؛ إنّ الوَفاءَ أمَانَةٌ تُستَوْدَعُ
يا بَانيَ الشّرَفِ المُوَطَّدِ حَيثُ لا تَصِلُ العُيونُ وَلا تَنالُ الأذرُعُ
وَسَليلَ مُحصَنَةِ العُلى في حِجرِها مُستَوْدَعٌ وَبِدَرّها مُستَرْضَعُ
تَحنُو المُلُوكُ عَلَيهِ مِنْ جَنَباته ، كالقَلْبِ حَانيَةٌ عَلَيْهِ الأضلُعُ
أرْتِقْ لهَا فَتْقَ النّوائِبِ بالنّدى أوْ بالقَنَا وَلكُلّ خَرْقٍ مَرْقَعُ
وَاسلُكْ سَبيلَ أبيكَ ، إنّ سَبيلَهُ لَقَمٌ يُجيزُ إلى المَنَاقِبِ مَهْيَعُ
وَاطْلُبْ عَلى أيّامِهِ ، وَجِيادُهُ حسرَى يَرِدنَ على الطّعانِ وَظُلَّعُ
تَدِقُ الغِوَارَ عَلى الغِوَارِ كأنّها وَطفَاءُ تَحفِزُها بَليلٌ زَعزَعُ

[1] يقدع : يكبح ، يكف .
[2] المصنع ، من أصنع : أحكم العمل .

وَالصّبحُ مُنقَدٌّ القَميصِ كما جَلا عَنْ حُرّ مَفرَقِهِ البُجالُ الأنزَعُ[1]
وَاستَقبِلِ الأيّامَ غَيرَ جَوَامِحٍ يَثْني إلَيكَ بهَا عِنَانٌ طَيّعُ
تَعنُو لأخمَصِكَ الخُطوبُ ذَليلَةً بَعدَ العِرَاكِ وَخَدُّهنّ الأضرَعُ
إن سَرّ أمسُكَ كانَ يوْمُكَ فَوْقَه، وَيَقِلُّ عِنْدَ غَدٍ لِمَا يُتَوَقّعُ

نحن احق بالدنيا

قال أقال الله عثراته يمدح أباه ويهنئه برد أملاكه عليه بأسرها سنة ٣٨٦ :

طِلابُ العِزّ مِنْ شِيَمِ الشُّجاعِ، وَسَعيُ المَرْءِ تُحرِزُهُ المَسَاعي
وَدُونَ المَجدِ قَلبٌ مُستَطيلٌ، وَبَاعٌ غَيرُ مَجبُوبِ الذّرَاعِ
أُخَوَّفُ بالزّماعِ، وَلَستُ أدري بأينَ أجُزُّ نَاصِيَةَ الزِّمَاعِ[2]
وَلَستُ أضَلُّ في طُرُقِ المَعَالي، وَنَارُ العِزّ عَالِيَةُ الشّعَاعِ
وَيُعجِبُني البعَادُ كَأنّ قَلبي يُحَدِّثُ عَنْ عَدِيّ بنِ الرِّقَاعِ
لَقيتُ مِنَ المُقامِ على الأمَاني، كمَا لَقيَ الطَّموحُ من الصِّقَاعِ[3]

١ البجال : الشيخ الكبير ، السيد العظيم .
٢ الزماع : المضي في الأمر .
٣ الطموح : الجموح . الصقاع : شيء يشد به أنف الناقة .

وَلَوْ أنّي مَلَكتُ عِنانَ طَرْفي ، أخَذتُ عَلى الوَسيقَةِ بالكُرَاعِ [1]
وكنتُ إذا تَلَوّنَ لي خَليلٌ ، تَلَوّنَ بي لَهُ خِلْوُ النِّزَاعِ [2]
بَخيلٌ بالسّلامِ ، إذا التَقَيْنَا ، وَلَكِنّي جَوَادٌ بالوَداعِ
أيَصْرَعُني الزّمَانُ وَلَستُ آوِي إلى جَنْبٍ ذَليلٍ للصّرَاعِ
وَأرْضَعُ بالخِداعِ عَنِ المَعَالي ، وكَانَ الطّفْلُ أوْلى بالرّضَاعِ
ألا للهِ طِينَتُنَا بأرْضٍ مُشَوَّهَةِ المَعَالِمِ وَالبِقَاعِ
إذا مَرَقَ الدُّجَى مِنّا أخَذْنَا عَلَيْهَا بالمَذانِبِ وَالتّلاعِ
وَأوْلى بالضّيَافَةِ ، لَوْ عَلِمْنَا ، خَصِيبُ الرّحلِ مَطرُوقُ الرِّباعِ
إلى أمَلِ الحُسَينِ بَسَطتُ ظَنّي ، وَرَشّحْتُ المَطَالِبَ لانْتِجاعي
إذا بَخِلَ الغَمَامُ عَلى مَحَلٍّ ، تَدارَكَ غُلّةَ الإبْلِ الزِّمَاعِ [3]
مُجِيرِي إنْ تَنَاكَرَتِ اللّيَالي ، وَعَوْني إنْ تَكَاثَرَتِ الدّوَاعي
وَقَد جَعَلَ الزّمانَ يُضِيءُ وَجهي وَيَرْفَعُ نَاظِرِي وَيَمُدّ بَاعي
رَفَعْتُ إلَيكَ دِعوَةَ مُستَجيرٍ ، وَأنتَ مَدَى عَقِيرَةِ كلّ داعِ
لِيَهْنِكَ مَا تُجَدّدُهُ اللّيَالي ، وَحَسبُكَ مِنْ فِرَاقٍ وَاجتماعِ
وَمَا رَدّ الزّمانُ عَلَيكَ حِفظاً مِنَ الأمْلاكِ وَالمَالِ المُضَاعِ
تمَارَى النّاسُ قبلَكَ وَهيَ غَصْبٌ، أديوَانُ الضِّيَاعِ أمِ الضِّيَاعِ

١ الوسيقة من الإبل كالرفقة من الناس .
٢ النزاع : الخصومة ، وقوله : خلو النزاع : هكذا في الأصل .
٣ الزماع : البطيئة المشي .

وَعادَتْ في يَدَيكَ مُرَوَّضَاتٍ ، وكَانَتْ فَقْعَ قَرْقَرَةٍ بِقَاعِ[1]
ظَفِرْتَ بِما اشتَهَيتَ وَأنتَ وَانٍ ، وَنَالَ البَعضُ غَيرُكَ وَهوَ سَاعِ
يُبَشِّرُ ، وَالقُلُوبُ مُفَجَّعَاتٌ ، كَأنّ بَشِيرَهُ في الخَلْقِ نَاعِ
وَمَا كُلّ المَوَاهِبِ بِالأمَاني ، وَلا كُلّ الأحَاظي بالقِرَاعِ
لِكُلٍّ في بُلُوغِ العِزّ طَبْعٌ ، وَبَعضُ النّاسِ مُختَلِفُ الطّباعِ
بِزَيْنِ المِلّةِ اشتَفَتِ الأمَاني مِنَ المَطْلِ المُمَانِعِ وَالدّفَاعِ
وَأصْبَحَتِ الشّفَاهُ مُقَلقَلاتٍ، تُنَازِعُ نُطْفَةَ الخَبَرِ المُذَاعِ
فَأعلَنَ بِشْرَهُ في كُلّ وَجْهٍ ، وَبَيّنَ طَوْلَهُ في كُلّ بَاعِ
رَآكَ لِكُلّ مَا يَأتِيهِ أهْلاً ، وَأنْتَ أحَقُّ ذَوْداً بالمِرَاعِ
صَنِيعاً لا يَجُرّ عَلَيْكَ مَنّاً ، وَحِمْلُ المَنّ غَيرُ المُسْتَطَاعِ
أجَارَ أبُو الفَوَارِسِ مِنكَ سَيفاً ، تَحَامَتْهُ يَمِينُ أبي شُجَاعِ
فِدًى لكَ مَن يُنازِعُكَ الرّزَايَا ، وَيَقرِضُكَ الأذَى صَاعاً بصَاعِ
يَعَضّ أنَامِلَ الأُسْدِ الضّوَارِي عَلَيكَ بغَيظِ أنْيَابِ الأفَاعي
رَعَاكَ بلَحْظِ طَرْفٍ غَيرِ رَانٍ ، وَعَاجَ عَلَيْكَ سَمعاً غَيرَ وَاعِ
فكُنْتَ السّيفَ أغمَدَهُ جَبَانٌ ، فَسُلّ وَقَد تَصَدّى للمِصَاعِ[2]
ألانَ رِدِ العَلاءَ بلا رَقيبٍ ، وَشَمّرْ في الأمُورِ وَلا تُرَاعِ

---

١ مروضات : أي صائرة كالرياض . الفقع : الكمأة البيضاء الرخوة . القرقرة : الأرض المطمئنة وفي المثل : هو أذل من فقع بقرقرة .

٢ المصاع : المقاتلة .

وَلا يَغْرُرْكَ قَعْقَعَةُ الأعَادي ، فَذاكَ الصّخْرُ خرّ مِنَ اليَفَاعِ
رَجَوْنَا مِنْكَ يَوْماً مُسْتَطِيلاً على الأعداءِ ، وَصَاحَ القِنَاعِ
تَغيظُ الحَاسِدينَ بِهِ وَتُرْضِي قُلُوباً لا تُعَلّلُ بِالخِداعِ
أتَقْنَعُ أنْ تُضَامَ ، وَأنْتَ حامٍ ، وَتُهْمِلُنَا البِقاعُ ، وَأنتَ رَاعِ
وَما في الأرْضِ أحسَنُ مِن يَسارٍ، إذا استَوْلَى على أمْرٍ مُطَاعِ
ألانَ تَرَاجَعَتْ تِلكَ الرّعَايَا ، وَجُهّزَتِ الرّعِيّةُ للمَرَاعي
وَعَادَ السّرْبُ أمنَعَ مِنْ قُلُوبٍ تَقَلّبُ بَينَ أضْلاعِ السّبَاعِ
وَصَارَ الدّهرُ أمرَحَ مِنْ طَرُوبٍ، تُصَافحُ سَمعَهُ نَغَمُ السّمَاعِ
تُسَمّحُ عِطْفَهُ بَعْدَ اجتِنَابٍ، وَتَخْطِمُ أنفَهُ بَعْدَ امتِنَاعِ
تُفَاخِرُنَا رِجَالٌ لَيسَ تَدْرِي بِمَا عَلِمَ الجَبَانُ مِنَ الشّجاعِ
وَلَوْ خَلّيْتَ عَنّا في رِهَانٍ تَبَيّنْتَ البِطَاءُ مِنَ السِّرَاعِ
وَنَحنُ أحَقُّ بالدّنْيَا ، وَلَكِنْ تَخَيّرْتَ القَطُوفَ على الوِسَاعِ
أرُومُ بِحُسْنِ رَأيِكَ كُلّ أمْرٍ يُؤلّفُ فِرْقَةَ الأمَلِ الشَّعَاعِ
وَأطْلُبُ مِنْكَ مَا لا عَيْبَ فيهِ ، وَأينَ المَجْدُ إلاّ في اصْطِنَاعي

أرض يضل الليل فيها

قال أيضاً هذه القصيدة وأعدها لتهنئة أخيه بمولود ذكر فلم يتفق ذلك، وهي من أول قولة قالها سنة ٣٧٤ :

لأغنتكَ عَن وَصْلِي الهُمومُ القَوَاطِعُ، وَعَن مَشرَعِ الذّلّ الرّماحُ الشّوَارِعُ
وَأيٌّ طِلابٍ فَاتَني ، وَطَلائِعي مُنًى قَبلَ أعْنَاقِ المَطِيّ طَوَالِعُ
دَعيني أُقِمْ أرْضاً، وَأطْلُبُ غَيرَها، فبَينَهُما، إنْ وَاصَلَ الهَمُّ، قاطِعُ[1]
فَما كُلّ مَمْنُوحٍ مِنَ العِزّ شَاكِرٌ، وَلا كُلّ مَحظُوظٍ مِنَ المَالِ قانِعُ
وَمَا عاقَني رَبْعٌ، فَبِتُّ وَلَمْ تَبِتْ، يُوَقّعُني مِنْ غَيرِ ذاكَ المَطَامِعُ
قَطُوعٌ لأقْرَانِ الرّجَالِ كَأنّني إلى كُلّ فَجٍّ ثَائِرُ الرّحْلِ نَازِعُ
افي كل يوم يعدم الدهر جانبي ، وتفرعني من ناظريه الصوارع
وَقَدْ قَطَعَ المَعرُوفَ باللّؤمِ قاطِعٌ، وَبَاعَ الثّنَاءَ الحُرَّ بالذّمّ بَائِعُ
فَلَمْ ألْقَ إلاّ مَاذِقَ الودّ كَاذِباً ، يَسُفُّ بِهِ مِنْ طَائِرِ الغَدرِ وَاقِعُ
وَرَايعَةٍ للبَيْنِ مِنْ عَامرِيّةٍ ، تَزَعزَعُ مِنْهَا بِالسّلامِ الأصَابِعُ
فَلَوْ لَمْ تُزَوِّدْنَا السّلامَ عَشِيّةً ، لَسِرْنَا ، وَأعنَاقُ المَطِيّ خَوَاضِعُ
تَصُدّ حداءً حينَ تَبعَثُ وَعدَهَا كَذُوباً ، وَإنّي بِالرّجَاءِ لَقَانِعُ[2]

---

١ قوله : أقم أرضاً ، أراد أقم بأرض ، فنصب بنزع الخافض .
٢ قوله : تصد حداء ، هكذا في الأصل ، ولعلها محرفة .

وتَخدَعُني وُرْقُ الحَمَامِ بِشَدْوِها، / ورَجْعُ زَفيري للحَمائِمِ خادِعُ

حَنينُ المَطايا علّمَ الشّوْقَ مُهجَتي، / فكَيفَ تُسلّيها الحَمامُ السّواجِعُ

بذَلتُكَ قَلباً كنتُ أذخَرُ صَوْنَهُ، / إذا لاحَ لي بَرْقٌ مِنَ العَزْمِ لامِعُ

سَبَقتَ إلى يأسي رَجايَ، فحُزْتَه، / ولَمْ تَنتَظِرْ رَأيي، فَها أنا طامِعُ

وَمَا عِندَ أملاكِ الطّوائِفِ حاجَتي / إذا ما أبَتْ أنْ تَقتَضيها القَواطِعُ

وَمَا ليَ شُغْلٌ في القَريضِ، وإنّما / أُبيّنُ فيه ما تَقُولُ المَطامِعُ

وَلَوْ هزّ أسْماعَ المُلُوكِ نَشيدُهُ، / دَرَوْا أنّ كُلّ المَجْدِ ما أنا صانِعُ

تَقُولُ ليَ الأيّامُ، وَهيَ بَخيلَةٌ: / ألا اسألْ، فإمّا ذو عَطاءٍ وَمانِعُ

رَأيتُ كَريماً ما خَلا قَطُّ مِنْ حِمًى / يُزَارُ، وَلَوْ أنّ الدّيارَ بَلاقِعُ

وَلا مَرِضَتْ نارُ القِرَى في خيامِهِ / بلَيْلٍ، وَلَوْ أنّ الرّياحَ زَعازِعُ

إذا صارَعَتْهُ الرّيحُ خِلْنَا شُعاعَها / يُشيرُ إلى الوُرّادِ والرّكْبُ هاجِعُ

فَضَنّاً، بَني فِهْرٍ، بما في أكفّكم / مِنَ المَجدِ، فالأيّامُ عَوْدٌ وَرَاجِعُ

وَرُدّوا أكفّ الحرْبِ حِلماً عن العدى / إذا أمكَنَتْ حَدَّ السيوفِ المَقاطِعُ

فكَمْ غارَةٍ تَسترْجِفُ اللّيلَ أيقظَتْ / صُدورَ القَنا، وَالغادرُونَ هَوَاجِعُ

عُيُونُ العَوالي وَالنّجومُ رَوامِقٌ، / وَنَقْعُ المَذاكي، بَيْنَهُنّ، بَراقِعُ

وَلا بُدّ مِنْ شَعواءَ تَظمَا نُفُوسُها / وَلَيسَ لهَا إلاّ السّيُوفُ مَشارِعُ

هُوَ اليَوْمُ أخفَتْ خيلُهُ لمعَ آلِهِ، / فأشباحُهُ فَوْقَ العَجاجِ لَوَامِعُ

تَرَى النّقعَ مُسوَدّ الذّيُولِ، وَفَوْقَه / رِداءُ الرّدَى تَحمَرّ مِنهُ الوَشائِعُ[1]

١ الوشائع، الواحدة وشيعة: طريقة الغبار.

وَرَكْبٍ كأنّ التُّرْبَ يَنهَضُ نَحوَهُ ... يُعَانِقُهُ في سَيْرِهِ وَيُصَارِعُ
فَلَوْ أنّ ثَغرَ اللّيلِ لاحَ ابتِسامُهُ ... عَنِ الصّبْحِ مِنهُ لمْ تَسِمْهُ البَلاقعُ
إذا ما سَرَوْا تحتَ الدُّجَى فوُجوهُهم ... لضَوْءِ الضّحَى قبلَ الصّباحِ طَلائِعُ
وَإنْ أدْلجُوا لمْ يَسألِ الليلُ عَنهُمُ ، ... كَأنّهُمُ فيهِ النّجُومُ الطّوَالِعُ
وَيَبْدأُ فيهَا للسّرَابِ زَخَارِفٌ ، ... تُلاعِبُ لَحظَ المُجتَلي وَتُخادِعُ
فَلاتَعجَبُوا مِن سَيرِهم في هَجيرِها ، ... فَجَرٌّ وَغَامُهمْ للهَجيرِ طَبَائِعُ
وَأرْضٍ يَضَلّ اللّيلُ بَينَ فُرُوجِها ، ... وَيُجزِعُهُ أجزَاعُهَا وَالأجَارِعُ[1]
تَخَطّيتُها وَالصّبحُ يَخرُقُ في الدُّجَى ... نَوَافِذَ لا يَلقَى بهَا الجَوَّ رَاقِعُ
تَطَاوَلَ أسْرُ اللّيْلِ فيها ، كَأنّمَا ... دُجَاهُ لأعْنَاقِ النّجُومِ جَوَامِعُ
وَقَدْ مَدّ مِنْ بَاعِ المَجَرّةِ فانثَنى ... كَأنّ الثّرَيّا فيهِ كَفٌّ تُقَارِعُ
وَهَبْتُ لِضَوْءِ الفَرْقَدَينِ نَوَاظِري ... إلى أن بَدا فَتْقٌ مِنَ الفَجرِ ساطِعُ
كَأنّهُمَا إلْفَانِ قَالَ كِلاهُما ... لشَخصِ أخيهِ : قُلْ ، فإنّيَ سَامِعُ
إذا أنَا لمْ أقبِضْ عَنِ الحِلّ هَفوَةً ، ... فَلا بَسَطَتْ كَفّي إليهِ الصّنائِعُ
وَإنْ أنَا لمْ يَستَنْزِلِ المَجدُ حَبوَتي ، ... فَلا أهلَتْ مِنّي الرُّبَى وَالمَرَابِعُ
أبَا قاسِمٍ ! حَلاّكَ بالشِّعْرِ مَاجِدٌ ، ... عَلَيْكَ لَهُ حَتّى المَماتِ رَصَائِعُ
أخٌ لا يرَى الأيّامَ أهْلاً لمَدْحِهِ ، ... وَلَوْ ضَمِنَتْ أنْ لا تَرَاهُ الفَجائِعُ
شُجَاعٌ لأعْنَاقِ النّوَائِبِ رَاكِبٌ ؛ ... هُمَامٌ لأطْوَادِ الحَوَادِثِ فَارِعُ

١ يجزعه : يخيفه . أجزاعها ، الواحد جزع : محلة القوم . وجزع الوادي : حيث تقطعه . الأجارع ، الواحد أجرع : رملة مستوية لا تنبت شيئاً .

سَتَشرَعُ ماءَ الفَخرِ في كأسِ مِدحتي ، وَما أنا في ماءِ النّدى منك شَارِعُ
لِيَهْنِكَ مَوْلُودٌ يُوَلِّدُ فَخرَهُ أبٌ ، بِشْرُهُ للسّائِلِينَ ذَرَائِعُ
وَليدٌ لَوَ انّ اللّيلَ رُدّي بِوَجْهِهِ ، لمَا جاوَرَتْهُ بالجُنُوبِ المَضَاجِعُ
وَمُبْتَسِمٌ ، يَرْتَجّ في ماءِ حُسنِهِ ، لَهُ مِنْ عُيُونِ النّاظِرِينَ فَوَاقِعُ
رَمَى الدّهرُ منهُ كلّ قلبٍ من العِدى بسَهمٍ نَضَا أحقادَهم وَهوَ وَادِعُ
يُرَامُونَهُ باللّحْظِ كَيْ يَعصِفُوا بِهِ وَأبصَارُهُمْ صُورٌ لَدَيْهِ خَوَاشِعُ
وَمَا صَرَعُوهُ باللّحَاظِ ، وَإنّمَا لأرْوَاحِهِمْ في مُقلَتَيْهِ مَصَارِعُ
يَوَدّونَ أنْ لَوْ كانَ بَينَ قُلُوبِهِمْ معَ الحِقْدِ ، حتّى لا تَرَاهُ المَجامعُ
متى ابتَسَمُوا ، فاعلَمْ بأنّ ثُغُورَهم دُمُوعٌ ، لهَا تِلكَ الشّفَاهُ مَدامِعُ

اطول القوم باعاً

يمدح أبا الخطاب حمزة بن
إبراهيم ويهنئه بنيروز سنة ٣٩٨ :

تَخَيّرْتُهُ أطْوَلَ القَوْمِ بَاعَا ، وَأرْحَبَهُمْ في المَعالي ذِرَاعَا
وَآخَذَهُمْ بعِنَانِ الخُطُوبِ ، يُجِيرُ عَلى الدّهْرِ أمراً مُطَاعَا
بِعَزْمٍ كَبَارِقَةِ المَشْرَفيّ ؛ يَأبَى عَلى الهَزّ إلاّ قِرَاعَا
يُهَابُ وَيُرْجَى لِرَيْبِ الزّمَانِ ، كَالنّصْلِ رَاقَ عُيوناً وَرَاعَا

وَصَدْرٍ وَسيعٍ عَلى النّائِبَاتِ ، يُجيلُ ، إذا غَبّ ، رَأياً وُسَاعَا
تَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَعَ الحَادِثاتِ عِرَاكاً لَهُ دُونَنَا ، أوْ قِرَاعَا
لَهُ قَلَمٌ إنْ جرَى غَرْبُهُ ، أمِنّا القَنَا ، وَخَشِينَا اليَرَاعَا
وَمِدْرَهُ قَوْلٍ يَبُذّ الخُصُومَ ، إذا بَلَغُوا بالخِصَامِ القِذاعَا[1]
كَعَالِيَةِ الرّمْحِ إنْ طَاوَلُوهُ طَالَ إلى المَجْدِ نَفساً وَبَاعَا
إذا نَزَعُوا عَنْ هَوَى المَكْرُماتِ مِنَ اللّوْمِ زَادَ إلَيْهَا نِزَاعَا
بِحَمْزَةَ أمسَيتُ ألقَى الخُطوبَ وَأرْمي العَدُوّ وَأرْقَى اليَفَاعَا
يُدافِعُ رُكْنِيَ حتّى أنَالَ ، وَيَدْفَعُ عَنّي الأعَادي دِفَاعَا
أطالَ يَدي فَقَرَعتُ الهِضَابَ ، وَأطلَعَني بالنّدَى ما استَطَاعَا
حُقُوقٌ عَليّ رَأى أنّهَا حُقُوقٌ عَلَيه ، فَوَالَى وَرَاعَى
فَلا الوَعْدُ كَانَ مِطالاً ضِماراً يَغُرّ وَلا القَوْلُ زُوراً خِداعَا[2]
صَنَعتَ فَتَمّمتَ حُسنَ الصّنيعِ ، وَكَمْ صَانعٍ لا يَرُبّ اصْطِناعَا[3]
تَعاطَوْا صَنيعَكَ ، فاستَثْقَلُوهُ ؛ إنّ التّطَبّعَ يُعيي الطّبَاعَا
وَغَيرُكَ يَمطُلُ فِعلَ الجَميلِ ، فإنْ فَعَلَ الفِعلَ يَوْماً أضَاعَا
تَلَقّاكَ نَيرُوزُكَ المُستَجِدّ يَسُرّ عِيَاناً وَيُرْضِي سَمَاعَا
وَلا زَالَ دَهرُكَ طَوْعَ الجَنيبِ إذا مَا أمَرْتَ بِأمْرٍ أطَاعَا

١ مدره القوم : رأسهم . القذاع : المشاتمة .
٢ الضمار : الوعد المسوف .
٣ يرب : يزيد .

تُلاقي الخُطُوبَ ثِقَالاً بِطَاءً ، وَغُرُّ الأمَاني عِجَالاً سِرَاعَا
هُمَامٌ رَمَيْتُ قِيَادي إلَيْهِ ، مَآلاً إلى شِعْبِهِ وَانْقِطَاعَا
مَدَدْتُ يَمِيني ، فَأعْلَقْتُهَا يداً باصْطِنَاعِ الأيَادي صَنَاعَا
إذا قَرِحَتْ عِنْدَنَا نِعْمَةٌ أعَادَ أيَادِيهِ فِينَا جِذَاعَا
فَلَوْ رَامَ قِسْمَةَ عُمْرِي لَهُ لَمَ ارْضَ لَهُ العُمرَ إلاّ مَشاعا
وَإنْ هُوَ سَاوَمَنِي مُهْجَتِي ، صَفَقْتُ عَلى رَاحَتَيهِ بِيَاعَا

هم الملاجي والمناجي

وقال يذكر غرضاً في نفسه ويفتخر
وذلك في ذي القعدة سنة ٣٩١ :

غَالَى بِهَا الرَّائِدُ حَتّى ابتَاعَهَا بَادِنَةً قَدْ مَلأتْ أنْسَاعَهَا
سَوّغَهَا الرّاعي رَبِيعَ ضَارِجٍ ، وَالأرْضُ قَدْ عَمّ النّدى بِقاعَهَا
يُورِدُهَا بَيْنَ نِطَاعٍ ، فَالنّقَا ، زُرْقَ جِمَامٍ لَبِسَتْ يَرَاعَهَا
طَاعَ لهَا حمضُ اللّوَى وَنَشّرَتْ لهَا رُبَى قَبَاقِبٍ أقْطَاعَهَا
رَعَتْ حُلِيَّ رَامَةٍ وَشَاطَرَتْ جَوَازِيَ الرّمْلِ بِها لَعَاعَهَا[1]

[1] الجوازي : بقر الوحش . اللعاع : نبت ناعم .

تَلُسّ آثَارَ دَرُورٍ جَوْنَةٍ ، ألقَتْ عَلَى ذي بَقَرٍ بَعَاعَهَا[1]
مُسيلَةً بَيْنَ العَقِيقِ وَالحِمَى أضْوَاجَ بطنِ الأرْضِ أوْ أجزَاعَهَا[2]
تُطلِقُ عقلَ النّبتِ إمّا رَجّعَتْ جلجَالَهَا بالرّعْدِ ، أوْ قَعقاعَهَا
يَستَنفِضُ العُشبُ لهَا رُؤوسَهُ ، إذا البُرُوقُ اعتَصرَتْ دُفّاعَهَا
حتّى بَنَى النّيُّ عَلى سَنَامِهَا مَبَانِياً مَا بَطَنَتْ سِيَاعَهَا[3]
شَاغَبَهُ الهَمُّ ، فَأرْضَاهُ بِهَا ، تَشرَعُ عَنْ دارِ الأذى نِزَاعَهَا
إنْ قَطَعَ الرّاعي عليْهَا لمْ تُبَلْ أشبَعَهَا الخِذرَافُ أمْ أجَاعَهَا[4]
مَخِيلَةٌ مَبرَكُهَا مِنْ شَخصِهَا، إذا المَطَايَا عَمَرَتْ رِبَاعَهَا
تَضْبَعُ عَنْ غِبِّ الوَنَى ، كأنّها عائِمَةٌ قَدْ رَفَعَتْ شِرَاعَهَا
تَحسَبُهَا الوَرْهَاءَ رِيعَتْ فنَجَتْ مِنَ الأذَى طارِحَةً قِنَاعَهَا[5]
وَقَرّهَا السّيرُ ، وَكَانَتْ حِقبَةً ، لَوْ سَمِعَتْ حسّ القُرَادِ رَاعَهَا[6]
كَأنّهَا طَاوِي المَصِيرِ هَاجَهُ عَضٌّ ضِرَاعٍ قَد بَلا مِصَاعَهَا[7]
إذا رَأى افتِرَاقَهَا زَاوَلَهَا ، ثمّ يَني ، إذا رَأى اجتِمَاعَهَا

١ الدرور : الناقة الكثيرة الدر . البعاع : ثقل السحاب من المطر .
٢ الأضواج ، الواحد ضوج : منعطف الوادي .
٣ السياع : الشحم .
٤ الخذراف : نبت .
٥ الورهاء : الحمقاء .
٦ القراد : دويبة تتعلق بالبعير ونحوه كالقمل للإنسان .
٧ الطاوي المصير : الثور الوحشي . الضراع : الشياه . المصاع : المجالدة ، المضاربة .

أوْ أحقَبٌ أعجلَهُ قِناصُهَا ، مُشاوراتِ النّفسِ ، أوْ ازْماعَها[1]
في هَانَةٍ تُطيعُهُ مُحامياً ، فإنْ رَآها شُرَّداً أطاعَها
تَنْتَصِبُ انتِصابَهُ لِنبأةٍ ، ذُعْراً ، ويَنصاعُ لها انصياعَها
يَحفَظُهَا مشايحاً عَنْ سِرْبِها ، فإنْ رأى جِدَّ الرّدَى أضاعَها
أقضي عليْها أرَباً مِنْ هِمّةٍ ، لَوْ عَدَلَ الدّهْرُ ثَنى زِماعَها
مَطْبُوعَةٌ على العُلى لَوْ رَضِيتْ بالذّلّ يَوْماً أنكرَتْ طِباعَها
يا حفظَها إنْ بلَغتْ مَرامَها ، وَإنْ أبَى الدّهْرُ فيَا ضَياعَها
أستَعجِلُ الأمرَ وَحظّي رَايثٌ ، نَفْسٌ أرَجّي أبَداً خِداعَها
وَلَوْ قَنِعتْ بالحُظُوظِ لمْ أبَلْ إبْطَاءَها بالرّزْقِ أمْ إسرَاعَها
أصارِعُ الأقدارَ عَنْ وُقُوعِها ، بِمَنْكِبٍ مُعَوَّدٍ صِراعَها
تُصَادِفُ الخرْقَاءُ مِنْ زَمانِها سِجَالَ رِزْقٍ أخطأتْ صَناعَها
قَوْمي الأولى إمّا جرَوْا لِغايَةٍ بَذّوا بِطاءَ الغاي أوْ سِراعَها
هم المَلاجي وَالمَناجي وَالحِمَى ، إذا المَنايا وَقَعتْ وِقاعَها
هُمُ المَعاذُ وَالمَلاذُ وَالذُّرَى ، إذا السّيُولُ رَكِبَتْ تِلاعَها
هُمُ المُقيلُونَ المُنيلُونَ ، إذا ما اللّزْبَةُ اللّزْباءُ ألقتْ باعَها
أزْوَالُ أيّامِ الطّعانِ إنْ طَغَتْ يَدُ الزّمانِ أحسَنُوا دِفاعَها
في حَيثُ لا تَنظُرُ تحتَ نَقعِها إلاّ عَصِيّ المَوْتِ أوْ قِراعَها

---

١ الأحقب : الحمار الوحشي .

لَمْ يَغْنَمُوا الأمْوَالَ إلاّ أخَذُوا صَفيَّهَا ، وَقَبَضُوا مِرْبَاعَهَا
تَلقَى بهِمْ مَرْسَى الوَقَارِ وَالحِجى ، وَضِئْضِيءَ العَلياءِ أوْ جُمّاعَهَا[1]
إنْ نَزَلُوا الجَوّ أمَاتُوا شَمْسَهُ ، وَالأرْضُ كانُوا أبَداً طِلاعَهَا
بُيُوتُهُمْ مَرْهُوبَةٌ تَخَالُهَا أوْلاجَ غِيلٍ رَشّحَتْ سِبَاعَهَا
المَانِعُونَ الضّيْمَ بِاللُّدْنِ تَرَى هِبَابَهَا للطّعْنِ أوْ زَعْزَاعَهَا
كَأنّ في الأيْمَانِ حَيّاتِ النّقَا أرْقَمَهَا النّضْنَاضَ، أوْ شُجَاعَهَا
مِنْ كُلّ سَوّارٍ ، إذا رَامَ العُلى حَازَ عُقَابَ الجَوّ أوْ مَلاعَهَا[2]
مُحَلّقاً يَبْلُغُ مِنهَا غَايَةً ، لَوْ رَامَهَا العَيّوقُ ما استَطاعَهَا
حاصُوا خَصَاصَاتِ قُرَيشٍ بالقَنَا شَوَارِعاً ، وَجَمّعُوا شَعَاعَهَا[3]
رَدّوا على سَادَاتِهَا إحْضَارَهَا ، وَضَمّنُوا بيضَ الطُّلَى ارْتجاعَهَا
وَتَوّجُوا بِمَجْدِهِمْ مَفْرَقَهَا عَنْ عَطَلٍ وَسَوّرُوا ذِرَاعَهَا
كَانُوا صَيَاصِيهَا ، وكَانُوا دونَهَا فُرّاطَهَا في المَجدِ أوْ نُزّاعَهَا
وَالزّاحِمِينَ بالقَنَا أعْدَاءَهَا ، على الثّنَايَا ، مَنَعُوا طِلاّعَهَا
أيّامَ حَطّوا بالظُّبَى أغْمَادَهَا عَنِ العُلى ، وَغَمَزُوا نِبَاعَهَا
بالخَيْلِ لا تُعْلَفُ إلاّ شَدّهَا ، أوْ مَلْقَهَا بالبِيدِ ، وَاندِرَاعَهَا[4]

١ الضئضيء : الأصل . الجماع : من كل شيء مجتمع أصله .
٢ الملاع : العقاب السريعة .
٣ حاصوا : خاطوا . الخصاصة : كل خلل أو خرق .
٤ الملق : السير الشديد . الاندراع : الاندفاع .

مثلِ الرّماحِ هزْهزَتْ كُعُوبُها ، أوْ كالذّبَابِ اتبَعَتْ أطْمَاعَهَا
كَأنَّ عِقبَانَ الشُّرَيفِ فَوْقَهَا تَعلُو قِنانَ الأرْضِ أوْ جِزَاعَهَا[1]
تَلمَحُ مَا عَارَضَهَا بِأعيُنٍ ، مثلِ الجُذَى طارِحَةً شُعَاعَهَا[2]
هُمْ رَفَعُوا بِمَجدِهِمْ قِبَابَهَا ، وَضَوّأوا مِنْ نَارِهِمْ يَفَاعَهَا
حَمَوا بِأطرَافِ القَنَا سَوَامَهَا مِنَ العِدَى وَآمَنُوا رِتَاعَهَا
وَألصَقُوا بالرّغْمِ دُونَ نَيْلِها ، مَوَارِناً قَدْ أوْعَبُوا اجتِداعَهَا
إنْ كانَ رَوْعٌ عاقَدُوا شُجاعَهَا عَلى الرّدَى ، وَأمّنُوا مِجزَاعَهَا
كَبّوا على أذْقَانِهَا أصْنَامَهَا ، لا وَدَّهَا أبْقَوْا ، وَلا سُوَاعَهَا[3]
تَدارَكَ اللهُ بِجَدّي عِزَّهَا ، وَقَدْ شَرَاهَا ذُلُّهَا وَبَاعَهَا
جازَتْ بِهِ حَدّ العُلى، وَقَدْ رَأتْ تَقَارُعَ الجُدُودِ وَاصْطِرَاعَهَا
بِمَجْدِهِ ، وَالعِزُّ مِنْ أيّامِهِ ، مَدّتْ إلى نَيلِ العُلَى أضْبَاعَهَا
وَا عَجَبا لِعُصْبَةٍ مَغْرُورَةٍ تُرِيدُ أنْ تُلْصِقَ بي قِذاعَهَا
أذْهَلَني استِوَاؤهَا في غَيّهَا ، مُطيعَهَا أعْذُلُ ، أوْ مُطَاعَهَا
تَقُودُني إلى الهَوَانِ ضِلّةً ، وَقَدْ أبَى العِزُّ ليَ اتّبَاعَهَا
تَسُومُني وِرْدَ القَذَى وَقد رَأتْ عِزّةَ هَذي النّفسِ وَامتِنَاعَهَا
تُرِيدُ أنْ ألقَى الخَنَا لِقَاءَهَا ، وَأنْ أُنيخَ للأذَى جَعجَاعَهَا

[1] الشريف : أعلى جبل ببلاد العرب .
[2] الجذى ، الواحدة جذوة : الجمرة الملتهبة .
[3] ود وسواع : من الأصنام التي عبدها العرب في الجاهلية .

وَأَلبسَ العَارَ الطّويلَ لِبْسَهَا ، وَأَرْضَعَ الذّلَّ لهَا رَضَاعَهَا
قَبيلَةٌ أَغْلَطَهَا نَهْجَ العُلَى لُؤْمُ عُرُوقٍ جَرّتِ اتّضَاعَهَا
قَوْمٌ هَوَتْ أَنفُسُهُمْ مِنْ ذِلّةٍ ، وَأَشرَفَتْ حُظُوظُهُمْ أَيفَاعَهَا
يا لَيتَهُمْ حَطّوا انحطاطَ قَدرِهِمْ ، أَوْ رَفَعَتْني هِمّتي ارْتِفَاعَهَا
أمَا المَعَالي ، فَأَخَذْنَا أَوّلاً طُولَ سِنيهَا ، وَأَخَذْتُم ساعَهَا
أسمَحَتِ الدّنيا لَكُمْ وَأَعرَضَتْ صَنَائِعٌ لمْ تُحسِنُوا اصْطِنَاعَهَا
رُدّتْ عَلَيْكُمْ نِعَمٌ مَظلُومَةٌ لَمْ تَشكُرُوها فانظُرُوا انقِطاعَهَا
يا بِئْسَ مَا جَرّتْ عَلَيْكَ عامداً مِنْ رَائِعاتٍ تُكْثِرُ ارْتِيَاعَهَا
نَفْحَةُ عَارٍ لَذَعَتْ أَعْرَاضَهَا لَذْعَ اللّظَى ، وَوَقَرَتْ أَسماعَهَا
وَغادَرَتْ صِفَاحَهَا دامِيَةً ، عَقْرَ المَطَايَا أَلّمَتْ إِيضَاعَهَا
وَأَمِنَتْ مِنْهَا نِزَارٌ أَنّهَا سَوْءَةُ قَوْلٍ كُفِيَتْ سَمَاعَهَا

المال عفة وقنوع

قال أقال الله عثراته :

خَصِيمٌ مِنَ الأيّامِ لي وَشَفيعُ ، كَذا الدّهرُ يَعصِي مَرّةً ، وَيُطيعُ
وَبي ظَمَأٌ لَوْلا العُلَى مَا بَلَلْتُهُ ، وَفي كُلّ قَلْبٍ غُلّةٌ وَنُزُوعُ
وَمَا أنَا مِمّنْ يَطلُبُ المَاءَ للصّدَى ، وَيَجمَعُني وَالوَارِدِينَ شُرُوعُ

رَضَاعي مِنَ الدّنْيَا المَمَاتُ فِطَامُهُ ،   وَمَا نَزَحَ الثّدْيَ الغَزِيرَ رَضِيعُ
أبَيْنَا ، وَلا ضَيْمٌ أصَابَ أُنُوفَنَا ،   وَفي الأرْضِ مُصْطافٌ لَنَا وَرَبِيعُ
إذا غَدَرَتْ نَفسُ الجَبَانِ بِصَبرِهِ   حَمَتْنَا ذُرُوعٌ طَلْقَةٌ وَدُرُوعُ
وَأقنَعَنَا بالبِيدِ أنْ لَيْسَ مَنزِلٌ ،   وَمَا بَينَ أيْدي اليَعمَلاتِ وَسِيعُ
أبُثُّكَ أنّ المَالَ عَارٌ عَلى الفَتَى ،   وَمَا المَالُ إلاّ عِفّةٌ وَقُنُوعُ
أيَطلُعُ لي عَزْمٌ إلى مَا أُرِيدُهُ ،   وَصَاحِبُ سِرّي في الرّجالِ مُذيعُ
وَتَشْتَاقُ نَفسِي حالَةً بَعْدَ حالَةٍ ،   وَأزْجُرُهَا ؟ إنّي إذاً لَقَنُوعُ
وَإنّي لأغرَى بِالنّسيمِ إذا سَرَى ،   وَيُعْجِبُني بالأبْرَقَينِ رُبُوعُ
وَيَحني عَليّ الشّوْقَ نَجديٌّ مُزْنَةٍ ،   وَبَرْقٌ بِأطْرَافِ الحِجَازِ لَمُوعُ
وَلا أعْرِفُ الأشجَانَ حتّى يَشوقَني   حَمَامٌ بِبَطْنِ الوَادِيَيْنِ سَجُوعُ
وَلَوْلا الهَوَى مَا كُنْتُ إلاّ مُشَمِّراً   أُطَاعُ عَلى رُغْمِ الهَوَى وَأُطِيعُ
إذا رَاقَ صُبْحٌ فالحِصَانُ مُصَاحِبٌ،   وَإنْ عَاقَ لَيْلٌ فالحُسَامُ ضَجيعُ
تَرَكْتُ اللّيالي خَلفَ ظَهرِي رَذِيّةً   وَصَاحِبَني طاغي الذّبَابِ قَطُوعُ
وَخاطَرْتُ مَشغُوفاً بِما أنَا طالِبٌ ،   أجُوبُ الدُّجَى وَالطّالِبُونَ هُجوعُ
ألا إنّ رُمْحاً لا يَصُولُ لَنبعَةٌ ،   وَإنّ حُسَاماً لا يَقُدّ قَطيعُ[1]
وَفَارَقْتُ مِنْ أبْنَاءِ قَيسٍ وَخِندفٍ   رِجَالاً ، وَلَمْ تَنْفُرْ عَليّ ضُلُوعُ
تَرَكتُهُمُ يَدْعُونَ ، وَالدّمعُ ناشزٌ،   وَمَا مَلَكَتْ طَرْفي عَليّ دُمُوعُ
وَحَذّرَهُمْ مِنّي فُؤادٌ مُشَيَّعٌ ،   وَعَزْمٌ لأقْرَانِ الرّجَالِ قَطُوعُ

١ النبعة : شجرة للقسي والسهام . القطيع : السوط .

وَنَفْسٌ عَلى كَرّ النّوَائِبِ حُرّةٌ ، وَقَلْبٌ عَلى حَرْبِ الزّمَانِ مُطيعُ
وَقُلْتُ: قَبُولُ الضّيمِ أعظَمُ خطّةٍ، وَمَا الحُرّ في رَحبِ البِلادِ مَضيعُ
فَلَمّا رَأيْتُ الذّلّ في القَوْمِ سُبّةً ، ذَهَبْتُ ، فَلَمْ يُقْدَرْ عَليّ رُجوعُ
ألا إنّ لَيْلي بالعِرَاقِ كَأنّهُ طَليحٌ تَجافاهُ الرّجَالُ ظَليعُ
مُقيمٌ يُعاطيني الهُمُومَ ، وَنَاظِرِي مُعَنًّى بِأعْجَازِ النّجُومِ وَلُوعُ
وَخَيلٍ أبَحْنَاهَا السّمَاوَةَ وَالوَجَى تُنَفِّرُ أيْدِيهَا الحَصَى ، وَتَرُوعُ[1]
إلى أنْ تَسَامَى الصّبحُ ، وَاللّيلُ لافظٌ حُشَاشَتَهُ ، وَالطّالِعَاتُ تَرِيعُ
وَلله يَوْمٌ بالعِرَاقِ نَجَوْتُهُ ، وَأيْدِي المَنَايَا بِالنّجَاءِ وُقُوعُ
تَمَلّسْتُ مِنْهُ أمْلَسَ الجَيبِ وَانثَنى لَهُ في جُيُوبِ النّاكِثِينَ رُدُوعُ
تَنازَعُهُ الأفْوَاهُ في كلّ مَشْهَدٍ ، وَكُلُّ حَدِيثٍ كُنْتُ فيهِ بَديعُ
طَعِمْنَا وَأطعَمنَا القَنا مِنْ دِمائِهِ ، وَسَارَتْ بِآمَالِ الرّجَالِ صُدُوعُ
وَتَحْفَظُ أيْدِينَا كُعُوبَ رِمَاحِنَا ، وَأطْرَافُهَا بَينَ القُلُوبِ تَضيعُ
طَمَاعِيَتي أنْ أمْلِكَ المَجدَ كلّه ، وَكُلُّ غُلامٍ في العَلاءِ طَمُوعُ
وَمَوْلًى يُعاطِيني الكُؤوسَ تجَمُّلاً ، وَقَدْ وَدّ لَوْ أنّ العُقَارَ نَجيعُ
خبَأتُ لَهُ مَا بَينَ جَنبَيّ فَتْكَةً ، دَهَتْهُ ، وَيَوْمُ الغَادِرِينَ شَنيعُ
فَلا كَانَ يَوْمٌ لا يَدُومُ وَفَاؤهُ ، فَإنّ وَفَاءً في الزّمَانِ بَديعُ
وَبَعضُ مَقالِ القَائِلِينَ مُكَذَّبٌ ، وَبَعضُ وِدادِ الأقرَبِينَ خَدُوعُ
أرَى رَاشِداً يُصْغي ،وَلَيس مُكَلَّمٌ ، وَمُسْتَرْشِدٌ يَدعُو ، وَلَيسَ سَميعُ

١ السماوة : ظهر الفرس . الوجى : الحفا .

وَمَا النّاسُ إلاّ مَاجِدٌ مُتَلَثِّمٌ ، وَآخَرُ مَجْرُورُ العِطَافِ خَلِيعُ
وَمَا الدّهْرُ إلاّ نِعْمَةٌ وَمُصِيبَةٌ ، وَمَا الخَلْقُ إلاّ آمِنٌ وَجَزُوعُ
وَيَوْمُ رَقِيقِ الطُّرّتَيْنِ مُصَفَّقٌ ، وَخَطْبُ جُرَازِ المَضْرِبَيْنِ قَطِيعُ
عَجِبْتُ لَهُ يَسْرِي بِنا وَهوَ وَاقِفٌ، وَيَأْكُلُ مِنْ أعْمَارِنَا وَيَجُوعُ
وَأيُّ فَتًى مِنْ فَرْعِ سَعْدٍ صَحِبتُهُ وَمَا هَجّنَتْ تلكَ الأُصُولَ فُرُوعُ
خَفِيفٌ عَلى ظَهْرِ النّجيبِ تَهُزّهُ عُرُوضٌ عَلى أعْطَافِهِ وَقُطُوعُ
إذا غَابَ يَوْمٌ أطْلَعَ العِزُّ وَجْهَهُ ، وَللبَدْرِ فِينَا مَغْرِبٌ وَطُلُوعُ
سَأنقُضُ مِنْ لَيلِ الثّوِيّةِ وَفرَتي ، إلى مَنْزِلٍ للدّهْرِ فِيهِ خُضُوعُ
أرَى العيسَ قَدْ خاطَ اللُّغامُ شِفاهَهَا، وَمِنْ دُونِها صَعبُ الضّرَابِ مَنِيعُ
إذا أخَذَتْ مِنهَا الأزِمّةُ حَثّهَا نَجاءٌ ، وَأعضَادُ المَطيّ تَبُوعُ[1]
وَنَحنُ ، إذا طَارَ السّيَاطُ بِشأوِهَا، سُجُودٌ عَلى أكْوَارِها وَرُكُوعُ
وَإنّيَ لا أرْضَى مِنَ الدّهْرِ بالرّضَا ، وَعَزْمي أخُوذٌ ، وَالزّمَانُ مَنُوعُ
وَفي العَيشِ مَشمولُ النّطافِ مُرَقرَقٌ ، وَفي الأرْضِ مُخضَرُّ الجَنابِ مَرِيعُ

١ تبوع : تبعد خطاها .

ابن قوام الدين

قال يرثي الملك قوام الدين وقد تذكر شدة
ميله إليه واشتماله عند خطوب مرت به وهموم
اعتلجت بقلبه وذلك في ذي القعدة سنة ٤٠٤ :

أظُنُّ اللّيَالي، بَعدَكُمْ، ستَرِيعُ، فَمَنْ يُبقي لي مِنْ رَائعٍ فتَرُوعُ
خُذي عُدّةَ الصّبرِ الجَميلِ ، فإنّهُ لِكُلّ نِزَاعٍ ، يا أُمَيْمَ ، نُزُوعُ
وَقَدْ كُنتُ أبْكي للأحبّةِ قَدْ أنَى لقَلْبي سُلُوٌّ ، وَاطْمَأنّ وُلُوعُ
وَلَكِنّمَا أبْكي المَكَارِمَ أُخْلِيَتْ مَنَازِلُ مِنْهَا للنّدَى وَرُبُوعُ
وَهَلْ أنَا جازٍ ذلكَ العَهْدَ بالبُكَا، وَلَوْ أنّ كُحْلَ المَاقِيَينِ نَجيعُ
أبيتُ وَطُرّاقُ الهُمُومِ كَأنّهَا مَحَافِلُ حَيٍّ تَنتَجي وَجُمُوعُ
أُقَارِعُ أُولى اللّيْلِ عَنْ أُخرَيَاتِهِ ، كَأنّي أقُودُ النّجْمَ ، وَهْوَ ظَليعُ
وَعَيْني لِرَقْرَاقِ الدّمُوعِ وَقيعَةٌ ، لَهَا اليَوْمَ مِنْ عَاصِي الشّؤونِ مُطيعُ
بمَن تُدفَعُ الجُلّى، بمَن تُرْفَعُ العُلى؛ بمَنْ تُحفَظُ الآمَالُ ، وَهْيَ تَضيعُ
بمَنْ يُنْقَعُ الظّمآنُ ، وَهوَ مُحَلَّأٌ ؛ بمَنْ يُؤمَنُ المَطرُودُ ، وَهوَ مَرُوعُ
هُوَ الرُّزْءُ لا يَعدُو المَكَارِمَ وَالعُلى، صَلُومٌ لأشْرَافِ العَلاءِ جَدُوعُ[1]
فَأينَ قِوَامُ الدّينِ للخَطْبِ يَعتَري، وَللدّهْرِ يَغْدُو بالأذَى وَيَرُوعُ

---

١ المصلوم ، من صلمه : قطعه .

وَأينَ قِوَامُ الدّينِ للبيضِ وَالقَنَا ، إذا لمْ يَكُنْ إلاّ اليَقِينَ دُرُوعُ
وَأينَ قِوَامُ الدّينِ للنّيْلِ وَالقِرَى ، إذِ الجَدْبُ مُعطٍ وَالسّحابُ مَنُوعُ
ألا مَنْ لأضْيَافِ الشّتَاءِ يَلُفُّهُمْ سَقِيطُ ظَلَامٍ قِطْقِطٍ وَصَقِيعُ[1]
تجاذَبُهُمْ أيْدِي الشّمَالِ رِياطَهمْ فيَسقُطُ سِبٌّ أوْ يَضِلّ قَطيعُ[2]
إذا كانَ بَينَ البَيتِ وَالزّفْزَفِ الصَّبَا أحَاديثُ تَخفَى مَرّةً ، وَتَذِيعُ
وَمَنْ للعُفَاةِ المُرْمِلِينَ يَشُلّهُمْ مِنَ الدّهْرِ قِرْنٌ لا يُرَامُ مَنِيعُ
فيَا رَاعيَ الذّوْدِ الظِّمَاءَ تَرَكْتَها ، وَأحْفَظُ رَاعٍ مُذْ نَأيتَ مُضِيعُ
وَلَيْسَ لَهَا في الدّارِ دِينُ شَرِيعَةٍ ، وَلا في ثَنَايَا الطّالِعِينَ طُلُوعُ
وَلا للغَوَادي مُذْ فُقِدْتَ مَزَايِدٌ ؛ وَلا للمَعَالي مُذْ عُدِمْتَ قَرِيعُ
أقُولُ لِنَاعِيهِ عُقِرْتَ ، وَجَرّبَتْ بِشِلْوِكَ فَدْعَاءُ اليَدَينِ خَمُوعُ[3]
وَغَلْغَلَ مَا بَينَ الحِجابَينِ وَالحَشَا سِنَانٌ كَمِصْبَاحِ السّلِيطِ وَقِيعُ
نَعَيْتُ النّدَى غَضّاً يَرِفّ نَبَاتُهُ ، وَشَملَ العُلى، وَالمَجدَ، وَهوَ جَمِيعُ
بِبَدْرٍ مُعَمٍّ في الكَوَاكِبِ مُخوِلٍ نَمَتْهُ عُرُوقٌ للعُلَى وَفُرُوعُ
مِنَ القَوْمِ طالُوا كلّ طَوْلٍ إلى العلى إذا أذْرُعٌ يَوْماً قَصَرْنَ وَبُوعُ
بَنَوْا في يَفاعِ المَجدِ، وَهوَ مُمَنَّعٌ بُنًى طَيرُهَا بَينَ النّجُومِ وُقُوعُ

١ القطقط : البرد .

٢ الرياط ، الواحدة ريطة : الملاءة . السب : الخمار .

٣ قوله : جربت ، هكذا في الأصل ولعلها محرفة عن جررت ، أي جرته جراً شديداً . فدعاء اليدين : أراد الضبع . خموع : تعرج .

فَلا حَمَلَتْ أُمٌّ المَكَارِمِ بَعْدَهُ ، وَلا شَبَّ للمَجْدِ التَّلِيدِ رَضِيعُ
وَلا أدّتِ الرَّكبَ الخِماصَ على الوَجى ، سَفَائِنُ بَرٍّ ، وَالسِّيَاطُ قُلُوعُ
إلى أنْ يُزَادَ المُستَنيلِينَ بَعْدَهُ مِنَ الحَيِّ قَرٌّ في الظّلامِ وَجُوعُ
أضُمّ عَلَيْهِ الرّاحتَينِ تَعَلّقاً ، وَقَدْ نَزَعَتْهُ مِنْ يَدَيّ نَزُوعُ
غُصِبتُكَ عِلْقاً لم أبِعهُ ، وَلَمْ أكُنْ كَبَاغي رِبَاحٍ يَشْتَرِي وَيَبِيعُ
طَوَيْتُكَ طَيَّ البُرْدِ لم يُنض مَن بِلًى ، وَقَدْ يُغْمَدُ المَطْرُورُ ، وَهوَ صَنِيعُ
أُناديكَ من تحتِ الخُطوبِ غَدَا لها بِظَهرِيَ رَحلٌ ضاغِطٌ وَقُطُوعُ
وَمَا كانَتِ الأيّامُ يَقرَعنَ هَضْبَتي لَوَ انّكَ وَاعٍ للدّعاءِ سَمِيعُ
رَمَتْنِي سِهَامُ البأسِ بَعدكَ جَهرَةً ، وَأنْبَضَ نَحوِي عَاجِزٌ وَجَزُوعُ[1]
وَزَالَ مِجَنٌّ مَانِعٌ كُنْتُ أتّقي بهِ الخَطْبَ، وَالخَطبُ الجليلُ قَطُوعُ
وَمَا كُنتُ أدرِي أنّ فَوْقَكَ آمِراً مِنَ الدّهرِ يَدْعُو بَغْتَةً فتُطيعُ
فَغالَبَ أطْمَاعِي عَلَيْكَ مُغَالِبٌ ، وَقَارَعَ آمَالي عَلَيْكَ قَرُوعُ
عُصِبْتُ ، فَلَمْ أسمَحْ لغَيرِ أكفّكم بدَرّي ، وَبَعْضُ الحالِبِينَ طَمُوعُ
إبَاءً ، وَلَوْ طَارَتْ بكَفّي مُلِيحَةٌ إلى النّيقِ رَبْداءُ الجَنَاحِ لَمُوعُ
لَقَدْ لَسَبَتْني مِنْ عَقارِبِ كَيدِهم دَبُوبٌ ، إذا جَنّ الظّلامُ لَسُوعُ
يُسَوِّمُني حُسنَ الثّناءِ ، وَضَامِنٌ لسُوءِ مَقَالٍ أنْ يَسُوءَ صَنِيعُ
وَحَسبُكَ مِنْ ذَمّ الفَتى تَرْكُ مدحهِ لأمرٍ يَضِيقُ القَوْلُ وَهوَ وَسِيعُ

[1] انبض : جذب وتر القوس ليرن .

سَقَاكَ عَلى نَـأْيِ الدّيَارِ وَشَحْطِها رَبيعٌ ، وَهَلْ يَسقي الرّبيعَ رَبيعُ
وَحَيّاكَ عَنّا كُلُّ نَجْمٍ وَشَارِقٍ ، إذا جَنّ لَيْلٌ أوْ أضَاءَ صَدِيعُ[1]
ذكَرْتُكَ ذِكْرَ العاطِشَاتِ وُرُودَها تُحَرِّقُ أكْبَادٌ لهَا وَضُلُوعُ
تَقَاذَفْنَ يَطْلُبْنَ الرّوَاءَ عَشِيّةً ، نَزَائِعَ أدْنَى وِرْدِهِنّ نَزِيعُ[2]
ضَرَبْنَ طَرِيقاً بالمَنَاسِمِ أرْبَعاً إلى المَاءِ لا تُدْنَى إلَيْهِ شَرُوعُ
فَهَجْراً لِدارِ الحَيّ بَعْدَ رَحيلِكُمْ ، وَمَا كُلّ أظْعَانٍ لَهُنّ رُجُوعُ
وَلا مَرْحَباً بالأرْضِ لَسْتُمْ حُلُولَها ، وَإنْ كَانَ مَرْعًى للقَطِينِ مَرِيعُ
لَقَدْ جَلّ قَدْرُ الرُّزْءِ أنْ يَبلُغَ البكا مَداهُ ، وَلَوْ أنّ القُلُوبَ دُمُوعُ
وَلَوْ أنّ قَلْبي بَعدَ يَوْمِكَ صَخرَةٌ لَبَانَ بهَا وَجْداً عَلَيْكَ صُدُوعُ

استودع الأرض خلاني

يرثي بعض أصدقائه من أمراء بني عقيل
ثم من ولد نصر بن شبث العقيلي وقد
ورد نعيه في شهر جمادى الأولى سنة ٣٨٥ :

مَتَابِتُ العُشْبِ لا حَامٍ وَلا رَاعِ ، مَضَى الرّدَى بطَوِيلِ الرّمْحِ وَالبَاعِ
القَائِدِ الخَيْلِ يُرْعِيهَا شَكَائِمَهَا ، وَالمُطْعِمِ البُزْلِ للدّيمُومةِ القَاعِ[3]

١ الصديع : الفجر .
٢ النزائع : النجائب التي تجلب إلى غير بلادها . النزيع : البئر القريبة القعر .
٣ الديمومة : الأرض التي يدوم بعدها . القاع : أرض سهلة انفرجت عنها الجبال .

مَنْ يَستَفزَّ سُيُوفاً مِنْ مَغامِدِها،   وَمَنْ يُجَلّلُ نُوقاً بَينَ أنسَاعِ
يَسْقي أسِنّتَهُ حتّى تَقيءَ دَماً ،   وَيَهدِمُ العيسَ مِنْ شَدٍّ وَإيضَاعِ
مَا باتَ إلاّ علَى هَمٍّ وَلا اغتَمَضَتْ   عَيْناهُ إلاّ على عَزْمٍ وَإزْمَاعِ
خَطيبُ مَجمعَةٍ تَغلي شَقاشِقُهُ ،   إذا رَمَوْهُ بِأبْصارٍ وَأسْماعِ
لَمّا أتاني نَعِيٌّ مِنْ بِلادِكُمُ ،   عَضَضْتُ كَفّيَ من غَيظٍ على النّاعي
أُبْدي التّصامُمَ عَنْهُ حينَ أسمَعُهُ   عَمْداً وَقَدْ أبْلَغَ النّاعُونَ أسماعي
عَمّتْ عُقَيلاً وَإنْ خصّتْ بني شبَثٍ   بزْلاءُ تَملأُ أذْنَ السّامعِ الوَاعي
لَيسَ الشّجاعُ الذي من دونِ رُؤيتِهِ   بَابٌ يُلاحِكُ مِصْراعاً بمِصْرَاعِ [1]
وَلا الذي إنْ مَضَى أبقَى لوَارِثِهِ   سَوَائِماً بَينَ أضْوَاجٍ وَأجْزَاعِ [2]
لَكِنّهُ مَنْ إذا أوْدَى فلَيسَ لَهُ   إلاّ عَقائِلُ أرْماحٍ وَأدْرَاعِ
يَعتَسّهُ الذّئبُ في الظّلْماءِ مُرْتَفقاً   علَى رَحايِلَ مُلْقاةٍ وَأقْطَاعِ
يُذَوِّقُ العَينَ طَعْمَ النّوْمِ مَضْمَضَةً   إذا الجَبَانُ مَلا عَيْناً بتَهْجاعِ
أشَيعِثُ الرّأسِ لا يَجرِي الدّهان بهِ ،   وَإنْ فُلي فبِماضِي الغَرْبِ قَطّاعِ
لا يُخْلِفُ المَالَ إلاّ رَيْثَ يُتْلِفُهُ ،   وَلا يُذَمّ عَلى مَا رَوّحَ الرّاعي
كَمْ فَجّعَتْني اللّيَالي قَبلَهُ بِفَتًى   مُشَمِّرٍ بِغُرُوبِ المَجْدِ نَزّاعِ
يَمُرّ صَوتي ، فَلا يُلوِي بِجَانِبِهِ ،   وَكَانَ يَكْفيهِ إيمائي وَإلمَاعي
مَن كانَ أُنسِيَ أضْحى وَحشَتي وَغَدا   مَنْ كَانَ بُرْئِيَ أسْبَاباً لأوْجَاعِ

١ يلاحك: يلائم .
٢ الأضواج ، الواحد ضوج : منعطف الوادي .

أنْزَلْتُهُ حَيْثُ لا يَظْمَا إلى نَهَلٍ ، وَلا يُبَالي بإخْصَابٍ وَإمْرَاعِ
وَأرْتَعْتُ حتّى إذا لم يَبْقَ لي طَمَعٌ أمَلْتُ نَهْجَ دُمُوعي غَيرَ مُرْتَاعِ
في كلّ يَوْمٍ أكُرّ الطّرْفَ مُلْتَفِتاً، وَرَاءَ نَجْمٍ مِنَ الأقْرَانِ مُنْصَاعِ
أمَانِعُ الدّمْعَ عَيْناً جِدّ دامِعَةٍ ، وَألْزِمُ اليَدَ قَلْباً جِدّ مُلْتَاعِ
هَلْ دَمْعَةٌ حَذَفَتها العَينُ شَافِيَةٌ داءً حَنَوْتُ عَلَيْهِ بَينَ أضْلاعي
أمْ هَلْ يرُدّ زَمَانٌ في ثَنِيّتِهِ لَنَا أوَائِلَ سُلاّفٍ وَطُلاّعِ
يَحْدُو عَلى العُنْفِ أخرَانَا ليَلحَقَنا عَجْلانَ أبْرَكَ أولانَا بِجَعْجَاعِ
جرّ الزّمَانُ عَلى قَوْمي سَنَابِكَهُ ، وَأوْقَعَ المَوْتُ فِيهِمْ أيّ إيقَاعِ
وَاستَطعَمَتْني المَنَايا مَنْ أضَنّ بهِ ، فَكَانَ بالرّغْمِ إطْعَامي وَإشْبَاعي
قَلّدْ جَنَاجِنَهَا الأنْسَاعَ وَارْمِ بِهَا مَنَاكِبَ اللّيلِ نَدْباً غَيرَ مِجزَاعِ
فَلا نَجَاءٌ مِنَ الأقْدارِ طَالِبَةً ، فاطْلُبْ عُلالَةَ آمَالٍ وَأطْمَاعِ
بَيْنَا يَسيرُ الفَتَى حَتّى دَعَوْنَ بهِ ، فَرَدّ عَارِضَهُ لَبّاً إلى الدّاعي
يَسْعَى مُجِدّاً فإنْ ألوَى بهِ قَدَرٌ ضَلّ الدّليلُ وَزَلّتْ أخمَصُ السّاعي
يا مُصْعَباً بَخَسَتْ أيْدي المَنُونِ بهِ فَقِيدَ قَوْدَ ذَلُولِ الظّهْرِ مِطوَاعِ
كَمْ فُرْجَةٍ للأعادي بتّ تَكْلَوْها ، لَوْلاكَ فاهَتْ بذي وَدقَينِ مِنبَاعِ [1]
ألحَمْتَهَا بصُدُورِ الخَيْلِ مُعلِمَةً إلى الوَغَى وَطوَالٍ ذاتِ زَعزَاعِ
أرَشّ فَوْقَكَ نَجدِيٌّ يَمُدّ لَهُ نَيلُ السّمَاءِ بِآذِيٍّ وَدُفّاعِ [2]

١ ذات الودقين : الداهية .
٢ النيل : السحاب . الآذي : الموج . الدفاع : قوة الموج أو السيل

يَبْدُو مَعَ اللّيْلِ رَجّافاً تُكَرْكِرُهُ ... رِيحُ النُّعَامَى بِوَانِي الخَطْوِ مِظلاعِ
وكُلُّ هَافِتَةِ الأعْنَاقِ يَنْحَرُها ... لَمْعُ البُرُوقِ عَلى مِيثٍ وَأجْرَاعِ
بَرْقٌ كَخَفْقِ جَنَاحِ المَضْرَحيّ إذا ... جَلّى الطَّرَائِدَ مِنْ وَمضٍ وَتِلْماعِ
تَجتَرّ وَدْقاً وَتَرْغُو مِنْ جَوَانِبِها ... رَعداً إذا قِيلَ قَدْ هَمّتْ بإقْلاعِ
أستَوْدعُ الأرْضَ خِلاّني لتَحفَظَهم، ... لَقَدْ وَثِقْتُ إلى هَوْجَاءَ مِضْيَاعِ

نفس العميد وأنة المتوجع

قال يرثي الأستاذ أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكار وقد ورد الخبر إلى مدينة السلام بوفاته بواسط وذلك في يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من شهر شوال سنة ٣٨٨ وكانت بينهما صداقة وكيدة ومودة وأنس واختلاط ومفاوضات ومكاتبات :

لَوْ كانَ يرْتَدعُ القَضَاءُ بمَرْدَعِ ... أوْ يَنْثَني بِمُدَجَّجٍ وَمُقَنَّعِ
لَغدَتْ مُشَمَّرَةً تَقيكَ مِنَ الرّدى ... عُصَبٌ تَجُرّ قَنَا الطِّعانِ وَتَدّعي
وَمُسَدَّدُونَ أسِنّةً يزَنيّةً، ... فتَلَوْا بأكعُبِها حِبالَ الأذْرُعِ
قَوْمٌ ذُيُولُهُمُ الرِّمَاحُ، إذا خَطَوا ... رَفَعُوا بمَسحَبِها غُبَارَ الأجرَعِ
خَيلٌ تَوَقّحُ بالنّجيعِ مِنَ الوَجَى، ... وَقَناً تَشَقّفُ بالطُّلى وَالأضْلُعِ[1]

١ توقح : تصلب حوافرها .

مُتَعَلِّقِينَ عِنانَ كُلِّ مُسَوَّمٍ ، يَشْأى عُجَاجَتَهُ بِوَقْعِ الأرْبَعِ [1]
ذي غُرَّةٍ سُبِغَتْ عَلَيْهِ كأنّهُ فِيها يَمُدُّ لحَاظَهُ مِنْ بُرْقُعِ
قَعِدٌ عَنِ الغُنْمِ القَرِيبِ المُجتَبَى ، سَرِعٌ إلى الطّلَبِ البَعيدِ المَنْزَعِ
يا نَاشِداً هَمَلَ المَساعي نافِضاً في إثْرِهَا لَقَمَ الطّرِيقِ المَهْيَعِ
هَيهاتَ لا مَسعاةَ تَنشُدُ بَعدَها بظُبَى القَوَاضِبِ والقَنا المُتزَعزِعِ
إنّ ابنَ يُوسُفَ عُرّيَتْ أنْقاضُهُ وَثَوَى بمَنْزِلَةِ المُكَلِّ المُظْلِعِ
مُتَطامناً مِنْ بَعْدِ مَا وَضَعَتْ لَهُ أيّامُهُ خَدَّ الذّليلِ الأضرَعِ
ألقَى بِطَاعَتِهِ ،ولَمّا يَمتَنِعِ ، وَمَضَى لطِيّتِهِ ، ولَمّا يَرْجِعِ
قَدْ يَتّلُه مُقَلُ السّماحِ وَقد شَكا ، وَهَوَتْ له قُلُلُ العَلاءِ وَقد نُعي
أبَنَتْهُ تَحتَ الصّفائحِ لَوْ يَرَى ، وَدَعَوْتُه خَلفَ الجَنادِلِ لوْ يَعي
ما لُبثُ مَن يُمسي مَجازاً للرّدَى وَمُعَرَّجَ القَدَرِ المُغَذّ المُسْرِعِ
يَغدُو لأقْدامِ الخُطُوبِ بِمَعْثَرٍ ، وَيُرَى بمَرْآى للمَنونِ وَمَسْمَعِ
ما للزّمَانِ يَلَذُّ طَعمَ مَصَائِبِي ، فكَأنّهُ يَظمَا لِيَشرَبَ أدْمُعي
مُغرًى بنَزْعِ قَوَادمي مُستَعذِباً لِتَألّمي مِنْ صَرْفِهِ وَتَوَجّعي
أرْعَى الذينَ جَنَوْا لَهُ وَرَقَ الغِنى دوني وَأعلَكَني شَكيمَةَ مَطمَعي
وَمضَى بإخوَانِ الصّفاءِ فلم يدَعْ منهُم أخا ثِقَةٍ ، وَلا عَضُداً مَعي
أبكيكَ ، يا عَبدَ العزِيزِ ، بخِطّةٍ تُعمي مَطالِعُها وَخَطبٍ مُضْلِعِ

[1] يشأاها : يسابقها .

وَمَقَاوِمٍ ما زِلتَ تُعجِزُ لَيْلَهَا بِلِسَانٍ قَوّالٍ وَقَلْبٍ سَمَيْذَعِ[1]
إنّي أرَى في المَجدِ بَعدَكَ ثُلْمَةً تَبقَى وَخرْقاً مَا لَهُ مِنْ مَرْقَعِ
مَنْ يُشرِقُ الخَصْمَ الألَدّ بريقِهِ عيّاً وَيَقدَعُ منهُ ما لمْ يُقدَعِ[2]
أمْ مَنْ يُبلِّغُ بالبَلاغَةِ غَايَةً ، تَلوِي بحَسرَى طالبِينَ وَظُلّعِ
أمْ مَنْ يَرُدّ مِنَ المُغيرَةِ غَرْبَها ، وَالخَيلُ تَنهَضُ كالقَطا بالدُّرّعِ
بِنَوَافِذٍ للقَوْلِ يَبْلُغُ وَقعُها مَا لَيسَ يُبلَغُ بالرّماحِ الشُّرّعِ
شُهُبٌ تَشعشعَ في النّوَائبِ ضَوءُها ، كالشّمسِ تُنغِضُ رَأسَها للمطلَعِ
حتّى يَقولَ الغابطونَ ، وَقد رَأوْا فَعَلاتِهِ : زَاحِم بجِدٍّ أوْ دَعِ
وَيَوَدّ مَن حمَلَ الثّنا لوْ أصْبحتْ تلكَ الأداةُ على الكَميّ الأرْوَعِ
إن لا تكُنْ في الجمعِ أمضَى طعنةٍ ، فَلأنتَ أمضَى خُطبَةٍ في المَجمَعِ
إنّ الفَصَاحةَ ذَلّلَتْ لكَ عُنقَها ، فأخَذتَ مِنها بالعِنَانِ الأطْوَعِ
أمسَتْ ظُهورُ المَجدِ عندكَ ترْتقي منها إلى قَمَعِ السَّنامِ الأمْنَعِ[3]
كَيْدٌ كمارِقَةِ النّصَالِ وَدُونَهُ بِشرٌ كَبارِقَةِ النُّصُولِ اللُّمّعِ
نَهّازُ أذْنِبَةِ الكَلامِ ، إذا هَفَا قَلبُ الجَرِيّ وَعَيَّ قَوْلُ المِصْقَعِ
قَدْ قُلْتُ للمُتَعَرّضِينَ لسَطوِهِ : خَلّوا وِجَارَ الأرْقَمِ المُتَطَلّعِ
إيّاكُمُ أنْ يَستَضيفَكُمُ الدُّجَى وَمَقيلُهُ وَمَقيلُكُمْ في مَوْضِعِ

١ المقاوم : لعلها جمع مقامة : الجماعة من الناس
٢ يقدع : يكف .
٣ القمع ، الواحدة قمعة : رأس السنام .

لا تَتْبَعُوا شُبَهَ الأمُورِ ، فإنّهُ شُبَهٌ يُتيحُ الحَقّ عندَ المَقطَعِ[1]
مَن كانَ ماءَ العَينِ أصْبَحَ رُزْؤهُ مِثْلَ القَذاةِ مُلِظّةً بِالمَدْمَعِ
وَإذا تَغَيطَلَتِ المَطالِعُ حَيرَةً ، صَدَعَ العَمايَةَ بالقَضاءِ المُقنِعِ[2]
بأبي مَنِ استَوْدَعتُهُ بَطنَ الثّرَى ، وَعَلِمتُ كيفَ خيانَةُ المُستَوْدَعِ
يا لَيتَ شِعرِي مَنْ أعَدّ لِدَهْرِهِ ماذا أعَدّ لضِيقِ هذا المَضْجَعِ
لم يَخلُ مَن تَرْمي الخطوبُ سوادَهُ مِنْ وَاقِعٍ أبداً وَمِنْ مُتَوَقَّعِ
نَجِدُ الضّراعَةَ وَالنّقيصَةَ نَزْرَةً ؛ إنّ القُلامَةَ شِكّةٌ للإصْبَعِ
إن أقضِ مَفرُوضَ البُكاءِ عليكمُ مُتَحَرّجاً يُجرِي الدّموعَ تَبَرّعي
فَلِامَ تَتْبَعُكُمْ لَوَاعِجُ زَفرَتي وَنَوَازِعٌ مِنْ دَمعيَ المُتَسَرّعِ
هَلْ تَعلَمُونَ على بعادِ دِيارِكم أنّ الغَليلَ عَلَيكُمُ لمْ يُنْقَعِ
لا تَعدَمُوا منّي وَإنْ بَعُدَ المَدى نَفَسَ العَميدِ وَأنّةَ المُتَفَجِّعِ
مَا شِئتُ مِنْ دَمعٍ لكُمْ متحدّرٍ وَزَفيرِ وَجْدٍ بَعدَكُمْ مُتَرَفّعِ
أمسَى أخٌ لك لم يُجارِكَ في الصِّبَا طَلَقاً وَلا سَاقَاكَ دَرَّ المُرْضِعِ
في صَدرِهِ أرَةٌ عَلَيكَ من الجَوَى تُذكَى بأنفاسِ المُعنّى المُوجَعِ[3]
رُزْءٌ تخضْخضَ سَهمُهُ في مَقتَلي ، يَمضِي الزّمانُ وَنَصْلُهُ لم يُنزَعِ
نضحَ الثّرَى ذو أنتَ فيه مُجلجِلٌ ، يَستَخلِفُ الأكلاءَ بَعدَ المَقْلَعِ[4]

١ مقطع الحق : ما يقطع به الباطل .
٢ تغيطلت : أظلمت . العماية : الغواية .
٣ الأرة : النار .
٤ ذو أنت : الذي أنت. المجلجل: السحاب الرعاد . الأكلاء: الأعشاب . بعد المقلع: بعد إقلاعه .

هَزِجُ الرّعُودِ لَهُ بكُلِّ ثَنِيّةٍ ، زَجَلٌ كشَقشَقَةِ الفَنيقِ المُوضِعِ
لَثِقُ المُناخِ ثَقيلَةٌ أوْرَاكُهُ ، حَضِرُ المَجَرّ مُرَوَّضٌ بالبَلقَعِ
حتّى تَرَى نَزْعَ الرُّبَى مِنْ نَوْرِهِ غَمَماً يَرِفُّ على خَصيبٍ مُمرِعِ [1]
وَمَتى يكُنْ فيهِ سَقاكَ نَقيصَةٌ أبدَ الزّمَانِ تَمَمْتَهَا بالأدْمُعِ [2]
نُثْني علَيكَ ثَنَاءَ رَاعي هَجمَةٍ بعدَ الجُدوبِ على الغَمامِ المُقلِعِ
وَنَقولُ فيكَ ، وَلَوْ سَكَتْنَا قالتِ الأيّامُ أكثَرَ ما نقولُ وَنَدّعي
وَلَقَد تجَافَى المَجدُ عَن ثَفِناتِهِ ، قَلِقاً علَيكَ، فَما يَقَرّ بمَرْبَعِ
نقَصَتْ أداةُ الفَضْلِ بعدَكَ كلُّها، فوَعَى بمُصْطَلَمٍ وَشَمّ بأجدَعِ
فاذهَبْ رَعاكَ اللهُ غَيرَ مُضَيَّعٍ ، وَسَقَى ثَرَاكَ المُزْنُ غيرَ مُرَوَّعِ
فالقَلبُ للشّانينَ إن لم يَكتَئِبْ ، وَالجَفْنُ للأعْداءِ إنْ لمْ يَدْمعِ

١ الغمم : سيلان الشعر حتى تضيق الجبهة ، ولم ندرك ما المراد منها هنا .
٢ هذا البيت غامض المعنى ، ولعل فيه تحريفاً .

بعداً لطيب العيش بعدكم

قال يرثي أبا حسان أمير عقيل وقتله غلمان داره بالانبار غيلة ليلا وذلك في شهر صفر سنة ٣٩١ ، وتقدم له مرثية في حرف الدال من هذا الديوان :

أَلا ناشِداً ذاكَ الجَنابَ المُمَنَّعَا ، وَجُرْداً يُناقِلْنَ الوَشيجَ المُزَعْزَعَا
وَمَنْ يَمْلأُ الأَيّامَ بَأساً وَنائِلاً ، وَتُثْنَى لَهُ الأَعناقُ خَوْفاً وَمَطمَعَا
أَجُلّي إِلَيْهِ ذلكَ الخَطبُ مُقْدِماً ، وَقَد كانَ لا يَلْقاهُ إِلاّ مُرَوَّعَا
وَجازَ أَضاميمَ البِلادِ مُغيرَةً ، وَحَيَّ نِزارٍ حاسِرِينَ وَدُرَّعَا[١]
وَسُمْرُ عُقَيلٍ تَحمِلُ المَوْتَ أَحمراً ، وَبِيضُ عُقَيلٍ تَقطُرُ السّمَّ مُنقَعَا
وَلَمْ تَخشَ من حَدّ الصَّوارِمِ مَضرَباً ، وَلَمْ تَلقَ مِن أَيدي القَبائِلِ مَدْفَعَا
رَأى وَرَقَ البِيضِ الخِفافِ هَشائِماً ، وَشَوْكَ العَوالي ناصِلاً أَوْ مُنَزَّعَا
هوَ القَدَرُ الأَقوَى الذي يَقصِفُ القَنا ، وَيَلوِي مِنَ الجَبّارِ جِيداً وَأَخدَعَا
وَيَستَهزِمُ الجُرْدَ الجِيادَ تَخالُها بِجافِلَةِ الأَبطالِ سِرْباً مُذَعذَعَا
تَرَى الظُّفُرَ الماضي الشَّباةِ قُلامَةً ، إِذا غالَبَ الأَقدارَ ، وَالباعَ إِصْبَعَا
أَتاني ، وَغَوْلُ الأَرضِ بَيني وَبَيْنَهُ ، فَيا لكَ رُزْءاً ما أَمَضّ وَأَوْجَعَا
جَوانِبُ أَنْباءٍ وَدِدْتُ بِأَنّني صَمَمْتُ لها ما أَوْرَقَ العُودُ مَسمَعَا

---

١ أضاميم : جماعات الخيل .

تَصَامَمتُ حتّى أبلِغَ النّفسَ عُذرَةً ، وَمَا أنطَقَ النّاعُونَ إلاّ لأسْمَعَا
بأنّ أبَا حَسّانَ كُبّتْ جِفَانُهُ ، وَأُخمِدَ نيرَانُ القِرَى يَوْمَ وَدّعَا
أعزُّ عَلى عَيني مِنَ العَينِ مَوْضِعاً ، وَألطَفُ في قَلبي مِنَ القَلبِ مَوْقِعَا
أكُنّ غَليلي بالضّلُوعِ ، وَلَمْ أجِدْ لقَلْبي وَرَاءَ الهَمّ مُذْ غابَ مَطلَعَا
وَفَارَقَني مثلَ النّعيمِ مُفَارِقاً ، وَوَدّعَني مِثلَ الشّبابِ مُوَدِّعَا
عَلا الوَجدُ بي حتّى كأن لمْ أرَ الرّدَى يَخُطّ بجَنبٍ قَبلَ جَنبِكَ مَصرَعَا
لَقَدْ صَغّرَ الأرْزَاءَ رُزْؤكَ قَبلَهَا ، وَهَوّنَ عِندي النّازِلَ المُتَوَقَّعَا
فإنْ لمْ تزَلْ نَفْسِي عَلَيكَ ، فإنّها ستُنْفِدُ أنفَاساً حِراراً وَأدْمُعَا
فيَا لائِمَيّ اليَوْمَ لا صَبْرَ بَعْدَهُ ، فَطِيرَا بِأعْبَاءِ المَلامَةِ أوْ قَعَا
برُغمِكَ أجمَمتَ الصّوَارِمَ وَالقَنَا ، وَأخلَيتَ يَوْمَ الرّوْعِ بِيضاً وَأدْرُعَا
وَمُنتَجِعٍ أرْضَ العَدُوّ تَخَالُهُ جِبالَ شَرَوْرَى طُلْنَ مَيثاً وَأجرَعَا[1]
إذا وَرَدَتْ أنْقَاعَ مَاءٍ وَقِيعَةٍ أنَشّتْ عَلى أُخرَاهُ بِالمَاءِ أجْمَعَا
إذا انْقَادَ عُلْوِيّاً حَسِبْتَ جِيَادَهُ إكَاماً عَلَيْهِنّ الأجادِلُ وُقَّعَا
مَطَوْتَ بِهِ حتّى استرَاثَ جِماحُهُ ، وَجَعجَعَ بالبَيْداءِ حَسْرَى وَظُلَّعَا[2]
من القَوْمِ طارُوا في الفَلا كلَّ طَيْرَةٍ ، وَمَدّوا إلى الأحسابِ بُوعاً وَأذْرُعَا
إذا لَبِسُوا الرَّيْطَ اليَماني ، وَأقبَلُوا يَجُرّونَ مِنها الشَّرْعَبيّ المُضَلَّعَا[3]

١ شروري : جبال لبني تميم . لعل ميثا وأجرعا هنا : مكانان .
٢ مطوت به : أسرعت به . استراثه : استبطأه ، ولعله أراد به هنا : أبطأ ، وقصر
٣ الشرعبي : ضرب من البرود .

حَسِبْتَ أُسُودَ الغَابِ رُحنَ عَشِيَّةً ، تَخَالُ بِهِنَّ البَابِلِيَّ المُشَعْشَعَا
صِفَاحُ خُدُودٍ كَالدَّوَابِلِ طَلْقَةٍ ، يُبَادُونَ بالظَّلْمَاءِ لحماً مُبَضَّعَا
وَأبيَضَ مِنْ عَلْيَا مَعَدٍّ سَمَا بِهِ إلى السُّورَةِ العَلْيا أبٌ غَيرُ أضرَعَا[1]
كأنّكَ تَلقَى وَجهَهُ البَدرَ طَالِعاً ، إذا ابتَدَرَ القَوْمُ الرِّوَاقَ المُرَفَّعَا
فإنْ ألْهِبَتْ فيهِ الحَفيظَةُ خِلْتَهُ وَرَاءَ اللّثَامِ الأرْقَمَ المُتَطَلّعَا
يَقومُ اهتِزَازَ الرّمحِ خَبّتْ كُعُوبُهُ ، وَيَقعُدُ إقعَاءَ ابنِ عَيلٍ تَسَمَّعَا[2]
ضَمُومٌ عَلى الهَمّ الذي باتَ ضَيفَهُ ، جَمُوحٌ عَلى الأمْرِ الذي كانَ أزْمَعَا
صَليبٌ عَلى قَرْعِ الخُطوبِ ، كأنّما يُرَادِينَ طَوْداً من عَمَايَةَ أفرَعَا[3]
وَكَمْ مِثْلَهُ يَستَفرِغُ الدّمعَ رُزْؤهُ ، وَيُوهي صَفَاةَ القَلْبِ حتّى تَصَدّعَا
إذا أحجَمَ الأقْوَامُ دُونَ ثَنِيّةٍ ، تُجيزُ إلى بُحبُوحَةِ المَجدِ ، أطلعَا
تَرَاهُ الثِّفَالَ العَوْدَ في حُجَرَاتِهِ ، وَفي كَبّةِ الرّوْعِ الغُلامَ السّرَعرَعَا[4]
فَيَا بَانِياً للعِزّ ثُلّمَ مَا بَنَى ، وَيَا رَاعِياً للمَجدِ أُهمِلَ ما رَعَى
فَقَدْتُكَ فَقْدَ النّاظِرَينِ تَخَرُّما جَميعاً عَنِ العَينَينِ ، وَاختُلِجا مَعَا
تَهافَتَ ثَوْبُ المَجدِ بَعدَكَ عن بِلًى، كأنّكَ لمْ تَرْقَعْ مِنَ الأرْضِ مَرْقَعَا
لَئِنْ بُزّ هَذا الحَيُّ مِنكَ عِمَادَهُ ، فَغَيرُ عَجيبٍ أنْ يَعِزّ ، وَيَمنُعَا

١ السورة : المنزلة . الأضرع : الذليل .
٢ خبت كعوبه : اضطربت . ابن عيل : لعله أراد الأسد .
٣ يرادين : يراودن . عماية : جبل . الأفرع : العالي .
٤ الثفال : البطيء . العود : المسن من الإبل . الكبة : الحملة . السرعرع : التام الناعم اللدن .

فقَد تَسمَعُ الأُذنانِ أوعِيبَ صَلْمُها، وَيُدرِكُ أنفٌ فَغمةَ الطّيبِ أجدَعَا
وَإنْ يَمضِ نَصْلٌ من عُقَيلٍ نجد له مَناصِلَ في أيدي الصّياقلِ قُطَّعَا
فَمَا غِيضَ ذاكَ المَاءُ حتّى علاالرُّبَى، وَلا اجتُثّ ذاكَ الأصْلُ حتّى تَفرّعَا
وَإنْ يختَلِسنا ذلكَ العَضْبَ حادِثٌ، فمِنْ بَعدِ ما أبقى الغِمادَ المُرَصَّعَا
مُجاوِرُ قَوْمٍ أُنْزِلُوا دارَ غُرْبَةٍ، إذا ظَعَنُوا لا يُظْعِنُونَ المُشَيَّعَا
وَلا يَستَجِدّونَ اللّبَاسَ من البِلَى، وَلا يَعْمُرُونَ المَنْزِلَ المُتَضَعْضِعَا
بَطِيئُونَ عَن داعي اللّقَاءِ تَخالُهم إذا مَا دُعُوا يَوْماً مُرِمّينَ، هُجّعَا[1]
حَفَائِرُ ألقَى الجُودُ أفلاذَ كَبِدِهِ بهِنّ، وَخَطّ المَجدُ فيهِنّ مَضْجَعَا
وَحُطّ بهِنّ الرّحْلُ تَدْمَى صِفَاحُهُ كَمَا أفرَدَ الحَيُّ الأجَبَّ المُوَقَّعَا[2]
أجِدّكَ لا تَلقَى لذا المَجْدِ جَامِعاً، وَلا للمَعَالي الغُرّ بَعدَكَ مَجمَعَا
وَكَانَ طَرِيقُ الجُودِ عندَكَ مأمَناً، فَأذْأبَ بالقَوْمِ اللّئَامِ وَأسْبَعَا
أسِيتُ عَلى آلِ المُسَيَّبِ أنّهُمْ بُدُورُ المَعَالي غَارِبَاتٍ وَطُلَّعَا
تَفَرّوْا تَفَرّي السَّجْلِ دُقّ أدِيمُهُ، وَلَمّا يَدَعْ فيهِ الخَوَارِزُ مَرْقَعَا
مَضَوْا بَعدَمَا أبقَوْا إلى المَجدِ مَنهجاً، رُكُوباً بأعلى غارِبِ الأرْضِ مَهْيَعَا
إذا وَضَعُوا فيهِ أجَازُوا إلى العُلَى؛ وَإنْ سارَ فيهِ النّاسُ أرْذَى وَأظلَعَا[3]
وَلَمْ يَترُكُوا في نَصْلِ شَنعاءَ مَضرِباً، وَلَمْ يَدَعُوا في قَوْسِ عَلْيَاءَ مَنزَعَا

---

١ المرمين : المائلين إلى اللهو ، أو الساكتين .
٢ الأجب : المقطوع السنام . الموقع : الذي تكثر آثار القروح عليه .
٣ أرذى : جعل المطايا رذايا ، أي هزيلة . أظلع : جعلها تظلع ، تعرج .

تَغالَتْهُمُ أيدي المَنُونِ عَلائِقاً مِنَ العزِّ قَدْ زَايَلْنَ عَاداً وَتُبَّعَا
أخِلاّيَ مَا أبْقَوْا لِعَيْنَيَّ قُرّةً ، وَلا زَوّدُوا إلاّ الحَنِينَ المُرَجَّعَا
وَكَانُوا عَلَى الأيّامِ مَلهًى وَمَطرَباً ، فقَدْ أصْبَحوا للقلْبِ مبكًى وَمَجزَعَا
كَأنّ عُقَاراً بَعدَهُمْ بَابِلِيّةً تخالُ بهَا في الرّأسِ نَكْبَاءَ زَعزَعَا
لهَا رَقَصَاتٌ في الذّوَائِبِ وَالشَّوَى تَرُدّ جَبَانَ القَوْمِ نَدباً مُشَيَّعَا
شرِبْتُ بهَا شُرْبَ الظّمِيّةِ صَادَفَتْ قَرَارَ عُبَابِيٍّ مِنَ المَاءِ مُتْرَعَا
سَقاكُمْ وَمَا سَقيُ السّحائبِ غَمرَةً مِنَ الجُودِ أمرَى من نَداكم وَأمرَعَا
نَشَاصُ الثّرَيّا كُلّمَا هَبّ بَرْقُهُ تَذَبْذَبَ يُزْجِي عَارِضاً مُتَرَفِّعَا[1]
حَدَتْهُ مِنَ الغَوْرَيْنِ هَوْجاءُ كُلّمَا وَنَى عَجرَفَتْ فيه فَخَبّ وَأوْضَعَا[2]
تَلُفُّ بِهِ لَفَّ الحُدَاةِ جِمَاثِلاً ، يُزَادُ عَنِ البَيْداءِ طَرْداً مُدَفَّعَا
كَأنّ بقَعقَاعِ الرّعُودِ ، عَشِيّةً ، عِشاراً يُرَاغِينَ الجُلالَ الجلَنْفَعَا[3]
كَأنّ اليَمَاني حَاكَ في أُخْرَيَاتِهِ ، فَأعرَضَ أبرَادَ الرِّبَابِ وَأوْسَعَا
إلى أنْ تَفَرّى مِنْ جَلابيبِهِ الصَّبَا كَأنّ عَلى الحَرْبَاءِ رَيْطاً مُقَطَّعَا[4]
فَشَقّ عَلى ذاكَ التّرَابِ مَزَادَهُ ، وَحَوّى على تلكَ القُبورِ وَجَعجَعَا
فبُعْداً لطِيبِ العَيْشِ بَعدَ فِرَاقِكُم ، فَلا أسْمَعَ الدّاعي إلَيْهِ وَلا دَعَا

١ نشاص : ارتفاع .

٢ عجرفت : اشتدت سرعتها .

٣ الجلال : أراد به البعير الضخم . الجلنفع : الجمل الضخم .

٤ قوله : جلابيبه الصبا ، هكذا في الأصل ، ولعل في الكلام تحريفاً .

وَلا أسَفاً للدّهْرِ إنْ صَدّ مُؤيِساً ،   وَلا مَرْحَباً بالدّهرِ إنْ عادَ مُطمِعَا
وَإنْ عَثَرَ الأحياءُ مِن بَعدِ مَوْتِكم ،   فَلا دَعدَعاً للعَاثِرِينَ وَلا لَعَا

لحا الله هذا الدهر

قال يرثي قاضي القضاة أبا محمد عبيد الله بن أحمد ابن معروف وقد توفي ليلة السبت لست ليال خلون من صفر سنة ٣٨١ لمودة بينهما ويعزي عنه أمير المؤمنين الطايع لله لاصطناعه له وتنويهه باسمه:

عَظِيمُ الأسَى في هذه غَيرُ مُقنِعِ ،   وَلَوْمُ الرّدى فيما جنى غيرُ مُنجِعِ
وَلا عَينَ إلاّ الدّمعَ تَجرِي غُرُوبُهُ ،   فلاقِ بهِ المَقدُورَ إنْ شئتَ أوْ دَعِ
فلَيسَ القَنَا فيمَا أصَابَ بِشُرّعٍ ،   وَلَيْسَ الظُّبَى فيمَا ألَمّ بِقُطّعِ
وَلا مَانِعٌ مِمّا رَمَى اللهُ سَهْمَهُ ،   دِفَاعَ المُحامي وَادّرَاعَ المُدَرَّعِ
وَإنّ المَنَايَا إنْ طَرَقْنَ بِفَادِحٍ ،   فَسِيّانِ لُقْيَا حَاسِرٍ أوْ مُقَنَّعِ
إذا انْتَصَرَ المَحزُونُ كَانَ انْتِصَارُهُ   بدَمعٍ يَزِيدُ الوَجدَ أوْ عَضّ إصْبَعِ
وَإنّ غَبينَ القَوْمِ مِنْ طاعنِ الرّدى   إذا جَاءَ في جَيشِ الرّزَايَا بأدْمُعِ
أتَرْضَى عن الدّنيا وَما زَالَ بَرْكُهَا   عَلى مَقْصَدٍ مِنّا ، وَشِلوٍ مُبَضَّعِ
إذا سَمَحَتْ يوْماً بسَجواءَ سَجسَجٍ ،   تَلَتْهَا عَلى عَمْدٍ بنَكْباءَ زَعزَعِ [1]

[1] السجواء : الريح الساكنة. سجسج : لا حر فيها ولا قر .

أيَوْمَ عُبَيْدِ اللهِ كَمْ رُعتَ من حشىً جليدٍ، على طولِ المدى لم يُرَوَّعِ
وكَمْ جَفَّ دَمعٌ فيكَ قد كان غَرْبُه بَطِيئاً، إذا ما رِيمَ لمْ يتَسَرَّعِ
تَوَقُّعُ أمْرٍ زَادَ هَمّاً وُقُوعُهُ، وَإنّ وُقُوعَ الأمْرِ دُونَ التَّوَقُّعِ
أبَا جدْثاً وَارَى مِنَ العِزّ هَضْبَةً، تَمُدّ إلى العَلْيَا بِبُوعٍ وَأذْرُعِ
سَقَاكَ، وَلَوْلا ما تجُنّ مِنَ التّقَى، لقُلْتُ شَآبِيبَ العُقَارِ المُشَعشَعِ
وَقُلْ لِقَبرٍ أنتَ سِرُّ ضَمِيرِهِ بُكَاءُ الغَوَادي كلّ يَوْمٍ بأرْبَعِ
وَقَفْتُ عَلَيْهِ عاطِفاً فَضْلَ عَبْرَةٍ، تَفِيضُ على فَضْلِ الحَنِينِ المُرَجَّعِ
أقُولُ لَهُ، وَالعَينُ فِيها زُجَاجَةٌ من الدّمعِ قد وَارَى بها الجُولُ مدمعي
وَمَا هيَ إلاّ سَاعَةٌ، وَهوَ لاحِقٌ بِعَادٍ إلى يَوْمِ المَعَادِ وَتُبَّعِ:
هَلَ انْتَ مُجِيبي إن دَعَوْتُ بِأنّةٍ، وَهَلْ أنتَ غادٍ بَعدَ طولِ مدًى معي
وَهَيهَاتَ حَالَتْ بَيْنَنَا، مُستَطِيلَةً، ضَمُومٌ على الأجرَامِ مِن كلّ مَطلَعِ
لَنَا كُلّ يَوْمٍ فَرْحَةٌ مِنْ مُبَشِّرٍ بِمُقْتَبَلٍ، أوْ رَنّةٌ مِنْ مُفَجَّعِ
وَطَارِي رَجَاءٍ في مُلِمٍّ مُسَلَّمٍ، وَعارِضِ يأسٍ مِنْ خَليطٍ مُوَدَّعِ
وَمَا بُعْدُ ما بَيني وَبَينَكَ سامِعاً، وَأنتَ بِمَرْأى مِنْ مُقامي وَمَسمَعِ
لحَا اللهُ هَذا الدّهرَ ماذا جَرَتْ بهِ نَوَائِبُه مِن مُؤلِمِ الوَقعِ مُظْلِعِ
لَقَدْ جَبّ مِنّا ذُرْوَةً أيّ ذُرْوَةٍ، فَأُبْنَا بِأضْلاعِ الأجَبّ المُوَقَّعِ
ألَيسَ عُبيدُ اللهِ خلّى مَكَانَهُ؟ فَلا عَطَسَ الإسلامُ إلاّ بِأجْدَعِ
تَعَزّ، أميرَ المُؤمِنينَ، صَرِيمَةً من العَزْمِ عن ماضِي الصّرَائمِ أرْوَعِ
أمينُكَ لم يَدَّخِرْكَ نُصْحاً، إذا حَنَا رِجالٌ عَلى الغِشّ القَديمِ بأضْلُعِ

هُوَ السّابِقُ الهادي إلى عَقْدِ بَيْعَةٍ ، رَأى النّاسَ فيها بَيْنَ حَسرَى وَظُلَّعِ
غَرَسْتَ بِهِ غَرْساً يرَى الدّهرُ عُودَهُ ، وكانَ مَتى تَغرِسِ على الرّغمِ يَنْزِعِ
بَقِيتَ أمِينَ اللهِ عُوداً لمَفزَعٍ ، وَمَرْعًى لإخفَاقٍ وَوِرْداً لمَطْمَعِ
إذا صَفَحَتْ عنكَ اللّيالي وَأُغرِيَتْ بحِفظِكَ فِينَا هانَ كُلٌّ مُضَيَّعِ
فَلا فُجِعَتْ بالعِزّ دارُكَ سَاعَةً ، وَلا غُضّ مِنْ بابِ الرّوَاقِ المُرَفَّعِ
وَلا بَرِحَتْ تِلكَ الرّباعُ مَجُودَةً على كلّ حالٍ مِنْ مَصِيفٍ وَمَرْبَعِ
لَقَدْ هاجَ هذا الرّزْءُ رَيعَانَ زَفرَةٍ ، تَلَقّيْتَها بالقَوْلِ عَن قَلبٍ مُوجَعِ
وَلا سَبَبٌ إلاّ المَوَدّةُ إنّــهُ تَقَطّعَ مِنّي ، وَالقُوَى لمْ تُقَطَّعِ
وَلَيْسَ مَقَالٌ حَرّكَتْهُ حَفِيظَةٌ ، وَعَهْدٌ كَقَوْلِ القائِلِ المُتَصَنِّعِ

لكل ضيق سعة

قال يرثي أبا طاهر إبراهيم بن ناصر الدولة وقد بلغه أن قوماً من بني عقيل ·· ' من مرثيته الرائية المتقدمة :

آبَ الرُّدَيْنيُّ وَالحُسَامُ مَعاً ، وَلمْ يَؤبْ حامِلُ الحُسامِ مَعَهْ
إنّ الخَفيفَ الحاذَينِ جَدّلَهُ مُعَيَّرٌ بالقُعُودِ وَالرَّتَعَه[1]

[1] الخفيف الحاذين : القليل المال . الرتعة : التوسع في الخصب

غَدَا عليهِ مَنْ كَانَ خيفتَهُ بَرْقاً عَلى الهُونِ لازِماً ظَلَعَهْ

لَوْ أنْصَفَ الحَيُّ مِنْ رَبيعتِه مَا صَافَ مُحْتَلَّهُ وَلا رَبَعَهْ

وَانتَزَعَ الثّارَ مِنْ مَظِنّتِهِ ، مُعَاجِلاً بالدّمِ الذي انتَزَعَهْ

بالسُّمرِ تَهتَزّ في أسِنّتِهَا ، وَالخيلِ تَعدو العنيقَ وَالرَّبَعَهْ[1]

في جَحفَلٍ قَعقَعَتْ حَوَافِرُه قَعَاقِعَ الرّعْدِ حَادِياً قَزَعَهْ[2]

تَملَؤهُ عَينُ مَنْ رَآهُ وَتَرْ تَجّ من الرّعبِ أُذنُ من سَمِعَهْ

كانَ سِناناً يَزِينُ صَعدَتَهُمْ شُلّ بذاكَ السّنانِ مَن نَزَعَهْ

وَمَارِناً لمْ يَزَلْ لَهُ ظُبَةٌ يجدَعُ أعناقَ حَيّ مَن جَدَعَهْ

يُطلِعُهُ فَوْقَ كُلّ مَرْقَبَةٍ قَلْبٌ جَرِيٌّ وَعَزْمَةٌ طُلَعَهْ

إذا جَرَى وَالحَسودَ في صُعُدٍ مِنَ العُلَى يَبغِيَانِ مُمتَنَعَهْ

خَلّى غُبَارَ المَدى لَهُ وَمَضَى يَطلبُ قوتَ العيونِ منقَطَعَهْ

أبكي نداهُ العَريضَ أمْ بِشرَهُ اللاّ مِعَ للمُعتفينَ أم وَرَعَهْ ؟

إيهاً عُقَيلٌ وَأيُّ مَنْقَصَةٍ كوَضْعِ مَوْلى الأقوَامِ مَن رَفَعَهْ

صَارَ طِرَادُ المُلوكِ عادتَكُمْ بعد طِرَادِ البعوضِ وَالقَمَعَهْ[3]

ألامُ أنّي رَثَيْتُ زَافِرَةً ، كانوا نجومَ الفَخارِ أوْ لُمَعَهْ[4]

١ العنيق والربعة : ضربان من السير السريع .

٢ القزع : قطع السحاب .

٣ القمعة : ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر .

٤ الزافرة واللمعة : الجماعة من الناس .

إنْ لا تكُن ذي الأصُولُ تجمعنا   يَوْماً فإنّ القُلُوبَ مُجتمِعَهْ
كَمْ رَحِمٍ بالعقُوقِ نَقطَعُها،   ورَحِمُ الوُدّ غيرُ مُنقَطِعَهْ
لاتَيْأسُوا من ثُقُوبِ زَنْدِهِمُ،   كأنّني بالزّمانِ قَدْ قَرَعَهْ
لا بُدّ مِنْ أنْ يَثوبَ حالُهُمُ،   لِكُلّ ضِيقٍ مِنَ الأمورِ سعه

ضمير موجع

قال يرثي أبا محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله ابن أبي سعيد السيرافي اللغوي النحوي وذلك في يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٨٥ وكان من أعيان الأعلام في العربية وما يتعلق بها وبلغ من السن خمساً وخمسين سنة وشهوراً وتوفي بعد وفاة الصاحب بن عباد بأيام قلائل :

يا يوسُفُ، ابنَ أبي سَعيدٍ دَعوَةً   أوْحَى إلَيكَ بِهَا ضَميرٌ مُوجَعُ
إنّ الفَجائِعَ بالرّجالِ كَثيرَةٌ ،   ولَقَلّ مَن يَرْعَى وَمَن يَتَفَجّعُ
لمّا رَأيتُ النّاسَ بَعدَكَ نَكَبُوا   سُنَنَ الحِفاظِ فَغادِرٌ وَمُضَيِّعُ
قَرْطَستُ في غَرَضِ الوَفاءِ بقَوْلَةٍ   لأكونَ بَعدَكَ حافِظاً ما ضَيّعُوا[1]

١ قرطست : أصبت القرطاس ، الغرض .

مَن كانَ أسرَعَ عندَ أمرِكَ نَهضَةً ... قَدْ بَاتَ، وَهوَ إلى سُلُوِّكَ أسرَعُ
كم من أخٍ لكَ لم يَدُمْ لكَ عَهدُهُ، ... قد كانَ مِنكَ بحَيثُ تُثنى الإصْبَعُ
لمْ يُنسِنَا كافي الكُفَاةِ مُصَابَهُ، ... حتّى رَمَانَا فيكَ خَطبٌ مُطْلِعُ
قِرْفٌ على قَرْحٍ تَقارَبَ عَهْدُهُ، ... إنّ القُرُوفَ على القرُوحِ لأوْجَعُ[1]
وَتَلاحُقُ الفُضَلاءِ أعظَمُ شاهِدٍ، ... إنّ الحِمَامَ بغَيرِ عِلقٍ مُولَعُ
وَاهاً لَهُ لَوْ كانَ أسْرٌ يُفتَدَى ... برَغيبَةٍ أوْ كَانَ خَرْقٌ يُرْقَعُ
في كُلّ يَوْمٍ للنّعُوشِ مُشَيَّعٌ ... مِنّا يَرُفُّ وَرَاجِعٌ يَستَرْجِعُ
كَيْفَ الغُرُورُ وَللفَنَاءِ ثَنيّةٌ، ... وَيَدُ المَنُونِ تُشيرُ ثَمّ المَطْلَعُ
وَلَرُبّ أصْغَرَ عَاقِدٍ عِرْنِينَهُ ... أمسَى لَهُ في الأرْضِ خَدٌّ أضرَعُ
ما كنتُ أبخَلُ أنْ أطِيلَ لوَ انّهُ ... يُجدِي المُطيلُ إذا أطالَ وَيَنفَعُ
لَكِنّهُ سِيّانِ مَنْ تَجرِي لَهُ ... عِندَ الفَجَائِعِ دَمعَةٌ أوْ أدمُعُ

حوامي جبال العز

قال قدس الله تعالى روحه يرثي
بعض الناس في المحرم سنة ٣٨٧ :

قِفْ مَوْقِفَ الشّكّ لا يأسٌ وَلا طمعُ، ... وَغالِطِ العَيشَ لا صَبرٌ وَلا جزَعُ
وَخادعِ القَلبَ لا يُودِ الغَليلُ بِهِ، ... إنْ كَانَ قَلبٌ على المَاضِينَ يَنخدعُ

١ القرف : القشر .

وكاذبِ النّفسَ يمتدّ الرّجاءُ لها ؛ إنّ الرّجاءَ بصِدْقِ النّفسِ ينقطعُ
سائلْ بصحبيَ أنّى وُجهةٍ سلكوا عنّا ، وأيّ الثّنايا بعدَنا طلعُوا
حدَا بأظْعانِهِمْ حتّى استمرّ بِها حادي المَقاديرِ لا يلوِي بهمْ ظَلَعُ
غابُوا فغابَ عَنِ الدّنْيا وساكنِها مرْأى أنيقٌ عَنِ الدّنْيا ومُستمَعُ
بَني أبي قد نكَى فيكُمْ بشكّتِهِ ، وَنالَ ما شاءَ هذا الأزْلمُ الجَذَعُ[1]
كُنتُمْ نُجوماً لذي الدّهماءِ زاهِرَةً تُضيءُ مِنها اللّيالي السّودُ والدُّرَعُ[2]
إن تَحبُ أنوارُكم من بعدِ ما صدَعتْ ثوْبَ الدُّجى فلضَوْءِ الشمس مُنقطَعُ
في غُرّةِ المَجدِ مُذْ غُيّبتُمُ كَلَفٌ علَى الزّمانِ ، وَفي خدّ العُلى ضَرَعُ
وَبالمَواضِي حِرانٌ في الوَغَى ، وَبأعناقِ الضّوامِرِ مُذْ أرْحِلتُمُ خَضَعُ
مَصاعِبٌ دَعدعَتْ أيدي المَنونِ بها ، فَطاعَ مُعتَصِمٌ وانقادَ مُمتَنِعُ
لم يَعدَمُوا يوْمَ حرْبٍ تحتَ قَسطلِها طَيرُ الرُّخامِ علَى لبّاتِهِمْ تَقَعُ[3]
لم يَنزعوا البيضَ مُذ لاثوا عَمائمَهم إلاّ وَقد غاضَ منها الشّيبُ وَالنَّزَعُ[4]
نُسابِقُ المَوْتَ تَطوِيحاً بأنْفُسِنا ، حتّى كأنّا علَى الآجالِ نَقتَرِعُ
أبْكيهِمُ ، وَيَدُ الأيّامِ دائبَةٌ ، تَدوفُ لي فَضْلَةَ الكأسِ التي جرَعُوا
لا أمْتَرِي أنّني مُجرٍ إلى أمَدٍ جرَوْا إليْهِ قُبَيلَ اليَوْمِ أوْ نَزَعُوا

١ الأزلم الجذع : الدهر الشديد الكثير البلايا .
٢ الدرع : ثلاث ليال من الشهر تلي البيض لاسوداد أوائلها وابيضاض أواخرها
٣ الرخام : لعله جمع رخمة : طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع .
٤ النزع : انحسار الشعر .

وَأَنَّني وَارِدُ العِدِّ الذي وَرَدُوا … بالكُرْهِ أَوْ قارِعُ البابِ الذي قَرَعُوا
سُدَّتْ فَوَاغِرُ أفوَاهِ القُبُورِ بِهِمْ ، … وَلَيسَ للأَرْضِ لا رَيٌّ وَلا شِبَعُ
أعتَادُهُمْ لا أرَجّي أنْ يَعُودَ لهمْ … إليّ ماضٍ ، وَلا لي فيهِمُ طَمَعُ
فَمَا تَوَهَّجُ أحشَايَ عَلى نَفَسٍ … كَانُوا عَوَادِيَ لِلأيّامِ ،فارْتُجِعُوا
نُلِيحُ أنْ تَرْتَعِي الأقدارُ أنْفُسَنا ، … وَكُلُّنَا للمَنَايَا السّودِ مُزْدَرَعُ
نَلْهُو ،وَمَا نَحْنُ إلاّ للرّدَى أُكَلٌ ، … وَالدّهْرُ يَمضَغُنا ، وَالأرْضُ تَبتَلِعُ
ذَوَائِبٌ مِنْ لُبَابِ المَجدِ ما فَجِعُوا … بمِثْلِ أنفُسِهِمْ يَوْماً ، وَلا فُجِعُوا
كانوا حَوَامي جِبالِ العِزّ فانقَرَضُوا ، … وَصَدّعُوا قُلَلَ العَليا مُذِ انصَدَعُوا
فَوَارِسٌ قَوّضُوا عَنْ سَابِقاتِهِمُ ، … فاستُنزِلُوا بِطِعَانِ الدّهْرِ وَاقتُلِعُوا
قَوْمٌ فُكاهَتُهُمْ ضَرْبُ الطُّلَى ، وَلهم … تحتَ العَجاجِ بأطْرَافِ القَنَا وَلَعُ
إمّا تَؤودُ مِنَ الأيّامِ نَائِبَةٌ … قاموا بِهَا وَأطاقوا الحملَ وَاضْطَلَعُوا
لا تَستَلِينُهُمُ الضّرّاءُ نَازِلَةً ، … وَلا تَقُودُهُمُ الأطْمَاعُ وَالنّجَعُ
كَمْ خَمصَةٍ كَانَ فيها العِزّ آوِنَةً ، … وَشَبعَةٍ كَانَ فيها العَارُ وَالضّرَعُ
مِنْ كُلّ أغلَبَ نَظّارٍ عَلى شَوَسٍ … لَهُ لِوَاءٌ عَلى العَلْيَاءِ مُتّبَعُ
يَخفَى بِهِ التّاجُ مِنْ لألاءِ غُرّتِهِ ، … عَلى جَبِينٍ بِضَوْءِ المَجدِ يَلتَمِعُ
ذُو عَزْمَةٍ تُلْهِمُ الدّنْيَا وَسَاكِنَهَا ، … وَهِمّةٍ تَسَعُ الدّنْيَا ، وَمَا تَسَعُ
يَلقَى الظُّبَى حاسِراً تَبدُو مَقَاتِلُهُ ، … وَيَرْهَبُ الذّمَّ يَوْماً . وَهوَ مُدّرِعُ
إنّ المَصَائِبَ تُنسي المَرْءَ مُقبِلَةً ، … قَصْدَ الطّرِيقِ لما يُسلي وَمَا يَزَعُ
حَتّى إذا انكَشَفَتْ عَنْهُ غَيَاطِلُها … تَبَيّنَ المَرْءُ مَا يَأتي وَمَا يَدَعُ

أرْسَى النّسيمُ بِوَاديكُمْ ،وَلا بَرِحَتْ   حوَامِلُ المُزْنِ في أجداثِكُمْ تَضَعُ
وَلا يزَالُ جَنِينُ النّبْتِ تُرْضِعُهُ   عَلى قُبُورِكُمُ العرّاصَةُ الهَمِعُ[1]
هَلْ تعلَمُونَ على نَأيِ الدّيَارِ بكم   أنّ الضّميرَ إليكُمْ شيّقٌ وَلِعُ ؟
لَكُمْ على الدّهرِ من أكبادِنا شُعَلٌ   مِنَ الغَليلِ ، وَمن آماقِنا دُفَعُ
لَوَاعِجٌ أفصَحَتْ عَنها الدّموعُ وَقد   كادَتْ تُجَمجِمُها الأحشاءُ وَالضِّلَعُ
أنزَفْتُ دَمْعيَ حتّى مَا ترَكْتُ لَهُ   غَرْباً يَفيضُ عَلى رُزْءٍ ، إذا يَقَعُ
ثمّ اضْطُرِرْتُ إلى صَبرِي فعُذْتُ بِهِ ،   وَأعرَبَ الصّبرُ لمّا أعجَمَ الجزَعُ

الصبر أولى من الجزع

قال يرثي صديقاً من أصدقائه وقد توفي
في شعبان من سنة ٣٨١ :

صَبَرْتُ عَنكَ فلم ألفِظكَ من شَبَعٍ ،   لكِن أرَى الصّبرَ أوْلى بي مِنَ الجزَعِ
وَإنّ لي عَادَةً في كُلّ نَازِلَةٍ   أنْ لا تَذِلّ لهَا عُنقي مِنَ الضَّرَعِ
لذاكَ شَجّعتُ قَلبي وَهوَ ذُو كَمَدٍ ،   وَمِلْتُ بالدّمعِ عَنّي وَهوَ ذُو دُفَعِ
ماضٍ على وَقَعاتِ الدّهرِ إنْ طَرَقَتْ   غَدا بِحَمْلِ أذاهَا جِدّ مُضْطَلِعِ

[1] العراصة : السحاب ذو البرق والرعد ، والتاء للمبالغة لا للتأنيث . الهمع : الماطر .

وَحَاسِرٍ يَتَلَقّى كُلَّ نَائِبَةٍ   تُدْمي ، فيَصْبرُ فيها صَبرَ مُدَّرِعِ
ما غاضَ دَمعيَ إلاّ بَعدَمَا انحَدَرَتْ   غُرُوبُهُ بَينَ مُنهَلٍّ ، وَمُنهَمِعِ
لَوْلا اندِفاعُ دُمُوعِ العَينِ غالبَةً ،   لمْ يُعقِبِ الصّبرُ دَمعاً غَيرَ مُندَفِعِ
في اليَأسِ منكَ سُلُوٌّ عنكَ يُضْمِرُهُ ،   وَقَبلَ يَوْمكَ يَقوَى الحزْنُ بالطّمعِ
ما كانَ ذَيلُكَ مَسدولاً عَلى دَنَسٍ ،   وَلا نِطَاقُكَ مَعْقُوداً عَلى طَمَعِ
مَا شِئتَ مِنْ لِينِ أخلاقٍ وَمَكرُمَةٍ   وَمن عَفافٍ وَمن فَضْلٍ وَمن وَرَعِ
لِلّهِ نَفرَةُ وَجْدٍ لَسْتُ أملِكُها ،   إذا تَذَكّرْتُ إخوَانَ الصّفاءِ مَعي
يُوَاصِلُ الحُزْنُ قَلْبي كُلّما فُجعَتْ   يَدي بِحَبلٍ مِنَ الأقرَانِ مُنْقَطِعِ
ألقَى الغَمامُ حَوَايَاهُ عَلى جدَثٍ ،   نَزَلْتَ مِنهُ بمَلقًى غَيرِ مُتّسِعِ
في حَيثُ لا طَمَعٌ يَوْماً لذي طَمَعٍ   في أنْ يَعُودَ وَلا رُجْعَى لمُرْتَجِعِ
لا عَينَ تَنظُرُ إنْ أرْسَى بعَقوَتِهَا   زَوْرٌ وَلا أُذُنٌ عِندَ النّداءِ تَعِي
وَهَوّنَ الوَجْدَ أنّ المَوْتَ مُشْتَرَكٌ   فينا ، وَأنّا لِذا المَاضِي مِنَ التَّبَعِ
هيَ الثّنَايَا إلى الآجَالِ نَطْلُعُهَا ،   فمِنْ حَثِيثٍ وَمن رَاقٍ على ظَلَعِ
كالشّاءِ يُعْذَلُ مِنّا غَيرُ مُكتَرِثٍ   عَيّاً ، وَيُوعَظُ مِنّا غَيرُ مُستَمِعِ
الآنَ يَعلَمُ أنّ العَيْشَ مُختَلَسٌ ،   وَأنّنَا نَقْطَعُ الأيّامَ بالخِدَعِ
هَيهاتَ لا قارِحٌ يَبقى ، وَلا جَذَعٌ   عَلى نَوَائِبَ كَرّ الأزْلَمِ الجَذَعِ [1]
إنّ المَنَايَا لَشَتّى بَينَ طَارِقَةٍ   هَوْناً ، وَنَافِرَةٍ عَنْ هَوْلِ مُطّلَعِ
إمّا فَنَاءً عَنِ الدّنْيَا عَلى مَهَلٍ ،   أوِ اعتِبَاطاً يُغادي غُدْوَةَ السّبُعِ

---

[1] القارح : المسن . الجذع : الشاب . الأزلم الجذع : مر شرحها .

مَا للّيَالي يُرَنّقْنَ المُجَاجَةَ مِنْ　شُرْبِي وَيُوبِينَ مُصْطَافي وَمُرْتَبَعي
عَدَتْ عَوَادي الرّدى بَيْني وبَيْنَكُمُ ،　وَأنزَلَتْكَ النّوَى عَنّي بمُنْقَطِعِ
وَشَتّتَتْ شَمْلَكَ الأيّامُ ظَالِمَةً ،　فَشَمْلُ دَمعي وَلُبّي غَيرُ مُجتَمع
أخَيّ لا رَغِبَتْ عَيْنِي وَلا أُذُنِي　مِنْ بَعدِ يوْمكَ في مَرْأًى وَمُستَمَع
وَلا أرَاكَ بقَلْبٍ غَيرِ مُصْطَبِرٍ ،　إذا أهَابَ بِهِ السُّلْوَانُ لمْ يُطِعِ

سلام على القبور

قال أيضاً يرثيه :

ذكَرْتُكَ لمّا طَبّقَ الأُفقَ عارِضٌ ،　وَأعرَضَ بَرْقٌ كالضِّرَامِ لَمُوعُ
وَأنتَ مُقيمٌ حيثُ لا البَرْقُ يُجتَلى　بعَينٍ ، وَلا رُوحُ النّسيمِ يَضُوعُ
غَرِيبٌ عَنِ الأوْطانِ لا لكَ هَبّةٌ　إلَيها ، وَلا بَعْدَ المُضِيّ رُجُوعُ
خَلا مِنكَ رَبعٌ قَد تَبَدّلتَ بَعدَهُ　رُبُوعَ بِلًى مَا مِثلَهُنّ رُبُوعُ
وَعَاوَدَ قَلبي الذّكرُ إذْ نحنُ جِيرَةٌ　زَمَاناً وَإذْ شَمْلُ الجَميعِ جَميعُ
وَإذْ عَيشُنَا الرّقرَاقُ يُسبِغُ خَفْضَه　عَلَينا ، وَإذْ طَيرُ النّعيمِ وُقُوعُ
إلى أنْ مَشَى بَيْني وَبَينَكُمُ الرّدى،　وَقَطّعَ أقْرَانَ الصّفَاءِ قَطُوعُ
وَفي كُلّ يَوْمٍ صَاحِبٌ أستَجِدُّهُ ،　وَيَنتَزِعُهُ مِنْ رَاحَتَيّ نَزُوعُ
إذا قُلْتُ يَخْطُوهُ الحِمَامُ هوَتْ به　نُيُوبُ رَدًى فيها السّمَامُ نَقيعُ

سَلامٌ عَلى تِلْكَ القُبُورِ ، وجَادَها بأرْوَى وَأسنَى مَا يَجُودُ رَبِيعُ
فَلا تَغْبِطُونَا إذْ أقَمْنَا ، وَأنْتُمُ عَلى ظَعَنٍ ، إنّ اللّقَاءَ سَرِيعُ

فارغ الدموع

يرثي بعض أهله

أأتْرُكُ الغُرّ مِنْ لِداتي ، خوَالِيَ البِيضِ وَالدّرُوعِ
تَحدُو اللّيَالي بِهِمْ رِفَاقاً ، مَاضِيهِمُ مُعْوَزُ الرّجُوعِ
تَفَرّقُوا لا عَنِ اختيَارٍ ، وَانْتَقَلُوا لا إلى رُبُوعِ
رَجَعْتُ في إثْرِهِمْ برُغْمي، بَعْدَ نِزَاعٍ إلى نُزُوعِ
أبْقَى الجَوَى جَرْحَةً بِقَلْبي مَا عِشتُ ، مكتُومَةَ التّجيعِ
كَمْ غَبَنَ المَوْتُ عن كَرِيمٍ ، وَقَارَعَ الخَطبُ عَنْ قَرِيعِ
بَانُوا ، فَلَمْ أنْتَزِحْ عَلَيهِمْ دَمعي ، وَلَمْ أستَذِبْ ضُلُوعي
وَأسفَحُ الدّمْعَ لِلأعَادي ، إنّي ، إذاً ، فارِغُ الدّمُوعِ

أبكي ويبسم

قال أيضاً في الغزل قدس الله روحه :

يا صَاحِبَ القَلْبِ الصَّحِيحِ أمَا اشتفَى ... ألَمُ الجَوَى مِنْ قَلْبِيَ المَصْدُوعِ ؟
أأسَأتَ بالمُشْتَاقِ حِينَ مَلَكْتَهُ ، ... وَجَزَيْتَ فَرْطَ نِزَاعِهِ بِنُزُوعِ
هَيهَاتَ لا تَتَكَلَّفَنَّ ليَ الهَوَى ، ... فَضَحَ التَّطَبُّعُ شِيمَةَ المَطْبُوعِ
كَم قَد نَصَبْتُ لكَ الحَبَائِلَ طَامِعاً ، ... فنَجَوْتَ بَعْدَ تَعَرُّضٍ لوُقُوعِ
وتَرَكْتَنِي ظَمْآنَ أشرَبُ غُلّتِي ... أسَفاً عَلى ذاكَ اللَّمَى المَمْنُوعِ
قَلْبِي وَطَرْفي منكَ : هذا في حِمَى ... قَيظٍ ، وَهَذا في رِيَاضِ رَبِيعِ
كَمْ لَيْلَةٍ جَرّعْتَنَي في طُولِهَا ... غُصَصَ المَلامِ وَمُؤلِمَ التّقْرِيعِ
أبكي وَيَبسِمُ ، وَالدُّجَى مَا بَيْنَنَا ، ... حَتّى أضَاءَ بِثَغْرِهِ وَدُمُوعِي
تَفْلي أنَامِلُهُ التّرَابَ تَعَلّلاً ، ... وَأنَامِلِي في سِنّيَ المَقْرُوعِ
قَمَرٌ إذا استَخْجَلْتَهُ بعِتَابِهِ ، ... لَبِسَ الغُرُوبَ ، وَلَمْ يَعُدْ لطُلُوعِ
لَوْ حَيثُ يُستَمَعُ السِّرَارُ وَقَفْتُمَا ... لَعَجِبْتُمَا مِنْ عِزّهِ وَخُضُوعِي
أبْغي هَوَاهُ بِشَافِعٍ مِنْ غَيرِهِ ؛ ... شَرُّ الهَوَى مَا نِلْتَهُ بِشَفِيعِ
مَا كَانَ إلاّ قُبْلَةُ التّسْلِيمِ أرْ ... دَفَهَا الفِرَاقُ بِضَمّةِ التّوْدِيعِ
كَمَدِي قَدِيمٌ في هَوَاكَ ، وَإنّمَا ... تارِيخُ وَصْلِكَ كانَ مُذْ أُسْبُوعِ
أهوِنْ عليكَ إذا امتَلأتَ من الكَرَى ... أنّي أبِيتُ بِلَيْلَةِ المَلْسُوعِ
قَد كُنتُ أجزِيكَ الصّدودَ بِمِثْلِهِ ... لَوْ أنّ قَلبَكَ كانَ بَينَ ضُلُوعي

سلام على الأطلال

قال قدس الله روحه في التذكر والاشتياق في شهر ربيع الآخر سنة ٣٩٢ :

أقولُ وَما حَنّتْ بذي الأثلِ ناقَتي : قِري لا يَنَلْ منكِ الحَنينُ المُرَجَّعُ ١

تَحِنّينَ إلاّ أنّ بي لا بِكِ الهَوَى ، وَلي لا لكِ اليَوْمَ الخَليطُ المُوَدَّعُ

وَباتَتْ تَشَكّى تحتَ رَحلي ضَمانَةً ، كِلانَا ، إذاً ، يا ناقَ نِضْوٌ مُفَجَّعُ ٢

أحَسّتْ بنارٍ في ضُلوعي فأصْبَحَتْ يَخُبّ بِها حَرُّ الغَرَامِ وَيُوضِعُ

أرُوحُ بِفِتْيَانٍ خِماصٍ مِنَ الجَوَى ، لَهُمْ أنّةٌ في كُلّ دارٍ وَأدْمُعُ

إذا غَرّدَ الرّكْبُ الحَفيّ تَأوّهُوا ، لِمَا وَجَدُوا بَعدَ النّوَى وَتَوَجّعُوا

عَلى أبْرَقِ الحَنّانِ كَانَ حَنينُنَا ، وَبالجِزْعِ مَبكًى إنْ مَرَرْنا وَمَجزَعُ ٣

تَزَافَرَ صَحبي يَوْمَ ذي الأثْلِ زَفرَةً تَذُوبُ قُلُوبٌ مِنْ لَظَاها وَأدمُعُ

مَنازِلُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيهِنّ مُقلَةٌ ، وَلا جَفّ بَعدَ البَينِ فيهِنّ مَدمَعُ

فَمَدْمَعٌ عَلى بَالي الدّيَارِ مُفَرَّقٌ ، وَقَلْبٌ عَلى أهْلِ الدّيَارِ مُوَزَّعُ

أرَى اليأسَ حتّى تَعزِمَ النّفسُ سلوَةً ، وَيَرْجعَ بي داعي الغَرَامِ ، فأطمَعُ

١ قري ، أمر من وقر : أي كوني رزينة ، ذات وقار ، اثبتي .

٢ الضمانة : الداء .

٣ الأبرق : أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين . وأبرق الحنان : موضع .

ذكَرْتُ الحِمَى ذِكرَ الطّرِيدِ مَحَلّهُ ، يُذادُ مَذادَ العَاطِشَاتِ وَيُرْجَعُ
وَأينَ الحِمَى لا الدّارُ بالدّارِ بعدَهم ، وَلا مَرْبَعٌ بَعْدَ الحَنِينِ مُرَبَّعُ
سَلامٌ عَلى الأطْلالِ لا عَنْ جِنَايَةٍ وَإنْ كُنّ يأساً حِينَ لمْ يَبقَ مَطمَعُ
نَشَدْتُكُمُ هَلْ زَالَ مِنْ بَعدِ أهله زَرُودٌ ، وَرَامَتُهُ طُلُولٌ وَأَرْبُعُ
وَهَلْ أنبَتَ الوَادي العَقيقيُّ بَعدَهم ، وَبُدّلَ بالجِيرَانِ شِعْبٌ وَلَعْلَعُ[1]
فَيَا قَلْبِ إنْ يَفْنَ العَزَاءُ ، فَطالمَا عَهِدتُكَ بَعدَ الظّاعِنِينَ تَصَدَّعُ
وَقَدْ كانَ مِنْ قَلبي إلى الصّبرِ جانِبٌ ، فقَلبيَ ، بَعدَ اليَوْمِ ، للصّبرِ أجمَعُ
نَعَمْ عَادَني عِيدُ الغَرَامِ ، وَنَبّهتْ عَليّ الجَوَى دارٌ بِمَيْثَاءَ بَلْقَعُ
وَطَارَتْ بقَلبي نَفْحَةٌ غَضَوِيّةٌ ، يُنَفّسُها حالٌ مِنَ الرّوْضِ مُمرِعُ[2]
أصُدّ حَيَاءً للرّفَاقِ ، وَإنّمَا زِمَامي مُنْقَادٌ مَعَ الشّوْقِ طَيّعُ
نَظَرْتُ الكَثيبَ الأيمَنَ اليوْمَ نَظرَةً تَرُدّ إليّ الطّرْفَ يَدمَى وَيَدْمَعُ
وَرُبّ غَزَالٍ داجِنٍ في كِنَاسِهِ ، عَلى رُقْبَةِ الوَاشِينَ يُعطي وَيَمنَعُ
وَأحسِنُ في الوُدّ التّقَاضِي إذا لَوَى ، وَيَبْذُلُ مَنزُورَ النّوَالِ ، فأقْنَعُ
وَأيقَظْتُ للبَرْقِ اليَمانيّ صَاحِباً بذاتِ النّقَا يَخفَى مِراراً وَيَلمَعُ
تَعَرّضَ نَجدِيّاً ، وَأذكَى وَمِيضُهُ عَقيقَ الحِمَى منهُ مَعَانٌ وَأجْرَعُ[3]

---

١ الشعب : الطريق في الجبل ، مسيل الماء في الوادي . اللعلع : السراب .

٢ الغضوية : نسبة إلى الغضا وهو شجر صلب يبقى جمره زمناً طويلا لا ينطفىء . وأراد نفحة حامية كجمر الغضا .

١ المعان : المنزل . الأجرع : الأرض المستوية لا تنبت شيئاً .

أأنتَ مُعيني للغَليلِ بنَظرَةٍ ، فنَبكي على تلكَ اللّيالي ونَجزَعُ
مَعاذَ الهوَى لَوْ كُنتَ مثلي في الهوَى إذاً لدَعاكَ الشّوْقُ من حيثُ تَسمَعُ
هَناكَ الكرَى ، إنّي منَ الوَجدِ ساهرٌ ، وبُرْءُ الحَشَى ، إنّي من البَينِ مُوجَعُ
فَلا لُبَّ لي إلاّ تَماسُكُ ساعَةٍ ، وَلا نَوْمَ لي إلاّ النّعاسُ المُرَوَّعُ
تَصامَمَ عَنّي لاثِثاً فَضْلَ بُرْدِهِ ، وَلا يَحفِلُ الشّوْقَ النّؤومُ المُقَنَّعُ
طَوَتْكَ اللّيالي مِنْ رَفيقٍ كأنّهُ من العَجزِ يَرْبُوعُ المَلا المُتَقَصِّعُ[1]
يَنامُ على هَدّ الصَّفاةِ بَلادَةً ، إذا قامَ مِنْ نَبْذِ الحَصاةِ المُشَيَّعُ
ألا لَيتَ شِعرِي كُلُّ دارٍ مُشتَّتٌ ، ألا مَوْطِنٌ يَدنُو بشَمْلٍ وَيَجمَعُ
ألا سَلْوَةٌ تَنهَى الدّمُوعَ فتَنتَهي ، ألا مَوْرِدٌ يَرْوِي الغَليلَ فيُنقَعُ
فَصَبراً على قَرْعِ الزّمانِ وَغَمزِهِ ، وَهل يُنكِرُ الحِملَ الذّلُولُ المُوَقَّعُ
وَهَبتُ لَهُ ظَهرِي على عقرِ غارِبي ، فَكُلُّ زِمامٍ قادَني مِنهُ أتبَعُ
وكم ظَهرِ صَعبٍ عادَ بالذّلّ يُمتطى ، وَعِرْنينِ آبٍ باتَ بالضّيمِ يُقرَعُ
وَقُلْ للّيالي حامِلي ، أوْ تَحامَلي ، فلَمْ يَبقَ في قَوْسِ المَقاديرِ مَنزَعُ

١ اليربوع : نوع من الفأر قصير اليدين طويل الرجلين . المتقصع : الداخل في قاصعائه ، أي جحره .

غزال الرمل

قال رضي الله تعالى عنه :

أَلا يا غَزَالَ الرّملِ مِنْ بَطنِ وَجرَةٍ ، إلِلْوَاجِدِ الظّمْـآنِ مِنكِ شُرُوعُ
خَلا لكَ في الأحْشاءِ مَرْعًى تَرُودُهُ ، وَصَابَكَ مِنْ ماءِ الدّموعِ رَبيعُ
أَلا هَلْ إلى ظِلِّ الأثيلِ تَخَلّصٌ ؛ وَهَلْ لِثَنِيّاتِ الغُوَيْرِ طُلُوعُ
وَهَل بَلَيتْ خيمٌ على أيمَنِ الحِمى ، وَزَالَتْ لَنَا بالأبْرَقَينِ رُبُوعُ
وَهَلْ لِلَيَالِينَا الطّوَالِ تَصَرّمٌ ؛ وَهَلْ لِلَيَالِينَا القِصَارِ رُجُوعُ
ولَمْ أنسَ يَوْمَ الجِزْعِ حُسناً خَلَسْتُهُ بِعَيْنِي ، على أنّ الزّيالَ سَرِيعُ
وَلَمّا تَوَاقَفْنَا ذَهَلتُ ، ولَمْ يَحِنْ لِطَيْرِ قُلُوبِ العَاشِقِينَ وُقُوعُ
على حينَ أعدَتْ حَيرَتي قَلبَ صَاحبي فَرُحْنَا وَسَوْطَ العَامِرِيِّ مَضيعُ
حديثٌ يَضَلُّ القَلبُ عندَ استِماعِهِ ، فلَيسَ عَجيباً أنْ يَضَلّ قَطيعُ
عَشِيّةَ لي مِنْ رُقْبَةِ الحَيِّ زَاجِرٌ عَنِ الدّمْعِ ، إلاّ أنْ تَشُذّ دُمُوعُ
وَقَدْ أمَرَتْ عَيناكَ عَيْنيّ بالبُكَا ، فَقُلْ لِيَ : أيَّ الآمِرَينِ أُطيعُ

تسلى الغواني عنه

قال أيضاً قدس الله روحه :

تَشَاهَقْنَ لمّا أنْ رَأيْنَ بِمَفْرِقي بَياضاً كأنَّ الشّيبَ عندي من البِدَعْ
وَقُلْنَ : عَهِدنا فَوْقَ عاتِقِ ذا الفتى رِداءً مِنَ الحَوْكِ الرّقيقِ فَما صَنَعْ
ولَمْ أرَ عَضْباً عيبَ مِنهُ صِقَالُهُ ، وكانَ حَبيباً للقُلُوبِ عَلى الطّبَعْ
وَقالوا: غُلامٌ زَيّنَ الشّيْبُ رَأسَهُ ، فَبُعْداً لرَأسٍ زَانَهُ الشّيبُ وَالنَّزَعْ
تَسَلّى الغَوَاني عَنَهُ مِن بَعدِ صَبوَةٍ ، وَما أبعَدَ النّبتَ الهَشيمَ مِنَ النُّجَعْ
وَكُنَّ يُخَرّقْنَ السّجُوفَ إذا بَدَا ، فصِرْنَ يُرَقّعْنَ الخُرُوقَ إذا طَلَعْ

أين أيام سلع

قال قدس الله سره عند دخول الحجيج إلى مدينة السلام وذلك في شهر صفر سنة ٣٩٥ ، وهي من لواحق الحجازيات :

عَارِضَا بي رَكْبَ الحِجَازِ أُسَائِلْهُ: مَتى عَهدُهُ بسُكّانِ سَلْعِ
وَاستَمِلاّ حَديثَ مَن سَكَنَ الخَيْفَ وَلا تَكتُبَاهُ إلاّ بِدَمْعي

فَاتَنِي أنْ أرَى الدِّيَارَ بطَرْفِي ، فَلَعَلّي أرَى الدِّيَارَ بسَمعي
يا غزَالاً بَينَ النقَا وَالمُصَلّى ! لَيسَ تبقَى عَلى نِبَالِكَ دِرْعي
كُلّما سُلّ مِنْ فُؤادِيَ سَهْمٌ ، عادَ سَهمٌ لكُم مَضِيضَ الوَقْعِ
وَتَحَرّجتَ يَوْمَ رُحتَ حَرَاماً مِنْ عَطائي ، فَمَنْ أباحَكَ مَنعي
مَنْ مُعِيدٌ أيّامَ سَلْعٍ عَلى مَا كانَ مِنهَا ، وَأينَ أيّامُ سَلْعِ
طَالِبٌ بالعِرَاقِ يَنْشُدُ ، هَيْهَا تَ ، زَمَاناً أضَلّهُ بالجِزْعِ

عفة لا تعفف

قال أيضاً في الغزل :

وَقَفْتُ بِرَبْعِ العَامِرِيّةِ وَقْفَةً ، فَعزّ اشتِياقي ، وَالطُّلُولُ خَوَاضِعُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ بِتْنَا عَلى غَيرِ رِيبَةٍ ، عَلَيْنَا عُيُونٌ للنُّهَى وَمَسَامِعُ
نَفُضّ حَدِيثاً عَنْ خِتَامِ مَوَدّةٍ ، مَعَاقِلُهَا أحْشَاؤنَا وَالأضَالِعُ
يَكَادُ غُرَابُ اللّيْلِ عِندَ حَدِيثِنَا يَطِيرُ ارْتِيَاحاً وَهوَ في الوَكْرِ وَاقِعُ
خَلَوْنَا فَكَانَتْ عِفّةٌ لا تَعَفّفٌ ، وَقَدْ رُفِعَتْ في الحَيّ عَنّا المَوَانِعُ
سَلُوا مَضْجَعي عَنّي وَعَنْهَا ، فإنّنَا رَضِينَا بِمَا يُخبِرْنَ عَنّا المَضَاجِعُ

الليالي معطيات موانع

قال قدس الله روحه :

لِقَلْبي بِغَوْرِيّ البِلادِ لُبَانَةٌ ، وَإنْ كُنْتُ مَسْدُوداً عَلَيّ المَطالِعُ
لَعَلّيَ أعْطَى ، وَالأمَانيُّ ضِلّةٌ ، وَإنّ اللّيَالي مُعطِيَاتٌ مَوَانِعُ
مَبيتيَ في أثْوَابِ ظَمْيَاءَ ، لَيلَةً ، بِوَادي الغَضَا وَالعَاذِلُونَ هَوَاجِعُ
وَمَا نُطْفَةٌ مَشْمُولَةٌ بِمَجَمّةٍ وَعَاها صَفاً مِنْ آمِنِ الطّوْدِ فارِعُ
من البِيضِ لَوْلا بُرْدُها قُلتُ: دَمعَةٌ مُرَنَّقَةٌ مَا أسلَمَتْهَا المَدامِعُ
بِأعْذَبَ مِمّا نَوّلَتْنيهِ مَوْهِناً ، وَقَدْ شِيمَ بالغَوْرِ النّجومُ الطّوَالِعُ
أرَى بَعدَ وِرْدِ المَاءِ في القَلْبِ غُلّةً إلَيكَ ، عَلى أنّي مِنَ المَاءِ نَاقِعُ
وَإنّي لأقْوَى ما أكُونُ طَمَاعَةً ، إذا كَذّبَتْ فيكَ المُنى وَالمَطامِعُ

القوافي المضيئة

قال وكتب بها إلى بعض أصدقائه
وقد سأله إنفاذ شيء من شعره
ليقرأه وهو بكر بن محمد بن علي
ابن شاهويه :

تُجَمْجِمُ بالأشْعَارِ كُلُّ قَبِيلَةٍ ، وَفي القَوْلِ مَحفُوظٌ عَلَيها وَضَائِعُ
وكُلُّ فتًى بالشِّعْرِ تَجلُو هُمُومُهُ ، وَيَكتُبُ مَا تُملي عَلَيهِ المَطامِعُ
وَشِعرِيَ تَختَصّ القُلُوبُ بحِفْظِهِ ، وَتَحظَى بهِ دونَ العُيُونِ المَسامِعُ
وَأوْلَى بِهِ مَنْ كانَ مِثلَكَ حازِماً ، يُذَبِّبُ عَنْ أطْرَافِهِ وَيُقَارِعُ
سَتَظْفَرُ مِنْ نَظْمي بكُلّ قَصِيدَةٍ ، كَمَا حَلّتِ اللّيلَ النّجومُ الطّوَالِعُ
تُضِيء قَوَافِيهَا وَرَاءَ بُيُوتِهَا ، طِرَاقاً، كَمَا يَتلُو النّصُولَ القَبَائِعُ[1]
إذا هَزّهَا السُّمّارُ طَارَ لهَا الكَرَى ، وَهَزّتْ جُنُوبَ النّائِمينَ المَضَاجِعُ
وَغَيرُكَ يَعمَى عَن مَعانٍ مُضِيئَةٍ ، كما تَقبِضُ اللّحظَ البُرُوقُ اللّوَامِعُ
وَمَا كُلُّ مَمْدُوحٍ يَلَذُّ بِمَدْحِهِ ، ألا بَعْضُ أطْوَاقِ الرّقابِ جَوَامِعُ[2]

١ القبائع ، الواحدة قبيعة : ما على طرف مقبض السيف من فضة أو غيرها .
٢ الجوامع : الأغلال .

له الويل !

الذئب

وَعارِي الشَّوَى وَالمَنكِبَيْنِ من الطَّوَى، أُتيحَ لَهُ بِاللّيلِ عاري الأشاجِعِ[1]
أُغَيْبِرُ مَقْطُوعٌ مِنَ اللّيلِ ثَوْبُهُ، أنيسٌ بِأطْرافِ البِلادِ البَلاقِعِ
قَليلُ نُعَاسِ العَيْنِ إلاّ غَيابَةً تَمُرُّ بِعَيْنَيْ جائمِ القَلْبِ جائعِ
إذا جَنّ لَيلٌ طارَدَ النَّوْمَ طَرْفُهُ، وَنَصٌّ هُدَى ألحاظِهِ بالمَطامِعِ[2]
يُرَاوِحُ بَيْنَ النّاظِرَيْنِ إذا التَقَتْ عَلى النَّوْمِ أطْباقُ العُيُونِ الهَوَاجِعِ
لَهُ خَطْفَةٌ حَذّاءُ مِنْ كُلّ ثَلّةٍ، كَنَشْطَةِ أقنى يَنفُضُ الطَّلَّ وَاقِعِ[3]
ألَمّ، وَقَدْ كادَ الظّلامُ تَقَضّياً، يُشَرِّدُ فُرّاطَ النُّجُومِ الطّوالِعِ[4]
طَوَى نَفسَهُ وَانسابَ في شَمْلَةِ الدُّجى، وَكُلُّ امرِىءٍ يَنقادُ طَوْعَ المَطامِعِ
إذا فَاتَ شَيءٌ سَمْعَهُ دَلّ أنْفُهُ، وَإنْ فَاتَ عَيْنَيْهِ رَأى بالمَسامِعِ
تَطَالَعَ حَتّى حَكّ بالأرْضِ زَوْرَهُ، وَرَاغَ، وَقَدْ رَوّعتُهُ، غيرَ طَالِعِ
إذا غالَبَتْ إحدَى الفَرائِسِ خَطْمَهُ، تَدارَكَها

1 الشوى ، الواحدة شواة : جلدة الرأس ، أو اليدان ، أو الرجلان أو الأطراف . الأشاجع ، الواحد أشجع : هي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف . وعاري الأشاجع : كناية عن القوي .
2 نص : استخرج .
3 الأقنى : البازي .
4 الفراط : السوابق .

جَرِيٌّ يَسُومُ النَّفسَ كلَّ عَظيمَةٍ ، وَيَمضِي إذا لم يَمضِ مَن لم يُدافِعِ
إذا حافَظَ الرَّاعي عَلى الضَّأنِ غَرَّهُ خَفيٌّ السُّرَى لا يَتَّقي بالطِّلاءِ
يُخادِعُهُ مُسْتَهزِئاً بِلِحاظِهِ ، خِداعَ ابنِ ظَلماءٍ كثيرِ الوَقائِعِ
وَلَمَّا عَوَى وَالرَّمْلُ بَيْني وَبَيْنَهُ تَيَقَّنَ صَحبي أنَّهُ غَيرُ رَاجِعِ
تَأوَّبَ ، وَالظَّلْمَاءُ تَضْرِبُ وَجهَهُ إلَيْنَا ، بِأذْيَالِ الرِّيَاحِ الزَّعَازِعِ
لَهُ الوَيلُ مِنْ مُستَطعِمٍ عادَ طُعمةً لِقَوْمٍ عِجَالٍ بالقِسِيِّ النَّوَازِعِ

القلم الجوّال

وله من قصيدة قالها في صفة القلم :

لكَ القَلَمُ الجَوّالُ إذْ لا مُثَقَّفٌ يَجُولُ وَلا عَضْبٌ تُهابُ مَوَاقِعُهْ
سَوَاءٌ إذا غَشَّيتَهُ النِّقسَ رَهبَةً ، وَذُو لَهذَمٍ غُشِّيَ من الدّمِ رَادِعُهْ
يُلَجلِجُ مِن فَوْقِ الطُّرُوسِ لِسانُهُ ، وَلَيسَ يُؤدّي ما تَقولُ مَسامِعُهْ
وَيَنطِقُ بالأسرارِ حتّى تَظُنُّهُ حَوَاها ، وَصِفرٌ من ضَميرٍ أضَالِعُهْ
إذا اسوَدّ خَطْبٌ دونَه وَهوَ أبيَضٌ ، يُسَوَّدُ ، وَابيَضّتْ عَلَيهِ مَطالِعُهْ

ولا قرن ...

ومنها في صفة الطعن

وَلاقِرْنَ إلاّ أدمعَ الطّعنُ نَحرَهُ ، وَما غَسَلَتهُ بالدّمُوعِ مَدامِعُهْ
وَيَوْمٍ كأنّ السّمهَرِيّ عيُونُهُ إلى المَوْتِ، وَالنّقعُ المُثارُ بَرَاقعُهْ
يُخَرَّقُ منه كلُّ جِلبابِ مُهجَةٍ ، على أنّهُ في مَنظَرِ العَينِ رَاقِعُهْ

النجوم فواقع

ومنهـا في صفة الليل

وَلَيلٍ كجِلبابِ الشّبابِ رَقَعتُهُ بصُبحٍ كجِلبابِ المَشيبِ طَلائِعُهْ
كَأنّ سَمَاءَ اليَوْمِ مَاءٌ أثَارَهُ من اللّيلِ سَيلٌ ، فالنّجومُ فوَاقعُه

سماع كالإسماع

وسئل في ذم مغن بارد قبيح الوجه فقال :

وَمُرَوِّعٍ لي بالسّلامِ ، كأنّما ... تَسليمُهُ فيمَا يَمُضّ وَداعُ
تَغْنَى بمَنظَرِهِ العُيونُ إذا بَدا ، ... وَتَقيءُ عندَ غِنائِهِ الأسماعُ
أبِذاكَ نَستَشفي ، وَمِنْ نَغَماتِه ... تَتَوَلّدُ الآلامُ وَالأوْجَاعُ
أمْ كَيفَ يُطرِبُنَا غِنَاءُ مُشَوَّهٍ ... أبَداً نُهَالُ بِوَجْهِهِ وَنُرَاعُ
نَزْوِي الوُجُوهَ تَفادِياً من صَوْتِه ، ... حتّى كأنّ سَمَاعَهُ إسْمَاعُ[1]
وَكأنّ ضَرْبَ بَنانِه ضرْبُ الطُّلى ، ... وَكَأنّمَا إيقَاعُهُ إيقَاعُ
أشهَى إلَينا من غِنائِكَ مَسمَعاً ... زَجَلُ الضّرَاغِمِ بَينَهُنّ قِرَاعُ

آروم انتصافي

قال أيضاً قدس الله روحه :

أرُومُ انتِصَافي مِنْ رِجَالٍ أبَاعِدٍ ، ... وَنَفسيَ أعدَى لي من النّاسِ أجمَعَا
إذا لم تكُنْ نَفسُ الفَتَى من صَديقِهِ ... فَلا يُحدِثَنْ في خِلّةِ الغَيرِ مَطمَعَا

---

١ الاسماع : الشتم .

بضائع القول

قال أيضاً قدس الله سره :

سيُسكِتُني يأسي ، وَفي الصّدرِ حاجةٌ ، كمَا أنطقَتْني وَالرّجالَ المَطامِعُ
بَضَائِعُ قَوْلٍ عِندَ غَيرِيَ رِبحُهَا وَعِنديَ خُسْرَانَاتُهَا وَالوَضَائِعُ
غرَائبُ لوْ هُدّتْ على الطّوْدِ ذي الصّفا أصَاخَ إليهَا يَذْبُلٌ وَالقَعاقِعُ[1]
تُضَاعُ كما ضَاعَتْ خَلاةٌ بِقَفْرَةٍ ، زَفَتْهَا النُّعامَى وَالرّيَاحُ الزّعَازِعُ[2]
كَأنّ لِسَاني نِسْعَةٌ حَضرَميّةٌ ، طَوَاها ، ولَمْ تَبلُغْ لهَا السّوْمَ ، بائِعُ
لقَدْ كان لي عن باحَةِ الذّلّ مَذهَبٌ ، وَمُضْطَرَبٌ عن جانبِ الضّيمِ واسِعُ
وَمَا مُدّ مَا بَيْني وَبَينَ مَذاهِبي حِجَازٌ ، وَلا سُدّتْ عَليّ المَطالعُ
أكُنْ ثَنائي وَابنُ فَعلاءَ مُعرِضٌ ، لَئِن أنتَ لمْ تَسمَعْ فعِرْضُك سامِعُ
وَلَوْ ماجزَيتُ القَرْضَ بالعِرْضِ لمْ يضِعْ ، فإنّ النّدى عند الكِرَامِ وَدائِعُ
سَيُدْرَى مَنِ المَغبُونُ مِنّا وَمنكُمُ إذا افترَقَتْ عَمّا تَقولُ المَجامِعُ
وَهَلْ تَدّعي حِفظَ المَكارِمِ عِصْبَةٌ لِئَامٌ ، وَمِثْلي بَينَها اليَوْمَ ضَائِعُ
نَعَمْ لَستُمُ الأيدي الطّوَالَ فعاوِنُوا على قَدرِكُم ، قَد تُستَعانُ الأصَابِعُ
إذا لمْ يكُنْ وَصْلي إلَيكُمْ ذَرِيعَةً ، فَيا لَيتَ شِعرِي ما تكونُ الذّرَائِعُ

[1] هدت : صوتت . يذبل : جبل . القعاقع : موضع
[2] خلاة : عشبة .

أرَى بارِقاً لمْ يرُوِني ، وَهوَ حاضِرٌ ، فَكَيْفَ أُرَجّي رَيّهُ ، وَهوَ شاسِعُ
وَأخلَفَ شَيمي كُلّ بَرْقٍ أشيمُهُ ، فَلا النّوْءُ مَرْجُوٌّ وَلا الغَيثُ وَاقِعُ
سأذهَبُ عَنكُمْ غَيرَ باكٍ عَلَيكُمْ ، وَمَا ليَ عُذْرٌ أنْ تَفيضَ المَدامِعُ
وَأهجُرُكُمْ هَجرَ المُفيقِ من الهَوَى خَلا القَلبُ منهُ وَاطمَأنّ المَضَاجِعُ
وَأعْتَدٌّ فَتجاً أنْتُمُ مِنْ حِلالِهِ ، ثَنِيّةَ خَوْفٍ ، مَا لهَا اليَوْمَ طالِعُ
وَما مَوْقفي وَالرّكبُ يرْجو على الصّدى مَوَارِدَ قَدْ نَشّتْ بهِنّ الوَقَائِعُ
أُفَارِقُكُمْ لا النّفسُ وَلهَى عليكُمُ وَلا اللّبّ مَخلوسٌ وَلا القلبُ جازِعُ
وَلا عاطِفاً جِيدِي إلَيكُمْ بِلَفْتَةٍ من الشّوْقِ ما سارَ النّجومُ الطّوَالِعُ
وَلا ذاكِراً مَا كانَ بَيْني وَبَيْنَكُمْ مُرَاجَعَةً ، إنّ المُحِبّ المُرَاجِعُ
نَبَذْتُكُمُ نَبْذَ المُخَفِّفِ ثِقْلَهُ ، وَإنّي لحَبْلٍ مُنّةِ الغَدْرِ قَاطِعُ

غربان الناس

قال في معنى مثله :

مَا أخطَأتْكَ سِهَامُ الدّهرِ رَامِيَةً ، فَمَا أُبَالي مِنَ الدّنْيَا بِمَنْ تَقَعُ
النّاسُ حَوْلَكَ غِرْبانٌ على جِيَفٍ ، بُلهٌ عن المَجدِ إن طارُوا وَإن وَقَعُوا
فَمَا لَنَا فيهِمُ ، إنْ أقبَلُوا ، طَمَعٌ ؛ وَلا عَلَيهِمْ ، إذا ما أدبَرُوا ، جزَعُ

٣ المنة : القوة .

العيش نومة

قال رضي الله عنه في غرض آخر

يَقولونَ ماشِ الدّهرَ من حيثُ ما مشَى ، فكَيْفَ بماشٍ يَسْتَقيمُ وَأظْلَعُ
وَمَا وَاثِقٌ بالدّهرِ إلاّ كرَاقِدٍ على فضْلِ ثوْبِ الظّلّ وَالظلُّ يُسرِعُ
وَقالُوا : تَعَلّلْ ! إنّما العَيشُ نوْمةٌ يُقَضّى وَيَمضِي طارِقُ الهَمّ أجمَعُ
وَلَوْ كانَ نَوْماً ساكِناً لَحَمِدْتُهُ ، وَلَكِنّهُ نَوْمٌ مَرُوعٌ مُفَزّعُ

منظر ونغم

قال على البديهة يصف مجلساً :

وَلَرُبّ يَوْمٍ هَاجَ مِنْ طَرَبي ، وَلَقَدْ يَضِيقُ بغَيرِهِ ذَرْعي
مِنْ مَنظَرٍ حَسَنٍ ، وَمن نَغَمٍ ، نَدْعُوهُ قيدَ العَينِ وَالسّمْعِ
لَمّا أظَلَّ اللّيلُ مَجْلِسَنَا طُعِنَ الدُّجَى بِأسِنّةِ الشّمْعِ

عميدك السيف

عَمِيدُكَ السَّيفُ الذي لمْ يزَلْ ... دُونَكَ مَدْلُولاً على ـبِ
يُرْضيكَ في هَدم رِقابِ العِدَى ... وَفي بِناءِ الحَسَبِ الأرْفَعِ
طَاوٍ مِنَ المَاءِ خَميصُ الحَشَى ، ... قَد طَمّعَ النّاسَ ، وَلمْ يَطمَعِ

ينبوع الظبى

خلَطُوا الصّوَارِمَ بالقَنَا ، وَتَعَمّموا ... بالبِيضِ ، وَاجتابُوا العَجاجَ دُرُوعَا
قَوْمٌ إذا هتَفَ الصّرِيخُ بِنَصْرِهِمْ ... فَجَرُوا عَلَيهِ من الظُّبَى يَنبُوعَا

شرس

شَرِسٌ تيَقَّظُهُ تيَقُّظُ خائِفٍ ، ... وَفِعَالُ نَجدَتِهِ فِعَالُ شُجاعِ
وَمُدَرَّبِينَ عَلى اللّقاءِ كَأنّهُمْ ... لمْ يُخْلَقُوا إلاّ لِيَوْمِ قِرَاعِ

لكل امرىء نفسان

لكُلّ امرِىءٍ نَفسانِ : نَفسٌ كَرِيمةٌ ، وَأُخرَى يُعاصِيهَا الفَتَى أوْ يُطِيعُهَا
وَنَفْسُكَ مِنْ نَفسَيكَ تَشفَعُ للنّدى إذا قَلّ مِنْ أحرَارِهِنّ شَفِيعُهَا

وضلعاء

وَضَلْعاءَ مِنْ مُظْلِماتِ الخُطُوبِ عَمياءَ لَيسَ لهَا مَطْلَعُ
يَكَادُ وَجِيبُ قُلُوبِ الرّجَالِ مِنْ خَوْفِ مَكرُوهِها يُسمَعُ

برقع الغرّة

قال في صفة فرس :

وَمَنْسُوبَةٍ مِنْ بَنَاتِ الوَجِيهِ تَحْسَبُ غُرّتَهَا بُرْقُعَا
مُكَرَّمَةِ الخَدّ تَحْتَ الطِّرافِ يَلْطِمُ لاطِمُهَا أرْبَعَا

الود المتصنع

وكتب إلى بعض أصدقائه :

تَضيقُ صُدورُ العَتبِ، وَالعُذرُ أوْسعُ، ... وَيَجمَحُ طَرْفُ الهَجرِ وَالوِدُّ أطْوَعُ
لكَ اللهُ مِنْ قَلْبٍ مَلاهُ وَفَاؤهُ ، ... فَلَيْسَ لِعُذْرٍ في نَوَاحِيهِ مَرْتَعُ
وَلي خَاطِرٌ مَا إنْ سَلَكتُ مَضَاءَهُ ... عَلى الهَمّ إلاّ كَادَ في الدّهرِ يُقطَعُ
إلَيكَ فَما تَظمَا إلى الغَدرِ هِمّتي ، ... إذا مَا سَقَاني مِنْ وَدادِكَ مَشرَعُ
وَلَكِنّني في مَعْشَرٍ حَلْيُ وُدّهِمْ ... إذا مَا اجتَلَتْهُ النّائِبَاتُ التّصَنّعُ
إذا رَكَضَتْ أقوَالُهُمْ في مَسَامِعي ... على العُذرِ جاءتْ خَاطِري وَهيَ ظُلَّعُ
لحَا اللهُ هَذا الدّهرُ سَيفاً عَلى المُنى ، ... أُوَصِّلُ آرَابي بِهَا وَيُقَطِّعُ
إذا شِمتُ مِنهُ بَارِقَ العَزْمِ رَدّني ... كَليلَ لِحَاظِ النّاسِ وَالخَطبُ يَهمَعُ
صَحِبتُ الرّجالَ الخابِطِينَ إلى العُلى، ... فَثَبّطَني لُؤمُ الزّمَانِ وَأُسْرِعُ[1]
أمَا ليَ مِنْ حَظّ المَكَارِمِ أنْ أرَى ... سَرِيعاً إلى داعي العُلى حينَ يَسمَعُ
تَرُدّ سِهَامي الحَادِثَاتُ طَوَائِشاً ، ... وَفي قَوْسِ عَزْمي لَوْ تَبَوّعَ مَنزِعُ[2]
أُصَرّفُ فَهمي ، وَالمَقَاوِلُ شُرّعٌ ، ... وَأملِكُ حِلْمي ، وَالعَوَامِلُ شُرّعُ

١ ثبطني : أخرني .
٢ تبوع : امتد .

مهتزة العرنين

قال قدست نفسه الزكية في سكين أهديت إليه :

وَمُهْتَزَّةِ العِرْنِينِ رَقْرَاقَةِ السَّنَا ، تُنَاسِبُ مُسْتَنَّ البُرُوقِ اللَّوَامِعِ
أفَاضَ عَلى أعطَافِها القَيْنُ حُلَّةً ، تُفَضْفَضُ في مثلِ النّجومِ الطّوَالِعِ [1]
فَجَاءَتْ بجِسْمٍ يَمْلأُ العَيْنَ بَهجةً إذا مَا اجتَلاها حاسِرٌ مثلُ دارِعِ
يُحَيّا بِهَا مَنْ لَمْ تُحَيِّ يَمِينُهُ بغَيرِ العَوَالي ، وَالسّيوفِ القَوَاطِعِ
أحَدُّ مِنَ العَذْلِ المُطِلِّ علىالهَوَى ، وَأرْهَفُ من غَرْبِ النّوَى في المَقاطعِ

الثراء بالقناعة

وكتب إلى بعض أصدقائه

مُقِيمٌ مِنَ الهَمّ لا يُقْلِعُ ، وَمَاضٍ مِن العَيشِ لا يَرْجِعُ
وَيَوْمٌ أشَمُّ بِإقْبَالِهِ ؛ وَيَوْمٌ بِإدْبَارِهِ أجْدَعُ
لأخفَقَ مَنْ عَلِقَتْ بالمُنى يَدَاهُ ، وَأثْرَى الذي يَقْنَعُ

تفضفض : توسع .

وَمَا الذّلّ إلاّ خِداعُ اللّئيمِ ، وَالحُرُّ بالذّلّ لا يُخْدَعُ
رَأيْنَا الرّجاءَ عَلَى نَأيِهِ ، رِشَاءً ، وَكُلٌّ يَدٍ تَنْزِعُ
بُلِيتُ ، وَغَيرِيَ لا يُبْتَلَى ، بِأمْرَيْنِ مَا فِيهِمَا مَطْمَعُ
بِدَهْرٍ ألُومُ ، وَلا يَرْعَوِي ، وَمَوْلًى أقُولُ ، وَلا يَسمَعُ
وَإنّي ، إذا ما استَطالَ الزّمانُ أنْجَدَنّي صَاحِبٌ أرْوَعُ
وَنَفْسٌ عَلى صَبْرِهَا مُرّةٌ ، وَقَلْبٌ عَلى رَأيِهِ مُجْمِعُ
أخُوضُ بِهِ كُلّ دَوّيّةٍ ، يَزِلُّ بِهَا الخفُّ أوْ يَظْلَعُ[1]
بِكُلّ مُقَلَّدَةٍ بِالنّسُوعِ كأنّ اللُّغَامَ لهَا بُرْقُعُ
يَصِيحُ الحَصَى تَحتَ أخفَافِها، فُنُوناً ، وَيَصْطَخِبُ اليَرْمَعُ
وَإنّيَ لأُوعِبُ في جِلْدِهَا ، وَللرّكْبِ هَمْلَجَةٌ زَعْزَعُ
أُقِيمُ وَخَدُّ الضّحَى أبْيَضٌ ، وَأسرِي وَوَجْهُ الدُّجَى أسفَعُ
وَأمْضِي،إذا بَلَدَ المُستَغِيرُ ، وَهَابَ الثّنِيّةَ مَنْ يَطلُعُ
وَأُشْلِي عَلى المُقْرَبَاتِ السِّيَاطَ، إذا ضَمّهَا البَلَدُ البَلْقَعُ[2]
وَأُورِدُهَا الخِمسَ في لُجْمِها، تَبَرّضُ مَا ألِفَتْ تَكْرَعُ
تَعَجّبُ مِنْهَا وُحُوشُ الفَلاةِ ، تَسْرِي ، وَأسرَابُهَا رُتّعُ
أرَى النّوْمَ يَنْبُو بِهِ نَاظِرِي ، وَكُلُّ العُيُونِ لَهُ مَرْبَعُ
وَمَن ضَاقَتِ الأرْضُ عَن هَمّهِ حَرٍ أنْ يَضِيقَ بِهِ مَضْجَعُ

١ الدوية : الفلاة .
٢ أشلي : أرفع .

لَئِنْ كَانَ أحزَنَ بي مَنْزِلٌ ، فمِنْ قَبْلُ أمرَعَ لي مَرْتَعُ
عَلى أنّني عِنْدَ عَضّ الزّمانِ ، صَفَاةٌ يَضَنّ بِهَا المَقْطَعُ
لَقَدْ عَافَ أمْوالَهُ مَن يَجُودُ ، وَقَدْ طَلّقَ النّفسَ مَن يَشجُعُ
وَأبْيَضَ يَوْمَ الوَغَى حَاسِرٍ ، تَرَدّى بِقَائِمِهِ الدُّرَّعُ
تَحُفّ مَضَارِبُهُ مَاءَهُ ، كَمَا حَفّ وَادِيَهُ الأجْرَعُ
وَأسْمَرَ يَهْتَزّ في رَاحَتي ، كمَا هزّتِ القَلَمَ الإصْبَعُ
وَزُغْفٍ تَحَدّرُ عَنْ بَيْضَةٍ ، كَأنّ الأغَمّ بِهَا أنْزَعُ
يُذَلّلُ لي سَطَوَاتِ الزّمَانِ سَيفي ، وَمِثلِيَ لا يَخْضَعُ
تَطَاوَلْتُ للبَرْقِ لَمّا سَرَى ، وَعُنْقي إلى مِثْلِهِ أتْلَعُ[1]
فَمَا لِيَ لا أسْتَعِيدُ الجَوَى ، وَقَدْ لاحَ لي بَارِقٌ يَلْمَعُ
وَأبْذُلُ قَلْباً بِأمْثَالِهِ تَضَنّ الجَوَانِحُ وَالأضْلُعُ
ألا إنّ قَلْبَ الفَتَى مُضْغَةٌ ، تَضُرّ ، وَلَكِنّهَا تَنْفَعُ
وَأبْلَجَ أعْدَدْتُهُ للخُطُوبِ طَوْداً ، إلى ظِلّهِ أرْجِعُ
كَرِيمِ الوَفَاءِ أمينِ الإخَاءِ بَاقٍ عَلى العَهْدِ لا يُقْلِعُ
سَرِيعٍ إلى دَعْوَتي في الأمُورِ، إنّي إلى صَوْتِهِ أسْرَعُ
جَلَوْتُ بهِ الدّمعَ عَنْ نَاظِرِي، وَكَانَ عَلى غَيرِهِ يَدْمَعُ
وَكَفكَفتُ عَمّنْ سِوَاهُ يَدي، وَكنتُ أرَى المَاءَ لا يُشْبِعُ
دَعَوْتُكَ يا نَاصِرِي في الهَوَى، وَكَانَ إلى وُدّكَ المَفْزَعُ

---

[1] أتلع : طويل .

أتَاني . أنّكَ طَوّحْتَ بالـ زّيَارَةِ عَنْ عَارِضٍ يَقْطَعُ
لقَدْ نالَ شَكوَاكَ من مُهجَتي ، كمَا نَالَ مِنْ عِرْقِكَ المِبْضَعُ
دَمٌ جَاشَ شُؤبُوبُه عَنْ يَدٍ ، يُقَلّبُهَا البَطَلُ الأرْوَعُ
مُفِيضٌ وَلَكِنّهُ غَايِضٌ ، وَخَرْقٌ وَلَكِنّهُ يُرْقَعُ
وَلَوْ أنّ لي فُسْحَةً في الزّمَانِ جَاءَكَ بي القَدَرُ الأسْرَعُ
وَإنْ غِبْتُ عَنْكَ ، فَإنّ الفُؤادَ عِندَكَ مَا فَاتَهُ مَوْضِعُ
يَعُوجُ عَلَيْكَ فَلا يَنْثَني ، وَيَشْرَبُ مِنْكَ فَلا يَنْقَعُ
وَإنّي لَتَعْطِفُني المُطْمِعاتُ عَلَيكَ ، كمَا عُطِفَ الأخْدَعُ[1]
وَلَوْلاكَ لمْ أعْتَرِفْ بالغَرَامِ ، وَلا قيلَ إنّ الفَتَى مُوجَعُ
وَمَا فَضْلُ شَوْقِيَ لَوْلا البُكَاءُ ، وَالشّوْقُ عُنوَانُهُ الأدْمُعُ

[1] الأخدع : عرق في العنق .

حرف الغين

شغلت بكن النفس

لَئِنْ قَرّبَ اللهُ النّوَى بَعْدَ هَذِهِ ، وَكَانَ لِرَوْحَاتِ المَطِيّ بَلاغُ
شَغَلْتُ بِكُنّ النّفسَ عن كلّ حاجةٍ ، وَهَيهاتَ مِنْ شُغْلٍ بِكُنّ فَرَاغُ
وَلَيْسَ لِبَرْدِ المَاءِ لَمْ تَشْرَبي بِهِ إلى القَلْبِ مِنّي، يا أُمَيْمَ، مَسَاغُ

ديوان الشريف الرضي

الشريف الرضي ٥

ء ـ ا

جزاء أمير المؤمنين ثنائي ٩
بهاء الملك من هذا البهاء ١٣
أيا لله أي هوى أضاء ١٨
أي العيون تجانب الأقذاء ٢١
أبكيك لو نقع الغليل بكائي . . . ٢٦
أترى السحاب إذا مرت عشراؤه . . . ٣٠
ما لي أودع كل يوم ظاعناً ٣٤
حي بين النقا وبين المصلى ٣٥
خطوب لا يقاومها البقاء ٣٦
تعيرني فتاة الحي أني ٣٩
رضينا الظبى من عناق الظبا ٤٠
كربلا لا زلت كرباً وبلا ٤٤
أشكو إلى الله قلباً لا قرار له ٤٨
كريم له يومان قد كفلا له ٤٩
لو كان قرنك من تعز بمنعه ٤٩
رجعت بهن دوامي الصفاح ٤٩
وهل أنجدن بعبدية ٥٠
غداً يهدم المجد المؤثل ما بنى ٥٠

ب

لو على قدر ما يحاول قلبي . . . ٥١
يد في قائم العضب ٥٣
حبيا دون الكثيب ٥٧
ما يصنع السير بالجرد السراحيب . . ٦١
أشوقاً وما زالت لهن قباب . . . ٦٤
أماني نفس ما تناخ ركابها . . . ٦٩
ترى نوب الأيام ترجي صعابها . . ٧٢
طلوع هداه إلينا المغيب ٧٥
لغام المطايا من رضابك أعذب . . ٧٩
مثواي إما صهوة أو غارب . . . ٨٤
ألا حيها رب العلى من غوارب . . ٨٨
أرابك من مشيبي ما أرابا . . . ٩٣
لكل مجتهد حظ من الطلب . . . ٩٨
ألان جوانبي غمز الخطوب . . ١٠٢
وفى ذا السرور بتلك الكرب . . ١٠٥
لأشكرنك ما ناحت مطوقة . . . ١٠٧
لغير العلى مني القلى والتجنب . . ١٠٧
المجد يعلم أن المجد من أربي . . ١١٢
ألا لله بادرة الطلاب ١١٣
إنا نعيب ولا نعاب ١١٧
دوام الهوى في ضمان الشباب . . ١٢١

أغدراً يا زمان ويا شباب ١٢٤
أثرها على ما بها من لغب ١٢٨
هل الطرف يعطي نظرة من حبيبه . . ١٣٢
كان قضاء الإله مكتوبا ١٣٥
كذا يهجم القدر الغالب ١٣٨
من اي الثنايا طالعتنا النوائب . . ١٤٢
لنا كل يوم رنة خلف ذاهب . . ١٤٦
أي دموع عليك لم تصب ١٥١
لا لوم للدهر ولا عتابا ١٥٤
لأظما معلينا وأروى المصائبا . . ١٥٦
يا دين قلبك من بارق ١٥٩
أودع في كل يوم حبيبا ١٦٤
لو كان يعتبني الحمام ١٦٨
اذهب ولا تبعدن من رجل ١٦٨
على أي غرس آمن الدهر بعدما . . ١٦٩
ما الهموم كأنها ١٧٠
أقول وقد أرسلت أول نظرة . . ١٧١
أيا شاكياً مني لذنب جنيته . . . ١٧١
لا والذي قصد الحجيج لبيته . . ١٧٢
إن طيف الحبيب زار طروقاً . . ١٧٢
حلفت بأعلام المحصب من منى . . ١٧٣
يقر بعيني أن أرى لك منزلا . . ١٧٤
أغيب فأنسى كل شيء سوى الهوى . ١٧٦
هل ناشد لي بعقيق الحمى . . . ١٧٦
وشممت في طفل العشية نفحة . . ١٧٧
رماني كالعدو يريد قتلي . . . ١٧٨
أي عيد من الهوى عاد قلبي . . ١٧٨
ألا أيها الركب اليمانون عهدكم . ١٧٩
يا ريم ذا الأجرع يرعى به . . . ١٧٩
لا يبعدن الله برد شبيبة . . . ١٨٠
ولقد مررت على ديارهم . . . ١٨١
ولقد أكون من الغواني مرة . . ١٨١
غداً في الجيرة الغادين لبي . . . ١٨٢
تمل من التصابي حين تمسي . . ١٨٣
الدمع مذ بعد الخليط قريب . . . ١٨٣
سأصبر إن الصبر مر صدوره . . ١٨٤
وأبيض كالنصل من همه . . . ١٨٤
أبرا إلى المجد من حرصي على الطلب . ١٨٥
لعل الدهر أمضى منك غربا . . ١٨٥
خليلي ما بيني وبين محرق . . . ١٨٦
إياك أن تسخو بوعد ١٨٧
سما كبطون الأتن ريعان عارض . ١٨٧
يا سعد كل فؤاد في بيوتكم . . ١٩٠
إلى كم لا تلين على العتاب . . . ١٩٠
لم يبق عندي من الإباء سوى . . . ١٩٢
أبا حسن أتحسب أن شوقي . . . ١٩٣
جاءت به من مضر مهذبا . . . ١٩٤
لا تنكري حسن صبري . . . ١٩٤
نزوت نزاء الجندب الجون ضلة . ١٩٥
لكم لقحة الأرض تحمونها . . . ١٩٦
انظر أبا قران ما تعيب . . . ١٩٦
كيف صبحت أبا الغمر بها . . ١٩٨
يعاقبني وهو المذنب ١٩٨
نزل المسيل وبات يشكو سيله . . ٢٠٠
وركب تفرى بينهم قطع الدجى . . ٢٠٠
أسنة هذا المجد آل المهلب . . . ٢٠١

قل للخطوب ضعي سلاحك قد حمى . ٢٠٢
دعوا لي أطباء العراق لينظروا . . ٢٠٢
صاحب كالغر ليس أرى . . . ٢٠٣
بين عزمي وبينهن حروب . . . ٢٠٣
إساءته شهوة ثرة ٢٠٤
أخافك إن الخوف منك محبة . . ٢٠٤
ضموا قواصي كل سرح سارب . . ٢٠٤
آه من دائين عدم ومشيب . . . ٢٠٥
كأن نزاراً والخمول رداؤه . . ٢٠٥
ترفق أيها الرامي المصيب . . . ٢٠٥

ت

عذيري من العشرين يغمزن صعدتي . ٢٠٦
أبينتها أم ناكرتك شياتها . . . ٢١٠
يا ابن عبد العزيز لو بكت . . ٢١٥
من يكن زائري يجدني مقيماً . . ٢١٦
إذا مضى يوم على هدنة . . . ٢١٦
قد آن أن يسمعك الصوت . . . ٢١٧
من معيد لي أيامي ٢١٧
أحن إلى لقائك كل يوم . . . ٢١٩
قال لي عند ملتقى الركب عمرو . . ٢١٩
قد قلت للنفس الشعاع أضمها . . ٢٢٠
وقفنا لهم من وراء الخطوب . . ٢٢٢
هل يبلغنهم نضوب مدامعي . . . ٢٢٣
يعبن موتاهم بأحيائهم . . . ٢٢٣

ث

رجونا أبا الهيجاء إذ مات حارث . ٢٢٤
يا آمن الأقدار بادر صرفها . . ٢٢٨
خذوا نفثات من جوى القلب نافث . ٢٢٩
وإن لنا النار القديمة للقرى . . . ٢٣٣

ج

لي الحرب معطوفاً علي هياجها . . ٢٣٤
أداري المقلتين عن ابن ليلى . . . ٢٣٥
لا تيأسن فربما ٢٣٩
إني إذا حلب البخيل لبانها . . . ٢٣٩
والعيس قد نشف منها السرى . . ٢٣٩

ح

أغار على ثراك من الرياح . . . ٢٤٠
مثال عينيك في الظبي الذي سنحا . ٢٤٣
تخطينا الصفوف إلى رواق . . . ٢٤٦
برؤم السيوف وغرب الرماح . . ٢٤٧
بعض الملام فقد غضضت طماحي . ٢٥٠
نبهتهم مثل عوالي الرماح . . . ٢٥٤
في كل يوم للأحبة مطرح . . . ٢٥٧
سليمان لو وفيت مدحي حقه . . ٢٦٠
أعيذك من هجاء بعد مدح . . . ٢٦١
أبثك أني راغب عن معاشر . . . ٢٦٢
صبراً على نوب الزمان . . . ٢٦٢

ولو كنت فيها يوم ذا الأثل لم تؤب . ٢٦٣
ألا من عذيري في رجال تواعدوا . ٢٦٤
قيدت أزمة كل مزن رائح . . . ٢٦٥
ذكرت على فترة من مراح . . . ٢٦٦
فلو كنت شاهدها في الدجى . . . ٢٦٦
في قتال كان للطير ٢٦٦

خ

أبلغا عني الحسين ألوكاً ٢٦٧
أقول لها حيث انتهى مسقط النقا . ٢٦٨

د

إلى كم الطرف بالبيداء معقود . . ٢٦٩
من رأى البرق بغوري السند . . ٢٧٣
أبى الله إلا أن يسوء بك العدى . . ٢٧٧
إباء أقام الدهر عني وأقعدا . . . ٢٨٠
أثر الهوادج في عراص البيد . . ٢٨٥
أعاتب أيامي وما الذنب واحد . . ٢٩١
أكافينا النصيح بقيت ٢٩٣
إذا احتبى بالعشب الوادي . . ٢٩٤
شقيت منك بالعلاء الأعادي . . . ٢٩٧
خير الهوى ما نجا من الكمد . . ٣٠١
نصافي المعالي والزمان معاند . . . ٣٠٥
أنظر إلى الأيام كيف تعود . . . ٣١٠
جري النسيم على ماء العناقيد . . . ٣١٣
عجبت من الأيام إنجازها وعدي . . ٣١٧
تكشف ظل العتب عن غرة العهد . ٣١٩
يا دار من قتل الهوى بعدي . . ٣٢١
أسائل سيفي أي بارقة تجدي . . . ٣٢٣
أبارق طالعنا من نجد ٣٢٧
لحيا عهدهن حيا العهاد ٣٢٩
مرضت بعدكم صدور الصعاد . . ٣٣٢
لأي حبيب يحسن الرأي والود . . ٣٣٣
ليت الخيال فريسة لرقادي . . . ٣٣٦
هو سيف دولتنا الذي يوم الوغى . ٣٤١
أراك ستحدث للقلب وجدا . . . ٣٤٢
لو علمت أي فتى ماجد . . . ٣٤٦
هل ريع قلبك للخليط المنجد . . ٣٤٩
يا قلب جدد كمدا ٣٥٣
أبر على الأنواء فضلي ونائلي . . ٣٥٧
قل للعدى موتوا بغيظكم . . . ٣٥٨
يفاخرنا قوم بمن لم يلدهم . . . ٣٥٩
نزلنا بمستن المكارم والعلى . . ٣٦٠
هذي المنازل بالغميم فنادها . . ٣٦٠
وراءك عن شاك قليل العوائد . . ٣٤٦
تفوز بنا المنون وتستبد . . . ٣٦٦
أعامر لا اليوم أنت ولا الغد . . ٣٦٩
ألا من يمطر السنة الجمادا . . . ٣٧٤
سلا ظاهر الأنفاس عن باطن الوجد . ٣٧٧
أتاني ورحلي بالعذيب عشية . . ٣٨٠
أعلمت من حملوا على الأعواد . . ٣٨١
ترك الدنيا لطالبها ٣٨٦
يا غالباً نقض الوداد ٣٨٧
مثل ودي لا يغيره ٣٨٨

أترى الأحباب مذ ظعنوا . . . ٣٨٨
خلي نفسي يا ريح من جانب الحمى . ٣٨٩
أقول وقد جاز الرفاق بذي النقا . . ٣٩٠
يا طيب نجد ، وحسن ساكنه . . ٣٩١
صدت وما كان لها الصدود . . . ٣٩١
أأميم إن أخاك غض جماحه . . . ٣٩٢
تحمل جيراننا عن منى ٣٩٢
سقى الله يوماً ساعدتنا كؤوسه . . ٣٩٣
حططت المكارم عن عاتقي . . . ٣٩٤
هب للديار بقية الجلد ٣٩٥
تزود من الماء النقاخ فلن ترى . . ٣٩٨
أرى وجوهاً وأيماناً مقفلة . . . ٤٠٢
هوى لكما إن الشباب يعاد . . . ٤٠٢
أرى بغداد قد أخنى عليها . . . ٤٠٦
ردوا تراث محمد ردوا ٤٠٧
بان عهد الشباب منكم حميدا . . ٤٠٧
أحاجي رجالا: ما ملابس سود . . ٤٠٨
يا قادحاً بالزناد ٤٠٨
هذا أمير المؤمنين محمد ٤٠٩
غيري أضلكم فلم أنا ناشد . . . ٤٠٩
أتوا بمخالب الآساد سلت . . . ٤٠٩
ظبي برامة كحله من طرفه . . . ٤١٠
من كل سارية كأن رشاشها . . . ٤١٠
بعاداً فليت اليم دونك أزبدا . . . ٤١٠
ولاحت لنا أبيات آل محرق . . . ٤١١
جعلت لك الفرخين يا نصر طعمة . ٤١١
أقول لبيك ولم تناد ٤١١

ذ

ترى النازلين بأرض العراق . . ٤١٢

ر

ما للبياض والشعر ٤١٣
أيا مرحباً بالغيث تسري بروقه . . ٤١٩
لن تشقوا لذا الجواد غبارا . . . ٤٢٠
يا ناشد النعماء يقفو إثرها . . . ٤٢٣
قرت عيون المجد والفخر . . . ٤٢٥
نطق اللسان عن الضمير ٤٢٧
رأيت المنى نهزة الثائر ٤٣١
وقف على العبرات هذا الناظر . . ٤٣٤
من الظلم أن نتعاطى الخمارا . . ٤٣٨
أما ذعرت بنا بقر الخدور . . . ٤٤١
بغير شفيع نال عفو المقادر . . ٤٤٦
بلاء القلب ناظره ٤٥٤
شيمي لحاظك عنا ظبية الخمر . . ٤٥٨
لك السوابق والأوضاح والغرر . . ٤٦١
لبست الوغى قبل ثوب الغبار . . ٤٦٥
جربت آل الغوث ثم تركتهم . . ٤٦٧
عقيد العلى لا زلت تستعبد العلى . ٤٦٨
لأي صنائعه أشكر ٤٦٨
سأنزل حاجاتي إذا طال حبسها . . ٤٦٩
يا حبذا فوق الكثيب الأعفر . . ٤٦٩
أما لو لم تعاقره العقار . . . ٤٧٢
قد زيلت عظيمة فشمري . . . ٤٧٥

ولقد شهدت الخيل دامية ٤٧٨
ما عند عينك في الخيال الزائر . . ٤٧٩
قربوهن ليبعدن المغارا . . . ٤٨٣
صاحت بلوذي بغداد فآنسني . . ٤٨٧
ألقي السلاح ربيعة بن نزار . . ٤٩٠
أوما رأيت وقائع الدهر . . . ٤٩٤
لعمري لقد ماطلت لو دفع الردى . . ٤٩٨
لو رأيت الغرام يبلغ عذرا . . ٤٩٩
تناسيت إلا باقيات من الذكر . . ٥٠٢
وذي نضد لا يقطع الطرف عرضه . ٥٠٧
أين بانوك أيها الحيرة البيضاء . . ٥٠٩
طلعت والليل مشتمل ٥١٠
ألا يا ليالي الخيف هل يرجع الهوى . ٥١١
أرتاح إن أخذ الصفصاف زينته . . ٥١٢
نأت القلوب وسوف تنأى الدار . . ٥١٢
ورب ليل طربت فيه ٥١٣
خذا اليوم كفي للبياع على النهى . . ٥١٤
لاموا ولو وجدوا وجدي لقد عذروا. ٥١٤
ليس على الشيب الغواني . . . ٥١٥
أنا الفداء لظبي ما اعترضت له . . ٥١٦
أقول وقد عاد عيد الغرام . . . ٥١٦
يا قلب ما أنت من نجد وساكنه . . ٥١٧
أشكو ليالي غير معتبة ٥١٨
أتحسب سوء الظن يجرح في فكري . . ٥١٨
ألا إنها غمر السخائم والغمر . . ٥١٩
ألا رب دوية خضتها ٥٢٠
لما رأيت جنود الجهل غالبة . . . ٥٢٠
صبراً فما الفائز إلا من صبر . . ٥٢١
أرى ركدة ريحها يرتجى . . . ٥٢٢
إذا ضافني هم أمل طروقه . . . ٥٢٢
ناديته بالرمل والأمر ذكر . . ٥٢٣
خذ من صديقك مرأى دون مستمع . ٥٢٤
يا ذا المعارج كم سألتك نعمة . . ٥٢٤
في كل يوم مودات مطلقة . . ٥٢٥
من شافعي وذنوبي عندها الكبر . ٥٢٥
أرى ماء وجه المرء من ماء عرضه . ٥٣٠
تجاف عن الأعداء بقيا فربما . . ٥٣٠
ولولا هناة والهناة معاذر . . . ٥٣١
فيا عجبا مما يظن محمد ٥٣٦
رموا بمرامي بغيهم فاتقيتها . . . ٥٣٦
بغى الذلان غايتنا وأنا . . . ٥٣٧
لأمثالها يسخر الساخر . . . ٥٣٧
أما تراها كالجراز البتار . . . ٥٣٧
وعين عوان بالدموع وغيرها . . ٥٣٨
يقولون نم في هدنة الدهر آمناً . . ٥٣٨
تطاير في مر العجاج كأنها . . . ٥٣٩
أيا ربة الخدر الممنع بالقنا . . . ٥٣٩
أناشد أنت أطلالا بذي القور . . ٥٤٠
ومن عامر غلمة كالسيوف . . . ٥٤٠
رأيت شباب المرء ليلا يجنه . . . ٥٤١
صبرت على عرك النوائب فيكم . . ٥٤١
وأفلتهن أبو عامر ٥٤٢
لهذه كان الزمان ينتظر . . . ٥٤٢
لا يغررنك سلم جاء يطلبه . . . ٥٤٢
رب نائي الملاط يحسب جيداً . . ٥٤٣
أغلب لا يخشى وعيد السفر . . . ٥٤٣
كم قابس عاد بغير نار ٥٤٣

ر

اطمح بطرفك هل ترى ٥٤٤

س

شرف الخلافة يا بني العباس . . ٥٤٦
تمنى رجال نيلها وهي شامس . . ٥٤٩
أقول لركب خابطين إلى الندى . . ٥٥٣
لا ترقدن على الأذى ٥٥٤
يا ذاكر النعماء إن نسيت . . . ٥٥٦
خذي حديثك من نفسي عن النفس . ٥٥٧
قربت بالبعد من الناس ٥٦٠
بقاء الفتى مستأنف من فنائه . . ٥٦٠
بقلبي للنوائب جانحات ٥٦١
أمضرة بالبدر طالعة ٥٦٣
هم خلفوا دمعي طليقاً وغادروا . ٥٦٣
باح بالمضمر الدفين لسان . . . ٥٦٤
كنا نعظم بالآمال بعضكم . . . ٥٦٤
كم عرضوا لي بالدنيا وزخرفها . ٥٦٥
ومعتادة للطيب ليست تغبه . . . ٥٦٥

ش

لتبد اليوم نسوة آل كعب . . . ٥٦٦

ص

ما هاج من ذي طرب مخماص . . ٥٦٧
يا بؤس مقتنص الغزال طماعة . . ٥٦٩
لمن الديار طلولها وقص . . . ٥٧٠
رب مستغمز إبائي وفي الناس . . ٥٧٢

ض

كيف أضاء البرق إذ أومضا . . ٥٧٤
عند قلبي علاقة ما تقضى . . . ٥٧٦
مواقد نيرانهم قرة ٥٨٠
حذار فإن الليث قد فر نابه . . . ٥٨٠
أهلا به من رائح متصعد . . . ٥٨١
ضوأ حين أومضا ٥٨١
لغير تقدير ذرعن الأرضا . . . ٥٨١
لجام للمشيب ثنى جماحي . . . ٥٨٢
رضيت من الأحباب دون الذي يرضي ٥٨٢
أرى موضع المعروف لو أستطيعه . ٥٨٦
قالوا تزاور عطفه ٥٨٦

ط

أبا علي للألد إن سطا ٥٨٨
كأنك لم تقد بعورضات . . . ٥٨٩
سنحت لنا بلوى العقيق وربما . . ٥٩٣
ما لذا الداني إلى القلب شحط . . ٥٩٣

ظ

قل للهوامل في الدنا ما بالكم . . ٥٩٧
يا عمرو لا أعرف ثقلا بهظلك . . ٥٩٨
أسيغ الغيظ من نوب الليالي . . . ٥٩٨

ع

ألماك عنا ربة البرقع ٥٩٩
تمضي العلى وإلى ذراكم ترجع . . ٦٠٣
طلاب العز من شيم الشجاع . . . ٦٠٦
لأغنتك عن وصلي الهموم القواطع . ٦١٠
تخيرته أطول القوم باعا ٦١٣
غالى بها الزائد حتى ابتاعها . . . ٦١٥
خصيم من الأيام لي وشفيع . . . ٦٢٠
أظن الليالي بعدكم ستريع . . . ٦٢٤
منابت العشب لا حام ولا راع . . ٦٢٧
لو كان يرتدع القضاء بمردع . . ٦٣٠
ألا ناشداً ذاك الجناب الممنعا . . ٦٣٥
عظيم الأسى في هذه غير مقنع . . ٦٤٠
آب الرديني والحسام معاً . . . ٦٤٢
يا يوسف بن أبي سعيد دعوة . . ٦٤٤
قف موقف الشك لا يأس ولا طمع . ٦٤٥
صبرت عنك فلم ألفظك من شبع . . ٦٤٨
ذكرتك لما طبق الأفق عارض . . ٦٥٠
أأترك الغر من لداتي ٦٥١
يا صاحب القلب الصحيح أما اشتفى . ٦٥٢
أقول وما حنت بذي الأثل ناقتي . . ٦٥٣
ألا يا غزال الرمل من بطن وجرة . ٦٥٦
تشاهقن لما أن رأين بمفرقي . . . ٦٥٧
عارضا بي ركب الحجاز أسائله . ٦٥٧
وقفت بربع العامرية وقفة . . . ٦٥٨
لقلبي بغوري البلاد لبانة . . . ٦٥٩
تجمجم بالأشعار كل قبيلة . . . ٦٦٠
وعاري الشوى والمنكبين من الطوى . ٦٦١
لك القلم الجوال إذ لا مثقف . . ٦٦٢
ولا قرن إلا أدمع الطعن نحره . . ٦٦٣
وليل كجلباب الشباب رقعته . . ٦٦٣
ومروع لي بالسلام كأنما . . . ٦٦٤
أروم انتصافي من رجال أباعد . . ٦٦٤
سيسكتني يأسي وفي الصدر حاجة . . ٦٦٥
ما أخطأتك سهام الدهر رامية . . ٦٦٦
يقولون ماش الدهر من حيث ما مشى ٦٦٧
ولرب يوم هاج من طربي . . ٦٦٧
عميدك السيف الذي لم يزل . . . ٦٦٨
خلطوا الصوارم بالقنا وتعمموا . ٦٦٨
شرس تيقظه تيقظ خائف ٦٦٨
لكل امرىء نفسان نفس كريمة . . ٦٦٩
وضلعاء من مظلمات الخطوب . . ٦٦٩
ومنسوبة من بنات الوجيه . . . ٦٦٩
تضيق صدور العتب والعذر أوسع . ٦٧٠
ومهزة العرنين رقراقة السنا . . ٦٧١
مقيم من الهم لا يقلع ٦٧١

غ

لئن قرب الله النوى بعد هذه . . ٦٧٥

ديوان العرب

ظهر في هذه المجموعة :

١ ديوان المتنبي
٢ « ابن الفارض
٣ « عبيد بن الأبرص
٤ « امرىء القيس
٥ « عنترة
٦ « عبيد الله بن قيس الرقيات
٧ « أبي فراس
٨ « عامر بن الطفيل
٩ « الخنساء
١٠ « زهير بن أبي سلمى
١١ « النابغة الذبياني
١٢ « ابن زيدون
١٣ « ابن حمديس
١٤ « جرير
١٥ شرح المعلقات السبع للزوزني
١٦ سقط الزند لأبي العلاء المعري
١٧ اللزوميات « « « (جزآن)
١٨ ديوان الفرزدق (جزآن)
١٩ « الأعشى
٢٠ « أوس بن حجر
٢١ « جميل بثينة
٢٢ « الشريف الرضي (جزآن)
٢٣ « طرفة بن العبد
٢٤ « عمر بن أبي ربيعة

DIWAN

AS-SARIF ar-RADI

al-MUSAWI

Tome I

Editeurs

DAR SADER DAR BEYROUTH

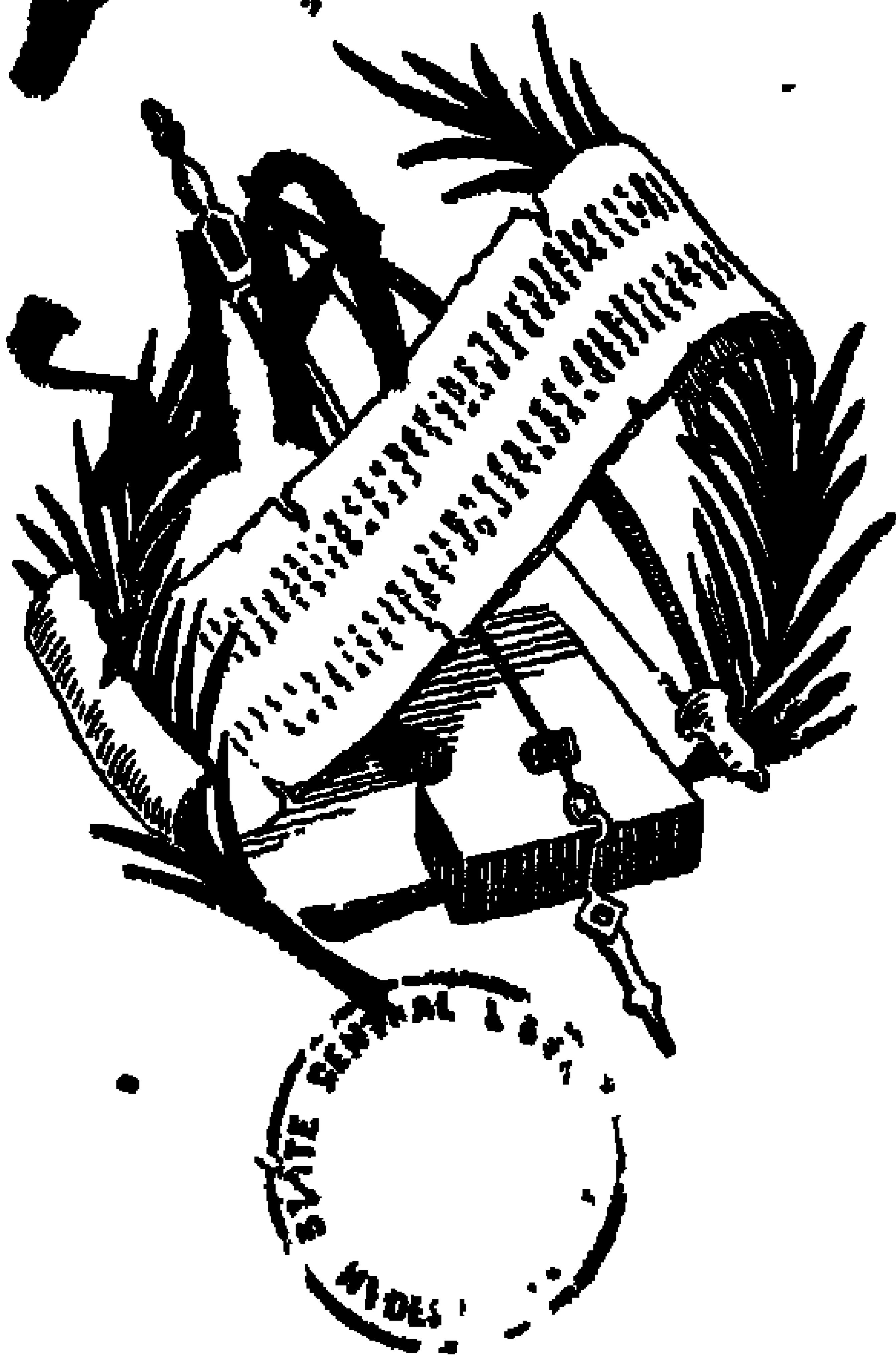
BEYROUTH

الثمن ١–٢ : ٣٠٠٠ ق. ل.

ديوان

الشريف الرضي

المجلد الثاني



دار صادر · دار بيروت

ديوان
الشريف الرضي

المجلد الثاني

دار صادر
للطباعة والنشر

دار بيروت
للطباعة والنشر

بيروت

١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م

حرف الفاء

بالجد يبلغ الشرف

يمدح الملك بهاء الدولة وكان قد عمل هذه القصيدة في أغراض ولم يسم الممدوح فيها ثم أضاف إليها أبياتاً ذكره فيها وأنفذها إليه وذلك سنة ٤٠٠ :

بالجَدّ لا بالمَساعي يُبلَغُ الشَّرَفُ ، تَمشِي الجُدُودُ بأقوامٍ ، وَإنْ وَقَفُوا
أعيَا مِنَ الدّهرِ خُلْقٌ لا دَوَامَ لَهُ ، البَذْلُ وَالمَنْعُ وَالإنْجَازُ وَالخُلُفُ
وَاطٍ بِجَفْوَتِهِ أعقَابَ خُلّتِهِ ، يَوْماً وَدُودٌ ، وَيَوْماً مَلّةٌ طَرِفُ[1]
رَاحَتْ تَعَجّبُ مِنْ شَيبٍ ألَمّ بِهِ ، وَعاذِرٌ شَيبَهُ التَّهمَامُ وَالأسَفُ
وَلا تَزَالُ هُمُومُ النّفسِ طَارِقَةً ، رُسْلُ البَيَاضِ إلى الفَوْدينِ تَختَلِفُ
إنّ الثّلاثِينَ وَالسّبْعَ التَوَينَ بِهِ عَنِ الصِّبَا ، فَهوَ مَزْوَرٌّ وَمُنعَطِفُ
فَمَا لَهُ صَبْوَةٌ يُبْكَى بِهَا طَلَلٌ ؛ وَلا لَهُ طَرْبَةٌ يُعلى بِهَا شَرَفُ
أينَ الذينَ رَمَوْا قَلْبي بسَهمِهِمُ ، وَلَمْ يُدَاوُوا ليَ القَرْفَ الذي قَرَفُوا[2]

١ الملة : الملول ، وهو نعت بالمصدر . الطرف : الذي لا يثبت على صحبة أحد .

٢ القرف : الجرح . قرفوا : قشروا .

يَشكُو فِرَاقَهُمُ القلبُ الذي جرَحُوا — منّي ، وتَبكيهِمُ العَينُ التي طرَفُوا
كمْ جاءَني الخَوْفُ ممّا كنتُ آمَنَهُ ، — وكَمْ أمِنتُ التي قَلبي بِها يَجِفُ
قَدْ يَأمَنُ المَرْءُ سَهماً فيهِ مَوْقِعُهُ ، — وَقَدْ يَخافُ الذي يَنأى وَيَنحَرِفُ
لمّا رَأيتُ مَرَامي الظّنّ خاطِئَةً ، — وَدُونَ ما أرْتَجي منكُم نوًى قُذُفُ
صَرَفتُ نَفسيَ عَنكُم ، وَهيَ غانيَةٌ ، — وَالنّفسُ تُصرَفُ أحياناً ، فتَنصَرِفُ
مَا هَزّ فَرْعَكُمُ يأسٌ ، وَلا طَمَعٌ ، — وَلا مَرَى دَرّكُمْ لِينٌ ، وَلا عَنَفُ
وَلا لَكُمْ في ثَنَايا الجُودِ مُطّلَعٌ ؛ — وَلا لكُمْ في ظُهورِ المَجدِ مُرْتَدَفُ
يأبَى ليَ العزُّ ، وَالغَرّاءُ مِنْ شيَمي ، — إمْسَاكَ حَبلِ غُرُورٍ ما لَهُ طَرَفُ
هَبْهَا ضَبَابَةَ لَيْلٍ أنتَ خابِطُها ؛ — إنّ الظّلامَ ، وَإنْ عَنّاكَ ، مُنكَشِفُ
تَنَظّرِ الصّبحَ ، إنّ الصّبحَ مُنتَظَرٌ ، — وَالفَجرُ يُعرِبُ عَمّا أعجَمَ السَّدَفُ
كَأنّني ، يَوْمَ أستَعطي نَوَالَكُمُ ، — دانٍ مِنَ الصّخرَةِ الصّمّاءِ يَغتَرِفُ
وَيَوْمَ أدْعُوكُمُ للخَطْبِ أحذَرُهُ — داعٍ يُبَلِّغُ مَن قَد ضَمّهُ الجَدَفُ[1]
ما كُنتُمُ من سُيُوفي ، إذْ هَزَزْتُكُمُ — هَزّ النّوَابي ، إذا أمضَيتَها تَقِفُ
يا رَاعيَ الذّوْدِ لا أصبَحتَ في نَفَرٍ — تَرْوَى البِكارُ وَتَظما الجِلّةُ الشُّرُفُ[2]
ما أعجَبَ القِسمَةَ العَوْجاءَ يَقسِمُها ؛ — الدّارُ وَاحِدَةٌ وَالوِرْدُ مُختَلِفُ
لَئِنْ حُرِمتُ مِنَ العَلياءِ ما رُزِقُوا ، — لقَدْ جَهِلتُ مِن الفَحشاءِ ما عرَفُوا
لأُرْحِلَنّ المَطَايَا ثمّ أبْرِكُهَا ، — حيثُ اطمأنّ النّدى وَاستوْطنَ الشّرَفُ

[1] الجدف : القبر .
[2] الجلة : المسنة من الإبل . الشرف ، الواحدة شارف : المسنة منها

كَـأنّما في رِجالِ الرّكبِ خاطِرَةٌ ؛ تَعانَقَ الدوُّ ، وَالنّأجيّةُ العُصُفُ[1]
بدارِ أغلَبَ مَا في وَعدِهِ خُلُفٌ للرّاغِبينَ ، وَلا في حُكمِهِ جَنَفُ
حيثُ الحُقُوقُ قيامٌ في مَقاطِعِها ، وَكُلٌّ مَنْ حاكَمَ الأيّامَ مُنتَصِفُ
رَاضَ الأُمُورَ عَلى أُولى شَبيبَتِهِ ، فالرّأيُ مُحتَنِكٌ ، وَالعمرُ مُؤتَنِفُ
يُحيي المَكَارِمَ أبْنَاءٌ لَهُ وَرَدُوا ، كَمَا بَنَى المَجْدَ آبَاءٌ لَهُ سَلَفُوا
يا ابنَ الأُولى نَزَلُوا العَليَاءَ خاليَةً ، مَنازِلَ الدُّرّ يُرْمَى دونَهُ الصَّدَفُ
المُقدِمِينَ ، فَلا مِيلٌ ، وَلا عُزُلٌ ، وَالحَامِلونَ ، فَلا جَوْرٌ وَلا ضَعَفُ
لي فيهِمُ خَلَفٌ مِنْ كُلّ مُفتَقَدٍ ، وَرُبّما جَازَ قَدرَ الذّاهبِ الخَلَفُ
في كُلّ يَوْمِ عَدُوٌّ أنْتَ قَائِدُهُ قَوْدَ الجَنيبِ، لِما عَسّفتَ مُعتَسِفُ
في السّلمِ دافِقَةٌ ،شُؤبوبُها خَضِلٌ ، وَالرّوْعِ بَارِقَةٌ ذُو رَعدِها قَصَفُ[2]
فَمِنْ شِعابِ نَدًى أمواهُهُ دُفَعٌ ، وَمِنْ طِعَانِ قَناً آبارُهُ خُسُفُ
تَغْدُو كأنّكَ ، وَالهاماتُ طائِرَةٌ ، جانٍ مِنَ الحَنظَلِ العاميِّ يَنتَقِفُ
كأنّ سَيفَكَ ضَيفُ الشّيبِ ليسَ لَهُ عَنِ الرّؤوسِ ،إذا ما جاءَ، مُنصَرَفُ
فاستَأنِفُوا العِزَّ مُخضَرّاً زَمانُكُمُ ، كأنّما الدّهرُ فيكُمْ رَوْضَةٌ أُنُفُ
وَابقَوْا بَقَاءَ الدّرَارِي في مَطالِعِها، إلاّ البُدورَ ، فإنّ البَدْرَ يَنكَسِفُ

١ النأج   الريح : تحركت . العصف ، الواحدة عصوف : الريح الشديدة .
٢ ذو رعدها : أي الذي رعدها .

قال هذه الأبيات وجعلها زيادة لهذه القصيدة :

تَسعَى البِكارُ مُعَنّاةً، وَقَد مَلكَتْ أولى الجُمامِ عَلَيها الجِلّةُ الشُّرُفُ
إذا رَأَيْنَا قِوامَ الدّينِ رَاكِبَهَا ، فلَيسَ في ظَهرِها للقَوْمِ مُرْتَدَفُ
فَقُلْ لمُعتَسِفٍ يرْجُو لَحاقَهُمُ : لَبِّثْ، فقَدبلَغوا العَليا وَما اعتَسَفُوا[1]
لَوَ انّ عَينَ أبيكَ اليَوْمَ ناظِرَةٌ ، تَعَجّبَ الأصْلُ مِمّا أثمَرَ الطَّرَفُ
وَنَى عَنِ السّعيِ ،فاستَرْعَى مساعِيَهُ ، مُدَرَّباً بطَرِيقِ المَجدِ لا يَقِفُ
قَد يَسبُقُ الخَيلَ تاليها، وَإنْ كَثُرَتْ منها الفَوَارِطُ يَوْمَ الجَرْيِ وَالسَّلَفُ

[1] لبث : أبطئ .

رواق من القنا

قال أيضاً وكتب بها إلى حضرة الملك أبي شجاع بن قوام الدين بفارس بعد أن واصل التقدم باقتضائه ذلك وهو مدافع به على الطريقة التي استأنفها من الاضطراب عن الشعر والازدهاء في قوله ويومي إلى تهنئته بالألقاب والخلع السلطانية الخارجة إليه من حضرة الخليفة سلطان الدولة وعز الملة ومغيث الأمة عماد الدين وذلك في شهر صفر سنة ٤٠٤ وهي آخر قصيدة مدح بها الملوك قدس الله نفسه :

قُلْ لأَفتى يَرْمي إلى المَجدِ طَرْفا، ضَرِمٍ يُعجِلُ الطّرَائدَ خَطْفَا[1]

طارَ يَستَشرِفُ المَوَاقعَ ، حتّى وَجَدَ العِزَّ مَوْقِعاً ، فَأسَفّا

يا عِمَادَ الدّينِ الذي رَفَعَ المَجْـ ـدَ ، وَقَد مالَ بالعِمَادَينِ ضُعفَا

وَمُغيثَ الأنامِ ، وَابنَ مُغيثِ الـ ـخَلْقِ ،طَوْدٌ رَسَا وَطَوْدٌ تَعَفّى

وَمُجارِي الزّمانِ خَطباً، فخَطباً، سَابِقاً خَطوَهُ ، وَصَرْفاً، فصَرْفَا

أنْتَ ثَاني جِمَاحِهَا يَوْمَ لا يَمْـ ـلِكُ كَفٌّ لجَامحِ الخَطبِ كَفَّا

في رِوَاقٍ مِنَ القَنَا لا تُرَى فيـ ـهِ سِوَى البِيضِ وَالعوَاملِ سَقفَا

كافأتْ أرْضُهُ السّمَاءَ عَلى المُزْ نِ ، وَأهدَتْ لهَا قَسَاطِلَ وُطْفَا

تُتبِـعُ الطّعنَ فيهِ طَعناً عَلى الأعـ ـناقِ شَزْراً وَالضّرْبَ ضَرْباً طِلَحْفَا[2]

١ الضرم : فرخ العقاب

٢ الطلحف : الشديد .

لاثَ أبْطَالَهُ عَمَائِمَ بِيضاً لَبِسُوا تَحتَها قَتيراً وَزَغْفَا[1]
رَسَبُوا في غِمَارِها ، وَلَوَانَّ الـ طّوْدَ يُمنَى بِهَا لَدَلّ وَخَفّا
قد كُفيتَ السّعيَ الطّوِيلَ ، وتَأبَى أن يَرَى المَجدُ منك حِلساً وَقُفّا[2]
بَينَ جَدٍّ بَذّ الجُدودَ ، فَأوْفَى ، وَأبٍ ضُمّنَ العَلاءَ ، فَوَفّى
قامَ فيهِ يَلُفّ خَطباً بخَطْبٍ ، لا نَؤوماً ، وَلا سَؤوماً ألَفّا
يَلْبَسُ الهِمّةَ العَلِيّةَ للأعْـ ـداءِ دِرْعاً ، وَيَرْكَبُ العَزْمَ طِرْفَا
مِن رِجالٍ جَنَوْا لكُمْ ثَمَرَ المَجْـ ـدِ عَرِيضاً وَعاقَرُوا الموْتَ صِرْفَا
عَقَدُوا بَينَكُمْ وَبَينَ المَعَالي ، قَبلَ يَعلو الرّجالُ عَقداً وَحِلفَا
رَكِبُوا صَعبَةَ العُلَى أوّلَ النّا سِ ، فمَن جاءَ بَعدَهم جاء رِدفَا
بَيتُ جُودٍ تُكفَى النّوَائبُ فيهِ ، وَجِفانُ القِرَى به لَيسَ تُكفَا
عندَهُ النّارُ أُوقِدَتْ باليَلَنجُو جيّ تُذكي عَرْفاً ، وَتُجزَلُ عُرْفَا[3]
قَدْ بَلاكَ الأعداءُ حُلواً وَمُرّاً ، وَبَلَوْا شِيمَتَيكَ لِيناً وَعُنْفَا
فَرَأوْكَ الحُسَامَ قَدّاً وَقَطّاً ، وَرَأوْكَ الغَمَامَ وَبْلاً وَوَكْفَا
قَلّبُوا الغُرّ مِنْ سَجاياكَ تَقْلِيـ ـبَ اليَمَانيّ بُرْدَهُ المُسْتَشَفّا
حَسِبُوهَا تَصَنّعاً ، فَرَأوْهَا كُلّ يَوْمٍ تَزْدادُ ضِعفاً وَضِعْفَا

١ لاث : عصب . القتير والزغف : الدرع .

٢ الحلس : الذي لا يبرح بيته . القف : الصغير من الرجال ، القصير الضعيف .

٣ اليلنجوجي : عود طيب الرائحة يتبخر به . العرف بالفتح : الرائحة . تجزل : توقد بالحطب اليابس . العرف بالضم : المعروف ، الجود ، وضد النكر .

جَحَدَ الحَاسِدُونَ مِنها الضّرُورا ... تِ، وَأخفَوْا دَرَارِياً ليسَ تُخفَى
كَهِلالِ السّحابِ ما غَابَ حتّى ... رَقّ عَنْ وَجهِهِ الغَمامُ فَشَفّا
كَذَبوا، أنتَ أسبَقُ النّاسِ إحسا ... ناً ، وَأنْدَى يَداً وَأمطَرُ كَفّا
خُلُقٌ ثَابِتٌ ، إذا غَيّرَ الدّهْـ ... رُ رِجَالاً أخلاقُهُمْ تَتَكَفّا
إنْ تَناسَوْا تَذَكُّرَ الجُودِ طَبعاً، ... أوْ تَوَلّوْا ثَنَى إلى المَجدِ عِطْفَا
رَامَ منّي قودَ القَرِيضِ ، وَلَوْلا ... هُ ، لقَد جاذَبَ الزّمامُ الأكُفّا
هَبّ مِنْ رَقدَةِ الفُتُورِ إلَيْهِ ، ... بَعدَمَا غَضّ نَاظِرَيْهِ وَأغفَى
هُوَ ظَهْرٌ يَنقَادُ طَوْعاً عَلى اللّيـ ... نِ ، وَيأبَى القِيادَ إن قِيدَ عَسفَا
وَبُرُودٌ غَالَى بِهِنّ أبُوكَ الـ ... قَرْمُ، فاختارَها الأشَفّ الأشَفّا
إنّ مِنْ ضَوْئِها لذي التّاجِ تَاجاً، ... وَلِرَبّ الأطْوَاقِ طَوْقاً وَشَنفَا
فَابقَ للخَطْبِ مُقذِياً مِنْهُ عَيناً، ... كُلّ يَوْمٍ، وَمُرْغِماً منهُ أنفَا
أنتَ أعلى مِنْ أنْ تُهنّأ بالعِزّ ، ... إذا مَا ضَفَا عَلَيكَ وَرَفّا
بَلْ تُهَنّا مَلابِسُ العِزّ أنْ أبْـ ... قَيْتَ فيها نَشراً وَأعبَقتَ عَرْفَا
وَمَرَاقي العُلَى بِأنْ بِتّ تَعلُو ... ها وُثُوباً ، إذا عَلا النّاسُ زَحفَا
صِلْ بفَخرِ المُلْكِ الأغَرّ حُساماً ... تَجمَعِ المَاضِيَيْنِ عَضْباً وَكَفّا
داعِمُ المُلْكِ يَوْمَ مَالَ وَلاقَى ... مَوَجَاناً مِنَ الخُطُوبِ وَرَجْفَا
وَمُداوِي العَلاءِ مِنْ عِلّةِ البُؤْ ... سِ ، وَقد أعجَزَ الطّبيبَ وَأشفَى
لَنْ تَرَى مثلَهُ اللّيَالي ، وَهَيهَا ... تَ! لَقَدْ أجمَلَ الزّمانُ وَأصْفَى

ردوا الغليل

قال رضي الله تعالى عنه يفتخر ويذكر غرضاً من الأغراض

رُدّوا الغَليلَ لِقَلْبيَ المَشغُوفِ ، وَخُذوا الكَرَى عَن ناظِرِي المَطرُوفِ
وَدَعُوا الهَوَى يَقوَى عَليّ مُضاعَفاً ، إنّي عَلى الأشجانِ غَيرُ ضَعيفِ
وَلَقَدْ رَتَقتُ على العَذُولِ مَسامعي ، ـتُ عَن عَذْلٍ وَعن تَعنيفِ
أرْضَى البَطالَةَ أن تكُونَ قَلائِدِي أبَداً ، ولَوْمَ اللاّئِمينَ شُنُوفي
هَلْ دارُنا بالرّمْلِ غَيرُ نَزيعَةٍ ، أمْ حَيُّنَا بالجِزْعِ غَيرُ خُلُوفِ
فَلَقَدْ عَهِدْتُ بِهَا كَنافِرَةِ المَهَا ، مِنْ كُلّ مَمشُوقِ القَوَامِ قَضيفِ[1]
سِرْبٌ ، إذا استَوْقَفتُ في ظَبَيَاتِه ، عيبي رـ عا جَوَى مَوقوفِ
يَرْعَيْنَ أثمَارَ القُلُوبِ تَوَارِكاً مَرْعَى رَبيعٍ بِاللّوَى وَخَرِيفِ
كَمْ بَينَ أثْنَاءِ الضّلُوعِ لهنّ مِنْ قِرفٍ بِأظْفَارِ النّوَى مَقْرُوفَ
لا تَأخُذِيني بالمَشيبِ ، فَإنّهُ تَفوِيفُ ذي الأيّامِ لا تَفوِيفي[2]
لَوْ أستَطيعُ نَضَوْتُ عَنّي بُرْدَهُ ، وَرَمَيتُ شَمسَ نَهارِهِ بكُسُوفِ
كَانَ الشّبَابُ دُجُنّةً ، فتَمَزّقَتْ عَنْ ضَوْءِ لا حَسَنٍ ، وَلا مألُوفِ
وَلَئِنْ تَعَجّلَ بالنُّصُولِ ، فخَلْفَهُ رَوْحاتُ سَوْقٍ للمَنُونِ عَنيفِ

١ القضيف : النحيف .
٢ التفويف ، من قولهم برد مفوف : فيه خطوط بيض على الطول .

وَإذا نَظَرْتُ إلى الزّمَانِ رَأيْتُهُ تَعَبَ الشّرِيفِ ، وَرَاحَةَ المَشرُوفِ
وَعِقَالَ كُلّ مُشَيَّعٍ مُتَغَطْرِفٍ ، وَمَجَالَ كُلّ مُوَضَّعٍ مَضْعُوفِ
أعَلَيّ يَستَلُّ الدّنيُّ لِسَانَهُ ، سَيَذُوقُ مَوْبَى مَرْبَعي وَمَصِيفي[1]
فيمَنْ تُعَيّرُني ، بِفيكَ رُغَامُهَا ، أبِتَالِدِي في المَجْدِ أمْ بطَرِيفي
أبِمَعشَرِي، وَهُمُ الأُولى عاداتُهُمْ في الرّوْعِ ضرْبُ طُلًى وَخرْقُ صُفوفِ
مِنْ كُلّ وَضّاحِ الجَبِينِ مُغَامِرٍ عِندَ العَظائِمِ ، باسمِهِ مَهتُوفِ
وَإذا قَرَعتُ ، فَهُمْ صُدُورُ ذَوَابلي، وَمِنَ العَدُوّ مَعَاقِلي وَكُهُوفي
فاذْهَبْ بنَفْسِكَ حَاسِماً أطْمَاعَهَا عَنْ صِلّ وَادٍ أوْ هِزَبْرِ غَرِيفِ[2]
فلَقَدْ جرَرْتُ على الزّمانِ عَوَاشِدِي، إنّي أدُقُّ زُحُوفَهُ بِزُحُوفي
هذا ، وَقَوْمُكَ بَينَ قاذِفِ مَعشَرٍ، كَذِباً ، وَبَينَ مُلَعَّنٍ مَقْذُوفِ
لا المَجْدُ في أبْيَاتِهِمْ بِمُعَرِّقٍ يَوْماً ، وَلا لَهُمُ النّدَى بِحَلِيفِ
قَبْلي سَقَاكَ أبي كُؤوسَ مَذَلّةٍ ، وَلَتَشْرَبَنْ بيَدِي كُؤوسَ حُتُوفِ
ذاكَ الثِّقَافُ يُقيمُ كُلّ مُمَيَّلٍ ، وَأنَا الجُرَازُ أقُدّ كُلّ صَلِيفِ
فَحَذارِ إنْ شَبّ الفَنِيقُ لِحَاظَهُ ، وَتَقَارَبَتْ أنْيَابُهُ لِصَرِيفِ
خَلّ الطّرِيقَ لِمُجْمِرٍ أخفَافَهُ ، مَاضٍ عَلى سَنَنِ الطّرِيقِ مُنِيفِ[3]

١ الموبى : مكان الوباء .

٢ الغريف : الأجمة .

٣ المجمر : الصلب ، والمسرع في السير .

وَلَضَيغَمٍ يَطَأُ الرِّجَالَ ، غَلُبَّةً بِقَنَاً مِنَ الأنيَابِ أوْ بسُيُوفِ[1]
وَاشدُدْ حَشَاكَ فَلَستَ تَطمَحُ خالياً إلاّ بَدَا لكَ مَوْقِفي وَوُقُوفي
وَإذا رَمَيْتَ مِنَ الحِذارِ بِمُقْلَةٍ في الجَوّ رَاعَكَ في السّمَاءِ حَفيفي
أهْوِي إلى فُرَصٍ يَسُوءُكَ غِبُّهَا ، مُتَسَرّعاً كَالأجْدَلِ الغِطْرِيفِ
كَيداً يُرِي أنْ لا دَعِيّ أُمَيّةٍ كَادَ الرِّجَالَ ، وَلا دَعِيّ ثَقِيفِ
أوفيتُ مُعْتَلِياً عَلَيْكُمْ وَاضِعاً قَدَمي عَلى قَمَرِ السّمَاءِ المُوفي
وَوَلِيتُكُمْ فَحَزَزْتُ في عِيدانِكُمْ حَتّى أقَامَ مُمِيلَهَا تَثْقِيفي
وَفَطَمتُكُمْ بالزّجْرِ عَنْ عاداتِكُم ، وَرَدَدْتُ مُنكَرَكُمْ إلى المَعرُوفِ
عَفُّ السّرِيرَةِ لَمْ تُلَطْ لِرِيبَةٍ يَوْماً عَليّ مَغَالِقي وَسُجُوفي
فلَئن صُرِفتُ فلَستُ عن شرَفِ العُلى وَمَقَاعِدِ العُظَمَاءِ بالمَصرُوفِ
وَلَئِنْ بَقيتُ لَكُمْ ، فإنّي وَاحِدٌ أبَداً ، أُقَوِّمُ منكُمُ بأُلُوفِ

١ غلبة : قهراً ، والغلبة من الرجال : الذي يغلب سريعاً .

نف كأنف الليث

يفتخر ويذكر غرضاً من الأغراض وهو ضيق صدره بأمر النقابة وما يتكلفه من التشدد وإقامة الهيبة فيها :

رِدِي مُرَّ الوُرُودِ وَلا تَعافي ، فَمَا يَنْأى بيَوْمِكِ أنْ تَخافي
فَطَوْراً تُعرَضِينَ عَلى زُلالٍ ، وَطَوْراً تُعرَضِينَ عَلى ذُعَافِ
وَمَنْ يَشرَبْ بصَافٍ غَيرِ رَنْقٍ يَرِدْ يَوْماً برَنْقٍ غَيرِ صَافي
غَمَسْتُ يَدَيّ في أمْرٍ، فمَنْ لي، وَأينَ بنَزْعِ كَفّي وَانكِفَافي
كَفَاني أنّني حَرْبٌ لقَوْمي ، وَذَلِكَ لي مِنَ الضّرّاءِ كَافِ
حطَمتُ صِعادَهُم حتّى استَقَاموا، مُجَاوَزَةً بِهِمْ حَدَّ الثِّقَافِ
فَصِرْتُ لِذَمّهِم غَرَضاً رَجِيماً، يُرَامُوني بمِثْلِ حَصَى القِذافِ
وَأُكْذِبُ بالتّصَوّنِ مُدّعِيهِمْ ، وَأُلْجِمُ قَائِلِيهِمْ بالعفَافِ
وَلَوْ أنّي أطَعْتُ الرُّشْدَ يَوْماً ، لأبْدَلْتُ التّحَامُلَ بالتّجَافي
وَأغضَيتُ اللّوَاحِظَ عَنْ ذُنُوبٍ، وَمَوْضِعُها لعَيْني غَيرُ خَافِ
وَلَكِنّ الحَمِيّةَ فيّ تَأبَى قَرَاري للرّجَالِ عَلى التّكَافي
وَأنْظُرُ ... وَعَظيمَ عَارٍ رِضَايَ مِنَ المُنَازِعِ بالكَفَافِ
وَلَوْ أنّي رَمَيتُ أصَابَ سَهْمي ، وَلَكِنّي أنَقّبُ عَنْ شِغَافي
فَمَا سَهمي السّديدُ مِنَ النّوَابي، وَلا بَاعي الطّوِيلُ مِنَ الضّعَافِ

وَلي أنفٌ كَأنفِ اللّيثِ يَأبَى ... شَميمي للمَذَلّةِ وَاستيافي
وَقَدْ عرَفَ العِدى وَبلَوْا قَديماً ... خُطَايَ إلى المَنَايَا وَازْدِلافي
ليَ العزْمُ الذي قَدْ جرَّبُوهُ ، ... يَقُدُّ مَضَارِبَ البِيضِ الخِفَافِ
وَرَبْطُ الجَأشِ ، وَالأقدامُ زُلٌّ ... يُزَلزِلُهَا الرّدَى يَوْمَ الوِقَافِ
وَقَدْ كَلّتْ صَوَارِمُهَا وَمَلّتْ ... عَرَانِينُ القَنيّ مِنَ الرُّعَافِ
فعَالُ أغَرَّ رَيّانِ العَوَالي ... مِنَ الأعداءِ مَلآنِ الصّحَافِ
يُضِيفُ ، فَلا يُمَيّزُ مَنْ يَرَاهُ ... أمَارَاتِ المُضِيفِ مِنَ المُضَافِ
إذا عُدّ المَنَاقِبُ جاءَ بَيْتي ... يَجُرُّ ذُيُولَ أحسابٍ ضَوَافي
أقِلّوا ، لا أبَا لَكُمُ ، وَخَلّوا ... مُطَاعَنَةَ الأسِنّةِ بالأشَافي[1]
فَقَدْ مُدّتْ غَيَابَاتُ المَخَازِي ... عَلى عَرَصَاتِكُمْ مَدَّ الطِّرَافِ
صَفَوْتُ لكُم، فرَنّقتُمْ غَديرِي، ... وَأيُّ مُضَاغِنٍ رَجَعَ المُصَافي
وَيُوشِكُ أنْ يُقَامَ عَلى التّقَالي، ... أنَابيبٌ رَجَعْنَ إلى التّصَافي
مَضَى زَمَنُ التّمَازُجِ وَالتّداني، ... وَذا زَمَنُ التّزَايُلِ وَالتّنَافي
لَئِنْ أعْلَى بِنَاءَكُمُ اصْطِناعي، ... فسَوْفَ يَثُلُّ عَرْشَكُمُ انحِرَافي
أُداوِي داءَهُمْ ، فَيَزِيدُ خُبثاً ، ... وَلَيسَ لداءِ ذي البَغضَاءِ شَافِ
حَنَوْتُ عَلَيهِمُ وَلَرُبّ حَانٍ ... عَلى جَانٍ ، وَإنْ بَعُدَ التّلاقي
فَمَا قَلبي ،وَإنْ جَهِلُوا ،بقَاسٍ ، ... وَلا حِلمي، وَإن قَطَعُوا ، بهَافِ[2]

١ الأشافي : مثاقب الأساكفة ، الواحد إشفى .
٢ الهافي : الذاهب .

فَمَا تُغْني القَوَادِمُ مِنْ جَنَاحٍ ،   تحامَلَ ، إنْ قَعَدْنَ بهِ الخَوَافي
وَعِنْدِي للزّمَانِ مُسَوَّمَاتٌ   مِنَ الأشْعَارِ تَخترِقُ الفَيَافي
قَصَائِدُ أنْسَتِ الشعَرَاءَ طُرّاً   عُوَاءَهُمُ عَلى أثَرِ القَوَافي
بَوَارِدُ للغَليلِ كَأنّ قَلْبي   يَعُبّ بهِنّ في بَرْدِ النِّطَافِ
أسُرّ بِهِنّ أقْوَاماً ، وَأرْمي   أقيْوَاماً بِثَالِثَةِ الأثَافي

سلي بي !

يفتخر بآبائه عموماً ثم بأبيه الأدنى خصوصاً

وَفَى بِمَوَاعيدِ الخَليطِ ، وَأخلَفُوا ،   وَكَمْ وَعَدوا القَلبَ المُعَنّى ولم يَفُوا
وَمَا ضَرّهُمْ أنْ لمْ يَجُودوا بمُقنعٍ   مِنَ النَّيلِ ، إذ مَنّوا قليلاً وَسَوّفُوا
أفي كُلّ يَوْمٍ لَفتَةٌ ثُمّ عَبْرَةٌ   عَلى رَسْمِ دارٍ ، أوْ مَطيٌّ مُوَقَّفُ
وَرَكْبٍ عَلى الأكْوَارِ يَثْني رِقابَهمْ ،   لداعي الصِّبَا ، عَهدٌ قَديمٌ وَمألَفُ
فمِنْ وَاجِدٍ قَدْ ألزَمَ القَلْبَ كفَّهُ ،   وَمِنْ طَرَبٍ يَعلُو اليَفَاعَ وَيُشرِفُ
وَمُستَعبِرٍ قَدْ أتبَعَ الدّمعَ زَفرَةً ،   تَكادُ لهَا عُوجُ الضّلُوعِ تَشَقَّفُ
قضَى ما قضَى مِنْ أنّةِ الشّوْقِ وَانثنى   بدارِ الجَوَى وَالقَلبُ يَهفُو وَيَرْجُفُ
وَلمْ تُغنِ حتّى زَايَلَ البُعْدُ بَينَنَا ،   وَحتّى رَمَانَا الأزْلَمُ المُتَغَطرِفُ
كَأنّ اللّيَالي كُنّ آلَيْنَ حَلْفَةً ،   بأنْ لا يُرَى فيهِنّ شَمْلٌ مُؤلَّفُ

أَلَمَّ خَيَالُ العَامِرِيَّةِ بَعدَمَا تَبَطَّنَنَا جَفْنٌ مِنَ اللَّيْلِ أَوْطَفُ
يُحَيِّي طِلاحاً حِينَ هَمَّوا بِوَقعَةٍ ، تَهَاوَوْا عَلى الأذْقَانِ مِمّا تَعَسّفُوا[1]
وَقِيذِينَ قَدْ مَالَ النّعاسُ بِهامِهِمْ كَمَا أرْعَشَتْ أيدي المُعاطِينَ قَرْقَفُ[2]
أعارِيبَ لا يَدرُونَ ما الرّيفُ بالفَلا، وَلا يَغْبِطُونَ القَوْمَ إمَّا تَرَيّفُوا
رَذايَا هَوًى إنْ عَنّ بَرْقٌ تَطاوَلُوا، وَإنْ عارَضُوا الطّيرَ الغَوَادي تَعَيّفُوا[3]
تَوَارَكَ للشّوْقِ الذي هُوَ آمِنٌ ، نَوَازِلَ بالأرْضِ الّتي هيَ أخْوَفُ
أيَا وَقفَةَ التّوْديعِ هَلْ فيكِ رَاجعٌ إشَارَتَهُ ذاكَ البَنَانُ المُطَرَّفُ
وَهَلْ مُطمِعي ذاكَ الغَزَالُ بلَفتَةٍ ، وَإنْ ثَوّرَ الرَّكْبُ العِجالَ وَأوْجَفُوا
عَشِيّةَ لا يَنفَكُّ لَحْظٌ مُبَهَّتٌ ، مُرَاقِبَةً مِنّا ، وَدَمْعٌ مُكَفْكَفُ
فَلِلّهِ مَنْ غَنّى الحُداةُ وَرَاءَهُ ؛ وَلله مَا وَارَى العَبِيطُ المُسَجَّفُ
وَسَائِلَةٍ عَنّي كَأنّيَ لَمْ ألِجْ حِمَى قَوْمِها وَاليَوْمُ بالنّقعِ مُسدِفُ
لَئِنْ كنتُ مَجهُولاً بذُلّيَ في الهوَى، فَإنّي بعِزّي عندَ غَيرِكِ أعرَفُ
فَلا تَعجَبي أنّي تَعَرّقَني الضّنَى ، فإنّ الهَوَى يَقوَى عَليّ وَأضْعُفُ
يُقَرِّعُ باسْمي الجَيشُ ثُمّ يَرُدّني إلى طَاعَةِ الحَسنَاءِ قَلبٌ مُكَلَّفُ
سَلي بي ألَمْ أنْغَلّ في لَهَوَاتِهَا ، وَفَحلُ الرّدى دوني بنابَيه يَصرِفُ
سَلي بي ألَمْ أحمِلْ علَى الضّيمِ ساعدي، وَقَد تُلِمُ المَاضِي ، وَرُضَّ المُثَقَّفُ

١ الطلاح : المعيين ، الواحد طليح .
٢ الوقيذون ، الواحد وقيذ : الذي مال به النعاس .
٣ الرذايا : الضعاف . تعيفوا ، من العيافة : زجر الطائر . والتكهن .

سَلي بي أَلَمْ أَثْنِ الأعِنَّةَ ظَافِراً ، تُحَدِّثُ عَنْ يَوْمي نِزَارٌ وَخِنْدِفُ
وَحَيٍّ تَخَطّتْ بي أعزَّ بُيُوتِهِ صُدُورُ المَوَاضِي وَالوَشيجُ المُرَعَّفُ
سَلي بي أَلَمْ أَصْبِرْ على الظّمْءِ بَعدَمَا هَوَى بالمَهَارِي نَفنَفٌ ثمّ نَفنَفُ[1]
وَكُلُّ غُلامٍ مِلْءُ دِرْعَيْهِ نَجدَةٌ وَلَوْثَةُ أعرَابِيّةٍ وَتَغَطْرُفُ
عَلى كُلّ طَاوٍ فيهِ جِدٌّ وَمَيْعَةٌ ، وَطَاوِيَةٍ فيها هِبَابٌ وَعَجرَفُ[2]
وَقَدْ أُتبِعَتْ سُمرُ العَوَالي زِجَاجَها ، وَحَنّ مِنَ الإنباضِ جزْعٌ مُعَطَّفُ
فإنْ تَسمَعُوا صَوْتَ المُرِنّاتِ تَعلَموا بمَنْ جَعَلَتْ تَدعو النّوَاعي وَتهتفُ
لَنَا الدّوْلَةُ الغَرّاءُ ، ما زَالَ عندَها من الجَوْرِ وَاقٍ أوْ من الظّلمِ مُنصِفُ
بعيدَةُ صَوْتٍ في العُلى ، غَيرُ رَافِعٍ بِهَا صَوْتَهُ المَظْلُومُ وَالمُتَحَيَّفُ
وَنَحنُ أعَزُّ النّاسِ شَرْقاً وَمَغرِباً ، وَأكرَمُ أبصَارٍ عَلى الأرْضِ تَطرِفُ
بَنُو كلّ فَيّاضِ اليَدَينِ من النّدى. إذا جَادَ ألغَى ما يَقُولُ المُعَنِّفُ
وَكُلٍّ مُحَيّاً بالسّلامِ مُعَظَّمٍ ، كَثيرٍ إلَيهِ النّاظِرُ المُتَشَوِّفُ
وَأبيَضَ بَسّامٍ كَأنّ جَبينَهُ سَنَا قَمَرٍ ، أوْ بَارِقٌ مُتَكَشِّفُ
حَيِيٍّ ، فإنْ سِيمَ الهَوَانَ رَأيتَهُ يَشُدُّ ولا ماضِي الغِرَارَينِ مُرْهَفُ
لَنَا الجَبَهاتُ المُستَنيرَاتُ في العُلى، إذا التَثَمَ الأقوَامُ ذُلاًّ وَأغْدَفُوا[3]
أبُونَا الذي أبدَى بِصِفّينَ سَيفَهُ ، ضُغَاءَ ابن هند ، وَالقَنا يتَقَصّفُ[4]

١ النفنف : المهوى بين جبلين ، وصقع الجبل .
٢ الهباب : النشاط . العجرف : العجرفة ، الكبرياء .
٣ التثموا : لبسوا اللثام . أغدف القناع : أرسله على وجهه .
٤ الضغاء : صياح السنور ، وصوت الذليل .

وَمِنْ قَبلِ مَا أبْلَى بِبَدْرٍ وَغَيرِها ، وَلا مَوْقِفٍ إلاّ لَهُ فيهِ مَوْقِفُ
وَرِثْنَا رَسُولَ اللهِ عُلْوِيَّ مَجدِهِ ، وَمُعظَمُ مَا ضَمّ الصّفَا وَالمُعَرَّفُ
وَعندَ رِجَالٍ أنّ جُلّ تُرَاثِهِ قَضِيبٌ مُحَلًّى ، أوْ رِداءٌ مُفَوَّفُ
يُرِيدُونَ أنْ نُلْقي إلَيهِمْ أكُفَّنَا ، وَمِن دَمِنا أيديهِمُ الدّهرَ تَنطِفُ
فَلِلّهِ مَا أقسَى ضَمَائِرَ قَوْمِنَا ، لَقَدْ جاوَزُوا حَدّ العُقوقِ وَأسرَفُوا
يَضِنّونَ أنْ نُعطَى نَصِيباً مِنَ العُلا ، وَقَدْ عالجُوا دَيْنَ العُلى وَتَسَلّفُوا
وَهَذا أبي الأدْنَى الذي تَعْرِفُونَهُ مُقَدَّمُ مَجْدٍ أوّلٌ وَمُخَلَّفُ
مُؤلِّفُ مَا بَينَ المُلُوكِ إذا هَفَوْا ، وَأشفَوْا عَلى حَزّ الرّقابِ وَأشرَفُوا
إذا قالَ : رُدّوا غاربَ الحِلمِ رَاجَعُوا ، وَإن قال : مهلاً بعضَ ذا الجَدّ وَقّفُوا
وَبالأمسِ لمّا صَالَ قادِرُ مُلْكِهِمْ ، وَأعرَضَ مِنهُ الجانِبُ المُتَخَوَّفُ
تَلافَاهُ حَتّى سَامَحَ الضّغْنَ قَلبُهُ ، وَأسْمَحَ لَمَّا قِيلَ لا يَتَألّفُ
وَكَانَ وَليُّ العَقْدِ وَالعَهْدِ بَيْنَهُ وَبَينَ بَهَاءِ المُلْكِ يَسعَى وَيَلطُفُ
وَلَمّا التَقَى نَجوَى عُقَيْلٍ لِنَبْوَةٍ ، وَمَدّ لهمْ حَبلاً من الغَدرِ مُحصَفُ
لَوَى عِطفَهُ ليُّ القَنيّ رِقَابَهُمْ ، وَلَوْ لِسِوَاهُ استَعطَفُوا ما تَعَطّفُوا
وَسَلْ مُضَراً لمّا سَمَا لدِيَارِهَا ، فَهَبّ وَنَامَ العَاجِزُ المُتَضَعِّفُ
تَوَلّجَها كالسَّيْلِ صُلْحاً وَعَنوَةً ، فأبقى وِرَدّ البِيضَ ظَمأى تَلَهّفُ
لَهُ وَقَفَاتٌ بالحَجيجِ شُهُودُها إلى عَقِبِ الدّنيَا مِنًى وَالمُخَيَّفُ
وَمِنْ مَآثُرَاتٍ غَيرَ هاتيكَ لم تَزَلْ لهَا عُنُقٌ عالٍ عَلى النّاسِ مُشرِفُ
حمَى فَاهُ عن بُسطِ المُلُوكِ وَقد كبتْ عَلَيها جِبَاهٌ مِنْ رِجَالٍ وَآنُفُ

زِمَامُ عُلاً لَوْ غَيْرُهُ رَامَ جَرَّهُ ، لَسَاقَ بِهِ حَادٍ مِن الذّلّ مُعْنِفُ
جَرَى ما جَرَى قَبلي ، وَهَا أنا خَلفَهُ إلى الأمَدِ الأقصَى أغِذُّ وَأُوجِفُ
وَلَوْلا مُرَاعَاةُ الأُبُوّةِ جُزْتُهُ ، وَلَكِنْ لغَيرِ العَجزِ ما أتَوَقّفُ
حذَفتُ فُضُولَ العَيشِ حتّى رَددتُها إلى دُونِ ما يَرْضَى بِهِ المُتَعَفّفُ
وَأمّلْتُ أنْ أجرِي خَفيفاً إلى العُلَى ، إذا شِئتُمُ أنْ تَلحَقُوا فتَخَفّفُوا
حَلَفْتُ برَبّ البُدْنِ تَدمَى نُحورُها ، وَبالنّفَرِ الأطْوَارِ لبَّوا وَعَرّفُوا[1]
لأبتَذِلَنّ النّفسَ حتّى أصُونَها ، وَغَيرِيَ في قَيدٍ من الذّلّ يَرْسُفُ
فقَدْ طالمَا ضَيّعتُ في العَيشِ فُرْصَةً ، وَهَلْ يَنفَعُ المَلْهُوفَ مَا يَتَلَهّفُ
وَإنّ قَوَافي الشّعرِ مَا لَمْ أكُنْ لهَا عَتيقٌ وَمُقرِفُ[2]
أنَا الفَارِسُ الوَثّابُ في صَهَوَاتِهَا ، وَكُلُّ مُجيدٍ جَاءَ بَعديَ مُرْدَفُ

لهفي على ذاك الزمان

قال في الوزير أبي علي الحسن بن حمد بن أبي الريان وكتب بها إليه يتشوقه ويعتب عليه :

أشْكُو إلَيكَ مَدامِعاً تَكِفُ، بَعدَ النّوَى ، وَجَوَانحاً تَجِفُ
وَحَشاً ، إذا ذُكِرَ الفِرَاقُ هَفَا في جانِبَيهِ الشّوْقُ وَالأسَفُ

١ الأطوار : الأصناف . عرفوا : وقفوا بعرفات .
٢ المسفسفة : غير المحكمة . العتيق : الجواد الرائع . المقرف : ما يداني الهجنة .

فُجِعَتْ بِعِلْقِ مَضَنَّةٍ يَدُهُ ، فأقَامَ لا عِوَضٌ ، ولا خَلَفُ
كالنَّاشِطِ امتَنَعَتْ مَوَارِدُهُ ، وَنَأَتْ عَلَيْهِ الرَّوْضَةُ الأُنُفُ
أُنْسٌ تَنَاقَصَ مَعْ تَكَامُلِهِ ، لا بَدْعَ إنَّ البَدْرَ يَنكَسِفُ
لا يُبْعِدِ اللهُ الّذينَ نَأَوْا ، وَقَفُوا الغَرَامَ بِنَا ، وَمَا وَقَفُوا
أيَّ القُوَى قَطَعُوا ، وَأيَّ دَمٍ سَفَكوا ، وَأيَّ جِرَاحَةٍ قَرَفُوا
لمْ أنسَ مَوْقِفَنَا وَوَقْفَتَهُمْ بَعدَ النّوَى ، وَدُمُوعُنا تَكِفُ
مُتَسَاكِتِينَ مِنَ الوُجُومِ ، وَقَد نَطَقَتْ عَلَينا الأدمُعُ الذُّرُفُ
يا رَاكِبَ الكَوْمَاءِ ، غَارِبُها كالطَّوْدِ أوْفَى فَوْقَهُ الشَّعَفُ[1]
يَطَأُ الظّلامَ عَلى مَفَارِقِهِ ، وَاللّيْلُ في أجْفَانِهِ وَطَفُ[2]
ذَرَعَ الدُّجَى وَطَوَى خَميصَتَهُ ، وَلهَا عَلى قِمَمِ الرُّبَى كُفَفُ[3]
حتّى نَضَا الإظْلامُ صِبغَتَهُ ، وَطَوَاهُ جَوْنُ اللّيلِ مُنكَشِفُ
مَاضٍ ، إذا أهْوَى بِهِ كَنَفٌ مِنْ جِنحِ لَيْلٍ ضَمّهُ كَنَفُ
أبْلِغْ فَتَى حَمْدٍ مُذَكَّرَةً ، تَنقَدُّ مِنها البِيضُ وَالزَّغَفُ[4]
نَفَثَاتُ مَكْرُوبٍ ألَظَّ بِهِ حَرُّ الجَوَى ، وَعَلا بهِ الكَلَفُ
مَا كَانَ أسرَعَ مَا نَبَا زَمَنٌ ، وَتَكَدّرَتْ مِنْ وُدّنَا نُطَفُ

١ الكوماء : الناقة الغليظة السنام . الشعف : رؤوس الجبال ، الواحدة شعفة .
٢ الوطف : الانسدال واسترخاء الجوانب .
٣ الكفف ، الواحدة كفة : ما استدار حول الذيل ، واستطال من الثوب .
٤ الزغف : الدروع .

حَبْلٌ ، غَدا بأكُفّنَا طَرَفٌ مِنهُ ، وَفي أيدِي النّوَى طَرَفُ
هَلْ حُسْنُ ذاكَ الدّهرِ مُرْتجَعٌ ، أمْ طيبُ ذاكَ العَيشِ مُؤتَنَفُ
أمْ هَلْ يُبَاحُ الوِرْدُ ثَانِيَةً ، وَيَلَذُّ بَرْدَ المَاءِ مُرْتَشِفُ
لهفي عَلى ذاكَ الزّمَانِ ، وَهَلْ يَثْني زَمَاناً مَاضِياً لَهَفُ
انبَتّ بَعدَكَ حَبلُنا ، وَحَدَتْ كُلاً لِطِيّتِهِ نَوًى قُذُفُ
وَانفَكّ سِلْكُ نِظَامِنا ، بَدَداً ، وَلَقَدْ غَنِينَا ، وَهوَ مُؤتَلِفُ
وَتَجَنّبَ البَتّيُّ جَانِبَنَا ، وَنَبَا فَلا وُدٌّ ، وَلا شَعَفُ[1]
وَقَلَى مَجَالِسَنَا ، وَمَالَ بِهِ عِطْفٌ إلى البَغضَاءِ مُنعَطِفُ
وَأزِيحَ ذاكَ الأُنْسُ أجمَعُهُ ، وَأُمِيطَ ذاكَ البِرُّ وَاللَّطَفُ
جَعَلَ الوَصِيّةَ تَحتَ أخمَصِهِ ، وَأتَى الإسَاءَةَ ، وَهوَ مُعتَرِفُ
إنّا نَذُمُّ إلَيْكَ خُلّتَهُ ، فَهوَ المَلُولُ الغَادِرُ الطَّرِفُ
فَلَعَلّنَا ، وَلَعَلّ مُطْمِعَةٌ يَوْماً بقُرْبِكَ مِنهُ نَنْتَصِفُ
فَسَقَى لَيالِيَنا الّتي سَلَفَتْ فَرْطٌ مِنَ الأنْوَاءِ أوْ سَلَفُ
يُحْدَى بسَوْطِ الرّيحِ تَحفِزُهُ هَفّافَةٌ في سَوْقِهَا عَنَفُ
نَتَجَ الصّبَاحُ عِشَارَهُ سَبَلاً جَوْداً ، وَألقَحَ شولَهُ السَّدَفُ[2]
نَدعُوكَ حينَ الشّملُ مُنشَعِبٌ ، فَتَلافَنَا ، وَالرّأيُ مُختَلِفُ

١ البَتّي : الذي يصنع البتوت ، الواحد بت : ضرب من الطيالسة .

٢ السبل : المطر . السدف : الظلام .

إنْ لمْ تَقُمْ تِلْكَ الغُصُونُ غداً   مِنهُنّ مُنْـآدٌ وَمُنقَصِفُ
لا تَحْسَبَنْ قَوْلي مُماذَقَةً ،   وَجدِي بِبُعدِكَ فَوْقَ ما أصِفُ

السن بالسن

قال على لسان رجل سأله القول في هذا المعنى

جرّعْتَني غُصَصاً، وَرُحتَ مُسَلَّماً،   فَلأسقِينّكَ مِثْلَهَا أضْعَافَا
إنْ نَجتَمِعْ يَوْماً أكُنْ لكَ جُذْوَةً   حَمْ ، بوسِع جانبيكَ ثِقَافَا
انسى التِفَاتي لا أرَاكَ ورجعَتي   أبكي الدّيَارَ ، وَأنْدُبُ الألاّفَا
أنسَى ارْتِفَاقي ، وَالعيُونُ هَوَاجعٌ ،   وَجَوَانبي عَنْ مَضْجَعي تَتَجَافَى
أنسَى اشتِمَالي بالسَّقَامِ مُقِيمَةً   عِنْدِي عَقَائِلُهُ ، وَأنْتَ مُعَافَى
كَمْ قد أرَدْتُ على التّبَدّلِ خَاطِرِي،   فَأبَى ، وَزَاغَ عَنِ البَدِيلِ وَعَافَا
وَرَقَبْتُهُ ، فَرَأيْتُهُ مُتَمَنّعاً ،   وَبَعَثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ وَقّافَا
وَعَذَرْتُهُ بَعْدَ الإبَاءِ لأنّهُ   ظَنّ الذي يُطْرَى كأنْتَ ، فَخَافَا
وَلَقَدْ جَنَيْتَ عَليّ عَمداً لا كَمَنْ   عَرَفَ الجِنَايَةَ مُخطِئاً فَتَلافَى
مَا هَكَذا مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أنّهُ   عَينُ الصّدِيقِ وَلا كَذا مَن صَافَى
هَبْ لمْ يَكُنْ لكَ بالوَفَاءِ عَوَائِدٌ ،   أتُرَاكَ مَا أحسَنْتَ أنْ تَتَوَافَى
وَمِنَ العَجائبِ أنْ وَفَيْتُ لغادِرٍ ،   نَقَضَ العُهُودَ وَضَيّعَ الأحْلافَا

لا كُنتُ مِنْ رَيْبِ الزّمَانِ بِسَالِمٍ   إنْ كُنتَ تَسلَمُ مِن يَدَيّ كِفَافَا
بل لا التَذَذْتُ مِنَ الزّمانِ بشَرْبَةٍ ،   إنْ لم أُعِضْكَ من الزُّلالِ ذُعَافَا
إنْ حَافَ لي دَهْرٌ عَلَيْكَ ، فَطالمَا   مَالَ الزّمَانُ عَليّ فيكَ وَحَافَا

طرافة الزمان

يعاتب صديقاً له

كُلُّ شيءٍ مِنَ الزّمانِ طَرِيفُ،   وَاللّيَالي مَغَانِمٌ وَحُتُوفُ
لا يَبُذُّ الهُمُومَ إلاّ غُلامٌ ،   يَرْكَبُ الهَوْلَ، وَالحُسامُ رَدِيفُ
كُلّمَا حَزّتِ النّوَائِبُ فِينَا ،   أطلَعَتْنَا عَلى الكُلُومِ القُرُوفُ
يا أبَا الفَضْلِ ، وَالأُمُورُ فُنُونٌ ،   تَبعَثُ الهَمّ ، وَالخطوبُ صُرُوفُ
وَحِفاظي كمَا عَلِمتَ ، وَلَكِنْ   أنْكَرَ الغَدْرَ وُدّيَ المَعرُوفُ
إنّمَا الغَدْرُ في الرّجالِ أذَبٌّ ،   إنْ تَأمّلْتَ ، وَالوَفَاءُ ألُوفُ[1]
صَرّحَ الاقتِضَاءُ ، وَالقَوْلُ مَحبو   سٌ عَلى مَا تُرِيدُهُ مَوْقُوفُ
وَمُرَادي يَقِلُّ في جَنْبِ نُعْمَا   كَ ، فَأينَ التّكَرّمُ المَألُوفُ
إنّ قَوْلَ الجَوَادِ يَتْبَعُهُ الفِعْـ   لُ كمَا يَتْبَعُ الوَظيفَ الوَظيفُ[2]

١ الأذب : الجاف ، الهزيل ، الذاوي ، ولعله هنا في معنى أنه غير ألوف .
٢ يقال : جاءت الإبل على وظيف إذا تبع بعضها بعضاً .

ما يُذلُّ الزّمانُ بالفقرِ حرّاً ، كيفَ ما كانَ فالشّريفُ شريفُ
إنْ تكرّمتَ ، فالخليلُ كريمٌ ، أوْ تمنّعتَ ، فالملولُ عنيفُ
أوْ يكُنْ أنكرَ الإخاءَ قديماً منكَ قلبٌ فإنّ قلبي عرُوفُ
أحْمَدُ اللهَ أنّني ما تقصّيْـ تُ ، وإنّ الذي طلبتُ طفيفُ
فاجعلِ الآنَ ما سألتُكَ برّاً ، إنّما البِرُّ منزِلٌ مألُوفُ
واحتمِلْ سطْوةَ العتابِ فخيرُ الـ نّبعِ ما مدّ متْنَهُ التّثقيفُ
وعِتابي هزّاً لعطْفِكَ ، والأغـ صانُ ما لمْ تهزّهُنّ وُقُوفُ

الرسول الحصيف

كتب إليه أبو إسحق الصابي
يعتذر من تأخره عن زيارته لعلة
عرضت له في شهر ذي القعدة سنة ٣٩٦ :

أقعدتْنا زمانةٌ وزمانٌ ، جائرٌ عن قضاءِ حقّ الشّريفِ
ولئِنْ ثقّلا عنِ الخِدْمةِ الحظْـ وَ لعنْ خاطرٍ إليها خفيفِ
فاقتصرْنا فيما نؤدّي منَ العرْ ضِ على الكُتبِ والرّسولِ الحصيفِ
والفتى ذو الشّبابِ يبسُطُ في التّقْـ صيرِ عُذرَ الشّيخِ العليلِ الضّعيفِ

كل يوم وداع

فأجابه عن هذه الأبيات وجعل
الجواب قصيدة لأن الكلام امتد فيها :

كَمْ ذَميلٍ إلَيكُمُ ووَجيفِ ، وَصُدُودٍ عَنّا لكُمْ وَصُدُوفِ
وَغَرَامٌ بِكُمْ ، لَوَ انّ غَرَاماً جَرّ نَفْعاً للوَاجِدِ المَشْغُوفِ
صَبْوَةٌ ثُمّ عِفّةٌ مَا أضَرّ الحُبّ في كُلّ خَلْوَةٍ بالعَفيفِ
هَجَرُونَا ، ولَمْ يُلامُوا ، وَوَاصَلْنَا عَلى مُؤلِمٍ مِنَ التّعنيفِ
وَطَلَبْنَا الوَفَاءَ ، حتّى إذا عَزّ رَضِينا بالمَطْلِ وَالتّسْويفِ
كيفَ يرْجو الكَثيرَ مَن رَاضَه الشّوْقُ إلى أنْ رَضِي ببَذْلِ الطّفيفِ
إنّ بَينَ الحِمَى إلى جانبِ الرّمْلِ مَعَاناً مِنَ الظّبَاءِ الهِيفِ
عَاطِيَاتٍ بَلْ عَاطِلاتٍ، وَمَا أغْنَى الدُّمَى عَنْ قَلائِدٍ وَشُنُوفِ
عارَضَتْكَ الحُدُوجُ بالجِزْعِ يُحْدَيْنَ بعِزّ يَمَاتِهِمْ في السّيُوفِ[1]
سَائِلاتِ الرّفَاقِ أينَ مَصَابُ الْغَيثِ مِنْ جَوّ مَرْبَعٍ وَمَصِيفِ
وَبُدُورٍ يَلِطُّ مِنْ دُونِهَا النّقْعُ وَلا يَكْتَفي بلَطّ السُّجُوفِ[2]

١ قوله : يماتهم ، هكذا في الأصل ، وقد شرحت في الديوان بمعنى أمامهم من قولهم امض يماتي أي أمامي ، ولم نجدها .

٢ يلط : يستر .

بَعُدَتْ شِقَّةُ الوِصَالِ ، إذا كُنّا نَ بِخَوْضِ القَنا وَخَرْقِ الصُّفوفِ
وَوَرَاءَ الغَبيطِ مِنْ ذَلِكَ السِّرْ بِ أجَمٌّ مُبَرْقَعٌ بالنَّصيفِ[1]
مَانِعٌ لا يَجُودُ بالنَّيلِ ، مَمنُو عٌ بِرَزٍّ مِنَ القَنَا وَحَفيفِ[2]
مِنْ أقَاحٍ غُمِسنَ في البَارِدِ العذ بِ طَوِيلاً وَمن قَضِيبٍ قَضيفِ
مَوْرِدٌ يَنْقَعُ الغَلِيلَ ، وَيَزْدا دُ صَفَاءً عَلى طُرُوقِ الرَّشيفِ
كُلَّ يَوْمٍ وَدَاعُ رَكْبٍ عِجَالٍ بالنَّوَى أوْ عَنَاءُ رَكبٍ وُقُوفِ
فَكَثيرٌ إلى الحُمُولِ التِفَاتي ، وَطَوِيلٌ عَلى الدّيَارِ وُقُوفي
لا تُوَلِّ الأظْعَانَ عَيناً ، فَما تَرْ جِعُ إلاّ بِنَاظِرٍ مَطْرُوفِ
وَدَعِ المَرْءَ بالدّيَارِ ، فَمَا يُجْ دي عَلى وَاقِفٍ ، وَلا مَوْقُوفِ
وَاعدُدِ الجِيرَةَ الحُضُورَ ، إذا ضَ نُّوا عِدادَ النّائِينَ عنكَ الخُلوفِ
شَغَلَ الهَمُّ أهْلَهُ ، وَاستَقَلنا الْ لَيْلَ مِنْ زَوْرَةِ الخَيالِ المُطيفِ
وَضُيُوفُ الهُمُومِ مُذْ كُنَّ لا يَنْ زِلْنَ إلاّ على العَظيمِ الشّرِيفِ
كالجَنابِ المَمطُورِ يَزْدَحِمُ الوُ رّادُ فيهِ ، وَالمَنْزِلِ المَألُوفِ
لمْ يُثَقِّفْ عُودي الزّمانُ ، وَلكنْ ضَجّ عُودُ الزّمانِ مِنْ تَثقيفي
قُلتُ للدّهرِ يَوْمَ رَامَ اختداعي عن جَناني المَاضِي وَنَفسي العزُوفِ
عُدْ ذَمِيماً هُبِلتَ وَاطلُبْ لشَمّ ال ذُلّ يا دَهرُ غَيرَ هذي الأُنُوفِ
لمْ تُوَفِّ العِشرِينَ سِنّي وَإنّ ال حِلْمَ مِنّي عَلى الجِبالِ لَمُوفي

[1] الأجم : الذي لا قرون له . وأراد الظبي .
[2] الرز : الطعن .

فيّ معنى المَشيبِ حُكماً وَإنْ كَا ... نَ نُهُوضِي عَنِ الصِّبَا وَخُفُوفي
وَإذا البُرْدُ كَانَ في اليَدِ وَالعَيْ ... نِ صَنيعاً أغنَى عَنِ التّفويفِ
هزّ عِطْفي إلى الأغرّ أبي إسْ ... حَقَ وُدٌّ يَلْوِي علَيهِ صَليفي[1]
وَنِزَاعٌ يَهْفُو إليْهِ بِلُبّي ، ... هَفَوَاتِ المُصَرْصِرِ الغِطرِيفِ
كَيفَ لا أغلِبُ الزّمَانَ ، وَهذا الـ ... ـنّدْبُ يَغدُو على الزّمانِ حَليفي
كَلِمٌ كالنُّصُولِ هَذّبَها القَيْـ ... ـنُ وَوَجهٌ كالهِرْقِليّ المَشُوفِ[2]
إنّ شَكْوَاكَ للزّمَانِ مُبِينٌ ... لي عَلى قَدْرِ عَقْلِهِ المَضْعُوفِ
أيَعُومُ المَجهُولُ بَحراً ، وَلا يَنْـ ... ـقَعُ غُلاًّ للفَاضِلِ المَعرُوفِ
قَدّمَتْ غيرَكَ الجُدُودُ ، وَأُخّرْ ... تَ ، وَلكِنْ أنَافَ غَيرَ مُنيفِ
وَالحُظُوظُ البَلهاءُ مِن ذي اللّيالي ... أنكَحَتْ بنتَ عامرٍ مِنْ ثَقيفِ
قَصَفَ الدّهرُ فيكَ رُمحاً مِنَ الكَيْـ ... ـدِ وَحَامَى عَنِ المَعيبِ المَؤوفِ[3]
إنْ حُرِمتَ الرِّزْقَ الذي نَالَ منهُ ... فَدَوَاءُ العَيِيّ داءُ الحَصِيفِ
عَمَلٌ فَاضِحٌ وَأجمَلُ مِنْ بَعْـ ... ـضِ الوِلاياتِ عُطلَةُ المَصرُوفِ
فاصْطَبِرْ للخطوبِ، رُبّ اصْطِبارٍ ... شَقّ فَجراً مِن لَيلِهِنّ المَخوفِ
إنّمَا نَلْبَسُ الدّرُوعَ ثِقَالاً ، ... لرُجُوعٍ إلى خِفافِ الشُّفُوفِ
كَمْ تحَمّلتَها بظَهرٍ مِنَ الصّبْـ ... ـرِ فخَفّتْ وَالعِبْءُ غَيرُ خَفيفِ

١ صليفي : صفحة عنقي .
٢ الهرقلي : الدينار ، نسبة إلى هرقل ، أحد ملوك الروم . المشوف : المجلو .
٣ المؤوف : ما كان فيه آفة ، فساد .

إن أوْلى بالصّبرِ إن حُرّجَتْهُ ، مَنْ حَشاهُ مِنها كثيرُ القُرُوفِ
لمْ تغِبْ عنْ سَوَادِ قَلبي ،وإن غِبـ ـتَ مُعَنّى نَوَائِبٍ وَصُرُوفِ
قِرَّ عَيْناً بطارِقاتِ الشّكَايَا ، ما تَجافَتْ مُطَرِّقاتُ الحُتُوفِ
أتُرَانا نُطيقُ دَفْعاً لِمَا أعْـ يَا صِلالَ النّقَا وَأسدَ الغَرِيفِ
أمهلَ النّاقصُونَ وَاستعجلَ الدّهْـ ـرُ بِسَوْقٍ للفَاضِلِينَ عَنيفِ
مَن يكنْ فاضِلاً يَعشْ بينَ ذا النّا سِ بقَلْبٍ جَوٍ وبَالٍ كَسيفِ
كُلّما كانَ زَائِدَ العَقلِ أمسَى نَاقِصاً مِنْ تَليدِهِ وَالطّرِيفِ
لا عَجيبٌ أنّي سَبَقتُ ، وَأعرَقْـ ـتُ جِيَادَ المَنْثُورِ وَالمَرْصُوفِ
أنتَ يا فارِسَ الكَلامِ تَقَدّمْـ ـتَ وَأخلَيتَ لي مَكانَ الرّديفِ

قسماً برب الراقصات

صديقاً له

قَضَتِ المَنازِلُ يَوْمَ كَاظِمَةٍ أنّ المَطِيّ يَطُولُ مَوْقِفُهَا
لَمَعٌ مِنَ الأطْلالِ يُحزِنُنا مُحتَلُّهَا البَالي وَمَألَفُهَا
سَبَقَتْ مَدامِعُهَا برَشّتِهَا ، مِن قَبلِ أن يُومي مُكَفكِفُهَا
وَتَكَلّفَتْ مِنْ صَوْبِ ماطِرِها فَوْقَ الذي يَرْجُو مُكَلِّفُهَا
إنْ كُنتُ أنفَدْتُ الدّمُوعَ بِها، فالوَجْدُ بَعْدَ اليَوْمِ يُخلِفُهَا

لا مِنّةٌ منّي علَى طلَلٍ ، دِيَمٌ طِلاعُ العَينِ أذْرِفُهَا
وَلَوَاعِجٌ نَفَسِي يُنَفِّسُهَا ، وَبَلابِلٌ دَمْعِي يُخَفِّفُهَا
ظَعَنُوا فَلِلأحشَاءِ مُذْ ظَعَنُوا حُرَقٌ تُعَسِّفُهَا وَتَعسِفُهَا[1]
لا تَنشُدَنّ الدّارَ بَعْدَهُمُ ، إنّي عَلَى الإقْوَاءِ أعرِفُهَا
وَعَلامَةٌ للشّوْقِ أُضْمِرُهُ ، طَرَبِي إلى الإيقَاعِ أشرَفُهَا
في كُلّ يَوْمٍ لي غَرِيمُ هَوًى ، يَلْوِي الدّيُونَ ، وَلا يُسَوّفُهَا
رِفقاً بقَلبي ، يا أبَا حَسَنٍ ، العَينُ مِنكَ ، وَأنتَ تَطرِفُهَا
فَكَأنّني بِعَلائِقٍ شُعَبٍ قَدْ زَالَ عَنْ أمَمٍ تَألّفُهَا[2]
وَمُقَوَّمَاتٍ مِنْ غُصُونِ هوًى يَعْوَجُّ أطْوَاراً مُثَقِّفُهَا
في القَلْبِ مِنكَ جِرَاحَةٌ أبداً ، مَا زِلْتُ أدْمُلُهَا وَتَقْرِفُهَا
كَمْ مِنْ مَعاقِدَ بِتَّ تَفسَخُهَا ، وَمَوَاعِدٍ بالقُرْبِ تُخْلِفُهَا
أمّا الحِفَاظُ ، فأنْتَ تَمطُلُهُ ، وَالمُحفِظَاتُ فَأنْتَ تُسْلِفُهَا
سأرُومُ عَطْفَ النّفسِ عنك وَإن كَانَ الغَرَامُ إلَيْكَ يَعطِفُهَا
وَلَطَالَمَا استَصْرَفتُهَا مَلَلاً ، وَلَئِن صَحَوْتُ فسَوْفَ أصرِفُهَا
وَإذا طَلَبْتُ بِهَا السّلُوّ أبَى إلاّ النّزَاعَ إلَيْكَ مُدْنِفُهَا
فَكَأنّ مُنْسِيَهَا يُذَكّرُهَا ، أوْ مَا يُؤسّيها يُسَوِّفُهَا
تَمضِي ، وَنَحْوَكُمُ تَلَفُّتُهَا ، وَإلَى لِقَائِكُمُ تَشَوّفُهَا

١ تعسفها : تظلمها ، تجور عليها .
٢ الشعب : المتفرقة .

فَهَوَاكُمُ، وَالشَّوْقُ يَعذِرُها، وَذَمِيمُ فِعْلِكُمُ يُعَنِّفُهَا
هَلْ يَعْطِفَنَّكُمُ تَوَجُّعُها، أوْ يُقْبِلَنّ بِكُمْ تَلَهُّفُهَا
فاستَبْقِ مِنهَا مَا يُضَنّ بِهِ، تِلْكَ الصّبَابَةُ أنتَ تَرْشُفُهَا
لا تَأمَنَنْهَا إنْ أسَأتُ بِهَا، هيَ مَا عَلِمْتَ وَأنتَ تَعرِفُهَا
إنْ كَانَ يُطْمِعُكُمْ تَذَلّلُها، فلَسَوْفَ يُفزِعُكُمْ تَغَطرُفُهَا
وَلَئِنْ غَلا فيكُمْ تَهَالُكُهَا، فَلَيَكْثُرَنْ عَنكُمْ تَعَفّفُهَا
سَأرُوغُ عَنْ وِرْدِ الهَوَانِ بِهِ، هيَ غَرْفَةٌ لا بُدّ أغْرُفُهَا
إنّ الهَضِيمَةَ أنْ أُقَادَ لهَا، قَدْرٌ لَعَمْرُكَ لا أُؤثّفُهَا[1]
يَدْنُو بِنَفْسِي لِينُها كَرَماً، وَيَبِينُ عِنْدَ الضّيمِ عَجْرَفُهَا
قَسَماً بِرَبّ الرّاقِصَاتِ هَوًى، أَمَمَ البِنَاءِ العَوْدِ مَوْجِفُهَا[2]
يَطلُبْنَ رَابِدَةَ الظّلِيمِ، إذا طَرَقَ الظّلامُ أُضِلّ مُسْدِفُهَا
بلَغَتْ على عَلَلِ السُّرَى، وَغدتْ وَمِلاؤهَا بالبُدْنِ نَصّفَهَا
يَغْدُو عَلى الإرْقَالِ مُؤتَدِماً مِنْ نَيّهَا العَامِيّ نَفْنَفُهَا
يَنْجُو عَلى رَمَقٍ مُقَدّمُهَا، وَيُقِيمُ مَعْذُوراً مُخَلَّفُهَا
وَبحيثُ جَعجعتِ العَرِيبُ ضُحًى مِثْلَ الحَنِيّ بُلِي مُعَطَّفُهَا
وَبِفَضْلِ مَا أوْعَى مُحَصَّبُهَا، وَأقَرّ مِنْ قِدَمٍ مُعَرَّفُهَا
إنّي عَلى طُولِ الصّدُودِ لكُمْ كالنّفْسِ مَأمُونٌ تَحَيّفُهَا

١ أؤثفها : أجعل لها أثافي .
٢ الأمم : القرب . العود : المسن من الإبل . موجفها : مسيرها .

أرْضَى وَأغضَبُ في حبابِكُمُ ، وَرِقَابُ وُدّي لا أُصَرّفُهَا
جَاءتْكُمُ أسَلاً مُشَرَّعَةً ، مُتَوَقَّعاً فيكُمْ تَقَصّفُهَا
قَدْ بَاتَ فيها قَائِلٌ صَنَعٌ ، يَهْمي لِهَاذِمِهَا وَيُرْهِفُهَا
أعزِزْ عَليّ بِأنْ يَكُونَ لكُمْ بالأمْسِ ثقّفَهَا مُثَقّفُهَا
وَبَرَاقِعاً للعَارِ ضَافِيَةً يَبقَى عَلى الأيّامِ مُغْدِفُهَا
يُجْلَى لأعيُنِكُمْ مُشَوَّهُها ، وَلَقَد يكُونُ لَكُمْ مُفَوَّفُهَا
إنْ تَستَعيذُوا مِنْ تَوَسّطِهَا أعرَاضَكُمْ ، فكَفَى تَطَرّفُهَا
فتَزَاجَرُوا مِنْ قَبلِ أنْ تَرِدُوا بِمَوَارِدٍ مُرٍّ تَرَشّفُهَا
وَتَغَنّمُوا إبْطَاءَ عَارِضِهَا ، مِنْ قَبلِ أن يَمرِيهِ حَرْجَفُهَا[1]
فَلْتُرْجِعُوا أمَماً تَلَوّمَهَا ، وَلْتُقْلِعُوا نَدَماً تَوَقّفَهَا[2]

١ حرجفها : ريحها الباردة .
٢ هذا البيت غامض ، وفيه إقواء .

لا تستهبوا الشر

قال في بعض الأغراض وذلك في شهر رمضان سنة ٣٩٤

أقُولُ لهَا بَيْنَ الغَدِيرَيْنِ وَالنّقَا ، سَوَادُ الدُّجَى بَيني وَبَيْنَ المَناصِفِ
خُذِي الجَانِبَ الوَحشِيَّ لا تَتَعَرّضِي لِحَيٍّ حِلالٍ باللّوَى وَالأصَالِفِ[1]
أمامَكِ ! إنّ الخَوْفَ حادٍ مُشَمِّرٌ ، وَمَا للمَطَايا مثلُ حادي المَخاوِفِ
فَمَرّتْ تَظُنُّ النِّسعَ صَوْتاً أُجيلُهُ ، فَلا عُذْرَ إلاّ تَتّقي بالعَجَارِفِ
وَقَعْتُ بِهَا في أوّلِ الفَجرِ وَقعَةً ، غِشَاشاً ، كَمَا أقضِي ألِيّةَ حَالِفِ
وَأشْمَمْتُهَا رَمْلَ الأُنَيعِمِ غُدوَةً ، فَسَافَتْ بأنفٍ مُنكِرٍ غيرِ عارِفِ
أُحَمّلُهَا الشّوْقَ القَديمَ ، فتَنبَرِي بأجلادِ عَاني القَلبِ جَمِّ المَشاغِفِ
كَثيرِ التفاتِ الطّرْفِ في كلّ مَذهَبٍ بأنّةِ مَصْدُورٍ عَلى البَينِ لاهِفِ
إذا مَا دَعَاهُ الشّوْقُ رَاوَحَ كَفَّهُ على لاعجٍ في مُضْمَرِ القَلبِ لاطِفِ[2]
أعَادَ لَهُ البَرْقُ الحِجازِيُّ مَوْهِناً عَقابيلَ أيّامِ اللّقَاءِ السّوَالِفِ
كأنّ بهِ مِن خَطبِ ظَمياءَ غُصّةً يَسيغُ شَجَاها بالدّمُوعِ الذّوَارِفِ
كَأنّ أُثَيْوَابي عَلى ذِئْبِ رَدْهَةٍ دَنَا اللّيلُ ، فاستَنشى رِياحَ التّنائِفِ[3]

١ الأصالف : الأراضي الغليظة .
٢ لاطف : داخل .
٣ استنشى الريح : شمها . التنائف ، الواحدة تنوفة : الأرض البعيدة الأطراف .

أُقَوِّمُهَا ، حتّى إذا قِيلَ رَاكِبٌ ، تَطَالَعتُ مَرَّ المَائِلِ المُتَجانِفِ
عَسَفْنَا بِإرْقَالِ المَطِيِّ ، وَطَالمَا صَبَرْنا عَلى ضَيمِ العِدى وَالمَخاسِفِ
وَمَا سَرّنِي أنّي أُقِيمُ عَلى الأذَى ، وَأنّي بِدارِ الهُونِ بَعضُ الخَلائِفِ
فَجُوِرِي المَلا أوْ جاوِرِي بي رَبيعَةً ، وَأسرَةَ عَيْلانِ الطِّوَالِ الغَطارِفِ
مِنَ البيضِ ،غُرّانِ المَجالي،إذا انتدوا بَدَا لكِ بَسّامُونَ شُمُّ المَرَاعِفِ
هُناكَ إذا استَلْبَسْتِ أُلبِسْتِ فيهِمُ جَناحَيْ عَتيقٍ آمِنِ الظّلّ وَاجِفِ
بحَيْثُ إذا أعطَى الذّمَامُ حِبَالَةً عَلِقتِ بِهَا غَيرَ البَوَالي الضّعائِفِ
إذا مَا طَلَعتِ النّقْبَ،وَاللّيلُ دونَه ، أمِنْتِ العِدَى إلاّ تَلَفُّتَ خائِفِ
نَجَوْتِ فكَمْ مِنْ عَضّةٍ في أنامِلٍ عَليكِ ، وَلَهْفٍ من قُلوبٍ لَوَاهِفِ
أتُوعِدُني بالقَارِعَاتِ بَجِيلَةٌ ؟ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ عَرّضْتُمُ للمَتَالِفِ
إذا غَضِبُوا للأمْرِ كَانَ وَعيدُهُمْ حَبِيقَ الألايَا ، وَارْتِعادَ الرَّوَانِفِ[1]
لَهُمْ نَبَعَاتُ الشّرّ يَنْتَبِلُونَهَا ضُرُوباً، فمِنْ بادي عُقُوقٍ وَرَاصِفِ
مَجَاهِيلُ أغفَالٌ ، إذا مَا تَعرّضُوا، بأحْسَابِهِمْ أنْكَرْتَهُمْ بالمَعارِفِ
وكَم أُسرَةٍ من غيرِكُم ذاتِ شَوْكَةٍ دَبَبْنَا إلى عِيدانِهِمْ بالقَوَاصِفِ[2]
عَطَفْنَا إلَيْهَا بالعَوَالي أسِنّةً ، شُرُوعاً كأذنابِ العِظاءِ الدّوَالِفِ[3]

١ الحبيق : الضراط . الألايا ، الواحدة ألية : ما ركب العجز وتدلى من شحم ولحم . الروانف أسفل الألية .

٢ دبينا : مشينا مشياً رويداً .

٣ العظاء : الإبل التي وجعتها بطونها من أكل العنظوان ، وهو نبت من الحمض .

وَعُدْنا بِها حُمراً تَقيءُ صُدُورُها دِماءَ العِدى قَطرَ الأنوفِ الرّوَاعِفِ
وكنّا ، إذا داعٍ دَعَا لِوَقيعَةٍ ، سَحَبْنَا لهَا الأرْماحَ سَحبَ المَطارِفِ
عَجِبتُ لذي لَوْنَينِ خالَطَ شيمَتي ، فكَشّفتُ منهُ مُخزِياتِ المَكاشِفِ
ضَمَمْتُ يَدي مِنْهُ ، وكانتْ غباوَةً على ضَرْبِ مَرْدودٍ من الوَرْقِ زَائفِ[1]
يُخاوِصُ عَينَ النّارِ خوْفاً من القِرَى إذا نارُ قَوْمٍ أُوقِدَتْ بالمَشَارِفِ
وَإنْ آنَسَ الأضْيافَ صَمّتَ كَلبَه، وَطَـأطَـأ أعنَاقَ المَطيّ الصّوَارِفِ
نبَذْتُكَ نَبذَ السّنّ بَعدَ انفِصَامِها، وَإنّي لَمِجْذامُ القَرِينِ المُخَالِفِ
إذا المَرْءُ مَضّتْهُ قَذاةٌ بِطَرْفِهِ . فغَيرُ مَلُومٍ إنْ رَمَاهَا بحَاذِفِ
وَمَا أنْتَ مِنْ جَدّي فيُرْجِعَ رَاجعٌ مِنَ الرَّحِمِ البَلهاءِ بَعضَ العَوَاطِفِ
حلَفْتُ بمَنْ عَجّ المُلَبّونَ باسمِهِ عَجيجَ المَطايَا مِنْ مِنًى وَالمَوَاقِفِ
عِجَافاً كأوْتارِ الحَنايا مِنَ الطّوَى ، على مِثْلِ أعجاسِ القِسِيّ العَطَائِفِ
طَوَى الضُّمرُ من أجوَافِها بعدما انتهتْ تَمَاثِلُهَا ، طَيّ البُرُودِ اللّطَائِفِ
تَرَى كلّ مَجهودٍ ، إذا مَنّه السُّرَى ، أكَبّ عَلى السّرْجينِ إكبابَ رَاعِفِ
وَرَبِّ الهَدايَا المُشعرَاتِ نَكُبُّهَا عِجالاً ، وَرَبّ الرّاقِصَاتِ الحَوَانِفِ
وَما بالصّفَا مِنْ حالِقٍ وَمُقَصِّرٍ ، وَمِنْ ماسحٍ رُكْنَ العَتيقِ وَطَائِفِ
وَسَاعٍ إلى أعْلامِ جَمْعٍ ، وَدافعٍ ، وَمَاشٍ على جَنبَيْ ألالٍ وَوَاقِفِ
لأعرَاضُكُمْ عِنْدِي أشَدُّ مَهانَةً مِنَ الحَنظَلِ العاميّ عندَ النّوَاقِفِ

[1] الورق : الدراهم المضروبة .

فَلا تَستَهيبُوا الشّرَّ مِنْ رَقَداتِهِ ، تَ السّنينَ الحَوالِفِ
قَوَافِيَ يَقْطُرْنَ السَّمَامَ كَأنّهَا مَلاغِمُ حَيّ الرِّمَالِ الزّوَا
فكَمْ حَمْضَةٍ مِنكُمْ لَنَا بقَرَارَةٍ ، يَعُودُ إلَيها نَاشِطٌ بَعدَ قاطِفِ
وَإيّاكُمُ أنْ تَحمِلُوا مِن قَوَارِضِي عَلى ظَهرِ زَعرَاءِ المِلاطَينِ شَارِفِ
تَخُبُّ بِجَانِبَيكُمْ ، وَفي كُلّ ساعةٍ يُتَاحَ لهَا منكُمْ بِرَاقٍ وَرَادِفِ
دَعُوا السّلَفَ القَمقَامَ تَسرِي رِفاقُه لنَيلِ المَعالي ، واقعُدُوا في الخَوالِفِ
وَذاكَ أديمٌ لَمْ تَكُونُوا سُرَاتَهُ ، بَلى ، رُبّما استَأثَرْتُمُ بالزّعانِفِ[1]
تَغَطَّوا وَلا تَستَكشِفُوني عَوَارَكم ، فَمَا جُلْبَةٌ إلاّ لهَا ظَهْرُ قَارِفِ[2]
وَإنْ مُدّتِ الأيّامُ بَيْني وَبَيْـ أطَلْتُ بُكَاءَ العَاجِزِ المُتَهَاتِفِ

لا قدس الله

قال يذم بعض الناس وهي من قديم
قوله رضي الله تعالى عنه :

اللهُ يَعْلَمُ مَيْلي عَنْ جَنابِكُمُ ، وَلَوْ تَنَاهَيتَ لي في البِرّ وَاللُّطَفِ
فكَيفَ بي، وَعلى عَينَيكَ تَرْجَمَةٌ من الحُقُودِ وَعنوَانٌ مِنَ الشَّنَفِ[3]

١ الزعانف : طرف الجلد .
٢ الجلبة : القشرة تعلو الجرح عند البرء . القارف : القاشر .
٣ الشنف : الناظر إلى الشيء كالكاره له .

أطيفُ مِنكَ بِوَجْهٍ غَيرِ مُلتَفِتٍ		إلى المُنَاجي ، وَعِطفٍ غيرِ مُنعَطِفِ
فَما أغبُّكَ مِنْ عُذْرٍ وَلا شَغَلٍ ،		وَلا أزُورُكَ مِن وَجدٍ وَلا شَغَفِ
قَدْ كانَ قَبلَكَ مَرْجُوٌّ فَوَاضِلُهُ ،		رَاقٍ إلى المَجدِ طَلاّعٍ إلى الشّرَفِ
تَمُرُّ نَفحةَ نُعماهُ ، إذا خَطَرَتْ		مِنَ القَبُولِ بِجَنبي رَوْضَةٍ أُنُفِ
إنْ تَستَعِضْكَ المَعالي بعد ذاك، فقَد		أفحَشْنَ في بَدَلٍ مِنهُ ، وَفي خَلَفِ
يَهَشُّ للمَرْءِ تَفْرِيهِ أظَافِرُهُ ،		كَمَا تَهَشُّ سِبَاعُ الطّيرِ للجِيَفِ
إذا نَجَا مِنْ يَدَيْهِ غَيرَ مُنعَقِرٍ		أفنَى أنَامِلَهُ عَضّاً مِنَ الأسَفِ
يَظُنُّ أنّيَ وَصّالٌ بِهِ سَبَبي ؛		إنّي إذاً مِنْ أميرِ المُؤمِنِينَ نَفِي
إذا لَبِسْتُ جَمَالاً أنْتَ مُلْبِسُهُ ،		فإنّني قَدْ طَرَحْتُ المَجدَ عن كتفي
لا قَدّسَ اللهُ نَفساً منكَ جَامِعَةً		كيدَ البِغالِ إلى ذي الجُلّةِ الشّرَفِ[1]
وَلا سَقَى الغَيثُ داراً أنتَ سَاكِنُها		إلاّ بِأغبَرَ نَارِيِّ الذُّرَى قَصِفِ

[1] ذي الجلة الشرف : البعير العظيم العالي السنام .

حرف القاف

ابن ام الندى

قال في أمير المؤمنين القادر بالله يصف جلسة جلسها وأوصل إلى حضرته الناس عموماً وكان معظم الواصلين أهل خراسان من الحجيج ورسم له حضور هذا المجلس على رسمه في السواد فحضر وذلك في يوم الاثنين لخمس ليال بقين من شهر صفر سنة ٣٨٢ :

لِمَنِ الحُدُوجُ تَهزُّهُنّ الأنيُقُ ، وَالرّكْبُ يَطفُو في السّرَابِ وَيَغرَقُ
يَقطَعنَ أعرَاضَ العَقيقِ ، فمُشئِمٌ يَحدُو رَكَائِبَهُ الغَرَامُ وَمُعرِقُ
أبْقَوْا أسيراً بَعدَهُمْ لا يُفتَدَى مِمّا يَجِنّ ، وَطالِباً لا يَلحَقُ
يَهفُو الوُلُوعُ بِهِ فيَطرِفُ طَرْفَهُ ، وَيَزِيدُ جولانُ الدّمُوعِ ، فيُطرِقُ
وَوَرَاءَ ذاكَ الخِدْرِ عارِضُ مُزْنَةٍ ، لا نَاقِعٌ ظَمَأً ، وَلا مُتَألِّقُ
وَمُحَجَّبٍ ، فإذا بَدَا مِنْ نُورِهِ لِلرّكْبِ مُلتَهِبُ المَطالِعِ مُونِقُ
خَرّوا عَلى شُعَبِ الرِّحَالِ وَأسنَدُوا أيدي الطّعَانِ إلى قُلُوبٍ تَخفِقُ
هَلْ عَهدُنَا بَعدَ التّفَرّقِ رَاجِعٌ ، أوْ غُصْنُنا بَعدَ التّسَلّبِ مُورِقُ[1]
شَوْقٌ أقَامَ ، وَأنتِ غَيرُ مُقيمَةٍ ، وَالشّوْقُ بالكَلِفِ المُعَنّى أعلَقُ
ما كنتُ أحظَى في الدّنُوّ فكَيفَ بي وَاليَوْمَ نَحنُ مُغَرِّبٌ وَمُشَرِّقُ

١ التسلب : سقوط ورق الشجرة ، أو حملها .

مِنْ أجلِ حُبّكِ قُلتُ عاودَ أُنسَهُ ذاكَ الحِمَى وَسُقِي اللّوَى وَالأبرَقُ
طَرَقَ الخيَالُ ببَطنِ وَجرَةَ بَعدَما زَعَمَ العَوَاذِلُ أنّهُ لا يَطْرُقُ
أتَحَنُّناً بَعْدَ الرُّقَادِ ، وَقَسْوَةً أيّامَ أُصْفيكِ الوِدادَ وَأُمْذَقُ
أنّى اهتَدَيتِ، وَمَا اهتَدَيتُ، وَبَينَنا سُورٌ عَلَيّ مِنَ الطّعَانِ وَخَندَقُ
وَمُطَلّحِينَ لَهُمْ بِكُلّ ثَنيّةٍ مُلقًى ، وِسَادَتُهُ الثرَى وَالمَرْفِقُ
أوْ قابِضِينَ علَى الأزِمّةِ ، وَالكَرَى، يَغشَى أكُفَّهُمُ النّعَاسُ ، فتَمرُقُ
أوْمَوْا إلى الغَرَضِ البَعيدِ ، فكُلُّهُمْ ماضٍ يَخُبّ مَعَ الرّجَاءِ وَيُعنِقُ
وَإلى أميرِ المُؤمِنِينَ نَجَتْ بِهِمْ ، مِيلَ الجَمَاجِمِ ، سَيرُهُنّ تَدَفّقُ
كَنَقَانِقِ الظّلمانِ أعجَلَها الدُّجَى، وَحَدَا بِهَا زَجِلُ الرّوَاعِدِ مُبْرِقُ[1]
يَطلُبْنَ زَائِدَةَ المَكَارِمِ وَالنّدَى ، حَيثُ استَقَرّ بِهَا العَلاءُ المُعرِقُ
الزّاخِرُ الغَدِقُ الذي يُرْوَى بِهِ ظَمَأُ المُنَى ، وَالوَابِلُ المُتَبَعِّقُ
أبُغَاةَ هذا المَجدِ إنّ مَرَامَهُ دَحضٌ يَزِلّ الصّاعِدِينَ وَيُزْلِقُ
هَيهاتَ ظَنُّكُمُ تَمَرَّدَ مَارِدٌ مِنْ دُونِ نَيلِكُمُ، وَعَزّ الأبْلَقُ[2]
لا تُحْرِجُوا هَذي البِحَارَ ، فرُبّمَا كَانَ الذي يَرْوِي المَعاطِشَ يَغرَقُ
وَدَعُوا مُجَاذَبَةَ الخِلافَةِ ، إنّهَا أرَجٌ بِغَيرِ ثَنَائِهِمْ لا يَعبَقُ
غَنِيَتْ بِهِمْ تَحتَزّ دُونَ مَنَالِهَا قِمَمُ العِدَى ، وَيُرَدّ عَنها الفَيلَقُ

١ النقانق ، الواحد نقنق : النافر من الظلمان ، والظلمان : دكور النعام .
٢ مارد والأبلق . حصنان ، روى أنهما كانا للزباء ، يضرب بهما المثل في الامتناع لمن [illegible]

كَعَقائِلِ الأبطَالِ تُجلَبُ دُونَها بيضُ القَوَاضِبِ وَالقَنَا المُتَدَفِّقُ
فَهُمُ لِذُرْوَتِها الّتي لا تُرْتَقَى أبَداً ، وَبَيضَتِهَا الّتي لا تُفْلَقُ
أشفَتْ، فكُنتَ شِفاءها، ولَقد تُرَى شِلْواً بِأظْفَارِ العَدُوّ يُمزَّقُ
كُنتَ الصّبَاحَ رَمَى إلَيها ضَوْءَهُ ، وَمَضَى بِهَبوَتِهِ الظّلامُ الأوْرَقُ
فَسَنَامُهَا لا يُمْتَطَى ، وَنَبَاتُها لا يُختَلَى ، وَفِنَاؤهَا لا يُطْرَقُ
وَوَزَنْتَ بالقِسطَاسِ غيرَ مُرَاقَبٍ، وَالعَدْلُ مَهْجُورُ الطّرِيقِ مُطَلَّقُ
في كُلّ يَوْمٍ للعَدُوّ ، إذا التَوَى ، بِظُبَاكَ يَوْمُ أُوَارَةٍ وَمُحَرِّقُ
أنتُمْ مَوَادِعُ كُلّ خَطْبٍ يتّقى، وَبِكُمْ يُفَرَّجُ كُلّ بَابٍ يُغلَقُ[1]
وَأبُوكُمُ العَبّاسُ مَا استَسقَى بِهِ بَعدَ القُنُوطِ قَبَائِلٌ إلاّ سُقُوا
بَعَجَ الغَمَامَ بدَعوَةٍ مَسمُوعَةٍ ، فأجَابَهُ شَرْقُ البَوَارِقِ مُغْدِقُ
مَا مِنكُمُ إلاّ ابنُ أُمٍّ للنّدَى ، أوْ مُصْبِحٌ بدَمِ الأعَادي مُغبِقُ
لِلّهِ يَوْمٌ أطلَعَتكَ بِهِ العُلَى عَلَماً ، يُزَاوَلُ بالعُيُونِ وَيُرْشَقُ
لمّا سَمَتْ بِكَ غُرّةٌ مَوْمُوقَةٌ ، كالشّمْسِ تَبهَرُ بالضّيَاءِ وَتُومَقُ
وَبَرَزْتَ في بُرْدِ النبيّ ، وَللهُدَى نُورٌ عَلى أطرَافِ وَجهِكَ مُشْرِقُ
وَعَلى السّحَابِ الجَوْدِ لِيثَ مُعَظَّماً ذاكَ الرّداءُ ، وَزُرّ ذاكَ اليَلمَقُ
وَكَأنّ دارَكَ جَنّةٌ ، حَصْبَاؤهَا الجَادِيُّ ، أوْ أنْمَاطُهَا الإستَبرَقُ
في مَوْقِفٍ تُغْضِي العُيُونُ جَلالَةً فِيهِ ، وَيَعثُرُ بالكَلامِ المَنطِقُ

[1] قوله : الموادع، هكذا في الأصل ، والموادع الواحد ميدع: الثوب الخلق، وما يصان به الثوب وكل هذا لا يوافق المعنى ، ولعلها محرفة عن موانع .

وكأنّما فوقَ السّريرِ ، وقد سما أسدٌ على نشزاتِ غابٍ مُطرِقُ
والنّاسُ إمّا راجعٌ متهيّبٌ ، مِمّا رأى ، أوْ طالِعٌ مُتشوّقُ
مالُوا إليكَ محبّةً ، فتجمّعُوا ، ورأوْا عليكَ مهابةً ، فتفرّقوا
وطعنتَ مِنْ غُرَرِ الكلامِ بفيصلٍ لا يستقِلُّ بِهِ السّنانُ الأزرقُ
وغرسْتَ في حبّ القلُوبِ مودّةً ، تزْكُو على مرّ الزّمانِ وتُورِقُ
وأنا القريبُ إليكَ فيهِ ، ودُونَهُ ليدَيْ عدُوّكَ طوْدُ عِزٍّ أعنقُ
عطْفاً ، أميرَ المُؤمنينَ ، فإنّنا في دوْحةِ العلْياءِ لا نتفرّقُ
ما بيْننا ، يوْمَ الفخارِ ، تفاوُتٌ ، أبداً كِلانا في المعالي مُعْرِقُ
إلاّ الخِلافةَ ميّزتْكَ ، فإنّني أنا عاطِلٌ مِنها ، وأنتَ مُطوّقُ

مودات القلوب آرزاق

قال أيضاً يهنىء ملك الملوك قوام الدين بالنيروز
الواقع في شعبان من سنة ٤٠١ :

رأى على الغوْرِ ومِيضاً ، فاشتاقْ ، ما أجلبَ البرْقَ لِماءِ الآماقْ
ما للوميضِ ، والفؤادُ الخفّاقْ قدْ ذاقَ مِنْ بيْنِ الخليطِ ما ذاقْ
داءُ غرامٍ ما لهُ مِنْ إفْراقْ ، قد كلَّ آسيهِ ، وقد ملَّ الرّاقْ
لآلِ ليْلى في الفؤادِ أعْلاقْ تزيدُ مِنْ حيْثُ تُقضى الأشواقْ

قامَتْ تُراثيكَ بقَلْبٍ مِقْلاقْ ، وللوَداعِ عَجَلٌ وَإرْهَاقْ
مِنْ ثُقَبِ الدُّرِّ النّقيّ بَرّاقْ ، يَرْمي القُلُوبَ ، وَأسيلاً رَقْرَاقْ
يَقُومُ للّيلِ مَقَامَ الإشْرَاقْ ، حَيٌّ ، إذا قامَ الوَغَى عَلى سَاقْ
رَدّوا القَنَا وَطاعَنُوا بالأحْداقْ ، أُحِبُّهُمْ عَلى الضَّنَا وَالإيرَاقْ
حبَّ الضّنينِ المَالَ بَعدَ الإملاقْ ؛ إنّ مَوَدّاتِ القُلُوبِ أرْزَاقْ
مَنْ مُنصِفي مِنَ المَلُولِ المَذّاقْ قَلْبي وَطَرْفي مِنْ جَوًى وَإقلاقْ
في غَرَقٍ مَا يَنْقَضِي وَإحْرَاقْ ، يَضَنّ حتّى بالخَيَالِ الطّرّاقْ
رَمَى الإلَهُ بالرّمِيضِ الذلاّقْ كُلَّ غُرَابٍ بالزِّيَالِ نَعّاقْ
يا نَاقَ أدّاكِ المُؤدّي ، يا نَاقْ ، ماذا المُقامُ ، وَالفُؤادُ قَد تَاقْ
هَل حاجَةُ المأسُورِ إلاّ الإطلاقْ ، ألهَاكِ عَنْ لَيلِ السُّرَى وَالإعناقْ
مَناشِطُ الشّيحِ ،ورَعْيُ الطّبّاقْ ، سيرِي إلى وِرْدِ الجَمومِ الفَهّاقْ[1]
حَملُ المساعي غيرُ حملِ الأوْساقْ ، بحَيثُ تَسرِي للعَلاءِ أعرَاقْ
نُورُ الغَوَاشي وَمِسَاكُ الأرْمَاقْ مِنْ مَعشَرٍ بَاتُوا بلَيلِ العُشّاقْ
إلى المَعالي وَالنّدَى بالأشْوَاقْ ، كَانُوا إذا أظلَمَ لَيلُ الطُّرّاقْ
شهبَ الدّيَاجي ، وَنُجومَ الآفاقْ ؛ بِيضُ وُجُوهٍ كالظُّبَى وَأعنَاقْ
أطْوَعُ مِنْ تيجَانِها وَالأطْوَاقْ ، سِيّانِ مِنهُمْ سَابِقٌ وَلَحّاقْ
مَنْ قَادَ غَيرَ المَجدِ منهم أوْ ساقْ ، مَهْلاً إلى أينَ الصّعُودُ يا رَاقْ

[1] مناشط الشيح : مكان خروجه ، نموه . والشيح : شجر . الطباق : شجر منابته جبال مكة
الجموم : معظم الماء . الفهاق : الممتلىء .

ضَلّ المُجَارُونَ وَقَامَ السُّبّاقْ ، لمْ يَلحَقُوا يَوْماً غُبَارَ الأطلاقْ
إلاّ قَذّى لنَاظِرٍ ، أوْ حِملاقْ ، قَدْ رَجَعُوا عَنْكَ بِليّ الأعنَاقْ
هَيهَاتَ ! فَاتَ الأعوَجيُّ المِعناقْ سَهْمٌ مِنَ اللهِ بَعيدُ الإغرَاقْ
أعطى ديونَ القوْمِ خَصَلَ الأسباقْ ، مَسعَاةُ مَجدٍ عَاقَ عَنها ما عاقْ[1]
خَطَبْتَها عَلى النّجيعِ المِهْرَاقْ غَرّاءَ مَا نَاكِحُها بمِطلاقْ
لَيسَ لهَا إلاّ الجُرَازُ الذّلاّقْ ، يَضرَحُها ضَرْحَ القَذى من المَاقْ
ضَرْباً أخاديدَ وَطَعناً شَهّاقْ ، نائي القَرَارَاتِ بَعيدَ الأعماقْ
يُذْكِرُنَا وَابِلَ طَعْنٍ دَفّاقْ ، يَوْمَ الزُّوَيرَينِ وَيَوْمَ التَّحلاقْ
جَمَاجِماً مِنَ العَرِيبِ أفْلاقْ ، أنذَرْتَهمْ وَثبَ هَرِيتِ الأشداقْ
طُوِيَ منَ الإدماجِ طَيَّ المِخرَاقْ ، صِلٌّ عَلى حَتفِ العَدُوّ مِطرَاقْ[2]
مُحَاذِرُ اللّحظِ مُرَجّى الإطلاقْ ، سَحَائِبُ تُشْئِمُ بَعدَ إعرَاقْ
لَنَا حَيَاهَا ، وَالزّلالُ الغَيداقْ ، وَللعِدَى إرْعَادُهَا وَالإبْرَاقْ
في كلّ يَوْمٍ ذو الجَلالِ الخَلاّقْ يَبري لقَوْسِ المَجدِ منكُم أفوَاقْ
أرّقَني طَوْلُكَ بَعدَ الإعتَاقْ ، أسَاغَ رِيقي وَالخِناقُ قَد ضَاقْ
فانعمْ بنَيرُوزٍ إلَيكَ مُشتَاقْ ، وَالقَ بهِ مِنْ خَيرِ ما يَلقى اللاّقْ
فَما وُقيتَ ، فالعِدَى بِلا وَاقْ ؛ عَهْدٌ عَلى الأيّامِ بَاقي المِيثَاقْ

١ الخصل : الرهان .

٢ الادماج ، من أدمجه : لفه ، أجاد فتله ، ضمره . المخراق : الثور البري .

أنْ لا يُرَى غُصْنك ذاوِي الأوْرَاقْ ضَوَى مِنَ الإثْمَارِ بَعدَ الإيرَاقْ
ما أهوَنَ الفَاني ، إذا كُنتَ البَاقْ

تخذوا المجد أباً

قال أيضاً وكتب بها إلى حضرته في هذا المعنى المقدم ذكره وذلك في ذي الحجة سنة ٤٠٢ :

خَلِّ دَمْعي وَطَرِيقَهْ ، أحَرَامَ آنَ آرِيقَهْ
كَمْ خَلِيطٍ بَانَ عَنّي مَا قَضَى الدّمْعُ حُقُوقَهْ
يا شَقيقي ، وَالقَنَا يُغْ ضِبُ في العَذْلِ شَقيقَهْ
عَاصِياً نَاصِحَهُ الأقْ رَبَ وُدّاً ، وَرَفيقَهْ
مَنْ لِبَرْقٍ هَبّ وَهْناً مِنْ أبَانَينِ وَسُوقَهْ[1]
مِنْ شُرَيْقيّ الحِمَى يَنْ شدُ نَجْداً وَعَقيقَهْ
مِنْ غَمَامٍ كَالمَتَالي ، يَنقُلُ اللّيلَ وَسُوقَهْ
لاحَ ، فاقتَادَ فُؤاداً ، عَازِبَ اللّبّ مَشُوقَهْ
طَالَ ذِكْرُ النّفسِ أرْ وَاحَ زَرُودٍ وَبُرُوقَهْ

١ الابانان : جبلان . سوقة : موضع .

وَعَقَابيلَ غَرَامٍ يُذْكِرُ القَلبَ حُقُوقَهْ
وَخَيَالٌ دَلّسَ القَلْـ ـبَ عَلى العَينِ طُرُوقَهْ
كَذِبٌ يَحسَبُهُ الصّـ ـبُّ مِنَ الشّوْقِ حَقِيقَهْ
أنعِمي ، يا سَرْحَةَ الحَـ ـيِّ ، وَإن كُنتِ سَحيقَهْ
أتَمَنّى لَكِ أنْ تَبْـ ـقَيْ عَلى النّأيِ وَرِيقَهْ
ثَمَرٌ حَرّمَ وَاشِيـ ـكِ عَلَينا أنْ نَذُوقَهْ
يا قِوَامَ الدّينِ وَالفَا رِجَ لِلدّينِ مَضِيقَهْ
أنْتَ رَاعِيهِ وَهَادِيـ ـهِ ، إذا ضَلّ طَرِيقَهْ
مِنْ رِجَالٍ رَكِبُوا المَجْـ ـدَ ، فَمَا ذَمّوا عَنِيقَهْ
مَعشَرٍ كَانُوا قُبَيْلَ الـ ـعِزّ قِدْماً وَفَرِيقَهْ
وَمُلُوكٍ في ثَرَاهُمْ ضَرَبَ المَجدُ عُرُوقَهْ
وَمَغَاوِيرِ الحَفِيظَا تِ وَفُرْسَانِ الحَقِيقَهْ
حَسَبٌ يُحسَبُ مَنْ فِيـ ـهِ ، وَأعرَاقٌ عَرِيقَهْ
مَنْ تُرَى يَدْفَعُ رَوْقَيْـ ـهِ ، وَمَنْ يَطلُعُ نِيقَهْ
لهُمُ الأيدي الطّوَالُ الطّوْ لِ ، وَالبِيضُ الذّلِيقَهْ
وَمَوَارِيثُ مَقَارِي اللّيْـ ـلِ ، وَالنّارِ العَتِيقَهْ
بِوُجُوهٍ وَاضِحَاتٍ في دُجَى الأزْلِ طَلِيقَهْ[1]
وَأكُفٍّ مُنْفِقَاتٍ في النّدَى الغَمرِ عَرِيقَهْ

[1] الأزل : الضيق والشدة .

وَبِأخْــلاقٍ رِقَــاقٍ دُونَ أعرَاضٍ صَفِيقَهْ
تَخِذُوا المَجدَ أباً مَا اسْتَحْسَنُوا قَطّ عُقُوقَهْ
إنّ فيهِمْ مَوْلِدَ المُلْكِ، وَمِنْ قَبلٍ عُلُوقَهْ
نَاشِئاً تُسْلِمُهُ الأُمُّ إلى الظّئْرِ الشّفِيقَهْ
هم رَمَوْا عنّي جليلَ الخطْبِ يَدْمَى، وَدَقيقَهْ
طَرَدُوا الأيّامَ عَنْ وِرْدِ دُمًى طَرْدَ الوَسِيقَهْ[1]
أطلَقُوني مِنْ إسَارِ الدّهْرِ إطْلاقَ الرّبيقَهْ
هَلْ نَهَى الأعداءَ سَاقي عَلَقٍ ذَمّوا رَحِيقَهْ
فَيَلْقَ جَرّ عَلى أرْبُقَ أذْيَالَ الفَلِيقَهْ[2]
مِثلُ أعدادِ نُجُومِ اللّيْلِ أوْ رَمْلِ الشّقيقَهْ[3]
احْذَرِ الشّمسَ بجَوْنٍ يُعجِلُ اللّيلُ غُسُوقَهْ
جلَبَ الخيلَ ليَوْمٍ، قَد أقامَ الضّرْبُ سُوقَهْ
مَطَلَتْ بالوَعْدِ، حتّى نَسِيَ القَوْدُ عَليقَهْ
في هَجيرٍ مِنْ أُوَارِ الطّعْنِ فَوّارِ الوَدِيقَهْ
كُلُّ صَدْرٍ بالعَوَالي يُسمِعُ الطّعنُ شَهيقَهْ
فيهِ نَجْلاءُ رَمُوحٌ بِالأسَابيّ عَميقَهْ

[1] الوسيقة : جماعة الإبل .
[2] اربق : بلد برامهرمز . الفليقة : العجيبة .
[3] الشقيقة : الفرجة بين جبلين .

مَجنةُ النّاهِلِ في المَحْـ ضِ أرَابَ مُستَذيقَهْ
قَدْ أفاقُوا وَالظُّبَى مِنْ هَامِهِم غَيرُ مُفيقَهْ
رَجَعُوا مِنْ عِزّةِ الفَحْـ لِ إلى ذُلّ الطَّرُوقَهْ
قُلْتُ للمُخْتَبِطِ الطّا لِبِ قَدْ أوْضَعَ نُوقَهْ
فَاتَكَ البَرْقُ ، فَمَنْ يرْ جُو ، وَقَدْ فَاتَ لحُوقَهْ
سَبَقَ السّيلُ فَأعْيَا كُلّ بَاغٍ أنْ يَعُوقَهْ
لا تَعَاطَ اليَوْمَ عبْـ ثاً أبَداً لَسْتَ مُطيقَهْ
وَهِضَاباً تُزْلِقُ الطّرْ فَ ، وَأطْوَاداً زَلِيقَهْ
حَسِبَ الأوْشَالَ جَهلاً كَالعَيَاليمِ العَميقَهْ[1]
وَمِدَى الجازِرِ تَدْمَى، كَالمَبَاتِيرِ الرّقيقَهْ
ضِلّةُ الزّائِدِ قَدْ خَا طَرَ بالبَكْرِ فَنيقَهْ
عِشْتَ تَستَدْرِكُ فينا خَطَلَ الدّهْرِ وَمُوقَهْ
لابِساً دُرّاعَةَ البُخْـ لِ ، وَرَقّاعاً خُرُوقَهْ
في مَعَالٍ بَاقِيَاتٍ للعِدَى غَيرِ مَذيقَهْ
وَاثِقاً بالدّهْرِ تُعطَى مِنْ رَزَايَاهُ وَثيقَهْ
كُلّمَا عِفْتَ صَبُوحَ الْـ عُمرِ عُوطِيتَ غَبُوقَهْ
مَطلَعَ الشّارِقِ ، إنْ غَا بَ رَجَا النّاسُ شُرُوقَهْ

١ العياليم ، الواحد عيلم : البحر .

آمِنَ المَرْتَعِ تَرْعَى رَوْضَةَ العِزّ أنيقَهْ
إنْ يَكُنْ عِيداً ، فأيّا مُلْكَ أعيَادُ الخَليقَهْ
إنّهَا أنْوَارُ أحْدَاقٍ وَنُوّارُ حَدِيقَهْ
إنّ نَعّاقَ الأعَادي ، أسكَتَ الذّلُّ نَعيقَهْ
لَفَظَ المُلْكُ شَجَاهُ ، وَأسَاغَ اليَوْمَ رِيقَهْ

فرع أشار إلى السماء

قال يمدح أباه ويذم عدواً له وذلك في سنة ٣٧٥ :

يا دارُ مَا طَرِبَتْ إلَيكِ النّوقُ ، إلاّ وَرَبْعُكِ شَائِقٌ وَمَشُوقُ
جاءتكِ تَمرَحُ في الأزِمّةِ وَالبُرَى ، وَالزّجْرُ وِرْدٌ وَالسّيَاطُ عَلِيقُ
وَتَحِنّ مَا جَدّ المَسيرُ ، كأنّما كلّ البلادِ مُحَجَّرٌ وَعَقيقُ[1]
دارٌ تَمَلّكَهَا الفِرَاقُ فَرَقّهَا بالمَحْلِ مِنْ أسرِ الغَمامِ طَليقُ[2]
شَرِقَتْ بأدْمُعِهَا المَطيُّ، كأنّما فيها حَنِينُ اليَعمَلاتِ شَهِيقُ
خَفَقَتْ يَمَانيَةٌ عَلى أرْجائِهَا ، وَطَغَتْ عَلَيها زَعزَعٌ وَخَرِيقُ

١ محجر وعقيق : مكانان .

٢ قوله : فرقها ، هكذا في الأصل .

فِي كُلِّ إِصْبَاحٍ وَكُلِّ عَشِيَّةٍ ، يَسْرِي عَلَيْهَا لِلدُّمُوعِ فَرِيقُ
سَخِطَ الغُرَابُ على المَسَاقِطِ بَيْنَهَا ، فَلَهُ بِإِنْجَازِ الفِرَاقِ نَعِيقُ
فَتَوَزَّعَتْ تِلْكَ القَذَاةَ نَوَاظِرٌ ، وَتَقَسَّمَتْ تِلْكَ الشَّجَاةَ حُلُوقُ
الآنَ أَقْبَلَ بِي الوَقَارُ عَنِ الصِّبَا ، فَغَضَضْتُ طَرْفِي وَالظِّبَاءُ تَرُوقُ
وَلَوَ انَّنِي لَمْ أُعْطِ مَجْدِي حَقَّهُ أَنْكَرْتُ طَعْمَ العِزِّ حِينَ أَذُوقُ
رَمَتِ المَعَالِي فَامْتَنَعْنَ وَلَمْ يَزَلْ أَبَداً يُمَانِعُ عَاشِقاً مَعْشُوقُ
وَصَبَرْتُ حَتَّى نِلْتُهُنَّ وَلَمْ أَقُلْ ضَجَراً : دَوَاءُ الفَارِكِ التَّطْلِيقُ
مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ جَنَا بِقَمِيصِهِ عَبَقُ الفَخَارِ ، وَجَيْبُهُ مَخْرُوقُ
كَثُرَتْ أَمَانِيُّ الرِّجَالِ ، وَلَمْ تَزَلْ مُتَوَسِّعَاتٌ ، وَالزَّمَانُ يَضِيقُ
مِنْ كُلِّ جِسْمٍ تَقْتَضِيهِ حُفْرَةٌ ، فَكَأَنَّهُ مِنْ طِينِهَا مَخْلُوقُ
وَمَفَازَةٍ تَلِدُ الهَجِيرَ خَرَقْتُهَا ، وَالأَرْضُ مِن لَمْعِ السَّرَابِ بُرُوقُ
بِنَجَاءِ صَامِتَةِ البُغَامِ كَأَنَّهَا ، وَالآلُ يَرْكُضُ فِي الفَلَاةِ ، فَنِيقُ
سَبَقَتْ إِلَيْكَ العَزْمَ طَائِشَةُ الخُطَى فَنَجَتْ وَأَعْنَاقُ المَطِيِّ تَفُوقُ[1]
جَذَبَتْ بِضَبْعِي مِن تِهَامَةَ قَاصِداً ، وَالنَّجْمُ فِي بَحْرِ الظَّلَامِ غَرِيقُ
مُسْتَشْرِياً بَرْقاً تَقَطَّعَ خَيْطُهُ ، فَلَهُ عَلَى طُرَرِ البِلَادِ شُرُوقُ
هَزَّ المَجَرَّةَ أُفْقُهُ ، وَكَأَنَّهَا غُصْنٌ بِأَحْدَاقِ النُّجُومِ وَرِيقُ
مَجَّ الظَّلَامُ الفَجْرَ عَنْهُ ، كَأَنَّمَا الـ أَضْوَاءُ فِي شَفَقَةِ الغَيَاطِلِ رِيقُ

١ تفوق : لعلها من قولهم : ما ارتد على فوقه ، أي مضى ولم يرجع .

وَالليلُ مَحلولُ النّطاقِ عن الضّحى عارٍ ، وَعِقدُ الصّبحِ فيهِ وَثيقُ
ما كانَ إلاّ هَجعَةٌ ، حتّى انثنى وَالطَّرْفُ من سُكرِ النّعاسِ مُفيقُ
وَتَماسَكَتْ تلكَ العَمائِمُ بعدَما أرْخَى جوَانبَها كرًى وَخُفُوقُ
ما رُفّهتْ رُكبانُها ، إلاّ وَفي جِلْدِ الظّلامِ من الضّياءِ خُرُوقُ
يا ناقَ عاصي من يُماطِلُكِ السُّرَى ، فلَحيقُ غَيرِكِ بالعِقالِ خَليقُ
وَرِدي حِياضَ فتًى مَعَدٍّ كلّها ، فالحَبلُ أتلَعُ ، وَالقَليبُ عَميقُ
وَإذا تَرَاخَتْ حَبوَتي أوْثَقتُها بفِناءِ بَيتٍ تُرْبُهُ العَيّوقُ
في بَلدَةٍ ، حَرَمٌ عَلى أعدائِهِ وَعَلى النّوَائِبِ رَبْوَةٌ إزْليقُ
تتَزَاحَمُ الأضْيافُ في أبْياتِهِ ، فِرَقاً تَحِنّ إلى القِرَى وَتَتُوقُ
وَإذا رَآهُمْ لمْ يَقُلْ مُتَمَثّلاً : أبَني الزّمَانِ لكلّ رَحبٍ ضِيقُ
عجَباً لرَبعكَ كيفَ تُخصِبُ أرْضُهُ وَجَنابُهُ بدَمِ السَّوَامِ شَرِيقُ
وَالخَيلُ تَعلَمُ أنّ حَشوَ ظُهورِها مِنهُ نُهًى، يَنجابُ عَنها المُوقُ
مَا زَالَ يَجنُبُها إلى أعدائِهِ ، وَالشمسُ تَسحبُ وَالفَلاةُ تَضِيقُ
مِنْ كُلّ رَقّاصٍ كَأنّ صَهيلَهُ نَغَمٌ وَمَا مَجّ الطّعانُ رَحيقُ
طِرْفٌ تَعَوّدَ أنْ يُخَلّقَ وَجهُهُ في حَيثُ يَنضُو النّقعَ وَهوَ سَبوقُ
ذو جِلْدَةٍ حَمرَاءَ تَحسَبُ أنّها من طُولِ تَخليقِ الرّهانِ خَلُوقُ
وَاليَوْمُ مَلطُومُ السّوَالِفِ بالظُّبَى ، وَاللّيلُ مُرْتَعدُ النّجومِ خَفُوقُ
لَقَطَتْ نُفوسَهُمُ شِفاهُ صَوَارِمٍ فَرَغَتْ وَأسيافُ العَوَامِلِ رُوقُ
في كُلّ يَوْمٍ يَندُبُونَ مَصارِعاً ، للوَحْشِ فيها وَالنّسُورِ طُرُوقُ

نَشوَانَةُ الأعطَافِ مِنْ دَمٍ فتيَةٍ ... فيهِمْ صَبُوحٌ للرّدَى وَغَبُوقُ
تبكي عَلَيْهَا، غَيرَ رَاحمَةٍ لهَا، ... بالمَاطِلاتِ رَوَاعِدٌ وَبُرُوقُ
وَتَبَلّغَتْ آرَاؤهُ ، فكَأنّها ... طلَعتْ وَفي سَجفِ الغيوبِ فُتوقُ
وَيَكُرّ وَالفَرَسُ الجَوَادُ مُبَلَّدٌ ، ... وَيَقُدّ وَالعَضْبُ الحُسامُ مَعوقُ
كَرّاتُ مَنْ شُدّتْ قَوَائمُ عَزْمِه ، ... فلَهَا رَسيمٌ في العُلَى وَعَنيقُ
كَفّاهُ أدّبَتَا السّهامَ ، فَما لهَا ... في النّبضِ عن خطإ البَنَانِ مُرُوقُ
لَوْلا احتذاءُ السّهمِ طاعةَ قَوْسِهِ ، ... ما شَيّعَ النّصْلَ المُصَمّمَ فُوقُ
يُدْني الحِسَامَ بكَفّهِ مُتَرَسِّلٌ ... لقَضَائِهِ . نَائي السّنَانِ رَشيقُ
نُفِضَتْ عَلى الأيّامِ مِنهُ شَمائلٌ ... أبرَزْنَ وَجهَ الدّهرِ وَهوَ طَليقُ
وَأقامَ أسوَاقَ الضّرَابِ فللرّدَى ... فيهِنّ مِنْ سَبْيِ النّفُوسِ رَقيقُ
نَفسِي فِداؤكَ أيُّ يومٍ لمْ تقُمْ ... لك فيه من جَلَبِ القَوَاضِبِ سُوقُ
قَمَرٌ يَهابُ المَوْتُ ضَوْءَ جَبينِهِ . ... وَاليَوْمَ خَوّارُ العَجاجِ غَسُوقُ
وَالسّيفُ ليسَ يُهابُ قَبلَ قِراعِهِ ... حتّى يَمَسّ العَينَ مِنهُ بَريقُ
عَشِقَ السّماحَ، وكلُّ سحرٍ للمُنَى ... فيهِ بأنفَاثِ السّؤالِ يَحيقُ
طَهّرْتُ قَلْبي مُذْ عَلِمتُ بأنّهُ ... لسُرَى مَدائِحِهِ العِظَامِ طَريقُ
كَمْ كاهلٍ للشّعرِ أثقَلَ نَعتُهُ ... عِطفَيهِ ، وَهوَ لِما يَؤُدُ مُطيقُ[1]
طأطأتَ فَرْعَ المَجدِ ،ثمّ جَنَيتَهُ ، ... فارْتَدّ وَهوَ عَلى عِداكَ سَحُوقُ

---

[1] يؤد : يثقل .

فَرْعٌ أشَارَ إلى السّمَاءِ فَجازَها ، حتّى كأنّ لَهُ النّجُومَ عُرُوقُ
وَمُبَخَّلٍ شَهِدَتْ علَيه يَمينُهُ في حَيثُ يَمنَعُها النّدى وَيَعُوقُ
يَبكي إذا بكَتِ السّحابُ كأنّهُ أبداً علَى طَرَفِ الغَمَامِ شَفِيقُ
وَإذا تَعَرّضَ عارِضٌ أغضَى لَهُ ألاّ يَرَى الأنْوَاءَ كيفَ تُرِيقُ
لَوْ أبدَتِ الأيّامُ جانِبَ وَجهِهِ ، لَتَشَبّثَتْهُ مَظَالِمٌ وَحُقُوقُ
إنْ سَارَ سَارَ إلى النّزَالِ بِخِفيَةٍ ، حتّى كَأنّ سِلاحَهُ مَسْرُوقُ
بَيتٌ أقَامَ البُخلُ فيه ، فاستَوَى بِفِنَائِهِ المَحْرُومُ وَالمَرْزُوقُ
يَرْجو بُلوغَ نَداكَ ، وَهوَ مُحقّقٌ مَعَ حِرْصِهِ أنّ الجَوَادَ عَتِيقُ
في الطّينَةِ البَيضَاءِ غَرْسُكَ ، إنّهُ غَرْسٌ تَداوَلُهُ البِقاعُ عَرِيقُ
فإذا التَثَمتَ فكلُّ وَجهٍ باسِلٌ ؛ وَإذا حَسَرْتَ فكلُّ خدٍّ رُوقُ[1]
اللهُ جارُكَ ، وَالمَطيُّ جَوَائِرٌ ، وَالنّصرُ دِرْعُكَ ،وَالحُسامُ ذَلِيقُ
لا زِلتَ تَجنُبُ من سيوفك في العدى نَحراً يَخُبّ وَرَاءَهُ التّشرِيقُ
وَإذا جهرْتَ بصَوْتِ عزْمك مُسمعاً، أصْغَى إلَيكَ اليُمْنُ وَالتّوْفيقُ
شرّفتَ مَدحي فاعتَلى بكَ طَوْدُهُ، وَمِنَ المَدائِحِ فائِقٌ وَمَفُوقُ
شَهِدَتْ لَهُ خَيلُ الخَوَاطِرِ أنّهُ خَيرُ الصّهيلِ ، وَمَا سِوَاهُ نَهيقُ

[1] روق : جميل ، رائق .

الجود ينهاه ويأمره

قال يمدحه أيضاً رضي الله

لَوْ صَحّ أنّ البَيْنَ يَعشَقُهُ ، مَا استَعبرَتْ في السّيرِ أينُقُهُ
قَمَرٌ عَلى غُصْنٍ يُرَنّحُهُ مَرُّ اللّحَاظِ ، وَلَيسَ يَرْشُقُهُ
طأطأتُ لحظَ العَينِ حينَ خطَا ، وَالبَيْنُ يَرْمُقُني وَيَرْمُقُهُ
وَأذَبْتُ دَمعي يَوْمَ وَدّعَني ، في صَحنِ خَدٍّ ذابَ رَوْنَقُهُ
وَدّعتُهُ ، وَالبَدْرُ تَحسَبُهُ مُتَقَاعِساً في الفَجْرِ أعنَقُهُ
وَاللّيْلُ يَكبُو فيهِ أدْهَمُهُ ، وَالصّبْحُ يَنهَضُ مِنْهُ أبلَقُهُ
وَاللّثمُ يَرْكُضُ في سَوَالِفِهِ ، وَتَكَادُ خَيْلُ الدّمْعِ تَسبِقُهُ
مَا غرّني يَوْمَ اللّقَاءِ ، وَلا خَدَعَ ارْتِيَاحَ هَوَايَ رَيّقُهُ
وَعلِمتُ حينَ نَشَرْتُ مِطرَفَهُ أنّ الفِرَاقَ غَدًا يُمَزّقُهُ
بكَتِ الجُفُونُ ، وَأنتَ طارِفُها ، وَشَكَا الفُؤادُ ، وَأنتَ مُحرِقُهُ
وُدّي لخَيرِ النّاسِ أذْخَرُهُ ، مَا كُلُّ وُدٍّ فيكَ أنْفِقُهُ
وُدٌّ تَقَادَمَ عَهدُهُ فَصَفَا ، وَجَدِيدُ وُدّ المَرْءِ أخلَقُهُ
لمُشَمّرِ الأطْرَافِ مُنْزَعِجِ الـ أعْطَافِ يُهجِعُهُ تَأرّقُهُ
لأغرّ تُعشِي الشّمْسَ غُرّتُهُ ، وَيَشُقّ جَيبَ اللّيلِ مُشرِقُهُ
يَسْرِي فتَحجُبُهُ خَلائِقُهُ ، وَيُضِيءُ أوْجُهَهَا تَخَلّقُهُ

أبدَتْ خَبِيَّ المَجدِ طَلعَتُهُ ، وَأذاعَ سِرَّ المَجدِ مَنطِقُهُ
وَلَقَلّما شَرِقَتْ أسِنّتُهُ ، إلاّ وَصَفْوُ الحَمد يُشرِقُهُ[1]
وَإذا استَرَقَّ المَحلُ مُرْتَبَعاً ، أمرَ السّحابَ الجَوْنَ يُعتِقُهُ
وَإذا تَأمّلَ شَخصَهُ مَلِكٌ أوْمَا إلى قَدَمَيْهِ مَفرِقُهُ
في كَفّهِ عَارِي الذُّبَابِ لَهُ لَمَعٌ يَدُلّكَ كَيْفَ تَرْمُقُهُ
أطْغَاهُ رَوْنَقُ غَرْبِهِ ، فطغى ، وَالمَاءُ يُطغِيهِ تَرَقْرُقُهُ
جَذلانُ يَرْقُصُ في الرّؤوسِ إذا غَنّتْهُ بالصَّهَلاتِ سُبّقُهُ
صَلّى الرّدَى لَوْ يَستَطيعُ إلى نَصْلٍ بِرَاحَتِهِ مُخَلّقُهُ
يُؤوِي الضّيُوفَ وَدُونَ حُجرَتهِ بَابٌ عَلى الأحداثِ يُغْلِقُهُ
وَإذا النّوَائِبُ زَعزَعَتْ يَدَهُ في الطّعنِ جاءَتْهُ تُمَلّقُهُ
عرْيانُ خَيلِ الغَدْرِ مِنْ دَنَسٍ ، لا يَستَطيعُ الغَدْرُ يَعْلُقُهُ[2]
الجُودُ يَنْهَاهُ وَيَأمُرُهُ ، وَالدّهْرُ يَرْجُوهُ وَيَفرَقُهُ
هُوَ قَادِرٌ لَكِنّ صَوْلَتَهُ في البَطْشِ يَصرَعُهَا تَرَفّقُهُ
وَلَرُبّ مَجْهُولٍ رَكَائِبُهُ ، خَلْفَ الرّيَاحِ الهُوجِ تَخرُقُهُ
قَلِقَتْ بالأجفَافِ تُرْبَتُهُ ، وَالقَيظُ عَنْ أمَمٍ يُحَرّقُهُ[3]
ذَمّتْكَ رَبْوَتُهُ وَوَهْدَتُهُ ، وَشَكَاكَ فَدفَدُهُ وَسَملَقُهُ[4]

١ سرفت أسنته : إما أراد أنها غصت بالدم أو احمرت من الدم . يشرقه : ينيره .
٢ يعلقه : يستمسك به .
٣ الأجفاف ، الواحد جف : جماعة الناس ، والعدد الكثير .
٤ السملق : القاع الصفصف .

وَلَرُبَّ وِرْدٍ بِتَّ قَارِبَهُ ، لا يَطْمَئِنُّ بِهِ تَدَفُّقُهُ
وَالمَاءُ يُرْعَدُ في جَوَانِبِهِ ، جَزَعاً، وَظِمءُ العِيسِ يُشرِقُهُ
لمّا لَحَظْتَ الدّهْرَ زَايَلَهُ إظْلامُهُ ، وَافتَرّ ضَيّقُهُ
سَاوَرْتَهُ ، فَفَضَضْتَ سَوْرَتَهُ ، وَارْتَاحَ في نُعمَاكَ مُمْلِقُهُ
وَكَذاكَ هَمٌّ الرّيحِ في غُصُنٍ تَثْنيهِ ، أوْ مَاءٍ تُصَفّقُهُ
لمّا رَآكَ المُلْكُ مُنصَلِتاً بالسّيْفِ تُرْعِدُهُ وَتُبْرِقُهُ
استَنكَفَ التّعديلَ مَايلُهُ ، وَاستَرْجَعَ التّحكيمَ أخرَقُهُ
أفَلَ السّمَاحُ ، وَأنتَ شَارِقُهُ ، وَدَجَا العَلاءُ . وَأنتَ مُشرِقُهُ
وَلَرُبَّ يَوْمٍ شِمتَ بَارِقَهُ ، وَالمَوْتُ يُهْطِلُهُ وَيُودِقُهُ
وَالسّيفُ قَائِمُهُ يُفَارِقُهُ ، وَالرّمْحُ عَامِلُهُ يُطَلّقُهُ
وَالشّمسُ تَجرِي وَهيَ مُهمَلَةٌ في ثَوْبِ نَقْعٍ لا تُخَرّقُهُ
وَالخَيلُ تَطبَعُ في حَوَافِرِهَا وَشْماً تُداوِلُهُ . وَتُخْلِقُهُ
مِنْ كُلّ ذَيّالِ السّبيبِ رَمَى بِيَدَيْهِ أُولى النّقْعِ أوْلَقُهُ[1]
أشلَيتَ عَزْمَكَ في كَتَائِبِهِ . وَالسّهْمُ يُشْلِيهِ مُفَوِّقُهُ
فاسلَمْ عَلَى الأيّامِ تَلبَسُها ، فالدّهْرُ ثَوْبٌ أنتَ مُخلِقُهُ

[1] أولقه : أسرعه .

ما العز الا الغزو

قال يهنىء أباه بعيد الفطر وأنشدت في يومه بحضرته :

بِوَدّ الرّذايَا أنّهَا في السّوَابِقِ ، وكَمْ للعُلى مِنْ طالِبٍ غَيرِ لاحِقِ
وَفي شِدّةِ الدّهرِ اعتبَارٌ لعَاقِلٍ ؛ وَفي لَذّةِ الدّنيَا غُرُورٌ لِوَاثِقِ
أرَى العَيشَ أيّاماً تَمُرّ ، وَلَيْتَنَا نُبَاعِدُ مِنْ أحداثِهَا وَالبَوَائِقِ
شَهِيٌّ إلى النّاسِ النّجَاءُ من الرّدى، وَلا عُنُقَ إلاّ وَهْيَ في فِترِ خَانِقِ
وَأكثرُ مَنْ شَاوَرْتَهُ غَيرُ حَازِمٍ ، وَأكثرُ مَنْ صَاحَبتَ غيرُ المُوَافِقِ
إذا أنتَ فَتّشْتَ القُلُوبَ وَجَدْتَهَا قُلوبَ الأعادي في جُسومِ الأصَادِقِ
وَعِندِي مِنَ الوُدّ الذي لا يَشُوبُهُ لحَاظُ المُرَائي أوْ كَلامُ المُنَافِقِ
أُغَالِطُ نَفسي بَعدَ مَرْأىً وَمَسمَعٍ ، وَلا أنظُرُ الدّنيَا بعَينِ الحَقَائقِ
عَلى أنّني أدرِي ، إذا كَانَ قَائِدي بَقَائي ، فإنّ المَوْتَ لا شَكّ سائقي
وَمَا جَمعيَ الأمْوَالَ إلاّ غَنيمَةٌ لمَنْ عَاشَ بَعدي وَاتّهاماً لرَازِقي
تَنَفّسَ في رَأسِي بَيَاضٌ كَأنّهُ صِقَالٌ تَرَاقٍ في النّصُولِ الرّوَانِقِ
وَمَا جزَعي إنْ حَالَ لَوْنٌ ، وَإنّما أرَى الشّيبَ عَضْباً قاطِعاً حبل عاتقي
فَمَا لي أذُمّ الغَادِرِينَ ، وَإنّمَا شَبَابيَ أدْنَى غَادِرٍ بي وَمَاذِقِ
تُعَيّرُني شَيْبي كَأنّي ابتَدَعتُهُ ، وَمَنْ ليَ أنْ يَبقَى بَيَاضُ المَفارِقِ
وَإنّ وَرَاءَ الشّيبِ مَا لا أجُوزُهُ بِعَائِقَةٍ تُنْسِي جَميعَ العَوَائِقِ

وَلَيسَ نَهارُ الشَّيبِ عِندي بمُزْمعٍ رُجُوعاً إلى لَيلِ الشّبابِ الغَرَانِقِ
وَمَا العِزّ إلاّ غَزْوُكَ الحَيّ بالقَنَا ، وَرَبْطُ المَذاكي في خُدُورِ العَوَاتِقِ
وَإغمادُكَ الأسيافَ في كُلّ هَامَةٍ ، وَرَكْزُكَ أطرَافَ القَنَا في الحَمالِقِ
ولا ترْتضِي أن تُدنِسَ العِرْضَ ساعةً ، وَمَشيُكَ في ثَوْبٍ مِنَ الزّينِ رَائِقِ
فَلِلْعِزّ مَا أدْنَى لِيَاني مِنَ القَنَا ، وَأكرَهَ رُمحي في صُدُورِ الفَيَالِقِ
سَقَى اللهُ نَفساً مَا أضَرّ بَقَاؤها بجِسْمي ، وَأغرَاها بما كانَ عَارِقي
تُكَلّفُني سَيراً إلى غَيرِ غَايَةٍ ، مُضِراً بِأبْنَاءِ الجَديلِ وَلاحِقِ[1]
وَلَيلٍ كَعَينِ الظّبْيِ ، إلاّ نجُومَهُ ، قَطَعتُ وَلي مِن صُبحِهِ كَفُّ سارِقِ
جَرِيّاً عَلى الظّلْمَاءِ ، حتّى كأنّني أرَاهَا بِألحَاظِ الرّزَايَا الطّوَارِقِ
وَرَكْبٍ أنَاخُوا سَاعَةً ، فتَناهَبُوا ثَرَى البِيدِ في أعضَادِهِمْ وَالمَرَافِقِ
وَسَارُوا بأيدِي العِيسِ عَجلى كأنّها خَرَاطِيمُ أقلامٍ جرَتْ في المَهارِقِ
وَمَا أنَا مِمّنْ يُضْجِرُ السّيرُ قَلبَهُ ، وَتُذْكِرُهُ الأمْوَاهُ حَرّ الوَدائِقِ[2]
وَلكِنْ شَرِيكُ الوَحشِ في كلّ مَهمهٍ ، وَرِدْفُ اللّيَالي في الرُّبَى وَالأبَارِقِ
رَعَى اللهُ مَن فارَقتُ مِنْ غَيرِ رَغبَةٍ عَلى الوَجدِ مِنّي وَالسّقَامِ المُطابِقِ
يُبَاعِدُ عَنّي مَنْ غَرَامي لأجْلِهِ ، وَيَقرُبُ مِنْ قَلْبي لَهُ غَيرُ وَامِقِ
إذا شِئْتَ أنْ لاتَهجُرَ الهَمّ فاغترِبْ ، وَإنْ شِئتَ أنْ يَأتي الحِمَامُ فَفارِقِ
فكُلُّ غَرِيبٍ يَألَفُ الهَمُّ قَلبَهُ ، وَلا سِيّمَا قَلْبُ الغَرِيبِ المُفَارِقِ

[1] الجديل : فحل كان للنعمان بن المنذر . لاحق : فرس مشهور
[2] الودائق ، الواحدة وديقة : شدة الحر .

فكَيفَ بطَرْفٍ لحظُهُ لحظُ مُدْنَفٍ ... سقَيمٍ ، وَجِسمٍ قَلبُهُ قلبُ عَاشِقِ

إذا كنتُ ممّن يجحدُ الشّوْقَ في النّوَى، ... فكَم فاضَ دَمعي مِن حَنينِ الأيانِقِ

وَكَمْ أنَا وَقّافٌ عَلى كُلّ مَنزِلٍ ، ... وَكَمْ أنَا مُرْتَاحٌ إلى كُلّ بَارِقِ

أحِنُّ إلى مَنْ لا يَحِنّ صَبَابَةً، ... وَمَا وَاجِدٌ قَلبا مَشوقٍ وَشَائِقِ

وَعِندي مِنَ الأحبابِ كُلُّ عَظيمَةٍ ... تُزَهّدُ في قُرْبِ الضّجيعِ المُعَانِقِ

تَعَطّلَتِ الأحشاءُ مِنْ كُلّ أنّةٍ ، ... فَلا القُرْبُ يُضْنيني وَلا البُعدُ شائقي

وَمَا في الغَوَاني مِنْ سُرُورٍ لنَاظِرٍ ؛ ... وَلا في الخُزَامَى مِنْ نَسيمٍ لنَاشِقِ

رَمَى اللهُ بي مِنْ هذهِ الأرْضِ غيرَها، ... وَقَطّعَ مِنْ هَذا الأنَامِ عَلائقي

فكَمْ فيهِمُ مِنْ وَاعِدٍ غَيرِ مُنجزٍ؛ ... وَكَمْ فيهِمُ مِنْ قائلٍ غيرِ صَادِقِ

يَظُنّونَ أنّ المَجدَ فيمَنْ لهُ الغِنى ، ... وَأنّ جَميعَ العِلمِ فَضْلُ التّشادُقِ

وَفَاءٌ كأُنْبُوبِ اليَرَاعِ لصَاحِبٍ ، ... وَغَدْرٌ كأطْرَافِ الرّماحِ الزّوَالِقِ

وَلَوْلا ابنُ مُوسَى لم يكُنْ في زَمَانِنا ... مَعَاذٌ لجَانٍ ، أوْ مَحَلٌّ لِطَارِقِ

وَلا دَبّرَتْ سُمرَ القَنَا كَفُّ فَارِسٍ ، ... وَلا مُدّ في رِزْقِ المُنى باعُ رَازِقِ

تَغَمّدَنَا مِنْ كُلّ أرْضٍ بنفحَةٍ ، ... وَأمطرَنَا مِنْ كُلّ جَوٍّ بِوَادِقِ

إذا هَمّ لمْ يَبْعُدْ بهِ زَجْرُ زَاجِرٍ ، ... وَإنْ ثَارَ لمْ يَعطِفْ بهِ نَعقُ نَاعِقِ

وَإنْ رَامَ أمْلاكَ البِلادِ بفَتْكَةٍ ، ... مَشَى الذّلُّ في تيجَانِها وَالمَنَاطِقِ

لَهُ العِزُّ وَالمَجْدُ التّليدُ وِرَاثَةً ، ... وَأخذاً عنِ البِيضِ الظُّبَى وَالسّوَابِقِ

وَمَا زَالَ يَلقَى كُلّ غَبرَاءَ فَخمَةٍ ... تُغَالي بأطْرَافِ القَنَا وَالعَقَائِقِ[1]

[1] تغالي : لعله من غالى بالسهم : رمى به أقصى الغاية . العقائق : أراد السيوف .

وَمَا بَرِحَتْ في كُلِّ عَصْرٍ سُيُوفُهُ مَوَاضِعَ تِيجَانِ الرِّجَالِ البَطَارِقِ
يُجَرِّدُهَا مِثْلَ الأَقَاحِي عَلَى الطُّلَى، وَيُغْمِدُهَا مُحْمَرَّةً كَالشَّقَائِقِ
تُبَلِّغُهُ أَقْصَى الأَمَانِي رِمَاحُهُ، وَآرَاؤُهُ، وَالرَّأْيُ أَمْضَى مُرَافِقِ
وَخَيْلٍ كَأَطْرَافِ العَوَالِي جَرِيئَةٍ عَلَى الطَّعْنِ مُسْقَاةٍ دِمَاءَ المَوَارِقِ
إذا عَنَّ طَرْدٌ أَوْ طِرَادٌ تَبَادَرَتْ طِرَادَ الأَعَادِي قَبْلَ طَرْدِ الوَسَائِقِ
تُدِيرُ عُيُوناً بَدَّدَ الرَّوْعُ لَحْظَهَا، وَغَطَّى مَآقِيهَا غُبَارُ السَّمَالِقِ
نَوَاصِبِ آذَانٍ إلى كُلِّ نَبْأَةٍ، طَوَامِحِ أَلْحَاظٍ إلى كُلِّ مَارِقِ
ذَوَاكِرَ لِلنَّجْوَى بِيَوْمِ طِعَانِهِ يُنَسِّي رُؤُوسَ الخَيْلِ جَذْبَ العَلَائِقِ
تَرُوعُ جَنَانَ اللَّيْثِ إنْ لَمْ تَذُمَّهُ، وَتَطْعَنُ في الأَقْرَانِ إنْ لَمْ تُعَانِقِ
هَنِيئاً لَكَ العِيدُ المُضَاعَفُ سَعْدُهُ، كَمَا ضَاعَفَ الوَسْمِيُّ نَبْتَ الحَدَائِقِ
وَكَمْ مِثْلِ هذا العِيدِ قَضَيْتَ فَرْضَهُ بِمَكَّةَ، في ظِلِّ البُنُودِ الخَوَافِقِ
وَقُدْتَ إلَيْهِ العِيسَ عَجْلَى مَرُوعَةً، تَنَاهَزُ في أَنْمَاطِهَا وَالنَّمَارِقِ
مُدَفَّعَةً تَحْتَ السِّيَاطِ كَأَنَّهَا، إذا جَنَّتِ الظَّلْمَاءُ، أَيْدِي النَّقَانِقِ
وَيُعْنِتُهَا الحَادُونَ أَوْ تُوسِعَ الخُطَا إلى قُرْبِ دارِ المَوْقِفِ المُتَضَايِقِ
وَأَيُّ مَقَامٍ لِلوَرَى تَحْتَ ظِلِّهِ، مَهِيبٍ يُطَاطِي مِن عُيُونِ الحَدَائِقِ
وَأَكْثَرُ مَا تَلْقَى بِهِ العَيْنُ أَوْ تَرَى إفَاضَةَ مَخْلُوقٍ إلى قُرْبِ خَالِقِ
ثَمَانِينَ أَعْطَيْتَ المُنَى في مُرُورِهَا، وَلَمْ تَرْمِ عَنْ مَسْرَاكَ فيها بِعَائِقِ
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنْ أَرَى مِنْكَ عَارِضاً يُؤَمِّمُهَا في مِثْلِ تِلْكَ البَوَارِقِ
أَبَا أَحْمَدٍ هَذا طِلَابِي، وَهَذِهِ مُنَايَ الَّتي أَمَّلْتُكَ دُونَ الخَلَائِقِ

وَإنّي لأرْجُو منكَ مَا لا أذيعُهُ ، مَخَافَةَ وَاشٍ ، أوْ عَدُوٍّ مُمَاذِقِ
وَلا بُدّ مِنْ يَوْمٍ حَمِيدٍ ، كأنّهُ مِنَ النّقعِ في أثْنَاءِ بُرْدٍ شَبَارِقِ[1]
عَظيمٍ دَوِيّ الصّوْتِ في سَمعِ سامعٍ ، بَعيدِ سَمَاعِ الصّوْتِ من نُطقِ ناطقِ
أعُدّ عنَايَ فيهِ رَوْحاً وَرَاحَةً ، وَكَمْ سَعَةٍ للمَرْءِ غِبَّ المَضَائِقِ
وَهَذا مَقَالي فيكَ غَيثٌ ، وَرُبّمَا رَمَيْتُ العِدى مِن وَقعِهِ بالصّوَاعِقِ
إذا أنتَ يَوْماً سِمْتَنيهِ ، فإنّمَا تُكَلّفُني قَطْعَ الذّرَى وَالشّوَاهِقِ
وَحَسبُكَ منهُ ما رَضِيتَ استِمَاعَهُ ، وَأكثرُ مَا في النّاسِ لَغوُ المَنَاطِقِ

انت الهوى لا غيرك

وكتب إلى بعض أصدقائه

سَيّدي أنتَ ؛ ليسَ كُلُّ صَديقٍ بصَادِقِ
كَمْ لِسَانٍ دَنَا إلَيْكَ بِقَلْبٍ مُنَافِقِ
كَيفَ تُنمي الوَفاءَ وَالخِلُّ غَيرُ المُوَافِقِ
سِرْتَ بالشّوْقِ وَالتَفَتَّ إلى غَيرِ وَامِقِ
مُستَرِيحٍ مِنَ الجَوَى ، كَاذِبِ الوُدّ مَاذِقِ

[1] الشبارق : المقطع .

أنتَ لا غَيرُكَ الهَوَى ، مِنْ جَميعِ الخَلائقِ
لا يرَاني العَدُوُّ إلاّ بِعَينِ المُسَارِقِ
أنَا لَوْلاكَ مَا ظَفِرْ تُ بقَلْبٍ مُصادِقِ
أنَا مَوْلَى العِدى ، وَإنْ كُنتُ عَبْدَ الأصادِقِ
مَنْزِلي لا يزَالُ يَدْ نُو إلى كُلّ طَارِقِ
بِظَلامِ الغُرُوبِ ، أوْ بِضِيَاءِ المَشَارِقِ
وَشِفَاهُ الغَمَامِ تَجْ لُو ثُغُورَ البَوارِقِ
وَأعُقُّ الغُرَابَ بَيْ نَ بَرُوقٍ وَفَارِقِ[1]
بِظُبًى تَخْلُطُ الجَزُو رَ بِضَرْبِ المَفَارِقِ
أنَا للجُودِ مُذْ خُلِقْ تُ وَوَحّدْتُ خالِقي
خُلُقي ذاكَ وَالتّخَ لُّقُ ضِدُّ الخَلائقِ
أحْرِزُ المَالَ للعَطَا ءِ ، بِجَرّ الفَيَالِقِ
وَأرَى جَمْعِيَ الثّرَا ءَ اتّهَاماً لرَازِقي
مَا أعَزّ الرّجَالَ لَوْ قَنِعُوا بالحَقَائِقِ
لي مِنَ الدّهْرِ مَا يُشَ يِّعُني في البَوائِقِ
فَرَسٌ يَلْحَقُ الأيَا طِلَ مِنْ نَسْلِ لاحِقِ
وَنَحيلُ الكُعُوبِ في رَأسِهِ مِثْلُ بَارِقِ

[1] البروق : الجبان . الفارق : المنفرد .

وَصَقيلُ الذُّبَابِ يَقْبِضُ لَحْظَ المُرَامِقِ
أتَحَدّى بِهِ الرَّدى ، في ظُهُورِ السَّوَابِقِ
يَوْمَ قَوْدِ الجِيَادِ خَطّارَةً في السَّمَالِقِ
تَتَنَزّى رُؤُوسُهَا مِنْ جُنُوبِ العَلائِقِ
أرْتَقي غَايَةَ الكُهُولِ بِسِنِّ المُرَاهِقِ

مضى طيب الاردان

قال رضي الله عنه يرثي أبا الفتح عثمان بن جني النحوي وتوفي ببغداد ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من شهر صفر سنة ٣٩٢ وكانت بينهما مودة أكيدة وخلطة متقادمة وأسباب جامعة وقد قرأ عليه طويلا واستفاد منه كثيراً وفسر قطعة من شعره وكان هو المتولي للصلاة عليه قبل دفنه رحمهما الله تعالى :

ألا يا لَقَوْمي للخُطُوبِ الطّوَارِقِ ، وَللعَظْمِ يُرْمَى كُلَّ يَوْمٍ بعارِقِ
وَللدّهْرِ يُعرِي جَانِبي مِنْ أقَارِبي ، وَيَقْطَعُ مَا بَيني وَبَينَ الأصَادِقِ
وَيُورِي بقَلْبي نَارَ وَجْدٍ شُوَاظُهَا تُرِيني اللّيَالي ضَوْءَهُ في مَفَارِقي
وَللنّائِبَاتِ استَهْدَفَتْني نِصَالُهَا، عَلى شَرَفٍ يَرْمينَنَا بالفَلائِقِ[1]
وَللنّفسِ قَد طارَتْ شَعاعاً مِنَ الجوَى لِفَقْدِ الصّفَايَا وَانْقِطَاعِ العَلائِقِ

١ الفلائق : الأمور المنكرة .

لَمَا كُلَّ يَوْمٍ مَوْقِفٌ مَعْ مُوَدَّعٍ ، وَمُلتَفِتٍ في عقَبِ ماضٍ مُفارِقِ
نجُومٌ مِنَ الإخوَانِ يَرْمي بها الرّدَى ، مُقارِبُهَا فَوْتُ العُيُونِ الرّوَامِقِ
كَأنّي ، إذا تَبّعتُ آثَارَ غَارِبٍ بعَيْنيَ ، لمْ أنظُرْ إلى ضَوْءِ شَارِقِ
وَلا دارَ إلاّ سَوْفَ يُجلَى قَطينُها على نَعْقِ غِرْبانِ الخُطوبِ النّوَاعِقِ
وَيَخرُجُ مِنْهَا بالكَرَائِمِ حادِثٌ، وَيَدخُلُها صَرْفُ الرّدى بالبَوَائِقِ
كأنّا قَذًى يَرْمي بهِ السّيلُ كُلّما تَطاوَحَ مَا بَيْنَ الرُّبَى وَالأبَارِقِ
أعَضُّ بَنَاني إصْبَعاً ثمّ إصْبَعاً ، عَلى ثَامِرٍ مِنْ فَرْعِ مَجدٍ وَوَارِقِ
وَعِقْدٍ مِنَ الأخدانِ أوْهَى نِظامَهُ كُرُورُ الرّزَايَا وَاعتِقابُ الطّوَارِقِ
أرُدُّ الشّجَا قَبلَ الزّفِيرِ تَجَلّداً ، وَأغلِبُ دَمعي قَبلَ بَلّ الحَمَائِقِ
كَأنّيَ بَعدَ الذّاهِبِينَ رَذِيّةٌ تُزَجّى وَرَاءَ المَاضِيَاتِ السّوَابِقِ[1]
وَلا رَيبَ أنّي مُبرِكٌ في مَناخِهِمْ ، وَأنّيَ بالمَاضِينَ أوّلُ لاحِقِ
فَأينَ المُلُوكُ الأقدَمُونَ تَسانَدُوا إلى جِذْمِ أحسابٍ كِرَامِ المَعَارِقِ
بهَالِيلُ مَنّاعُونَ للضّيمِ أحسَنُوا بَلاءَهُمُ عندَ النّصُولِ الذّوَالِقِ
عوَاصِبُ بالتّيجَانِ فَوْقَ جَمَاجِمٍ ، وِضَاءِ المَجَالي وَاضِحَاتِ المَفَارِقِ
إذا رَثَمُوا المِسكَ العَرَانِينَ خِلتَهمْ أسُودَ الشّرَى سافَتْ دَماً بالمَنَاشِقِ[2]
فُحُولٌ أطَلْنَ الهَدْرَ وَالخَطرَ بالقَنا ، ضَوَارِبُ للأذْقَانِ مِيلُ الشّقَائِقِ
هُمُ انتَعَلُوا العَلْيَاءَ قَبلَ نِعَالِهِمْ ، وَداسُوا طُلَى الأعداءِ قَبلَ النّمَارِقِ

١ الرذية : التي أثقلها المرض .
٢ رثموا : لطخوا . سافت : شم

تَرَى كُلَّ حُرِّ المَلْطَمَينِ كَأنّهُ عَتِيقُ المَهَارَى مِنْ جِيَادٍ عَتائِقِ
إذا قَامَ سَاوَى الرّمْحَ حتّى يَمَسّهُ بِغَارِبِ مَمْطُوطِ النّجَادِ وَعَاتِقِ
وَرَائي الدُّجَى يَعشُو إلى ضَوْءِ وَجهِهِ كَأنّ عَلى عِرْنِينِهِ ضَوْءَ بَارِقِ
وَأينَ المَلاجي العاصِماتُ مِنَ الرّدَى إذا طَرَقَتْ إحدَى اللّيَالي بِطَارِقِ
مَصَاعِبُ لمْ تُعطِ الرّؤوسَ لِقَائِدٍ، وَلا استَوْسَقَتْ قَبلَ المَنَايا لسَائِقِ
فَشَنّ عَلَيهِ الأزْلَمُ العَوْدُ غَارَةً، بلا قَرْعِ أرْمَاحٍ وَلا نَقعِ مَأزِقِ
وَشَلّ بِهَا شَلَّ الطّرَائِدِ بالقَنَا، وَكَعكَعَهَا مِنْ جِلّةٍ وَدَرَادِقِ[1]
لِتَبْكِ أبَا الفَتْحِ العُيُونُ بدَمعِها وَألسُنُنَا مِنْ بَعدِهَا بالمَنَاطِقِ
إذا هَبّ مِنْ تِلْكَ الغَليلُ بدامِعٍ تَسَرّعَ مِنْ هَذا الغَرَامُ بنَاطِقِ
شَقيقي إذا التَاثَ الشّقيقُ وَأعرَضَتْ خَلائِقُ قَوْمي جَانِباً عَنْ خَلائقي
كَأنّ جَنَاني يَوْمَ وَافَى نَعِيُّهُ، فَرِيُّ أديمٍ بَينَ أيدي الخَوَالِقِ[2]
فَمَنْ لأوَابي القَوْلِ يَبلُو عِرَاكَهَا وَيَحذِفُهَا حَذْفَ النّبَالِ المَوَارِقِ
إذا صَاحَ في أعقَابِهَا أطْرَدَتْ لَهُ ثَوَانيَ بالأعْنَاقِ طَرْدَ الوَسَايِقِ
وَسَوّمَهَا مُلْسَ المُتُونِ كَأنّهَا نَزَائِعُ مِنْ آلِ الوَجيهِ وَلاحِقِ
تَغَلغَلُ في أعقَابِهِنّ وُسُومُهُ، بأبقَى بَقَاءٍ مِنْ وُسُومِ الأيَانِقِ
فَفي النّاسِ مِنها ذائِقٌ غَيرُ آكِلٍ، وَقَد كَانَ مِنها آكِلاً غَيرَ ذائِقِ
وَمَنْ للمَعَاني في الأكِمّةِ ألقِيَتْ إلى بَاقِرٍ غَيبَ المَعَاني وَفَاتِقِ

[1] الجلة : السادة العظام . الدرادق : الأطفال .
[2] الخوالق : صناع الأديم وهم الذين يقدرونه قبل قطعه .

يُطَوِّحُ في أثْنَائِهَا بِضَمِيرِهِ ، مَرِيرُ القُوَى وَلاّجُ تِلْكَ المَضَايِقِ
تَسَنَّمَ أعلى طَودِها غَيرَ عَاثِرٍ ، وَجاوَزَ أقصَى دَحضِها غَيرَ زَالِقِ
طَوَى منهُ بَطنُ الأرْضِ ما تَستعيدُهُ عَلى الدّهرِ مَنشُوراً بُطونُ المَهارِقِ
مَضَى طَيّبَ الأرْدانِ يأرَجُ ذِكرُهُ ، أريجَ الصَّبَا تَندَى لِعِرْنِينِ نَاشِقِ
كَأنَّ جَميعَ النّاسِ آثَرُوا عَلى بَعضِ أمطَارِ الرّبيعِ المُغَادِقِ
أمَدّوهُ مِنْ طِيبٍ لغَيرِ كَرَامَةٍ ، وَضَمّوهُ في ثَوْبٍ جَديدِ البَنَائِقِ
وَمَا احتَاجَ بُرْداً غَيرَ بُرْدِ عَفَافِهِ ، وَلا عَرْفَ طِيبٍ غَيرَ تلكَ الخَلائِقِ
مَرَافِقُ شَعبٍ كالهَشائِمِ وُسّدُوا بِمُنْقَطِعِ البَيْدَاءِ غَيرِ المُرَافِقِ
قَدِ اعتَنَقُوا الأجداثَ لامِنْ صَبابةٍ ، وَيَا رُبَّ زُهْدٍ في الضّجيعِ المُعَانِقِ
وَمَا المَيتُ إنْ وَارَاهُ سِترٌ مِنَ الثّرَى بأقرَبَ مِمّا دُونَ رَمْلِ الشّقَائِقِ
وَفَارَقَني عَنْ خُلّةٍ غَيرِ طَرْقَةٍ ، تَضَمّنَهَا صَدْرُ امرِىءٍ غَيرِ ماذِقِ[1]
تَرَوّقَ مَاءُ الوُدّ بَيْني وَبَينَهُ ، وَطاحَ القذَى عن سَلسَلِ الطعمِ رَائِقِ
سَقَاكَ، وَهَلْ يَسقيكَ إلاّ تَعِلّةً ، اغَيرِ الرّدى قَطرُ الغَمامِ الدّوَافِقِ
مِنَ المُزْنِ حَمحامٌ ، إذا التَجّ لُجّةً أضَاءَتْ تَوَاليهِ زِنَادَ البَوَارِقِ
سُلافَةُ غَيثٍ شَلشَلَتها هَمِيّةٌ ، نَتيجَةُ أنوَاءِ السّحَابِ الرّقَارِقِ
وَمُستَنبِتٍ رَوْضاً عَلَيكَ مُنَوِّراً ، عَلى صَابحٍ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ وَغَابِقِ
وَمَا فَرَحي إنْ جَاوَرَتكَ حَديقَةٌ ، وَقَبرُكَ مَمْلُوءٌ بِغُرّ الحَدائِقِ

[1] الخلة ، الخصلة ، الصداقة . الطرقة : الهوج ، الجنون .

أخٌ لكَ أمسَى واجِداً بكَ وَجْدَهُ ، طَوَالَ اللّيَالي بالشّبَابِ الغُرَانِقِ
سَخَا لكَ مِنْ رِيحِ الزّفيرِ بحاصِبٍ مُقيمٍ ، وَمن مَاءِ الشّؤونِ بِوَادِقِ
فَمَا العَهدُ منّي إنْ هَوَتْ بثَابِتٍ ، وَلا الوُدّ منّي إنْ سَلَوْتُ بصَادِقِ

يا ناعي الفارس

قال رحمه الله تعالى يرثي ابن ليلى البدوي وقد
تقدم له فيه مراث وذلك في المحرم من سنة ٣٩٣ :

تَعَيّفَ الطّيرَ ، فَأنْبَأنَهُ أنّ ابنَ لَيلى عَلِقَتْهُ عَلُوق[١]
وَإنّ سَجْلاً مِنْ دَمٍ آمِنٍ أفْرَغَهُ الطّعْنُ بِوَادِي العَقيقْ
يا نَاعيَ الفَارِسِ قَدْ أصْبَحَتْ ضِبَاعُ ذي العَرْعَرِ منهُ نُغُوق[٢]
تَعلَمُ مَنْ تَنعَى إلى قَوْمِهِ ؟ طَارَ ذِرَاعَاكَ بعَضْبٍ ذَلُوقْ
بُعْداً لأرْمَاحِ تَمِيمٍ لَقَدْ هَدَدْنَ عَادِيّ بِنَاءٍ عَتيقْ
قَرَعْنَ في أصْلِ كَرِيمِ الثّرَى ، وَجُلْنَ في فَرْعٍ عَزِيزِ العُرُوقْ
حَدَوْا لَهُ مِنْ حَيثُ لا يَتّقي ، عيراً مِنَ الطّعْنِ مِلاءَ الوُسُوقْ
كأنّ ذا المَطلَعِ أمسَى الرّدَى رَصيدَهُ ، وَازْوَرّ عَنهُ الفَرِيقْ

١ تعيف : زجر . العلوق : الداهية ، المنية .
٢ نغوق : صائحة .

قالَتْ لَهُ النّفسُ علَى عارِهَا : ما لكَ لا تَنقُضُ هَذا الطّرِيقْ
مَا كانَ بالرّاجعِ عَنْ نَهجِهِ ، لَوْ وَقَفَ السّيفُ لَهُ في المَضِيقْ
لا يَدَعُ الذّابِلَ مَنْ طَعمُهُ علَى صَبُوحٍ بِدَمٍ ، أوْ غَبُوقْ
كَأنّ أعْلاهُ لِسَانٌ ، فَمَا يَغُبُّهُ ، الدّهْرُ ، بَلالٌ بِرِيقْ
كَمْ بَاتَ رَبّاءٌ لِسَيّارَةٍ طَارِقَةٍ غَيرَ أوَانِ الطُّرُوق[1]
في قُنّةٍ عَيْطَاءَ مَمْطُولَةٍ كَأنّهَا قُلّةُ رَأسٍ حَلِيقْ
يُزَايِلُ اللّيْلَ عَلى رَحْلِهِ ، وَيُوثِرُ القَوْمَ بطُعمِ الخُفُوق[2]
وَيَغتَدِي بَعدَ عِرَاكِ السُّرَى يُعَارِضُ الرّكْبَ بِوَجْهٍ طَلِيقْ
أوْفَى ، كَمَا جَلّى عَلى رَهْوَةٍ ، أزْرَقُ وَالَى نَظَرَاتٍ بِنِيق[3]
يَسُلّ عَيْنَيْهِ عَلى مِرْبَةٍ ، عَن زَجَلِ الطّيرِ قُبَيلَ الشّرُوقْ
يَعتَرِقُ اللّحْمَ عَلى بَارِقٍ ، وَيَنتَقي العَظْمَ بِرَمْلِ الشّقِيقْ
أوْ حَيّةُ الرَّعْنِ ذَوَى رَأسَهُ ، مُشتَرِقَ الشّمسِ بطَوْدٍ زَلِيقْ
يَعقُدُ أولاهُ بأُخْرَاتِهِ ، لِفَافَ بِنتِ الرَّقِمِ الخَنفَقِيق[4]
كَعِمّةِ الألْوَثِ مَالَتْ بِهِ بَينَ النّدامَى نَزَوَاتُ الرّحِيقْ
جَامِعُ لِينٍ وَصِيَالٍ مَعاً ، إطرَاقَ ذي حِلْمٍ وَصَوْلِ الحَنِيقْ

١ رباه : أراد مغذياً ومنفساً للكرب .

٢ الخفوق : النوم .

٣ الأزرق : البازي .

٤ الرقم : الداهية . الخنفقيق : السريعة .

يُدِيرُ فِي فِيهِ ذَلِيقَ الشَّبَا ، مِثْلَ لمَاظِ الرّجلِ المُسْتَذِيقْ
تَخَالُ مَا تَطْرَحُ أَشْدَاقُهُ مَا لَطَّخَ المَحضَ بقَعبِ الغَبُوقْ
مُستَجمِعٌ فَرّقَ عَنْ وَثْبَةٍ ، نَشطَكَ حَبْلَ العَرَبِيّ الرّبِيقْ
نِعْمَ كِعَامُ الثّغْرِ يَشْجُو بِهِ فَمَ المَنَايَا ، وَنِصَاحُ الفُتُوقْ[1]
تَضُمُّهُ فِي الرّوْعِ مِنْ دِرْعِهِ أُمٌ لهَا مِنْهُ أَذًى أَوْ عُقُوقْ
زَالَ وَأَبْقَى ، عِندَ أعقَابِهِ ، خَدِيمَ مَالٍ عَرَفَتْهُ الحُقُوقْ
مَضَى وَوَصّاهُمْ بِأنْ يَقْبَلُوا دَعوَى العِدا فيهم وَحكمَ الصّدِيقْ
كانَ هَوًى للنّفسِ ، لَوْ أنّنِي فِي حَلَقِ القِدّ ، وَأَنتَ الطّلِيقْ
ما كُنتُ بالهَائبِ طُرْقَ الرّدَى ، مَا سَلِمَ العَضْبُ ، وَأَنتَ الرّفيقْ
مَا أنَا باللاّقِي بِذاتِ النّقَا خَيْلَ وَغًى مُشعَلَةً بالعَنِيقْ
مَاطَلَهَا المَاءَ ، فَلَمّا سَلَتْ عَنِ الرّوَى مَاطَلَهَا بالعَلِيقْ
وَلابنُ لَيلى عَارِضاً رُمْحَهُ يَحْدُو بِخَفّانَ جِمَالاً وَنُوقْ
يَأبَى ، إذا الضّيمُ غَدا مُضْغَةً سَلْسَالَةً سَائِغَةً فِي الحُلُوقْ
يَرُوحُ مَنْ يَرْجُو لَهُ غُرّةً ، قد خَضْخَضَ السَّجلَ بجالٍ عميقْ
يُحَدّثُ النّفْسَ بِمَا فَاتَهُ ، تَطَاوُلَ الغَمرِ لمَجنَى السَّحُوقْ
استَبْدَلَ الحَيُّ بِعِقْبَانِهِ أغرِبَةً بَعدَكَ حُمقَ النّغِيقْ
خَاطَرَتِ الشّوْلُ بِأذْنَابِهَا ، لمّا انطوَى قَرْقارُ ذاكَ الفَنِيقْ[2]

١ الكعام : الرباط . النصاح : الخيط والسلك .
٢ الشول : النياق . قرقار : هدير البعير .

قَدْ نَطَقَ الصَّامِتُ مِنْ بَعدِهِ ، وَأَصرَدَ النَّابِلُ بَعدَ المُرُوقْ
مَخِيلَةٌ لا مَطَرٌ خَلْفَهَا ، تَلْمَعُ مِنهَا شَوَلانُ البُرُوقْ
ما الحَيّ بالضَّاحِكِ عَنْ مِثْلِهِ ، وَلا وُجُوهُ الحَيّ مُذ غابَ رُوقْ
وَلا أغَبّ الأرْضَ تُمسِي بِهَا ظِلٌّ صَفِيقٌ وَنَسِيمٌ رَقِيقْ
لا أغْفَلَتْ قَبرَكَ حَنّانَةٌ ، خَرْقَاءُ بالقَطْرِ صَنَاعِ البُرُوقْ
مَا أبْدَعَ المِقْدارُ فِيمَا جَنَى ، لَكِنّهُ حَمّلَ غَيرَ المُطِيقْ

العيش غمة وارتياحة

قال يرثي صديقاً له ويصف في بعضها الحية :

أُلَوّي حَيَازِيمي عَلَيْكَ تَحَرُّقَا ، وَأشكُو قُصُورَ الدّمعِ فيك وَما رَقَا
فَيَا شَمَلَ لبّي لا تَزَالُ مُبَدَّداً ، وَيَا جَفْنَ عَيْني لا تَزَالُ مُؤرَّقَا
فَقَدْ كُنتُ أستَسقي الدّمُوعَ لمِثلِها ، وَمَا جَمّ دَمعُ العَينِ إلاّ ليُهْرَقَا
أعَايَنتَ هَذا الدّهْرَ إنْ سَرّ مَرّةً أسَاءَ ، وَإنْ صَفّى لَنا الوُدَّ رَنّقَا
كَأنّي أُنَادي مِنهُ صَمّاءَ صَلْدَةً ، وَصِلّ فَلاةٍ لا يَلِينُ عَلى الرُّقَى
إذا غَفِلَ الحَادُونَ ثَارَ مُسَاوِراً ؛ وَإنْ رُوجِعَ النّجوَى أرَمّ وَأطرَقَا
طَلُوعُ الثّنَايَا يَنفُذُ اللّيلَ لحظُهُ ، إذا مَا رَنَا ،جَوّابُ أرْضٍ ،وَحَملَقَا
لَهُ المَنْظَرُ العَارِي ، وَكُلُّ هُنَيهَةٍ تُغَاوِرُ بالأنْقَاءِ بُرْداً مُشَرَّقَا

كَأنّ زِماماً ضَاعَ مِنْ أرْحَبيّةٍ تَلَوّى بِأقْوازِ النّقَا ، وَتَعَلّقَا[1]
تَلَمّظَ شَيْئاً كالحَبَابِ ، وَغامَرَتْ بهِ وَثْبَةٌ أمضَى مِنَ اللّيثِ مَصْدَقَا[2]
رِشاءُ الرّدى لوْ عَضّ بالطّوْدِ هاضَهُ ، وَلَوْ شَمّ ما لاقَى عَلى الأرْضِ أحرَقَا
دُوَيْهِيَةٌ يَحْمي الطّرِيقَ مَجَرُّهُ ، إذا نَفَخَ الرّكْبَانُ نَامَ وَأرّقَا
وَمَا العَيْشُ إلاّ غُمّةٌ وَارْتِيَاحَةٌ ، وَمُفتَرَقٌ بَعْدَ الدّنُوّ وَمُلْتَقَى
هُوَ الدّهْرُ يُبلي جِدّةً بَعدَ جِدّةٍ ، فَيَا لابِساً أبْلَى طَوِيلاً وَأخْلَقَا
فكَمْ مِنْ عَليٍّ فيكَ حَلّقَ وَانهوَى ، وَكَمْ مِنْ غَنيٍّ نالَ منكَ وَأملَقَا
وَمِنْ قَبلِ ما أرْدَى جُذاماً وَحِميراً ، وَأطرَقَ زَوْرُ المَوْتِ عُوجاً وَعَملَقَا
وَأبْقَى عَلى دارِ السّمَوْألِ بَرْكَهُ ، وَقَادَ إلى وِرْدِ المَنُونِ مُحَرِّقَا
فَفَارَقَ هذا الأبْلَقَ الفَرْدَ بَغْتَةً ، وَوَدّعَ ذا بَعدَ النّعيمِ الخَوَرْنَقَا
فَمَا البَأسُ وَالإقدامُ نَجّى عُتَيبَةً ، وَلا الجُودُ وَالإعطَاءُ أبقَى المُحَلَّقَا
أرَاهُ سِنَاناً للقَرِيبِ مُسَدَّداً ، وَسَهْماً إلى النّأيِ البَعيدِ مُفَوَّقَا
إذا مَا عَدا لمْ تُبصِرِ البِيضَ قُطّعاً ، وَلا الزَّغْفَ مَنّاعاً وَلا الجُرْدَ سُبَّقَا
وَلا في مَهاوِي الأرْضِ إن رُمتَ مهبطاً ، وَلا في مَرَاقي الجَوّ إن رُمتَ مُرْتَقَى
وَلا الحُوتُ إنْ شَقّ البِحارَ بِفائِتٍ ، وَلا الطّيرُ إنْ مَدّ الجَنَاحَ وَحَلّقَا
وَللعُمْرِ نَهْجٌ إنْ تَسَنّمَهُ الفَتَى إلى الغَايَةِ القُصْوَى أزَلّ وَأزْلَقَا
ألا قَاتَلَ اللهُ الذي جَاءَ غازِياً ، فَقَارَعنا عَن مُخّةِ السّاقِ وَانتَقَى

١ الأقواز : الكثبان المشرفة .
٢ الجباب : ما اجتمع من ألبان الإبل كأنه الزبد .

وكَمْ مِنْ عَليلٍ قَدْ شَرِقتُ بيَوْمه جوًى ، بعدَ ما قالوا أبَلّ وأفرَقَا
وَآخرَ طَلّقتُ السّرُورَ لفَقْدِهِ ، وقَدْ رَاحَ للدّنيَا النّشُوزِ مُطَلِّقَا
بنَفسيَ مَنْ أفقَدْتُ داراً أنيقَةً من العَيْشِ وَاستَوْدَعتُ بيداء سَمْلَقَا
وَأبْدَلتُهُ مِنْ ظِلّ فَينَانَ ناضرٍ ظِلالَ صَفيحٍ كالغَمَامِ مُطَبِّقَا
وَخَفّفتُ عَن أيدي الأقارِبِ ثِقلَهُ ، وَحَمّلتُهُ ثِقْلَ الجَنادِلِ وَالنّقَا
جلَستُ عَلَيهِ طَامِعاً ثمّ جاءَني منَ اليَأسِ أمرٌ أنْ أخُبّ وَأُعنِقَا
وَمَا مِنْ هَوَانٍ خطّ التُّرْبَ فَوْقَهُ ، وَخَطّ لَهُ بَيتاً مِنَ الأمرِ ضَيّقَا
وَقد كانَ فَوْقَ الأرْضِ يُسحِقُ نأيُه ، فصَارَ وَرَاءَ الأرْضِ أنأى وَأسحَقَا
خَليليّ زُمّا لي مِنَ العيسِ جَسرَةً ، مُضَبَّرَةَ الأضْلاعِ أدْمَاءَ سَهوَقَا[1]
تَمُرُّ كَمَا مَرّتْ أوائِلُ بَارِقٍ يَشُقُّ الدُّجَى وَالعَارِضَ المُتَألّقَا
كَأنّ يدَ القِسطَارِ بَينَ فُرُوجِهَا ، يُقَلِّبُ في الكَفّ اللّجَينَ المُطَرَّقَا[2]
وَحُطّا لجَامي في قَذالِ طِمِرّةٍ ، كَأنّ بهَا مِنْ مَيعَةِ الشّدّ أوْلَقَا
تُعِيرُ الفَتَى ظَهراً قَصِيراً ، كأنّهُ قرَا النِّقْنِقِ الطّاوِي وَعُنقاً عَشَنَّقَا[3]
لَعَلّي أفُوتُ المَوْتَ إنْ جَدّ جَدُّهُ ، وَأعظَمُ ظَنّي أنْ يَنالَ وَيَلحَقَا
وَهَلْ يَأمَنُ الإنسانُ مِنْ فَجآتِهِ ، وَإنْ حَثّ بالبَيداءِ خَيْلاً وَأيْنُقَا
لقد سَلّ هذا الرُّزْءُ من عينيَ الكَرَى ، وَغَصّصَ بالمَاءِ الزّلالِ وَأشْرَقَا

١ الجسرة : العظيمة من الإبل . مضبرة : مجتمعة . السهوق : الطويلة الساقين .

٢ القسطار : منتقد الدراهم .

٣ العشنق : الطويل .

وَمِمّا يُعَزّي المَرْءَ مَا شَاءَ أنّهُ يَرَى نَفْسَهُ في المَيّتِينَ مُعَرَّقَا
وَلَوْ غَيرَ هذا المَوْتِ نَالَكَ ظُفرُهُ وَوَلاّكَ غَرْباً للمَنَايَا مُذَلَّقَا
لَكَانَ وَرَاءَ الثّأرِ مِنّا ، وَدُونَهُ عَصَائِبُ تَختَارُ المَنُونَ عَلى البَقَا
إذا ضَرَبُوا رَدّوا الحَديدَ مُثَلَّماً ؛ وَإنْ طَعَنُوا رَدّوا الوَشيجَ مُدَقَّقَا
بِكُلّ قَصيرٍ يَفلِقُ الهَامَ أبيَض ، وَكُلّ طَوِيلٍ يَهتِكُ السَّرْدَ أوْرَقَا
إذا اهتَزّ مِنْ خَلْفِ السّنانِ حَسِبتَه بأعلى النّجادِ الأرْقَمَ المُتَشَدّقَا
وَلَكِنّهُ القِرْنُ الّذي لا نَرُدُّهُ ، وَهَلْ لامرِىءٍ رَدٌّ إذا اللّيثُ حَقّقَا
يَقُودُ الفَتَى ما زُمّ بالضّيمِ أنفُهُ ، وَقد قَادَ أبطَالاً ، وَقَدْ جرّ فَيلَقَا
مُشَقَّقُ أعرَافِ الخَطَابَةِ صَامِتٌ ، وَلاقي صُدُورِ الخَيلِ يَوْمَ الوَغَى لَقَا
وَلَمْ تُغنِ عَنهُ الخَطُّ قَوّمَ دَرْؤهَا ، وَلا البِيضُ أجرَى القَينُ فيهن رَوْنَقَا
سَقَاهُ ، وَإنْ لمْ تُرْوَ للقَلْبِ غُلّةٌ ، وَمَا كَانَ ظَنّي أنْ أقُولَ لَهُ سَقَا
وَلا زَالَتِ الأنْوَاءُ تَحبُوهُ مُرْعِداً مِنَ المُزْنِ مَلآنَ الحَيازِيمِ مُبْرِقَا
إذا قِيلَ وَلّى عَادَ يَحدُو عِشَارَهُ ؛ وَإنْ قيلَ أرْقَا دَمعَةَ القَطرِ أغدَقَا
وَأعلَمُ أنْ لا يَنفَعُ الغَيثُ هَالِكاً ، وَلا يَشعُرُ المَندُوبُ بالهَامِ إنْ زَقَا[1]
وَلَوْ كَانَ بالسُّقيا يَعُودُ أنَا لَهُ ، كمَا لَوْ سُقي عارِي القَضِيبِ لأوْرَقَا
وَلَكِنْ أداري خاطِراً مُتَلَهّفاً ، وَقَلْباً بِمَا خَلْفَ التّرَابِ مُعَلَّقَا

١ زقا : صاح .

جيران القلب

قال قدس الله روحه وقد توفي أبو الحسن محمد بن المفضل المهبي رحمه الله يتوجع لفقده وكانت بينهما مودة اقتضت ذلك في ذي القعـدة سنة ٣٩٩ :

لا يُبْعِدِ اللهُ فِتْيَاناً رُزِئْتُهُمُ ، رُزْءَ الغُصُونِ ، وَفيها المَاءُ وَالوَرَقُ
إنْ يَرْحَلُوا اليَوْمَ عَن داري فإنّهمُ جيرَانُ قَلبي أقَامُوا بَعدَما انطَلَقُوا
بَانُوا ، فَكُلُّ نَعيمٍ بَعدَهُمْ كَمَدٌ بَاقٍ ، وَكُلُّ مَساغٍ بَعدهمْ شَرَقُ
أرَاكَ تَجزَعُ للقَوْمِ الذينَ مَضَوْا . فَهَلْ أَمِنتَ عَلى القَوْمِ الذينَ بَقُوا
لا يَلبَثُ المَرْءُ يُبلي شَرْخَ جِدّتِهِ ، مِنَ الزّمَانِ جَديدٌ مَا لَهُ خَلَقُ
هَدَى الغَرَامُ دُمُوعي في مَسالِكِهِ عَلَيهِمِ ، وَأضَلّتْ صَبْرِيَ الطّرُقُ
وَكَيفَ يَنعَمُ بالتّغميضِ بَعدَهُمُ عَينٌ أعَانَ عَلَيها الدّمعُ وَالأرَقُ
إنّي لأعجَبُ بَعدَ اليَوْمِ مِنْ كَبِدٍ تَدمَى لهمْ كَيفَ تَندى وَهيَ تَحترِقُ

هل تذكر الزمن الانيق ؟

قال رحمه الله تعالى وقد اجتاز بقبر أبي إسحق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب فذكر ما كان بينهما من خالص المحبة والمودة فقال بديهاً وذلك في جمادى الأولى سنة ٣٩٣ :

لَوْلا يَذُمُّ الرَّكْبُ عِندَكَ مَوْقِفي، حَيّيْتُ قَبْرَكَ ، يَا أبَا إسحَقِ
كَيفَ اشتياقُكَ مُذْ نأيتَ إلى أخٍ قَلِقِ الضّميرِ إلَيْكَ بِالأشْوَاقِ
هَلْ تَذْكُرُ الزّمَنَ الأنيقَ،وَعَيشُنا يَحْلُو عَلى مُتَأمِّلٍ وَمُذاقِ
وَلَيَاليَ الصَّبَوَاتِ ، وَهيَ قَصَائِرٌ ، خَطْفَ الوَميضِ بعَارِضٍ مِبْرَاقِ
لا بُدّ للقُرَبَاءِ أنْ يَتَزَايَلُوا يَوْماً ، بعُذْرِ قِلًى وَعُذْرِ فِرَاقِ
أمضِي وَتَعطِفُني إلَيكَ نَوَازِعٌ ، بِتَنَفّسٍ كَتَنَفّسِ العُشّاقِ
وَأذودُ عَن عَيني الدّموعَ وَلَوْ خَلَتْ لَجرَتْ عَلَيْكَ بِوَابِلٍ غَيداقِ
وَلَوَ انّ في طَرْفي قَذاةً مِنْ ثَرًى ، وَأرَاكَ مَا قَذّيتُهَا مِنْ مَاقي[1]
إنْ تَمضِ فالمَجدُ المُرَجَّبُ خَالِدٌ، أوْ تَفْنَ ، فالكَلِمُ العِظامُ بَوَاقي[2]
مَشحُوذَةٌ تَدْمَى بِغَيرِ مَضَارِبٍ ، كالسّيفِ أُطْلِقَ في طُلَى الأعنَاقِ
يُقْبِلْنَ كَالجَيْشِ المُغيرِ يَؤمُّهُ كَمِشُ الإزَارِ مُقَلِّصٌ عَن سَاقِ[3]

١ قذيتها : أخرجت منها القذى .
٢ المرجب : المهيب ، المعظم .
٣ كمش الإزار : أي مشمره ، يضرب في الجد والتشمير .

قَرِطَاتُ آذانِ المُلُوكِ خَلِيقَـةٌ بِمَوَاضِعِ التِّيجَانِ وَالأطْوَاقِ
عَقَدُوا بِهَا المَجدَ الشَّرُودَ وَأثْلُوا دَرَجاً إلى شَرَفِ العُلَى وَمَرَاقِي
أوْتَرْتَهَا أيّامَ بَاعُكَ صُلَّبٌ ، وَكَدَدْتَهَا بالنَّزْعِ وَالإغْرَاقِ
حتّى إذا مَرِحَتْ قُوَاكَ شَدَدْتَهَا بَاسْمٍ عَلى عَقِبِ اللّيَالي بَاقِ
كَنَجَائِبٍ قَعَدَتْ بِهَا أرْمَاقُهَا مَحسُورَةً ، فَمَشَيْنَ بِالأعْرَاقِ[1]

هواي يمان وركبي معرق

قال قدس الله روحه وهي من لواحق الحجازيات :

أمِنْ ذِكْرِ دارٍ بالمُصَلّى إلى مِنًى ، تُعَادُ كمَا عِيدَ السّليمُ المُؤرَّقُ
حَنِيناً إلَيْهَا وَالتِوَاءً مِنَ الجَوَى ، كَأنّكَ في الحَيّ الوَلُودُ المُطَرِّقُ[2]
ألله ، إنّي إنْ مَرَرْتُ بِأرْضِهَـا فُؤادِيَ مَـأسُورٌ وَدَمْعِيَ مُطْلَقُ
أكُرّ إلَيْهَا الطّرْفَ ثمّ أرُدُّهُ ، بإنسانِ عَينٍ في صَرَى الدّمعِ يَغرَقُ[3]
هَوَايَ يَمَانٍ كَيفَ ، لا كَيفَ نَلتَقي ، وَرَكْبِيَ مُنْقَادُ القَرِينَةِ مُعرِقُ

١ أرماقها ، الواحد رمق : القليل من العيش يمسك الرمق ، بقية الحياة . الأعراق ، واحدها عراق العظم الذي أكل لحمه .

٢ المطرق ، من طرقت الحامل بولدها : نشب في بطنها ولم يسهل خروجه .

٣ الصرى : الماء إذا طال مكثه .

فَوَاهاً مِنَ الرَّبْعِ الذي غَيّرَ البِلَى ؛ وَآهاً عَلَى القَوْمِ الّذِينَ تَفَرّقُوا
أصُونُ تُرَابَ الأرْضِ كَانُوا حُلُولَها ، ... وَأحذَرُ مِنْ مَرّي عَلَيها وَأُشفِقُ
وَلَمْ يَبْقَ عِندِي لِلهَوَى غَيرَ أنّني إذا الرّكبُ مَرّوا بي على الدّارِ أشهَقُ

زفرات هم واشتياق

قال رضي الله عنه

يَا لَيْلَةً كَرُمَ الزّمَانُ بها لَوْ انّ اللّيْلَ بَاقِ[1]
كَانَ اتّفَاقٌ بَيْنَنَا ، جَارٍ عَلى غَيرِ اتّفَاقِ
وَاستَرْوَحَ المَهجُورُ مِنْ زَفَرَاتِ هَمٍّ وَاشتِيَاقِ
فَاقتَصّ لِلحِقَبِ المَوَا ضِي بَلْ تَزَوّدَ لِلبَوَاقي
حتّى ، إذا نَسَمَتْ رِيَا حُ الصّبحِ تؤذِنُ بالفِرَاقِ
بَرَدَ السّوَارُ لهَا ، فَأحْ مَيْتُ القَلائِدَ بالعِنَاقِ

١ كرم : جاد .

آه على نفحات نجد

قال رضي الله عنه وهو منجد وقد شم
في ليلة من الليالي رائحة الشيح فاستطابها :

وَلَقَدْ أَقُولُ لِصَاحِبٍ نَبَّهتُهُ فَوْقَ الرِّحَالَةِ ، وَالْمَطِيُّ رَوَاقِي
أَوَمَا شَمَمتَ بذي الأبارِقِ نَفحةً خلَصَتْ إلى كَبِدِ الفَتى المُشتَاقِ
فَجَنَى نَسيمَ الشّيحِ مِنْ نجدٍ له حُرَقُ الحَشَى وَتَحَلُّبُ الآمَاقِ
آهاً عَلى نَفَحَاتِ نَجْدٍ ! إنّهَا رُسُلُ الهَوَى وَأَدِلّةُ الأشْوَاقِ
أسُقيتَ بالكَأسِ التي سُقّيتُهَا ، أمْ هَلْ خَطَتكَ إليّ كَفُّ السّاقي
فأوَى وَقالَ : أرَى بقَلبكَ لَسعَةً للحُبّ لَيسَ لدائِهَا مِنْ رَاقِ
فَصِفِ الغَرَامَ لمُفرِقٍ مِن دائِهِ . إنّي لأقْدَمُ مِنكَ في العُشّاقِ[1]
أبثَثْتُهُ كَمَدي وَطُولَ تَجَلّدي ، وَأليمَ مَا بي مِنْ نَوًى وَفِرَاقِ
أشكُو إليهِ بَيَاضَ سُودِ مَفارِقي ، وَيَظَلُّ يَعجَبُ من سَوَادِ البَاقي

١ المفرق : الذي فارقه داؤه .

اعير الدموع

قال في الحنين والاشتياق وهي من الحجازيات :

أيّهَا الرّائِـحُ المُغِذُّ تَحَمَّلْ حَاجَةً للمُعَذَّبِ المُشْتَاقِ
أقرِ عَنّي السّلامَ أهلَ المُصَلّى ؛ وَبَلاغُ السّلامِ بَعدَ التّلاقي
وَإذا مَا مَرَرْتَ بالخَيفِ فَاشهَدْ أنّ قَلْبي إلَيهِ بالأشْوَاقِ
وَإذا مَا سُئِلْتَ عَنّي فقُلْ : نِضْوُ هَوًى مَا أظُنُّهُ اليَوْمَ بَاقِ
ضَاعَ قَلبي فانشُدْهُ لي بَينَ جَمعٍ وَمِنًى عندَ بَعضِ تِلكَ الحِداقِ
وَابكِ عَنّي فَطالمَا كُنتُ مِنْ قَبْلِ أُعيرُ الدّمُوعَ للعُشّاقِ

ما اعضل داء العشاق

قال قدس الله روحه :

يا حَسَنَ الخَلقِ قَبيحَ الأخلاقْ ! إنّي عَلى ذاكَ إلَيكَ مُشتَاقْ
رُبّ مُصَافٍ عَلِقٍ بِمَذّاقْ ؛ إنّ مَوَدّاتِ القُلُوبِ أرْزَاقْ
يا هَلْ لدائي مِنْ هَوَاكَ إفرَاقْ ؛ هَيهَاتَ مَا أعضَلَ داءَ العُشّاقْ

طال الحب وآورق

قال وكتب بها إلى بعض أصدقائه :

إذا قلتُ إنَّ القُرْبَ يَشفي مِنَ الجوَى، أبَى القَلْبُ أنْ يَزْدادَ إلاَّ تَشَوُّقَا
وَإنْ أنَا أضْمَرْتُ السّلُوَّ تَرَاجَعَتْ مِنَ الشّوْقِ أخلاقٌ يُزِلْنَ التّخَلّقَا
وَكَم ليَ مِن لَيلٍ يُجَدّدُ لي الهوَى إذا أشْأمَ البَرْقُ اليَمَاني وَأعرَقَا
أُصَانِعُ لحظي أنْ يَطُولَ ذُبَابُهُ إلَيكَ ، وَأنْهَى الدّمعَ أنْ يَتَرَقْرَقَا
مَخَافَةَ وَاشٍ يَثْلِمُ الحُبَّ قَوْلُهُ، وَهَيهاتَ طَالَ الحُبُّ منّا وَأوْرَقَا
غَدَوْنَا عَلى الأعداءِ نَحمي مَوَدّةً، وَنَمْنَعُ عَنْ أطْرَافِهَا أنْ تُمَزَّقَا
فَمَا أنتَ إلاّ السّهمُ صَافَحَ ثَغرَهُ ، وَمَا أنا إلاّ العَضْبُ صَادَمَ مَفرِقَا
إذا كُنتَ لي خِلاًّ فحَسبي من الوَرَى بَقَاؤكَ، لَوْلا أنتَ ما طَالَ لي بَقَا
جُمِعنَا فَلا نَحفِلْ بِما صَنَعَ الهوَى، وَخِفْنَا عَلى الأيّامِ أنْ نَتَفَرّقَا

صديق وصادق

قال في بعض رسائله إلى أحد أصدقائه :

كَفَى حَزَناً أنّي صَديقٌ وَصَادِقٌ، وَما لِيَ مِنْ بَينِ الأنامِ صَديقُ
فكَيفَ أُرِيغُ الأبْعَدِينَ لخلّةٍ ، وَهذا قَرِيبٌ غَادِرٌ ، وَشَقيقُ

منطق طاهر ونظر فاسق

قال أيضاً في معنى مثله

لَوْ كَانَ مَا تَطلُبُهُ غَايَةً ، كُنْتَ المُصَلّي ، وَأنا السّابِقُ[1]
تَظُنُّني أرْغَبُ عَنْ مَوْقِفٍ، يَحضُرُ فيهِ الشّوْقُ وَالشّائِقُ
فكّرْتُ حتّى لمْ أجِدْ فِكرَةً تَقْدَحُ إلاّ وَلَهَا عَائِقُ
لَوْ كُنتَ في أثناءِ سِرّي إذاً علِمْتَ أنّي قَائِلٌ صَادِقُ
قَلْبي جَنِيبٌ لكَ لا يَرْعَوِي، وَوُدُّكَ القَائِدُ وَالسّائِقُ
وَلحظُ عَيْنَيكَ رَمَى مُقْلَتي ، كَأنّ نَوْمي تَحتَهَا عَاشِقُ
فاصْبِرْ ، فإنّ الصّبْرَ أحرَى إذا ضَاقَ عَلَيكَ المَسلَكُ الضّايِقُ
فالمَنطِقُ الطّاهِرُ مَا بَينَنَا مُتَرْجِمٌ وَالنّظَرُ الفَاسِقُ

١ المصلي : الفرس الذي يتلو السابق .

النيلوفر المفتح[1]

قال يصف النيلوفر

وَلَيْلٍ تَمَزَّقَ عَنْهُ النَّسيمُ وَاستَلَبَ الجَوَّ غَرْباً وَشَرْقَا
وَنِيلُوفَرٍ فَتَّحَتْهُ الرِّيَاحُ ، وَعَانَقَهُ المَاءُ صَفْواً وَرَنْقَا
تَخَيَّلُ أطرَافَهُ فِي الغَدِيرِ أَلْسِنَةَ النَّارِ حُمْراً وَزُرْقَا

نفضوا عيوبهم علي

قال وكتب بها إلى بعض أصدقائه وقد بلغه أن كلاماً جرى في داره مما ينكره رحمه الله :

مَا رَقَّعَ الوَاشُونَ فِيَّ وَلَفَّقُوا ، قُلْ لِي. فإمَّا حَاسِدٌ أوْ مُشْفِقُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ ظَهرُ دارِي مَغرِبٌ لكَلامهم، وَجَبِينُ دارِكَ مَشرِقُ
وَإلى مَتَى عُودِي عَلَى أيديهِمُ مُلْقًى يُنَيَّبُ دائِباً وَيُحَرَّقُ
كَمْ يُسبكُ الذَّهبُ المُصَفَّى مَرَّةً . قَدْ لاحَ جَوْهَرُهُ وَبَانَ الرَّوْنَقُ

[1] النيلوفر : ضرب من النبات ينبت في المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق أملس يطول عمق الماء ، فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر .

يَحلُو لهُمْ عِرْضِي ،فيَستَرِطُونه ، وَيَصِلُّ عِرْضُهُمُ الذليلُ فيُبصَقُ[1]
نَفَضُوا عيُوبَهُمُ عَليّ ، وَإنّمَا وَجَدُوا مَصَحّاً في الأديمِ فمزّقوا
مَنْ لي بمَن إنْ بانَ عَيبُ خَليله غَطّاهُ عَن شانيه ،أوْ مَن يصدُقُ
وَإذا الحَليمُ رَمَى بسرّ صَديقهِ عَمْداً ، فأوْلى بالوَدادِ الأحمَقُ
مَن كانَ يَغتابُ الرّجالَ وَهمّ أنْ يَبلُو الأصادقَ فالصّديقُ المُطرِقُ
وَإذا تَألّقَتِ الثّغُورُ لِسَبّةٍ ، لمْ يَدْرِ ثَغراً أوْ سَناً يتَألّقُ
لاتَملِكُ الفَحشاءُ جانبَ سَمعه ، وَيَزِلُّ قَوْلُ الهُجرِ عَنهُ وَيَزْلَقُ
جَارَ الزّمَانُ فَلا جَوَادٌ يُرْتجَى للنّائِبَاتِ ، وَلا صَديقٌ يَشفَقُ
وَطَغَى عليّ فكُلُّ رَحبٍ ضَيّقٌ ، إنْ قُلتُ فيهِ ، وَكلُّ حَبلٍ يخنُقُ
أمُرَشّحي للعَزْمِ غَيرَ مُرَشَّحٍ ، وَاليَوْمُ مِن لَيلِ العَجاجَةِ أبلَقُ
دَعني ،فإنّ الدّهرَ يقصِفُ همّتي ، وَيَجُذُّ مِنْ أمَلي الذي أتعَلّقُ
المَوْتُ يَرْكُضُ في نَوَاحي دَهرِنا ، وَكأنّ صَرْفَ النّائباتِ مُطَرّقُ[2]

١ استرطه : ابتلعه . يصل : ينتن .
٢ المطرق ، من طرقه : جعل له طريقاً .

برقت بالوعد

ومما قال في الاقتضاء :

بَرَقْتَ بالوَعْدِ في دُجَى أملي ، وَالغَيْثُ لا يُقْتَضَى إذا بَرَقَا[1]
حاشاكَ أنْ أقتَضِيكَ مَنقَبَةً ، تَسلُكُ مِنها إلى العُلى طُرُقَا
فانهَضْ لهَا إنّهَا الغُلامُ تَجِدْ حَبْلاً ضَنيناً بكَفّ مَنْ عَلِقَا
وَكَمْ صَرِيخٍ نَهَضْتَ تَنصُرُهُ ، وَالطّعْنُ يَستَرْعِفُ القَنَا عَلَقَا[2]
دَعِ العِدا عَنْ جَوَانِبي بِيَدٍ يَرُوعُ فِيهَا النُّضَارَ وَالوَرَقَا

عوذ ورقى

قال قدس الله روحه

أهُزُّ عَاسِيَةَ العِيدانِ آبِيَةً ، عَلَى الحَوَابِطِ لا لِيناً وَلا وَرَقَا
وَمَا مَدَحتُهُمُ أنّي رَجَوْتُهُمُ ، لَكِنّهُ عُوَذٌ مِنْ شَرّهِمْ وَرُقَى[3]

١ اقتضى الحال كذا : استوجبه . واقتضاه الدين وغيره : طلبه ، وأخذه منه .
٢ يسترعف : يستقطر . العلق : الدم .
٣ العوذة والرقية واحد : ما يكتب ويعلق على الإنسان ليقيه من الجنون والعين .

قالوا: نَعُدُّكَ للجُلّى، فقُلتُ لهُمْ: حَسبي مِنَ الرّيّ ما لا يَبلُغُ الشَّرَقَا
نَامُوا خَلِيّينَ عَمّا بي، فَلِمْ تركوا وَهْناً عَليّ مَطَالَ الهَمّ وَالأرَقَا
كَفَى بقَوْمٍ هجاءً أنّ مَادِحَهُمْ يُهدِي الثّنَاءَ إلى أعرَاضِهِمْ فَرَقَا[1]
مَنْ لمْ يُبَالِ بأعقابِ الحَديثِ غَداً، فَمَا يُبَالي أمَانَ القَوْلُ أمْ صَدَقَا[2]

قمر غاض ضوءه

قال رضي الله عنه في معنى مثل القول فيه :

قَمَرٌ غَاضَ ضَوْءُهُ في المَحَاقِ، يَوْمَ جَدّ انْطِلاقُهُ وَانطِلاقي
جَامِدُ اللّحظِ حَيرَةَ البَينِ إلاّ أنّ مِنْهُ ذَوْبَ الدّمِ المُهَرَاقِ
صَارَ دُرُّ الدّمُوعِ يَخلُفُ ثَغرِي في حَوَاشِي تِلكَ الخُدودِ الرّقاقِ
عَزّ صَبرِي يَوْمَ اللّقَاءِ، وَلكِنْ فَضَحَتْهُ الأشجانُ يَوْمَ الفِرَاقِ
يا عَرِيقَ الهَوَى ستَقضِي إذا مَا طَلَعَ البَيْنُ مِنْ ثَنَايَا العِرَاقِ
يَوْمَ لا غَيرَ زَفْرَةٍ مِنْ فُؤادٍ ذِي قُرُوحٍ وَرَشّةٍ مِنْ مَآقِ
نَسرِقُ الدّمعَ في الجُيوبِ حَياءً، وَبِنَا مَا بِنَا مِنَ الإشفَاقِ

---

1 الفرق : الخوف .

2 مان : كذب .

كَادَ طَلٌّ الدَّمُوعِ يَلتَذُّ لَوْلا ... هَزَّ سَيرِ الرَّسِيمِ وَالإعنَاقِ[1]
وَالثّرَى مُنتَشٍ يُعَاقِرُهُ السَّيْـ ... رُ دَمًا جَارِيًا بأيدِي النِّيَاقِ
لا أذُمُّ الإسْرَاءَ في طَلَبِ العِـ ... زِّ وَلَكِن في فُرْقَةِ العُشّاقِ
بَيْنَنَا ، يَا بَني المُغيرَةِ ، يَوْمٌ ... غائِرُ الشّمسِ مُدْنَفُ الإشرَاقِ
شَهقَةُ الضَّرْبِ في الطُّلى وَالهوَادي ؛ ... رَنّةُ الطّعنِ في الكُلى وَالصِّفَاقِ[2]
وَاتّشَاحُ النّسُورِ بَعدَ ادّرَاعِ الـ ... نّقْعِ مِنْ حُلّةِ النّجيعِ المُرَاقِ
وَعَجَاجٌ مُجَرَّرُ الذّيلِ تَخْطُو ... هُ حَيَارَى نَوَاظِرُ الأحْدَاقِ
حَمَّرَتْ نَجْدَةٌ ، وَلَيسَ بذِمرٍ ... في الوَغَى كُلَّ أرْمَدِ الحِملاقِ[3]
وَبَنُو عَمّنَا بَنُو جَمْرَةِ الحَرْ ... بِ وَمَاءُ المَكَارِمِ الرَّقْرَاقِ
وَنُجُومٌ تَنُوبُ عَنهَا العَوَالي ، ... مِنْ سَمَاءِ العَجَاجِ في الآفَاقِ
وَسَوَامي اللّحَاظِ في الرّوْعِ تَلقَا ... هُمْ عُنَاةً في السّلْمِ للإطْرَاقِ
حَرَمٌ حَشْوُهُ القَنَا وَفِنَاءٌ ... ذُو طِرَازٍ مِنَ الجِيَادِ العِتَاقِ
أمُعِيني عَلَى بُلُوغِ الأمَاني ، ... وَشِفَائي مِنْ عِلّتي وَاشتيَاقي
وَخَليلي لمّا جَفَاني خَليلٌ ، ... صَدَّ حَتّى أغْصَصْتُهُ بِفِرَاقي
مَاءُ وِدّي مُصَفَّقٌ لمْ أمَازِجْـ ... هُ بِرَنْقٍ مِنَ الرِّيَا وَالنِّفَاقِ
حِينَ وَافَقتَ نِيّتي في التّصَافي ، ... ذُقتَ منّي الوَفَاءَ عَذْبَ المَذاقِ

١ الرسيم والإعناق : ضربان من السير .
٢ الهوادي : الأعناق . الصفاق : الجلد الأسفل الذي يمسك البطن
٣ الذمر : الرجل الشجاع .

لا أطيعُ العَذُولَ فيكَ ، وَلَوْ أ نّي سَليمُ الفُؤادِ ، وَالعَذْلُ رَاقِ
أينَعَتْ بَيْنَنَا المَوَدّةُ حَتّى جَلّلَتْنَا وَالدّهْرَ بالأوْرَاقِ
كم مَقامٍ خُضْنا حَشاهُ إلى اللّهْ وِ جَميعاً وَاللّيلُ مُلقي الرّوَاقِ
وَمَزَجْنَا خَمرَ الرِّضَابَينِ في الرّشْ فِ برُغمِ المُدامِ تحتَ العِنَاقِ
وَذَعَرْنَا الظّلامَ ، حتّى لَقينَا خَارِجاً مِنْ ثِيَابِهِ الأخلاقِ
قُمْ نُبَادِرْ مَرْمَى الزّمانِ ببَينٍ ، فَسِهَامُ الخُطُوبِ في الأفوَاقِ
وَاغتَنِمها قَبلَ الفِرَاقِ فَما تَعْ لَمُ يَوْماً مَتَى يكُونُ التّلاقي
ما افتَرَقْنَا مِنَ الضّميرِ فيَنضُو الـ ذكرُ مَا بَينَنَا ظُبَى الاشتِيَاقِ
نَحنُ غُصْنانِ ضَمّنا عاطِفُ الوَجْ دِ جَميعاً في الحُبّ ضَمَّ النّطاقِ
لَوْ رَآنَا العَدُوُّ أضْمَرَنا مَا بَيْنَ أحْشَائِهِ وَبَينَ التّرَاقي
كُلّمَا كَرّتِ اللّيَالي عَلَيْنَا ، شَقّ فيهَا الوَفَاءُ جَيْبَ الشّقَاقِ
في جَبينِ الزّمَانِ مِنكَ وَمِنّي غُرّةٌ كَوْكَبِيّةُ الائتِلاقِ
لا تَزَالُ الأيّامُ تَصْدُرُ مِنّا عَنْ إخَاءٍ ، لمْ نُقْذِهِ بفِرَاقِ

تعجلت الفراق

قال رضي الله عنه

أأخَيّ مَا اتّسَعَ الزّمَـا نُ علَى جمَاعَتِنَا وَضَاقَا
إلاّ لِيُعْقِبَنَا اجْتِمَا عاً بالنّوَائِبِ وَافتِرَاقَا
سَابِقْ ، فلَيسَ تُنالُ أغْ رَاضُ المُنَى إلاّ سِبَاقَا
مِنْ قَبلِ أنْ تَرِدَ الخُطُو بُ علَى مَوَدّتِنَا طِرَاقَا
فَأزِيدَ بُعْداً مِنْ لِقَا ئكَ كُلّما ازْدَدتُ اشتياقَا
وَأرَاكَ تَمنَحُني الصّدُو دَ وَبَعدُ لمْ أنْوِ انطِلاقَا
إنْ كَانَ ذا خَوْفَ الفِرَا قِ ، فقَد تَعجّلتَ الفِرَاقَا

نسيان الفراق

قال أيضاً وكتب بها إلى بعض الرؤساء يتشوقه

لِقَاؤكَ جَرّ عَليّ الفِرَاقَا ، وَمَا زَادَني القُرْبُ إلاّ اشتِيَاقَا
جَلَوْتَ عَليّ هَدِيَّ الوِدادِ ، فأسلَفتُها بالقَبُولِ الصّداقَا[1]

[1] الهدي : العروس تهدى إلى زوجها .

وَأسرَفْتُ بالبِشْرِ حتّى ظَنَنْـ ـتُ أنّكَ أضْجَعتَ فيه النّفَاقَا
وَحَاشَاكَ مِنْ تُهمَةٍ في المَغيبِ، فكَيفَ حُضُورٌ يَضُمّ الرّفَاقَا
وَكَانَ الزّعِيمُ بِهَذا الإخَا ءِ يَوْماً حَسَوْنَاهُ كأساً دِهَاقَا
نَحَرْنَا الدّنَانَ عَلى صَدْرِهِ ، فَلِلّهِ أيّ دِمَاءٍ أرَاقَا
شَرِقْنَا بِلَذّاتِهِ ، وَالسّرُو رُ يُلوّي إزَاراً وَيُرْخي نِطَاقَا
وَجِيبَ عَلى الصّبحِ ثَوْبُ الظّلا مِ ، وَالبَدرُ يَخلَعُ عَنهُ المَحاقَا[1]
وَكُنتُ أُخَيّلُهُ في السّمَا ءِ رَمحةَ طَرْفٍ أصَابَ البُرَاقَا
يُشَقِّقُ وَاللّيْلُ رَطْبُ الذّيُو لِ غَلائلَ تَندى نَسيماً رُقَاقَا
سَقَى اللهُ دَهْراً حَبَانَا الوِدا دَ مُبتَدِهاً ، فشَكَرْنَا العِرَاقَا
وَمَا زِلْتُ أعجَبُ مِنْ حِفْظِهِ لَنَا القُرْبَ حَتّى نَسينَا الفِرَاقَا
أتَقْتصُّ مِنْ جَسَدي بالبعادِ ، وَمَا زُوّدَ البَاعُ مِنكَ العِنَاقَا

ابا حسن

وكتب إليه أبو إسحق الصابي وهو إبراهيم بن هلال الكاتب :

أبَا حَسَنٍ لي في الرّجَالِ فِرَاسَةٌ ، تَعَوّدْتُ مِنهَا أنْ تَقُولَ فتَصْدُقَا
وَقَدْ خَبّرَتْني عَنْكَ أنّكَ ماجِدٌ، سَتَرْقَى مِنَ العَلْيَاءِ أبعَدَ مُرْتَقَى

---

١ جيب : قطع .

فَوَفَيْتُكَ التَعظِيمَ قَبلَ أوَانِهِ ، وَقُلتُ : أطالَ اللهُ للسيِّدِ البَقَا
وَأضمَرْتُ مِنهُ لَفظَةً لم أبُحْ بِهَا إلى أنْ أرَى إطْلاقَهَا لِيَ مُطلَقَا
فإنْ عِشتُ أوْ إنْ مُتُّ فاذكُرْ بشارَتي ، وَأوْجِبْ بِهَا حَقّاً عَلَيكَ مُحَقَّقَا
وَكنْ لِيَ في الأوْلادِ وَالأهلِ حافِظاً إذا ما اطمأنّ الجَنبُ في موْضعِ البَقَا

وركب اغذوا بالركاب

فقال مجيباً له عن هذه الأبيات

سَنَنْتُ لهَذا الرّمحِ غَرْباً مُذَلَّقَا ، وَأجرَيتُ في ذا الهِندُوَانيّ رَوْنَقَا
وَسَوّمتُ ذا الطِّرْفَ الجَوَادَ ، وَإنّمَا شَرَعْتُ لَهُ نَهجاً فَخَبّ وَأعنَقَا
لَئِنْ بَرَقَتْ منّي مَخَايِلُ عَارِضٍ لعَينَيكَ يَقضِي أنْ يَجُودَ وَيُغدِقَا
فَلَيسَ بسَاقٍ قَبلَ رَبعِكَ مَرْبَعاً ، وَلَيسَ بِرَاقٍ قَبلَ جَوّكَ مُرْتَقَى
وَإنْ صَدَقَتْ مِنهُ اللّيَالي مَخيلَةً ، تكُنْ بجَدِيدِ المَاءِ أوّلَ مَنْ سَقَى
وَيَغدُو لمَنْ يُرْوِي جَنَابَكَ مُرْوِياً زُلالاً ، وَللأعداءِ دُونَكَ مُصْعِقَا
وَإنْ تَرَ لَيثاً لائِذاً لِفَرِيسَةٍ ، يُرَاصِدُ غُرّاتِ المَقَادِيرِ مُطْرِقَا
فَمَا ذاكَ إلاّ أنْ يُوَفِّرَ طَعمَهَا عَلَيكَ ، إذا جَلّى إليها وَحَقّقَا
وَإنْ يَرْقَ يَوْماً في المَعَالي ، فإنّهُ سَمَا لِيُوَقّي وَطْءَ رِجْلِكَ مَزْلَقَا
وَإنْ يَسعَ في الأمرِ العَظيمِ ، فإنّما سَعَى لكَ في ذاكَ الطّرِيقِ مُطَرِّقَا

وَإنْ يَصِبِ السّهمُ الذي رَاشَ نَصْلَه ، فَمَا كانَ إلاّ في هَوَاكَ مُفَوَّقَا
وَإنْ يَنهَضِ الغَرْسُ الذيهوَ غارِسٌ ، يكن لك مَجنًى في الخُطوبِ وَمَعلَقَا
لتَجنيهِ دُونَ النّاسِ ما كان مُثمِراً ، وَتَلْبَسَ طَلاًّ منهُ مَا كانَ مُورِقَا
فنَمْ وَادِعاً وَاستَسقِني فَستَنتَضِي حُسَاماً إذا مَا مَرّ بالعَظْمِ طَبّقَا
وَجُرّ ذُيُولَ العِزّ إنّي أجُرّهُ لُهاماً ، إذا ما أظلَمَ اللّيلُ أبْرَقَا[1]
وَجَيشاً جَنَاحاهُ يُزَمّانِ بالرّدَى ، خَفُوقانِ ما نَالا مِنَ الأرْضِ مخفقَا
بهِ كُلُّ طَعّانٍ يلُوثُ بِرَأسِهِ عَنِيقَ المَذاكي مَا يُثِيرُ مِنَ النّقَا[2]
لدُن غُدوَةً حتّى ترَى الشمسَ وَرْسَةً ، كأنّ عَلى الغيطَانِ ثَوْباً مُزَبْرَقَا[3]
وَرَكبٍ أغَذّوا بالرّكَابِ ، فنَشّفُوا ثَمَائِلَها بالجَوْبِ غَرْباً وَمَشْرِقَا
وَكُلٍّ مُعَرّاةِ الضّلُوعِ ، كأنّما أقَامُوا عَلَيهَا جَازِراً مُتَعَرِّقَا
فإنْ رَاشَني دَهرِي أكُنْ لك بَازِياً يَسُرّكَ مَحصُوراً وَيُرْضيكَ مُطلَقَا
أُشَاطِرُكَ العِزّ الذي أستَفِيدُهُ بصَفقَةِ رَاضٍ إنْ غَنِيتُ وَأمْلَقَا
فتَذْهَبُ بالشّطرِ الذي كُلّهُ غِنًى ، وَأذْهَبُ بالشّطْرِ الذي كُلّهُ شَقَا
وَتَأخُذُ مِنْهُ مَا أنَامَ وَمَا حَلا ، وَآخُذُ مِنْهُ مَا أمَرّ وَأرّقَا
فَغَيرِيَ إمّا طَارَ غادرَ صَحبَهُ ، دُوَينَ المَعَالي ، وَاقِعِينَ وَحَلّقَا
فإنْ تُسْلِفِ التّبجيلَ قَبلَ أوَانِهِ ، أعِضْكَ بِهِ وَجْهاً من الوُدّ مُونِقَا

١ اللهام : الجيش العظيم الذي يلتهم كل شيء .
٢ العنيق : السائر عنقاً وهو ضرب من السير . المذاكي : الخيول .
٣ المزبرق : المصبوغ إما بحمرة أو بصفرة .

وَإنْ تُعطِني الإعْظَامَ قَوْلاً فإنّني	سأعطيكَ فِعلاً منهُ أذكَى وَأعبَقَا
لَعَلّ اللّيَالي أنْ يُبَلّغْنَ مُنْيَةً ،	وَيَقرَعنَ لي بَاباً مِنَ الحَظّ مُغلَقَا
نَظَارِ وَلا تَستَبْطِ عَزْمي فلَن ترَى	علُوقاً ، إذا مَا لمْ تَجِدْ مُتَعَلَّقَا[1]
وَلَيسَ يُنَالُ الأمْرُ إلاّ بِحَازِمٍ	مِنَ القَوْمِ أحمَى مِيسَماً ثمّ ألصَقَا
فإنْ قَعَدَتْ بي السّنُّ يَوْماً ، فإنّهُ	سيَنهَضُ بي مَجدي إلَيها مُحَقَّقَا
فَوَاللهِ لا كَذّبْتُ ظَنّكَ ، إنّهُ	لَعَارٌ ، إذا مَا عَادَ ظَنُّكَ مُخفِقَا
فإنّ الذي ظَنّ الظّنُونَ صَوَادِقاً ،	نَظِيرُ الذي قَوّى الظّنُونَ وَحَقّقَا

١ نظار : اسم فعل بمعنى انتظر .

الحنة للمشتاق

قال قدس الله سره في صفة
الناقة السريعة وقد سئل ذلك :

جَاءَ بِهَا قالِصَةً عَن سَاقِ ، رَوْعَاءَ مِنْ إرْثِ أبِي الغَيداقِ
تَحِنُّ ، وَالحَنَّةُ للمُشتَاقِ ، مَا أوْلَعَ الحَنِينَ بالنِّيَاقِ
تَمْشِي عَلَى نَعْلِ دَمٍ مُرَاقِ ، لَيستْ بذي هُلبٍ وَلا طِرَاقِ[1]
تَذكّرِي رَمْلَ النَّقَا وَاشتَاقِي ، وَبَرْدَ مَاءِ ألْعَسٍ وَسَاقِي[2]
يَترِعُ مِنْ أثعُوبِ جَمٍّ بَاقِي ، حَمّضَهَا في قُلّصٍ عِتَاقِ[3]
مَنَاشِطُ العُشْبِ عَلى المَلاّقِ أشعَث بادي جِنجِنِ التّرَاقي[4]
كَأنّهُ في السَّمِلِ الأخْلاقِ من تيههِ ذو التّاجِ وَالأطوَاقِ[5]
نَحَارَةٌ للإبِلِ المَنَاقي ، فُوَاقُهَا أدْنَى مِنَ الفُوَاقِ[6]
أسفَعُ إلاّ مَوْضِعَ النّطَاقِ ، يُنزِلُ حَدَّ الصّارِمِ الذّلاّقِ

١ الهلب : ما غلظ من الشعر . الطراق : وسم على الأذن .
٢ العس : موضع .
٣ الأثعوب : المنفجر . حمضها : أطعمها الحمض . القلص : النياق .
٤ مناشط : مخارج . الملاق : السائر سيراً شديداً . الجنجن : عظام الصدر .
٥ السمل : الثوب الخلق .
٦ المناقي : المختارة . الفواق الأولى : ما يأخذ المحتضر عند النزع . الثانية : ما بين الحلبتين .

مُنَازِلُ العقَالِ وَالرِّبَاقِ ، مُوَطَّنُ المَنْزِلِ للرِّفَاقِ
مَرَّتْ عَلَى الأقْوَارِ وَالبُرَاقِ ، مَرَّ جَرُورِ العَارِضِ الشَّهَّاقِ
طَائِرَةً بِالقُرُبِ الخَفَّاقِ ، مُنْفَلِتِ الدَّلْوِ مِنَ العَرَاقِي[1]
تَحْشُو على نَجْدٍ ثَرَى العِرَاقِ ، كَأَنَّها بَعضُ الحَبَابِ البَاقِي
وَاللَّيْلُ أعمَى شارِقَ الرِّوَاقِ ، نَذِيرَ قَوْمٍ جَدَّ في اللَّحَاقِ
يُنْذِرُ جَيشاً عَجِلَ الإرْهَاقِ ، أقبَلَ لا يَحفِلُ ما يُلاقِي

حذار من مذروبة ذلاق

قال رضي الله عنه في بعض الأغراض
ويصف الحية وهي مما قاله سنة ٣٨٩ :

، يا أبَا الغَيداقِ ، أصَمَّ لا يَسمَعُ صَوْتَ الرّاقِي
صِلٍّ صَفاً ، مُلَعَّنَ البُصَاقِ ، رِيقَتُهُ تَهزَأُ بالدِّرْيَاقِ
كَأنّهُ أمَّ مِنَ الإطْرَاقِ ، تَلقَى الرِّجَالُ عِندَهُ المَلاقِي[2]
يَنظُرُ مِنْ عَينٍ بِلا حِملاقِ ، إنْ نَامَ لا يَكْلَؤهَا بِمَاقِ

١ القرب : الخاصرة . العراقي : الأخشاب التي تعرض على الدلو .
٢ أم : شج في أم رأسه . وأراد بالملاقي : الشدائد ، أو الدواهي .

آثارُهُ في القُورِ وَالبُرَاقِ ، تَستَوْقِفُ الرّكبَ عَنِ الإعناقِ[1]
يَشُمُّ مِنكَ مَوْضِعَ النِّطَاقِ ، بوَخزَةٍ مِنْ ذَرِبٍ حَذّاقِ[2]
يَكتُمُهُ في هَرِتِ الأشْداقِ ، لَيُّكَ مِنْ حَديدَةِ الحَلاّقِ
تَرَى عَلَى اللَّبّاتِ وَالتّرَاقي إهَالَةً مِنْ سُمّهِ المُرَاقِ
مثلَ القَذَى لَجلَجَ في المَآقي ، يَنحُبُ بالمَاضِي جَنَانَ البَاقي
رِزْقُكَ أدّتْهُ يَدُ الخَلاّقِ ، لَكِنّهُ مُرٌّ مِنَ الأرْزَاقِ
قَدْ حَانَ إلاّ أنْ يَقيهِ الوَاقي ، مَنِ ابتَغَى جَهْلاً بِمَا يُلاقي
تَجرِبَةُ السّيْفِ عَلى الأعنَاقِ ، ألَمْ يَعُقْكَ اليَوْمَ عَنّي عَاقِ
حَتّى لَقيتَ أذُنَيْ عَنَاقِ ، سَوْفَ أُغَنّي بِكَ في الرِّفَاقِ[3]
حَدْواً كحَدْوِ البُدْنِ بالقَيَاقي ، مُحَمَّلاً غَوَارِبَ النِّيَاقِ[4]
مِنْ لاذِعَاتِ الكَلِمِ البَوَاقي ، نَهْزاً سَيُجليهَا إلى العِرَاقِ
إنّي ارْتَقَيتُ بعدَ ضُعفِ السّاقِ رَوَابِياً مُزْلِقَةَ المَرَاقي
أهْدَفْتُ للإرْعَادِ وَالإبرَاقِ ، نُصْبَ مَسيلِ العَارِضِ البَعّاقِ
تَرْقَعُ عِرْضاً منكَ ذا انخِرَاقِ ، كمَا رَفَدْتَ النّعلَ بالطِّرَاقِ
حَذارِ مِنْ مَذْرُوبَةٍ ذِلاقِ ، تَرْفَعُ عَنكَ جانِبَ الرِّوَاقِ[5]

١ القور ، الواحدة قارة : الجبل الصغير . والأرض ذات الحجارة السود . البراق ، الواحدة برقة : الأرض الغليظة . الإعناق : سير واسع .
٢ الذرب : الحاد . الحذاق : القاطع .
٣ العناق : الداهية .
٤ القياقي : الأراضي الغليظة .
٥ المذروبة : الحادة المسنونة . الذلاق من الأسنة ، والألسنة : ذو الحدة .

هَوَاجِماً مَقْطُوعَةَ الرِّبَاقِ ، حَتَّى عَلَى الآذانِ وَالأَحداقِ
تَنتَزِعُ الأُصُولَ بالأعرَاقِ ، يَلْجَا بِهَا الحُرُّ إلى الإبَاقِ
أعقُدُهَا مَوَاضِعَ الأطوَاقِ ، لهَا عَلَى الأعنَاقِ وَسم بَاقِ
مِثلَ وُسُومِ الإبِلِ المَنَاقِي ، نَزِيعَةٌ مِنْ جَلَبِ العِرَاقِ
تُفْنى لغَيرِ الشَمَّ وَالعِنَاقِ ، تُميطُهَا ، وَهيَ إلى التِصَاقِ
لا تُقلِعُ القُوبَاءُ بالأرْيَاقِ ، عَجِبْتُ لأعرَاضِكُمُ الأخْلاقِ[1]
أفلُقُ في جَمَاجِمٍ أفلاقِ ، وَأُجهِزُ اليَوْمَ عَلَى أرْمَاقِ
لا تَأمَنِ النّارَ عَلَى الإحرَاقِ ، هَذا وَنَبْلي لكَ في الإيفَاقِ
فكَيفَ بَعدَ النزْعِ وَالإغرَاقِ

خيال ...

وقال قدس الله سره :

ما لخَيالِ الحَبيبِ قَدْ طَرَقَا ، وَمَا لهَذا المُحبَّ قَدْ قَلِقَا
سَالَتْ بإنسانِ عَينِهِ لُجَجٌ ، لَوْ لمْ يَكُنْ سَابحاً لقَدْ غَرِقَا

١ القوباء : ما تسميه العامة « الحزازة » .

ضاعت ديونك

ضَاعَتْ ديونُكَ عندَ الغيدِ أعناقَا، وَمَا قَضَينكَ لمّا جئتَ مُشتَاقَا
تَحَمّلُوا ، وَعيُونُ الحَيّ نَاظِرَةٌ، وَعاقَ طَرْفَكَ يَوْمَ الجزْعِ ما عاقَا

شوق وأرق

خلّوا عليكَ مَطالَ السّفرِوانطلَقوا، وَأسافُوكَ سلُوّاً قبلَ أنْ عَشِقُوا
لَوْ يُنصِفُونِي الهوَى ما كانَ عندَهمُ بَرْدُ القلُوبِ وَعندي الشّوْقُ وَالأرَقُ

نجوم مذعذعة

وَرَدْنَا بِهَا بَينَ العُذَيبِ وَضَارِجٍ ، تَرِيكَةَ جُونٍ أسْأرَتْهَا البَوَارِقُ[1]
وَقد ذَعْذَعَ اللّيلُ النّجومَ لغَوْرِها، كَبَيْضِ الأداحي بَعثَرَتهُ النّقانِقُ[2]

١ التريكة : أراد بها ما تركته السحب الجون أي السود البارقة من الماء . أسأرتها : أبقتها .
٢ ذعذع: فرق . الأداحي، الواحدة ادحية: بيض النعام في الرمل. النقانق، الواحد نقنق: الظليم .

دولة تطلب الفرار

دَوْلَةٌ تَطلُبُ الفِرَا رَ ، وَمَجْدٌ مُحَلِّقْ
هُوَ يَأسٌ مُكَذِّبٌ ، وَرَجَاءٌ مُصَدِّقُ
قَد بَنَيتُم ، فشَيِّدُوا ، وَغَرَستُمْ . فَأوْرِقُوا

أنراح من الفراق؟

أتُرَى نُرَاحُ مِنَ الفِرَاقِ . يَوْماً ، وَنَأخُذُ في التّلاقي
فَأغُضّ مِنْ جَزَعي ، وَأمْ حُو الدّمْعَ مِنْ بَينِ المآقي
وَأرُوحُ في ظَفَرِ القَوِيّ . وَقَدِ انتَصَفتُ مِنَ الفِرَاقِ

حرف الكاف

مليك الملوك

قال يمدح بهاء الدولة وأنفذها إليه وهو
في البصرة في جمادى الأولى سنة ٣٩٧ :

يا أَرَاكَ الحِمَى تُرَاني أَرَاكَا ، أيُّ قَلبٍ جَنَى عَلَيهِ جَنَاكَا ؟
أعطَشَ اللهُ كُلَّ فَرْعٍ بِنَعما نَ مِنَ المَاطِرِ الرَّوَى وَسَقَاكَا
أيُّ نُورٍ لِنَاظِرَيَّ ، إذا مَا مَرَّ يَوْمٌ ، وَنَاظِرِي لا يَرَاكَا
لا يرَى السّوءَ مَن رآكَ مدى الدّهْـ رِ ، وَأحيَا الإلَهُ مَن حَيّاكَا
وَرَعَى كُلَّ نَاشِقٍ لَكَ دَلّتْـ هُ صَباً طَلّةٌ عَلى رَيّاكَا
ما على البَرْقِ لوْ تَحَمّلَ من نجْـ دٍ بأظْعَانِهِ ، فسَقّى حِمَاكَا
يا دِيَارَ الأحبَابِ كَيفَ تَغَيّرْ تِ وَيا عَهْدُ مَا الذي أبْلاكَا
هَل أُولاكَ الذينَ عَهدي بهم فيـ كَ عَلى عَهدِهِمْ وَأينَ أُولاكَا
لمْ تَدَعْ فيكَ نائِبَاتُ اللّيَالي أثَراً للهَوَى سِوَى مَغنَاكَا
وَأثَافٍ كَأنّهُنّ رَذايَا ، وَأسَارَى لا يَنظُرُونَ فِكَاكَا
وَشَجيجٍ طَمَّ الزّمَانُ نَوَاصِيـ هِ ، كما شَعّثَ الوَليدُ السّوَاكَا[1]

---

[1] الشجيج : الوتد .

الذَّميلَ الذَّميلَ ، يا رَكبُ ، إنّي لَضَمينٌ أنْ لا يَخيبَ سُرَاكَا[1]
خلِّ أوْطَانَ مَعشَرٍ منَعُوا سرْ حاكَ رَعْيَ الحِمى وَمَلّوا قِرَاكَا
جَيشُهم مُخمَسُ الرّكابِ فنادَوا جَنِّبِ الوِرْدَ لا نَقَعْتَ صَدَاكَا[2]
وَضَحَتْ غُرّةُ الضّياءِ عَلى القرْ بِ ، فبَلّوا وَأرْسَلوها العِرَاكَا[3]
يا مَليكَ المُلُوكِ وَالى لكَ النّصْ رَ عَلَى العَالَمِ الّذي وَلاّكَا
وَرَأيتَ العَدُوّ حَيثُ تَرَاهُ ، وَرَآكَ العَدُوّ حَيْثُ يرَاكَا
كم ،إلى كم تَبغي الصّعودَ وَقد جزْ تَ المَعالي وَقد طلَعتَ السُّكَاكَا[4]
زِدْتَ سَبقاً عَلى أبيكَ ، وكانَتْ غايَةُ المَجدِ لَوْ لحقتَ أبَاكَا
بانِياً تَرْفَعُ السُّمُوكَ ، إلى أيْ نَ المَرَاقي وَقد بلَغتَ السِّمَاكَا[5]
نِلتَ ما نِلْتَهُ انفِرَاداً وَزَاحَمْ تَ الدّرَارِي على العلاءِ اشتِرَاكَا
يا أسيرَ الخُطُوبِ نَادِ غِيَاثَ الْ خَلْقِ إنّ الذي رَجَوْتَ هُنَاكَا
مَنْ إذا غَالَنَا الضّلالُ رَأينَا هُ قِوَاماً لدِينِنَا أوْ مِسَاكَا[6]
مَلَكَ المُلْكَ ثمّ جَلّ عَنِ المُلْ كِ فأمسَى يَستَخدِمُ الأمْلاكَا
عَجَباً كيفَ يَرْتضِي صَفحةَ النّعْ لِ لرِجْلٍ يَطَا بِهَا الأفْلاكَا

١ الذميل : ضرب من السير السريع .
٢ الجيء : دعاء الإبل إلى الماء . الصدى : العطش .
٣ القرب : البئر ، وأراد هنا الماء . بلوا : ذهبوا . أرسلوها العراك : أي أرسلوها تعترك على الماء .
٤ السكاك : الهواء في أعالي الجو .
٥ السموك ، الواحد سمك: السقف. السماك: نجم، وهما سماكان السماك الرامح والسماك الأعزل.
٦ المساك : ما يمسك به .

رَسَخَتْ في العَلاءِ أجبالُكَ الشُّ مُّ وَدارَتْ على الأعادي رَحَاكَا
مِن طَمُوحٍ خَطْمَتَهُ وَجَمُوحٍ بِكَ أعضَضْتَهُ الشَّكيمَ فَلاكَا
لمْ تزَلْ تَطْعَنُ المُوَلِّينَ حَتّى حَسبِتَ من قَنا الظّهورِ قَنَاكَا
وَرِجَالٍ تَحَكّكُوا، فَأفَاقُوا بجُذَيلٍ قد عَوّدوهُ الحِكَاكَا[1]
فَرْعُ عِزّ يُعطي علَى اللّينِ ما شَا ءَ جَنَاهُ، فإنْ رَأى الضّيمَ شَاكَا
ضَرَبُوا في جَوَانبِ الطّوْد فانظُرْ حَمِقَ العَاجزِينَ كيفَ أحَاكَا[2]
قطَعتَ يا ابنَ وَاصِلٍ مُدّةَ العُمْ رِ ، فَهَاجَ الضُّبَارِمَ الفَتّاكَا
طَاحَ في حَدّ مِخلَبيكَ وَخسّتْ أكلَةُ الذّئبِ أنْ تُقارِبَ فاكَا
هَلْ يَرُوعُ القُرُومَ عندكَ وَالأُسْ دَ كُلَيبٌ عوَى لها في حِماكَا
طَلَبَ الأمرَ فَانثَنَى بغُرُورٍ كَانَ فَوْتاً ، فَخالَهُ إدْرَاكَا
صَاحبَ الأمرَ منْ قِرى السيفِ والضّيْ فِ وَرَوّى القَنا وَأنتَ كَذاكَا
كَيفَ تَقذَى عَينٌ وَيَألُمُ طَرْفٌ نَظَرَ اليَوْمَ وَجهَكَ الضّحّاكَا
أنَا غَرْسٌ غَرَستَهُ ، وَأجَلٌّ الْ غَرْسِ ما قَرّرَتْ ثَرَاهُ يَدَاكَا
لمْ أجِدْ صَانِعاً سِوَاكَ ، وَلا أعْ رِفُ في النّاسِ مُنعماً ما سِوَاكَا
في حِمى طولكَ اهتَزَزْتَ وَأوْرَقْ تَ قَريبَ الجَنَى بصَوْبِ نَداكَا
كُلّ يَوْمٍ فَضْلٌ عَليّ جَديدٌ، وَعَلاءٌ أنَالَهُ مِنْ عُلاكَا

١ الجذيل : عود تحتك به الجربى . وأراد أن الناس يتحككون برأيه يستشفون به كما تتحكك الإبل الجربى بهذا العود مستشفية .

٢ أحاك ، من قولهم : ضرب بالسيف فأحاك أي لم يقطع

وَعَطاءٌ تزَيَّدَ البَحرَ يعْلُو   كُلّما قيلَ قَدْ بلَغتَ مُنَاكَا
وَإذا ما طَوَيتُ عنكَ التَقاضي ،   عُنيَ الطَّوْلُ منك بي فاقتضاكَا
لا سَفيرٌ إلَيكَ إلاّ مَعَاليـ   ـكَ ، وَلا شافعٌ إلَيكَ سِوَاكَا
أيّها الطّالبُ الذي قَلقَلَ العيـ   ـسَ وَأبلى غُرُوضَهَا وَالوِرَاكَا
نَادِ بالرّكْبِ قد بلَغتَ إلى البَحْـ   ـرِ فعَرّسْ بهِ ، كَفاكَ كَفَاكَا

ليل مريض النجم

وله من قصيدة قالها في الفخر وسنه
خمس عشرة سنة وهي من النسخ القديمة :

لَقَد جَشّمَتْ تَعبيسَةٌ في المَضاحِكِ   تَمُدّ بأضبَاعِ الدّمُوعِ السّوَافِكِ
فكَفكَفْ صُدُورَ السّمهَرِيّ بعَزْمَةٍ   عَلى كُلّ مَلآنٍ مِنَ الضِّغنِ فاتِكِ
إذا مَا أضَلّ النّقعُ طُرْقَ سِنَانِهِ ،   تَسَرّعَ مِنْ حُجبِ الكُلى في مسالِكِ
وَليلٍ مَرِيضِ النّجمِ مِن صِحّةِ الدُّجى ،   خَطَتْهُ بِنا أيدي الهِجانِ الأوَارِكِ[1]
برَكْبٍ فَرَوْا بُرْدَ الظّلامِ وَقَلّصُوا   حَوَاشيهِ في أيدي القِلاصِ الرّوَاتِكِ[2]

١ الأوارك ، المزينة بالوراك : ثوب يزين به الرحل .
٢ القلاص : النياق ، الواحدة قلوص . الرواتك : المتقاربة الخطى .

يُصَافِحُهُ نَشْرُ الخُزَامَى ، كَأَنّما   يُمَسّحُ أعطَافَ الرّمَاحِ السّوَاهِكِ[1]
فَجاءَتْ بأُسْدٍ في الحَدِيدِ ترَقرَقَتْ   عَلَيها بماءِ الشّمسِ غُدْرُ التّرائكِ
بَدَتْ تزْلَقُ الأبْصارُ في لمَعانِهَا ،   على أنّهَا في ثَوْبِ أقتَمَ حَالِكِ
تُلِفُّ بأعرَافِ الجيَادِ رِماحَها ،   وتَنشُرُ مِنْ أطْمَارِ بيضٍ بَوَاتِكِ
وتَنكِحُ أوْتَارَ الحَنَايَا نِبالُهَا ،   فتَشرُدُ عَنها في نِصَالٍ فَوَارِكِ
ألَفَّ بِلألاءِ السّمَاحِ فُرُوجَها ،   تُبَيّضُ أعجَاسَ القِسِيّ العَوَاتِكِ[2]
بيَوْمِ طِرَادٍ قَنّعَ الشّمْسَ نَقعُهُ ،   بفَاضِلِ أذْيَالِ الرُّبَى وَالدّكَادِكِ
خَطَوْا تَحتَهُ حُمرَ الدّرُوعِ كأنّما   تَرَدّوْا بِمَوّارِ الدّماءِ الصّوَائِكِ
وَلا يَألُونَ الطّعنَ حتّى كأنّهُم   أسرّوا ضُلوعاً من كُعوبِ النيازِكِ

* *

وَلا يَوْمَ إلاّ أنْ تُرَامي رِماحُهُ   قُلُوبَ تَميمٍ في صُدُورِ المَهَالِكِ
وَقَدْ شَرِبَتْ ذَوْدَ العَوَالي أنامِلٌ ،   وَلكنّها بَينَ الطُّلَى في مَبَارِكِ[3]
تُطِلُّ دِمَــاءً مِنْ نُحُورٍ أعزّةٍ   كحَقنِ أفاوِيقِ الضّرُوعِ الحَوَاشكِ[4]
ألِكْني فتَى فِهرٍ إلى البِيضِ وَالقَنَا ،   فإنّي قَذَاةٌ في عُيُونِ المَآلِكِ
وَلي أمَلٌ مِنْ دُونِ مَبرَكِ نِضْوِهِ ،   يُقَلْقِلُ أثْبَاجَ المَطيّ البَوَارِكِ[5]

١ السواهك : الكريهة الريح .
٢ الاعجاس : مقابض القسي . العواتك : المحمرة من القدم .
٣ في هذا البيت غموض .
٤ الحواشك من الحشك : شدة الدرة في الضرع ، أو سرعة تجمع اللبن فيه .
٥ الأثباج ، الواحد ثبج : ما بين الكاهل إلى الظهر .

سَقَى اللهُ ظَمآنَ المُنى كُلَّ عارِضٍ ... مِنَ الدَّمِ مَلآنِ المِلاطَينِ حاشِكِ[1]
يُزَمْجِرُ مِنْ وَقعِ الصّفيحِ على الطُّلى، ... وَيُرْعِدُ مِنْ وَقعِ القَنا بالحَوارِكِ
بِطَعنٍ ، إذا بادَتْ عَوَاليهِ قَوَّمَتْ ... مِنَ القَوْمِ مُنآدَ الضّلوعِ الشَّوابِكِ

اليوم صرحت الجلى

قال يرثي قوام الدين وقد ورد الخبر بوفاته وذلك أن العلة تزايدت به فقضى نحبه في آخر نهار الأحد لأربع ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ٤٠٣ ومولده سنة ٣٦٠ فكان عمره على ذلك ٤٣ سنة :

دَعِ الذَّميلَ إلى الغاياتِ وَالرَّتَكا ، ... ماذا الطِّلابُ، أتَرْجُو بَعدَها دَرَكا[2]
مَا لي أُكَلّفُهَا التّهجيرَ دائبَةً ... عَلى الوَجَى وَقِوَامُ الدّينِ قد هلَكا
حُلَّ الغُرُوضَ، فلا دارٌ مُلائِمَةٌ ، ... وَلا مَزُورٌ إذا لاقَيتَهُ ضَحِكا
أمسَى يُقَوِّضُ عنّا العِزّ خَلْفَهُ ، ... وَثَوّرَ المَجْدَ عَنّا بَعدَمَا بَرَكا
اليَوْمَ صَرّحَتِ الجُلّى، وَقد تَرَكَتْ ... بَينَ الرّجَاءِ وَبَينَ اليَأسِ مُعتَرَكا
تَمَثّلَ الخَطْبُ مَظْنُوناً لِتَالِفِهِ ، ... فَسَوْفَ نَلقاهُ مَوْجُوداً وَمُدّرَكا
رَزِيئةٌ لمْ تَدَعْ شَمْساً وَلا قَمَراً ، ... وَلا غَمَاماً ، وَلا نجماً ، وَلا فَلَكا

[1] الملاطان : جانبا السنام . الحاشك : الكثير الماء .
[2] الرتك : ضرب من السير .

لوْ كانَ يُقبَلُ من مَفقودِها عِوَضٌ، ... لأنفَقَ المَجْدُ فيها كُلَّ ما مَلَكَا

قد أُدْهِشَ المُلكُ قبلَ اليَوْمِ من حذَرٍ، ... وَإنّمَا اليَوْمَ أذرَى دَمعَهُ وَبَكَى

أمسَى بها عَاطِلاً مِنْ بَعدِ حِليَتِهِ، ... وَهادِماً مِن بِناءِ المَجدِ ما سَمَكَا

مَنْ للجِيادِ مَرَاعِيهَا شَكَائِمُها، ... يحمِلنَ شَوْكَ القَنا الّذّاعَ وَالشِّكَكَا

يَطَأنَ بِهَا تَحتَ أطرَافِ القَنا زَلِقاً ... مِنَ الدّماءِ وَمن هامِ العِدا نَبَكَا[1]

مَنْ للظُّبَى يَختَلي زَرْعَ الرّقابِ بِهَا، ... حُكمَ القَصَاقِصِ لا عَقلٌ لما سَفَكَا[2]

من للقَنَا [illegible]تْ أيدي فوَارِسِهِ ... مِنَ القُلوبِ لها الأطوَاقَ وَالمَسَكَا[3]

مَنْ للأُسُودِ نَهَاها عَنْ مَطاعِمِها، ... فكَمْ رَدَدْنَا فَرِيساً بَعدَما انتُهِكَا

مَنْ للعزَائِمِ وَالآرَاءِ يُطْلِعُهَا ... مَطالِعَ البِيضِ يَجلُو ضَوءُها الحَلَكَا

مَنْ للرّقَاقِ إذا أشفَتْ على عَطَبٍ، ... يَغدُو لهَا بُلَغاً بالطَّوْلِ أوْ مُسَكَا[4]

مَنْ للخُطُوبِ يُنَجّي من مَخالبِها، ... وَيَنتَزِعُ الظُّفْرَ مِنها كُلّما سَدِكَا[5]

مِنْ مَعشَرٍ أخذُوا الفُضْلَى فَما ترَكوا ... مِنها لِمَنْ يَطْلُبُ العَلْيَاءَ مترَكَا

قَدّوا مِنَ البِيضِ خَلقاً وَالحَيا خُلُقاً، ... عِيصاً ألَفّ بعِيصِ المَجدِ فاشتَبَكَا[6]

لَوْ أنّهُمْ طُبِعُوا لمْ تَرْضَ أوْجُهُهُم ... دَرَارِيَ اللّيلِ لَوْ كانتْ لهَا سِلَكَا

١ النبك ، الواحدة نبكة : أكمة محددة الرأس .

٢ يختلي : يجز . القصاقص : الأسد . العقل : الدية .

٣ المسك : الخلاخيل .

٤ البلغ ، الواحدة بلغه : ما يكفي من العيش ولا يفضل . المسك ، الواحدة مسكة : ما يمسك الأبدان من الطعام .

٥ سدك : لزم .

٦ العيص : الأصل .

هُمْ أبدَعُوا المَجدَ لا أنْ كانَ أوّلُهم رَأى مِنَ الجِدّ فِعلاً قَبلَهُ فحَكَى
الرّاكِبينَ ظُهُوراً قَلّمَا رُكِبَتْ ، وَالمَالِكينَ عِنَاناً قَلّمَا مُلِكَا
هَيهاتَ لا ألبِسَ الأعداءُ بَعدَهُمُ ، يَوْمَ الجِرَاءِ ،لِجَاماً يَقرَعُ الحَنَكَا
وَلا أُرِيحَتْ عَلى العَلْيَاءِ حَافِلَةٌ لهَا سَنَامٌ مِنَ الإجمامِ قَد تَمَكَا[1]
يا صَفْقَةَ مِنْ بَيَاعٍ كُلُّهَا غَرَرٌ ، مِن ضَامنٍ للعُلى من بَعدِها الدَّرَكَا
خَلا لهَا كلُّ ذِئبٍ مَعْ أكيلَتِهِ ، مِن وَاقعٍ طارَ أوْ من عاجزٍ فتَكَا
المَوْتُ أخبَثُ مِنْ أنْ يرْتَضِي أبَداً لا سُوقَةً بَدَلاً مِنهُ وَلا مَلِكَا
كَالعِلقِ وَالعِلقِ لَوْ خُيّرْتَ بَينَهُما لمْ تَرْضَ بالدّونِ يوْماً أن يكونَ لكَا
رَاقٍ تَفَرّدَ بالإحْسَانِ يَفرَعُهَا ، وَزَايَدَ النّجمَ في العَلْيَاءِ وَاشترَكَا
اللّينُ يُمطيكَ مِنْ أخلاقِهِ ذُلُلاً ، وَالضّيمُ يُخرِجُ مِنهُ الآبيَ المَعِكَا[2]
غَمْرُ العَطيّةِ لا يُبقي عَلى نَشَبٍ ، وَإنْ رَأى قُلَّبيَّ الرّأيِ مُحتَنِكَا
لا تَتْبَعُوا في المَساعي غيرَ أخمَصِهِ ، فَأخصَرُ الطُّرْقِ في العَلياءِ ما سَلَكَا
ما مِثْلُ قَبرِكَ يُستَسقَى الغَمَامُ لَهُ ، وَكَيفَ يَسقي القِطارُ النّازِلَ الفَلَكَا
لا يُبْعِدِ اللهُ أقوَاماً رُزِئتُهُمُ ، لوْ ثلّموا من جُنوبِ الطّوْدِ لانتُهِكَا
فقَدْتُهُمُ مثلَ فَقدِ العَينِ ناظِرَهَا ، يُبكَى عَلَيها بها ،يا طولَ ذاكَ بُكَا
إذا رَجَا القَلبُ أنْ يُنسيهِ غُصّتَهُ ما يُحدِثُ الدّهرُ أدمَى قَرْحَهُ وَنكَا
إنْ يَأخُذِ المَوْتُ مِنّا مَن نَضَنّ بهِ ، فَمَا نُبَالي بِمَنْ بَقّى وَمَن تَرَكَا

١ تمك : ارتفع .
٢ المعك : الأحمق .

إنّي أرَى القَلْبَ يَنزُو لادّكَارِهِمُ ، نَزْوَ القَطاطَةِ مَدّوا فَوْقَها الشَّرَكَا[1]
لا تُبصِرُ الدّهرَ بَعدَ اليَوْمِ مُبتَسِماً ؛ إنّ اللّيَاليَ أنسَتْ بَعدَهُ الضّحِكَا

ما امرك وما احلاك

قال قدس الله سره في المحرم سنة ٣٩٥ وهي من لواحق الحجازيات أيضاً :

يا ظَبيَةَ البَانِ تَرْعَى في خَمَائِلِهِ ، لِيَهنَكِ اليَوْمَ أنّ القَلبَ مَرْعَاكِ
المَاءُ عِندَكِ مَبْذُولٌ لشَارِبِهِ ، ولَيسَ يُرْوِيكِ إلاّ مَدمَعي البَاكي
هَبّتْ لَنَا مِنْ رِيَاحِ الغَوْرِ رَائحَةٌ بَعْدَ الرُّقَادِ عَرَفْنَاها برَيّاكِ
ثمّ انثَنَينَا ، إذا مَا هزّنَا طَرَبٌ عَلَى الرّحَالِ ، تَعَلّلْنَا بذِكْرَاكِ
سَهْمٌ أصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ مَن بالعِرَاقِ ، لَقَد أبعَدْتِ مَرْمَاكِ
وَعدٌ لعَينَيكِ عِندِي ما وَفَيتِ بِهِ ، يا قُرْبَ مَا كَذَبَتْ عَينيَّ عَينَاكِ
حكَتْ لِحَاظُكِ ما في الرّيمِ من مُلَحٍ يَوْمَ اللّقَاءِ فكَانَ الفَضْلُ للحَاكي
كَأنّ طَرْفَكِ يَوْمَ الجِزْعِ يُخبرُنا بِما طَوَى عَنكِ مِن أسمَاءِ قَتلاكِ
أنتِ النّعيمُ لقَلبي وَالعَذابُ لَهُ ، فَمَا أمَرّكِ في قَلْبي وَأحْلاكِ
عِندِي رَسَائِلُ شَوْقٍ لَستُ أذكُرُها ، لَوْلا الرّقيبُ لَقَدْ بَلّغتُها فَاكِ

[1] القطاطة : لعله أراد القطاة ، طائر في حجم الحمام .

سقَى مِنًى ولَيَالي الخَيفِ ما شَرِبتْ ... مِنَ الغَمَامِ وحَيّاهَا وحَيّاكِ
إذ يلتقي كلُّ ذي دَينٍ ومَاطِلَهُ ، ... مِنّا،ويَجتَمِعُ المَشكُوُّ والشّاكي
لمّا غَدا السِّرْبُ يَعطُو بَينَ أرْحُلِنا، ... ما كانَ فيهِ غَرِيمُ القَلبِ إلاّكِ
هامَتْ بكِ العَينُ لم تَتبعْ سِواكِ هوًى، ... مَنْ عَلّمَ البَينَ أنّ القَلبَ يَهوَاكِ
حتّى دَنَا السِّرْبُ، ما أحيَيتِ من كَمَدٍ ... قَتلى هَوَاكِ، ولا فادَيتِ أسرَاكِ
يا حَبّذا نَفحَةٌ مَرّتْ بفيكِ لَنَا ، ... ونُطْفَةٌ غُمِسَتْ فيها ثَنَايَاكِ
وحَبّذا وَقفَةٌ ، والرّكْبُ مُغتَفِلٌ ... عَلى ثَرًى وَخَدَتْ فيهِ مَطَايَاكِ
لوْ كانَتِ اللِّمّةُ السّوْداءُ من عُدَدي ... يَوْمَ الغَميمِ ، لمَا أفلَتِّ أشرَاكي

يا قلب

قال قدس الله سره

يا قَلْبُ لَيتَكَ حينَ لمْ تَدَعِ الهَوَى ... عَلّقْتَ مَنْ يَهوَاكَ مثلَ هَوَاكَا
لَوْ كَانَ حَرُّ الوَجْدِ يُعقِبُ بَعدَهُ ... بَرْدَ الوِصَالِ غَفَرْتَ ذاكَ لذاكَا
لا بَلْ شُجِيتَ بِمَنْ يَبيتُ مُسلَّماً ... خالي الضّلوعِ ، ولا يُحِسّ شَجاكَا
إنْ يُصْبحوا صَاحِينَ من خمرِ الهوَى، ... فَلَقَدْ سَقَوْكَ مِنَ الغَرَامِ دِرَاكَا
يا لَيتَ شُغلَكَ بالأسَى أعداهُمُ ، ... أوْ لا ، فَلَيتَ فَرَاغَهُمْ أعدَاكَا
أهوًى وَذُلاًّ في الهَوَى وَطَمَاعَةً ، ... أبَداً ، تعَالَى اللهُ مَا أشقَاكَا

يا قَلبِ كَيفَ علِقتَ في أشرَاكِهِم ، وَلَقَدْ عَهِدتُكَ تُفلِتُ الأشْرَاكَا
أكْثَبْتَ حتّى أقصَدتكَ سِهَامُهُمْ ، قَدْ كُنتُ عَنْ أمثالِهَا أنهَاكَا[1]
إنْ ذُبتَ من كمَدٍ ، فقد جرّ الهوَى هَذا السَّقَامَ عَليّ ، من جرّاكَا
لا تَشكُوَنّ إليّ وَجْداً بَعدَهَا ، هَذا الذي جرّتْ عَليّ يَدَاكَا
لأُعَاقِبَنّكَ بالغَليلِ ، فإنّني لَوْلاكَ لمْ أذُقِ الهوَى لَوْلاكَا
يا عَاذِلَ المُشتَاقِ دَعْهُ ، فإنّهُ يَطوِي عَلى الزّفَرَاتِ غَيرَ حَشَاكَا
لَوْ كانَ قَلبُكَ قَلبَهُ مَا لُمْتَهُ ، حَاشَاكَ مِمّا عِندَهُ حَاشَاكَا

يا مقلقي

قال أيضاً في معنى مثله

يا مُقْلِقي ! قَلَقي عَلَيْ لكَ أظُنُّهُ ذَنْبي إلَيكَا
أنتَ الشّقيقُ ، فَلَوْ جَنَيْ تَ لمَا أخَذْتُ عَلى يَدَيكَا
أمسَيتَ ثالِثَ ناظِرَ يَّ ، فكَيفَ أقذي ناظِرَيكَا
وَكَفَاكَ أنّي لَستُ أعْ قِدُ خِنصِرِي إلاّ عَلَيكَا

[1] أكثبت : دنوت .

مهادنة الدهر

قال أيضاً رضي الله تعالى عنه :

أمَا تُحَرِّكُ للأقْدارِ نَابِضَةٌ ؛ أمَا يُغَيِّرُ سُلْطَانٌ وَلا مَلَكُ ؟
قَدْ هَادَنَ الدّهْرُ حتّى لاقِرَاعَ لهُ ، وَأطرَقَ الخَطْبُ حتّى مَا بهِ حرَكُ
كُلٌّ يَفُوتُ الرّزَايَا أنْ يَقَعْنَ بهِ ، أمَا لأيْدِي المَنَايَا فيهِمُ دَرَكُ ؟
قَدْ قَصّرَ الدّهرُ عَجزاً عَنْ لحاقِهمُ ، فأينَ أينَ ذَميلُ الدّهرِ وَالرَّتَكُ
أخَلّتِ السّبعَةُ العُلْيَا طَرَايِقَهَا ، أمْ أخطأتْ نَهجَهَا أم سُمّرَ الفَلَكُ ؟

أفي كل يوم

قال أيضاً رحمه الله تعالى :

أفي كُلّ يَوْمٍ أنْتَ رَامٍ بِهِمّةٍ ، إلى حَيثُ لا تَرْمي النّجومُ الشّوَابِكُ
وَمَا كُلُّ ما مَنّيتَ نَفسَكَ خالِياً ، تَنَالُ ، وَلا تُفضِي إليهِ المَسالكُ
يَقُولُونَ رُمْ تَلقَ الذي أنتَ طالِبٌ ، فأينَ العَوَاقي دُونَها وَالمَهالِكُ
وَكَمْ سَعيُ سَاعٍ جَرّ حَتْفاً لنَفسِهِ ، وَلَوْلا الخُطى ما شاكَ ذا الرّجلِ شائِكُ
ألا رُبّمَا حيّاكَ رِزْقُكَ طَالِعاً ، وَرَحلُكَ مَحطوطٌ وَنِضْوُكَ بارِكُ

رب جان عقابه الضحك

وَرُبَّ غَاوٍ رَمَيتُ مَنطِقَهُ بِسَكْتَةٍ ، وَالحُلُومُ تَعتَرِكُ
وَللفَتَى مِنْ وَقَارِهِ جُنَنٌ ، إنْ كَثُرَتْ مِنْ عَدُوّ الشّكَكُ
ثَارَ بِهِ الجَهلُ ، فابتَسَمتُ لَهُ ، وَرُبّ جَانٍ عِقَابُهُ الضّحِكُ

نذار لكم

وقال مخاطباً لسلطان الدولة يعرض بذم أعدائه :

أيَا رَاكِباً تَرْمي بهِ اللّيلَ جَسرَةٌ ، لهَا نِمرِقٌ مِنْ نَيّها وَوِرَاكُ
قَرَاهَا رَبيعَ الوَادِيَينِ ، وَأتمَكَتْ قَرَاهَا عِهَادٌ باللّوَى وَرِكَاكُ[1]
لهَا هَادِيَا عَينٍ وَأُذْنٍ سَميعَةٍ ، إذا غَارَ أوْ غَرّ العُيُونَ سِمَاكُ
تَحَمّلْ ألُوكاً رُبّمَا حُمّلَتْ بهِ رَذايَا المَطَايَا ، مَشيُهُنّ سِوَاكُ[2]
وَأبْلِغْ عِمَادَ الدّينِ إمّا بَلَغْتَهُ ، بأنّ سِلاحَ اللّوْمِ عِندِيَ شَاكُ

١ أتمكت : سمنت . العهاد : المطر . الركاك : المطر الضعيف .

٢ السواك : السير الضعيف .

أفي الرّأيِ أنْ تَستَرْعيَ الذّئبَ ثَلّةً، وَغَوْثُكَ بُطْءٌ وَالخُطوبُ وِشَاكُ ؟
أرَدْتَ وِقَاءَ الرِّجلِ وَالنّعلُ عقرَبٌ مُرَاصِدَةٌ ، وَالأفعوَانُ شِرَاكُ
وَكَانَ أبُوكَ القَرْمُ هَادِمَ عَرْشِهِ، فَلِمْ أنتَ أعمَادٌ لَهُ وَسِمَاكُ
يَكُونُ سِمَاماً للمُعَادِينَ نَاقِعاً، وَأنتَ لأرْمَاقِ العُداةِ مِسَاكُ
ألا فاحذَرُوها ، أوّلُ السّيلِ دَفعَةٌ، وَرُبّ ضَئِيلٍ عَادَ وَهوَ ضِنَاكُ
نَذارِ لَكُمْ مِنْ وَثْبَةٍ ضَيغَمِيّةٍ ، لمَا بَعدَ غِرّارِ السّكُونِ حَرَاكُ
وَلا تَنْزَعُوا شَوْكَ القَتَادِ فإنّكُمْ جَدِيرُونَ أنْ تَدمَوْا بهِ وَتُشاكُوا
طُبِعتُمْ نُصُولاً للعَدُوّ قَوَاطِعاً ، وَلَيسَ عَلَيكُمْ للضّرَابِ شِكَاكُ
وَكَان قَنيصاً أفْلَتَتْهُ حِبَالَةٌ ، وَأينَ حِبَالٌ بَعْدَهَا وَشِرَاكُ
يكادُ منَ الأضْغانِ يُعدِمُ بَعضَكُمْ، عَلى أنّ في فيهِ الشّكيمِ يُلاكُ
فَكَيْفَ إذا ألقَى العِذارَينِ خَالِعاً، وَزَالَ لِجَامٌ قَادِعٌ وَحِنَاكُ[1]
هُنَاكَ تَرَوْنَ الرّأيَ قد فالَ وَالتَوَتْ حِبَالٌ بأيْدِي الجَاذِبِينَ رِكَاكُ
دِمَاءٌ نِيَامٌ في الأبَاجِلِ أوقِظَتْ، وَظَنّي يَوْماً أنْ يَطُولَ سِفَاكُ
ألَيْسَ أبُوهُ مَنْ لَهُ في مِجَنّكُمْ ضِرَابٌ عَلى مَرّ الزّمَانِ دِرَاكُ
وَكَانَ سِنَاناً في قَنَاةِ ابنِ وَاصِلٍ إلَيكُمْ ، وَللأجْنادِ ثَمّ عِرَاكُ
فَأمْسَتْ لَهُ بَينَ الغِمَادِ وَأرْبَقٍ رُهُونُ مَنَايَا مَا لَهُنّ فِكَاكُ[2]
تَلاقَتْ عَلَيْهِ العَاسِلاتُ كَأنّهَا أنَامِلُ أيْدٍ ، بَيْنَهُنّ شِبَاكُ

١ القادع : الكاف . الحناك : الخيط الذي يحنك به ، من حنك الفرس جعل فيه الرسن .
٢ الغماد وأربق : موضعان .

وَأمّلَ أنْ يَرْتدّ المَلكِ سِرْبُه، وَبالجِزْعِ حَمضٌ عازِبٌ وَأرَاكُ
فَمَا أتبعَتَهُ نَشطَةٌ مِنْ وَلا مِنْ أرَاكِ الجَلْهتَيْنِ سِوَاكُ
يُطاوِلُكُم وَهوَ الحَضِيضُ إلى العُلى، فكَيفَ إذا مَا عَادَ وَهوَ سِكَاكُ
أحِيلُوا عَلَيْهَا بالمَحافِرِ انّهَا مَعَاثِرُ في طُرُقِ العُلا وَنِبَاكُ
وَما الحَزْمُ للأقوَامِ أنْ يطأُوا الرُّبَى، وَبَيْنَ نِعَالِ الوَاطِئِينَ شِيَاكُ
وَلَوْ عَضَدُ المُلكِ اجتَلاها مَخِيلَةً، لَقَطّعَها بالعَضْبِ، وَهْيَ تُحَاكُ
فَلَيتَ لَنَا ذاكَ الجُذَيلَ يَطُبّنَا، إذا لَجّ بالدّاءِ العُضَالِ حِكَاكُ
وَإنّ مِلاكَ الرّأيِ نَزْعُ حُماتِهَا، قُبَيلَ أُمُورٍ، مَا لهُنّ مِلاكُ
فإنْ تُطفِئُوها اليَوْمَ، فهْيَ شَرَارَةٌ، وَغدواً أُوَارٌ، وَالأُوَارُ هَلاكُ

الزمان القاسط

لا يَرُعْكَ الحَيُّ إنْ قِيلَ هَلَكْ، أخَذَ المِقْدارُ مِنّا وَتَرَكْ
أنْظُرِي تَرْضَيْ بِقَايَا قَوْمِنَا، إنْ جَلا اليَوْمُ غُبارَ المُعتَرَكْ
أخَذُوا الشّطرَ الذي أبقَى الرّدَى، ثُمّ قالوا: عَنْ قَليلٍ هُوَ لكْ
أبتَغِي عَدْلَ زَمَانٍ قَاسِطٍ، إنّمَا النّاسُ عَلى دِينِ المَلكْ
بَاخِلٌ إنْ ضَافَهُ الحَقُّ، فَلا أعتَقَ المَالَ، وَلا العِرْضَ مَلَكْ

حرف اللام

نعمى امير المؤمنين

يمدح الطائع لله أمير المؤمنين ويشكره على تكرمة خصه بها وثياب وورق سنة ٣٧٦ :

أنَا للرّكَائِبِ إنْ عرَضْتُ . بمنزِلِ ، وَإذا القَنُوعُ أطاعَني لمْ أرْحَلِ
لمْ أطْلُبِ المُثْرِي البَخيلَ لحَاجَةٍ ، أبَداً ، وَأقنَعُ بالجَوَادِ المُرْمِلِ[1]
وَأرَى المُعَرِّضَ باللّئيمِ . كَأنّهُ أعشَى اللّحَاظِ يَحزّ غَيرَ المَفصِلِ
وَلَرُبّ مَوْلًى لا يَغُضّ جِمَاحَهُ طُولُ العِتَابِ . وَلا عَنَاءُ العُذَّلِ
يَطغَى علَيكَ ، وأنتَ تَلأمُ شَعبَهُ ، كالسّيفِ يأخُذُ مِنْ بَنَانِ الصّيقَلِ
أبكي عَلى عُمرٍ يُجاذِبُهُ الرّدَى . جَذبَ الرِّشاءِ عَنِ القَليبِ الأطوَلِ
أخلِقْ بحَبلٍ مُرْسَلٍ في غَمرَةٍ ، أنْ سَوْفَ يَرْفَعُهُ بَنَانُ المُرْسِلِ
مَا كُنتُ أطرَبُ للِقَاءِ ، وَلا أرَى قَلَقاً لِبَيْنِ الظّاعِنِ المُتَحَمِّلِ
ألْوِي عِنَاني عَنْ مُنازَلَةِ الهَوَى ، وَأصُدّ عَنْ ذِكْرِ الغَزَالِ المُغزِلِ
وَأزُورُ أطْرَافَ الثّغُورِ ، وَدُونَهَا طَعْنٌ يُبَرِّحُ بالوَشيجِ الذُّبّلِ

[1] المرمل : المعدم ، الفقير .

أأنالُ مِنْ عَذْبِ الوِصَالِ وَدُونَهُ مُرُّ الإبَـاءِ وَنَخْوَةُ المُتَدَلِّلِ
مَا كُنْتُ أجرَعُ نُطْفَةً مَعسُولَةً طَوْعَ المُنَى ، وَإنَاؤهَا مِن حَنظَلِ
أعَقِيلَةَ الحَيَّيْنِ دُونَكِ ، فارْفَعي ما شِئْتِ مِنْ عَذْبِ القِنَاعِ المُسبَلِ
هَيهَاتَ تَبلُغُكِ اللِّحَاظُ ، وَبَينَنَا هَضْبٌ كَخُرْطُومِ الغَمَامِ المُقبِلِ
أوْطَانُ غَيرِكِ للضِّيَافَةِ طَلْقَةٌ ، وَسِوَاكِ في اللأْوَاءِ رَحْبُ المَنزِلِ[1]
وَإذا أمِيرُ المُؤمِنِينَ أضَافَ لي أمَلي نَزَلْتُ عَلى الجَوَادِ المُفضِلِ
بِالطّائِعِ المَيمُونِ أنْجِحَ مَطلَبي، وَعَلَوْتُ حَتّى مَا يُطَاوَلُ مَعقِلي
قَرْمٌ ، إذا عَرَتِ الخُطُوبُ مُرَاحَهُ أدْمَى غَوَارِبَهَا بِنَابٍ أعصَلِ
مُتَوَغّلٌ خَلْفَ العَدُوّ ، وَعِلمُهُ أنّ الجَبَانَ ، إذا سرَى ، لمْ يُوغِلِ
وَإذا تَنَافَلَتِ الرّجَالُ غَنِيمَةً ، قَسَمَ التُّرَاثَ لهَا بِحَدّ المُنصُلِ
ثَبْتٌ لِهَجْهَجَةِ الخُطُوبِ ، كأنّما جاءتْ تُقَعقِعُ بالشِّنَانِ لِيَذْبُلِ[2]
رَأيُ الرّشِيدِ ، وَهَيْبَةُ المَنصُورِ في حُسْنِ الأمِينِ وَنِعْمَةِ المُتَوَكّلِ
آبَاؤكَ الغُرُّ الذِينَ ، إذا انتَمَوْا ، ذَهَبُوا بِكُلّ تَطاوُلٍ وَتَطَوُّلِ
دَرَجُوا كمَا دَرَجَ القُرُونُ وَعِلمُهُم أنْ سَوْفَ يُخبِرُ آخِرٌ عَنْ أوّلِ
نَسَبٌ إلَيْكَ تَجَاذَبَتْ أشْيَاخُهُ طِولاً مِنَ العَبّاسِ غَيرَ مُوَصَّلِ
هَذِي الخِلافَةُ في يَدَيْكَ زِمَامُها، وَسِوَاكَ يَخْبِطُ قَعْرَ لَيْلٍ ألْيَلِ
أحرَزْتَها دُونَ الأنَامِ ، وَإنّمَا خَلَعَ العَجَاجَةَ سابِقٌ لمْ يَذهَلِ

١ اللأواء : الضيق والشدة .
٢ الهجهجة : الهدير. الشنان ، الواحد شن : القربة البالية . يذبل : جبل .

بجَوَادِرٍ يُعنِقْنَ مِنْ تَحتِ القَنا ... عَنَقاً يُعَرِّدُ بالذِّئابِ العُسَّلِ[1]
غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ، إذا احتَضَرَ الوَغَى، ... نَقَبْنَ عَنْ يَوْمٍ أغَرَّ مُحَجَّلِ
دُفِعَتْ فَأيُّ الحُزْمِ عَنها لم يَضِقْ، ... عرَقاً، وأيُّ اللُّجْمِ لمْ يَتَصَلْصَلِ
سَلَخَ الظَّلامُ إهَابَهُ وَتَهَلَّلَتْ ... جَنَبَاتُ ذاكَ العَارِضِ المُتَهَلِّلِ
طَلَعَتْ بِوَجْهِكَ غُرَّةٌ نَبَوِيّةٌ، ... كالشّمسِ تَمْلأُ نَاظِرَ المُتَأمِّلِ
وَإذا نَبَتْ بِكَ في مُسالمَةِ العِدَى ... أرْضٌ، وَهَبْتَ تُرَابَهَا للقَسْطَلِ
وَفَوَارِسٍ مَا استَعصَمُوا بثَنِيّةٍ، ... إلاّ طَلَعتَ عَلَيهِمُ في جَحفَلِ
شَرَدَتْ بِنَا ذُلُلُ الرّكَابِ، كأنّما ... يَذرَعنَ بُرْدَةَ كُلّ قَاعٍ مُمحِلِ
وَالآلُ يَنهَضُ بالشُّخُوصِ أمَامَنا، ... وَيَمُدُّ أعْنَاقَ القِنَانِ المُثَّلِ
مِنْ كُلّ رَابِيَةٍ تَرَفّعَ جِيدُهَا، ... فكَأنّهُ هَادي حِصَانٍ مُقْبِلِ[2]
وَمُعَرَّسٍ هَزِجِ الوُحُوشِ، كأنّما ... طَرَقَ المَسَامعَ عَن غَمَاغمِ مِرْجَلِ[3]
عرّكَتْ جَوَانِبَنا الفَلاةُ، وَأسرَعَتْ ... في العَظْمِ وَاقتاتَتْ شُحومَ البُزَّلِ
وَإلَيكَ طَوّحَ بالمَطِيّ مُغَرَّرٌ ... عَصَفَتْ بهِ أيدِي المَطيّ المُضْلِلِ
فَأتَتْكَ تَلتَهِمُ الهَوَاجِرَ طُلَّحاً، ... وَالظّلُّ بَينَ خِفَافِها وَالجَرْوَلِ[4]

١ الجوادر : وصف حسن الخيل . يعنقن: يسرن سيراً فسيحاً مسبطراً ممتداً. يعرد ، من عرد السهم في الرمية : نفذ منها . العسل : المضطربة في عدوها .

٢ ترفع : علا . جيدها : عنقها . الهادي : العنق .

٣ المعرس : مكان التعريس ، النزول ليلا . الهزج : المصوت . الغماغم ، الواحدة غمغمة : الصوت .

٤ الطلح : المهازيل . الجرول : الأرض ذات الحجارة .

وَخَفَائِفاً فُجِعَتْ بِكُلِّ مَلأَى وَكُلُّ مَزَادِ مَاءٍ أَثْجَلِ[1]

وَعَلَى الرِّحَالِ عَصَائِبٌ مُلْتَاثَةٌ ، تَلْوِي بِشَعْرٍ ثَمَّ غَيْرِ مُرَجَّلِ

عَلِقَتْ حِبَالَكَ ثُمَّ أَقسَمَتِ المُنى أَنْ لا لُوِينَ بغَيْرِ حَبلِكَ أَنْمُلِي

أَمَلٌ جِئْنَا بِفِنَاءِ دارِكَ قاطِناً ، وَكَأَنَّهُ بِفِنَاءِ وَادٍ مُبقِلِ

وَمُجَلِّلٌ يُنْدِي يَدَيْكَ ، كَأَنَّما غَطَّاهُ عُرْفُ العَارِضِ المُتَهَدِّلِ[2]

أَرْجُوكَ للأَمْرِ الخَطِيرِ ، وَإِنَّمَا يُرْجَى المُعَظَّمُ للعَظِيمِ المُعضِلِ

وَأَرُومُ مِنْ عُلْوَاءِ عِزِّكَ غَايَةً قَعسَاءَ ،تَستَلِبُ النَّوَاظِرَ من عَلِ

كَمْ رَامَهَا منكَ الجَبانُ فرَاوَغَتْ شَقَّاءَ يَلعَبُ شِدْقُهَا بالمِسْحَلِ[3]

تُدْمِي قُلُوبَ الحَاسدِينَ ، وَتَنْثَنِي فَتَرُدُّ عَادِيَةَ الخُطُوبِ النُّزَّلِ

ضَاقَ الزَّمَانُ ، فضَاقَ فيه تَقَلُّبِي ، كالمَاءِ يَجمَعُ نَفسَهُ في الجَدْوَلِ

هذا الحُسَيْنُ إلى عَلائِكَ يَنْتَمِي شَرَفاً ، وَيَنسِبُ مَجدَهُ في المَحفِلِ

أَسْلَفْتَهُ وَعْداً ، عَلَيْكَ تَمَامُهُ ، وَسَيُدْرِكُ المَطْلُوبَ إنْ لمْ يَعجَلِ

فَاسمَحْ بفِعلِكَ بَعدَ قَوْلِكَ إنَّهُ لا يُحمَدُ الوَسمِيُّ إلاّ بالوَلِي[4]

فَلَعَلَّنَا نَمْتَاحُ إنْ لمْ نَغتَرِفْ ماءَ المُنَى ، وَنُعَلُّ إنْ لمْ نُنْهَلِ

كَمْ وَقْفَةٍ نَاجَيْتَهُ في ظِلِّهَا ، وَالقَوْلُ يَغْدُرُ بالخَطيبِ المِقْوَلِ

[1] الحقيبة : الرفادة في مؤخر الرحل . أثجل : واسع .

[2] المجلل : لعله أراد به المطر يعم الأرض . العارض : السحاب . وأراد بالعرف : الموج .

[3] الشقاء : الفرس البعيدة ما بين الفروج . المسحل : اللجام .

[4] الوسمي : أول مطر الربيع . الولي : المطر الذي يليه .

ثَبَتَتْ فيهَا وِطَاءَهُ ، وَوَرَاءَهُ جَزَعٌ يُقَلْقِلُ من قُلوبِ الجَندَلِ
إِليهِ ، وَكَمْ مِنْ نِعمَةٍ جَلّلْتَهُ ، تَضْفُو كَهُدّابِ الرِّداءِ المُخْمَلِ
فَسَمَا ، وَحَلّقَ كالعُقابِ إلى العُلى ، وَعَدُوُّهُ يَهْوِي هُوِيَّ الأجْدَلِ[1]
وَبِوُدّهِ لَوْ كَانَ قِرْناً سَالِفاً ، أوْ نُطْفَةً ذَهَبَتْ بداءِ مُغيلِ
وَمُشَمِّرِ العِرْنِينِ خَرّ جَبِينُهُ لكَ ، غَيرَ مَقبُولٍ وَلا مُستَقبَلِ
لمّا رَآكَ تَقَاصَرَتْ خُطُوَاتُهُ جَزَعاً ، وَجَعجَعَ بالرِّوَاقِ الأوّلِ
لله أنْتَ لَقَدْ أثَرْتَ صَنيعَةً بِيَدَيْ مُعَمٍّ في الصّنائعِ مُخوَلِ
شَرّفْتَنَا دُونَ الأنَامِ ، وَإنّمَا بِرُّ القَرِيبِ عَلاقَةُ المُتَفَضِّلِ
وَجَذَبْتَنَا جَذْبَ الجَرِيرِ إلى العُلى ، وَإذا ارْتَقَى مُتَمَطِّرٌ لمْ يَنْزِلِ[2]
فَلأنْتَ أوْلى بالإمَامَةِ وَالهُدَى ، وَأذَبُّ عَنْ وَلَدِ النّبيّ المُرْسَلِ
أغْبَارُ دَرٍّ مِنْ عَطَائِكَ تُفتَدَى مِنْ دَرّ غَيرِكَ بالضّرُوعِ الحُفَّلِ[3]
لَوْلا غَمَامُ نَداكَ أصبَحَ رَاكِبٌ يَشكُو الأُوَامَ ، وَقَدْ أنَاخَ بمَنهَلِ
وَأحَقُّ بالإطْرَاءِ بَاعِثُ مِنّةٍ ، وَصَلَتْ مِنَ الأرْحَامِ ما لم يُوصَلِ
مَوْلايَ مَن لي أن أرَاكَ ، وَكَيفَ لي بحُضُورِ دارِكَ ، وَالعَدُوُّ بمَعزَلِ
انظُرْ إليّ ببَعضِ طَرْفِكَ نَظرَةً ، يَسمُو لهَا نَظَرِي وَيَعرِبُ مِقْوَلي
فَالآنَ لا أرْضَى ، وَأنْتَ مُمَوِّلي برِضَى القَنُوعِ وَعِفّةِ المُتَجَمِّلِ

١ الأجدل : الصقر .
٢ الجرير : الحبل . المتمطر : الذاهب .
٣ الاغبار : البقايا . الحفل : الممتلئة .

نُعْمَى أميرِ المُؤْمِنِينَ حَرِيّــةٌ   أنْ لا نَنَامَ عَنِ الرّجَاءِ المُهْمَلِ
بِفَمٍ ، إذا رَفَعَ الكَلامُ سِجَافَهُ ،   أوْحَى بِنَائِلِهِ ، وَإنْ لمْ يُسْأَلِ
وَيَدٍ إذا استَمطَرْتَ عابِرَ مُزْنِهَا ،   دَفَقَتْ عَلَيكَ من الزُّلالِ السّلسَلِ
تَمْحُو أسَاطِيرَ الخُطُوبِ كمَا مَحَا   مَرُّ الشَّمَالِ مِنَ الغَمَامِ المُثْقَلِ
لا يَحتَمي بالرّمحِ بَاعُ مُؤيَّــدٍ ،   لَوْ شَاءَ طَاعَنَ بالسّمَاكِ الأعزَلِ
هذا الخَليفَةُ لا يَغُضّ عَنِ الهُدَى ،   إنْ نَامَ لَيْلُ القَائِمِ المُتَبَتِّلِ
لمّا أهَبْتُ بِنَصْرِهِ لِمُلِمّــةٍ ،   دَفَعَ الزّمانَ وَقد أناخَ بكَلْكَلِ
وَالَيْتُ فيه مَدائِحي ، فكَأنّما   أفرَغْتُ نَبْلي كُلّهَا في مَقْتَلِ
مِنْ كُلّ قَافِيَةٍ ، إذا أطْلَقْتُها   عَطَفَتْ عِنانَ الرّاكبِ المُستَعجِلِ
وَظَفِرْتُ مِنْ نَفَحَاتِهِ وَجِوَارِهِ   بِأجَلّ نَعْمَاءٍ وَأحْرَزِ مَوْئِلِ

احذر عدوك

يمدحه في شهر رمضان ويهنئه بمهرجان سنة ٣٧٧

أمُبَلّغي مَا أطْلُبُ الغَزَلُ ؟   أمْ لا فَتُنْجِدُني القَنَا الذُّبُلُ
وَالسّيْفُ أوْلى أنْ أعُوذَ بِهِ   مِمّا تَجُرّ الأعْيُنُ النُّجُلُ
وَأنَا الذي نَفَرَ الزّمَانُ بِهِ ،   وَاستَأنَسَتْ بِرِكَابِهِ السُّبُلُ

أسرِي علَى غرَرٍ ... دُونَ الرّجالِ ، الأينُقُ الذُّلُلُ[1]
لا المَالُ يَجذِبُني إليهِ ، وَلا ... يَعتاقُها الحَوذانُ وَالنَّفَلُ[2]
عَجِلٌ بيَ الشّدُّ الحَثيثُ إلى الـ ... غاياتِ خرّاجٌ بيَ المَهَلُ
في غِلمَةٍ ترَكُوا قُعُودَهُمُ ، ... نَزَعُوا وَراءَ اللّيلِ ، وَانحَفَلُوا[3]
وَإذا المَزَادُ حَمَى صَلاصِلَهُ ، ... قَنِعُوا بِمَا تَقضِي لَنَا المُقَلُ[4]
وَمُقَوَّمِ الأُذُنَينِ ... طَوداً أنافَ بصَدرِهِ جبَلُ
مُتَطاوِلٌ يُوفي معرده ... عُنُقاً تَضاءَلَ خَلفَها الكَفَلُ[5]
أجهَدتُهُ ، وَالكَرُّ يَعصِرُهُ ، ... وَالمَاءُ مِنْ عِطفَيهِ يَنهَمِلُ
وَنَجِيبَةٍ نَهَضَ الزّمانُ بِهَا ... مِنْ بَعدِ مَا قَعَدَتْ بِهَا العُقُلُ
صَدَعَتْ عَرَانِينَ الرُّبَى وَنَجَتْ ... هَوَجاً ، وَيُنجِدُ وَخدَها الرّمَلُ[6]
طَلَبَتْ أميرَ المُؤمِنِينَ ، وَلا ... أينٌ أطَافَ بِهَا وَلا مَهَلُ
حَيثُ العُلى لا يُستَرَابُ بِهَا ، ... وَالجُودُ لا يَلوِي بِهِ البَخَلُ
وَالطّائِعُ المَرْجُوُّ إنْ حُمِدَتْ ... أيدي الرّجَالِ وَقَلّ مَن يَسَلُ

١ الغرر : التعريض للهلكة .
٢ الحوذان : نبات طيب الطعم زهره أحمر في أصله أصفر . النفل : نبت من أحرار البقول طيب الرائحة تسمن عليه الإبل .
٣ الغلمة : جمع غلام . انحفلوا : اجتمعوا .
٤ المزاد ، الواحدة مزادة : جلود يضم بعضها إلى بعض ويوضع فيها الماء . صلاصله : بقية الماء فيه . المقل ، الواحدة مقلة : الحصاة يقتسم عليها الماء عند الحاجة .
٥ قوله : معرده ، لعله من عرد النجم : ارتفع ، فيكون المعنى عنقه المعرد ، المرتفع .
٦ الهوج : السرعة . الوخد والرمل : ضربان من السير السريع .

مَلِكٌ إذا حُضِرَ السِّمَاطُ بهِ ، كَثُرَ العِثَارُ ، وَطَبَّقَ الزَّلَلُ[١]
وَإذا السَّرِيرُ سَمَا بقَعْدَتِهِ ، غَرِيَتْ بظَاهِرِ كَفِّهِ القُبَلُ[٢]
جَلَّتِ الأئِمَّةُ عَنْ مَنَاقِبِهِ ، وَاستَوْدَعَتْهُ نُورَها الرُّسُلُ
وَإذا العُيُوبُ مَشَتْ إلَيْهِ بَدَا وَجْهٌ تَحَاوَصُ دُونَهُ المُقَلُ
فاللّحظُ مُحتَبِسٌ وَمُنطَلِقٌ ، وَالقَوْلُ مُنقَطِعٌ وَمُتّصِلُ
طَرِبٌ إلى النَّعْمَاءِ عَاهَدَهَا أنْ لا يَمُرَّ بسَمْعِهِ عَذَلُ
يَلقَى الخُطُوبَ،وَوَجهُهُ طَلِقٌ، وَيَخُوضُهُنّ ، وَقَلْبُهُ جَذِلُ
تُخفي بَشَاشَتُهُ كَالسّمّ مَوّهَ طَعمَهُ العَسَلُ
مِنْ مَعشَرٍ كَانَتْ سُيُوفُهُمُ حَلْياً لمَنْ ضرَبوا ، وَمَن عَطِلُوا
بالفَخرِ يَكْسُونَ الذي سَلَبُوا ، وَالذّكرِ يُحيُونَ الذي قَتَلُوا
أنْتَ الجَوَادُ ، إذا غَلا أمَلٌ ، وَالمُستَجَارُ ، إذا طَغَى وَجَلُ
وَمُطاعِنٍ بَعَثَتْ يَدَاكَ لَهُ طَعْناً يَذُلّ لوَقْعِهِ البَطَلُ
وَعَلِمْتَ أنّ السّيلَ يَدْفَعُهُ ، لمّا أطَلّ العَارِضُ الهَطِلُ
لله رُمْحُكَ يَوْمَ تُورِدُهُ ، وَالمَاءُ لا صَرِدٌ وَلا عَلَلُ[٣]
خَطِلُ المَنَاكِبِ لا يَميلُ بِهِ عِوَجٌ، وَمِنْ نَعتِ القَنا الخَطَلُ[٤]
وَمُطاعِنَينِ ، إذا هُمَا اعترَضَا ، يَتَطَاعَنَانِ ، وَللقَنَا زَجَلُ

١ السماط : صف القوم . وطبق : عم .
٢ غريت : أولعت .
٣ الصرد : الخالص . العلل : الشرب بعد الشرب .
٤ خطل المناكب : خشنها . الخطل : الاضطراب .

نَزَلَ المَصُورُ علَى فَرِيسَتِهِ ، وَمَضَى يُدَحرِجُ نَجوَهُ الجُعَلُ[1]
شَيخانِ : هذا فَارِسٌ بَطَلٌ أبَداً ، وَهَذا عَاجِزٌ مَذِلُ[2]
فإذا الزّمَانُ أرَادَ قَوْدَهُمَا ، حَرَنَ الجَوَادُ وَأصْحَبَ الوَعِلُ[3]
أمرِيدَ زَائِدَةِ الأنَامِ أقِمْ ، هَيهَاتَ مِنكَ الشّدُّ وَالعَجَلُ
أتُرِيدُ غَايَاتِ الفَخَارِ ، وَمَا لكَ نَاقَةٌ فِيهِ ، ولا جَمَلُ ؟
فانعَقْ بضَأنِكَ عَنْ أنَاطِحِهِ ، وَدَعِ الغَمِيرَ تَلسُّهُ الإبلُ[4]
يا قابِضَ الأيّامِ عَنْ وَجَلٍ ، بيَمينِهِ عَنْ مَسّهَا شَلَلُ
يَئِلُ الذي أمّنْتَ رَوْعَتَهُ ، وَالعُصْمُ في الأطْوَادِ لا تَئِلُ[5]
لِوَلِيّكَ الدّنْيَا مُزَخرَفَةٌ ، وَلأمّ مَنْ عَادَيتَهُ الهَبَلُ
إنْ قَالَ فيكَ عِداكَ مَنقَصَةً ، قَالُوا : السّمَاءُ أدِيمُهَا نَغِلُ
احذَرْ عَدُوّكَ أنْ تُقَرّبَهُ مِنْ قَلبِكَ الخَدَعَاتُ وَالحِيَلُ
لا تُخدَعَنّ عَلى رُقَاهُ ، وَلَوْ أرْضَاكَ مِنْهُ القَوْلُ وَالعَمَلُ
فَفُؤادُهُ حَنِقٌ عَلَيكَ ، وَإنْ طَاطَا ، وَذَلّلَهُ لكَ الوَجَلُ
إنّ المُجَرَّدَ في هَوَاكَ فَتًى لا اللَّوْمُ يَرْدَعُهُ ، وَلا العَذَلُ

١ النجو : الغائط . الجعل : ضرب من الخنافس .
٢ المذل : القلق الضجر .
٣ أصحب : انقاد بعد صعوبة . الوعل : تيس الجبل .
٤ انعق بضأنك : صح بها . أناطحه : لعلها جمع أنطح ، اسم تفضيل من نطح . الغمير : النبات
تلسه : تأكله بمقدم فمها .
٥ يئل : يلجأ . العصم ، الواحد أعصم : الظبي في ذراعيه بياض ، وسائره أسود أو أحمر .

مِثْلُ الحُسَيْنِ ، فَبَيْنَ أَضْلُعِهِ   قَلْبٌ بِغَيْرِكَ مَا لَهُ شُغُلُ
يُثْنِي عَلَيْكَ بِكُلِّ عَارِفَةٍ   أَبَداً ، وَسِتْرُ الغَيْبِ مُنْسَدِلُ
ذَاكَ الحُسَامُ أَطَلْتَ جَفْوَتَهُ ،   وَلَقَلَّ مَا ظَفِرَتْ بِهِ الخِلَلُ[1]
وَوَعَدْتَهُ وَعْداً تَعَلَّقَهُ ،   وَالوَعْدُ مَلْوِيٌّ بِهِ الأَمَلُ
فَانْهَضْ بِهِ فِي النَّائِبَاتِ تَجِدْ   عَضْباً تَسَاقَطُ دُونَهُ القُلَلُ
وَاسْلَمْ ، أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، إِذَا   شَرَعَ الحِمَامُ وَصَمَّمَ الأَجَلُ
مُتَقَلِّداً بِنِجَادِ مَمْلَكَةٍ   فِي غِمْدِهَا الأَقْدَارُ وَالدُّوَلُ
وَانْعَمْ بِيَوْمِ المِهْرَجَانِ ، وَلَا   نَعِمَ العُدَاةُ بِهِ ، وَلَا عَقَلُوا
فَلَأَنْتَ نَهَّاضٌ ، إِذَا قَعَدُوا ،   أَبَداً ، وَصَعَّادٌ ، إِذَا نَزَلُوا
يَوْمٌ تُجَدِّدُهُ السُّنُونَ ، وَقَدْ   دَرَجَتْ عَلَيْهِ الأَعْصُرُ الأُوَلُ
فَالنَّاسُ فِيهِ مُعَلَّلٌ طَرِبٌ   يَرْجُو الأُوَارَ ، وَشَارِبٌ ثَمِلُ
مَا اسْتَجْمَعَتْ فِرَقُ الهُمُومِ بِهِ   إِلَّا وَبَدَّدَ جَمْعَهَا الجَذَلُ
هُوَ خِطَّةٌ نَزَلَ الشِّتَاءُ بِهَا ،   وَالصَّيْفُ مُنْطَلِقٌ وَمُرْتَحِلُ
وَأَنَا الَّذِي أَهْوَى هَوَاكَ ، وَلَوْ   ضُرِبَتْ عَلَيَّ البِيضُ وَالأَسَلُ
وَطِئَتْ قَبَائِلُ غَالِبٍ عَقِبِي ،   وَتَشَرَّفَتْ بِمَقَامِيَ الحِلَلُ
وَفَقَأْتُ عَيْنَ البُخْلِ مُذْ كَثُرَتْ   بِنَدَاكَ عِنْدِي الأَيْنُقُ البُزُلُ
وَمُرَاغِمٍ يَغْدُو عَلَى قَنَصِي ،   فَيَحُوزُهُ ، وَيَدَايَ مُحْتَبِلُ[2]

١ الخلل ، الواحدة خلة : جفن السيف المغشى بالأدم .
٢ قوله : ويداي محتبل ، هكذا في الأصل .

خُضْتُ الغِمَارَ ، فَجَازَ جُمّتَهَا دُوني ، وَطَبّقَ ثَوْبِيَ البَلَلُ
وَمُذَكّرِي رَحِماً مُعَنّسَةً ، كالشّمسِ أخلَقَ ضَوءَها الطّفَلُ[1]
رَحِمٌ تَعَلّقُ بالبَعِيدِ ، كمَا عَلِقَ الحِبَاءَ النّازِحُ الطُّوَلُ[2]
اثنَانِ يَقتَطِعَانِ مِنْ فُرَصِي ، وَأنَا الذي أُرْخِي وَأهْتَبِلُ
غَرَضِي بِمَدْحِكَ أنْ يُطَاوِعَني عِوَجٌ بأيّامي ، وَيَعتَدِلُ
وَأقُومُ بَينَ يَدَيْكَ مُرْتَجِلاً ، لا العَيُّ يَقطَعُني ، وَلا الخَطَلُ
وَلَئِنْ نَمَا كُلُّ المَديحِ إلى فَلَتَاتِ قَوْلي ، وَانتَمَى الغَزَلُ
فالأرْضُ أمُّ التُّرْبِ أجمَعِهِ ، وَأبُو البَرِيّةِ كُلِّهَا رَجُلُ

وأنعم منا في الحياة بهائم

يمدحه أيضاً في شهر رمضان من سنة ٣٧٧ :

مَسِيرِي إلى لَيلِ الشّبابِ ضَلالُ ، وَشَيْبي ضِيَاءٌ في الوَرَى وَجَمَالُ
سَوَادٌ ، وَلَكِنّ البَيَاضَ سِيَادَةٌ ، وَلَيْلٌ ، وَلَكِنّ النّهَارَ جَلالُ
وَمَا المَرْءُ قَبلَ الشّيبِ إلاّ مُهَنّدٌ صَدِيٌّ ، وَشَيبُ العارِضَينِ صِقَالُ

١ معنسة : محبوسة . أخلق : أوهى . الطفل : قرب الغروب .
٢ الحباء ، من حبا المسيل : دنا بعضه من بعض .

وَلَيسَ خِضَابُ المَرْءِ إلاّ تَعِلّةً لمَنْ شَابَ مِنْهُ عَارِضٌ وَقَذالُ
وَللنّفسِ في عَجزِ الفَتى وَزِمَاعِهِ زِمَامٌ إلى مَا يَشتَهي وَعِقَالُ
بَلَوْتُ وَجرّبْتُ الأخِلاّءَ مُدّةً ، فأكثَرُ شَيْءٍ في الصّديقِ مَلالُ
وَمَا رَاقَني مِمّنْ أوَدُّ تَمَلّقٌ ، وَلا غَرّني مِمّنْ أحِبّ وِصَالُ
وَمَا صَحبُكَ الأدْنَوْنَ إلاّ أبَاعِدٌ، إذا قَلّ مَالٌ ، أوْ نَبَتْ بكَ حَالُ
وَمَنْ لي بخِلٍّ أرْتَضِيهِ ، وَلَيْتَ لي يَميناً يُعَاطِيهَا الوَفَاءَ شِمَالُ
تَميلُ بيَ الدّنْيَا إلى كُلّ شَهْوَةٍ ، وَأينَ مِنَ النّجْمِ البَعيدِ مَنَالُ
وَتَسلبُني أيدي النّوَائِبِ ثَرْوَتي ، وَلي مِنْ عَفَافي وَالتّقَنّعِ مَالُ
إذا عَزّني مَاءٌ ، وَفي القَلْبِ غُلّةٌ ، رَجَعْتُ ، وَصَبرِي للغَليلِ بَلالُ
أرَى كُلّ زَادٍ مَا خَلا سَدَّ جَوْعَةٍ تُرَاباً ، وَكُلُّ المَاءِ عِندِيَ آلُ
وَمِثْلِيَ لا يَأسَى عَلى مَا يَفُوتُهُ ، إذا كَانَ عُقبَى مَا يَنَالُ زَوَالُ
كَأنّا خُلِقْنَا عُرْضَةً لِمَنِيّةٍ ، فَنَحْنُ إلى داعي المَنُونِ عِجَالُ
نَخِفُّ عَلى ظَهرِ الثّرَى ، وَبُطونُهُ عَلَينا ، إذا حَلّ المَمَاتُ ، ثِقَالُ
وَمَا نُوَبُ الأيّامِ إلاّ أسِنّةٌ تَهَاوَى إلى أعْمَارِنَا وَنِصَالُ
وَأنْعَمُ مِنّا في الحَيَاةِ بَهَائِمٌ ، وَأثْبَتُ مِنّا في التّرَابِ جِبَالُ
أنَا المَرْءُ لاعِرْضِي قَرِيبٌ من العِدى، وَلا فيّ للبَاغي عَليّ مَقَالُ
وَمَا العِرضُ إلاّ خَيرُ عُضْوٍ من الفتى يُصَابُ ، وَأقْوَالُ العُداةِ نِبَالُ
وَقورٌ ، فإنْ لمْ يَرْعَ حَقّيَ جَاهِلٌ، سألتُ عَنِ العَوْرَاء كَيفَ تُقَال

إلى كَمْ أمشّي العِيسَ غَرْثَى كَليلَةً، وَأُودِعُ مِنْها رَبْرَبٌ وَرِئَالُ[1]
أرُوغُ كأنّي في الصّباحِ طَرِيدَةٌ، وَأسْرِي كأنّي في الظّلامِ خَيَالُ
تَمَطّى بِنَا أذْوَادُنا كلّ مَهمَهٍ، خَفَائِفَ تُخفِيهَا رُبًى وَرِمَالُ
لَطَمْنَا بِأيْدِيهَا الفَيَافي إلَيْكُمُ، وَقَدْ دامَ إغذاذٌ، وَطَالَ كَلالُ[2]
خَوَارِجُ مِنْ لَيْلٍ كَأنّ وَرَاءَهُ يَدَ الفَجْرِ في سَيفٍ جَلاهُ صِقَالُ
تُقَوِّمُ أعنَاقَ المَطيّ نُجُومُهُ، فَلَيْسَ لِسَارٍ فَوْقَهُنّ ضَلالُ
وَهَوْجاءَ قُدّامَ الرّكابِ مُغِذّةٍ، لهَا مِنْ جُلُودِ الرّازِحَاتِ نِعالُ
رَحَلْنا بِها كالبَدْرِ حُسْناً وَشَارَةً، وَمِلْنَا إلى البَيْداءِ . وَهيَ هِلالُ
إلَيكَ، أمينَ اللهِ، وَسّمْتُ أرْضَهَا بأخْفَافِهَا . يَدْنُو بِهِنّ نِقَالُ
أيَادِي أميرِ المُؤمِنِينَ كَثيرَةٌ، وَمَالُ إمَامِ المُؤمِنِينَ مُذالُ
وَأوْقَاتُهُ اللاّتي تَسُوءُ قَصِيرَةٌ، وَأيّامُهُ اللاّتي تَسُرّ طِوَالُ
مِنَ الضّارِبِينَ الهَامَ وَالخَيلُ تَدّعي، وَإنْ غَابَ أنصَارٌ وَقَلّ رِجَالُ
هُمُ القَوْمُ إنْ وَلّى المَعارِيكُ أقبَلوا، وَإنْ سُئِلُوا بَذْلَ النّوَالِ أنَالُوا
وَإنْ طَرَقَ القَوْمُ العَبُوس تَهَلّلُوا، وَإنْ مَالَتِ السُّمرُ الذّوَابِلُ مَالُوا
أُجيلُ لحاظي لا أرَى غَيرَ نَاقِصٍ، كَأنّ الوَرَى نَقْصٌ وَأنْتَ كَمَالُ
لَنَا كُلَّ يَوْمٍ في مَعاليكَ شُعبَةٌ وَفَائِدَةٌ لا تَنقَضِي وَنَوَالُ[3]

١ الغرثى : الجوعى . الربرب : قطيع بقر الوحش . الرئال ، الواحد رأل : فرخ النعام .
٢ الاغذاذ : الشد في السير . الكلال : التعب .
٣ الشعبة : الطائفة من الشيء . النوال : العطاء .

وَأنْتَ الذي بلّغْتَنَا كُلَّ غايَةٍ ، لهَا فَوْقَ أعنَاقِ النّجُومِ مَجَالُ
فَمَا طَرَدَ النّعمَاءَ وَعدُكَ سَاعةً ، وَلا غَضَّ من جدوَى يديك مَطالُ
إذا قُلتَ كانَ الفِعلُ ثانيَ نُطقِهِ ، وَخَيرُ مَقَالٍ مَا تَلاهُ فَعَالُ
أزِلْ طَمَعَ الأعداءِ عَنّي بفَتْكَةٍ ، فَلا سِلْمَ إلاّ أنْ يَطُولَ قِتَالُ
فَإنّ نُفُوسَ النّاكِثِينَ مُبَاحَةٌ ، وَإنّ دِمَاءَ الغَادِرِينَ حَلالُ
وَشَمّرْ، فَمَا للسّيفِ غَيرُكَ نَاصِرٌ ، وَلا للعوَالي ، إنْ قَعَدْتَ ، مَصَالُ
وَمَنْ لي بيَوْمٍ شَاحِبٍ في عَجاجِهِ ، أنَالُ بِأطْرَافِ القَنَا وَأنَالُ
لكَ الفَرَسُ الشّقرَاءُ في الجَوّ شمسُه لهَا مِنْ غَيابَاتِ الغُبَارِ جِلالُ
أرِدْني مُرَاداً يَقعُدُ النّاسُ دُونَهُ ، وَيَغبِطُني عَمٌّ عَلَيْهِ وَخَالُ
وَلا تَسمَعَنْ مِنْ حَاسِدٍ مَا يَقُولُه ، فَأكثَرُ أقْوَالِ العُداةِ مُحَالُ
هَنَاءٌ لكَ الصّوْمُ الجَديدُ ، وَلا تزَلْ عَلَيكَ مِنَ العَيشِ الرّقيقِ ظِلالُ
وَجادَكَ مُنهَلٌّ الغَمَامِ ، وَصَافحتْ حِمَاكَ جَنُوبٌ غَضّةٌ وَشَمَالُ
وَلا زَالَ مِنْ آمَالِنَا وَرَجَائِنَا عَلَيكَ ، وَإنْ سَاءَ العَدُوَّ ، عِيَالُ
وَفي كُلّ يَوْمٍ عندَنا منكَ عارِضٌ ، وَعِنْدَ الأعَادي فَيْلَقٌ وَنِزَالُ
أنَا القائِلُ المَحسودُ قَوْلي من الوَرَى ، عَلَوْتُ ، وَمَا يَعلُو عَليّ مَقَالُ
يَقُولونَ: حازَ الفَضْلَ قَوْمٌ بسَبقهم ، ِمَا ضَرني ابي وَزَالُوا
وَلا فَرْقَ بَيْني في الكَلامِ وَبَيْنَهُم بشَيْءٍ سِوَى أنّي أقُولُ ، وَقَالُوا
فَلا زَالَ شِعرِي فيكَ وَحدَكَ كُلُّهُ ، وَلا اضْطرّني إلاّ إلَيْكَ سُؤالُ

اشرف ممدوح

يمدح الملك شرف الدولة أبا الفوارس ابن عضد الدولة ويشكره على ما عمله مع أبيه من الجميل والتفضل ويصف القلمة التي كان والده فيها معتقلا ولم ينفذها إليه وذلك عند دخوله مدينة السلام سنة ٣٧٦ :

أحظَى المُلُوكِ مِنَ الأيّامِ وَالدّوَلِ ، مَنْ لا يُنَادِمُ غَيرَ البِيضِ وَالأسَلِ
وَأشرَفُ النّاسِ مَشْغُولٌ بِهِمّتِهِ ، مُدَفَّعٌ بَينَ أطرَافِ القَنَا الذُّبُلِ
تَطغَى على قَصَبِ الأبْطَالِ نَخوَتُهُ ، وَقائِمُ السّيفِ مَندُوبٌ إلى القُلَلِ ١
ما زِلتُ أبحَثُ أمرِي عَنْ عَوَاقِبِهِ ، حتّى رَأيتُ حُلُولَ العِزّ في الحُلَلِ ٢
وَفي التغَرّبِ إلاّ عَنْكَ مَغْنَمَةٌ ، وَمَنبِتُ الرّزْقِ بَينَ الكُورِ وَالجَمَلِ
لَوْلا الكِرَامُ أصَابَ النّاسَ كُلَّهُمُ داءُ البِعَادِ عَنِ الأوْطَانِ وَالحِلَلِ ٣
نَرْجُو ،وَبَعضُ رَجاءِ النّاسِ مَتعَبَةٌ ، قد ضَاعَ دَمعُكَ يا باكٍ على الطَّلَلِ
كمِ اغتَرَبتُ عنِ الدّنيا، وَما فَطِنَتْ بي المَهَامِهُ حتّى جَازَني أمَلي
في فِتيَةٍ رَكِبُوا أعرَاضَهُمْ وَرَمَوْا بالذّلّ خَلْفَ ظُهُورِ الخَيلِ وَالإبلِ ٤
وَالمَاءُ إنْ صَفِرَتْ مِنْهُ مَزَادُهُمُ ، شَرَيْتُهُ مِنْ بُطُونِ الأيْنُقِ البُزُلِ

١ القلل ، الواحدة قلة : أعلى الرأس . وأراد بالقصب : الرماح
٢ أبحث : أكاشف . الحلل : السلاح .
٣ الحلل ، الواحدة حلة : المجتمع ، مكان حلول القوم .
٤ الأعراص : النشاط .

إيهِ لَقَدْ أسرَ الدّنْيَا بنَجدَتِهِ ، أبُو الفَوَارِسِ ، وَالإقدامُ للبَطَلِ
صَانَ الظُّبَى واستلَذّ الرّأيَ وَانكشفتْ لَهُ العَوَاقِبُ بَيْنَ الهَمّ وَالجَذَلِ
ماضٍ عَلَى الهَوْلِ طَلاّعٌ بِغُرّتِهِ عَلَى الحَوَادِثِ مِقدامٌ عَلَى الأجَلِ
هُنّئْتَ ، يا مَلِكَ الأمْلاكِ ، منزِلَةً رَدّتْ عَلَيكَ بَهاءَ الأعصُرِ الأُوَلِ
دَعَاكَ رَبُّ المَعَالي زَيْنَ مِلّتِهِ ، وَمِلّةٌ أنْتَ فِيهَا أعظَمُ المِلَلِ
صَدَمتَ بَغدادَ ، وَالأيّامُ غافِلَةٌ ، كالسّيلِ يأنَفُ أنْ يأتِي عَلَى مَهَلِ
بِكُلّ أبْلَجَ مَعرُوفٍ بطَلعَتِهِ ، إذا تَنَاكَرَ لَيلُ الحَادِثِ الجَلَلِ
يا قائِدَ الخَيلِ ، إنْ كانَ السّنَانُ فماً ، فإنّ رُمحَكَ مُشتَاقٌ إلى القُبَلِ
وكَم مَدَدتَ على الأقرَانِ مِن رَهَجٍ في لَيلَةٍ تَغدُرُ الألحَاظُ بالمُقَلِ
وَمُستَغِرّينَ مَا زَالَتْ قُلُوبُهُمُ تُبَدّدُ الرّأيَ بَينَ الرّيثِ وَالعَجَلِ
حتّى أخَذْتَ عَلَيهِمْ حَتفَ أنفُسهم ما أظلَموا ببُرُوقِ العارِضِ الهَطِلِ
رَأوْا مَقَامَكَ ، فازْوَرّتْ عُيُونُهُمُ ، مَا كلّ لحظٍ إلى الآماقِ مِن قَبَلِ[1]
للهِ زَهْرَةُ مُلْكٍ قَامَ حَاسِدُهَا ، وَلَيسَ يَعلَمُ أنّ الشمسَ في الحَمَلِ
لا تأسَفَنّ مِنَ الدّنيا عَلَى سَلَفٍ ، فآخِرُ الشّهْدِ فينَا أعذَبُ العَسَلِ
وَلا تُبَالِ بفِعلٍ إنْ هَمَمْتَ بِهِ ، وَلَوْ رَمَى بكَ بَينَ العُذْرِ وَالعَذَلِ
لا تَمْشِيَنّ إلى أمْرٍ تُعَابُ بِهِ ، فَقَلّمَا تَفْطُنُ الأيّامُ بالزّلَلِ
للهِ أيُّ فَتًى أمسَتْ لُبَانَتُهُ رَذِيّةً بَينَ أيدي العِيسِ وَالسُّبُلِ[2]

١ القبل : إقبال سواد العين إلى الأنف .
٢ الرذية : الضعيفة .

لا يَنْشُدُ الحُبُّ رَأياً كَانَ أصْلَحَهُ   إذا الفَتَى طَرَدَ الآرَاءَ بالغَزَلِ
رَآكَ أشرَفَ مَمْدُوحٍ لمُمتَدِحٍ ،   وَخَيرُ مَنْ شَرَعَتْ فيهِ يَدُ الأمَلِ
نحَا لنَحوِكَ لا يَلوِي عَلى أحَدٍ ،   إنّ المُقيمَ عَنِ النُّزّاعِ في شَغَلِ[1]
وَلَيسَ يأتَلِفُ الإحسَانُ في مَلِكٍ ،   حتّى يُؤلَّفَ بَينَ القَوْلِ وَالعَمَلِ
فَمَا أمَلٌ مَديحاً أنْتَ سَامِعُهُ ؛   وَعاشِقُ العِزّ لا يُؤتَى مِنَ المَلَلِ
ما عُذْرُ مثليَ في نَقْصٍ ، وَقَوْلَتِهِ   إنّي الرّضِيُّ وَجَدّي خَاتَمُ الرّسُلِ
هذا أبي وَالذي أرْجُو النّجاحَ بهِ ،   أدْعُوهُ منكَ طَليقَ الهَمّ وَالجَذَلِ
لَوْلاكَ ما انفَسَحتْ في العَيشِ هِمّتُهُ ،   وَلا أقَرّ عُيُونَ الخَيْلِ وَالخَوَلِ
حَطَطْتَهُ مِنْ ذُرَى صَمّاءَ شَاهِقَةٍ   مِنَ الزّمَانِ عَلَيها غَيرُ مُحتَفِلِ
تَلعَاءَ عَالِيَةِ الأرْدافِ تَحسَبُها   رِشَاءَ عَادِيّةٍ مُستَحصَدِ الطُّوَلِ[2]
تَلقَى ذَوَائِبَهَا في الجَوّ ذاهِبَةً ،   يَلُفّهَا البَرْقُ بالأطْوَادِ وَالقُلَلِ
وَأنتَ طَوّقْتَهُ بالمَنّ جَامِعَةً ،   قامَتْ عَلَيهِ مَقامَ الحَلْيِ وَالحُلَلِ[3]
أوْسَعتَهُ ، فَرَأى الآمَالَ وَاسِعَةً ،   وَكُلُّ ساكِنِ ضِيقٍ وَاسِعُ الأمَلِ
جذَبْتَ مِنْ لهَوَاتِ المَوْتِ مُهجَتَهُ ،   وَكانَ يَطرِفُ في الدّنيَا على وَجَلِ[4]
ما كانَ إلاّ حُسَاماً أغمَدَتهُ يَدٌ ،   ثمّ انتَضَتهُ اليَدُ الأخرَى على عَجَلِ

١ النزاع : الغرباء .
٢ التلعاء : الطويلة العنق ، المرتفعة . الرشاء : الحبل . العادية : البئر القديمة . المستحصد : المفتول . الطول : الحبل أيضاً .
٣ الجامعة : الغل .
٤ لهوات ، الواحدة لهاة : اللحمة المشرفة على الحلق ، وأراد هنا أشداق الموت . يطرف : ينظر .

فاقذفْ بهِ ثُغَرَ الأهْوَالِ مُنصَلِتاً ، وَاستَنصِرِ اللّيثَ إنّ الخِيسَ للوَعَلِ[1]
وَلا تُطيعَنّ فيهِ قَوْلَ حاسِدِهِ ؛ إنّ العَليلَ لَيَرْمي النّاسَ بالعِلَلِ
أوْلى بتَكْرِمَةٍ مَنْ كانَ يَحمَدُها ، وَالحَمدُ يَقطَعُ بَينَ الجُودِ وَالبَخَلِ
كَفَاكَ مَنظَرُهُ إيضَاحَ مَخبَرِهِ ، في حُمرَةِ الخَدّ ما يُغني عن الخَجَلِ
تحَمّلَ الشّرَفَ العالي ، وكَمْ شرَفٍ غَطّى عَلَيهِ رِداءُ العَيّ وَالخَطَلِ
أوَيتَهُ مِنْ نِزَالِ المُستَطيلِ إلى مَرْعًى أنيقٍ وَظِلٍّ غَيرِ مُنتَقِلِ
إنّا لَنَرْجُوكَ ، وَالأيّامُ رَاغِمَةٌ ، وَالرّوْضُ يرْجو نوَالَ العارِضِ الخضِلِ
تَبلَى بدَوْلَتِكَ الدّنْيَا ، وَحاشَ لها أنْ لا يكُونَ عَلَينا أبرَكُ الدّوَلِ

احذر مرامي الاقدار

قال قدس الله روحه في الملك قوام الدين وقد ورد الخبر بشكاة عرضت له ثم نهض منها واستقل وذلك في شوال سنة ٣٩٨ :

لا زَعزَعَتكَ الخُطوبُ يا جَبَلُ ، وَبالعِدا حَلّ لا بِكَ العِلَلُ
قَدْ يُوعَكُ اللّيثُ لا لِذِلّتِهِ . عَلى اللّيَالي ، وَيَسْلَمُ الوَعِلُ
لا طَرَقَ الدّاءُ مَنْ بصِحّتِهِ يَصِحُّ مِنّا الرّجَاءُ وَالأمَلُ

١ الخيس : الشجر الملتف .

حاشَاكَ مِنْ عارِضٍ تُرَاعُ بِهِ ، ذاكَ فُتُورُ النّعيمِ وَالكَسَلُ
النّجمُ يَخفَى ، وَأنتَ مُتّضِحٌ ، وَالشّمسُ تَخبُو ، وَأنتَ مشتَعِلُ
وَأنتَ لا مُرْهَقٌ ، وَلا قَلِقٌ ، وَالبَدْرُ مُستَوْفِزٌ وَمُنتَقِلُ[1]
وَعْكٌ كمَا يُطبَعُ الحُسَامُ ، وَفي جَوْهَرِهِ صَاقِلٌ لَهُ عَمِلُ
ما ضَرّهُ ذاكَ ، وَهوَ مُنصَلِتٌ ، تَسقُطُ مِنْهُ الرّقَابُ وَالقُلَلُ
مَا صَرَفَ الدّهرُ عَنكَ أسهُمَهُ ، فكُلُّ جُرْحٍ يُصِيبُنَا جَلَلُ
بَاقٍ تَخَطّاكَ كُلُّ نَائِبَةٍ إلى العِدا ، وَالنّوَازِلُ العُضُلُ
قَدْ ضَمِنَ اللهُ أنْ تَدُومَ لَنَا مُسلَّماً ، وَالزّمَانُ وَالدّوَلُ
فَمَا يَقُولُ الأعداءُ لا بَلَغُوا الـ سؤلَ ، وَلا أدرَكُوا الذي أمَلُوا
ما قَدَرُوا ، لا عَلَتْ جدودُهُمُ ، وَلا نَجَوْا بَعدَها ، وَلا وَألُوا
لا خَوْفَ ، وَالجَدُّ مُقبِلٌ أبَداً ، عَلى اللّيَالي ، وَأنْتَ مُقْتَبِلُ
هَلْ قَدَمُ الطّوْدِ ، وَهيَ رَاسخةٌ ، يُخَافُ مِنهَا العِثَارُ وَالزّلَلُ
فانْتَفِضِي أيّهَا الرّؤوسُ لهَا ، وَاستَوْثِقي للقِيَادِ يا إبِلُ
فَقَدْ أعِدّتْ لكِ الأخِشّةُ ممْ ـهَا الشّدّةُ وَالغُرُوضُ وَالعُقُلُ[2]
لا تَرْتَعي مُعْشِباً ، مَنَابِتُهُ بِيضُ الظُّبَى وَالعَوَاسلُ الذُّبُلُ
تَرْعَى سَوَامَ العَبيدِ هَيبَتُهُ ، فكَيفَ يَرْضَى ، وَذَوْدُهُ هَمَلُ

١ المستوفز : المنتصب غير المطمئن .

٢ قوله : ممها ، هكذا في الأصل ، ولعلها محرفة . الأخشة ، الواحد خشاش : العود يجعل في عظم أنف البعير .

فقُلْ لِغَاوٍ مَشَى الظّلامُ بِهِ : أينَ ، إلى أينَ قادَكَ الخَطَلُ
طَمِعتَ أنْ تَرْتقي بِلا قَدَمٍ ، إلى العُلى ، رَاعَ أمَّكَ الثَّكَلُ
حَلِمتَ في نَوْمَةِ الغُرُورِ بِهَا شَرَّ حُلُومٍ وَغَرّكَ المَهَلُ
فاحذَرْ مَرَامِي الأقدارِ عَنْ مَلِكٍ ، مَا أمَرَ الدّهرُ ، فَهْوَ مُمْتَثَلُ
أتزْحَمُ البَحْرَ في غَطَامِطِهِ ، أمْ تَتَعَاطَى السّيُولَ ، يا وَشَلُ[1]
هَيهاتَ أنْ يَسبُقَ الجِيادَ وَجٍ ، وَيَطْلُعَ الغَادِ قَبلَها وَجِلُ[2]
بادَرْتَ نَهبَ العُلى فرَجرَجَهُ بُوعٌ طِوَالٌ وَأذْرُعٌ فُتُلُ
رَأى لِصَاباً ، فَشارَهَا صَبِراً ، ذُقِ الجَنَى قد أظَلّكَ العَسَلُ[3]
سَطْوٌ أقَامَ العِدَى عَلى قَدَمٍ ، وَقَوّمَ المَائِلِينَ ، فاعتَدَلُوا
قَدْ سَبَقَ السّيفُ عَذْلَ عاذِلِهِ لمّا تَجارَى الحُسَامُ وَالعَذَلُ
ألَيسَ مِنْ مَعشَرٍ بَنَوْا شَرَفاً صَعباً ، وَفيهِمْ خَلائِقٌ ذُلُلُ
قَشَاعِمٌ طَارَتِ الجُدُودُ بِهِمْ ، مُذ صَعِدُوا في العَلاءِ ما نزَلُوا[4]
مَدّوا عَلابيَّ مَجدِهم ، وَسَمَتْ بِهِمْ رِعَانُ الفَضَائِلِ الطُّوَلُ[5]
المُبشِرَاتُ العُلَى مَنَازِلُهُمْ ، وَالقِمَمُ العَالِيَاتُ وَالقُلَلُ[6]

١ الغطامط : العظيم الأمواج الكثير الماء . الوشل : الماء القليل .
٢ الوجي : الحافي . الغاد بكسر الدال ، أراد الغادي ، فحذف الياء ، وهو مثل قولهم الواد للوادي الوجل : الخائف .
٣ اللصاب ، الواحد لصب : مضيق الوادي ، الشعب الصغير في الجبل . الصبر : عصارة شجر مر
٤ القشاعم : النسور ، أو الأسد المسنة .
٥ العلابي ، الواحدة علباء : عصبة في صفحة العنق . الرعان ، الواحد رعن : أنف الجبل .
٦ المبشرات ، من أبشرت الأرض : أخرجت نباتها .

كَانُوا سَمَاءً لَنَا ، فلا عَجَبٌ، إنْ قَطَرُوا بالنَّوَالِ ، أوْ هَطَلُوا
طَالَ لُزُومُ القَنَا أكُفَّهُمُ يَنْآدُ مِنْ طَعْنِهِمْ وَيَعتَدِلُ
كَأنّ أيدِيهِم نَبَتْنَ لَهُمْ مَعَ القَنَا حَيثُ يَنبُتُ الأسَلُ
يُستَعذَبُ القَتْلُ مِنْ أكفّهِمِ كَأنّهُمْ يَنْشُرُونَ مَنْ قَتَلُوا
ما أهمَلُوا السّائماتِ حَيثُ رَعَوْا ، وَلا أضَاعُوا الأمورَ حينَ وَلُوا
إذا استَهَبُوا سُيُوفَهُمْ أبَداً ، فَلَمْ أُعِدّ الغُمُودُ وَالخُلَلُ
مِنْ كُلّ مَمطُورَةٍ مَخالِبُهُ عَلَى العِدا ، غَيرَ أنّهُ رَجُلُ
يَعتَرِفُ النّاسُ في مَطالِبِهِ ، وَيَلْتَقي عِنْدَ بَابِهِ السُّبُلُ
يُرَى جَبَاناً عَنْ رَدّ سَائِلِهِ ، وَهوَ إذا اعصَوْصَبَ الوَغى بَطَلُ
بِعُودِهِ عِنْدَ ضَنّهِ يَبَسٌ ، وَفي يَدَيْهِ مِنَ النّدَى بَلَلُ
كَمْ نِعمَةٍ مِنكَ كاللّطيمَةِ مَسْـ ـرَاهَا نَمُومٌ وَعَرْفُهَا ثَمَلُ[1]
ألْبَستَنِيها بغَيظِ طالِبِهَا ، وَغُودِرَتْ في الأضَالِعِ الغُلَلُ
أصْبَحَ كَيدُ العَدُوّ يَجذِبُهَا عَنّي ؛ لأيدي الجَوَاذِبِ الشّلَلُ
ما لي ، إذا شِئتُ أنْ أزَادَ حِلًى ، مِنْ غَيرِكُم كانَ حَظّيَ العَطَلُ
أرَى نِهَاباً تُسَاقُ حَافِلَةً ، لا نَاقَةٌ لي بِها وَلا جَمَلُ[2]
وَشَرُّ مَا يَرْجِعُ الغَرِيُّ بِهِ أنْ عَادَ يَرْمي ، وَفَاتَهُ الوَعِلُ
أينَ نَدَى كَفّكَ الكَرِيمِ لَهَا ، وَأينَ عاداتُ طَوْلِكَ الأُوَلُ

١ اللطيمة : وعاء المسك . العرف : الرائحة . الثمل : الباقي ، المقيم .
٢ النهاب : الغنائم .

بنا الأذى لا بكُم، إذا نزَلَ الخطْـ ـبُ طرُوقاً ، وَصَمّمَ الأجَلُ
وَدُمتُمُ للعُلَى ، وَعَيْشُكُمُ غَضٌ، وَرَاوُوقُ عِزّكمْ خَضِلُ
لا عَجَبٌ إنْ نَقيكُمُ حَذَراً ، نَحنُ جُفُونٌ ، وَأنتُمُ مُقَلُ

ينابيع الندى

قال أيضاً قدس الله روحه وكتب بها إلى حضرة الملك قوام الدين يمدحه ويهنئه بالنيروز سنة٣٩٩ :

أينَ الغزَالُ المَاطِلُ ، بَعدَكِ ، يا مَنَازِلُ
قَدْ بَانَ حَالي سِرْبِهِ ، فَلِمْ أقَامَ العَاطِلُ ؟
مَنْ لقَتيلِ الحُبّ لَوْ رُدّ عَلَيْهِ القَاتِلُ
يَجرَحُهُ النبْلُ ، وَيَهْـ وَى أنْ يَعُودَ النّابِلُ
شُيّعَ بالقَطْرِ الرِّوَى ذاكَ الشّبَابُ الرّاحِلُ
مَا سَرّني مِنْ بَعْدِهِ الأعوَاضُ وَالبَدائِلُ
مَا ضَرّ ذي الأيّامَ لَوْ أنّ البَيَاضَ النّاصِلُ
كُلٌّ حَبيبٍ أبَداً أيّـامُهُ قَلائِلُ
ظِلٌّ ، وَكَمْ يَبقَى عَلى فَودِكَ ظِلٌّ زَائِلُ
لَقَدْ رَأى بِعَارِضَيْـ ـكَ مَا أحَبّ العَاذِلُ

وَاسترْجَعَتْ مِنكَ اللّحا ظَ الخُرّدُ العَقَائِلُ
وَأُغْمِدَتْ عَنكَ نُصُو لُ الأعيُنِ القَوَاتِلُ
فَلا الدّمَالِيجُ يُقَعْقِعْ نَ ، وَلا الخَلاخِلُ
فإنْ وَعَدْنَ ، فَاعْلَمَنْ أنّ الغَرِيمَ المَاطِلُ
وَوَعدُ ذي الشّيبَةِ بالوَصْ لِ غُرُورٌ بَاطِلُ
سَقَى لَيَالي الدّارِ جَوْ نُ بَرْقَةٍ سُلاسِلُ[1]
يَخْلُفُهُ عَلى الرُّبَى الـ نُّوّارُ وَالخَمَائِلُ
أطْفَالُ نَوْرٍ أرْضَعَتْ هَا الفِرَقُ المَطَافِلُ[2]
تُكْسَى العَوَالي ، وَتُحَ لّى بَعْدَهُ العَوَاطِلُ
كَأنّمَا يُمْطِرُهُ مَلْكُ المُلُوكِ العَادِلُ
هُوَ الحَيَا ، وَفي الحَيَا مِنْ جُودِهِ شَمَائِلُ
غِيَاثُ كُلّ أزْمَةٍ ، إنْ عَضّ عَامٌ مَاحِلُ
وَدَاعِمُ الدّنْيَا ، إذا مَادَتْ بِهَا الزّلازِلُ
لَيثٌ هَمُوسُ اللّيلِ عَـ دّاءُ النّهَارِ بَاسِلُ[3]
ذُو رَاحَةٍ يَعْتَرِكُ البَأ سُ بِهَا وَالنّائِلُ
الفَاعِلُ الفِعْلَ الّذِي يَعْجِزُ عَنْهُ القَائِلُ

١ السلاسل : العذب .
٢ الفرق ، الواحدة فرقة : ما دون المئة من الإبل ، استعارها للسحاب الماطر . المطافل : ذوا الأطفال .
٣ هموس الليل : سيار فيه .

وَالحَامِلُ العِبْءَ رَمَى أقَلَّ مِنْهُ الحَامِلُ
وَالقَائِدُ الفَيْلَقَ تَنْ مَادُ لَهُ القَبَائِلُ
تَنسَدُّ فيهِ الشَّمْسُ قَدْ تَاهَتْ بِهَا القَسَاطِلُ[1]
قَنَابِلٌ تَحفِزُهَا إلى الرَّدَى قَنَابِلُ[2]
جَمْعٌ كَشَجْرَاءِ اللَّدِيـ ـدَيْنِ لَهُ أرَامِلُ[3]
يَخْشَى عَوَالِيهِ وَرَا ءَ الحَبَرِ المُقَاتِلُ[4]
كَأنَّ مَعرُوضَ القَنَا يَنْقُلُهُ الصَّوَاهِلُ
أرَاقِمٌ تَحْمِلُهَا عَقَارِبٌ شَوَائِلُ[5]
كَمَا تَثُوبُ الدَّبْرُ قَدْ عَادَ إلَيْهَا العَاسِلُ[6]
فَقُلْ لِغَاوٍ مَدَّهُ في الغَيِّ رَأيٌ قَاتِلُ :
إنّي ارْتَقَيتُ خِطَّةً ، أمُّكَ فيهَا هَابِلُ
سَاوَرْتَ أطْوَاداً تَرَ دَّى دُونَهَا الأجَادِلُ
رَدَّكَ عَنْ صُعُودِهَا بالخِزْيِ جَدٌّ نَازِلُ
فَاتَ يَدَيْكَ قَابُهَا ، وَالقُلَلُ الأطَاوِلُ

١ القساطل ، الواحد قسطل : غبار الحرب .
٢ القنابل ، الواحدة قنبلة : الطائفة من الناس والخيل . تحفزها : تسوقها ، تدفعها .
٣ اللديدان : جانبا الوادي . الأرامل ، الواحدة أرمولة : أصل شجر العرفج .
٤ الحبر بفتح الباء : كثرة النبات في الأرض ، والأثر . وبكسر الباء : البرد الموشى .
٥ الشوائل : الرافعات أذنابها .
٦ الدبر : جماعة النحل .

وَهَلْ تَنَالُ مَا عَلا عَنْ لحظِكَ الأنَائِلُ[1]
يا لَكَ مِنْ حَافٍ مَشَى حَيْثُ يَنزِلُ النَّاعِلُ
إنَّ قِوَامَ الدِّينِ عَنْ ثُغْرِ العُلَى مُنَاضِلُ
يُمَنَّعُ الطَّوْدَ ، فَلا رَاقٍ وَلا مُطَاوِلُ
أمَا رَأى ابنُ وَاصِلٍ تَقْنِصُهُ الحَبَائِلُ
ألْقَاهُ في تَيَّارِ جَمٍّ مَا لَهُ سَوَاحِلُ
فَطَارَ تَرْقيهِ الظُّبَى ، وَالأسَلُ الذَّوَابِلُ
أفْلَتَهَا مُنْخَرِقُ الجِلْدِ لَهُ وَلاوِلُ
عَارٍ عَلى عَاتِقِهِ مِنْ دَمِهِ حَمَائِلُ
يَنزِلُ مِنْهُ مَنزِلَ الرَّدْفِ الطَّوِيلُ الذَّابِلُ
يَلفِظُهُ لَفْظَ السَّحَا الآطَامُ وَالمَعَاقِلُ[2]
تَقَطَّعَتْ بَيْنَهُمَا بالقُضُبِ الوَسَائِلُ
دَلاّهُ فِيهَا مِثلَ مَا دَلّى السِّنَانَ العَامِلُ
يَمْضِي العَوَالي حَيْثُ تَثْوِي تحتَها الأسَافِلُ
وَمَا عَلى الأكْعُبِ أنْ تَنحَطِمَ العَوَامِلُ
حَاوَلَ رَدَّ غَرْبِهَا ، يا بُعْدَ مَا يُحَاوِلُ
كَدافِعٍ في صَدرِ سَيْلِ الطَّوْدِ، وَهوَ سَائِلُ

١ الأنائل ، الواحد نائل : ما ناله الإنسان .
٢ السحا : ما انقشر من الشيء . الآطام والمعاقل : الحصون

حَتّى امتَطَى رَاحِلَةً تُنْكِرُهَا الرّوَاحِلُ
لا تَرِدُ المَاءَ ، وَلا تُطْوَى بِهَا المَنَازِلُ
لِرَبّهَا نَبَاهَةٌ في النّاسِ ، وَهوَ خَامِلُ
في العَينِ عَالٍ ، وَهْوَ في الـ قَلْبِ مُذالٌ سَافِلُ[1]
وَفَارِسٌ لا يَنْزِلُ الـ دّهْرَ ، وَلا يُنَازِلُ
فاخبِطْ رَصِيدَ فِتْنَةٍ تُخْشَى بِهَا الغَوَائِلُ
هُنَاكَ ضَبٌّ كِدْيَةٍ لاطَ ، وَذِئْبٌ عَاسِلُ[2]
فَاليَوْمَ بَكْرٌ ، وَغَداً صَعْبُ القِيَادِ بَازِلُ
وَاللهُ فِيهِ ضَامِنٌ لِمَا أرَدْتَ كَافِلُ
إنْ كَانَ ذا العَامُ لَهُ ، فَلِلْمَنَايَا قَابِلُ
وَمِنْ دَوَاءِ الدّاءِ أنْ مَاطَلَ كَيٌّ عَاجِلُ
في كُلّ يَوْمٍ مِنْ أيَا دِيكَ قَطِينٌ نَازِلُ
أبْعُدُ عَنهُ ، وَهْوَ عَـ نّي في البِلادِ سَائِلُ
كَالغَيْثِ ضَوْءٌ بَارِقٌ مِنْهُ ، وَرَيٌّ وَابِلُ
أوَاخِرٌ مِنْ مِنَنٍ يَضُمّهَا الأوَائِلُ
فَنِعْمَ لي مِنْ وَلَدٍ ، وَنِعْمَتِ الحَوَامِلُ
فَدُمْ عَلى الدّهْرِ تَخَـ طّى رَبْعَكَ النّوَازِلُ

١ المذال : المهان .
٢ الكدية : الأرض الصلبة . لاط : لصق .

مَا لكَ عَنْ دارِ العُلَى ، أُخرَى اللّيَالي ، نَاقِلُ
وَابْلُغْ مِنَ النّيرُوزِ مَا يَبْلُغُ مِنْكَ الآمِلُ
تَمضِي اللّيَالي بِكَ ، وَالْـ مِقدارُ عَنكَ غَافِلُ
كالنّصْلِ يَمْضِي صَاقِلٌ عَنْهُ ، وَيَأتي صَاقِلُ
وَهوَ ، كمَا سَاءَ العِدا ، مَاضِي الغِرَارِ قَاصِلُ
آلَ بُوَيْهٍ أنْتُمُ الْـ أعْنَاقُ وَالكَوَاهِلُ
فيكُمْ يَنَابيعُ النّدَى ، وَالدُّلّحُ الهَوَامِلُ[1]
هَوَاجِرُ الأيّامِ في ظِلالِكُمْ أصَائِلُ
وَالنّاسُ أنتُم ، وَسِوَا كُمْ بَاقِرٌ وَجَامِلُ
مَا في الرّجَاءِ بَعدكُمْ ، وَلا البَقَاءِ طَائِلُ

[1] الدلح ، الواحد دالح : السحابة الكثيرة الماء .

الرؤوس الطائشة

قال أيضاً وكتب بها إلى حضرة الملك قوام الدين يشكره على ورود الكتب من حضرته الشريفة يتضمن الأمر بإعداد الخلع الجليلة والحملان له أبداً من غير مسألة على العادة الجارية في نظير هذه الحال ويومي إلى الاستعفاء من ذلك لأعذار لا يحتمل الموضع ذكرها وذلك في جمادى الأولى سنة ٤٠٢ :

أهْلاً بِهِنّ على التّنْويلِ والبَخَلِ ، وقرّبتْهُنّ أيْدي الخيْلِ والإبِلِ
القاتِلاتُ بِلا عَقْلٍ ولا قَوَدٍ ، والماطِلاتُ بِلا عُذْرٍ ولا عِلَلِ [1]
كأنّ اللّقاءُ إساءاتٍ بِذي سلَمٍ إلى القُلُوبِ وإحساناً إلى المُقَلِ
كأنّما عاذِلاتُ الصّبّ بَعدَهُمُ ، يفتِلْنَ عُقْلاً لشُرّادٍ مِنَ النُّزُلِ [2]
يَرِمنَ في السّارِحِ المَرْعيّ مَحبسَهُ ، وَهمُّهُ اليوْمَ أنْ يَغدُو معَ الهَمَلِ [3]
رَمَيْنَ منهُ وَحادي الشّوْقِ يَحفِزُهُ ، بقاطِعٍ رَبَقَ الأقيادِ والعُقُلِ [4]
يَطلُبْنَ بُرْئي بأمرٍ زادَ في سَقَمي ؛ إنّ الأُساةَ لأعْوانٌ مَعَ العِلَلِ
حاوَلْنَ شَغلَ فُؤادي مِنْ عَلاقَتِهِ بالعَقلِ ، والقلبُ عندَ البيضِ في شَغَلِ
إنّ الرّبائِبَ مِنْ غِزْلانِ أسنِمَةٍ ، أعلَقْنَ ذا الشّيبَ أعلاقاً منَ الغَزَلِ [5]

١ العقل : الدية . القود : القصاص ، قتل القاتل بدل القتيل .
٢ العقل ، الواحدة عقلة : ما يعقل به ، أي يربط به كالقيد، أو الواحد منها عقال: حبل يشد البعير في وسط ذراعه . النزل : النازلون .
٣ يرمن ، من رام يريم بالمكان : ثبت وأقام .
٤ الربق ، الواحدة ربقة : العروة في الحبل .
٥ أسنمة : اسم لجبال .

مِنْ كُلّ رِيمٍ هَوَى ألحاظُ مُقْلَتِهِ ... يُمسِينَ للعُذْرِ أنصاراً على العَذَلِ
حُلِيُّهُ جِيدُهُ لا مَا يُقَلِّدُهُ ، ... وَكُحْلُهُ مَا بِعَيْنَيْهِ مِنَ الكَحَلِ
غَادٍ تَلَفّتَ ، وَالمُشتاقُ يَتْبَعُهُ ، ... صَفْحَ الطّليقِ إلى المَقصُورِ بالطِّوَلِ[1]
أمَا كَفَاهُمْ لَجَاجُ الدّمْعِ بَعدَهمُ ، ... حتّى استَعانُوا على عَيْنيّ بالطَّلَلِ
يا قاتَلَ اللهُ رَيعَانَ الشّبابِ ، وَمَا ... خَلّى عَليّ مِنَ الأشجانِ وَالغُلَلِ
وَرَفضَةٍ مِنْ سَوَادِ اللّيلِ مُطمِعَةٍ ... كَانَ المَشيبُ إلَيها رَائدَ الأجَلِ[2]
قالُوا : الجِفانُ لوُدّ البِيضِ مُطمِعَةٌ ؛ ... قد ضَلّ طالِبُ وُدّ البِيضِ بالحِيَلِ
إنّي أقُولُ لِمَلاّقٍ رَكَائِبُهُ : ... مَهْلاً عليكَ فليسَ الرّزْقُ بالعَجَلِ
لَيسَ المُقَامُ بشَانٍ عَنكَ وَارِدَةً ... من الحُظُوظِ ، وَلا الأرْزَاقُ بالرِّحَلِ
أما تَرَى الرّزْقَ في الأوْطانِ يَطرُقُني ... وَلَمْ أُقَلقِلْ أُصَيْحَابي وَلا إبِلي
في كُلّ يَوْمٍ قِوَامُ الدّينِ يَنضَحُني ... بِمَاطِرٍ غَيرِ مَتزُورٍ وَلا وَشَلِ
يَرْوِي ، وَلَمْ يُتَوَقّعْ صَوْبُ عَارِضِهِ ، ... وَلَمْ يُقَدِّمْ بَشيرَ الطّارِقِ العَمِلِ
ظَفِرْتُ بالنّفَلِ المَطلوبِ في وَطَني ، ... وَإنّمَا يَرْجِعُ الغَازُونَ بالنّفَلِ[3]
مِنْ كُلّ بَيضَاءَ لم تَخطُرْ على خلَدي ... مِنَ الأيَادِي وَلَمْ تَبلُغْ إلى أمَلي
ذَرّتْ إليّ ذُرُورَ الشّمسِ طالِعَةً ، ... شُرُوقُهَا أبَداً بَاقٍ بِلا أُصُلِ[4]

١ أراد بالمقصور بالطول : المقيد أو المربوط بالحبل .

٢ الرفضة : الشيء القليل .

٣ النفل : الغنيمة .

٤ ذرت : طلعت . الأصل ، الواحد أصيل : الوقت بعد العصر والمغرب .

في كُلّ يَوْمٍ جَدِيدٌ مِنْ صَنَائِعِهِ إليّ، لا نَاقَتي فيهَا وَلا جَمَلي

يَرُدّني بقَنِيصٍ مَا نَصَبْتُ لَهُ عَلى المَطامعِ أشرَاكاً مِنَ الأمَلِ

وَسَمتَ عقلي وَأرْغَمتَ المَعاطِسَ في مَنّ العِدا وَأقَمتَ الصّفوَ مِن ميَلي

رَفَعتَ نَارِي عَلى عَلياءَ مُشرِفَةٍ مِنَ المَعالي وَأخضَعتَ النّوَائِبَ لي

فهَلْ تَرَكتَ لذِي الأوْطارِ مِنْ وَطرٍ يَسعَى لَهُ وَلذي الآمَالِ مِنْ أمَلِ

لمْ يُبقِ طَولُكَ في جِيدي مكَانَ حلًى، وَإنّمَا يُستَعَارُ الحَلْيُ للعَطَلِ

أغنَتْ مَلابِسُ فَخرٍ أنتَ مُسحِبُها عن رائعِ الحَلْيِ أوْ عن رائقِ الحُلَلِ

أنتُمْ لَنَا نَفَسٌ مِنْ كُلّ كَارِبَةٍ، وَأنجُمٌ في ظَلامِ الحَادِثِ الجَلَلِ

تَنبُو إذا لمْ تَكُنْ عَنكُمْ ضَرَائِبُنا، وَالسّيفُ أقطَعُ شيءٍ في يَدِ البَطَلِ

النّاسُ ما غِبتُمُ سِلكٌ بلا دُرَرٍ، وَلا نِظامٍ، وَأجفَانٌ بِلا مُقَلِ

مثلُ النّهارِ بلا شَمسٍ تُضِيءُ بِهِ، أوِ الظّلامِ بِلا بَدْرٍ وَلا شُعَلِ

مِنْ مَعشَرٍ وَرَدُوا العَلياءَ جُمعتَها، وَسَابَقُوا عَجَلَ الجَارِينَ بالمَهَلِ

لَقُوا الخُطوبَ بلاخَوْفٍ وَلا ضَعَفٍ، وَالرّائِعاتِ بِلا مِيلٍ وَلا عُزُلِ[1]

طَارُوا بألبَابِ ذُؤبَانٍ مُسَوَّمَةٍ، رَعَينَ بَينَ مَجالِ البِيضِ وَالأسَلِ

في جَحفَلٍ كَشَحَاءِ البَحرِ مَدّ بهِ مُزَمجِرٌ يَضرِبُ العِرْنِينَ بالجَفَلِ[2]

مَجرُّهُ كَمَجَرّ السّيلِ ذُو لَثَقٍ من انبعاقِ الدّمِ الجارِي وَذو خَضَلِ[3]

١ لعله أراد بالميل جمع اميل : من يميل على السرج إلى جانب ، والجبان ، وبالعزل : من لا سلاح له.

٢ شحاء البحر : أراد سعته . الجفل : الهزيمة والهرب .

٣ اللثق : الماء والطين المختلطان ، الوحل . الخضل : الابتلال .

يَرْمي بهِ مَلِكُ الأمْلاكِ يُعتِبُهُ قَطْعُ الدَّليلِ بِما يُعمي مِنَ السُّبُلِ[1]
أمَا نهَى النّاسَ عَنكُمْ صَوْبُ بارِقَةٍ يَشكُو إلى اليَوْمِ ناحيها مِنَ البَلَلِ
في أرْبَقٍ ،وَسُيُوفُ المَوْتِ مَاضِيَةٌ ، يُطِعْنَ أمرَكَ في الأعنَاقِ وَالقُلَلِ[2]
قَصّرْتَ رُمحَكَ طُولاً في صُدورِهِمُ ، وَرُمحُ غَيرِكَ لمْ يَقصُرْ ولَمْ يَطُلِ
طاشَتْ رُؤوسُهُمُ حتّى جَعَلْتَ لهمْ مَناصِياً مِنْ أنابيبِ القَنَا الذُّبُلِ
رَامُوا بذُلّهِمُ إيهَانَ عِزّكُمُ ، كَمُبرِدِ القَيْنِ نَحّاتاً مِنَ الجَبَلِ
فأينَ رُخمُ الرّقَابِ الغُلْبِ رَافعَةً دونَ العُلى وَقِرَاعُ الأذرُعِ الفُتُلِ[3]
هَيهاتَ رَدّتْ إلى الأعناقِ كَانِعَةً أيدٍ قَصُرْنَ عَنِ الأطوَادِ وَالقُلَلِ[4]
كَدَأبِها يَوْمَ يَمٍّ ، وَالقَنَا شَرَعٌ ، وَالضّرْبُ يُبعِدُ بَينَ العُنقِ وَالكَفَلِ
أسَلْنَ بالدّمِ وَادي كُلّ غَامِضَةٍ مِنَ العُيُونِ كَمَاءِ المُزْنِ لمْ يَسِلِ
حتّى رَجَعنَ وَلَمِ يَترُكْنَ فَاغِرَةً مِنَ العَدُوّ إلى قَوْلٍ وَلا عَمَلِ
جَرَى الثّقَافُ عَلى عُوذٍ مُقَلْقَلَةٍ ، ذَوْدَينِ مِنْ أوَدٍ بادٍ وَمنْ خَطَلِ[5]
قَضَى لكَ اللهُ أنْ يَجرِي بِلا أمَدٍ ، وَأنْ يَدُومَ مَعَ الدّنْيَا بِلا أجَلِ
تَوَقُّلاً في بِنَاءٍ غَيرِ مُنتَقِضٍ مِنَ المَعَالي ، وَظِلٍّ غَيرِ مُنتَقِلِ

١ يعتبه : يرضيه ، ويزيل عتبه .
٢ اربق : اسم قرية برامهرمز .
٣ الرخم ، الواحد أرخم : وهو من الخيل ما كان أبيض وسائره أسود .
٤ كانعة : مشنجة .
٥ العوذ : الحديثة النتاج من الظباء والإبل والخيل . ذودين ، الواحد ذود : القطعة من الجمال . الأود : الاعوجاج . الخطل : الخطأ . والبيت غامض معناه .

مُعطًى عِنَاناً من النُّعمَى فقُدْتَ بهِ تَغَايُرَ الدّهْرِ بالأيّامِ والدّوَلِ
وكُلّما جُزْتَ عاماً أوْ بلَغتَ مَدًى رُدَّ الزّمَانُ عَلى أيّامِكَ الأُوَلِ

صفحات بيض

يمدح الملك قوام الدين على رسمه في خدمته في النيروز الفارسي الواقع في شعبان سنة ٤٠٢ :

ذكَرْتُ، على بُعدِها مِن مَنالي، مَنَازِلَ بَينَ قَبَأ والمَطَالِ
ومَبْنَى قِبَابِ بَنِي عَامِرٍ ، عَلى الغَوْرِ أطنَابُهُنّ العَوَالي
عَقَائِلُ عَلّمَهُنّ العَفَا فُ وَصْلَ المطالِ ومَطلَ الوِصَالِ
مَرَابِعُ يَشكُو بِهِنّ الجِرَاحَ أسودُ الشّرَى من ظِباءِ الرّمالِ
مَضَاحِكُهُنّ عُقُودُ العُقُودِ ، وَأجْيَادُهُنّ لآلي اللآلي
أبَعدَ الأسَى عَادَ عِيدُ الغَرَا مِ ،وَقَرْفٌ منَ الشّوْقِ بعدَ اندمالِ
هَوًى بَينَ مُقتَصٍّ إثْرِ الغَزَا لِ وَلّى ،وَمُنتَصٍ جيدِ الغزّالِ[1]
وَمَا طَلَبُ البَذْلِ مِن بَاخِلٍ بِمَيسُورِهِ ، غَيرُ داءٍ عُضَالِ
وَمَا زَالَ يَلْوِي دُيُونَ الهَوَى، وَيُؤيِسُنَا مِنْ قَلِيلِ النّوَالِ

١ المنتص ، من انتص : ارتفع .

إلى أنْ قَنِعْنَا بِزَوْرِ المَـزَا ... رِ، بَعدَ النّوَى، وَخَيَالِ الخيالِ
إلَيكَ ، فَقَدْ قَلَصَتْ شِرّتي، ... بُعيدَ البَيَاضِ ،قُلوصَ الظِّلالِ [1]
وَبُدّلْتُ مِمّا يَرُوقُ الحِسَا ... نَ مِن مَنظَرٍ ما يَرُوعُ العَوَالي
سَوَادٌ يُعَجّلُ زَوْرَ البَيَاضِ ، ... عُلُوقَ الضِّرَامِ بِرَأسِ الذُّبَالِ
وَمَرّ عَلى الرّأسِ مَرَّ الغَمَامِ ، ... قَليلَ المُقَامِ سَرِيعَ الزِّيَـالِ
فَليسَ الصِّبَا اليَوْمَ مِنْ أُرْبَتي ، ... وَلا ذلكَ البَالُ ، يا عَزَّ ، بَالي [2]
حَلَفتُ بِهِنّ دَوَامي الفِجَاجِ ... إلى الحَوْفِ يَطلُبْنَهُ مِنْ ألالِ [3]
خِمَاصاً تُسَاوِكُ بالمُجرِمِينَ ... بِعُقْلِ الوَجَا وَقُيُودِ الكَلالِ [4]
يُماطِلنَ بالوَخدِ عندَ الجِذابِ، ... كَأنّ الزّمَامَ مَكَانَ العِقَالِ
أُطِرْنَ مِنَ الأينِ حتّى بُرِيـ ... ـنَ، أطرَ القِسيّ وَبَرْيَ النّبَالِ [5]
لَقَدْ رَبّنَا مِنْ غِيَاثِ الأنَامِ ... مُقِيمُ الصَّغَا وَدَليلُ الضّلالِ [6]
حَمُولٌ نَهُوضٌ بأعبَائِهَا ، ... إذا البُزْلُ جَرْجَرْنَ تحتَ الرِّحالِ [7]

١ قلصت : انقبضت . الشرة : الحدة ، والنشاط .

٢ عز مرخم عزة : اسم امرأة .

٣ الألال : الأمان ، ولعله جمع ألة : وهي الحرب ، والسلاح .

٤ تساوك : تسير سيراً ضعيفاً .

٥ أطرن : انحنين ، وانعطفن .

٦ ربنا : جمعنا . الصغا : الميل .

٧ البزل ، الواحد بازل : الجمل الذي طلع نابه . جرجرن من الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته .

فتًى في النّدى أخرَقُ الرّاحتَينِ، صَنَاعُهُمَا في بِنَاءِ المَعَالي[1]
إذا ما عَلِقتَ بهِ في الخُطُوبِ زَحَمتَ بكَلكَلِ عَوْدٍ جُلالِ
عَرَفنَا بِكَ اليَوْمَ عَلَيْنَا أبِيـ ـكَ، والفَحل تُعرفُهُ بالسِّخَالِ[2]
هُوَ الغَيثُ أقْلَعَ مُستَخلِفاً عَلَيْنَا وَقيعَةَ مَاءٍ زُلالِ
لَئِنْ كُنتَ تاليه في ذا الجَلالِ، فإنّكَ قُدّامَهُ في الكَمَالِ
وَلَوْلا الحَيَاءُ لجَاوَرْتَهُ، وَرُبّ أخيرٍ أمَامَ الأوَالي
مُقيمٌ بِحَيٍّ على فَارِسٍ، رِقَاقِ البُرُودِ رِقَاقِ النّعَالِ
أبَوْا أنْ يُخِلّوا بِنَارِ القِرَى، وَلَوْ وَقَدُوا نَارَهُمْ بالعَوَالي
يَدُلُّ الضّيُوفَ عَلى دارِهِمْ سَنَا المجدِ أوْ طيبُ عَرْفِ الخِلالِ
بِنَارِ المَقَارِي وَنَقْعِ الغُبَارِ، تَشَابَهُ أيّامُهُمْ وَاللّيَالي
لَقَدْ نَطَحَ الجَدُّ أعداءَهُمْ بِرَأسٍ جَمُوحٍ وَرَوْقٍ طُوَالِ[3]
لهُمْ صَفَحاتٌ كَبِيضِ الصّفيحِ، حَلاهنّ عن جَوْهرِ المَجدِ حالِ[4]
وَأيْدٍ سِجَاحٍ كِرَامٍ مَعاً، بمَجدٍ مَصُونٍ وَمَالٍ مُذالِ[5]
إذا افتَخَرُوا ضَعضَعُوا الفَاخِريـ ـنَ، خَطمَ القُرُومِ رِقابَ الإفالِ[6]

١ الأخرق : المتوسع بالسخاء . الصناع : الحاذق .
٢ السخال ، الواحدة سخلة : ولد الشاة .
٣ الروق : القرن . الطوال : الطويل .
٤ حلاهن : زينهن .
٥ السجاح : الحسان المعتدلة ، اللينة . المذال : المبتذل بالانفاق .
٦ الخطم : أن يجعل حبل في عنق البعير ويثنى في خطمه ، أي أنفه . الافال ، الواحد أفيل : ابن المخاض ، والفصيل .

وَجاؤوا بِأصْلٍ مِنَ الدَّيلمينَ أرْمَى عُلًى من أُصُولِ الجِبَالِ
أقُولُ لِسَاعٍ عَلَى إثْرِهِمْ ، يُطَالِبُ شَأواً بَعيدَ المَنَالِ
حَذارِ ، فإنّ عَلَى الحَلْهَتَينِ هموسَ الدُّجى مُرْصِداً للرِّعالِ [1]
لَهُ هامَةٌ كَرَحَى الطّاحِنَاتِ، تَدُورُ عَلى لُبْدَةٍ كَالثِّفَالِ [2]
يَنُوءُ تَحَامُلَ ذي رَيْثَةٍ ، وَيَقْعُدُ إقعَاءَ غَرْثَانَ صَالِ [3]
وَمَا زَالَ سَاعِدُهُ وَاللَّبَانُ عَلَى جزَرٍ مِنْ لحُومِ الرِّجَالِ
كَسُوبٌ ، إذا مَا اكتَفَى بالقَنيصِ لمْ يَدّخِرْ مَطعَماً للعِيَالِ
ألمْ يَنهَكُمْ رَشُّ شُؤبُوبِهِ بِوَابِلِ ذي بَرَدٍ وَانْسِجَالِ
وَيَحمِكُمُ عَنْ وُرُودِ الحِمَامِ تَخَمُّطُ قَرْمٍ قَديمِ الصِّيَالِ [4]
وَقَوْدُ الجِيَادِ عَلى أنّهَا تَصَاهَلُ تحتَ القَنيّ الطّوَالِ
تُوَقَّعُ يَوْمَ الوَغَى بالنّجيعِ ، وَتُنعَلُ بَينَ القَنَا بالقِلالِ
سبَقْنَ العَجَاجَةَ يَحْمِلنَهَا، أرَاقِمُ لامِظَةٌ للنّزَالِ [5]
عَلَيهِنّ كُلُّ ابنِ أمّ الطّعَانِ رَبيُّ القَنَا، أوْ رَبيبِ النّصَالِ
إذا رِيعَ شَمّرَ للمُحفِظَاتِ ، وَجَرَّ ذُيُولَ الحَديدِ المُذالِ

١ الحلهة من الوادي : حافته وجهته التي أمامك . الهموس : السيار في الليل، الأسد الخفيف الوطء ، الأسد الكسار لفريسته . الرعال ، الواحدة رعلة : القطعة من الخيل .

٢ الهامة : الرأس . اللبدة : الشعر المتلبد على كتفي الأسد . الثفال : الحجر الأسفل من الرحى .

٣ ينوء : ينهض بجهد ومشقة . الريثة : البطء . الإقعاء : جلوس الرجل متسانداً . الغرثان : الجائع . الصالي ، من صلي النار : قاسى حرها .

٤ التخمط : الفوران غضباً .

٥ العجاجة : الإبل الكثيرة العظيمة ، وغبار الحرب .

نَضَحنَ مِنَ الشّدّ نَضْحَ المَزَادِ ، ثُمّ انطَلَقْنَ انطِلاقَ العَزَالي[1]
يُخَلْنَ ، إذا بَلّهُنّ الحَميمُ ، عِقبَانَ يَوْمِ نَدًى أوْ ظِلالِ[2]
تَرَى كُلّ مُشْتَرِفٍ للعَوَارِ ضَليعِ الأضَالعِ سَامي القَذَالِ[3]
يَفُوتُ مُقَلَّدُهُ وَالعِذا رُ مَرْمَى يدِ الشّيظَميّ الطُّوَالِ[4]
كَأنّ الطّرِيدَ إلى ظُلّةٍ ، يَمُدّ بِعَلْوِ لِفَاتَ الجِبَالِ[5]
يَنالُ المَدَى قَبلَ رَشحِ العِذارِ ، وَمَا سَوْطُ فارِسِهِ غَيرَ هَالِ[6]
إذا حرّكَتْهُ عُرُوقُ السّيَاقِ بَينَ الحِضَارِ وَبَينَ الثِّقَالِ[7]
مَضَى يَشِبُ الدّوّ وَثبَ التّمَامِ ، وَيَنضُو المَقاديمَ نَضْوَ التّوَالي[8]
مَدَدْتُمْ بِبَاعي بَعْدَ القُصُورِ ، وَألحَقتُمُ عَطَلي بِالحَوَالي
وَأطْلَعتُمُوني فَوْقَ الرّجَاءِ ، بَعيداً ، وَفَوْقَ مَنَالِ اللّيَالي
وَأطلَقتُمُ الحَدّ مِنْ مَضْرَبي ، وَحَادَثتُمُ قائِمي بالصّقَالِ
وَأحْذَيتُمُ قَدَمي حَذْوَةً مِنَ المَجدِ غيرَ جَذيمِ القِبالِ[9]
رَمَى اللهُ دَوْلَتَكُمْ بالثّبَاتِ ، إذا مَا رَمَى غَيرَها بالزّوَالِ

١ العزالي ، الواحدة عزلاء : مصب المياه .
٢ الحميم : معظم الماء .
٣ المشترف : المنتصب . العوار : العيب . القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .
٤ الشيظمي : الطويل الجسيم .
٥ اللفات ، الواحد لفت : شق الشيء ، وجانبه .
٦ هال : زجر للخيل .
٧ الحضار : جودة العدو . الثقال : البطء .
٨ التمام : ما يتم به الشيء . ينضو : يتقدم . التوالي : التوابع من الخيل .
٩ الجذيم : المقطوع . القبال : زمام بين الاصبع الوسطى والتي تليها .

وَأسحَبَكُمْ صَافِنَاتِ العَلاءِ ، جرَّ الشُّمُوسِ طِرَاقَ الجِلالِ
جرَيْتُمْ على الدّهرِ جرْيَ الثّقافِ رَأْبَ اللَّثَى وَقِيَامَ المُمَالِ[1]
زَمَانٌ عُلًى كزَمَانِ الشّبَابِ غَضٌ الجَنَى ، أوْ زَمانِ الوِصَالِ
لَيَاليهِ صُبْحٌ مِنَ المُغبِطاتِ، وَأيّامُهُ مِنْ سُكُونٍ لَيَالي

سيوف إباء في كفوف ابية

قال يمدح أباه ويهنئه بعيد الأضحى
سنة ٣٧٨ ولم ينشده إياها :

رِدِي ، يا جِيادي ، وَأذَنِي برَحيلِ ، سَتَرْعَينَ أرْضَ الحيّ بَعدَ قَليلِ
ألا إنّ في قَلبي إلى المَجدِ طَرْبَةً ، وَعِنْدَ القَنَا يَوْماً شِفَاءُ غَليلي
إذا مَا اتّخَذْتُ اللّيلَ دِرْعاً حصِينَةً فأهْوِنْ بِخَطْبٍ للزّمَانِ جَليلِ
عَليّ دِمَاءُ البُدْنِ إنْ لمْ أُثِرْ بِهَا رَعيلاً يَشُقّ الأرْضَ بعدَ رَعيلِ
فَآخُذَ حقّي أوْ يَثُورَ غُبَارُهَا ، مِنَ القَاعِ ، عَنْ أرْضٍ بشَرّ مَقيلِ
وَمَا حاجَتي إلاّ المَعالي ، وَقَلّمَا يَضيعُ رَجَائي ، وَالطِّعَانُ رَسُولي
وَإنّي لَتَرّاكُ البِلادِ ، إذا نَبَتْ عليّ ، وَمَا ذُو نَجْدَةٍ بِذَليلِ

[1] اللثى : ماء يسيل من شجر السمر كالصمغ ، ولثى الثوب : وسخه .

وَإنّي مُعيرٌ سَاعِدِي مَنْ أرَادَهُ ، بِأبيَضَ طَاغي الشّفرَتَينِ صَقيلِ
إلى المَجدِ دُونَ الرَّبعِ رَمّتْ عزَائمي ، وَبالعِزّ دُونَ الغيدِ بَانَ نُحُولي[1]
أسُومُ الهَوَى نَفساً عزُوفاً عنِ الهوَى ، وَقَلْباً لِضَيمِ الحُبّ غيرَ قَبُولِ
وَأمنَعُ وُدّي النّاسَ إلاّ أقَلّهُ ، لآمَنَ مِنْ طَاغٍ عَليّ صَؤولِ
وَأعدُوَ مِنْ عَقْلي خَبيئاً أصُونُهُ ، وَأفْدِي كَثِيرِي مِنهُمُ بِقَليلِ
وَأحطِمَ سِرّي في الضّلُوعِ مَخافَةً ، ألَمْ يَأنِ يَوْماً أنْ أُذيعَ دَخيلي
نَديمي عَلى شُرْبِ الهُمُومِ مُهَنّدٌ ، إذا شَاءَ أصْغَى الهَمَّ دُونَ مَقيلي[2]
وَإنّيَ آبَى أنْ أذُلّ وَفي يَدي ، عِنَاني ، وَلَمْ يُقْطَعْ عَليّ سَبيلي
وَكُلُّ دَمٍ عِنْدِي ، إذا مَا حَمَلْتُه ، وَإنْ أثقَلَ الأقْوَامَ ، غَيرُ ثَقيلِ
وَإنّ طَرِيقي بالمَنَاسِمِ فاضِحي ، إذا لَمْ تَسِرْ فيهِ الصَّبَا بذُيُولِ[3]
وَكَمْ مِنْ حَبيبٍ قَدْ سَقَاني فِرَاقُهُ وَغَالَطْتُ عَنْهُ القَلْبَ غيرَ مَلُولِ
وَقَدْ نَمنَمَ الوَسميُّ بَيْني وَبَيْنَهُ ، وَوَالَى بِمُغْبَرّ الرَّبَابِ هَطُولِ[4]
وَإنّ طِرَادَ النّفسِ عَمّا تَرُومُهُ أشَدُّ عَنَاءً مِنْ طِرَادِ قَتيلِ
يُرَجّي عُدَاتي كُلّ يَوْمٍ ، وَيُتّقَى شَذَاتي ، وَبَعضِي في الجِدالِ لَقيلي[5]

١ رمت : بليت . نحولي : هزالي .
٢ أصغى : أمال .
٣ المناسم ، الواحد منسم : الطريق .
٤ نمنم : نقش ، وزخرف ، وترك أثراً في التراب . الوسمي : أول مطر الربيع . الرباب : السحاب الأبيض . الهطول : الغزير المطر .
٥ الشذاة : بقية القوة . القيل : القول .

يَقَرُّ بِعَيْني أنْ أرُوحَ مُحَسَّداً ، الحُسّادُ غَيرَ نَبيلِ
وَما صَافَحتْ يَوْماً يَدي يَدَ غَادِرٍ ، وَلا ضَاقَ خُلقي عَنْ مُقامِ نَزيلِ
وَأوّلُ لُؤمِ المَرْءِ لُؤمُ أُصولِهِ ، وَأوّلُ غَدْرِ المَرْءِ غَدْرُ خَليلِ
عَذُولي مَنْ أوْطَا قَرَا العَجزِ مَرْكَباً ، وَلَكِنْ ظَهرَ العَزْمِ غَيرُ ذَلُولِ[1]
نَسيمٌ مِنَ الدّنْيَا يَطيبُ لِنَاشِقٍ ، وَأيُّ أوَامٍ بَعده وَغَليلِ
تَفيءُ اللّيالي فيئَةَ الظّلّ للفَتَى ، بِنُعمَى ، وَمَا إنْعامُهَا بِجَزيلِ
تَداعَتْ ليَ الأيّامُ حتّى رَمَيْنَني بِمَا كُنتُ أخشَى مِنْ لِقاءِ بَخيلِ
وَلا بُدّ لي أنْ أغسلَ العَارَ بَعْدَهُ ، وَيا رُبّ عَارٍ دامَ غَيرَ غَسيلِ
يَظُنّ الفَتَى أنّ التّطَاوُلَ دائمٌ ، وَكُلٌّ صُعُودٍ مُعقَبٌ بنُزُولِ
أأرْجُو ذُبَابَ السّيفِ ثمّ أخافُهُ ، وَأرْضَى بسُخطِ المَجدِ قَوْلَ عَذولِ
وَبالضّرْبِ ما نَالَ ابنُ مُوسَى مُرَادَهُ ، وَحَلّ ذُرَى العَلْيَاءِ أيَّ حُلُولِ
فَتًى سَوّمَ الآرَاءَ مُبرَمَةَ القُوَى ، وَلا رَأيَ إلاّ الرّأيُ غَيرَ سَحيلِ[2]
تَعَلّمَ مِنْ آبَائِهِ وَثَبَاتِهِمْ عَلى المَجدِ مِنْ عَليَا قَناً وَنُصُولِ
وَمَا ضَرّهُ لَوْ كَانَ كُلُّ قَبيلَةٍ تُطَالِبُهُ يَوْمَ الوَغَى بِذُحُولِ
وَقَدْ عَلِمَ الأعداءُ أنْ لا يَرُدّهُمْ بِغَيرِ زَفيرٍ خَانِقٍ وَعَويلِ
إذا طَرَقَ الخَطْبُ البَهيمُ عِيَالَهُ ، وَقَدْ مالَ عُنقُ الرّأيِ كُلَّ مَميلِ
عَزيمَةُ لاوٍ مُسْتَبِدٍّ بِرَأيِهِ ، وَعَقْلُ امرِئٍ لمْ يَستَعِنْ بِعُقُولِ

١ أوطا : وطأ ، مهد . القرا : الظهر .
٢ السحيل : ما لم يبرم غزله .

جَرُور عَلى مَرّ الحَدائِـعِ ذَيْلَهُ ، وَأعظَمُ مَا يُعطي بغَيرِ سؤُولِ
وَيَا رُبّ طَاغٍ مِنْ أعَاديهِ طامحٍ أذالَ اللّيَالي مِنْهُ أيّ مُذيلِ
أطَالَ عِنَانَ الأمْنِ حتّى أظَلّهُ بِأغْبرَ طَامٍ مِنْ قَناً وَخيُـولِ
وَكَمْ رَحيمٍ أطّتْ بهِ وَهوَ مُغضَبٌ فَعادَ إلى الإحسَانِ غَيرَ مَطُولِ[1]
إذا بَعُدَ الأعداءُ عَنْ سَطَوَاتِهِ ، فَلا يَأمَنُوا مِنْ بالِـغٍ وَوَصُولِ
كَأنّي بِهَا بَزْلاءَ قَدْ صَبّحَتْهُمُ سَميطَ الذّنَابَى غَيرَ ذاتِ حُجولِ[2]
مُذَكَّرَةٍ لا تَصْدِمُ القَوْمَ صَدْمَةً فَتُقْلِـعَ إلاّ عَنْ دَمٍ وَقَتيلِ
نَذارِ لَكُمْ مِنْ كَيدِهِ ، إنّ قَلْبَهُ ضَمُومٌ عَلى الأسرَارِ غَيرُ مُذيلِ
وَرَجراجَةٍ تَلتَفّ أيْدي جيَادِهَا ، وَأيّ ضَجَاجٍ مِنْ وَغًى وَصَهيلِ[3]
وَجُرْدٍ تَمَطّى في الأعِنّةِ شُزَّبٍ ، كَأنّ حَوَامِيهَا رِقَابُ وُعُـولِ[4]
ضَوَامِرَ مِن طُولِ الوَجيفِ كَأنّهَا ذَوَائِبُ نَبْتٍ طَامَنَتْ لذُبُولِ
تَدافَعْنَ في شَعوَاءَ لا الطّوْدُ عندَها بعَالٍ ، وَلا جِلْدُ الرُّبَى بحَمُولِ[5]
رَعَيْنَ بِهَا شُولَ الرّمَاحِ كَأنّهَا غَدَاةَ الوَغَى في بارِضٍ وَجَليلِ[6]

١ أطت : حنت . المطول : المماطل .
٢ البزلاء : الداهية العظيمة . السميط : المسموطة . الحجول ، الواحد حجل : القيد ، الخلخال .
٣ الرجراجة : الكتيبة التي تضطرب في سيرها لكثرتها .
٤ الشزب : المضمرة . الحوامي : ميامن الحافر ومياسره .
٥ الشعواء : الغارة المتفرقة . جلد الربى : أراد أرض الربى .
٦ البارض : أول ما تخرج الأرض من النبت . الجليل : يطلق على الثمام وهو ضرب من النبات .

وَكَمْ خاضَ تأمُورَ الظّلامِ بفِتيَةٍ ، يَرَوْنَ وُعُورَ اللّيلِ مثلَ سُهُولِ[1]
تَنُوشُ أنَابيبُ الرّمَاحِ وَرَاءَهُمْ كَأُسْدٍ تُمَاشِيها جَوَانِبُ غِيلِ
سيُوفُ إبَاءٍ في أكُفِّ أبِيّةٍ ، وَكُلُّ طَوِيلٍ في يَمِينِ طَوِيلِ
تُغامِرُ بالآرَاءِ قَبْلَ جيُوشِهِ ، وَبيضُ الظُّبَى بِيضٌ بغَيرِ فُلُولِ
فإنْ غَنِمَ الجَيشُ المُغيرُ وَرَاءَهُ ، فَمَا غُنمُهُ في الحَرْبِ غَيرَ غُلُولِ
لكَ اللهُ هَذا العيدُ يَحدُو طَليعَةً كَغَائِبِ عِزٍّ مُؤذِنٍ بقُفُولِ
وَلَوْ لمْ يَكُنْ في عيدِنَا غَيرَ أنّهُ دَليلٌ عَلى السّرّاءِ أيُّ دَليلِ
وَمَا زَاحَمَ الأيّامَ إلاّ تَطَلُّعاً ، إلَيكَ ، بيَوْمٍ في العيُونِ جَميلِ
وَمَدَّ سَمَاءً مِنْ عَلائِكَ مِلْؤهَا نُجُومٌ مِنَ الإقبَالِ غَيرُ أُفُولِ
فَنَلْ ما أنَالَ الدّهرُ سَعداً وَغِبطَةً ، فَرُبّ زَمَانٍ حَلّ غَيرِ مُنيلِ
بَقيتَ اللّيَالي مَا سَلَبْنَ ، وَهَلْ فتًى يُطالِبُ أمراً إنْ مَضَى بكَفيلِ
بَقيتَ ، وَأفنَيتَ الأعَادِيَ ، فإنّهُ شِفَاءُ جَوًى بَينَ الضّلُوعِ دَخيلِ
وَهَوّنَ تَقدِيمَ العَدُوّ بِغُصّةٍ ، وُلُوجُ الرّدَى في أُسرَتي وَقَبيلي
وَلي في عَدُوّي إنْ مشَى المَوْتُ نحوَهُ عَزَاءٌ إذا أوْدَى الرّدَى بِخَليلِ
عَلى أنّهُ مَا أخطَأتْني مَنيّةٌ ، إذا هيَ غَالَتْ مَنْ أوَدُّ بِغُولِ
وَلي غَرَضٌ أنْ لا تَزَالَ قَصيدَةٌ تُجَمجِمُ يَوْماً عَن مُنَايَ وَسُولي
كَلامٌ كَنَظمِ الدُّرّ غَيرُ مُنَاهَبٍ ، وَقَوْلٌ كَصَدْرِ العَضْبِ غَيرُ مَقولِ
وَلَستُ بِدَاعٍ بَعْدَ هَذِهِ فَوْقَهَا ، وَلا مِثْلَهَا مِنْ مُوجِزٍ وَمُطيلِ

[1] تأمور الظلام : قلبه

صداقة السفهاء داء معضل

قال يمدحه أيضاً ويهنئه بعيد الفطر وأنشده إياها في يومه ويذكر فيها السيرة التي عملها جامعة لذكر مناقب أبيه وأيامه سنة ٣٧٩ :

ما ابيَضّ من لَوْنِ العَوَارِضِ أفضَلُ، وَهَوَى الفتى ذاكَ البَيَاضُ الأوّلُ
مِثْلانِ : ذا حَرْبُ المَلامِ وَذا لَهُ سَبَبٌ يُعَاوِنُ مَنْ يَلُومُ وَيَعذُلُ
أرْنُو إلى يَقَقِ المَشيبِ، فَلا أرَى إلاّ قَوَاضِبَ للرّقَابِ تُسَلَّلُ
وَاللِّمّةُ البَيْضَاءُ أهْوَنُ حَادِثٍ في الدّهرِ لَوْ أنّ الرّدَى لا يَعجِلُ
وَلَقَدْ حَمَلتُ شَبَابَهَا وَمَشيبَهَا ، فإذا المَشيبُ عَلى الذّوَائِبِ أثْقَلُ
إنّي غُرِرْتُ مِنَ الهَوَى ، فشَرِبتُهُ ، لمْ أدْرِ أنّ عَقيبَ شُرْبِيَ حَنظَلُ
وَعَلِمْتُ أنّ وَرَايَ أطْوَلَ سَكرَةٍ مِمّا أُعَلّ مِنَ الغَرَامِ وَأُنْهَلُ
عَجَباً لِمَنْ يَلقَى الهَوَى بفُؤادِهِ ، عَجلانَ ، وَهوَ مِنَ التّجَلّدِ أعزَلُ
إنْ لا يُعَرِّضْ للذّوَابِلِ قَلْبَهُ ، إنّ الطّعَانَ مِنَ البَلابِلِ أسهَلُ[1]
الآنَ جَلّلَني الوَقَارُ رِداءَهُ ، وَانجَابَ عَن عَيْنَيّ ذاكَ الغَيطَلُ[2]
وَنَزَعْتُ وَجْداً كَانَ يَشمَخُ كُلّما أغرَى المَلامُ بِهِ وَلَجّ العُذّلُ
أنَا مَن عَلِمتَ وَلَيسَ يُطفىء سطوَتي غُلَوَاءُ مَنْ يَطْغَى إليّ وَيَجهَلُ

١ البلابل : الهموم والوساوس .
٢ الغيطل من الضحى : حيث تكون الشمس من مشرقها كهيئتها من مغربها .

يُغضِي العَدُوُّ ، إذا طَلَعتُ ، وَقَلبُهُ   يَغلي عَلَيهِ مِنَ الضّغائنِ مِرْجَلُ
وَيُزِيغُني عَمّا أُجِنُّ مُخاتِلاً ،   وَالأوْرَقُ العَادِيُّ لا يَتَزَلْزَلُ[1]
أجلُو عَلَيهِ ناجِذي ، وَلَوِ اجتَلَى   مَا بَينَ أضْلاعي لَبَاتَ يُقَلْقِلُ
فَعَلامَ أزْجرُ بالوَعيدِ وَأجترِي ،   وَإلامَ أطلُبُ بالدّخُولِ وَأمْطَلُ
مَا لي قَنِعْتُ كَأنّ لَيسَ مُهَنّدي   بِيَدي ، وَلا جَدّي النّبيُّ المُرْسَلُ
فَلآخُذَنّ مِنَ الزّمانِ ، غُلُبّةً ،   حَقّي ، وَأمنَعُ مَا أشاءُ وَأبْذُلُ
وَلأدْخُلَنّ عَلى النّسَاءِ خُدُورَهَا   وَاليَوْمُ لَيْلٌ بالعَجَاجَةِ ألْيَلُ
مُتَضَايِقٌ يَدْعُو القَرِيبَ ضَجاجُهُ   أبَداً ، وَيَلمَعُ بالبَعيدِ القَسطَلُ
وَعَلَيّ أنْ يَطَأ العِرَاقَ وَأهْلَهَا ،   يَوْمٌ أغَرُّ مِنَ الدّمَاءِ مُحَجَّلُ
يَوْمٌ تَزِلُّ بِهِ القُلُوبُ مِنَ الرّدَى   جَزَعاً ، وَأحرَى أنْ تَزِلّ الأرْجُلُ
وَعَجاجَةٍ تَلقَى السّمَاءَ بمِثلِها   عِظَماً ، كَمَا مَدّ الغَمَامُ المُثْقَلُ
لَوْ شَامَ مُوسَى كَفّهُ في لَيلِهَا ،   خَفيَ البَيَاضُ عَلى الذي يَتَأمّلُ
طَلَبَ العُلَى، وَالجَدُّ فيهِ مِنَ العُلى،   وَإلى المَرَامِ نَأى وَطَالَ تَغَلغُلُ
فاعزِمْ ، فلَيسَ عَلَيكَ إلاّ عَزْمَةٌ ،   وَالعَجزُ عُنْوَانٌ لِمَنْ يَتَوَكّلُ
أوْ حَمّلِ اللّوْمَ القَضَاءَ ، فَإنّهُ   عَوْدٌ لأثْقَالِ المَلامِ مُذَلَّلُ
وَيُجيرُ مِنْ عَوْرَاءِ هَمّكَ سَابحٌ،   أوْ صَارِمٌ ، أوْ ذابِلٌ ، أوْ مِقْوَلُ
لا تُحدِثَنْ طَمَعاً وَجَدُّكَ مُدبِرٌ ،   وَاطلُبْ مَدى الدّنيا وَجَدُّكَ مُقبِلُ

[1] يزيغني : يميلني .

وَاعقِلْ رَجَاءَكَ بالحُسَيْنِ ، فإنّهُ حَرَمٌ يُذِمُّ مِنَ الزّمَانِ وَمَعقِلُ[1]
جَذْلانَ تَقطُرُ نِعمَةً أيّامُهُ ، لِلطّالِبِينَ ، فَرَاغِبٌ وَمُؤمِّلُ
مَاضِي المَقَالِ يَكَادُ مِنْ تَطبيقِهِ، يَوْمَ الجِدالِ ، يَئِنُّ مِنهُ المَفصِلُ
غَيرِ المُعَاجِلِ بالعِقابِ ، إذا هَفَا جُرْمٌ ، وَيَسبِقُ بالعَطَاءِ وَيَعجَلُ
ضِرْغَامِ هَيْجَاءٍ كَفَاهُ بأنّهُ عِنْدَ القَوَاضِبِ وَالقَنا بي مُشْبِلُ
نَستَعطِفُ الأمْرَ المُوَلّي باسمِهِ فَيَعُودُ، أوْ نَدْعُو العَلاءَ فيُقبِلُ
وَلَرُبَّ يَوْمٍ قَدْ مَلأتَ فُرُوجَهُ خَيْلاً ، تَدَرّعُ بالغُبَارِ وَتَرْفُلُ
وَفَوَارِساً يَتَزَاحَمُونَ عَلى الرّدى نَهْلاً ، وَقَدْ عَزّ البَرُودُ السّلْسَلُ
مِنْ كُلّ أرْوَعَ مَاجِدٍ في كَفّهِ قَلَقٌ هَتُوفٌ بالمَنُونِ وَمِعْوَلُ
ضَرْباً كَأشداقِ الهِجَانِ رَوَاغِياً ، وَوَغًى كمَا اضْطَرَمَ الأبَاءُ المُشعَلُ[2]
وَعُيُونَ طَعْنٍ كَالعُيُونِ يَمُدُّهَا مَاءٌ مَذانِبُهُ العُرُوقُ الذُّبّلُ
مِنْ كُلّ شَوْهَاءَ الضّلوعِ مُثيرُهَا مُتَعَوِّذٌ ، وَالنّاظِرُ المُتَأمِّلُ
شَهّاقَةٍ تَدِقُ النّجيعَ ، وَتَنطَوِي فيهَا المَسَائِلُ أوْ تَضَلّ الأنْمُلُ[3]
يَنْزُو لهَا عَلَقٌ تُمَطُّقَ خَلْفَهُ ، أوْ عَانِدٌ يَلْقَى النّوَاظرَ سَلْسَلُ[4]
وَلَدَيْكَ إنْ طَمَحَ العَدُوُّ صَوَارِمٌ تُدْمي عَرَانِينَ العِدا وَتُذَلّلُ

١ يذم : يعطي الذمام ، يجير . المعقل : الملجأ ، الموئل .

٢ الاباء : القصب .

٣ تدق : تقطر . النجيع : الدم .

٤ العلق : الدم . التمطق : التذوق . العاند : العرق الذي لا يرقأ دمه . الشلشل : المتتابع القطر .

كالنّارِ ما يَسألْنَ غيرَ ضَرِيبَةٍ ، وَالسّيفُ أعلى مَنْ يَجُودُ وَيُسألُ
يُستَبهَمُ الأمرُ القَطيعُ ، فَلا تَرَى إلاّ القَوَاضِبَ مَطْلَعاً يُتَقَبّلُ
مَا بَينَ مَنْ يَخشَى المَنيّةَ ، وَالذي يَصْلَى بهَا في العُمرِ ، إلاّ مَنزِلُ
لا تَنْظُرِ البَاغي لقُرْبَى ، وَارْمِهِ بالذّلّ ، وَاقطَعْ مَا عَلَيهِ يُعَوَّلُ
هذا الأمينُ أدالَ مِنهُ شَقيقُهُ ، وَمَضَى عَقيراً بابنِهِ المُتَوَكّلُ
وَالعَفْوُ مَكْرُمَةٌ ، فإنْ أغرَى بِهَا مُتَغَافِلٌ قَالَ الرّجَالُ : مُغَفَّلُ
وَلَقَدْ حضَرْتُ،وَأنتَ غائبُ نكبَةٍ ، فَخَلاكَ مَا قَالَ العِدا ، وَتَقَوّلُوا
لا يَغْرُرَنّكَ أنّهُمْ بسِهَامِهِمْ أشوَوْا ، وَمَا بلَغُوا مَدَى ما أمّلُوا[1]
هَيهَاتَ لَمْ يَرْمِ العَدُوُّ بسَهمِهِ ، وَإنِ انزَوَى ، إلاّ ليَدْمَى المَقْتَلُ
وَأنَا المُضَارِبُ عَنْ عُلاكَ بمِقوَلٍ ماضِي الغِرَارِ، وَلا الجُرَازُ المِصْقَلُ[2]
يُدمي الجَوَارحَ وَهوَ ساكنُ غِمدِهِ ، وَلَقَلّمَا يَمْضِي بغِمْدٍ مُنصُلُ
هَيهَاتَ يَلحَقُ بالصّميمِ مُدَرَّعٌ ، أبَداً ، وَيُزْرِي بالبِحَارِ الجَدْوَلُ
مَا صَارِمٌ كَدِرُ الذُّبَابِ كَصَارِمٍ خلَعَ الجَلاءَ عَلى ظُبَاهُ الصّيْقَلُ
وَسَمَاؤنَا الظّلْمَاءُ يكتمُ شَخصَهَا أنّى أضَاءَ العَارِضُ المُتَهَلّلُ
لَيسَ التّفَرّدُ بِالعَلاءِ طَمَاعَةً ، إنّ العُلَى دَرَجٌ لِمَنْ يَتَوَقّلُ
نَظْمٌ وَنَثْرٌ قَدْ طَمَحْتُ إلَيهِما صُعُداً ، وَيَعْنُو للأخِيرِ الأوّلُ
وَحَدِيثُ فَضْلي ضَارِبٌ بعُرُوقِهِ في الأرْضِ يَنقُلُهُ المَطيُّ البُزّلُ

١ اشووا : أصابوا ، ولم يقتلوا .
٢ الغرار : الحد . الجراز : السيف . المصقل من الخطباء : البليغ . ولعله أراد هنا السيف الصقيل .

لَوْلاكَ مَا سَمَحَتْ بِقَوْلٍ مِمِسي   قَدْرِي أجَلُّ من القَرِيضِ وَأفضَلُ
هَذا ، وَفي بَعضِ الذي امتلأتْ بِهِ   عَنّي البِلادُ لَقَائِلٌ مُتَعَلِّلُ
لمّا نَظَرْتُ إلى عُلاكَ غَرِيبَةً ،   وَمُضَيَّعٌ رَاعي المَنَاقِبِ مُهْمَلُ
أحرَزْتُهَا مُتَوَغِّلاً غَايَاتِهَا ،   وَالمَجْدُ مِلْءُ يَدِ الذي يَتَوَغّلُ
في سِيرَةٍ غَرّاءَ تُستَضْوَى بِها الـ   ـدُّنْيَا ، ويَلبَسُها الزّمَانُ الأطْوَلُ
مُلِئَتْ بِفَضْلِكَ ، فالوَليُّ مُكَثِّرٌ   مَا شَاعَ عَنْهَا ، وَالعَدُوُّ مُقَلِّلُ
يَفْتَنُّ فيهَا القَائِلُونَ كَأنّمَا   طَلَعَتْ كمَا طَلَعَ الكِتَابُ المُنزَلُ
هَنَّأتُ جَدّكَ بالتّحَلّقِ في العُلَى .   ولأنْتَ نِعْمَ المُقْبِلُ المُتَقَبَّلُ
وَطَرَحْتُ تَهْنِئَةً بِأيّامٍ أرَى   فيهَا سَوَاءً مَنْ يَقِلُّ وَيَنبُلُ
وَأرَى لِحَاظَ الحَاسِدِينَ مُرِيبَةً ،   وَالغَيظُ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ يَتَغَلْغَلُ
مَا للزّمَانِ يَعُقّني بِعِصَابَةٍ   تَجْفُو عَليّ ، مَعَ الزّمَانِ ، وَتَثقُلُ
يَذْوِي عَلى قِدَمِ اللّيَالي عَهدُها ،   مِثلَ الأدِيمِ عَلى التّقَادُمِ يَنغَلُ[1]
وَدّ الحَلِيمُ شِفَاءَ دائِكَ كُلّهِ ،   وَصَدَاقَةُ السّفَهَاءِ داءٌ مُعْضِلُ

١ ينغل : يفسد .

هنيئاً لك العيد الجديد

وقال يمدحه أيضاً ويهنئه بعيد الأضحى من هذه السنة ويعرض له بنكبة بعض أعدائه وأنشده إياها من لفظه :

إلى اللهِ إنّي للعَظيمِ مَـُولُ ، كَثيرٌ بِنَفْسِي ، وَالعَديلُ قَليلُ
وَمَنْ طُعمهُ مِنْ سَيفِهِ كيفَ يتقي ، وَمَنْ يَطْلُبُ العَلْيَاءَ كَيفَ يَقيلُ
يَقُولونَ : خَالِلْ في البِلادِ ، وَإنّما خَليليَ مَنْ لا يَطّبيهِ خَليلُ[1]
ولَيسَ طِبَاعُ النّاسِ وَفقاً ، ورُبّما تَفَاضَلَ فيهِمْ أنْفُسٌ وَعُقُولُ
ولَوْلا نُفُوسٌ في الأقَلّ عَزِيزَةٌ ، لَغَطّى جَميعَ العَالَمينَ خُمُولُ
فَمَا تَطلُبُ الأيّامُ مِنْ مُتَغَرّبٍ ، لَهُ كُلَّ يَوْمٍ رِحْلَةٌ وَنُزُولُ
رَمَى مَقْتَلَ الدّنْيَا بِسَهْمٍ قَنَاعَةٍ ، فَعزّ لأنْ غَالَ الرّمِيّةَ غُولُ
ألا إنّمَا الدّنْيَا ، إذا مَا نَظرْتَهَا بقَلْبِكَ ، أمٌّ للبَنِينَ ثَكُولُ
وَما يُثقِلُ المَيتَ الصّعيدُ ، وَإنّمَا عَلى الحَيّ عِبْءٌ للزّمَانِ ثَقيلُ
وَتَختَلِفُ الأيّامُ حتّى تَرَى العُلَى عَنَاءً ، وَيَغدُو مَا يَرُوقُ يَهُولُ
أقُولُ لِغِرٍّ بِالمَنَايَا وَدُونَهُ لَهُنّ خُيُولٌ جَمّةٌ وَحُبُولُ
ستُعطَى يَدَ العَاني ، إذا مَا دَنَا لهَا بِغَيرٍ وَغًى قِرْنٌ ألَدُّ صَؤولُ

---

[1] يطبيه : يستميله .

فَلا تَعتَصِمْ بالبُعْدِ عَنهَا ، فإنّهَا مَسَرّةُ نِقْيٍ في العِظَامِ دَمُولُ[1]
أرَى شَيْبَةً في العَارِضَينِ فيَلتَوِي بقَلْبيَ حَدّاهَا جَوًى وَغَليلُ
وَمن عجَبٍ غضّي عن الشّيبِ جازِعاً، وكَرّي إذا لاقَى الرّعيلَ رَعيلُ
وَلي نَفَسٌ يَطغى ، إذا ما رَدَدْتُهُ ، فيَعرقُني عَرْقَ المُدَى ، وَيَغُولُ[2]
وَمَا تَسَعُ الأضْلاعُ رَيْعَانَ زَفْرَةٍ ، يَكَادُ لهَا قَلْبُ الجَليدِ يَزُولُ
وَمَا ذاكَ مِنْ وَجْدٍ خَلا أنّ هِمّةً عَنَائي بهَا في الوَاجِدِينَ طَوِيلُ
بكَيتُ وكَانَ الدّمعُ شَيباً مُبَيَّضاً عِذارِيَ، لا جارِي الغُرُوبِ هَطولُ
وَشَوْكَةِ ضِغْنٍ ما انتَقَشتُ شَبَاتَهَا ذهَاباً بنَفْسِي أنْ يُقَالَ عَجُولُ[3]
وَإنّيَ إنْ أُعطِ المَدَى مُتَنَفَّساً ، نَزَعتُ أذاهَا ، وَالزّمَانُ يُدِيلُ
وَمَا أنَا إلاّ اللّيثُ ، لَوْ تَعلَمُونَهُ ، وَذا الشّعَرُ البادي عَليّ قَبيلُ[4]
وَقَدْ عُصِبَتْ مني اللّيَالي بِسَاعِدٍ ، تَثِنَ الأعَادي مَرّةً وَتُنِيلُ
إذا سَطّرَتْ نَهْراً وَرَاءَ بُيُوتِهَا ، سَطَوْتُ ، وَمَا يُعدِي عَليّ قَبيلُ[5]
وَزُورُ المَآقي مِنْ جَديلٍ وَشَدْقَمٍ تَبَلّدَ عَنْهَا شَدْقَمٌ وَجَدِيلُ[6]

١ المسرة : لعلها من أسره كتمه . النقي : مخ العظم . الدمول ، من دمل الجرح : تماثل إلى البرء .
٢ يعرقني : يأكل لحمي ، أو يأخذ من لحمي كما تأخذ المدى ، أي السكاكين .
٣ انتقش الشوكة : أخرجها . الشباة : إبرة العقرب وحد كل شيء .
٤ القبيل : الكفيل .
٥ سطرت نهراً : أي اختطت نهراً وراء بيوتها ، ليكون حصناً لها . القبيل : الجماعة .
٦ الزور ، الواحد أزور : المائل . جديل وشدقم : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر .

شَقَقنا بِهَا قَلبَ الظّلامِ ، وَفَوْقَها رِجَالٌ كَأطْرَافِ الذّوَابِلِ مِيلُ
وَهَبّتْ لأصْحَابي شَمَالٌ لَطيفَةٌ ، قَرِيبَةُ عَهْدٍ بالحَبيبِ بَلِيلُ
تَرَانَا ، إذا أنْفَاسُنَا مُزِجَتْ بِهَا ، نُرَنَّحُ في أكْوَارِنَا وَنَمِيلُ
وَلَمْ أرَ نَشْوَى للشَّمَالِ عَشِيّةً ، كَأنّ الذي غَالَ الرّؤوسَ شَمُولُ
وَبَرْقٍ يُعاطِينَا الجَوَى غَيرَ أنّهُ بِهِ مِنْ عُيُونِ النّاظِرِينَ نُحُولُ
وَلَيلٍ مَرِيضِ النّجم من صِحّة الدُّجى نَضَوْنَا ، وَلألاءُ النّصُولِ دَلِيلُ
وَأخضَرَ مَستُورِ التّرَابِ بِرَوْضَةٍ ، رَعَينَا ، وَقَدْ لَبّى الرُّغَاءَ صَهِيلُ
وَعُدْنَا بِهَا وَاللّيلُ يَنفُضُ طَلّهُ ، سِقَاطَ اللآلي ، وَالنّسيمُ عَلِيلُ
إذا استَوْحَشَتْ آذانُها مِنْ تَنُوفَةٍ ، وَحَمحَمَ وَخدٌ دائِبٌ وَذَمِيلُ[1]
رَمَتْ بِأنَاسِيّ الحِداقِ وَرَاءَهَا أبَارِقُ يَعرِضْنَ الرّدى وَهُجُولُ[2]
وَلَوْلا رَجَاءٌ مِنْكَ هَزّ رِقَابَهَا ، لمَا آبَ إلاّ ضَالِعٌ وَكَلِيلُ
وَدُونَ رِوَاقِ المَجْدِ مِنْكَ مُمَنَّعٌ جَزِيلُ المَعَالي ، وَالعَطَاءُ جَزِيلُ
مَرِيرُ القُوَى لا يَرْأمُ الضّيمُ أنْفَهُ ، وَأيْدِي العِدى إلاّ عَلَيهِ تَصُولُ
يُنَهْنَهُ بالأعْداءِ ، وَهوَ مُصَمِّمٌ ، وَيُزْجَرُ بالعُذّالِ ، وَهوَ مُنِيلُ[3]
فَتًى لا يَرَى الإحْسَانَ عِبئاً يَجرُّهُ ، وَلَكِنّهُ ، لَوْلا الإبَاءُ ، ذَلُولُ
أقَرّ بِحَقّ المَجْدِ ، وَهوَ مُضَيَّعٌ ، وَعَظّمَ قَدرَ الدّينِ ، وَهوَ ضَئِيلُ

١ التنوفة : الفلاة . الوخد والذميل : ضربان من السير .
٢ الأناسي : جمع إنسان . الأبارق ، الواحد أبرق : أرض فيها حجارة ورمل وطين . الهجول ، الواحد هجل : المطمئن من الأرض .
٣ ينهنه : يكف ويزجر . المنيل من النوال : العطاء .

سَرَى طَالِباً ما يَطلُبُ النّاسُ غيرَهُ ، وَما كلّ قِرْنٍ في الرّجالِ رَجيلُ[1]
فَمَا آبَ حتّى استَفرَغَ المَجدَ كُلَّهُ شَرُوبٌ عَلى غَيظِ العَدُوّ أكُولُ
أيُرْجَى مَداهُ بَعدَمَا ضَحِكَتْ بهِ ، أمَامَ المَعَالي ، غُرّةٌ وَحُجُولُ ؟
أرَى كُلّ حَيٍّ مِن فُضَالاتِ سَيفِهِ ، وَهَا هُوَذا طاغي الغِرَارِ صَقيلُ
وكَمْ غَمرَةٍ يَعْلُو المُلَجَّمَ ماؤها شَقَقتَ ، وَلَوْ أنّ الدّمَاءَ تَسيلُ[2]
وَهَوْلٍ يَغيظُ الحَاسِدينَ رَكِبتَهُ ، وَحيدَ العُلَى، وَالهَائِبُونَ نُزُولُ
بطَعنَةِ مَيّاسٍ إلى المَوْتِ رُمحُهُ ، يَرُومُ العُلَى مِنْ غايَةٍ فَيَطُولُ
فِداكَ رِجَالٌ للمُنَى في دِيَارِهِمْ نَحيبٌ ، وَللظّنّ الجَميلِ عَوِيلُ
فَوَاغِرُ عُمْرَ الدّهرِ لمْ يُطعِمُوا العلى، ألا قَلّ مَا يُعطي العَلاءَ بَخيلُ
أرَادُوكَ بالأمْرِ الجَليلِ ، وَإنّمَا يُصَادِمُ بالأمْرِ الجَليلِ جَليلُ
أألآنَ إنْ ألقَيْتَ ثِنْيَ زِمَامِهَا ، وَعُطّلَ أغْرَاضٌ لهَا وَجَديلُ
وَإلاّ لَيَالٍ أنْتَ رَاكِبُ ظَهرِها ، وَأمرُ العُلَى، جَمعاً ، إلَيكَ يَؤولُ
وَطَاغٍ ، وِعَاءُ الشّرّ بَينَ ضُلُوعِهِ ، وَداءٌ مِنَ الغِلّ القَديمِ دَخيلُ
رَمَاكَ ، وَبَينَ العَينِ وَالعَينِ حَاجِزٌ، وَقالٌ ـ وَرَاءَ الغَيبِ فيكَ ، وَقيلُ
فَما زِلتَ تَستَوْفي مَرَامِيهِ ، وَالقُوَى تُقَطَّعُ ، وَالإقْبَالُ عَنْهُ يَميلُ
إلى أنْ أطَعْتَ اللهَ ، ثمّ رَمَيْتَهُ ، فَلَمْ تُغضِ إلاّ وَالرّميُّ قَتيلُ
كَذَلِكَ أعْداءُ الرّجَالِ وَهَذِهِ لِسَائِرِ مَنْ يَطغَى عَلَيْكَ سَبيلُ

١ الرجيل : الراجل .
٢ الملجم ، من لجمه الماء : بلغ فاه

وَتَسْمُو سُمُوَّ النَّارِ عِزّاً وَهِمَّةً ، وَيَهْوِي هُوِيَّ الأرْضِ ، وَهوَ ذَليلُ
هَنيئاً لكَ العيدُ الجَديدُ ، فإنّهُ بيُمْنِكَ وَضّاحُ الجَبينِ جَميلُ
وَلا زَالَتِ الأعيادُ هَطْلَى رَخيّةً ، يُحَيِّيكَ مِنْهَا زَائِرٌ وَنَزِيلُ
وَسَاقٍ عَدَاكَ العاصِفَاتِ وَأَقبلَتْ عَلَيْكِ شَمَالٌ لَدْنَةٌ وَقَبُولُ
وَقَدْ تَعقُمُ الأفهامُ عَنْ قَوْلِ قائِلٍ ، فيُوجِزُ بَعضَ القَوْلِ وَهوَ مُطيلُ
وَمَا الفَضْلُ إلاّ مَا أقُولُ فرَاعَةً ، وَبَاقِي مَقَامَاتِ الأنَامِ فُضُولُ[1]

ولأنت مثل السيف

قال يمدح أباه رضي الله عنه وهي من أول قوله :

مَنْ لي بِرَعْبَلَةٍ مِنَ البُزْلِ ، تَرْمي إلَيكَ مَعَاقِدَ الرَّحْلِ[2]
عَجلَى الرَّوَاحِ كَأنّمَا لَحَتْ فيكُمْ غَدِيرَ الجُودِ مِنْ قَبْلي
نَغَرْتُهَا ، وَالبَدْرُ مُطّلِعٌ ، حَتّى استَجَابَ لِقائِدِ الأُفْلِ[3]
كَتَبَتْ سُطُوراً مِنْ مَنَاسِمِهَا فَوْقَ الأبَاطِحِ وَالسُّرَى يُملي

١ قوله : فراعة ، هكذا في الأصل ولعلها محرفة عن براعة .
٢ الرعبلة : الناقة الضخمة .
٣ نغرتها : صحت بها . الأفل : لعلها جمع أفيل وهو ابن المخاض .

إنّي بِهَا في السّيرِ مُقْتَرِحٌ ، عَجِلاً عَلى الإقْتَابِ وَالجُدْلِ[1]
إنّ الذي وَخَدَتْ إلَيْهِ فَتًى يَبَرّا إلى أمَلي مِنَ البُخْلِ
لا تَمْلِكُ العَرَصَاتُ قَعْدَتَهُ ، وَإنِ استَقَرّ ، فَفي ذُرَى الإبْلِ
لَمْ يُستَمَلْ بالذّلّ جَانِبُهُ ، مُذْ شَدّ قَبضَتَهُ عَلى النّصْلِ
تُنْبيكَ نَفْحَتُهُ ، إذا فَغَمَتْ، عَن طيبِ مَغرِسِ ذلكَ الأصْلِ[2]
وَلأنْتَ مِثْلُ السّيْفِ في مُضَرٍ ، عَاذَتْ بِقَائِمِهِ مِنَ الذّلّ
وَإذا هَتَفْتَ بِهِمْ لِنَائِبَةٍ ، جَذَبُوا وَرَاءَكَ بالقَنَا الذُّبلِ
لا يُسْلِمُونَ مَنِ اتّقَى بِهِمُ قَرْعَ القَنَا وَمَوَاقِعَ النَّبْلِ
عامي وَعَامُ المَحْلِ في بَلَدٍ ، فَاسْحَبْ إليّ ذُؤابَةَ الوَبْلِ
وَاحصُدْ قُوَايَ ، فإنّني أبَداً بَيْنَ القَرَائِنِ مَارِجُ الحَبْلِ[3]

١ الإقتاب : شد القتب ، الرحل . الجدل ، الواحد جديل : الزمام المجدول من أدم .
٢ فغمت ، من فغم الطيب فلاناً : ملأ خياشيمه .
٣ مارج الحبل : مرسله .

سآخذها إما استلاباً وإما طراداً

قال يشكر الشيخ أبا الفتح عثمان بن جني
النحوي على تفسير قصيدته الرائية التي رثى بها
أبا طاهر إبراهيم بن ناصر الدولة الحمداني :

أُرَاقِبُ مِنْ طَيفِ الحَبيبِ وِصَالا ، وَيَأبَى خَيَالٌ أنْ يَزُورَ خَيَالا
وَهَلْ أبْقَتِ الأشجانُ إلاّ مُمَثَّلاً ، تُعَاوِدُهُ أيْدِي الضّنَا ، وَمِثَالا
ألَمّ بِنَا، وَاللّيلُ قَدْ شَابَ رَأسُهُ ، وَقَدْ مَيّلَ الغرْبُ النّجُومَ وَمَالا
وَأنّى اهتَدَى في مُدْلَهِمٍّ ظَلامِهِ ، يَخُوضُ بِحاراً ، أوْ يَجُوبُ رِمَالا
تَأوّبَ مِنْ نَحْوِ الأحِبّةِ طَارِداً رُقَادِي ، وَمَا أسْدَى إليّ نَوَالا
أوَائِلُ مَسّ الغَمضِ أجفَانَ نَاظِرِي ، كَمَا قارَبَ القَوْمُ العِطاشُ صِلالا[1]
وَمَا كَانَ إلاّ عَارِضاً مِنْ طَمَاعَةٍ ، أزَالَ الكَرَى عَنْ مُقلَتيّ ، وَزَالا
سَقَى اللهُ أظعاناً أجزْنَ عَلى الحِمَى خِفَافاً ، كَأقوَاسِ النّصَالِ عِجَالا
يُغَالِبْنَ أعنَاقَ الرُّبَى عَجرَفيّةً ؛ قِرَاعُ رِجَالٍ في اللّقَاءِ رِجَالا[2]
وَجَدْتُ اصْطِبَارِي دونَهنّ سَفاهَةً ، وَأبصَرْتُ رُشدِي بَعدَهُنّ ضَلالا
وَمَا ضَرّ مَنْ أمسى زِمَامي بكَفّهِ ، عَلى النّأيِ ، لَوْ أرْخَى لَنَا وَأطَالا

١ الصلال ، الواحد صل : المطرة الخفيفة .

٢ يقال : في الجمل عجرفية في المشي ، إذا كان لا يبالي لسرعته .

تَذَكّرْتُ أيّامَ القَرِينَةِ ، وَالهوَى يُجدّدُ أقْرَاناً لَنَا وَحِبَالا[1]
مَضَينَ بِعَيْشٍ لا يَعُدْنَ بمِثْلِهِ ، وَأعقَبْنَنَا مَرَّ الزّمَانِ خَيَالا
سَلي عَن فَمي فصلَ الخطابِ وَعن يدي رِمَاحاً كَحَيّاتِ الرّمَالِ طِوَالا
وَبِيضاً تُرَوّى بالدّمَاءِ مُتُونُهَا ، إذا مَا لَقِينَ الدّارِعِينَ نِهَالا
فَمَا ليَ أرْضَى بالقَليلِ ضَرَاعَةً ، وَأوسِعُ دَينَ المَشْرَفيِّ مِطَالا
تُرِيدُ اللّيَالي أنْ تَخِفّ بِمِقْوَدي ، وَأيُّ جَوَادٍ لَوْ أصَابَ مَجَالا
سَآخُذُهَا إمّا استِلاباً وَفَلْتَةً ؛ وَإمّا طِرَاداً في الوَغَى وَقِتَالا
فَإنْ أنَا لمْ أرْكَبْ إلَيهَا مُخَاطِراً ، وَأعْظِمُ قَوْلاً دُونَهَا وَقِتَالا
فَهذا حُسَامي لِمْ أُرِقّ ذُبَابَهُ ، مَضَاءً ، وَهَذا ذابِلي لِمَ طَالا
وَأطْلُبُهَا بالرّاقِصَاتِ ، كَأنّمَا أُثَوِّرُ مِنْهَا رَبْرَباً وَرِئَالا
إذا أسقَطَ السّيْرُ العَنِيفُ نِعَالَهَا مِنَ الأينِ أحذَتْهَا الدّمَاءُ نِعَالا
وَكُلُّ غَضَنْيٍّ ، إذا قُلْتُ قَدْ وَنَى مِنَ الشّدّ جَلّى في الغُبَارِ وَجَالا[2]
وَأكبَرُ هَمّي أنْ أُلاقيَ فَاضِلاً ، أُصَادِفُ مِنْهُ للغَليلِ بَلالا
فِدًى لأبي الفَتْحِ الأفَاضِلُ إنّهُ يَبرّ عَلَيهِمْ ، إنْ أرَمّ ، وَقَالا[3]
إذا جرَتِ الآدابُ جَاءَ أمَامَهَا ، قَرِيعاً ، وَجَاءَ الطّالِبُونَ إفَالا[4]

١ المراد بالحبال هنا : العهود .
٢ الغضن : تلوي العود وتثنيه استعاره للفرس لكثرة تلويه وتثنيه ، والمراد وكل فرس غضني ، أي منسوب إلى الغضن .
٣ يبر : يحسن عن حب . ارم : سكت .
٤ القريع : فحل الإبل . الافال ، الواحد افيل : الفصيل .

فَتًى مُسْتَعَادُ القَوْلِ حُسْناً وَلَم يكن يَقُولُ مُحَالاً ، أوْ يُحيلُ مَقَالا
ليَقرِيَ أسماعَ الرّجَالِ فَصَاحَةً ، وَيُورِدَ أفْهَامَ العُقُولِ زُلالا
وَيُجْرِي لَنا عَذْباً نَميراً، وَبَعضُهُم ، إذا قالَ ، أجرَى للمَسامِعِ آلا
أسَفُّهُمُ إنْ مُيِّزَ القَوْمُ خِلّةً ، وَأثْقَبُهُمْ ، يَوْمَ الجِدالِ ، نِصَالا[1]
وَمَا كَانَ إلاّ السّيْفَ أطلَقَ غَرْبَه ، وَزَادَ غِرَارَيْ مَضْرَبَيْهِ صِقَالا
وَلمّا رَأيْتُ الوَفْرَ دُونَ مَحَلّهِ جزَاءً وَقَدْ أسْدَى يَداً وَأنَالا
بَعَثْتُ لَهُ وَفْراً مِنَ الشّعْرِ بَاقِياً ، وَكَنْزاً مِنَ الحَمْدِ الجَزِيلِ وَمَالا
فَسِمْ آخِراً مِنْهُ كَوَسْمِكَ أوّلاً ، وَشُنَّ عَلَيهِ رَوْنَقاً وَجَمَالا[2]
وَمِثْلُكَ إنْ أوْلَى الجَميلَ أتَمّهُ ، وَإنْ بَدأ الإحْسَانَ زَادَ ، وَوَالَى

قلب الشجاع حسام

قال أيضاً وكتب بها إلى أبي الطيب
خداد بن ماقية وقد حصلت بينهما صداقة :

أأبْقَى كَذا أبَداً مُسْتَقِلاً ، يُقَلّبُني الدّهْرُ عِزّاً وَذُلاّ ؟
وَأقْنَعُ بالدّونِ ، فِعلَ الذّليـ ـلِ ، يَخشَى الأجَلّ وَيرْضَى الأقَلاّ

---

١ أسفهم : أحدهم نظراً .
٢ شن عليه : صب عليه .

وَإنّي رَأيْتُ غَنيّ الأنَامِ ، إذا لمْ يَكُنْ ذا عَلاءٍ ، مُقِلاّ
وَمِنْ دُونِ ضَيمي فِنَاءُ الرِّمَاحِ ، وَبِيضُ القَوَاضِبِ ذَفّاً وَفَلاّ[1]
فَلا زِلْتُ كَلاًّ عَلى المُقْرَبَاتِ ، إلى أنْ أنَالَ ذُرَى المَجْدِ كَلاّ[2]
إذا عَزّ قَلْبُكَ في دَهْرِهِ ، فَمَا عُذْرُ وَجْهِكَ في أنْ يَذِلاّ
ألا فَاجْهَدِ النّفسَ في نَيلِهَا ، وَلا تَرْقُبَنّ عَسَى ، أوْ لَعَلاّ
إذا المَرْءُ لمْ يَحْظَ بَعْدَ الطِّلابِ، فَالجِدّ لا قَدَمُ المَرْءِ زَلاّ
وَحُلّ حُبى العَجزِ عَنْ هِمّةٍ ، تَؤُدّ الأيَانِقَ شَدّاً وَحَلاّ
وَجُبْ غَيرَ مُسْتَكثِرٍ بالصِّحَابِ حَزْناً يَغُولُ المَطايا ، وَسَهلا
إلى حَيْثُ تُومي إلَيكَ البَنَانُ ، وَتُصْبِحُ ثَمّ الأعَزّ المُجَلاّ
قَلِيلَ المِثَالِ وَخَيرَ البِلادِ ، حِمَى مَنْزِلٍ لا أرَى فيهِ مِثْلا
وَلا تَصْحَبَنْ غَيرَ حَدّ الحُسَا مِ بَرْقاً يَسُحّ مِنَ الضّرْبِ وَبْلا
وَأيْمٍ مِنَ السُّمْرِ طَاغي اللّسَا نِ يَأبَى اللّدِيغُ بِهِ أنْ يُبِلاّ[3]
وَتَعْلُو المَعَالي إلى العَاجِزِينَ ، وَنَحنُ نَرَى الذّلّ أعلى وَأغْلَى
عَدَتْكَ ، أبَا الطّيّبِ ، العادياتُ ، فَإنّكَ أبْذَلُ جَاهاً وَبَذْلا
بلَوْتُ خَلائِقَ هَذا الأنَامِ ، وَمَا زِلْتُ أبْلُو مِرَاراً وَأبْلَى
فَلَمْ أرَ إلاّكَ مَنْ يَصْطَفي ثَنَاءً ، وَيَرْعَى ذِمَاماً وَإلاّ[4]

....

١ الذف من قولهم : ذف على الجريح ، إذا اجهز عليه . الفل : الثلمة في حد السيف .
٢ الكل : العيال . المقربات : الخيول الكريمة .
٣ الأيم : الحية . يبل ، من أبل المريض : شفي .
٤ الإل : العهد .

فَأصْبَحَ قَلْبِي يَرَى مُذْ رَآ كَ أنّكَ أوْقَعُ فِيهِ وَأحْلَى
وَحَلّتْ نَدَايَ جَمِيعَ الوَرَى ، غداةَ اعتَقَدْتُكَ عَضْداً وَنَخلاً
فِدًى لَكَ أعمًى عَنِ المَكْرُما تِ ، يَعجِزُ أنْ يجعَلَ القَوْلَ فِعلا
يَنَامُ عَنِ الخَيرِ نَوْمَ الضِّبَاعِ ، وَفي الشّرّ يَطّلُعُ سِمعاً أزَلاّ[1]
طَوِيلُ اليَدَينِ إلى المُخزِياتِ ، يَمُدُّ إلى المَجْدِ بَاعاً أشَلاّ
فَتًى أعْلَقَتْهُ عِنَانَ الفَخَارِ مَكَارِمُ جَاءَتْ بِهِ المَجْدَ قَبلا
وَأصْبَحَ حَاسِدُهُ خَابِطاً ، إذا كَادَ يُهْدَى إلى المَجْدِ ضَلاّ
أشَمُّ كَعَالِيَةِ السّمْهَرِيّ ، وَهِمّتُهُ مِنْهُ أغْلَى وَأعْلَى
وَيَجْمَعُ قَلْباً جَرِيئاً ، وَوَجْهاً أتَمّ مِنَ البَدْرِ نُوراً وَأمْلا
مَضَاءُ القَضِيبِ ، إذا مَا انجَلَى ، وَضَوْءُ الهِلالِ ، إذا مَا تَجَلّى
وَقَلْبُ الشّجَاعِ حُسَامٌ ، فَإنْ حَلا مَنْظَراً ، فحُسَامٌ مُحَلّى
يُغَيِّمُ يَوْمَ النّدَى المُسْتَهِلُّ ، وَيُقْشِعُ يَوْمَ الوَغى المُصْمَئِلاّ[2]
وَيُوسِعُ مَادِحَهُ بِشْرُهُ . فَيُولِيهِ أضْعَافَ مَا كَانَ أوْلَى
يُشَمّرُ للرّوْعِ عَنْ سَاقِهِ ، وَيَسْحَبُ للجُودِ ذَيْلاً رِفَلاّ[3]
فَيَوْماً يَعُودُ بِجَدٍّ عَلِيٍّ ؛ وَيَوْماً يَعُودُ بِقِدْحٍ مُعَلّى
وَيُلْقِي إلَيْهِ عَظِيمُ الزّمَانِ مِنَ المَأثُرَاتِ ، الأجَلَّ الأجَلاّ

١ السمع : ولد الذئب من الضبع . الازل : السريع ، والخفيف الوركين
٢ يقشع ، من أقشع السحاب : انكشف . المصمئل : الشديد .
٣ الرفل : الطويل الذيل .

فيُمْسِي لأسْرَارِهَا حَافِظاً ، وَيَغْدُو بِأعْبَائِهَا مُسْتَقِلاّ
فَدُونَكَهَا كَإضَاةِ الغَدِيرِ ، أوِ السَّيْفِ سُلّ أوِ الرّوْضِ طُلاّ
وَلَوْلاكَ كَانَتْ كَأمْثَالِهَا ، تُصَانُ عَنِ المَدْحِ عِزّاً وَنُبْلا
فَقَدْ كُنتُ حَصّنتُ أبكَارَهُنّ ، وَعَوّدْتُهُنّ عَنِ القَوْمِ عَضْلا[1]

البيد اولى بي

يفتخر ويذم الزمان ويفتخر
بآبائه الطاهرين عليهم السلام :

أتُذْكِرَاني طَلَبَ الطّوَائِلِ ، أيْقَظْتُمَا مِنّيَ غَيرَ غَافِلِ
قُومَا ، فَقَدْ مَلَلْتُ من إقامَتي ، وَالبِيدُ أوْلَى بي مِنَ المَعَاقِلِ
شُنّا بيَ الغَارَاتِ كُلّ لَيْلَةٍ ، وَعَوّدَاني طَرَدَ الهَوَامِلِ[2]
وَصَيّرَاني سَبَباً إلى العُلَى ، إنّيَ عَينُ البَطَلِ الحُلاحِلِ[3]
قَدْ حَشَدَ الدّهْرُ عَليّ كَيدَهُ ، وَجَاءَتِ الأيّامُ بِالزّلازِلِ
وَمن عَجيبِ مَا أرَى مِنْ صَرْفِهِ قد دَمِيَتْ من نَاجذِي أنَامِلي[4]

١ العضل ، من عضل المرأة عن الزواج : منعها وحبسها عنه .
٢ الهوامل : الإبل المسيبة ليلا ونهاراً .
٣ الحلاحل : الشجاع .
٤ الناجذ : من الأضراس القصوى ، يقول : إن أنامله دميت لعضه إياها .

تُوكِسُ أحداثُ اللّيالي صَفقَتي ، لا دَرَّ دَرُّ الدّهْرِ مِنْ مُعَامِلِ
لا خَطَرَ الجُودُ عَلى بَالي ، وَلا سَقَتْ يَدي يَوْمَ الطّعَانِ ذابِلي
إنْ لمْ أقُدْهَا كأضَامِيمِ القَطَا ، أوْ بَدَدِ العقَارِبِ الشّوَائِلِ
طَوَامِحَ الأبْصَارِ يَهفُو نَقْعُها عَلى طُمُوحِ النّاظِرِينَ، بَازِلِ
مُستَصْحباً إلى الوَغَى فَوَارِساً ، يَستَنزِلُونَ المَوْتَ بالعَوَامِلِ
تَحتَهمُ ضَوَامِرٌ كَأنّهَا أجادِلٌ تَنهَضُ بِالأجَادِلِ
غُرٌّ ، إذا سُدّتْ ثَنيّاتُ الدُّجى ، طَلَعْنَهَا بالغُرَرِ السّوَائِلِ[1]
وَذي حُجُولٍ نَافِضٍ سَبيبَهُ ، عُجْباً ، عَلى مثلِ المَهاةِ الخاذِلِ[2]
يَنْقَضّ لا تَلْحَقُ مِنْ غُبَارِهِ ، إلاّ بقَايَا فِلَقِ الجَرَاوِلِ[3]
يَكرَعُ في غُرّتِهِ مِنْ طُولِهَا ، وَيَتّقي الجَنْدَلَ بالجَنَادِلِ
بِمِثْلِهِ أبغي العُلَى ، وَأغتَدي أوّلَ نَزّالٍ إلى النّوَازِلِ
وَذي فُلُولٍ مُرْهَفٍ ، نِجَادُهُ عَلى لَمُوعٍ ذاتِ ذَيلٍ ذائِلِ[4]
إنّ أميرَ المُؤمِنِينَ ، وَالِدي ، حَزّ الرّقَابَ بالقَضَاءِ الفَاصِلِ
وَجَدّيَ النّبيُّ في آبَائِهِ ، عَلا ذُرَى العَلْيَاءِ وَالكَوَاهِلِ
فَمَنْ كأجدادي إذا نَسَبْتَني ، أمْ مَنْ كَأحيَائيَ ، أوْ قَبَائِلي

١ السوائل ، من سالت غرة الفرس : استطالت وعرضت .
٢ السبيب : الذنب المسترسل . الخاذل : التي خذلت صواحبها ، أي تخلفت عنهن وانفردت .
٣ الجراول : الأراضي ذات الحجارة .
٤ اللموع : وصف للدرع . والذائل : الطويلة .

مِنْ هاشِمٍ أكْرَمِ مَنْ حَجّ،وَمَن جَلّلَ بَيْتَ اللهِ بِالوَصَائِلِ
قَوْمٌ لأيْدِيهِمْ عَلى كُلّ يَدٍ فَضْلُ سِجالٍ مِن رَدًى وَنَائِلِ[1]
فَوَارِسُ الغَارَاتِ لا يُطرِبُهُم، إلاّ نَوَازِي نَغَمِ الصّوَاهِلِ
بالسُّمْرِ تَختَبُّ ثُعَيْلِبَاتُهَا، مِثْلَ ذِئَابِ الرّدْهَةِ العَوَاسِلِ[2]
وَالبِيضُ قد طَلَعنَ من أغمادِها للرّوْعِ تَعْلُو قِمَمَ القَبَائِلِ
يُخضَبنَ إمّا مِنْ دِماءِ مَارِقٍ، أوْ مِنْ دِماءِ العُوذِ وَالمَطافِلِ[3]
ذَوُو القِبابِ الحُمرِ يُنضَى سَجفُها عَنْ عَدَدٍ مِنْ سَامِرٍ وَجَامِلِ
أرَى مُلُوكاً كَالبِهَامِ غَفْلَةً، في مِثْلِ طَيْشِ النَّعَمِ الجَوَافِلِ
أوْلى مِنَ الذّوْدِ، إذا جَرّبتَهُمْ، بِرَعْيِ ذي الرّيَاضِ وَالخَمَائِلِ
إنْ أنَا أعْطَيتُهُمُ مَقَادَتي، فَلِمْ إذاً أطْلَقَ غَرْبي صَاقِلي
وَمِقْوَلي كَالسّيْفِ يَحتَمي بِهِ أشوسُ أبّاءٌ عَلى المَقَاوِلِ
مَا لكَ تَرْضَى أنْ يُقَالَ شاعرٌ؟ بُعْداً لهَا مِنْ عَدَدِ الفَضَائِلِ
كَفَاكَ مَا أوْرَقَ مِنْ أغْصَانِهِ، وَطَالَ مِنْ أعْلامِهِ الأطَاوِلِ
فَكَمْ تَكُونُ نَاظِماً وَقَائِلاً، وَأنتَ غِبَّ القَوْلِ غَيرُ فَاعِلِ
كمْ يَقتَضِيني السّيفُ عزْمي وَيَدي تَدْفَعُهُ دَفْعَ الغَرِيمِ المَاطِلِ

١ السجال : العطاء .

٢ تختب : تضطرب . ثعيلباتها ، جمع مصغر للثعلب : طرف الرمح الداخل في جبة السنان . الردهة الحفرة .

٣ العوذ : الحديثات النتاج . المطافل : ذوات الأطفال . يصفهم بالشجاعة والكرم .

أأرْهَبُ القَتْلَ حِذارَ مِيتَـةٍ ، لا بُدّ ألقاها بِغَيرِ قَاتِلِ
قَد غَارَ قَبلي الرّمحُ في عُتَيْبَةٍ ، تَحتَ العَوَالي، وكُلَيبٍ وَائِلِ
هَبْني شَبِيباً يَوْمَ طاحَتْ عُنُقُه، عن حَدّ مَفتوقِ الغِرَارِ قَاصِلِ
لمّا رَأى المَوْتَ أوِ الذّلّ انبرَى إلى الرّدَى مُشَمّرَ الذّلاذِلِ
أوْ مُصْعَباً لمّا دَنَا مِيقَاتُهُ ، وَضَرّبَ المِقْدارُ بِالحَبَائِلِ
حمَى يَمينَ الضّيمِ أنْ يَقُودَهُ ، وَانقَادَ في حَبْلِ الرّدى المُعاجِلِ
فعلَ امرِىءٍ رَأى الخُمُولَ ذِلّةً، فاختَارَ أنْ يُقبَرَ غَيرَ خَامِلِ
إنْ كانَ لا بُدّ مِنَ المَوْتِ فَمُتْ تحتَ ظِلالِ الأسَلِ الذّوَابِلِ

من يعوم مقامي

قال أقاله الله يفتخر ويذكر غرضاً في نفسه :

لِمَنْ دِمَنٌ بذي سَلَمٍ وَضَالِ ، بَلِينَ ، وكَيفَ بالدِّمَنِ البَوَالي ؟
وَقَفْتُ بهِنّ لا أصْغي لِداعٍ ، وَلا أرْجُو جَوَاباً عَنْ سُؤالي
أيَا دارَ الأُلى دَرَجَتْ عَلَيْهَا حَوَايَا المُزْنِ وَالحِجَجُ الخَوَالي[1]
فَأيُّ حَياً بأرْضِكِ للغَوَادي ، وَأيُّ بِلًى بِرَبْعِكِ لِلّيَالي

[1] حوايا المزن : سودها .

وَبَيْنَ ذَوَائِبِ العُقَدَاتِ ظَبْيٌ ، قَصِيرُ الخَطْوِ في المِرْطِ المُذَالِ[1]
رَبِيبٌ إنْ أُرِيغَ إلى حَدِيثٍ ، نَوَارٌ إنْ أُرِيدَ إلى وِصَالِ[2]
فَهَلْ لِيَ وَالمَطَامِعُ مُرْدِيَاتٌ ، دُنُوٌّ مِنْ لَمَى ذاكَ الغَزَالِ ؟
لَقَدْ سَلَبَتْ ظِبَاءُ الدّارِ لُبّي ، ألا مَا لِلظّبَاءِ بِهَا وَمَا لي ؟
تُنَغّصُني بِأيّامِ التّلاقي ، مُعَاجَلَتي بِأيّامِ الزِّيَالِ
تَحَيّفَني الصّدُودُ وكنتُ دَهراً أُرَوِّعُ بالصّدُودِ ، فَلا أُبَالي[3]
وَكَيْفَ أُفيقُ لا جَسَدي بِنَاءٍ عَنِ البَلْوَى ، وَلا قَلبي بِسَالي
يُرَنّحُني إلَيْكَ الشّوْقُ حَتّى أمِيلُ مِنَ اليَمِينِ إلى الشّمَالِ
كَمَا مَالَ المُعَاقِرُ عَاوَدَتْهُ حُمَيّا الكأسِ حالاً بَعدَ حَالِ
وَيأخُذُني لذِكْرِكُمُ ارْتِيَاحٌ ، كمَا نَشَطَ الأسِيرُ مِنَ العِقَالِ
وَأيْسَرُ مَا ألاقي أنّ هَمّاً يُغَصّصُني بِذا المَاءِ الزُّلالِ
فَلَوْلا الشّوْقُ ما كَثُرَ التِفَاتي ، وَلا زُمّتْ إلى طَلَلٍ جِمَالي
وَإنّي لا أُوَامِقُ ثُمّ إنّي إذا وَامَقْتُ يَوْماً لا أُقَالي[4]
أنَا ابنُ الفَرْعِ مِنْ أعلى نزَارٍ ، وَمَنْ يَزِنُ الأسَافِلَ بِالأعَالي
نَمَاني كُلُّ مُمْتَعِضٍ أبيٍّ جَرَى طَلَقَ الجَمُوحِ إلى المَعَالي

١ العقدات : أماكن . المرط : الكساء . المذال : المهان المرسل إلى الأرض .

٢ النوار : النفور من الريبة .

٣ تحيفني : جار علي وظلمني .

٤ أوامق ، من وامق : أحب الواحد الآخر . أقالي ، من المقالاة : المباغضة .

مِنَ القَوْمِ الأُلى مَلَكُوا رِقَابَ الـ أواخرِ واختلوا قِمَمَ الأوالي

إذا بَسَطوا الخُطا سَحَبُوا رِقاقَ الـ بُرُودِ على الرّقاقِ من النّعالِ

وَإنْ قُسِمَتْ بُيُوتُ المَجدِ حازُوا فِناءَ البَيْتِ ذي العَمَدِ الطِّوَالِ

وَإنّهُمُ لأعْنَفُ بِالمَذاكي ، مُحَاضَرَةً ، وَأقْرَعُ بِالعَوالي

أفظُّ مِنَ الأسُودِ ، فإنْ أنَالُوا رَأيْتَ أرَقَّ مِنْ بِيضِ الحِجالِ

يَخِفُّ عَلَيهِمُ بَذْلُ الأيادِي ، وقَدْ أثْقَلْنَ أعْناقَ الرِّجالِ

بَني عَمّي ، وَعزّ عَلى يَميني مِنَ الضّرّاءِ مَا لَقِيتْ شِمَالي

أعُودُ عَلى عُقُوقِكُمُ بحِلْمي ، إذا خَطَرَ العُقُوقُ لَكُمْ بِبَالِ

أرُوني مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقامي ، أرُوني مَنْ يَقُولُ لَكُمْ مَقَالي

وَمَن يَحمي الحَرِيمَ مِنَ الأعادي ، وَمَنْ يَشفي مِنَ الدّاءِ العُضَالِ

يُشَايِحُ دُونَكُمْ يَوْمَ المَنَايا ، وَيَرْمي عَنكُمُ يَوْمَ النِّضَالِ[1]

سَأبلُغُ بالقِلَى وَالبُعْدِ عَنكُمْ ، مَبَالِغَ لَيسَ تُبلَغُ بِالألالِ[2]

فَمَنْ لا يَستَقِيمُ عَلى التّصَافي ، جَدِيرٌ أنْ يُقَوَّمَ بالتّقَالي

وَأحسَبُ أنْ سَيَنفَعُني انتصَارِي إذا مَا عَادَ بالضّرَرِ احتِمَالي

أكَيداً بَعدَ أنْ رُفِعَتْ مَنَارِي ، وَأرْسَتْ في مَقَاعِدِهَا جِبَالي

وَشَدّ المَجْدُ أطْنَابي إلَيْهِ ، وَمَدّ عَلى جَوَانِبِهِ حِبَالي

١ يشايح : يقاتل .

٢ الألال : السلاح .

وَتَمّ عَلاؤكُمْ بي بَعدَ نَقصٍ، تَمَامَ الحَضْرَمِيّةِ بالقِبَالِ[1]
وَمَا فَضْلي عَلى قَوْمي بِخَافٍ، كمَا فَضْلِ القَرِيعِ عَلى الإفَالِ
وَإني إنْ لَحِقْتُ أبي جَلالاً، فَهَذي النّارُ من ذاك الذُّبَالِ
وَأينَ القَطْرُ إلاّ للغَوَادي؛ وَأينَ النُّورُ إلاّ للهِلالِ
أصُونُ عَنِ الرّجالِ فُضُولَ قوْلي، وَأبْذُلُ للرّجَالِ فُضُولَ مَالي
وَرُبّ قَوَارِصٍ نكَتَتْ جَنَاني، أشَدّ عَليّ مِنْ صَرْدِ النّبَالِ[2]
صَبرْتُ لهَا، وَلمْ أرْدُدْ مَقَالاً، فَكَانَ جزَاءَ قائِلِهَا فِعَالي
وَجَاذَبَني عَلى العَلْيَاءِ قَوْمٌ، وَمَا عَلِمُوا بِأنّ جَمِيعَهَا لي
لَئِنْ نِلْتُ الكَوَاكِبَ في عُلاها، لَقَدْ أبْقَيْتُ فَضْلاً مِنْ مَنَالي
حَلَفْتُ بِها كَرَاكِعَةِ الحَنَايَا، خَوَابِطَ للجَنَادِلِ وَالرِّمَالِ
مُهَدَّمَةَ العَرَائِكِ مِنْ وَجاها تُعَاضُ مِنَ الغَوَارِبِ بالرّحَالِ[3]
إلى البَلَدِ الحَرَامِ مُعَرَّضَاتٍ لإجْرَاءِ الطُّلَى بِدَمٍ حَلالِ[4]
لِيَعْتَسِفَنَّ هَذا اللّيْلَ مِنّي أشَيعِثُ، عَابَ لِمّتِهِ الغَوَالي
خَفِيفُ الحَاذِ يَشْغَلُهُ سُرَاهُ زَمَاناً، أنْ يُفَكّرَ في الهُزَالِ[5]

١ الحضرمية : نعل ملسنة . القبال : زمام بين الاصبع الوسطى والتي تليها .
٢ القوارص : الكلمات المؤلمة . نكتت : أراد أثرت . جناني : قلبي . صرد النبال : نافذها .
٣ العرائك : الأسنمة . الوجا : الحفا .
٤ معرضات : أي معرضات للهلاك .
٥ خفيف الحاذ : خفيف الظهر .

إلى العَلْيَاءِ ، حتّى يُجَاوِزَ مَدٌّ غَايَةٍ كلَّ عَالِ
فإنْ أنَا لمْ أقُمْ فيهَا ، فقَامَتْ عَلَى قَبْرِي النّوَادِبُ بِالمَآلِ

حسبي عى نفسي

يفتخر ويذم الزمان وأهله

حُبُّ العُلى شغُلٌ قَلبٍ ما لَهُ شُغُلُ ، وَآفَةُ الصّبّ فِيهِ اللّوْمُ وَالعَذَلُ
قالَتْ ضَنيتَ ، فقلتُ الشّوْقُ يَجمعُنا ، وَيَعرُقُ الوَجْدُ ما لا تَعرُقُ العِلَلُ
وَإنْ تَحَوّنَ جِسمي ما علِمْتُ بهِ ، فالرّمْحُ يَنْـآدُ طَوْراً ثُمّ يَعتَدِلُ[1]
كَيفَ التّخَلّصُ من عَينٍ لهَا عَلَقٌ بالظّاعِنِينَ وَمِنْ قَلْبٍ بهِ خَبَلُ
وَمَنْ لِوَجْدِيَ أنْ يَقتَادَني طَمَعٌ إلى الحَبيبِ ، وَأنْ يَعتَاقَني طَلَلُ
لا تَبعَدَنّ مَطايَانَا التي تلكَ الظّعَائِنَ مُرْخَاةٌ لهَا الجُدُلُ
سَيرُ الدّمُوعِ عَلى آثَارِهَا عَنَقٌ : وَسَيرُهَا الوَخْدُ وَالتّبغيلُ وَالرَّمَلُ
دُونَ القِبَابِ عَفَافٌ في جَلابِيبِهَا ، وَالصّوْنُ يحفَظُ ما لا تَحفَظُ الكِلَلُ
فَلا الحُدُوجُ يُرَى وَجهُ المُقِيمِ بهَا ، وَلا تُحِسُّ بصَوْتِ الظّاعنِ الإبِلُ
وَفي البَرَاقِعِ غِزْلانٌ مُرَبَّبَةٌ ، يَرْمِينَنَا بِعُيُونٍ نَبْلُهَا الكَحَلُ

---

١ التحون : الذل والهوان .

إذا الحِسانُ حَمَلْنَ الحَلْيَ أسلحةً ، فَإنّمَا حَلْيُهَا الأجْيَادُ وَالمُقَلُ
ألاّ وِصَالٌ سِوَى طَيْفٍ يُؤرِّقُني ، ولا رَسَائِلَ إلاّ البِيضُ وَالأسَلُ
وَعَادَةُ الشّوْقِ عِنْدِي غَيرُ غافِلَةٍ ، قَلْبٌ مَرُوعٌ وَدَمْعٌ وَاكِفٌ هَطِلُ
وَأفجَعُ النّاسِ مَنْ وَلّى حَبَائِبُهُ ، ولا عِنَاقٌ ، وَلا ضَمٌّ ، ولا قُبَلُ
لا ناصرٌ غيرَ دَمعي ، إنْ هُمُ ظلموا ، وَالدّمعُ عَوْنٌ لمَنْ ضَاقَتْ بهِ الحِيَلُ
وَالعَذْلُ أثقَلُ مَحمُولٍ على أُذُنٍ ، وَهوَ الخَفيفُ على العُذّالِ إن عذَلُوا
مَنْ لي بِبَارِقِ وَعْدٍ خَلْفَهُ مَطَرٌ ، وَكَيْفَ لي بِعِتَابٍ بَعدَهُ خَجَلُ
النّفْسُ أدْنَى عَدُوٍّ أنْتَ حَاذِرُهُ ، وَالقَلْبُ أعْظَمُ مَا يُبْلَى بهِ الرّجُلُ
وَالحُبُّ مَا خَلَصَتْ منهُ لَذاذَتُهُ ، لا مَا تُكَدّرُهُ الأوْجَاعُ وَالعِلَلُ
قَدْ عَوّدَ النّوْمُ عَيْني أنْ تُفارِقَهُ ، وَهَوّنَ السّيرَ عندي الأينُقُ الذُّلُلُ
فَمَا تَشَبّثُ بي دارٌ ، ولا بَلَدٌ ، أنَا الحُسَامُ ، وَما تحظى بهِ الخِلَلُ[1]
اللّيلُ أحمَلُ ظَهرٍ أنْتَ رَاكِبُهُ ؛ إنّ الصّباحَ لَطِرْفٌ وَالدُّجى جَمَلُ
وَلّى الشّبابُ وَهَذا الشّيبُ يَطرُدُهُ ، يفدي الطّريدةَ ذاكَ الطّارِدُ العَجِلُ
ما نَازِلُ الشّيبِ في رَأسِي بِمُرْتَحِلٍ عَنّي ، وَأعْلَمُ أنّي عَنْهُ مُرْتَحِلُ
مَنْ لمْ يَعِظهُ بَيَاضُ الشّعرِ أدْرَكَهُ في غِرّةٍ حَتْفُهُ المَقدُورُ وَالأجَلُ
مَنْ أخطَأتْهُ سِهَامُ المَوْتِ قَيّدَهُ طُولُ السّنينَ ، فَلا لَهْوٌ ولا جَذَلُ
وَضَاقَ مِنْ نَفْسِهِ ما كانَ مُتّسِعاً ، نَى الرّجاءُ ، وَحتّى العَزْمُ وَالأملُ

[1] تشبث : تعلق ، تمسك . الخلل ، الواحدة خلة : جفن السيف .

مَا عِفّتي في الهوَى يَوْماً بمَانِعتي	أنْ لا تَعِفَّ بكَفّيَّ القنَا الذُّبُلُ
وَلِلرّجَالِ أحَادِيثٌ ، فأحسَنُها	مَا نَمّقَ الجُودُ لا مَا نَمّقَ البَخَلُ
وَلا اقتِحَامي عَلَى الغارَاتِ يَعصِمُني	مِنَ المَنُونِ ، وَلا رَيثٌ ، وَلا عَجَلُ
وَمِيتَتي في النّوَى وَالقُرْبِ وَاحِدَةٌ ،	إذا تَكَافَأتِ الغَايَاتُ وَالسُّبُلُ
يَستَشعِرُ الطّرْفُ زَهْواً يَوْمَ أرْكَبُه ،	كَأنّهُ بِنُجُومِ اللّيْلِ مُنتَعِلُ
وَالخَيْلُ عَالِمَةٌ مَا فَوْقَ أظْهُرِهَا	مِنَ الرّجَالِ جَبَانٌ كَانَ أوْ بَطَلُ[1]
أغَرُّ أدْهَمُ صِبْغُ اللّيْلِ صِبْغَتُهُ ،	تَضَلُّ في خَلْقِهِ الألحَاظُ وَالمُقَلُ
مُنَاقِلٌ في عِنَانِ الرّيحِ جِرْيَتُهُ ،	كَأنّهُ قَبَسٌ أوْ بَارِقٌ عَمِلُ[2]
قَصِيرُ مَا بَينَ أُولاهُ وَآخِرِهِ ،	كأنّمَا العُنُقُ مَعقُودٌ بِهَا الكَفَلُ
إذا الرّبيعُ كَسَا البَيداءَ بُرْدَتَهُ ،	ضَافَتْ رِكابي وِهادُ الأرْضِ وَالقُلَلُ
وَالوَارِداتُ مِيَاهَ القَاعِ سَانِحَةً	عَلى جَوَانِبِهَا الحَوْذانُ وَالنَّفَلُ
وَكَالثّغُورِ أقَاحِيهَا ، إذا غَرَبَتْ	شمسُ النّهارِ ،وَألقَتْ صِبغَها الأُصُلُ
وِرْدٌ وَمَرْعًى ،إذا شَاءَتْ مَشافِرُها ،	مُستَجمِعَانِ ، وَلا كَدٌّ وَلا عَمَلُ
وَغَافِلِينَ عَنِ العَلْيَاءِ قَائِدُهُمْ	في كُلّ غَيٍّ فَتيُّ العَقْلِ مُكْتَهِلُ
شَنّوا الخِضَابَ حِذاراً أنْ يُطالبَهُمْ	بِحِلمِهِ الشّيبُ، أوْ يُقصِيهِمُ الغزَلُ
عَارِينَ إلاّ مِنَ الفَحْشَاءِ يَستُرُهمْ	ثَوْبُ الخُمُولِ وَتَنْبُو عَنهمُ الحُلَلُ
قَوْمٌ بأسمَاعِهِمْ عَنْ مَنطِقي صَمَمٌ ،	وَفي لَوَاحظِهِمْ عن مَنظرِي قَبَلُ

١ كان : تامة ، معناها حدث ووقع .
٢ العمل : الدائم .

يُبَدّدُونَ ، إذا أقبَلْتُ ، لحظَهُمُ ، شُرْبَ المُرَوَّعِ لا عَلٌّ ، وَلا نَهَلُ
يُبدُونَ وُدّي وَيَحمُوني ثَرَاءَهُمُ ، لوْ كانَ حَقّاً تَساوَتْ بَينَنا الدّوَلُ
كَفَى حَسُودِيَ كَبْتاً أنّهُ رَجُلٌ أغرَى بِهِ الهَمُّ مُذْ أغرَى بيَ الجَدَلُ
مَا بَالُ شِعْرِي ملُوماً لا يُجَانِبُهُ عن كلّ ما يَقتَضِيهِ القَوْلُ وَالعَمَلُ
لا حاجَةٌ بي إلى مَالٍ يُعَبّدُني لَهُ الرّجَاءُ ، وَيُضْنِيني بهِ الشّغَلُ
حَسبي غِنَى نَفسِيَ الباقي ، وَكلُّ غنًى مِنَ المَغَانِمِ وَالأمْوَالِ يَنْتَقِلُ
تَغَيّرَ النّاسُ في سَمْعٍ وَفي نَظَرٍ ، وَاستُحسنَ الغدرُ حتى استقبحَ الخِلَلُ
فَمَا طِلابُكَ إنْسَاناً تُصَاحِبُهُ ، كُلُّ الأنامِ ، كمَا لا تَشتَهي ، هَمَلُ
يَستَبشرُونَ ، إذا صَحّتْ جُسُومُهمُ ، وَبالعُقُولِ ، إذا فَتّشْتَها ، عِلَلُ
مَا هَيّجَتْني العِدا ، إلاّ وَكنتُ لهَا سَمَاءَ كُلّ جَوَادٍ أرْضُهُ القُلَلُ
يَمشي الحُسَامُ بكَفّي في رُؤوسِهِمُ ، وَيَخرُقُ الرّمحُ ما تَعيا بهِ الفُتُلُ[1]
قَوْمي هُمُ النّاسُ لا جِيلٌ سَوَاسيَةٌ ، الجُودُ عِندَهُمُ عَارٌ ، إذا سُئلُوا
أبي الوَصِيُّ وَأُمّي خَيرُ وَالِدَةٍ ، بِنْتُ الرّسُولِ الذي ما بَعدَهُ رُسُلُ
وَأينَ قَوْمٌ كَقَوْمي إنْ سَألتَهُمُ سَوَابِقَ الخَيلِ في يَوْمِ الوَغى نزَلُوا
كالصّخرِ إنْ حَلُموا وَالنّارِ إنْ غضِبوا ، وَالأُسدِ إنْ رَكِبُوا وَالوَبلِ إن بذلُوا
الطّاعِنِينَ مِنَ الجَبّارِ مَقْتَلَهُ ، وَالضّارِبِينَ ، وَذَيلُ النّقعِ مُنسَدِلُ
وَالرّاكِبِينَ المَطَايَا ، وَالجِيادَ مَعاً ، لا الشُّكلُ تَحبسُها يَوْماً وَلا العُقُلُ

[1] الفتل ، الواحد فتيل : ما يوضع في جرح الجريح .

تُغضي عيُونُ الأعادي عَن رِماحِهِمُ ، وَلِلأسِنّةِ فِيهِم أعيُنٌ نُجُلُ
لَيسَ المَعادُ إلى الدّنْيَا بِمُتّفِقٍ ، وَلا رُجُوعٌ لمَنْ يَمْضِي بهِ الأجَلُ
وَاللهُ أكرَمُ مَوْلًى أنْتَ آمِلُهُ ، يَوْماً، وَأعظَمُ مَن يُعطي وَمن يُسَلُ
عَفوٌ، وَحِلمٌ، وَنَعماءٌ، وَمَقدِرَةٌ ، وَمُستَجيبٌ، وَمِعطاءٌ ، وَمُحتَمِلُ
وَكَيفَ نأمُلُ أنْ تَبقَى الحَيَاةُ لَنا، وَغَيرُ رَاجِعَةٍ أيّامُنَا الأُوَلُ

قل الحامدون

قال لما تقلد النقابة وقد بلغه عن بعض أعدائه أنه قلق لما جرى تقليده قلقاً شديداً ويذكر معنى آخر :

قَلِقَ العَدُوُّ ، وَقَد حَظيتُ برتبةٍ تَعْلُو عَنِ النُّظَرَاءِ وَالأمْثَالِ
لَوْ كُنتُ أقنَعُ بالنِّقَابَةِ وَحدَها لَغَضَضْتُ، حينَ بَلَغتُها ، آمَالي
لَكِنّ لي نَفْسٌ تَتُوقُ إلى التي مَا بَعْدَ أعْلاهَا مَقَامٌ عَالِ[1]
قالوا: حَجَرْتَ على نَداكَ ،وَطالمَا أرْغَمتَ فِيهِ مَعاطِسَ العُذّالِ
هَيهاتَ! قَلّ الحامدونَ وَصَارَ مَن أحبُوهُ يَحْسُدُني عَلى أمْوَالي
مَنْ لي بمَنْ تَزْكو الصّنائعُ عنده، حتّى أُشَاطِرَهُ كَرَائِمَ مَالي

١ لكن : اسمها ضمير الشأن تقديره : لكنه .

نحن القروم الصيد

قال في سنة ٤٠٤ لما وقف على منازله :

أَمِلٌ مِنْ مَثَانِيهَا ، فَهَذا مَقِيلُها، وَهَذِي مَغَانِي دارِهِم وَطُلُولُهَا[1]
حَرَامٌ عَلَى عَيْنَيَّ تَجاوُزُ أَرْضِهَا ، وَلَمْ يَرْوِ أَظْمَاءَ الدّيَارِ هُمُولُهَا
وَقَدْ خالَطَتْ ذاكَ الثّرَى نَفَحاتُها، وَجُرّتْ عَلَى ذاكَ الصّعيدِ ذُيُولُهَا
حُقُوفُ رِمَالٍ ما يُخَافُ انْهِيَالُها، وَأَغْصَانُ بَانٍ مَا يُخَافُ ذُبُولُهَا
إذا مَا تَرَاآهَا اللّوَائِمُ سَاعَةً ، فَأَعْذَرُهَا فِيمَنْ يُحِبُّ عَذُولُهَا
رَضِينَا وَلَمْ نَسمَحْ من النّيلِ بالرّضَا، وَلكِنْ كَثِيرٌ ، لَوْ عَلِمنا ، قَلِيلُهَا
شُمُوسُ قِبابٍ قَدْ رَأَيْنا شُرُوقَها، فَيَا لَيتَ شِعرِي أينَ مِنّا أُفُولُهَا
تَعَالَيْنَ عَنْ بَطْنِ العَقِيقِ تَيَامُناً، يُقَوّمُهَا قَصْدَ السُّرَى وَيُمِيلُهَا
فَهَلْ مِنْ مُعيرِي نَظْرَةً فأُرِيكَهَا ، شُرَيْقِيَّ نَجْدٍ يوْمَ زَالَتْ حُمُولُهَا
كَطَامِيَةِ التّيّارِ يَجْرِي سَفِينُهَا ، أوِ الفُلُجِ العَلْيَاءِ يَهْفُو نَخيلُهَا[2]
وَلَمْ تَرَ إلاّ مُمْسِكاً بِيَمِينِهِ رَوَاجِفَ صَدْرٍ مَا يُبَلّ غَلِيلُهَا
وَمُخْتَنِقاً مِنْ عَبْرَةٍ مَا تَزُولُهُ ، وَمُخْتَبِطاً في لَوْعَةٍ مَا يَزُولُهَا
محَا بَعدَكُمْ تِلكَ العُيونَ بُكَاؤها، وَغَالَ بكُمْ تِلكَ الأضَالعَ غُولُهَا

١ أمل من مثانيها : أراد أمل من أعنتها .
٢ الفلج ، الواحدة فلجة : الأرض المشقوقة للزراعة

فَمِنْ نَاظِرٍ لَمْ تَبْقَ إلاّ دُمُوعُهُ، وَمِنْ مُهْجَةٍ لَمْ يَبْقَ إلاّ غَليلُهَا
دَعُوا لِيَ قَلْباً بِالغَرَامِ أُذِيبُهُ عَلَيكُمْ، وَعَيناً في الطُّلُولِ أُجيلُهَا
سَقَاهَا الرَّبَابُ الجَوْنُ كُلُّ غَمامَةٍ يَهَشّ لهَا حَزْنُ المَلا وَسُهُولُهَا[1]
إذا مَلَكَتْ رِيحُ الجَنُوبِ عِنَانَهَا، أحَالَتْ عَلَيْهَا بَعْدَ لأيٍ قَبُولُهَا
وَسَاقَ إلَيْهَا مُثْقَلاتِ عِشَارِهِ، ضَوَامِرَ، تَرْغُو بالضَّرِيبِ فُحولُهَا[2]
نَجائبَ لا يُودي بأخفافِها السُّرَى، وَإنْ طَالَ بِالبِيدِ القَوَاءِ ذَميلُهَا[3]
فكَمْ نَفحةٍ مِنْ أرْضِها بَرّدتْ حشًى، وَبَلّ غَليلاً مِنْ فُؤادٍ بَليلُهَا
تَخَطّى الرّيَاحُ الهُوجُ أعنَاقَ رَمْلِها فَتَجبُرُهَا جَبْرَ القَرَا، وَتَهيلُهَا[4]
مَنَازِلُ لا يُعطي القِيَادَ مُقيمُهَا مُغَالَبَةً، وَلا يُهَانُ نَزِيلُهَا
خَليليّ قَدْ خَفّ الهَوَى وَتَرَاجَعَتْ إلى الحِلْمِ نَفْسٌ لا يَعِزُّ مُذِيلُهَا
فلَستُ ابنَ أُمّ الخَيلِ إنْ لمْ أمِلْ بها عَوَابِسَ في دارِ العَدُوّ أُبِيلُهَا
إذا انجَفَلَتْ مِنْ غَمرَةٍ بابَ كَرُّها، وَعَادَ إلى مَرّ المَنَايَا جُفُولُهَا
يُزَعْفَرُ مِنْ عَضّ الشّكيمِ لُعابُها، وَيُرْعَدُ مِن قَرْعِ العَوَالي خَصِيلُهَا[5]
وَأعطِفُ عَن خوْضِ الدّماءِ رُؤوسَها، فَقَدْ فُقِدَتْ أوْضَاحُهَا وَحُجولُهَا

١ الرباب الجون : السحاب الأبيض أو الأسود . الحزن : ما غلظ من الأرض . الملا: الصحراء .
٢ الضريب : اللبن يحلب من عدة لقاح في إناء واحد ، وأراد هنا المطر .
٣ القواء : القفر . الذميل : السير اللين .
٤ القرا : الظهر ، وأراد ظهر الأكمة . تهيلها ، من هال الرمل : صبه .
٥ الخصيل : كل لحمة فيها عصب .

نَميلُ عَلَيْهَا بِالسِّيَاطِ نَوَازِعاً، إلى كُلِّ بَيْدَاءٍ يُرِمُّ دَليلُهَا[1]
تَوَقَّرَ مِنْ عُنْفِ السِّيَاطِ مِرَاحُهَا، وَغَاضَ على طُولِ القِيادِ صَهيلُهَا[2]
وَنَحنُ القُرُومُ الصِّيدُ إنْ جاشَ بأسُها تَنُوذَرَ مَرْعَى ذَوْدِهَا وَمَقيلُهَا[3]
بِأيْمَانِنَا بِيضُ الغُرُوبِ خَفَائِفٌ، نَغُولُ بِهَا هَامَ العِدا وَتَغُولُهَا
تَفَلَّلْنَ حتّى كادَ مِنْ طُولِ وَقعِها بيَوْمِ الوَغَى يَقضِي عَلَيها فُلُولُهَا
قَوَائِمُ قَدْ جَرّبْنَ كُلَّ مُجَرَّبٍ، بضَرْبِ الطُّلى حتّى تَفانَتْ نُصُولُهَا
وَأوْدِيَةٌ بَينَ العِرَاقِ وَحَاجِرٍ بِبِيضِ المَوَاضِي وَالعَوَالي نُسيلُهَا
يَمُدّ بِدُفّاعِ الدّمَاءِ غُثَاؤهَا ، وَيَجْرِي بِأعْنَاقِ الرّجَالِ حَميلُهَا[4]
إذا هَاشِمُ العَلْيَاءِ عَبّ عُبَابُهَا ، وَسَالَتْ بِأطْنَابِ البُيُوتِ سُيُولُهَا
مُدَفَّعَةً تَحْتَ الرّحَالِ رِكَابُهَا ، مُحَفَّزَةً تَحْتَ اللُّبُودِ خُيُولُهَا
وَكُلُّ مُثَنّاةِ النُّسُوعِ مُطَارَةٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا حَلُّهَا وَرَحيلُهَا
كَأنّ عَلى مَتْنِ الظّليمِ قُتُودَها ، وَفي يَدِ عُلْوِيّ الرّيَاحِ جَديلُهَا[5]
رَأيْتُ المَسَاعي كُلَّهَا وَتَلاحَقَتْ فُرُوعُ العُلَى مَجمُوعَةً وَأُصُولُهَا
إذا استَبَقَتْ يَوْماً تَرَاخَى تَبِيعُهَا، وَخَلّى لهَا الشَّأوَ البَعيدَ رَسيلُهَا[6]

١ يرم : يسكت
٢ توقر : سكن . مراحها : نشاطها .
٣ تنوذر ، من تناذر القوم أمراً : حذر بعضهم بعضاً منه .
٤ الحميل : ما يحمله السيل من الغثاء .
٥ الظليم : الذكر من النعام . القتود : خشب الرحل . الجديل : الزمام المجدول .
٦ التبيع : الذي يتبعها . الشأو : الغاية والسبق . الرسيل : الذي يرسل معها .

وَإمّا أمَالَتْ للطّعَانِ رِمَاحَهَا ، وَشُنّ عَلَيْهَا لِلقَاءِ شَلِيلُهَا[1]
فَثَمّ عَوَالٍ مَا تُرَدّ صُدُورُها ؛ وَثَمّ جِيَادٌ مَا يُفَلّ رَعِيلُهَا
وَثَمّ الحُمَاةُ الذّائِدونَ عَنِ الحِمى ، عَشِيّةَ لا يَحْمي النّسَاءَ بُعُولُهَا
أبي ، ما أبي ، لا تَدّعُونَ نَظِيرَهُ ، رَدِيفُ العُلى مِن قَبلِكُم وَزَمِيلُهَا
هُوَ الحَامِلُ الأعبَاءَ كَلّ مُطيقِهَا ، وَعَجّ عَجِيجَ المُوقَرَاتِ حَمُولُهَا
طَوِيلُ نِجَادٍ يَحتَبي في عِصَابَةٍ ، فَيَفْرَعُهَا مُسْتَعْلِياً ، وَيَطُولُهَا
إذا صَالَ قُلنا: أجمَعَ اللّيثُ وَثبَةً ؛ وَإنْ جادَ قُلنا: مَدّ مِن مصرَ نيلُهَا
حَلِيمٌ ، إذا التفّتْ عَلَيْهِ عَشِيرَةٌ تَطَاطَا لَهُ شُبّانُهَا وَكُهُولُهَا
وَإنْ نُعْرَةٌ يَوْماً أمَالَتْ رُؤوسَهَا ، أقَامَ عَلى نَهْجِ الهُدَى يَستَمِيلُهَا
وَأنظَرَهَا حَتّى تَعُودَ حُلُومُهَا ، وَأمْهَلَهَا حَتّى تَثُوبَ عُقُولُهَا
وَلمْ يَطْوِها بالحِلْمِ فَضْلَ زِمَامِهَا ، فَتَعْثُرَ فِيهِ عَثْرَةً لا يُقِيلُهَا
فعَنْ بأسِهِ المَرْهوبِ يُرْمَى عَدُوُّها ، وَمن مالِهِ المَبذُولِ يُودَى قَتيلُهَا
أكَابِرُنَا ، وَالسّابِقُونَ إلى العُلَى ، ألا تِلْكَ آسَادٌ ، وَنَحنُ شُبُولُهَا
وَإنّ أسُوداً كُنتُ شِبلاً لبَعْضِهَا ، لَمَحْقُوقَةٌ أنْ لا يُذَلّ قَتِيلُهَا

١ الشليل : الدرع الصغيرة تحت الدرع الكبيرة .

الأماني حسرة وعناء

يرثي أبا عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام في يوم عاشوراء سنة ٣٨٧ :

رَاحِلٌ أنْتَ ، وَاللّيَالي نُزُولُ ، وَمُضِرٌّ بِكَ البَقَاءُ الطّوِيلُ
لا شُجَاعٌ يَبْقَى فَيَعْتَنِقَ الْـ ـبِيضَ ، وَلا آمِلٌ ، وَلا مَأمُولُ
غَايَةُ النّاسِ في الزّمَانِ فَنَاءٌ ، وكَذا غَايَةُ الغُصُونِ الذّبُولُ
إنّمَا المَرْءُ للمَنِيّـةِ مَخْبُو ءٌ ، وَللطّعْنِ تُسْتَجَمّ الخُيُولُ[1]
مِنْ مَقِيلٍ بَيْنَ الضّلُوعِ إلى طو لِ عَنَاءٍ ، وَفي التّرَابِ مَقِيلُ
فَهْوَ كَالغَيْمِ ألّفَتْهُ جَنوبٌ، يَوْمَ دَجْنٍ ، وَمَزّقَتهُ قَبولُ
عَادَةٌ للزّمَانِ في كُلّ يَوْمٍ ، يَتَنَاءَى خِلٌّ ، وَتَبكي طُلُولُ
فَاللّيَالي عَوْنٌ عَلَيْكَ مَعَ البَيْـ ـنِ ، كمَا ساعَدَ الذّوَابلَ طُولُ
رُبّمَا وَافَقَ الفَتَى مِنْ زَمَانٍ فَرَحٌ ، غَيرُهُ بِهِ مَتْبُولُ
هيَ دُنيَا إنْ وَاصَلَتْ ذا جَفَتْها ذا مَلالاً ، كَأنّهَا عُطْبُولُ[2]
كُلٌّ بَاكٍ يُبْكَى عَلَيْهِ ،وَإن طا لَ بَقَاءٌ ، وَالثّاكِلُ المَثكولُ

١ تستجم من قولهم : استجم البئر : تركها حتى تمتلىء ماء ، وأراد هنا : تترك الخيول مستريحة حتى تمتلىء نشاطاً وقوة .

٢ العطبول : المرأة الفتية الجميلة .

وَالأمَانيُّ حَسْرَةٌ وَعَنَاءٌ ... لِلّذي ظَنّ أنّهَا تَعْليلُ
مَا يُبَالي الحِمَامَ أينَ تَرَقّى ، ... بَعْدَمَا غَالَتِ ابنَ فاطمَ غُولُ
أيُّ يَوْمٍ أدمَى المَدامِعَ فيهِ ، ... حَادِثٌ رَائعٌ، وَخَطبٌ جَليلُ
يَوْمُ عاشوراءَ الذي لا أعَانَ الـ ... صّحْبُ فيهِ وَلا أجارَ القَبيلُ[1]
يا ابنَ بنتِ الرّسُولِ ضَيّعَتِ العَهْـ ... ـدَ رِجالٌ ، وَالحافِظونَ قَليلُ
ما أطَاعُوا النبيّ فيكَ ، وَقَدْ مَا ... لَتْ بِأرْمَاحِهِمْ إليكَ الذُّحولُ[2]
وَأحَالُوا عَلَى المَقَاديرِ في حَرْ ... بِكَ لَوْ أنّ عُذرَهُمْ مَقبُولُ
وَاستَقالُوا مِنْ بَعدِ ما أجلَبوا فيـ ... ـهَا أألآنَ أيّهَا المُستَقيلُ
إنّ أمراً قَنّعْتَ مِنْ دُونِهِ السّيْـ ... ـفَ لِمَنْ حَازَهُ لَمَرْعًى وَبيلُ
يا حُسَاماً فَلّتْ مَضَارِبُهُ الهَا ... مَ ، وَقَدْ فَلّهُ الحُسَامُ الصّقيلُ
يا جَوَاداً أدْمَى الجَوَادَ مِنَ الطّعْـ ... ـنِ ، وَوَلّى ، وَنَحْرُهُ مَبلُولُ
حَجَلَ الخيلُ مِن دِمَاءِ الأعادي ... يوْمَ يَبدو طَعنٌ ، وَتخفى حُجولُ
يوْمَ طاحَتْ أيدي السّوَابقِ في النّقْـ ... ـعِ وَفاضَ الوَنى وَغاضَ الصّهيلُ
أتُرَاني أُعِيرُ وَجْهِيَ صَوْناً ، ... وَعَلَى وَجهِهِ تَجولُ الخُيولُ
أتُرَاني ألَــذُّ مَاءً ، وَلَمّا ... يَرْوَ مِنْ مُهجَةِ الإمامِ الغَليلُ
قَبّلَتْهُ الرّمَاحُ وَانتَضَلَتْ فيـ ... ـهِ المَنَايَا ، وَعَانَقَتْهُ النُّصُولُ
وَالسّبَايَا عَلَى النّجَائِبِ تُستَا ... قُ ، وَقد نَالَتِ الجُيوبَ الذّيولُ

---

١ القبيل : الجماعة من أقوام شتى .
٢ الذحول : الثارات .

مِنْ قُلُوبٍ يَدْمَى بِهَا نَاظِرُ الوَجْـ ـدِ وَمِن أدمُعٍ مَرَاهَا الهُمُولُ[1]
قَدْ سَلَبْنَ القِنَاعَ عَن كلّ وَجهٍ فيهِ لِلصَّوْنِ مِنْ قِنَاعٍ بَدِيلُ
وَتَنَقّبْنَ بِالأنَامِلِ ، وَالدّمْـ ـعُ عَلى كُلّ ذي نِقَابٍ دَلِيلُ
وَتَشَاكَيْنَ ، وَالشّكَاةُ بُكَاءٌ ، وَتَنَادَيْنَ ، وَالنّدَاءُ عَوِيلُ
لا يَغُبُّ الحَادي العَنيفُ، وَلا يَفْـ ـتُرُ عَنْ رَنّةِ العَديلِ العَديلُ
يا غَرِيبَ الدّيارِ ! صَبرِي غَرِيبٌ؛ وَقَتيلَ الأعداءِ ، نَوْمي قَتيلُ
بي نِزَاعٌ يَطغَى إلَيكَ وَشَوْقٌ ، وَغَرَامٌ ، وَزَفْرَةٌ ، وَعَوِيلُ
لَيتَ أنّي ضَجيعُ قَبرِكَ، أوْ أ نّ ثَرَاهُ بِمَدْمَعي مَطْلُولُ
لا أغَبَّ الطُّفُوفَ في كُلّ يَوْمٍ من طِرَافِ الأنوَاءِ غَيثٌ هَطولُ[2]
مَطَرٌ نَاعِمٌ ، وَرِيحُ شَمَالٍ ، وَنَسيمٌ غَضٌّ ، وَظِلٌّ ظَليلُ
يا بَني أحمَدٍ ! إلى كَمْ سِنَاني غَائِبٌ عَنْ طِعَانِهِ مَمطُولُ
وَجِيَادِي مَرْبُوطَةٌ ، وَالمَطَايا، وَمَقَامي يَرُوعُ عَنهُ الدّخيلُ[3]
كَم إلى كم تَعلو الطُّغاةُ، وكم يحـ ـكُمُ في كُلّ فاضِلٍ مَفضُولُ
قَدْ أذاعَ الغَليلُ قَلبي ، وَلَكِنْ غَيرَ بِدْعٍ إنِ استَطَبّ العَليلُ
لَيْتَ أنّي أبقَى ، فَأمتَرِقَ النّا سَ وَفي الكَفّ صَارِمٌ مَسلُولُ[4]

١ مراها : استخرجها .
٢ الطفوف ، الواحد طف : شاطىء الفرات وما ارتفع من جانبه
٣ يروع : يرتد .
٤ امترق : اخترق .

وَأجُرُّ القَنَا لِثَارَاتِ يَوْمِ الـ طّفّ يَسْتَلحِقُ الرّعيلَ الرّعيلُ[1]
صَبَغَ القلبَ حُبُّكُمْ صِبغَةَ الشّيْـ بِ وَشَيبي ، لوْلا الرّدى ، لا يَحولُ
أنَا مَوْلاكُمُ ، وَإنْ كُنتُ منكُم ، وَالدي حَيدَرٌ ، وَأُمّي البَتُولُ[2]
وَإذا النّاسُ أدْرَكُوا غَايَةَ الفَخْـ رِ شَآهُم مَن قالَ جَدّيَ الرّسُولُ[3]
يَفرَحُ النّاسُ بي لأنّيَ فَضْلٌ ، وَالأنَامُ الذي أرَاهُ فُضُولُ
فَهُمُ بَينَ مُنْشِدٍ مَا أُقَفّيـ ـهِ سُرُوراً ، وَسَامعٍ مَا أقُولُ
لَيتَ شِعرِي، مَن لائمي في مَقالٍ تَرْتَضِيهِ خَوَاطِرٌ وَعُقُولُ
أتُرُكُ الشيْءَ عاذِرِي فيهِ كلُّ الـ نّاسِ مِن أجلِ أنْ لحَاني عَذُولُ
هُوَ سُؤلي إنْ أسْعَدَ اللهُ جَدّي ، وَمَعَالي الأُمُورِ للذِّمرِ سُولُ[4]

١ يوم الطف : هو اليوم الذي قتل فيه الحسين ابن الإمام علي .
٢ حيدر : لقب الإمام علي . البتول : لقب زوجه فاطمة بنت النبي .
٣ شآهم : سبقهم .
٤ الذمر : الشجاع .

موت الفتى خير له

يعزي الخليفة عن عمر بن إسحق بن المقتدر وآخر ولد
كان بقي للمقتدر من ظهره وتوفي في ذي القعدة سنة ٣٧٧ :

أيُرْجِعُ مَيْتاً رَنّةٌ وَعَوِيلُ ، وَيَشْفَى بِأسرَابِ الدّمُوعِ غَلِيلُ ؟
نُطِيلُ غَرَاماً ، وَالسّلُوُّ مُوَافِقٌ ، وَنُبْدِي بُكَاءً ، وَالعَزَاءُ جَمِيلُ
شَبَابُ الفَتى لَيلٌ مُضِلٌّ لِطُرْقِهِ ، وَشَيبُ الفَتى عَضبٌ عَلَيهِ صَقيلُ
فَمَا لَوْنُ ذا قَبلَ المَشيبِ بدائِمٍ ، وَلا عَصرُ ذا بَعدَ الشّبابِ طَوِيلُ
وَحَائِلُ لَوْنِ الشّعْرِ ، في كلّ لِمّةٍ ، دَلِيلٌ عَلى أنّ البَقَاءَ يَحُولُ
نُؤمِّلُ أن نَرْوَى من العَيشِ ، وَالرّدى شَرُوبٌ لأعْمَارِ الرّجَالِ أكُولُ
وَهَيهَاتَ مَا يُغْني العَزِيزَ تَعَزُّزٌ فَيَبقَى ، وَلا يُنجي الذّليلَ خُمُولُ
نَقُولُ : مَقِيلٌ في الكَرَى لجُنُوبِنا ، وَهَل غَيرُ أحشَاءِ القُبُورِ مَقيلُ
دَعِ الفِكْرَ في حُبّ البَقاءِ وَطولِهِ ، فَهَمُّكَ ، لا العُمرُ القَصِيرُ ، يَطولُ
وَلا تَرْجُ أنْ تُعطَى من العَيشِ كثْرَةً ، فكُلُّ مُقَامٍ في الزّمَانِ قَلِيلُ
وَمَنْ نَظَرَ الدّنْيَا بِعَينِ حَقيقَةٍ ، دَرَى أنّ ظِلاًّ لمْ يَزُلْ سَيَزُولُ
تُشَيِّعُ أظْعَانٌ إلى غَيرِ رَجْعَةٍ ، وَتُبْكَى دِيَارٌ بَعْدَهمْ وَطُلُولُ
لمَاذا تُرَبّي المُرْضِعَاتُ طَمَاعَةً ؛ لمَاذا تَخَلّى بِالنّسَاءِ بُعُولُ[1]

....

[1] تخلى : تنفرد في خلوة .

أَلَيسَ إلى الآجَالِ نَهوِي، وَخَلفُنا ... مِنَ المَوْتِ حَادٍ لا يَغُبُّ عَجُولُ؟
فمُحتَضَرٌ بَينَ الأقارِبِ ، أوْ فَتًى ... تَشَحّطَ مَا بَينَ الرّمَاحِ قَتِيلُ[1]
إذا لمْ يكُنْ عَقلُ الفتى عونَ صَبرِهِ ، ... فَلَيسَ إلى حُسْنِ العَزَاءِ سَبِيلُ
وَإنْ جَهِلَ الأقدارَ وَالدّهرَ عَاقِلٌ ، ... فَأضْيَعُ شَيْءٍ في الرّجَالِ عُقُولُ
تَغَيّرُ ألْوَانُ اللّيَالي ، وَتَنْمَحي ... بِهِ غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ
تَعَزَّ، أمِينَ اللهِ ، وَاستَأنِفِ الأسَى ، ... فَفي الأجرِ مِن عُظْمِ المُصَابِ بَدِيلُ
وَمَا هَذِهِ الأيّامُ إلاّ فَوَارِسٌ ... تُطَارِدُنَا ، وَالنّائِبَاتُ خُيُولُ
وَإنْ زَالَ نَجْمٌ مِن ذُؤابَةِ هاشِمٍ ، ... فَلا عَجَبٌ ، إنّ النّجومَ تَزُولُ
مَضَى وَالذي يَبقَى أحَبُّ إلى العُلَى ، ... وَأهدَى إلى المَعرُوفِ حِينَ يُنِيلُ
بَقَاءَكَ نَهْوَى وَحْدَهُ دُونَ غَيرِهِ ، ... فَدَعْ كُلّ نَفسٍ ما سِوَاكَ تَسيلُ
وَمَوْتُ الفتى خَيرٌ لَهُ من حَيَاتِهِ ، ... إذا جَاوَرَ الأيّامَ ، وَهوَ ذَلِيلُ
تَلَفّتْ إلى آبَائِكَ الغُرّ هَل تَرَى ... مِنَ القَوْمِ بَاقٍ جاوَزَتْهُ حُبُولُ[2]
وَهَل نالَ في العَيشِ الفتى فوْقَ عمرِهِ ، ... وَهَلْ بُلّ مِنْ داءِ الحِمَامِ غَلِيلُ
وَمَن ماتَ لمْ يَعلَمْ وَقد عانَقَ الثّرَى ... بَكَاهُ خَلِيلٌ أمْ سَلاهُ خَلِيلُ
فكَفْكِفْ عِنانَ الوَجدِ ،إمّا تَعزّياً، ... وَإمّا طِلاباً أنْ يُقَالَ حَمُولُ
فكُلٌّ ،وَإن لمْ يَعجلِ المَوْتُ، ذاهِبٌ، ... ألا إنّ أعمَارَ الأنَامِ شُكُولُ
وَللحُزْنِ ثَوْرَاتٌ تَجُورُ عَلى الفَتى ، ... كمَا صَرَعَتْ هَامَ الرّجَالِ شَمُولُ

١ المحتضر : الذي حضره نزع الموت . تشحط : تضرج بالدم ، اضطرب فيه .
٢ الحبول : أراد الداهية .

لقد كنتُ أُوصِي بالبُـكَاءِ مِنَ الجوَى ... لَوَ انّ غَرَاماً بالدّمُوعِ غَسيلُ
فَأمّا ، ولا وَجْدٌ يزُولُ بعَبرَةٍ ، ... فصَبرُ الفَتى ، عندَ البَلاءِ ، جَميلُ
وكَم خالَطَ الباكينَ مِن سن ّضَاحكٍ ، ... وبَينَ رُغَاءِ الرّازِحَاتِ صَهيلُ[1]
وَإنّي أرَاني لا ألِينُ لِحَادِثٍ ... لَهُ أبَداً وَطْءٌ عَليّ ثَقيلُ
وَأُغضِي عَنِ الأقدارِ،وَهيَ تَنوبُـني ، ... وَمَا نَظَرِي، عِندَ الأمُورِ، كَليلُ
يُهَوِّنُ عِندي الصّبرَ ما وَقَعَتْ بِهِ ... صُرُوفُ اللّيالي، وَالخُطوبُ نُزُولُ
وَمَا أنَا بالمُغضِي عَلى ما يَعيبُني ؛ ... وَلا أنَا عَنْ وُدّ القَرِيبِ أحُولُ
وَلا قَائِلٌ مَا يَعْلَمُ اللهُ ضِدّهُ ، ... وَلَوْ نَالَ مِنْ جِلْدِي قَناً وَنُصُولُ
وَلَوْلا أميرُ المُؤمِنِينَ تَحَضّرَتْ ... بيَ البيدَ هَوْجاءُ الزّمَامِ ذَمُولُ[2]
وَطَوّحَ بي ،في كُلّ شَرْقٍ وَمَغرِبٍ، ... زَمَانٌ ضَنينٌ بالرّجَاءِ بَخيلُ
وَلَكِنّهُ أعلَى مَحَلّي عَلى العِدَا ، ... وَعَلّمَ نُطْقي فيهِ كَيفَ يَقُولُ
وَعَوّدَني مِنْ جُودِ كَفّيْهِ عَادَةً ، ... أعُوجُ إلَيْهَا بالمُنى وَأميلُ
يَقولونَ :لوْ أمّلْتَ في النّاسِ غَيرَهُ ، ... وَهَلْ فَوْقَهُ للسّائلِينَ مَسُولُ
وَمَنْ يَكُ إقْبَالُ الخَليفَةِ سَيفَهُ، ... يُلاقِ اللّيَالي ، وَهيَ عَنهُ نُكُولُ
وَمَنْ كَانَ يَرْمي عَن تَقَدّمِ باعِهِ ... يُصِبْ سَهمُهُ أغرَاضَهُ وَيَؤولُ[3]

١ الرغاء : صوت الجمل . الرازحات : النياق التي سقطت إعياء وهزالا .

٢ تحضرت بي : عدت بي . الهوجاء : الناقة المسرعة . الذمول : التي تسير الذميل وهو سير متوسط .

٣ يؤول : يرجع .

فَتًى تُبصِرُ العَلْيَاءُ في كُلّ مَوْقِفٍ   بِهِ الرّمْحَ أعمَى وَالحُسَامَ ذَلِيلُ
وَيُدْخِلُ أطْرَافَ القَنَا كُلَّ مُهجَةٍ   بِهَا أبَداً غِلٌّ عَلَيْهِ دَخِيلُ
إذا لاحَ يَوْمُ الرّوْعِ في سرْجِ سابحٍ   تَنَاذَرَهُ بَعْدَ الرّعِيلِ رَعِيلُ
بَقِيتَ ، أميرَ المُؤمِنِينَ ، فَإنّما   بَقَاؤكَ بِالعِزّ المُقِيمِ كَفِيلُ
وَلا ظَفِرَتْ مِنْكَ اللّيَالي بفُرْصَةٍ ،   وَلا غَالَ قَلباً بَيْنَ جَنبيكَ غُولُ
وَأُعطِيتَ ما لمْ يُعطَ في المُلكِ مالِكٌ ،   فإنّكَ فَضْلٌ ، وَالأنَامُ فُضُولُ

سقوط طود وزوال ملك

قال أيضاً لما خلع الخليفة الطائع لله يذكر أيامه ويرثيها ويتوجع له بما لحقه وذلك في شعبان سنة ٣٨١ :

إنْ كَانَ ذاكَ الطّوْدُ خَـ   رَّ ، فَبَعدَما استَعلى طَوِيلا
مُوفٍ عَلَى القُلَلِ الذّوَا   هبِ في العُلى عَرْضاً وَطُولا
قَرْمٌ يُسَدِّدُ لَحْظَهُ ،   فَتَرَى القُرُومَ لَهُ مُثُولا
وَيُرَى عَزِيزاً حَيْثُ حَـ   لَّ ، وَلا يَرَى إلاّ ذَلِيلا
كَاللّيثِ ، إلاّ أنّـهُ   اتّخَذَ العُلى وَالمَجْدَ غِيلا
وَعَلا عَلَى الأقْرَانِ لا   مِثلاً يُعَدّ وَلا عَدِيلا
مِنْ مَعْشَرٍ رَكِبُوا العُلى،   وَأبَوْا عَنِ الكَرَمِ النّزُولا

غُرٌّ ، إذا نَسَبُوا لَنَا ال   غُرَرَ اللّوَامِعَ وَالحُجُولا
كَرُمُوا فُرُوعاً ، بَعدَما   طابُوا ، وَقد عُجموا أُصُولا
نَسَبٌ غَدَا رُوّادُهُ   يَستَنجِبُونَ لَنَا الفُحُولا
يا نَاظِرَ الدّينِ الّذي   رَجَعَ الزّمَانُ بِهِ كَلِيلا
يا صَارِمَ المَجْدِ الّذي   مُلِئَتْ مَضَارِبُهُ فُلُولا
يا كَوْكَبَ الأحْسَابِ أعْ   جَلَكَ الدُّجَى عنّا أفُولا
يَا غَارِبَ النِّعَمِ العِظَا   مِ غَدَوْتَ مَعموراً جَزِيلا[1]
يا مُصْعَبَ العَلْيَاءِ قا   دَ تَلْكَ العِدا نِقْضاً ذَلُولا[2]
لَهْفي عَلى مَاضٍ قَضَى   ألاّ تَرَى مِنْهُ بَدِيلا
وَزَوَالُ مُلْكٍ لمْ يَكُنْ   يَوْماً يُقَدَّرُ أنْ يَزُولا
وَمَنَازِلٍ سَطَرَ الزّمَا   نُ عَلى مَعالمِهَا الحُؤولا[3]
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ عَلى ال   أيّامِ مَرْبَأَةً زَلُولا[4]
وَالأُسْدُ تَرْتَكِزُ القَنَا   فِيهَا ، وَتَرْتَبِطُ الخُيُولا
مَنْ يُسبِغُ النِّعَمَ الجِسَا   مَ ، وَيَصْطَفي المجدَ الجَزِيلا
مَنْ يُنْتِجُ الآمَالَ يَوْ   مَ تَعُودُ باللّيَانِ حُولا[5]

١ الغارب : الكاهل . المعمور : الباقي على الزمان .
٢ المصعب : الفحل . النقض : المهزول .
٣ الحؤول : التحول من حالة إلى أخرى .
٤ المربأة : المكان الذي يقف فيه من يرقب . الزلول : المزلقة .
٥ الليان : المطل . الحول : من التحول والانقلاب .

مَنْ يُورِدُ السُّمْرَ الطِّوَا ل َ، وَيَطعَمُ البِيضَ النُّصُولا
مَنْ يَزْجُرُ الدَّهْرَ الغَشُو م َ، وَيَكشِفُ الخَطبَ الجليلا
وَتَرَاهُ يَمْتَنِعُ دُونَنَا وَادي النَّوائِبِ أنْ يَسيلا
عَقّادُ أَلْوِيَةِ المُلُو كِ على العُلى جِيلاً، فَجِيلا
هَذا ، وَكَمْ حَرْبٍ تَبُزُّ الأُسْدَ سَطوَتُها الغَليلا[1]
صَمّاءُ تُخرِسُ آلَها ، إلاّ قِرَاعاً ، أوْ صَهِيلا
وَالخَيْلُ عَابِسَةٌ تَجُرُّ مِنَ العَجاجِ بها ذُيُولا
أجتابُ عارِضَها ، وَقَدْ رَحَلَ المَنُونُ بِهِ هَمُولا[2]
كَالثّائِرِ الضِّرْغامِ إنْ لَبِسَ الوَغى دَقَّ الرَّعيلا
صَانَعْتُ يَوْمَ فِرَاقِهِ قَلْباً ، قَدِ اعتَنَقَ الغَليلا
ظَعَنَ الغِنَى عَنّي ، وَحَوَّلَ رَحْلَهُ إلاّ قَليلا
إنْ عادَ يَوْماً عادَ وَجْهُ الدّهْرِ مُقْتَبِلاً جَميلا
وَلَئِنْ مَضَى طَوْعَ المَنونِ مُوَمِّماً تِلْكَ السّبيلا
فَلَقَدْ تَخَلّفَ مَجْدُهُ عِبْأً عَلى الدّنْيَا ثَقِيلا
وَاستَذْرَتِ الأيّامُ مِنْ نَفَحاتِهِ ظِلاً ظَليلا[3]

١ تبز : تسلب . الغليل : الحقد .
٢ الهمول : المتروك ليلا ونهاراً يرعى بلا راع .
٣ استذرت : استظلت .

ايها الظاعن

قال قدس الله روحه يرثي الخليفة الطائع لله وقد توفي في مجلسه وهو مخلوع يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شوال سنة ٣٩٣ ودفن في تربة كان عمرها بالرصافة وكان في خلافته شديد الميل إليه وكان بينهما أحوال وكيدة وأنس :

أيُّ طَوْدٍ دُكَّ مِنْ أيِّ جِبَالِ ، لقحتْ أرْضٌ بِهِ بَعدَ حِيَالِ[1]
مَا رَأى حَيٌّ نِزَارٍ قَبْلَهَا جَبَلاً سَارَ عَلى أيدي الرِّجالِ
عَجَباً أصْبَحتُ للضَّيْمِ ، وَمَا نَثَرَ الطّعْنُ أنَابِيبَ العَوَالي
فَإذا رَامي المَقَادِيرِ رَمَى فَدُرُوعُ المَرْءِ أعْوَانُ النّصَالِ
قَادَهُ المِقْدارُ قَسْراً بَعْدَمَا أكْرَهَ السُّمْرَ عَلى المَقِّ الطِّوَالِ[2]
وَأبَالَ الخَيْلَ في كُلِّ حِمًى ، يَمنَعُ المَاطِرَ مُنهَلَّ العَزَالي[3]
مِثلَ عِقْبَانِ المَوَامي دُلَّحاً ، رَاشَهَا قَرْعُ الحَنَايا بالنّبَالِ[4]
حَامِلاً عَنْ قَوْمِهِ العِبْءَ ، وَمَا حَمِدُوا عُرْعُرَةَ العَوْدِ الجُلالِ[5]
القَبرُ الذي أمْسَى بِهِ عَاطِلَ الأرْضِ جَميعاً وَهوَ حالي

١ لقحت : حملت .
٢ المق : الشق .
٣ منهل العزالي : هو من قولهم أرسلت السماء عزاليها إذا أمطرت مطراً شديداً .
٤ الموامي : الفلوات . الدلح ، الواحد دالح : السحاب الكثير الماء .
٥ العرعرة : السنام . العود : الجمل المسن .

لمْ يُوَارُوا بِكَ مَيْتاً إنّمَا أفرَغُوا فيكَ ذَنُوباً مِن نَوَالِ
طَالَ مَا لاذَ بِهِ المَالُ كَمَا لاذَتِ الإصْبِعُ يَوْماً بالقَبالِ
حَمَلُوهُ بَازِلاً مُحْتَقِراً دَلَجَ اللّيْلِ وَلَزّاتِ الحِبَالِ[1]
إنْ غَدا مَجْدُوعَةً أشْرَافُهُ ، فالبُنَى وَافِيَةٌ ، وَالمَجدُ عَالي
عَقَرُوا لَيثاً ، وَلَوْ هَاهُوا بِهِ كانَ بَعدَ العقرِ أرْجَى للصِّيالِ[2]
وَكَذا الأيّامُ مَنْ قَارَعَهَا ، تركَتْ فِيهِ عَلاماتِ النِّزَالِ
عَقَلُوهُ بَعْدَمَا جَازَ المَدَى ، وَطَوَى شَأوَ مَسَاعٍ وَمَعَالي
وَكَذا السّابِقُ ، يَوْماً بِعِنَانٍ يُحرِزُ السّبْقَ ، وَيَوْماً بعِقَالِ
قُمْتَ عَنْهَا بَعْدَمَا عَجّ بِهَا ، وَرَمَى أوْسُقَهَا بُزْلُ الجِمَالِ
وَانتَزَعْتَ النّصْلَ مِنْ مُقْلَتِها، بَعدَ غَايَاتِ نِزَاعٍ وَمَطَالِ
لَيتَهُمْ أعْطَوْكَ إنْ لمْ يَعدِلُوا، بُسْلَةَ الرّاقي مِنَ الدّاءِ العُضَالِ[3]
نَتَجُوا في المَجْدِ مَا ألقَحْتَهُ ، رُبّمَا أوْقَدَ نَاراً غَيرُ صَالي
وَكَأنّي خِلَلَ الغَيْبِ أرَى نَغرَةً مِنْ جُرْحِها بَعدَ اندمالِ[4]
وَإذا الأعْداءُ عَدّوكَ لَهَا سَلّمُوا فَضْلَكَ مِن غَيرِ جِدالِ
لا أضَاعُوا رَابِئاً في قُلّةٍ كَلأَ المَجدِ ، وَقَدْ نَامَ الكَوَالي[5]

١ اللزات : الشدات .
٢ هاهوا به : زجروه ، ودعوه بقولهم : هاها .
٣ البسلة : الأجرة .
٤ النغرة : سيلان الدم من الجرح .
٥ الرابىء : الرقيب . الكلأ : الحرس . الكوالي ، الواحد كالىء : الحارس .

يَوْمَ للشَّعْبِ دِهَانٌ مِنْ دَمٍ ، وَالمَوَاضِي للمَقَادِيمِ فَوَالي[1]
في فُتُوٍّ شَيَّعُوا أرْمَاحَهُمْ ، أمَمَ المَوْتِ إلى الطّعنِ عِجَالِ
بِخِفَافٍ فَوْقَ أيْمَانِ رِجالٍ ، وَثِقَالٍ فَوْقَ أعْنَاقِ رِجَالِ
قُضُبٌ، يَوْمُ صَداها في الوَغَى ، بالطُّلَى، أطولُ مِن يَوْمِ الصّقالِ
لَكَ مِنْهَا نَاحِلٌ تَعصَى بهِ ، يَوْمَ أبْدَلْنَ عَصِيّاً بِعَوَالي
تُلْحِمُ الأعْداءَ مِنهُ جَازِراً ، يَنقُلُ اللّحْمَ إلى غَيرِ عِيَالِ
قَد قَدَحتَ العِزّ زَنْداً غَيرَ كابٍ ، وَلَبِستَ المَجدَ بُرْداً غَيرَ بَالي
وَإذا أغْلَى الوَرَى أُكْرُومَةً ، وَجَدُوا عِندَكَ أثْمَانَ الغَوَالي
إنّ للطّائِعِ عِندِي مِنّةً ، وَحِمًى قَدْ بَلّهَا لي بِبِلالي
لَيسَ يُنسيها ، وَإنْ طالَ المدى، مَرُّ أيّامٍ عَلَيْهَا وَلَيَالي
فَاتَني مِنكَ انْتِصَارٌ بِيَمِيني ، فَتَلافَيْتُ انْتِصَاراً بِمَقَالي
لا عَجيبٌ حِفظُ كَفّ لِبَنَانٍ ، وَوَفَاءٌ مِنْ يَمِينٍ لِشِمَالِ
عَزّ مَنْ أمْسَى مُعِدّاً ظَهْرَهُ ، أخَذَ الأُهْبَةَ يَوْماً للزِّيَالِ
يَنظُرُ الدّنْيَا بعَيْنَيْ نَاهِضٍ ، مَطَرٌ يَنْفضُ أنْداءَ الطِّلالِ[2]
يَنشُطُ البُلْغَةَ مِنْ آكِلِهَا ، نِشطَةَ المَطرُودِ وَلّى، وَهوَ خالي
لا يَرِمْ قَبرَكَ مِبرَاقُ الذُّرَى ، مُنجِدَ الأعناقِ غَوْرِيَّ التّوَالي[3]

١ المقاديم ، الواحد مقدام : الكثير الإقدام .
٢ الناهض : فرخ الطائر الذي وفر جناحه وقدر على الطيران .
٣ لا يرم : لا يبرح . المنجد : المرتفع . غوري : منخفض ، نسبة إلى الغور .

كُلّما عَجّ رَمَى في عُرْضِهِ شُعَلَ البَرْقِ الرّبابُ المُتَعالي[1]
كَرِهَاءِ الدُّهْمِ لاقَيتَ بِهِ في رِعَالٍ يتَعَدّى بِرِعَالِ[2]
تُطْلِقُ الصَّرّةَ مِنْ أخْلافِهِ ، أمُّ أوْبَينِ: نُعَامَى وَشَمَالِ[3]
ألحِقَتْ شَعّاعَةُ الرّيحِ كَمَا جَرّتِ الخَيْلُ رَعابيبَ الحِلالِ[4]
لا أرَى الدّمْعَ كِفَاءً للجَوَى ، لَيسَ أنّ الدّمعَ مِنْ بَعدِكَ غالي
وَبِرُغْمي أنْ كَسَوْنَاكَ الثّرَى، وَفَرَشْنَاكَ زَرَابِيَّ الرّمَالِ[5]
وَهَجَرْنَاكَ عَلى ضَنّ الهوَى ؛ رُبّ هِجرَانٍ عَلى غَيرِ تَقَالي
أيُّها الظَّاعِنُ لا جازَ الحَيَا أبداً بَعدكَ بالحَيّ الحِلالِ
كنتَ في الأحجالِ أرْجُوكَ، وَلا أرْتجي اليَوْمَ عَظيماً في الحِجَالِ[6]
كُلُّ مَأسُورٍ يُرَجّى فَكُّهُ ، غَيرَ مَنْ أصْبَحَ في قَيدِ اللّيَالي
نَسَبٌ كَالشّمْسِ أوْفَيتَ بِهِ في المَعَالي بَينَ نَجْمٍ وَهِلالِ
زَلِقَ المَرْقَى بَعِيدَ المُنتَمَى ، في قِنَانٍ للمَسَاعي وَقِلالِ
تَقصُرُ الألحاظُ عَنْهُنّ ، فَمَا ظَنُّ مَنْ مَدّ يَدَيْهِ للمَنَالِ

١ عرضه : ناحيته .
٢ رهاء الدهم : تتابع الخيل السود . الرعال : جماعة الخيل .
٣ الصرة : شد ضرع الناقة . الأوبين : الجهتين . النعامى : ريح الجنوب .
٤ شعاعة الريح : الريح التي اختلفت مهابها . الرعابيب : النوق الطياشة ، الواحدة رعبيب . الحلال : البيوت ، الواحدة حلة .
٥ الزرابي : البسط .
٦ الأحجال ، الواحد حجل : القيد . الحجال ، الواحدة حجلة : ما يزين بالثياب والستور للعروس

في الرّوَابي مِنْ معَدٍّ ، وَالذُّرَى   نُهزَ المَجْدُ بِعادِيّ السّجَالِ
وَإذا مَا الأرْضُ كَانَتْ شَوْكَةً   خَطَرُوا فيها عَلى غَيرِ نِعَالِ
كُلُّ رَاقٍ مَرّ بِالنّجْمِ إلى   قُنَنِ السّوْدَدِ وَالمَجْدِ الطِّوَالِ
مَعشَرٌ ، إنْ غابَتِ الأرْضُ بهم ،   لمْ يَغيبُوا عِنْدَ مَجْدٍ وَفَعَالِ
كُلّمَا ازْدادَتْ بِلًى أعظُمُهُمْ   نَشَرَتْهُمْ سُمَعٌ غَيرُ بَوَالي
وَالعُلَى مَا لمْ يَرُبّوا دارَهَا ،   طُرُقٌ عُوجٌ ، وَأطْلالٌ خَوَالي[1]
ضَمِنَتْ مِنهُمْ قَرَارَاتُهُمُ   عَمَدَ المَجدِ ، وَأرْكَانَ المَعَالي
لا تَقُلْ تِلْكَ قُبُورٌ ، إنّمَا   هيَ أصْدافٌ عَلى غَيرِ لآلِ

نجم المعروف المحلق

يرثي الصاحب أبا القاسم كافي الكفاة إسماعيل بن عباد رحمه الله تعالى وقد ورد الخبر بوفاته في يوم الأربعاء لعشر ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٨٥ وقيل إنه توفي للنصف وقد كان قارب الستين سنة من عمره :

أكَذا المَنُونُ تُقَنْطِرُ الأبْطَالا ؛   أكَذا الزّمَانُ يُضَعْضِعُ الأجْبَالا[2]
أكَذا تُصَابُ الأُسْدُ ، وَهيَ مُذِلّةٌ   تَحْمي الشّبُولَ ، وَتَمنَعُ الأغيَالا؟

١ يربوا : يقيموا ويصلحوا .
٢ تقنطر : لم نجد لها معنى موافقاً ، ولعله أراد بها ترفعهم من الدنيا ، ترديهم .

أكَذا تُقَامُ عَنِ الفَرَائِسِ بَعْدَمَا مَلأتْ هَمَاهِمُهَا الوَرَى أوْجَالا ؟[1]
أكَذا تُحَطّ الزّاهِرَاتُ عَنِ العُلَى، مِنْ بَعدِما شَأتِ العُيُونَ مَنَالا ؟
أكَذا تُكَبّ البُزْلُ وَهيَ مَصَاعِبٌ، تَطوِي البَعيدَ، وَتَحمِلُ الأثْقَالا ؟
أكَذا تُغَاضُ الزّاخِرَاتُ وَقَدْ طغتْ لُجَجاً، وَأوْرَدَتِ الظّمَاءَ زُلالا ؟
يا طَالِبَ المَعْرُوفِ حَلّقَ نَجْمُهُ، حُطّ الحُمُولَ وَعَطّلِ الأجمَالا !
وَأقِمْ عَلى يَأسٍ، فقَدْ ذَهَبَ الذي كَانَ الأنَامُ عَلى نَداهُ عِيَالا
مَنْ كانَ يَقرِي الجَهلَ عِلماً ثاقِباً، وَالنّقْصَ فَضْلاً، وَالرّجَاءَ نَوَالا
وَيُجبّنُ الشّجْعَانَ دُونَ لِقائِهِ، يَوْمَ الوَغَى، وَيُشَجّعُ السّؤّالا
خَلَعَ الرّدَى ذاكَ الرّداءَ نَفَاسَةً عَنّا، وَقَلّصَ ذَلِكَ السّرْبَالا
خَبَرٌ تَمَخّضَ بالأحِبّةِ ذِكْرُهُ، قَبلَ اليَقِينِ، وَأسْلَفَ البَلبَالا[2]
حتّى إذا جَلّى الظّنُونَ يَقينُهُ، صَدَعَ القُلوبَ، وَأسقَطَ الأحمالا[3]
الشّكُّ أبْرَدُ للحَشَا مِنْ مِثْلِهِ، يَا لَيتَ شَكّي فيهِ دامَ وَطَالا
جَبَلٌ تَسَنّمَتِ البِلادُ هِضَابَهُ، حَتى إذا مَلأَ الأقَالِمَ زَالا
يا طَوْدُ! كَيفَ وَأنتَ عاديُّ الذُّرَى، ألْقَى بِجَانِبِكَ الرّدَى زِلْزَالا
إنْ قَطّعَ الآمَالَ مِنكَ، فإنّهُ مِنْ بَعْدِ يَوْمِكَ قَطّعَ الأُمّالا
مَا كُنْتُ أوّلَ كَوْكَبٍ تَرَكَ الدُّنَا وَسَمَا إلى نُظَرَائِهِ، فَتَعَالَى

١ الأوجال ، الواحد وجل : الخوف .
٢ البلبال : شدة الهم والوساوس .
٣ الاحمال ، الواحد حمل : ما تحمله المرأة من الولد في بطنها .

أنفاً مِنَ الدّنيا بَتَتَّ حِبالَها ، وَنَزَعْتَ عَنْكَ قَمِيصَها الأسْمَالا[1]
ذا المَنْزِلُ المِظْعَانُ قَدْ فارَقْتَهُ ، وَغَدَاً تُبَوَّأُ مَنْزِلاً مِحْلالا[2]
لا رُزْءَ أعْظَمُ مِنْ مُصَابِكَ، إنّهُ وَصَلَ الدّمُوعَ ، وَقَطّعَ الأوْصَالا
يا آمِرَ الأقْدارِ كَيْفَ أطَعتَها ، أوَمَا وَقَاكَ جَلالُكَ الآجَالا
كَيفَ اغتَفَلْتَ،فَفاجأتْكَ بِغُرّةٍ ، أوَلَيسَ كُنتَ المِخلَطَ المِزْيَالا[3]
لمْ تَكْفِ ، يا كافِي الكُفَاةِ ، منيّةً نَفَذَتْ إلَيْكَ صَوَارِماً وَألالا[4]
ألاّ وَقَى المَجْدُ المُؤثَّلُ رَبَّهُ ؛ ألاّ زَوَى المِقدارُ ، ألاّ حَالا[5]
ألاّ أقَالَتْكَ اللّيَالي عَثْرَةً ، يا مَنْ ، إذا عَثَرَ الزّمَانُ ، أقَالا
إنّ الّذي أنْحَى إلَيكَ بِسَهْمِهِ ، قَدَرٌ يَنَالُ ذُبَابُهُ الرّئْبَالا[6]
لا مُسْمِعُ الإنْبَاضِ منهُ، فيُتّقَى يَوْماً ، وَلا مَالي الجَفِيرِ نِبَالا[7]
وَأرَى اللّيَالي طَارِحَاتٍ حِبَالِهَا تَسْتَوْثِقُ الأعْيَانَ وَالأرْذالا
يَبْرِينَ عُودَ النّبْعِ غَيرَ فَوَارِقٍ بَيْنَ النّبَاتِ كَمَا بَرَيْنَ الضّالا[8]
لا تَأمَنِ الدّنْيا عَلَيْكَ ، فَإنّهَا ذاتُ البُعُولِ تُبَدِّلُ الأبْدالا

١ بتت : قطعت . الأسمال : الخلق البالي .
٢ المظعان : الكثير الظعن ، السير . تبوأ : يهيأ لك .
٣ المخلط : الذي يخالط الناس والأمور . المزيال : اللطيف .
٤ لم تكف : لم تمنع . الألال : جميع أداة الحرب . والحربة الواحدة ألة .
٥ زوى : منع .
٦ الرئبال : الأسد .
٧ الانباض ، من انبض وتر القوس : حركه لترن . المالي : مسهل مالىء . الجفير : الكنانة .
٨ النبع : شجر تصنع منه القسي والسهام . الضال : النبق .

وَتَنَاذَرِ الدَّهْرَ الذي شرَعَ الرَّدَى وَتَخَرَّمَ الأذْوَاءَ وَالأقْيَـالا[1]
وَاسْتَرْجَلَ الأمْلاكَ قَسْراً بَعدَمَا رَكِبُوا مِنَ الشَّرَفِ المُطِلِ جِبَالا
وَطَوَى مَقَاوِلَ مِنْ نِزَارٍ ذَادَةٍ في الحَرْبِ لا كُشُفاً وَلا أمْيَالا[2]
قَوْمٌ ، إذا وَقَعَ الصَّرِيخُ تَنَاهَضُوا بِالخَيْلِ قُبّاً وَالقَنِيِّ طِوَالا[3]
وَتُرَى خِفافاً في الوَغَى ، فإذا انتَدَوْا وَتَلاغَطَ النّادي رَأيْتَ ثِقَالا
صَاحَتْ بِهِمْ نُوَبُ اللّيَالي صَيْحَةً فَتَتَابَعُوا لِدُعَائِهَا أرْسَالا
يَتَوَاكَلُونَ المَوْتَ جُبْناً بَعدَمَا كَانُوا أُسُودَ مَغَاوِرٍ أبْطَالا[4]
نَزَعوا الحَمائِلَ عَن عَوَاتِقِ فِتيَةٍ ، كَانُوا لِكُلِّ عَظِيمَةٍ حُمّالا
مِنْ بَعْدِ مَا دَعَموا القِبابَ وَخيّسوا ذُلُلَ المَطِيِّ وَدَمَّنُوا الأطْلالا[5]
عَرَبٌ ، إذا دَفَعُوا الجِيَادَ لِغَارَةٍ هزّوا العُبَابَ وَخَضْخَضُوا الأوْشَالا[6]
مِنْ كُلِّ مُنْهِبِ مَالِه سُؤّالَهُ ، أوْ بَالِغٍ بِعَطَائِهِ مَا نَالا
أوْ بَائِتٍ يَرْعَى النّجُومَ لِغَارَةٍ ، وَيَعُدّ للمَغْدَى قَناً وَنِصَالا

١ تناذر، من تناذروا العدو : خوف بعضهم بعضاً منه . تخرم : اقتطع . الأذواء : ملوك اليمن التبابعة ، أول أسمائهم ذو ، مثل « ذو يزن » . الأقيال : هم أقيال اليمن ، الملوك الذين تحت الملك الأعظم .

٢ المقاول : الملوك . الذادة : حماة الحقيقة ، الواحد ذائد . الكشف ، الواحد أكشف : الذي لا ترس معه . الأميال ، الواحد أميل : الذي لا سيف معه .

٣ الصريخ : المستغيث . القني ، الواحدة قناة : قصب الرمح .

٤ يتواكلون : يتكل بعضهم على بعض .

٥ خيسوا : حبسوا ، ذللوا . دمنوا ، من دمنت الماشية المكان : سودته بالسرقين .

٦ العباب : معظم السيل وارتفاعه ، وأمواجه . الأوشال ، الواحد وشل : الماء القليل ، والماء الكثير (ضد) .

لَمْ تَرْهَبِ الأَقْدارُ عِزَّتَهُ ، وَلا اتَّقَتِ النَّوائِبُ جَمعَهُ العُضَّالا
وَعَصَائِبُ اليَمَنِ الَّذِينَ تَبَوَّأوا قُلَلَ الهِضَابِ وَشَرَّدُوا الأَوْعَالا
كَانُوا فُحُولَ وَغًى تُسَانِدُ بالقَنا ، لا كالفُحُولِ تُسَانِدُ الأَجذَالا[1]
زَفَرَ الزَّمَانُ عَلَيهِمُ ، فَتَطارَحُوا فِرَقاً وَطَارُوا بِالمَنُونِ جِفَالا
وَعَلى الهَبَاءَةِ آلُ بَدْرٍ إنَّهُمْ طَرَحُوا لَهُ الأَسْلابَ وَالأَنْفَالا[2]
مِنْ بَعدِ ما خَلَطُوا العَجاجَ وَجَلجلوا تِلْكَ الزَّعَازِعَ وَالقَنَا العَسَّالا[3]
وَالمُنْذِرُونَ الغُرُّ شَرَّدَ مِنْهُمُ حَيّاً عَلى لَقَمِ العِرَاقِ حِلالا
وَالأَزْدَشِيرِيّونَ أَبْرَزَ مِنْهُمُ مُتَفَيِّئِينَ مِنَ النَّعِيمِ ظِلالا
تَلْوِي لَهُمْ عُنُقُ الفُرَاتِ بِمَدِّهِ ، وَيُرَوِّقُونَ البَارِدَ السَّلْسَالا
مِنْ مَعشَرٍ وَرَدُوا المَنونَ ، وَمَعشَرٍ سَلَبُوا الحِجالَ ، وَأَلبَسوا الأَحجَالا
قَدْ غَادَرُوا الإيوَانَ بَعدَ فِرَاقِهِمْ يَنعَى القَطِينَ وَيَندُبُ الحُلّالا
إنْ كُنتَ تَأْمُلُ بعدَهم مَهلاً فقَدْ مَنَّتْكَ نَفْسُكَ في الزَّمَانِ ضَلالا
لِمَنِ الضَّوامِرُ عُرِّيَتْ أَمْطَاؤهَا ، حَوْلَ الخِيَامِ ، تُنَازِعُ الأَمْطَالا
بُدِّلْنَ مِنْ لُبْسِ الشَّكِيمِ مَقَاوِداً مَرْبُوطَةً ، وَمِنَ السُّرُوجِ جِلالا
فُجِعَتْ بِمُنْصَلِتٍ يُعَرِّضُ للقَنَا أَعْنَاقَهَا ، وَيُحَصِّنُ الأَكْفَالا
لِمَنِ المَطَايَا غَيرُ ذاتِ رَحَائِلٍ ، فَارَقْنَ ذاكَ السَّدْوَ وَالإرْقَالا[4]

١ تساند : تعاضد . الأجذال ، الواحد جذل : عود ينصب للجربى لتتحكك به .
٢ الهباءة : أرض لغطفان . الانفال : الغنائم .
٣ جلجلوا : حركوا . الزعازع : شدائد الدهر .
٤ السدو : الاتساع في الخطو . الإرقال : الإسراع .

أمْ بِالسِّقَابِ ، وَطالمَا جُعِلَ الظُّبَى لِرِضَاعِهِنَّ فِصَالا[1]
مَنْ كَانَ يَحْمِلُ فَوْقَهُنَّ عِصَابَةً مِثْلَ الصُّقُورِ غَرَانِقاً أزْوَالا[2]
مَنْ كَانَ يُجْشِمُهُنَّ كُلَّ مَفَازَةٍ تَلِدُ المَنُونَ ، وَتُنْبِتُ الأهْوَالا
لِمَنِ النُّصُولُ نَشِبْنَ في أغْمَادِهَا ، كَلَفَ الظُّبَى لا يَنْتَظِرْنَ صِقَالا
لِمَنِ الأسِنَّةُ قَدْ نَصَلْنَ عَنِ القَنَا ، وَعَدِمْنَ جَرّاً في الوَغَى وَمَجَالا
إنْ صِينَ سَرْدُكَ في العِيابِ ، فَطالمَا أمْسَى عَلَيْكَ مُذَيَّلاً وَمُذالا[3]
كَمْ حجّةٍ في الدّينِ خُضْتَ غِمارَها ، هَدْرَ الفَنِيقِ تَخَمُّطاً وَصِيَالا[4]
بسِنانِ رُمحِكَ ، أوْ لِسَانِكَ مُوسِعاً طَعْناً يَشُقّ عَلى العِدَا وَجِدالا
إنْ تَكّسِ الإسْلامُ بَعْدَكَ رَأسَهُ ، فَلَقَدْ رُزِي بِكَ مَوْئِلاً وَمآلا
وَاهاً عَلى الأقْلامِ بَعْدَكَ إنّهَا لَمْ تَرْضَ غَيرَ بَنَانِ كَفّكَ آلا
أفْقَدْنَ مِنكَ شُجاعَ كُلِّ بَلاغَةٍ ، إنْ قَالَ جَلّى في المَقَالِ وَجَالا
مَنْ لَوْ يَشَا طَعَنَ العِدَا برُؤوسِها ، وَأثَارَ مِنْ جِرْيَالِهَا قَسْطَالا[5]
سُلطَانُ مُلْكٍ كُنتَ أنتَ تُعِزّهُ ، وَلَرُبّ سُلْطَانٍ أعَزّ رِجَالا
إنّ المُشَمَّرَ ذَيْلَهُ لكَ خيفَةً ، أرْخَى وَجَرّرَ بَعْدَكَ الأذْيَالا

١ السقاب ، الواحد سقب : ولد الناقة .
٢ الغرانق بفتح الغين الواحد غرانق بالضم : الشاب الأبيض الجميل . الأزوال ، الواحد زول : الفتّي الخفيف الظريف .
٣ السرد : اسم جامع للدروع وسائر الحلق . العياب ، الواحدة عيبة : ما تجعل فيه الثياب كالصندوق .
٤ تخمطاً : تكبراً . الصيال : السطو .
٥ الجريال : الدم . القسطال : الغبار .

مَا كنتُ أخشَى أنْ تَزِلّ لحَادِثٍ قَدَمٌ جعَلْتَ لهَا الرّكَابَ قِبَالا
دَفَعَ الزّمَانُ لكَ النّوَائِبَ دَفْعَةً ، وتَصَوّبَ الوَادي إليكَ ، فسَالا
يا شَامِتاً بالسّيْفِ أُغْمِدَ غَرْبُهُ ، كَمْ هَبّ مُنْدَلِقُ الغِرَارِ وَصَالا[1]
إنْ طَوّحَ الفَعّالَ دَهْرٌ ظَالِمٌ ، فَلَقَدْ أقَامَ وَخَلّدَ الأفْعَالا
طَلَبُوا التُّرَاثَ ، فلَمْ يرَوْا من بعدهِ إلاّ عُلاً ، وَفَضَائِلاً ، وَجَلالا
هَيْهَاتَ فَاتَهُمُ تُرَاثُ مُخَاطِرٍ، حَفِظَ الثّنَاءَ ، وَضَيّعَ الأمْوَالا
قَدْ كانَ أعرَفَ بالزّمَانِ وَصَرْفِهِ ، مِنْ أنْ يُثَمِّرَ ، أوْ يُجَمِّعَ مَالا
مِفْتَاحُ كُلّ نَدًى وَرَبُّ مَعَاشِرٍ ، كَانُوا عَلَى أمْوَالِهِمْ أقْفَالا
كانَ الغَرِيبَةَ في الأنَامِ ، فأصْبَحوا مِنْ بَعْدِ غَارِبِ نَجْمِهِ أمثَالا
قَرْمٌ ، إذا كَحَلَتْ بهِ ألحَاظَهَا شُوسُ القُرُومِ تُقَطِّعُ الأبْوَالا
وَإذا تَجَايَشَتِ الصّدُورُ بِمَوْقِفٍ حَبَسَ الكَلامَ وَقَيّدَ الأقوَالا
بِصَوَائِبٍ كَالشّهْبِ تَتْبَعُ مِثْلَهَا، وَرِعَالِ خَيْلٍ يَتّبِعْنَ رِعَالا
مَنْ فَاعِلٌ مِنْ بَعْدِهِ كَفِعَالِهِ ، أوْ قَائِلٌ مِنْ بَعْدِهِ مَا قَالا
سِمْعٌ يُرَفّعُ للسّؤالِ سُجُوفَهُ ، وَيُحَجّبُ الأهزَاجَ وَالأرْمَالا[2]
يَا طَالِباً مِنْ ذا الزّمَانِ شَبِيهَهُ ، هَيهَاتَ كَلّفْتَ الزّمَانَ مُحَالا
إنّ الزّمَانَ أضَنُّ بَعدَ وَفَاتِهِ مِنْ أنْ يُعِيدَ لمِثْلِهِ أشْكَالا
وَأرَى لكَمَالَ جَنَى عَلَيه ، لأنّهُ غَرَضُ النّوَائِبِ مَنْ أُعِيرَ كَمَالا

١ مندلق الغرار : أراد السيف الخارج من غمده دون أن يسل .
٢ السمع : المسموع الكلمة ، الذي يسمع له . الاهزاج والارمال : ضـ ب من الأغاني . والموسيقى

صَلّى الإلَهُ عَلَيكَ مِنْ مُتَوَسِّدٍ ، بَعْدَ المِهَادِ ، جَنَادِلاً وَرِمَالا
كَسَفَ البِلَى ذاكَ الجَمالَ المُجتَلَى ، وَأجَرَّ ذاكَ المِقْوَلَ الجَوّالا
وَرَأيتَ كُلَّ مَطِيّةٍ قَدْ بُدّلَتْ مِنْ بَعْدِ يَوْمِكَ بالزّمَامِ عِقَالا
طَرَحَ الرّجَالُ لكَ العَمَائِمَ حَسرَةً لمّا رَأوْكَ تَسيرُ أوْ إجْلالا
قالوا، وَقد فُجِئوا بنَعشِكَ سَائراً : مَنْ مَبّلَ الجَبَلَ العَظِيمَ ، فَمَالا
وَتَبَادَرُوا عَطّ الجُيُوبِ ، وَعاجلوا عَضّ الأنامِلِ يَمْنَةً وَشِمَالا[1]
مَا شَقّقُوا إلاّ كُسَاكَ ، وَألّمُوا إلاّ أنامِلَ نِلْنَ مِنْكَ سِجَالا
مَنْ ذا يَكُونُ مُعَوِّضاً ما مَزّقُوا ، وَمُعَوَّلاً لِمُؤمِّلٍ وَثِمَالا[2]
فَرَغَتْ أكُفٌّ مِنْ نَوَالِكَ بَعدَها ، وَأطَالَ عُظْمُ مُصَابِكَ الأشْغَالا
أعزِزْ عَليّ بِأنْ يَهُزّكَ طَالِبٌ فَتَضَنّ ، أوْ تَلْوِي النّوَالَ مَطَالا
أوْ أنْ تُبَدِّلَ مَنْ يَوْمِكَ زَائِراً ، بَعْدَ التّهَلّلِ ، عِندَكَ استِهلالا[3]
أوْ أنْ يُنَادِيكَ الصّرِيخُ لكُرْبَةٍ ، حُشِدَتْ عَلَيْهِ ، فَلا تُجيب مَقالا
يا شَافيَ الأدْوَاءِ كَيفَ جَهِلْتَهُ داءً رَمَاكَ بِهِ الزّمَانُ عُضَالا
يا كَاشِفَ الأمحَالِ كَيفَ رَضِيتَهُ لِمَقِيلِ جَنْبِكَ مَنْزِلاً مِمْحَالا
قَدْ كُنتُ آمُلُ أنْ أرَاكَ ، فأجتَني فَضْلاً ، إذا غَيرِي جنَى أفضَالا
وَأُفِيد سَمعَكَ مِقوَلي وَفَضَائِلي ، وَتُفِيدني أيَامُكَ الإقْبَالا

١ عط الجيوب : شقها .
٢ الثمال : الغياث .
٣ التهلل : تلألؤ الوجه بشاشة . الاستهلال : رفع الصوت بالبكاء .

وَأعدُّ منكَ لرَيْبِ دَهرِي جُنّةً ، تَثْني جُنُودَ خُطُوبِهِ فُلاّلا
وَطَوَاكَ دَهرُكَ غَيرَ طَيِّ صيانَةٍ ، وَأعَادَ أعْلامَ الهُدَى أغْفَالا
قَبْرٌ بِأعْلَى الرّيّ شُقّ ضَرِيحُهُ ، لأعزّ حَقّرَهُ الرّدَى إعْجَالا
إنْ يُمْسِ مَوْعِظَةَ الرّجَالِ فطالمَا أمْسَى مُهَاباً للوَرَى وَمُهَالا
لِتُسَلَّبِ الدّنْيَا عَلَيْهِ ، فإنّهَا نَزَعَتْ بِهِ الإحْسَانَ وَالإجْمَالا[1]
وَرَعَاهُ مَنْ أرْعَى البَرِيّةَ سَيْبَهُ ، وَسَقَاهُ مَنْ أسْقَى بِهِ الآمَالا

صبراً جميلاً يا علي

قال يعزي أبا سعد علي بن محمد بن أبي خلف عن أخت له توفيت :

إلاّ يَكُنْ نَصْلاً فَغِمْدُ نُصُولِ ، غَالَتْهُ أحْداثُ الزّمَانِ بِغُولِ
أوْ لا يَكُنْ بِأبي شُبُولٍ ضَيغَمٍ ، تَدْمَى أظَافِرُهُ ، فَأُمُّ شُبُولِ
تِلْكَ الغَمَامَةُ كَانَ بَارِقُ خالِها، لَوْ أنْسَتِ الأيّامُ ، غَيرَ مُخيلِ[2]
كُنّا نُؤمّلُ أنْ نُجلّي صَوْبَهَا ، عَنْ أخضَرٍ غَضّ الجَنَى مَطلُولِ
لَوْلا طِلابُ النّصْلِ يُورِقُ عُودُهُ ، بَاتَ النّسَاءُ سُدًى بغَيرِ بُعُولِ
وَلَرُبّمَا بُكِيَ الفَقيدُ لِنَفْسِهِ ، أوْ للمَطَامِعِ فيهِ وَالتّأميلِ

١ تسلب : تحد .
٢ الخال : السحاب لا يخلف مطره . المخيل : السحاب لا مطر فيه

أَتُرَى بِمَا نغترُّ مِنْ أيامِنَا ، وَنُطِيلُ مِنْ أَمَلٍ لَهُنَّ طَوِيلِ
أَبِوِرْدِهَا المَطْرُوقِ ، أَوْ بِنَعِيمِهَا الـ ـمَمْذُوقِ ، أَمْ مِيعَادِهَا المَمْطُولِ[1]
نَرْجُو البَقَاءَ ، كَأَنَّنَا لَمْ نَخْتَبِرْ عَادَاتِ هَذَا العَالَمِ المَجْبُولِ
لَوْ أَنَّ غَيرَ يَدِ الزَّمَانِ تُرِيعُنِي ، وَتَفُلَّ حَدَّ مَعَاشِرِي وَقَبِيلِي
لَلَوَيْتُ مِنْ دُونِ المَذَلَّةِ جَانِبِي ، وَجَرَرْتُ عَنْ دارِ الهَوَانِ ذُيُولِي
لَكِنَّ سُلْطَانَ اللَّيَالِي غَالِبٌ عَزْمِي ، وَقَطَّاعٌ عَلَيَّ سَبِيلِي
قَدَرَتْ فَذَلَّ لَهَا العَزِيزُ مَهَابَةً ، لَيسَ الذَّلِيلُ لِقَادِرٍ بِذَلِيلِ
وَهوَ الزَّمَانُ يُبِيحُ كُلَّ مُمَنَّعٍ ، وَيَغُضُّ مِنْ طَمَحَاتِ كُلِّ جَلِيلِ[2]
مِنْ بَيْنِ مَجرُوحٍ بِحَدِّ نُيُوبِهِ ، يَدْمَى ، وَبَيْنَ مُبَضَّعٍ مَأكُولِ
أَعدَى جَذِيمَةَ بالرَّدَى وَعَدَا عَلَى رِدْفَيْ جَذِيمَةَ مَالِكٍ وَعَقِيلِ[3]
وَاستَنْزَلَ الأَذوَاءَ عَنْ نَجَوَاتِهِمْ ، فَغَدَوْا ذَوِي ضَرَعٍ وَطُولِ خُمُولِ
وَحَدَا بِآلِ المُنْذِرِينَ ، فَوَدَّعُوا بِالحِيرَةِ البَيْضَاءِ كُلَّ مَقِيلِ
وَسَطَا عَلَى أَبْنَاءِ قَيصَرَ سَطْوَةً ، أَمَماً ، فَأجلَتْ عَن دَمٍ مَطْلُولِ[4]
وَأَعَادَ إِيوَانَ المَدَائِنِ مَحْرَماً ، عُرْيَانَ مِنْ بُرْدِ العُلَى المَسدُولِ
وَاستَلَّ مِنْهُ مَالِكِيهِ ، وَدُونَهُم عَدَدُ الدَّرَارِي مِنْ قَناً وَخُيُولِ

١ المذوق : المشوب بكدر .
٢ الطمحات : الطموح ، ارتفاع البصر إلى الشيء .
٣ جذيمة : هو الأبرش ملك الحيرة ، وردفاه مالك وعقيل : أي نديماه
٤ الأمم : القصد . المطلول : المهدور .

وَهَوَى بِتِيجَانِ الجَبَابِرَةِ الأُلى ، عَنْ كُلِّ مَطْرُورِ الغِرَارِ صَقِيلِ[1]
بَلَّتْ مَفَارِقَهُمْ دَماً ، وَلَطَالمَا عَرَفُوا بِمِسْكٍ فَوْقَهُنَّ بَلِيلِ[2]
أَوْ بَعْدَمَا رَفَعُوا القِبَابَ وَخَوَّلُوا في ظِلِّ مُمْتَنِعِ المَقَامِ ظَلِيلِ[3]
مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ كَانَ يَحسَبُ عهدَه في العِزِّ وَالعَلْيَاءِ غَيْرَ مُحِيلِ
وَيَظُنُّ أَنْ لَوْ طَاوَلَتْهُ مَنِيَّةٌ ، لأَبَى إِبَاءَ المُصْعَبِ المَعْقُولِ
أَوْ لَوْ طَغَى غَرْبُ الفُرَاتِ لَرَدَّهُ مُتَقَطِّعاً ، وَأَقَامَ مَدَّ النِّيلِ
نَزَلَ القَضَاءُ بِهِ ، فَعَادَ كَأَنَّهُ لَمْ يَغْنَ أَمْسِ بِطَارِقٍ وَنَزِيلِ
صَبْراً جَمِيلاً يَا عَلِيُّ ، فَرُبَّمَا صَبَرَ الفَتَى ، وَالصَّبْرُ غَيْرُ جَمِيلِ
لَوْ كُنتُ أَعلَمُ أَنَّ وَجْداً نَافِعٌ ، لَقَدَحْتُ فِيكَ بِزَفْرَةٍ وَغَلِيلِ
وَجَعَلْتُ تَصْعِيبَ المُصَابِ مُعَظَّماً مِنْ شَأْنِهِ بَدَلاً مِنَ التَّسْهِيلِ
لَكِنَّهَا الأَقدَارُ يَمضِي حُكْمُهَا أَبَداً عَلَى الأُصْعُوبِ وَالأُذْلُولِ
وَلَرُبَّمَا ابْتَسَمَ الفَتَى وَفُؤَادُهُ شَرِقُ الجَنَانِ بِرَنَّةٍ وَعَوِيلِ[4]
وَلَرُبَّمَا احْتَمَلَ اللَّبِيبُ مُمَوَّهاً عَضَّ الزَّمَانِ بِبِشْرِهِ المَبْذُولِ
وَغَطَى عَلَى تِلْكَ الجِرَاحِ ، كأَنَّه مَا آبَ مِنْهُ بغارِبٍ مَخْزُولِ[5]

١ المطرور : المسنون . الغرار : حد السيف .
٢ عرفوا : سطع عرفهم ، رائحتهم الطيبة .
٣ خولوا : رعوا أغنامهم .
٤ الشرق : الممتلىء .
٥ غطى : ستر . الغارب : الكاهل . المخزول : المقطوع .

قصاير في بيوت العز

قال أيضاً وقد ورد الخبر بوفاة بنت سيف الدولة أبي الحسن علي بن حمدان بن عبد الله بن حمدان رحمهم الله المسماة بتقية بمصر وقد انتقلت إليها عن الشام وكانت من أفاضل نساء قومها وكان كثيراً ما تبلغه شدة شغفها بما يقع إلى تلك البلاد من شعره حتى انها التمست انتساخ نسخة عن ديوانه على التمام وحملها إليها من العراق، وكان ورود الخبر بوفاتها في شهر رمضان سنة ٣٩٩ قدس الله روحها :

نُغَالِبُ ثُمّ تَغْلِبُنَا اللّيَالي ، وَكَمْ يَبْقَى الرّمِيّ عَلى النّبَالِ

وَنَطمَعُ أنْ يَمَلّ مِنَ التّقَاضِي غَرِيمٌ لَيسَ يَضْجَرُ بالمَطَالِ

أتَنْظُرُ كَيْفَ تَسفَعُ بالنّوَاصِي لَيَالِينَا ، وَتَعثُرُ بالجِبَالِ [1]

يَحُطّ السّيْلُ ذُرْوَةَ كُلّ طَوْدٍ رُهُوناً بِالجَنَادِلِ وَالرّمَالِ

هيَ الأيّامُ جَائِرَةُ القَضَايَا ، وَمُلْحِقَةُ الأوَاخِرِ بِالأوَالي

يُمَنّيْنَ الوُرُودَ ، فإنْ دَنَوْنَا ضَرَبْنَ عَلى المَوَارِدِ بالحِبَالِ

نُطَنّبُ للمُقَامِ قِبَابَ حَيٍّ ، وَيَحْفِزُنَا المَنُونُ إلى الرّحَالِ

وَنَسْرَحُ آمِنِينَ ، وَللمَنَايَا شَباً بَيْنَ الأخامِصِ وَالنّعَالِ [2]

وَبَيْنَا المَرْءُ يَلْبَسُهَا نَعِيماً ، تَهَجّرَ ضَاحِياً بَعْدَ الظّلالِ [3]

نَعَى النّاعُونَ وَاضِحَةَ المُحَيّا، ألوفَ البَيتِ ذي العَمَدِ الطِّوَالِ

١ تسفع بالنواصي : تقبض عليها فتجتذبها .

٢ الشبا ، الواحدة شباة : العقرب ساعة تولد ، وحد كل شيء .

٣ يلبسها : يعيش معها . تهجر : سار في الهاجرة . ضاحياً : أراد به مائتاً من ضحى ظله : مات

مِنَ البِيضِ العَقائِلِ مِنْ مَعَدٍّ ، بَنَيْنَ قِبابَهُنَّ عَلى الجَلالِ
نَعَوْا ظُبَةً لأبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ ، قَدِيمِ الطَّبعِ عادِيٍّ الصِّقالِ
لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ العَرَبيِّ فِيهَا صَنيعُ القَينِ قَامَ عَلى النِّصالِ
إذا مَا الفَحْلُ أنجَبَ نَاتِجَاهُ ، فَقَدْ ضَمِنَ النَّجابَةَ للسِّخالِ
وَمَا طَابَتْ غَوَادي المُزْنِ إلاَّ أطَبْنَ وَقَائِعَ المَاءِ الزُّلالِ
قَصَايِرُ في بُيُوتِ العِزّ تُنمى مَنَاسِبُهَا إلى المَجْدِ الطُّوَالِ[1]
وَكُلٌّ عَقيلَةٍ للجُودِ تُمْسِي عَطُولَ الجِيدِ حالِيَةَ الفِعَالِ
كَأنَّ خُدُورَهَا أصْدافُ يَمٍّ ، مُحَصَّنَةٌ ضُمِمْنَ عَلى لآلِ
طَهُرْنَ نَبَاهَةً ،وبَرَزْنَ طَوْلاً ، وَهُنَّ وَرَاءَ مَعدُودِ الحِجَالِ[2]
غَلَبْنَ عَلى جَمَالِ الخُلقِ حتّى تَرَكْنَ الخَلْقَ مَنسِيَّ الجَمالِ
لَهَا نَسَبُ العِتَاقِ مُرَدَّدات إلى الغَايَاتِ أيّامَ النِّضَالِ
تُعَدّ النّوقُ مِنْ شَرَفٍ فُحُولاً إذا انتَسَبَتْ إلى العَوْدِ الجُلالِ[3]
عَمَائِرُ مِنْ رَبِيعَةَ أنْزَلَتْهُمْ أعَالي المَجْدِ أطْرَافُ العَوَالي
هُمُ الرّأسُ الذي رَفَعَتْ مَعَدٌّ قَدِيماً لا يُطَأطَأُ للقَوَالي
فُحُولُ المَجْدِ جَعجَعَها المَنَايا، وَأسْلَمَهَا الزِّمَامُ إلى العِقَالِ[4]

١ القصاير ، الواحدة قصيرة : المحجبة التي لا تخرج من بيتها .
٢ الحجال ، الواحدة حجلة : موضع يعد للعروس .
٣ العود : المسن من الإبل . الجلال : العظيم .
٤ جعجعها : حبسها على مكروهها .

وَلَمْ يَكُ عِزُّهُمْ إلاّ اخْتِلاساً ، كَصَفْقٍ باليَمينِ عَلى الشِّمالِ
كَقَوْمِكِ لا يُعيدُ الدّهرُ قَوْماً، وَمِثْلِ أبيكِ لا تَلِدُ اللّيَالي
أُرِيقَتْ في قُبُورِهِمُ اللّوَاتي بِبَطْنِ القَاعِ أذْنِبَةُ النّوَالِ[1]
لَقَدْ رُسّتْ حَفَائِرُهُمْ جَميعاً عَلى هَامِ المَكَارِمِ وَالمَعَالي[2]
سَقَى تِلْكَ القُبُورَ، فَإنّ فيهَا سُقَاةَ العَاجِزِينَ عَنِ البِلالِ
بِأيْدٍ تَحْبِسُ الأوْرَادَ عِزّاً ، وَتأمَنُ مِنْ مُلاطَمَةِ السِّجالِ[3]
غَمَائِمُ للرّعُودِ بِهَا أزِيزٌ ، رُغَاءُ العَوْدِ رَازَمَتِ المَتَالي[4]
كَحَمحَمَةِ الأداهِمِ أقبَلُوها لَيَالي الوِرْدِ مَائِلَةَ الجِلالِ
فَسَقّى عَهْدَ دارِهِمُ حَيَاهَا، وَحَيّا بِالنُّعَامَى وَالشَّمَالِ
إذا ابْتَدَرَتْ نِساؤهُمُ المَسَاعي، فَمَا ظَنّي وَظَنُّكَ بِالرّجَالِ

١ الأذنبة ، الواحد ذنوب : الدلو .
٢ رست : حفرت ، ودس فيها .
٣ الأوراد : إما جمع ورد بالفتح وهو من الخيل ما بين الكميت والأشقر ، أو جمع ورد بالكسر الماء الذي يورد . السجال ، الواحد سجل : الدلو العظيمة المملوءة ماء .
٤ رازمت : جمعت . المتالي : الفصال التي تتلو أماتها .

نحبها ونودعها مرغمين

يرثي بعض أصدقائه :

مَا بَعدَ يَوْمِكَ مَا يَسلُو بِهِ السّالِي ، وَمِثْلُ يَوْمِكَ لَمْ يَخطُرْ على بَالي
وَكَيفَ يَسلُو فُؤادٌ هاضَ جانِبَهُ قَوَارِعٌ مِنْ جَوًى هَمٍّ وَبَلبَالِ
يا قَلْبِ صَبراً، فَإنّ الصّبرَ مَنزِلَةٌ، بَعْدَ الغُلُوّ إلَيْهَا يَرْجِعُ الغَالي
وَلا تَقُلْ سَابِقٌ لمْ يَعْدُ غايَتَهُ ، فَمَا المُقَدَّمُ بالنّاجي ، وَلا التّالي
نَقصُ الجَديدينِ من عُمرِي يزِيدُ على ما يُنْقِصَانِ عَلى الأيّامِ مِنْ حالي
دَهْرٌ تُؤثِّرُ في جِ نَوَائِبُهُ ، فَمَا اهتمامي ، إذا أوْدى بِسرْبَالي[1]
نَغتَرّ بالحِفْظِ مِنهُ ، وَهوَ يَختِلُنا ، كمَا يَغُرّ ذُبُولُ الحَمْرَةِ الصّالي
مَضَى الذي كُنتُ في الأيّامِ آمُلُهُ مِنَ الرّجَالِ ، فَيَا بُعداً لآمَالي
قَدْ كانَ شُغْلي منَ الدّنيَا، فمُذ فرَغَتْ مِنهُ يَدي زَادَ طُولُ الوَجدِ أشغالي
تَرَكْتُهُ لِذُيُولِ الرّيحِ مُدْرَجَةً، وَرُحْتُ أسْحَبُ عَنْهُ فَضْلَ أذيالي
كأنّني لم أدَعْ في الأرْضِ ، يوْمَ ثوَى مُوَدَّعاً ، شَطْرَ أعضَائي وَأوْصَالي
مَا بَاليَ اليَوْمَ لمْ ألحَقْ بِهِ كَمَداً، أوْ أنزِعِ الصّبرَ وَالسُّلوَانَ مِنْ بَالي
عَوَاطِفُ الهَمّ ما تَنفَكّ تُرْجِعُ لي مِن ذاهِبٍ وَجَديدِ الوَجْدِ من بَالِ

---

١ السربال : القميص ، والدرع .

ما شئتُ من وَالِدٍ يُودي وَمن وَلَدٍ ، يَمْضِي الزّمَانُ بِآسَادي وَأشْبَالي
بِالمَالِ طَوْراً وَبِالأهْلِينَ آوِنَةً ، مَا أضْيَعَ المَرْءَ بَعْدَ الأهْلِ وَالمَالِ
ألِيحُ مِنهُ رُوَيداً ، أوْ عَلى عَجَلٍ ، لَوْ كَانَ يَنفَعُ إرْوَادي وَإعْجَالي[1]
مَا أعجَبَ الدّهرَ ، وَالأيّامُ دائِبَةٌ ، تَسعَى عَلى عَمَدٍ نَحوِي وَتَسعى لي
نُحِبُّهَا ، وَعَلَى رُغْمٍ نُوَدّعُهَا ، إلى المَنُونِ ، وَداعَ الصّارِمِ القَالي
كَمْ أنزَلَ الدّهرُ مِن علياءَ شاهقَةٍ ، وَشَالَ مِنْ قَعْرِ نائي الغَوْرِ مِنهالِ
وَكَمْ هَوَى بعَظِيمٍ في عَشيرَتِهِ ، مِطْعَامِ أنْدِيَةٍ طَعّانِ أبْطَالِ
عَالٍ عَلى نَظَرِ الأعداءِ يَلحَظُهُمْ لَوَاحِظَ الصّقرِ فَوْقَ المَرْبإ العَالي
لَئِنْ تَرَامَتْ بكَ الأعوَادُ مُعجِلَةً عَنِ الدّيَارِ إلى مَزْوَرّةٍ الخَالي[2]
فَلَيْسَ حَيٌّ مِنَ الدّنْيَا عَلى ثِقَةٍ ، وَالدّهْرُ أعوَجُ لا يَبقَى عَلى حَالِ
فَلا يَسُرّكَ إكْثَارِي وَلا جِدَتي ، وَلا يَغُمّكَ إقْتَارِي وَإقْلالي
أرَى يَقِينَ المُنَى شَكّاً فأرْفُضُهُ ، مَا أشْبَهَ المَاءَ في عَيْنَيّ بِالآلِ
قُبّحْتِ ، يا دارُ ، مِنْ دارٍ نُغَرُّ بها ، فَأنْتِ أغْدَرُ مِظْعَانٍ وَمِحْلالِ

١ الارواد : التمهل ، ضد الإعجال .

٢ المزورة : المقبوضة .

شر اللباس

يعزي صديقاً له عن بنت توفيت له عقب أخرى

نَخْطُو وَمَا خَطْوُنا إلاّ إلى الأجَلِ ، وَنَنقَضِي ، وَكَأنّ العُمرَ لمْ يَطُلِ
وَالعَيشُ يُؤْذِنُنَا بالمَوْتِ أوّلُهُ ، وَنَحنُ نَرْغَبُ في الأيّامِ وَالدّوَلِ
يَأتي الحِمَامُ فيَنسَى المَرْءُ مُنيَتَهُ ، وَأعضَلُ الدّاءِ ما يُلهي عَنِ الأمَلِ
تُرْخي النّوَائِبُ مِنْ أعمارِنَا طَرَفاً ، فنَستَعِزُّ ، وَقَدْ أمسَكنَ بالطِّوَلِ
لا تَحسَبِ العَيشَ ذا طُولٍ فتركبَه ، يا قُرْبَ ما بَينَ عُنقِ اليَوْمِ وَالكَفَلِ
نَرُوغُ عَنْ طَلَبِ الدّنْيَا ، وَتَطلُبُنا مَدَى الزّمَانِ بأرْماحٍ من الأجَلِ[1]
سَلّى عَنِ العَيشِ أنّا لا نَدُومُ لَه ، وَهَوّنَ المَوْتَ مَا نَلْقَى من العِلَلِ
تَدْعُو المَنُونُ جَبَاناً لا غَنَاءَ لَهُ ، مُحَـلأً عَن ظُهورِ الخَيلِ وَالإبلِ[2]
وَيَسلَمُ البَطَلُ المُوفي بِسَابِحَةٍ ، مَشْياً عَلى البِيضِ وَالأشلاءِ وَالقُلَلِ
يَقُودُني المَوْتُ مِنْ دارِي فأتبَعُهُ ، وَقَدْ هَزَمتُ بأطرَافِ القَنَا الذُّبُلِ
وَالمَرْءُ يَطلُبُهُ حَتْفٌ ، فيُدرِكُهُ وَقَد نجَا من قِرَاعِ البِيضِ وَالأسَلِ
لَيسَ الفَنَاءُ بِمَأمُونٍ عَلَى أحَدٍ ، وَلا البَقَاءُ بِمَقْصُورٍ عَلى رَجُلِ
يَبكي الفَتَى وَكلامُ النّاسِ يأخُذُهُ ، وَالدّمعُ يَسرَحُ بَينَ العُذرِ وَالعَذَلِ

١ روع : تحيد
٢ المحلأ : الممنوع

وَفي الجُفُونِ دُمُوعٌ غَيرُ فائضَةٍ ، وَفي القُلُوبِ غرَامٌ غَيرُ مُتّصِلِ
تَعَزّ ما اسطَعتَ ، فالدّنيَا مُفارِقَةٌ ، وَالعُمْرُ يُعنِقُ ، وَالمَغرُورُ في شُغَلِ[1]
وَلا تَشُكّ زَمَاناً أنْتَ في يَدِهِ رَهْنٌ فَمَا لكَ بالأقدارِ مِنْ قِبَلِ
عَادَ الحِمَامُ لأُخرَى بَعدَ ماضيَةٍ ، حتّى سَقَاكَ الأسَى عَلاًّ على نَهَلِ
مَنْ ماتَ لمْ يَلقَ مَن يَحيا يُلائِمُهُ ، فكُنْ بكُلّ مُصَابٍ غَيرَ مُحتَفِلِ
وَكُلٌّ بَاكٍ عَلى شَيْءٍ يُفَارِقُهُ ، قَسراً ، فيَقتَصّ من ضِحكٍ وَمن جذَلِ
ما أقرَبَ الوَجدَ من قَلبٍ وَمن كَبِدٍ ، وَأبعَدَ الأنسَ مِنْ دارٍ وَمن طَلَلِ
العَقلُ أبلَغُ مَنْ عَزّاكَ من جزَعٍ ، وَالصّبرُ أذْهَبُ بالبَلْوَى مِنَ الأجَلِ
سقَى الإلَهُ تُرَاباً ضَمّ أعظُمَهَا مُجَلجِلَ الوَدقِ مَجرُوراً على القُلَلِ[2]
وَلا يزَالُ عَلَى قَبْرٍ تَضَمّنَهَا بَرْقاً يَشُقّ جُيوبَ العارِضِ الهَطِلِ
وَكُلّمَا اجتَازَ رَيْعَانُ النّسيمِ بِهِ لمْ يُوقِظِ التُّرْبَ مِنْ مَشْيٍ على مهلِ
يا أرْضُ ! ما العذرُ في شخصٍ عصَفتِ به بَينَ الأقَارِبِ وَالعُوّادِ وَالخَوَلِ
أرَدْتِ أنْ تَحجُبَ البَيداءُ طَلعتَهُ ، ألمْ يكُنْ قَبلُ محجوباً عَنِ المُقَلِ ؟
جِسمٌ تَفَرّدَ بِالأكْفَانِ يَجْعَلُها مُذْ طَلّقَ العُمْرَ أبدالاً من الحُلَلِ
وَغُرّةٌ كَضِيَاءِ البَدْرِ لامِعَةٌ ، صَارَ التّرَابُ بهَا أوْلى مِنَ الكِلَلِ
شَرُّ اللّبَاسِ لِبَاسٌ لا نُزُوعَ لَهُ ، وَالقَبرُ مَنْزِلُ جَارٍ غَيرِ مُنتَقِلِ
للمَوْتِ مَنْ قَعَدَتْ عَنْهُ رَكَائِبُهُ ، وَمَن سرَى في ظُهورِ الأينُقِ البُزُلِ

١ يعنق : يطول .
٢ المجلجل : المصوت . الودق : المطر .

ما يَدْفَعُ المَوْتُ عَنْ بُخلٍ ولا كَرَمٍ ، وَلا جبَانٍ وَلا غَمرٍ وَلا بَطَلٍ[1]
وَمَا تَغافَلَتِ الأقدارُ عَنْ أحَدٍ ، وَلا تَشاغَلَتِ الأيّامُ عَن أجَلِ
لَنَا بِمَا يَنقَضِي مِن عُمرِنا شُغُلٌ ، وَكُلُّنَا عَلِقُ الأحشاءِ بالغَزَلِ
وَنَستَلِذُّ الأمَاني ، وَهيَ مُرْوِيَةٌ ، كَشَارِبِ السّمِّ مَمزُوجاً معَ العَسَلِ
نُؤمِّلُ الخُلْدَ ، وَالأيّامُ مَاضِيَةٌ ، وَبَعْضُ آمَالِنَا ضَرْبٌ من الخَطَلِ
وَحَسبُ مِثلي مِنَ الدّنْيا غَضَارَتُها ، وَقَدْ رَضِينا مِنَ الحَسْنَاءِ بالقُبَلِ
هَذا العزَاءُ وَإنْ تَحزَنْ فلا عَجَبٌ ، إنّ البُكَاءَ بِقَدرِ الحادِثِ الجَلَلِ
وَكَيْفَ نَعْذُلُ مَنْ يبكي لِمَيّتِهِ وَنَحْنُ نَبْكي عَلى أيّامِنَا الأُوَلِ

لا فتى كمحمد

يرثي بعض أصدقائه

ما التَامَتِ الأرْضُ الفَضَاءُ عَلى فتًى كَمُحَمّدٍ مِنْ بَعْدِهِ أوْ قَبْلِهِ
عُمرِي لَقَدْ فَنِيَتْ محَاسِنُ وَجهِهِ فِيهَا ، وَقَدْ بَقِيَتْ محَاسِنُ فِعْلِهِ
زَادَتْ مَنَاقِبُهُ انْتِشَاراً بَعْدَهُ ، وَحَدِيثُهُ ، فَكَأنّهُ في أهْلِهِ

[1] الغمر : الكريم ، الواسع الخلق

حسبنا الله

قال في الزهد

إنْ أشرَ الخطبُ فلا روْعةٌ ، أوْ عظُمَ الأمرُ ، فصبرٌ جميلْ
ليُهوِنِ المرْءُ بأيّامِهِ ، إنّ مُقامَ المرْءِ فيها قليلْ
هلْ نافعٌ نفسكَ أذْللْتَها كرامةُ البيْتِ وعزُّ القبيلْ
إنّا إلى اللهِ ، وإنّا لهُ ، وحسْبُنا اللهُ . ونِعْمَ الوكيلْ

ليل طويل

قال أيضاً في النسيب رحمه الله تعالى :

خليليّ ! هلْ لي لوْ ظفرْتُ بنيّةٍ إلى الجزْعِ منْ وادي الأراكِ سبيلُ
وهلْ أنا في الرّكبِ اليمانيّ دالجٌ ، وأيدي المطايا بالرّجالِ تميلُ[1]
وفي سرَعانِ الرّيحِ لي لوْ علمتُما شِفاءٌ ، ولوْ أنّ النّسيمَ عليلُ

[1] قوله : دالج ، لعلها مدلج : أي سائر الليل كله ، لأن معنى الدالج : الآخذ دلو الماء من البئر والمفرغها في الحوض .

وَفي ذَلِكَ السِّرْبِ الذي تَرْبَانِهِ ، أحمُّ غَضِيضُ النّاظِرَينِ كَحِيلُ[1]
شَهِيٌّ اللَّمَى عَاطٍ إلى الرَّكبِ جيدُهُ ، خَتُولٌ لأيْدي القانِصِينَ مَطُولُ[2]
وَكَمْ فيهِ مِنْ خَوِّ اللِّثَاتِ كَأنّمَا جرَى ضَرَبٌ مَا بَينَهَا وَشَمُولُ[3]
تَجَلّلْنَ بالرَّيْطِ اليَمَانيِّ ، كَأنّمَا ضَمَمْنَ غُصُوناً مَسّهُنّ ذُبُولُ
عَلِقناكَ ، يا ظَبيَ الصّرِيمِ ، طماعةً ، أعِندَكَ مِنْ نَيلٍ لَنَا ، فَتُنيلُ ؟
أنِلْ نَائِلاً ، أوْ لا تَشُنَّ بِنَظْرَةٍ ، فإنّيَ بالأُولى ، الغَداةَ ، قَتيلُ
وَإنّي ، إذا اصْطكّتْ رِقابُ مَطيِّكمْ ، وَثَوّرَ حَادٍ بالرِّفَاقِ عَجُولُ[4]
أُخالِفُ بَينَ الرّاحتَينِ عَلى الحَشا ، وَأنْظُرُ أنّي مُلْتَمٍ ، فَأمِيلُ[5]
أحِنُّ وَتُجرِيني على الشّوْقِ قَسوَةٌ ، ألا غَالَ مَا بَيْني وَبَيْنَكَ غُولُ
وَمَا ذادَني ذِكرُ الأحبّةِ عَنْ كَرًى ، وَلَكِنّ لَيْلي بالعِرَاقِ طَوِيلُ

١ الأحم : الأسود .
٢ اللمى : سمرة أو سواد في باطن الشفة يستحسن . عاط : رافع . الختول : الخداع . المطول المسوف بوعده .
٣ الخو : العسل . اللثات ، الواحدة لثة : مغرز الأسنان .
٤ ثوره : جعله يثور ، هيجه .
٥ الملتمي ، من التمى لونه : تغير ، أو من لتمه : ضربه ، أو طعنه في منحره .

القبل المسروقة

وَرُبَّ يَوْمٍ أخَذْنَا فيهِ لَذَّتَنَا ، مِنَ الزّمَانِ ، بِلا خَوْفٍ وَلا وَجَلِ
كُنّا نُؤمّلُهُ في الدّهْرِ وَاحِدَةً ، فَجاءَنَا بالذي يُوفي عَلى الأمَلِ
وَرُبَّ لَيْلٍ مَنَحْنَا مِنْ أوَائِلِهِ إلى الصّبَاحِ جَوَازَ النّوْمِ بالمُقَلِ
بِتْنَا ضَجيعَيْنِ في ثَوْبِ الظّلامِ كمَا لَفَّ الغُصَيْنَيْنِ مَرُّ الرّيحِ بالأُصُلِ
طَوْراً عِنَاقاً كأنّ القَلْبَ من كَثَبٍ يَشكُو إلى القَلْبِ ما فيهِ من الغُلَلِ [1]
وَتَارَةً رَشَفَاتٌ لا انْقِضَاءَ لهَا ، شُرْبَ النّزِيفِ طَوَى عَلاًّ على نَهَلِ [2]
وَكَمْ سرَقنا، على الأيّامِ ، من قُبَلٍ ، خوْفَ الرّقيبِ كشُرْبِ الطائرِ الوَجِلِ

غيري يحول عن الود

غَيرِي عَنِ الوِدّ الصّرِيحِ يَحُولُ ، عُمْرَ الزّمَانِ ، وَغَيرُكَ المَملُولُ
أتَظُنُّ أنّي بالقَطيعَةِ رَاغِبٌ ؛ هَيهَاتَ وَجهُكَ بالوَفَاءِ كَفيلُ
وَكَذا الصّديقُ ، إذا أرَادَ قَطيعَتي ، ظَنَّ الظّنونَ ، وَقالَ : أنتَ مَلولُ

١ من كثب : من قرب . الغلل ، الواحدة غلة : العطش الشديد .
٢ النزيف : من عطش حتّى يبست عروقه وجف لسانه . العل : الشرب تباعاً . النهل : أول الشرب.

كبر الملول ورقة المملول

وَمُقَبِّلٍ كَفّي وَدَدْتُ بِأنّهُ ... أوْمَى إلى شَفَتَيّ بِالتّقْبِيلِ
جاذَبْتُهُ فَضْلَ العِتابِ ، وَبَيْنَنَا ... كِبَرُ المَلُولِ ، وَرِقّةُ المَمْلُولِ
وَلَحَظْتُ عَقْدَ نِطاقِهِ ، فَكَأنّمَا ... عُقِدَ الجَمَالُ بِقُرْطَقٍ مَحْلُولِ[1]
جَذلانُ يَنفُضُ من فُرُوجِ قَميصِهِ ... أعطَافَ غُصْنِ البَانَةِ المَطْلُولِ
مَنْ لي بِهِ ، وَالدّارُ غَيرُ بَعيدَةٍ ... عَنْ دارِهِ ، وَالمَالُ غَيرُ قَليلِ

ليلة بليال

وَقَدْ كُنْتُ آبي أنْ أُذِلّ لِصَبْوَةٍ ، ... وَأنْ تَمْلِكَ البِيضُ الحِسَانُ عِقالي
خَميصاً من الأشجانِ لا يُوضِعُ الهوَى ... بِقَلْبي ، فَلا اجْتازَ الغَرَامُ بِبَالي[2]
إلى أنْ تَرَاءى السّرْبُ بَينَ غَزَالَةٍ ... تَرَنّحُ في ثَوْبِ الصِّبَا ، وَغَزَالِ
فَلَمّا التَقَيْنَا كُنتُ أوّلَ وَاجِدٍ ؛ ... وَلَمّا افْتَرَقْنَا كُنْتُ آخرَ سَالي
وَلَيْلَةِ وَصْلٍ بَاتَ مُنجِزُ وَعدِهِ ... حَبيبيَ فِيهَا ، بَعْدَ طُولِ مِطَالِ

١ القرطق : ملبوس كالقباء ، وهو من ملابس العجم .

٢ يوضع : يسرع .

شَفَيْتُ بِهَا قَلْباً أُطِيلَ غَلِيلُهُ ، زَمَاناً ، فَكَانَتْ لَيْلَةٌ بِلَيَالي
فَيَا زَائِراً ، لَوْ أَستَطيعُ فَدَيْتُهُ بِأَهْلِي ، عَلى عِزّ القَبِيلِ ، وَمَالي

عجلت يا شيب

قال أيضاً وقد ورد عليه أمر يهمه فرأى في شعر رأسه طاقات بياض وذلك في أوائل سنة ٣٨٣ وسنه يومئذ ٢٣ سنة :

عَجِلْتَ ، يا شَيبُ، على مَفرِقي ، وَأيُّ عُذْرٍ لَكَ أنْ تَعْجَلا
وَكَيْفَ أقْدَمْتَ عَلى عارِضٍ ما استَغرَقَ الشَّعرَ، وَلا استكمَلا
كُنتُ أرَى العِشرِينَ لي جُنّةً ، مِن طارِقِ الشّيبِ ، إذا أقبَلا
فَالآنَ سِيّانِ ابنُ أُمّ الصِّبَا ، وَمَنْ تَسَدّى العُمُرَ الأطْوَلا
يَا زَائِراً مَا جَاءَ حَتّى مَضَى ، وَعَارِضاً مَا غَامَ حتّى انجَلَى
وَمَا رَأى الرّاؤونَ مِنْ قَبلِهَا ، زَرْعاً ذَوَى مِنْ قَبلِ أنْ يُبْقِلا[1]
لَيْتَ بَيَاضاً جاءَني آخِراً فِدَى بَيَاضٍ كَانَ لي أوّلا
وَلَيْتَ صُبْحاً ساءَني ضَوْءُهُ زَالَ ، وَأبْقَى لَيلَهُ الألْيَلا
يَا ذابِلاً صَوّحَ فَينَانُهُ ، قَدْ آنَ للذّابِلِ أنْ يُختَلَى[2]

---

١ أبقل الزرع : ظهر ، نبت .
٢ صوح : تناثر ، وأراد شعره . فينانه : ما فيه من أفنان . يختلى : يجز .

حَطّ بِرَأسِي يَقَقاً أبْيَضاً ، كَأنّمَا حَطّ بِهِ مُنْصُلا
هَذا ، وَلمْ أعْدُ بِحَالِ الصّبَا ، فكَيْفَ مَنْ جَاوَزَ ، أوْ أوْغَلا
مِنْ خَوْفِهِ كنتُ أهابُ السُّرَى ، شُحّاً عَلى وَجْهيَ أنْ يُبْذَلا
فَلَيْتَنِي كُنْتُ تَسَرْبَلْتُهُ في طَلَبِ العِزّ وَنَيْلِ العُلَى
قالُوا : دَعِ القاعِدَ يُزْرِي بِهِ ، مَنْ قَطَعَ اللّيْلَ وَجابَ الفَلا
قَدْ كَانَ شِعرِي رُبّمَا يَدّعي نُزُولَهُ بي قَبْلَ أنْ يَنْزِلا
فَالآنَ يَحْمِينِي بِبَيْضَائِهِ أنْ أكْذِبَ القَوْلَ ، وَأنْ أبْطِلا
قُلْ لِعَذُولي اليَوْمَ نَمْ صَامِتاً ، فَقَدْ كَفَاني الشّيبُ أنْ أعْذَلا
طِبْتُ بِهِ نَفْساً ، وَمَنْ لمْ يجِدْ إلاّ الرّدَى أذْعَنَ وَاستَقْبَلا
لمْ يَلْقَ مِنْ دُوني لَهُ مَصرفاً ، وَلَمْ أجِدْ مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا

أحبك وأقلاك

قال في غرض من الأغراض :

أُحِبّكَ بالطّبْعِ البَعيدِ مِنَ الحِجى ، وَأقلاكَ بالعَقْلِ البرِيءِ مِنَ الخَبلِ [1]
فأنتَ صَديقي إنْ ذَهَبتُ إلى الهوَى ؛ وَأنتَ عَدُوّي إنْ رَجَعتُ إلى العَقلِ

١ الحجى : العقل والفطنة . أقلاك : أبغضك . الخبل : الفساد .

وَسِيّانِ عِنْدِي مَنْ طَوَاني على جوًى ... يُعَذّبُ قَلْبِي ،أوْ طَوَاني على دَخْلِ [1]
وَمَا الحُبّ إلاّ ذِلّـةٌ وَاستِكَانَةٌ ... لِمَوْلًى أرَى إعزَازَهُ ، وَيَرَى ذُلّي
وَلَوْ أنّني خُيّرْتُ مَن أمنَحُ الهَوَى، ... لمَا اختَرْتُ أن أهوَى هوًى وَمَعي عقلي
وَلَكِنّهُ لا رَأيَ في الحُبّ للفتَى ، ... فَيَعْلَمَ يَوْماً مَا يُمِرّ وَمَا يُحْلي
وَلَوْ كانَ في العِشقِ اختيارٌ لأقصَرَتْ ... قُلوبٌ عنِ المَحبوبِ ما ضَنّ بالبَذلِ
وَلَمْ يُحسِنِ الصّبُّ التّقاضِي وَدُونَهُ ... غَرِيمٌ مُسيءٌ لا يَمَلُّ مِنَ المَطلِ

للعوائد للراقصة

قال رضي الله تعالى عنه أيضاً

أيَا أثَلاتِ القَاعِ كَمْ نَضْحُ عَبرَةٍ ... لِعَيْنِي ، إذا مَرّ المَطيُّ بذي الأثْلِ
وَيا عَقَدَاتِ الرّمْلِ كَمْ ليَ أنّةٌ ، ... إذا مَا تَذَكّرْتُ الشّقيقَ من الرّمْلِ [2]
وَيا ظُعُنَاتِ الحَيّ يَوْمَ تَحَمّلُوا، ... عُقِرْتِ، وَأفنى اللهُ نَسلَكِ من إبلِ [3]
وَيا ظَبَيَاتِ الجِزْعِ يَسنَحنَ غُدوَةً، ... لقد طُلّ من ترْشُقْنَ بالأعيُنِ النُّجلِ

١ الدخل : الداء ، الريبة .

٢ عقدات الرمل : ما تعقد منه .

٣ الظعنات : الجمال التي يظعن ، يسافر عليها .

وَيا بَانَةَ الوَادي أَدَمعيَ في الهوَى   أبرُّ حَياً ، أم ما سَقاكِ مِنَ الوَبلِ ؟
عوَائدُ من ذِكرَاكِ يرقُصْنَ في الحَشا ،   وَأضرَمنَ ما بَينَ الذّؤابَةِ وَالنّعْلِ[1]

العين المالحة

قال على لسان إنسان أصابه
حبيباً له بعينه وقد سئل ذلك

أصبْتُ بِعَيْني مَنْ أصَابَ بعَيْنِهِ   فُؤادي ، وَلمْ يَعقِلْ دمي يوْمَ طَلّه[2]
لَقَدْ ثَأرَتْ عَيْني بقَلْبي ، ولمْ يكن   حَلالاً لَهُ من مُهجَتي ما استَحَلّه
فَأهْلاً بِعَيْنَيْهِ ، وَإنْ طَلّتَا دمي ،   فَكَمْ مالِكٍ لمْ يُرْزَقِ العَبدُ عدلَه
وَبُعْداً لِعَيْني لِمْ أصَابَتْهُ بالأذَى ،   وَألاّ تَلَقّتْ وَاقِعَ السّوءِ قَبلَه
فَيا ظالماً تَستَحسِنُ النّفسُ ظُلمَهُ ،   وَيا قَاتِلاً يَستَعذِبُ القَلبُ قَتلَه
ليَهنِكَ أنّ النّفسَ تَمنَحُكَ الهوَى   جَميعاً ، وَأنّ القَلبَ عندَكَ كُلّه

[1] العوائد ، الواحدة عائدة : ما يعود إلى نفس الإنسان من الذكريات
[2] يعقل : يؤدي العقل ، الدية . طله : أطله ، أهدره .

من دلك على مقتلي

قال رضي الله تعالى عنه أيضاً :

سَهْمُكَ مَدْلُولٌ عَلى مَقتَلي ، فَمَنْ تُرَى دَلّكَ يا قَاتِلُ
لَيْسَ لِقَلْبي ثَائِرٌ يُتّقَى ، وَلَيْسَ في سَفْكِ دَمي طَائِلُ
مَطَلْتَني حِينَ مَلَكْتَ الحَشَا ، ألا وَقَلْبي لِيَ يَا مَاطِلُ
قَدْ رَضِيَ المَقْتُولُ كُلّ الرّضَا ، يَا عَجَبا لِمْ غَضِبَ القَاتِلُ

ما لي بدل غيركم

قال رضي الله عنه وكتب بها إلى الملك بهاء الدولة وضياء الملة
في آخر كتاب كتبه إلى حضرته بفارس رحمه الله تعالى :

وَمَا تَلَوّمَ جِسْمي عَنْ لِقَائِكُمُ ، إلاّ وَقَلْبي إلَيْكُمْ شَيّقٌ عَجِلُ[1]
وَكَيْفَ يَقعُدُ مُشْتَاقٌ يُحَرّكُهُ إلَيكُمُ الحافزَانِ : الشّوْقُ وَالأمَلُ
فإنْ نَهَضْتُ فَمَا لي غَيرَكم وَطَرٌ ، وَإنْ قَعَدْتُ فَما لي غَيرَكم شُغُلُ
لَوْكانَ لي بَدَلٌ ما اختَرْتُ غَيرَكُمُ ، فكَيْفَ ذاكَ ، وَمَا لي غَيرَكم بدَلُ
وَكَمْ تَعَرّضَ لي الأقْوَامُ قَبلَكُمُ يَستَأذِنُونَ عَلى قَلْبي فَما وَصَلُوا

١ تلوم : تمكث وانتظر . الشيق : الكثير الشوق .

لا يقبل الوشاية

لا تَحسَبيهِ ، وَإنْ أسَأتِ بِهِ ، يُرْضِي الوُشَاةَ ، وَيَقبَلُ العَذَلا
لَوْكنتِ أنتِ ، وَأنتِ مُهجتُهُ ، وَاشِي هَوَاكِ إلَيْهِ مَا قَبِلا

زودني ودادك

قال قدس الله تعالى روحه في معنى سئل القول فيا

سلَيمانُ ! دَلَّتْني يَدَاكَ على الغِنى ، وَأجرَيْتَ لي عَزْماً أغَرّ مُحَجَّلا
مَدَدْتَ بضَبْعي جاهداً ، فعَقَدتَ لي مَصَاداً بأعنَانِ السّمَاءِ وَمَعْقِلا[1]
وَعَلّيتَني حتّى ظَنَنْتُ بِأنّني سأعبرُ مِنْ عَرْضِ المَجَرّةِ جَدوَلا
فكَيْفَ ارْتِحالي عَنْكَ غَيرَ مُزَوَّدٍ ، وَيَا رُبّ زَادٍ لا يُبَلِّغُ مَنْزِلا
وَلا سَيرَ إلاّ أنْ أشُدّ حَقِيبَةً . أرَى ضِمنَهَا مِنْ ضَامِرِ الزّادِ أبجَلا[2]
وَإلاّ ، فزَوِّدْني وَدادَكَ إنّني أسُلُّ على جَيْشِ الطّوَى منكَ مُنصُلا

١ الضبع : العضد كلها ، ومددت بضبعي : أي أغثني وأعنتني . المصاد : مكان الصيد . المعقل: الملجأ

٢ الحقيبة : الخريطة التي يضع فيها المسافر الزاد . الأبجل : الفقر الشديد .

فَمَا صِرْتُ حَرْبَ الدّهرِ حتّى رَأيْتُه يُحَارِبُ مَنْ أمسَى وَأصْبَحَ مُرْمِلا[1]
وَكُنْتُ ، إذا مَا نَاكَرَتْنِي بَلْدَةٌ ، فَزِعتُ إلى الجُرْدِ العَناجيجِ وَالمَلا[2]
وَمَن كانَ مَهجُوراً كمَا أنا فيكُمُ ، فَمَا يَسْتَحي الأيّامَ أنْ تَتَبَدّلا

عربي يعشق الغزل

قال في معنى عرض له

أوَعيداً ، يا بَني جُشَمٍ ، نَنْقُضُ الأطنابَ وَالحِلَلا[3]
وَطِرَاداً في مُلَمْلَمَةٍ ، تَسْتَبيحُ الخَيْلَ وَالإبِلا[4]
وَنِزَاعاً لا وُرُودَ لَهُ ، يَعجُمُ الحَوْذانَ وَالنَّفَلا[5]
سَتَرَاني مُسْيَ ثَالِثَةٍ ، لا أُضِيفُ الهَمّ إنْ نَزَلا
وَخَفيرِي في غَيَاهِبِهَا سَابِحٌ ضَمّنْتُهُ الأمَلا

١ المرمل : الفقير .
٢ ناكرتني : جهلتني . فزعت : أسرعت ، لجأت . العناجيج ، الواحد عنجوج : الجيد من الخيل والإبل . الملا : الصحراء .
٣ بنو جشم : أحياء من مضر واليمن وغيرهما . ننقض : نهدم . الأطناب ، الواحد طنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت . الحلل ، الواحدة حلة : محلة القوم .
٤ الململمة : الكتيبة المجموعة .
٥ النزاع : الخصام . يعجم : يعض ، ويمضغ . الحوذان والنفل : نبتان مر ذكرهما .

طَرِبٌ للصَّوْتِ تَحْسَبُهُ عَرَبِيّاً يَعْشَقُ الغَزَلا
سَوْفَ يَغْشَى أَرْضَكُمْ أَسَدٌ يَفرِسُ الأيّامَ وَالدُّوَلا
لا يَنَامُ السَّيْفُ في يَدِهِ ، وَيُرَى في بَابِلٍ رَجِلا[1]
إنّمَا الدّنْيَا لِمُقْتَدِرٍ ، أينَ ألقَى قَوْلَهُ فَعَلا

الآمال الطوال

قال في معنى عرض له

لا تَعْذُلَنّي في السّكُو تِ ، فَرُبَّ قَوْلٍ لا يُقَالُ
كَمْ صَامِتٍ مُتَوَقِّعٍ أنّى يَعِنُّ لَهُ المَقَالُ
إنّ التّحَمّلَ نُطْفَةٌ أبَداً ، يُرَنِّقُهَا السّؤالُ
مَا كُنتُ أرْغَبُ في الحَيَا ةِ ، وَلَيْسَ لي عِزٌّ وَمَالُ
لي ، لَوْ عَلِمْتَ ، إلى ذُرَى الْ عَلْيَاءِ آمَالٌ طِوَالُ

١ بابل : بلدة في العراق . الرجل : الراجل ، من يمشي على رجليه .

لا يبعده الله

قال في وداع صديق له :

وَقَائِلٍ لِيَ : هَذا الطَّوْدُ مُرْتَحِلٌ ، وَهَل يَخِفُّ عَلَى الأيّامِ مَحمَلُهُ ؟

لا يُبْعِدِ اللهُ مَنْ غَالَتْ رَكَائِبُهُ صَبرِي ، وَقَلقَلَ من دَمعي تَقَلقُلُهُ

يُطَيِّبُ النّفسَ أنّ النّفْسَ تَتْبَعُهُ ، وكَيفَ يرْحلُ مَن في القَلبِ مَنزِلُهُ

البخيل ذليل

قال أيضاً في معنى مثله :

قَصَدْتُ العُلى ، وَالمَكرُماتُ سَبيلُ ، وَطُلاّبُهَا ، لَوْلا الكِرَامُ ، قَليلُ

وكُلُّ فَتًى لا يَطلُبُ المَجدَ أعزَلٌ ؛ وكُلُّ عَزِيزٍ لا يَجُودُ ذَلِيلُ[1]

صَبَغتُ الأماني بالمَعالي، فلَمْ تَحُلْ ، عَلى أنّ ألْوَانَ الظّنُونِ تَحُولُ

فأينَ كَمُوسَى ، وَالرِّمَاحُ شَوَارِعٌ إلى الطّعنِ ، وَالبِيضُ الرِّقاقُ تجولُ

إذا جَرّ أذْيَالَ العَوَالي لِمَعْرَكٍ ، فَإنّ جَلابِيبَ التّرَابِ ذُيُولُ

١ الأعزل : أراد به الأعزل من الخير ، أي البعيد .

أخُو عزَمَاتٍ لا يُكَفْكِفُ عَزْمَهُ حِذارُ الأعَادي ، وَالدّمَاءُ تَسيلُ
وَلا يَستَكِنُّ الرّوْعُ في طَيّ قَلْبِهِ ، وَلا يَصْحَبُ الصّمصَامَ ، وَهوَ كَليلُ
فَكُلُّ فَلاةٍ مِنْ نَوَالِكَ لُجّةٌ ؛ وَكُلُّ مَكَانٍ مِن رِمَاحِكَ غِيلُ

عصيان وطاعة

قال وهي من أول قوله وكتب بها إلى بعض أصدقائه :

عَصَيْنَا فيكَ أحْداثَ اللّيَالي ، وَطَاوَعْنَا المَكَارِمَ وَالمَعَالي
وَفيكَ رَجَمْتُ أحْشَاءَ الأعادي بِأطْرَافِ الذّوَابِلِ وَالنّصَالِ
وَعُذْتُ بِجانِبَيْكَ مِنَ الرّزَايا ، مَعَاذي في الهَوَاجِرِ بالظّلالِ
دَعَوْتُكَ يَوْمَ دافَعَ عَنكَ نَحرِي جِنَايَاتِ الصّوَارِمِ وَالعَوَالي
فَمَا خَلَبَ النّوَائِبُ مِنكَ بَرْقاً يَدُلّ عَلى الوَفَاءِ ، إذا بَدا لي[1]
وَمَا هَوْلُ الفُؤادِ مِنَ التّصَافي ، بَعِيدٌ مِنْ فُؤادٍ فيهِ خَالي
وَلَمْ أعلَمْ كَعِلْمِ بَني زَمَاني ، بِأنّ القُرْبَ داعِيَةُ المَلالِ
وَأنّكَ حينَ تَطْمَعُ في نِضَالي ، وَتَعْلَمُ أنّ لي سَبْقَ النّضَالِ
كَمَاشٍ في الهِيَاجِ بِلا حُسَامٍ ، وَسَاعٍ في الظّلامِ بِلا ذُبَالِ[2]

١ خلب : أخلف .
٢ الهياج : القتال . الذبال ، الواحدة ذبالة : الفتيلة

وَإنّي في زَمَاني مِنْ رِجَالٍ مِزَاجُ وِدادِهِمْ مَاءُ التَّقَالي[1]
شِمَالُ المَالِ تَعْلُو عَنْ يَميني ، وَيُمْنى المجدِ تَقصُرُ عَنْ شِمالي
أقُولُ لِهِمّتي لَمّا أبَتْ لي مُعَاتَبَةَ المَلُولِ عَلى الوِصَالِ
أُعَاتِبُهُ لَعَلّ العَتْبَ يَشْفي ، وَإنْ كَانَ التّعِيمَ بكَسفِ بَالي
وَلَوْ لَمْ يَبْلُغِ العُتْبَى بِقَوْلٍ ، لَعَاتَبْنَاهُ بِالبِيضِ الصّقَالِ
رَأى العُذّالُ بَذْلَ المَالِ طَبعي ، وَأسْبَابَ الشّجَاعَةِ من خِلالي
فَلَمْ أعْذُلْ عَلى خَوْضِ المَنَايا ؛ وَلَمْ أُعْتَبْ عَلى بَذْلِ النّوَالِ
أبَتْ هِمّتي تَسِيغُ المَاءَ صَفواً ، إذا مَا الذّلّ حَامَ عَلى الزّلالِ
أُذَمّ عَلى العُلَى ظُلْماً لأنّي أعُلّ بِمَائِهَا ظَمَأ السّؤالِ
وَمَا زِلْنَ العَوَاطِلُ كُلّ يَوْمٍ مِنَ العَلْيَاءِ يَذْمُمْنَ الحَوَالي[2]
وَلَمّا مَاطَلَتْ بالحَرْبِ سَعْدٌ سَنَنّا المَوْتَ فِيهَا بالمِطَالِ
أثَرْنَا في قَبَائِلِهَا عَجَاجاً ، تَرَكْنَا مِنْهُ أثْراً في الهِلالِ[3]
فَمَنْ يُهْدي لآلِ تَمِيمَ عَنّي ، مُقِيماً في ذُرَى الأسَلِ الطّوَالِ
مَنَحتُكُمُ الوِدادَ ، فلم تَوَدّوا ، فَألقَيْتُ المَلامَ عَلى فِعَالي
وَلَسْتُ بِبَاسِطٍ كَفّي لأنّي أرَى الأفلاكَ تَقصُرُ عَنْ مَنَالي

١ التقالي : التباغض .
٢ العواطل : غير الحاليات .
٣ الأثْر بالسكون أراد الأثَر بالفتح فسكن لضرورة الشعر .

ان لم أطع همماً

قال أيضاً وهي من أول قوله رحمه الله تعالى :

إنْ لمْ أطِعْ هِمماً، وأعصِ عوَاذِلا ، قُلِبَتْ صَوَامِتُهَا عَلَيّ مَقَاوِلا
وَأُجِيعُ أعْيَاساً ، وَأُشْبِعُ صَارِماً ، وَأعُلّ خُرْصَاناً، وَأُظمىءُ صَاهِلا[1]
ولَرُبّ مَصْحُوبٍ شَرِقْتُ بِلُؤمِهِ ، فَلَفَظْتُهُ قَبْلَ الإسَاغَةِ عَاجِلا
وَلَيْتُهُ زُجّ القَنَاةِ مُوَزَّعاً ، فَكَأنّمَا أعْمَلْتُ فيهِ عَامِلا
وَمَنَحْتُهُ أرْوَى القَوَافي عَاتِباً ، فَاكْتَنّ في جَنْبَيْهِ سُمّاً قَاتِلا
وَكَسَوْتُ مِنْ مُورِ المَلامِ جَنَانَهُ قَبلَ العِقَابِ، فصَارَ فيهِ جَنادِلا[2]
وَهَزَزْتُ أغْصَانَ المَخَاوِفِ دُونَهُ ، فَاجْتَازَ يَحْسَبُهَا ظُبًى وَذَوَابِلا

١ الأعياس : العيس ، الإبل البيضاء . الخرصان : الرماح .
٢ المور : الغبار المتردد ، والتراب تثيره الريح . الجنادل ، الواحد جندل : الحجارة .

المصون المبذول

قال وكتب إلى بعض أصدقائه يعاتبه :

وَجَدَ القَرِيضُ إلى العِتابِ سَبِيلا ، فَثَنَى مَعَاذِرَكَ الوُعُورَ سُهُولا
مَا لي أحَرِّكُ مِنْ وَفَائِكَ سَاكِناً، وَأهُزُّ مِنْكَ إلى الصَّفَاءِ كَلِيلا
طَالَ المِطَالُ بِرَدِّ وِدٍّ لَمْ يَزَلْ عِنْدي مَصُوناً فِيكُمُ مَبْذُولا
فَإلى مَتَى يُنْشِي عِتَابُكَ هَبْوَةً ، وَتَشُنُّهَا قَالاً عَلَيّ وَقيلا
في كُلّ يَوْمٍ غَارَةٌ مَا تَنْقَضِي ، إلاّ وَتَثْني سَيْفَهُ مَفْلُولا
إنّ الّذي قَصَدَ المَدَائِحَ غُلّةً ، أحرَى بِأنْ يَجِدَ الهِجاءَ غَلِيلا
كَمْ مِن نظامٍ قَد نَشَرْنَ هَوَاجسِي حتّى نَظَمْتُ العُذْرَ فِيهِ فُصُولا
وَقَصَائِدٍ سَدّدْتُهُنّ أسِنّةً ، وَشَهَرْتُهُنّ قَوَاضِباً وَنُصُولا
جُعِلَتْ لرَقْرَاقِ السّرُورِ جَداوِلاً ، نَحْوَ القُلُوبِ ، وَللهُمومِ سَبِيلا

خير المواهب العاجل

كتب إلى بعض أصدقائه وقد وعده
وعداً في أمر رجل سأله في بابه فأخره :

لَعَمْرُكَ مَا جَرَّ ذَيْلَ الفَخَا ... رِ إلاّ ابنُ مُنجبَةٍ باسِلُ
جَرِيءٌ يُشَيِّعُهُ قَلْبُهُ ، ... كَمَا شَيَّعَ اللَّهْذَمَ العامِلُ[1]
يَنالُ مِنَ الطَّعْنِ ما يَشتَهي ، ... وَيَأخُذُ مِنْهُ القَنَا الذّابِلُ
وَهَا أنَا ذا غَرِضٌ بالزّمَانِ ، ... فَلا عَيْشَ يَألَفُهُ العاقِلُ[2]
وَكُلُّ سُرُورٍ أرَى أتَّهُ ... خِضَابٌ عَلى لِمّتي نَاصِلُ
إذا أنَا أمّلْتُ قَالَ الزّمَا ... نُ : أوْرَقَ حَبلُكَ يا حابِلُ[3]
وَلا بُدّ مِنْ أمَلٍ لِلْفَتَى ، ... وَأُمُّ المُنَى أبَداً حَامِلُ
وَدَهْرٌ يُتَابِعُ أحْداثَهُ ، ... كَمَا تَابَعَ الطَّلَقَ النَّابِلُ
فَذاكَ ، أبَا حَسَنٍ ، في السّمَا ... حِ مَنْ لا يُلِمّ بِهِ السّائِلُ
لَئيمٌ تَمَلّسُ مِنْهُ العُلَى ، ... وَيَأنَفُ مِنْ يَدِهِ النّائِلُ[4]

١ اللهذم : السنان القاطع .
٢ الغرض ، من غرض منه : مل ، والباء في « بالزمان » بمعنى من .
٣ الحبل بالسكون أصلها الحبل بفتح الباء ، وسكن للضرورة : شجر العنب . الحابل : الصائد بالحبالة .
٤ تملس : تتفلت .

فَمِثْلُكَ مَنْ لا يَنِي وَبْلُهُ ، إذا استَمْطَرَ البَلَدُ المَاحِلُ
فَما هَزِئَتْ بقِرَاكَ الضّيُوفُ ، وَلا ذَمّ مَنْزِلَكَ النّازِلُ
وَكَم لكَ مِن همّةٍ يَستَطيلُ بهَا العَضْبُ وَالأزْرَقُ العَاسِلُ
وَوَعْدٍ تُنَفِّرُهُ بِالعَطَاءِ كَالعَامِ أزْعَجَهُ القَابِلُ
وَأفْوَهَ بَادَرْتَهُ بِالمَقَالِ ، وَقَدْ لَجّجَ الذّرِبُ القَائِلُ[1]
فَرَجّعَ في حَلْقِهِ غُصّةً ، كَمَا رَجّعَ الجِرّةَ البَازِلُ
لكَ الخَيرُ، وَعدُكَ لا يُقتَضَى وَإنْ حَالَ مِنْ دُونِهِ حَائِلُ
وَلا ضَيرَ بَعْدَ مَجيءِ الغَمَامِ ، إنْ أبْطَأ الوَابِلُ الهَاطِلُ
وَمَطْلُ الكَرِيمِ سَرِيعُ الزّوَالِ ، كالظّلّ رَيعَانُهُ زَائِلُ
وَأنتَ، وَإنْ كُنتَ بَحرَ السّماحِ ، فخَيرُ مَوَاهبِكَ العاجلُ
وَمَا صِدقُ وَعدِكَ إلاّ حُلَى مُكَرّمَةٍ ، جيدُهَا عَاطِلُ

١ الأفوه : الواسع الفم . لجج : خاض اللجة . الذرب : الفصيح ، الحاد اللسان .

خمر كماء الهجير

وسئل وصف الخمر فقال

رَاحٌ يَحُولُ شُعَاعُهَا بَيْنَ الضَّمَائِرِ وَالعُقُولِ
فَكَأَنَّهَا في كَأْسِهَا ، وَاللَّيلُ مُنسَحِبُ الذّيولِ
مَاءُ الهَجِيرِ مُرَقْرِقاً ، في سُرَّةِ الظّلّ الظّليلِ[1]

الجبن ضرب من البخل

قال في غرض رحمه الله

سأبذُلُ دونَ العِزّ أكْرَمَ مُهْجَةٍ ، إذا قامَتِ الحَرْبُ العَوَانُ على رِجْلِ[2]
وَمَا ذاكَ أنّ النّفسَ غَيرُ نَفِيسَةٍ ، وَلكِنْ رَأيتُ الجُبْنَ ضَرْباً من البُخْلِ
وَمَا المُكرِهُونَ السّمهَرِيّةَ في الطُّلى بأشجَعَ ممّن يكرَهُ المالَ في البَذْلِ[3]

١ السرة : مستقر الماء .
٢ المهجة : بقية الروح . العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى .
٣ السمهرية : الرماح . الطلى : الأعناق .

من عاذري من الزلل

قال على لسان إنسان سأله ذلك :

زَلَلْتُ في وَقْفَتي على طَلَلٍ   بالٍ ، فمَن عاذِري من الزَّلَلِ ؟
لمّا تأمّلْتُ قُبْحَ صُورَتِهِ ،   رَجَعْتُ أبْكي دَماً على أمَلي
وَجْهٌ كَظَهْرِ المِجَنِّ مُشترَقُ الـ   حُسْنِ ، وأنفٌ كغارِبِ الجَمَلِ [1]

لا هناك البدل

قال رضي الله تعالى عنه في معنى عرض له

أبيعُكَ بَيْعَ الأديمِ النَّغِلْ ،   وأطْوي وِدادَكَ طَيَّ السِّجِلّ [2]
وأنْفُضُ ثِقْلَكَ عَنْ عاتِقي ،   فَقَدْ طالَ ما أدْتَني يا جَبَلْ [3]
قَوارِصُ لَفْظٍ كَحَزِّ المُدَى ،   وَشَذّانُ لَحظٍ كوَقْعِ الأسَلْ [4]

١ قوله : مشترق ، هكذا في الأصل ولم نجدها ، ولعله مسترق الحسن ، أي مسروق حسنه ، فهو لا حسن فيه . وقوله : وجه كظهر المجن ، أي صلب ، جاف . الغارب : الكاهل .
٢ الأديم : الجلد . النغل : الفاسد في الدباغ .
٣ أدتني : أجهدتني .
٤ الشذان : ما تفرق من الحصى وغيره .

تَبَدَّلْتَ مِنّي ، وَلَوْ سَاءَني   لَقُلْتُ إذاً لا هَنَاكَ البَدَلْ
فَكَيْفَ ، وكُنتَ عَلى السّاعدَيْـ   ـنِ جَامِعَةً ، وَعلى الجِيدِ غُلْ[1]
وَمَا عَطَلُ المَرْءِ يُزْرِي بِهِ ،   إذا كَانَ طَوْقُ وَرِيدَيْهِ صِلْ[2]
نَصَبْتَ الحِبَالَةَ لِي طَامِعاً ،   لَقَدْ خَابَ ظَنُّكَ يا مُحتَبِلْ
ولَمْ تَدْرِ أنّي جَرِيّ الوُثُوبِ ،   إذا الحَبْلُ مَرّ بجَنْبي نَصَلْ
وَأمّلْتَ مَا عَكَسَتْهُ الخُطُوبُ   سَفَاهاً أجَرّكَ هَذا الأمَلْ
لقَد كِدتَ أن تَستَزِلّ الأديبَ ،   ولَكِن تَحَامَلَ سِمْعٌ أزَلْ[3]
أفَخْراً ، فحَسبي بِمَا قَدْ أطَا   لَ بَاعي وَأنزَلَني في القُلَلْ
وَإنْ أذَلّ الأذَلّينَ مَنْ   يُرِيعُ بِبِضْعِ النّسَاءِ الدّوَلْ[4]
حَمَلْتُ بقَلْبي حِملَ الجَمُوحِ ،   كمَا قَطَعَ الصّعبُ لِيَّ الطِّوَلْ[5]
نَجَوْتُ ، وَمَنْ يَنجُ مِنْ مِثلِها   يَعِشْ آمِناً بَعْدَهَا مِنْ زَلَلْ
وَغَادَرْتُ غَيرِيَ تَحْتَ الهَوَا   نِ يُضرَبُ ضَرْبَ عِرَابِ الإبِلْ[6]

١ الجامعة : الغل ، لأنها تجمع اليدين إلى العنق . الغل : طوق من حديد يجعل في العنق .
٢ الوريدان : عرقان في العنق . الصل : الحية .
٣ السمع : ولد الذئب من الضبع . الأزل : الخفيف الوركين .
٤ يريع : يفزع . البضع : من الثلاث إلى التسع .
٥ اللي : الفتل . الطول : الحبل يشد به قائمة الدابة ويمسك طرفه ، وترسل لترعى .
٦ العراب : الإبل الكريمة . ولعلها الغراب ، أي الغريبة ، لأن العرب كانوا يضربون الإبل الغريبة إذا دخلت إلى مراعيهم ليخرجوها منها .

أليس أبي أبي حسباً وفخراً

قال رضي الله تعالى عنه وكان قد واصل الاستعفاء في النقابة فأعفي منها ووردت إلى من خطبها وبذل عليها فذكر هذه الحالة وذلك في ذي القعدة سنة ٣٨٤ :

تَطاطَ لهَا ، فيُوشِكُ أنْ تُجَلّى ، وَوَلِّ جُنُونَ دَهْرِكَ مَا تَوَلّى
وَلا تَكِلِ الزّمَانَ إلى عِتَابٍ ، فَلا يَدْرِي الزّمَانُ أسَاءَ أمْ لا
خَبُوطٌ باليَدَينِ يُشِتّ شَمْلاً جَمِيعاً ، بالنّوَى ، وَيَلُمّ شَمْلا
يُعَرّي الغَارِبَ الأعلى وَيُحْذِي عَظِيمَ العِزّ وَالخَطَرَ الأظَلاّ[1]
فَقَدْتُكَ مِنْ زَمَانٍ كُلّ فَقْدٍ ، وَفِعْلُكَ مَا أخَسّ وَمَا أذَلاّ
أمِثْلي يُستَضَامُ وَمَا تَرَى لي ، إذا عَرَضَ العِيَانُ ، بَنِيكَ مِثلا؟
فحَسبُكَ قد حَمَلتَ على مُطيقٍ شَآكَ تَجَلّداً ، وَشَجَاكَ حَملا
مُحَمّدُ طَالَ ما شَمّرْتَ فِيها، فَدُونَكَ فاسحَبِ الذّيْلَ الرِّفَلاّ[2]
وَنَمْ مُسْتَوْدَعاً صَوْناً وَأمْناً ، فَقَدْ أسلَفْتَهَا جزَعاً وَذُلاّ
فَإنْ أتْبَعتَ هَذا الأمْرَ لَهْفاً ، فَإنّكَ أعزَبُ الثّقَلَينِ عَقْلا[3]
يَرَاهُ المُسْتَغِرّ عَليّ طَوْقاً ، فيَغْبِطُنِي بِهِ ، وَأرَاهُ غُلاّ

١ الخطر الأظل : الخطر الداني ، الغاشي .

٢ الرفل : الطويل الذيل .

٣ أعزب : أبعد . الثقلان : الإنس والجن .

وَمَا حَطّ الأعَادِي لي مَحَلاً ، وَلَكِنْ حَطّ عَنّي الدّهرُ كَلاّ[1]

فَإنْ أخَذُوا الأقَلّ مِنَ المَعَالي ، فقَد تَرَكُوا مِنَ الصّوْنِ الأجَلاّ

خُذُوا مِنّي بذِي جَلَبٍ ثُقَالٍ ، بَعِيدٍ أنْ يَخِفّ وَأنْ يَزِلاّ[2]

هَوَتْ أُمّ الخُطُوبِ إلى التّسَاقي ، وَقَدْ أفْنَيْتُهَا نَهْلاً وَعَلاّ

وَكَيْفَ يُضَائِلُ الحِدْثَانُ مِنّي وَقَدْ ضَاءَلتُهُ حَتّى اضْمَحَلاّ[3]

سَجِيّةُ مُسْتَمِيتٍ لا يُبَالي ، مِنَ العَلْيَا يُعَطَّلُ أمْ يُحَلّى

أنَا الرّجُلُ الذي عَلِمَتْ نِزَارٌ ، أجَلُّ مَغَارِساً وَأعَزّ نَجْلا

أمُرُّ عَلى لُهَى الأضْدادِ طَعماً ، وَأنْفُذُ في طُلَى الأعداءِ نَبْلا

ألَيْسَ أبي أبي حَسَباً وَفَخراً ، وَبَاعاً وَاسِعاً ، وَعُلًى ، وَنُبلا ؟

وَقَبلَكَ أوْقَرَ الأيّامَ مَجْداً ، وَأوْضَعَ بالعُلَى حَتّى أكَلاّ

فَإنْ يَقْعُدْ فَقَدْ طَلَبَ المَعَالي فَعُلّقَهَا ، وَأوْصَلَهَا ، وَمَلاّ

وَنَفْسِي ما عَلِمتَ . وَلي جَنَانٌ . أبَى لي أنْ أُهَانَ وَأنْ أُذَلاّ

فَلِمْ آسِي وَقَدْ أحرَزْتُ مَجداً كَفَاني مَا يُبَلّغُني المَحَلاّ

إذا خَلَتِ المَنَازِلُ لِلْمُوَلّي ، فَيَا سِرْعَانَ مَا عُزِلَ المُوَلّى

وَبَيْنَا أنْ يَقُولُوا قَدْ تَمَلّى بِهَا ، حَتّى يَقُولُوا مَا تَمَلّى

بِمالِكَ نِلتَهَا، وَكَفَاكَ عاراً ، فَألاّ نِلْتَهَا بِالمَجْدِ ألاّ ؟ !

١ الكل : الثقل ، والتعب .

٢ ذو الجلب الثقال : الجيش العظيم الجلبة ، الذي يثقل زحفه لكثرته .

٣ حدثان الدهر : نوائبه . يضائل : يصغر .

فَمَنْ وَجَدَ الطّرِيقَ إليّ صَعْباً،   فقَدْ وَجَدَ الطّرِيقَ إلَيكَ سَهْلا
وَهَلْ في ذاكَ إلاّ أنْ يقُولُوا :   تَسَبّبَ مُكْثِرٍ غَلَبَ المُقِلاّ
وَمَا لكَ مَطعَمٌ فيها ، لأنّي   ترَكتُ علَيكَ فَضْلاً قد أظَلاّ
تَهَلّل ، إذْ أصبْتُ بهَا حَبيبي ،   ولَوْ غَيرِي أصِيبَ بهَا استَهَلاّ[1]
شَفَى بِلِباسِهَا غِلاًّ قَدِيماً ،   وَعُدْتُ بنَزْعِها ، فشَفَيتُ غِلاّ
فَإنْ يكُ نَالَهَا ، فلَقَدْ أنِفْنَا،   فَأرْخَصنَا بِقِيمَتِهَا ، وَأغْلَى
فلَمْ يكُ جُودُهُ في ذاكَ جُوداً،   ولَمْ يكُ بُخلُنا في ذاكَ بُخْلا
فَمَا المَغْبُونُ إلاّ مَنْ تَوَلّى ؛   وَمَا المَغْبُوطُ إلاّ مَنْ تَخَلّى

ليس العز بغال

قال على البديهة وقد أجرى قوم بحضرته ذكر ما بذله الوزير أبو العباس عيسى بن ماسرجس من الدنانير حتى قلد الوزارة واستكثروه وذلك في شوال سنة ٣٨٤ :

اشْتَرِ العِزّ بِمَا بِيـ   ـعَ فَمَا العِزّ بِغَالِ
بالقِصَارِ الصُّفرِ، إن شِئْـ   ـتَ أوِ السُّمرِ الطِّوَالِ
لَيسَ بالمَغبُونِ عَقْلاً   مَنْ شَرَى عِزّاً بِمَالِ

[1] استهل : رفع صوته بالبكاء .

إنّمَا يُدّخَرُ المَــا لُ لحَاجَاتِ الرِّجَالِ
وَالفَتَى مَنْ جَعَلَ الأمْـ وَالَ أثْمَانَ المَعَالي

غزال دأبه المطل

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه في بعض أسفاره ويذكر غرضــاً في نفسه وذلك في شعبان سنة ٣٩١ :

بِحَيْثُ انعَقَدَ الرّمْلُ غَزَالٌ دَأبُهُ المَطْلُ
جَرُورٌ لِلْمَوَاعِيدِ ، فَلا مَنْعٌ ، وَلا بَذْلُ
وَلَوْ صَرّحَ بِاليَأسِ ، أبَى وَجدِيَ أنْ أسْلُو
لَئِنْ آيَسَنِي الصّدُّ ، لَقَدْ أطْمَعَنِي الدَّلّ
لَهُ عَيْنَانِ تُبْرَى مِنْـ هُمَا للأعْيُنِ النَّبلُ
سَوَاءٌ بِهِمَا الإحْيَا ءُ للوَاجِدِ ، وَالقَتْلُ
أمِنْكَ الظُّعُنُ الغَادُو نَ زُمّتْ لَهُمُ الإبْلُ
كمَا أشْرَقَتِ الدَّوْمُ ضُحًى ، أوْ طَلَعَ الرَّقلُ[1]
جَلا عَنْهَا طِرَاقُ اللّيْـ لِ ، وَاقلَوْلى بها الهَجْلُ[2]

١ الدوم : شجر يشبه النخل ، وضخام الشجر . الرقل ، الواحدة رقلة : النخلة الطويلة
٢ طراق : تتابع . اقلولى : انكمش ، رحل . الهجل : المطمئن من الأرض .

وَفيهَا القُضُبُ الرَّيّا الـ نّدى ، وَالقُضُبُ الجَذلُ[1]
ألاَ لِلهِ كَمْ تَرْشُـ قُ فِينَا الأعْيُنُ النُّجلُ
وَتُصْبِينَا دِيَارُ الحَـ يِّ إنْ سَارُوا وَإنْ حَلّوا
فَذي الدّارُ ، إذا تَغنى ، وَذي الدّارُ ، إذا تَخلُو
خَلَعْنَا طَاعَةَ الحُبِّ ، فَلا عَهْدٌ وَلا إلّ[2]
إذا مَا نَفَعَ الجَهْلُ ، فإنّ الضّائرَ العَقْلُ
فَإمّا تَرَيَنّي اليَوْ مَ يَبْلُوني الّذي يَبْلُو
صِرَاعاً للزّمَانِ العَوْ دِ أغْلُوهُ كَمَا يَغْلُو
تَقَيتُ الشّوْكَ بالنّعْلِ ، فَشَاكَتْ قَدَمي النّعْلُ
فَقَدْ أنْهَزْ بالثّقْلِ ، إذا مَا عَظُمَ الثّقْلُ
وَأنْزُو نَزْوَةَ البَازِ لِ لا يُبْرِكُهُ الحَمْلُ[3]
فَقَدْ يَنْهَتِكُ الحَيّ ، وَفِيهِ البِيضُ وَالذُّبلُ
وَقَدْ يَنْتَصِرُ الوَاحِدُ لا مَالٌ ، وَلا أهْلُ
يُضَامُ العَدَدُ الكُثْرُ ، وَيَأبَى العَدَدُ القُلّ
أخِلاّئي بِبَغْدادَ جَنَى دُونَكُمُ الرّمْلُ
وَحَالَتْ دُونَ لُقْيَاكُمْ زَحَالِيفُ القَنَا الزُّلّ[4]

١ الجذل : ما عظم من أصول الشجر .
٢ الإل والعهد : واحد .
٣ أنزو : أقفز . البازل : البعير فطر نابه .
٤ الزحاليف ، الواحدة زحلوفة : كل منحدر مملس يتزلج عليه الصبيان وغيرهم .

لَقَدْ كُنتُ شَدِيدَ الضّـ ـنّ أنْ يَنْقَطِعَ الحَبْلُ
وَأنْ يَنْصَدِعَ الشّعْـ ـبُ الذي لوئِمَ، وَالشّملُ
وَلَكِنّي رَعَيْتُ الأرْ ضَ مَا طَابَ لِيَ البَقْلُ
وَعَجّلْتُ النّوَى لَمّا فَشَا اللأوَاءُ وَالأزْلُ[1]
وَمَنْ أنْزَلَهُ خِصْبُ الـ ـرُّبَى أظْعَنَهُ المَحْلُ
وَلا عَارٌ عَلى المَاتِـ ـحِ أنْ يَغْلِبَهُ السَّجْلُ[2]
نَدامَايَ عَلى الهَمّ سَقَى عَهْدَكُمُ الوَبْلُ
وَحَيّاكُمْ بِرَيّاهُ، جَدِيدُ النَّورِ مُخضَلّ[3]
تَذَكّرْتُكُمُ، وَالدّمْـ ـعُ لا وَبْلٌ وَلا طَلّ
فَمَا أخْلَفَكُمْ جَارٍ مِنَ المَاقَينِ مُنْهَلّ
وَفي الأيّامِ مَا يُسْلي، وَلَكِنْ أينَ مَا يَسْلُو
أبَى لي طَاعَةَ الضّيْمِ مَضَاءُ القَلْبِ وَالنّصْلُ
وَإنّي مِنْ مَنَاجِيبٍ لَهُمْ أنَفٌ، إذا ذُلّوا
لَئِنْ عُدْتُ إلى الضّيْمِ، فَلا رَحْبٌ، وَلا سَهْلُ
وَإنْ جُزْتُ عَنِ العِزّ، فَلا جَاوَزَني الذّلّ
هِيَ البَيْدَاءُ وَالظّلْمَا ءُ وَالنّاقَةُ وَالرّحْلُ

١ اللأواء والأزل : واحد ، الضيق والشدة .
٢ الماتح : الذي ينزع الماء من البئر بالدلو .
٣ النور : الزهر الأبيض . المخضل : الندي .

شِرَاءُ المَوْتِ لِلْعِزِّ بِبَيْعِ الضَّيْمِ لا يَغْلُو
وَإِنَّ الجَانِبَ الوَعْرَ عَلَيَّ الجَانِبُ السَّهْلُ

لا يطلب العز الا بالسيف

قال قدس الله تعالى روحه في هذا المعنى :

أَغَرَّ أَيَّامِيَ مِنِّي ذا الطَّلَلْ ، وَأَنَّهَا مَا حَمَّلَتْنِي أَحتَمِلْ
وَأَنَّنِي بَقِيَّةُ البُزْلِ الأُوَلْ ، قَد يَجسرُ العَوْدُ على طولِ العَمَل[1]
شَيْبٌ وَمَا جُزْتُ الثَّلاثِينَ نزَلْ نُزُولَ ضَيْفٍ بِبَخيلٍ ذي عِلَلْ
يصرِفُ عنه السَّمعَ إن رَغا الجَمَلْ ، وَلا يَقُولُ إِنْ أَناخَ: حيَّ هَلْ[2]
كَأَنَّهُ لَمَّا طَرَا عَلَى عَجَلْ سَوَادُ نَبْتٍ عَمَّهُ بَيَاضُ طَلّْ
يَجيءُ بِالهَمّ ،وَيَمضِي بالأَجَلْ ، فأَوهِ إِنْ حَلَّ ، وَوَاهاً إِنْ رَحَلْ
أبدَلٌ مِنَ الشَّبَابِ لا بَدَلْ ؛ سِرْعَانَ مَا رَقَّ الأَديمُ وَنَغِلْ
هَلْ يَنفَعَنِّي في الوِهَادِ وَالقُلَلْ مَدٌّ العَلابِيِّ مِنَ النُّوقِ الذُّلُلْ[3]

١ يجسر : يقدم على العمل ، يجترىء .

٢ حي هل : هلم .

٣ العلابي ، الواحدة علباء : عصبة ممتدة في العنق .

في فِتيَةٍ عَوّدَهم جَوْبُ السُّبلْ أنْ يَشربَوا ماءَهُم عَلى المَقَلْ[١]

يَنْضُونَ باللّيْلِ عُلالاتِ الكَسلْ ، وَيَستَسلّونَ الكَرَى مِنَ المُقَلْ

إذا دُعُوا للطّعْنِ وَالخَطْبُ جلَلْ حَسِبْتَ أيديهِم مِنَ القَنا الذُّبُلْ

يُبقُونَ آثاراً مِنَ الطّعنِ نَجَلْ من كُلّ فَوْهاءَ كَما ضَغّ الوَعِلْ[٢]

يَطمَعُ في حامِلِها السِّمعُ الأزَلّ ، يَقولُ مَنْ عايَنَها مِنَ الوَجَلْ :

كَذا الطّعانُ لا عَمًى وَلا شلَلْ في كلّ يَوْمٍ أنا مِخماصُ الأُصُلْ[٣]

آكُلُ بالمَيسِ غَوَارِبَ الإبِلْ ، أهْدُمُ مَا يَبْني السّنَامُ وَالكَفَلْ[٤]

بَيْنَ عَجارِيفِ العَنِيقِ وَالرّمَلْ ، مُشتَمِلاً بُرْدَ الجَنوبِ وَالشَّمَلْ[٥]

وَطالِعاً مَعَ الشّمِيطِ ذي الشُّعَلْ ، وَغارِباً مَعَ الظّلامِ وَالطَّفَلْ[٦]

تَعَرُّضاً للرّزْقِ وَالرّزْقُ أشَلّ ، وَشَنَجِ الكَفّ ، إذا قيلَ بَذَلْ

رِدْ ما سَقاكَ الدّهرُ عَلاًّ وَنَهَلْ ، وَما حَذَتكَ النّائِباتُ ، فانتَعِلْ

ما دُمتَ جَثّاماً عَلى نِضْوِ الإبلْ مُسَوَّفاً في كُلّ يَوْمٍ بالرِّحَلْ

مَن لمْ يُعانِ الغَزْوَ لمْ يُعطَ النَّفَلْ ، قدِ انقضَى العُمرُ وَأنتَ في شَغَلْ

١ المقل : الحصى يقسم عليه الماء في السفر ، وقد مر .

٢ النجل : سعة العين . الفوهاء : الواسعة الفم . الضغ من الضغضغة وهي أن يتكلم الرجل فلا يبين كلامه . ولعلها ضغا : صوت .

٣ المخماص : الضامر البطن . الأصل ، الواحد أصيل : العشي .

٤ الميس : أراد الرحل المصنوع من خشب شجر الميس .

٥ الشمل : ريح الشمال .

٦ الشميط : الصبح . الطفل : الظلمة . وطفل العشي : آخره عند الغروب .

فاجسُرْ على الأهوالِ إن كنتَ رَجُلْ ، وَنَلْ بأطرافِ القَنا ما لمْ يُنَلْ
مَنْ طَلَبَ العزّ بغيرِ السّيفِ ذَلّ ، وامشِ إلى المَجدِ ولَوْ على الأسَلْ
وانجُ من الهُونِ كما ينجو البَطَلْ ، مَن لمْ يئِلْ من بَعدِها فلا وأَلْ[1]

الملقى الحبيب

قال أيضاً يصف فراخ حمامة شاهدها وقد سئل ذلك

لَحَبٌّ إليّ بالدّهْناءِ مَلْقًى لأيدي العِيسِ واضِعَةَ الرّحالِ
مُناخُ مُطَلَّحينَ تقاذَفَتْهُمْ غَريبُ الحاجِ والهِمَمُ العَوالي[2]
أراحُوا فَوقَ أعضادِ المَطايا ، قَدِ افتَرَشُوا زَرابيَّ الرّمالِ[3]
فبَينَ مُمَضْمِضٍ بالنّوْمِ ذَوْقاً ، وبَينَ مُقَيَّدٍ بعُرَى الكَلالِ[4]
إلى أنْ رَوّعَ الظّلْماءَ فَتْقٌ أغَرُّ كَجَلجَحَةِ الرّجُلِ البَجالِ[5]
فقَاموا يَرْتَقُونَ على ذُراها سَلاليمَ المَعالِقِ والحِبالِ

١ يئل : ينجو ويخلص .
٢ المطلحون : المعيون ، المتعبون . الحاج : الواحدة حاجة .
٣ زرابي : بسط .
٤ المضمض : أراد به الداب النعاس في عينيه . الكلال : التعب .
٥ الجلحة : انحسار الشعر . البجال : الشيخ الكبير ، السيد العظيم .

وَأرّقَني دُعاءُ الوُرْقِ فيهَا ، عَلى جُرْحٍ قَريبِ الاندِمالِ
تُذَكّرُني بِسَالِفَةِ اللّيَالي ، وَسَالِفَةِ الغزَالَةِ وَالغَزالِ
وَأيّامُ الشّبَابِ مُسَاعِفَاتٌ ، جُمِعْنَ لَنَا وَأيّامَ الوِصَالِ
كَأنفَاسِ الشَّمُولِ كرَعتُ فيها عَلى ظَمإٍ وَأنفَاسِ الشَّمَالِ
أقُولُ لهَا ، وَقَدْ رَنّتْ مِراحاً ، لَبَالُكِ يا حَمَامَةُ غَيرُ بَالي
تَبَاعَدَ بَينَنَا مَنْ قِيلَ شَاكٍ تَعَلّقَ بالغَرَامِ ، وَقيلَ سَالِ
تَرِيعُ إلى دَرَادِقَ عَاطِلاتٍ ، وَهُنّ بُعَيْدَ آوِنَةٍ حَوَالي[1]
لهَا صِنْعٌ يَطُولُ عَلى طُلاها ، قَلائِدُ لا تُفَصَّلُ باللآلي[2]
عَوَارٍ لا تَزَالُ الدّهْرَ حَتّى تُجَلّلَهَا بِرَيْطٍ غَيرِ بَالي
وَكُلٌّ أُزَيْرِقٍ قَصُرَتْ خُطَاهُ ، كَشَيْخِ الحَيّ طَأطَأ للعَوالي[3]
مِرَاحُكِ قَبلَ طَارِقَةِ المَنَايَا ، وَقَبْلَ مَرَدّ عَادِيَةِ اللّيَالي

١ تريع : ترجع . الدرادق : الأطفال ، الواحد دردق .
٢ الصنع : الثوب الذي يصنع . طلاها : أعناقها .
٣ الأزيرق ، مصغر الأزرق : البازي .

العقل الضائر

قال ارتجالا وقد كثرت على قلبه الهموم

أقُولُ ، وَالهَمُّ زَمِيلُ رَحْلي ، يَعْرُقُنِي مِطَالُهُ وَيُبْلي
وَلا أرَى مِنْ زَمَني مَا يُسْلي ، مَنْ يَشْتَرِي مني جَميعَ فَضْلي
بِسَاعَةٍ مِنْ عَيْشِ أهلِ الجَهلِ ، كُنتُ أرَى العَقْلَ نِفاقَ مِثْلي
فَصَارَ أدْنَى ضَائِرٍ لي عَقْلي

لقد طال هزي

قال أيضاً قدس الله تعالى سره :

لَقَدْ طَالَ هَزّي مِنْ قَوَائِمِ مَعشرٍ كِلالِ الظُّبَى لمْ أرْضَ من بينها نَصْلا
رِجَالٌ ، إذا نَادَيْتَهُم لصَنيعَةٍ ، وَجَدْتَهُمُ مِيلاً عن الجودِ أوْ عُزْلا
إذا جُشّمُوا النزْرَ القَليلَ رَأيتَهُمْ يَعجّونَ مِنْ لُؤمٍ وَمَا حُمّلوا ثِقْلا[1]
عَلى النَّفْسِ أثْني بالمَلامِ لِأنّني نحَلتُ وُسُومَ الخَيلِ أحمِرَةً غُفْلا

١ جشموا : كلفوا على مشقة . يعجون : يصيحون .

لَنْتُ أمطَاءَ البِكَارِ مَـآرِبي ... وَلَمَّا أُحَمِّلْهَا المَصَاعِبَ وَالبُزْلا[1]

يُشيعُ لَئيمُ القَوْمِ ذو الجَهلِ لُؤمَهُ ، ... وَيَستُرُ بَعضَ اللّؤمِ من صَحبَ العقلا

ألا رُبّمَا أرْقي اللّئيمَ ، فَيَنْثَني ، ... وَأعضَلَني مَن يَجمَعُ اللّؤمَ وَالجَهلا

حَبَالى بِمَوْعُودِ العَطَاءِ تَجَرّمَتْ ... شُهوراً وَأعواماً وَما طَرَقوا حَمْلا[2]

تَوَاصَوْا بمَطلِ الوَعدِ ثمّ تَجاسَرُوا ... عَلى اللّؤمِ حتى جانَبوا الوَعدَ وَالمَطلا

ذُنَابَى قِصَارٍ لا يَزِيدونَ بَسطَةً ، ... وَإنْ رَكِبُوا يَوْماً ظَنَنتَهمُ رَجْلا

فَشَتّانَ أنتُمْ وَالمُسيلُونَ للجَدَا ، ... إذا عَدِمَ العامُ النّدى روّضُوا المَحلا

يَكُونُونَ للوَبْلِ الغَمَاميّ إخْوَةً ، ... فإنْ ضَنّ عَن أوْطَانِهِ خلَفوا الوَبلا

يَبيتُون غَرْثَى يَعلِكونَ سِيَاطَهم ، ... وَقَد طَرَدُوا عَنّا المَجاعةَ وَالأزْلا[3]

حِيَاضُ مِعَانِ المَاءِ غاديَةُ الحَيَا ، ... يُدَلُّ عَلَيْهَا الخَابِطَانِ ، إذا ضَلاّ[4]

يَذُودونَ عنها للغَرِيبِ سَوَامَهُمْ ، ... وَلَوْ أنّهُمْ شاؤوا القَذى وَرَدوا قَبلا

إذا سالَموا لمْ يَمنَعوا النّصْفَ طالِباً ، ... وَإنْ طاعَنُوا الأقرَانَ لم يَعرِفوا العدلا

إذا فَغَرَتْ شَوْهاءُ من جانبِ العِدا ... عَلى غَيرِ نَذْرٍ لَقّمُوها القَنا الذُّبلا

ثِقَالٌ بِأيديهِمْ ، خِفَافٌ كَأنّمَا ... أطَارُوا إلى الأعداءِ من رُوسِها نَحْلا

كَأنّ طُرُوقَ الحَيّ يُخرِجُ منهُمُ ، ... إذا غَضِبُوا ، الدّاءَ المُجَنّةَ وَالخَبلا

١ البزل ، الواحد بازل : البعير الذي طلع نابه .

٢ الحمل : الجنين تحمله المرأة في أحشائها .

٣ الأزل : الداهيــة .

٤ معان الماء : ظاهره . الخابطان : السائران ليلا على غير هدى .

إذا ما دُعوا خِلتَ الرِّياحَ عوَاصِفاً ، تَهِيلُ ثَرًى من جانبِ الغَوْرِ أوْ رَملا
يُنادي الفتى باللّيلِ مُوقِدَ نارِهِ ، حِبابَ القِرَى ، ظاهرْ لها الحطبَ الجزْلا
ويا راعيَ الكَوْماءِ للسّيفِ ظَهرُها ، فَضَعْ عنْ بَوَانِيها الحَوِيّةَ والرَّحلا[1]
أولَئِكَ قَوْمي لا الذينَ مَقَالُهُمْ لِباغي النّدى أوْ طارقِ اللّيلِ : لا أهْلا

ينازعني الأحساب

وقال قدس الله تعالى روحه في بعض الأغراض :

إذا رابَني الأقوامُ بَعدَ وَدادَةٍ ، لَبِسْتُ القِلَى نَعْلاً بِغَيرِ قِبَالِ[2]
وَأغبَطْتُ رَحْلَ الهَمّ في ظَهرِ عزْمةٍ مُوَاشِكَةٍ مِنْ عَجرَفٍ وَنِقَالِ[3]
وَما كُنتُ إن فارَقتُ حَيّاً ذَمَمْتُهُ ، بِطُولِ نِزَاعي أوْ تَحِنُّ جِمَالي
إذا عَلِمُوا مِنّي عَلاقَةَ وَامِقٍ ، فَلا يَأمَنُوا يَوْماً نُزَاعَةَ سَالي[4]
أأذْهَبُ عَنْ قَوْمٍ كِرَامٍ أعِزّةٍ ، إلى جِذْمِ قَوْمٍ عاجزِينَ بِخَالِ[5]
كَمَن بادَلَ الإجلاءَ في العَينِ بالقَذَى ، وَآبَ بِداءٍ لا يُطَبُّ عُضَالِ

١ البواني : أضلاع الصدر ، قوائم الناقة .
٢ القبال : زمام النعل .
٣ النقال : الإسراع في السير .
٤ النزاعة : ما نزعته بيدك ثم ألقيته .
٥ الجذم : الأصل .

يُنازِعُني الأحسابَ مُستَضْعَفُ القوَى، لَهُ عَنْ رِهَانِ المَجْدِ أيُّ عِقالِ
إذا مَغرَمٌ غَادَى اتّقَاهُ بِعِرْضِهِ أمامَ يَدَيْهِ ، وَاتّقَيْتُ بِمَالي
يَمُدّ يَداً مَخبُولَةً لِينَالَني ، وَقَدْ أعجَزَ الأيدي الصّحاحَ مَنَالي
تَعَرّضْتُ للعِرّيضِ حتّى عَلِقْتُهُ ، بأُظفُورِ أقْنَى ذي نَدًى وَظِلالِ[1]
وَمَنْ لمْ يَدَعْ إيقَادَ نَارٍ بقَرّةٍ ، فَلا بُدّ يَوْماً أنْ يَجيءَ بِصَالي
وَإنّي على بُعْدٍ برَمْيِ قَوَارِصِي ، لأرْغَبُ جُرْحاً مِنْ رَمِيِّ نِبالي[2]
يُشَكِّكُ فيّ النّاظِرُونَ : أفلّه غِرَارُ مَقَالي أمْ غِرارُ نِصَالي ؟
لَئِنْ أطمَعَ الأقْوَامَ حِلْمي ، فرُبّما أخَافَهُمُ ، بَعْدَ الأمَانِ ، صِيَالي
وَلَيسَ قُبُوعُ الصِّلّ مانعَ وَثْبِهِ ، إذا نَالَ مِنْهُ وَالِغٌ بِمَنَالِ[3]

ذنب المقل

قال قدس الله روحه وقد سئل ذلك

غَدَتْ عِرْسِي تُجَرِّمُ لي ذُنُوباً، وَذَنْبِي عِنْدَهَا ذَنْبُ المُقِلّ
تُرِيني الدَّلّ عَمداً ، وَهوَ فَرْكٌ ، وَهَيهاتَ الفرُوكُ مِنَ المُدِلّ[4]

١ العريض : الذي يتعرض للناس . اظفور اقنى : أراد ظفر عقاب .
٢ قوارص الكلام : مؤلماته . الجرح الرغيب : الواسع .
٣ القبوع : التواري . الوالغ : الكلب .
٤ الدل : تدلل المرأة على زوجها . الفرك : البغضة بين الزوجين .

فروع لئام

قال رضي الله تعالى عنه :

أبَى اللهُ أنْ تَأتي بخَيرٍ ، فترْتجَى ... فُرُوعُ لِئَامٍ قَدْ ذَمَمْنَا أُصُولَهَا
إذا الدّارُ مِنْ قَبلِ العَفاء نَبَتْ بِنَا ، ... فَكَيْفَ نُرَجّي للمُقَامِ طُلُولَهَا
هزَزْتُ المَوَاضِي فانثنَتْ عن ضرَائبي ، ... فَمَا أرَبي في أنْ أهُزّ كَلِيلَهَا
إذا قيلَ : بَيتُ الفَخرِ كنتم ضُيوفَهُ ؛ ... وَإنْ قِيلَ : دارُ اللّوْمِ كُنْتم حُلُولَهَا
وَقَوْلَةُ خِزْيٍ فيكُمُ تَستَفِزُّني ، ... وَأعْلَمُ أنْ لا بُدّ مِنْ أنْ أقُولَهَا

وذي ضغن

قال رضي الله تعالى عنه في
غرض آخر ويصف الأسد :

وَذي ضَغَنٍ مَعْسُولَةٍ كَلِمَاتُهُ ، ... وَمَسمُومَةٍ تَترَى إلى القَلْبِ نَبْلُهُ
عَرَكْتُ بحِلْمي جَهلَهُ ، فكَدَدْتُهُ ... عِرَاكاً إلى أنْ مَاتَ حِلمي وَجَهلُهُ
رَكِبْتَ ظِرَابَ اللاّبَتَينِ على الحَفا ، ... وَغَيرُكَ لمْ تَسلَمْ علَيهِنّ نَعلُهُ[1]

[1] الظراب ، الواحد ظرب : الحرة . اللابتان ، الواحدة لابة : الأرض ذات الحجارة السوداء

لَقَدْ أوْعَرَ النّهجُ الذي أنتَ خابِطٌ ، فقِفْ سالماً حيثُ انتهَى بكَ سَهلُهُ[1]
لأشْفي مَرِيضَ الودّ بَيني وبَينَكم ، وَعاوَدَ نُكْساً بَعدَ بُرْءٍ مُبِلُّهُ[2]
وكانَ الأذَى رَشحاً فقدصارَ غَمرَةً ، وَأوّلُ أعْدادِ الكَثيرِ أقلّهُ
نَهَيتُكَ عَن شِعبٍ عَسيرٍ وُلُوجُهُ بذي الرِّمثِ قد أعيَا على النّاسِ صِلّهُ[3]
وَبَيتٍ كلِصْبِ الأرْيِ لا تَستَطيعُهُ صُدورُ الطّوالِ الزّاعبيّاتِ تَنحُلُهُ[4]
فَلا تَقرَبَنّ الغَابَ يَحميهِ لَيثُهُ ، وَدَعْ جانباً وَعراً على مَن يَحلّهُ
كأنّ على الأطوادِ من نَزْعِ بِيشَةٍ ، رَصيدَ طَريقٍ ضَلّ مَنْ يَستَدِلّهُ[5]
تَلَفّعَ في ثِنْيٍ عَبَاءٍ مُشَبْرَقٍ ، أصابيغُ ألْوانِ الدّماءِ تَبُلُّهُ[6]
قُصاقِصَةٌ مَا بَاتَ إلاّ عَلى دَمٍ ، تمَضْمَضُ منهُ عِرْسُهُ ثمّ شِبْلُهُ[7]
أخُو قَنَصٍ كَفّاهُ كفّةُ صَيْدِهِ . إذا جاعَ يَوْماً وَالذّرَاعانِ حَبْلُهُ
يُشَقّقُ عن حَبّ القُلوبِ بمَخصَفٍ أزَلّ كمَا جَلّى عَنِ الرّمحِ نَصْلُهُ[8]
كَخَارِزِ مَقْدُودِ الأديمِ رَأيْتَهُ يَبينُ عَنِ الإشفَى وَطَوْراً يَغُلّهُ[9]

١ الخابط : الضارب في الليل على غير هدى .
٢ المبل ، من أبل من مرضه : شفي .
٣ الرمث : مرعى من الحمض ، وشجر يشبه الغضا .
٤ اللصب : الشعب الصغير في الجبل . الأري : العسل ، أو ما تجمعه النحل في أجوافها وتلفظه
الزاعبيات : الرماح المنسوبة إلى زاعب وهو بلد ، أو رجل .
٥ بيشة : مأسدة بطريق اليمامة . رصيد الطريق : السبع يرصد الوثوب .
٦ تلفع : التحف . المشبرق : المقطع ، الممزق .
٧ القصاقصة : الغليظ ، وهو نعت للأسد . تمضمض : لا تحتمل ما يسومها .
٨ المخصف : مخرز الإسكاف .
٩ يبين : يفارق . الإشفى : المثقب . يغله : يدخله .

قَليلِ ادّخارِ الزّادِ يَعلَمُ أنّهُ ... متى ما يُعايِنْ مَطعَماً ، فهوَ آكلُهُ
تُصَدِّعُ عنْ هَمهامَةِ الخَيلِ والقَنا ... صِياحُكَ في أعقابِ طَرْدٍ تَشُلُّهُ[1]
لَهُ وِقْفَةُ المِجْزاعِ ثُمّ تُجيزُهُ ... حَفيظَةُ مَجموعٍ على الرُّوعِ شملُهُ[2]
وَمُستَوْقَداتٍ من لَظَى العارِ أجّجتْ ... لهَا حَطَباً لا يَنقضِي الدّهرَ جَزْلُهُ[3]
تَوَرّدَهَا قَوْمٌ ، فَطاحُوا جَهالَةً ، ... وكَانَ عِقَالَ المَرْءِ عَنهنّ عَقلُهُ
وَطَوْقٍ مِنَ المَخزَاةِ فيكُمْ عَقَدتُهُ، ... ألا إنّ عَقْدَ العَارِ يُعجِزُ حَلّهُ
مَضَغْتُكُمُ بالذّمّ ، ثمّ لَفَظْتُكُمْ ، ... وَمَا كُلُّ لحمٍ يُعجِبُ المَرْءَ أكلُهُ
شَغَلْتُ بكُمْ قَوْلي ، وَعندي بَقيّةٌ ، ... وَقد يُرْدَفُ الظّهرُ الذي آدَ حَملُهُ[4]
فَلا تَفتَقِدْ خِلاً يَسوءُكَ بَعضُهُ ، ... وَإنْ غَابَ يَوْماً عَنكَ ساءكَ كُلّهُ
إذا شئتَ أنْ تَبلُو امرأً كَيفَ طَبعُهُ ... فدَعهُ، وَسائِلْ قَبلَها كيفَ أصْلُهُ

١ الهمهامة : القطيع . تشله : تطرده .
٢ المجزاع : الكثير الخوف . الروع : القلب .
٣ الجزل : الحطب اليابس .
٤ آد : اشتد وقوي .

تغير القلب

تَغَيَّرَ القَلْبُ عَمّا كُنْتَ تَعرِفُهُ أيّامَ قَلْبِيَ دارٌ مِنكَ مِحلالُ
وَأدْبَرَ الوُدُّ ما بَيْني وبَيْنَكُمُ ، وَللمَوَدّاتِ إدْبَارٌ وَإقْبَالُ
ما كُنتُ صَبّاً فما في النّاسِ لي بدلٌ ، وَإنْ سَلَوْتُ فكلُّ النّاسِ أبدالُ

بين اللوم والعذر

قال في غرض :

وَلَمّا بَدا لي أنّ ما كُنتُ أرْتَجي مِنَ الأمرِ وَلّى ، بَعدَما قلتُ أقبَلا
تَلَوّمْتُ بَينَ اللّوْمِ وَالعُذْرِ ساعَةً ؛ كذي الوِرْدِ يُرْمى قَبلَ أنْ يَتَبَدّلا
فَلَمّا رَأيتُ الحِلْمَ قَد طارَ طَيرَةً ، وَلَمْ أرَ إلاّ أنْ ألُومَ وَأعْذُلا
رَجَعْتُ أُوَلّي عاثِرَ الجَدّ لَوْمَهَا ، فَلا قَامَ بَيْنَ العاثِرِينَ وَلا عَلا
ألَعَنُهُ مُسْتَثْنِياً مِنْ عِنَانِهِ ، كَرَدّكَ في الغِمْدِ الكَهَامَ المُفَلَّلا[1]
وَأعْفَيْتُ مِنْ لَوْمي امرأً ما وَجَدتُه مُليماً ، وَلا بَاباً عَنِ الجُودِ مُقفَلا
لجَدّي إذاً باللّوْمِ أوْلَى مِنَ الحَيَا ، وَمَنْ ذا يَلُومُ العَارِضَ المُتَهَلِّلا

١ الكهام : السيف الكليل . المفلل : المثلم .

اسرة عز

قال قدس الله روحه الطاهرة

أشمُّ بِبابِلَ بوّ الصَّغارِ ، وَلَوْ أنا بالرّمْلِ لمْ أفْعَلِ[1]
وَألقى التحيّاتِ مِنْ مَعشَرٍ ، كما ارْتَجَمَ الحَيُّ بالجَنْدَلِ
وَأنزِلُ في القوْمِ أقْلالَهُمْ ، وَلَوْلا الحَضارَةُ لَمْ أنْزِلِ
وَلَوْ كُنتُ راكِبَ هذا الجَوَادِ بوَادي القَرينَةِ لمْ أرْحَلِ[2]
وَلَوْ مُدّ لي طُنُبٌ بِالفَلا ، حَمَاني لِداغَ القَنَا الذُّبّلِ
وَأسْرَةِ عِزٍّ طِوَالِ القَنَا ، إذا نَزَلَ الذّلُّ قالُوا: ارْحَلِ
مُهَجَّنَةٍ أصْطَلي نَارَهَا ، وَعَزّ عَلى الرّجُلِ المُصْطَلي
وَلَوْ شُوِّرَ السّيفُ في مِثْلِها ، لَقَالَ : أطِعْني وَلا تَقْبَلِ[3]
فَلَوْ كُنتُ مِنْ شاهِدِيها رَأيْتُ هُوِيّ الرّؤوسِ على الأرْجُلِ
مَقَامٌ يُدَنّسُ عِرْضَ الأبيّ، وَيَلْعَبُ بِالقَلْبِ الحُوّلِ[4]
وَلَوْ كُنتُ ذا هِمّةٍ حُرّةٍ ، لَرَحّلَني الضّيْمُ عَنْ مَنزِلي

١ بابل : موضع في العراق . البو : جلد يحشى تبناً ، لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها . الصغار الذل . الرمل : موضع .
٢ القرينة : موضع .
٣ شور : من المشاورة .
٤ القلب الحول : البصير بتقليب الأمور وتحويلها .

وَكَيفَ تَقَلُّبُ ذي هِمّةٍ ، وَقَدْ لُزّ بالقَرَنِ الأطْوَلِ[1]
أآبَى ، وَلا حَدّ أسْطُو بِهِ ، وَأينَ الإبَاءُ مِنَ الأعزَلِ
تُرَى الجَاهلِيّةُ أحْمَى لَنَا ، وَأنْأى عَنِ المَوْقِفِ الأرْذَلِ
فَلَوْلا الإلَهُ وَتَخْوَافُهُ ، رَجَعْنَا إلى الطّابَعِ الأوّلِ[2]

طارق الشيب

قال قدس الله تعالى روحه في بعض الأغراض وذلك في ذي الحجة سنة ٣٩٨ :

إيّاكَ عَنْهُ عَذَلَ العَاذِلِ ، قَلبُ الفَتى في شُغُلٍ شَاغِلِ
دعْني ومَنْ يَسْلُبُ ، مَا أطْلُبُ العَوْنَ عَلى قَاتِلي
وَيَا غَرِيمي بِعَقيقِ الحِمَى ، حَصَلْتُ مِنْ حَقّي عَلى البَاطِلِ
يُعْجِبُني مَطْلُ غَرِيمِ الهَوَى لِطُولِ تَرْدادي إلى المَاطِلِ
وَطَارِقٍ للشّيْبِ حَيّيْتُهُ ، سَلامَ لا الرّاضِي وَلا الجَاذِلِ[3]
أجرَى عَلى عُودي ثِقافَ الهَوَى ، جَرْيَ الثّقَافَينِ عَلى الذّابِلِ[4]

---

١ لز : شد . القرن : الحبل .
٢ الطابع : السجية كالطبع .
٣ الجاذل : الفرحان .
٤ الثقاف : ما تقوم به الرماح .

وَاعَدَنِي عَقْرَ مِرَاحِي لَهُ ، لا دَرَّ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ نَازِلِ
فَاليَوْمَ لا زَوْرٌ وَلا طَرْبَةٌ ، نَامَ رَقِيبِي ، وَصَحَا عَاذِلِي
يا رَاكِبَ الوَجْنَاءِ مَصْبُوبَةً عَلَى المَلا كَالصَّدِعِ العَاقِلِ[1]
كَأَنَّمَا يَرْمِي جِلادَ الصَّفَا ، بِأَوْبِ رِجْلَيْ ذَرَعٍ جَافِلِ[2]
رَاعَتْ حَصَى نَجْدٍ بِأَخفَافِهَا بَعْدَ التِزَامِي بِشَرَى، بَابِلِ
أَبْلِغْ قُوَيماً كَثُرُوا قِلَّةً ، بَعْدَ مُضِيّ السَّلَفِ الرَّاحِلِ
كَانُوا صَفَاءَ الكَأسِ ، ثُمّ انجلَوا مِنَ البَوَاقِي عَنْ قَذًى ثَافِلِ
زَالَ نُجُومٌ ، عُرِفُوا بَعدَهُم، وَفِي التَّفَانِي نَبَهُ الخَامِلِ
ضَرُورَةٌ حُمْتُ عَلى وِرْدِكُمْ ، لمّا خَطَانِي مَطَرُ الوَابِلِ
لا يَرْكَبُ النّاهِقَ ذُو أُرْبَةٍ ، إلاّ إذا رُدّ عَنِ الصّاهِلِ
أغْمَدْتُمُونِي بَعدَ صَقْلِ الشَّبَا ، إغْمَادَ لا المَاضِي وَلا القَاصِلِ
وَحَاجَةُ السَّيْفِ إلى ضَارِبٍ ، يَوْمَ المَنَايَا ، لا إلى صَاقِلِ
لا تَحْسُنُ النِّيقَةُ فِي قَاطِعٍ مَنْ لَيْسَ لِلقَاطِعِ بالحَامِلِ[3]
آلَيْتُ أنْ أحْدُو بِأعْرَاضِكُمْ حَدْوَ أبِي عُرْوَةَ بِالجَامِلِ
وَسَوْفَ أحْمِي لَكُمُ مِيسَماً يُنْبَشُ مِنْهُ وَبَرُ البَازِلِ
إذا انْبَرَى لِلجِلْدِ أبْقَى لَهُ عَلْطاً مِنَ الزَّوْرِ إلى الكَاهِلِ[4]

١ الصدع : الفتيّ القوي . العاقل : الصاعد .
٢ الذرع : ولد البقرة الوحشية .
٣ النيقة : التنوق ، التجود . القاطع : السيف .
٤ العلط : الوسم .

أطْوَاقُ عَارٍ إنْ تَقَلّدْتُهَا حَسَدَتْ مِنْهَا عُنُقَ العَاطِلِ
أُرْسِلُهَا هزْلاً وَأرْمي بِهَا مَا بَلَغَ الجِدُّ مِنَ الهَازِلِ
يَعْشُو إلَيْهَا كُلُّ ذي نَاظِرٍ، كالنّارِ فَوْقَ الشّرَفِ القَابِلِ
قَوْلٌ كَأنْيَابِ صِلالِ النّقَا ، تُشَاكُ مِنْهُ قَدَمُ النّاعِلِ
أسرَعُ في النّاسِ ، إذا قُلْتُهُ ، مِنْ خَبَرِ السّوءِ إلى النّاقِلِ
لا تُنكِرُوا السّيلَ ، إذا كُنتمُ عَلى طَرِيقِ اللّجِبِ الهَاطِلِ
قُلْ لأبي العَوّامِ مُستَدْفِعاً بِهِ جِمَاحَ القَدَرِ النّازِلِ
يا نَجْوَةَ الخَائِفِ مِنْ دَهْرِهِ ، وَيَا ثِقَافَ الخَطَلِ المَائِلِ
جَذَبْتُ حَبلي مِنْ يَدَيْ قاطعٍ ، فامْدُدْ لَهُ مِنكَ يَدَيْ وَاصِلِ
هَيهَاتَ مَا غَيْمُكَ بالمُنجلي ، يَوْماً ، وَلا ظِلُّكَ بِالزّائِلِ
وَلا خِضَابُ العَهْدِ أُعْطِيتَهُ ، إنْ نَصَلَ الأقْوَامُ ، بالنّاصِلِ[1]
مَا كُنتَ لمّا طَلَبَتْ دَعْوَتي سَمْعَكَ بالوَاني ، وَلا الغَافِلِ
قُمْتَ قِيَامَ الرّمحِ في نُصْرَتي ، مُرَافِدَ اللّهْذَمِ بِالعَامِلِ[2]
هَبْنِي خَسَأتُ الخَطبَ عنّي، وَمَا قَدّرْتُ إلاّ أنّهُ آكِلي
كَمْ غَرّني غيرُكَ مِنْ نَاصِرٍ، أبْطَأَ ، وَالمُبطِىءُ كالخَاذِلِ
أطمَعَني ، حتّى إذا جِئْتُهُ ، كَانَ سَرَابَ البَلَدِ المَاحِلِ
تَعَذّبُ الآمَالُ في ظِلّهِ ، وَتَنْثَني عَنْهُ بِلا طَائِلِ

١ الناصل : الخارج من الخضاب .
٢ مرافداً : معاوناً . اللهذم : سنان الرمح . العامل : صدره دون السنان .

مِنْ كُلِّ مَلْبُوسٍ عَلى غِرَّةٍ ، لبسَ مُطَالِ السَّقَمِ الآزِلِ[1]
مُمَوَّجِ الأخْلاقِ لا مُحسِنٍ ، رَبُّ يَدِ الجُودِ ، وَلا بَاخِلِ
كالعَيْرِ في عَانَةٍ ذِي طَخفَةٍ ، لا طَالِبِ النَّسْلِ وَلا عَازِلِ[2]
وَانَدَمَا إنْ لَمْ أكُنْ سَامِعاً مَشُورَةَ الصِّلِّ أبي وَائِلِ
قالُوا: وَرَأيُ المَرْءِ مِنْ عَقْلِهِ ، وَيَذْهَبُ الرَّأيُ عَنِ العَاقِلِ
أُغْلُوطَةٌ لا نَهْضَ مِنْ عَثْرِها ، قَدْ سَبَقَ السَّهْمُ يَدَ النَّابِلِ

غض من العنان قليلا

قال أيضاً في غرض آخر :

جَمَحتْ بكَ الجَاهاتُ في غُلَوَائِها سفهاً ، فَغُضَّ مِنَ العِنَانِ قَلِيلا
وَاحذَرْ لَوَاذِعَ قَائِلٍ مُتَغَطرِفٍ ، أمسَى يَسُنّ لِسَانَهُ لِيَقُولا[3]
بِفَوَاقِرٍ تَدَعُ الرُّؤوسَ أمِيمَةً ، وَقَوَارِعٍ تَدَعُ العَزِيزَ ذَلِيلا[4]
قَدْ كانَ عِرْضُكَ في الصِّوَانِ بطَيِّهِ ، فَلَئِنْ أبَيْتَ لَيَغْدُوَنْ مَبْذُولا[5]
إنَّ العُبَابَ ، إذا تَغَطغَطَ ، أوْ طَمى ، جَعَلَ الجِبَالَ ، وَإنْ عَلَوْنَ ، مَسِيلا[6]

---

١ الآزل : الشديد .
٢ العازل : ضد طالب النسل .
٣ المتغطرف : المتكبر .
٤ الأميمة : المشدوخة في أم الدماغ .
٥ الصوان : ما تصان فيه الثياب .
٦ تغطغط البحر : علت أمواجه .

صحاح اديم الود

وَقالُوا : أسِفِهَا ! إنّما هيَ مَضْغَةٌ بفِيكَ أبا الغَيداقِ تُرْبٌ وَجَندَلُ
صَدَفتُ بوَجهي لا بقَلْبيَ عَنْكُمُ ، وَيَصْدِفُ قَلْبُ المَرْءِ وَالوَجهُ مُقبلُ
رَجَعنَا علَى الأعقابِ، فيما يَسرّنَا ، نُجرّ إلى مَا لا نَوَدّ وَنُعْتَلُ
صِحَاحُ أديمِ الودّ لا عَيبَ فِيهِمُ ، سِوَى ما يَقُولُ الجادِبُ المُتَعَلّلُ[1]
فنَزِعتُ إلى الأبْدالِ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ ، فأعوَزَني ، يا عمرو ، مَنْ أتَبَدّلُ

خلق زلال

قال أيضاً على البديهة في غرض من الأغراض :

لَبّاكَ مَشْزُورُ القُوَى ذَيّالُ ، أغْلَبُ قَوّالُ النّدِي فَعّالُ[2]
مِنْ قَبْلِ أنْ تَدْعُو بِهِ الآمَالُ ، إنْ قَالَ لمْ تَقعُدْ بِهِ الفِعَالُ
يُنيلُ جُوداً فَوْقَ مَا يَنَالُ ، خُلْقٌ رَقِيقٌ مَاؤهُ زُلالُ
كَالخَمْرِ إلاّ أنّهُ حَلالُ ، المَالُ يَفْنى وَالثّنَاءُ المَالُ
تَبْقَى العُلَى ، وَتَذْهَبُ الرّجَالُ

١ الجادب : العائب .
٢ المشزور : المفتول . الذيال : الطويل الذيل . الندي : النادي .

الدنيا تعاليل

قال يهنىء بعض أصدقائه

إنّ غَرْبَ الدّهْرِ مَصْقُولُ ، وَغِرَارَ الجَدّ مَسْلُولُ[1]
وَرِدَاءَ الفَجْرِ مُنْسَحِبٌ ، وَنِطَاقَ اللّيْلِ مَسْدُولُ
وَحَوَاشِي الجَوّ نَاصِلَةٌ ، وَالدُّجَى بالصّبْحِ مَطْلُولُ
وَثَنَايَا اليَوْمِ يُضْحِكُهَا مِنْ قُدُومِ العِيدِ تَقْبِيلُ
شَهِدَتْ فِينَا مَخَائِلُهُ : أنّ هَذَا الصّوْمَ مَقبُولُ
فأطِعْ حُكمَ السّرُورِ ، وَإن زُخرِفَتْ فِيهِ الأضَالِيلُ
وَتَعَلّلْ بِالمُدامِ لَهُ ، إنّمَا الدّنْيَا تَعَالِيلُ

١ الغرب : السيف . الغرار : الحد .

سل الهضب

قال من مرثية

سلِ الهَضْبَ ما بَينَ الهضَابِ الأطاوِلِ : مَتَى رِيعَ يَوْماً قَبلَهَا بالزّلازِلِ
وَهَلْ خُضِدَتْ تِلكَ الرّمَاحُ لِغامِزٍ، وَهَل أكثَبَتْ تلكَ النّجومُ لنَائِلِ[1]
مَضَى النُّجبَاءُ الأطْوَلُونَ ، وَخلّفوا قِصَارَ الخُطَا عَنْ كُلِّ مَجدٍ وَنائلِ

قبور على هام المكارم

رُسّتْ قُبُورُهُمُ عَلى هَامِ المَكَارِمِ وَالمَعَالي[2]
فَكَأنّمَا هَرَقَ النّدَى فيهِنّ أذْنِبَةَ النّوَالِ[3]
مِنْهُمْ وَرَاءَ التُّرْبِ أمْ ثَالُ الصّوَارِمِ وَالعَوَالي
أتُرَى المَنَايَا كَيْفَ جُلْنَ بذلكَ الحَيّ الحِلالِ ؟

١ أكثبت : دنت .

٢ رست : حفرت .

٣ الأذنبة ، الواحد ذنوب : الدلو .

أقصر ملامك

تُكَلِّفُني عُذْرَ البَخيلِ ، وَلي مالٌ ، ملامَكَ ! لا يذهَبْ بكَ القيلُ وَالقالُ
فَعِندَكَ إكثاري إذا كُنتُ مُكثِراً ، وَعِندِيَ إقْلالي ، إذا كانَ إقلالُ
وَإنّي لأَرْمي بِالنّوالِ مَسافَةً من الجُودِ لا يَستطيعُها الرّجلُ النّالُ[1]

خماشات

تَقارَعْنا عَلى الأحْسابِ حتّى تَوادَعنا ، فَكُلٌّ غَيرُ آلِ
فكانَتْ بَينَ قَوْمِكُمُ وبَيْني خُماشاتٌ بِأطْرافِ العَوالي[2]

١ النال : الجواد ، الكريم .
٢ الخماشات ، الواحدة خماشة : الخداشة ، الجرح الصغير

يا سعد

يا سَعدُ سَعدَ الخَيلِ وَالإبِلِ ، إدْفَعْ صُدُورَ الأيْنُقِ البُزُلِ
أوَمَا رَأيْتَ العِيسَ آخِذَةً لَكَ أهْبَةَ الإدْلاجِ وَالعَمَلِ

ضيف الشيب

ألا حَيِّ ضَيْفَ الشَّيْبِ إنّ طُرُوقَهُ رَسُولُ الرَّدَى قُدّامَهُ ، وَدَلِيلُهُ
وَقَدْ كانَ يُبْكِيني لشِعرِي نُزُولُهُ ، فَقَدْ صَارَ يُبكيني لَعَمرِي رَحيلُهُ

وقائع من دماء

وَقَدْ تَرَكَتْ صَوَارِمُهُمْ بحِجرٍ وَقَائِعَ مِنْ دِمَاءِ بَني عِقَالِ
وَمَا ضَلّتْ ضَلالَهُمُ بحِجْرٍ سَقِيطَةُ جَنْدَلٍ بَينَ الرِّجَالِ

معترك الوصل

وَمُعتَرَكٍ للوَصْلِ يُجلَى عَجاجُه ... ببَطحاءِ قَوْمٍ عَن قَتيلٍ وَقاتِلِ
وَأكثَرُ مَا يُلقَى بهِ غِبَّ نَوْمِهِ ، ... سِقاطُ اللآلي أوْ فُصُومُ الخَلاخلِ[1]

خناذيذ طوال

وَإذا ما دَعَوْا ، وَقَدْ نَشَطَ الرَّوْ ... عُ ، خُيُولَ العِدا مِنَ الأجلالِ[2]
شَمَّرُوا يَطلُبُونَ نَاشِئَةَ الصَّوْ ... تِ خَنَاذيذَ كالجُذُوعِ الطِّوالِ[3]

التوحيد والعدل

أصْبَحْتُ لا أرْجُو ، وَلا أبْتَغي ... فَضْلاً ، وَلي فَضْلٌ هوَ الفَضْلُ
جَدّي نَبيٌّ ، وَإمَامي أبي ، ... وَرَايَتي التَّوْحِيدُ وَالعَدْلُ

١ الفصوم : الكسور ؛ الانقطاع .
٢ الأجلال ، الواحد جل : وهو للدابة كالثوب للانسان .
٣ الخناذيذ ، الواحد خنذيذ : الشجاع .

لا مرحباً و لا أهلاً

يا عاذِلانِ أسأتُمَا العَذْلا ، لا مَرْحَباً بكُما ، ولا أهْلا
أعذَلتُمَا مَنْ لَمْ يَمَلّ هوًى، وتَرَكْتُمَا عَذْلَ الذي مَلاّ
وَلحَوْتُمَا المَقْتُولَ مِنْ كَمَدٍ ، وعَذَلتُما مَنْ طَرّقَ القَتلا[1]
لَوْ أنّ غَيرَ دَمي ذَهَبتِ بِهِ لمْ تُسَألي قَوَداً ولا عَقْلا[2]

خطوب ورزايا

رَائِعَاتٌ أخَفُّهُنّ ثَقِيلُ ، وَخُطُوبٌ أدَقُّهُنّ جَلِيلُ
ورَزَايَا تَهْفُو لَهُنّ حُلومٌ ، رَاسِيَاتٌ وتُستَزَلُّ عُقُولُ

تذارعن بالأيدي

تَذارَعنَ بالأيدي مِنَ الغَوْرِ بَعدَمَا تَقَدّمَ عِرْنِينٌ مِنَ اللّيلِ مائِلُ[3]
فَمَا عَمّمَتْهَا الشّمسُ حتّى رَأيتُها بنَجدٍ تُسَامِيهَا النّجادُ القَوَابِلُ[4]

١ طرقه : جعله طريقاً له .
٢ القود : القصاص . العقل : الدية .
٣ تذارعن : قطعن بسرعة . العرنين : أول الشيء .
٤ القوابل ، الواحدة قابلة : المتهيئة للقبول .

حرف الميم

ذكرى

قال قدس الله تعالى روحه في النسيب وهي من الحجازيات

تَذَكّرْتُ، بَينَ المَأزِمَينِ إلى مِنًى ، غَزَالاً رَمَى قَلْبي وَرَاحَ سَلِيمَا[1]
لَئِنْ كُنتُ أستَحلي مَوَاقعَ نَبلِهِ ، فإنّي ألاقي غِبَّهُنّ ألِيمَا
أصَابَ حَرَاماً يَنْشُدُ الأجرَ غُدوَةً ، فَما عَادَ مَأجُوراً وَعَادَ أثِيمَا
فَلَوْ كَانَ قَلْبي بَارِئاً ما ألِمتُه ، وَلَكِنْ أسْقَاماً أصَبْنَ سَقِيمَا
إذا بَلّ مِنْ داءٍ أعادَتْ لَهُ المَهَا نُكَاساً ، إذا مَا عَادَ عادَ مُقيمَا
يظُنّونَني استَطرَفتُ داءً من الهوَى ، وَهَيهاتَ، داءُ الحبّ كانَ قَديمَا
قَنَصْتُ بجَمْعٍ شادِناً فَرَحِمتُهُ ، وَأخفَقَ قَنّاصٌ يكُونُ رَحِيمَا[2]
أأغْدُو مُهِيناً بالحَبَائِلِ سَاعَةً غزَالاً على قَلبي ، الغَداةَ ، كريمَا
تَرَاءَتْ لنا بالخَيفِ نَفحُ لَطيمَةٍ ، سَرَتْ عَنكَ إلاّ عَبْقَةً وَنَسِيمَا[3]

١ المأزمين : مضيق بين مكة ومنى .
٢ جمع : اسم للمزدلفة .
٣ اللطيمة : وعاء المسك ، أو سوقه .

وكَمْ أرَ مِثْلَ المَاطِلاتِ عَشِيّةً ، ذَوَاتِ يَسَارٍ مَا قَضَيْنَ غَرِيمَا
فَلا يُبْعِدِ اللهُ الذي كَانَ بَيْنَنَا مِنَ العَهدِ إلاّ أنْ يكونَ ذَمِيمَا

حبيبي

وسئل وصف غلام أعجمي فقال :

حَبِيبيَ ما أزْرَى بحُبّكَ في الحَشَا ، ولا غَضّ عِندي مِنكَ أنّكَ أعجمُ
وَعَابكَ عِندِي العائِبَاتُ ظَوَالِماً، وَإنّي ، إذا طَاوَعتُهُنّ ، لأظلَمُ
بنَفسِيَ مَن يَستَدرِجُ اللّفظَ عُجمةً كمَا يمضَغُ الظّبيُ الأرَاكَ ويَبغَمُ

ليلة السفح

يا لَيلَةَ السّفْحِ ألاّ عُدْتِ ثانِيَةً ، سَقَى زَمَانَكِ هَطّالٌ مِنَ الدّيَمِ
ماضٍ من العَيشِ لوْ يُفدى بذَلتُ له كَرَائِمَ المَالِ مِنْ خَيلٍ وَمن نَعَمِ
لمْ أقضِ مِنكِ لُبَانَاتٍ ظَفِرْتُ بِهَا، فَهَلْ ليَ اليَوْمَ إلاّ زَفرَةُ النّدَمِ
فلَيتَ عَهدَكِ ، إذْ لمْ يَبقَ لي أبَداً، لمْ يُبقِ عِندي عَقابيلاً مِنَ السّقَمِ[1]

---

١ العقابيل ، الواحدة عقبولة : بقية العلة .

تَعَجّبُوا مِنْ تَمَنّي القَلْبِ مُؤْلِمَهُ ، وَمَا دَرَوْا أنّهُ خِلْوٌ مِنَ الأَلَمِ
رُدّوا عَليّ لَيَاليّ التي سَلَفَتْ ، لمْ أنْسَهُنّ ، وَلا بالعَهْدِ مِن قِدَمِ
أقُولُ للائِمِ المُهْدي مَلامَتَهُ : ذُقِ الهَوَى وَإنِ اسطَعتَ المَلامَ لُمِ
وَظَبْيَةٍ مِنْ ظِباءِ الإنْسِ عَاطِلَةٍ تَستَوْقِفُ العَينَ بينَ الخمصِ وَالهَضَمِ [1]
لَوْ أنّهَا بِفِنَاءِ البَيْتِ سَانِحَةً لصِدْتُها وَابتَدَعتُ الصّيدَ في الحَرَمِ
قَدِرْتُ مِنهَا بِلا رُقْبَى وَلا حَذَرٍ عَلى الذي نَامَ عَنْ لَيلي، وَلمْ أنَمِ
بِتنَا ضَجيعَينِ في ثَوْبَيْ هوًى وَتُقًى، يَلُفّنَا الشّوْقُ مِنْ فَرْعٍ إلى قَدَمِ
وامسب الرّيحُ كالغَيرَى تُجاذِبُنَا عَلى الكَثيبِ فُضُولَ الرَّيطِ وَاللِّمَمِ [2]
يسِي بِنَا الطّيبُ أحياناً ، و اويه يُضيئُنا البَرْقُ مُجتازاً على أضَمِ [3]
وَبَاتَ بَارِقُ ذاكَ الثّغْرِ يُوضِحُ لي مَوَاقِعَ اللّثْمِ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ
وَبَيْنَنَا عِفّةٌ بَايَعْتُهَا بِيَدِي ، عَلى الوَفَاءِ بِهَا وَالرّعْيِ للذّمَمِ
يُوَلّعُ الطّلُّ بُرْدَيْنَا ، وَقد نَسَمَتْ رُوَيْحَةُ الفَجرِ بَينَ الضَّالِ وَالسّلَمِ [4]
وَأكتمُ الصّبحَ عَنها، وَهيَ غافِلَةٌ ، حتّى تَكَلّمَ عُصْفُورٌ عَلى عَلَمِ
فَقُمْتُ أنْفُضُ بُرْداً مَا تَعَلّقَهُ غَيرُ العَفافِ ، وَرَاءَ الغَيبِ وَالكَرَمِ
وَألمَستَني ، وَقَدْ جَدّ الوَداعُ بِنَا، كَفّاً تُشِيرُ بقُضْبَانٍ مِنَ العَنَمِ [5]

١ خمص البطن : ضموره . الهضم : لطف الخصر ، وضمور البطن .
٢ الريط ، الواحدة ريطة : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد أو كل ثوب رقيق .
اللمم ، الواحدة لمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .
٣ يثي : ينم . أضم : واد فيه المدينة النبوية .
٤ يولعه : يجعل فيه لمع بياض . الضال والسلم : من الشجر .
٥ العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب .

وَأَلْثَمَتْنِيَ ثَغْراً مَا عَدَلْتُ بِهِ   أَرْيَ الجَنَى بِبَنَاتِ الوَابِلِ الرُّذُمِ[1]
ثُمّ انْثَنَيْنَا،وَقَدْ رَابَتْ ظَوَاهِرُنَا،   وَفي بَوَاطِنِنَا بُعْدٌ مِنَ التُّهَمِ
يا حَبّذا لَمّةٌ بالرَّمْلِ ثَانِيَةٌ ،   وَوَقْفَةٌ بِبُيُوتِ الحَيّ مِنْ أَمَمِ
وَحَبّذا نَهْلَةٌ مِنْ فيكِ بَارِدَةٌ ،   يُعدي عَلى حَرّ قَلبي بَرْدُها بفَمي
دَيْنٌ عَلَيكِ ، فإنْ تَقضيهِ أحيَ بهِ ،   وَإنْ أبَيْتِ تَقَاضَيْنَا إلى حَكَمِ
عَجِبتُ مِنْ بَاخِلٍ عَنّي بريقَتِهِ ،   وَقَدْ بَذَلْتُ لَهُ دُونَ الأنامِ دَمي
مَا سَاعَفَتْنِي اللّيَالي بَعدَ بَينِهِمُ   إلاّ بَكَيْتُ لَيَالِينَا بذِي سَلَمِ
وَلا استَجَدّ فؤادي في الزّمانِ هوًى   إلاّ ذَكَرْتُ هَوَى أيّامِنا القُدُمِ
لا تَطْلُبَنّ لِيَ الأبْدالَ بَعدَهُمُ ،   فَإنّ قَلْبيَ لا يَرْضَى بِغَيرِهِمِ

تعالوا نغتنم الآوقات

قال قدس الله تعالى سره في اجتماع أصدقائه عنده :

نُظِمنا نِظَامَ العِقْدِ وُدّاً وَأُلْفَةً ،   وَكَانَ لَنَا البَتّيُّ سِلْكَ نِظَامِ[2]
أخي وَابنُ عَمّي وَابنُ حَمْدٍ فإنّه   تَبَارِيحُ قَلْبِي خَالِياً وَغَرَامي[3]

١ الأري : العسل . الرذم ، الواحد رذوم : السائل من كل شيء .
٢ البتّي : بائع البت ، وهو الطيلسان من خز ونحوه ، أو نسبة إلى البت : قرية بالعراق قرب راذان
٣ التباريح : التوهج .

وَسَادِسُنا الأزْدِيُّ ما شِئتَ مِنْ أبٍ   جَوَادٍ وَمِنْ جَدٍّ أغَرَّ هُمَامِ
أحَادِيثُ تَستَدْعِي الوَقُورَ إلى الصِّبَا،   وَتَكْسُو حَليمَ القَوْمِ ثَوْبَ عُرَامِ[1]
فَنُضْحي لها طَرْبَى بِغَيرِ تَرَنّمٍ ،   وَنُمْسِي لهَا سَكْرَى بِغَيرِ مُدامِ
تَعَالَوْا نُوَلّ اللائِمِينَ تَصَامُماً ،   وَنَغْضِ عَلى الأيّامِ كُلّ مَلامِ
وَنَغْتَنِمِ الأوْقَاتَ إنّ بَقَاءَهَا   كَمَرّ غَمَامٍ ، أوْ كَحِلمِ مَنَامِ
مِنَ اللهِ أستَبقي صَفَاءً يَضُمُّنَا ،   وَطَاعَةَ أيّامٍ وَدارَ مُقَامِ
وَأستَصْرِفُ الأعداءَ عَنّا ، فإنّنَا   مُذُ اليَوْمِ أغرَاضٌ لِكُلّ مَرَامِ

ثياب عار

قال قدس الله روحه في بعض الأغراض وذلك في رجب سنة ٣٩٠

ألَمْعُ بَرْقٍ أمْ ضَرَمْ   بَينَ الحِرَارِ وَالعَلَمْ
تَضْحَكُ عَنْ وَمِيضِهِ   لَمّاعَةٌ مِنَ الدّيَمْ
كَمَا استَشَبّ نَارَهُ   قَينٌ بِضَالٍ وَسَلَمْ
قَدْ هَدَلَتْ شِفَاهَهَا   عَلى القِنَانِ وَالأكَمْ
تَهْدُرُ عَنْ رُعُودِهَا   هَدْرَ الفَنِيقِ ذي القَطَمْ[2]

١ العرام : الحدة والنشاط .
٢ القطم : الهيجان .

لَهَا فَسَاطِيطٌ عَلَى ذُرَى الرَّوَابِي وَخِيَمْ
أُشِيمُهُ لِفِتْيَةٍ تَضَرَّعُوا عَلَى اللُّمَمْ [1]
قَدْ سَوَّرُوا أَكُفَّهُمْ بِلَيِّ أَطْرَافِ الْخُطُمْ [2]
وَجَلَّلُوا مَيْسَ الرِّحَا لِ بِالشُّعُورِ وَالْجُمَمْ [3]
أُوقِظُهُمْ ، وَلِلْكَرَى فِيهِمْ خَبَالٌ وَلَمَمْ [4]
كَأَنَّمَا يَجْذِبُهُمْ مِنَ الرِّقَابِ وَالْقِمَمْ
مِنْ كُلِّ مَعْرُوقِ الْعِظَا مِ أَمْلَسٍ وَلَّى الزُّلَمْ [5]
يَلُوكُ فُوهُ مَضْغَةً ضَعِيفَةً عَنِ الْكَلِمْ
إِذَا أَرَادَ قَوْلَ لا ، مِنْ سُكْرِهِ قَالَ : نعمْ
وَالرَّكْبُ فِي مَضَلَّةٍ ، لا نَضَدٌ ، وَلا عَلَمْ [6]
مَا انتَعَلَتْ بِأَرْضِهَا خُفٌّ بَعِيرٍ أَوْ قَدَمْ
أَقُولُ لَمَّا أَنْ دَنَا مِنَ الْمَصَابِ وَعَزَمْ [7]
يا بَرْقُ إِنْ صُبْتَ الْحِمَى فَلا تَصُبْ إِلاَّ بِدَمْ
عَلَى دِيَارِ مَعْشَرٍ خَانُوا الْعُهُودَ وَالذِّمَمْ

١ تضرعوا : تقربوا في روغان . اللمم ، الواحدة لمة : جماعة الأصحاب في السفر .
٢ الخطم ، الواحد خطام : كل ما وضع في أنف البعير يقتاد به . وسوروا أكفهم : ألبسوها اسور
٣ الجمم ، الواحدة جمة : مجتمع شعر الناصية .
٤ الخبال : البله ، والهوج . اللمم : طرف من الجنون .
٥ الزلم : الظلف أو الذي خلفه ، وأراد هنا القوائم على التشبيه بالأزلام ، وهي السهام .
٦ نضد : صخور بعضها فوق بعض . العلم : الجبل .
٧ المصاب : الصوب ، أي المطر ، ومكانه ، وزمانه .

تَجَهَّمُوا ضَيْفَ العُلَى وَامتَهَنُوا زَوْرَ النِّعَم [1]
مِنْ كُلِّ رَاعِي أُمَّةٍ أجهَلَ مِنْ رَاعِي غَنَمْ
مَا بَيْنَهُمْ في المَكْرُمَا تِ نَسَبٌ وَلا رَحِمْ
وَمَا بِهِمْ إلى النَّدَى لا ظَمَأٌ وَلا قَرَمْ
كَمْ أذْكَرُوني مَعشَراً كَانُوا قَرَارَاتِ الكَرَمْ
مَا حَمَلَتْ أمْثَالَهُمْ يَوْماً غَوَارِبُ النِّعَمْ
كَمْ فِيهِمُ لمُطْرَدٍ مِنْ وَزَرٍ وَمُعْتَصَمْ [2]
كانُوا ، إذا الخَطْبُ دَجا وَجَلجَلَتْ إحدى الغُمَم [3]
مَأمَنَةً مِنَ الرَّدَى ، وَنَجْوَةً مِنَ العَدَمْ
إذا هُمُ تَيَقَّظُوا فِيهَا ، فَقُلْ للجَارِ : نَمْ
هُمْ وَسَمُوا مَا أغْفَلَ النَّاسُ عَلى طُولِ القِدَمْ
إذا أذَمّوا ضَمِنُوا عَلى الزّمَانِ مَا اجتَرَم [4]
وَأمّنُوا حَتّى عَلى القُلُوبِ مِنْ طَارِقِ هَمّ
أهْلُ النّصُولِ وَالقَنَا وَالمُعْطيَاتِ في اللُّجُمْ
وَالسّامِرِ الهَبهَابِ في الظّلماءِ وَالشّرْبِ العَمَم [5]

١ تجهموا : استقبلوا بوجه كريه . امتهنوا : ابتذلوا .
٢ الوزر : الملجأ . المعتصم ، من اعتصم بالشيء : التجأ إليه وامتنع به .
٣ الغمم ، الواحدة غمة : الحزن ، والشدة .
٤ أذموا : جعلوا في ذمامهم ، أجاروا .
٥ السامر : أراد به النجم . الهبهاب : المتلألىء .

جِنٌ ، إذا تَعانَقَ الـ أَبْطَالُ بِالبِيضِ الخُذُمْ
في حَيْثُ لا يَلَذُّنَا مُعْتَنِقٌ وَمُلْتَزِمْ
مِنْ كُلِّ مَطْوِيٍّ عَلَى عَظِيمَةٍ مِنَ الهِمَمْ
مِنْ عِشْقِهِ يَوْمَ الوَغَى يَرَى الطِّعَانَ في الحُلُمْ
مُحتَمِلُ الأَعْبَاءِ لا يَجُرُّهَا مِنَ السَّأَمْ
عَفٌّ ، فَإِنْ لَمْ يَحْمِهِ الـ ضَيْمَ سوَى الظلم ظلمْ
صَاحَتْ بِهِمْ عَلَى الرَّدَى مُسْمِعَةٌ عَلَى الصَّمَمْ
وَانتَزَعَتْ مِنْ عِزِّهِمْ تِلْكَ العِمَادَ وَالدُّعُمْ
بَاطِشَةً بِلا يَدٍ ، وَاعِظَةً بِغَيرِ فَمْ
وَقَبْلَ مَا كَبَّتْ لهَا قِبَابُ عَادٍ وَإِرَمْ
فَاليَوْمَ مَرْمَى دارِهِمْ لا كَثَبٌ وَلا أَمَمْ
قُلْ لِلْعَدُوِّ هَرَباً : قَدْ زَخَرَ الوَادي وَطَمّ
وَشَافَهَتْ أَمْوَاجُهُ ذُرَى القِلالِ وَالأُطُمْ
وَمَنْ يَكُنْ تَحتَ مجَـ ـرِّ السَّيْلِ يَوْماً لا يَقُمْ
تَسُومُني الضَّيمَ ، لقَدْ نَفَخْتَ في غَيرِ ضَرَمْ
أمَا عَلِمْتَ أنَّهُ مَنْ كَانَ حُرّاً لمْ يُضَمْ
أبِالمَخَازِي أبَداً مُدَرَّعٌ وَمُلْتَثِمْ
ثِيَابَ عَارٍ أبَداً فَضْفَاضَةً عَلى القَدَمْ
تَجزِيكَ في الصّبحِ وَتَسـ ـتَغْني بِهَا عَنِ الظُّلَمْ

قُبِّحْتِ مِنْ خَلائِقٍ لَئيمَةٍ ، وَمِنْ شِيَمْ
يُرِيدُ جَهْلاً أنْ يُسِي ءَ عَامِداً وَلا يُذَمّ
هَيْهَاتَ أعْيَا مَا يُرِيـ دُ قَبْلَهُ عَلَى الأُمَمْ
سِيّـانِ مَنْ قَبّلَ عَضْ وَاً مِنكُمُ وَمَنْ عَذَم[1]
وَمَنْ سَمَا بِهَامِكُمْ إلى العُلَى وَمَنْ وَقَم[2]
جَوَامِحاً في العَارِ لا بُقْيَا وَلا رَعْيَ ذِمَمْ
أحْرَجْتَنِي ، فَهَاكَهَا بِنْتَ عِنَاقٍ وَالرَّقَم[3]
وَاللّيْثُ لا يَخْرُجُ إ لاّ مُحْرَجاً مِنَ الأجَمْ
كَلَذْعَةِ المِيسَمِ في شُوَاظِ نَارٍ وَضَرَم[4]
وَالحَيّةُ الرّقْطَاءُ تُرْ دي أبَداً بِغَيْرِ سُمّ
حَقّاً عَلَى أعْرَاضِكُمْ تَعُطُّهَا عَطَّ الأدَمْ
فَاستَنشِقُوهَا نَفْحَةً ، تَجَدَّعُ مَارِنَ الأشَمّ[5]
تَقرِضُ مِنْ جُنُوبِكُم طَمَّ اللِّمَامِ بِالجَلَم[6]

١ عذم : عض .

٢ وقم : قهر وأذل.

٣ العناق : أراد بها الشدة والخيبة ، والأصل في عناق دابة تسمى عناق الأرض موصوفة بالشدة
الرقم : الداهية .

٤ الميسم : المكواة . الشواظ : لهب لا دخان فيه .

٥ تجدع : تقطع . المارن : الأنف . الأشم : السيد ذو الأنفة .

٦ الطم : الجز . الجلم : المقراض . اللمام : جمع لمة ، وقد مرت .

كَـأنّمَا تَضرِبُ في العِرْ ضِ الأعزّ بالقُدُمِ[1]
مَذكُورَةٌ مَا بَقِيَتْ مِنْ غَيرِ عَقْدٍ لِرَتَمِ[2]
تَرَى عَلى عَارِي العِظَا مِ وَسْمَهَا ، وَهْيَ رِمَمْ
فَلَوْ نَزَعْتَ الجِلْدَ كَا نَ رَقْمُهَا كَمَا رُقِمْ
كَمْ جَرّدَتْ شِفَارُهَا لحمَ فَتًى بِلا وَضَمْ[3]
خَابِطَةً لا تَتّقِي صَدْمَ أخٍ وَلا ابنِ عَمّ
تَبيتُ مِنْ سَمَاعِهَا تَئِنّ مِنْ غَيرِ ألَمْ
لتَنْدَمَنّ بَعْـدَهَا ، هَيهَاتَ ، حينَ لا نَدَمْ
كَمْ سَقَمَ مِنْكَ أتَى عَلى عَقَابيلِ سَقَمْ
سَلَكْتَ في مَحَجّةٍ لا نَهَجاً وَلا لَقَمْ[4]
صَلعَاءُ لا يُعطَى الهُدَى دَليلُهَا ، فَلا جَرَمْ[5]

١ القدم ، الواحد قدوم : آلة قاطعة للنجر .
٢ عقد الرتم : هو أن يعقد المرء في إصبعه خيطاً ليتذكر حاجة يريد تذكرها ، الواحدة رتمة ، ورتيمة .
٣ الوضم : خشب يوضع تحت اللحم عند تقطيعه .
٤ المحجة : جادة الطريق . النهج : الواضح . اللقم : معظم الطريق أو وسطه .
٥ الصلعاء : الأرض لا نبات فيها . لا جرم : أي حقاً ، ومعنى لا جرم في الأصل : لا بد ولا محالة ، ثم كثرت فصارت بمعنى حقاً .

أوداع أم سلام

قال وكتب بها إلى الملك قوام الدين وينتجز وعداً له عليه في شيء يخصه وذلك في شوال سنة ٣٩٧ :

زَارَ ، وَالرَّكْبُ حَرَامُ ، أَوَدَاعٌ أَمْ سَلَامُ ؟
طَارِقاً ، وَالبَدْرُ لا يَحْـ ـفِزُهُ إِلاَّ الظَّـلامُ
بَيْنَ جَمْعٍ وَالمُصَلَّى ، رِيمُ سِرْبٍ لا يُرَامُ
وَحُلُولٍ مَا قِرَى نَا زِلِهِمْ إِلاَّ الغَرَامُ
بَدَّلُوا الدُّورَ ، فَلَمَّا نَزَلُوا القَلْبَ أَقَامُوا
يَا خَلِيلَيَّ اسْقِيَانِي ، زَمَنُ الوَجْدِ سِقَامُ
وَصِفَا لي قُلْعَةَ الرَّكْـ ـبِ وَلِلَّيْلِ مُقَامُ
مِنْ أَلالٍ حَفَزُوا العِيـ ـسَ كَمَا رِيعَ النَّعَامُ[1]
فَزَفِيرٌ ، وَنَشِيجٌ ، وَعَجِيجٌ ، وَبُغَامُ[2]
وَمِنًى ، أَيْنَ مِنًى مِـ ـنِّي، لَقَدْ شَطَّ المَرَامُ[3]
هَلْ عَلى جَمْعٍ نُزُولٌ ، وَعَلى الخَيْفِ خِيَامُ

١ ألال : جبل بعرفات ، أو جبل رمل عن يمين الإمام بعرفة . حفزوا : دفعوا من خلف .

٢ الزفير : إخراج النفس مع مده . النشيج : الغصص بالبكاء . العجيج : الصياح . البغام : صوت الظباء و الإبل .

٣ شط : بعد . المرام : ما يرام ، يراد .

يا غَزَالَ الجِزْعِ لَوْ كا نَ عَلى الجِزْعِ لُمَامُ[1]
أحْسُدُ الطَّوْقَ عَلى جِيـ ـدِكَ ، وَالطَّوْقُ لِزَامُ
وَأعَضُّ الكَفَّ إنْ نَا لَ ثَنَايَاكَ البَشَامُ[2]
وَأغَارُ اليَوْمَ إنْ مَـ ـرَّ عَلى فِيكَ اللِّثَامُ
أنَا عَرَّضْتُ فُؤادي ، أوّلُ الحَرْبِ كَلامُ
أن جَعَلتُ القَلبَ مَرْمًى كَثُرَتْ فِيهِ السِّهَامُ
مَنْ يُدَاوِي داءَ أحْشَا ئِكَ ، وَالدّاءُ عُقَامُ
يا غِيَاثَ الخَلْقِ ! أيّا مُكَ في الأيّامِ شَامُ
غُرَرٌ وَاضِحَةُ الأعْـ ـلامِ ، وَالدّهْرُ ظَلامُ
أنْتَ للدّنْيَا وَللدّيـ ـنِ مِسَاكٌ وَنِظَامُ
وَبَهَـاءٌ ، وَضِيَاءٌ ، وَغِيَاثٌ ، وَقِوَامُ
إنّ أعْـداءَكَ لَمّا قَادَهُمْ ذاكَ الزّمَامُ
وَرَأوْا أنّ طَرِيقَ الْـ ـمَجْدِ وَعْرٌ وَإكَامُ
وَاسْتَطَالُوا الغَايَ حَتّى جَرْجَرَ الثِّلْبُ العَبَامُ[3]
سَلّمُوا الثّقْلَ إلى العَوْ دِ ، فَمَا نَاءَ ، وَقامُوا
مُقْرَمٌ إنْ قِيدَ للوِرْ دِ ، وَقَدْ حَرّ اللِّطَامُ[4]

١ اللمام ، الواحدة لمة بالضم : الصاحب ، أو الأصحاب في السفر ، والمؤنس .
٢ البشام : شجر طيب الرائحة .
٣ الثلب : البعير المتكسرة أسنانه من الهرم . العبام : العيي الثقيل .
٤ اللطام : أراد ملاطمة الإبل بعضها بعضاً حين التزاحم على ورود الماء .

حبَسَ الأوْرَادَ بالغُلَّةِ ، وَالحَيُّ قِيَامُ[1]
لَيْسَ بَدْرٌ إنْ بَغَى أَوْلَ مَنْ عَزّ الحِمَامُ[2]
جَامِحٌ أَقْعَصَهُ مِنْ قَائِمِ العَضْبِ لِجَامُ[3]
كَانَ مِمّنْ أسكَرَتْهُ ، أمْسِ ، هَاتِيكَ المُدامُ
وَنَجَا مِنْ زَحْمَةِ المَوْتِ ، وَللمَوْتِ زِحَامُ
طَافِياً تَقْذِفُهُ الغَمْرَةُ ، وَالمَاءُ جُمَامُ
مَنْزِعُ النَّبْلَةِ قَدْ طَارَ بِهَا الرّيشُ اللُّؤامُ
عَجْمَةً طَوّحَهَا المِرْضَاخُ ، وَالعَجْمُ رِمَامُ[4]
وَإلى اليَوْمِ قَذَى نَاظِرُهُ ذاكَ القَتَامُ
قَدّرَ العَاجِزُ أنّ الغِيلَ يُخْلِيهِ الهُمَامُ[5]
كَانَ في مَعْطِسِهِ الرّغْمُ ، وَفي فيهِ الرّغَامُ[6]
أتُرَى لَمْ يَكْفِهِ مَا لَقِيَ الخَيْلُ الطَّغَامُ[7]

١ الأوراد ، الواحد ورد : الإشراف على الماء ، أو جمع ورد بفتح الواو وهو من الخيل ما بين الكميت والأشقر . الغلة : العطش .
٢ البدر : السيد . عز : غلب . الحمام : الموت .
٣ أقعصه : قتله . العضب : السيف .
٤ عجمة : صخرة . طوحها : توهها وبعدها في الأرض فرمت هي بنفسها ههنا وههنا ، المرضاخ : حجر يرضخ به أي يكسر به النوى . الرمام : العظام البالية .
٥ الغيل : غاب الأسد . الهمام : الأسد .
٦ المعطس : الأنف . الرغام : التراب .
٧ الطغام : أوغاد الناس .

لا حَديثُ القَوْمِ مَنْسِيٌّ ، وَلا العَهْدُ قُدامُ
جاشَ وَاديكَ ، فَسَالَ السَّيْلُ ، وَالقَوْمُ نِيامُ
رَاكِباً ظَهْراً مِنَ الغَيِّ ، مُسِيمٌ وَمُسَامُ[1]
خُطِمَ الأوّلُ ، وَالآخِرُ يَبْغِيهِ الخِطَامُ
شَمَّهُ رِئْبَالُ غَابٍ ، أوّلُ الفَرْسِ شِمَامُ[2]
يا دَلِيلَ المَجْدِ إنْ ضَلَّ عَنِ المَجْدِ الكِرَامُ
وَالّذِي يُرْعِي بِدارِ العِزِّ ، وَالنّاسُ بِهامُ
لي مَوَاعِيدُ ، وَوَعدُ الغَيْبِ عَقْدٌ وَزِمامُ
لَوِيَتْ عَنّي ؛ فَيا للنّاسِ! هَلْ ضَنَّ الغَمامُ
حُبِسَ القَطْرُ بأرْضِي ، وَأرَى الجَوَّ يُغَامُ
إنّمَا اللّوْمُ لجَدّي ، مَا عَلى الغَيْثِ مَلامُ
قَدْ تَيَقّظْتُمْ لأمْرِي ، لَكِنِ الجَدُّ يَنَامُ
وَعِتَابُ القَوْمِ إلاّ بِالمَعَارِيضِ خِصَامْ
عَجَباً كَيْفَ نَبَا اليَوْمَ بِكَفّيَّ الحُسَامُ
لا ذِرَاعي رِخْوَةُ الحَبْلِ ، وَلا السّيْفُ كَهَامُ
مَوْضِعُ الذّمّ زَمَاني ، وَخَلاكَ اليَوْمَ ذَامُ

١ أسام الإبل : أخرجها إلى المرعى ، وأسامه : رماه بنظرة ، ولعله أراد هنا من سامه الخسف أذلــه .

٢ الفرس ، من فرسه : قتله .

أيّهَا الزّارِعُ سَقْياً ، فَبِـذا الزّرْعُ أُوَامُ
إنّمَا غَرْسُكَ نَبْعٌ ، وَمِنَ الغَرْسِ ثُمَامُ[1]
عُدْ بِمَا عَوّدْتَني ، مِنْ لكَ أيَاديكَ الجِسَامُ
ثمّ دُمْ مَا حَسُنَ العَيْشُ ، وَمَا طَابَ الدّوَامُ
آمِراً تَخْدُمُكَ الأيّامُ طَوْعاً وَالأنَامُ
إنّمَا الأقْدارُ جُنْدٌ لكَ ، وَالدّهْرُ غُلامُ

خل عن الطريق

قال أيضاً وكتب بها إلى حضرة الملك قوام الدين يعزيه عن كريمة من بناته توفيت وهي التي عقد عليها لأمير المؤمنين القادر بالله وأنفذت هذه القصيدة إلى الحضرة بالأهواز وذلك في شهر ربيع الآخر

لَهَانَ الغِمْدُ مَا بَقيَ الحُسَامُ ، وَبَعضُ النّقصِ ، آوِنَةً ، تَمَامُ
إذا سَلِمَتْ قُوَاهُ ، فَلا جَزَعٌ ، إذا انتَقَصَ النّظَامُ إذا سَلَكَ العُلَى سَلِمَتْ قُوَاهُ ، فَلا جَزَعٌ ، إذا انتَقَصَ النّظَامُ
وَأهْوِنْ بالمَنَاكِبِ يَوْمَ يَبقَى لَنَا الرّأسُ المُقَدَّمُ وَالسّنَامُ
وَمَا شَكوَى المَناهلِ حينَ تُمسِي مُغَيَّضَةً ، إذا بَقِيَ الغَمَامُ[2]

١ النبع والثمام : نباتان
٢ المغيضة : القليلة الماء .

وَهَلْ هُوَ غَيرُ فَذٍّ أخلَفَتْهُ ... لكَ العَلْيَاءُ ، وَالنِّعَمُ التؤَامُ
وَمَا شَرَرٌ تَطَاوَحَ عَنْ زِنَادٍ ، ... بِمُفْتَقَدٍ ، إذا بَقيَ الضِّرَامُ
أفِقْ ،يا دَهرُ، مَن أمسَيتَ تحدو، ... وَقَدْ مَنُعَ الخِزَامَةُ وَالزِّمَامُ[1]
قَدَعتَ مُبَرِّزَ الحَلَبَاتِ يَغْدُو ... جَمُوحاً ، لا يُنَهْنِهُهُ اللِّجَامُ[2]
وَلُوداً مثلَ مَا خالَستَ مِنْهُ ، ... وَأنْتَ بِمِثْلِهِ أبَداً عقَامُ
مِنَ القَوْمِ الّذينَ أقَامَ فيهِمْ ... عِدادُ المَجْدِ وَالعَدَدُ اللُّهَامُ
إذا سَلِمُوا، فَقَدْ سَلِمَ البَرَايا، ... وَإنْ فُقِدُوا ، فَقَدْ فُقِدَ الأنامُ
لَهُمْ كَرَمٌ تُزَيِّدُهُ المَعَالي ، ... إذا لَؤُمَ المَعَاشِرُ ، أوْ ألامُوا
وَأيّامٌ مِنَ الإحْسَانِ بِيضٌ ، ... لَهُمْ نَسَبٌ إلى العَلْيَا قُدَامُ
مَرَاجِحَةٌ ، وَأصْبِيَةٌ مُلُوكٌ ، ... إلَيهِمْ يَعقُدُ النّادي الكِرَامُ[3]
وَكُلُّ مُعَمَّمٍ بالمَجدِ قَضّى ... بِهِ ذِمَمَ العَلاءِ أبٌ هُمَامُ
رَبَا بَينَ الصّوَارِمِ وَالعَوَالي ، ... فَجَاءَ كَأنّ تَوْأمَهُ الحُسَامُ
يَرُوعُ سَوَامَهُ بالسّيْفِ ، حتّى ... تَمَنّى أنْ أسرَّهَا اللّئَامُ
مَعَاشِرُ للسّوَائِمِ في ذَرَاهُمْ ... أمَانُ الطّيرِ آمَنَهَا الحَرَامُ
يُذَمُّ اللّؤمُ عِندَهُمُ عَلَيْهَا ، ... وَلَيسَ لجَارِهِمْ أبَداً ذِمَامُ
وَحَادِثَةٍ لهَا في العَظْمِ وَقْرٌ ، ... كَفَضِّ السّنّ لَيسَ لَهُ التِئَامُ[4]

١ الخزامة : حلقة يشد فيها الزمام .
٢ قدعت : كبحت . ينهنهه : يكفكفه .
٣ مراجحة : ذوو عقول راجحة ، حلماء .
٤ الوقر : الصدع ، الثقل . الفض : الكسر .

كَفَى بعِتَاتِهَا ، وَالمَوْتُ دانٍ ، وَقَدْ قَعَدَ الرِّجَالُ بهَا وَقَامُوا[1]
فَقُلْ للحَائِنِ المَغْرُورِ أمْسَى بِمَارِنِكَ الرَّغَامَةُ وَالرَّغَامُ[2]
أتَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِرُ، أوْ تُسامي غُرُوراً مَا أرَاكَ بِهِ المَنَامُ
فَخَلّ عَنِ الطّرِيقِ لسَيلِ طَوْدٍ تَحَدّرَ لا يُخَاضُ وَلا يُعَامُ
ألَمْ يُقْنِعْكَ بالأهْوَازِ مِنْهُ قِطَارٌ ، غَيْمُ عَارِضِهِ القَتَامُ[3]
بأرْبَقَ حَطّ عَارِضَهُ وَأجلَى عَنِ الأعداءِ وَالأعداءُ هَامُ[4]
وَأرْسَلَهَا تَخُبُّ بِدارِ زَيْنٍ عُبَابَ اليَمّ لَجّ بِهِ التِطَامُ
يَمِلْنَ مِنَ اللُّغُوبِ كَمَا تَهادى نِسَاءُ الحَيّ يُثْقِلُهَا الخِدامُ[5]
وَكُنّ ، إذا رَمَيْنَ إلى عَدُوٍّ طَلَبْنَ أمَامَ حتّى لا أمَامُ
وَلَستُ لحَاصِنٍ إنْ لَمْ تَرَوْهَا مَوَاقِرَ ، حَمْلُهَا بِيضٌ وَلامُ[6]
تُوَقِّصُ تَحتَهَا القُلَلُ الرّوَابي ، وَتُجدَعُ مِن حَوَافِرِها الإكَامُ[7]
بنَقْعٍ يُظْلِمُ الإصْبَاحُ مِنْهُ ، عَلَى بَيْضٍ يُضِيءُ بِهَا الظّلامُ[8]

١ عتاتها : خصامها .
٢ الحائن : الأحمق .
٣ الأهواز : تسع كور بين البصرة وفارس لكل منها اسم . القطار ، الواحد قطر : ما يقطر
القتام : الغبار الأسود .
٤ اربق : قرية برامهرمز . الهام : قرية باليمن .
٥ الخدام : الخلاخيل ، الواحدة خدمة .
٦ حاصن : امرأة عفيفة . مواقر : محملة . اللام : الدروع ، الواحدة لامة .
٧ توقص : تكسر .
٨ البيض ، الواحدة بيضة : الخوذة .

تُفَارِطُ بالقَنَا مُتَمَطِّرَاتٍ كَمَا فَاجَاكَ بالدَّوِّ النَّعَامُ[1]
حَذارِ لَهُ ، فبَعْدَ اليَوْمِ يَوْمٌ لَهُ شَرَرٌ ، وبَعْدَ العَامِ عَامُ
وَمَا تَرَكَ الرِّمَاءَ قُصُورَ بَاعٍ ، وَلَكِنْ كَيْ تُرَاشَ لَهُ السِّهَامُ
فمِنْهُ البِيضُ مَاضِيَةٌ ، وَمنكم، يَدَ الدَّهْرِ ، المَفارِقُ وَاللِّمَامُ
لَنَا تحتَ الصّفَائحِ كُلَّ يَوْمٍ ، مُقِيمٌ لا يَرِيمُ وَلا يُرَامُ
كَرَائِمُ مِنْ قُلُوبٍ أوْ عُيُونٍ عَلَيْهِنّ الجَنَادِلُ وَالرِّجَامُ
صُمُوتٌ لا يُجَابُ لَهُنّ داعٍ أرَنّ ، وَلا يُرَدّ لَهُ سَلامُ
فَدُمْ مَا طَابَ للبَاقِي بَقَاءٌ ، وَمَا حَسُنَ التّلَوُّمُ ، وَالدّوَامُ
فَلا كُشِفَ الضّيَاءُ عَلَى اللّيَالي، وَلا عُدِمَ الغِيَاثُ وَلا القِوَامُ
يَكُونُ لَكَ التّقَدُّمُ في المَعَالي، وَفي الأجَلِ التّأخّرُ وَالمَقَامُ
وَكَانَ لَنَا أمَامَكَ كُلُّ نَقْصٍ يَكُونُ مِنَ الرّدَى وَلَكَ التّمَامُ

[1] الدو : الفلاة .

الطاهر ابن الطاهرين

قال قدس الله روحه يرثي والده الطاهر الأوحد ذا المناقب أبا أحمد الحسين الموسوي نضر الله وجهه وأكرم مثواه ومنقلبه وتوفي في ليلة السبت لخمس ليال بقين من جمادى الأولى سنة ٤٠٠ وله من العمر ٩٧ سنة :

وَسَمَتْكَ حاليَةُ الرّبيعِ المُرْهِمِ ، وَسَقَتْكَ ساقيَةُ الغَمامِ المُرْزِمِ[1]

وَغَدَتْ عَلَيكَ منَ الحَيا بمُوَدِّعٍ لا عَنْ قِلًى ، وَمن النّدَى بمُسَلِّمِ

قَدْ كُنتُ أعذُلُ قَبلَ مَوْتكَ مَن بكى ، فَاليَوْمَ لي عَجَبٌ منَ المُتَبَسِّمِ

وَأذُودُ دَمعي أنْ يَبُلَّ مَحاجِرِي ، فَاليَوْمَ أعلِمُهُ بِمَا لَمْ يَعْلَمِ

لا قُلْتُ بَعدَكَ للمَدامِعِ كَفكِفِي مِنْ عَبرَةٍ وَلَوَ انّ دَمعي مِن دَمي

إنّ ابنَ مُوسَى ، وَالبَقاءُ إلى مَدًى ، أعطَى القِيَادَ بمارِنٍ لَمْ يُخْطَمِ

وَمَضَى رَحيضَ الثّوْبِ غَيرَ مُدَنَّسٍ ، وَقَضَى نَقيَّ العُودِ غَيرَ مُوَصَّمِ[2]

وَحَمَاهُ أبيَضُ عِرْضِهِ وَثَنَائِهِ ، ضَمُّ اليَدَينِ إلى بَيَاضِ الدِّرْهَمِ

وَغَنيَ عَنِ الدّنْيَا ، وكانَ شَجًى لها ، إنّ الغَنيّ قَذًى لطَرْفِ المُعدِمِ

مَلأ الزّمَانَ مَنَائِحاً وَجَرَائِحاً ، خَبَطاً بِبُؤسَى في الرّجَالِ وَأنعُمِ

وَاستَخدَمَ الأيّامَ في أوْطَارِهِ ، فَبَلَغْنَ أبْعَدَ غَايَةِ المُستَخدِمِ

١ المرهم : المخصب . المرزم : الرعد الشديد صوته .

٢ الرحيض : المغسول . موصم : مصدوع ، أو فيه عار

اليَوْمَ أغمَدْتُ المُهنّدَ في الثّرَى ، وَدَفَنتُ هَضْبَ مُتَالِعٍ وَيَلَملَمِ[1]
وَغَدَتْ عَرَانِينُ العُلَى وَأكُفُّهَا مِنْ بَيْنِ أجدَعَ بَعدَهُ أوْ أجذَمِ[2]
مُتَبَلِّجٌ كَرَماً ، إذا سُئِلَ الجَدا ، مَطَرَ النّدَى أمَماً ، وَلَمْ يَتَغَيّمِ
جَذْلانُ تُطْلِعُ مِنهُ أندِيَةُ العُلَى وَجْهاً كَرِيمَ الحَدّ غَيرَ مُلَطَّمِ
يَرْمي المَغَارِمَ بالتّلادِ ، وَيَنْثَني ثَلِجَ الضّميرِ ، كَأنّهُ لمْ يُغْرَمِ
الوَاهِبَ النَّعَمَ الجَرَاجِرَ عَادَةً ، مِن ذي يَدَينِ إذا سَخا لَمْ يَندَمِ[3]
جَاءَتْ بِهَا حُمْرَ الرّبيعِ مَشيدَةً ، حَمراءَ تَحسَبُهَا عُرُوقَ العَندَمِ
مُتَبَقّلاتٍ بِاللّدِيدِ وَرَامَةٍ بَينَ القَنَا المَنْزُوعِ وَالمُتَلَهْذِمِ[4]
بِيَدَيْ أغَرّ يَرُدّ ألْوِيَةَ القَنَا غِبَّ الوَقائعِ ، يُعتَصَرْنَ مِنَ الدّمِ
وَيَقولُ للنّفْسِ الكَرِيمَةِ : سَلّمي يَوْمَ اللّقَاءِ ،وَلا يَقُولُ لهَا:اسلَمي
هَتَفَ الحِمَامُ بهِ فكَانَ وَصَاتَهُ بَذْلُ الرّغائِبِ وَاحتِمَالُ المَغرَمِ
هَلْ يُورِثُ الرّجلُ الكَرِيمُ إذا مضَى إلاّ بَوَاقِيَ مِنْ عُلًى وَتَكَرُّمِ
يَأبَى النّدى تَرْكَ الثّرَاءِ على الفَتَى ، وَيَقِلُّ مِيرَاثُ الجَوَادِ المُنعِمِ
مَلأتْ فَضَائِلُكَ البِلادَ ، وَنَقّبَتْ في الأرْضِ يَقذِفُها الخَبيرُ إلى العَمي
فكَأنّ مَجدَكَ بَارِقٌ في مُزْنَةٍ ، قِبَلَ العُيُونِ ، وَغُرّةٌ في أدْهَمِ

١ متالع ويلملم : جبلان .
٢ الأجدع : المقطوع الأنف . الأجذم : المقطوع اليد .
٣ النعم : الإبل . الجراجر : الضخام منها .
٤ اللديد : ماء لبني أسد . رامة : موضع بالبادية . المتلهذم : المقطوع .

أنعاكَ للخَيْلِ المُغيرَةِ شُزَّباً خبَطَ المَغَارَ بهِنّ مَنْ لمْ يُجْرِمِ
كالسَّرْبِ أوْجَسَ نَبأةً مِنْ قانِصٍ فَمَضَى يَلُفّ مُؤخَّراً بِمُقَدَّمِ
وَاليَوْمُ مُقْذٍ للعيُونِ بِنَقْعِهِ ، لا يَهتَدي فيهِ البَنَانُ إلى الفَمِ
لمْ يَبقَ غَيرُ شَفَافَةٍ مِنْ شَمْسِهِ كَضَيقِ وَجْهِ الفَارِسِ المُتَلَثِّمِ
مِنْ خائِضٍ غَمْرَ الدّماءِ يَبُلّهُ ، بَلٌّ النّدَى مَطَرَ القَنَا المُتَحَطِّمِ
أوْ نَاقِشٍ مِنْ جِلْدِهِ شَوْكَ القَنَا عَن كُلّ فاغرَةٍ كَشِدقِ الأعلَمِ
أوْ مُفلتٍ حُمَةَ السّنَانِ نجَتْ بِهِ رَوْعَاءُ لا تَدَعُ العِذارَ لمُلجِمِ
يَنْزُو بِهِ الفَزَعُ الكَذُوبُ وَيتّقي مُرَّ الحَديثِ بكُلّ يَوْمٍ أيْوَمِ[1]
وَيَرُوعُهُ وَصْفُ الشّجاعِ لطَعْنَةٍ مِنْ ذابِلٍ أوْ ضَرْبَةٍ مِنْ مِخذَمِ
حتّى يَظُنّ الصّبْحَ سَيفاً مُنْتَضًى ، أهْوَى إلَيْهِ مَعَ الكَميّ المُعْلِمِ[2]
وَمُقَاوِمٍ عَرَضَ الكَلامُ بُرُودَهُ فيهِنّ بَينَ مُعَضَّدٍ وَمُسَهَّمِ[3]
أغْضَى لهَا المُتَشَدّقُونَ وَسَلّمُوا لهَديرِ شِقْشِقَةِ الفَنِيقِ المُقْرَمِ[4]
بالرّأيِ تَقْبَلُهُ العُقُولُ ضَرُورَةً ، عِنْدَ النّوَائِبِ لا بكَيْفَ وَلا لِمِ[5]
حَمَلَ العَظَائِمَ وَالمَغَارِمَ نَاهِضاً وَمَضَى عَلى وَضَحِ الطّريقِ الأقوَمِ

١ الأيوم : الشديد .
٢ الكمي : لابس السلاح . المعلم : الواضع علامات الحرب ، والشجاعة .
٣ المعضد : ثوب له أعلام في موضع العضد . المسهم : البرد المخطط .
٤ المتشدقون : الذين يلوون أشداقهم للتفصح . المقرم : الذي لا يحمل عليه ولا يذلل .
٥ لمِ : لم ، كسر الميم للضرورة .

حتى إذا أرْمَى الجِذابُ مِلاطَهُ ، وَأوَى الزِّمَامُ لأنفِهِ وَالمَلْطَمِ
طَرَحَ الوُسُوقَ فَلَمْ يَدَعْ من بَعده عِنْدَ العَظِيمَةِ حَامِلاً للمُعْظَمِ
كالنِّقضِ قد عرَكَ الدُّؤوبُ صِفاحَهَ عَرْكَ الضِّبَاعِ مِنَ العِنانِ المُؤدِمِ [1]
رَقَدَ المُلُوكُ بِحَزْمِ أبْلَجَ رَأيُهُ فَلَقٌ لِعَاشِيَةِ العُقُولِ النُّوَّمِ
ـص عَنْهُ النَّائِبَاتُ كَأنَّهَا وَبَرُ المُوَقَّعِ نَشَّ تَحتَ المِيسَمِ [2]
كانُوا إذا قَعَدَ البِكَارُ بِثِقْلِهِمْ قالوا لذا العَوْدِ الجُلالِ : تَقَدَّمِ
عَمْرِي لقَد قَذَفُوا الكُرُوبَ بفارجٍ مِنهُ وَقد رَجَمُوا الخُطوبَ بِمِرْجَمِ [3]
فَكَأنَّمَا قَرَعُوا القَنَا بعُتَيْبَةٍ ، وَلَقُوا العِدا بِرَبِيعَةِ بنِ مُكَدَّمِ
رَقَّاءُ أضْغَانٍ يَسُلُّ شَبَاتَهَا ، حَتّى يُغَيِّرَ طَبْعَ سُمِّ الأرْقَمِ [4]
سَبعٌ وَتِسعونَ اهتَبَلْنَ لكَ العِدا ، حَتّى مَضَوْا وَغَبَرْتَ غَيرَ مُذَمَّمِ [5]
لَمْ يَلحَقُوا فيها بشَأوِكَ بَعدَمَا أمَلُوا . فَعاقَهُمُ اعتِرَاضُ الأزْلَمِ
إلاّ بَقَايَا مِنْ غُبَارِكَ أصْبَحَتْ غُصَصاً وَأقْذاءً لِعَيْنٍ ، أوْ فَمِ
إنْ يَتْبَعُوا عَقِبَيْكَ في طَلَبِ العُلى، فالذِّئْبُ يَعسِلُ في طَرِيقِ الضَّيغَمِ [6]
هلْ منْ أبٍ كَأبِي لجُرْحِ مُلِمّةٍ أعْيَا ، وَشَعْبِ عَظِيمَةٍ لمْ يُلأَمِ [7]

١ النقض : المهزوم من السير ناقة كان أو جملا . الدؤوب : الجد والتعب . المؤدم : المسمر .
٢ الموقع : البعير الذي أثر الوبر في ظهره . نش : غلى . الميسم : المكواة .
٣ المرجم : الشديد .
٤ الشباة : إبرة العقرب .
٥ اهتبلن : اغتنمن .
٦ يعسل : يسرع ويضطرب في عدوه ويهز رأسه . الضيغم : الأسد .
٧ الشعب : الصدع . يلأم : يصلح .

إنّ الخُطُوبَ الطّارِقَاتِ فَجَعْنَنَا   مَـ. الأنّ

بِمُمَهَّلٍ في الغَابِرِينَ مُؤَخَّرٍ ،   وَمُحَفَّزٍ في السّابِقِينَ مُقَدَّمِ[2]

الطّاهِرِ ابنِ الطّاهِرِينَ وَمَنْ يكُنْ   لأبٍ إلى جِذْمِ النّبُوّةِ يَعْظُمِ[3]

مِنْ مَعشَرٍ تخِذوا المَكارِمَ طُعمَةً ،   وَرَوُوا مِنَ الشّرَفِ الأعَزّ الأقدَمِ

مِنْ جائِدٍ ، أوْ ذائِدٍ ، أوْ عاقِرٍ ،   أوْ مَاطِرٍ ، أوْ مُنعِمٍ ، أوْ مُرْغِمِ

وَفَرُوا على المَجدِ المَشيدِ هُمومَهم،   وَتَهاوَنُوا بِالنّائِلِ المُتَهَدِّمِ

عِيصٌ ألَفٌّ تَقَابَلَتْ شُعُبَاتُهُ   في المَجْدِ ، شَجَرَ مُقَوَّمٍ لمُقَوَّمِ[4]

يَتَعَاوَرُونَ المَكْرُمَاتِ وِلادَةً ،   مِنْ بَيَنِ جَدٍّ في المَكارِمِ وَابنِمِ[5]

قَدْ قُلْتُ للحُسّادِ حِينَ تَقارَضُوا   حُرَقَ القُلُوبِ جوًى وَحَرْقَ الأُرَّمِ[6]

لا تَحسُدُوا المُتَرَادِفِينَ عَلى العُلى،   وَالغَالِبِينَ عَلى السّنَامِ الأكْوَمِ[7]

وَالطّاعِنِينَ بِكُلّ جَدٍّ مِدْعَسٍ ،   وَالمَاطِرِينَ بِكُلّ نيلٍ مُرْزِمِ[8]

لَكُمُ الفُضُولُ ،إذا تَكونُ وَقيعَةٌ ،   أوْ غارَةٌ ، وَلَهُمْ صَفِيّ المَغْنَمِ

١ الجنة : الوقاية . المستلئم : اللابس اللأمة ، أي الدرع .

٢ المحفز : المدفوع من خلف .

٣ الجذم : الأصل .

٤ العيص : منبت خيار الشجر . شجر مقوم لمقوم : أي ربط مقوم بمقوم .

٥ يتعاورون : يتداولون . الابنم : الابن ، والميم زائدة .

٦ حرق الأرم : العض على الأصابع غيظاً .

٧ الأكوم : المرتفع .

٨ المدعس : الطعان . النيل : السحاب . المرزم ، من أرزم الرعد : اشتد صوته .

عَطِرُونَ ما لأنُوفِكُمْ من طيبِهِمْ بَينَ المَجَامِعِ غَيرَ شَمّ المَرْغَمِ[1]
يتَسَانَدُونَ إلى عُلًى عَادِيّةٍ ، ومَكَارِمٍ قُدْمٍ، ومَجدٍ قَشعَمِ[2]
مُتَزَيّدِينَ إلى السّؤالِ ، وَعِندَكُمْ أُمٌّ العَظَاءِ ، مُقِذّةٌ لَمْ تُنْتِمِ[3]
فَتَعَلّقُوا عَجَبَ المَذَلّةِ ، وَاترُكوا رَفْعَ العُيُونِ إلى البِنَاءِ الأعْظَمِ[4]
تلكَ الأُسُودُ ،فمَنْ يَجُرّ فَرِيسَهَا، أمْ مَنْ يَمُرّ بِغَابِهَا المُتَأجِّمِ
حُطّتْ بِأطْرَافِ البِلادِ قُبُورُهُمْ ، رُقُمُ النّجومِ ، سقوفُ لَيلٍ مُظلِمِ[5]
وَكَفَاكَ مِنْ شرَفِ القَبيلِ بأن ترَى بَدَدَ القُبُورِ لمُنْجِدٍ ، أوْ مُتْهِمِ
عُدّوا جِبَالاً للعَلاءِ ، وَإنْ غَدَوْا أمشَاجَ مَجْدٍ في رَمَائِمِ أعْظُمِ[6]
وَضَعَتْ بتِلْكَ صَفَائِحاً وَضَرَائِحاً ، أثْقَالَ أوْطَفَ بالرُّعُودِ مُزَمزِمِ[7]
وَسَقَتْ ثَرَاهنّ الدّمُوعُ مُرِشّةً ، فَغَنينَ عَنْ قَطرِ الغَمَائِمِ وَالسُّمِيّ[8]
جَدَثٌ بِبَابِلَ أشْرِجَتْ رُجُمَاتُهُ طَبَقاً عَلى مَطَرِ النّدَى المُتَهَزِّمِ[9]

١ المرغم : الأنف .
٢ القشعم : أراد به القديم .
٣ المقذة : التي تلد واحداً .
٤ العجب : أصل الذنب .
٥ هذا البيت غامض المعنى .
٦ الأمشاج ، الواحد مشيج : المخلوط . الرمائم : البالية .
٧ الأوطف : السحاب المسترخي لكثرة مائه .
٨ السمي ، الواحد سماء : المطر .
٩ أشرجت : أدخل بعضها في بعض . الرجمات : حجارة مرتفعة ب على القبر . الطبق : الغطاء

ضَمِنَ السَّمَاحَةَ فِي مَلاثِ إِزَارِهِ ، وَالمَجْدَ فِي نُوَّارِهِ المُتَكَمِّمِ[1]
لا تَحْسَبَنْ جَدَثاً طَوَاهُ ضَرِيحُهُ قَبراً ، فَذاكَ مَغَارُ بَعضِ الأَنجُمِ
أعرَيتَ ظَهرِي للعِدا ، وَلَوِ اتّقَى بِزُهَاءِ مُزْدَحِمِ العَدِيدِ عَرَمْرَمِ
وَكَشَفْتَ لِلأيّامِ عَوْرَةَ مَقتَلي، حتّى رَدَدْنَ عليّ بَعدَكَ أسهُمِي
قَدْ كُنتَ مَا بَيْني وَبَينَ سِهَامِهَا ، فَاليَوْمَ لا يُخطِينَ شاكِلَةَ الرَّمي[2]
هَلْ تَسمَعَنّ مِنَ الزّمَانِ ظُلامَتي فِيمَا جَنَى، وَإلى الزّمَانِ تَظَلُّمي
قُلْ للنّوَائِبِ لا أُقِيلُكِ عَثْرَةً ، فَتَشَزَّني لوَقَائِعِي ، وَاستَسلِمي[3]
لا تَصْفَحَنّ عَنِ المُلِمّ إذا جَنَى ، وَإذا المَضَارِبُ أمكَنَتْكَ، فصَمِّمِ
فالغِمْرُ مَن تَرَكَ الجَزاءَ على الأذَى، وَأقَامَ يَنْظُرُ عُذْرَةً مِنْ مُجرِمِ
وَمَحوكَةٍ كالدِّرْعِ أحكَمَ سَرْدَهَا صَنَعٌ فَأفصَحَ في الزّمَانِ الأعجَمِ
عَضَلْتُهَا زَمَناً لأطْلُبَ كُفْوَهَا ، وَزَفَفْتُهَا لكَ نِعْمَ بَعْلُ الأيّمِ
إنّي نَزَلْتُ ، وَكنتُ غَيرَ مُذَلَّلٍ ، بَيتَ المُهَانِ وَأنتَ عَينُ المُكْرَمِ

١ ملاث ازاره : مداره .
٢ الشاكلة : الخاصرة . الرمي : المرمي .
٣ تشزني : اشتدي ، وانتصبي لي في الخصومة .

قوام الدين

قال قدس الله روحه يمدح الملك قوام الدين ويشكره على ما أنعم به من التقدم بمخاطبته عن حضرته بالكفاية رفعاً له عن الخطاب بالكاف وفي ذلك من إعلاء القدر ما لا خفاية به ونفذت هذه القصيدة إلى حضرته بأرجان في رمضان سنة ٤٠٠ :

أعَلَى الغَوْرِ تَعَرَّفتَ الخِيَامَا ، وَلِدارِ الحَيِّ مَلْهًى وَمُقَامَا[١]
مَنْزِلٌ مِنْ آلِ لَيلَى لَمْ يَدَعْ وَلَعُ الدَّهْرِ بِهِ إلاَّ رِمَامَا
حَبَّذا الدَّارُ ، وَإنْ لَمْ يَلْقَنَا قَاطِنُ الدَّارِ بِهَا إلاَّ لِمَامَا
مَنْ رَأى البَارِقَ في مَجنُوبَةٍ ؛ هَبّةُ البَارِقِ قَدْ رَاعَ الظَّلامَا[٢]
كُلَّمَا أوْمَضَ مِن نَحوِ الحِمَى أقعَدَ القَلْبَ مِنَ الشَّوْقِ وَقَامَا
مَا عَلَى ذِي لَوْعَةٍ نَبّهَهُ بَارِقٌ مِنْ قِبَلِ الغَوْرِ ، فَشَامَا
يا خَلِيلَيّ انظُرَا عَنّي الحِمَى ، إنّ طَرْفَ العَينِ بالدّمعِ أغَامَا
طَالَ مَا استَسقَوْا لِعَيني دَمعَهَا أينَمَا استَسقَيْتُ للدّارِ الغَمَامَا
أخْلَقَ الرّبْعُ ، وَأثْوَابُ الهَوَى مُستَجِدّاتٌ وُلُوعاً وَغَرَامَا
مِنْ بَرْقٍ عَلَى ذي بَقَرٍ . نَبّهَ الشّوْقَ على القَلبِ وَنَامَا[٣]

١ الغور : موضع .

٢ المجنوبة : التي هبت بها ريح الجنوب

٣ ذو بقر : واد .

كَمْ رَعَيْنا العَيشَ فيهِ ناضِراً، وَوَرَدْنَا أَوَّلَ الحُبِّ جِمَامَا
وَغَرِيمَيْ صَبْوَةٍ قَدْ قَضَيَا بَعضَ دَيْنِ الشَّوْقِ ضَمّاً وَلزَاما
يا قِوَامَ الدِّينِ قُدْهَا صَعْبَةً ، لمْ تكُنْ تَتبَعُ من قَبلُ الزِّمَامَا
أَنْتَ فِينَا هَضْبَةُ اللهِ الّتي زَادَهَا قَرْعُ المَقَادِيرِ التِئَامَا
وَيَدٌ للدَّهْرِ مَوْهُوبٌ لهَا ، إنْ أَسَاءَ الدّهْرُ يَوْماً وَألامَا[1]
ما يَضُرّ القَوْمَ أوْقِظْتَ لَهُمْ أن يكُونُوا عَن حِمى العِزّ نِيَامَا
مَنْبِتٌ تَحْرُزُ عَنْ أعْرَاقِهِ حَسَبٌ لا يَقبَلُ العَارَ قُدَامَا[2]
إرْثُ آبَاءٍ عَلَوْا ، فاقتَعَدُوا عَجُزَ المَجدِ ،وَأعطَوْكَ السَّنَامَا[3]
أمطَرُوا الجُودَ مُضِيئاً بِشْرُهُمْ ، فَرَأَيْنَاهُمْ شُمُوساً وَغَمَامَا
شَغَلُوا قِدْماً عَنِ النّاسِ العُلَى ، وَرَمَوْا عَنْ ثُغَرِ المَجدِ الأنَامَا
مَعشَرٌ تَمّوا ، فَلَمْ يَنْثَلِمُوا ، ثَلَمَ الأقمَارِ يَنظُرْنَ التّمَامَا
كَحُمَيّا الطّوْدِ رَأياً وَحِجاً ، وَرِمَاحِ الخَطّ غَرْباً وَقِيَامَا[4]
أفْرَجَ المَجْدُ لَهُمْ عَنْ بَابِهِ ، وَلَقِي الأعْداءُ ضُعْفاً وَزِحَامَا
غَائِبٌ مِثْلُكَ مِنْ شُهّادِهِ ، مَا قَضَى العُمْرَ وَلا ذاقَ الحِمامَا
لمْ يَعِشْ مَن عاشَ مَذْمُوماً وَلا مَاتَ أقوَامٌ ، إذا مَاتُوا كِرَامَا

١ ألام : أتى بما يلام عليه .
٢ تحرز : تحرس . الأعراق : الأصول . القدام : القديم .
٣ العجز : مؤخر الشيء . السنام : أعلاه .
٤ حميا الطود : قوة الجبل وشدته . الخط : موضع باليمامة وهو خط هجر. ب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوم به . الغرب : الحد .

يَعظُمُ النّاسُ، فَإنْ جِئْنا بكُمْ، كُنْتُمُ الرّاعِينَ، وَالنّاسُ سَوَامَا
أوَلَمْ يَنْهَ العِدَا في أرْبَقٍ لَجِبٌ قَادَ الجَمَاهِيرَ العِظَامَا
لُجَجاً يَلغَطُ فِيهِنّ القَنَا، لَغَطَ الأوْرَادِ دَفْعاً وَلِطَامَا[1]
يَوْمَ وَلّى قَوْمَهُ في هُوّةٍ مُسْتَغِرٌ دَمّرَ الجِيلَ الطَّغَامَا[2]
مُسْتَعِيراً هَامَهُمْ يَحْسَبُهَا جَفَنَاتِ الحَيّ يَنقُلْنَ الطّعَامَا
شَهِدَ الرّوْعَ، فَلَمْ يُعطِ القَنَا نُهزَ الطّعْنِ وَلَمْ يُرْضِ الحُسامَا
وَنَجَا الغَاوِي يُفَدّي مُهْرَهُ، خَزِيَ المَوْقِفِ قَدْ لِيمَ وَلامَا
طَرَحَ الدّرْعَ ذَمِيماً وَاتّقَى بِمَطَاهُ الطّعْنَ شَمّاً وَعُرَامَا[3]
يَسْتَزِيدُ الطِّرْفَ حَتّى لَوْ رَأى مُهلَةَ الوَاقِفِ قَد ألقَى اللّجَامَا[4]
خِلْفَةَ وَطْفَاءَ يَمْرِيهَا الرّدَى مَطَرَ الطّعْنِ رَذاذاً وَرُهَامَا[5]
دَأبُهَا في دارِ زَيْنٍ تُنْتَحَى، شَلّةَ الطّارِدِ بالدّوّ النَّعَامَا[6]
بِتْنَ بالشّدّ يُخَرّقْنَ الثّرَى، دَلَجَ اللّيْلِ، وَيَرْقَعنَ القَتَامَا[7]

١ الأوراد : الإبل الواردة الماء لتشرب .
٢ الطغام : أوغاد الناس . المستغر : الآتي على غرة ، على غفلة .
٣ شماً : تكبراً . عراما : شراسة وشدة .
٤ الطرف : الكريم من الخيل .
٥ لعله أراد بالخلفة الوطفاء: السحابة المسترخية لكثرة مائها ، أو لعله أراد الناقة الكثيرة شعر الحاجبين والعينين ، استعارها للسحابة . يمريها : من مرى الناقة ، مسح ضرعها لتدر . الرذاذ : المطر الضعيف الساكن . الرهام ، الواحدة رهمة : المطر الضعيف الدائم .
٦ الشلة : الطرد . الدو : الفلاة .
٧ يريد : يرقعن الغبار المتمزق بما يثرنه من الغبار في سيرهن في الليل، مخرقات للتراب بأخفافهن .

خِلْتَ أيْدِيهِنّ في مَعْزَائِهَا ، أنْمُلَ الوِلدانِ يفْلِينَ اللِّمَامَا[1]
جَاذَبَتْ فُرْسَانَهَا أعْنَاقَهَا ، كُلّمَا نَهْنَهْنَ طالَبْنَ أمَامَا
وَلَيَالي السّوسِ صَبّحْتُ بهَا ، صَائِحاً يَسْقي دَمَ الطّعنِ مُدامَا[2]
تُضْمَنُ الأعْنَاقُ للسّيْفِ ، إذا أخفَرَ السّيفُ على الدّرْعِ الذّمامَا
رِشْتُمُ سَهمي . وَضَاعَفْتُم لَهُ ، عَقِبَ النّعْمَاءِ وَالرّيشِ ،اللُّوَامَا[3]
كُلَّ يَوْمٍ نِعَمٌ مَشْفُوعَةٌ ، لاحِقَاتٌ ، وَتَوَالٍ وَقُدَامَى
أصْبَحَتْ عِنْدِي وَلُوداً نَاتِجاً، يَوْمَ تَغْدُو نِعَمُ القَوْمِ عِقَامَا
مثلَ رَشْقِ النَّبْلِ إلاّ جَرْحَهَا ، تُبرِدُ الغُلّ ، وَتَستَلُّ الأُوَامَا
كُلّمَا شَيّخَ عِندِي ضَيفُهَا ، رَجّعَتْهُ جُدُدُ الطَّوْلِ غُلامَا
يَا جَزَتْ عَنّي الجَوَازِي مَعشَراً مَلَكُوا الوِرْدَ ، فأعطَوْني الجُمامَا
جِئتُهُمْ في جَفوَةِ الدّهرِ ، فَلا أوْصَدوا البابَ وَلا لَطّوا القِرَامَا[4]
ضَرَبَ العِزُّ عَلَيْهِمْ بَيْتَهُ . ثُمّ ألقَى الرّحْلَ فيهِمْ ، وَأقامَا
وَعَمَرْتُمْ آمِنِي رَيْبِ الرّدَى ، يَمطُلُ الخَطبُ بكُمْ عاماً فَعامَا
كُلّمَا خَفَّ إلَيكُمْ حَادِثٌ . غَلّطَ النّهْجَ، وَلَمْ يُعطِ المَرَامَا
مَا رَأيْنَا سِلْكَهَا مِنْ غَيرِكُم جَمَعَ النّشْرَ، وَلا ضَمّ النّظَامَا

١ المعزاء : الأرض الصلبة ذات الحجارة . اللمام ، الواحدة لمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن
٢ السوس : اسم كورة بالأهواز .
٣ رشتم سهمي : ألزقتم عليه ريشه . اللوام : اللوم .
٤ لطوا : أغلقوا . القرام : الستر الأحمر .

لا طَوَتْ عنّا اللّيالي مَنْ غدا   للوَرَى غَيْثاً ، وَللدّينِ قِوَامَا
كُلّمَا رَحلَتِ اليَوْمَ فتًى ،   نُوَبُ الأيّامِ زَادَتْكَ مَقَامَا

لولا قوام الدين

قال أيضاً يستعفي بهاء الدولة من تدبير الأعمال التي ناطها به ويسأله صونه عنها ورفعه عن التلبس بها استثقالا لها وزهداً فيها وذلك في ذي القعدة سنة ٤٠٠ :

يا مَنْ رَأى البَرْقَ عَلى الأنْعَمِ   يَطْوِي بِسَاطَ الغَسَقِ المُظْلِمِ[1]
مُحْمَرّةً مِنْهُ كِفَافُ الدُّجَى ،   نَضْحَ جِرَاحِ الفَرَسِ الأدْهَمِ
قَامَ نِسَاءُ الحَيّ يَقْبِسْنَهُ   نَاراً مِنَ الإيمَاضِ لَمْ تُضْرَمِ
تَطَاوَلَ المُنْجِدُ ضَنّاً بِهِ ،   وَقَدْ عَطَا للبَلَدِ المُتْهِمِ[2]
حَتّى رَمَى الإصْبَاحَ في لَيْلَةٍ ،   لَفّتْ إزَارَ الرّجُلِ المُحْرِمِ
لا جَازَ مَغْنَاهُمْ بذاتِ النّقَا   قَطْرُ الغَوَادِي وَطِلالُ السُّمي[3]
وَلَوْا عَلى قَلْبي عَنِيفَ الجَوَى .   يُعَاقِبُ القَلْبَ . وَلَمْ يُجرِمِ
اللهَ في طَرْفٍ بِكُمْ دامِعٍ ،   دامٍ ، وَقَلْبٍ بِكُمُ مُغْرَمِ

١ الأنعم : موضع بالعالية .
٢ المنجد : القاصد نجداً . عطا : رفع . المتهم : القاصد تهامة .
٣ السمي ، الواحد سماء : المطر .

لا يَتْعَبُ العَاذِلُ في حُبّهِمْ ، قَدْ ذَهَبَ السّهْمُ بقَلْبِ الرّمي
عَيْني مَعَ اليَقظَى غَرَاماً بهِمْ ، وَعَيْنُ مَنْ يَلْحَى مَعَ النُّوّمِ
لَوْلا قِوَامُ الدّينِ ما استَوْسَقَتْ أعْنَاقُهَا في السَّنَنِ الأقْوَمِ[1]
وَلا رَأيْنَا النّجْمَ ذا خِيفَةٍ ، مِنْ قَارِعِ الحَافِرِ وَالمَنْسِمِ
يُغيرُ للمَجْدِ ، إذا غَيرُهُ أغَارَ للسّلّةِ وَالمَغْنَمِ[2]
لا يَصْحَبُ الأغْمَادَ مَنْ لمْ تزَلْ سُيُوفُهُ في حُلَلٍ مِنْ دَمِ
لله نَعْلٌ حُذِيَتْ في العُلَى أخْمَصَ ذاكَ العَارِضِ المُرْزِمِ
يَوَدّ لَوْ أصْبَحَ شِسْعاً لهَا ، نِجادُ عُنْقِ المَلِكِ الأعْظَمِ[3]
أغَرُّ مِنْ غُرٍّ رَبَوْا في العُلَى ، وَأفْصَحُوا بالكَرَمِ الأعْجَمِ
بَنَوْا عَلى مُضْطَرِبَاتِ القَنَا ، بِنَاءَ عِزٍّ غَيرِ مُسْتَهدِمِ
تُشَبّ بِالمَنْدَلِ نِيرَانُهُمْ ، لِطَارِقِ اللّيْلِ ، وَلَمْ يُظْلِمِ
لا يُدْفَعُ الأضْيَافُ مِنْهُمْ إلى مَمْنُونِ زَادٍ وَقِرًى مُعتِمِ[4]
قَلّتْ عُيُونُ النّاسِ عَنْ نَيلِهِم، فَعَوّذُوا مِنْ أعْيُنِ الأنْجُمِ
أسَاوِدٌ تُنْتِجُهَا في العُلَى أسْدٌ إلى أمْثَالِهَا تَنْتَمي
فيَخرُجُ الأرْقَمُ مِنْ ضَيغَمٍ ، وَيَخْرُجُ الضّيْغَمُ مِنْ أرْقَمِ

١ السنن : نهج الطريق .

٢ السلة : السرقة .

٣ الشسع : قبال النعل . النجاد : حمائل السيف .

٤ الممنون : المقطوع . المعتم : البطيء .

سُمِّيَتِ الغَبرَاءُ في عَهْدِهِمْ … حَمراءَ مِنْ طُولِ قُطَارِ الدّمِ
تَحْمَرُّ مِنهَا كُلُّ مُخْضَرّةٍ ، … كَأنّ لا نَبْتٌ سِوَى العَنْدَمِ
كُلٌّ فَتًى يَفْضَحُ أطْوَاقَهُ ، … وَجْهٌ مُضِيءُ الجِيدِ وَالمَلْطَمِ [1]
للبِشْرِ في دِيبَاجِهِ لامِعٌ ، … طِرَازُ عَصْبِ اليَمَنِ المُعْلَمِ [2]
قَوْمٌ رِبَاطُ الخَيلِ في دُورِهِمْ ، … كَالبُهْمِ في غَامِدَ أوْ يَقْدُمِ [3]
مِن كُلّ مَحبوكِ القَرَا مِحصَفٍ … أمِرّ فَتْلُ الرّسَنِ المُبْرَمِ [4]
كَأنّهُ يَنْظُرُ مُسْتَوْجِساً … رَبِيئَةً قَامَ عَلَى مَخْرِمِ [5]
مَتَى أرَاهَا كَذِئَابِ الغَضَا ، … تُحَرِّضُ الهَائِبَ بِالمُقْدِمِ
أعِنّةُ الفُرْسَانِ أعْرَافُهَا ، … عَجْلَى عَنِ المُسْرَجِ وَالمُلْجَمِ
مِنْ فارِسٍ يَحمِلُ أُسدَ الشّرَى … لِمُلتَقَى يَوْمِ رَدًى أيْوَمِ
تَرْمي جِبَالُ الثّلْجِ مِنْ قَدْحِها … نَارَ الوَغَى بالشّرَرِ المُضْرَمِ
أرْعَنُ قَدْ كَدّرَ مَاءَ الحَيَا … في مُزْنِهِ بِالرَّهَجِ الأقْتَمِ [6]
يَوْمٌ يَوَدّ القِرْنُ لَوْ أنّهُ … يَزِيدُ في الرّمْحِ مِنَ المِعْصَمِ

١ الملطم : الخد .
٢ الديباج : ثوب سداه ولحمته من الابريسم ، أي الحرير . العصب : من برود اليمن . المع
الذي جعل له علم من طراز وغيره .
٣ البهم ، الواحد بهمة : أولاد الضأن والمعز والبقر . غامد : أبو قبيلة وكذلك يقدم .
٤ القرا : الظهر . المحصف : الشديد الركض . أمر : أحكم فتله .
٥ مستوجساً : مستمعاً الصوت الخفي . المخرم : أنف الجبل .
٦ الأهوج : الأحمق . الرهج : الغبار والسحاب بلا ماء . الأقتم : الأسود .

كَمْ قُلَّةٍ مُمْتَنِعٍ طَوْدُهَا   إلاّ عَلى ذي الجُدَدِ الأعْصَمِ[1]
قَدْ أمْسَتِ الخَيْلُ ضُيُوفاً بِهَا   للوَعِلِ العَاقِلِ وَالقَشْعَمِ[2]
ثَلَّمتهَا كَيداً ، وكَمْ شابَكَتْ   أيْدي المَقَادِيرِ وَلَمْ تُثْلَمِ
يُخَالُ بَاقِي رَوْقِ أطْوَادِهَا   بَاقِيَ أنيَابِ فَمِ الأهْتَمِ
قَدْ يَنْفُذُ الحِلْمُ عَلى غَرْزَةٍ   بِمُحفِظَاتِ الغَادِرِ المُجْرِمِ[3]
وَطُولُ نَزْفِ النَّغْبِ يَفني بِهِ   غَمْرُ جُمَامِ الغَدِقِ المُفْعَمِ[4]
أقْدَمَ للحَيْنِ ، وَيَا رُبَّمَا   أجلَى الوَغى ، وَالغُنْمُ للمُحجِمِ[5]
يَسلَمُ كَعبُ الرّمحِ مُستَأخِراً ،   وَيُوقِعُ الإقْدَامُ باللَّهْذَمِ[6]
مَا كَانَ إقْداماً . وَلَكِنّهُ   تَسَرُّعُ العَيرِ عَلى الضّيغَمِ[7]
وَلّى ، وَقَدْ أرْدَفَ هَدّارَةً ،   يَقْظَى عَلى اللّيْلِ لَغُوطَ الفَمِ[8]
لا يُؤمَنَنْ . بَعدَ كَلالِ الشَّبَا ،   كَمْ صَائِلٍ بالسّاعِدِ الأجْذَمِ
قَدْ يَهْلِكُ النّسْرُ ، وَفي رِيشِهِ   عَوْنُ الرّدى الجَارِي معَ الأسهُمِ

١ قلة الجبل : أعلاه . الجدد : العلامات ، الواحدة جدة . الأعصم : الوعل في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر .

٢ الوعل : تيس الجبل . العاقل : صفة للوعل ، والصاعد . القشعم : النسر العتيق .

٣ الغرزة : ضد الحلم ، الجهل .

٤ النزف : نزح الماء . النغب : حسو الطائر . الغدق : الماء الكثير . المفعم : المملوء . وبكسر العين : المالىء .

٥ الحين : الهلاك . المحجم : المتأخر . المتردد عن الإقدام .

٦ اللهذم : القاطع من الأسنة .

٧ العير : الحمار وغلب على الوحشي . الضيغم : الأسد .

٨ اللغوط : الكثيرة الجلبة ، والأصوات المبهمة التي لا تفهم .

[illegible] المَالَ ، وَيَأبَى الغِنَى، إلاّ مِنَ الذّابِلِ وَالمِخْذَمِ
لا يَدّخرُ الضّيغَمُ مِنْ قُوتِهِ ، مَا يَدّخَرُ النّمْلُ مَنَ المَطْعَمِ
لا تَستَشِرْ غَيرَكَ في كَيّهَا ، قَدْ بَلَغَ الدّاءُ إلى المِيسَمِ
وَاخطُبْ على سَيفِكَ بِكرَ العُلَى، فَقَدْ تَمَلأتَ مِنَ الأيّمِ
حُسَامُكَ النّصْرُ، فَصَمّمْ بِهِ ، وَدِرْعُكَ الإقْبَالُ ، فَاستَلْئِمِ
لا يُصْلِحُ النّاسَ لأرْبَابِهِمْ ، غَيرُ بَيَاضِ السّيْفِ وَالدّرْهَمِ
يا مُلْبِسِي النُّعْمَى التي أوْرَقَتْ عُودي مِرَاراً وَكَسَتْ أعظُمي
وَمُطْلِعِي في رَأسِ عَادِيّةٍ تَخْسَأُ طَرْفَ الجَذَعِ الأزْلَمِ[1]
نَزْعُ العُلَى عَنّي كَإلْبَاسِهَا، وَالغُنْمُ بالبَذْلَةِ كَالمَغْرَمِ
أكْرَمُ عَنْهَا ، وَبِهَا مَرّةً ، كِلاهُمَا عِنْدي مِنَ الأنْعُمِ
وَكَيْفَ نَوْمُ المَرْءِ مِنْ تَحتِهِ ، دونَ الكَرَى مُضْطَرِبُ الأرْقَمِ
بَينَ خِصَافَيْ نَعْلِهِ شَوْكَةٌ إنْ شَدّدَ الوَطْءَ عَلَيها دَمي
فَامْلِكْ بِهَا رِقّي وَحَرّرْ بِهَا عُنْقي . وَرِقُّ الحُرّ للمُنْعِمِ
وَحُزْ بِهَا مَا بَقِيَ العُمْرُ لي صَفَاءَ قَلْبي ، وَصَفَايَا فَمي
غَوْثُكَ مِنها يا غِيَاثَ الوَرَى ، قَدْ ثَقُلَ العِبْءُ عَلى المَهْرَمِ
صُونُوا بهَا عِرْضِي وَوَجهي مَعاً، صَوْنَهُمَا في الزّمَنِ الأقْدَمِ
لا تَحْسَبُوا أنّي ، عَلى جُرْأتي ، أحجَمتُ حتّى ضَاقَ لي مَقدَمي

[1] العادية : البناية القديمة الممتنعة . تخسأ طرفه : تجعله كليلا . الجذع الأزلم : الدهر الشديد البلايا .

مَا لانَ عُودي في يَدَيْ غَيرِهَا ، يَوْماً ، وَلا خَارَ عَلى مَعْجَمِ[1]
عَطْفاً عَلَينَا أنْ يَقُولَ امرُؤٌ : إنّ عَلُوقَ المَجْدِ لمْ تَرْأمِ[2]
يُخدَعُ بالشّهْدِ مَذاقُ الفتَى ، وَرُبّمَا آلَ إلى العَلْقَمِ
عَظِيمَةٌ نَادَيتُ مِنْ ثِقْلِهَا بالبَازِلِ النّاهِضِ بِالمُعْظَمِ
عَادَاتُ إحْسَانِكَ أمْثَالُهَا : قَدْ لَوَّمَ الدّهْرُ بِهَا ، فاكرِمِ
وَطُلْ وَصُلْ وَاعْفُ وَهَبْ وَانتقم وَابقَ وَدُمْ وَاعلُ وَثِبْ وَاسلَمِ

كفان من ندى ودم

قال قدس الله تعالى روحه يمدح فخر الملك وكتب بها إليه وهو بفارس :

أحَقُّ مَنْ كَانَتِ النَّعْمَاءُ سابِغَةً عَلَيْهِ مَنْ أسبَغَ النُّعمَى على الأُمَمِ
وَأجدَرُ النّاسِ أنْ تَعنُو الرّقَابُ لَهُ مَنِ استَرَقّ رِقَابَ النّاسِ بالنّعَمِ
إذا سَمَا فإلى العَلْيَاءِ نَهضَتُهُ ، وَإنْ مَشَى فَعَلى الأعناقِ وَالقِمَمِ
للهِ أمٌّ تَلَقّتْهُ بِرَاحَتِهَا ، مَاذا تَلَقّتْ إلى الدّنْيَا مِنَ الكَرَمِ
في صِبْيَةٍ للمَعَالي كَانَ أوْلَعَهُمْ بالمَكْرُمَاتِ ، وَألقَاهُمْ إلى الدِّيَمِ

١ خار : ضعف . المعجم : من عجم العود إذا عضه ليعرف صلابته من خوره ، رخاوته .
٢ العلوق : الناقة التي تعطف على غير ولدها . لم ترأم : لم تحن .

كَمْ غِبتُ عنه، وَما غابَتْ مكارِمُه، | وَنِمْتُ عَنْهُ بِآمَالي، وَلَمْ يَنَمِ
لا يُتْبِعُ المَالَ أنْفاساً مُصاعدَةً، | وَلا يُعيرُ العَطَايَا زَفْرَةَ النّدَمِ
يا مُمْرِضاً بالمَسَاعي قَلبَ حاسِدِهِ، | على العُلى، وَمُداوِي الفَقْرِ وَالعَدَمِ
أقْبَلْتَهَا بِسِيَاطِ العَزْمِ تَحفِزُها | للطّعنِ، لا بعِرَاكِ العُذْرِ وَاللُّجُمِ
مِنْ دَوْمَةٍ بِجِبَالِ الغَوْرِ حَامِلَةٍ | حَقائِبَ المَوْتِ للأعْداءِ وَالنِّقَمِ
عَلى قَطَاهُنّ صَدّارُونَ عَنْ نَهَلٍ | مِنَ القَوَاضِبِ وَرّادُونَ للقُحَمِ[1]
طَرِيدَةٌ للعُلَى جَلّى، فَأدْرَكَهَا | بَعدَ المِطالِ، جَنَاحُ الأجدَلِ الضّرِمِ[2]
أقَامَ سُوقَ المَسَاعي، وَهيَ بائِرَةٌ، | مجَالُ عَزْمِكَ بَينَ السّيفِ وَالقَلَمِ
فَفي النّزَالِ يَدٌ حَمرَاءُ مِن علَقٍ؛ | وَفي النّوَالِ يَدٌ بَيضَاءُ مِنْ كَرَمِ
أعيَا الرّجالَ وَإنْ عَزّوا وَإنْ كَرُمُوا، | مَكَانُ كَفّيكَ فيها من نَدًى وَدَمِ

[1] القطا: مقعد الرديف من ظهر الدابة. القحم: عظائم الأمور
[2] الأجدل: الصقر. الضرم: الجائع.

لكم حرم الله

قال قدس الله تعالى روحه في بعض الأغراض :

لَكُمْ حَرَمُ اللهِ المُعَظَّمُ لا لَنَا ، وَبَطْحَاؤهُ وَالأخشبَانِ وَزَمزَمُ[1]
وَمَا رَدَّ شِعْبَ المَأزِمَينِ على مِنًى ، وَجَمعٍ ، وَما وَارَى السّتارُ المُحَرَّمُ[2]
لئِنْ لمْ تُصَبّحْكُمْ بِها مُستَغيرَةٌ ، كَصَكّةِ أنفِ المَرْءِ يَتبَعُها الدّمُ

من محبس المجد

قال قدس الله تعالى روحه يشكر ملك الملوك قوام الدين على إخراج مكاتبته بالشريف الأجل مضافاً إلى الخطاب بالكناية بعد أن كان الخطاب بالشريف الجليل ابتداء من غير مسألة وذلك في ذي القعدة سنة ٤٠١ :

ثَوّرْتُهَا تَنْتَعِلُ الظّلامَا ، لا نَقْوَ أبْقَينَ وَلا سُلامَى[3]
قُوداً . إذا اللّيلُ بِهَا تَرَامَى ، مَرَقْنَ مِنْ ظَلْمَائِهِ سِهَامَا

١ الأخشبان : جبلان في مكة وهما أبو قبيس والأحمر ، وجبلا منى . زمزم : بئر في مكة
٢ المأزمان : مضيق بين جمع وعرفة ، وآخر بين مكة ومنى . وجمع اسم لمزدلفة .
٣ النقو : كل عظم له مخ . السلامى : عظام صغار في اليد والرجل .

تُرَجِّعُ الحَنينَ وَالبُغَامَا ، شكوَى المريضِ ماطَلَ السّقامَا[1]
أعلقْتُهَا مِنَ النّدَى زِمَامَا ، لا وَاهِنَ العَقْدِ ، وَلا رِمَامَا
أي غِيَاثَ الخَلْقِ وَالقِوَامَا ، إنّ بِأرْجَانَ لَنَا غَمَامَا[2]
هَا أوْشكي أنْ تَرِدي الجِمَامَا غَمْراً ، يَزِيدُ لُجُّهُ التِطَامَا
إنْ نَاطَحَ الأكْرَادَ وَالأرْوَامَا ، يُرَوّحُ الإحسَانَ وَالإنْعَامَا[3]
إذا الرّجَالُ رَوّحُوا الأنعَامَا ، قَوّمَ دَرْءَ الدّينِ فَاستَقَامَا[4]
قَدْ وُلِدَ المَجْدُ لَهُ تَمَامَا ، إذا رَأيْنَا المَلِكَ الهُمَامَا
نَرَى سَرِيراً يَحْمِلُ الأنَامَا ، وَالسّوْدَدَ القُدامِسَ القُدَامَا[5]
إنّ عَلَى أعْوَادِهِ الضِّرْغَامَا تُخدِجُ مِنْ هَيبَتِهِ السُّلامَى[6]
تَعنُو المُلُوكُ حَوْلَهُ إعْظَامَا ، تَستَكْثِرُ اليَوْمَ لَهُ القِيَامَا
أسْداً تَرَاهَا عِنْدَهُ بِهَامَا . شُلّتْ يَدُ الجاذِبِ ماذا رَامَا[7]
مِنْ بَازِلٍ قَدْ مَنَعَ الخِطَامَا . وَأعْجَزَ الوِرَاكَ وَالزّمَامَا[8]
لا يَعْرِفُ الرّحْلُ لَهُ سَنَامَا . وَلّى الأعَادي مَنكِباً حَطّامَا

١ البغام ، من بغمت الناقة : قطعت الحنين ولم تمده .
٢ قوله : أي غياث ، هكذا في الأصل والوزن مختل ولعلها أيا .
٣ يروح : أي يعمل هذا مرة وذاك أخرى ، يراوح بين أمرين .
٤ روحوا : ردوا الإبل إلى المراح ، أي المأوى . الأنعام : الإبل الراعية . الدرء : العوج .
٥ القدامس : الشديد . القدام : القديم .
٦ تخدج : تنقص . السلامى بالضم : كل عظم مجوف من صغار العظام ، وبالفتح : ريح الجنوب
٧ البهام ، الواحدة بهمة : أولاد الضأن والمعز والبقر .
٨ الوراك من الرحل : الموضع الذي يجعل عليه الراكب رجله إذا مل من الركوب .

يَوْمَ الضِّغَاطِ يَأمَنُ الزّحَامَا ، مِنْ مَعشَرٍ تَفَرّعُوا الأعْلامَا
مُطَاوِلاً مَجدُهُمُ الأيّامَا ، حَلّوا القُصُورَ البِيضَ وَالآطامَا
يُخالِطُونَ الشَّرْبَ وَالمُدامَا ، وَالعَازِفَاتِ الغُرَّ وَالنَّدامَى
كَرَائِماً لاقَيْنَهُمْ كِرَامَا ، حتّى إذا يَوْمُ الرّدَى أغَامَا
مُحتَزِماً قَدْ لَبِسَ القَتَامَا ، رَأيْتَهُمْ ضَرَاغِماً تَسَامَى
عَلى الجِيَادِ تُعْلَفُ الإلجَامَا في البِيدِ لا ظِلٌّ ، وَلا خِيَامَا
غَدَوْا يُبَارُونَ بِهَا النّعَامَا ، مُرَابِعِينَ الحَامِلَ الهَمهامَا[1]
مِنْ كُلّ أقْنَى يَنفُضُ اللّجَامَا كالنّصْلِ إلاّ الفُوقَ وَاللّؤامَا[2]
إنْ قَعَدَ الخَطْبُ إلَيْهِ قَامَا ، حتّى يُرَوّي الرّمحَ وَالحُسَامَا
يَقظانُ مُنْذُ ذُمَّ الكَرَى ما نامَا ، قَدْ بَعَثُوهُ شَائِماً ، فَشَامَا[3]
مِنْ مَقبِسِ المَجدِ لهُمْ ضِرَاما جَاءَ بِهِ يَضْطَرِمُ اضْطِرَامَا
حُلّوا الحُبَى بُلّغتُمُ المَرَامَا ، سَعْيٌ كَفَى الآبَاءَ وَالأعْمَامَا
كَمْ قَلّدُوني النِّعَمَ الجِسَامَا ، سَوَابِغاً تَرْفَعُ لي الأعْلامَا
أمْطَوْنيَ الغَارِبَ وَالسّنَامَا ، وَطَالَ ما غاظُوا بيَ الأقوَامَا
وَجَدّدُوا الأحْقَادَ وَالأوْغَامَا ، هُمْ قَدّمُوني في العُلَى أمَامَا[4]

١ مرابعين ، من رابعه الحمل : أي رفع معه العدل بالمربعة على ظهر البعير . والمربعة : خشبة تستعمل لرفع الحمل . الهمهام : الملك العظيم ، والسيد الشجاع .
٢ الأقنى : المرتفع الأنف . الفوق : موضع الوتر من السهم . اللؤام : السهم الذي عليه ريش .
٣ الشائم ، من شام مخايل الشيء : تطلع نحوه ببصره منتظراً له ، وشام البرق : نظر إلى سحابته أين تمطر .
٤ الأوغام : الحروب ، والأحقاد الثابتة في الصدور .

وَأخرُوا عَنْ غَايَتي الإقْدامَا ، فَذَا مِنَ النَّعْمَاءِ أوْ تَوْامَا
كالسّلكِ ضَاعَفتَ بهِ النّظَامَا ، إلى مَ مَدّ بَحرُكُمُ إلى مَا ؟
مُلِئْتُمُ النَّعْمَاءَ وَالدّوَامَا ، عَاماً عَلى رَغْمِ العِدا ، فَعَامَا
تُمَاطِلُونَ القَدْرَ وَالحِمَامَا ، شَمْلُ الثّرَيّا ضَمِنَ المَقَامَا
طَوْقُ الهِلالِ لا يُرَى انفِصَامَا ، لا رَوّعَ الدّهرُ لَكُمْ سَوَامَا
يَوْماً ، وَلا فَضّ لَكُمْ نِظَامَا ، حتّى يُلاقي يَذْبُلٌ شَمَامَا[1]

لا در در السقام

وكتب إليه في كتاب وقد نالته علة :

يا دَهرُ ! ماذا الطُّرُوقُ بالألَمِ ، حَامِ لَنَا عَنْ بَقيّةِ الكَرَمِ
إنْ كُنتَ لا بُدّ آخذاً عِوَضاً ، فَخُذْ حَيَاتي وَدَعْ حَيا الأُمَمِ[2]
لا دَرَّ دَرُّ السّقامِ كَيفَ رَمَى طَبيبَ آمَالِنَا مِنَ السّقَمِ

١ يذبل وشمام : جبلان .
٢ الحيا : الخصب والمطر .

لون الشباب

قال قدس الله تعالى روحه وقد أسرف بعض حاضري مجلسه في استحسان ما وصف به ابن الرومي الجارية السوداء في قصيدته القافية المشهورة على البديهة في المعنى :

وَلا مِثْلُ لَيلي بالشّقيقَةِ وَالهوَى ، يَضُمُّ إلى نَحْرِي غزَالاً مُنَعَّمَا[1]
خلَوْتُ بكالغُصْنِ المُرَنَّحِ فتَحتَهْ أعاليهِ غِبَّ القَطْرِ نَوْراً مُكَمَّمَا
وَأبْيَضَ برّاقِ النّظَامِ كأنّهُ حَصَى بَرَدٍ لَوْ أنّهُ نَقَعَ الظَّمَا
فَسقْياً لألمَى ذي غُرُوبٍ تَخالُهُ غزَالاً رَعَى بالنِّيّ مَرْداً وَعِظْلِمَا[2]
وَلا نَعِمَ الحُمْرُ الشّفاه كأنّمَا تَبَطّنَّ داءً ، أوْ وَلَغْنَ بِهَا دَمَا
أُحِبُّكَ يا لَوْنَ الشّبابِ ، لأنّني رَأيتُكُمَا في القَلْبِ وَالعَينِ تَوْأمَا
سَوَادٌ يَوَدّ البَدْرُ لَوْ كانَ رُقْعَةً بِجِلْدَتِهِ ، أوْ شُقّ في وَجْهِهِ فَمَا
لَبَغّضَ عندي الصّبْحَ ما كانَ مُشرِقاً. وَحَبّبَ عندي اللّيلَ ما كانَ مُظلِمَا
سكَنتَ سَوَادَ القَلبِ إذْ كنتَ شِبهَه، فلَم أدرِ مِنْ عِزٍّ مَنِ القَلبُ منكُمَا
وَمَا كانَ سَهمُ الطّرْفِ لوْلا سَوَادُهُ لِيَبْلُغَ حَبّاتِ القُلُوبِ إذا رَمَى
إذا كُنتَ تَهوَى الظّبيَ ألمَى فَلا تَعِبْ جُنُوني على الظّبيِ الذي كُلُّهُ لَمَى

١ الشقيقة : الفرجة بين الجبلين تنبت العشب .
٢ الألمى : المسود الشفة . النّي : السمن . المرد : من ثمر الأراك . العظلم : نبت يصبغ به .

ما اطول هذا الغرام

قال قدس الله تعالى روحه الزكية
يذم الزمان في صفر سنة ٣٩٢ :

يا قَلْبِ مَا أطْوَلَ هَذا الغَرَامْ ، يَوْمَ نَوَى الحَيِّ، وَيَوْمَ المُقَامْ
في القُرْبِ لَيّانُ دُيُونِ الهَوَى، وَفي نَوَى الدّارِ رَجيعُ السّقَامْ
مُقِيمَةٌ عِنْدَكَ أشْجَانُهُمْ ، وَلا يُلاقُونَكَ إلاّ لِمَامْ
لَمْ يَنْقَعُوا الظّمْآنَ مِنْ غُلّةٍ ، وَلَمْ يُبَالُوا طَرَبَ المُسْتَهَامْ[1]
مَتَى تُفِيقُ اليَوْمَ مِنْ لَوْعَةٍ ، وَأنْتَ نَشْوَانُ بِغَيرِ المُدامْ ؟
صَبَابَةٌ ، وَالحَيُّ قَدْ قَوّضُوا عَنْ جَانِبِ الغَوْرِ عِمادَ الخِيَامْ
سَقَى المَغَاني بِجُنُوبِ النّقَا مَاءُ المَآقي ، ثمّ مَاءُ الغَمَامْ
وَزَائِرٍ زَارَ عَلَى نَأيِهِ ، بَعْدَ الأسَى عَادَ بَعِيدَ الغَرَامْ
أمَنْزِلٌ عِنْدَ عَقِيقِ الحِمَى ، وَمَضْجعٌ عِندي بأعلَى الشّآمْ ؟
زِيَارَةٌ زَوّرَهَا خَاطِرِي ، مَا أقْنَعَ النّفْسَ بِزَوْرِ المَنَامْ
خَدائِعٌ أُغْضِي عَلى عِلْمِهَا . لَعَلّهَا تَنْقَعُ هَذا الأُوَامْ
يَا قَاتَلَ اللهُ الغَوَاني لَقَدْ سَقَيْنَني الطَّرْقَ بُعَيْدَ الجِمَامْ[2]

[1] الغلة : العطش . الطرب : الحزن .

[2] الماء الطرق : الذي خوضته الإبل . الجمام : معظم الماء .

أعرَضْنَ عَنّي حينَ وَلّى الصِّبَا ، وَاختَلَجَ الهَمُّ بقَايَا العُرَامْ[1]
وَشَاعَتِ البَيْضَاءُ في مَفرِقي ، شَعْشَعَةَ الصّبْحِ وَرَاءَ الظّلامْ
سِيّانِ عِنْدي أبَدَتْ شيبَةٌ في الفَوْدِ أوْ طبّقَ عَضْبٌ حُسام[2]
ألْقَى بِذُلّ الشّيْبِ مِنْ بَعْدِها مَنْ كُنتُ ألقاهُ بدَلّ الغُلام[3]
تُرَى جَمِيمُ الشّيْبِ لمّا ذَوَى يُرَاجِعُ العِظْلِمَ بَعدَ الثَّغَام[4]
كَمْ جُدْنَ بالأجيادِ لي وَالطُّلى، فَاليَوْمَ يَبْخَلْنَ بِرَدّ السّلامْ
وَكُنتُ إنْ أقبَلْتُ أسْمَعْنَني قَعاقِعَ الحَلْيِ وَرَاءَ القِرَام[5]
أيّامَ أغْدُو وَالصِّبَا مِقْوَدي ، أسْلَسُ للقَائِدِ طَوْعَ الزّمَامْ
في فِتيَةٍ تَحْسَبُهُمْ لُثّمُوا عَلى العَرَانِينِ بُدُورَ التّمَامْ
تَخَالُ أثْوَابَهُمْ في القَنَا مِنْ شَطَطِ الخَلْقِ وَمطّ القَوَام[6]
إذا دَعَوْا وَالوِرْدُ مُسْتَوْبَلٌ ، دَفّوا إلى الطّعْنِ دَفيفَ النَّعَام[7]
وَظَاهَرُوا النَّقْعَ عَلى زَغْفِهِمْ ، وَرَجّلُوا بالدّمِ سُودَ الجِمَام[8]
وَصَاحِبٍ في الحَيّ جَثّامَةٍ ، مُعَانِقِ الخَفْضِ ، بَطيءِ القِيامْ

١ اختلج : انتزع . العرام من العظم : العراق ، أكل اللحم كله .
٢ الفود : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن .
٣ الدل : التدلل .
٤ جميم الشيب : كثيره . الثغام : نبات يكون بالجبال ، إذا يبس ابيض ويشبه به الشيب .
٥ القرام : الستر الأحمر .
٦ الشطط : تجاوز القدر المحدود . مط : مد .
٧ دفوا : أسرعوا .
٨ الزغف : الدروع . الجمام ، الواحدة جمة : مجتمع شعر الرأس .

لَبّاسَةٍ للعَارِ لا يَأنَفُ الـ ذُلَّ ، وَلا يَألَمُ حَرَّ اللِّطَامْ
قَدْ عَاقَدَ العَجْزَ عَلى أنّهُ يَهُونُ في الضّيمِ بطُولِ المَلامْ
لا يَعْقُدُ المِئْزَرَ في حَادِثٍ ، وَلا يرَى النّصرَ، وَلَوْ بالكَلامْ
نَابٍ ، إذا جَرّبْتَهُ في العِدَا ، وَهوَ على عُنقيَ ماضٍ هَذَامْ[1]
إذا رَأى وَطْفَاءَ عُلْوِيّةً أيقَظَني شَائِمَ بَرْقٍ وَنَامْ
مِنْ مَعْشَرٍ شَبّوا على إحْنَتي، وَأُوجِرُوا بُغْضِيَ عندَ الفِطامْ[2]
أقارِبٌ ، إنْ وَجَدُوا غَمرَةً ، رَاشُوا إلى قَلْبيَ مِرْطَ السّهَامْ[3]
وَيَعْرُفُوني بِالأذَى كُلّمَا لانَ لَهُمْ مَسّيَ عَرْقَ العِظَامْ
جِوَارُهُمْ مِثْلُ نَسيمِ الصَّبَا ، وَغَيْبُهُمْ مِثْلُ أجيجِ الضّرَامْ
سَمَاؤهُمْ تَشمُسُ بي كُلّمَا أظْلَمَ جَوٌّ ، وَبجُودي تُغَامْ
سَيَذْكُرُوني إنْ نَبَا جَانِبٌ مِنَ العِدا ، وَانحَلّ عَقدُ الزّمَامْ
وَأصْحَرَتْ أعْرَاضُهُمْ لِلأذَى ، تُصْرِدُ فيهِنّ نِبَالُ المَرَامْ[4]
مَنْ لَهُمُ مِثْلي ، إذا استُزْلِقَتْ أقْدامُهُمْ يَوْمَ ذَليلِ المَقَامْ
مَنْ لَهُمُ مِثْلي ، إذا أصْبَحُوا بِعارِضٍ يَهضِبُ بِيضاً وَلامْ[5]
وَشَلّتِ الأرْمَاحُ مِنْ أرْضِهِمْ ، طَرْدَ الغَوَاني بَعدَ طَرْدِ السّوَامْ

١ الهذام : السيف القاطع .
٢ الإحنة : الحقد . أوجروا : أراد أشربوا ، أرضعوا .
٣ غمرة الشيء : شدته ومزدحمه . المرط من السهام : ما لا ريش عليه .
٤ أصحرت : برزت إلى الصحراء لا يسترها شيء . تصرد : تخطىء ، وتنفذ .
٥ يهضب : يمطر . اللام : الدروع .

وَالخَيلُ تُستَلدَغُ شَوْكَ القَنَا ، في يَوْمِ لا ظِلٌّ بِغَيرِ القَتَامْ
كَأنّهَا سَيْلُ مَضِيقٍ لَـهُ دُونَ الثّنَايَا زَجَلٌ وَازْدِحَامْ
لأُطْعِمَنَّ اللّيْلَ عِيدِيّةً ، ضَابِعَةً تَكْسُو البرَى باللُّغَامْ[1]
مِثْلَ نَعَامِ الدّوّ هَاهَا بِـهِ مَعَ الدُّجَى بَارِقُ حَيٍّ رُكَامْ
آلَيْتُ لا أحْفِلُ في نَصّهَا إنْ مَرِجَ الغَرْضُ وَرَثّ الخِطامْ[2]
فَوْقَ ذُرَاهَا كَصُدُورِ القَنَا مُخلَصَةٌ مِنْ كُلّ عابٍ وَذَامْ
علّي ألاقي بَعْدَ إطْرَادِهِ حَظّيَ أوْ أبْلُغَ بَعْضَ المَرَامْ
يا دَهْرُ كَمْ تَحدُو بِذِي نُقْبَةٍ مُعْتَرِقِ النّيّ أجَبِّ السّنَامْ[3]
بِصَفْحَتَيْهِ جُلَبٌ قُرّفَتْ ، مِنَ اللّيَالي ، وَكُلُومٌ دَوَامْ[4]
قَدْ أُغْبِطَ المَيْسُ عَلى عَقْرِهِ مَع نَقَبِ المَنْسِمِ عَاماً ، فَعَامْ[5]
في كُلّ يَوْمٍ نَاشِدٌ هِمّةً أضَلّهَا العَاجِزُ في ذا الأنَامْ
يَعَضُّ كَفّيْهِ عَلى حَظّهِ ، وَيَسْألُ الدّهرَ حُظُوظَ اللّئَامْ
يَجُرُّ طِمْرَيْ عَدَمٍ فِيهِمَا ، مُعَذَّلٌ يَفْعَلُ فِعْلَ الكِرَامْ

١ العيدية : الناقة المنسوبة إلى العيدي بن مهرة بن حيدان . الضابعة : المادة أضباعها ، أي أعضادها ، في السير . البرى : التراب . اللغام : لعاب الجمل .

٢ نصها : استخراج أقصى ما عندها من السير . مرج : قلق واضطرب . الغرض : حزام الرحل .

٣ النقبة : أول الجرب . المعترق : قليل اللحم . الني : الشحم . أجب : مقطوع .

٤ جلب ، الواحدة جلبة : القشرة تعلو الجرح . قرفت : قشرت . وكلوم دوام : جراح دامية .

٥ الميس : التبختر . العقر : أثر كالحز في قوائم الإبل . والنقب : رقة خف البعير . المنسم : خف البعير .

لا ضَائِعٌ في الدّهْرِ منْ ذِلّةٍ ،   وَلا خَذُولُ الرِّجلِ يَوْمَ الزّحَامْ
لَوْ أنْصَفَ الدّهْرُ لأوْفَى بِهِ   عَلى رِقَابٍ مِنْ رِجَالٍ وَهَامْ
وَمَا انْتِفَاعُ المَرْءِ يُمْسِي لَهُ   جَدٌّ وَرَاءٌ ، وَطِلابٌ أمَامْ
وَكَانَ رَاعِي كُلِّ تَرْعِيَةٍ   في النّاسِ ، أوْ كانَ إمامَ الإمَامْ

عز كلبدة الضرغام

قال رضي الله تعالى عنه وهي مرثية لبعض أصدقائه من العرب وقتله رجل من بني تميم :

لَعَمرُ الطّيرِ ، يوْمَ ثوَى ابنُ لَيلى ،   لَقَدْ عَكَفَتْ عَلى لَحمٍ كرِيمِ
وَإنّ قَنَا العِدا لَيَرِدْنَ مِنْهُ   دَماً لَمْ يَجْرِ في عِرْقٍ لَئِيمِ
كَأنّ الرّمْحَ يَصْدُرُ مِنْهُ عَدْواً   عَنِ الأجَميّ ذي اللِّبَدِ الكَلِيمِ[1]
وَأُقْسِمُ أنّ ثَوْبَكَ ، يا ابنَ لَيلى ،   لَمَجْمُوعٌ عَلى عِرْضٍ سَلِيمِ
رُزِئْتُكَ كَالوَذِيلَةِ لمْ تُمَتَّعْ   بِهَا ، بَعدَ الوُجُودِ ، يَدُ العَدِيمِ[2]
تَنَامُ ، وَتَتْرُكُ الأضْغانَ يَقظَى   خُمَاشَاتُ الذّوَابِلِ في تَمِيمِ[3]

١ الأجمي : المنسوب إلى الأجمة : الشجر الكثير الملتف . ذي اللبد : الأسد .
٢ الوذيلة : القطعة من الفضة المجلوة .
٣ الخماشات من الجراحات : ما ليس لها ارش معلوم .

إذا نَزَعُوا المَلابِسَ أذْكَرَتْهُمْ دُخُولَ يَدَيْهِ آثارُ الكُلُومِ
وَمَنْ مَطَلَ الدُّيُونَ أعَدَّ صَبراً عَلى عَنَتِ المُطالِبِ وَالغَرِيمِ
تَداعَتْ لي بِمَصْرَعِهِ اللّيالي ، وَأُوعِبَتِ النّوائِبُ في أدِيمي
وَنابَتْ رَأسِيَ الوَفَرَاتُ حَتّى تَطَأطَأ ، حنوَةَ الرّجلِ الأميمِ[1]
وَتَقْتَرِنُ القَوارِعُ في جَناني ، قِرانَ النَّبْلِ في الغَرَضِ الرّجيمِ
أألجْزَعُ إنْ حَطَمْنَ حِجازَ أنْفي ، وَهُنّ يَقِصْنَ أعناقَ القُرُومِ[2]
وَمَا لي لا أُرَاعُ ، وَقَدْ رَمَتْني يَدُ الحُلّى بِقَارِعَةِ التّميمي[3]
أحِنُّ إلَيْهِ ، وَاللُّقْيا ضِمارٌ ، حَنينَ العَوْدِ للوَطَنِ القَديمِ[4]
وَأنْشُدُهُ ، وَأعْلَمُ أينَ أمْسَى ، مِطالاً للبَلابِلِ وَالهُمُومِ
كَأدماءِ القَرَا نَشَدَتْ طَلاها ، وَمَا وِجْدانُ جَازِيَةٍ بَغُومِ[5]
تُطيعُ اليَأسَ ثمّ تَعُودُ وَجْداً إلَيْهِ ، بالمقَصّةِ وَالشّميمِ[6]
يُعارِضُني بِذِكْرِكَ كُلُّ شَيْءٍ ، عِدادَ الدّاءِ غَبَّ عَلى السّليمِ
أجِدَّكَ أنْ تَرَى بَعدَ ابنِ لَيلى طِعاناً بَينَ رَامَةَ وَالغَميمِ

١ تطأطأ : انخفض . الأميم : الذي أصيبت أم رأسه .
٢ يقصن : يكسرن .
٣ قوله : التميمي ، لعله يشير إلى متمم بن نويرة التميمي ، والقارعة التي أصيب بها هي مقتل أخيه مالك ، قتله خالد بن الوليد في حرب أهل الردة .
٤ الضمار : الذي لا يرجى عوده .
٥ ادماء : أي ظبية بيضاء . نشدت : طلبت . طلاها : ولدها . الجازية : البقرة الوحشية . البغوم : التي تصيح لولدها بأرخم ما يكون من صوتها .
٦ المقصة ، من قص أثره : تتبعه . الشميم : الشم .

وَلا نَقْعاً يَثُورُ عَلى مُغِيرٍ ، وَلا بَيْتاً يَظَلُّ عَلى مُقِيمِ
وَلا لَجَّ الصّهِيلَ مُسَوَّمَاتٌ مجَجنَ دَماً على عَلِكِ الشّكِيمِ
جَعَلْنَ ثِيَابَ بِذْلَتِها الدّيَاجي ، وَقَسْطَلَهَا غِمَاداً للنّجُومِ
وَلا أسَلاً إسِنّتُهَا ظِمَاءٌ ، مُنِعْنَ مَنَابِتَ الكَلإِ العَمِيمِ
وَلا عُوداً مِنَ الأحْسَابِ يُمسِي نَقيَّ اللّيْطِ مِنْ عُقَدِ الوُصُومِ[1]
فَكَانَ كَلِبدَةِ الضِّرْغَامِ عِزّاً، إذا ذَلّ المُوَقَّعُ للخُصُومِ
إذا أرْعَى بِأرْضٍ لَمْ تَجِدْهُ يُشَارِكُ في الجِمَامِ وَفي الجَمِيمِ
أأرْجُو للحَوَاضِنِ كابنِ لَيلَى ، أحَلْتُ ، إذاً ، عَلى بَطنٍ عَقِيمِ

الكرامة لا المكرمات

قال رضي الله تعالى عنه يمدح الخليفة الطائع لله ويعاتبه على تأخير الإذن له في لقائه بمجلس خاص وقد اتصلت المواعيد بذلك وذلك من قبل أن يصل إليه ويخلع عليه وذلك سنة ٣٧٩ :

ضَرَبْنَ إلَيْنَا خُدُوداً وِسَامَا ، وَقُلْنَ لَنا: اليَوْمَ مُوتوا كِرَامَا
وَلا تَبرُكُوا بِمُنَاخِ الذّلِيلِ ، يُرَحِّلُهُ الضّيمُ عَاماً ، فَعَامَا
إلى كَمْ خُضُوعٌ لِرَيْبِ الزّمَانِ ، قُعُوداً ، ألا طَالَ هَذا مَنَامَا

[1] الليط : قشر القصب . الوصوم : العقد في العود ، الواحد وصم .

وَلا أنفَ تَحمي لهذا الهوَانِ ، وَلا قلبَ يأنَفُ هذا المَقَامَا
فإنْ رَابَكُمْ مَا يَقُولُ النّصيحُ، فسالُوا القَنا،وَاستَشيرُوا الحُسامَا[1]
وَأدْنُوا العَلِيقَ إلى المُقْرَبَاتِ ، تَقُلْ لَكُمُ لَيسَ إلاّ اللّجَامَا
تَيَقّظْتُمُ لِدِفَاعِ الخُطُوبِ، فَلِمْ تَتْرُكُونَ الأعَادِي نِيَامَا
ألَسْنَا بَني البِيضِ مِنْ هاشِمٍ أعَزَّ جَنَاباً وَأوْفَى ذِمَامَا
وَمَا تَفْتَلِينَا المَنَايَا غُلامـاً يُؤمَّلُ إلاّ افْتَلَيْنَا غُلامَا[2]
لَنَا كُلُّ مُغْتَرِبٍ في العَلا ءِ لا يَطْرُقُ الحَيَّ إلاّ لِمَامَا
وَقَدْ كَانَ إنْ شَمّ ضَيْماً أبَى ، فَمِنْ أينَ عُلّمَ هذا الشِّمَامَا
إلى الطّائِعِ العَدْلِ أعْمَلْتُهُـ نّ سَوْمَ القَطا يَدّرِعنَ الظّلامَا[3]
كَأنّي أرُوعُ بِهَا جِنّـةً ، إذا التَبَسَتْ بالدُّجَى، أوْ نَعَامَا[4]
يَقُولُ الرّفَاقُ ، إذا رَجّعَتْ مِنَ الأينِ جَرْجَرَةً أوْ بُغَامَا[5]
لَكَ اللهُ جَعْجِعْ بأنضَائِهِنّ تُعَفَّ السّنَامَ وَتَنْقِ السُّلامَى[6]
إلى أينَ خَلْفيَ أثْني العِنَانَ ، إذا مَا وَجَدْتُ أمَامي إمَامَا

١ سالوا : مسهل اسألوا .
٢ تفتلينا ، من افتلاه : فطمه وعزله عن أمه .
٣ أعملتهن : سقتهن . السوم : سرعة المر .
٤ الجنة : الجان .
٥ الأين : التعب . الجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرته . البغام ، من بغمت الناقة: قطعت الحنين ولم تمده .
٦ جعجع : أنخ . أنضائهن ، الواحد نضو : المهزول . تعف ، من عفاه : محاه . تنق ، من نقى العظم : استخرج مخه .

إذا مَا أنَخْنَا إلى ابنِ المُطيعِ حَمِدْنَا السُّرَى وَأطَلْنَا المُقَامَا
إمَامٌ تَرَى سِلْكَ آبَائِهِ ، بُعَيْدَ الرّسُولِ ، إمَاماً إمَامَا
يَعُدُّ لِعَلْيَائِهِ هَاشِماً ؛ إذا مَا الأذِلاّءُ عَدّوا هِشَامَا
مِنَ الرّاكِزِينَ الرّمَاحَ الطِّوَا لَ ، وَالرّافِعِينَ العِمَادَ العِظَامَا
إذا مَا بَنَوْا بَيْتَ أُكْرُومَةٍ أطالوا السُّموكَ وَمَدّوا الدِّعَامَا[1]
مَعَ الشّمسِ قَدْ فَرَشُوهُ نجُوماً مِنَ العِزّ أوْ ظَلّلُوهُ غَمَامَا
كَأنّكَ تَلْقَى بُدُوراً تُضِيءُ ، إذا طَلَعُوا ، أوْ قُرُوماً تَسَامَى
هُمُ استَيقَظوا وَحدَهم للخُطوبِ، فَقَامُوا بهَا . وَأنَامُوا الأنَامَا
لَهُمْ نَسَبٌ كَاشتِبَاكِ النّجومِ تَرَى للمَنَاقِبِ فِيهِ ازْدِحَامَا
مُضِيءٌ كَشَعْشَعَةِ المَشرَفيّ ، يَنْفي الظّلامَ ، وَيَأبَى الظِّلامَا[2]
يَزُرّ السّمَاحُ عَلَيهِ الشُّفُوفَ . وَيُلْبِسُهُ العِزُّ بَيْضاً وَلامَا[3]
عَلَيْهِ مِنَ المُصْطَفَى لامِعٌ يُمِيطُ الأذَى وَيُجَلّي القَتَامَا
إذا أنْشَأُوا للعِدَا عَارِضاً أسَالَ بِوَادِيهِمُ ، أوْ أغَامَا
وَبَاتُوا قَدِ اكتَحَلُوا بالطّعَانِ ، وَقَدْ رَجّلُوا بالنّجيعِ الجُمَامَا[4]
وَطَارَتْ بقَلْبِهِمُ المُقْرَبَا تُ تَرْكَبُ أعقَابُهُنّ القُدَامَا

١ السموك ، الواحد سمك : السقف ، أو من أعلى البيت إلى أسفله .
٢ المشرفي : السيف ، نسبة إلى مشارف وهي قرى من أرض العرب . الظلام بالكسر : الظلم .
٣ الشفوف : الأثواب الرقيقة . البيض ، الواحدة بيضة : الخوذة . اللام ، الواحدة لأمة : الدرع
٤ رجلوا : سرحوا . النجيع : الدم . الجمام ، الواحدة جمة : مجتمع شعر الرأس .

وَقَدْ طَوّحَ الألْمَعيُّ العِنَانَ مِنَ الرّوْعِ ، وَالأعوَجيُّ الحِزَامَا[1]
كَأنّ الرّمَاحَ بِأعْجَازِهَا ، يَمَانِيَةٌ تَسْتَهِلُّ الغَمَامَا[2]
شَوَاحٍ مِنَ الطّعْنِ أفْوَاهَهَا ، كمَا جَرّتِ النّاصِحُونَ الجِلامَا[3]
رَمَوْا في بُيُوتِهِمُ جَمْرَةً ، أطَالُوا القُعُودَ لهَا وَالقِيَامَا
إذا ذَكَرُوا الوِتْرَ حَزّوا الرّقَابَ ، وَإنْ ذَكَرُوا العَفوَ جَزّوا اللِّمَاما[4]
عَلاؤكَ أعظَمُ مِنْ أنْ يُرَامَ ، وَمَجْدُكَ أمْنَعُ مِنْ أنْ يُضَامَا
وَأنْتَ المُعَظَّمُ في هَاشِمٍ ، إذا مَا بَدَا بَادَوْهُ قِيَامَا
وَأخْلَوْا لَهُ مُعْشِبَاتِ العَلا ءِ يَرْعى الجَميمَ وَيُسقي الجِمَامَا
مَشَيْتَ البَرَاحَ ، وَرَاحَ الذّلِيـ لُ يُوصِدُ بَاباً ، وَيُرْخي قِرَامَا
وَمَا كُنتُمُ ،الدّهرَ،إلاّ الرّعَاةَ ، وَلا سَائِرُ الخَلْقِ إلاّ السَّوَامَا
حَلَفْتُ بِهَا كَقِسِيِّ النّبَا عِ تَحسَبُ أعنَاقَهُنّ السّهَامَا
كَحَافِلَةِ المُزْنِ آنَسْتُهَا مُسَمَّحَةً في قِيَادِ النُّعَامَى
وَكُلِّ فَنِيقٍ إلى نَاقَةٍ يُسَاقِطُهَا زَبَداً ، أوْ لُغَامَا
وَكُلِّ ابنِ لَيْلٍ عَلى مُقرَمٍ ، إذا مَا وَنَى زَاغَ مِنهُ الزِّمَامَا
وَللرّحْلِ لَحْيَانِ في دَفّهِ ، إذا اجلَوّذَ اللّيْلُ لاكَ السّنَامَا[5]

١ الألمعي : الذكي ، المتوقد الذهن ؛ وهو هنا اسم فرس ، وكذلك الأعوجي ، وكان لبني هلال .
٢ يمانية : أي بروق يمانية . تستهل : تستمطر .
٣ شواح أفواهها : فاتحات أفواهها . الناصحون : الخياطون . الجلام ، الواحد جلم : المقص .
٤ الوتر : الثأر ، أو الظلم .
٥ اجلوذ الليل : ذهب .

يَبِيتُ كَأنّ بِهِ أوْلَقاً ، مِنَ السّيرِ ، أوْ خابِلاً ، أوْ عُدَامَا[1]
يُؤدّي أُشَيْعِثَ جَمّ الهُمُومِ ، حَرَاماً يُزَاوِلُ أرْضاً حَرَامَا
كَنَصْلِ اليَمَانيّ أبْلَى القِرَابَ ، وَمَا أضْمَرَ الغِمْدُ مِنهُ كَهَامَا
يُبَيِّنُ للمَجْدِ في وَجْهِهِ سُفُوراً ، وَلَمْ يَنضُ عَنهُ اللّثَامَا
وَكَبَّ الهَدِيَّ لِأذْقَانِهِ ، يَؤمّ بِهِ زَمْزَماً وَالمَقَامَا
تَخَالُ النّجيعَ لِهَذا صِداراً ، إذا مَا جَرَى ، وَلِهَذا زِمَامَا
لأنْتُمْ أعَزُّ عَلى مُهْجَتي مِنَ المَاءِ يَنْقَعُ مِنْهُ الأُوَامَا
وَإنّي ، وَإنْ كُنْتُمُ في البِلا دِ ، أنْأى دِيَاراً وَأبْدَى خِيَامَا
ألَيسَ أبُوكُمْ أبي ، وَالعُرُوقُ تُخَالِطُ لَحْمي بِكُمْ وَالعِظَامَا
نَبَتْنَا مَعاً ، فَالتَقَيْنَا عُرُوقاً ، بأرْضِ العُلى ، وَاختَلَطْنَا رُغَامَا
إذا عَمّمَ المَجْدُ هَامَاتِكُمْ ، كَفَانيَ لَوْثاً بِهِ وَاعتِمَامَا
لَئِنْ كَانَ شَخصِيَ في غَيرِكُمْ ، فَإنّ لِقَلْبيَ فيكُمْ مَقَامَا
وَإنّ لِسَاني لَكُمْ وَالثّنَاءَ ، وَإنّ وُلُوعي بِكُمْ وَالغَرَامَا
وَكُنْتُ زَمَاناً أذُودُ المُلُوكَ عَنِ السّلْكِ رَقْرَقْتَ فيهِ النّظَامَا
أُرِيدُ الكَرَامَةَ لا المَكْرُمَاتِ ، وَنَيلَ العُلى لا العَطَايا الجِسامَا
فَحُوزُوا العَقَائِلَ عَنْ خاطِرِي ، إلى مَ أُمَاطِلُ عَنْهَا إلى مَا ؟
لَقَدْ طَالَ عَتْبي عَلى نَاظِرٍ رَأى بَارِقاً غَيرَ دانٍ ، فَشَامَا

[1] الأولق : الجنون . الخابل : الجني . العدام : الفقر ، الفقدان .

إلى كَمْ أجَدّدُ وَجْدِي بكُمْ ، وَأعْلَقُ مِنكُمْ حِبَالاً رِمَامَا
أزِيدُ مَعَاقِدَهَا مِرّةً ، وَتَأبَى العَلائِقُ إلاّ انجِذامَا
وَإنّي أعُوذُ بِكُمْ أنْ يَعُودَ حُبَابي قِلًى ، وَثَنَائي مَلامَا
فَهَلْ صَافِقٌ ، فَأبِيعَ العِرَاقَ غيرَ غَبِينٍ وَأشرِي الشّآمَا ؟
إذا لَمْ أزُرْ مَطْلَعَ المَكْرُمَاتِ قَدْ أخَذَ البَدْرُ فيهِ التّمَامَا
فَألْبِسُ عِطْفَيّ ذاكَ الجَلالَ ، وَأورِدُ عَيْنيّ ذاكَ الهُمَامَا
فَمَا أحْفِلُ الخَطْبَ مِنْ بَعدِها إذا جَلّ بَلْ لا أبَالي الحِمَامَا
أتُرْوَى الغَرَائِبُ مِنْ وِرْدِكُمْ ، وَذَوْدي عَلى جَانِبَيْهِ يُظَامَى
فَلا تُنْكِرُوا قُلْعَةً مِنْ فَتًى ، أقَامَ عَلى مَطْلِكُمْ مَا أقَامَا[1]
سَلامٌ ، إذا لَمْ يَكُنْ لُقْيَةٌ ، وَإنّ يَداً أنْ تَرُدّوا السّلامَا !

رب اخ

رُبّ أخٍ لي لَمْ تَلِدْهُ أمّي ، يَنفي الأذَى عنّي ، وَيَجلو هَمّي
وَيَصْطَلي دُوني بِالمُلِمّ ، إذا دُعيتُ اشتَدّ ماضِي العَزْمِ
كَأنّ مَا قَالَ مُنَادٍ باسمي

[1] القلعة : المال العارية .

شكوى

لا أشتَكي ضُرّي مِنَ الـ نّاسِ، وَهُمْ مَنْ أعْلَمُ
إنّ إلَهاً مَسّ بِالـ ضّرِّ جَوّادٌ مُنْعِمُ
أشْكُو الّذِي يَرْحَمُني إلى الّذي لا يَرْحَمُ

المال

قَدْ يَبْلُغُ الرّجُلُ الجَبَانُ بِمَالِهِ مَا لَيسَ يَبلُغُهُ الشّجَاعُ المُعدِمُ
لا تَخْدَعَنْ عَنهُ فَرُبّ ضَرِيبَةٍ يَنبُو الحُسامُ بهَا وَيَمضِي الدّرْهَمُ

الدخيل المجمجم

قال رضي الله تعالى عنه :

وَلي كَبِدٌ من حُبّ ظَمياءَ أصبَحتْ   كَذي الجُرْحِ يُنكى بعدَما رَقأ الدّمُ[1]
أصَابَ الهَوَى قَلباً بَعيداً مِنَ الهَوَى،   وَمَا كُلُّ مَنْ يَبغي السّلامَةَ يَسلَمُ
أُجَمجِمُ عَنْ عُوّادِ قَوْميَ عِلّتي،   وَحُبُّكُمُ ذاكَ الدّخيلُ المُجَمجَمُ[2]

النعم تفسد القوم

قال رضي الله تعالى عنه في غرض
آخر وذلك في شعبان سنة ٣٩٤ :

أبَا نِزَارٍ تُفْسِدُ القَوْمَ النِّعَمْ ،   غَفّلَكَ الوُجْدُ ، وَزَكّاني العَدَمْ[3]
تُرَمّمُ المَالَ ، وَبالعِرْضِ ثُلَمْ ،   إنّي ، إذا رَاحَتْ عَلى الحَيّ النَّعَمْ

١ الظمياء من الشفاه : الذابلة في سمرة ، ومن العيون الرقيقة الأجفان . ينكى : يقشر قبل أن يبرأ . رقأ : خف وسكن .
٢ أجمجم : أخفي في صدري .
٣ غفلك : صيرك غافلا . الوجد : الغنى . زكاني : طهرني ، وأصلحني ، جعلني زكياً ، أي نامياً طيباً . العدم : الفقر

رَاحَ عَلَى بَيْتَيِ الثَّنَاءُ وَالكَرَمْ ، لا سَلِمَ المَالُ ، إذا العِرْضُ سَلِمْ
قَدْ كُنْتُ نَادَيْتُكَ ،وَالأمْرُ أَمَمْ ، أَمَا تَرَى خَلفُ عَقَابِيلَ الظُّلَمْ[1]
لَوْثُ خِمَارِ الصُّبحِ في رَأسِ العَلَمْ ؛ نَفْسَكَ إنّ الخَيلَ بالقَوْمِ زِيَمْ[2]
انجُ فَعَنْ لَفتَتِكَ الرّمحُ الأصَمّ ، نَاشَدْتُكَ اللهَ وَتَحْنَانَ الرَّحِمْ
وَقُلْتُ حِدْ عَن مَنهجٍ غَيرِ لَقَمْ ، فَلَمْ تُطِعْنِي ، رُبّ رَأيٍ مُتّهَمْ
سَمعُكَ وَاعٍ ، وَبِعَقْلِكَ الصَّمَمْ ، حتّى لَقيتَ خَطفَةَ البازِي الضَّرِمْ[3]
أُمَّ الدُّهيمِ حَامِلاً بِنتَ الرَّقَمْ ، أمَرَّهَا المِقْدارُ إمْرَارَ الوَذَمْ[4]
أُفْلِتَّ مِنْهَا بَعْدَ إنْشَابِ القَدَمْ ، وَبَعدَما ضَاقَ عَلَيكَ المُزْدَحَمْ
مُنفَلَتَ الأُظْفُورِ مِن شَقّ الجَلَمْ ، أقسَمْتُ بالبَيْتِ الحَرَامِ وَالحُرُمْ
وَبالمُلَبّينَ غَدَوْا شُعْثَ اللِّمَمْ ، عَلَى رَذَايَا مِنْ وَجًى وَمِنْ سَأَمْ[5]
يَطلَعنَ مِنْ أجبَالِ رَضْوَى وَخِيَمْ ، بهَا وَقَارٌ بَعدَمَا كَانَ لَمَمْ[6]
وَمَا جرَى بالخَيفِ مِنْ دَمعٍ وَدَمْ ، يَوْمَ يُطِيرُ النّاسُ غِرْبانَ الجُمَمْ
حَيثُ تَرَى تِلكَ المَجَالي وَالقِمَمْ ، يُمْسِينَ غِرْبَاناً ، وَيَغدُونَ رَخَمْ[7]

١ الأمم : القريب . خلف : مبنية على الضم لانقطاعها عن الإضافة . العقابيل : الشدائد .
٢ زيم : متفرقة .
٣ الضرم : الجائع .
٤ أم الدهيم : الداهية ، وكذلك الرقم . الوذم : السيور التي بين آذان الدلو .
٥ الرذايا : أراد الإبل الضعيفة المهزولة . الوجى : الحفا .
٦ رضوى : جبل . اللمم : الجنون .
٧ الرخم ، الواحدة رخمة : طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة .

وَالمُسْتَجَارُ بَعْدَ ذا وَالمُلْتزَمْ تَلْقَى بِهِ لأُمَمٍ بَعدَ أمَمْ

مُفتَرِقاً لا عَنْ قِلًى وَمُصْطَدَمْ صَكَّ المُجيلِ زَلَماً بَعدَ زَلَمْ[1]

لأصْدَعَنْ عِرْضَكَ صَدعاً لا يُلَمّ، عَطّاً كَمَا عَطّ الفَزَارِيُّ الأدَمْ[2]

دَبيبُ نَارِ القَيْنِ طَارَتْ في الفَحَمْ. أقْرَعُ فِيهِ بِشَبَا طَعْنٍ وَذَمّ

نَهزُّ الدّلاءِ تَلتَقي، وَالمَاءُ جَمّ؛ وَيلٌ إذاً، يَوْمَ النّطاحِ، للأجَمّ

كَم يَلبَثُ الأصْلُ على ضَرْبِ القُدُمْ. عُرِّضْتَ مِنّي لِبَصِيرٍ بالقِيَمْ[3]

حَامي الأُوَارِ مُنضِجٌ إذا وَسَمْ، آسِي الحَفِيظَاتِ، إذا الدّاءُ ألَمّ

عَاجَلَ أدْوَاءَ العُرُوقِ، فحَسَمْ حَشْحَشَةَ الذّئْبِ عَوَى مِنَ القَرَمْ[4]

آنَسَ وَهْناً نَسْمَ رِيحٍ، فنَسَمْ، مَاضٍ عَلى اللّيْلِ، إذا لمْ يَرَ شَمّ

مَنْ أسْقَمَ النّاسَ رَمَوْهُ بالسّقَمْ، وَمَنْ رُمي بالمُوقِظَاتِ لَمْ يَنَمْ

كَمْ ضَافَ رَحْلِي منكُمُ طارِقُ هَمّ. بِتُّ لَهُ أخْطِمُ دائي وَأزُمّ

تَوَجُّسَ اللّيْثِ استَرَابَ بِالأجَمْ، أهدُرُ عَنْ شِقْشِقَةِ العَوْدِ القَطِمْ

حَتّى رُميتُ، رُبّ نَبلٍ عَنْ كَلِمْ: إنّ هُمُومَ القَلْبِ أعْوَانُ الهِمَمْ

قَدْ يَقدَعُ المَرْءُ وَإنْ كانَ ابنَ عَمّ. وَيَقطَعُ العُضْوَ الكَرِيمَ لِلألَمْ[5]

[1] المجيل : الذي يجيل سهام الميسر . الزلم : السهم .

[2] العط : الشق .

[3] القدم ، الواحد قدوم : آلة للنجر .

[4] حسم الداء : قطعه . الحشحشة : الاضطراب . القرم : الجوع .

[5] يقدع : يكف .

لأُلزِمَنْ ، إنْ لَمْ يُغَيِّبْكَ الرَّجَمْ ، ... لِهِزْمَتَيكَ عَاقِراً مِنَ اللُّجُمْ[1]
يَسِيلُ ذِفْرَاكَ دَماً ، وَما ظَلَمْ ... مَوَارِدَ الجَهْلِ مَصَادِرُ النَّدَمْ[2]
نفْحَةُ عَارٍ مِثْلُهَا نَفْثَةُ سَمّ ، ... تَشُمُّهَا بِمَارِنٍ غَيْرِ أشَمّ
إذا وَعَاهَا ضَاحِكُ القَوْمِ وَجَمْ ، ... يَخَافُهَا ، وَمَا جَنَى وَلا جَرَمْ
خُذْهَا حُرُوباً كَأهَاضِيبِ الدِّيَمْ ، ... لا عَزّ مِنَّا اليَوْمَ مَنْ ألقَى السَّلَمْ[3]
إنْ كُنتَ حرّاً غيرَ مَغمُوزِ الشِّيَمْ ، ... فَقُلْ لَنَا مَنِ العَبِيدُ وَالقَزَمْ ؟
جَاءَتْ بِهِ مِخْداجَةٌ غَيرَ مُتَمّ ، ... لهَا الرَّزَايَا ، وَلِبَطْنِهَا العَقَمْ[4]

اعز من القلب

وكَمْ صَاحِبٍ كالرّمحِ زَاغَتْ كعوبُهُ ، ... أبَى بَعدَ طُولِ الغَمزِ أنْ يَتَقَوّمَا
تَقَبّلْتُ مِنْهُ ظَاهِراً مُتَبَلِّجاً ، ... وَأدْمَجَ دُونِي بَاطِناً مُتَجَهِّمَا
فأبدَى كرَوْضِ الحَزْنِ رَقّتْ فرُوعُه ، ... وَأضْمَرَ كاللّيلِ الخُدارِيّ مُظْلِمَا[5]
وَلَوْ أنّني كَشّفْتُهُ عَنْ ضَميرِهِ ... أقَمتُ عَلى مَا بَيْنَنَا اليَوْمَ مَأتَمَا

١ الرجم : القبر . اللهزمتان : عظمان ناتئان في اللحيين ، تحت الأذنين .
٢ الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن .
٣ الأهاضيب ، الواحدة أهضوبة : الدفعة من المطر . السلم : السلام ، الاستسلام .
٤ المخداجة : الملقية ولدها قبل تمامه .
٥ الحزن : موضع لبني يربوع فيه رياض وقيعان . الخداري : المظلم .

فَلا باسِطاً بالسّوءِ، إنْ ساءَني، يداً، وَلا فاغِراً بالذّمّ، إنْ رَابَني، فَمَا
كَعُضْوٍ رَمَتْ فيهِ اللّيَالي بفَادِحٍ، وَمَنْ حَمَلَ العُضْوَ الأليمَ تَألّمَا
إذا أمَرَ الطِّبُّ اللّبيبُ بِقَطْعِهِ، أقُولُ عَسَى ضَنّاً بِهِ، وَلَعَلّمَا
صَبَرْتُ على إيلامِهِ خوْفَ نَقصِهِ، وَمَنْ لامَ مَن لا يرْعوِي كانَ ألوَمَا
هيَ الكَفّ مَضٌّ تَرْكُهَا بَعدَ دائِها، وَإنْ قُطِعَتْ شانَتْ ذِراعاً وَمِعصَمَا
أرَاكَ على قَلبي، وَإنْ كنتَ عاصِياً، أعزَّ مِنَ القَلْبِ المُطيعِ وَأكْرَمَا
حَمَلتُكَ حَملَ العَينِ لَجّ بها القذى، وَلا تَنجلي يَوْماً وَلا تَبلُغُ العَمَى
دَعِ المَرْءَ مَطْوِيّاً على ما ذَمَمْتَهُ، وَلا تَنشُرِ الدّاءَ العُضَالَ فتَنْدَمَا
إذا العُضْوُ لَمْ يُؤلِمْكَ إلاّ قَطَعْتَهُ، عَلى مَضَضٍ لمْ تُبقِ لحماً، وَلا دَمَا
وَمَنْ لمْ يُوَطِّنْ للصّغيرِ مِنَ الأذَى، تَعَرّضَ أنْ يَلْقَى أجَلّ وَأعظَمَا

الغواني والشيب

قال رضي الله تعالى عنه في ذم الشيب :

يا عَذُولَيّ! قَدْ غَضَضْتُ جِمَاحي، فَاذْهَبَا حَيْثُ شِئْتُمَا بِزِمَامي
بَعْدَ لَوْثِي عِمَامَةَ الشّيْبِ اختا لُ بِبُرْدَيْ بِطَالَةٍ وَعُرَامِ[1]

[1] البطالة : التفرغ . العرام : الشراسة والأذى .

خفَضَتْ نَزْوَةُ الشّبَابِ ، وَحَالَ الـ   هَمّ بَيْنَ الحَشَا وَبَيْنَ الغَرَامِ
غَالَطُوني عَنِ المَشِيبِ ، وَقَالوا :   لا تُرَعْ ! إنّهُ جلاءُ الحُسَامِ
أيّهَا الصّبْحُ زُلْ ذَمِيماً فَمَا أظْ   لَمَ يَوْمي مِنْ بَعْدِ ذاكَ الظّلامِ
أرْمَضَتْ شَمْسُكَ المُنِيرَةُ فَوْدَ   يَّ ، فَمَنْ لي بِظِلّ ذاكَ الغَمَامِ[1]
قُلتُ : ما أمْنُ مَنْ عَلى الرّأسِ منهُ   صَارِمُ الجَدّ في يَدِ الأيّامِ
إنّ ذَنْبي إلى الغَوَاني ، بِشَيْبي ،   ذَنبُ ذِئْبِ الغَضَا إلى الآرَامِ[2]
كُنّ يَبْكِينَ قَبْلَهُ مِنْ وَداعي ،   فَبُكَاهُنّ بَعْدَهُ مِنْ سَلامي

اكف تميم

قال أيضاً على لسان إنسان سأله القول في هذا الغرض

تَألّقَ نَجْدِيٌّ ، كَأنّ وَميضَهُ   قَوَاعِدَ رَضْوَى أوْ مسايِب رِيمِ[3]
أقُولُ لَهُ ، لَمّا تَفَارَطَ صَوْبُهُ :   وَرَاءكَ قَدْ ألقَحْتَ كُلّ عَقيمِ
تَبَعّقَ حَتّى خِلْتُ أنّ بُعَاقَهُ   عَلى عَدَمِ الجَدْوَى ، أكُفُّ تَميمِ

١ أرمضت : أحرقت . الفودان : جانبا الرأس .
٢ الغضا ، الواحدة غضاة : ضرب من الشجر ، ومنه ذئب الغضا . الآرام : الغزلان البيض ، الواحد رئم .
٣ ريم : موضع .

أَتَيْتُهُمُ ، وَالجَدْبُ قد عَضَّدَ القَرَا ، وَلا عَهْدَ للبَاغي النَّدَى بِكَرِيمِ[1]
فَمَا استَحضَرُوا العِلاّتِ وَهيَ كَرِيمَةٌ ، وَلا أطرَقُوا مِنْ رَوْعَةٍ وَوُجُومِ
هُمُ ضَمِنوا اللأْوَاءَ ، وَالأزْلُ رَاكدٌ عَلى مُقْعَدٍ مِنْ عُسْرِهِمْ وَمُقيمِ[2]
فَمَا وَلَدَتْ أمُّ المَكَارِمِ مِثْلَهُمْ ، كِرَاماً ، وَلَمْ تَغلَطْ لَهُمْ بِلَئيمِ

عوام جدد

عَطَوْنَ بِأعنَاقِ الظِّبَاءِ ، وَأشرَقَتْ وُجُوهٌ عَلَيْهَا نَضْرَةٌ وَنَعيمُ[3]
أمَطْنَ سُجُوفاً عَنْ خُدُودٍ نَقيّةٍ صَفَا بَشَرٌ مِنْهَا وَرَقَّ أديمُ[4]
شُفُوفٌ على أجْسَادِهِنّ رَقيقَةٌ ، وَدُرٌّ على لَبّاتِهِنّ نَظيمُ[5]
يُجِلْنَ خَلاخِيلَ النُّضَارِ ، وَملؤهَا بَوَادِيُّ غَيْلٍ بَيْنَهُنّ عَميمُ[6]
تَأطَّرَ أغْصَانِ الأرَاكِ أمَالَهَا ، وَقَد رَقَّ جِلبابُ الظّلامِ ، نَسيمُ[7]

١ عضد : قطع . القرا : الظهر .
٢ اللأواء : الشدة .
٣ عطون : رفعن رؤوسهن وأيديهن .
٤ أمطن : نحين ، أبعدن . السجوف ، الواحد سجف : الستر . البشر ، الواحدة بشرة : ظاهر الجلد .
٥ اللبات ، الواحدة لبة : موضع القلادة من الصدر .
٦ قوله : بوادي ، هكذا في الأصل ولم نجدها . الغيل : الساعد الريان الممتلىء . العميم : كل ما اجتمع وكثر .
٧ تأطر : تثني .

غَرَامي جَدِيدٌ بالدّيارِ وَأهْلِها ، وَعَهْدِي بهاتِيكَ الطُّلُولِ قَدِيمُ
يَقُولُونَ : ما أبقَيتَ للعَينِ عَبرَةً ، فَقُلْتُ: جَوًى ، لوْ تَعلَمونَ ، أليمُ
أيَسْمَحُ جَفْني بالدّمُوعِ وَأغتَدي ضَنيناً بِهَا ؟ إنّي إذاً لَلَئيمُ
وَلَوْ بَخُلَتْ عَيْني ،إذاً لَعَسَفْتُها، فَكَيْفَ وَدَمْعُ النّاظرِينِ كَرِيمُ[1]

امر الخلافة في يديك

قال يمدح الطائع لله أمير المؤمنين ويشكره على ما أسداه إلى أبيه من الجميل عند دخوله إليه بعد عوده من فارس سنة ٣٧٦ :

هيَ سَلْوَةٌ ذَهَبَتْ بِكُلّ غَرَامِ ، وَالحُبُّ نَهْبُ تَطَاوُلِ الأيّامِ
وَلَقَدْ نَضَحْتُ مِنَ السّلُوّ وَبَرْدِهِ حَرَّ الجَوَى فبَرَدْتُ أيَّ ضِرَامِ
مِنْ بَعدِ ما أظمَى الغَليلُ جوَانحي ، وَأطَالَ مِنْ مَلَلِ الزُّلالِ أوَامي
نَشَزَ الجَنِيبُ عَلى ثَنِيّاتِ الهَوَى ، وَنَجَوْتُ مَرْمِيّاً إليّ زِمَامي[2]
سُلْوَانَ لا أعْطي الحَاذِرَ لَفتَةً ، أوْ نَظْرَةً إلاّ بِعَينِ لَمَامِ[3]
نَفَضَ الصّبَابَةَ خاطِري وَجوَانحي ، وَأبَى المَذَلّةَ مَنْزِلي وَمَقَامي

١ عسفتها : ظلمتها ، أخذتها بالقوة .
٢ نشز : ارتفع . الجنيب : الغريب . الثنيات : العقبات ، أو الجبال ، الواحدة ثنية .
٣ السلوان : السلو ، مصدر سلا الشيء وعنه : نسيه . لمام : أي حيناً بعد حين .

وَالحُبُّ داءٌ يَضْمَحِلُّ كَأنّمَا ... تَرْغُو رَوَازِحُهُ بِغَيرِ لُغَامِ[1]
لا يَدّعِ العُذّالُ نَزْعَ صَبابَتي ، ... بِيَدي حَسَرْتُ عَنِ الغَرَامِ لِثَامي
قد كانَتِ الصَّبَوَاتُ تَعسِفُ مِقوَدي ، ... فالآنَ سَوْفَ أُطِيلُ مِنْ إجْمَامي
هَيهَاتَ يَخفِضُني الزّمَانُ ، وإنّمَا ... بَيْني وَبَينَ الذّلّ حَدُّ حُسَامي
اربصي بالماء إلاّ ... وَلَرُبّ طَافِحَةٍ بِغَيرِ جِمَامِ
وَأصُدُّ عَنْ مَاءِ القَليبِ ، وَمَاؤهُ ... في حَيّزِ الإكْرَابِ وَالأوْذَامِ[2]
وَلَقَدْ لَبِسْتُ مِنَ القَنَاعَةِ جُبّةً ... تَضْفُو عَليّ ، وَلا تَبِينُ لِذَامِ[3]
كَمْ ذَلّلَ العُدمُ العزيزَ، وَعَظّمتْ ... نَفَحَاتُ هَذا المَالِ غَيرَ عُظَامِ
مَا هَمُّ مَنْ حُرِمَ الثّرَاءَ إذا سَما ، ... وَأحَظُّ مِنْ شَرَفٍ وَمِنْ إعْظَامِ
شَحَبَ الزّمانُ عَليّ بَعْدَ غَضَارَةٍ ، ... وَإذا نَقَضْتُ فقد قَضَيتُ تَمَامي[4]
وَجَرَى الثّقَافُ عَلى أوَائِلِ صَعْدَتي ، ... فاقتَصّ مِنْ طَرَبي وَفَضْلِ عُرَامي[5]
عَنّي إلَيكَ ، فَمَا الوِصَالُ بِنَافِعٍ ... مَنْ لا تُعَذّبُ قَلْبُهُ بِعرامِ
مَا كُنتُ أسمَحُ بالسّلامِ لمُعرِضٍ ، ... وَعَلى أميرِ المُؤمِنِينَ سَلامي
مَلِكٌ سَمَا حَتّى تَحَلّقَ في العُلَى ، ... وَأذَلّ عِرْنِينَ الزّمَانِ السّامي

١ الروازح : الساقطات إعياء . اللغام : اللعاب .
٢ الحيز : المكان . الاكراب : الملء . الأوذام : السيور التي بين آذان الدلو وأطراف العراقي ، الواحد وذم .
٣ تضفو : تطول . الذام : الذم .
٤ شحب : تغير لونه من هزال أو جوع . الغضارة : النعمة ، والخصب .
٥ الصعدة : القناة المستوية ، وكنى بها عن جسمه ، وقامته .

يا ابنَ القَمَاقِمِ وَالغَطَارِفَةِ الأُلى ، قِمَمِ العُلَى وَدَعَائِمِ الإسْلامِ[1]
الطَّوْدُ أيْهَمُ ، وَالسَّمَاءُ عَرِيضَةٌ ، وَاليَوْمُ أيْوَمُ ، وَالقَلَمَّسُ طَامِ[2]
سِيمَاءُ مُشْتَهِرٍ ، وَقَلْبُ مُشَيَّعٍ ، وَأنَاةُ مُقْتَدِرٍ ، وَرَأيُ إمَامِ[3]
أمْرُ الخِلافَةِ في يَدَيْكَ ، وَإنّمَا هِيَ عُقْبَةٌ تُقْضَى بكُلّ هُمَامِ
قَدْ كانَ جَدُّكَ عِصْمَةَ العُرْبِ الأُلى ، وَالآنَ أنتَ لَهُمْ مِنَ الإعْدامِ
حَفِظُوا أيَاديكَ الجِسَامَ ، وَإنّمَا وُصّوا بِحِفْظِ الخَيْلِ وَالأنْعَامِ
بالطّائِــعِ الهَادي الإمَامِ أطاعَنِي أمَلي ، وَسَهّلَ لي الزّمَانُ مَرَامي
مِنْ مَعْشَرٍ مَا فيهِمُ إلاّ فَتًى ، أوْ جَائِدٌ ، أوْ ذائِدٌ ، أوْ حَامِ
قَوْمٌ ، إذا عَزَمُوا الغِوَارَ تَرَاجَعُوا يَتَقَاسَمُونَ ضَرَاغِمَ الآجَامِ
لا يَسْتَقِرُّ المَالُ فَوْقَ أكُفّهِمْ ، كالسّيلِ يَزْلَقُ عَنْ ذُرَى الأعلامِ
البَيْتُ ذُو العَمَدِ الطّوَالِ يُظِلّهم ، بَيْنَ القَنَا ، وَالحَامِلِ الهَمْهَامِ
يَفْدِيكَ كُلُّ مُزَنَّدٍ وَمُعَرِّدٍ ، يَوْمَ الوَغَى ، وَمُطَاوِلٍ وَمُسَامِ[4]
وَمُبَخَّلٍ أعْطَى القَلِيلَ ، وَرُبّمَا سَمَحَتْ حُرُوفُ التّاءِ للتّمْتَامِ[5]
أثَرُ النُّدُوبِ بِصَفْحَتَيْهِ وَنَحْرِهِ ، لِصَفَا مُرَادٍ ، أوْ سِهَامِ مَرَامِ

١ القماقم ، الواحد قمقام : السيد الكثير الخير . الغطارفة ، الواحد غطريف : السيد الشريف والسخي السري .
٢ الأيهم : الجبل الصعب ، الأصم . أيوم : شديد . القلمس : البحر . الطامي : العالي .
٣ المشيع : الشجاع .
٤ المزند : البخيل . المعرد : الهارب .
٥ التمتام : الذي يتردد في لفظ التاء .

طَلَبَ الغِنى لا للحِبَاءِ ، وَلا النّدى ، مَا كُلُّ عَارٍ جَاءَ لِلإحْرَامِ

أحَسُودَ ذي النّورِ المُبِينِ عَلى العُلى ، إرْبَعْ عَلى ظَلَعٍ ، وَأنفُكَ دامِ[1]

إمّا تُنَازِعْهُ العَلاءَ ، فَإنّهُ قَرْمٌ يُخَاطِرُهُ بُوَيزِلُ عَامِ[2]

وَلَرُبَّ قِرْنٍ فَاتَ أطْرَافَ القَنَا ، حتّى أخَذْتَ عَلَيْهِ بالأقْلامِ

وَوَلِعْتَ في جِدِّ الحَدِيثِ وَهَزْلِهِ ، وَلَعَ القَوَاضِبِ بالطُّلى وَالهَامِ

في فَيلَقٍ جَمٍّ الذّوَابِلِ وَالظُّبَى ، مُثْرٍ مِنَ الإسْرَاجِ وَالإلجَامِ

مُتَدَفّقِ القُطْرَينِ يَرْجُفُ نَقْعُهُ ، بِعَصَائِبِ الرّايَاتِ وَالأعْلامِ

فَكَأنّهُ ، وَالنّقْعُ فَوْقَ رِوَاقِهِ ، سَيْلٌ يُسَايِرُ مُسْتَطِيلَ غَمَامِ

ما زِلْتَ تَكْشِفُهُ بِمَصْقُولِ القَرَا ، وَالخَيلُ بَينَ مُغِيرَةٍ وَصِيَامِ

فَلَقَلْتَ مِنْ أعْطَافِهِ ، فكَأنّما فَجّرْتَ يَنْبُوعاً عَلى الأقْدامِ

طِرْفٌ يَتِيهُ عَلى اللّجَامِ تَكَبّراً ، فَتَكَادُ تَرْكَبُهُ بِغَيرِ لِجَامِ

وَيَدٌ تَصُولُ عَلى الحُسامِ شَجاعَةً ، فَتَكَادُ تَبْسُطُهَا بِغَيرِ حُسَامِ

وَالطّعنُ يَرْجِعُ بالقَنَا ، وَصُدُورُها خَطّاطَةٌ خَلْفَ الجِيَادِ دوَامِ

حُمْرُ الكُعُوبِ ، كَأنّمَا ألْوَى بِها نَضْخٌ مِنَ الشّيّانِ وَالعُلاّمِ[3]

إيهاً ، وَأنتَ حَياً إلى أوْطَانِهِ ، دَفْعُ الزّمَانِ بِمُعْرِقٍ وَشَآمِ

هَذا الحُسَينُ ، وَقَد جَذَبت بِضَبعِهِ جَذْباً يُمِرُّ قَرَائِنَ الأرْحَامِ

---

١ اربع على ظلع : أي تمكث وانتظر .

٢ يخاطره : يباريه . بويزل مصغر بازل : البعير فطر نابه .

٣ النضخ : الأثر الباقي في الثوب من الطيب . الشيان : دم الأخوين . العلام : الحناء .

أعْطَيْتَهُ مَحْضَ المَوَدّةِ وَالهَوَى وَغَرَائِبَ الإعْزَازِ وَالإكْرَامِ
وَرَدَدْتَهُ بالقَوْلِ لَيسَ بخُلَّبٍ في عَقْبِهِ ، وَالوَعْدُ غَيرُ جَهَامِ[1]
مُتَنَاوِلاً طَرَفَ الفَخَارِ يَجُرُّهُ ، وَيَقُودُ مُصْعَبَهُ بِغَيرِ زِمَامِ
لَمّا رَآكَ رَأى النّبيَّ مُحَمّداً في بُرْدَةِ الإجْلالِ وَالإعْظَامِ
وَرَأى بِمَجْلِسِكَ المُعَرَّقِ في العُلى حَرَمَ الرّجَاءِ وَقُبّةَ الإسْلامِ
أوْسَعتَ مِنْ خُطُوَاتِهِ في مَوْقِفٍ مُتَغَلْغِلٍ بِتَضَايُقِ الأقْدَامِ
وَرَفَعْتَ نَاظِرَهُ إلَيْكَ مُسَلِّماً في أيّ أُبّهَةٍ وَأيّ مَقَامِ
وَمِنَ القُلُوبِ سَوَاكِنٌ وَخَوَافِقٌ ، وَمِنَ العُيُونِ غَوَامِضٌ وَسَوَامِ
قَرّبْتَ مِنْ فَمِهِ أنَامِلَ رَاحَةٍ مَعْرُوفَةٍ بِالنّقْضِ وَالإبْرَامِ
وَخَصَصْتَهُ بالبِشْرِ مِنكَ ، وَإنّمَا بِشْرُ الإمَامِ قَرَابَةُ الإنْعَامِ
بِرٌّ الأقَارِبِ وَالأبَاعِدِ وَاجِبٌ ، وَأحَقُّ بالنُّعْمَى بَنُو الأعْمَامِ
لا تُشْمِتَنّ بِهِ الأعَادي بَعْدَ مَا عَرَضُوا مِنَ الأحْقَادِ وَالأوْغَامِ[2]
هيَ قَوْلَةٌ لا يُسْتَطَاعُ رُجُوعُهَا ، كَالسّهمِ يَخرُجُ عَن بَنَانِ الرّامي
وَالقَوْلُ يَعرِضُ كالهِلالِ ، فإن مشَى فيهِ الفَعَالُ ، فَذاكَ بَدْرُ تَمَامِ
وَلَرُبّ فَاعِلِ فَعْلَةٍ لا تَنْثَني ، لَوْ رَامَ رَجْعَتَهَا بكُلّ مَرَامِ
وَكَذا المُلُوكُ تَقَوّضُوا وَاستَصْعَبوا تَقْوِيضَ مَا رَفَعُوا مِنَ الآطَامِ[3]

١ البرق الخلب : هو المطمع بالمطر ، المخلف .الجهام : السحاب لا مطر فيه .
٢ الأوغام ، الواحد وغم : الحقد الثابت في الصدر .
٣ تقوضوا : جاؤوا وذهبوا . التقويض : التهديم . الآطام : القصور ، الواحد أطم .

وَغَدَا سِنَانُ ابنِ المُشَلَّلِ عَاجِزاً   عَنْ نَقْضِ مَا عَلّى مِنَ الأهْرَامِ
وَكَذاكَ عمرٌو ذو المَعَابِلِ فَاتَهُ ،   بَعدَ اضْطِرَابِ النّزْعِ ، رَدُّ سِهَامِ[1]
وَيْلٌ لمَغْرُورٍ عَصَاكَ ، فَإنّهُ   مُتَعَرّضٌ لمَخَالِبِ الضّرْغَامِ
هَيْهاتَ طاعَتُكَ النّجاةُ وَحُبُّكَ الـ   ـتقوَى وَشكرُكَ أفضَلُ الأقسامِ
فَاسْلَمْ ، أميرَ المُؤمِنِينَ، لِغِبْطَةٍ   مَعْقُودَةٍ بِذَوَائِبِ الأعْوَامِ
وَتَمَلّ أيّامَ البَقَاءِ ، وَلا تَزَلْ   تَطْغَى بِشُكْرِكَ ألسُنُ الأقْوَامِ
نَفْسٌ يُحَرّمُهَا الحِمَامُ مَهَابَةً ،   لَيسَ النّفُوسُ عَلى الرّدَى بحَرَامِ
فَاللهُ يَعْلَمُ أنّ نُورَكَ لَمْ يَزَلْ   مُسْتَهْزِئاً بِالظّلْمِ وَالإظْلامِ
وَالمَجْدُ يُخْبِرُ عَنْ فَعَالِكَ أنّهُ   يُدْلي إلَيْهِ بِحُرْمَةٍ وَذِمَامِ
فَاسمَعْ ، أميرَ المُؤمنينَ، فإنّما الـ   أسْمَاعُ أبْوَابٌ إلى الأفْهَامِ
القَوْلُ في الإطْرَاءِ غَيرُ مُبَلَّدٍ ،   وَالشّكْرُ للنّعْمَاءِ غَيرُ عُقَامِ
جاءَتْكَ مُحْصَدَةَ القُوَى حَبّارَةً ،   تَستَعْبِدُ الأرْوَاحَ في الأجْسَامِ[2]
مَنْ لي بِإنْشَادِيكَهَا في مَوْقِفٍ   أعْتَدُّهُ شَرَفاً مَدَى أيّامي
لا أدّعي فِيهِ الغُلُوَّ ، وَإنّمَا   يُوفي عَلى قُلَلِ الرّجَالِ كَلامي

[1] ذو المعابل : أي ذو النصول العريضة .

[2] محصدة : محكمة الصنعة . الحبارة : السارة ، من الحبور .

لك الجبل الممنع

يشكر الطائع ويمدحه على تواصل الكرامة له :

أَميرَ المُؤمِنينَ بَثَثْتَ فِينَا صَنَائِعَ بَعْضُهَا خَطَرٌ عَظِيمُ
وَمَا اقتَعَدَ العُلَى إلاّ شُجَاعٌ ، وَلا بَلَغَ المُنى إلاّ كَرِيمُ
لِمِثْلِكَ تُحْرِزُ المَالَ اللّيَالي ، وَأَوْلى النّاسِ بالعُدْمِ اللّئيمُ
وَأنْتَ حَمَيْتَنا مِنْ كُلّ ضَيْمٍ ، وَقد ضَرِيَتْ على الطّمعِ الخُصُوم[1]
أنَفتَ بِنَا عَلى قِمَمِ الأعَادي ، وَكَادَ الجَدُّ يُدْرِكُ ما يَرُومُ
خَلائِقُ مِنكَ نَعرِفُهَا يَقِيناً ، وَكُلُّ فَتًى بشيمَتِهِ عَلِيمُ
فداؤكَ كُلُّ مُنتَحِلِ المَعَالي ، يُقَطِّعُ دُونَهُ النّسَبُ الصّميمُ
بِأخْلاقٍ كَمَا دَجَتِ اللّيَالي، وَأحْسَابٍ كَمَا نَغِلَ الأدِيمُ[2]
وَآخَرُ هَزّ عِطْفَيْهِ اغْتِرَاراً بِحِلْمِكَ يَوْمَ يُفتَقَدُ الحَليمُ
تَبَلّجَ فيهِ وَسمُكَ ، وَالمَطَايا تُغَلغِلُ في حَوَارِكِها الوُسُومُ[3]
وَكَم فَوْقَ البَسيطَةِ مِنْ شَرِيفٍ أغَرّ الوَجْهِ ، شِيمَتُهُ بَهِيمُ
لكَ الجَبَلُ المُمَنَّعُ إنْ تَسَامَى عَدُوٌّ لا يَنَامُ وَلا يُنِيمُ

١ ضريت : تعودت ، وأولعت .

٢ نغل : فسد . الأديم : الجلد ، أي فسد بالدباغ .

٣ الوسم : الأثر ، العلامة . تغلغل : تدخل . الحوارك : أعالي الكواهل ، الواحد حارك .

جَذَبْتَ عَنِ المُطيعِ زِمامَ عِزٍّ أطَاعَ الوَخْدُ مِنهُ وَالرّسِيم[1]
سَمَا بِكَ خيرُ آباءٍ ، وَلكِنْ مَضَوْا طَلْقاً ، وَمَجدُهم مُقيمُ
دَعَوْتُكَ ، يا إمَامُ ، وَمِن وَرَائي سَفيهُ الرّأيِ يَعذُلُ ، أوْ يَلُومُ
وَحَسْبي أنْ تَعيشَ عَلى اللّيَالي سَليماً ، لا يُطَلّقُكَ النّعيمُ
فإنّ العَيشَ ، مَا جُرّدْتَ مِنْهُ ، حِمَامٌ ، وَالصّحيحُ بِهِ سَقِيمُ
رَجَوْتُكَ ، وَالرّجاءُ يَمُدّ باعي ، وَأنْتَ لِكُلّ مَكْرُمَةٍ حَميمُ
وَإنّي ، إنْ دَعَوْتُكَ للمَعَالي ، لأعْلَمُ أيَّ بَارِقَةٍ أشيمُ
وَقَبْلَكَ ضَاعَ حَقّي في اللّيَالي ، كَمَا ضَاعَ الغَرِيبُ ، أوِ اليَتِيمُ
وَنَعْمَاءٍ شَقِيتُ بِهَا ، وَلَكِنْ غَدا حَظّي مِنَ الرّيحِ السَّمُومُ
وَمَنْ لي أنْ أرَاكَ ، وَلي مَقامٌ بدارِكَ لا أزُولُ ، وَلا أرِيم[2]
وَمَا لي لا أصُولُ عَلى الأعَادي ، وَأعلَمُ أنّ دارَكَ لي حَرِيمُ
تَدارَكَني صَنيعُكَ ، وَالأماني تُفَلّلُ مِنْ جَوَانِبِها الهُمُومُ
وَلَوْلا ما أنَلْتَ مَشَتْ بِرَحْلي نَقيبُ الخُفّ حِلْيَتُها الكُلُوم[3]
وَإنْطَافٌ تَسَاقَطَ مِنكَ وَهْناً عَلَيّ ، كَمَا تَهَوّرَتِ النّجُومُ
أعَدْتَ سَوَادَ أيّامي بَيَاضاً ، وَأيّامُ الوَرَى بِيضٌ وَشِيم[4]

١ الوخد والرسيم : ضربان من العدو .
٢ رام المكان : برحه .
٣ نقيب الخف : رقيقته .
٤ الشيم : السود .

وَقد عَطَفَتْ عَلَيّ بَنَاتُ دَهري، كَمَا عَطَفَتْ عَلى السَّقبِ الرَّؤومُ[1]
وَمِنكَ تَوَالَتِ الأنْوَاءُ رَيّي ، وَطَبّقَ أرْضِيَ الكَلأُ العَميمُ
فَلا غَرِضَتْ سِنُوكَ مِنَ اللّيالي، وَعُمرُ عَدُوّ مَجدِكَ لا يَدُومُ[2]
تَذُوبُ عَلى مَنازِلِكَ الغَوَادى ، وَيَرْكُضُ في حَدائِقِكَ النّسيمُ

غيث يخلفه الربيع

قال يمدحه وكان قد أخر مدحه فواصل اقتضاءه عن الحضرة أبو الحسن علي بن حاجب النعمان وعاتبه على تأخيره إياه وذلك في ربيع الأول سنة ٣٨٠ :

لله ثُمّ لَكَ المَحَلُّ الأعْظَمُ ، وَإلَيكَ يَنْتَسِبُ العَلاءُ الأقْدَمُ
وَلَكَ التُّرَاثُ مِنَ النّبيّ مُحَمّدٍ ، وَالبَيْتُ وَالحَجَرُ العَظيمُ وَزَمْزَمُ
ما نَاقَلَتْ رَكْبُ الرّكابِ إلى مِنًى، وَأرَاقَ مِنْ عَلَقِ الدّمَاءِ المَوْسِمُ
خَطَرٌ مِنَ الدّنْيَا يَجِلّ وَسَورَةٌ تَعْلُو ، وَقَدْرٌ زَائِدٌ يَتَقَدّمُ[3]
تَمضِي المُلُوكُ وَأنتَ طَوْدٌ ثَابِتٌ ، يَنْجَابُ عَنْكَ مُتَوَّجٌ وَمُعَمَّمُ

١ السقب : ولد الناقه . الرؤوم : الناقة الحانة على ولدها .

٢ الغرض : الضجر والملل .

٣ الخطر : الترف . السورة : المنزلة الرفيعة .

مَا ذاكَ إلاّ أنّ غَرْبَكَ مِنْهُمُ أمضَى ، وأنّ عُلُوّ مَجدِكَ أعظَمُ
إنّ الخِلافَةَ مُذْ نَهَضْتَ بِعِبْئِهَا، هَدَأ الضّمِيرُ بِهَا ، وَنَامَ النُّوَّمُ
قَدْ كَانَ مِنبرُها تَضَاءَلَ خيفَةً ، وَاستُلّ مِنهُ الهِزْبَرِيّ الأعظَمُ[1]
حتّى تَخَمّطَ مِنكَ فَوْقَ سر ته ، وَالأرْضُ رَاجِفَةٌ، فَنِيقٌ مُقْرَمُ[2]
لله أيُّ مَقَامِ دِينٍ ... وَالأمرُ مَرْدُودُ القَضِيّةِ مُبْرَمُ
فَكَأنّمَا كُنْتَ النّبيّ مُنَاجِزاً بالقَوْلِ ، أوْ بِلِسَانِهِ تَتَكَلّمُ
أيّامَ طَلّقَهَا المُطِيعُ ، وَأوْحَشَتْ، مُذْ زَالَ عَن ذا الغابِ ذاكَ الضّيغَمُ
فَمَضَى ، وَأعقَبَ بَعْدَهُ مُتَيَقّظاً سِجلاهُ بُوسَى في الزّمَانِ وَأنْعُمُ
كالغَيثِ يخلُفُهُ الرّبيعُ ، وَبعضُهمْ كَالنّارِ يَخْلُفُهَا الرّمَادُ المُظْلِمُ
لا تَهْتَدي نُوَبُ الزّمَانِ لِدَوْلَةٍ ، اللهُ فِيهَا وَالنّبيُّ وَأنْتُمُ
شَرَفاً بَني العَبّاسِ مَدّ رِوَاقَهُ ، وَعُلًى تُسانِدُهَا القَنَا وَالأنجُمُ
كَمْ مَهْمَهٍ لَبِسَتْ إلَيْكَ رِكَابُنا، وَالأرْضُ بُرْدٌ بِالمَنُونِ مُسَهَّمُ
حتّى تَرَاعَفَتِ المَنَاسِمُ وَالذُّرَى، فَسَوَاءٌ الأعْلَى دَماً وَالمَنْسِمُ
هُنّ القِسيّ مِنَ النّحولِ ، فإنْ سَمَا طَلَبٌ ، فَهُنّ مِنَ النَّجاءِ الأسهُمُ
يَضْمَنّ أمْراً مَا تَضَمّنَ مِثلَهُ ، أيّامَ أيّامَ الجَدِيلُ وَشَدْقَمُ[3]

١ الهزبري : نسبة إلى الهزبر : الأسد .
٢ تخمط : اضطرب في مشيه . السراة : الظهر . المقرم : البعير لا يحمل عليه ولا يذلل .
٣ الجديل وشدقم : فحلان مشهوران .

فِي حَيثُ لا وِرْدُ العَطَاءِ مُصَرَّدٌ ، أبَداً ، وَلا فِعلُ الزّمانِ مُذَمَّمُ[1]
وَأنَا النّذِيرُ لمَارِقٍ يَمّمْتُهُ مِنْ ضَوْءِ نَارٍ ، للطّغَاةِ مُضَرَّمُ
حَمرَاءُ جَاهِلَةُ الشّرَارِ مَهُولَةٌ للنّاظِرِينَ لهَا دُخَانٌ أدْهَمُ
وَمُلَملِمٌ يَرْمي العَدُوَّ بِرُكْنِهِ ، مَاضٍ كَفِهْرِ المِنْجَنِيقِ مُلَملمُ[2]
في مَعْرَكٍ فُقِدَ التّكَلّمُ تَحْتَهُ ، للرّوْعِ ، إلاّ أزْمَلٌ وَتَغَمْغُمُ[3]
كَثُرَ الحَدِيدُ بِهِ ، فبَعضٌ يَتّقي كَلْمَ الطّعانِ بهَا وَبَعضٌ يُكْلَمُ
مِنْ كُلّ ضَاحِكَةِ القَتِيرِ كَأنّها بُرْدٌ أعَارَكَهُ الشّجاعُ الأرْقَمُ
وَطَوِيلِ سَالِفَةِ السّنَانِ يَؤودُهُ خَطِلُ الكُعوبِ وَفي الضّلوعِ يُقَوَّمُ[4]
وَمُرَقْرَقِ الغَرْبَينِ ، إلاّ كُلْفَةً مِمّا يُطَبِّقُ دائِماً وَيُصَمِّمُ[5]
في فِتْيَةٍ رَكِبُوا العُلَى مِنْ هاشِمٍ ، يَرْمُونَ أقْطَارَ العَدُوّ كَما رُمُوا
يَجرِي الحَيَاءُ الغَضُّ في قَسَمَاتِهِم ، في حِينَ يَجرِي في أكفّهِمُ الدّمُ
فإذا غَضِبتَ ، فأنتَ شُجَاعَةٌ تُوفي عَلى غَضَبِ الرّدى ، وَهمُ هُمُ
بحَمَائِلِ المَلِكِ الجَلِيلِ مُقَلَّدٌ ، وَبِخَاتَمِ النّبَإِ العَظيمِ مُخَتَّمُ

١ مصرد : مقطع
٢ الفهر : الحجر . المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة في الحرب .
٣ الازمل : الصوت المختلط .
٤ الخطل ، يقال رمح خطل : اي طويل مضطرب .
٥ الكلفة : حمرة كدرة . يطبق ، هو من قولهم طبق السيف المفصل : أبانه .

وَعَظُمتَ قَدراً أنْ يرُوقَكَ مَغنَمٌ ، أوْ أنْ يَصِرّ عَلى بَنَانِكَ دِرْهَمُ
هيَ رَاحَةٌ مَا تَستَفيقُ مِنَ النّدَى ، أبَدَ الزّمَانِ ، وَبَدْرَةٌ لا تُختَمُ
مَلِكٌ تَلاعَبُ بالهَوَى عزَمَاتُهُ ، بُعْداً بِهِ عَمّا يَقُولُ اللُّوّمُ
عَالٍ عَلى نَظَرِ الزّمَانِ مُبَرّأٌ مِمّا يَمُنّ بِهِ الزّمَانُ وَيَثْلِمُ
بَينَا يُضِيءُ عَلى الزّمَانِ ، فيَنجَلي ، حتّى يُغيرُ عَلى الضّيَاءِ ، فَيُظْلِمُ
النّفعُ وَالإضْرَارُ شُغْلُ لِسَانِهِ ، لِبُرَاشَ عَافٍ ، أوْ يُضَعضعَ مُجرِمُ
وَيَرُوحُ عَنْهُ وَلِيُّهُ وَعَدُوُّهُ : هَذا يَزِيدُ غِنًى ، وَهَذا يَعْدَمُ
فَعَلَى المُقَارِبِ مَطْلَعٌ مُتَبَلِّجٌ ، وَعَلى المُجَانِبِ عارِضٌ مُتَجَهِّمُ
في كُلّ يَوْمٍ خَالِعٌ مُتَأخّرٌ يَرْدَى ، وَجَدٌّ غَالِبٌ مُتَقَدّمُ
وَفُتُوحُ أمْصَارٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدي عَفْواً إلَيكَ ، وَغَيرُهَا يُتَجَشّمُ
لَوْلاكَ لَمْ يَكُ مِثْلُهَا مَا يُرْتَقَى عُلْواً ، وَلَمْ يَكُ مِثْلُهَا مَا يُغنَمُ
مَا كَانَ يَوْمي دُونَ مَدحِكَ أنّني صَبٌّ بغَيرِ جَلالِ وَجْهِكَ مُغرَمُ
لَكِنّهَا نَفْسٌ تُصَانُ لتُنْتَضَى . وَتُجَمّ مِنْ طُولِ المَقَالِ ، فتُفعَمُ[1]
أنتَ العُلَى . فَلِقَصْدِها مَا أقْتَني مِنْ جَوْهَرٍ ، وَلِمَدْحِهَا مَا أنْظِمُ
مَا حَقّ مِثْلِي أنْ يُضَاعَ ، وَقَوْلُهُ بَاقي العِمَادِ عَلى الزّمَانِ مُخَيِّمُ
وَأجَلّ مَا أبْقَى الرّجَالَ فَضِيلَةٌ تَمتَاحُهَا أذُنٌ ، وَيُودِقُهَا فَمُ[2]
وَأنَا القَرِيبُ قَرَابَةً مَعْلُومَةً ، وَالعِرْقُ يَضرِبُ وَالقَرَائِبُ تُلحَمُ

١ تنتضى : تسل ، تجرد . تجم : تترك . تفعم : تملأ .
٢ تمتاحها : أراد تنتزعها . تعبا . يودقها : يمطرها .

إنّي لأرْجُو مِنْكَ أنْ سيَكونُ لي ... يَوْمٌ أغيظُ بِهِ الأعادي أيْوَمُ
وَأنالُ عِنْدَكَ رُتْبَةً مَصقُولَةً ... إنْ عايَنَ الأعْداءُ رَوْنَقَها عَمُوا
إنّي ، وَإنْ ضَرَبَ الحِجابُ بطَوْدِهِ ... أوْ حالَ دُونَكَ يَذْبُلٌ وَيَلَملَمُ
لأراكَ في مِرْآةِ جُودِكَ مِثلَما ... يَلْقَى العِيانَ النّاظِرُ المُتَوَسِّمُ
وَلَقَدْ أطاعَكَ مِنْ عَلِيٍّ ناصِحٌ ... ماضِي الجَنانِ ، إذا أظَلّكَ ، مُغرَمُ
يُرْضِيكَ ظاهِرُهُ ، وَبَينَ ضُلُوعِهِ ... قَلْبٌ ، بِما يُدْني إلَيكَ ، مُتَيَّمُ
فاشدُدْ يَدَيكَ بهِ يَدُمْ لكَ ناقضٌ ... يَؤدُ مِنَ الأُمُورِ وَمُبْرَمُ[1]
عِلْماً أقُولُ بَدِيهَةً وَرَوِيّةً ، ... وَيَصَلُّ عِندَكَ قَائِلٌ لا يَعلَمُ
شِعْراً أُثِيرَ بِهِ العَجاجُ بَسالَةً ، ... كالطّعْنِ يُدْمي ، وَالقَنَا يَتَحَطّمُ
وَفَصاحَةً ، لَوْلا الحَياءُ لهَجّنَتْ ... أعْلامَ ما قَالَ الوَليدُ وَمُسْلِمُ
وَخَطَابَةً للسّمْعِ في جَنَباتِها ... شُغُلٌ يَعُوقُ عَنِ الذي يَتَرَنّمُ
فَعَلَى مَ يَطْلُبُ غايَتي مُتَسَرّعاً ، ... غُلُقُ الجَنانِ ، أقولُ ما لا يَفهَمُ[2]
هَيهاتَ أقعَدَكَ الحَضيضُ مُؤخَّراً ... عَنّي ، وَجاوَرَني السُّها وَالمِرْزَمُ[3]
أزْدادُ فِكْراً في الزّمانِ ، فإصْبَعي ... لِنَوَاجِذِي ، أبَدَ اللّيالي تَرْأمُ[4]
وَأرَى الحَليمَ يُنالُ مِنْ إعرَاضِهِ ، ... وَيَسُلُّ مِقْوَلَهُ السّفيهُ ، فيَعظُمُ

١ يؤد : يثقل .
٢ غلق الجنان : مغلق القلب .
٣ السها والمرزم : من النجوم
٤ ترأم : تألف وتلزم .

يقتادُ مَخْشِيُّ الرّجالِ مُرادَهُ   عفْواً ، ويُظلَمُ كُلُّ مَن لا يَظلِمُ
قَلْبٌ يُسيغُ الحادِثاتِ ، وعِنْدَهُ   عزْمٌ على نُوَبِ الزّمانِ مُصَمّمُ
يا دَهرُ! دونَكَ قد تماثَلَ مُدنَفٌ،   واقتَصَّ مُهتَضَمٌ ، وأوْرَقَ مُعدِمُ
إنّي علَيكَ ، إذا امتلأتَ حَميّةً ،   بِنَدَى أميرِ المُؤمِنينَ مُحَرَّمُ
وَمُذِ ادّرَعْتَ عطاءَهُ وَفِناءَهُ ،   أرمي ويَرْميني الزّمانُ ، فَأسْلَمُ
وَإذا الإمامُ أعارَ قَلْبيَ هِمّةً ،   فالأمرُ أمرِي ، والمَعاطِسُ تُرْغَمُ

مسوم الرايات

قال يمدح الملك بهاء الدولة ويهنئه بتحويل سنته وأنفذها إليه وهو بواسط في جمادى الآخرة سنة ٣٨٨ :

أتَرَى دِيارَ الحَيّ بالـ   ـجِزْعَينِ باقيَةَ الخيامِ
أمْ فرّقَتْهُمْ خِلْفَةُ الـ   أيّامِ ، أوْ نَجعُ الغَمامِ[1]
ماذا على الرُّكْبانِ لَوْ   حَيَّوا طُلُولَكَ بالسّلامِ
أوْ بَلّغُوا عَنْ وَاجِدٍ   لَفَّ الضّلُوعَ على الغَرامِ
دارٌ وَصَلْتُ بِها الهوَى ،   وَقَطَعْتُ أقْرانَ المَلامِ

١ الخلفة : الاختلاف . النجع : تتبع الغيث لرعي الكلإ . الغمام : السحاب .

وَبَلَوْتُ مِنْ سُكْرِ الشّبَا ... بِ أجَنّ مِن سُكْرِ المُدامِ
أيّامَ أنْظُرُ في مَعَا ... طِفِ شَمْلَتي نَظَرَ القَطامي[1]
وَأرُوحُ قَائِدَ فِتْيَةٍ ... سُودِ الغَدائِرِ وَالجُمَامِ
سَقْياً لأزْمَانٍ بِهَا ... كُنْتُ المُلَقَّبَ بالغُلامِ
قَدْ قُلْتُ للرّكبِ الهُجُو ... دِ عَلى الأمَاعِزِ وَالإكَامِ[2]
هُبّوا ، فَقَدْ تَتَيَقّظُ ال ... أجْدادُ للقَوْمِ النّيَامِ
زَمّوا المَطِيّ وَأحْلَسُوا ... مِنهَا عَلى الدُّبرِ الدّوَامي[3]
وَدَعُوا نَوَاظِرَها مِنَ ال ... إرْقَالِ تَعْمَى بِاللُّغَامِ
حتّى تُنِيخُوا في حِمَى ... صَعْبِ المَرَاقي وَالمَرَامي
مَلِكِ المُلُوكِ بِهِ يُرَا ... وَحُ بَينَ عَفْوٍ وَانْتِقَامِ
مَا إنْ أبَالي مَنْ وَرَا ... ئي بَعدَ أنْ يُضْحي أمَامي
كاللّيْثِ يَقْتَنِصُ الرّجَا ... لَ وَلا يُغيرُ عَلى السّوَامِ
يُظْمي الرِّوَاءَ ، إذا سَطَا ، ... وَإذا سَخَا أرْوَى الظّوَامي
القَائِدُ الجُرْدِ العِتَا ... قِ يَجُلْنَ في بيضٍ وَلامِ
مِنْ كُلّ ذي خُصَلٍ مُرَا ... حِ السّوْطِ مكدودِ اللّجامِ[4]

١ شملتي : ما أشتمل به ، ألتف به . القطامي ، بالفتح والضم : الصقر .
٢ الأماعز ، الواحدة معزاء : الأرض الغليظة .
٣ أحلسوا ، من أحلس البعير : غشاه بالحلس ، وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة . الدبر ، الواحدة دبرة : قرحة الدابة .
٤ الخصل : الشعور المجتمعة ، الواحدة خصلة . المراح من الاراحة : المكدود ، المتعب .

وَمُسَوَّمِ الرَّايَاتِ يَخْـ فِقُ في الجماهيرِ العِظَامِ
وَمُخَوَّلِ النِّعَمِ الجِسَا مِ وَنَازِعِ النِّعَمِ الجِسامِ
إنَّ الجِيَادَ عَلَى المَرَا بِطِ تَشْتَكِي طولَ الجُمامِ
تَرْمِي بِأعْيُنِهَا إلى البَلَدِ اليَمَانِي وَالشَّآمِ
يَصْهُلْنَ مِنْ شَوْقٍ إلى قَطْعِ المَفَاوِزِ وَالمَوَامِي
وَمُصِرَّةِ الآذانِ تَرْ قُبُ وَثْبَةً بَعْدَ القِيَامِ
فَاصْدُمْ بِهَا ثُغَرَ العِدا ، بِجَوَانِبِ اللَّجِبِ اللُّهَامِ[1]
يَحْمِلْنَ أُسْدَ الغَابِ قَدْ عَقَدُوا الدَّوَابِرَ بِاللِّمَامِ
مُسْتَلْثِمِينَ بِهَا كَأَ نَّ رُؤوسَهُم بَيضُ النَّعامِ
مِنْ كُلِّ هَفَّافِ القَمِيـ صِ أشَمَّ مَعْرُوقِ العِظَامِ
مَاضٍ كَأنَّ ذِرَاعَهُ مِنْ قَائِمِ العَضْبِ الحُسامِ
يَغْدُونَ في فِيحِ الفَلا ، مُتَجَاوِرِينَ مِنَ الزِّحَامِ
يَتَفَيَّؤونَ عَجَاجَةً كَجَآجِىءِ الغَيْمِ الرُّكَامِ[2]
حَتَّى تَقُودَ مِنَ المَطَا لِبِ كُلَّ مَمْنُوعِ الزِّمَامِ
لا تَغْرُرَنَّكَ مِنْ عَدُ وِّكَ رَمْيَةٌ مِنْ غَيرِ رَامِ
أشْلَى بِهَا الضِّرْغَامُ حَـ تَّى هَبَّ مِنْ طِيبِ المَنَامِ[3]

١ اللهام : الجيش العظيم .
٢ الجآجىء ، الواحد جؤجؤ . الركام : السحاب المتراكم
٣ أشلى بها : دعا بها .

هيَ عِنْدَهُ سَبَبُ الشَّبَا ... بِ، وَعِندَنا سَبَبُ الفِطامِ
أنّى يُقَرْطِسُ ذُو العَمَى ... غَرَضَ المَرَامي بالسِّهَامِ[1]
هَيهَاتَ أنْ تَطَأ الذّنَا ... بُ مَرَابِضَ اللّيثِ الهُمَامِ
أينَ النّجُومُ مِنَ الحَصَى؛ ... أينَ النُّضَارُ مِنَ الرُّغَامِ
غَلَبَتْ عَلى كَرَمِ المَعَا ... رِقِ فيهِ أخْلاقُ اللّئَامِ
فَذَوَتْ نَضَارَتُهُ، وَغُصْ ... نُكَ دُونَهُ رَيّانُ نَامِ
طَلَبَ العُلَى خَبطاً، فَضَ ... لَّ ضَلالَ عاشِيَةِ الظّلامِ
يَحْدُو بِهَا سَفَهاً، وَقَدْ ... عَلِقَتْ يَمِينُكَ بالخِطامِ
يا كَاشِفَ الكَرْبِ المُلِ ... مِّ، وَكَافيَ الدّاءِ العُقَامِ
بُلّغْتَ غَايَاتِ المُنَى، ... وَوَرِثْتَ أعْمَارَ الأنَامِ
فَاسْلَمْ عَلى غَيظِ الزّمَا ... نِ، وَدُمْ على رُغمِ الحِمامِ
وَتَهَنَّ بِالتّحْوِيلِ غَيْ ... رَ مُحَوَّلٍ عَنْ ذا المَقَامِ
مُتَمَلّياً بِالعُمْرِ يُعْ ... طيكَ الرّدى عَقدَ الذّمامِ
لا زِلْتَ تَلْبَسُ كُلَّ عَا ... مٍ وَاعِدٍ بِبُلُوغِ عَامِ
لَوْ كَانَ شَيْءٌ دائِماً ... بَشّرْتُ مُلْكَكَ بالدّوَامِ

١ يقرطس : يصيب .

عيفان الخمر

قال في صفة مجلس وقد سئل ذلك

وَلَيْلَةٍ مَا خَلَصْتُ مِنْهَا إلى خُفُوقٍ وَلا مَنَامِ[1]
يَفْعَلُ فِيهَا ضِيَاءُ وَجهي مَا يَفعَلُ البَدْرُ في الظّلامِ
عِفتُ بِها الخَمرَ ، وَهيَ تُجلى ، وَالكَأسُ مَحطُوطَةُ اللّثَامِ
وَحَاشَ للبَدْرِ ، وَهوَ وَجهي ، يَخْطُبُ شَمْساً مِنَ المُدامِ
غَيرِي مِنَ الخَمرِ في رِضَاعٍ ، أرْغَبُ عَنْهُ إلى الفِطَامِ

سأمطرها دماً

أبَا هَرِمٍ أنْحُهَا ، إنّني سَأُمْطِرُهَا عَنْ قَلِيلٍ دَمَا
وَلا تَشْمَخَنَّ بِأنفِ الأبيّ ، فَأوْلَى لأنفِكَ أنْ يُرْغَمَا
وَإنّكَ يَوْمَ تَنَزّى عَليّ وَتَبْغي ليَ المُؤيَدَ الصَّيْلَمَا[2]
كَمَنْ صَارَعَ الأسَدَ المُسْتَغِيرَ في الغابِ ، أوْ ساوَرَ الأرْقَمَا

١ الخفوق : تحريك الرأس من النعاس .
٢ المؤيد : الأمر العظيم ، الداهية . الصيلم : الأمر الشديد .

بَدَأتَ ، فعقّبتَ في المُعضِلاتِ ،   وكُنتُ أرَى البادىءَ الأظْلَمَا
وَمَا كُنْتُ أرْمي بِسَهْمِ العُقُو   قِ إلاّ امرَأً صَابَني إذْ رَمَى
قَذَفْتُكَ في التّيهِ مِنْ بَعدِ ما   سَلَكْتُ بكَ السَّنَنَ الأقوَمَا
وَقَدْ كَانَ أشرَقَ جوّي علَيكَ ،   وَلَكِنْ لِظُلْمِكَ مَا أظْلَمَا
فَقِفْ حَيْثُ أنْتَ ، فَما كلّ مَن   بَغَى أنْ يَطُولَ وَيَسمُو سَمَا
وَلا مَنْ تَقَدّمَ نَالَ العُلَى   رَخيصاً ، وَلَكِنْ مَنْ قُدّمَا
سَأبْعَثُهَا ظُبَةً تَختَلي الـ   ـخَصَائِلَ ، أوْ تَعرُقُ الأعظُمَا
فَدُونَكَهَا قَاصِفاً عَاصِفاً ،   مِنَ الشّرّ ، أوْ عَارِضاً مُرْزِمَا
قَوَارِصَ تَنْثُرُ نَظْمَ الدّرُوعِ ،   وَتَسْتَنْزِلُ البَطَلَ المُعْلَمَا
فَمَنْ كَانَ يَسقيكَ رَيَّ الجَنَى ،   فَإنّي سَأُلْعِقُكَ العَلْقَمَا
وَمَنْ كَانَ يَلْقَاكَ مُسْتَسْلِماً ،   فَإنّي أُلاقِيكَ

أتطمع

أتَطْمَعُ أنْ أُلْقي إلَيكَ مَقَادَتي ،   وَلي مَارِنٌ مَا مَرّنَتْهُ الخَزَائِمُ[1]
وَتُكْثِرُ بِالأمْرِ العَظِيمِ تَهَدُّدي ،   وَمِنّيَ تَنْفَضّ الأمُورُ العَظَائِمُ
وَقَدْ عَجَمَ الأقوَامُ بَعدَكَ صَعدَتي ،   فَمَا أثّرَتْ فِيهَا النّيوبُ العَوَاجِمُ

١ الخزائم ، الواحدة خزامة : ما يوضع على جانب منخر البعير

اكبر آمالي

أأبْقَى علَى نِضْوِ الهُمُومِ كَأنّمَا ... سَقَتْني اللّيالي مِنْ عَقابيلِها سُمّا[1]
وَأكْبَرُ آمَالي مِنَ الدّهْرِ أنّني ... أكُونُ خَلِيّاً لا سُرُوراً وَلا هَمّا
أكُرّ أحَاديثَ المَطامِعِ ضِلّةً ، ... وَألْقِحُ مِن هذي المُنى أبطُناً عُقْما
فَلا جَامِعاً مالاً ،وَلا مُدرِكاً عُلًى ، ... وَلا مُحرِزاً أجْراً ، وَلا طالباً عِلْما
بأُرْجُوحَةٍ بَينَ الخَصاصَةِ وَالغِنَى ، ... وَمَنْزِلَةٍ بَينَ الشّقَاوَةِ وَالنّعْمَى

ابا مطر

أبَا مَطرٍ ، وَجِذْمُكَ مِنْ مَعَدٍّ ، ... كَذاتِ العُرّ في السّرْحِ السّلِيمِ[2]
سُرَاةُ أدِيمِ هَذا الحَيّ فِهرٌ ، ... وَبَعضُ القَوْمِ زِعْنِفَةُ الأدِيمِ[3]
قَنَاةٌ نَحنُ أمْلَسُهَا ، وَأنتُمْ ... مَكَانُ العَابِ مِنْهَا وَالوُصُومِ
وَمَا وَضَعَتْكَ حَاضِنَةٌ . وَلَكِنْ ... تَمَطّقَ فُوكَ مِنْ لَبَنٍ لَئِيمِ
إذا المِنْتَاجُ لَمْ يَنْجُبْ فَتَاهَا . ... فَلَيْسَ الفَضْلُ إلاّ للعَقِيمِ[4]

١ عقابيلها : شدائدها .
٢ جذمك : أصلك . ذات العر : الجربى . السرح : الماشية .
٣ الزعنفة : طرف الجلد كاليدين و الرجلين .
٤ المنتاج : الكثيرة النتاج .

ما الذنب للمزن

قال في معنى سئل القول فيه :

قالُوا: رَجَوْتَ النّدى منهُ بلا سَبَبٍ، فقُلتُ: هَلْ سَبَبٌ أقوَى من الكَرَمِ
وَسيلَتي أنّهُ غَيْثٌ، وَلي ظَمَأٌ. وَإنْ ظَمِئْنَا تَوَسّلْنَا إلى الدِّيَمِ
قَرَعْتُ بَابَكَ لا أخشَى تَمَنُّعَهُ. فَإنْ تَمَنّعَ لَمْ أعْذَلْ وَلَمْ ألُمِ
لَمْ أرْمِ بالظّنّ إلاّ مَنْ يُصَدّقُهُ. وَلا تَوَخّيْتُ إلاّ مَوْضِعَ النِّعَمِ
ما الذّنْبُ للمُزْنِ جَازَتْني مَوَاطِرُه. وَإنّمَا الذّنْبُ لِلأرْزَاقِ وَالقِسَمِ

قضى الحمام وطره

قال قدس الله تعالى

إذا أرْعَدُوا يَوْماً لَنَا بِوَعيدِهِمْ، عَلى النّأيِ، أبْرَقْنَا لهُمْ بالصّوَارِمِ
وَيَوْماً عَلى الأهوَازِ كانَتْ جِيَادُهُ تُوَدِّجُ في لَبّاتِهَا بِاللّهَاذِمِ
قضَى وَطراً مِنها الحِمامُ. وَمَا اشتَفى حُسامُكَ فيهِ مِنْ قِرَاعِ الجَمَاجِمِ

أنوف المجد

فِي كُلِّ يَوْمٍ أُنُوفُ المَجدِ تُصْطَلَمُ ، وَتُستَزَلُّ لأرْكَانِ العُلَى قَدَمُ[1]
طَوْدٌ تَصَدَّعَ مِنْ صَمّاءَ شَاهِقَةٍ ، تَنْبُو مِنَ العِزّ عَن أقطارِهِ القُدُمُ[2]
جَوَائفٌ مِنْ جِرَاحِ الدّهرِ بَالغَةٌ إلى القُلُوبِ ، وَلا يَجرِي لهنّ دَمُ[3]

أولى الصباح

وَكَأنّمَا أُولى الصّبَاحِ ، وَقَدْ بَدَا فَوْقَ الطُّوَيْلِعِ ، رَاكِبٌ مُتَلَثّمُ
وَأذاعَ بالظّلْمَاء فَتْقٌ وَاضِحٌ ، كَالطّعْنَةِ النّجْلاءِ يَتبَعُهَا الدّمُ

١ تصطلم : تستأصل .
٢ القدم ، الواحد قدوم : آلة للنجر .
٣ الجوائف ، الواحدة جائفة : الطعنة تبلغ الجوف .

ترحلنا الايام

تُرَحّلُنَا الأيّامُ ، وَهْيَ تُقِيمُ ، وَيَجرَحُ فينا الخَطبُ، وَهوَ سليمُ
وَيَبقَى عَلى رَيبِ الزّمانِ لَهِنّهُ عَلى ذي اللّيَالي هَيّناً لكَرِيمُ[1]

شهب ودهم

بَعَثْتُ بِهَا مُعَرَّقَةَ الهَوَادي ، وَقَعنَ إلى المَدى وَقْعَ السّهَامِ
فَمِنْ شُهُبٍ كَغُرّانِ المَسَاعي، وَمِنْ دُهْمٍ كأخلاقِ اللّئَامِ

اعقل قلوصك

أعقُلْ قَلوصَكَ بالأجرَاعِ من إضَمٍ ، حيثُ استُسيغَ النّدى وَاستُلفظَ اللُّومُ[2]
تَلقَى على المَاءِ بِيضاً مِنْ بَني ثُعَلٍ ، دِيباجُ أوْجُهِهِمْ بالبِشرِ مَرْقُومُ
عِمادُ أبياتِهِمْ سُمرُ الرّماحِ ، وَمِنْ أطنابِها الخَيلُ تَعطُو وَالأنَاعِيمُ[3]

١ لهنه : لأنه .
٢ اللوم : مسهل اللؤم .
٣ الأناعيم : جمع جمع للنعم ، أي الإبل

كأن ايديها

كَـأنّ أيْدِيهَا بوَادِي الرُّمَامْ ، بَيْنَ حِفَافَيْ جَنْدَلٍ أوْ أرَامْ[1]
أنَامِلُ الوِلْدانِ يَفلِينَ الهَامْ

سود وحمر

وَسُودُ النّوَاظِرِ حُمرُ الشّفَا ءِ ، تَحسَبُهُنّ وَلَغْنَ الدّمَا
قَرِيبٌ لِألْوَانِهِنّ الشّقِيـ قُ ، مُفتَضَحٌ عندَهنّ اللّمَى

ربما رد عنك

رُبّمَا رَدّ عَنْكَ سَهْمَ المُرَامي ، عَاكِسٌ مِنْ عَوَائِقِ الأيّامِ
حَابِسُ الفِيلِ بالمُغَمَّسِ ، وَالأُحْـ بُوشُ يَزْجُرْنَهُ قَدامِ قَدامِ[2]

١ الرمام : البقل . حفافي : جانبي . الجندل : الموضع الحجر . ارام : جبل .
٢ المغمس : موضع بطريق الطائف . قدام : اسم فعل بمعنى أقدم . وأراد بالأحبوش : جماء أبرهة وهم ، عند العرب ، أصحاب الفيل .

كل يوم

كُلَّ يَوْمٍ يُجَبُّ مِنِّي سَنَامُ ، وَتَدَاعَى لِثَلْمِيَ الأيّامُ[1]
وَاقِفاً كُلَّ مَوْقِفٍ تَتَهَاوَى دُونَهُ ، أوْ تُزَلْزَلُ الأقدامُ

بذلة العيون

إتّقَوْا بِذْلَةَ العُيُونِ ،فَغَابُوا، وَبِآرَائِهِمْ يُرَبُّ الأنَامُ[2]
إنَّ مَنْ خاضَتِ النّوَاظرُ فيهِ لحَرٍ أنْ تَخُوضَهُ الأقْدامُ

مجيري همام

قال في معنى عرض

يَعْلَمُ الجَدُّ أنّني لا أضَامُ . وَمُجِيرِي مِنَ الزّمَانِ هُمَامُ
لحَمَاني أغَرُّ ، شِيمَتُهُ الكَرُّ ، وَنَصْلٌ حَلِيُّهُ الإحْرَامُ

١ يجب : يقطع . الثلم : احداث الخلل .
٢ بذلة العيون : أي العيون المبتذلة ، التي تترك الاحتشام والتصون . يرب : يساس

رُبَّ قَوْلٍ نُمي إليَّ ، وَعَزْمي غَافِلٌ ، وَالهُمُومُ عَنّي نِيَامُ
وَتَعَرّفْتُ قَائِليهِ ، وَلَكِنْ ، آهِ لَوْ كَانَ في يَميني حُسَامُ
كَيفَ تَخدي إليهِمُ الذُّبَّلُ السُّمْرُ ، وَتُعدَى عَلَيهِمُ الأقْلامُ[1]
دُونَ أنْ أقْبَلَ المَذَلّةَ ؛ للعِزِّ إبَاءٌ وَنَخْوَةٌ وَعُرَامُ
وَطِعَانٌ تَنْدَقّ فيهِ العَوَالي ، وَضِرَابٌ يَزْوَرّ مِنْهُ الحِمَامُ
لَسْتُ أدْري مَاذا يَقولُ لِسَاني ، وَفَمي للمَقَالِ فِيهِ ازْدِحَامُ
وَكَأنّ الحِمَامَ فِينَا جَنيبٌ ، يَتْبَعُ العَيشَ ، وَالزّمَانُ زِمَامُ
فاصرِفِ الهَمَّ ،إنّما العَيشُ يومٌ ، وَدَعِ القَوْلَ إنّمَا الدّهرُ عَامُ
أيّهَا العَاجِزُ المُكَدِّرُ وِرْدي ، رُبّمَا عَرّفَتْكَ تِلْكَ الجُمَامُ[2]
فانتَفِقْ في الوِجَارِ،وَاقعُد ذَليلاً ، قَدْ كَفَاكَ الجُلّى رِجالٌ قِيَامُ[3]

محرس الدهر

يفتخر ويمدح أباه رضي الله عنهما :

بَيْني وَبَينَ الصّوَارِمِ الهِمَمُ ، لا سَاعِدٌ في الوَغَى وَلا قَدَمُ
لا تَسبرِيني بغَرْبِ عَذلِكِ لي ، فَمَا لجُرْحي مِنَ النّدى ألَمُ

١ تخدي : تسرع . تعدى : تنصر وتقوى .
٢ الجمام : معظم الماء .
٣ انتفق في الوجار : ادخله ، والوجار : جحر الضبع وغيرها . الجلى : الأمر العظيم .

وَخائِفٍ في حِمَايَ قُلْتُ لَهُ : كُلُّ دِيارٍ وَطِئْتَهَا حَرَمُ
يُعْجِبُني كُلُّ حازِمِ الرّأيِ لا يَطْمَعُ في قَرْعِ سِنّهِ النّدَمُ
إنْ قامَ خَفّتْ بِهِ شَمَائِلُهُ ، أوْ سَارَ خَفّتْ بوَطْئِهِ القَدَمُ
وَلا أُحِبّ الغُلامَ مُتّهِماً ، يَشُقّ جِلْبابَ سِرّهِ الكَلِمُ
صَدْرٌ كَصَدْرِ الحُسَامِ لَيسَ لَه سِرٌّ بِنَضْحِ الدّمَاءِ مُنكَتِمُ
صُفّتْ نِطَافُ المُنَى فقُلتُ لَهَا : مَا أجنَتْ في دِيَارِنَا النِّعَمُ[1]
تَجْرِي اللّيَالي على حُكُومَتِنا ، وَفي الزّمَانِ النّعِيمُ وَالنِّقَمُ
تَلْعَبُ بالنّائِبَاتِ أنْفُسُنَا ، كَأنّهَا في أكُفّنَا زَلَمُ[2]
وَلَيْلَةٍ خُضْتُهَا على عَجَلٍ ، وَصُبْحُهَا بالظّلامِ مُعتَصِمُ
تَطَلّعَ الفَجْرُ مِنْ جَوَانِبِهَا ، وَانْفَلَتَتْ مِنْ عِقَالِهَا الظُّلَمُ
كَأنّمَا الدّجْنُ ، في تَزَاحُمِهِ ، خَيلٌ لهَا مِنْ بُرُوقِهِ لُجُمُ
مَا زَالَتِ العِيسُ تَستَهِلّ بِنَا ، وَاللّيْلُ في غُرّةِ الضّحَى غَمَمُ[3]
فَاضَ عَلى صِبغَةِ الظّلامِ بِنَا شَيبٌ مِنَ الصّبحِ وَالرُّبَى لِمَمُ[4]
يا زَهرَةَ الغُوطَتَينِ تَبْخُلُ بِالْبِشْ رِ ، وَما مَسّ أرْضَكِ العَدَمُ[5]
كَمْ فيكِ مِنْ مُهجَةٍ مُعَذَّبَةٍ ، هَجِيرُهَا بالنّسِيمِ يَلتَطِمُ

١ أجنت : تغيرت .
٢ الزلم ، واحد الأزلام : السهام التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية .
٣ قوله : غمم ، شبه سيلان الظلام على الأرض بسيلان الشعر على الجبهة والقفا ، حتى يضيقا.
٤ الربى : الأمكنة المرتفعة ، الواحدة ربوة . اللمم ، الواحدة لمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .
٥ الغوطتان مثنى غوطة : إحداهما لبني أبي بكر والثانية بأرض طي .

وَمِنْ غُصُونٍ ، عَلَى ذَوَائِبِهَا يَزْلَقُ طَلُّ الرِّيَاضِ وَالدِّيَمُ
وَفِتْيَةٍ عَلَّمُوا القَنَا كَرَماً ، فَأصْبَحَتْ مِنْ ضُيُوفِها الرَّخَمُ
تَكَادُ إنْ أشرَقَتْ جِباهُهُمُ تُضِيءُ مِنْهَا الشُّعُورُ وَاللِّمَمُ
وكَيفَ يُخفيهِمُ الظّلامُ ، وَفي جَحَافِلِ اللّيْلِ مِنهُمُ رَثَمُ[1]
إنّ يَمِينَ الحُسَينِ تُنصِفُني ، إنْ جَارَ أعداؤهَا وَإنْ ظَلَمُوا
لا يَطمَعُ الذّلُّ في جِوَارِ فَتًى تَلْمَعُ فيهِ الصّوَارِمُ الحُذُمُ
يَثْبُتُ في كَفّهِ الحُسَامُ كَمَا يَعْثُرُ في غَيرِ كَفّهِ الكَرَمُ
إذا تَخَطّى عَجَاجَةً زَحَفاً آرَاؤهُ ، وَالرّمَاحُ تَنهَزِمُ[2]
تَضْحَكُ عَنْ وَجْهِهِ غَيَاهِبُها، كَأنّهُ بِالهِلالِ مُلْتَثِمُ
فَشَقّهَا وَالحَدِيدُ مُطّرِدٌ ، وَخَاضَهَا وَالضِّرَابُ مُضْطَرِمُ
وَاستَلّ أسْيَافَهُ مُحَرَّشَةً ، فَاستَلَبَتْهَا الرّقَابُ وَالقِمَمُ
إذا المَذاكي بَاحَتْ مَحَازِمُهَا ، وَاضْطَرَمَتْ في شُدُوقِها اللُّجُمُ
وَقَرّهَا . وَالرّمَاحُ طَائِشَةٌ ، وكَفّهَا ، وَالسّيُوفُ تَزْدَحِمُ
إذا ذُبُولُ الشّفَاهِ شَمّرَهَا في الغَمَرَاتِ الحِفَاظُ وَالسّأمُ[3]
قَلّصَ عَنْ ثَغْرِهِ مَضَاحِكَهُ . كَأنّهُ في العُبُوسِ مُبْتَسِمُ
إذا خِمَارُ الظّلامِ لَثّمَهُ ، تَسَاقَطَتْ عَنْ قَمِيصِهِ التُّهَمُ

١ الجحافل ، الواحدة جحفلة : هي للخيل بمنزلة الشفة للإنسان . الرثم : كل بياض أصاب الجحفلة العليا ، فبلغ موضع الرسن .
٢ قوله : زحفاً ، هكذا في الأصل ولعلها : زحفت .
٣ شمرها : أرسلها . الغمرات : الشدائد . الحفاظ : الذب عن المحارم .

كَأنّهُ مِنْ سُرُورِ يَقْظَتِهِ ، بَشَرَهُ بِالمَدائِحِ الحُلُمُ
إذا استَطَالَتْ هُمُومُهُ سَكِرَتْ في كَفّهِ البِيضُ وَانتَشَى القَلَمُ
وَإنْ سرَى أسفَرَتْ صَوَارِمُهُ ، وَالتَثَمَتْ بِالحَوَافِرِ الأكَمُ
مَا ضَجّ مِنْ طُولِ مَطلِهِ أمَلٌ ، وَلا اشتَكَتْهُ العُهُودُ وَالذِّمَمُ
لَوْ فَطَنَتْ بِالقِرَى سَوَائِمُهُ ، لمَا مَشَتْ تَحتَ وَفدِهِ النَّعَمُ
يُعارِضُ الخَيلَ ، في عَرَضْنَتِها ، قَرْمٌ إلى نَهْبِ لَحْمِهَا قَرِمُ[1]
وَاسعُ خَرْقِ الضّميرِ حيثُ سرَى ، تَبَحبَحَتْ في مُرادِهِ الهِمَمُ
كَأنّمَا بِيضُهُ ضَرَاغِمَةٌ ، غُمُودُهَا في الكَتَائِبِ الأجَمُ
لارْتَشَفَ الخَمْرَ ، وَهْوَ يَلفِظُها ، لَو انّ مَا تُضْمِرُ الكُؤوسُ دَمُ
إنّ العِدا عَنْ غُرُوبِهِ طَلَعوا ، وَبَعْدَمَا غَارَ سَيفُهُ نَجَمُوا
مَا ألِمُوا للوَعِيدِ فِيكَ شَبَا الـ طّعْنِ ، وَبَعْدَ المَصَائِبِ الألَمُ
يا مُخرِسَ الدّهْرِ عنْ مَقالَتِهِ ، كُلٌّ زَمَانٍ عَلَيْكَ مُتّهَمُ
شَخصُكَ ، في وَجهِ كُلّ داجِيَةٍ ضُحًى ، وَفي كُلّ مَجهَلٍ عَلَمُ
إلى أبي أحْمَدٍ صَدَعْتُ بِهَا قَلْبَ الدُّجَى وَالضّمِيرُ يَضْطَرِمُ
بَزّ زُهَيراً شِعرِي ، وَهَا أنَا ذا لمْ أرْضَ في المَجْدِ أنّهُ هَرِمُ

[1] العرضنة : مشية نشيطة ، فيها بغي . القرم بالسكون : الفحل . القرم بالكسر : شديد شهوة اللحم .

حلأني الأعداء

قال في معنى عرض له :

لا عَادَتِ الكَـأسُ عَليلَ النّسيمْ   بَعدي ، وَلا فُضّتْ ختامُ الهُمومْ
في لَيْلَةٍ غَابَ مَعي بَدْرُهَا ،   وَحَارَبَتْهَا في الظّلامِ النّجُومْ
لا سَحَبَ النّشْوَانُ مِنْ ذَيْلِهِ   فِيهَا ، وَلا دَرّتْ عَلَيهَا الكُرُومْ
غِبتُ ، وَشَوْقي عِندَهَا حَاضِرٌ ،   شَيّعَهُ القَلْبُ وَرَاءَ الحَرِيمْ
جَاءَ وَجِلبَابُ الدُّجَى شاحِبٌ ،   وَعَادَ وَالجَوُّ صَقِيلُ الأدِيمْ
لَوْ أنّ قَلْبي مُطْلَقٌ في الحَشَا ،   جرَى إلَيْهَا في عِنَانِ النّسيمْ
يَا لَيْلَةً تَكْسِرُ ألحَاظَهَا ،   كَأنّهَا مَكْحُولَةٌ بالغُيُومْ
كَمْ لَيْلَةٍ مِثلِكِ أنْضَيْتُهَا ،   وَالرّاحُ تُزْجَى مِنْ إزَارِ النّديمْ
يَكَادُ مِنْ حُسنٍ ، إذا زُرْتُهَا ،   تُحْدِثُ بُرْءاً في الهِلالِ السّقِيمْ
في مَجْلِسٍ قَوّمَ أعْطَافَهُ ،   تَقَارُبُ الوَصْلِ وَقُرْبُ النّعيمْ
يَجلُو عَليّ الكَأسَ مِنْ خِدرِها   أبيَضُ سامي الفَرْعِ نامي الأرُومْ
تَعَلّقَ الحُسْنُ بِأطْرَافِهِ ،   فَمَالَ ، وَالأغصَانُ لا تَستَقيمْ
مُوَقَّرُ الشّيمَةِ إنْ جَاذَبَتْ   مَقالَهُ ، يوْمَ الجِدالِ ، الخُصُومْ
في حَيثُ تَنزُو عَذَبَاتُ الحُبَا   بالقَوْمِ ، حتّى تَستَطيرُ الحُلومْ[1]

١ تنزو : تثب . عذبات ، الواحدة عذبة : الطرف من كل شيء . الحبا ، الواحدة حبوة : ما يحتبى به . الحلوم ، الواحد حلم : العقل .

يُقْرِضُني الوُدَّ عَلى نَـأْيِـهِ ، وَعندَ قُرْبِ الدّارِ نِعمَ الحَميمْ

حَـلأني الأعْداءُ عَنْ وِرْدِهِ ، وَبي إلى المَاءِ نِزَاعٌ مُقِيمْ[1]

أُذادُ أنْ أرْفُلَ في أرْضِهِ ، وَيَرْتَعي ذاكَ الجَنابَ العَميمْ[2]

إنْ دَفَعُوا ظِمئي ، فَيا رُبّمَا ذادَتْ عنِ الماءِ الحِقاقُ القُرُومْ[3]

مِنْ بَعدِ ما مُدّتْ حَيازِيمُهُمْ عَلى قُلُوبٍ داميَاتِ الكُلُومْ

في كُلّ يَوْمٍ تُنتَضَى مِنْهُمُ قَوَارِصٌ تَعقرُ حِلْمَ الحَلِيمْ

أحيَتْ شَـآبِيبُ الحَيَا مَنْزِلاً مَاتَ لَنَا فيهِ الزّمَانُ القَديمْ

أيّامَ يَغْدُو الرّوْضُ مُستَبشِراً ، وَنَجتَلي تلكَ الرُّبَى وَالرّسُومْ

كَمْ صَبَغَ الدّهرُ قَميصَ الثّرَى ، وَعادَ رِقٌّ الأرْضِ ضَاحي الوُشُومْ[4]

وَالدّهْرُ في أبْيَاتِنا جُؤذَرٌ ، فالآنَ أضْحَى وَهوَ لَيثٌ شَتيمْ[5]

أيّامَ نُزْجي مِنْ مَوَاعِيدِنَا ضَرَاغِماً تَفرِسُ عُدْمَ العَديمْ

تَنظُرُ في أثْنَاءِ أوْطَانِنَا ، لِقَاحَ جُودٍ للرّجَاءِ العَقيمْ

لي في حَوَاشِي البَرْقِ أُنسٌ ، فلا أدْرِي أأغضِي دونَهُ أمْ أشيمْ

١ حلأني : أبعدني ، طردني . ورده : شربه .

٢ أذاد : أمنع . أرفل : أجر ذيلي تبختراً . الجناب : الفناء . العميم : الكثير ، أي كثير من الناس يرتعون ذاك الجناب وهو ممنوع .

٣ الحقاق ، الواحد حق : وهو من الإبل ما طعن في السنة الرابعة . القروم ، الواحد قرم : البعير المكرم لا يحمل عليه ولا يذلل .

٤ الوشوم : أراد به النبات على التشبيه بالوشم . الضاحي : الظاهر .

٥ الشتيم : العابس .

أخافُ مِنْ سَطْوَةِ شُؤْبُوبِهِ ، وَبَيْنَنَا مِنْ دجنِهِ هَضْبُ رِيم[1]
أجفُو مَغَانيهِ ، وَمَا بَيْنَنَا لا يُغْضِبُ النّاقَةَ فيهِ الرَّسِيمْ
وكُنتُ لا أبْرَحُ أوْطانَهُ ، مُطَنِّباً بَيْنَ الضّحَى وَالصّرِيم[2]
أسْلُبُ في الجرْيِ إلى رُبْعِهِ ، سَنطَلَةَ الذّئْبِ وَشَأوَ الظّلِيم[3]
يا دِينَ قَلْبي لَكَ مِنْ لَوْعَةٍ ، تُعَاوِدُ القَلْبَ عِدادَ السَّلِيمْ
قُلْ لغَرِيمي بِديُونِ الهوَى : يا حَبّذا مِنكَ مِطَالُ الغَرِيمْ
ذَمَمْتُ دَهْراً لمْ يزَلْ صَرْفُهُ يَطرُقُني ؛ وَفَدَ الفَعالِ الذّمِيمْ
أرَى الأسَى إنْ جَلّ خَطبُ الأسَى أسمَحَ مِنْ طَبعِ العزَاءِ اللّئِيمْ
وَالقُرْبُ في الوُدّ ، عَلى نَأيِنَا ، أحسَنُ مِنْ قُرْبِ العِدا بالجُسومْ
أُكْرِمُ وُدّي دُونَ خُطّابِهِ ، أنْ يَصِلَ الحَبْلَ بغَيرِ الكَرِيمْ

الليث من يدل بنفسه

يصف الأسد ويذكر سير الليل :

بَني عَامِرٍ مَا العِزُّ إلاّ لِقَادِرٍ عَلى السّيفِ لا تَخطو إلَيهِ المَظالِمُ
ضَجيعُ الهُوَيْنا يَغلِبُ الخَصْمَ رَأيُهُ ، وَأكْبَرُ سُلْطَانِ الرّجَالِ الحَصَائِمُ

---

١ الدجن : إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء . هضب ريم : مطر دائم .
٢ الصريم : الليل ، والصبح (ضد) .
٣ السنطلة : الطول . الشأو : الغاية . الظليم : ذكر النعام .

أرى إبِلَ العوّامِ تُحدَى على الطوَى ، وتَـأكُلُ حوْذانَ الطَّرِيقِ المَناسِمِ [1]
وتَظمَى على الإغذاذِ أشداقُ خَيلِهِ ، وتَشرَبُ مِنْ أفْواهِهِنّ الشَّكائِمِ [2]
يُحاوِلُ أمراً يرْمُقُ الموْتَ دُونَهُ ، لَقَدْ زَلّ عَنْهُ مَا تَرُومُ المَرَاوِمُ
أقامَ يرَى شَمّ النّسيمِ غَنيمةً ، ولا بُدّ يَوْماً أنْ تُرَدّ الغَنَائِمُ
وتُعْجِبُهُ غُرُّ البُرُوقِ يَشيمُهَا سِرَاعاً ، إذا مَرّتْ عَلَيها الغَمائِمُ
أمَسَحُ عِرْنِينَ الظّلامِ بِعَرْعَرٍ ، ومِنْ دُونِهِ خَدٌّ مِنَ اللّيلِ ساهِمُ [3]
ولي بيَنَ أخفافِ المَرَاسيلِ حاجَةٌ ، ستَصـ ـُ ، والأيّامُ بيض نواعمُ
تُحارِبُني في كُلّ شَرْقٍ ومَغرِبٍ ، وأكْبَرُ ظَنّي أنّهَا لا تُسالِمُ
أقُولُ ، إذا سالَتْ مَعَ اللّيلِ رِفقَةٌ تَقَاذَفُهَا حتّى الصّبَاحِ المَخارِمُ [5]
دَعي جَنَبَاتِ الوَادِيَيْنِ ، فَدُونَها أشَمُّ طَوِيلُ السّاعِدَينِ ضُبَارِمُ [6]
إذا هَمّ لَمْ تَقْعُدْ بِهِ عَزَمَاتُهُ ؛ وَإنْ ثَارَ لا تَعْيَا عَلَيْهِ المَطاعِمُ
كَأنّ عَلى شِدْقَيْهِ ثَغْراً وَرَاءَهُ ذَوَابِلُ مِنْ أنْيابِهِ وصَوَارِمُ
فَمَا جَذَبَ الأقرَانُ مِنهُ فَرِيسَةً ، ولا عادَ يَوْماً أنْفُهُ وهوَ رَاغِمُ

١ العوام : رجل . الطوى : الجوع . الحوذان : نبات طيب الطعم زهره أ ـ في أصله صفرة المناسم ، الواحد منسم : خف البعير .
٢ الاغذاذ ، من أغذ السير : أسرع .
٣ عرعر : موضع . ساهم : متغير .
٤ ستصحب ، من أصحب : انقاد .
٥ المخارم ، الواحد مخرم : الطريق في الجبل .
٦ الضبارم : الأسد .

يرَى راكِبَ الظّلْماءِ في مُستَقَرّهِ ، وتَستَنُّ مِنهُ في العَرينِ الغَماغِمُ
نَمُرّ وَرَاءَ اللّيلِ نَكتمهُ السُّرَى ، وَقَدْ فَضَحَتْنَا بالبُغَامِ الرّوَاسِمُ[1]
لَهُ كُلّ يَوْمٍ غَارَةٌ في عَدُوّهِ ، تُشارِكُهُ فيهَا النّسُورُ القَشاعِمُ
كأنّ المَنَايَا إنْ تَوَسّدَ بَاعَهُ ، تَيَقّظُ في أنْيَابِهِ ، وَهوَ نَائِمُ
وَمَا اللّيْثُ إلاّ مَنْ يَدِلّ بِنَفْسِهِ ، وَيَمضِي ، إذا مَا بَادَهَتهُ العَظَائِمُ
وَمَا كُلّ لَيثٍ يَغنَمُ القَوْمُ زَادَهُ ، إذا خَفَقَتْ تحتَ الظّلامِ الضّرَاغِمُ

يا ايها ذا الندب

قال يمدح أباه وأنفذها إليه قبل دخوله بغداد بأيام يسيرة على يد بعض أصحابه رحمة الله عليه :

شَوْقٌ يُعَرِّضُ لا إلى الآرَامِ ، وَجَوًى يُخَادِعُني عَنِ الأحْلامِ
وَمَقيلُ صَبْرٍ شَذّبَتْهُ يَدُ الهَوَى ، في غَيرِ مَا طَرَبٍ وَلا استِغرَامِ
بَلْ في انتِزَاعِ المَجدِ مِنْ سَكِناتِهِ بِمَطَالِبٍ تَسْطُو عَلى الأيّامِ
وَمَنَاقِبٍ تَبقَى : وَيَفنَى أهلُهَا ، إذْ كُلُّ عَيشٍ فُرْصَةٌ لِحِمَامِ
لَعَذَرْتُ مَن في المَجدِ يمرَضُ فكرُهُ ، وَتَكُنّ فِيهِ بَوَاطِنُ الآلامِ

[1] الرواسم : الإبل تسير الرسيم ، وهو ضرب من العدو

يا راكِباً تَخدِي بِهِ عيرَانَةٌ ... سُرُحٌ تَشُقّ جلابيبَ الآكَامِ[1]
خَوْصَاءُ تحْسَبُ عيْنَهَا ماوِيّةً ، ... نَظَرَتْ بها الفَلَوَاتِ شخصَ غمامِ[2]
جارٍ كأنّ رِبَابَهُ مُتَعَلِّمٌ ... شيَمَ الرّيَاحِ الهُوجِ في الإقدامِ
أقْرِ السّلامَ فتًى تخاوَصُ هَيْبَةً ... عَنْهُ عيُونُ تَحِيّتي وَسَلامي
سَيْفٌ صَقيلٌ أغمَدَتْهُ عُداتُهُ ، ... فاستُلّ ، وَهوَ ، مِنَ الأعادي ، دامِ
ما ضَرّهُ مِنْ أنْ يُشَامَ وَما اقتَنى ... صَدأً يُشَبِّهُ نَصْلُهُ بِكَهَامِ[3]
إنْ غِبْتَ عنّا فالقُلُوبُ حَوَاضِرٌ، ... في حَيثُ أنتَ ، نَوَازِعُ الأوْهَامِ
وَنُفُوسُنَا مَرْضَى تَشَبّثُ مِنكُمُ ... بِثَناً يُطَهّرُهَا مِنَ الأسْقَامِ
يا أيّهَا ذا النّدْبُ دِعْوَةَ مُدْنَفٍ ، ... عَلِقَتْ ضَمَائِرُهُ بِكُلّ غَرَامِ
لمّا ذَكَرْتُكَ عادَ قلْبي شَوْقُهُ ، ... فَبَكَيْنَ عَنْهُ مَدامِعُ الأقْلامِ
خَلّفْتَني زَرْعاً ، فطُلْتُ ، وَإنّمَا ... ذاكَ الغِرَارُ نُمي إلى الصّمْصَامِ
كَمْ مَدْحَةٍ لي في عُلاكَ ، كأنّما ... تَفْتَرّ عَنْ خُلُقِ الغَمَامِ الهَامي
أكْدَتْ عليّ الأرْضُ مِنْ أطرَافِها ، ... وَتَدَرّعَتْ بِمَدارِعِ الإظْلامِ[4]
وَعَهِدْتُها خَضراءَ كيفَ لَقيتُها ... أبْصَرْتُ فيهَا مَسْرَحاً لسَوَامي
أشكُو ، وَأكتمُ بَعضَ ما أنَا وَاجِدٌ ، ... فَأعَافُ أنْ أشْكُو مِنَ الإعْدامِ

١ العيرانة : الناقة النشيطة . السرح : السريعة .
٢ الخوصاء : الصغيرة العين . الماوية : المرآة .
٣ يشام : يغمد . الكهام : الكليل .
٤ أكدت : أجدبت .

وَإذا ظَفِرْتُ مِنَ المَنَاقِبِ بالمُنى أهوَنْتُ بِالأرْزَاقِ وَالأقْسَامِ
جَاءَتكَ تَحدُوها يَدا ذي فَاقَةٍ ، وَهْيَ السّفِينُ لَهُ إلى الإنْعَامِ
فاعرِفْ لَهُ مَا مَتّ من شِعرِي بِهِ ، فَلَقَدْ أتَاكَ بِحُرْمَةٍ وَذِمَامِ[1]

جد بعيد المرام

قال يفتخر وهي من أول قوله رحمه الله تعالى وذلك سنة ٣٧٤ :

هُوَ الدّهْرُ فِينَا خَلِيعُ اللّجَامِ ، فَطَوْراً يُغِيرُ ، وَطَوْراً يُحَامي
وَإنّي أُرَوّعُهُ بِالوَدَا عِ ، حَتّى يُخَادِعَني بالسّلامِ
فَمَنْ عَرَفَ العَيشَ خَبّتْ بِهِ عَزَائِمُهُ في طَرِيقِ الحِمَامِ
أُرِيدُ مِنَ الدّهرِ حَظّ الجَبَا نِ ، لا قَدْرَ حَظّ الشّجاعِ الهُمامِ
فَأيُّ مُنًى لَمْ يَسُمْهَا نَوَالي، وَأيُّ عُلًى لمْ يَطَأهَا اعتِزَامي[2]
قَطَعْتُ مَفَازَةَ هَذا الرّجَاءِ ، وَلَكِنّ جَدّي بَعِيدُ المُرَامِ
أُخَفّضُ عَزْمِيَ عَنْ رتْبَةٍ ، أُبَلّغُهَا بالحُظُوظِ السّوَامي
لَعاً لمُنَايَ ، وَإنْ لَمْ تُصِبْ ، فَمَا عَثَرَتْ بِرَجَاءِ اللّئَامِ

١ مت : توسل بقرابة .
٢ يسمها ، من سام السلعة : طلب ابتياعها .

وَمَا احتَشَمَتْ مِن يَدَيَّ النّصُو ... لُ ، إلاّ مَهَزّةَ نَصْلٍ كَهَامِ
أمَا عَانَقَتْني صُدُورُ السّيوفِ ، ... أمَا قَبّلَتْني نُصُولُ السّهَامِ
ألَمْ يَشرَبِ الصّبرَ قَلْبي ، وَلا انْ ... ثَنَى مَرَحاً ، وَالعَوَالي ظَوَامي
ألَمْ أسرِ في لَيْلِهَا ، وَالعَجَا ... جُ يُلْحِمُ بَينَ الرّعيلِ اللُّهَامِ
أُكَلِّلُ بالطّعْنِ يَوْمَ النّزَالِ ... خُدُوداً تَشُفّ لِغَيرِ اللُّطَامِ
إذا عَصْفَرَ الخَوْفُ مَاءَ الوُجُوه، ... رَآهَا مِنَ الدّمِ حُمْرَ الوِسَامِ
عَدُوّيَ أقْعِ عَلى ذِلّةٍ ، ... فكَم زَلّ من أخمَصٍ عن مَقامي
عَليّ بِأنْفٍ رَأيْـ ... ـتَ مَعْطِسَهُ دامِياً مِنْ زِمَامي
وَأصْبَحْتَ تَعطُو بِعَينِ الأبيّ ، ... وَذِفرَاكَ مَقرُوحَةٌ مِنْ لِجَامي
تَرُومُ ابتِزَازِيَ فَضْلي ، وَذاكَ ، ... إذاً ، فكُّ أطوَاقِ وُرْقِ الحَمامِ
أمَا يَحْلَمُ الدّهْرُ في فِتْيَةٍ ، ... أمَاتُوا المَلامَ بِجَهْلِ المُدامِ
عُقَارٌ يُلاحِظُ مِنْهَا الكُؤو ... سَ أفْوَاهُنَا بِجُفُونٍ دَوَامِ
وَأيّامُنَا مِنْ خُمَارِ الشّبَابِ ... نَشَاوَى تَجُرّ ذُيُولَ العُرَامِ[1]
أُعيذُكَ مِنْ خَجَلاتِ الهَوَى ، ... إذا رَمَقَتْهُ عُيُونُ المَلامِ
وَأنْ يَرْشُفَ الهَجرُ ماءَ الوِصَالِ ؛ ... وَأن يَهتِكَ العُذرُ سُجفَ الذّمامِ
مَنَحتُكَ صِدْقَ وَدادٍ يَتُوقُ ... إلى رَنْقِهِ كُلُّ هَذا الأنَامِ[2]
وَكَمْ لَيْلَةٍ قَبْلُ أثْكِلْتُهَا ... وَأثْكَلْتَهَا فيّ طَيفَ المَنَامِ

١ العرام : الشراسة والأذى .
٢ الرنق : الحسن والبهاء .

إلى أنْ بَدا فَجرُهَا مُسفِراً ، يُمزّقُ عنهَا فُضُولَ اللّثَامِ
تُخَادِعُنَا نَفَحَاتُ النّسيمِ ، إذا عَبِقَتْ بحَوَاشِي الظّلامِ
وَقَدْ شَمَلَتْهُ شُفُوفُ الشّمالِ ، وَرَصّعَ قُطْرَيْهِ قَطْرُ الرِّهَامِ[1]
تَثُورُ إلَيْهِ سَوَامُ اللّحَاظِ ، وَتَسرَحُ مِنْ حُسْنِهِ في مَسَامِ[2]
وَلَوْ وَجَدَ الزّهْرُ وَجدي عَلَيْكَ لاصْفَرّ فيهِ خُدُودُ الثّغَامِ[3]
ذَعَرْتُ الهُمُومَ بِخَطّارَةٍ ، تَسيلُ بهَا في قُلُوبِ الإكَامِ[4]
تُلَثِّمُ مَنْسِمَهَا بالدّمَاءِ ، إذا ما اطمَأنّ ، بقَرْعِ السِّلامِ[5]
خَلَطْتُ بِمَنْسِمِهَا في الثّرَى على الرّكْضِ مِيسَمَ أيدي النّعَامِ[6]
وَأنكَحْتُ أخفَافَهَا سَيرَهَا لِعَزْمٍ وَلُودٍ وَأمْرٍ عُقَامِ
تَخَايَلُ بَيْنَ غَرِيرِيّةٍ زَوَافِرَ تَكْسُو الثّرَى باللُّغَامِ[7]
وَمَاءٍ وَرَدْتُ عَلى كُورِهَا ، وَعَرّجْتُ عَنْهُ قَتيلَ الأُوَامِ
مَرِيضِ المَشارِعِ مِمّا تُرِيقُ عَلَيْهِ الرّيَاحُ دُمُوعَ الغَمَامِ
يُخَيِّلُ لي أنّ نَجْمَ السّمَاءِ يَرْعَدُ في صَفوِ تِلكَ الجِمَامِ

١ الرهام : المطر الخفيف .
٢ السوام في الأصل : الإبل الراعية . المسامي : المراعي .
٣ الثغام : شجر أبيض الزهر واحدته ثغامة .
٤ الخطارة : الناقة التي تخطر في سيرها .
٥ السلام : الحجارة .
٦ الميسم : الأثر .
٧ تخايل : تتبختر . الغريرية : المنسوبة إلى غرير ، وهو فحل

وَطِفْلَ الدُّجَى في حُجُورِ البِلا ... دِ يَطْعَمُ بالفَجْرِ مُرَّ الفِطَامِ
نَزَاحَمُ ... لِلأفُو ... لِ ، وَالبَدْرُ في إثرِ ذاكَ الزِّحَامِ
وَيَهْمَاءَ بالقَيْظِ ... تُطالِعُنَا في هُبُوبِ السَّهَامِ[1]
تَعَقَّلَ شَارِدُ وَهجِ الهَجِيرِ ... في جَوِّهَا بِخُيُوطِ السُّهَامِ[2]
وَبِكْرٍ مِنَ القَطْرِ حتّى كأنَّ ... ما افتَضَّهَا غَيرُ غَيْمٍ جَهَامِ
مُمَاطِلَةٍ رَكْبَهَا بِالوُرُو ... دِ إلاّ إذا حَانَ وِرْدُ القَطَامي
قَطَعْتُ ، وكَالِئَتي هِمَّةٌ ، ... إذا أسمعَ الرّعبُ قالتْ: صَمامِ[3]
وَمُلْتَهِبِ السَّرْدِ عَارِي الرِّمَا ... حِ مُرْتَعِدِ البِيضِ دامي الحَوَامي[4]
قَليلِ حَيَا الرّمحِ عِندَ الطِّعانِ ، ... وَقُورِ الجَوَادِ سَفِيهِ الحُسَامِ
تُطَرِّزُ شَمْسُ الضّحى بَيضَهُ ، ... إذا انفَرَجَتْ عَنهُ سُجفُ القَتَامِ
إذا سَارَ ، فالشّمسُ مَستُورَةٌ ... وَوَجْهُ الثّرَى بَارِزُ الخَدّ دَامِ
حَلَلْتُ حُبَى نَقْعِهِ بالطِّرَا ... دِ لمّا احتَبَى فَرَسِي بالحِزَامِ
وَإنّي شَقِيقُ الوَغَى وَالنّدَى ، ... رَضِيعُ لِبَانِ المَعَالي الجِسَامِ
إذا مُضَرٌ ظَلّلَتْني ... وَسَالَتْ قَبائِلُهَا مِنْ أمَامي
لَبِسْتُ بِهَا جُنّةً ... ضٌ مَسرُودُهَا بنِبَالِ المَرَامي

١ اليهماء : الفلاة . السهام : حر السموم ووهج الصيف .
٢ السهام بالضم : غزل عين الشمس .
٣ كالئتي : حافظتي . صمام : اسم فعل بمعنى تصاموا في السكوت .
٤ السرد : الدروع . الحوامي : حوافر الخيل .

قال أيضاً في معنى مثله :

لِأمرٍ يَا بَنِي جُشَمٍ حَبَسْتُ المَاءَ في الأَدَمِ[1]
وَقَلْقَلْتُ الجِيَـادَ دَوَا مِيَ الأشْداقِ باللُّجُمِ
وَأزْعَجْتُ القَطَا الوَسْنَا نَ بالمَخطُومَةِ الرُّسُمِ
تَفَلَّتُ في الدَّيَاجِي عَنْ عِقَالِ الأينِ وَالسَّأمِ
وَتَقْرُو كُلَّ مَجْهَلَةٍ ، بِلا نَضَدٍ وَلا عَلَمِ[2]
وكَمْ لَيْلٍ رَقَدْتُ بِهِ خَلِيّاً مِنْ يَدِ السَّقَمِ
وَنَارٍ بِتُّ أرْمُقُهَا كَلَيِّ الرِّيحِ بِالعَلَمِ[3]
ألِمْتُ بِهَا ، وَمُوقِدُهَا شِفَاءُ الدَّاءِ مِنْ ألَمي
وَأيْنَ ضِرَامُهَا مِمّا بِأحْشَائي مِنَ الضَّرَمِ
قَرِيرُ العَيْنِ بِالأحْبَا بِ أرْعَى رَوْضَةَ الحُلُمِ
وَإمّا أنْ يَرَانِي العَزْ مُ بَيْنَ ضَمَائِرِ الخِيَمِ
وَإمّا شَارِداً فِي البِيدِ حَشْوَ حَيَازِمِ الظُّلَمِ

١ الأدم : الجلد ، وأراد القرب .

٢ تقرو : تقصد ، تتبع . نضد : جنادل تنصب للدلالة على المجاهل . العلم : ما ينصب في الطريق ليهتدى به .

٣ العلم : الراية .

فِدًى عَزْمي وَصِدْقي كُـ ... لُّ مُعْتَزِمٍ وَمُتَّهَمِ
وَكُلُّ مُشَيَّعٍ يَصْبُو ... إلى المَأثُورَةِ الخُذُمِ[1]
إذا بَعُدَ الكَلامُ دَنَتْ ... عَلَيَّ مَسَافَةُ الكَلِمِ
وَلي خُلُقَانِ مَا صَلُحَا ... لِغَيرِ السّيْفِ وَالقَلَمِ
وَأيُّ خَمِيلَةٍ شَرَقَتْ ... عَلى الأيّامِ مِنْ شِيَمي
أزَاهِيرٌ تَرَفَّعُ عَنْ ... قَبُولِ مَوَاهِبِ الدِّيَمِ
نَسيمٌ نَشْرُهُ عَبِقٌ ... يَجُرّ سَوَالِفَ النِّعَمِ
أنَا ابنُ البِيضِ ، وَالبِيـ ... ـضِ الظُّبَى ، وَالخيلِ وَالنَّعمِ
وَكُلّ مُطَهَّمٍ تَنْبُو ... حَوَافِرُهُ مِنَ الأكَمِ
وَكُلّ مُثَقَّفٍ يَحْتَـ ... ـلُّ حَيثُ مَوَاطِنُ الهِمَمِ
وَكُلّ مُهَنّدٍ يَسْتَـ ... ـنُّ في الأعْنَاقِ وَالقِمَمِ
وَكُلّ أغَرّ قَدْ شَرِقَتْ ... خَلائِقُهُ مِنَ الكَرَمِ[2]
ضَرُوبٍ حَيثُ تَعثُرُ شَفْـ ... ـرَةُ الصَّمصَامِ بِاللِّمَمِ
وَطَعّانٍ ، إذا مَا النَّقْـ ... ـعُ عُصْفِرَ ثَوْبُهُ بِدَمِ
وَقَوْمي الضَّامِنُونَ الأمْـ ... ـنَ إنْ هَجَمُوا عَلى حُرَمِ
إذا مَا خَائِفٌ غَلَبَتْ ... عَلَيْهِ سَطْوَةُ العَدَمِ
قَرَوْهُ بَعْدَمَا عَقَدُوا ... عَلَيْهِ تَمَائِمَ الذِّمَمِ

[1] المأثورة : السيوف . الخذم : القواطع
[2] شرقت : زهت .

إلى أنْ تَكَشَّفَ المَكْتو مَ عَنْ خَدّاعَةِ التُّهَمِ
وَأصْبَحَ مَنْ أسَرَّ الغَيَّ مُعْتَذِراً مِنَ الجُرُمِ
وَصَارَتْ غَايَةُ المُغْتَرِّ جَانِحَةً إلى النّدَمِ
وَصَرّحَ كُلُّ قَوْلٍ عَنْ غُرُورِ الحِلْفِ وَالقَسَمِ
أمَانيُّ استَرَكّتْ كُلَّ صَبّارٍ عَلى الألَمِ
كَفَاكَ بِأنّ عِرْضَكَ مِنْ طُرُوقِ العَارِ في ذِمَمي
وَذَلِكَ عِصْمَةٌ مِنّي بِحَبْلٍ غَيرِ مُنْجَذِمِ
وَحَسْبُكَ أنْ يَفُلّ شَبَاةَ هَجوِكَ أشعَرُ الأُمَمِ

من كل لفظ نغم

قال أيضاً يفتخر وهي من قديم قوله رضي الله تعالى عنه :

أمَا آنَ للدّمعِ أنْ يَستَجِمّ ، وَلا للبَلابِلِ أنْ لا تُلِمّ ؟[1]
فَتَلْهُو عَزَائِمُنَا بالخُطُوبِ ، وَتَهْزَأُ أجْفَانُنَا بِالحُلُمْ
فَإنّا بَنُو الدّهْرِ مَا نَستَفيقُ مِنْ نَشْوَةِ الهَمّ حتّى نُهَمّ
وَلا نَصْحَبُ اللّيلَ حتّى نَخالُ كَوَاكِبَهُ في الفَيَافي بُهُمْ[2]

١ يستجم : يجتمع . البلابل : الوساوس ، والهموم . تلم : تأتي .
٢ البهم ، الواحدة بهمة : أولاد الضأن والمعز والبقر .

وَلا بُـدّ مِنْ زَلّـةٍ للفتَى ... تُعَرّفُهُ كَيفَ قَدْرُ النِّعَمْ

فحسنُ العُلى بَعدَ حالِ الخُضُوعِ ، ... وَطيبُ الغِنى بَعدَ حالِ العَدَمْ

أأرْجُو المَعالي بِغَيرِ الطِّلابِ ، ... وَمِنْ أينَ يَحلُمُ مَنْ لَمْ يَنَمْ

إذا صَالَ بالجَهْلِ قَلبُ الجَهُو ... لِ فاعذِرْ فَما كلّ جَهلٍ لَمَمْ[1]

رَأى الدّهرَ يَعصِفُ بالفاضِلِينَ ، ... فَحَبّ مِنَ النّقصِ أنْ يَغتَنِمْ

سَتَقبُرُني الطّيرُ كَيلا أكُونَ ... سَوَاءً وَأمْوَاتَهُ في الرَّجَمْ[2]

أذُمّ رِجالاً بتَرْكِ المَديحِ ، ... وَبَعضُ السّكوتِ عن المَدحِ ذَمّ

صِلِ اليأسَ وَانهضْ بعِبْءِ الخطوبِ ، ... فَمَا يُثقِلُ الظّهرَ إلاّ الهَرَمْ

وَلا تَهجُرِ العَزْمَ عندَ المَشيبِ ، ... فَلَيسَ عَجيباً بِهَمّ يَهُمّ

وَمِنّيَ في ثَوْبِ هَذا الزّمَا ... نِ عَضْبٌ ، إذا ما سَطا أوْ عزَمْ

وَما حِليَةُ البِيضِ صَوْغُ اللّجَينِ ، ... وَلَـكِنْ حِلاهَا دِمَاءُ القِمَمْ

أمرْخي ذؤابَةِ ذاكَ الهَجيرِ ... عَلى مَنكِبَيْ مَجْهَلٍ أوْ عَلَمْ

أرِحْنَا نُرِحْ وَتَرَاتِ المَطِيّ ، ... فَإنّ بِهَا مَا بِنَا مِنْ ألَمْ[3]

وَيَا أهْيَفاً رَمَقَتْهُ العُيُونُ ، ... وَرَفّتْ عَلَيْهِ قُلُوبُ الأُمَمْ

تَضَرّمَ خَدّاهُ حتّى عَجِبْتُ ... لعَارِضِهِ كَيْفَ لَمْ يَضْطَرِمْ

لَئِنْ لمْ تَجِدْ طَائِعاً بالنّوَالِ ، ... لَقَدْ جَادَ عَنكَ الخَيالُ المُلِمّ

١ لمم : جنون .

٢ الرجم : القبر .

٣ الوتَرات ، الواحدة وترة : عظم رخص في أعلى الأذن ، حرف المنخر ، عصبة تحت اللسان .

وَمِثْلِكِ ظالِمَةِ المُقْلَتَينِ تَلاقَى الجَمالُ عَلَيْها وَتَمّ
لهَا في الحَشَا حافِزٌ كُلّمَا جرَى الدّمعُ دَلّ عَلَيْهِ وَنَمّ
أقُولُ لهَا ، وَالقَنَا شُرَّعٌ ، وَيُرْغَمُ مِنْ قَوْمِها مَنْ رُغِمْ
لَنَا دونَ خِدْرِكِ نَجوَى الزّفيرِ ، وَمَجرَى الدّموعِ وَشكوَى الألَمْ
وَإلاّ فَقَرْعُ صُدُورِ القَنَا ، وَوَقْعُ الظُّبَى وَصَليلُ اللُّجُمْ
وَنُقْبِلُهَا كَذِئَابِ الرِّدَا ءِ ، تَمْرِي عُلالَتَهُنّ الجُذُمْ[1]
دُفِعْنَ عَلى غَفَلاتِ الظّنُو نِ يَمضَغنَ مَضْغَ العَليقِ الحَكَمْ[2]
إلى أنْ تُلَطّمَهُنّ النّسَا ءُ بالخُمْرِ دُونَ طَرِيقِ الحَرَمْ
أجِبْ أيّهَا الرَّبْعُ تَسآلَنَا ، فَلَسْتَ عَلى بُعدِهِمْ مُتّهَمْ
فكَيفَ، وَأنتَ مَرِيضُ الطّلُولِ ، ضَجيعُ البِلا ، وَنَجيُّ السّقَمْ
كَأنّكَ لمْ يَعتَنِقْكَ النّسيمُ ، وَلا مَالَ نَحوَكَ قَطرٌ بِفَمْ
وَلا نَشَرَتْ فيكَ تِلكَ الرّياحُ غَدائرَ مِنْ مُزْنَةٍ أوْ جُمَمْ
تَنَشّرَ فيكَ سَحابُ الحَيَا ، فَطَوّقَ جِيدَكَ لَمّا انْتَظَمْ
وَدَرّتْ عَلَيكَ ثُدِيُّ الغَمَامِ ، كَأنّ رُبَاكَ سِقَابُ الدِّيَمْ[3]
ثَرًى يَرْمُقُ الغَيثَ عَنْ مُقلَةٍ بهَا رَمَدٌ مِنْ رَمَادِ الحُمَمْ[4]

١ الرداه ، الواحدة ردهة : الحفرة في أعلى الجبل . تمري : تستخرج . العلالة : جري الفرس الجذم : السياط المتقطعة الأطراف ، الواحد أجذم .
٢ الحكم ، الواحدة حكمة : ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه .
٣ السقاب : أولاد النياق ساعة تولد ، الواحد سقب .
٤ الحمم : الفحم وكل ما احترق من النار .

وَمِنْ أيْنَ تَعرِفُكَ اليَعمَلا تُ ، وَالدّمعُ في خدّها مُزْدَحِمْ
وَلَكِنْ أحَسّتْ بِأعطَانِهَا ، وَأوْطَانِهَا في اللّيَالي القُدُمْ
أحِنُّ إلَيكَ ، وَتَأبَى المَطيُّ بِخَدّ تُرَابِكَ أنْ يَلْتَطِمْ
وَخَرْقٍ تَدافَعُهُ المُقْرَبَا تُ خَوْفاً وَتَنفُرُ مِنهُ الرُّسُمْ
تَجَلّلْتُ فيهِ رِداءَ الظّلامِ ، وَسِرْتُ ، وَحَاشِيَتَاهُ الهِمَمْ
عَلى كُلّ خَطّارَةٍ لَمْ تَزَلْ تُجَاذِبُنَا السّيرَ ، حتّى انفَصَمْ
خرَقْنا مَعَ الشّمسِ تلكَ الفَلاةَ ، وَجُبْنَا مَعَ اللّيْلِ تِلكَ الأكَمْ
صَلِينا بجَمْرَةِ ذاكَ الهَجيرِ ، وَعُدْنَا بِفَحْمَةِ هَذي العُتُمْ
كَأنّ مَنَاسِمَهَا في السُّرَى تَلاعَبُ بَينَ الحَصَى بِالزَّلَمْ
وَمَالَ النّهَارُ بِأخْفَافِهَا ، إلى أدْعَجٍ بالدُّجَى مُدْلَهِمّ
زَحَمْنَ بِنَا اللّيْلَ في ثَوْبِهِ ، فَكَادَتْ مَنَاكِبُهُ تَنحَطِمْ
نُعَانِقُ بِيضاً كَأنّ الصّدَا بِأطْرَافِهَا شَحبَةٌ ، أوْ غَمَمْ[1]
وَقَدْ لمَعَتْ مِن حَوَاشِي الغُمودِ كَمَا نَصَلَتْ أنْمُلٌ مِنْ عَنَمْ
وَقَلّصَ عَنّا قَمِيصُ الظّلامِ ، فَكَانَ بِأنْفِ الدّيَاجي شَمَمْ
وَيَوْمٍ يَرِفّ عَلَيْهِ الرّدَى بِأجنِحَةِ المُصْلَتَاتِ الحُذُمْ
مَتَى انسَلّ لَحظُ ذُكَاءٍ بِهِ ، فَأجْفَانُهُ قَادِمَاتُ الرَّخَمْ[2]

١ الشحبة من الشحوب : تغير اللون . غمم : مر شرحه .

٢ ذكاء : علم للشمس . القادمات : الريشات في مقدم جناح الطائر . الرخم ، الواحدة رخمة طائر أبقع اللون يشبه النسر .

عَلَيَّ طِعَانٌ يَرُدُّ الجَوَا دَ بالدّمِ أَلْمَى مَكَانَ الرَّثَمْ[1]
وَأَيْدٍ تُجِيلُ قِداحَ الرِّمَاحِ ، وَبَاعُ المُعَرِّدِ عَنْهَا بَرَمْ[2]
قُلُوبٌ كأُسدِ الشَّرَى الضَّارِياتِ ، وَأحشَاؤهُمْ دُونَهَا كَالأَجَمْ
فَمَا تَرْشُفُ المَاءَ إلاّ اعتِلالاً ؛ وَلا تَجْرَعُ المَاءَ إلاّ قَرَمْ[3]
إذا حَسَرُوا قَالَ سَيفُ الحِمامِ ؛ وَأعْطَافُهُ عَلَقاً تَنسَجِمْ[4]
أللطّعنِ تُهتَكُ هَذي النّحورُ ، وَللضّرْبِ تُكشَفُ هذي القِمَمْ
إذا صَحِبُوا الدّمَ في البَاتِرَاتِ ، فَلا صَحِبُوا مَاءَهُمْ في الأدَمْ
مَضَوْا ما طوَى العَذلُ من جودِهمْ وَلا أتْبَعُوا المَالَ عَضّ النّدَمْ
وَسَالَتْ لمَجْدِهِمُ غُرّةٌ ، تَكَادُ تَكُونُ حِجَالَ القَدَمْ
قدِ استَحيَتِ السُّمرُ من طَعنِهمْ ، فَكَادَتْ لإفرَاطِهِ تَحْتَشِمْ
هُوَ الطّعْنُ يَفتَرّ مِنهُ الجَوَادُ ، وَلَوْ كَانَ ذا مَرَحٍ لابتَسَمْ
رِدِي أحمرَ المَاءِ ، قُبَّ الجِيادِ ، فَأبْيَضُ غُدْرَانِهِ للنَّعَمْ
غِنَاءُ ظُبَانَا عَوِيلُ النّسَاءِ ، وَقَرْعُ قَنَانَا لِطَامُ اللِّمَمْ
أَليْسَ أبُونَا أعَزَّ الوَرَى جَنَاباً ، وَأكْرَمَ خَالاً وَعَمّ
كَأنّكَ تَلقَى بِهِ السّمهَرِيّ ، إذا مُدّ يَوْمَ وَغًى ، أوْ أتَمّ[5]

١ ألمى : مسود الشفة . الرثم : بياض في الجحفلة العليا ، وقد مر .
٢ المعرد : الهارب . البرم : الذي لا يحضر الميسر لبخله ولؤمه .
٣ قوله : قرم ، استعار شهوة اللحم لشهوة الماء .
٤ قال سيف الحمام : أي تكلم . أعطافه : أي أعطاف السيف . العلق : الدم . تنسجم : تن
٥ أتم : أقام بالمكان ، أبطأ . أو لعلها أتّم بتشديد الميم : قصد ومضى .

يَقُدُّ ، إذا مَا نَبَا العَاجِزُونَ ؛ وَضَرْبُ الظُّبَى غيرُ ضربِ القَدُمْ
أسِرَّةُ كَفّيْهِ عُمْرُ الزّمَانِ ، جَداوِلُ مَاءِ الرّدَى وَالكَرَمْ
فَإمّا تَفِيضُ بِغَمْرِ النّوَالِ عَلَى المُعتَفِينَ ، وَإمّا بِدَمْ
تَعَوّذُ مِنْ خَوْفِهِ العَاصِفَاتُ ، إذا عَصَفَتْ في حِمَاهُ الأشَمّ
وَكَانَ ، إذا رَامَ خَدْعَ العُلَى ، تَقَنّصَهَا ، وَالعَوَالي خُطُمْ
يَقي كُلَّ شيْءٍ ، فَلَوْ يَستَطِيعُ غَدَا لخُدُودِ الأعادي لُثُمْ
وَيَرْضَى ،إذا قيلَ يا ابنَ النّجادِ ، وَيَدْعُو الجِيَادَ بَنَاتِ الحُزُمْ
فَتًى لَوْ أذَمّ عَلَى صُبْحِهِ لمَا جَازَ في الضَّوْءِ أمرُ الظُّلَمْ
وَأهْيَفُ ، إنْ زَعزَعَتْهُ البَنَانُ أمطَرَ في الطِّرْسِ لَيلاً أحَمّ
يَشِيبُ ، إذا حَذّفَتْهُ المُدَى ، وَتَخْضِبُ لِمّتَهُ لا هَرَمْ[1]
وَتَنْطِفُ عَنْ فَمِهِ رِيقَةٌ سُوَيْداءُ تَقْتُلُ مِنْ غَيرِ سُمّ
لَهُ شَفَتَانِ ، فَلَوْ كَانَتَا لِسَاناً لمَا بَانَ عَنْهُ الكَلِمْ
وَرُبّتَمَا ظَنّهَا الخَائِفُونَ لِسَانَ فَمِ الأرْقَمِ ابنِ الرَّقَمْ[2]
لَهُ سَبْتَةٌ بَينَ لِهْبَيْ صفاً ، يَقُولُونَ نَامَ ، وَلَمّا يَنَمْ[3]
وَأنتِ ابنَةُ الفِكْرِ قابَلْتِنَا بِعِقْدٍ لجِيدِ العُلَى مُنْتَظِمْ
تَرُوقِينَ أسمَاعَنَا في النّشِيدِ ، كَأنّكِ مِنْ كُلّ لَفظٍ نَغَمْ

١ حذفته : قطعت أطرافه . المدى : الشفرات ، الواحدة مدية .
٢ الأرقم : حية خبيثة . الرقم : الداهية .
٣ السبتة : النومة . اللهب : الفرجة بين جبلين . الصفا : الحجارة ، الواحدة صفاة

ألا خبر من الغور

قال أيضاً في معنى عرض له :

أَلا خَبَرٌ عَن جانِبِ الغَوْرِ وَارِدٌ ، تَرَامَى بِهِ أيدي المَطيِّ الرَّوَاسِمِ
وَإنّي لأرْجُو خُطْوَةً لَوْذَعيّةً ، تُجيبُ بِنا داعي العُلى وَالمَكَارِمِ[1]
نُداوِي بها مِنْ زَفرَةِ الشّوْقِ أنفُساً تَطَلّعُ مَا بَينَ اللُّهَى وَالحَيَازِمِ
وَإنّي، على ما يُوجِبُ الدّهرُ للفَتى، وَلَوْ سامَهُ حَملَ الأمورِ العَظَائِمِ
مُقيمٌ بِأطْرَافِ الثّنَايَا ، صَبَابَةً ، أُسَائِلُ عَن أظعانِكُمْ كلَّ قَادِمِ
وَأرْقُبُ خَفّاقَ النّسيمِ ، إذا حَدَا مِنَ الغَرْبِ أعناقَ الرّياحِ الهَوَاجِمِ
بَنَاتِ السُّرَى، هذا الذي كَانَ قَلْبُهُ يَسُومُكِ أن تَصْلَيْ بنارِ العَزَائِمِ
وَمِنْ كُلّ وَضّاحِ الحُسَامِ مُشَمِّراً إذا شَحَبَتْ فينَا وُجُوهُ المَظالِمِ
يُمَسِّحُ أضْغَانَ العَدُوّ ، وَإنّمَا يُقَبِّلُ ثَغراً مِنْ ثُغُورِ الأرَاقِمِ
إذا شَهِدَ الحَرْبَ العَوَانَ تَدافَعَتْ صُدورُ المَوَاضِي في الطُّلَى وَالجَمَاجِمِ
وَعَفّرَ فُرْسَانَ العِدا ، وَدِمَاؤهُمْ جَوَامِدُ مَا بَينَ اللِّحَى وَالعَمائِمِ
حَدا فَقدُهُ كُلَّ العُيونِ إلى البُكَا، فَقَطّعَ أرْسَانَ الدّمُوعِ السّوَاجِمِ
وَمَا خَطَرَتْ منهُ على المَجدِ زَلّةٌ ، فَيَقْرَعَ في آثَارِهَا سِنَّ نَادِمِ
ألا لَيْتَ شِعرِي هَلْ أبِيتَنّ لَيلَةً أُلاطِمُ أعنَاقَ الرُّبَى بالمَنَاسِمِ

---

[1] اللوذعية : الخفيفة الذكية الذهن ، الحديدة الفؤاد ، استعارها للخطوة .

وَهلْ تَقذِفُ البيداءُ رَحلي إلَيكُمُ ، تَنَفَّسُ عَنْ لَيلي أُنُوفُ المَخَارِمِ
وَلا بُدّ أنْ ألقَى العِدا في خَميلَةٍ من الخَيلِ تُولى بالقَنا وَالصّوَارِمِ [1]

انا الاسد الماضي

قال أيضاً يفتخر ويذم الزمان :

ألا لَيتَ أذْيَالَ الغُيُوثِ السّوَاجِمِ تُجَرّ عَلى تِلْكَ الرُّبَى وَالمَعَالِمِ
وَلَوْلاكَ ما استَسقَيتُ مُزْناً لمَنزِلٍ ، فَأحْمِلَ فِيهِ مِنّةً للغَمَائِمِ
وَيا رُبّ أرْضٍ قد قَطعتُ تَشُقّ بي جُيُوبَ المَلا أيدي المَطيّ الرّوَاسِمِ [2]
وَلَيْلٍ طَوِيلِ البَاعِ قَصّرْتُ طولَهُ إلَيك ، وَقَد ألقَى يَداً في المَخارِمِ
وَعِيسٍ خَطَتْ عَرْضَ الفَلا برِحالنا تُزَعزِعُ في الأعناقِ رُقشَ التّمَائِمِ [3]
إذا فَاحَ رَيْعَانُ النّسيمِ رَأيتَهَا إلى الجَانِبِ الغَرْبِيّ عُوجَ الخَيَاشِمِ
يَسيرُ بِهَا مُسْتَنْجِدٌ بِعِصَابَةٍ أنَامِلُهَا مَلْوِيّةٌ بِالقَوَائِمِ
تُبَارِي نُجومَ اللّيلِ بالبِيضِ وَالقَنَا وَضَوْءَ بُدُورٍ هَامُهَا في العَمَائِمِ

١ الخميلة : الشجر المجتمع الكثير ، استعارها للخيل الكثيرة المجتمعة . تولى : ت
٢ الملا : الصحراء .
٣ تزعزع : تحرك . الرقش ، الواحد أرقش ورقشاء : المزينة . التمائم ، الواحدة تميمة : ما يعلق في الأعناق ليطرد العين .

حَقيقٌ بأنْ لا يَهتِكَ الدّهرُ ثَوْبَهُ ؛ عَنِ العارِ كأسٌ مِن عَجاجِ المَلاحمِ [1]
فأينَ مِنَ الدّهرِ استِماعُ ظُلامَتي ، إذا نُظِرَتْ أيّامُهُ في المَظَالِمِ
فَهَلْ نافعي أنْ يَنصُرَ المَجدُ عَزْمَتي عَلى هَذهِ العَلْيَاءِ ، وَالمَالُ ظالمِي
أنَا الأسَدُ المَاضِي عَلى كُلّ فَعلَةٍ ، تُمَشّي شِفارَ البيضِ فوْقَ الجَماجِمِ
وَفي مِثلِها أرْضَيتُ عن عَزْمِيَ المُنى ، وَصَافَحتُ أطرَافَ القَنَا وَالصّوَارِمِ
ولَمْ أدْرِ أنّ الدّهْرَ يَخْفِضُ أهلَهُ ، إذا سكَنَتْ فيهِمْ نفوسُ الضّرَاغِمِ
وَمَا العَيشُ إلاّ فَرْحَةٌ إنْ هَجَرْتَها سَطَوْتَ عَلى الدّنيَا بسَطْوَةِ حَازِمِ
سأصْبِرُ حتّى يَعلَمَ الصّبرُ أنّني ملَكتُ به دَفعَ الخُطوبِ الهَوَاجِمِ
وَآخُذُ ثارِي مِنْ زَمَانٍ تَعَرّضَتْ مَغَارِمُهُ بَيْني وَبَينَ المَغَانِمِ
وَما نامَ إغْضَاءٌ عنِ الدّهرِ صَارِمي، وَلَكِنّني أُبْقي عَلى غَيرِ رَاحِمِ
وَإنْ أنَا أهلَكْتُ الزّمانَ فَما الذي يُصَدّعُ عَزْمي في صُدورِ العَظَائِمِ
وَرَكْبٍ سَرَوْا ، وَاللّيلُ مُلقٍ جِرَانه عَلى كُلّ مُغبَرّ المَطالِعِ قَاتِمِ [2]
حدَوْا عزَماتٍ ضَاعتِ الأرْضُ بَينَها ، فَصَارَ سُرَاهُمْ في صُدُورِ العَزَائِمِ
تُرِيهِمْ نُجُومُ اللّيْلِ مَا يَبْتَغُونَهُ عَلى عَاتِقِ الشّعرَى وَهامِ النّعائِمِ [3]
وَغَطّى على الأرْضِ الدُّجَى فكأنّنَا نُفَتّشُ عَنْ أعلامِهَا بِالمَنَاسِمِ

١ هذا البيت مضطرب التركيب ، غامض ، وقد يكون فيه تحريف .
٢ الليل ملق جرانه : مقبل ، ملق أثقاله .
٣ الشعرى : كوكب ، وهما شعريان : الشعرى العبور والشعرى العميصاء ، ولهما أسطورة عند العرب معروفة . النعائم : من منازل القمر .

وَفِتيةِ صِدْقٍ من قُرَيشٍ ، إذا انتدوا ... أرَوْكَ عَطَاءَ المَالِ ضَرْبَةَ لازِمِ
إذا طَرَدُوا في مَعرَكِ المَجدِ قَصّفُوا ... رِمَاحَ العَطايا في صُدُورِ المَكَارِمِ
وَإنْ سَحَبُوا خِرْصَانَهمْ لكَرِيهَةٍ ... تَصَدّعَ صَدرُ الأرْضِ عن قلبِ وَاجمِ [1]
وَتَثْبُتُ في علْيا مَعَدّ غُصُونُهُمْ ، ... ثُبَاتَ بَنَانٍ في قُلُوبِ البَرَاجِمِ [2]
أيَسمَحُ لي هَذا الزّمَانُ بِصَاحِبٍ ... طَوِيلِ نِجادِ السّيفِ من آلِ هاشِمِ
إذا أنَا شَيّعْتُ الحُسَامَ بِكَفّهِ ... مضَى عَزْمَ مَشبوحِ الذّرَاعِ ضُبَارِمِ [3]
وَإنْ ضَافَهُ الهَمُّ النّزِيعُ رَمَى بهَا ... نَزَائِعَ لا يُعلَفنَ غَيرَ الشّكَائِمِ
وَلَستُ بمُستَصْفٍ سِوَى كلّ خائضٍ ... إلى كُلّ بَحْرٍ بِالقَنَا مُتَلاطِمِ
أنَامِلُهُ في الحَرْبِ عَشْرُ أسِنّةٍ ، ... وَلَكِنّهَا في الجُودِ عَشرُ غَمَائِمِ
طَمُوحٍ ،إذا غَضّ الشّجاعُ لحاظَه ، ... وَأطرَقَ عَنْ بَرْقِ الظُّبَى كلُّ شائِمِ
أعاذِلَ مَا سَمعي للوْمِكِ مَرْتَعاً ، ... إذا كَانَ مَصْرُوفاً إلى غَيرِ لائِمِ
أبُثّكِ عَنْ لَيْلٍ تَعَسّفْتُ مَتْنَهُ ... كأنّيَ أمشِي في مُتُونِ الأرَاقِمِ
يُخَيّلُ لي أنّ النّجُومَ ضَمَائِرٌ ... تَقَلْقَلُ فيهِ خَشيَةً مِنْ عَزَائمي
لَقيتُ ظَلامَ اللّيلِ في لَوْنِ مَفرِقي ، ... وَفَارَقْتُهُ وَالصّبحُ في لَوْنِ صَارِمِي
أُجَوّبُ آجَامَ المَنَايَا ، وَأُسْدُهَا ... تُرَوّعُني مِنْ بَيْنِهَا بالهَمَاهِمِ
وَبَيْني وَبَينَ القَوْمِ مِنْ آلِ يَعرُبٍ ... ضَغائِنُ تَثْنيني زَهيدَ المَطَاعِمِ [4]

١ الخرصان : الأسنة . الواجم : الممسك عن الكلام لحزنه .
٢ البراجم : مفاصل الأصابع .
٣ مشبوح الذراع ضبارم : أراد الأسد العظيم الجسيم .
٤ زهيد : نصبه بنزع الخافض ، أي عن زهيد .

إذا ما جنَوْا مِنْ مالهِمْ ثَمَرَ العُلى، جَنَيتُ المَعالي من غُصُونِ اللَّهاذِمِ
أغَرَّ بَني فِهْرٍ وَعيدُ مجاشعٍ، وأيُّ وَعيدٍ بَعْدَ وَقْعِ الصَّوَارِمِ
أيُوعِدُنا مَن عَطّلَ البِيضَ وَالقَنا، وَأقسَمَ لا يَنجو بغَيرِ الهزَائِمِ
عَشيّةَ خُضْنا بالضَّوامرِ لَيلَهُمْ، وَفي كُلّ جَفنٍ منهُمُ طَيفُ حالِمِ
نُرِيهِمْ صُدورَ السُّمْرِ بينَ نُحورِهمْ، فَما استَيقَظوا إلاّ بقَرْعِ الحَلاقِمِ
كأنّ الكَرَى يَقتَصُّ من طولِ نوْمهم فَيُسْهِرُ مِنْهُ بالقَنَا كُلَّ نائِمِ
وكُلُّ غُلامٍ خالَطَ البأسُ قَلبَهُ، يُقَطّعُ أقرَانَ الأمُورِ الغَوَاشِمِ
وَنَحنُ دَلَفْنَا للأرَاقِمِ فِتْيَةً يُضيفُونَ أطرَافَ القَنَا في الحَيازِمِ
تَطَلّعُ مِنْ خَلفِ العَجاجِ كَأنّمَا تُطَالِعُهُمْ مِنْهَا عُيُونُ القَشاعِمِ
إذا اشتَجرَ الضّرْبُ الدّرَاكُ تَمَطّقَتْ إلى الطّعنِ أفوَاهُ النّسُورِ الحَوَائِمِ
وَوَلّوْا على الخَيلِ العِتَاقِ كأنّهمْ تَزَاحُمُ غَيمِ العارِضِ المُتَرَاكِمِ
تَفيضُ عُيونُ الطّعنِ بالدّمِ منهُمُ، وَيَغلِبُها فَيضُ العُيُونِ السّوَاجِمِ

بردي عفيف

قال أيضاً يفتخر وهي من أول
قوافيه وقد أسقط منها بعض أشياء :

هَذي الرِّماحُ عصِيٌّ الضَّالِ وَالسَّلَمِ ، لولا مُطَاعَنَةُ الآرَاءِ وَالهِمَمِ [١]
إنَّ الذَّوَابِلَ وَالأقْلامَ أرْشِيَةٌ إلى العُلَى ، لمُلُوكِ العُرْبِ وَالعَجَمِ [٢]
لَيسَ السّيوفُ عَنِ الأقلامِ مُغنيَةً ، الفَرْيُ للسّيفِ ، وَالتّقديرُ للقَلَمِ
كالكَوْكَبِ انتَشَرَتْ منهُ ذَوَائِبُه ، وَمُوقِدُ النّارِ يُذكيها علَى أضَمِ [٣]
أوْ كالشّجاعِ تَمَطّى بَعدَ هَجعتِهِ يُرْخي لِساناً كغَرْبِ اللّهذَمِ الخذِمِ [٤]
غُرّانِ مَا اجتَمَعَا إلاّ لمُنْصَلِتٍ علَى الحَوَادِثِ صَبّارٍ علَى الألَمِ
لِهَاشِمٍ غُرَرٌ تُلْقَى لِسَائِلِهَا طَلاّعَةٌ مِنْ ثَنَايَا البأسِ وَالكَرَمِ
وخُضْخِضَ السَّجلُ في قَعرِ القليبِ فلم يَنْزَحْ لَهُ غَيرُ مكتُومٍ مِنَ الوَذَمِ [٥]
وَأصْبَحَ البَرْقُ يُخفي حرَّ صَفحتَهِ عَنِ المَرَابعِ ، أوْ يَبرَا مِنَ الدِّيَمِ
وَأجْدَبَ القَوْمُ وَاضْطُرّتْ أكفُّهُمُ ، وَإنْ تَطَهّرْنَ مِنْ إثْمٍ ، إلى الزّلَمِ [٦]
وَقَلّ عِنْدَ كِرَامِ الحَيّ نَائِلُهُمْ حتّى جَلا يَوْمَ نَحرٍ مَنزِلَ البَرَمِ

١ الضال والسلم : من أنواع الشجر .
٢ الأرشية ، الواحد رشاء : الحبل .
٣ أضم : جبل .
٤ الشجاع : ضرب من الحيات . اللهذم : السنان . الخذم : القاطع .
٥ المكتوم : الخرز الذي لا ينضح منه الماء . الوذم : سيور بين آذان الدلو والعراقي .
٦ الزلم : السهم ، واحد السهام التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية .

وَكُلُّ سَائِمَةٍ بَاتَتْ تُمَسِّحُهَا ... كَفُّ المُسيمِ غَدَتْ لحماً على وَضَمِ [1]
وَصَوّحَ النّبْتُ حتّى كادَ مِن سغَبٍ ... فيهِمْ يُصَوِّحُ نَبْتُ الهَامِ وَاللِّمَمِ [2]
كَانُوا السّحائِبَ تَرْمي من كنائِنِها ... مَقَاتِلَ المَحلِ كالمُثعَنجِرِ الرّذِمِ [3]
أرْغَتْ مَعَدٌّ وَأثغى مَن يُنَاضِلُها، ... وَمَنْ يُقَايِسُ بَيْنَ الشّاءِ وَالنَّعَمِ
دُنْيَا تَرَشّفُ عَيْشي ، وَهيَ كالحَةٌ ... غَضْبَى ، وَأبسِمُ فيها باديَ الكَظَمِ [4]
كالخَمرِ يَعبِسُ حاسيها على مِقَةٍ ، ... وَالكَأسُ تَجلُو عَلَيه ثَغرَ مبتَسِمِ
الجِدُّ لا يَقْتَضِي إسْمَاعَ مُلهيَةٍ ، ... وَالهَزْلُ يكمُنُ في الأوْتَارِ وَالنّغَمِ
وَمَا ابنُ غِيلٍ تُذيعُ المَوْتَ طَلعَتُهُ ، ... إذا تَطَلّعَ غَضْبَاناً مِنَ الأجَمِ [5]
يَجلُو دُجَى شِدقِه عن صُبحِ عاصِلةٍ ... مَطرُورَةٍ كَشَبا المَطرُورَةِ الخُذُمِ [6]
يوْماً بأقْدَم مِني في مُلَملَمَةٍ ... شَعوَاءَ تُعرَفُ بالعِقبَانِ وَالرَّخَمِ [7]
وَاليَوْمَ قَطّعَ قَرْعُ البِيضِ حَبوَتَهُ ... عَنِ العَجاجِ وَخَيلُ اللهِ في الحَرَمِ
إذا العَوَالي علَى أشداقِها هَجَمَتْ ... أعدى اللّمى بالدّمِ الجارِي على الرَّثَمِ
وَالطّعْنُ يَنتَجِعُ الأجسادَ أنفُسَهَا، ... وَالضّرْبُ يَبخَلُ بالبُقيَا على القِمَمِ
وَرُبَّ لَيْلٍ كَأنّ النّارَ مُقلَتُهُ ، ... وَالكَلبَ يَسمَعُهُ النّائي عن الصّمَمِ

١ المسيم : الراعي .
٢ صوح : تشقق وتناثر .
٣ المثعنجر بفتح الجيم : وسط البحر ، وبكسرها : الماء السائل . والرذم : السائل .
٤ الكظم : الكرب والغم .
٥ الغيل : الأجمة ، وابنها : الأسد .
٦ العاصلة : أراد أنيابه العوجاء . مطرورة : محددة . الشبا : حد كل شيء . الخذم : القاطعة
٧ الململمة : الكتيبة . الشعواء : المتفرقة لكثرتها .

سَهِرْتُهُ ، وَالأَمَانِي تَرْتَقِي فِكَرِي، حَتّى تَطَلّعَ مِنْ هَمّي إلى هِمَمي
أُرَاقِبُ الضّيْفَ أنْ يَرْعَى مَطِيّتَهُ وَبَيْنَنَا مَنكِبٌ عَالٍ مِنَ الظُّلَمِ
أوْحَى الظّلامُ إلى الإصْبَاحِ أنّ فتًى أسرَى وَمَا خَدَعَتْهُ لَذّةُ الحُلُمِ
عَلى جُمالِيّةٍ تُوفي الزّمَامَ خُطاً ، تَكَادُ تَسبُقُهُ من خِفّةِ القَدَمِ
خَرّاجَةِ الصّدْرِ إنْ صَاحَ المُهيبُ بهَا على الوَجى من صُدورِ الأينُقِ الرُّسُمِ
حَرْفٍ تبَوّعُ بي في كلّ مَجْهَلَةٍ ، كَأنّني رَاكِبٌ مِنْهَا على عَلَمِ[1]
تُلقي الأجِنّةَ قَتلَى في مَسَالِكِها ، دياتُهَا في رِقَابِ القَصْدِ وَالأمَمِ
متى تَنَسّمُ مَسّ السّوْطِ جِلدَتُها ، زَافَتْ كمازَافَ عُنقُ المُصْعَبِ القَطِمِ[2]
تُطغي الخِطامَ، إذا ما البرّ صَافَحَهُ تَيّارُ بَحرٍ بأيدي العِيسِ مُلْتَطِمِ
هَوْجَاءُ ما التَفَتَتْ يَوْماً عَلى ألَمٍ مِن السّياطِ وَلا حَنّتْ إلى قَرَمِ[3]
إذا جَذَبْتُ لذِكْرِ السّيرِ مِقوَدَهَا كَأنّمَا جَذَبَتْهَا سَوْرَةُ اللَّمَمِ[4]
ما يَطلُبُ الدّهرُ وَالأيّامُ من رَجُلٍ يَعُوذُ بالحَمدِ إشفاقاً عَلى النِّعَمِ
إذا اقتَضَتْهُ الأمَاني بَعضَ مَوْعِدِهِ غَطّى بسَترِ العَطَايا عَوْرَةَ العَدَمِ
مَنْ مَدّ مِعصَمَهُ مُستَعصِماً بيَدي عَصَمْتُهُ بِإخَاءٍ غَيرِ مُنْجَذِمِ
وَمَنْ أُشَيّعْهُ يَأمَنْ مِنْ لَوَائِمِهِ، وَلَوْ رَمَوْهُ بِجرّاحٍ مِنَ الكَلِمِ
وَلَوْ هتكتُ حِجابَ الغيبِ لافتَضَحتْ أجفانُ كُلّ مُرِيبِ اللّحظِ مُتّهَمِ

١ الحرف : الناقة الضامرة ، وهو نعت للجمالية أي الناقة الصلبة الشديدة . تبوع : تمد باعها .
٢ زافت : تبخترت . المصعب : الفحل الصعب . القطم : الهائج .
٣ قوله القرم : استعار شهوة اللحم لشهوة المرعى .
٤ السورة : الحدة ، الشدة . اللمم : طرف من الجنون .

كَفَى الذي سَبّني أنّي صَبَرْتُ لَهُ ، فاستَنصرَ العُذرَ وَاستَحيا من الحُرَمِ
بُرْدي عَفيفٌ إذا غَيري لفَجرَتِهِ كانَتْ مَنَاسِجُ بُرْدَيهِ على التُّهَمِ
أنَا زُهَيرٌ ، فَمَنْ لي في زَمانِكَ ذا بِبَعْضِ ما افترَقَتْ عَنهُ يدا هَرِمِ
إذا العَدُوّ عَصَاني خافَ حدّ يَدي ، وَعِرْضُهُ آمِنٌ مِنْ هاجِرَاتِ فَمي
جَعَلتُ سَمعي على قَوْلِ الخَنا حرَماً ، فَأيُّ فَاحِشَةٍ تَدْنُو إلى حَرَمِ
يَكَادُ أنْفي إذا مَا استافَ مَرْتَبَةً من التّوَاضُعِ يَنضُو خُلعةَ الشَّمَمِ
جَدّي النّبيّ ، وَأُمّي بنتُهُ ، وَأبي وَصيُّهُ ، وَجُدُودي خيرَةُ الأُمَمِ
لقَصْدِنَا تَتَمَطّى كُلّ رَاقِصَةٍ هَوْجاءَ تَخبِطُ هامَ الصّخرِ وَالرَّجَمِ [1]
بكُلّ أشعَثَ مُنقَدّ القَميصِ ، إذا جَدّ النّجاءُ بِهِ عَن أطيَبِ الشّيَمِ
لَنَا المَقامُ ، وَبَيتُ اللهِ حُجرَتُهُ في المَجدِ ثابتَةُ الأطنَابِ وَالدُّعُمِ
وَمَوْلدي طاهرُ الأثوَابِ تَحسَبُني وُلدتُ في حِجرِ ذاكَ الحِجرِ وَالحَرَمِ

ماذا قال الضمير

قال في معنى عرض له

قَالَ الضّميرُ بِمَا علِمْ : أنْتَ المُحكَّمُ فَاحتَكِمْ
خَجِلٌ يُنَمّقُ عُذْرَهُ ، وَالعُذْرُ شَاهِدُ مَنْ نَدِمْ

[1] الراقصة الهوجاء : الناقة المسرعة . الرجم : الحجارة .

لا تُلْزِمَنّي زلّـــةً ، سفَهَتْ عليّ بها القَدَمْ
فلَقَلّمَا غَضِبَتْ على أشْبالِهَا أُسدُ الأجَمْ
هَلْ أنْتَ إلاّ البَدْرُ يَطْ رِفُ ضَوْءُهُ مُقَلَ الظُّلَمْ
صَافَحْتُ رَاحتَهُ ، وَحَشْ وُ بَنَانِهَا عَبَقُ الكَرَمْ
فَكَأنّمَا جَذَبَتْ يَدِي بِذُؤابَتَيْ سَيْلِ العَرِمْ[1]
جَاءَتْ كَأنّ بِعِطْفِهَا خَجَلَ المَحولِ من الدّيَمْ[2]
حَطّتْ إلَيْكَ مِنَ الضّمَا ئِرِ في رِشَاءٍ مِنْ نَدَمْ

الموت يبلغ كل نفس

قال أيضاً رحمه الله تعالى يرثي بنت صديق له توفيت ويعزيه عنهـا :

عَجِزْنا عَن مُرَاغَمةِ الحِمَامِ ، وَدَاءُ المَوْتِ مُغرًى بالأنَامِ
وَمَا جَزَعُ الجَزُوعِ ،وَإنْ تَنَاهَى، بمُنتَصِفٍ مِنَ الدّاءِ العُقَامِ
وَأينَ نَحُورُ عَن طُرُقِ المَنَايَا ، وَفي أيْدِي الرّدَى طرَفُ الزّمَامِ
نَوَائِبُ مَا أصَخْنَ إلى عِتَابٍ يَطُولُ وَلا حَذِرْنَ عَلى مَلامِ

١ العرم : السيل الذي لا يطاق دفعه .
٢ المحول من الديم : السحب غير الماطرة .

هيَ الأيّامُ تَأكُلُ كُلَّ حَيٍّ ، وَتَعْصِفُ بالكِرَامِ وَباللّئَامِ
وَكُلٌّ مُفَارِقٍ للعيَشِ يلقَى كَمَا لَقيَ الرّضِيعُ مِنَ الفِطَامِ
وَكَمْ لِيَدِ النّوَائِبِ مِنْ صريعٍ بِداءِ السّيْفِ أوْ داءِ السّقَامِ
فَمَنْ وَرَدَ المَنيّةَ عَنْ وَفَاةٍ كَآخرَ عَاثِرِ العِرْنِينِ دامِ
وَلَوْ أمِنَ الجبَانُ مِنَ المَنَايَا ، لأغْمَدَ سَيفَهُ البَطَلُ المُحامي
وَمَا يَغْتَرُّ بالدّنْيَا لَبِيبٌ يَفِرّ مِنَ الحَيَاةِ إلى الحِمَامِ
تُنَافِرُ ثمّ تَرْجِعُ بَعدَ وَهْنٍ رُجُوعَ القَوْسِ تَرْمَحُ بالسّهَامِ
خُطوبٌ لا أُجِمّ لهَا جَوَادي ، وَعزْمٌ لا أحُطّ لَهُ لِثَامي[1]
رَأيْتُ المَوْتَ يَبلُغُ كُلّ نَفْسٍ عَلى بُعْدِ المَسَافَةِ وَالمَرَامِ
سَوَاءٌ إنْ شَدَدْتُ لَهُ حَزِيمي ، زِماعاً ، أوْ حَلَلْتُ لَهُ حِزَامي[2]
عَزَاءَكَ ما استَطَعتَ،فكلّ حزْنٍ يَؤولُ بِهِ الغُلُوّ إلى الأثَامِ[3]
وَعُمْرُ المَرْءِ يَنْقُصُ كلّ يوْمٍ ، وَلا عُمْرٌ يَقَرّ عَلى التّمَامِ
وَمَا تُنجي الدّموعُ مِنَ المَنَايَا ؛ فَتُرْسِلَهَا بِأرْبَعَةٍ سِجَامِ
وَكُنّا عِنْدَ مُخْتَلِفِ اللّيَالي ، وَكَرِّ الدّهْرِ عَاماً بَعْدَ عَامِ
إذا أخَذَ الرّدَى مِنّا رَجَعْنَا إلى صَبرٍ يُشَرِّدُ بالغَرَامِ
وَكَانَ الصّبرُ يَقبِضُ كلَّ وَجدٍ ، كمَا قَبَضَ الصّباحُ مِنَ الظّلامِ
وَفي حُسنِ العَزَاءِ لَنَا مُجيرٌ ، يُخَلّصُنَا مِنَ الكُرَبِ العِظَامِ

١ أجم جواده : ترك ركوبه .
٢ الزماع : الخوف .
٣ الأثام : العقوبة .

أساكِنَةَ التّرابِ، وكلُّ حيٍّ جَديرٌ أنْ يُغَيَّبَ في الرِّجَامِ[1]
تَقَنّصَكِ الرّدى عَرَضاً وأمسَى يُجاذِبُكِ المَسيرَ عَنِ المُقَامِ
وَلَجْلَجَ مَنْ نَعَاكِ، وكلُّ ناعٍ يُجَمجِمُ أوْ يُلَجلِجُ في الكَلامِ
وَكُلُّ حَشًى عَلَيكِ كأنّ فيهِ سِنَانَ الرّمْحِ أوْ طَرَفَ الحُسَامِ
أيَا قَبراً تَقَسّمَ كُلَّ صَبْرٍ، وَقَلْقَلَ عَبرَةَ المُقَلِ الدّوَامي
أقَامَتْ فيكَ مَاجدَةٌ حَصَانٌ كَمَاءِ المُزْنِ مِنْ بِيضِ الخِيامِ
تَطَرّقَكَ النّسيمُ مِنَ الخُزَامَى، وَدَرّتْ فيكَ أنْوَاءُ الغَمَامِ
وَأصْبَحَتِ الشّفاهُ عَلَيكَ فوْضَى تَهَافَتُ بالتّحيّةِ وَالسّلامِ
فَمَا بَكَتِ الحَمَامُ عَلَيكَ إلاّ كمَا غَنّتْكَ أصوَاتُ الحَمَامِ
ألا لِلّهِ كُلُّ فَتًى أبيٍّ عَزيزِ الأنْفِ يَغضَبُ للذِّمَامِ
يُجيرُ مِنَ الزّمَانِ، إذا تَغاوَى، بِصَبْرٍ للنّوَائِبِ وَاعتِزَامِ[2]
وَأيّامٍ تُفَلِّلُ مِنْ غُرُوبي على مَضَضٍ وَتُنْقِصُ من عُرَامي
تَلاعَبُ بي أمَاماً أوْ وَرَاءً، طِرَادَ الشّيخِ يَلعَبُ بالغُلامِ
بَرَاني الدّهْرُ سَهْماً ثُمّ وَلّى، فَجَرّدَني مِنَ الرّيشِ اللُّؤامِ
وَهَا أنَا ذا أبُثّكَ كُلَّ بَيْتٍ رَقيقِ النّسْجِ رَقرَاقِ النّظَامِ

١ الرجام ، الواحد رجم : القبر .
٢ تغاوى : تكلف الغي ، ضد الرشد .

لله جيد

قال في معنى مثله

لِلّهِ جِيـدٌ مـا تَـمَـ   هَّدَ غيرَ أحشاءِ المكارِمْ
فتَطَوّقَ العَلْيَاءَ ، وَهْـ   وَ قريبُ عَهدٍ بالتّمائِمْ
نِيطَتْ بعِطْفَيْهِ حَمَا   لاتُ المَغَانِمِ وَالمَغَارِمْ[1]

الشكر مهر

قال أيضاً في مثل ذلك

أَلْبَسْتَني نِعَماً عَلى نِعَمٍ ،   وَرَفَعْتَ لي عَلَماً عَلى عَلَمِ
وَعَلَوْتَ بي حتّى مَشَيتُ على   بُسطٍ مِنَ الأعناقِ وَالقِمَمِ
فَلأشكُرَنّ نَداكَ مَا شَكَرَتْ   خُضرُ الرّياضِ صَنَائِعَ الدِّيَمِ
فالحَمْدُ يُبْقي ذِكْرَ كلّ فتًى ،   وَيُبِينُ قَدْرَ مَوَاقِعِ الكَرَمِ
وَالشّكْرُ مَهْرٌ للصّنيعَةِ إنْ   طُلِبَتْ مُهُورُ عَقَائِلِ النِّعَمِ

١ نيطت : علقت . حمالات ، الواحدة حمالة : الدية والغرامة .

نهنه عتابك

قال أيضاً وكتب بها إلى بعض أصدقائه :

نَهنِهْ عِتَابَكَ إلاّ إنْ هَفَا جرَمَ ، بَعضُ العِتابِ على الإخلاصِ مُتّهَمُ[1]
مَا لي أقُولُ ، فَلا تُصْغي بسامِعَةٍ ، تَصَامُمٌ بكَ عن ذا القوْلِ أم صَمَمُ؟
رِفقاً بِأنْفِكَ لا تَشْمَخْ على مُضَرٍ ، وَانظُرْ بعَينك مَن زُمّوا وَمن خُطِموا
فَلَستَ أوّلَ مَنْ رَاقَتْ لَهُ حُلَلٌ ؛ وَلَستَ أوّلَ مَنْ رَاحَتْ له نَعَمُ
مَن أضْمرَ الصّدّ عمّن ليس يُضْمرُهُ بَغياً ، مشَى في نوَاحي سرّهِ النّدَمُ
مَن أنهَضَتهُ لقَطعِ الوُدّ عُذرَتُهُ ، كانَ المُذَمَّمَ منهُ الكَفُّ وَالقَدَمُ
مَنْ سَاءَ ظَنّاً بمَنْ يَهوَاهُ فارَقَهُ ، وَحَرّضَتْهُ عَلى إبْعَادِهِ التُّهَمُ
مَتى تَهَجّمَ غَدراً سِرُّ عَهدِكُمُ ، فإنّ عَهدي عَلى غَدْرٍ بكُمْ حَرَمُ
يَصُدّ عَنّيَ مَنْ وُدّي لَهُ صَدَدٌ ، وَلا أؤمّ الذي وُدّي لَهُ أمَمُ

١ نهنه : كفكف . هفا : ارتكب هفوة . جرم : أراد مجرماً .

الفتى بعلمه لا بماله

يفتخر ويذم الزمان وأهله :

قَليلٌ مِنَ الخُلاّنِ مَنْ لا تَذُمُّهُ ، وَكُثْرٌ مِنَ الأعداءِ مَن أنتَ هَمُّهُ
وَغَيرُ بَعيدٍ مِنْكَ نَاءٍ تَزُورُه ، وَغَيرُ قَريبٍ قاطِنٌ لا تَؤمّهُ
مُصَافيكَ في الأيّامِ أنفُكَ أنفُهُ ، إذا جَلّ مَا تَلقى، وَرُغمُكَ رُغمُهُ
ألا لَيتَ بَينَ الحَيّ لمْ يَقضِ يَومَهُ ، وَلَيتَ ظَليعَ الذّوْدِ لم يُبرَ سُقمُهُ[1]
وَلَيتَ أديمَ الأرْضِ يَعرَى كما اكتسَى مِنَ النّاسِ أوْ يَعفُو كمَا بانَ رَسمُهُ
فَمَا ذا الوَرَى مِمّنْ يُرَادُ بَقَاؤُه ، وَلا المَوْتُ مَعذولٌ إذا جارَ حُكمُهُ
تُباشِرُ عيني فيهِمُ ما يَسوءها ، وَيَلْقَى جَنَاني مِنهُمُ ما يَغُمّهُ
سَقَى اللهُ قَلْباً بَينَ جَنْبَيّ رَيَّه ، وَمَا نَافِعٌ قَلبي مِنَ المَاءِ جَمّهُ
وَلَكِنّ مُشْتَاقاً ، إذا بَلَغَ المُنَى تَقَضّى أُوَامُ القَلْبِ أوْ زَالَ وَغمُهُ[2]
أما عَلِمَ الغادونَ وَالقَلبُ خَلفَهمْ ، يَضُمّ زَفيراً يَصْدَعُ الصَّلدَ ضَمُّهُ
بأنّ وَميضَ البَرْقِ ما لا أشيمُهُ ؛ وَأنّ نَسيمَ الرّوْضِ ما لا أشُمّهُ
وَرُبّ وَميضٍ نَبّهَ الشّوْقَ وَمضُهُ ؛ وَرُبّ نَسيمٍ جَدّدَ الوَجدَ نَسمُهُ
أضَعْتُ الهَوَى حِفظاً لحَزْمي، وَإنّما يُصَانُ الهوَى في قلبِ من ضَاعَ حَزْمُهُ

١ الظليع : الذي يغمز في مشيه . الذود : الإبل .
٢ الوغم : الحقد الثابت في الصدر .

وَطَيفِ حَبيبٍ رَاعَ نَوْمي خَيَالُه ، وَعَرّفَني طُولَ اللّيَالي مُلِمُّهُ[1]
وَمَا زَارَني إلاّ لِيُخْجِلَ طِيبُه نَسيمَ الصَّبَا أوْ يَفضَحَ اللّيلَ ظَلْمُهُ[2]
تَطَلّعَ مِنْ أرْجاءِ عَيني دَمْعُهَا ، وَما كادَ لَوْلا الوَجدُ يَنقادُ سجمُهُ
ألا هَلْ لحُبٍّ فاتَ أُولاهُ رَجعَة ، وَإن زَادَ عندي أوْ تضَاعفَ اسمُهُ
لَيَاليَ أسْرِي في أصَيْحَابِ لَذّةٍ وَمُخّ الدُّجى رَارٌ، وَقد دَقّ عظمُهُ[3]
وَأغدو عَلى رَيعانِ خَيْلٍ تَلُفّهَا صُدُورُ القَنَا وَالنّقعُ عَالٍ أحَمّهُ[4]
رَأيتُ الفَتى يَهوَى الثّرَاءَ، وَعُمرُه يُرَى كُلَّ يَوْمٍ زَائداً مِنهُ عُدْمُهُ
عَقيبُ شَبَابِ المَرْءِ شَيبٌ يَخُصّهُ ، إذا طَالَ عُمرٌ أوْ فَنَاءٌ يَعُمّهُ
طَليعَةُ شَيبٍ بَعدَها فَيلَقُ الرّدَى ، برَأسِي لَهُ نَقعٌ، وَبالقَلبِ كَلْمُهُ
أُغالِطُ عَنْ نَفسِي حِمامي ، وَإنّما أُداري عَدُوّاً مَارِقاً فيّ سَهْمُهُ
وَلَيسَ يَقُومُ المَرْءُ يَوْماً بحُجّةٍ ، إذا حَضرَ المِقدارُ، وَالمَوْتُ خَصْمُهُ
وَأوْلى بمَنْ يَستَخلِفُ الدّهرَ بَعدَه على صِرْمه أن يُودعَ الأرْضَ صِرْمُهُ[5]
فَوَا عَجَبَا للمَرْءِ ، وَالداءُ خَلفه ، وَمِنْ حَوْلِهِ الأقدارُ وَالمَوْتُ أَمّهُ[6]
يُسَرّ بِمَاضِي يَوْمِهِ ، وَهوَ حَتفُه ، وَيَلتَذّ مَا يُغذَى بهِ ، وَهوَ سُمّهُ

١ الملم : الآتي .
٢ ظلمه : بريق أسنانه .
٣ المخ : ما يسميه العامة النخاع . رار : ذائب
٤ ريعان كل شيء : أوله . احمه : أسوده .
٥ الصرم : الجماعة .
٦ أمه : قصده ، أمامه .

وَرُودٌ مِنَ الآجَالِ لا يَستَجِمّنَا ، وَوِرْدٌ مِنَ الآمَالِ لا نَستَجِمّهُ[1]
إلى كم أذُودُ السّيفَ عن هامِ عُصْبَةٍ ، أما فيهِمُ مَن يَطعَمُ السّيفَ لحمَهُ
وَعنديَ عالٍ من دَمِ الجَوْفِ شُرْبُه ، وَماضِي الظُّبى من أسودِ القَلبِ طَعمُهُ[2]
أقُولُ لِغِرٍّ بي : لُفِفْتُ بضَيغَمٍ يَؤدّ الأعادي خَطفُهُ ثمّ حَطمُهُ[3]
فدَعْ هَضْبَةً منّا بنَى اللهُ سَمكَها ، فَإنّ بِنَاءَ اللهِ يُعيِيكَ هَدْمُهُ
وَمِنْ عَجَبِ الأيّامِ أنّي مُحَسَّدٌ ، أُعادَى على ما يوجِبُ الوُدّ حُكْمُهُ
وَلَيسَ الفتى مَن يُعجِبُ النّاسَ مالُه ، وَلكِنّهُ مَنْ يُعجِبُ النّاسَ عِلمُهُ
تَشُفُّ خِلالُ المَرْءِ لي قبلَ نُطقِهِ ، وَقبلَ سُؤالي عَنهُ في القَوْمِ ما اسمُهُ
أساءَ جِوَارُ الذّلّ مِنّي ابنَ هِمّةٍ إذا هَمّ وَاطَى بَيْنَ رَأيَيْهِ هَمّهُ[4]
وَلَوْ غَيرَ قَلبي ضَمّ ذا العَزْمَ شَقَّه ، وَلكِنّهُ لا يَقتُلُ الصِّلَّ سُمّهُ
وَأبْلَجَ لا يَرْضَى عَنِ العَجزِ رَأيُه ، تُمَدّ على أضْوَى من البَدرِ لُثْمُهُ[5]
إذا خَلَعَ اللّيلُ النّهارَ سمَتْ بِهِ مَآرِبُ مَضّاءٍ عَلَى مَا يَهُمّهُ
وكم في نِزَارٍ مِنْ نَهيضٍ نَجيبَةٍ ، إذا سَلّ عَضْباً سابَقَ الضّرْبَ عزْمُهُ
أنِيسٍ بلُقْيَانِ الحُرُوبِ كَأنّمَا تَمَطّتْ بِهِ في نَاشِرِ النّقعِ أُمّهُ[6]

١ يستجمنا : يتركنا .
٢ العالي : الرمح . الظبى ، الواحدة ظبة : حد السيف .
٣ الغر : الشاب لا تجربة له . يؤد : يثقل . الحطم : الكسر .
٤ واطى : واطأ ، وافق .
٥ لثمه ، الواحد لثام : ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب
٦ تمطت به أمه : أرادت ولدته .

إذا ضَرَعَ الأقوَامُ من سُوءِ نكبَةٍ ... جَلاها قَوِيمُ الأنفِ فيهَا أشَمّهُ[1]

رَفيعُ بُيُوتِ المَجْدِ كَالجَدّ جَدُّهُ ، ... فَخاراً ، وَفي العلْيَاءِ كَالخَالِ عمُّهُ

مَهيبُ وَقَارِ الجَانِبَيْنِ أبيّهُ ، ... وَمُخولُ مَجْدِ الوَالِدَينِ مُعِمّهُ

فَمِنْ خَائِفٍ عِندَ اللّيَالي نُجيرُهُ ، ... وَمَن شَعَثٍ بَينَ المَعَالي نَلُمّهُ[2]

وَإنّي لَدَفّاعٌ بيَ العَزْمُ وَالمُنَى ، ... إلى كُلّ لَيلٍ يَعقِدُ الطَّرْفَ نَجمُهُ

وَمَا تَستَدِلّ النّجمَ عينايَ في الدُّجى ... ضَلالاً ، وَلكِنْ مثلُ عَيْنيّ جِرْمُهُ

شَدَدْنَا بأيدي العِيسِ كُلّ ثَنيّةٍ ، ... وَمِنْ دُونِها جَوْنُ القَرَا مُدلَهِمّهُ[3]

وَمُنْخَرَقٍ لا يَقطَعُ الطّرْفُ عرْضَهُ ، ... وَلا يَنزَوِي عن أعيُنِ الرّكبِ خَرْمُهُ[4]

تَوَهّمتُ عَصْفَ الرّيحِ بَينَ فرُوجِهِ ... يُسِرّ إلى سَمعي مَقَالاً يُصِمّهُ

وَجَيشٍ يُسامي كُلّ طَوْدٍ عَجاجُهُ ، ... وَيَفتَرّ عَنْهُ كُلُّ وَادٍ يَضُمّهُ

تَخَطّفُ أبصَارَ الأعَادي سُيُوفُهُ ، ... وَتَمْلأُ أسمَاعَ القَبَائِلِ لُجْمُهُ

إذا سارَ صُبْحاً طارَدَ الشّمسَ نَقعُهُ ، ... وَإنْ سارَ لَيلاً طَبّقَ الأرْضَ دَهمُهُ[5]

تَرَاجَعُ حُمراً من دَمِ الضّرْبِ بِيضُهُ ، ... وَتَنجابُ شُقراً من دَمِ الطّعنِ دُهمُهُ[6]

صَدَمْنا بِهِ الجَبّارَ في أُمّ رَأسِهِ ، ... وكانَ شِفاءَ الرّأسِ ذي الدّاءِ صَدمُهُ

١ ضرع : ذل .

٢ الشعث : التفرق ، انتشار الأمر .

٣ الثنية : طريق العقبة . الجون : الأسود . القرا : أراد ظهر الأكمة . مدلهمه : مظلمه .

٤ المنخرق : المفازة الواسعة تنخرق فيها الرياح . خرم الجبل : أنفه .

٥ دهمه : مفاجأته .

٦ دهمه ، الواحد أدهم : الأسود .

وَما ضَاقَتِ الأقطارُ مِنْ دُونِ فَوْتِهِ ظُبَانا، ولَكِنْ أوْبَقَ العَبدَ ظُلمُهُ[1]
عَذيرِيَ مِمّنْ ذَمّ عَهدي، وقد نَبا مِرَاراً ، وَقَلْبي وَادِعٌ لا يَذُمّهُ
تَجرّمَ لَمّا لَمْ يَجِدْ ليَ زَلّةً ، وَأقصَدَني باللّوْمِ ، وَالجُرْمُ جُرْمُهُ
تَعَمّدتُ بُعدي عَنه من غيرِ سَلوَةٍ ، ليُعلِمَني يَوْمَ النّوَى كيفَ طَعمُهُ
وَأجمَمْتُهُ لا عَنْ غَنَاءٍ ، وَإنّمَا لأشْرَبَهُ في[2]
وَإنّي، وَإنْ وَالَى على القَلبِ حَرْبَهُ، لَمُنتَظِرٌ أنْ يَعْقُبَ الحَرْبَ سِلمُهُ
وَلا تَيْأسَنْ مِنْ عَفْوِ حُرٍّ ، فإنّما تَحَلُّمُهُ بَاقٍ ، إذا ضَاعَ حِلمُهُ
أأطْمَعُ أنْ أنْسَاكَ يَوْماً ، وَإنّمَا هَوَاكَ ضَجيعُ القَلبِ منّي وَحُلمُهُ
يَقَرّ بِعَيْنَيْ مَنظَرٌ أنْتَ قَيْدُهُ ، وَيَعتَاقُ قَلبي مَطلَبٌ أنتَ غُنمُهُ
وَأنتَ الفَتى لا عاجزٌ عَن فَضِيلَةٍ ، وَغَيرُ قَليلٍ مَنْ مَعاليهِ قَسْمُهُ[3]
تجاوَزْ بعَمدٍ وَاعفُ،فالعَتبُ إن يَدُمْ على الخِلّ يَفسُدْ ظَنُّ قلبٍ وَوَهمُهُ
أرَى آخِرَ الخُلاّنِ وُدّاً يَسُوءُني، وَيَمْدَحُ عِندي أوّلاً طَالَ ذَمّهُ
عَلى أنّني رَاضٍ بِمَا جَرّ هَجْرُهُ ، وَهَل أنا إلاّ القَلبُ يَلتاثُ جِسمُهُ[4]

١ أوبق العبد : هربه .
٢ أجممته : تركته يجتمع .
٣ القسم : الخلق والعادة .
٤ يلتاث : يلتف ، يقوى .

اولى بلاد بالمقام

يهنىء الوزير أبا منصور محمد بن الحسن
ابن صالح بالمهرجان سنة ٣٧٨ :

بِعاداً لمَنْ صَاحَبتُ غَيرَ المُقَوَّمِ ، وَبُعداً لِكُلّ الرّيّ إلاّ مِنَ الدّمِ
إذا ظُلَمٌ لَمْ أمضِ فِيهَا عَزِيمَةً ، فَساعَةُ لَيلي مِثلُ حَوْلٍ مُجَرَّمِ[1]
وَمِنْ شَغَفي بالطّعنِ أغدُو، وَذابلي إذا قَلّ جُرْمٌ مَالَ بي في التّجَرّمِ[2]
وَمَا أنَا مِمّنْ يَقْبَلُ الطّعمَ قَلبُه، وَلَمْ تَعلَمِ الأرْماحُ مِن أينَ مَطعَمي
سَأُقْدِمُ لا مُستَعظِماً مَا لَقِيتُهُ ، تَوَسّعَ لي في الرّوْعِ أوْ ضَاقَ مَقدمي
فَقَدْ فَجعَ المَاضِي لَبيداً بِأرْبَدٍ ، وَعُزّيَ قَبْلي مَالِكٌ مِنْ مُتَمِّمِ[3]
وَعَزْمٍ أُعاطِيهِ العَوَالي وَحَاجَةٍ رَمَيتُ بِها ما بَينَ أرْضٍ وَمَنْسِمِ[4]
وَلَيْسَ الفَتَى إلاّ الّذي إنْ رَأيْتَهُ رَأيتَ غَنيّ النّفسِ في ثَوْبِ مُعدِمِ
قَليلُ مُقَامٍ بَينَ أهْلٍ وَثَرْوَةٍ ، كَثيرُ طُلُوعٍ بَينَ وَادٍ وَمَخرَمِ
أمُطّلِعٌ يَوْمي عَليّ ، وَلَمْ أخُضْ دِماءَ الأعادي بالوَشيجِ المُقَوَّمِ[5]

١ المجرم : التام .
٢ الجرم : الخطأ والذنب . التجرم : التهمة بالذنب .
٣ لبيد العامري : أحد شعراء الجاهلية ومن أصحاب المعلقات . اربد : أخوه قتلته صاعقة . مالك ابن نويرة ومتمم أخوه ، قتل فبكاه في شعره .
٤ المنسم : الطريق .
٥ الوشيج : شجر الرماح .

وَلَمْ أُجْهِدِ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نِجادُهُ، أمامَ الظُّبى، وَالنَّقعُ بالنَّقعِ يرْتَمي
وَلَيسَ شِفاءُ النَّفسِ إلاّ مُثَقَّفٌ يُعَدّ لِيَوْمٍ بِالغُبَارِ مُلَثَّمِ
وكم ليَ مِنْ رَمّاحَةٍ تُزْعِجُ الحَصَى بِوَابِلِهَا في مَعْلَمٍ بَعدَ مَعلَمِ [1]
إذا اللهُ لمْ يَنصُرْ حُسامي عَلَى العِدا، فَمَا أنَا إلاّ عُرْضَةُ المُتَهَضِّمِ [2]
وَإن هوَ نَجّى من فَمِ المَوْتِ مُهجتي نَجَوْتُ، وَإلاّ كُنتُ أوّلَ مَطعَمِ
أبيتُ، وَلي في كُلّ أرْضٍ عَزِيمَةٌ تُزَعزِعُ أعنَاقَ المَطِيّ المُحَزَّمِ [3]
وَمُسْتَوْصِيَاتٍ بالذّميلِ كَأنّمَا يُدارِسُ إدآبَ الجَدِيلِ وَشَدقَمِ [4]
تَرَى كُلّ حَمْرَاءِ المِلاطِ كَأنّمَا تَخَلّجَ في آمَاقِها عِرْقُ عَندَمِ [5]
بخُفٍّ كَشِدقِ الأعلَمِ استُصْعِبَتْ على ظِلّ عُنقٍ ذي عَثانِينَ مُرْجِمِ [6]
كأنّ الغُلامَ الضَّرْبَ في الرَّحلِ رِيشة خَفَتْ فوْقَ زَوْرٍ من ظَلِيمٍ مُصَلَّمِ [7]

١ الرماحة : القوس الشديدة . بوابلها : أي بسهامها المنصبة كالمطر . معلم الشيء : مظنته وما يستدل به .

٢ المتهضم : الظالم ، والغاصب .

٣ المحزم : المشدود الحزام . ذكره إتباعاً للفظ المطي ، لا لمعناه .

٤ الذميل : السير اللين . الإدآب : الجد والتعب والعادة . الجديل وشدقم : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر يضرب بهما المثل .

٥ الملاط : الجنب . تخلج : اضطرب ، تحرك .

٦ الأعلم : المشقوق الشفة العليا . العثانين ، الواحد عثنون : شعرات تحت حنك البعير . المرجم : الذي يرجم الأرض بحوافره .

٧ الضرب : الماضي في الأمور ، والندب ، والخفيف اللحم . خفت : خفيت . المصلم : المقطوع الأذنين .

إذا أُوْجِسَتْ حِسٌّ القَطيعِ وَرَاءَها ألاحَتْ بخَيشُومٍ كَرِيمٍ وَمَلْطَمِ[1]

تَخَيَّلَ من فَضْلِ الزّمامِ ابنَ رَملَةٍ لَهُ نَهَشَاتٌ في مكانِ المُخَطَّمِ[2]

طَلَعْنَ عَلى لَيْلٍ بِنَا وَوَصَلْنَهُ بِأبْلَجَ لَمّاعِ الجَوَاشِنِ مُعْلَمِ[3]

وَمَنْ جَعَلَ القَلبَ الجَرِيءَ دَليلَه، فَكُلُّ ظَلامٍ عِندَهُ غَيرُ مُظلِمِ

بُلِيتُ ، وَأبْلاني زَماني ، بِعُصْبَةٍ يَخوضُونَ بي في كلّ غَيبٍ مُرَجَّمِ[4]

مَذاييعُ للسّرّ المَصُونِ ، وَلَيتَهُمْ أذاعُوهُ طَلْقَ البُرْدِ لَمّا يُنَمْنَمِ[5]

قَليلُ حَديثٍ مارِقٍ غَيرُ مُكثِرٍ ، وَبَدْءُ مَقَالٍ وَارِدٍ مِنْ مُتَمِّمِ[6]

زَمَانُ الأذَى عِشْ فيهِ تُشْجَ بأهلِه، وَتُغْضِ على ذُلٍّ ،وَمُتْ فيهِ تَعظُمِ

على أنّني لا غالبُ الرّأيِ بالهَوَى ، وَلا قائِلٌ للشّوْقِ إنْ ضَلّ يَمّمِ

وَلا قاطِعٌ بالظّنّ ما كُنتُ وَاصِلاً ، وَرُبّ مَغيظٍ قَاطِعٍ بالتّوَهّمِ

وَإنّيَ مِمّا آلفُ الجِدّ بَاخِلٌ بثَغرِي فَما يَدرِي امرُؤٌ أينَ مَبسمي

فِرَاقٌ من الأحبابِ أمضَى من الرّدَى ، وَأقطَعُ للأقْرَانِ مِنْ غَرْبِ مِخذَمِ

لكَ اللهُ مِنْ وَادٍ تَوَرّكْنَ عُرْضَهُ ، وَنَقّبْنَ فيهِ عَنْ عَرَارٍ وَعِظْلِمِ[7]

وجد   ت . القطيع : السوط . ألاحت : أشارت . الخيشوم : أقصى الأنف . الملطم مكان اللطم ، الخد .

٢ المراد بابن رملة : الثعبان .

٣ الجواشن ، الواحد الجوشن : الصدر . المعلم، من أعلم الفرس: علق عليها صوفاً ملوناً في الحرب.

٤ المرجم : المظنون ، الذي لا يوقف على حقيقته .

٥ ينمنم : يزخرف وينقش ويزين .

٦ المارق ، من مرق السهم : نفذ .

٧ توركن : اعتمدن على أوراكهن . العرض : الجانب . العرار والعظلم : ضربان من النبات .

يُبَارِينَ نَفّاحَ الخُزَامى عَشيّةً ، بأطْيَبَ مِنْ رِيحِ الخزَامى وَأنْعَمِ
أُغَالِبُ دَمعي ثمّ يَغلِبُ جارِياً ، وَمَنْ لمْ يُسِلْ دَمعاً على الحُبّ يظلِمِ
وَمَا ذَكّرَتكَ النّفسُ إلاّ وَضَمّهَا إلى القَلْبِ بَاعُ المُوجَعِ المُتَألّمِ
خَليليّ لَيسَ الدّمعُ عَنّي بِدافِعٍ وُلُوعَ غَرَامٍ كَالحَرِيقِ المُضَرَّمِ
وَهَلْ أنَا إلاّ رَبُّ نَفْسٍ مُعَارَةٍ ، وَقَلْبٍ مُعَارٍ للجوَى وَالتّألّمِ
إذا مَا جَوَادي مَرّ بي في دِيَارِها ، تَقَاضَى زَفيرِي دائِباً بالتّحَمحُمِ[1]
أحِنُّ، وَلا يُرْمَى حَنيني بِتُهمَةٍ ، وَأدْنُو ، وَلا يُعزَى دُنُوّي بِمَأثَمِ
وَمَا مَنظَرُ الحَسنَاءِ عِندي برَائِقٍ ، وَلا نَيلُها وَالقُرْبُ عِندي بِمَغْنَمِ
إلى كَمْ تَصَبّاني الغَوَاني ، وَبَيْنَهَا وَبَيْني عَفافٌ مِثلُ طَوْدٍ يَلَملَمِ
وَإنّي لمَأمُونٌ عَلى كُلّ خَلْوَةٍ ، أمينُ الهَوَى وَالقَلبِ وَالعَينِ وَالفَمِ
وَغَيرِي إلى الفَحشَاءِ إنْ عَرَضَتْ له أشَدُّ مِنَ الذّؤبانِ عَدواً على الدّمِ
وَمَنْ كانَ إنْعَامُ الوَزِيرِ حَبيبَهُ أغَارَ الغَوَاني بَينَ بِكْرٍ وَأيِّمِ[2]
أبِيتُ بهَا هادي الحَشا في نَوَائِبٍ يَبيتُ لهَا غَيرِي بقَلبٍ مُقَسَّمِ[3]
وَحيدَ العُلَى لا يَنتَجي غَيرَ نَفْ إذا عَنّ خَطبٌ أوْ دَنا يوْمُ مَغرَمِ[4]
وَمُنْتَصِرٍ يَرْعَى بحِلْمٍ حُقُودَه وَيَطرُدُ أضْغَانَ العِدا بالتّكَرّمِ

١ الزفير : إخراج النفس بعد مده مستمراً . التحمحم : تردد صوت الفرس في صدره .

٢ الأيم : من لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً .

٣ المقسم : الذي تقسمته الهموم .

٤ ينتجي : يناجي .

إذا عَظُمَ الطّلاّبُ لمْ يَثْنِ كَفَّهُ ؛ وَإنْ طالَ نُطقُ القَوْمِ لمْ يَتَجَهّمِ
يَزِمّ إلى العَافِينَ أعْنَاقَ مَالِهِ ، وَمَالُ رِجَالٍ مُقْرَمٌ لَمْ يُخَطَّمِ [1]
كَثيرِ ارْتِياحِ القَلبِ في عَقبِ جودِهِ إذا جَائِدٌ ألقَى يَداً في التّنَدّمِ
سرِيعٍ ، إذا داعي الطّعانِ دَعَا بِهِ ، غَدا طاعِناً قَبلَ العِدا في التّلَوّمِ
وَمَا هَمّ إلاّ قَعقَعَ البَيضَ بالظُّبَى ، وَرَدّ القَنا يَجرِي على كلّ مِعصَمِ [2]
وَلا رَكْزَ إلاّ أنْ تُمِيرَ زِجَاجُهَا عَوَامِلَهَا فَضْلَ النّجيعِ المُحَرَّمِ [3]
وَكلٌّ صَبَاحٍ شاحبٍ مِنْ عَجاجَةٍ ، وَشَائِعُ بُرْدٍ بالعَوَاني مُسَهَّمِ [4]
إذا عَنّ جُودٌ قيلَ: دُفّاعُ وَابِلٍ ؛ وَإنْ عَنّ رَوْعٌ قيل: تَقحيمُ ضَيغَمِ
يَشُنّ وُجُوهَ البِيدِ في كُلّ مَسلَكٍ بِجَرّ العَوَالي وَالرّعيلِ المُسَوَّمِ [5]
فَعَالٌ جَرِيٌّ لا يَزَالُ مُدافعاً إلى المَجْدِ ،طَلاّعاً إلى كلّ مُعظَمِ
وَلَكِنّهُ بِالعِزّ وَالمَجْدِ وَالعُلَى أحَقٌّ وَأوْلى مِنْ سَمَاءٍ بأنْجُمِ
أتَتْهُ ، وَلمْ يَمدُدْ يَداً في طِلابِها ، وَمَا انقادَ مَن قادَ العَوَالي بمَخطَمِ [6]
وَلَوْ لمْ يُقِرّ الغَابِطُونَ بِمَجْدِهِ ، أقَرّوا عَلى رُغْمٍ بفَضْلِ التّقَدّمِ
وَمَا كَذِبُ الحُسّادِ للبَدرِ ضَائِراً ، وَلَيسَ يَضُرّ الذّمٌّ غَيرَ المُذَمَّمِ

١ يزم : يشد . العافون : طالبو المعروف . المقرم : البعير لا يحمل عليه ولا يذلل .
٢ البيض ، الواحدة بيضة : الخوذة . الظبى ، الواحدة ظبة : حد السيف .
٣ الركز ، من ركز الرمح : غرزه في الأرض . يمير : يأتي بالميرة ، يجلب الطعام . الزجاج ، الواحد زج : الحديدة في أسفل الرمح ويقابلها السنان . العوامل : الرماح . النجيع : الدم .
٤ الوشائع ، الواحدة وشيعة : الطريقة في البرد . المسهم : المخطط .
٥ يشن، من شن الغارة عليهم: وجهها من كل جهة . الرعيل : القطعة من الخيل . المسوم: المرعي .
٦ المخطم : الخطام .

وَحَيٍّ حِلالٍ قد ذَعَرْتُ بِكُبَّةٍ ... مِنَ الخَيلِ ، لا تَرْعى ذِماماً لمَحرَمِ[1]
على حينَ حاصَرْتُ الظّلامَ إليْهِمُ ، ... بأرْعَنَ يَرْدي في الحَديدِ المُنَظَّمِ[2]
وَما افتَرّ يَوْمٌ قَطُّ إلاّ لَقيتُهُ ... بِوَجْهٍ جَلِيٍّ ، أوْ بِكَفٍّ مُغَيِّمِ
إذا مارِقٌ لاقاكَ غَضّ عِنانَهُ ، ... وَرَدّ أظافيرَ القَنا لَمْ تُقَلَّمِ
وَرُبّ نَسيبٍ للرّماحِ مُغامِرٍ ... خَفيفِ الشّوَى عاري الجَناحينِ أعلَمِ
هزَّ يَوْماً للغِوارِ رَأيْتَهُ ... أنَمّ إلى الأرْواحِ مِنْ كُلّ لَهْذَمِ
يَسرّكَ في فَلّ الصّوارِمِ وَالقَنا ، ... وَيُرْضيكَ في رَدّ اللُّهامِ العَرَمرَمِ
لَهُ رِيقَةٌ تَجْري بِما شاءَ رَبُّهُ ، ... كَما حالَ سُمٌّ بَيْنَ أنْيابِ أرْقَمِ
أمالىءَ أيّامِ النّدى كلّ عارِضٍ ، ... وَمالىءَ أيّامِ الوَغى كلّ مُلجَمِ
تَهَنّ قُدُومَ المِهرَجانِ ، فإنّهُ ... إلَيكَ عَلى الأيّامِ يُنمَى وَيَنتَمي[3]
وَمَا زَارَ هَذا العيدُ إلاّ صَبَابَةً ... إلَيكَ بقَلْبٍ طامِحِ الوَجدِ مُغرَمِ
أتَى يَستَفيدُ الجُودَ منكَ وَيَجتَلي ... مَحاسِنَهُ مِنْ ثَغْرِكَ المُتَبَسِّمِ
فَلا عارَ أن تَستَنجدَ الكأسَ راحَةٌ ... أضَرّ بها حَملُ الجُرازِ المُصَمِّمِ[4]
أرَاكَ بِعَينٍ لا يَسُوءُكَ لَحظُهَا . ... وَأرْعاكَ بالوُدّ الذي لَمْ يُذَمَّمِ
وَفي نَظَري عُنوَانُ ما بَينَ أضْلُعي ، ... وَرُبّ لَحاظٍ نائِبٍ عَنْ تَكَلُّمِ

١ الكبة من الخيل : الجماعة .
٢ الأرعن : الأهوج . يردي : يرجم الأرض بحوافره .
٣ المهرجان : عيد الفرس ، مركبة من مهر : محبة ، وجان روح ، فيكون معناها : محبة الروح
٤ الجراز : السيف . المصمم : الماضي في العظم .

وكم نَظرَةٍ تَستَوْهبُ القوْلَ من فَمي ... تُكَلّفُ نُطقي في جوَابِ المُكَلَّمِ
ولَستُ ولَوْ خادَعتَني عَن مَطالبي ... مُطَاوِعَ عُذّالي عَلَيكَ ولُوّمي
وأكْرَمُ مَأمُولٍ وأشرَفُ ماجِدٍ ... جوَادٌ متى يُندَبْ إلى الجُودِ يُقدِمِ
أُعيذُكَ أنْ تُظمي فتًى كانَ طَرْفُهُ ... عَقيداً لبَرْقِ العارِضِ المُترَنِّمِ
ومَنْ غَرّهُ مالٌ رَضِي ببَشاشَةٍ ، ... وعادِمُ ماءٍ قانِعٌ بالتيَمّمِ
ألا إنّ شعرِي فيكَ يبقَى وغَيرُهُ ... تَطيرُ بهِ أيْدي اللّيالي وتَرتَمي
وتَعقِدُ طَرْفي منكَ في كُلّ نَظرَةٍ ... طَلاقَةُ بَدْرٍ بالمَعالي مُعَمَّمِ
ولَوْلاكَ ما فاقَتْ ببَغدادَ نَاقَتي ، ... ولا كُنتُ إلاّ لاحِقاً بالمُقَطَّمِ [1]
وأوْلى بِلادٍ بالمُقَامِ منَ الدُّنَا ... بِلادٌ متَى يَنزِلْ بهَا الحُرُّ يَغنَمِ
مَدَحتُ أميرَ المُؤمِنينَ ، وإنّهُ ... لأشرَفُ مَأمُولٍ وأعلَى مُؤمَّمِ
فَأوْسعَني قبلَ العَطاءِ كَرَامَةً ، ... ولا مَرْحَباً بالمالِ إنْ لَمْ أُكَرَّمِ
وإنّي ، إذا ما قُلتُ في غيرِ ماجِدٍ ... مَديحاً، كأنّي لائِكٌ طَعمَ عَلقَمِ
وإنّ رَجائي زَيْنَ مِلّةِ هاشِمٍ ... لَنُعمَى ، وحَسبي من جوَادٍ ومُنعمِ
فَكُنْ شافِعي يوْماً إليهِ لَعلّهُ ... يَرِيشُ العوَاري مِن نِبالي وأسهُمي
أغارُ على عَليائِهِ مِنْ مُقَصِّرٍ ... يَقُولُ ولَمْ يُرْزَقْ مَقالي ولا فَمي
فإنْ شاءَ فالوَسْمُ الذي قد عرَفتُه ، ... مُبينٌ لِعَينِ النّاظِرِ المُتَوَسِّمِ

١ فاقت الناقة : اجتمعت الفيقة ، أي اللبن ، في ضرعها .

طود لا يرام

يعزي الوزير أبا منصور محمد بن الحسن
ابن صالح عن والدته وقد توفيت سنة ٣٧٨ :

هيَ ما عَلِمتَ فهل تُرَدّ هُمومُها؟ نُوَبٌ أراقِمُ لا يُبِلّ سَليمُها[1]
أرْوَاحُنَا دَيْنٌ ، وَمَا أنْفاسُنَا إلاّ قَضَاءٌ ، وَالزّمَانُ غَرِيمُهَا
فَلأيّ حَالٍ تَستَلِذُّ نُفوسُنا نَفَحاتِ عَيشٍ لا يَدومُ نَعيمُهَا
يَمضِي الزّمانُ وَلا نُحِسّ كأنّه رِيحٌ تَمُرّ وَلا يُشَمّ نَسيمُهَا
لمْ يَشفَعِ الدّهرُ الخَؤونُ لمُهجَةٍ في العُمرِ إلاّ عادَ وَهوَ خَصِيمُهَا
وكأنّما الدّنيَا الغَرُورَةُ بُرْدَةٌ بِيَدَيْ بِلًى ، وَيَرُوقُنا تَسهيمُهَا[2]
يا دَهرُ! كَم أسهَرْتَني مِن لَيلةٍ قَد كُنتُ فيكَ أنامُها وَأُنيمُهَا
وَالأرْضُ دارٌ لا يَلَذّ نَزِيلُهَا ، عُمرَ الزّمانِ ، وَلا يَذيمُ مُقيمُها[3]
كَمْ بَاعِ أبَاءٍ تَفُلّ بُطُونُها ، وَأَدِيمِ جَبّارٍ يَقُدّ أدِيمُهَا[4]
قَبْرٌ عَلى قَبرٍ لَنَا ، وَأَوَاخِرٌ يَلْقَى رَميمَ الأوّلِينَ رَمِيمُهَا
إنّ الوَزِيرَ ، وَإنْ تَطَرّقَهُ الرّدَى ، وَعَدا علَيه من الخُطوبِ ذَميمُهَا

١ يبل : يبرأ . سليمها : لديغها .
٢ تسهيمها : تخطيطها .
٣ يذيم : يعاب .
٤ أديم الجبار : جلده . أديم الأرض : وجهها .

مُستَلئِمٌ لَقِيتَهُ ، أوْ لَمْ تَلقَهُ بنوَائبٍ،بِيضُ المَنونِ وَشيمُها[1]
الدّمعُ أعظمُ مَن تُحارِبُ جُرْأةً ، فانظُرْ لعَينٍ ما أُبيحَ حَريمُها
وَتَعَزَّ،إنّ مِنَ العزَاءِ شَجاعَةً ، وَأعَزّ ما عَزّى نُفُوساً خِيمُها[2]
بِمَكارِمٍ غُرّ الوُجُوهِ تُنيلُها، وَمَقاوِمٍ غُلْبِ الرّقابِ تَقُومُها
كَمْ ذاهِبٍ أبكَى النّوَاظِرَ مُدّةً وَمَضَى ، وَطابَ لمُقلَةٍ تَهوِيمُها[3]
أوْ ثَغرِ مَحزُونٍ تَبَسّمَ سَلْوَةً ، وَالعَينُ لمّا يَرْقَ بَعدُ سُجومُها
إنّي لأرْجو أنْ يَكُونَ مَقامُها في حُفرَةٍ خضلُ الغَمامِ نَديمُها
مِنْ كُلّ غادِيَةٍ سُلافَةُ بارِقٍ ، وَمِنَ الرّياضِ رَطيبُها وَعَميمُها
في رِفقَةٍ لا يَستَطيلُ سَفيهُها أبَداً ، وَلا يَدرِي المَقالَ حَليمُها
مثلُ الكَبيرِ مِنَ الرّجالِ صَغيرُها، يَبلى، وكالعَبدِ الذّليلِ زَعيمُها
مَا ضَرّ رَاحِلَةً، وَأنتَ وَرَاءَها، مِن أن يكونَ على المَنونِ قدومُها
تَرَكَتكَ طَوْداً لا يُرَامُ وَجَمرَةً لا تُصْطَلَى وَيَداً يُذلّ مُضيمُها
هل خَبّرَتْ لمّا أتَتْ بك ما الذي في مَهدِها ، أوْ ما يَضُمّ حَزيمُها
أمْ هل دَرَتْ أنّ الحُسامَ جَنينُها طَلْقاً، وَأنّ أبَا العَلاءِ فَطيمُها
وكأنتَ فَلتَلِدِ النّساءُ نَباهَةً ، أوْ لا ، فمُنجِبَةُ النّساءِ عَقيمُها
صَبراً فَما اعتاضَ المُصَابُ كصَبرِهِ شَيئاً، إذا غَمَرَ القُلوبَ هُمومُها

١ شيمها : سودها .
٢ الخيم : السجية والطبيعة .
٣ التهويم : هز الرأس من النعاس ، أو النوم القليل .

في الذّاهبِ المَوْرُوثِ سلوَةُ وَارِثٍ، وَأمَرُّ ما وَرِثَ الرّجالُ غُمُومُهَا
ما ساجَلَتكَ من المَقاوِلِ عُصْبَةٌ إلاّ وَضَلّ مَقَالُهَا وَغَرِيمُهَا
إنْ قيلَ إقدامٌ ، فأنتَ شُجاعُها ، أوْ قيلَ إعطَاءٌ ، فأنتَ كَرِيمُهَا
هذا ، وكم لكَ من عزَائمَ جَمّةٍ في كُلّ حادِثَةٍ تُضِيءُ نُجومُهَا
وَتَهُزّ أحشَاءَ البِلادِ بِضُمّرٍ يَرِدُ الطّعانَ أغَرُّها وَبَهِيمُهَا
غَرْثَى يُنازِعُها النّجاءَ نَجائِبٌ، قَد هَلّلَتْ بَعدَ الرَّوَاءِ جُرُومُهَا
إن كانَ رُزْؤكَ ذا جَسيماً ، فالذي يُنمَى إلَيكَ من الأمورِ جَسيمُهَا
وَلأنْتَ أنجَدُ صَابِرٍ لِمُلِمّةٍ ، وَأعَزُّ مَن يَنجابُ عَنهُ أرُومُهَا
للنّائِبَاتِ مِنَ الرّجالِ جَرِيئُهَا ، يَوْمَ اللّقَاءِ ، وَللعَظيمِ عَظيمُهَا

نفس تتوق الى النجوم

يفتخر ويذم الزمان وذلك سنة ٣٧٩ :

أرَى نَفْسِي تَتوقُ إلى النّجومِ ، سَأحمِلُهَا عَلى الخَطَرِ العَظيمِ
وَإنّ أذَى الهُمُومِ على فُؤادي أضَرُّ مِنَ النّصُولِ عَلى أديمي
وَإنّي ، إنْ صَبَرْتُ ثَنَيتُ قَلبي عَلى طَرَفٍ مِنَ البَلوَى ألِيمِ
وَلي أمَلٌ كَصَدْرِ الرّمحِ ماضٍ ، سوَى أنّ اللّيَالي مِنْ خُصُومي
وَيَمنَعُني المُدامَ طُرُوقُ هَمّي، فَمَا يَحظَى بِهَا إلاّ نَدِيمي

وَما أوْفَتْ على العِشرِينَ سِنّي ، وَقَدْ أوْفَى عَلى الدّنيا غَرِيمي
وَنَجوَى قَد شَهِدتُ وَعُدتُ أُلقي عِنَانَ فَمي إلى قَلْبٍ كَتُومِ
وَهَوْلٍ يُرْعَدُ النَّسيانُ مِنْهُ ، رَكِبْتُ مَعارِضَ الجَدّ المَرُومِ[1]
إذا ما حاجَةٌ قُضِيَتْ بسَيفي ، شَكَرْتُ لهَا يَدَ اللّيلِ البَهيمِ
وَيَعرِفُني العَدُوُّ بِوَقْعِ رُمْحي إذا مَا الوَجْهُ مُوّهَ بالسُّهُومِ[2]
وَمَا لي هِمّةٌ إلاّ المَعَالي ، وَذَبُّ الضّيمِ عَن نَسبٍ صَميمِ
وَقَوْدُ الخَيلِ تَرْكَعُ مِنْ وَجاها وَقد غَلَبَ النّجيعُ عَلى الكُلومِ[3]
تُصَبّحُ في الطُّلى بدِرَاكِ طَعْنٍ كرَمحِ الشّوْلِ زُغنَ عن المُسيمِ[4]
وَيُذْهِلُها ، إذا التَقَتِ العَوَالي ، ضِرَامُ الطّعنِ عن مَضْغِ الشّكيمِ
وَكُلٌّ نَحيلَةٍ كَالسّهْمِ تُصْمي عَرَانِينَ الأمَاعِزِ وَالحُزُومِ
تُرِيني الشّمسَ أوّلَ مَنْ يرَاها ، وَآخِرُ شَأوِها طَلَقُ الظّليمِ
وَحَثٌّ العِيسِ تَستَلِبُ الفَيافي ، بإملاءِ الذّميلِ عَلى الرّسيمِ[5]
جزَعنَ اللّيلَ ، وَالآفاقُ خُلسٌ ، كأنّ نُجُومَها نَغِلُ الأديمِ[6]

١ يرعد : تأخذه الرعدة ، الاضطراب . النسيان ، الواحد نسا : عرق من الورك إلى الكعب .
٢ موه : طلي . السهوم : العبوس .
٣ الوجى : الحفا . الكلوم : الجراح ، الواحد كلم .
٤ الدراك : المتوالي . الرمح ، من رمحته الدابة : رفسته . الشول : الإبل مر على حملها أو وضعها سبعة أشهر . المسيم : الراعي .
٥ الاملاء ، من أملى البعير : أرخى له ووسع في قيده . الذميل والرسيم : ضربان من العدو .
٦ جزعن : قطعن . الخلس ، الواحد أخلس : الأسمر ، وأراد اختلاط النور بالظلمة . نغل الأديم : فاسده ، والمراد تثقيب النجوم .

وَأبْلَجَ مِثْلَ فَرْقِ الرّأسِ نَهجٍ   قَطَعْنَ وَمَا قَلِقْنَ مِنَ السَّؤومِ
وَمَاءٍ قَدْ تَخَفّرَ بالدّيَاجي ،   عَنِ الطُّرّاقِ وَالسَّلَمِ المُقِيمِ[1]
وَرَدْنَ ، وَلا دِلاءَ لَهُنّ إلاّ   مَشَافِرُهُنّ في الوِرْدِ الجَمُومِ[2]
وَعُدنَ ، وَقد وَهَى سِلكُ الثّريّا ،   وَكَرَّ الصّبْحُ في طَلَبِ النّجومِ
وَقَدْ لاحَتْ لأعْيُنِنَا ذُكَاءٌ   وَرَاءَ الفَجْرِ كَالخَدّ اللّطِيمِ
وَمُخْتَلِطِ النّدى أرِجِ الخُزَامَى   رَطِيبٍ ذَوَائِبِ الكَلإِ العَمِيمِ
أبَحْتُ حَرِيمَهُ إبلي ، فَأمْسَتْ   تُغِيرُ شِفَاهَهُنّ عَلى الجَمِيمِ
ألا هَلْ أطْرُقُ السّمُرَاتِ يَوْماً   بَرِيءَ القَلبِ من عَنَتِ الهُمومِ ؟
وَألْصِقُ بالنّقَا كَبِدي ، وَيَهفُو   إليّ مِنَ النّقَا وَلَعُ النّسيمِ
وَأطْلِقُ عُقْلَهَا بِرُبًى تَرَاهَا   مِنَ الأنْوَاءِ ضَاحِكَةَ الوُشُومِ
أرَى الأيّامَ عَادِيَةً عَلَيْنَا ،   بِبِيضٍ مِنْ نَوَائِبِهَا وَشِيمِ
يُضِلّ نُفُوسَنَا داءٌ عُقَامٌ ،   فَيُسْلِمُنَا إلى أرْضٍ عَقِيمِ
وَنُتْبِعُ بالدّمُوعِ ، وَأيُّ دَمْعٍ   يُجِيرُ ، وَلَوْ أقَامَ عَلى السُّجومِ
وَيُفْرِدُنَا الزّمَانُ ، بِلا قَرِيبٍ   يَذُمّ مِنَ الزّمَانِ وَلا حَمِيمِ
وَنَلْقَى قَبْلَ لُقْيَانِ المَنَايَا   رِمَاحَ الدّاءِ تَطعَنُ في الجُسومِ
فَلَوْ كانَتْ خُصُوصاً سُرّ قَوْمٌ ،   وَلَكِنّ العَنَاءَ عَلى العُمُومِ
وَيُكْثِرُ مَطلِيَ الغُرَمَاءُ ، إلاّ   إذا رَاحَ الرّدَى ، وَغَدا غَرِيمي

[1] تخفر : تحرز ، واستجار . السلم : شجر العضاه ، الواحدة سلمة .
[2] الجموم : الكثير الماء .

رَأيتُ المَالَ يَرْفَعُ مِنْ سَفيهٍ ، وَعُدْمُ المَالِ يُنقِصُ مِن حليمِ
فَلَيتَ كَرِيمَ قَوْمٍ نالَ عِرْضِي ، ولَمْ يَدْنَسْ بِذَمٍّ مِنْ لَئيمِ
يَلُومُ ، وَقَدْ ألامَ ، وَشَرٌّ شيْءٍ إذا لاقَاكَ لَوْمٌ مِنْ مُلِيمِ
أشُبّ ، لأحرِقَ الأعداءَ ، لحظي ، فيُرْجِعُني إلى الإغْضَاءِ خيمي
أبَى لي الذّمَّ آبَاءٌ تَسَامَوْا إلى عَنْقَاءَ طَيّبَةِ الأرُومِ[1]
إذا اشتَمَلُوا علَى الأعداءِ عادوا ، وَقَدْ غَمَرُوا الضّغائِنَ بالحُلُومِ
ألا مَنْ مُبلِغُ الأحْيَاءِ أنّي قَطَعْتُ قَرَائِنَ الزّمَنِ القَدِيمِ
وَأنّي قَدْ أبِيتُ مُقَامُ رَحْلي بوَادي الرّمثِ أوْ جَبَلِ الغَمِيمِ
وَعَنْ قُرْبٍ سَيَشغَلُني زَمَاني ، برَعْيِ النّاسِ عَنْ رَعيِ القُرُومِ
وَمَا لي مِنْ لِقَاءِ المَوْتِ بُدٌّ ، فَمَا لي لا أشُدّ لَهُ حَزِيمي
سَألتَمِسُ العُلَى إمّا بِعُرْبٍ يُرَوّونَ اللّهَاذِمَ أوْ بِرُومِ[2]
وَلَوْ أنّي أُعِنْتُ بِآلِ عُكْلٍ رَغِبتُ عَنِ الذّوَائبِ مِن تَميمِ[3]
حَذارِكُمُ بَني الضّحّاكِ أنّي إلى الأمْرِ الذي تُومُونَ أومي
فَلا تَتَعَرّضُوا بِذِرَاعِ عَادٍ مُدِلّ عِنْدَ خ ستيمِ

١ إلى عنقاء : أي إلى هضبة عنقاء ، وهي المرتفعة الطويلة . الأروم : الأصول ، الواحدة أرومة ، وأروم بالفتح .
٢ اللهاذم : الأسنة القاطعة .
٣ آل عكل : قوم ضعاف . الذوائب : السادات .
٤ العادي : الأسد . المدل : أي المدل بشجاعته ، الجريء . خيسته : غابته . الشتيم : القبيح الخلقة ، العابس .

فإنْ تكُ مِدْحةٌ سبقتْ فإنّي بِضِدّ نظامِها عيْنُ الزّعيمِ
وقافيةٍ تُخَضْخِضُ ما ترامتْ بهِ الأيّامُ في عِرْضِ اللّئيم
تُرَدِّدُ ما لها مِمّنْ يَعيها ، سوى الإطْراقِ منها والوُجُومِ
لها في الرّأسِ سوْراتٌ يُطاطي لها الإنسانُ كالرّجُلِ الأميمِ[1]
ليَعْلَمَ منْ أناضِلُ أنّ شِعري يُطالِعُ بالشّقاءِ وبالنّعيمِ

نبت السيادة والحلم

قال عند نبات الشعر بعارضيه

رأت شعَرَاتٍ في عِذارِيَ طَلْقةً ، كما افترّ طفلُ الرّوْضِ عنأوّلِ الوَسمي
فقلتُ لها : ما الشّعرُ سالَ بعارِضِي ، ولكنّهُ نبْتُ السّيادَةِ والحِلْمِ
يزِيدُ بِهِ وَجْهي ضِياءً وبَهْجَةً ، وما تُنقِصُ الظّلْماءُ من بهجةِ النّجمِ

١ الأميم : الذي أصيبت أم رأسه

الحياة ظل والمنى احلام

يرثي الملك أبا الفوارس شرف
الدولة وزين الملة ابن عضد الدولة
وقد توفي في جمادى الآخرة سنة ٣٧٩ :

هَلْ كانَ يَوْمُكَ إلاّ بَعْدَ أيّامِ ، سَبَقْتَ فيهَا بِإنْعَامٍ وَإرْغَامِ
وَهَلْ أزَالَكَ عَنْ هذا سِوَى قَدَرٍ تَنَاوَلَ الأُسْدَ مِنْ غِيلٍ وَآجَامِ
إنّ المَنَايَا مُغِرّاتٌ لأنْفُسِنَا ، وَإنْ أمَدّتْ بِأعْوَامٍ وَأعْوَامِ
نَسعَى بأقدامِنَا عَنهَا فتُدْرِكُنَا ، سَبْقَ الجِيَادِ وَمَا تَسعَى بأقدامِ
مَا لي بِطَيّ اللّيَالي غَيرُ مُكْتَرِثٍ ، وَمَا وَرَائيَ مِنهَا كَانَ قُدّامي
أظُنّ شَخصَ الرّدَى فَرْداً فأحذَرُهُ ، وَالمَوْتُ أكبَرُ مِنْ ظَنّي وَأوْهامي
إنّ الحَيَاةَ ، وَإنْ غَرّتْ مَخائِلُها ، ظِلٌّ ، وَإنّ المُنَى أضْغاثُ أحْلامِ
نَامي البَقَاءِ إلى الذّاوِي تَرَاجُعُهُ ، كُلاًّ ،وَلا يَرْجعُ الذّاوِي إلى النّامي
أبَا الفَوَارِسِ ما أعلى يَداً عَصَفَتْ مِنَ المَنُونِ بِأعلى عِزّكَ السّامي
إنّ المَنِيّةَ مَا زَالَتْ مُفَوَّقَةً ، حتّى رَمَتكَ ،وَلا عَدوَى عَلى الرّامي
كَرّتْ ،فلَمْ تَثْنِها بالسُّمرِ مُشرَعَةً ، وَلَمْ تَرُعْهَا بإسْرَاجٍ وَإلجَامِ
ألاّ اتّقَيْتَ بما سَوّمتَ مِنْ عُدَدٍ ، وَمَا تَعَلّمتَ مِنْ نَقضٍ وَإبْرَامِ[1]

١ العدد ، الواحدة عدة : ما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح .

هَيهَاتَ ألقَى حِمامٌ كُلَّ مَارِنَةٍ تَدْمَى ، وَأبطَلَ مَوْتٌ كُلَّ إقْدامِ
تُملِي المَقَادِيرُ أعمَاراً ، وَتَنسَخُهَا، وَيَضْرِبُ الدّهْرُ أيّاماً بِأيّامِ
فَمِنْ كَمِينِ رَدًى تَسرِي عَقارِبُهُ ، وَمِنْ طُلُوعٍ برَايَاتٍ وَأعْلامِ
أينَ السّرِيرُ وَقد قامَ السّماطُ لَهُ ، إجْلالَ أرْوَعَ عَالي القَدّ بَسّامِ[1]
أينَ الجِيَادُ تَنَزّى في أعِنّتِهَا ، يَطلُبْنَ يَوْماً قَطُوباً وَجهُهُ دامِ
أينَ الفُيُولُ كَأنّ المُمْتَطِينَ لهَا عَلى ذَوَائِبِ أطْوَادٍ وَأعْلامِ
أينَ الوُفُودُ عَلى الأبوَابِ مُذكِرَةً بالفَرْطِ مِنْ مَجدِ أخوَالٍ وَأعمَامِ
أينَ المَرَاتِبُ ، وَالدّنْيَا عَلى قَدَمٍ ، مَوْقُوفَةً بَينَ أرْمَاحٍ وَأقْلامِ
مَضَى وَلَمْ يُغنِ ما عَدّدْتُ عَنهُ ، وَلا كَسبُ العُلى وَاجتِنابُ اللّوْمِ وَالذّامِ
وَعادَ أعظَمُ مَن في جَيشِهِ جُرْأةً ، وَلَيسَ يَملِكُ إلاّ عَضّ إبْهَامِ[2]
وَكَانَ أقْطَعَ مِنْ صَمصَامَةٍ ظُبَةً فِينَا وَأمضَى مَضَاءً منهُ في الهَامِ[3]
لمْ يُجرِ يَوْماً بأطرَافِ العِرَاقِ دَماً ، إلاّ وَرَاعَ دِمَاءَ القَوْمِ بالشّامِ
وَكانَ إنْ حافَ عُدْمٌ ثمّ عُذْتَ بهِ مَلأتَ أرْضَكَ مِنْ خَيلٍ وَأنعَامِ[4]
يَحْنُو عَلى رَحِمٍ مَجْفُوّةٍ ، وَيرَى قَطعَ الرّقابِ وَلا قَطعاً لِأرْحَامِ
تَبكي الرّكابُ وَقَدْ رُدّتْ أزِمّتُها ، فالرّكْبُ مَا بَينَ إعْوَالٍ وَإرْزَامِ

١ السماط : صف القوم .
٢ الجرة : الشجاعة ، الجرأة .
٣ الصمصامة : السيف . الظبة : حد السيف . الهام ، الواحدة هامة : الرأس .
٤ حاف : جار ، ظلم .
٥ الإرزام ، من أرزم الرعد : اشتد صوته .

الْيَوْمَ يَرْتَاحُ مَنْ كانَتْ أَصَابِعُهُ عَلَى قَوَادِمِ أَحْقَادٍ وَأَوْغَامِ
يَمُوتُ قَوْمٌ، فَلا يَأْسَى لهم أحَدٌ، وَوَاحِدٌ مَوْتُهُ حُزْنٌ لِأَقْوَامِ
سَقَى الحَيَا مِنْكَ أَوْصَالاً مُفَرَّقَةً فِيهَا مَجَامِعُ إجْلالٍ وَإعْظَامِ
غَيْشَانِ: ذا جَامِدٌ تَخفَى مَخائِلُهُ عنِ العُيونِ، وَذا بادي الذُّرَى هامي[1]
لِلّهِ دَرُّكِ مِنْ غَرّاءَ أَحْرَزَهَا مَوْسُومَةٌ قَلْبُ ضِرْغَامٍ لِضِرْغَامِ
قَدْ كِدْتُ أَعقِلُهَا لَوْلا مُحَافَظَةٌ عَلى يَدٍ سَلَفَتْ مِنْهُ وَإنْعَامِ
أعَادَ عِزٌّ أَبي غَضّاً وَخَوَّلَهُ مَا شَاءَ مِنْ بَذْلِ إعْزَازٍ وَإكْرَامِ
وَكُنْتُ أجْمَمْتُهُ للعِزّ أطْلُبُهُ، وَإنّمَا كَانَ للمَقْدُورِ إجْمَامي
وَدونَ ما تَشْتَهِيهِ النّفْسُ مُتْعَبَةٌ، إنّ اللآلي وَرَاءَ الأخضَرِ الطّامي[2]
فاذهَبْ كما ذَهَبَ البَدرُ استَبَدّ به، بِرُغْمِ أعيُنِنَا، جِلبابُ إظْلامِ
فَمَا لدارِكَ مِنّا غَيرُ مَقْلِيَةٍ، وَلا لقُرْبِكَ مِنّا غَيرُ إلْمَامِ

١ الذرى : الدمع المصبوب . الهامي : السائل الذي لا يثنيه شيء
٢ الأخضر الطامي : البحر الممتلىء .

مالىء الدنيا نوالا

يمدح الخليفة الطائع لله وينتجز منه الإذن في الوصول إلى حضرته ويهنئه بشهر رمضان سنة ٣٨٠ وكان المنشد لهذه القصيدة كاتبه أبو الحسن علي ابن عبد العزيز بن حاجب النعماني :

مَتَى أنَا قَائِمٌ أعْلَى مَقَامِ ... وَلاقٍ نُورَ وَجْهِكَ بالسّلامِ
وَمُنصَرِفٌ، وَقَدْ أثقَلْتَ عِطفي ... مِنَ النَّعْمَاءِ وَالمِنَنِ الجِسَامِ[1]
وَلي أمَلٌ أطَلْتُ الصّبرَ فيهِ ، ... لَوَ انّ الصّبرَ يَنقَعُ مِنْ أوَامي[2]
وَمَا خِفْتُ النّوَائِبَ تَرْتَمي بي ، ... وَقَدْ أقْعَى بجَامِحِهَا لِجَامي[3]
أيَعْرُقُني الطّوَى وَالرّوْضُ حالٍ ، ... وَيَغلِبُني الظّمَا وَالبَحرُ طامِ ؟
وَلي قُرْبَى رَؤومُ كُنْتُ أرْجُو ... يَمينَكَ أنْ تُقَرّبَ لي مَرَامي
وَبَابُ الإذْنِ منّي ، كُلَّ يَوْمٍ ، ... يُقَعْقِعُ بالقَوَافي وَالنّظَامِ
لَكُمْ أرْجَاءُ زَمْزَمَ وَالمُصَلّى ... وَبَطْحَاءُ المَشَاعِرِ وَالمَقَامِ
وَأنْتُمْ أطْوَلُ العُظَمَاءِ طَوْلاً ، ... وَأندَى في المُحولِ مِنَ الغَمَامِ
وَأبْعَدُ مَوْطِناً مِنْ كُلِّ عَارٍ . ... وَأمْنَعُ جَانِباً مِنْ كُلِّ ذامِ

١ المنن ، الواحدة منة : الإحسان .
٢ ينقع : يسكن . أوامي : عطشي .
٣ أقعى فرسه : رده . جامحها : الفرس المتغلب على راكبه ، الذاهب به لا ينثني .

وَأجرَى عِندَ مُختَلَفِ العَوَالي ، وَأفلَجُ عِندَ مُعتَرَكِ الخِصَامِ[1]
بِآبَاءٍ مَضَوْا ، وَهُمُ عَوَارٍ مِنَ القَوْلِ المُهَجَّنِ وَالمَلامِ
وَأُمّاتٍ دَرَجْنَ عَلى اللّيَالي ، وَهُنّ أصَحُّ مِنْ بَيْضِ النَّعَامِ
وَعِزٍّ لا يُزَعْزَعُ بالرّزَايَا ، وَطَوْدٍ لا يُضَعضَعُ بالزّحَامِ
وَفَخْرٍ شامخِ العِرْنينِ عَالٍ ، وَمَجْدٍ طَائِرِ العَزَبَاتِ سَامِ
تَسيلُ إلَيْهِمُ أيْدي المَطَايَا ، بِكُلّ أشَمّ مَعرُوقِ العِظَامِ
يُغَلّبْنَ البعَادَ عَلى التّداني ، وَيُؤثِرْنَ المَسيرَ عَلى المَقَامِ
وَيُعلِفْنَ الذّميلَ ، وَلا سَبيلٌ إلى الغُدرَانِ وَالنُّطَفِ الطّوَامي[2]
وَيَنصُلُ لَيْلُهَا عَنْ كُلّ عَنسٍ غَضيضِ الطّرْفِ فاتِرَةِ البُغامِ[3]
أحَفّتْ مِنْ جَوَانِبِهَا الفَيَافي ، وَسَاقَطَ نَحضَها خوضُ الظّلامِ[4]
تُنَاخُ بِمَالِىءِ الدّنْيَا نَوَالاً ، وَصَادِعِ بَيضَةِ المَلِكِ الهُمَامِ[5]
بِبأسٍ مِثلِ غَرْبِ السّيفِ ماضٍ ، وَجُودٍ مِثْلِ مَاءِ المُزْنِ هَامِ
وَصَوْلاتٍ أمَرَّ مِنَ المَنَايَا عَلى بَشَرٍ ، ألَذَّ مِنَ المُدامِ
أميرَ المُؤْمِنِينَ ، وَأنتَ أوْلَى بِغَايَاتِ الفَخَارِ مِنَ الأنَامِ

١ أفلج : أظفر .
٢ الذميل : السير اللين . والمراد الذي يسير الذميل . النطف ، الواحدة نطفة : الماء الصافي قل أو كثر ، والبحر .
٣ العنس : الناقة الصلبة .
٤ أحفت من جوانبها : أخذت منها . نحضها : لحمها .
٥ البيضة : الخوذة وهي من آلات الحرب لوقاية الرأس .

وَأنْتَ مُمَلَّكٌ شَرْقاً وَغَرْباً ، حَرِيمَ الأرْضِ وَالبَلَدِ الحَرَامِ
أجِبْ صَوْتي إلَيكَ ، فكُلُّ مَلكٍ يَلَذُّ عَلى مَسَامِعِهِ كَلامي
وَجَرِّدْني تُلاقِ الدّهْرَ مِنّي بِمَسْمُومٍ مَضَارِبُهُ حُسَامِ
وَلا تَتَغاضَيَنّ عَنِ القَوَافي ، فَقَدْ أرْبَتْ عَلى طُولِ الجِمَامِ[1]
وَإنّي نِعْمَ دامِغُ كُلّ قِرْنٍ يُرَادي بالعَدَاوَةِ ، أوْ يُرَامي
وَدافِعُ كُلّ داهِيَةٍ نآدٍ ، وَقائِدُ كُلّ ذي لَجَبٍ لُهَامِ[2]
لَعَلّي بَالِغٌ أمْرِي وَلاقٍ مُنَى نَفْسِي مِنَ النِّعَمِ العِظَامِ
وَأمْراً مِنْكَ يَحْذَرُهُ الأعادي ، فَيَلحَظُهُ بِأجْفَانٍ دَوَامِ
فَأعيُنُهُمْ لِبَغضَتِهِ غَوَاضٍ ، وَهُنّ لِعُظْمِ مَنظَرِهِ سَوَامِ
تَهَنّ قُدُومَ صَوْمِكَ ، يا إماماً، يَصُومُ عَلى الزّمَانِ مِنَ الأثَامِ
إذا مَا المَرْءُ صَامَ مِنَ الدّنَايَا ، فَكُلُّ شُهُورِهِ شَهْرُ الصيَامِ
ألانَ جَذَبتَ مِنْ أيدي اللّيَالي عِنَاني ، وَاشتَمَلْتَ عَلى زِمَامي
فَمَا أخشَى الزمانَ ، وَلَوْ تَلاقَتْ يَدَاهُ مِنْ وَرَائي أوْ أمَامي
وَلا سِيما وَقَدْ أمْسَى عَليٌّ ظَهِيرِي ، وَالسّفيرَ إلى إمَامي

[1] أربت : زادت . الجمام : الراحة .
[2] النآد : الداهية ، وصف الشيء بمثله للتعظيم .

اذا غضبوا جاشت ربى الارض

يمدح أباه ويهنئه بعيد الفطر سنة ٣٨١ :

حَلَفْتُ بِهَا صِيدَ الرّؤوسِ سَوَامٍ ، طِوَالَ الذُّرَى يَمدُدْنَ كُلَّ زِمامِ
بِكُلِّ غُلامٍ حَرَّمَ النَّوْمَ هِزّةً إلى بَلَدٍ نَائِي المَزَارِ حَرَامِ
لأستَمطِرَنّ العِزّ نَفْساً مُرِيغَةً وُرُودَ عَلاءٍ ، أوْ وُرُودَ حِمَامِ[1]
وَأستَنْزِلَنّ المَجْدَ مِنْ قُذُفَاتِهِ وَلَوْ كَانَ أعْلَى يَذْبُلٍ وَشَمَامِ[2]
مَلَلتُ مُقامي غَيرَ شكوَى خَصَاصَةٍ ، وَإنّي لأمْرٍ مَا أمَلُّ مُقَامي
نِزَاعاً عَنِ الدّارِ الّتِي أنَا عِندَها كَثِيرُ لُبَانَاتٍ طَوِيلُ غَرَامِ
صَرِيعُ هُمُومٍ يَحْسَبُ النّاسُ أنّني لِمَا أخَذَتْ مِنّي صَرِيعُ مُدامِ
نَوَائِبُ أيّامٍ نَسَرْنَ خَصَائِلِي ؛ مُغَالَبَةً ، حتّى عَرَقْنَ عِظَامي[3]
وَدُونَ وُلُوجِ الضّيمِ فيّ ذَوَابِلٌ ، طِوَالٌ بِأيْدِي مُنجِبِينَ كِرَامِ
وَإنّ زَمَاني يَوْمَ يَحْرُقُ نَابَهُ أُعاذِمُهُ حَتّى يَمُدّ عِذامي[4]
وَكَمْ يَستَفِزُّ الذّلُّ قَلبَ ابنِ هِمّةٍ ، لَهُ أمَلٌ نَائي المَدَى مُتَرَامِ

١ المريغة : الطالبة . الورود : الشرب .

٢ القذفات ، الواحدة قذفة : ما أشرف من رؤوس الجبال .

٣ نسرن ، من نسر البازي الطائر : نتف لحمه بمنسره .

٤ حرق نابه : حكه حتى سمع له صريف . عاذمه : بادله اللوم ، أو الشتيمة .

يُذادُ عَنِ المَاءِ الذي فيهِ رِيُّهُ ، وَيَرْمي إلى الغُدْرانِ مُقْلَةَ ظَامي
وَتَعرِضُ غُرّاتُ العُلى، وَهو كانِعٌ، فَيَلْحَظُهَا شَزْراً بِعَينِ قَطامي[1]
وَلَسْتُ بِرَاضٍ عَنْ مَنَازِلَ جَمّةٍ أمُرّ بِهَا في الأرْضِ مَرّ لِمَامِ
سِوَى مَنْزِلٍ حَصْبَاءُ أرْضِي بِجَوّهِ نُجُومٌ ، وَأظْلالُ الغَمَامِ خِيَامي
فَذاكَ مَكَاني ، إنْ أقَمتُ بمَنزِلٍ ، وَإلاّ فَفي أيدي الطِّلابِ زِمَامي
خَفيفٌ عَلى ظَهرِ الجَوَادِ تَسَرُّعي، ثَقِيلٌ عَلى هَامِ الرّجَالِ قِيَامي
خَلِيلَيّ رُودَا باليَفَاعِ ، فأشرِفَا عَلى قُلَلٍ بالأبْرَقَينِ سَوَامِ[2]
لِبَرْقٍ كَتَلْوِيحِ الرّداءِ يَشُبُّهُ تَضَايُقُ مِرْنَانِ الرّعُودِ رُكَامِ
تَرَبّصَ أنْ يُلْقي بِنَجْدٍ بَعَاعَهُ ، وَسَاقَ إلى البَيْضَاءِ عِيرَ غَمَامِ[3]
زَفَتْهُ النُّعَامَى ، فاستَمَرّ جِمَامُه، تَجَفُّلَ سِرْبَيْ رَبْرَبٍ وَنَعَامِ[4]
يُضِيءُ إلى الرَّبعِ الذي كُنْتُ آلِفاً بِهِ بُرْءَ أسْقَامي وَبَلّ أوَامي
مَنَازِلَ كانَ الطّرْفُ يَرْتَاحُ بَينَهَا لخُضْرٍ جَميمٍ ، أوْ لزُرْقٍ جِمَامِ
سَقَى تُرْبَهَا حَتّى استَثَارَ خَبيئَهُ سَقِيطُ رَذاذٍ دائِمٍ وَرِهَامِ[5]
وَرَاقَتْ بهَا الأنْوَاءُ كُلّ صَبِيحَةٍ ، وَرَقّتْ بهَا الأرْوَاحُ كُلّ ظَلامِ

١ الكانع : المتشنج . القطامي : الصقر .

٢ رودا، من راد الأرض : تفقد ما فيها من المراعي والمياه ليرى هل تصلح للنزول فيها . اليفاع: التل . الأبرقان : أراد ابرقي حجر اليمامة .

٣ بعاعه : ما فيه من مطر . البيضاء : الأرض . وأراد بعير كل غمام : قوافل كل سحاب .

٤ زفته : ساقته ، طردته . النعامى : ريح الجنوب .

٥ الرذاذ : المطر الخفيف . الرهام ، الواحدة رهمة : المطر .

تَضُمُّ رِجَالاً كالرِّمَاحِ ، إذا دُعُوا   إلى الحَرْبِ لَقُوا نَارَهَا بضِرَامِ

لَهُمْ عَدَدٌ جَمٌّ مِنَ البِيضِ وَالقَنا ،   وَزَافِرَةٌ باللّيلِ ذاتُ بُغَامِ[1]

إذا غَضِبوا جاشَتْ رُبَى الأرْضِ منهم   بِبَيْضٍ ، وَبِيضٍ كالنّجُومِ وَلامِ[2]

بِأيّ سَرَاةٍ أحْمِلُ الخَطْبَ إنْ عَرَا ،   وَقَدْ جُبَّ مِنهُمْ غارِبي وَسَنامي[3]

وَكَانُوا دُرُوعي إنْ رَمَتْني مُلِمّةٌ ،   وَنَبْلِيَ إنْ رَامَى العِدا وَسِهَامي

وَلَوْلا ابنُ موسَى ما اعتَصَمتُ بجُنّةٍ ،   وَلا عَلِقَتْ كَفّي بِعَقْدِ ذِمَامِ[4]

مَلاذِيَ إنْ أعطي الزّمَان مَقادَتي ،   مَعاذِيَ إنْ جَرّ العَدُوُّ خِطَامي

منَ القَوْمِ ما زرّوا الجيوبَ على الخَنا ،   وَلا قُرِعَتْ أسْمَاعُهُمْ بِمَلامِ

سَرِيعُونَ إنْ نُودُوا ليَوْمِ كَرِيهَةٍ ،   جَرِيئونَ إنْ قِيدُوا ليَوْمِ خِصَامِ

لهُمْ شَرَفٌ آبٍ عَلى النّاسِ أقعَسٌ ،   وَفَضْلٌ عَدِيدٌ للعَدُوّ لُـ[illegible][5]

نُجُومُهُمُ في العِزّ غَيرُ غَوَارِبٍ ،   وَأجدادُهُمْ في المَجْدِ غَيرُ نِيَامِ

يُهَابُ بِهِمْ مُستَلْئِمِينَ إلى الرّدَى   عَلى عَارِفَاتٍ بالطّعَانِ دَوَامِ

عَنَاجيجُ قَد طَوّحنَ كلَّ حَقيبَةٍ   مِنَ الرّكضِ وَاستَهلكنَ كلّ لجامِ[6]

١ الزافرة ،من زفر الرجل : أخرج نفسه مع مده إياه، وأراد بها النياق . البغام : أن تقطع الناقة حنينها ولا تمده .

٢ البيض بالفتح ، الواحدة بيضة : الخوذة . البيض بالكسر : السيوف ، الواحد أبيض . اللام : الدروع ، الواحدة لأمة .

٣ السراة : الظهر . جب : قطع .

٤ الجنة : السّترة ، الوقاية .

٥ الأقعس من العز : المنيع ، الثابت .

٦ العناجيج : جياد الخيل . طوحن : ألقين في الهواء ، ضيعن . الحقيبة : الرفادة في مؤخر الرحل .

نَزَائِعُ مَا تَنفكّ تَفري صُدُورَها جُيُوبَ ظَلامٍ ، أوْ ذُيُولَ قَتَامِ
يُخالِطْنَ بالفُرْسَانِ كلّ طَرِيدَةٍ ، وَيَبْلُغْنَ بالأرْمَاحِ كُلّ مَرَامِ
أحاسدَ ذا الضّرْغامِ دونَكَ فاجتَنِبْ بَوَادِرَ مِقدامِ الجَنَانِ مُحَامي
حَذارِكَ مِنْ لَيثٍ تَرَى حَوْلَ غيله سَوَاقِطَ أيْدٍ للرّجَالِ ، وَهَامِ
لهُ العَدْوَةُ الأولى التي تَحطِمُ القَنا ، وَتُجلي الأعَادي كُلّ يَوْمِ مُقَامِ
هَنيئاً لكَ العيدُ الجَديدُ ، وَلا تَزَلْ تَخَلّصُ مِنْ عَامٍ يَمُرّ وَعَامِ
تَنَشّمتَ من فَضْلِ العَفافِ عنِ الهوَى، نَجاءً مِنَ الدّنْيا ، أعزّ لِئَامِ
وَخالَفتَ في ذا الصّوْمِ سُنّةَ مَعشَرٍ صِيَامٍ ، عَنِ العَوْرَاءِ غَيرُ صِيَامِ
ألا إنّني غَرْبُ الحُسَامِ الذي تَرَى وَغَارِبُ هَذا الأرْعَنِ المُتَسَامي
كِلانَا لَهُ السّبْقُ المُبِرُّ إلى العُلَى ، وَإنْ كانَ في نَيلِ العَلاءِ إمَامي
وَمَا بَيْنَنَا يَوْمَ الجزَاءِ تَفَاوُتٌ سِوَى أنّهُ خَاضَ الطّرِيقَ أمَامي

حرق وآلام

قال في مدح قوم على لسان من سأله ذلك :

مَا إنْ رَأيْتُ كَمَعشَرٍ صَبَرُوا لقَوَارِعِ اللّزَبَاتِ وَالأزْمِ[1]
بَسَطُوا الوُجُوهَ وَفي ضُلُوعِهِمُ حُرَقُ الجَوَى وَمَآلِمُ الكَلْمِ
جَمَحَتْ بِهِمْ خَيلُ الأسَى فثَنَوْا أعنَاقَهَا بِأعِنّةِ الحَزْمِ

[1] اللزبات ، الواحدة لزبة : الشدة ، القحط . الأزم ، الواحدة أزمة : الشدة ، الضيقة ، القحط

نأنف من موت الهرم

يفتخر ويذم الزمان

قَعَدَ الرّاضُونَ بالذّلّ فَقُمْ ، إنّمَا المَاضِي إذا هَمّ عَزَمْ
مَا مُقَامي غَيرُ مُمْضِي نِيّةٍ دائِباً أهْدُرُ كَالفَحْلِ السّدِمِ[1]
أعرِضُ الآمَالَ مَشْغُوفاً بهَا ، ثُمّ أنْسَاهَا إذا الخَطْبُ ألَمّ
طَالَ لَبْثي سَادِراً في غُمّةٍ ، وَقَدِيماً كُنْتُ فَرّاجَ الغُمَمْ[2]
لا ألُومُ الهَمّ إنْ لازَمَني ، فَهُمُومُ المَرْءِ يَبعَثْنَ الهِمَمْ
لَسْتُ بالوَاني ، وَلَكِنّي فتًى ظَلَمَتْهُ نَائِبَاتٌ ، فانظَلَمْ
وَزَمَانٌ شُرّعٌ أنْيَابُهُ ، أبَداً ، يَعرُقُنا عَرْقَ السَّلَمْ[3]
المَعَازِيلُ كِرَامٌ عِنْدَهُ ؛ وَالمَنَاجِيبُ كَمَلفُوظِ العَجَمْ[4]
خَضَعَ الدّهْرُ لَنَا ثُمّ نَبَا ، وَكَذا الدّهرُ إذا سَافَ عَذَمْ[5]
أنَا مِنْ أبْنَائِهِ في مَعْشَرٍ يَتَوَاصَوْنَ بِإخْفَارِ الذّمَمْ
إنْ طَوَاني الغَيْبُ عَنْ ألحاظِهِمْ مَزّقُوا عِرْضِيَ تَمزِيقَ الأدَمْ

١ الفحل السدم : الجمل الهائج .
٢ السادر : المتحير . الغمة : الحزن والكرب .
٣ السلم : شجر العضاه ، وهو كل شجر يعظم وله شوك .
٤ المعازيل : من لا رماح معهم ، الواحد معزال . العجم : النوى .
٥ ساف وعذم : عض .

لا يُلاقُونيَ إلاّ خـائِضاً أخْطُمُ الأقْوَالَ مِنْهُمْ وَأزُمّ

إنْ تَرَاني مُطْرِقاً عَنْ سَوْرَةٍ كَقَبُوعِ الصِّلّ أغضِي وَأرِمّ[1]

فَهُمُومي سَاعِيَاتٌ جُهْدَها ، لَيس كُلّ السّعيِ يَوْماً بالقَدَمْ

قَدْ يُجيبُ العِزُّ مَنْ أقْعَدَهُ عَنْ طِلابِ العِزّ خَوْفٌ وَعَدَمْ

وَيُجيبُ الطّالِبَ المُثْرِي ، وَقَدْ يُدرِكُ الشّأوَ أخُو العَجزِ الهَرِمْ

أبقَتِ الأيّامُ مِنّي صَعْدَةً ، تَزْبُنُ العاجِمَ عَنها إنْ عَجَمْ[2]

وَإذا زَعزَعَها الدّهْرُ سَمَتْ لَدْنَةً تَنمي عَلى طُولِ القِدَمْ

لَسْتَ للزّهْرَاءِ إنْ لَمْ تَرَها كوُعولِ الهضْبِ يَعجُمنَ اللُّجُمْ[3]

تُستَجَنُّ البِيدُ مِنْ فُرْسَانِهَا بَيْنَ بَغدادٍ إلى أرْضِ الحَرَمْ[4]

بِعَجَاجٍ يَمْلأُ الأُفْقَ دُجًى ، وَطِعَانٍ يَخْضُبُ الأرْضَ بِدَمْ

شُرَّعاً تَفْتَرُّ عَنْ أعْنَاقِهَا قُلَلُ القُورِ وَغِيطَانُ الأكَمْ

كالرّدَى أقدَمَ ، وَالغَيثُ همَى ، وَالدُّجَى طَبّقَ ، وَالسّيلُ هجَمْ

حَامِلاتٍ كُلّ غَضْبَانٍ بِهِ مِنْ لمَامِ الغَيْظِ مَسٌّ وَلَمَمْ

كالصّقُورِ الغُلْبِ ألحَاظُهُمُ كالجُذَى يَلمَعنَ مِن خَلفِ اللُّثُمْ[5]

بَدّدُوا مَا جَمَعَ البَأسُ لَهُمْ بِأنَابِيبِ العَوَالي في الكَرَمْ

١ السورة : الحدة . قبوع الصل : أن تجمع الحية نفسها ، وتدخل رأسها في عنقها . ارم : أسكت

٢ تزبن : تصدم .

٣ لعله أراد بالزهراء الكتيبة ، بدليل قوله في الشعر التالي : تستجن البيد من فرسانها .

٤ تستجن : تجن .

٥ الجذى ، الواحدة جذوة : الجمرة الملتهبة .

لَستُ بالعَاذِرِ جَدّي إنْ هوَى، وَجُدُودِي في العُلى أعلى الأُمَمْ
وَبَنَانِي خُلِقَتْ أطرَافُهَا عقباً للرّمحِ، طَوْراً، وَالقَلَمْ[1]
لا يُرَى مِثْلِيَ إلاّ طَالِباً ذُرْوَةَ المِنبَرِ أوْ قَعرِ الرَّجَمْ
طَامِحَ الرّأسِ عَلى أعوَادِهِ، أوْ عَلى عَالِيَةِ الرّمحِ الأصَمّ
خُطّةٌ: إمّا عَلاءً، أوْ رَدًى، مُعجِلي أنْ أقرَعَ السّنّ النّدَمْ
بِنْ مِنَ النّاسِ بِعِزٍّ وَعُلًى، ستُساوِيهِمْ غَداً بَينَ الرِّمَمْ
هَبْنِيَ الرّمْحَ بِكَفّيْ فَارِسٍ بَطَلٍ أكْرَهَهُ حَتّى انحَطَمْ
هَبْنِيَ العَضْبَ ذَليفاً حَدُّهُ ثَلّمَ البِيضَ ضِرَاباً وَانْثَلَمْ[2]
أتُرَاني دُونَ مَنْ رَامَ العُلَى في اللّيَالي مُنذُ عَادٍ وَإرَمْ
وَدَنيٌّ ضَارِعٌ عَنْ أمْرِهِ أخَذَ العُرْبَ بتِيجَانِ العَجَمْ
كَمْ أبٍ لي جَدّ في إحرَازِهَا يَحرُقُ النّابَ عَلَيها وَابنِ عَمّ
طَلَبُوهَا فَهَوَى بَعْضُهُمُ، وَرَمَى بَعْضٌ إلَيْهَا فَغَنِمْ
صَبَرُوا فيهَا عَلى كُلّ أذًى، وَلَقُوا مِنْ دُونِهَا كُلَّ ألَمْ
إنْ يَكُنْ مُلْكٌ، فمِثْلي نالَهُ، أوْ يَكُنْ حَتْفٌ، فإنّي لمْ ألَمْ
إنّمَا يَهْلِكُ مِنّي مَاجِدٌ يُولِغُ السّيْفَ عَرَاقيبَ النَّعَمْ
نَاقِصُ الأمْوَالِ في بَذْلِ النّدى، زَائِدُ الخَطْوِ إلى ضَيمِ
نَحْنُ قَوْمٌ قَسَمَ اللهُ بالرّزَايَا، وَرَضِينَا بالقَسَمْ

١ أراد بعقباً: التعاقب، أي يتعاقب على أطراف بنانه الرمح والقلم.
٢ الذليق: الحديد. انثلم: انكسر حرفه.

إنَّمَا قَصَّرَ مِنْ آجَالِنَا   أنَّنَا نَأنَفُ مِنْ مَوْتِ الهَرَمْ
نِصْفُ عَيْشِ المَرْءِ حُلْمٌ، وَالذي   يَعقِلُ العَاقِلُ مِنْهُ كَالحُلُمْ

النوائب بيض وسود

يذكر تعتب الوزير أبي القاسم علي بن أحمد المعروف بالبرقوهي لأمر بلغه فأوحشه ويقرظه ويصف أفعاله ويستصوب رأيه :

تَأبَى اللّيَالي أنْ تُدِيمَا   بُؤساً لخَلْقٍ ، أوْ نَعِيمَا
وَنَوَائِبُ الأيّامِ يَطْرُقْـ   ـنَ الوَرَى بِيضاً وَشِيمَا[1]
وَالدّهرُ يُوجِفُ فيهِ مُعوَ   جَّ الطّرِيقِ وَمُسْتَقِيمَا[2]
وَالمَرْءُ بِالإقْبَالِ يَبْـ   ـلُغُ وَادِعاً خَطَراً جَسِيمَا
وَيَنَالُ بُغْيَتَهُ ، وَمَا   أنضَى الذّميلَ وَلا الرّسِيمَا[3]
وَإذا انْقَضَى إقْبَالُـهُ   رَجَعَ الشّفيعُ لَهُ خَصِيمَا
بَيْنَا يَسِيغُ شَرَابَهُ ،   حَتّى يَغَصّ بِهِ وُجُومَا[4]

١ الشيم : السود .
٢ يوجفه : يجعله يعدو عدواً سريعاً .
٣ أنضى : أهزل . وقوله ذميلا ورسيماً : أي البعير الذي يسير السيرين المسميين هكذا .
٤ ساغ الشراب : سهل مدخله في الحلق . الوجوم : السكوت والعجز عن التكلم من كثرة الغم والخوف ، والإمساك عن الأمر وهو كاره

وَهُوَ الزّمَانُ إذا نَبَا   سَلَبَ الذي أعْطَى قَدِيمَا
كَالرّيحِ تَرْجِعُ عاصِفاً،   مِنْ بَعْدِ مَا بدَأتْ نَسيمَا
يَستَكهِمُ العَضْبَ القَطُو   عَ، وَيُزْلِقُ الرّمحَ القَوِيمَا[1]
وَيَعُودُ بِالرّأسِ الطّمُو   حِ العَينِ مِطرَاقاً أمِيمَا[2]
كَمْ ذابِلٍ قَادَ الجِيَا   دَ القُبّ يَعلُكنَ الشّكِيمَا
كَعوَاسلِ الذّؤبَانِ يَذْرَعْـ   نَ الأمَاعِزَ وَالحُزُومَا[3]
وَمُجَمِّرٍ للجَيْشِ قَدْ   نَسِيَتْ ضَوَامِرُهُ الجُمُومَا[4]
قَلِقٌ عَلى الأنْمَاطِ حَـ   تّى يُدْرِكَ الثّارَ المُنِيمَا
لا يُصْدِرُ الرّايَاتِ حَـ   دَماً جَمُومَا[5]
عَصَفَ الحِمَامُ بِهِ، وَفَـ   رّقَ ذَلِكَ الجَمعَ العَمِيمَا
وَرَمَى بِهِ غَرَضَ الرّدَى،   عُرْيَانَ قَدْ خَلَعَ النّعِيمَا
زَالَ الوَزِيرُ، وَكَانَ لي   وَزراً أجُرّ بِهِ الخُصُومَا
فَالآنَ أغْدُو للعِـدَا   وَنِبَالِهَا غَرَضاً رَجِيمَا
سَدّ العُلَى، وَأنَارَ لا   فَظّ القَضَاءِ، وَلا ظَلُومَا
حَتّى، إذا لَمْ يَبْقَ إ   لاّ أنْ يُلامَ وَأنْ يُلِيمَا

١ يستكهم العضب : يجعله ، أو يعده كهاماً أي كليلا غير قاطع .
٢ الأميم : المصاب بأم رأسه .
٣ العواسل : المضطربة في مشيها . يذرعن : يمددن أيديهن في السير .
٤ جمر الجيش : حبسه في أرض العدو . الجموم : الراحة .
٥ الجموم : المتجمع .

طَرَحَ العَنَاءَ عَلَى الدِّثَا ... مِ مُجَانِباً وَمَضَى كَرِيمَا
لَمْ يَعتَقِلْهُ الحَبْسُ مُسْ ... تَهَناً ، وَلَمْ يُعْزَلْ ذَمِيمَا
أفنَى العِدا ، وَقضَى المُنى ، ... وَبَنى العُلى ، وَنَجَا سَلِيمَا
الحَامِلُ العِبْءَ الذي ... أعْيَا المَصَاعِبَ وَالقُرُومَا
سَئِمُوهُ ، فَاحتَمَلَ المَغَا ... رِمَ لا ألفَّ ، وَلا سَؤُومَا[1]
أنْقَاهُمُ جَيْباً ، إذا ... عُدّوا ، وَأملَسُهُم أدِيمَا
وَجْهٌ كَأنّ البَدْرَ شَا ... طرَهُ الضِّيَاءَ ، أوِ النّجومَا
لَوْ قَابَلَ اللّيلَ البَهِيـ ... ـمَ لَمَزّقَ اللّيلَ البَهِيمَا
يَجْلُو الهُمُومَ ، وَرُبّ وَجْـ ... ـهٍ إنْ بَدا جَلَبَ الهُمُومَا
خَلَصَ النّجِيُّ مُشَاوِراً ... قَلباً عَلى النّجوَى كَتُومَا
وَمُنَبّهاً عَزْماً ، إذا ... ما هَزّ لمْ يُوجَدْ نَؤُومَا
في الأمْرِ يَتّهِمُ القَرِيـ ... ـبَ عَلَيهِ ، وَالخِلَّ الحَمِيمَا
حَتّى سَمَا ، فَحَدَا بِهَا ... بَزْلاءَ نَاجِيَةً سَعُومَا[2]
كَانَ العَظِيمَ ، وَغَيرُ بَدْ ... عٍ مِنهُ إنْ رَكِبَ العَظِيمَا
خُطَطٌ يُجَبِّنَّ المُشَـ ... ـجّعَ ، أوْ يُسَفّهْنَ الحَلِيمَا
وَالحُرّ مِنْ حَذَرِ الهَوَا ... نِ يُزَايِلُ الأمْرَ الجَسِيمَا

١ الألف : العيي ، البطيء .

٢ البزلاء : الناقة التي شق نابها . الناجية : السريعة . السعوم : التي تسير السعم وهو ضرب من السير السريع .

وَيُليحُ مِنْ خَوْفِ الأذَى فَرَقاً ، وَيَدّرِعُ الكُلُومَا[1]
وَالضَيْمُ أرْوَحُ مِنْهُ مَطْ رُورُ الظُّبَى بَلَغَ الصَّمِيمَا
بَعَثُوا سِوَاكَ لهَا فَكَا نَ مُبَلَّداً عَنهَا مَلِيمَا
وَالعَاجِزُ المَأفُونُ أقْ عَدُ مَا يكونُ إذا أُقيمَا[2]
فَسَقَى بِلادَكَ حَيثُ كُنْ تَ المُزْنُ مُنبعِقاً هَزِيمَا
فَلَقَدْ سَقَى خَدّيَ ذِكْ رُكَ دَمعَ عَيْنَيّ السَّجُومَا
وَرَعَتْكَ عَيْنُ اللهِ مِقْ لاقَ الرّكائبِ، أوْ مُقِيمَا

خاطر وزاحم

يفتخر ويذكر غرضاً في

مَن الرّكْبُ ما بَينَ النّقا وَالأنَاعِمِ ، نَشاوَى مِنَ الإدلاجِ مِيلَ العَمائِمِ[3]
وُجُوهٌ كتَخطيطِ الدّنانيرِ لاحَهَا ، مَعَ البيدِ ، إضْبابُ الهُمومِ اللّوَازِمِ[4]
كأنّ القَطامِيّاتِ فَوْقَ رِحالِهِمْ ، سِوَى أنّهَا تَأبَى دَنِيّ المَطاعِمِ[5]

١ يليح : يظهر .
٢ المأفون : الضعيف الرأي والعقل .
٣ النقا والأناعم : موضعان . الادلاج : السير عامة الليل .
٤ الاضباب ، من أضب اليوم : صار ذا ضباب .
٥ القطاميات ، الواحد قطامي : الصقر .

عَلى مُصْغِيَاتٍ لِلأَزِمّـةِ سَاقَطَتْ مِنَ النّيّ ما بَيْنَ الذّرَى وَالمَنَاسِمِ [1]
ذَكَرْنَاكُمُ ، وَالعِيسُ تَهوِي رِقابُها ، وَأيْمَانُنَـا مَبْلُولَـةٌ بالقَوَائِمِ [2]
فأضْعَفَنا عَنْ حَمْلِ أسيافِنا الهَوَى ، وَنَقّضَ مِنّا مُبْرَمَاتِ العزائِمِ
إذا هَزّنَا الشّوْقُ اضْطَرَبْنَا لِهَزّهِ على شُعَبِ الرّحلِ اضطرابَ الأرَاقِمِ
وَخَفّتْ قُلُوبٌ من رِجالٍ كما هَفَتْ نَزَائِعُ طَيرٍ غُدوَةً بالقَوَادِمِ
فمِنْ صَبَوَاتٍ تَستَقيمُ لِمَائِلٍ ؛ وَمِنْ أرْيحيّاتٍ تَهُبّ بِنَائِمِ
وَفي الجيرَةِ الغَادِينَ كُلُّ مُمَنَّعٍ يُشيرُ إلَيْنَا عَنْ بُرُوقِ المَبَاسِمِ
وَيَجْلُو لَنَا لَمْعَ الغَمَامِ وَبِشرَهُ ، وَأينَ لَنَا مِنْهُ بِجَوْدِ الغَمائِمِ
صَفَحْنَ إلَينا عَنْ خُدُودٍ أسيلَةٍ ، دُنُوَّ العَوَاطي مِنْ ظِبَاءِ الصّرَائِمِ [3]
وَرَفّعنَ أطرَافَ السُّجوفِ فصَرّحتْ عَنِ الوَجدِ أدوَاءُ القُلوبِ الكَوَاتِمِ
وَكَيفَ تَرَاهنّ العُيُونُ ، وَإنّمَا شَغَلْنَ المَآقي بالدّمُوعِ السّوَاجِمِ
يُعاطِينَ إعْطَاءَ الذّلُولِ طَمَاعَةً ، وَيَصْدُدنَ صَدّاتِ الجِيادِ القَوَادِمِ
تَزَوّدْنَ مِنّا كُلَّ قَلبٍ وَمُهْجَةٍ ، وَزَوّدْنَنَا للوَجْدِ عَضَّ الأباهِمِ
خَليليّ هَلْ زَالَ الأرَاكُ وَقد عفَتْ مَغارِزُ أعْنَاقِ اللّوَى وَالمَخارِمِ
وَكَيفَ أعَالي الرّملِ مُنذُ تَحَدّبَتْ عَلَيها الزّبَاني بالغَمَامِ الرّوَائِمِ [4]

١ النّي : الشحم . المناسم : الطرق ، الواحد منسم .

٢ تهوي : تسرع .

٣ العواطي ، الواحدة عاطية : الظبية تعطو أي تتطاول من الشجر لتتناول منه. الصرائم، الواحدة صريمة : الرملة المنصرمة من الرمال ذات الشجر .

٤ الزباني ، لعلها جمع لزبون : الناقة التي تزبن حالبها أي تدفعه عنها .

أُحِبُّ ثَرَى أرْضٍ أقَامَ بِجَوّهَا حَبيبٌ إلى قَلْبي ، وَإنْ لمْ يُلائِمِ
وَأستَشرِفُ الأعلامَ حتّى تَدُلّني عَلى طِيبِهَا مَرُّ الرّيَاحِ الهَوَاجِمِ
وَمَا أنْسِمُ الأرْوَاحَ إلاّ لأنّهَا تَجُوزُ عَلى تِلْكَ الرُّبَى وَالمَعَالِمِ
بِرُغْميَ أنزَلْتُ الهَوَى عندَ مانِعٍ ، وَدُمْتُ عَلى عَهْدِ امرِىءٍ غيرِ دائِمِ
كَأنّي أُدارِي مُهْرَةً عَرَبِيّةً ، تَحَايَدُ عَنّي مِنْ مَنَاطِ الشّكَائِمِ
وَهذا، وما ابيَضّ السّوَادُ، فكيفَ بي إذا الشّيبُ أمسَى لَيلَةً مِنْ عَمائمي
وَكنتُ أرَى أنّ الشّبابَ وَسيلَةٌ ، لمِثْلي ، إلى بِيضِ الخُدُودِ النّوَاعِمِ
أنا ابنُ الأُلى إنْ ما دَعَوا يوْمَ مَعرَكٍ أمَدّوا أنَابيبَ القَنَا بالمَعاصِمِ
مِنَ القَوْمِ تَعْلُو في المَجامعِ مِنهُمُ مَناصِبُ أعنَاقٍ رزَانِ الجَمَاجِمِ
مَلِيئونَ في يَوْمِ القَضَاءِ إذا انتَدَوْا بجَدْعِ القَضَايَا مِنْ أُنوفِ المَظالِمِ
وَإنْ مَنَعوا النَّصْفَ اقتَضَوْهُ وَأفضَلوا على النَّصْفِ بالأيدي الطّوَالِ الغَوَاشِمِ [1]
إذا نزَلُوا بالمَاحِلِ استَنبَتُوا الرُّبَى ، وَكَانُوا نِتَاجاً للبُطُونِ العَقَائِمِ
قَرَوا في حِياضِ المَجدِ وَاستدرَعوا القنا إلى نَيلِ أعناقِ المُلُوكِ القَمَاقِمِ [2]
يَسِيرُونَ بالمَسعاةِ لا السّعيُ بالخُطى ، وَيَرْقَوْنَ بالعَلْيَاءِ لا بالسّلالِمِ
وَمَا مِنهُمُ إلاّ امرُؤٌ شَبّ نَاشِئاً على نَمَطَيْ بيضَاءَ مِنْ آلِ هَاشِمِ
فتًى لمْ تُوَرّكْهُ الإمَاءُ ، وَلَمْ تكُنْ أعارِيبُهُ مَدْخُولَةً بالأعَاجِمِ [3]

١ النصف : الإنصاف .
٢ قرى الماء في الحوض : جمعه .
٣ توركه : تجعله على أوراكها ، يريد تربيه

إذا هَمّ أعطَى نَفْسَهُ كُلّ مُنيَةٍ ، وقعقعَ أبوابَ الأُمُورِ العَظائِمِ
وَمَا اتّخَذُوا إلاّ الرّمَاحَ سُرَادِقاً ، وَلا استَنْوَرُوا إلاّ بضَوْءِ اللّهاذِمِ
وَما فيهِمُ مَن يَقْسِمُ القَوْمُ أمرَهُ ، وَلا ضَارِعٌ يَنقادُ طَوْعَ الخزَائِمِ
وَلا وَاهِنٌ إنْ عَضّهُ الأمرُ هَابَهُ ، وَألْقَى مَقاليدَ الذّليلِ المُسَالِمِ
يَبِيتُ على خُورِ الحَشَايَا ، وَغَيرُهُ على ظَهرِ جَمّاحٍ من اللّيلِ عارِمِ [1]
لَنَا عَفَوَاتُ المَاءِ مِن كُلّ مَنهَلٍ ، مَوَارِدُ آسَادِ العَرِينِ الضّرَاغِمِ [2]
أبَى العَزْمُ إلاّ وَثْبَةً في ظُهورِها ، إذا أُثْقِلَتْ أعنَاقُهَا بالمَغارِمِ
عَوَابِسُ إنْ قُلْقِنَ يَوْماً لغَايَةٍ ، هَتَمنَ بِنَا رَوْقَ الرُّبَى وَالمَخارِمِ [3]
وَكَيفَ أخافُ اللّيلَ أنّى رَكِبتُهُ ، وَبَيني وَبَينَ اللّيلِ بِيضُ الصّوَارِمِ
وَجَمعٍ ، إذا هَزّوا اللّوَاءَ تَجاوَبَتْ جَوَانِبُهُ مِنْ أزْمَلٍ وَزَمَازِمِ [4]
لَهُ لَغَطٌ مِنِ اصْطِكَاكِ رِمَاحِهِ ، تَنِقُّ عَوَاليهَا نَقِيقَ العَلاجِمِ [5]
وَتَحسَبُهُ مِمّا تَضَايَقَ وَاقِفاً ، وَمَا رَدّ مِن غَرْبِ الجِيادِ الصّلادِمِ [6]
بهِ كُلُّ هَفّافِ القَميصِ شَمَرْدَلٍ تَفَرّجَ عَنْ وَجْهٍ نَقِيّ المَقادِمِ [7]

١ الخور ، الواحدة خائرة : المرتخية . الحشايا ، الواحدة حشية : الفراش المحشو . العارم الشرس ، المؤذي .
٢ عفوات الماء : صفوته .
٣ هتمن : كسرن . الروق : القرن .
٤ الازمل : الصوت المختلط . الزمازم : الأصوات البعيدة التي لها دوي ، الواحدة زمزمة .
٥ العلاجم ، الواحد علجوم : ذكر الضفادع .
٦ غرب : حدة . الصلادم : الصلبة الحوافر ، الواحد صلدم .
٧ الهفاف : الرقيق الشفاف . الشمردل : الفتى الحسن الخلق . تفرج : تكشف . مقادم الوجه ما استقبلت منه ، الواحد مقدم .

بطَعْنٍ كَما انْعَطّ الأدِيمُ أرَقَّهُ ... تَعاوُرُ أيْدي الخارِزَاتِ الحَوَازِمِ[1]
وتَعرِفُ في عِرْنِينِهِ المَجدَ سَاهِماً، ... عَلى عَقَبِ الإدْلاجِ ،أوْ غَيرَ ساهِمِ
لَوَيْتُ إلى وُدّ العَشِيرَةِ جَانِبي ، ... عَلى عُظْمِ داءٍ بَينَنَا مُتَفَاقِمِ
وَنِمتُ عَنِ الأضْغانِ حتّى تَلاحمتْ ... جَوَائِفُ هاتِيكَ النُّدوبِ القَدائِمِ
وَقَلّمتُ أظْفارِي ، وكُنتُ أعِدّها ... لتَمزِيقِ قُرْبَى بَينَنَا وَالمَحارِمِ
وَرَوّحتُ حِلمي بعدَما عَرّبَتْ بِهِ ... ذُنُوبُ بَني عَمّي غُرُوبَ السّوَائِمِ
وَأوْطَأتُ أقوَالَ الوُشاةِ أخامِصِي ، ... وَقَد كانَ سَمعي مَدْرَجاً للنّمائِمِ
وَسَالَمتُ لمّا طالَتِ الحَرْبُ بَينَنا ؛ ... إذا لَمْ تُظَفّرْكَ الحُرُوبُ ، فَسالِمِ
وَقَدْ كنتُ أُصْميهم بعُورٍ نَوَافِذٍ ... تَثِنّ لهَا الأعرَاضُ يَوْمَ الخَصَائِمِ[2]
صَوَائِبَ مِنْ نَبلِ العَداوَةِ لمْ تزَلْ ... تَعُطّ قُلُوباً مِنْ وَرَاءِ الحَيَازِمِ
سَيَرْضَوْنَ منّي عَنْ أيَادٍ كَوَامِلٍ ... وَمِنْ قَبلِ ما نِيلُوا بأيدٍ كَوَالِمِ
قَضَيتُ بهِمْ حَقّ الحَفائِظِ مُدّةً ، ... وَلا بُدّ أنْ أقضِي حقُوقَ المَكارِمِ
فإنْ عاوَدُوا رَجمي بغَيبٍ ، فَإنّهَا ... جَنادِلُ عِندي ملءُ كفّ المُرَاجِمِ
وكَمْ عَجَموني ،فانسَلَلتُ مُهذَّباً، ... وَأثّرَ عُودي في النُّيوبِ العَوَاجِمِ
وَبي يَستَسيغُ الرّيقَ قَوْمٌ . وَإنّني ، ... إذا شِئتُ، من قومٍ شجاً في الحَلاقِمِ
إذا لمْ يَكُنْ إلاّ الحِمَامُ . فإنّني ... سَأُكرِمُ سَمعي عَن مَقالِ اللّوَائِمِ

١ انعط الأديم : انشق الجلد . تعاور : تداول . الخارزات،من خرزه : ثقبه بالمخرز وخا الحوازم ، من خزم النعل : جعل لها خزامة وهي سير رقيق يخزم ، أي يجمع بين الشراكين .
٢ العور ، الواحدة عوراء : الكلمة القبيحة .

وَألْبَسُها حَمْرَاءَ تَضْفُو ذُيُولُهَا	مِنَ الدّمِ بُعْداً عَن لِبَاسِ المَلاوِمِ
فمِن قَبلِ ما اختارَ ابنُ الأشعثِ عيشَه	عَلى شَرَفٍ باقٍ رَفيعِ الدّعَائِمِ
فَطَارَ ذَميماً قَدْ تَقَلّدَ عَارَهَا ،	بِشَرّ جَنَاحٍ يَوْمَ دَيرِ الجَماجِمِ [1]
وَجاءَهُمُ يَجْرِي البَرِيدُ برَأسِهِ ،	وَلَمْ يُغْنِ إيغالٌ بِهِ في الهَزَائِمِ
وَقد حاصَ من خوْفِ الرّدى كلّ حيصَةٍ ،	فلَمْ يَنجُ ، وَالأقدارُ ضَرْبَةُ لازِمِ [2]
وَهذا يَزِيدُ بنُ المُهَلّبِ نَافَرَتْ	بهِ الذّلّ أعرَاقُ الجُدودِ الأكارِمِ [3]
وَقالَ ، وَقد عَنّ الفِرَارُ أوِ الرّدى ،	لحَى اللهُ أخزَى ذِكرَةً في المَوَاسِمِ
وَما غَمَرَاتُ المَوْتِ إلاّ انغِمَاسَةٌ ،	وَلا ذي المَنَايَا غَيرُ تَهوِيمِ نَائِمِ
رَأى أنّ هذا السّيفَ أهوَنُ مَحمَلاً	مِنَ العارِ يَبقَى وَسمُهُ في المَخاطِمِ
وَمَا قَلّدَ البِيضَ المَبَاتِيرَ عُنقَهُ	سِوَى الخَوْفِ من تَقليدِها بالأداهِمِ [4]
فعافَ الدّنايا وَامتَطَى المَوْتَ شامِخاً،	بِمَارِنِ عِزٍّ لا يَذِلُّ لِخَاطِمِ
وَقد حَلّقَتْ خَوْفَ الهَوَانِ بمُصْعَبٍ	قَوَادِمُ أبْاءٍ كَرِيمِ المَقَاوِمِ [5]
عَلى حِينَ أعطَوْهُ الأمَانَ ، فَعَافَهُ ،	وَخُيّرَ ، فاختارَ الرّدى غَيرَ نادِمِ

١ دير الجماجم : موضع قرب الكوفة كانت فيه وقعة بين الحجاج وابن الأشعث ، هزمه الحجاج فيها .

٢ حاص : عدل وحاد .

٣ يزيد : هو ابن المهلب بن أبي صفرة عامل لبني أمية حارب هو وولداه يزيد والمغيرة الخوارج .

٤ المباتير : القواطع . الأداهم : القيود .

٥ مصعب بن الزبير أخو عبد الله بن الزبير .

وَفي خِدْرِهِ غَرّاءُ مِنْ آلِ طَلْحَةٍ ، عَلاقَةُ قَلْبٍ للنّدِيمِ المُخالِمِ[1]
تُحَبِّبُ أيّامَ الحَيَاةِ ، وَإنّهَا لأعذَبُ مِنْ طَعْمِ الخُلُودِ لطاعِمِ
فَفارَقَها وَالمُلكَ لَمّا رَآهُمَا يَجُرّانِ إذْلالَ النّفُوسِ الكَرَائِمِ
وَلمّا ألاحَ الحَوْفَزَانُ مِنَ الرّدَى حَدَاهُ المَخازِي رُمحُ قيسِ بنِ عاصِمِ[2]
وَغادَرَها شَنعاءَ إنْ ذُكِرَتْ لَهُ من العارِ طَاطَا رَأسَ خَزْيانَ وَاجمِ[3]
لِذاكَ مُنِي بَعدَ الفِرَارِ أُمَيّةٌ لَوْثَاءَ مِنْ آلِ دارِمِ[4]
وَسَلّ لهَا سَلّ الحُسَامِ ابنُ مَعمَرٍ فَكَرّ عَلى أعقَابِ نَابٍ بصارِمِ
تَوَرّدَ ذِكْرِي كُلّ نَجْدٍ وَغائِرٍ ، وَألجَمَ خَوْفي كُلّ بَاغٍ وَظَالِمِ
وَهَدّدَ بي الأعداءَ في المَهدِ لمْ يَحِن نُهوضِي ، ولَمْ أقطَعْ عُقودَ تَمائِمي
وَعِنْدِيَ يَوْمٌ لَوْ يَزِيدٌ وَمُسْلِمٌ بَدا لهمَا لاستَصْغَرَا يَوْمَ وَاقِمِ[5]
عَلى العِزّ مُتْ لا مِيتَةٌ مُستَكِينَةٌ ، تُزِيلُ عَنِ الدّنْيَا بشمّ المَرَاغِمِ
وَخاطِرْ على الجُلّى خِطارَ ابنِ حُرّةٍ ، وَإنْ زَاحَمَ الأمرُ العَظيمُ ، فزَاحِمِ

١ أراد بالغراء من آل طلحة عائشة بنت طلحة وكانت زوج مصعب بن الزبير اشتهرت بأدبها وجمالها . المخالم : المصادق .
٢ ألاح : أعرض . الحوفزان : أحد أبطال العرب المشهورين . قيس بن عاصم : من كبار سادات العرب وأبطالها .
٣ شنعاء : زوج الحوفزان .
٤ الشقشقة : هدير الفحل . اللوثاء : المسترخية ، البطيئة . دارم : أبو حي من تميم .
٥ واقم : اطم بالمدينة المنورة .

حرف النون

محاربة الأيام

قال قدس الله سره يذم الزمان ويتألم لفقد الماضين من أهله وأقاربه في شهر صفر سنة ٤٠٢ :

تَأمُلُ أنْ تَفرَحَ في دارِ الحَزَنْ ، وَتُوطِنُ المَنزِلَ في دارِ الظَّعَنْ
هَيهاتَ يَأبَى لكَ جَوّالُ الرّدى ، لَبثَ المُقيمينَ ، وَخَوّانُ الزّمَنْ
لا تَصْحَبَنْ دَهرَكَ ، إلاّ خائِفاً فِراقَ إلفٍ وَنُبُوّاً عَنْ وَطَنْ[1]
وَكُنْ إلى نَبأةِ كُلّ حادِثٍ كالفَرَسِ الأرْوَعِ صَرّارِ الأُذُنْ[2]
قامَ بِهِ الخَوْفُ ، وَلَمْ يَرْضَ بأنْ قامَ عَلى أرْبَعَةٍ حتّى صَفَنْ[3]
خَفْ شَرَّها ، آمَنَ مَا كُنتَ لها ، إنّ الضَّنينَ لمَكَانٌ للظِّنَنْ
نَحْنُ مَعَ الأيّامِ في وَقَائِعٍ مِنَ المَقاديرِ وَغاراتٍ تُشَنّ
إنّ رِمَاحَ الدّهْرِ يَلقَينَ الفَتَى بِغَيرِ عِرفَانِ الدّرُوعِ وَالجُنَنْ

١ النبو : البعد .

٢ صرار الأذن ، من صر الفرس أذنه : نصبها للاستماع .

٣ صفن الفرس : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة .

داخِلَةً بَيْنَ القَرِينَينِ ، وَإِنْ لَزّا عَلى الدّهْرِ بإمْرَارِ القَرَنْ[1]
ما استَأخرَتْ شِدّاتُها عن مَعشَرٍ بَعدَ قطينِ اللهِ ، أوْ آلِ قَطَنْ[2]
وَلا نَبَتْ أطْرَافُهَا عَنْ حَجَرٍ مِن مُضَرٍ ذاتِ القُوَى ، وَلا اليَمنْ
رَمَتْ بَني ساسانَ عن مَرْبِعِهِمْ رَميَ المَغالي آمِنَ الطّيرِ الثُّكَنْ[3]
وَاستَلَبَتْ تَاجَ بَني مُحَرِّقٍ ، بَعدَ قِيادِ الصّعبِ مِن آلِ يزَنْ
وَصَدّعَتْ غُمدانَ عن مَرْضُومَةٍ ، جَوْبَكَ بالمِقرَاضِ أثوَابَ الرَّدنْ[4]
وَآلُ مَرْوَانَ غَطاهُمْ مَوْجُها ، لمّا نَزَتْ بِآلِ مَرْوَانَ البَطِنْ[5]
ثمّ بَنُو القَرْمِ العَتيكيّ ، وَقَدْ رَدّوا يَزِيدَ العَارِ مخلوعَ الرّسَنْ
لاقَى خُبَيبٌ وَيَزِيدٌ روقَهَا مِن غَيبَةٍ ماطِرُها القَنَا اللَّدَنْ
أبَوْا إبَاءَ البُزْلِ فاقتَادَتْهُمُ مِنَ المَقاديرِ مُطاعاتُ الشَّطَنْ[6]
ألاّ ذَكَرْتَ ، إنْ طَلَبتَ أُسوَةً ، ما يَضْمنُ الأسوَةَ للقَلبِ الضّمِنْ[7]
يوْمَ بَني الصِّمّةِ في عَرْضِ اللّوَى ، وَيوْمَ بِسطامِ بنِ قَيسٍ بالحَسَنْ

١ لزا : قرنا وألصقا .
٢ قطين الله : أهل مكة . وقوله : آل قطن ، لعله أراد قطن النار أي المقيم على نار المجوس وموقدها
٣ المغالي ، الواحدة المغلاة : السهم يرمى به إلى أقصى الغاية . الثكن ، الواحدة ثكنة : السرد من الحمام .
٤ غمدان : قصر باليمن . المرضومة : المبنية بالصخر . جوبك : قطعك . الردن : الغزل والخز
٥ البطن : الأشر ، المتمول ، ومن همه بطنه .
٦ الشطن : الحبل .
٧ الضمن : العاشق ، والمبتلى .

وَيَوْمَ خَوٍّ أَسْلَمَتْ عُتَيْبَةٌ خَصَاصَةَ الدِّرْعِ الَّذِي كَانَ أَمِنْ[1]
أَوْجَرَهُ رُمْحُ ذُؤَابٍ طَعْنَةً تَلْغَطُ لَغْطَ الأَعْجَمِيِّ لَمْ يُبِنْ
وَبِالكَدِيدِ مُلْتَقَى رَبِيعَةٍ تَحْمِي بُعَيْدَ المَوْتِ آبَارَ الظُّعُنْ
كَأَنَّنِي لَمْ تَبْكِ قَبْلِي فَارِساً عَيْنٌ، وَلَا حَنَّ فَتًى قَبْلِي وَأَنّ
هَلْ كَانَ كُلُّ النَّاسِ إِلَّا هَكَذَا: ذُو شَجَنٍ بَاكٍ لِبَاكٍ ذِي شَجَنْ
سَائِلْ بِقَوْمِي لِمْ نَبَا الدَّهْرُ بِهِمْ عَنْ غَيْرِ ضِغْنٍ وَرَمَاهُمْ عَنْ شَزَنْ[2]
لِمْ رَاشَهُمْ رَيْشَ السِّهَامِ لِلعِدَا، ثُمَّ بَرَاهُمْ بِالرَّدَى بَرْيَ السَّفَنْ[3]
وَكَيْفَ أَمْسَوْا حَفَنَاتٍ مِنْ ثَرًى، مِنْ بَعْدِ مَا كَانُوا رِعَاناً وَقُنَنْ[4]
سَوْمَ السَّفَا طَاحَتْ بِهِ فِي مَرِّهَا زَفَازِفُ الرِّيحِ وَبَوْغَاءُ الدِّمَنْ[5]
هُمْ أُجْلِسُوا عَلَى الصِّفَاحِ وَالذُّرَى إِذْ رَضِيَ القَوْمُ بِمَا تَحْتَ الثَّفَنْ[6]
لَهُمْ عَلَى النَّاسِ، وَمَا زَالَ لَهُمْ مَشَارِفُ الرَّأْسِ عَلَى جِسْمِ البَدَنْ
عَمَاعِمٌ لَمَّا تَزَلْ أَسْيَافُهُمْ عَمَاعِمَ الصِّيدِ وَأَقْيَادَ البُدُنْ[7]

١ الخصاصة بالفتح : كل خلل في باب أو برقع أو نحوهما . وبضم الخاء : الشيء القليل ، اليسير .
٢ الشزن : الاعياء الشديد .
٣ السفن : كل ما ينحت به .
٤ الرعان ، الواحد رعن : أنف يتقدم الجبل . القنن ، الواحدة قنة : الجبل الصغير .
٥ السوم : مر الرياح . السفا : التراب . زفازف الريح : الرياح الشديدة الهبوب . البوغاء : التراب الثائر . الدمن ، الواحدة دمنة : ما بقي من آثار الدار بعد رحيل القوم .
٦ الثفن ، الواحدة ثفنة : وهي من البعير ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ ، وغلظ كالركبتين ، ومن الإنسان الركبة .
٧ العماعم : الجماعات المتفرقون . الصيد ، الواحد أصيد : الذي يرفع رأسه كبراً .
البدن ، الواحدة بدنة : الناقة المسمنة ، وهي من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة .

بالقَدَمِ الأُولى إلى شَأوِ العُلَى ، وَالأذْرُعِ الطّولى إلى عَقْدِ المِنَنْ
كَيفَ أمَاني للمُرَامي بَعدَهُمْ من نُوَبِ الدّهرِ،وَقد زَالَ المِجنّ
الدّاخِلِينَ البيْتَ بَابَاهُ القَنَا ، عَلَى الحَنَاذيذِ الطّوَالِ وَالحُصُنْ
وَالفالِقِينَ الصّبْحَ عَن مُغيرَةٍ ، لهَا مِنَ النّقعِ ظَلامٌ مُرْجَحِنّ[1]
وَالضّارِبِينَ الهَامَ في مُشْعَلَةٍ ، لهَا بِلا نَارٍ ضِرَامٌ وَدَخَنْ[2]
كَمْ فَاضَ في أبْيَاتِهِمْ مُنتجِعٌ يَقْرِنُ بالنُّعمَى وَقِرْنٍ في قَرَنْ[3]
إذا تَنَادَوْا لِلّقَاءِ فَيَلَقٌ تَداوَلُوا الأعناقَ من أسْرٍ وَمَنّ
مَا دَرِنَتْ أعرَاضُهُمْ مِنَ الخَنا، وَلا انجَلَتْ أسيافُهُمْ منَ الدّرَنْ[4]
كُلُّ عَظِيمٍ مِنهُمُ مُحَجَّبُ تَأذَنُ أبْوَابُ الغِنَى إذا أذِنْ
ذُو نَسَبٍ تَستَحجِلُ الشمسُ بهِ أصْفَى على السّائغِ من ماءِ المُزُنْ
لَهُ القُدُورُ الضّامِنَاتُ للقِرَى ، مَبارِكُ البُزْلِ الجِرَارِ بالعَطَنْ[5]
مِنْ كُلّ دَهْمَاءَ لهَا هَمَاهِمٌ ، تُلْقَمُ البَازِلَ جُمعاً كالفَدَنْ[6]
إنّ العِشَارَ لا تَقي مِنْ سَيْفِهِ دِماءَها ، عَامَ الجُدُوبِ باللّبَنْ

١ المرجحن : الثقيل .

٢ المشعلة : من أشعل الخيل في الغارة بثها . الدخن : الدخان .

٣ المنتجع : طالب المعروف . القرن بالكسر : الكفؤ بالشجاعة . القرن بالتحريك : الحبل يجمع بين بعيرين .

٤ درنت : اتسخت ، وأراد بالدرن : الدم .

٥ الجرار : المجترة . العطن : مبرك الإبل .

٦ الجمع : القبضة من الشيء . الفدن : المسمن من الإبل ، والبناء المشيد .

أمَا ترَى هذا الصّفيحَ المُجتَلَى يُدرِجُنَا دَرْجَ الزُّمَيلِ المُمتَهَن[1]
كأنّما النّاسُ بِهِ مِنْ ذاهِبٍ وَوَاهِبٍ يَجرِي على ذاكَ السَّنَنْ
مَزْبُورَةٌ تُطْوَى على أشطارِها ، يُبطَنُ بادِيها ويَبدُو ما بَطَن[2]
ما أعجَبَ النّاسَ الذي نَسكُنُهُ يَجْمَعُ مَا بَينَ الوِهادِ وَالقُنَنْ
بَينَ عِظامَيْ مَلِكٍ وَسُوقَةٍ لمْ يُدْرَ مَا العِزُّ وَنَامٍ وَيَفَن[3]
لَوْ عَلِمَ النّاظِرُ يَوْماً مَا هُمَا أفظَعَه الخَطبُ، وَقال: مَن وَمَنْ
أقسَمتُ لا أنساهُمُ ما طَلَعَتْ حَمراءُ مِن خِدرِ ظَلامٍ وَدَجَنْ
إمّا بُكَاءً بالدّمُوعِ مَا جرَتْ، أوْ بالفُؤادِ إنْ أبَى الدّمعُ وَضَنّ
أنكَرْتُ أفرَاحَ الزّمانِ بَعدَهُمْ ، من طُولِ بَلوَايَ برَوْعاتِ الحَزَنْ
زِدْنَ الرّزَايا ، فنَقَصْنَ دَفْعَةً ، وَوُطّنَ القَلْبُ عَلَيْها ، فاطمأنّ
قُل للزّمانِ : ارْحَلْ بهم من بازِلٍ وَاحمِلْ على غارِبِهِ ، فقَدْ مَرِنْ

١ الصفيح : أراد به وجه السماء . يدرجنا : يقرضنا . الزميل : الجبان . الممتهن : المحتقر
٢ المزبورة ، من قولهم بئر مزبورة : مطوية بالحجارة .
٣ اليفن : الشيخ الكبير .

خفة روح الزمان

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه يرثي أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج الشاعر المشهور على البديهة رحمه الله تعالى وتوفي بالنيل وحمل تابوته إلى بغداد وذلك في جمادى الآخرة سنة ٣٩١ وكانت بينهما صداقة :

نَعَوْهُ عَلى ضَنّ قَلْبي بِهِ ، فَلِلّهِ ، ماذا نَعَى النّاعِيَانِ
رَضِيعُ وَلاءٍ لَهُ شُعْبَةٌ مِنَ القَلبِ فَوْقَ رَضِيعِ اللِّبانِ
بَكَيْتُكَ للشُّرّدِ السّائِرَا تِ تَعْبَقُ ألفَاظُهَا بالمَعَاني
مَوَاسِمُ تُعلَطُ مِنْهَا الجِبَاهُ ، بأشهَرِ مِنْ مَطْلَعِ الزِّبْرِقانِ[1]
جَوَائِفُ تَبقَى أخَادِيدُهَا عِمَاقاً وتَعفُو نُدُوبُ الطّعانِ
تَبِضُّ إلى اليَوْمِ آثَارُهَا بأحمَرَ مِنْ عانِدِ الطّعنِ قَانِي[2]
قَعاقِعُهُنّ تَشُنّ الحُتُوفَ ، إذا هُنّ أوْعَدْنَ لا بالشِّنَانِ[3]
وَما كُنتُ أحسَبُ أنّ المَنُونَ تَفُلّ مَضَارِبَ ذاكَ اللّسَانِ
لسَانٌ هُوَ الأزْرَقُ القَعضَبيّ ، تَمَضْمَضَ من رِيقَةِ الأفعُوَانِ[4]

١ تعلط : توسم . الزبرقان : القمر .

٢ تبض : تسيل . العاند : العرق لا يرقأ .

٣ أراد بقعاقعهن : قعاقع السلاح ، أي صوته عند تحريكه . تشن : تفرق . الحتوف ، الواحد حتف : الموت . الشنان ، الواحد شن : القربة البالية .

٤ الأزرق : النصل . القعضبي : الشديد . الأفعوان : ذكر الحيات .

لَهُ شَفَتَا مِبْرَدِ الهَالكيِّ ، أُحِي بِجَانِبِهِ غَيْرَ وَانِي[1]
إذا لَزَّ بالعِرْضِ مِبْرَاتُهُ تَصَدَّعَ صَدْعَ الرِّداءِ اليَمَاني
يرَى المَوْتَ أن قد طوَى مَضْغةً ، ولَمْ يَطْوِ إلاّ غِرارَيْ سِنَانِ
فَأيْنَ تَسَرَّعُهُ للنِّضَالِ ، وَهَبَّاتُهُ للطِّوَالِ اللِّدَانِ
يَشُلُّ الجَوَائِحَ شَلَّ السِّياطِ ، وَيَلْوِي الجَوَانحَ لَيَّ العِنَانِ[2]
فَإنْ شاءَ كانَ حِرَانَ الجِماحِ ، وإنْ شاءَ كانَ جِماحَ الحِرَانِ[3]
يَهَابُ الشُّجَاعُ غَذاميرَهُ ، على البُعدِ مِنْهُ ، مَهابَ الجَبَانِ[4]
وَتَعنُو المُلُوكُ لَهُ خِيفَةً ، إذا رَاعَ قَبلَ اللَّظَى بالدُّخانِ
وكَمْ صَاحِبٍ كَمَنَاطِ الفُؤادِ ، عَنَانِيَ مِنْ يَوْمِهِ مَا عَنَاني
قد انتَزَعَتْ مِنْ يَدَيَّ المَنونُ ، وَلَمْ يُغْنِ ضَمّي عَلَيهِ بَنَاني
فَزُلْ كَزِيَالِ الشَّبابِ الرَّطيبِ ، خانَكَ يَوْم لِقَاءِ الغَوَاني
لِيَبكِ الزَّمانُ طَوِيلاً عَلَيْكَ ، فَقَد كُنتَ خِفّةَ رُوحِ الزَّمان

١ الهالكي : الحداد .
٢ الجوائح : الشدائد ، الواحدة جائحة . الجوانح : أضلاع الصدر ، الواحدة جانحة .
٣ الحران : وقوف الدابة في المكان لا تبرحه . الجماح ، من جمح الفرس : استعصى حتى غلب راكبه
٤ الغذامير ، الواحدة غذمرة : الغضب .

قلبي يطلب الحنين

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وقد عرض لبهاء الدولة علة ثم زالت عنه فقال يستعيذ بالله عندما خيف من تلك الحال :

أَقُولُ ، وَالأَقدارُ تَرْتَمِينَا ، وَالدّهْرُ لا يَحْفِلُ مَا لَقِينَا :
مَا بَالُ قَلْبِي يَطلُبُ الحَنِينَا ؛ وَجِدُ القَرِينِ افتَقَدَ القَرِينَا
وَما لدَمْعِي يُقْرِبُ الشّؤونَا ، قَد كادَ أن يَطّلِعَ الجُفُونَا[1]
مِنْ خَبَرٍ لا جاءَنَا يَقِينَا ، بِأنّ عَينَ الكَرَمِ اليَمِينَا
تَقذَى ، وَقَدْ أقرّتِ العُيُونَا ، قلُوبُنَا أسْمَعَنَا الأنِينَا
وَقُمْنَ يا آمالَنَا ، فابكِينَا ، هَيهَاتَ يَلقَى مِنْ زَمَانٍ لِينَا
لا نَهَضَتْ عَن مِثلِهِ السّنُونَا ، أعيَا العَقيمَ أنْ تَرَى البَنِينَا
يا مَنْ لَنَا اليَوْمَ نُلاقِي الهُونَا ، يَؤُمُّنَا بَعْدَكَ أوْ يَأبُونَا[2]
أمْ مَنْ عَلى أيّامِنَا يُعْدِينَا ، وَيَعكسُ السّهْمَ إلى رَامِينَا[3]
أمْ مَنْ يُعِيدُ النّعَمَ العِزِينَا ، جَوَافِلاً تَشْجُرُ بالقُنِينَا[4]

١ يقرب الشؤون : يقربها للامتلاء . الشؤون ، الواحد شأن : مجرى الدمع . قوله : يطلع الجفون ، لعله أراد يتدفق من الجفون من قولهم تطلع الماء من الإناء : تدفق .
٢ يؤمنا : يتخذنا أماً . يأبونا : يتخذنا أباً .
٣ يعدينا : ينصرنا .
٤ العزين ، الواحدة عزة : العصبة ، الجماعة. تشجر، من شجر الدابة: ضرب لجامها ليكفها . القنين ، الواحدة قنة : رأس الجبل .

شَجَرَ المَداري القَطَطَ الدَّهينا، اللهَ يا رَيْبَ الزّمَانِ فينَا[1]
أبقِ على الدّنيا وَحابِ الدِّينَا ، مَا لَكَ لا تُنظِرُنَا الدّيُونَا
تأخُذُ مِنّا كُلّ مَا تُعطِينَا ؛ لا غِضْتَ ذاكَ الثَّغَبَ المَعينَا[2]
يا لَيتَهُ يُوقَى ، وَلا وُقِينَا ، بَيْنَ يَدَيْهِ نَرِدُ المَنُونَا
لا كَانَ مَا نَحْذَرُ أنْ يَكُونَا

هيهات بابل من نجد

قال قدس الله تعالى سره يذكر الحال في يوم القبض على الخليفة الطائع لله ويصف خروجه من داره سليماً وقد سلبت ثياب أكثر القضاة والأشراف وغيرهم من الحاضرين وامتهنوا وأخذ بالحزم ساعة وقف على الصورة وبادر للنزول إلى دجلة وكان أول خارج من الدار وتلوم من تلوم في الموضع فجرى عليه ما جرى ويذكر أيضاً غرضاً في نفسه ويذم الزمان وذلك في شعبان سنة ٣٨١ :

لَوَاعجُ الشّوْقِ تُخطيهِمْ وَتُصْميني ، وَاللّوْمُ في الحُبّ يَنهاهُمْ وَيُغريني
وَلَوْ لَقُوا بَعضَ ما ألقَى نَعِمتُ بهم ، لَكِنّهُمْ سَلِمُوا مِمّا يُعَنّيني
وَبالكَثيبِ إلى الأجزَاعِ نَازِلَةٌ عَلِقْتُ مِنهَا بوَعدٍ غَيرِ مَضْمونِ[3]

١ المداري : الأمشاط . القطط : الشعر الشديد الجعودة . الدهين : المدهون .
٢ غضت ، من غاض الماء : نقص . الثغب : غدير الماء . المعين : الجاري على وجه الأرض .
٣ الكثيب : التل من الرمل . الأجزاع ، الواحد جزع : منعطف الوادي ، ولعله أراد أمكنة بعينها .

ما سَوّغُوني بَرْدَ الماءِ مُذْ حظَرُوا ... عليّ بَرْدَ اللّمَى وَالشّوْقُ يُظمِيني[1]
يا مَنشَطَ الشّيحِ وَالحوذانِ من يَمَنٍ ، ... حيِّيتُ فيكَ غزَالاً لا يُحيِّيني[2]
ترَى الغَريمُ الذي طالَ اللّزُومُ لَهُ ... في الحَيّ مُولٍ من بعدي فيَقضيني ؟
إنّ الخليّ ، غَداةَ الجزْعِ ، عِيدَ به ... إلى ضَميرٍ مُعنّى اللّبّ مَفتُونِ
لَوْلا ظِباءٌ مَعاطِيلٌ سَنَحنَ لَنَا ... ما كانَ يَذهَلُ عَن عقلٍ وَعن دينِ
قَد كادَ يَنجو بجِدٍّ مِن عَزيمَتِهِ ، ... فَعارَضَتْهُ عيُونُ الرّبْرَبِ العِينِ
ماءُ النُّقَيبِ ، وَلَوْ مِقدارُ مَضمَضَةٍ ، ... شِفَاءُ وَجدي ، وَغَيرُ الماءِ يَشفيني[3]
وَنَشْقَةٌ مِنْ نَسيمِ البَانِ فاحَ بهَا ... جِنحٌ مِنَ اللّيلِ تَجرِي في العَرَانينِ
أُسقَى دُمُوعي إذا ما باتَ في سَدَفٍ ... صَريرُ أثْلٍ بداريّا يُغَنّيني[4]
وَصَاحِبٍ وَقَذَ التّهوِيمُ هامتَهُ ، ... نادَيتُهُ ، وَرِوَاقُ اللّيلِ يُؤوِيني[5]
فَقامَ قد غَرْغَرَتْ في رَأسِهِ شَدَهٌ ، ... يُمضِي علَى الكُرْهِ أمْري ، أوْ يُلَبّيني[6]
لا غَرّ قَوْمُكَ ، كمْ نَوْمٍ على ضَمَدٍ ... سُقماً وَلَوْ بطَريرِ الغَرْبِ مَسنُونِ[7]

١ سوغوني : أساغوا غصتي .
٢ منشط ، من نشظ النبات : نبت من أرومته أول ما يبدو .
٣ النقيب : موضع بين تبوك وعمان .
٤ السدف : الظلمة . الأثل : شجر . داريا : قرية بالشام .
٥ وقذه التهويم : أي غلبه النعاس ، والتهويم : هز الرأس من النعاس .
٦ غرغر : صات صوتاً فيه بحح . الشده : الحيرة ، ولعله أنث غرغرت اتباعاً لمعنى الشده ، أي الحيرة .
٧ الضمد : الحقد والغيظ والظلم . الطرير : المحدد . الغرب : الحد .

وَضَارِياتٍ بلَحييْهَا علَى أَضَمٍ ... من اللُّغُوبِ نِحافٍ كالعَرَاجِينِ[1]
أَبْلَى أَزِمّتَها بُعْدُ المَدَى ، وَغدَتْ ... من الوَجَى بَيْنَ مَعقولٍ وَمَرْسُونِ
مُغرَوْرِقاتِ المَآقي كُلّمَا نظَرَتْ ... بَرْقاً يُضِيءُ كِفَافَ الغُرّ وَالجُونِ[2]
هَيهاتَ بابِلُ مِن نَجدٍ لقَد بَعُدتْ، ... على المَطيّ ، مَرَامي ذلكَ البِينِ[3]
سَلْني عنِ الوَجْدِ إنّي ، كُلّ شارِقةٍ ، ... يُرِيشُني الوَجْدُ ، وَالأيّامُ تَبرِيني
مَنْ لي بِبُلْغَةِ عَيشٍ غَيرِ فاضِلَةٍ ... تَكْفُنّي عَنْ قَذَى الدّنيا وَتكفيني
أخيّ ، مَنْ باعَ دُنْياهُ وَزُخرُفَهَا ... بصَوْنِهِ ، كانَ عندي غَيرَ مَغبونِ
قالوا: أتَقنَعُ بالدّونِ الخَسيسِ ،وَما ... قَنِعتُ بالدّونِ بَلْ قُنّعْتُ بالدّونِ
إذا ظَنَنّا وَقَدّرْنَا جرَى قَدَرٌ ... بِنَازِلٍ غَيرِ مَوْهُومٍ وَمَظنُونِ
أعجِبْ لمُسكَةِ نَفسٍ بَعدَما رُمِيَتْ ... مِنَ النّوَائِبِ بالأبكَارِ وَالعُونِ[4]
وَمِنْ نَجائيَ، يَوْمَ الدّارِ، حينَ هوَى ... غَيرِي وَلَمْ أخلُ مِنْ حَزْمٍ يُنَجّيني
مَرَقْتُ منها مُرُوقَ النّجمِ مُنكَدِراً، ... وَقَد تَلاقَتْ مَصَارِيعُ الرّدى دُوني[5]
وَكُنْتُ أوّلَ طَلاّعٍ ثَنِيّتَهَا ، ... وَمِنْ وَرَائيَ شَرٌّ غَيرُ مَأمُونِ
مِن بَعدِ ما كانَ رَبّ المُلْكِ مبتَسماً ... إليّ ، أدنوهُ في النّجوَى وَيُدنيني

١ الأضم : الحقد والحسد والغضب . اللغوب : التعب . العراجين ، الواحد عرجون : العنقود من العنب ، أو إذا أكل ما عليه .
٢ الكفاف ، الواحدة كفة : حرف الشيء . الغر : البيض . الجون : السود .
٣ البين : القطعة من الأرض بقدر مد البصر من الطريق ؛ والناحية .
٤ المسكة : الرأي والعقل الوافر ، البقية .
٥ المنكدر : المنقض .

ارحم من اصبحت أغبطهُ ، لَقَدْ تَقارَبَ بَيْنَ العِزِّ وَالهُونِ
وَمَنظَرٍ كانَ بالسَّرّاءِ يُضْحِكُني ، يا قُرْبَ مَا عادَ بالضَّرّاءِ يُبكِيني
هَيهاتَ أغْتَرُّ بالسّلطانِ ثانِيَةً ، قَدْ ضَلَّ وَلاّجُ أبْوابِ السّلاطِينِ
ما للحِمامِ غَدا ، فاعتامَ زافِرَتي ، وَاختارَ ما كانَ يُعطيني وَيُمطيني[1]
خلّى عَليّ مرَاراتِ الحَيَا ، وَمضَتْ أحْداثُهُ بالمَطاعِيمِ المَطاعِينِ
يُشَجّعُونَ عَليَ الدّهرَ إنْ جَبُنَتْ خُطُوبُهُ ، وَتَوَقّى أنْ يُنادِيني
إذا رَأوْا مَدّهُ نَحوِي يَداً وَضَعُوا فِيها عِظَامَ جَلامِيدٍ لِتَرْمِيني
أقارِبٌ لمْ يَزَلْ بي شَرُّ عِرْقِهِمُ ، عِرْقٌ مِنَ اللّؤمِ يُعديهم وَيَعدُوني
تَمَلّحُوا بي كَأنّي حَمضَةٌ قُطِعتْ، لا بُدّ بَعدَ مَدًى أنْ يَستَمِرّوني[2]
عزَوْا إليّ نِصاباً بَعدَ تَشظِيَةٍ ، وَألصَقُوا بي أدِيماً بَعدَ تَعيِيني
هَبُوا أُصُولَكُمُ أصْلي على مَضَضٍ ، مَا تَصْنَعُونَ بِأخلاقٍ تُنَافيني ؟
أعطاكُمُ السَّجلَ قَبلَ النّهرِ غَرْفَتَه ، فارْضَوْا برَوْقِ جِمامي وَاستَجمّوني
كَمِ الهَوَانُ كأنّي بَينَكُم جَمَلٌ ، في كُلّ يَوْمٍ قَطِيعُ الذّلّ يَحدُوني
لا تَأمَنَنّ عَدُوّاً لانَ جانِبُهُ ، خُشونَةُ الصِّلّ عُقبَى ذلكَ اللّينِ
وَاحذَرْ شَرَارَةَ مَنْ أطفَأتَ جَمرَتَه ، فالثّارُ غَضٌّ ، وَإنْ بُقّي إلى حِينِ
أنّى تهيبُ بيَ البُقْيَا وَأتبَعُهَا ، فَلَمْ أُبَاقِ بِهَا مَنْ لا يُبَاقيني
تَوَقّعُوها ، فقَدْ شَبّتْ بَوَارِقُهَا بعارِضٍ كصَرِيمِ اللّيلِ مَدجُونِ

[1] اعتام : اختار واصطفى . زافرتي : عشيرتي . يمطيني : يركبني الدابة
[2] الحمضة : ما ملح وأمر من النبات .

إذا غَدا الأُفُقُ الغَرْبيُّ مُختَمِراً ، مِنَ الغُبَارِ ، فظُنّوا بي وَظُنّوني
لتَنظُرَنّي مُشيحاً في أوَائِلِهَا ، يَغيبُ بي النّقْعُ أحْيَاناً وَيُبديني
لا تَعرِفُونيَ إلاّ بالطّعَانِ ، إذا أضْحَى لِثَامِيَ مَعصُوباً بعِرْنِيني
إقدامُ غَضْبَانَ كَظّتْهُ ضَغَائِنُهُ ، فَمالَ يَخلِطُ مَضرُوباً بمَطْعُونِ
فَإنْ أُصَبْ ، فمَقَاديرُ مُحَجَّرَةٌ ؛ وَإنْ أُصِبْ ، فعَلَى الطّيرِ المَيامينِ

نجر متفق ورأي مختلف

قال قدس الله سره يصف الأسد
وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٦ :

أَسِلْ بدَمعِكَ وَادي الحَيِّ.إن بانوا ، إنّ الدّموعَ عَلى الأحزَانِ أعوَانُ
لا عُذْرَ بَعدَ تَنائي الدّارِ من سَكَنٍ لِمُدّعي الوَجدِ لمْ يَدمَعْ لَهُ شانُ[1]
حَيِّ الطّوَالِعَ مِنْ نَجدٍ تَصُونُهُمُ ، عَنِ النّوَاظِرِ ، أنْماطٌ وَكِيرَانُ[2]
رَمَوْا جُيوبَ المَطالي عَن مَيامِنِهِم ، وَشيحَةُ الحَزْنِ يُسرَاهم ، وَنَجرَانُ[3]

١ الشان : مجرى الدمع .

٢ الأنماط ، الواحد نمط : ثوب يطرح على الهودج . الكيران ، الواحد كور : الرحل .

٣ الجيوب : مداخل الأرض ، الواحد جيب . المطالي ، الواحد مطلى ومطلاء : مسيل ضيق من الأرض . الشيحة : ماءة شرقي فيد بحلب . نجران : اسم لعدة مواضع .

سارَتْ بقَلبِكَ في الأحشاءِ زَفرَتُهُ ، وَاستَوْقَفَتكَ بأعلى الرّملِ أظعانُ
لمّا مَرَرْنا على تِلكَ السُّرُوبِ ضُحًى ، نَضَتْ إلى الرَّبعِ أجيادٌ وَأعيانُ[1]
مِنْ كُلّ غَيداءَ قد مالَ النّعيمُ بها ، كَمَا تَخايَلَ بالبُرْدَينِ نَشْوَانُ
كَأنّما انفَرَجَتْ عَنهُمْ قِبابُهمُ ، يَوْمَ الأُنَيعِمِ ، آجَالٌ وَصِيرَانُ[2]
مُستَشرِفاتٌ يُعَرّضْنَ الخُدودَ لَنا ، كَمَا تَشَوّفَ صَوْبَ المُزْنِ غِزْلانُ
لا يُذْكَرُ الرّملُ إلاّ حَنَّ مُغترِبٌ ، لَهُ بذي الرّمْلِ أوْطارٌ وَأوْطَانُ
تَهْفُو إلى البانِ مِنْ قَلْبي نَوَازِعُهُ ، وَمَا بيَ البَانُ بَلْ مَنْ دارُهُ البَانُ
أسُدّ سَمعي ، إذا غَنّى الحَمامُ بِهِ ، ألاّ يُبَيّنَ سِرَّ الوَجْدِ إعْلانُ
وَرُبّ دارٍ أُوَلّيهَا مُجَانَبَةً ، وَبي إلى الدّارِ أطْرَابٌ وَأشْجَانُ
إذا تَلَفّتُّ في أطْلالِهَا ابْتَدَرَتْ للعَينِ وَالقَلْبِ أمْوَاهٌ وَنيرَانُ
كَلْمٌ بِقَلْبي أُداويهِ وَيَقْرِفُهُ طُولُ ادّكَارِي لمَنْ لي منهُ نِسيانُ
لا للّوَائِمِ إقْصَارٌ بِلائِمَةٍ عَنِ العَميدِ ، وَلا للقَلْبِ سُلْوَانُ
عَلى مَوَاعيدِهم خُلفٌ ، إذا وَعَدوا ، وَفي دُيُونِهِمُ مَطْلٌ وَلَيّانُ
هُمْ عَرّضُوا بِوَفَاءِ العَهْدِ آوِنَةً ، حتّى إذا عَذّبُوني بالمُنى خَانُوا
لا تَخْلُدَنّ إلى أرْضٍ تَهُونُ بِهَا ، بالدّارِ دارٌ ، وَبالجِيرَانِ جِيرَانُ
أقُولُ للرّكبِ ، قد خَوّتْ رِكَابُهُمُ مِنَ الكَلالِ ، وَمَرُّ اللّيلِ عَجلانُ[3]

١ السروب : الطرق ، الواحد سرب . نضت : سبقت .
٢ الأنيعم : موضع . الآجال ، الواحد إجل : القطيع من بقر الوحش . الصيران : القطيع من البقر ، الواحد صوار .
٣ خوت : ضمرت بطونها .

مُدّوا علابيَّها، وَاستَعجلُوا طَلَباً، إذا رَضِي بالهُوَيْنَا مَعشَرٌ هَانُوا[1]
نَرْجُو الخُلُودَ، وَباقِينَا عَلى ظَعَنٍ، وَالدّارُ قَاذِفَةٌ بالزَّوْرِ، مِظْعَانُ
إنْ قَلّصَ الدّهرُ ما أضْفاهُ من جِدةٍ، فصَنعَةُ الدّهرِ إعطَاءٌ وَحِرْمَانُ[2]
كَمْ مِنْ غُلامٍ تَرَى أطمارَهُ مِزَقاً، وَالعِرْضُ أملَسُ وَالأحسابُ غُرّانُ
إذا الفَتَى كَانَ في أفْعَالِهِ شَوَهٌ، لم يُغنِ إنْ قيلَ: إنّ الوَجهَ حَسّانُ
لا تَطلُبِ الغايَةَ القُصْوَى فتُحرَمَها، فَإنّ بَعضَ طِلابِ الرّبْحِ خُسرَانُ
وَالعَزْمُ في غَيرِ وَقتِ العَزْمِ مَعجزَةٌ، وَالازْدِيادُ بِغَيرِ العَقْلِ نُقْصَانُ
وَاجعَلْ يدَيكَ مَجازَ المالِ تَحظَ بهِ، إنّ الأشِحّاءَ للوُرّاثِ خُزّانُ
سيَرْعَبُ القَوْمَ مني سَطْوُ ذي لِبَدٍ، بِعثّرٍ اعْرَاسٌ وَوِلْدانُ[3]
لا يَطعَمُ الطُّعمَ إلاّ مِنْ فَرِيستِهِ، إنْ يَعدَمِ القِرْنَ يَوْماً فَهوَ طَيّانُ[4]
ماشِي الرِّفَاقَ يُرَاعي أينَ مَسقِطُهم، وَالسّمْعُ مُنتَصِبٌ وَالقَلْبُ يَقظانُ
يَستَعجِلُ اللّيلَةَ القَمرَاءَ أوبتَها، إذا بَنُو اللّيلِ من طول السُّرَى لانُوا
حتّى إذا عَرّسُوا في حَيثُ تَفرُشُهُمْ نَمَارِقَ الرّمْلِ أنْقَاءٌ وَكُثْبَانُ[5]
دَنَا كمَا اعتَسّ ذو طِمرَينِ لَمّظَهُ مِنْ فَضْلَةِ الزّادِ، بالبَيداءِ، رُكبانُ[6]

١ العلابي ، الواحدة علباء : عصب العنق .
٢ الجدة : الغنى ، القدرة ، العطاء .
٣ عثر : مأسدة .
٤ يطعم : يأكل . الطيان : الجوعان .
٥ تفرشهم : تبسط لهم . النمارق : البسط ، استعارها للرمل .
٦ اعتس : طاف بالليل . لمظه : أعطاه شيئاً ليذوقه .

ثمّ استقرّتْ بهِ نفسٌ مُشيّعَةٌ ، لهَا مِنَ القدَرِ المَجلُوبِ مِعوَانُ
فعاشَ مَا عاشَ ، واستبلى عقيرتَه ، يجرُّها مُطعِمٌ للصّيْدِ جذْلانُ
قِرْنٌ إذا طلبَ الأوْتارَ عَن عرُضٍ ، لمْ تفْدِ مِنْهُ دِماءَ القوْمِ ألبَانُ[1]
وَغِلْمَةٍ أخذُوا للرّوْعِ أهبَتَهُ ، لُفَّ البُطُونِ على الأعوَادِ خُمصَانُ
طارَتْ بأشبَاحِهِمْ جُرْدٌ مُسوَّمَةٌ ، كأنّمَا خطفَتْ بالقوْمِ عِقبَانُ
مِنْ كُلّ أعنَقَ ملْطُومٍ بِغرّتِهِ ، كأنّهُ مِنْ تمَامِ الخَلْقِ بُنْيَانُ
يَمُدُّ للجَرْسِ مثلَ الآستَينِ ، إذا خانَ التّوَجّسَ أبْصَارٌ وَآذانُ[2]
فاستَمسكوا بنَوَاصِيها، وَقد سقَطتْ مِنْ غَائِرِ الجَرْيِ ألْبَابٌ وَأرْسَانُ
كأنّمَا النّخْلُ تَزْفيهِ يمَانيَةٌ ، فَاهتْ بِهِ ثمّ أعقَابٌ وَعِيرَانُ[3]
كعَمْتُ فاغِرَةَ الثّغْرِ المَخوفِ بهم ، يَهْفُو بِأيْمانِهِمْ نَبْعٌ وَمُرّانُ[4]
كأنّ غُرّ المَعالي في بُيُوتِهِمُ ، بِيضٌ عقَائِلُ يَحمِيهِنّ غَيرَانُ
يا فَاقِدَ اللهِ بَيْنَ الحَيّ مِنْ يمَنٍ ، أنْسَاهُمُ الحِلْمَ أحقَادٌ وَأضْغَانُ
إلى كَمِ الرّحِمُ البَلْهاءُ شَاكِيَةٌ ، لهَا مِنَ النّعْيِ إعْوَالٌ وَإرْنَانُ[5]

١ عن عرض : أي كيفما اتفق .

٢ الجرس : الصوت الخفي . الاستين : أي أذنين كالآستين ، والآس معروف . التوجس : التسمع إلى الصوت .

٣ تزفيه : تستخفه . يمانية : أي ريح آتية من جهة اليمن . فاهت به : نطقت به . أعقاب ، الواحد عقب : مؤخر القدم ؛ ولعلها جمع عقبة : المرقى الصعب في الجبال . العيران : الجماعات المتفرقة من الجراد ، أو هو جمع العير : الحمار الأهلي أو الوحشي . والبيت غامض المعنى .

٤ كعمت : شددت فاها لئلا تعض .

٥ أراد بالبلهاء : ذات المكانة والرزانة ، وهذا من قولهم ناقة بلهاء : لا تنحاش من شيء مكانة ورزانة كأنها حمقاء .

حَيْرَى يُضَلِّلُونَهَا مَا بَيْنَنَا وَلَهَا ... مِنَّا عَلَى عُدَوَاءِ الدَّارِ نِشْدَانُ[1]
النَّجْرُ مُتَّفِقٌ ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ ، ... فَالدَّارُ وَاحِدَةٌ ، وَالدِّينُ أَدْيَانُ[2]
وَثَمَّ أَوْعِيَةُ الإِحْسَانِ مُكْفَأَةٌ ، ... فَوَارِغٌ ، وَوِعَاءُ الشَّرِّ مَلآنُ
إِنَّا نُجِرُّهُمُ أَعْرَاضَنَا طَمَعاً ... فِي أَنْ يَعُودُوا إِلَى البُقْيَا كَمَا كَانُوا[3]
أَنَّى يُتَاهُ بِكُمْ فِي كُلِّ مُظْلِمَةٍ ، ... وَلِلرَّشَادِ أَمَارَاتٌ وَعُنْوَانُ
مِيلُوا إِلَى السِّلْمِ ، إِنَّ السِّلْمَ وَاسِعَةٌ ، ... وَاسْتَوْضِحُوا الحَقَّ ، إِنَّ الحَقَّ عُرْيَانُ
يَا رَاكِباً ذَرَعَتْ ثَوْبَ الظَّلامِ بِهِ ... هَوْجَاءُ ، مَائِلَةُ الضَّبْعَيْنِ مِذْعَانُ[4]
أَبْلِغْ عَلَى النَّأْيِ قَوْمِي إِنْ حَلَلْتَ بِهِمْ ، ... أَنِّي عَمِيدٌ بِمَا يَلْقَوْنَ أَسْوَانُ
يَا قَوْمُ إِنَّ طَوِيلَ الحِلْمِ مَفْسَدَةٌ ، ... وَرُبَّمَا ضَرَّ إِبْقَاءٌ وَإِحْسَانُ
مَا لِي أَرَى حَوْضَكُمْ تَعْفُو نَصَائِبُهُ ، ... وَذَوْدُكُم ، لَيْلَةَ الأَوْرَادِ ، ظَمْآنُ[5]
مُدَفَّعِينَ عَنِ الأَحْوَاضِ مِنْ ضَرَعٍ ، ... يَنْضُو بِهَامِكُمُ ظُلْمٌ وَعُدْوَانُ
لا يُرْهَبُ المَرْءُ مِنْكُمْ عِنْدَ حِفْظَتِهِ ، ... وَلا يُرَاقَبُ يَوْماً وَهْوَ غَضْبَانُ[6]
إِنَّ الأُلَى لا يُعَزُّ الجَارُ بَيْنَهُمُ ، ... وَلا تُهَابُ عَوَالِيهِمْ ، لَذُلاَّنُ

١ العدواء : البعد . النشدان : الطلب .
٢ النجر : الأصل والحسب .
٣ قوله نجرهم أعراضنا : لعله من قولهم : أجره رسنه : تركه يصنع ما يشاء .
٤ الهوجاء : أراد الناقة المسرعة . الضبعين : العضدين . المذعان : السلسة القياد .
٥ النصائب : حجارة تنصب حول الحوض ويسد ما حولها من الخصاص بالمدرة . الذود من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر . الأوراد ، الواحد ورد : الإشراف على الماء ، الماء الذي يورد .
٦ الحفظة : الغضب والحمية .

كَمِ اصْطِبَارٌ عَلَى ضَيمٍ وَمَنقصَةٍ ؛ وَكَمْ على الذّلّ إقرَارٌ وَإذْعانُ
وَفيكُمُ الحَامِلُ الهَمهَامُ مَسرَحُهُ داجٍ وَمِنْ حلَقِ المَاذيّ أبدانُ[1]
وَالخَيلُ مُخطَفَةُ الأوْساطِ ضَامرَةٌ ، كَأنّهُنّ عَلَى الأطْوَادِ ذُؤبَانُ
اللهَ اللهَ أنْ يَبتَزّ أمرَكُمُ رَاعٍ ، رَعيّتُهُ المَعْزِيُّ وَالضّانُ
ثُورُوا لها،ولْتَهُنْ فيها نُفُوسُكمُ ؛ إنّ المَنَاقِبَ للأرْوَاحِ أثمَانُ
فَمِنْ إبَاءِ الأذَى حلّتْ جَمَاجمَها عَلَى مَنَاصِلِهَا عَبسٌ وَذُبْيَانُ[2]
وَعن سُيوفِ إبَاءِ الضّيمِ حينَ سَطَوْا مَضَى بغُصّتِهِ الجَعدِيُّ مَرْوَانُ[3]
فإنْ تَنالُوا،فقَد طالَتْ رِماحُكُمُ ، وَإنْ تُنَالُوا . فلِلأقْرَانِ أقْرَانُ

١ الحامل الهمهام : الأسد . الماذي : كل سلاح من الحديد . الأبدان : الدروع ، الواحد بدن
٢ حلت ، لعله من حل العقدة : نقضها ، أو من حلاه : زينه ، أو لعله محرف عن جلت ضد حقرت .
٣ هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية .

لا تسمعن قول الوشاة

قال قدس الله تعالى روحه وكان الملك بهاء الدولة قد قلده خلافته بمدينة السلام وخلع عليه بواسط خلعاً جليلة القدر وشرفه بالحملان الفاخر والمركب الذهب وتقدم بذكره عند تقديم مركوبه في الدار المعمورة بالشريف الجليل وأنفذ إليه قبل رحيله فرجية ورداء جليلين من خاص ثيابه، فلما حصل بمدينة السلام ما طرأ فيها رفع قوم من أعوانه إلى حضرة الملك شيئاً وعتب من أجله فكتب إليه من بغداد ينفي ما قيل عنه ويتنصل مما نسب إليه وذلك في رمضان سنة ٣٨٨ :

مَلِكَ المُلوكِ ، نداءُ ذي شَجَنِ ، ... لَوْ شِئْتَ لمْ يَعتبْ عَلى الزّمَنِ
الخَطْبُ هيّنٌ مَعْ صَفَائِكَ لي، ... وَإذا كَدَرْتَ عَليّ لمْ يَهُنِ
ألْقَى زَمَاني باللّيَانِ ، وَيَلْـ ... قَاني الزّمَانُ بجَانِبٍ خَشِنِ
عِدَةٌ عَلى الأيّامِ أطْلُبُهَا ، ... وَالدّهْرُ يَفْتِلُني وَيَمْطُلُني
مَا لي رَأيْتُ الدّهْرَ يَنْصُبُني ، ... وَلِغَيرِ وَجْدٍ مَا يُؤرّقُني
وَأبيتُ كَالمَلسُوعِ ، في كَبِدي ... مِنْ شِدّةِ الإقْلاقِ ، لا بَدَني
إنّي أتَاني عَنْكَ ، آوِنَةً ، ... لَذْعٌ يَضيقُ بِوَقْعِهِ عَطَني[1]
وَتَنَكّرٌ بَدَرَتْ بَوَادِرُهُ ... مِنْ غَيرِ ذَنْبٍ كَانَ مِنْ لَدُني
أهْدَى إلى قَلْبي لَوَاذِعَهُ ، ... وَأطَارَ عَنّي وَاقِعَ الوَسَنِ
إنّي ، وَمَا رَفَعَ الحَجيجُ لَهُ ، ... عِندَ الجِمَارِ ، شَعَائِرَ البُدُنِ

[1] أراد بيضيق عطني : يضيق ذراعي .

وَالبَيتِ ذي الأستَارِ يَمسَحُهُ الـ نُزّاعُ مِنْ شَامٍ وَمِنْ يَمَنِ
ما زِلتُ عَن سَنَنِ الحِفاظِ، وكمْ زَالَ المُعَادي لي عَنِ السَّنَنِ[1]
سَتَرَ الذي أظهَرْتُ مِنْ كَرَمٍ ، وَطَوَى الذي أبدَيتُ من حَسَنِ
لمْ أُوتَ مِنْ نُصْحٍ وَلا شَفَقٍ ، فالشّرُّ وَالأعداءُ في قَرَنِ
إحبَاطُ أجْرِي،مَعْ زَكَا عَمَلي، طَرَفٌ مِنَ الخُسرَانِ وَالغَبَنِ
إنْ كانَ لي ذَنْبٌ ، فَلا نَظَرَتْ عَيني ، وَلا سَمعتْ، إذاً، أذُني
أنْسَى بِأيّ يَدٍ رَدَدْتُ يَدِي ، لمّا نَزَعتُ إلَيكَ مِنْ وَطَني
ألبَستَني النَّعماءَ في قَفَلي ، وَأنَلْتَني العَلْيَاءَ في ظَعَني
وَمنَ العَجائبِ أنتَ بالإحسانِ تَبْـ نيني ، وَبالإعرَاضِ تَهدُمُني
أنَا عَبدُ أنعُمِكَ التي نَشطَتْ أمَلي ، وَأنهَضَ عِزُّهَا مُنَني[2]
وَالحُرُّ ، إمّا شِئْتَ تَمْلِكُهُ ، بالمَنّ يُملَكُ ، لَيسَ بالثّمَنِ
وَغَرَسْتَني بنَدَى يَدَيكَ ، فَلا تَدَعِ الزّمَانَ يَعيثُ في غُصُني
أيَجُرّني عَنْ رَعْيِ أنْعُمِهِ ، مَنْ كَانَ قَبلُ أجِرُّهُ رَسَني
لا أتّقي طَعْنَ الخُطُوبِ ، إذا لاقَيتُهَا ، وَرِضَاكَ مِنْ جُنَني
لَوْ رُمتُ لَيَّ الجِيدِ عَنكَ لَقَدْ عَطَفَتْهُ أطْوَاقٌ مِنَ المِنَنِ
لا تَسمَعَنْ قَوْلَ الوُشاةِ ، وَمَنْ غَرَسَ الأضَالِعَ لي عَلى الإحَنِ
يَتَطَلّبُونَ لِيَ العُيُوبَ ، وَيَرْ مُوني بِأفْرَادٍ مِنَ الظِّنَنِ

١ السنن : الطريقة .
٢ المنن ، الواحدة منة ، بالضم : الضعف

النّقْصُ أخّرَهُمْ عَلى ظَلَعٍ   مِنْ غايَتي ، وَالفَضْلُ قَدّمَني
فالفَرْقُ مَا بَيْني وَبَيْنَهُمُ ،   كالفَرْقِ بَينَ العَيّ وَاللَّسَنِ
إنّي أرَى الأيّامَ مُومِضَةً   لكَ عَنْ بَوَارِقِ عَارِضٍ هَتِنِ
فَكَأنّني بعِداكَ قَدْ حَبَطُوا   حَبَطاً لِمَا شَبّوا مِنَ الفِتَنِ
وَكَأنّني بالهَامِ قَدْ جُعِلَتْ   مِنْهُمْ عَمَائِمَ للقَنَا اللّدنِ
تَبكي دِيَارُهُمُ كَمَا بَكِيَتْ   مَطْمُوسَةُ الأطْلالِ وَالدّمَنِ
فاسلَمْ ، بِبَهاءَ المُلْكِ ، ما سلِمتْ   عَادِيّةُ الأطْوَادِ وَالقُنَنِ
الوَجْهُ طَلْقٌ ، وَالبَنَانُ نَدٍ ،   وَالوَعْدُ نَقْدٌ ، وَالعَطاءُ هَني
سَتَرَى مُخَالَصَتي ، وَتَخبُرُني   طَبْعاً عَلى غَيرِ النّفَاقِ بُني
وَإذا الزّمَانُ رَمَى بِنَائِبَةٍ ،   وَنَأى الأقارِبُ فالتَفِتْ تَرَني

ملكنا مقطع الرزق

قال قدس الله تعالى روحه يف
وذلك في شوال سنة ٣٩٠

آمَا   مع الحَيّ صَبَاحاً ، حِينَ وَلّيْنَا
وَقَدْ صَاحَ بِنَا المَجْدُ :   إلى أينَ ، إلى أيْنَا
إلى أنْ أدْرِكَ العِرْقُ .   فَثُبْنَا ، ثُمّ لاقَيْنَا[1]

---

١ العرق : أصل كل شيء ، والجبل الغليظ المنقاد لا يرتقى لصعوبته . ثبنا : رجعنا .

حَمِينَا بالحَفِيظَاتِ ، فَقَارَعْنَا وَحَامَيْنَا[1]
فَلا تَسْأَلْ عَنِ الكَا سِ الَّتي فِيهَا تَسَاقَيْنَا
تَنَاكَيْنَا ، فَلَمَّا غَـ لَبَ الأَمْرُ ، تَبَاكَيْنَا
عَنِ الحِلْمِ تَحَاجَزْنَا ، وَبِالضِّغْنِ تَلاقَيْنَا
وَلَوْلا أطَّةُ الأَرْحَا مِ ، أعْذَرْنَا وَأَبْلَيْنَا[2]
إذا نَاشَدَتِ القُرْبَى ، تَبَاقَيْنَا ، وَأَبْقَيْنَا
بَنِي أعْمَامِنَا ! مَهْلاً ، سَيَنْأى بَيْنُ دارَيْنَا
وَيَغْدُو رَهَجُ الرَّوْعِ لِحَاماً بَيْنَ غَارَيْنَا
إذا مَا ضَرَبَ النَّقْعُ عَلَى الحَرْبِ رِوَاقَيْنَا
عَسَى الأَرْحَامُ تَثْنِينَا ، إذا نَحْنُ تَبَاغَيْنَا
تَبَالَوْا لِتُلاقُونَا . فَإنَّا قَدْ تَبَالَيْنَا
فَلَمْ يَلْقَ لَنَا العَا جِمُ رِعْدِيداً وَلا هَيْنَا
لَنَا كُلُّ غُلامٍ هَـ مُّهُ أنْ يَرِدَ الحَيْنَا
يُخَالُ مُوَفِّياً نَذْراً بِهِ ، أوْ قَاضِياً دَيْنَا
حَدِيدُ السَّمعِ في حَيْثُ تَكُونُ الأُذُنُ العَيْنَا
غِرَارُ النَّوْمِ يَجْلُو عَن لِحَاظِ الضَّرِمِ الرَّيْنَا[3]

١ الحفيظات ، الواحدة حفيظة : الحمية والغضب .
٢ أطة الأرحام : حنينها ، صوتها .
٣ غرار النوم : قليله . يجلو : يكشف . الضرم : الجائع . الرين : النعاس .

إذا السَّيرُ حَذا أيْدي الـ ـرّكَابِ الدّمَ وَالأيْنَا[1]
اذاتَ الطّوْقِ ! تَجلُو فيـ ـهِ . برّاقَ الطّلى لَيْنَا
قِفي أُخبِرْكِ عَنْ صَبرِي إذا أوْعَدْتِني البَيْنَا
سَلي عَنْ هَيْئَةِ السّيْفِ شُجَاعَ القَوْمِ لا القَيْنَا
لَنَا السّبْقُ بِأقْدامٍ إلى المَجْدِ تَسَاعَيْنَا
تَرَيْ زَمْجَرَةَ الآسَا دِ هَمْساً بَينَ غَابَيْنَا
إذا سَاوَمَنَا الضّيْمُ عَلَى الأعْرَاضِ غَالَيْنَا
وَإنْ نَازَعَنَا الحَقُّ عِنَانَ المَالِ ألْقَيْنَا
إذا مَا رَوّحَ الرُّعْيَا نُ ، أعطَيْنَا وَأمطَيْنَا
يَظُنّ المُجْتَدي أنّا عَلَى الجُودِ تَوَاطَيْنَا
مَلَكْنَا مَقْطَعَ الرّزْقِ ، فَأفقَرنَا ، وَأغْنَيْنَا
وَحُزْنَا طاعَةَ الدّهْرِ ، فَأغْضَبْنَا ، وَأرْضَيْنَا
مَتَى لمْ يُطِعِ الجُودُ سَخَوْنا ، أوْ تَسَاخَينَا
سِرَاعاً ، فَتَفَاقَدْنَا جَمِيعاً ، وَتَنَاعَيْنَا
إذا مَا ثَوّبَ الدّاعي إلى المَوْتِ ، تَداعَيْنَا
وَمَا يَنْفَعُنَا يَوْماً ، إذا نَحْنُ تَفَادَيْنَا
وَمَا أعْلَمَنَا أنّا إلى الغَايَةِ أجْرَيْنَا

[1] حذأها : ألبسها حذاء من الدم والتعب .

الأماني الغرارة

قال قدس الله تعالى روحه يرثي صديقاً له من بني العباس وهو أبو عبد الله ابن الإمام المنصوري وكانت بينهما صداقة قديمة وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٣٩١ :

ما أقَلَّ اعتِبارَنَا بالزّمَانِ ، وَأشَدَّ اغْتِرارَنَا بِالأمَاني
وَقَفَاتٌ عَلى غُرُورٍ وَأقْدامٌ عَلى مَزْلَقٍ مِنَ الحِدْثَانِ
في حُرُوبٍ عَلى الرّدَى ، وَكَأنّا اليَوْمَ في هُدْنَةٍ مَعَ الأزْمَانِ
وَكَفَانَا مُذَكِّراً بِالمَنَايَا ، عِلْمُنَا أنّنَا مِنَ الحَيَوَانِ
كُلَّ يَوْمٍ رَزِيئَةٌ في فُلانٍ ، وَوُقُوعٌ مِنَ الرّدَى بِفُلانِ
كَمْ تَرَاني أضَلُّ نَفساً،وَألْهُو ، فَكَأنّي وَثِقْتُ بالوَخَدَانِ[1]
قُلْ لهَذي الهَوَامِلِ : استَوْثِقي للسّيرِ وَاستَنشِزي عَنِ الأعطَانِ[2]
وَاستَقيمي قَدْ ضَمّكِ اللّقَمُ النّهجُ ، وَغَنّى وَرَاءَكِ الحَادِيانِ
كَمْ مَحيدٍ عَنِ الطّرِيقِ وَقد صَرّحَ خَلْجُ البُرَى وَجَذْبُ العِرَانِ[3]

١ الوخدان : الخطو الواسع .

٢ أراد باستنشزي : اجفي .

٣ المحيد : الميل . الخلج : الجذب . البرى : حلق يجعل في أنوف البعران ، الواحدة برة . العران عود يجعل في وترة أنف البعير .

نَتَشَنّي جازِعِينَ مِن عَدْوَةِ الدّهْـ   ـرِ وَنَرْتَاعُ للمَنَايَا الدّوَاني

جَفلَةَ السّرْبِ في الظّلامِ وَقد زُعْـ   ـزِعَ رَوْعاً مِن عَدْوَةِ الذُّؤبَانِ

ثمّ نَنْسَى جُرْحَ الحِمامِ، وَإنْ كا   نَ رَغيباً ، يا قربَ ذا النّسيانِ[1]

كلَّ يَوْمٍ تَزَايُلٌ مِنْ خَليطٍ   بالرّدى ، أوْ تَبَاعُدٌ مِنْ دانِ

وَسَوَاءٌ مَضَى بِنَا القَدَرُ الجِـ   ـدُّ ،عَجُولاً ،أوْ ماطَلَ العَصرَانِ[2]

يا لَقَوْمي لِهَذِهِ الصّيلَمِ الصّـ   ـمّاء عَنّتْ،وَالنّازِلِ الأ[illegible][3]

هَلْ مُجِيرٌ بذابِلٍ ، أوْ حُسَامٍ ،   أوْ مُعِينٌ بِسَاعِدٍ ، أوْ بَنَانِ ؟

مَضرَبٌ مِن مَضَارِبي ، فلَهُ الدّهْـ   ـرُ،وَغصنٌ أبِينَ مِنَ أغصَاني[4]

نَسَبٌ ضَارِبٌ إلى هاشِمٍ الجُو   دِ ، وَفَرْعٌ نَامٍ إلى عَدْنَانِ

حُفرَةٌ أطبَقَتْ على وَاضِحِ الأثْـ   ـوَابِ في المَجدِ طَيّبِ الأرْدانِ

خُلُقٌ كالرّبيعِ رَوْضَهُ القَطْـ   ـرُ وَصَدْرٌ صَافٍ مِنَ الأضْغَانِ

وَجَنَانٌ ماضٍ عَلى رَوْعَةِ الخَطْـ   ـبِ ، وَنَفْسٌ كَثيرَةُ النّزَوَانِ

لازِمٌ شُرْعَةَ الوَفَاءِ ، يرَى حِفْـ   ـظَ التّصَافي دِيناً مِنَ الأدْيَانِ

شَيّعُوهُ بالدّمعِ يَجرِي كَمَا شُـ   ـيّعَ غُدْواً بَوَاكِرُ الأظْعَانِ

كُلُّ عَيْنٍ قَرِيحَةٍ تَتَلَقّا   هُ بوَادٍ مِنْ دَمْعِهَا مَلآنِ

قَد مَرَرْنا عَلى الدّيارِ خُشُوعاً ،   وَرَأيْنَا البِنَى ، فَأيْنَ البَاني

١ رغيباً : واسعاً .
٢ الجد : المبالغ فيه ، المتناهي في الجد . العصران : الغداة والعشي ، الليل والنهار .
٣ الصيلم : الداهية ، الأمر الشديد . الأرونان : الصعب من الأيام .
٤ المضرب

وَجَهِلْنَا الرّسُومَ ثُمّ عَرَفْنَا ، فَذَكَرْنَا الأوْطَارَ بالأوْطَانِ
جَمَحَتْ زَفْرَةٌ بِغَيرِ لِجَامٍ ، وَجرَتْ دَمْعَةٌ بِغَيرِ عِنَانِ
فالتِفَاتاً إلى القُرُونِ الحَوَالي ، هَلْ تَرَى اليَوْمَ غَيرَ قَرْنٍ فَانِي؟
أينَ رَبُّ السّديرِ وَالحيرَةِ البَيْـ ـضَاءِ ، أمْ أينَ صَاحِبُ الإيوَانِ ؟
وَالسّيوفُ الحِدادُ مِنْ آلِ بَدْرٍ ، وَالقَنَا الصُّمُّ مِنْ بَني الدّيّانِ
طَرَدَتهم وَقَائِعُ الدّهْرِ عَن لَعْـ ـلَعَ طَرْدَ السَّفَارِ عَن نَجرَانِ
وَالمَوَاضِي مِنْ آلِ جَفْنَةَ أرْسَى طُنُباً مُلكُهُمْ عَلى الجَوْلانِ
يَكْرَعُونَ العُقَارَ مِن فِلَقِ الإبْـ ـرِيزِ كَرْعَ الظّمَاءِ في الغُدرَانِ[1]
مِنْ أبَاةِ اللّعْنِ الّذِينَ يُحَيّوْ نَ بهَا في مَعاقِدِ التّيجَانِ[2]
تَتَرَاءاهُمُ الوُفُودُ بَعِيداً ، ضَارِبِينَ الصّدُورَ بالأذْقَانِ
في رِيَاضٍ مِنَ السّمَاحِ حَوَالٍ ، وَجِبَالٍ مِنَ الحُلُومِ رِزَانِ
وَهمُ المَاءُ لَذّ للنّاهِلِ الظّمْـ آنِ بَرْداً ، وَالنّارُ للحَيرَانِ
كُلُّ مُستَيْقِظِ الجَنَانِ إذا أظْـ ـلَمَ لَيْلُ النّوّامَةِ المِبطَانِ
يَغتَدي في السِّبَابِ غَيرَ شُجاعٍ ، وَيُرَى في النّزَالِ غَيرَ جَبَانِ
ما ثَنَتْ عَنهُمُ المَنُونَ يَدٌ شَوْ كَاءُ ، أطْرَافُهَا مِنَ المُرّانِ
عَطَفَ الدّهرُ فَرْعَهُمْ ، فَرَآهُ بَعدَ بُعْدِ الذُّرَى قَرِيبَ المَجَاني
وَثَنَتْهُمْ بَعدَ الجِمَاحِ المَنَايَا ، في عِنَانِ التّسْليمِ وَالإذْعانِ

١ الفلق ، الواحدة فلقة : نصف الجفنة . الإبريز : الذهب .
٢ أباة اللعن : أراد بهم ملوك الحيرة الذين كانوا يحيونهم بقولهم : أبيت اللعن

عُطِّلَتْ مِنهُمُ المَقارِي، وَباخَتْ فِي حِماهُمْ مَوَاقِدُ النّيرانِ[1]
لَيسَ يَبقَى عَلَى الزّمَانِ جَرِيءٌ فِي إبَاءٍ ، وَعاجِزٌ فِي هَوَانِ
لا شُبُوبٌ مِنَ الصُّوَارِ ، وَلا أعْـنَقُ يَرْعَى مَنَابِتَ العُلْجَانِ[2]
لا وَلا خاضِبٌ مِنَ الرُّبْدِ يَختَا لُ بِرَيْطٍ أحَمَّ غَيرِ يَمَانِ[3]
يَرْتَمِي وَجْهَةَ الرِّئَالِ ، إذا آ نَسَ لَوْنَ الإظلامِ وَالإدجَانِ[4]
وَعُقَابُ المَلاعِ تُلْحِمُ فَرْخَيْـ ـهَا بإزْلِيقَةٍ زَلُولِ القِنَانِ[5]
نَابِلاً ، فِي مَطامِحِ الجَوّ هاتِيـ ـكَ وَذا فِي مَهَابِطِ الغِيطَانِ
لَوْ لَوَى عَنكَ رَائعَ الخَطبِ ذَبٌّ، أوْ رَمَتْ دُونَكَ الحِمامَ يَدانِ
لَوَقَتْكَ الرّدى نُفُوسٌ عَزِيزَا تٌ ، وَأيْدٍ مَلِيئَةٌ بالطِّعانِ
وَرِجَالٌ ، إذا دعَوْا غُدوَةَ الرّوْ عِ ، وَقَدْ خَفّ جانبُ الأقرانِ
شَمّرُوا يَطلُبُونَ ناشِئَةَ الصّوْ تِ ، خَنَاذِيذَ كالقِسِيّ اللّدانِ
لا أغَبّ الرّبيعُ تُرْبَكَ مِنْ نَوْ رٍ هِجَانٍ وَمَنظَرٍ إضْحِيانِ[6]

١ المقاري : قدور الضيافة وقصاعها . باخت النار : خمدت .
٢ الشبوب، من شب الفرس : رفع يديه ، نشط أو حرن . الصوار : القطيع من بقر الوحش. الأعنق : الطويل العنق . العلجان : جماعة العضاه ، نبت .
٣ الربدة : لون من الغبرة . الريط ، الواحدة ريطة : كل ملاءة غير ذات لفقين . الأحم : الأبيض ، والأسود (ضد) .
٤ الرئال : أولاد النعام ، الواحد رأل .
٥ الملاع : المفازة لا نبات فيها . تلحم فرخيها : تطعمهما اللحم . الازليقة : الأرض الملساء ليس بها شيء ، أو التي لا تثبت عليها قدم. الزلول : الكثيرة الزلق . القنان ، الواحدة قنة : الجبل الصغير ، قلة الجبل .
٦ الهجان : الأبيض . الإضحيان : الذي لا غيم فيه .

وَحَدا البَرْقُ ، كلَّ يَوْمٍ ، إليه عَجِلَ القَطْرِ بالنّسيمِ الوَاني
في جِبَالٍ مِنَ الغَمامِ كأنّ الـ ليلَ يَرْمي رِعَانَهَا بِرِعَانِ
هَزِجَاتٌ مِنَ البُرُوقِ كأنّ الـ بُلْقَ فيها مَجرُورَةُ الأرْسَانِ
بَعْدَمَا كُنّ كالشُّفُوفِ تَرَاهُـ نّ خَفيّاتٍ نَقيّةَ الألْوَانِ
نَشءُ مُزْنٍ كأنّ في الأُفْقِ منه نَفَسَ القَيْنِ في الحُسَامِ اليَمَاني
أوْ كَمَاوِيّةِ الصَّنَاعِ عَلاهَا صَدَأُ اللّوْنِ بَعدَ طول صِيَانِ[1]
لاحَمَتْ بَيْنَهُ الرّيَاحُ فَأوْفَى كَمَجَرّ الأنْقَاءِ وَالكُثْبَانِ
تَمْتَرِيهِ هَوْجَاءُ مِنْ قِبَلِ الغَوْ رِ ، نَزْعَ الدّلاءِ بالأشْطَانِ[2]
تَحفِزُ القَطرَ كلّما جَلجَلَ الرّا عِدُ حَفْزَ الحَنيّةِ المِرْنَانِ[3]
كَعِيَابِ الدّرُوعِ أسمعَ رَكضُ الـ خَيلِ فيها خَشَاخِشَ الأبدانِ[4]
لَوْ تَرَاخَتْ تِلْكَ الرّيَاحُ لأرْسَلْـ تُ رِيَاحَ الزّفيرِ وَالإرْنَانِ
لَوْ وَنَى ذَلِكَ الغَمَامُ لأطلَقْـ تُ مَزَادَ الدّمُوعِ مِنْ أجْفَاني
فَعَلَيكَ السّلامُ مِنْ خاشعِ النّا ظِرِ مُسْتَسْلِمٍ لرَيْبِ الزّمَانِ
يَنظُرُ الدّهرَ بَعدَ يَوْمِكَ وَالنّا سَ بِعَينٍ وَحشِيّةِ الإنْسَانِ
وَيَرَى الأُنْسَ لَستَ من حاضرِيهِ وَحشَةً ، وَالجَميعَ كَالوِحدانِ

١ الماوية : المرآة . الصناع : المرأة الحاذقة في عمل اليدين .

٢ تمتريه ، من مرى الناقة : مسح ضرعها لتدر . الهوجاء: الريح تقتلع البيوت. الأشطان: الحبال، الواحد شطن .

٣ تحفز : تدفع . الحنية : القوس .

٤ العياب : كناية عن القلوب .

مُعطياً للعِدا بهِ الوَاهِنَ الضّا رِعَ بَعْدَ الأنْصَارِ وَالأعْوانِ
أذْكَرَتْهُ أيّامُ هَذا التّنَائي مَا مَضَى مِنْ أيّامِ ذاكَ التّداني
لَمْ يكُنْ غيرَ قَبسَةِ الفَرِقِ العَجْلانِ وَلّى وَنَهْلَةِ الظّمْآنِ[1]
أصْدِقَائي ، أقَارِبي ، وَأخِلاّ ئي ، قبيلي ، وَإخوَتي ، إخوَاني
فامْضِ لا غَرّني الزّمَانُ بِعَهْدِ في خَليلٍ ، وَلا بعَقْدِ ضَمَانِ
قَد تُخَلّى النّفسُ الحَبيبَةُ بالرّغْمِ ، وَقَدْ يُبْعَدُ القَرِيبُ الدّاني
صُرِفَ الطّرْفُ عنكَ لا عن تقالٍ ، وَأُقِلَّ اللّقَاءُ لا عَنْ تَوَاني

سلي به جولة الخيل

قال قدس الله تعالى سره

غزَالٌ مَاطِلٌ دَيْنِي ، بِأجْزَاعِ الغَدِيرَيْنِ
رَهُوني عِنْدَهَا تَغْلَقُ بَيْنَ الهَجْرِ وَالبَيْنِ
ألا ، لا شَلّتَا يَا رَا مِيَ القَلْبِ بِنَصْلَيْنِ
طَرِيرَيْنِ ، وَمَا مَرّا عَلَى مَطْرَقَةِ القَيْنِ

١ القبسة، من قبس النار : أخذ منها شعلة . الفرق: الخائف . وقبسة الفرق مثل في العجلة، وكذلك نهلة الظمآن ، أي شربته .

أَلا يَا نَظْرَةً أَرْسَلْـ ـتُهَا بَيْنَ الغَبِيطَيْنِ[1]
أَسَأْتِ اليَوْمَ لِلْقَلْبِ ، وَأَحْسَنْتِ إِلى العَيْنِ
فَعَادَ الطَّرْفُ بِالفَوْزِ ، وَوَلَّى القَلْبُ بِالحَيْنِ
فَيَا للهِ ! كَمْ تُجْرَ حُ يَا قَلْبِيَ مِنْ عَيْنَي
وَمِنْ لَوْمِ الرَّفِيقَيْنِ ؛ وَمِنْ بَيْنِ الخَلِيطَيْنِ
صَغَا قَلْبِي إِلى الحِلْمِ ، بِلا قَوْلِ العَذُولَيْنِ
وَخَلَّفْتُ الصِّبَا خَلْفِيَ مُنْقَادَ القَرِينَيْنِ
وَمَا جُزْتُ الثَّلاثِينَ بِعَامٍ ، أَوْ بِعَامَيْنِ
فَقُلْ لِي اليَوْمَ : مَا عُذْرُ كَ يَا شَيْبَ العِذَارَيْنِ
سَلِي بِي جَوْلَةَ الخَيْلِ ، وَمُلْتَفَّ العَجَاجَيْنِ
وَخَطَّارَ القَنَا ، وَالمَوْ تُ مَضْرُوبُ الرِّوَاقَيْنِ ،
تَرَيْ عَزْمِيَ مِثْلَ السَّيْـ فِ مَشْحُوذَ الغِرَارَيْنِ
أُجَلِّي النَّقْعَ قَدْ صَارَ لِحَاماً بَيْنَ غَارَيْنِ
وَأَثْنِي سَنَنَ الخَيْلِ بِهِبْهَابِ السُّرَى لَيْنِ[2]
بِحَيْثُ تُقَطَّعُ القُرْبَى عَلى أَيْدِي القَرِيبَيْنِ
وَيَشْتَقُّ القَنَا الذَّا بِلُ مَا بَيْنَ الشَّقِيقَيْنِ
تَرَى فِيهِ القَرِيبَيْنِ مِنَ البَغْضَا قَرِينَيْنِ

١ الغبيط : الأرض المطمئنة . والغبيطان : موضع .
٢ السنن : النهج . الهبهاب : السريع .

رَمَتْ عِندي يَدُ الدّهْرِ بخَطْبٍ لَيْسَ بالهَيّنِ
أرَى الأيّامَ تَحْدُونيَ في شَرّ الطّرِيقَينِ
كمَا أوْضَعَ ، تحتَ المَيْسِ ، مَوّارُ المِلاطَينِ[1]
أُزَجّي الحَظّ كاللاّعِبِ زَحّافاً عَلى الأيْنِ
كمَا زُجّيَتِ الرَّجْزَاءُ زَحْفاً بِعِقَالَينِ[2]
وَهذا الدّهْرُ يَثْنينِي باللّيّانِ عَنْ دَيْني[3]
وَيَغْدُو مَاتِحاً للضّرِعِ الوَاني بِسَجْلَينِ[4]
لَهُ نَضْحٌ بِرَوْقَيْهِ ، وَلي نَطْحٌ بِرَوْقَينِ
تُرَى صَرْفُ المَقَاديرِ مَتى يَصْحُو مِنَ الأيْنِ
وَهَيهَاتَ لَقَدْ أغْلَقَ دُونَ الرّزْقِ بَابَينِ
فَلا تَطْلُبْ دَوَاءَ الحَظِّ قَدْ أعْيَا الطّبِيبَينِ
وَإنْ عَاتَبْتَ هذا الدّهْرَ صَارَ الذّنْبُ ذَنْبَينِ
وَقَدْ طُلّ دَمٌ تَطْلُبُهُ عِنْدَ الجَديدَينِ

١ أوضع : أسرع . الميس : الرحل المصنوع من شجر الميس ، وقد مر ذكره . الموار : المتحرك بسرعة . الملاطين : الجنبين .

٢ الرجزاء : المصابة بالرجز وهو داء يصيب الإبل في أعجازها .

٣ الليان : المماطلة .

٤ الماتح ، من متح الماء : نزعه . الضرع : المتذلل . الواني : الضعيف .

هل ترى جداً كجدي

قال رضي الله عنه على البديهة وقد ورد الخبر أن والده رضي الله تعالى عنهما أضيف إلى لقبه بالطاهر ذو المنقبتين ولم يلقب به قبله أحد من الطالبيين وذلك سنة ٣٩٢ :

فَخَرَتْ قَحْطَانُ أنْ كَانَ لهَا ذُو نُوَاسٍ وَكَلاعٍ وَرُعَينِ[1]
شَرّفَ الأذْوَاءَ فِيهَا قَبْلَنَا ، كلُّ رَحبِ البَاعِ هَطّالِ اليَدَينِ
ثمّ سَاوَتْهَا فَخَاراً مُضَرٌ بِعَليٍّ الطّاهِرِ المَنْقَبَتَينِ
شيمَتَا عِزٍّ وَمَجْدٍ أغْنَتَا عَنْ أبي أحْمَدَ فِينَا وَالحُسَينِ
هَلْ تَرَى جَدّاً كَجَدّي وَأبي ، أيُّ مَجْدٍ وَثَنَاءٍ بَعد ذَينِ ؟
نَسَبٌ كالنَّضْرِ أمسَى وَاسِطاً كلَّ أنفٍ من بني النّضرِ ، وَعَينِ[2]
نَيّرُ الأقْطَارِ قَدْ ضَوّأ مَا بَينَ جَدّيّ الكَرِيمَينِ وَبَيْنِي
ثَابِتٌ في طِينَةِ المَجْدِ ، إذا مَنْصِبٌ أمسَى زَلِيقَ القَدَمَينِ
بمَنَاطِ النّجْمِ يَجرِي دُونَهُ بَارِقُ الأُفْقِ وَضَوْءُ القَمَرَينِ
زَيّنَتْ أفْعَالُنَا أحْسَابَنَا زِينَةَ اللَّهْذَمِ أنْبُوبَ الرُّدَيْنِي[3]

١ ذو نواس ، وذو كلاع ، وذو رعين : من ملوك اليمن المعروفين بالاذواء

٢ نسب كالنضر : أي كالذهب .

٣ اللهذم : القاطع . الرديني : الرمح .

ضَارِبَةٌ أعْرَاقُــهُ بقَرَارَاتِ مِنًى وَالمَــأزِمَيْنِ
شَامِــخُ الأعناقِ ، عادِيُّ الذُّرَى ، نَاضِرُ العِرْقِ نُضَارُ الطَّرَفَيْنِ
وَبِمَجدِ النَّفسِ فَخرِي سابِقاً ، فَضْلَةَ الفَخرِ بمَجدِ الوَالدَيْنِ

زفر الزمان عليهم

قال رضي الله تعالى عنه وقد خرج إلى الكوفة لزيارة مشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه وكرم وجهه وعرج إلى الحيرة فطافها ونظر عجيب آثارها وبنائها ورأى الظباء ترتع في عراصها فقال وذلك في جمادى الأولى سنة ٣٩٢ :

ما زِلْتُ أطْرِقُ المَنَازِلَ بالنّوَى ، حتّى نَزَلْتُ مَنَازِلَ النُّعمانِ
بالحِيرَةِ البَيضَاءِ حَيثُ تَقَابَلَتْ شُمُّ العِمَادِ ، عَرِيضَةُ الأعطَانِ
شَهِدَتْ بفضْلِ الرّافِعِينَ قِبابَهَا ، وَتُبِينُ بالبُنْيَانِ فَضْلَ البَاني
مَا يَنفَعُ المَاضِينَ إنْ بَقِيَتْ لهمْ خُطَطٌ مُعَمَّرَةٌ بِعُمْرٍ فَانِ
وَرَأيْتُ عَجماءَ الطّلولِ ، من البِلى ، عَن مَنطِقٍ ، عَرَبِيّةَ التّبيَانِ
باقٍ بهَا حَظُّ العُيُونِ ، وَإنّمَا لا حَظّ فيهَا اليَوْمَ للآذانِ
وَعَرَفتُ بينَ بُيوتِ آلِ مُحَرِّقٍ مأوَى القِرَى وَمَوَاقِدَ النّيرَانِ
وَمَناطَ ما اعتقلوا من البِيضِ الظُّبى ، وَمَجَرَّ مَا سَحَبُوا مِنَ المُرّانِ
وَرَأيتُ مُرْتَبطَ السّوَابقِ للمَهَا ، وَمَعَاقِلَ الآسَادِ للذُّؤبَانِ

الهَاجِمِينَ عَلَى المُلُوكِ قِبَابَهُم ،   وَالضَّارِبِينَ مَعَاقِدَ التِّيجَانِ
وَكَأَنَّ يَوْمَ الإِذْنِ يَبْرُزُ مِنهُمُ   أُسْدُ الشَّرَى وَأَسَاوِدُ الغِيطَانِ ١
وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِدَيْرِ هِنْدٍ مَنْزِلاً   أَلِماً مِنَ الضَّرَّاءِ وَالحِدْثَانِ ٢
أَغْضَى كَمُسْتَمِعِ الهَوَانِ تَغَيَّبَتْ   أَنْصَارُهُ . وَخَلا مِنَ الأَعْوَانِ
بَالِي المَعَالِمِ أَطْرَقَتْ شُرُفَاتُهُ   إِطْرَاقَ مُنْجَذِبِ القَرِينَةِ عَانِ ٣
أَوْ كَالوُفُودِ رَأَوْا سِمَاطَ خَلِيفَةٍ   فَرَمَوْا عَلَى الأَعْنَاقِ بِالأَذْقَانِ
وَذَكَرْتُ مَسْحَبَهَا الرِّيَاطَ بِجَوِّهِ   مِنْ قَبْلِ بَيْعِ زَمَانِهَا بِزَمَانِ
وَبِمَا تَرُدُّ عَلَى المُغِيرَةِ دَهْيَهُ ،   نَزْعَ النَّوَارِ بَطِيئَةَ الإِذْعَانِ ٤
أَمَقَاصِرَ الغِزْلانِ غَيَّرَكِ البِلَى ،   حَتَّى غَدَوْتِ مَرَابِضَ الغِزْلانِ
وَمَلاعِبَ الإِنسِ الجَمِيعِ طَوَى الرَّدَى   مِنهُمُ ، فَصِرْتِ مَلاعِبَ الجِنَّانِ
مِنْ كُلِّ دَارٍ تَسْتَظِلُّ رِوَاقَهَا   أَدْمَاءُ ، غَانِيَةٌ عَنِ الجِيرَانِ ٥
وَلَقَدْ تَكُونُ مَحَلَّةً وَقَرَارَةً   لأَغَرَّ مِنْ وَلَدِ المُلُوكِ هِجَانِ ٦
يَطَأُ الفُرَاتُ فِنَاءَهَا بِعُبَابِهِ ،   وَلَهَا السُّلافَةُ مِنْهُ وَالرُّوقَانِ ٧

١ الشرى : مأسدة مشهورة بأسودها . الأساود : الحيات ، الواحد أسود .
٢ دير هند : في الحيرة .
٣ القرينة : الناقة المقرونة بأخرى .
٤ المغيرة : وصف لصفة محذوفة تقديره الخيل المغيرة ، من أغار على القوم هجم عليهم وأوقع بهم دهيه ، من دهاه : أصابه بداهية ، وعودة الضمير المذكر إلى لفظ الخيل . النوار : المرأة النفور
٥ الأدماء : أي ظبية أدماء ، أي سمراء .
٦ الهجان : الكريم الحسيب .
٧ عبابه: معظم سيله وارتفاعه. السلافة: كل شيء عصرته. الروقان، الواحد روق: الصافي من الماء

وَوَقَفتُ أسألُ بَعضَها عن بَعضِها، وتجيبني عِبرٌ بغيرِ لسانِ
قدحتْ زَفيري فاعتصرْتُ مدامعي، لَوْ لمْ يؤلْ جزَعي إلى السُّلوانِ
ترْقى الدُّموعُ ويرْعوي جزَعُ الفتى، ويَنامُ بَعْدَ تَفرّقِ الأقْرانِ
مسكيّةُ النّفَحاتِ تَحسَبُ تُرْبَها بُرْدَ الخليعِ مُعَطَّرَ الأرْدانِ
وكأنّما نَشَرَ التِّجارُ لَطيمَةً جرَتِ الرّياحُ بها على العُقْيانِ[1]
ماءٌ كجيبِ الدِّرْعِ تَصْقُلُه الصَّبا، ونَقاً يُدَرّجُهُ النّسيمُ الواني
حلّلَ الملوكِ رَمى جَذيمةَ بينَها، والمُنذِرَينِ، تَغايرُ الأزْمانِ[2]
طَرْداً، كدأبِ الدّهرِ في طرْدِ الأُلى، والَى الحَفائظَ في بَني الدّيّانِ
نَعَقَ الزّمانُ بجَمعِهِمْ عن لَعلَعٍ، وأقَضّ مَنزِلَهُمْ على نَجرانِ[3]
وكآلِ جفنَةَ أزْعَجتهُمْ نَبوَةٌ، نَقَلَتْ قِبابَهُمُ عَنِ الجَوْلانِ[4]
وعَلى المَدائنِ جَلجلَتْ برِعادِها عَرَكاً لكَلكَلِها على الإيوانِ[5]
وإلى ابنِ ذي يزَنٍ غدَتْ مَرْحولَةً نَفَضَتْ حَوِيّتَها على غُمدانِ[6]

١ اللطيمة : وعاء المسك . العقيان : الذهب ينبت نباتاً ، وليس مما يستذاب من الحجارة .
٢ جذيمة : هو جذيمة الأبرش . المنذرين : المنذر الأول والمنذر الثاني ، من ملوك الحيرة .
٣ لعلع : جبل وماء بالبادية . نجران : بلد باليمن .
٤ آل جفنة : الغساسنة . النبوة : البعد . الجولان : كانت من عواصم الغسانيين .
٥ المدائن : أي مدائن كسرى . والإيوان : إيوان كسرى وهو مشهور . الكلكل : الصدر .
٦ ابن ذي يزن : أراد سيف بن ذي يزن من ملوك اليمن . الحوية : كساء محشو حول سنام البعير . غمدان : قصر لملوك اليمن بناه يشرح بأربعة وجوه : أحمر وأبيض وأصفر وأخضر، وبنى داخله قصراً بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعاً (القاموس) .

قصَفَتْ قنا جَدَلِ الطّعانِ وَثَوّرَتْ   بَعدَ الأمَانِ بِعَامِرِ الضَّحْيَانِ[1]
زَفَرَ الزّمَانُ عَلَيهِمُ، فتَفَرّقوا،   وَجَلَوْا عَنِ الأوْطارِ وَالأوْطانِ

محاجر وعيون

قال أيضاً قدس الله تعالى روحه الشريفة :

يا مَسقِطَ العلَمَينِ من رَملِ الحِمى،   لي عِندَ ظَبيتِكَ النَّوَارِ دُيُونُ
شَرَتِ الفُؤادَ رَخيصَةً أعلاقُهُ،   وَمَضَى يَعَضُّ بَنَانَهُ المَغبُونُ
هَيهَاتَ يَتبَعُني إلى سُلوَانِهِ   قَلْبٌ أصَابَ بِهِ الظِّبَاءُ العِينُ
سَنَحَتْ لَنا في المُشرِقاتِ عَشيّةً،   وَمِنَ السّهامِ مَحاجِرٌ وَعُيُونُ
لا العَفُّ عَفٌّ حينَ يَملِكُ لُبَّهُ   تلكَ اللّحاظُ، وَلا الأمينُ أمينُ
لَوْ أنّ قَوْمَكَ نَصّلُوا أرْماحَهُمْ   بعُيُونِ سِرْبِكَ ما أبَلّ طَعِينُ

[1] عامر الضحيان : أحد فرسان العرب .

ذات الطوق

قال رضي الله عنه في معنى
الأبيات الميمية في مدح السواد :

أذاتَ الطَّوْقِ لمْ أُقرِضْكِ قَلْبي عَلى ضَنّي بِهِ لِيَضيعَ دَيْني
كَفَاكِ حُلِيُّ جيدكِ أنْ تَحلَّيْ بِأطْوَاقِ النُّضَارِ ، أوِ اللُّجَينِ
سكَنتِ القَلْبَ حيثُ خُلِقتِ منهُ ، فأنتِ مِنَ الحَشَى وَالنّاظِرَينِ
أُحِبّكِ أنّ لَوْنَكِ لَوْنُ قَلْبي ، وَإنْ ألبِستِ لَوْناً غَيرَ لَوْني
عِديني وَامطلي، وَعِدي ، فحَسبي وِصَالاً أنْ أرَاكِ وَأنْ تَرَيْني
وَلا تَستَهلِكي بِيَدَيكِ قَلْبي ، فَإنّ القَلْبَ بَينَكُمُ وَبَيْني
سَمِعْتُ لهَا حِوَاراً كَانَ فيهِ رُجُوعُ بَلابِلي وَدُنُوُّ حَيْني
فَيَا لَكَ مَنطِقاً لَوْ كانَ هُجْراً لِسَامِعِهِ تُلُقّيَ باليَدَيْنِ
كَأنّ الظّبيَةَ الأدْمَاءَ حَارَتْ إليّ بِنَاعِمِ العَذَبَاتِ لَيْنِ
نَظَرْتُكِ نَظْرَةً لَمّا التَقَيْنَا عَلى وَجَلَينِ مِنْ هَجْرٍ وَبَينِ
كَأنّي قَدْ نَظَرْتُ سَوَادَ قَلْبي بِوَجهِكِ ظَاهِراً لسَوَادِ عَيْني

مقلقات الغرام

قال قدس الله روحه يرثي بعض أهله :

ذَكَرْتُكِ ذِكْرَةَ لا ذَاهِلٍ ، وَلا نَازِعٍ قَلْبُهُ وَالجَنَانُ
أُعَاوِدُ مِنْكِ عِدادَ السَّلِيمِ ، فَيَا دِينَ قَلْبِيَ مَاذا يُدانُ[1]
عَوَاطِفُ مِنْ مُقْلِقَاتِ الغَرَا مِ يَوْمَ دُمُوعِي بِهَا أَرْوَنَانُ[2]
وَيَأْبَى الجَوَى أَنْ أُسِرَّ الجَوَى. إذا مُلِئَ القَلْبُ فَاضَ اللِّسَانُ
وَمَا خَيْرُ عَيْنٍ خَبَا نُورُهَا ، وَيُمْنَى يَدٍ جُذَّ مِنْهَا البَنَانُ
فَيَا أَثَرَ الحُبِّ أَنِّي بَقِيتَ ، وَقَدْ بَانَ مِمَّنْ أُحِبُّ العِيَانُ
وَقَالُوا : تَسَلَّ بِأَتْرَابِهَا ، فَأَيْنَ الشَّبَابُ ، وَأَيْنَ الزَّمَانُ؟

١ العداد : وقت الموت . السليم : اللديغ . الدين : الداء .
٢ الأرونان : الصعب ، الشديد من كل شيء ، وقد مر .

آمواه ونيران

قال في الحنين والاشتياق :

يا رَوْضَ ذي الأثلِ من شَرْقيّ كاظمةٍ ، قد عاوَدَ القلبُ ، من ذِكراكَ ، أديانَا
أمُرّ بالرّكْبِ مُجتازاً بذي سلَمٍ ، لَوْ ما شَرَيتُكَ بالأوْطانِ أوْطَانَا
شَغَلتَ عيني دُمُوعاً والحشَى حرَقاً ، فَكَيْفَ ألفْتَ أمْوَاهاً ونِيرانَا
أشُمّ مِنْكَ نَسيماً لَسْتُ أعرِفُهُ ، أظُنّ ظَمياءَ جرّتْ فيكَ أرْدانَا
أشبَهْتَ أظعانَ ذاكَ الحَيّ من يَمَنٍ طيباً وَحُسْناً وَأغْصَاناً وكُثْبَانَا
لَوْ أستَطيعُ لمَا سافَتكَ سائِفَةٌ ، وَلا جنَاكَ فتًى رَنْداً وَلا بَانَا
ألقاكَ وَالقلْبُ صَافٍ من رَجيعِ هوًى ، وَأنثَني عَنكَ بالأشْوَاقِ نَشوَانَا
وَلا تَداوَيتُ من قُرْحٍ فرَى كَبِدي ؛ وَلا سقَانيَ رَاقي الحَيّ سُلْوَانَا
يقُولُ صَحبي ، وقد أعياهُمُ طرَبي : بَعضَ الأُسَى إنّما أحبَبْتَ إنْسَانَا[1]
أينَ الخِيَامُ التي كُنّا نَلُوذُ بها بالأبرقَينِ ، وَأينَ الحَيّ مُذْ بَانَا
لا هِجتُ لي قَنَصاً من بَعدِ بَينِهِمُ ، وَلا ذَعَرْتُ عَنِ الأطلاءِ غِزْلانَا[2]
أنسَيتَني النّاسَ ، إذ أذكَرْتَني بهِمُ ، يا مُهدِياً ليَ تَذْكاراً وَنِسْيَانَا

١ الطرب : هنا بمعنى الحزن . الأسى : التعزية .
٢ القنص : الصيد . الأطلاء ، الواحد طلى : ولد الظبي ساعة يولد .

يا طائر البان

قال قدس الله روحه أيضاً :

يا طَائِرَ البَانِ غِرِّيداً عَلى فَنَنٍ ! ... مَا هَاجَ نَوْحُكَ لي يا طائرَ البَانِ
هَلْ أنتَ مُبلغُ مَن هامَ الفُؤادُ بهِ ؟ ... إنَّ الطَّليقَ يُؤدِّي حاجَةَ العَاني[1]
ضَمَانَةٌ مَا جَنَاهَا غَيرُ مُقلتِهِ ... يَوْمَ الوَداعِ فيَا شَوْقي إلى الجَاني[2]
مُغَفَّلٌ عَنْ هُمومي في بُلَهنيَةٍ ، ... أرْعَى النّجُومَ ، وَطَرْفَاهُ قَرِيرَانِ[3]
يَنأى وَيَدْنُو على خَضراءَ مُورِقَةٍ ، ... لُعْبَ النُّعَامَى بأوْرَاقٍ وَأغْصَانِ
كالقُرْطِ عُلّقَ في ذِفْرَى مُبتّلَةٍ ، ... بَينَ العَقَائِلِ قُرْطَاهَا قَلِيقَانِ[4]
هيهاتَ ما أنتَ مِنْ وَجْدي ولا طرَبي ، ... وَلا لقَلْبِكَ أشْجَاني ، وَأحزَاني
وَلا نَظَرْتَ إلى مَاءٍ عَلى ظَمَإٍ ، ... تَبغي الوُرُودَ وَلَيسَ الوِرْدُ بالدّاني
وَلا فُجِعتَ وَقَد سارَتْ رَكَائِبُهُمْ ... يَوْمَ الغَمِيمِ بِغِزْلانٍ كَغِزْلانِ[5]
لَوْلا تَذَكُّرُ أيّامي بِذِي سَلَمٍ ، ... وَعِنْدَ رَامَةَ أوْطَارِي وَأوْطَاني
لمَا قَدَحتُ بنارِ الوَجدِ في كَبِدي ، ... وَلا بَلَلْتُ بِمَاءِ الدّمعِ أجْفَاني

١ العاني : الأسير .
٢ الضمانة : الحب .
٣ بلهنية العيش : رخاؤه .
٤ القرط : ما يعلق في شحمة الأذن من درة وغيرها . الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . المبتلة : الجميلة التامة الخلق .
٥ الغميم : واد .

ظالم طيب ظلمه

قال قدس الله روحه في غرض من الأغراض

أذاعَ بذي العَهْدِ عِرْفَانُهُ ، وَعَاوَدَ للقَلْبِ أدْيَانُهُ
وَأضرَبَ سَمْعٌ عَنِ العاذِلاتِ لهَا شَأنُهَا ، وَلَهُ شَانُهُ
وَمَاطَلَ قَلْباً بِإبْلالِهِ ؛ مِطَالُ الغَرِيمِ وَلَيّانُهُ
أهَاجَكَ ذا الحَيُّ مِنْ وَائِلٍ تُحَمَّلُ للبَيْنِ أظْعَانُهُ
نأى السِّرْبُ عنك ، وَعَهدي به تَكَنَّسُ في القَلْبِ غِزْلانُهُ[1]
لَئِنْ أوْحَشَ الرَّبْعَ حُلاّلُه ، لَقَدْ عَمَرَ القَلْبَ سُكّانُهُ
مَرَرْنَ غُدُوّاً بِرَوْضِ الصّرِيـ ـمِ ، رَاقَ من النَّوْرِ ظُهرَانُهُ[2]
فَحَنّ لإلمَامِهِمْ أثْلُهُ ، وَمَالَ إلى قُرْبِهِمْ بَانُهُ
وَمَا حَمَلَتْ مِثلَ تلكَ البُدُو رِ بَينَ الذّوَائِبِ أغْصَانُهُ
وَلي نَاظِرٌ بعْدَ بَينِ الخَليـ ـطِ مَاتَ مِنَ الدّمْعِ إنْسَانُهُ
رِوَاءٌ مِنَ المَاءِ آمَاقُهُ ؛ ظِمَاءٌ مِنَ النّوْمِ أجْفَانُهُ
يَرُوحُ بِهِمْ سَاهراً طَرْفُه ، وَيَغْدُو لَهُمْ دامعاً شَانُهُ

١ تكنسه : اتخذه كناساً ، والكناس بيت الظبي .
٢ الصريم : موضع . النور : الزهر الأبيض . الظهران : جمع ظهر .

يُرَاخي الهوَى ، فأُرِيغُ السّلُوّ، قليلاً ، وَتجذِبُ أشطانُه[1]
فَأيْنَ مِنَ الدّاءِ إفْرَاقُهُ ؛ وَأينَ مِنَ القَلْبِ سُلْوَانُهُ
فَيَا ظالِماً طيّباً ظُلْمُهُ ، كثيراً عَلى القَلْبِ أعْوَانُهُ
تَبِعْتُ فُؤادي إلى حُبّهِ مُطيعاً ، وَإنْ لَجّ عِصْيَانُهُ
يُبَاعُ بسَوْمِكَ حَبُّ القُلوبِ، وَتَغْلَقُ عِنْدَكَ أثْمَانُهُ
وَشَرُّ الإسَاءَةِ مِنْ مَالِكٍ أسَاءَ ، وَمَا نِيلَ إحْسَانُهُ
وقد كنتُ أُشفِقُ من ذا الصّدودِ ، مُذْ أوْدَعَ القَلبَ خَوّانُهُ[2]
وَيا رَاكِباً لَجْلَجَتْ نِضْوَهُ ثَنَايَا الغُوَيْرِ ، وَنَجرَانُهُ[3]
يُرَوّعُهُ الصّبْحُ إسْفَارُهُ ، وَيُؤنِسُهُ اللّيلُ إدْجَانُهُ[4]
إذا مَنْزِلٌ آنَ تَعْرِيسُهُ ، طَوَاهُ عَلى الأينِ ظُعّانُهُ[5]
تَحَمّلْ ألُوكَةَ حَامي الضّلُوعِ ، طَالَ من البَينِ إرْنَانُهُ
إلى الحَيّ مِنْ يَمَنٍ أنّهُمْ وَدائِعُ قَلْبي وَخُلْصَانُهُ
لَنَالُوا مِنَ القَلْبِ مَا لَمْ يَنَلْ زَعَازِعُ حَيٍّ وَشَيْحَانُهُ[6]
لأنْتُمْ أسِنّةُ يَوْمِ الطّعَانِ ، إذا أسْلَمَ السّرْحَ فُرْسَانُهُ[7]

١ أراغه : أراده ، وطلبه . الأشطان : الحبال ، الواحد شطن .
٢ قوله : أودع ، هكذا في الأصل ، ومعناها غير موافق ، ولعلها ودع .
٣ لجلجت : رددت . الغوير : ماء لبني كليب . نجران : مر ذكرها .
٤ ادجانه : ظلمته .
٥ آن : حان . تعريسه : نزوله ليلا . الأين : الإعياء . ظعانه : الراحلون فيه .
٦ الزعازع ، الواحدة زعزاعة : الكتيبة الكثيرة الخيل . الشيحان : الغيور الحازم
٧ السرح : المال الراعي .

كَأنّ الجِيادَ، تَسامَى بكم، قِنانُ الشّريفِ وَعُقْبانُهُ[1]
وَهَلْ زَانَ تِيجانُهُ أُسرَةً جِباهُهُمُ الغُرُّ تِيجانُهُ ؟
وَإنّ رِباطَ بَني مالِكٍ تُقَادُ إلى المَوْتِ أرْسانُهُ
إذا الفَيْلَقُ المَجْرُ أدْلَى لَهُ إلى قُلُبِ الذّمْرِ مُرّانُهُ[2]
يَكُونُ سِواكُمْ عقَابِيلَهُ، وَأنْتُمْ إلى الطّعْنِ سَرْعانُهُ[3]
وَمَا كُلّ أصْلٍ كَرِيمِ العُرُو قِ تَأبَى عَلى الغَمزِ عيدانُهُ
لَكُمْ كُلّ جَمعٍ كَما أقبَلَتْ تَمَوّجُ بالنّحْلِ غيرَانُهُ
كَأنّ أسِنّتَهُ في القَنَا شَرَارٌ ظُبَى البِيضِ نِيرَانُهُ
هلِ المَوْتُ إلاّ إذا استَجمَعَتْ كُعُوبُ القَنيّ وَأيْمانُهُ
إذا دَبّرَ الطّعْنَ أُوهِمْتُهُ ، تَنِمّ إلى النّجْمِ خِرْصَانُهُ[4]
لَقَدْ ضَلّ عَهدُكُمُ باللّوَى، وَطَالَ بِدَمْعِي نِشْدانُهُ
أنَاقِشُكُمْ ، وَوَرَاءَ النّقا شِ أنفُ العَلُوقِ وَرِئْمانُهُ[5]
وَأهجُرُكُمْ هَجرَ مُستَعتِبٍ، وَكَمْ وَامِقٍ طَالَ هِجرَانُهُ
فَأنْأى وَأقْرَبُ أوبِ الظّلِيـ ـمِ يَنْتَظِرُ الطُّعمَ رِئْلانُهُ[6]

١ القنان ، الواحدة قنة : الجبل المنفرد ، المستطيل في السماء . العقبان : الواحد عقاب : الرابية ، وكل مرتفع لم يطل جداً .
٢ القلب ، الواحد قليب : البئر . الذمر : الشجاع . المران : الرماح .
٣ عقابيله : بقايا علته . سرعانه : أوائله المتقدمون .
٤ الخرصان : الرماح القصيرة .
٥ العلوق : الناقة . الرئمان : عطف الناقة على ولدها .
٦ الأوب : الرجعة . الرئلان ، الواحد رأل : ولد النعام .

سيَبعَدُ عنكُمْ على حَسرَةٍ ... طَوِيلُ جوَى القَلبِ أسوَانُهُ
تَبَدّلُ بِالمَرْءِ أحبَابُهُ ، ... وَتَنبُو على المَرْءِ أوْطَانُهُ
إذا مَنزِلٌ رَابَ سُكّانَهُ ، ... مِنَ الأرْضِ ، حُرّمَ إيطَانُهُ
إذا كَانَ صَعباً تَنَاسَى الحَنينَ ... إلَيكُمْ ، فهَيهَاتَ نِسيَانُهُ
وَشَيّبَني ، وَالصِّبَا وَارِقٌ ... عَليّ ، وَمَا انجَابَ رَيْعَانُهُ
حَميمٌ تَقَلّبُ أخلاقُهُ ، ... وَمَوْلًى تَلَوّنُ ألْوَانُهُ

دولة الحسن

قال رحمه الله تعالى في الحنين

يا ظَالمي ، وَالقَلبُ نَاصِرُهُ ، ... يجني عَليّ لَهُ كَمَا يَجْنِي
أجمَعتَ هَجْرِي، وَالفِرَاقَ معاً، ... أوَمَا بِوَاحِدِ مِنّي
لمْ أنسَ مَوْقِفَنا ، وَقَد طَلَعَتْ ... كالشّمسِ تحتَ حَوَاجبِ الدّجنِ
تَرْنُو إليّ بِعَينِ مُطْفِلَةٍ ... رَعَتِ النّوَى وَمَسَاقِطَ المُزْنِ
سَهْمٌ وَجَدْتُ لَهُ على كَبِدي ... ألَماً ، وَآلَمُ صَرْفَهُ عَنّي
سمَحتْ بكُم نَفسِي على مَضَضٍ ، ... وَلَرُبّ سَامِحَةٍ عَلى ضِنّ
هَيهاتَ يَعدِلُ في قَضِيّتِهِ ، ... قَمَرٌ يُدِلّ بِدَوْلَةِ الحُسْنِ

عيد الضنى

قال قدس الله تعالى روحه بعد خروجه من مكة المشرفة متوجهاً إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وفرغ من هذه القصيدة عند رحيله من بطن مر الظهران طالباً عسفان وذلك في مستّهل المحرم سنـــة ٣٩٤ :

أعَادَ لي عِيدَ الضّنَى جِيرَانُنَا عَلَى مِنَى
مَوَاقِفٌ تُبْدِلُ ذا الشّيْـ ـبِ شِطَاطاً بجِنَى[1]
يَقُولُ مَنْ عَايَنَ هَا تِيكَ الطُّلَى وَالأعيُنَا
هَذا غزَالٌ قَدْ عَطَا ، وَذاكَ ظَبْيٌ قَدْ رَنَا
وَا لَهْفَتَا مِنْ وَاجِدٍ عَلَى الشّبَابِ وَالغِنَى
مِنْ أجْلِهَا يَرْضَى الغَرِيـ ـبُ بالبَوَادي وَطَنَا
أنْسَى قَنَا مُرّانِهَا ، مَوَارِنٌ ذاتُ قَنَا[2]
يُلْقَى بِهَا فَوَارِسٌ ، لا يَحْفِلُونَ الجُبُنَا
مُجتَمِرَاتٌ رُحْنَ عَنْ رَمْيِ الجِمَارِ مَوْهِنَا
تَرَوُّحَ السّرْبِ عَنِ الـ ـوِرْدِ ، إذا اللّيْلُ دَنَا
كَمْ كَبِدٍ مَعْقُورَةٍ لِلعَـاقِرِينَ البُدُنَا

١ الشطاط : حسن القوام . الجنى : اللي ، والعطف .
٢ الموارن : أعالي الأنوف ، الواحد مارن . القنا : ارتفاع أعلى الأنف .

بِأعْيُنٍ تَرَكْنَهَا عَلى القُلُوبِ أعْيُنَا
وَإنّمَا جَعَلْنَهَا لِرَدّ قَوْلٍ ألْسُنَا
يُورِقُ مِنْهُنّ الحَصَى حَتّى يَكَادُ يُجْتَنَى
لِيَهْنَ مَنْ لمْ يَفْتَتِنْ، إنّا لَقِينَا الفِتَنَا
يُخْفي تَبَارِيحَ الهوَى، وَقَدْ عَنَانَا مَا عَنَا
كمَا النُّزُوعُ عِندكُم، كَذا النّزَاعُ عِنْدَنَا
يا صَاحِبَيْ رَحْلي: قِفَا، فَسَائِلا لي الدِّمَنَا
بالغَمْرِ قَدْ غَيّرَهَا صَوْبُ الغَمَامِ مُدْجِنَا
وَأمْطِرَا دَمْعَيْكُمَا ذاكَ الكَثِيبَ الأيْمَنَا
الدّارُ عِنْدي سَكَنٌ، إذا عَدِمتُ السّكَنَا[1]
قَالا: وَمِنْ أينَ رَمَا كَ الشّوْقُ؟ قلتُ: من هُنَا
وَصَاحِبٍ نَبّهْتُهُ بَعْدَ اللّغُوبِ وَالوَنَى
رَمَى الكَرَى في سَمْعِهِ، فَبَعْدَ لأْيٍ أذِنَا
وَقَامَ كالمُصْعَبِ ذي الـ رَّوْقِ يَجُرّ الرّسَنَا[2]
فَقُلْتُ: مَنْ مُعَاقِدِي عَلى الرّدَى؟ قالَ: أنَا
اتّقِ مَا بي تَتّقي، وَلَوْ أنَابِيبَ القَنَا
كُلٌّ الظُّبَى حَدائِدٌ، وَقَلّ مِنْهَا المُقْتَنَى

١ السكن الأولى: النار. السكن الثانية: ما يسكن إليه ويستأنس به.
٢ المصعب: الفحل الصعب المقادة. الروق: الحسن الخلق يعجب الناظر.

وَإنّمَا الصّوْنُ عَلى قَدْرِ المَضَاءِ وَالغِنَى
وَبَارِقٍ أشِيمُهُ ، كالطّرْفِ أغضَى ، وَرَنَا
أوْ رُمْحِ مَحْبُوكِ القَرَا بَاتَ شَمُوعاً أرِنَا[1]
أيْقَظْتُ عَنْهُ صَاحِباً يَنجابُ عُلْوِيَّ السّنَا
فَقُلْتُ : إيهِ نَظَراً ، أمَا قَضَيتَ الوَسَنَا ؟
أينَ تَقُولُ صَوْبُهُ ؟ فَقَالَ لي : دونَ قَنَى[2]
ذَكّرَني الأحْبَابَ ، وَالـ ـذّكْرَى تَهيجُ الحَزَنَا
أضَامِنٌ أنْ لا يَني يَشُوقُ قَلْباً ضَمِنَا[3]
مِنْ بَطْنِ مُرٍّ وَالسُّرَى تَؤمّ عُسْفَانَ بِنَا[4]
وَبالعِرَاقِ وَطَرِي ، يا بُعْدَ مَا لاحَ لَنَا
أشتَاقُهُمْ ، وَمُرْبِخٌ إلى زَرُودٍ بَينَنَا[5]
يا وَيْحَ لي مِنْ شَجَني ، أمَا مَلَلْتُ الشّجَنَا
رَحّلَني عَنْ وَطَني ، إنّي ذَمَمْتُ الوَطَنَا
مَا رَابَني مِنْ أبعَدِي مَا رَابَني مِنَ الدُّنَى[6]

١ الشموع : اللاعب . الأرن : النشيط .
٢ قنى : موضع باليمن .
٣ الضمن : العاشق .
٤ بطن مر وعسفان : موضعان كلاهما على مرحلتين من مكة .
٥ مربخ : رملة بالبادية . وزرود : موضع فيها .
٦ الدنى : الأقارب .

وَلَوْ وَجَدْتُ مرْقَعاً ثَوْبِي زَمَنا
أنّى ، وَمَنْ يَغْلِبُ بالرفع أديماً لَخِنَا[1]
أقْسَمْتُ بالمَحجوجِ مَرْ فُوعِ العِمَادِ وَالبُنَى[2]
مثلِ سَنَامِ العَوْدِ قَدْ عَالوا عَلَيْهِ الطُّعُنَا
مَوْضُوعَةٌ صِفَاحُهُ ، وَضْعَ المَطِيِّ الثّفِنَا[3]
وَالأسْوَدُ المَلمُوسُ قَدْ جَابُوا عَلَيْهِ الرُّكُنَا[4]
يَلْقَى عَلَيْهِ مُضَرٌ ، بَعْدَ الصَّفَاءِ اليَمَنَا
تَحَكُّكُ الجُرْبِ عَلى الأجْذالِ مِنْ مَضٍّ الهَنَا[5]
لأُقْبِلَنَّ مَعْشَراً تِلْكَ الطِّوَالَ اللُّدُنَا[6]
تَلَمُّظَ الأَصْلالِ لَجْ لَجَنَ إلَيْنَا الألْسُنَا
يَطْلُبْنَ وِرْدَيْ ظَمَإٍ : إمّا الرّدَى ، أوِ المُنَى
يُصْبِحُ في أطْرَافِهَا للقَوْمِ فَقْرٌ وَغِنَى
لَقَدْ أنَى أنْ أحْمِلَ الضّيمَ بها لَقَدْ أنَى

١ لخن : أنتن .
٢ المحجوج : أراد به الكعبة . البنى جمع البنية : ما بنيته .
٣ الثفن ، الواحدة ثفنة : ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ .
٤ الأسود : أي الحجر الأسود . جابوا : قطعوا . الركن : ما يقوى به ، والعز والمنعة ، والجانب الأقوى .
٥ الأجذال ، الواحد جذل : عود ينصب للبعير الجرب ليحتك به . المض : اللذع . الهنا : القطران .
٦ أقبله الشيء : جعله قبالته .

ضجيعان

قال أيضاً قدس الله تعالى روحه :

تُضاجِعُني الحَسناءُ وَالسّيفُ دونَها، ضَجيعانِ لي وَالسّيفُ أدناهما منّي
إذا دَنَتِ البَيْضَاءُ منّي لحَاجَةٍ ، أبَى الأبيَضُ المَاضِي ، فأبعدَها عنّي
وَإنْ نَامَ لي في الجَفنِ إنسانُ ناظِرٍ، تَيَقّظَ عنّي ناظِرٌ ليَ في الجَفنِ
أغَرْتُ فَتَاةَ الحَيّ مِمّا ألِفتُهُ ، أُغَلْغِلُهُ دونَ الشّعَارِ مِنَ الضّنِ
وَقالتْ:هَبُوهُ لَيلَةَ الخَوْفِ ضَمّه، فَما عُذرُهُ في ضَمّهِ لَيلَةَ الأمنِ

لولا العيون النجل :

قال قدس الله تعالى روحه وهو في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك في المحرم سنة ٣٩٤ :

وَما كُنتُ أدرِي الحُبّ حتّى تعرّضَتْ عُيُونُ ظِباءٍ بالمَدينَةِ عِينِ
فوَاللهِ مَا أدْرِي الغَداةَ رَمَيْنَنَا عَنِ النَّبْعِ أمْ عن أعينٍ وَجُفُونِ[1]

---

١ النبع : شجر تصنع منه القسي .

بكُلّ حَشًى مِنّا رَميّةُ نَابِلٍ ، قَوِيٍّ عَلى الأحشاءِ ، غَيرِ أمينِ
فَرَرْتُ بطَرْفي مِن سِهامِ لِحاظِها ، وَهَلْ تُتَلَقّى أسهُمٌ بِعيُونِ
وَقالوا: انتَجعْ رَعيَ الهوَى من بِلادِهِ، فَهَذا مَعَاذٌ مِنْ جَوًى وَحَنينِ
فَيا بانَتيْ بَطْنِ العَقيقِ سُقيتُمَا بِمَاءِ الغَوَادي بَعدَ مَاءِ شُؤُونِ
أُحِبُّكُمَا، وَالمُستَجِنُّ بطَيْبَةٍ . مَحَبّةَ ذُخْرٍ بَاتَ عِندَ ضَنينِ[1]
جَلَوْنَ الحِداقَ النُّجلَ وَهيَ سَقامُنا ، وَوَارَيْنَ أجْيَاداً وَسُودَ قُرُونِ
وَلَوْلا العيُونُ النُّجلُ ما قادَنا الهوَى لِكُلّ لَبَانٍ وَاضِحٍ ، وَجَبينِ[2]
يُلَجلِجْنَ قُضْبَانَ البَشامِ عَشيّةً ، عَلى ثَغَبٍ مِنْ رِيقِهِنّ مَعينِ[3]
تَرَى بَرَداً يُعدِي إلى القَلْبِ بَرْدُهُ ، فيَنقَعَ مِنَ قَبلِ المَذاقِ بحِينِ
تَماسَكْتُ لمّا خالَطَ اللُّبَّ لَحظُها ، وَقَدْ جُنّ مِنهُ القَلْبُ أيّ جُنونِ
وَمَا كانَ إلاّ وَقفَةٌ ثمّ لمْ تَدَعْ دَوَاعي النّوَى مِنهُنّ غَيرَ ظُنُونِ
نَصَصْتُ المَطايا أبتَغي رُشْدَ مَذهبي ، فأقلَعْنَ عَنّي . وَالغَوَايَةُ دُوني[5]

١ أراد بالمستجن : المدفون . طيبة : المدينة المنورة .
٢ اللبان : الصدر .
٣ يلجلجن : أي يدرن في أفواههن . البشام : شجر عطر يستاك به بعيدانه . الثغب : الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس ، فيبرد ماؤه .
٤ يعدي : أراد يجاوز .
٥ النص : استخراج أقصى ما عند الدابة من السير .

النوم طرح في محاجره

قال أيضاً قدس الله تعالى سره :

وَصَاحِبٍ في أُصَيحَابٍ أنَختُ بِهِ ... عَلى زَرُودَ ، وَمَوْجُ اللّيلِ يَغشَانَا
ثَنَى الذّرَاعَ ، وَألقَى فَضْلَ لِمّتِهِ ... عَلى الكَثيبِ، خميصَ البَطنِ طيّانَا[1]
نادَيْتُهُ ، بَعدَما مَالَ الجَنوبُ بهِ : ... أبَا نَعَامَةَ أبْرَدْنَا قُمِ الآنَا
فقامَ ، وَالنّوْمُ طِرْحٌ في مَحاجِرِهِ ، ... لا يُرْسِلُ الطّرْفَ إلاّ عَادَ وَسنَانَا
مُستَأخِرٌ ، وَمَطَايا الرّكبِ سائرَةٌ ، ... أحموقَةٌ ، إنّ عَقلَ المَرْءِ قد رَانَا[2]
يَهوَى الرُّقادَ كأنّ الرّملَ أفرَشَهُ ... نَمَارِقَ ابنَةِ مَنظورِ بنِ زَبّانَا[3]

١ خميص البطن : ضامره . الطيان : الجوعان .

٢ الأحموقة : الشديد الحماقة ، فساد العقل . ران : خبث .

٣ النمارق ، الواحدة نمرقة : الوسادة . منظور بن زبان : أحد سادات صدر الإسلام .

نفاثات القلب

قال أيضاً رضي الله تعالى عنه :

وَلَيسَ مِنَ الفرَاغِ يَشُرْنَ عَنّي نُفَاثَاتٌ يَجيشُ بِهَا الجَنَانُ
وَلَكِنْ مُهجَةٌ مُلِئَتْ فَفاضَتْ، وَضَاقَ القَلْبُ ، وَاتّسَعَ اللّسَانُ

قتيل العيون النجل

قال قدس الله تعالى روحه
وهي من لواحق الحجازيات :

يا رَفيقَيّ قِفَا نِضْوَيْكُما ، بَينَ أعْلامِ النّقَا وَالمُنْحنَى
وَانْشُدا قَلْبي فَقَدْ ضَيّعتُهُ باختِيَارِي بَيْنَ جَمعٍ وَمِنَى
عَارِضَا السّرْبَ فإنْ كانَ فتًى بالعُيُونِ النُّجلِ يقَضِي ، فأنَا
إنّ مَنْ شَاطَ عَلَى ألحاظِهَا . ضِعفُ من شاطَ علىطول القَنَا[1]
تَجرَحُ الأعيُنُ فِينَا وَالطُّلَى، قاتَلَ اللهُ الطُّلَى وَالأعيُنَا

١ شاط : هلك .

ثمّ كَانَتْ ، بِقُبَاءٍ ، وَقفَةٌ ضَمِنَتْ للشّوْقِ قَلباً ضَمِنَا[1]
وَحَدِيثٍ كَانَ مِنْ لَذّتِهِ ، أُحُدٌ يُصْغِي إلَيْنَا أُذُنَا[2]
غَادَرُونِي جَسَداً تُظْهِرُهُ لهمُ الشّكوَى وَيُخفيهِ الضّنَى
حَبّذا مِنكُمْ خَيالٌ طارِقٌ مَرّ بالحَيّ وَلَمْ يُلْمِمْ بِنَا
باخِلٌ بُخْلَ الذي أرْسَلَهُ ، سُئِلَ النّيلَ ، وَمَا جادَ لَنَا
سَرْحَةٌ أعْجَلَهَا البَينُ ، وَمَا لُبِسَ الظّلُّ ، وَلا ذِيقَ الجَنَى
ما رَأتْ عَينيَ مُذْ فارَقتُكُمْ ، يا نُزُولَ الحَيّ ، شَيئاً حَسَنَا

ما اسرع الأيام

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه يعزي الوزير أبا علي الحسن بن أحمد رحمه الله تعالى عن ولد له توفي وذلك في المحرم سنة ٣٩٦ :

مَا أسرَعَ الأيّامَ في طَيّنَا ، تَمْضِي علَينَا ثمّ تَمضِي بِنَا
في كُلّ يَوْمٍ أمَلٌ قَدْ نَأى مَرَامُهُ عَنْ أجَلٍ قَدْ دَنَا
أنذَرَنَا الدّهْرُ ، وَما نَرْعَوِي ، كَأنّمَا الدّهْرُ سِوَانَا عَنَى

١ قباء : موضع قرب المدينة . الضمن : العاشق .

٢ أحد : جبل مشهور .

تَعاشِياً ، وَالمَوْتُ في جدّهِ ؛ مَا أوْضَحَ الأمرَ وَمَا أبْيَنَا[1]
وَالنّاسُ كالأجمَالِ قد قُرِّبتْ ، تَنْتَظِرُ الحَيّ ، لأنْ يَظْعَنَا
تَدْنُو إلى الشِّعْبِ وَمِنْ خلفِها مُغَامِرٌ يَطْرُدُهَا بالقَنَا
إنّ الأُلى شَادُوا مَبَانيهِمُ ، تَهَدّمُوا قبلَ انْهِدامِ البُنَى
لا مُعْدِمٌ يَحْمِيهِ إعْدامُهُ ، وَلا يَقي نَفْسَ الغَنيّ الغِنَى
كَيْفَ دِفَاعُ المَرْءِ أحْداثَها فَرْداً ، وَأقْرَانُ اللّيَالي ثِنَى[2]
حَطّ رِجَالٌ ،وَرَكِبْنَا الذُّرَى ، وَعُقْبَةُ السّيرِ لمَنْ بَعْدَنَا[3]
كَمْ من حَبيبٍ هانَ مِن فَقدِهِ مَا كُنْتُ أنْ أحْسَبَهُ هَيّنَا
أنفَقْتُ دَمْعَ العينِ مِنْ بعدِهِ ، وَقَلّ دَمْعُ العَينِ أنْ يُحْزِنَا
كُنْتُ أُوَقّيهِ ، فَأسكَنْتُهُ بَعدَ اللّيَانِ المَنْزِلَ الأخشَنَا
دَفَنْتُهُ ، وَالحُزْنُ مِن بَعدِهِ ، يَأبَى عَلى الأيّامِ أنْ يُدْفَنَا
يا أرْضُ! ناشَدتُكِ أنْ تَحفظي تلكَ الوُجُوهَ الغُرَّ . وَالأعيُنَا
يا ذُلّ مَا عِندَكِ مِنْ أوْجُهٍ ، كُنّ كِرَاماً أبَداً عِنْدَنَا
وَالحَازِمُ الرّأيِ الذي يَغتَدي مُستَقْلِعاً يُنْذِرُ مُستَوْطِنَا
لا يَأمَنُ الدّهْرَ عَلى غِرّةٍ ، وَعَزّ لَيثُ الغابِ أنْ يُؤمَنَا
كَأنّمَا يَجفُلُ مِنْ غَارَةٍ ، مُلْتَفِتاً يَحْذَرُ أنْ يُطْعَنَا

[1] التعاني : التجاهل .
[2] أقران الليالي : أراد مقاومة الليالي . الثنى : ما يعاد مرتين .
[3] حط : هبط . العقبه : النوبة .

أُخَيَّ ! جَبراً لكَ مِنْ عَثْرَةٍ ، لا بُدَّ للعَاثِرِ أنْ يُوهَنَا[1]
إنَّ الّتي آذَتْكَ مِنْ ثِقْلِهَا، هَلُمَّهَا ، نَحْمِلُهَا بَيْنَنَا
ساقَيْتُكَ الحُلْوَ ، فَلا بِدْعَةً إنْ أنَا طَاعَمتُكَ مُرَّ الجَنَى
سَلَبْتَ مَا أعْجزَنَا رَدُّهُ ، في قُوّةِ السّالِبِ عُذْرٌ لَنَا
جِنَايَةُ الدّهْرِ لَهُ عَادَةٌ ، فَمَا لَنَا نَعْجَبُ لَمّا جَنَى
مَنْ كانَ حِرْمانُ المُنَى دأبَهُ ، فالفَضْلُ إنْ بَلّغَ بَعضَ المُنَى
كَمْ غَارِسٍ أمّلَ في غَرْسِهِ ، فأعجَلَ المِقْدارُ أنْ يُجْتَنَى
ما الثّلْمُ في حَدّكَ نَقْصاً لَهُ ، قَدْ يُثْلَمُ العَضْبُ، وَقد يُقْتَنَى
يأبَى لكَ الحُزْنُ أصِيلَ الحِجَى ، وَيَقْتَضِيكَ الرُّزْءُ أنْ تَحْزَنَا
وَالأجرُ في الأُولى وَإنْ أقْلَقَتْ، وَرُبّمَا نَسْتَقْبِحُ الأحْسَنَا
ذا الخُلُقِ الأعلَى ،فخُذْ نَهجَه ، وَاتْرُكْ إلَيْهِ الخُلُقَ الأدْوَنَا
أبَا عَلِيٍّ ! هَلْ لأمْثَالِهَا غَيرُكَ إنْ خَطْبُ زَمانٍ عَنَى[2]
فانْهَضْ بها ، إنّكَ من مَعشَرٍ ، إنْ جُشّموا الأمرَ أبانُوا الغِنَى
وَاصْبِرْ عَلَى ضَرّائِهَا ، إنّمَا نُغَالِبُ القِرْنَ إذا أمْكَنَا

١ يوهن ، من الوهن : الضعف .
٢ عنى : حدث ، نزل .

الظباء السالبات

قال قدس الله تعالى روحه

يا صَاحِبَيَّ تَرَوَّحَا بِمَطِيَّتي ، إنَّ الظِّبَاءَ بذي الأرَاكِ سَلَبْنَني[1]
سيرًا ، فَقَدْ وَقَفَ الطَّعينُ لِمَا به مُستَسلِماً وَنَجا الذي لمْ يُطعَنِ
ما سَرَّني ، وَقَنا اللّحاظِ تَنُوشُني ، أنّي هُنَاكَ قَتيلُ غَيرِ الأعيُنِ

الله أنظر وأرأف

قال أيضاً رضي الله تعالى عنه

قَد قُلتُ للرّجُلِ المُقَسِّمِ أمرَهُ : فَوِّضْ إلَيْهِ تَنَمْ قَريرَ العَينِ
رُدَّ الأُمُورَ إلى العَليمِ بِغَيبِهَا ، وَتَلَقَّ مَا يُعطيكَهُ بِيَدَيْنِ
اللهُ أنظَرُ لي مِنَ النّفْسِ التي تَغوَى ، وَأرْأفُ بي مِنَ الأبوَينِ

١ تروحا : لعله من روح الإبل : ردها إلى المراح .

الموفق جنّي

قال قدس الله تعالى روحه يمدح الموفق بالله أبا علي وزير بهاء الدولة ويهنئه بتلقيبه عمدة الملك ويذكر فتحه لفارس ونواحيها وأنفذها إليه بفارس وذلك في صفر سنة ٣٩٠ :

ضَلالاً لِسائِلِ هَذي المَغاني ، وَغَيّاً لطَالِبِ تِلْكَ الغَواني
وَمَا أَرَبي بِسُؤالِ الطُّلُو لِ إلاّ تَذَكُّرُ مَاضِي زَمَاني
خَليليّ إنْ جُزْتُما ضَارِجاً ، فَكُرّا المَطِيّ ، وَرُدّا المَثَاني[1]
وَعُوجا عَليّ أُحَيّ الدّيَارَ ، فَإنّ الدّيارَ لِمَنْ تَعْلَمَانِ
سَقَاكِ ،وَلَوْ بِظَمَا مُهْجَتي ، نجُومُ السّمَاكِ ، أوِ المِرْزَمَانِ[2]
وَلا زَالَ جَوُّكِ في نَاضِرٍ مِنَ النَّورِ يُحْمَدُهُ الرّائِدانِ
لَيَاليَ بَينَ بُرُودِ الشّبَا بِ منّيَ غُصْنٌ رَطيبُ المَجَاني
وَقَد رَجّلَ البِيضُ مِن لِمّتي بطَفْلِ الأنامِلِ بَضّ البَنَانِ[3]
أفَالآنَ لمّا أضَاءَ المَشِيبُ ، وَأمسَى الصّبَا ثَانِياً مِنْ عِنَاني
وَقَد صُقِلَ السّيفُ بَعدَ الصّدا ، وَبَانَ لَظَى النّارِ بَعدَ الدّخانِ

١ ضارج : موضع . كرا : اعطفا . المثاني : ركبتا الدابة ومرفقاها .
٢ السماك : كوكب نير ، وهما سماكان يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه ، وللآخر السماك الأعزل، لأن ليس أمامه شيء. المرزمان : نجمان مع الشعريين .
٣ الطفل : الرخص الناعم من كل شيء . البض : الرخص .

يَرُدّ الزّمَانُ عَلَيّ الهَوَى ، وَيَطمَعُ في هَفْوَةٍ مِنْ جَنَاني
فَقُلْ لليَالي : ألا فاقْصِرِي ، كَفَاني مَا عِندَ قَلبي ، كَفَاني
فَإنّ المُوَفّقَ لي جُنّةٌ ، أرُدّ بِهَا كُلّ رَامٍ رَمَاني[1]
أغرُّ هِجَانٌ ، وَمَا المَكرُمَاتُ بطَوْعي لِغَيرِ الأغَرّ الهِجَانِ
أيا عِمدَةَ المُلكِ لا استُهدِمَتْ ذُرَاهُ ، وَأنتَ لهَا اليَوْمَ بَاني
وَكيفَ يَني المُلكُ عمّا تَرُومُ ، وَسَعيُكَ مِنْ دُونِهِ غَيرُ وَاني
شَدَدْتَ قُوَاهُ إلى هَضْبَةٍ ، أوَاخيُّهَا كُلُّ عَضْبٍ يَمَاني[2]
مَآثِرُ ثَبّتَّ أطْنَابَهَا ، عَلى النّجمِ وَالقَمرِ الإضْحيانِ[3]
حَدَوْتَ إلى فَارِسٍ بالرّمَاحِ ، بِكَرّ الرّدَى يَوْمَ حَرْبٍ عَوَانِ
وَجُرْداً تُفَالِتُ أرْسَانَهَا لِيَوْمِ النّزَالِ وَيَوْمِ الرّهَانِ
وَأقبَلْتَهَا كَذِئَابِ الغَضَى ، تُعَاسِلُ في الفَيلَقِ الأُرْجُوَانِ
تَلَمَّظُ ألْسِنَةُ السّمْهَرِيّ ، مَا بَينَ آذانِهَا للطّعَانِ
بأيدي جَرِيّينَ لاكُوا الحُرُوبَ وَارْتَضَعُوهَا ارْتِضَاعَ اللِّبَانِ
بحَيْثُ تَرَى العِزّ أُمُّ الشّجاعِ ، وَتَقْنَعُ بالذّلّ أُمُّ الجَبَانِ
عَلى كُلّ مُعْطٍ عَلَيّ السّيَاطَ لا يَستَرِدّ بغَيرِ العِنَانِ

١ الجنة : السترة ، الوقاية .
٢ الأواخي ، الواحدة أخية : حبل يشد به سرادق البيت ، وحبل يدفن في الأرض ، فيبرز منه شبه حلقة تشد فيها الدابة .
٣ القمر الأضحيان : القمر المضيء .

يَكُرُّ إلى الطّعْنِ سامي اللَّبانِ ، وَيَثْني عَنِ الطّعنِ دامي البَنانِ
سرًى يَعجِزُ النّجمُ عنْ طُرْقِهِ ، طَويلٌ إذا نامَ لَيلُ الهِدانِ[1]
وَعزْمٍ يُشَاوِرُ حَدّ الحُسَامِ ، وَيَدْنُو ، وَقَائِمُهُ غيرُ داني
مَوَاقِفُ يَذهَلُ فيها الشّجاعُ ، فَمَا الظّنّ بالعاجِزِ الهَيَّبانِ[2]
نَشَرْتَ العِدا بِدَداً بَعدَمَا نظَمتَ المَمالِكَ نَظمَ الجُمَانِ
وكَم عُصْبَةٍ أوْضَعتْ في الضّلالِ ، تُنَقِّبُ عَنْ يَوْمِها الأرْوَنَانِ[3]
جَذَبْتَ عَنِ الغَيّ أرْسَانَهَا ، وَقَدْ شَافَهَتْهَا المَنَايَا الدّوَاني
وَأرْسَلْتَهَا بِغِرَارِ الحُسَامِ ، وَخاطَبْتَها بِلِسَانِ السّنَانِ
فَأعْطَتْكَ آبِيَ أعْنَاقِهَا تُطِيعُ المَقَاوِدَ بَعْدَ الحِرَانِ
تَشَكّى مَوَارِنُهَا في يَدَيْكَ مَسّ الخِشاشِ ، وَجذبَ العِرَانِ
فَضَائِلُ ألْفَتَ أشْتَاتَهَا ، وَلَمْ تَكُ مَوْجُودَةً بالعِيَانِ
فَما القَلَمُ اللَّدْنُ في رَاحَتَيكَ بأوْلَى مِنَ الأسَلاتِ اللِّدانِ
لِتَهْنِكَ نَعْمَاءُ سُرْبِلْتَهَا ، تَقَطّعُ عَنْهَا العُيُونُ الرّوَاني
عَلَى لَقَبٍ بَيّنَتْ صِدْقَهُ مَنَاقِبُكَ الغُرُّ كُلَّ البَيَانِ
وَألقَابُ قَوْمٍ ، إذا بُرْتَهَا تَبَايَنُ ألْفَاظُهَا وَالمَعَاني[4]

١ الهدان : الأحمق الثقيل .
٢ الهيبان : الذي يخاف الناس ، الجبان .
٣ الأرونان : الصعب .
٤ برتها : اختبرتها .

فَلا ارْتَجَعَ العِزَّ مُعطيكَهُ ، وَلا زِلْتَ مِنْ عَثْرَةٍ في أمَانِ
وَلازَمَ ثَوْبَيْكَ صِبْغُ العُلَى ، كَمَا لَزِمَتْ صِبغَةُ الزِّبرِقَانِ[1]
فَما دُمتَ، فالمُلكُ وَارِي الزّنَا دِ ، صَافي المَوَارِدِ ، عالي المَباني
لَقدْ نالَ مِنْ عِزّكَ الأبعَدونَ ، وَقَرّبَ مِنْ شَأنِهِ غَيرُ شَاني
فَرِشْني أكُن لكَ سَهمَ النّضَالِ ، وَاغصِبْ عَلَيّ يَدَيْ مَنْ بَرَاني
وَحُكْ لِيَ بُرْدَ العُلَى ضَافِياً ، أحُكْ لكَ أمثالَهُ مِن لِسَاني
إذا كُنتَ عَوْني فَمَنْ ذا الذي يُثَبّطُني عَنْ بُلُوغِ الأمَاني
وَأنْتَ الزّمَانُ ، وَأنّى يَخيبُ مَن كانَ مُستَشفِعاً بالزّمانِ

السرج اولى بي

قال يمدح أباه ويعرض بذم بعض أعدائه وذلك قبل عوده من فارس واجتماعه معه عند قدومه من بلاد تدمر وذلك سنة ٣٧٤ :

زَمَانَ الهَوَى ما أنتَ لي بِزَمَانِ ، وَلا لكَ مِنْ قَلْبي أعَزُّ مَكَانِ
أبَعْدَ القِبَابِ اللاّءِ زُلنَ عنِ الحِمى أرَاعي الهَوَى في أرْبُعٍ وَمَغَانِ
وَسَيرِي أمَامَ الحَيّ وَاللّيلُ حابِسٌ عَلى الظّعنِ من جُدْلٍ لَنا وَمَثاني[2]

١ الزبرقان : القمر ، وقد مر .
٢ الجدل ، الواحد أجدل : الحسن الطي . مثاني الدابة : مر شرحها

وَمُلْتَبِسٍ بالرَّكْبِ بادَرْتُ خلفَهُ ، ... أُلَوِّحُ بِالأَرْدانِ ، وَهوَ يَرَاني
وَآخرَ هَزَّتْني إليْهِ ارْتِياحَةٌ ، ... وَمِنْ دونِهِ ذو صَفصَفٍ وَرِعَانِ[1]
تَحَمَّلْتُ سَهْماً أَوْلاً مِنْ فِراقِه ، ... فَلَمّا رآني لا أَحُورُ رَمَاني
أَقُولُ لَهُ ، وَالدَّمْعُ يَأخُذُ ناظِري ... بأبيَضَ مِن ماءِ الشُّؤونِ ، وَقَاني :
أتَرْضَى عَنِ الدُّنْيا وَمَوْلاكَ ساخطٌ ، ... وَتَمضِي طَلِيقاً وَابنُ عَمّكَ عَاني ؟
وَفي ذلكَ الوَادي الذي أنبتَ الهوَى ... جَنابَانِ مِنْ نُوّارِهِ ، أرِجَانِ
وَمَاءٌ تَشيهِ الرّيحُ كُلَّ عَشيّةٍ ، ... كمَا رَقَمَ البُرْدَ الصّبيغَ يَمَاني[2]
مَرَرْتُ بِغِزْلانٍ عَلى جَنَبَاتِهِ ، ... فأطْلَقْنَ دَمعي وَاختبَلْنَ جَنَاني
وَعَاجَلَني يَوْمُ الرّفيقَينِ في الهوَى ، ... عَشيّةَ مَا لي بالفِرَاقِ يَدانِ
يَقُولانِ أحْيَاناً : بقَلْبِكَ نَشوَةٌ ، ... وَمَا عَلِمَا أنّ الغَرَامَ سَقَاني
وَكَمْ غادَرَ البَيْنُ المُفَرِّقُ من فتًى ... يُمَسِّحُ قَلْباً دائِمَ الخفَقَانِ
وَمُنْتَزِعٍ مِنْ بينِ جَنْبَيْهِ زَفرَةً ، ... تُخَلّي دُمُوعَ العَينِ في الهمَلانِ
وَمَا الحُبّ إلاّ فُرْقَةٌ بَعْدَ أُلْفَةٍ ، ... وَإلاّ حِذارٌ بَعْدَ طُولِ أمَانِ
هوَ الشُّغْلُ استَوْلى على كلّ مُهجَةٍ ، ... وَألقَى ذِرَاعَيْهِ بِكُلّ جَنَانِ
سَلَوْتُ الهوَى وَالشّوْقُ إلاّ ذُؤابَةً ... تُرَاجِعُ قَلبي مِنْ نَوًى وَتَداني[3]
وَصِرْتُ أرَى أنّ الشّجونَ عَلاقَةٌ ، ... تَليقُ بِقَلْبِ العَاجِزِ المُتَوَاني

١ الصفصف : المستوي من الأرض . الرعان ، الواحد رعن : أنف الجبل ، والجبل الطويل .
٢ تشيه ، من الوشي : ترقمه . يماني : أي رجل يماني .
٣ ذؤابة كل شيء : أعلاه .

فَهَا أنا ذا لا أُمتِّعُ العَيْنَ بالكَرَى ، وَتَأمُلُ قَوْدَ النَّوْمِ بَعدَ حِرَانِ
تَقَلَّصُ عَن مَسِّ النّعاسِ جُفونُها، كَمَا قَلّصَتْ للبَارِدِ الشّفَتَانِ[1]
تُجَمجِمُ للأطمَاعِ في كُلّ لَيلَةٍ ، وَتُقْلِعُ عَنْ قَلْبي بِغَيرِ بَيَانِ[2]
غَرِضْتُ مِنَ العَلياءِ وَهيَ تطولُ بي ، كما غَرِضَ المَقصُوصُ بالطّيَرانِ[3]
ولَوْ شِئْتُ جَلّى بي إلى غايةِ العُلَى جَوَادي ، ولَكِنّي أرُدّ عِنَاني
وَمولًى دَعَا غَيرِي إلى مَا يُرِيدُهُ ، وَلَوْ أنّني مِمّنْ يُجيبُ دَعَاني
وَحَاوَلَ أمْراً يَعْصِبُ الرّيقُ دُونَهُ بِنَاجِدِ مَزْؤودِ الفُؤادِ جَبَانِ[4]
يُنَازِعُني الشّحْنَاءَ أنّى لَقِيتُهُ ، وَلَوْ أنّني يَوْماً حَذِرْتُ رَقَاني[5]
وَعوراءَ لَمْ أُنصِتْ إلَيها ، وَلَمْ أُرِدْ جَوَاباً لَهَا، وَالقَوْلُ لَيسَ بِوَانِ[6]
وَلَكِنّني أغضَيتُ عَنهَا كَأنّمَا أقُولُ بِسَمعي ، أوْ أعِي بِلِسَاني
أرَى السّرْجَ أوْلى بي مِنَ الكُورِ في الوَغى ، وَمَا نَاقَتي إلاّ فِداءُ حِصَاني[7]
وَلَمّا تَعَاطَيْنَا النّزَالَ انبَرَى لَنَا مُلبٌّ عَلَى أعْوَادِهِ بِلُبَانِ[8]

١ تقلص ، وقلصت : تتقبض ، وتنضم .
٢ تجمجم : تخفي وتستر .
٣ غرض : ضجر ومل .
٤ يعصب الريق : يجف . الناجد : الواضح . المزؤود : المذعور
٥ الشحناء : البغضاء . رقاني من الرقي : السحر .
٦ العوراء : الكلمة ، أو الفعلة القبيحة . الواني : الضعيف .
٧ الكور : رحل الناقة . يقول : إن السرج، أي الجواد، أولى به يوم الحرب من الناقة ، لأنه أجول ، وأعدى .
٨ الملب، من ألب الفرس: جعل له لبباً، وهو ما يشد من سيور السرج في صدر الدابة ليمنع استئخار السرج . اللبان ، الواحدة لبانة : الحاجة .

فَسَدَّدَ رُمْحاً لمْ يَكُنْ بِمُثَقَّفٍ، وَجَرَّدَ عَضْباً لَمْ يَكُنْ بِيَماني
حَذارِ ، بني العَنقاءِ ، من مُتَطاوِلٍ إلى الحَرْبِ لا يَخشَى جِنَايةَ جَانِ
وَداهِيَةٍ تُصْمي القُلُوبَ كَأنّمَا تَمَطَّرُ عَنْ قَوْسٍ مِنَ الشَّرْيَانِ[1]
فَهَذا وَعيدٌ سَطوَتي مِنْ وَرَائِهِ ، وَعُنوَانُ نَارِي أنْ يَبِينَ دُخَاني
فَلا يَحسَبِ الأعداءُ كَيدي غَنيمَةً ، وَلا أنّني في الشرّ غَيرُ مُعَانِ
فإنّي بِحَمْدِ اللهِ أقْوَى على الأذَى ، وَأنْمَى عَلى البَغضَاءِ وَالشَّنآنِ
وَأبيَضَ مِنْ عَلْيَا مَعَدٍّ ، كَأنّما تَلاقَى عَلى عِرْنِينِهِ القَمَرَانِ
إذا رُمْتُ طَعْناً بالقَرِيضِ حَمَيْتُهُ ؛ وَإنْ رُمْتُ طَعْناً بالرّمَاحِ حَمَاني
يَجُودُ ، إذا ضَنّ الجَبَانُ ، بنَفسِهِ وَيَمضِي ، إذا مَا زَلّتِ القَدَمَانِ
بَصيرٌ بتَصريفِ الأعِنّةِ إنْ سَرَى لِيَوْمِ نِزَالٍ ، أوْ لِيَوْمِ رِهَانِ
تَرَامَى بِهِ الأيّامُ ، وَهْوَ مُصَمِّمٌ ، كَمَا يَرْتَمي بالمَاتِحِ الرَّجَوَانِ[2]
إذا مَا احتَبَى يَوْمَ الخِصَامِ كَأنّما يُحَدِّثُنَا عَنْ يَذْبُلٍ وَأبَانِ[3]
أبَا أحمَدٍ ! أنتَ الشّجاعُ ، وَإنّمَا تَجُرّ العَوَالي عِرْضَةً لِطِعَانِ
وَلَمّا غَوَى الغاوُونَ فيكَ ، وَفُرّجَتْ ضُلُوعٌ عَلى الغِلّ القَدِيمِ حَوَاني
نَجَوْتَ عَنِ الغُمّاءِ ،وَهيَ قَرِيبَةٌ ، نَجاءَ الثّرَيّا مِنْ يَدِ الدَّبَرَانِ[4]

١ تمطر : تسرع . الشريان : شجر تصنع منه القسي .
٢ الماتح : نازع الماء من البئر . الرجوان : ناحيتا البئر ، الواحد رجا
٣ يذبل وأبان : جبلان .
٤ الدبران : من منازل القمر ، وعدة نجوم تلو الثريا .

وَغيرُكَ غضّ الذّلُّ مِنْ نَجوَاتِهِ ، وَطَامَنَ للأيّامِ شَخصَ مُهَانِ
وَحالَ الأذى بَيْنَ المُرَادِ وَبَينَهُ ، كما حِيلَ بَيْنَ العَيرِ وَالنّزَوَانِ[1]
وَكانَ كَفَحلِ البَيتِ يَطمَحُ رَأسَه ، فألقَى عَلى حُكْمِ الرّدَى بجِرَانِ[2]
وَآخَرُ رَاخَى مِنْ قُوَاكَ بِبِدْعَةٍ ، ستَتَشْرُدُ في الدّنْيا بِغَيرِ عِنَانِ
فأشهَدُ أن ما عَرّقَتْ فيهِ هَاشِمٌ ، وَلا عُلّ يَوْماً مِنْ لِبَانِ حَصَانِ[3]
إذا المَرْءُ لمْ يَحْفَظْ ذِمَاماً لِقَوْمِهِ ، فأحْجِ بِهِ أنْ لا يَفي بضَمَانِ[4]
وَنَازَعَكَ العَلْيَاءَ مِنْ آلِ غالبٍ شُعُوبٌ ، وَمِنْ أُدٍّ ، وَمن غَطَفانِ
فَوَارِسُ يَلقَوْنَ الرّدى بِنُفُوسِهِمْ سِرَاعاً ، وَلا يَدْعُونَ يالَ فُلانِ
وَلَوْ شِئْتَ لَمّا طالَعَتْكَ رِماحُهُمْ ، وَأطْرَافُهَا عُوجٌ إلَيْكَ دَوَاني
هَرَقْتَ دِمَاءً مَا لهَا ، الدّهرَ ، طالبٌ ، كمَا هَرَقَتْ خَرْقَاءُ قَعبَ لِبَانِ[5]
وَحَيٍّ بَثَثْتَ الخَيْلَ بَينَ بُيُوتِهِمْ ، وَكانُوا عَلى أمْنٍ مِنَ الحَدَثَانِ
أقَمتَهُمُ مِنْ رَوْعَةٍ عَنْ شِوَائِهِمْ يَمُشّونَ بالأعرَافِ كُلَّ بَنَانِ[6]
أأُغضِي عَلى ضَيمٍ ، وَعِزُّكَ ناصِرِي ، وَبَاعي طَوِيلٌ مِنْ وَرَاءِ سِنَاني ؟
إذاً ، فَعَدَاني الضّيفُ في كُلّ لَيْلَةٍ ، وَكُبّتْ بِأعجازِ البُيُوتِ جِفَاني

---

١ العير : الحمار . النزوان : الوثوب ، مثل يضرب للعاجز عن أمر ما .
٢ الجران من البعير : مقدم عنقه . يقال : ألقى فلان على هذا الأمر جرانه ، أي وطن نفسه عليه ، ورأسه : منصوب بنزع الخافض ، والمراد يطمح برأسه : أي يشمخ .
٣ عل : أشرب ، والمراد : أرضع . اللبان : الصدر . الحصان : المرأة العفيفة .
٤ أحج به : أخلق به .
٥ الخرقاء : الحمقاء . اللبان : جمع لبن .
٦ يمشون : يمسحون . وأراد بالأعراف : أعراف الخيول .

وَمَا ارْتَاعَ مَطْلُوبٌ يَكُونُ وَرَاءَهُ   بِأَغْلَبَ مِنْ آلِ النَّبِيِّ هِجَانِ
لكَ الخَيرُ لا أرْضَى بغَيْرِكَ حَاكِماً   عَلَيَّ ، وَلا أُعْطِي القِيَادَ زَمَانِي
وَإنْ أطلُبِ الضّخمَ اللّغاديدِ غايَتي ،   فَرُبَّ جَمَادٍ عُدَّ في الحَيَوَانِ[1]

ابن مفرج الغمرات

يمدح آبا سعد بن خلف ويهنئه بمهرجان سنة ٣٧٦ :

أمِنْ شَوْقٍ تُعَانِقُني الأمَاني ،   وَعَنْ وُدٍّ يُخادِعُني زَمَاني ؟
وَمَا أهْوَى مُصَافَحَةَ الغَوَاني ،   إذا اشتَغَلَتْ بَنَاني بالعِنَانِ
عَدِمتُ الدّهرَ كيفَ يصُون وَجهاً   يُعَرَّضُ للضّرَابِ وَللطّعَانِ
وَأسْفَعَ لَثْمَتُهُ الشّمسُ نَدبٌ،   أبَيْنَا أنْ يُلَقَّبَ بالهِجَانِ
وَكَمْ مُتَضَرّمِ الوَجَنَاتِ حُسناً،   إذا جَرّبتَهُ ، نَابي الجَنَانِ
تُعَرّفُني بِأنْفُسِهَا اللّيَالي ،   وَآنَفُ أنْ أُعَرّفَهَا مَكَاني
أنَا ابنُ مُفَرِّجِ الغَمَرَاتِ سُوداً،   تَلاقَى تَحتَها حَلَقُ البِطَانِ[2]

---

١ اللغاديد ، الواحد لغدود ولغديد : لحمة في الحلق أو ما أطاف بأقصى الفم من الحلق من اللحم، أو الزوائد من اللحم في باطن الأذن .
٢ البطان : الحزام الذي يجعل تحت بطن الدابة .

وَجَدّي خَابِطُ البَيْداءِ حتّى ... تَبَدّى المَاءُ مِنْ ثَغْبِ الرِّعَانِ[1]
قَضَى ، وَجِيادُهُ حَوْلَ العَوَالي ، ... وَوَفْدُ ضُيُوفِهِ حَوْلَ الجِفَانِ
تُكَفّنُهُ ظُبَى البِيضِ المَوَاضِي ، ... وَيَغْسِلُهُ دَمُ السُّمْرِ اللّدانِ
نَشَرْتُ عَلى الزّمَانِ وِشَاحَ عِزٍّ ، ... تَرَنّحُ دُونَهُ المُقَلُ الرّوَاني
خَفِيرِي في الظّلامِ أقَبُّ نَهْدٌ ، ... يُسَاعِدُني عَلى ذَمّ الزّمَانِ[2]
جَوَادٌ تُرْعَدُ الأبْصَارُ فِيهِ ، ... إذا هَزَأتْ بِرِجْلَيْهِ اليَدانِ
كَأنّي مِنْهُ في جَارِي غَدِيرٍ ... ألاعِبُ مِنْ عِنَاني غُصْنَ بَانِ
حَيِيُّ الطّرْفِ إلاّ مِنْ مَكَرٍّ ... يُبَيّنُ مِنْ خَلائِقِهِ الحِسَانِ
إذا استَطلَعتَهُ مِنْ سِجفِ بَيتٍ ... ظَنَنْتَ بِأنّهُ بَعضُ الغَوَاني
سَأطلِعُ مِن ثَنَايا الدّهرِ عَزْماً ، ... يَسِيلُ بِبِهمَةِ الحَرْبِ العَوَانِ
وَلا أنْسَى المَسِيرَ إلى المَعَالي ، ... وَلَوْ نَسِيَتْهُ أخْفَافُ الحَوَاني[3]
وَألطَافُ السّحَابِ لِكُلّ دارٍ ... صَحِبْنَا رَبْعَهَا خَضِلَ المَغَاني
وَكُنّا لا يُرَوّعُنَا زَمَانٌ ، ... بِمَا يُعْدِي البِعَادَ عَلى التّداني
وَنَأنَفُ آنَ ... ـبهِ اللّيَالي ... بِشَمْسٍ ، أوْ سَنَا قَمَرٍ هِجَانِ
فَهَا أنَا وَالحَبيبَ نَوَدّ أنّا ... تَدانَيْنَا ، وَنَحْنُ الفَرْقَدانِ
وَلَيْلٍ أدْهَمٍ قَلِقِ النّوَاصِي ، ... جَعَلْتُ بَيَاضَ غُرّتِهِ سِنَاني

١ الثغب : الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه . الرعان ، الواحد رعن : أنف الجبل.
٢ الأقب : الفرس الضامر البطن . النهد : الفرس الحسن الجميل .
٣ الحواني : النياق التي تعطف على أولادها ، الواحدة حانية .

وَصُبْحٍ تُطْلَقُ الآجَالُ فيهِ ، وَنَاظِرُ شَمْسِهِ في النّقعِ عَاني
عَقَدْتُ ذَوَائِبَ الأبْطَالِ مِنْهُ بِأطْرَافِ المُثَقَّفَةِ الدّوَاني
وَشُعْثٍ فَلَّهُمْ طَلَبُ المَعَالي ، وَفلّوا كُلّ مُنجردٍ حِصَانِ[1]
أقُولُ لَهُمْ ثِقُوا باللهِ فِيهَا ، فَفَضْلُ يَدِ المُعِينِ عَلى المُعَانِ
وَلا تَتَعَرّضُوا بالعِزّ ، إنّي رَأيْتُ العِزّ خَوّارَ العِنَانِ
فَمَا رَكِبَ العُلَى إلاّ عَليٌّ ، وَمَسّحَ عِطْفَهَا بَعْدَ الحِرَانِ
سَعَى ، وَالشّمسُ تَرْقَى في أناةٍ ، فَجازَ ، وَسَيرُها في الجَوّ وَانِ
رَمَوْا منكَ المدى ، وَالخيلُ شُعْثٌ بمَصْقُولِ العَوَارِضِ وَاللَّبَانِ
يَدٌ لم تَخلُ من قصَبِ العَوَالي ، تُزَعزِعُهنّ ، أوْ قَصَبِ الرّهَانِ
تَرَكْتَ لهم عيُونَ الطّعنِ تَدمَى بمُنخَرِطٍ مِنَ التّامُورِ قَانِ[2]
وَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى عن صَدرِ يوْمٍ من الخِرْصَانِ مخضُوبِ البَنانِ[3]
وَأجْسَادٍ تُشَاطِرُهَا المَنَايَا ، نُفُوساً ، في ضِرَابٍ أوْ طِعَانِ
هُوَ الغَمْرُ الرّداءِ لِعَزْمَتَيْهِ بِكُلّ دِفَاعِ نَائِبَةٍ يَدَانِ[4]
وَمَا نَهَضَ امْرُؤٌ بالحَزْمِ إلاّ وَصَادَفَ حِلْمَهُ مُلقَى الجِرَانِ

١ الشعث ، الواحد أشعث : المغبر الشعر ، المتلبده ، كناية عن المجربين في الحروب . فلهم : كسرهم ، هزمهم . المنجرد : الفرس الذي لا شعر فيه ، والمراد فلوا فارس هذا الفرس .

٢ المنخرط ، من انخرط الجسم : دق ، وانخرط في المكان : دخل فيه مسرعاً . التامور : القلب ، أو الدم .

٣ الخرصان : الرماح .

٤ الغمر الرداء : الواسعه ، كناية عن الكريم الواسع المعروف ، السخي .

يَضُمُّ الخائِفَ الظّمآنَ مِنْهُ   حِمًى بَفْتَرُّ مِنْ بَرْدِ الأمَاني
وَتَضْحكُ نَارُهُ وَضَحاً ، إذا مَا   رَغَتْ نَارُ القَبَائِلِ بالدّخَانِ
وَيومٍ مثْلِ شِدْقِ اللّيثِ جهمٍ ،   يَفُلّ عَنِ الجِدالِ ظُبَى اللّسانِ
سَدَدتَ فُرُوجَهُ بالقَوْلِ ، حتّى   مَدَدْتَ مُشَيَّعاً بَاعَ البَنَانِ
وَغَيرُكَ مَنْ تُرَوّعُهُ المَعَالي ،   وَتَخْدَعُهُ أغَانيُّ القِيَانِ
إذا ذُكِرَ الصّوارِمُ وَالعوَالي ،   تَعَوّذَ بِالمَثَالِثِ وَالمَثَاني
وَإنْ طَلَبَ الذُّحُولَ تَهَضّمَتْهُ ،   وَبَاعَ دَمَ الفَوَارِسِ باللِّبَانِ[1]
أبَا سَعْدٍ ! دُعَاءٌ لَوْ تَرَاخَتْ   أوَائِلُهُ لَعَاقَبَهَا لِسَاني
ظَفِرْتَ بما اشتَهيتَ مِنَ اللّيالي ،   وَأُعطِيتَ المُرَادَ مِنَ الأمَاني
لِكَفّكَ فَوْزَةُ القِدْحِ المُعَلّى ،   وَمِنها صَوْلَةُ العَضْبِ اليَمَاني
وَلَمّا خُرّقَ الإظْلامُ جُبْناً ،   خَلَعْتَ عَلَيْهِ ثَوْبَ المِهْرَجَانِ
إذا طُرِدَتْ رِمَاحُ اللّهْوِ فيهِ ،   أرَقْنَ عَلى الكُؤوسِ دَمَ القِنَانِ
وَشَرْبٍ قَدْ نَحَرْتَ لَهُمْ عُقاراً   كَحَاشِيَةِ الرّداءِ الأُرْجُوَاني
كأنّ الشّمسَ مالَ بهَا غُرُوبٌ ،   فَأهْوَتْ في حَيَازِيمِ الدّنَانِ
فَصِلْ بِدَمِ العُقَارِ دَمَ الأعادي ،   وَأصْوَاتَ العَوَالي بالأغَاني
فَيَوْمٌ أنْتَ غُرّتُهُ جَوَادٌ ،   يَبُذُّ بِشَأوِهِ طَلْقَ القِرَانِ[2]

١ الذحول ، الواحد ذحل : الثأر . تهضمته : ظلمته وغصبته .

٢ بذ : غلب . الشأو : الغاية . طلق القران : أراد فرساً غير مقيد ، والقران : حبل يشد به الأسير ، أو يقاد به البعير .

جَعَلْتُ هَدِيَّتِي فيهِ نِظَاماً صَقيلاً مِثْلَ قَادِمَةِ السِّنَانِ
بِلَفْظٍ فَاسِقِ اللَّحَظَاتِ تُنمَى مَحَاسِنُهُ إلى مَعنًى حَصَانِ
وَصَلْتُ جَوَاهِرَ الألفَاظِ فيهِ بِأعرَاضِ المَقَاصِدِ وَالمَعَاني
فَجاءَتْ غَضّةَ الأطرَافِ بِكْراً، تَخَيّرَ جِيدُها نَظْمَ الجُمَانِ
كَأنّ أبَا عُبَادَةَ شَقّ فَاهَا، وَقَبّلَ ثَغْرَهَا الحَسَنُ بنُ هَاني[1]

اسقني

وقال أيضاً في الغزل ويصف الروض
على لسان بعض الناس وهي من أول قوله :

اسقِنِي ، فاليَوْمُ نَشوَانُ ، وَالرُّبَى صَادٍ وَرَيّانُ
كَفَلَتْ باللّهْوِ وَافِيَةً لَكَ نَايَاتٌ وَعِيدانُ
حازَ وَفدَ الرّيحِ ، فالتَطَمَتْ مِنْهُ أوْرَاقٌ وَأغْصَانُ
كُلُّ فَرْعٍ مَالَ جَانِبُهُ ، فَكَأنّ الأصْلَ سَكْرَانُ
وَكأنّ الغُصْنَ مُكتَسِياً ، مِنْ رِيَاضِ الطَّلّ عُرْيَانُ
كُلّمَا قَبّلْتُ زَهْرَتَهَا ، خِلْتُ أنّ القَطْرَ غَيرَانُ

١ أبا عبادة : البحتري . الحسن بن هاني : أبو نواس . وكلاهما شاعر مشهور

وَمَقِيلٍ بَيْنَ أَخْبِيَةٍ قِلْتُهُ ، وَالحَيُّ قَدْ بَانُوا
فِي أُصَيْحَابٍ مَفَارِشُهُمْ ، ثَمَّ ، أَنْقَاءٌ وَكُثْبَانُ
عَسْكَرَتْ فِيهَا السَّحَابُ كَمَا حَطَّ بِالبَيْدَاءِ رُكْبَانُ
فَارْتَشَفْنَا رِيقَ سَارِيَةٍ ، حَيْثُ كُلَّ الأَرْضِ غُدْرَانُ
فَاسْقِنِي ، فَالوَصْلُ يَأْلَفُنِي ؛ إِنَّ يَوْمَ البَيْنِ قَرْحَانُ
قَهْوَةٌ مَا زَالَ يَقْلَقُ مِنْ مُجْتَنَاهَا المِسْكُ وَالبَانُ
غَيْرُ سَمْعِي لِلمَلَامِ ، إِذَا ضَجَّ سَاجِي الصَّوْتِ مِرْنَانُ
رُبَّ بَدْرٍ بِتُّ أَلْثُمُهُ صَاحِياً ، وَالبَدْرُ نَشْوَانُ
قُدْتُ خَيْلَ اللَّثْمِ أَصْرِفُهَا حَيْثُ ذَاكَ الخَدُّ مَيْدَانُ
لِي غَدِيرٌ مِنْ مُقَبَّلِهِ ، وَمِنَ الصُّدْغَيْنِ بُسْتَانُ
فِي قَمِيصِ اللَّيْلِ عَبْقَةُ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الوَصْلَ كِتْمَانُ
كَيْفَ لَا تَبْلَى غَلَائِلُهُ ، وَهْوَ بَدْرٌ ، وَهْيَ كَتَّانُ[1]
وَنَدَامَى كَالنُّجُومِ سَطَوْا بِالمُنَى ، وَالدَّهْرُ جَذْلَانُ
كَمْ تَخَلَّتْ مِنْ ضَمَائِرِهِم ، ثَمَّ ، أَلْبَابٌ وَأَذْهَانُ
خَطَرُوا ، وَالخَمْرُ تَنْفُضُهُمْ ، وَذُيُولُ القَوْمِ أَرْدَانُ
كُلَّ عَقْلٍ ضَاعَ مِنْ يَقِظٍ فَهْوَ فِي الكَاسَاتِ حَيْرَانُ
إِنَّمَا ضَلَّتْ عُقُولُهُمُ ، حَيْثُ يُعْيِيهِنَّ وُجْدَانُ
فَاخْتَلِسْ طَعْنَ الزَّمَانِ بِهَا ، إِنَّمَا الأَيَّامُ أَقْرَانُ

[1] كان في عقائد العرب أن نور القمر يبلي الكتان إذا وقع عليه

شهود الحب

قال على لسان بعض الناس

حَبيبي ! هَل شُهودُ الحُبّ إلاّ اشـ   ـتِيَاقٌ ، أوْ نِزَاعٌ ، أوْ حَنِينُ ؟
لَقَدْ آوَى مَحَلَّكَ من فُؤادي   مَكَانٌ ، لَوْ عَلِمتَ بهِ ، مَكِينُ
إذا قَدّرْتَ أنّي عَنكَ سَالٍ ،   فَذاكَ اليَوْمَ أعشَقُ مَا أكُونُ
فَلا تَخشَ القَطيعَةَ ! إنّ قَلبي ،   عَلَيكَ اليَوْمَ ، مَأمُونٌ أمِينُ

أحلى من الكرى

قال في مثله :

جَنَى ، وتَجَنّى ، وَالفُؤادُ يُطيعُه ،   فيَأمَنُ أنْ يُجنَى عَلَيهِ كما يَجني
إلى كَمْ تُسِيءُ الظّنّ بي مُتَجَرّماً ،   وَأنسُبُ سُوءَ الظّنّ منكَ إلى الضّنّ
وَوَاللهِ لا أحبَبْتُ غَيرَكَ وَاحِداً ،   ألِيّةَ بَرٍّ لا تُخَافُ ، فنَستَثْني[1]

١ الالية : اليمين . البر : الصادق في يمينه . وقوله : نستثني ، أراد أنه يستثني شيئاً من يمينه أن لا يصدق بها تجاه هذا الشيء .

فإنْ لمْ تكُنْ عندي كسَمعي وَناظرِي، فلا نَظَرَتْ عَيني ، وَلا سمعَتْ أذني
وَإنّكَ أحلَى في جفُوني مِنَ الكَرَى، وَأعذَبُ طَعماً في فُؤادي منَ الأمنِ

صبراً غريم الثأر

قال أيضاً على لسان بعض من سأله ذلك :

صَبراً غَرِيمَ الثّأرِ مِنْ عَدْنانِ ، حتّى تَقَرّ البِيضُ في الأجفانِ
أوَمَا اتّقَيتَ، وَقد كُفيتَ فَوَارِساً يتَجاذَبُونَ عَوَاليَ المُرّانِ
مِنْ كُلّ مَيّالِ العِمامَةِ ، كفُّهُ تَلْوِي الرّداءَ على أغَرَّ هِجَانِ
في كُلّ يَوْمٍ أوْ بكُلّ مَقامَةٍ ، يتَذاكَرُونَ مَقَاتِلَ الفُرْسانِ
إذْ لا يُضيفونَ المَعائبَ بَينَهُمْ ، وَبُيُوتُهُمْ وَقْفٌ على الضِّيفَانِ
الضّامنِينَ لطَيرِهِمْ مُهَجَ العِدا، عَن كُلّ ضَرْبٍ صَادِقٍ وَطِعانِ
الرّاكِبِينَ الخَيْلَ تَعرِفُها بِهِمْ تحتَ العَجاجِ إذا التَقَى الخَيلانِ
قَوْمٌ إذا هطَلَتْ سَحابُ أكفّهمْ هَطَلَ الحَيا ، فتَعانَقَ القَطرَانِ
وَإذا حوَوْا سَبْقَ القَبائلِ خلّقوا غُرَرَ السّوَابِقِ بالنّجيعِ القَاني[1]
وَإذا رَأيْتَهُمُ على سَرَوَاتِهَا ، أبصَرْتَ عِقباناً على عِقْبَانِ[2]

١ خلقوا : طيبوا بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب . النجيع : الدم
٢ سروات الخيل : ظهورها .

آسَادُ حَرْبٍ لا يُنَهنِهُها الرّدَى ،   تحتَ الظُّبَى ، وَأسِنّةِ المُرّانِ
يَطأُونَ خدّ التُّرْبِ وَهوَ مُضرَّجٌ   مِن طَعنِهِم بدَمِ القُلوبِ الآني[1]
يا آلَ عَدنَانَ الذينَ تبَوّأُوا   في المَجدِ كُلَّ مُمَنَّعِ الأرْكانِ
أيديكُمُ أرْيُ العِبَادِ وَشَرْيُهَا ،   وَمَفَاتِحُ الأرْزَاقِ وَالحِرْمانِ[2]
وَإلَيكَ عَطَّ بِيَ الظّلامَ عُذافِرٌ ،   مُتَجَلبِبٌ بالنَّصِّ وَالذّمَلانِ[3]
وَإذا تَرَشّفَهُ السُّرَى في جَرْيِهِ ،   لَفَظَتْ يدَيهِ مكامِنُ الغِيطانِ
وكَأنّ نُوراً مِنكَ عاقَ لحاظَهُ ،   فَأتَاكَ لا يَرْنُو إلى الغُدْرَانِ
كَفَاكَ في اللأوَاءِ يُنقَعُ فيهِمَا   ظَمأُ المَطامعِ ،أوْ صَدا الخِرْصَانِ[4]
في ضُمّرٍ يخرُجنَ من حُلَلِ الدُّجى   كالغُضْفِ خارِجةً منَ الأرْسَانِ[5]
قَدِمَ السّرُورُ بقُدمَةٍ لكَ بشّرَتْ   غُرَرَ العُلى ، وَعَوَاليَ التّيجَانِ[6]
فلَقَتْ ظُبى الأسيافِ منكَ بعَرْجةٍ ،   فيَكادُ يُنهِضُها مِنَ الأجفَانِ
وَأتَى الزّمَانُ مُهَنّئاً يَحدُو بِهِ   غُلُّ المَشُوقِ ، وَغُلّةُ اللّهفَانِ
قَد كانَ هذا الدّهرُ يَلحَظُ جانبي   عَنْ طَرْفِ لَيثٍ ساغِبٍ ظَمآنِ
فالآنَ حينَ قَدِمتَ عُدنَ صُرُوفُهُ   يَرْمُقْنَني بِنَوَاظِرِ الغِزْلانِ

١ مضرج : مخضب . الآني : الحار .
٢ الأري : العسل . الشري : الحنظل .
٣ عط الظلام : شقه . العذافر : الشديد من الإبل . النص والذملان : ضربان من السير .
٤ اللأواء : الشدة .
٥ الغضف : الكلاب المسترخية الآذان .
٦ القدمة : السابقة في الأمر .

يا مُنتَهى الآمالِ بل يا مُحتوِي الـ آجالِ ، بل يا أشجعَ الشّجعانِ
يا أفضلَ الفُضلاءِ بل يا أعلمَ الـ علماءِ ، بل يا أطعنَ الأقْرانِ
يا قائِدَ الجُرْدِ العِتاقِ بهيْبَةٍ ، تُغنيهِ عن لُجُمٍ ، وعن أرْسانِ
يا ضارِبَ الهاماتِ، وهيَ نَوافِرٌ، تَشكُو تَفَرُّقَها إلى الأبْدانِ
يا طاعِناً بالرّمْحِ بِرْعَفُ زُجُّهُ عَلَقاً ، بمَجّةِ عامِلٍ وَسِنانِ
هذي القَوافي واثِقاتٌ أنّها مِن رَحبِ جُودِكَ في أعزّ مكانِ
تاهتْ إليكَ على القَريضِ فرُدّها، بنَداكَ ، تائِهةً على الأزْمانِ

يوم صقيل الوجه

ف بيوت النيران بيوم الشعانين :

وَرُبّ يَوْمٍ صَقيلِ الوَجهِ تَحسَبُهُ مُرَصَّعاً بِجِباهِ الخُرَّدِ العِينِ
أتاكَ يَقتادُ عِيداً في حَقائِبِهِ زادُ السّرُورِ على الطّيرِ المَيامينِ
فالبَسْ جَلابِيبَهُ البِيضَ التي شرُفتْ، واخرُجْ عنِ الصّوْمِ من أثوابِه الجُونِ
إليكَ يَستَنُّ ، والأحشاءُ يَتبَعُها، عن غَربِ فِكرٍ بِغَربِ الشّوقِ مَقرونِ
جاءتْ تُهنّيكَ بالوُدّ الذي عَلِقتْ مِنّا الضّمائرُ لا يَوْمِ الشّعانِينِ

عين مؤرقة

قال رضي الله تعالى عنه في معنى عرض له :

اللّيلُ يَنصُلُ بَيْنَ الحَوْضِ وَالعَطَنِ ، وَالبرْقُ يُسدي بُرُودَ العارِضِ الهَتِنِ[1]
وَالجَفنُ يَفتَرُّ عَن طَرْفٍ صَحبتُ به إنسَانُهُ مُثْقَلُ العِطْفَينِ بالوَسَنِ
في لَيلَةٍ أوْعدَتْ بالبَينِ، فاختَلَستْ مِنَ العُيُونِ بَقَايَا غُبَّرِ الوَسَنِ[2]
حتّى نَظَرْتُ ، وَلي عَينٌ مُؤرَّقَةٌ ، تُقَسّمُ الدّمعَ بَينَ الرَّبعِ وَالظُّعُنِ[3]

قنا آل فهر

قال في معنى آخر :

قَنَا آلِ فِهْرٍ لا قَنَا غَطَفَانِ ، حَمَتْ أهلَهَا مِنْ طارِقِ الحَدَثَانِ
بَني عامرٍ! مَا لي وَللدّهْرِ بَعْدَمَا يُشَتِّتُ بي عَن صَعدَتي وَحِصَاني

١ نصل من الشيء : خرج منه . يسدي،من أسدى الثوب : أقام سداه ، أي ما مد من خيوطه ، وهو خلاف اللحمة .

٢ الغبر : البقايا .

٣ أراد يقسم دمعه بين الربع الخالي وبين الظعن أي الهوادج التي رحلت عن الربع بمن فيها من النساء .

وَقد كُنتُ لا أصْغي إلى السّلمِ ساعةً ، وَأتبَعُ داعي الحَرْبِ أينَ دَعَاني

دَعُوا صَهَوَاتِ الخَيلِ تَدمى وَفرّقوا رِجَالاً عَنِ البَغضَاءِ وَالشّنَآنِ

فَكَمْ صَاحِبٍ تَدمَى عَليّ بَنانُهُ ، وَيُظهِرُ أنّ العِزّ لَثْمُ بَنَاني

يَضُمّ حَشَى البَغضَاءِ عِندَ تَغَيّبي ، وَيَجلُو جَبِينَ الوُدّ حِينَ يَرَاني

مَسَحتُ بحِلمي ضِغنَهُ عَن جَنانِهِ ، فَلَمّا أبَى مَسّحتُهُ بِسِنَاني

ي قَلبَهُ ، فَأصَبتُه ، وَلَوْ لَمْ أُصِبْهُ عَاجِلاً لَرَمَاني

صاحب الجدث

يرثي بعض أصدقائه

يا صَاحِبَ الجَدَثِ الذي نَفَسْتَ بهِ ، فَاسْتَرْجَعَتْهُ بِرُغْمِنَا الأزْمَانُ

نَبْكيكَ لَوْ يُثْنَى بِأدْمُعِنَا الرّدى ، أوْ يَرْعَوِي لبُكَائِنَا الحِدْثَانُ

أنْزِلْتَ أقْرَبَ مَنْزِلٍ مِنّا فَلَمْ بَعُدَ المَدَى وَتَعَذّرَ اللّقيَانُ

لَوْلا هَجِيرُ الدّمعِ ، بل هَجرُ الكَرَى ، دَفَنَتْكَ في أحْشَائِهَا الأجْفَانُ

عنوان البأس

يمدح أباه ويذكر وقعة كانت
له في بني غويث بطريق مكة

بِمَجَالِ عَزْمي يُمْلأُ المَلَوَانِ ، وَتَضلّ فيهِ بَوَائِقُ الأزْمَانِ[1]
عَزْمٌ رَضِيعُ لِبَانِ أطْرَافِ القَنَا ، في حيثُ يَرْضَعُ مِن سجيعِ لَبَانِ
كَمْ من حَشَى خَطْبٍ شَقَقتُ ضَمِيرَهُ ، وَأرَقْتُ في دَمِهِ دَمَ
وَاللّيلُ مُنخَرِقُ القَميصِ عنِ الضّحى ، قَدْ كِدْتُ أرْقَعُهُ بنَقعِ حِصَاني
وكَأنّ أنْجُمَهُ وُجُوهُ خَرَائِدٍ ، سُتِرَتْ مِنَ القَسطَالِ بالأرْدانِ[2]
وَخَرَجْتُ عَن أعجازِهِ مِنْ بَعدِ ما جَذَبَ النّعَاسُ عَمَائِمَ الرّكْبَانِ
في مَهمَهٍ صَقَلَ المُحُولُ مُتُونَهُ ، لَمْ يَصْدَ قَطُّ بِوَابِلٍ هتّانِ[3]
أرْضٌ حَصَانٌ مِنْ مُلامَسَةِ الحَيَا ، وَالأرْضُ تَحمَدُ منهُ غَيرَ حَصَانِ
ثمّ ارتَمَتْ بالغَيثِ فيهِ غَمَامَةٌ . وَسَقَتْ غَليلَ الجَدْبِ بالتّهتَانِ
فطَوَى الحَيا بُرْدَ النّحولِ وَنَشّرَتْ رِمَمُ الصّعيدِ غَدائِرَ الأغْصَانِ
وَكَأنّ أنْفَاسَ الصَّبَا في حُجْرِهَا ، يَسفَحنَ دَمْعَ المُزْنِ في الحُجْرَانِ[4]

١ الملوان : الليل والنهار .
٢ القسطال : الغبار الساطع .
٣ قوله : لم يصد ، لعله من الصدى أي ما يرده الجبل على المصوت لا من الصدى العطش . فيكون المعنى أن هذه المفازة الماحلة لم يتردد فيها صوت وقع المطر .
٤ حجرها : كنفها . الحجران : الأراضي المرتفعة ووسطها منخفض .

دَمعاً ، إذا ما فَاضَ صَوّرَ أعيُناً ، حَيثُ استَقَرّ بِهِ مِنَ الغُدْرَانِ
وَتُرِيكَ مِنْ أوْرَاقِهِنّ أهِلّةً ، تَحتَ الغَزَالَةِ ، شُرَّدَ الغِزْلانِ[1]
وَلَكَم عقَدتُ عُرَى الخِطابِ بِخُطبَةٍ حلّتْ بِفَيْصَلِها عُرَى الحِدْثانِ
لي هِمّةٌ أقْطَعْتُهَا قِصَدَ القَنَا ، في قَصْدِ يَوْمَيْ مَعرَكٍ وَرِهَانِ
لَوْ حَارَبَتْ أُفْقَ السّمَاءِ لفَرّقَتْ بَيْنَ الثّرَيّا فِيهِ وَالدَّبَرَانِ
عنوَانُ بَأسِي أنْ يَصُولَ مُهَنّدي، وَرَدَى عَدُوّي أن يَطولَ لِسَاني
لا تَجْمَعَنّي وَالزّمَانَ ، فَإنّهُ عَوْدٌ يَحُكّ جِرَانَهُ بِجِرَاني
إنّي لألْحَظُ ذا الأنَامَ مُجَانِباً عَنْ مُقْلَةٍ وَحْشِيّةِ الإنْسَانِ
أسْطُو بجَأشٍ فَتًى يُفَرّقُ سَيفُهُ جَيشَ الحِمامِ ، إذا التَقى الجَمعانِ[2]
مِنْ آلِ عَدْنَانَ الّذينَ كَفَاهُمُ أنّ ابنَ مُوسَى مِنْ بَني عَدْنَانِ
النّازِلِينَ ، إذا تَقَارَعَتِ القَنَا ، وَالبِيضُ خَارِجَةٌ عَنِ الأجْفَانِ
يَحشُونَ أحْشاءَ الوِفاضِ ،إذا هم احـ تَزَموا بفَضْلِ ذَوائبِ الشّجعانِ[3]
لَبِسوا العَمائمَ ، مُذ رَأوْا أسيافَهم أبَداً تُذِلّ مَعَاقِدَ التّيجَانِ
وَإذا الحُسَيْنُ دَعَاهُمُ بِجِيَادِهِمْ حُشِدَتْ إلَيْهِ مُصِرّةَ الآذَانِ
مُتَوَاتِرَاتٍ في الطّلُوعِ مُغِيرَةً لَفْظَ السّوَاغِبِ من نَوَى قُرّانِ[4]

١ تحت الغزالة : تحت الشمس .
٢ الجأش : نفس الإنسان .
٣ الوفاض ، الواحدة وفضة : الخريطة يحمل فيها الراعي أداته وزاده .
٤ السواغب : الجياع . قران : قرية باليمامة .

لَيثٌ بهِ سَفَكَ الطّعانُ دَمَ القَنا بدِماءِ أهْلِ الشّرْكِ وَالطّغْيَانِ
لمّا فَزِعْنَ مِنَ التّحَطّمِ في الطُّلَى، جَعَلَ القُلُوبَ تَمَائِمَ الخِرْصَانِ
لَوْلاهُ مَا طُبِعَتْ ظُبًى لتَقَارُعٍ ، أبَداً ، وَلا قُطِعَتْ قَناً لِطِعَانِ
للهِ يَوْمُكَ في غُوَيْثٍ إنّهُ يَوْمٌ بِهِ يُشْجَى بَنُو غَيْلانِ
بالحِصْنِ ،إذ دَعَتِ القَنا خِرْصَانَها، وَتَحَصّنَتْ في أنْفُسِ الفُرْسَانِ[1]
غاضَتْ مِياهُ وُجوهِهِم خَوْفَ الرّدى، فَكَأنّهَا فَاضَتْ إلى الأجْفَانِ
صَبّحْتَهُمْ بِيَدٍ تُطَوِّحُ بالظُّبَى، وَيَدٍ تَدُقّ عَوَاليَ المُرّانِ
لُدْناً تَهُزّ طَعينَهَا ، فَتَخَالُهُ في الطّعْنِ وَثّاباً إلى الأقْرَانِ
قَطّعْتَ أنْفَاسَ الحِمَامِ بِجَرْيِها، حتّى كَبَا في الهَامِ وَالأبْدانِ
فَكَأنّمَا الأرْمَاحُ ضَلّتْ في الوَغى، حتّى انثَنَتْ تَستافُ كلّ جَنَانِ
وَالخَيلُ تَعثُرُ بَينَ أطرافِ القَنَا ، مَصْبُوغَةً بِدَمِ القُلُوبِ الآني
سَتَرَ السّهَامُ فُرُوجَهَا، فَكَأنّما دَرَعَتْ إلَيكَ مَدارِعَ الظُّلمانِ
لَوْ أنّ أنْفَاسَ الرّياحِ تَصَاعَدَتْ في نَقْعِهِا طَارَتْ مَعَ العِقْبَانِ
خُضْتَ الظّلامَ إلَيْهِمُ بِسَنَابِكٍ خاضَتْ قُلُوبَ مَوَاقِدِ النّيرانِ
وَفَرَيْتَ وَفْرَةَ لَيلِهِمْ بصَوَارِمٍ وَصَلَتْ عُرَى الإصْباحِ باللّمَعَانِ
حَسَرَ الدُّجى فنَصَبتَ أعناقَ العِدا قُبَلاً لِنَيْلِ رَوَاكِعِ الشّرْيَانِ
فترَكتَهُمْ صَرْعَى بِكُلّ مَفَازَةٍ ، وَكَأنّمَا صُعِقُوا عَلى الأذْقَانِ

١ الخرصان ، الواحد خرص : حلقة تطيف بسنان الرمح .

تُخْفي النّسُورُ بِزَفْها أجْسادَهُمْ … عَنْ نَاظِرِ الرِّيبَالِ وَالسِّرْحَانِ
نَبَشَتْ مَنَاسِرُها الجِراحَ ، كَأنَّها … بالتّنْبيشِ تَسبُرُ وَقْعَ كُلّ سِنَانِ[1]
حتّى رَجَعتَ بفِتْيَةٍ قَصَفُوا القَنا ، … وَرَمَوْا بِكُلّ حَنِيّةٍ مِرْنَانِ
لَوْ أمكَنُوا وَصَلُوا بكُلّ مُثَقَّفٍ … يَسِمُ الطُّلَى في الطّعنِ ، كلَّ بَنَانِ
أُسدٌ بَرَى الإسآدُ نَحضَ جِيادِهم … بالكَرّ وَالتّضْرابِ وَالتّطْعانِ[2]
لوْ عُقّدَتْ بعضاً ببَعضٍ في السُّرَى ، … كَانَتْ لَهُ بَدَلاً مِنَ الأرْسَانِ
يَهْنِي بَني عَدْنَانَ وَقعتَكَ التي … جَذَبَتْ بضَبْعِ الدّينِ وَالإيمَانِ
لَوْ لمْ تُحَلّ طُلَى الأعادي عَقّدُوا … بعُرَى القُلُوبِ سَبَائِبَ الأحزَانِ
قُدْهَا ، فَغُرّتُها مِنَ الكَلِمِ الجَنَي ، … وَحُجُولُهَا مِنْ صَنعَةٍ وَمَعَانِ[3]
هيَ نُطفَةٌ رَقرَقتُها مِنْ خاطِرِي ، … بَيْضَاءُ تَنْقَعُ غُلّةَ الظّمْآنِ

١ نبشت : نبشت . مناسرها : مناقيرها ، والمنسر للطير الجارح كالمنقار لغير الجارح . السبر : امتحان غور الجرح .

٢ الإسآد : سير الليل كله . النحض : اللحم .

٣ قدها : هكذا في الأصل ولعلها خذها والضمير للقصيدة .

السيوف عمائم الشجعان

يمدح الخليفة الطائع لله سنة ٣٧٨ ويشكره على مواصلته بره ويذكر ناراً وقعت في بعض دوره :

لَوْنُ الشّبيبةِ أنصَلُ الألْوَانِ ، وَالشّيبُ جُلٌّ عَمَائِمِ الفِتْيانِ
نَبتٌ بأعلَى الرّأسِ يَرْعاهُ الرّدى، رَعْيَ المَطِيّ مَنابِتَ الغيطانِ
الشّيبُ أحسَنُ ، غَيرَ أنّ غَضَارَةً للمرْءِ في وَرَقِ الشّبَابِ الآني[1]
وَكَذا بَيَاضُ النّاظِرَينِ ، وَإنّما بِسَوَادِهَا تَتَأمّلُ العَيْنَانِ
لَهْفي عَلَى زَمَنٍ مضَى ، وَكأنّني مِنْ بَعدِهِ كَلٌّ عَلَى الأزْمَانِ[2]
أفنَيْتُهُ طَاغِيَ العُرَامِ ، كأنّمَا في أُمّ رَأسِي نَخوَةُ السّكرَانِ[3]
يَرْجو الفتَى خُلَسَ البَقاءِ ،وَإنّما جَارَا حَيَاةِ العُمْرِ مُفْتَرِقَانِ
مُتَعَرِّضٌ إمّا لِلَوْنٍ حَائِلٍ بَينَ الذّوَائِبِ ، أوْ لعُمْرٍ فَانِ
مَا لي وَما للدّهرِ قَلقَلَ صَرْفُهُ عَزْمي ، وَقَطّعَ بَينَهُ أقرَاني
وَرَمَى بشَخصِي حرَّ كلّ مَفازَةٍ : لا يَستَقِلُّ بِهَا مَطيٌّ جَبَانِ
مُتَغَرِّباً لا أسْتَجِيرُ بِمَنْزِلٍ ، فإذا نَزَلْتُ ، فعَقلَةُ الضِّيفَانِ[4]

١ الآني ، من أنى : حان ، وأدرك .
٢ الكل : العيال .
٣ العرام : الشراسة والأذى .
٤ أراد بعقلة الضيفان : المدة التي يعقل فيها الضيف دابته

سَيفي رَفيقي في البِلادِ ، وَهِمّتي مُتَعَلّلي ، وَجَوَانحي خُلاّني
يَشكُو الحَبيبُ إليّ شِدّةَ شَوْقِه ، وَأنا المَشُوقُ ، وَما يَبِينُ جَنَاني
وَإذا هَمَمتُ بمَنْ أُحبّ أمَالَني حَصَرٌ يَعُوقُ وَعِفّةٌ تَنْهَاني
لله مَا أغضَتْ عَلَيْهِ جَوَانحي ، وَالشّوْقُ تحتَ حِجابِ قَلبيَ عَانِ
مَا مَرّ بَرْقٌ في فُرُوجِ غَمَامَةٍ ، إلاّ وَأعْدَى القَلْبَ بالخَفَقَانِ
وَإذا تحَرّكَتِ الرّيَاحُ تَحَرّكَتْ بَينَ الضّلُوعِ غَوَامِضُ الأشجانِ
أجمَمتُ لحظي عِفّةً وَسَجِيّةً ، أنْ لا أجُمّ البيضَ في الأجفَانِ [1]
غَيرَانُ دونَ العِرْضِ لا أسخُو به ، وَالعِرْضُ خَيرُ عَقيلَةِ الإنْسَانِ
وَأذُودُ عَن سَمعي المَلامَ كأنّهُ عُضْوٌ أخافُ عَلَيهِ حَدّ سِنَانِ
لي يَقظَةُ الذّئبِ الخَبيثِ ، فإن جرَى سَفَهٌ ، فعِندي نَوْمَةُ الظَّرِبَانِ [2]
حَدَثٌ على الأحبابِ لا أشكو الذي يَشكُو ، وَلا أنسَى الذي يَنسَاني
أشكُو النّوَائبَ ، ثمّ أشكُرُ فِعلَها ، لعَظيمِ مَا ألْقَى مِنَ الخُلاّنِ
وَإذا أمِنْتَ مِنَ الزّمانِ ، فلا تكُنْ إلاّ عَلى حَذَرٍ مِنَ الإخْوَانِ
كَمْ مِنْ أخٍ تَدعوهُ عندَ مُلِمّةٍ فيكُونُ أعظَمَ مِنْ يَدِ الحِدثانِ
لَوْلا يَقِينُ القَلْبِ أنّكَ حَبسُهُ ، لعَصَى وَهَمّ عَلَيكَ بالعُدْوَانِ
كَمْ عَمّمَتْني بالظّلامِ مَطِيّةٌ بَعدَ اعوِجاجِ عَمائِمِ الرّكْبَانِ
وَاللّيلُ أعمَى دونَ كلّ ثَنِيّةٍ ، وَالدّهرُ غَيرُ مُغَمِّضِ الأجفَانِ

١ أجممت : تركت .
٢ الظربان : دويبة كالهرة منتنة الرائحه

وَكَأنَّ أنْجُمَهُ أسِنّةُ فَيلَقٍ طَلَعَتْ بهَا صُمُّ الكُعوبِ دَوَاني
بَطَلٌ يُعَمَّمُ بالحُسامِ من الأذى ؛ إنّ السّيُوفَ عَمَائِمُ الشّجْعَانِ
قَطَعَ الهُوَيْنَا ، وَاستَمَرّ ، وَإنّما بَعضُ التّوَكّلِ في الأمُورِ تَوَانِ
مَيتٌ يَهونُ على الفَوَارِسِ فَقدُهُ ، مَنْ لا يُرِقُّ عَوَاليَ المُرّانِ
ما ضَاقَ هَمّاً كالشّجاعِ ،ولا خلا بِمَسَرّةٍ ، كَالعَاجِزِ المُتَوَاني
يا رَاكِبَ الهَوْجاءِ تَغترِفُ الخُطى ، طَلَقَ الظّليمِ ، وَغايَةَ السِّرْحانِ
أبْلِغْ أميرَ المُؤمِنِينَ رِسَالَةً ، رَوْعَاءَ ، نَافِرَةً عَنِ الأقْرَانِ
أجزَلْتَ عَارِفَتي وَعَوّدْتَ العَطا عَقِبِي ، وَوَلّيْتَ اليَرَاعَ بَنَاني
ما ضَرّني أنْ لوْ بَعِدتُ عن الغِنى أبَداً ، وَأنّي مِنْ لِقَائِكَ دانِ
وَيَسُرّني أنْ لا يَرَاني داثِلٌ ، وَمُعَظَّمٌ يَوْماً ، وَأنْتَ تَرَاني
ذِكرَاكَ آخِرُ ما يُفارِقُ خاطِري ، وَنَدَاكَ أوّلُ وَارِدٍ يَلْقَاني
وَإذا حطَطتُ علَيكَ أقسَمتِ المُنى أنْ لا أُمِيلَ ذَوَائِبَ الكِيرَانِ[1]
وَتَرَكتُ أيدي العِيسِ غيرَ مَرُوعَةٍ مِنْ صَفْصَفٍ مُتَعَرّضٍ وَرِعَانِ
وَإذا الفَتَى بَلَغَ المُنى من دَهرِهِ ، عافَ المَسِيرَ ، وَلَذّ بالأوْطَانِ
أنتَ المُعِينُ على مآرِبَ جَمّةٍ ، وَجِمَاحِ حَادِثَةٍ وَرَيبِ زَمَانِ
وَالمُستَجارُ ، إذا تَصَافحَتِ القَنَا بصُدُورِها ، وَالتَفّتِ الفِئَتَانِ
مُتَيَقّظٌ لا القَلْبُ يَفتُرُ هَمُّهُ يَوْماً ، وَلا الجَفنَانِ يَنعَقِدانِ
وَكَأنّمَا صَرْفُ الزّمانِ أعَارَهُ عَيْنَيْ قَطَاميٍّ برَأسِ قِنَانِ

[1] الكيران ، الواحد كور : الرحل .

لا يَصْحَبُ الأيّامَ إلاّ رَاغِباً في وَصْلَتي ، أوْ سائِلاً عَن شَاني
في كُلّ يَوْمٍ يَستَثيرُ عَجاجَةً ، هوْجاءَ ، رَاغِبَةً على القِيعَانِ[1]
في فَيلَقٍ تَعمَى الغزَالَةُ دُونَهُ ، وَتَكُوسُ خابِطَةً بغَيرِ طِعَانِ[2]
مُتَضَايِقٍ غَصّتْ بِهِ فِيحُ الفَلا ، ضِيقَ القَلائِدِ في رِقابِ غَوَانِ
وَفَوَارِساً يتَسَمّعونَ إلى العُلَى ، نَغَمَاتِ كُلّ حَنِيّةٍ مِرْنَانِ
مَشَقوا بأطرَافِ القَنا قِممَ العِدا ؛ إنّ الرّمَاحَ مَخَاصِرُ الفرْسَانِ
وَإذا الغُبَارُ نَهى العُيونَ تَدافَعُوا في الرّوْعِ وَاتّكَلُوا على الآذانِ
أُسْدٌ كأنّ على سَنابِكِ خَيلِهم ، يَوْمَ اللّقَاءِ ، مُسِفّةَ العِقْبَانِ
تُرْعَى الجَماجِمُ وَالجَميمُ إزَاءها ، وَدَمُ الطُّلَى بَدَلاً مِنَ الغُدرَانِ
لوْ شِئْتَ شَتّتّتِ الثّرَيّا شَمْلَها جزَعاً ، وَهَمّ النّسْرُ بالطّيَرَانِ
لَيسَ الحَمائمُ بالبِطاحِ ، وَحُجرُها بِأعَزّ مِمّا نِلْتَهُ بِأمَانِ
عَجَباً لِنَارٍ جَاوَرَتكَ خَديعَةً في أيّ نَاحِيَةٍ وَأيّ مَغَاني
ما كانَ ذا إلاّ تَخَمُّطَ غَارَةٍ ، بُدّلتَ مِنْ هَبَوَاتِهَا بِدُخَانِ[3]
ما ضَرّ لَيثَ الغَابِ نَارٌ أُضرِمَتْ في غَابِهِ ، وَنَجَا بغَيرِ هَوَانِ
وَمَتَى تُهَضِّمَ ضَيغَمٌ ، وَتَوَلّعتْ بحَيَا الغُيوثِ أنَامِلُ النّيرَانِ
وَأنَا ابنُ عَمّكَ ما يَسوءكَ يَسوءُني عُمرَ الزّمانِ ، وَمَن رَمَاكَ رَمَاني

١ القيعان ، الواحد قاع : أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والآكام .
٢ الغزالة : الشمس ، وعماها أن غباره يسترها . تكوس : تمشي على ثلاث قوائم
٣ التخمط : الالتطام . الهبوات ، الواحدة هبوة : الغبرة .

ماذا، فليس بضائري أن لم أكن … لك جار بيت، أو رضيع لبان
ولأنت حسرة ذي الحمول وما درى … أن الثريا حسرة الدبران
أنا حرب ضدك فارضني حرباً له، … وارض السنان مصمماً لطعان
وكفاك شكري أن برك ظاهر … عندي وما يخفى على الأعيان
وإذا سكت، فإن أنطق من فمي … عني فم المعروف والإحسان
فاكفف سماحك وان من غلوائه؛ … إن الغنى في بعض ما أعطاني
فليشكرنك ما شكرتك غالب، … وذوائب الآباء من عدنان
ما مات من كثر الثناء وراءه؛ … إن المذمم ميت الحيوان
هذا الإمام يذودني عن وجهه، … ويسومني لقيا ذوي الشنآن
متكلفاً أقتات بشر معاشر، … لهم إلي تشازر الغيران
تتناتج الأحقاد بين ضلوعهم، … ويزملون أجنة الأضغان
وأنا الفقير، على غزارة جوده، … فإذا أراد بي الغنى أدناني
لم آل جهداً في الثناء، وإنما … غطى بعرض نداه طول لساني
طمع المعادي أن يقربه، ومن … صافى عدواً لي، فقد عاداني
طلب العلى، وأبوه غير مهذب … بين الورى والأم غير حصان
ولأنت أولى أن تربّ صنائعاً، … كثرت بهن مطامع وأماني
وإذا بقيت فقد شفيت من العدا … قلبي، وأعطيت الأمان زماني

قوم كثيرو الألوان

قال أيضاً ، وكان بينه وبين الخليفة الطائع لله من المودة والاختلاط ما هو مشهور فاستمال بعض أعدائه ببذل المال فمال إليه فغاظه ذلك فقال هذه الأبيات وهي :

وَنَمَى إليَّ مِنَ العَجائبِ أنَّهُ   لَعِبَتْ بعَقْلِكَ حيلَةُ الخَوّانِ
وَتَملَّكَتكَ خَديعَةٌ من قَوْلَةٍ ،   غَرّارَةِ الأقْسَامِ وَالأيْمَانِ
حقّاً سَمعتُ، وَرُبَّ عَيْنٍ نَاظِرٍ   يَقِظٍ تَقُومُ مَقامَهَا الأُذُنَانِ
أينَ الذي أضْمَرْتَهُ مِنْ بُغْضِهِ ،   وَعَقَدْتَهُ بالسّرّ وَالإعْلانِ
أمْ أينَ ذاكَ الرّأيُ في إبْعَادِهِ ،   حَنَقاً، وَأينَ حَمِيّةُ الغَضْبَانِ
سُبحانَ خالقِ كلِّ شيءٍ مُعجِبٍ،   ما فيكُمُ مِنْ كَثْرَةِ الألْوَانِ
يَوْمٌ لِذا ، وَغَدٌ لذاكَ ، وَهذهِ   شِيَمٌ مُقَطِّعَةٌ قُوَى الأقرَانِ
فالآنَ مِنكَ اليَأسِ يَنقَعُ غُلّتي ،   وَاليَأسُ يَقطَعُ غُلّةَ الظمْآنِ
فاذهَبْ كما ذهبَ الغَمامُ رَجَوْتُه،   فطَوَى البُرُوقَ، وَضَنّ بالهَتّانِ
أوَبَعدَ أن أدمى مَديحُكَ خاطري   بصِقالِ لَفْظٍ، أوْ طِلابِ مَعَاني
لا بارَكَ الرّحمَنُ في مَالٍ بِهِ   يُعدَى البَعيدُ عَلى القريبِ الدّاني
لي مِثلُ مُلكِكَ لوْ أطَعتُ تَقَنُّعي ،   وَذوُو العَمائِمِ مِن ذوِي التّيجانِ
وَلَعَلّ حَالي أنْ يَصيرَ إلى عُلًى ،   فالدّوْحُ مَنْبِتُهَا مِنَ القُضْبَانِ
فاحذَرْ عَوَاقِبَ ما جَنَيتَ فرُبّما   رَمَت الجنايةُ عُرْضَ قَلبِ الجاني

أعطَيتُكَ الرّأيَ الصّريحَ ، وَغيرُهُ تَنسابُ رَغْوَتُهُ بِغَيرِ بَيَانِ
وَعرَضْتُ نُصْحي ، وَالقَبولُ إجازَةٌ ، فإذا أبَيتَ لوَيتُ عَنكَ عِنَاني
وَلقَد يَطولُ علَيكَ أن أُصغي إلى ذِكرَاكَ ، أوْ يُثْني عَلَيكَ لِسَاني

قليل من رضاك

وقال رحمه الله تعالى في الشيب ويذكر غرضاً :

أيَا جَبَلَيْ نَجدٍ أبِينَا ، سُقيتُما : متى زَالَتِ الأظعانُ ، يا جَبَلانِ
أُناديكُما شَوْقاً ، وَأعْلَمُ أنّهُ ، وَإنْ طالَ رَجعُ القَوْلِ ، لا تَعيَانِ
أقُولُ ، وَقَدْ مَدّ الظّلامُ رِوَاقَهُ ، وَألقَى عَلى هَامِ الرُّبَى بِجِرَانِ
نَشَدتُكُما أنْ تُضْمِرَانيَ ساعةً ، لَعَلّي أرَى النّارَ التي تَرَيَانِ
وَألقَى ، على بُعدٍ من الدّارِ ، نَفحةً تذُمّ عَلى عَيني مِنَ الهَمَلانِ[1]
قِفا صَاحِبيّ اليَوْمَ أسألُ ساعَةً ، وَلا تُرْجِعَا سَمعي بغَيرِ بَيَانِ
هلِ الرَّبعُ بَعدَ الظّاعنِينَ كعَهدِهِ ، وَهَلْ رَاجِعٌ فيهِ عَليّ زَمَاني
وَهل مسّ ذاكَ الشِّيحَ عِرْنينُ ناشق ، وَهَلْ ذاقَ مَاءً باللّوَى شَفَتَانِ
لقدْ غَدَرَ الأظعانُ يوْمَ سُوَيقَةٍ ، وَيَدْمَى لذِكرِ الغادِرِينَ بَنَاني[2]

١ تذم : تأخذ الذمة . الهملان : السيلان .
٢ سويقة : موضع ببطن مكة ، وبنواحي المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب .

وَلا عجَبٌ، قلبي ، كما هُنَّ ، غادرٌ ، عَلى أنّ أضْلاعي علَيهِ حوَاني
لكَ اللهُ هل بعدَ الصّدودِ تعَطّفٌ ؛ وَهَل بَعدَ رَيعانِ البعادِ تَداني
وَما غرَضِي أنّي أسُومُكَ خُطّةً ، كَفَاني قَلِيلٌ مِن رِضَاكَ كَفَاني
وَعاذِلَةٍ قُرْطٌ لأُذْنيَ عَذْلُهَا ، تَلُومُ ، وَمَا لي بالسّلُوّ يَدانِ
أعاذلَتي ، لوْ أنّ قَلبَكِ كانَ لي ، سلَوْتُ ، وَلكِنْ غيرُ قَلبِكِ عاني
ألا لَيتَ لي مِنْ ماءِ يَبرِينَ شَرْبَةً ألَذّ لقَلبي مِنْ غَرِيضِ لِبَانِ
أُداوِي بهَا قَلباً على النّأيِ لم تَدَعْ بهِ فتَكاتُ الشّوْقِ غيرَ حنَانِ
وَلَوْلا الجَوَى لمْ أبغِ إلاّ مُدامَةً ، بطَعْنِ القَنَا ، إبرِيقُها الوَدَجانِ[1]
إذا سَكِرَ العَسّالُ مِنْ قَطَرَاتِها ، سَقَيْتُ حُمَيّاها أغَرّ يَمَاني
وَلي أمَلٌ لا بُدّ أحمِلُ عِبئَهُ ، على الجُرْدِ من خَيفانةٍ وَحِصَانِ[2]
وَكُلّ رَعُودِ الشّفْرَتَينِ ، كأنّهُ سنَى البَرْقِ إمّا جَدّ في اللّمَعانِ
وَأسمَرَ هَزْهازِ الكُعوبِ ، كأنّهُ قَرَا الذّئبِ مجبولٌ على العَسَلانِ
فإنْ أنا لم أرْكَبْ عَظيماً فلا مضَى حُسَامي وَلا رَوّى الطّعانَ سِنَاني

١ الودجان ، الواحد ودج : عرق في العنق ينتفخ عند الغضب
٢ الخيفانة : الجرادة شبهت بها الفرس في خفتها .

الامر امرك

ولما أنشد الطائع بالله قصيدته المتقدمة في حرف الميم التي مطلعها « متى أنا قائم أعلى مقام إلخ » وعرضت عليه صادفت منه قلباً مؤثراً لتعجيل ما سئل فيها ورأياً موافقاً لإنجاز ما ينجزه، فأمره بمسيره إلى داره فسار إليها في يوم الخميس لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ٣٨٠ وقعد له أمير المؤمنين قعوداً خاصاً، وأوصله وأدناه، وأخذهما إليه ، ولقيه في ثياب بيض فبش به وهش له . وكانت الخلع السود قد أعدت له ، فعدل به إلى موضع من الدار قريب من مجلسه ، وهو بمرأى منه ، فجلبيت عليه ، وبقي قميص مصمت وطيلسان قصب وعمامة خز ، ثم أعيد إلى حضرته ، فزاد في إعظامه وتناهى في إكرامه ورتبه في رتبة أبيه ، وهي أجل المراتب في مجلسه ، وأدناها من سريره ومقعده ، ثم انصرف وقد حملت معه طبقة أخرى للتكرمة لأن الأولى كانت لتقليد النقابة ، وهي عمامة خز سوداء ، ودراعة خز دكناء ، وقميص مشطي أبيض وقميص ستري أبيض من ثياب بدنه ، فقال هذه القصيدة يشكره على تتابع إنعامه وتواتر إحسانه ويهنئه بعيد الفطر من هذه السنة ، وكان كاتبه أبو الحسن علي بن الحاجب بن النعمان المتولي لإنشادها ، وهي هذه :

الآنَ أعربَتِ الظّنُونُ ، ... وَعَلا عَلى الشّكّ اليَقينْ
وَارْتاحَتِ الآمَالُ في ... أطْرَافِهَا جَذَلٌ وَلِينْ
مِنْ غُمّةٍ كَاللّيْلِ شَا ... بَ لهَا الذّوَائبُ وَالقُرُونُ
وَاليَوْمَ بَانَ لِنَاظِرِي ... مَا أثْمَرَتْ تِلْكَ الغُصُونُ
وَتَمَطّتِ العُشَرَاءُ نَا ... هِضَةً ، وَقد عُلِمَ الجَنينُ
ألآنَ لَمّا امتَدّ بي ... طوبَى وَأصْحبَ لي القَرِينْ
وَعَضَضْتُ مِنْ نَابي عَلى ... جِذْمٍ وَنَجّذَني الشّؤونُ[1]

الجذم : الأصل . نجذني : أحكمني . الشؤون ، الواحد شأن : الأمر .

أُغْضِي عَلى خِدَعِ النّوَا ئِبِ أوْ تُظَنّ بيَ الظّنُونُ
وَعلى أميرِ المُؤمِنيـ نَ لِمَوْئِلي جبَلٌ حَصِينُ
إنْتَاشَني شِلْوَ النّوَا زِلِ ، وَالنّوَائِبُ لي شُجونُ
وَسطا بِأيّامي ، فَقَدْ جُعِلَتْ عَرَائِكُها تَلِينُ
وَأضَاءَ لي زَمَني ، وَأ يّامُ الفَتى بِيضٌ وَجُونُ
مُلكاً بَني العَبّاسِ ، فالرّا جي مَقَامَكُمُ غَبِينُ
أنْتُم لهَا إنْ هَابَ خِـ طَتَهَا جَبَانٌ ، أوْ ظَنِينُ
مَا فيكُمُ إلاّ ألَـ دُّ عَلى عَظَائِمِهَا مَرُونُ
حتّى يَزُولَ فُحُولُهَا منكُم وَقَد دانُوا وَدِينُوا
عَكَفُوا على العَلْيَاءِ مَا فيهِمْ عَلى مَجْدٍ ضَنِينُ
يَنفُونَ شَائِبَهَا ، كَمَا عكفتْ على البِيضِ القُيُونُ[1]
لَهُمُ الجِيَادُ مُغِذّةً ، يَنْتَابُهَا الحَرْبُ الزّبُونُ[2]
وَقَنِيصُها لَهُمُ قِرًى ، وَظُهُورُها لَهُمُ حُصُونُ
مُعتَادَةٌ شُرْبَ الدّمَا ءِ ، وَعندَها المَاءُ المَعِينُ
غَضْبَى ، إذا لَمْ يَلقَ أعْ يُنَهَا ضَرِيبٌ أوْ طَعِينُ
يا مَنْ لَهُ الرّأيُ الزّنِيـ قُ ،وَمَن لهُ الحِلمُ الرّزِينُ[3]

1 البيض : السيوف . القيون : الحدادون .
2 الحرب الزبون : التي يزبن أي يدفع بعضها بعضاً .
3 الزنيق : المحكم .

وَمُرَوِّحَ الإبْلِ الطّـلا ... حِ رَمتْ بِهِنّ نوًى شَطونُ[1]

مِنْ بَعْدِ مَا خَشَعتْ غَوَا ... رِبُها وَقد قَلِقَ الوَضِينُ

لَكَ ذُرْوَةُ البَيْتِ المُعَـ ... ـظّمِ ، وَالأباطحُ وَالحَجونُ[2]

أتُرَى أمِينُ اللهِ إ ... لاّ مَنْ لَهُ البَلَدُ الأمينُ

للهِ دَرُّكَ حَيْثُ لا ... تَسْطُو الشّمالُ وَلا اليَمينُ

وَالأمْرُ أمْرُكَ لا فَمٌ ... يُوحي ، وَلا قَوْلٌ يُبِينُ

لَمّا رَأيْتُكَ في مَقَا ... مٍ يُستَطَارُ بِهِ الرّكِينُ

وَاليَوْمُ أبْلَجُ تَستَضِي ... ءُ لَهُ ظُهُورٌ ، أوْ بُطُونُ

وَرَأيتُ لَيثَ الغَابِ مُعْـ ... ـتَرِضاً ، لَهُ الدّنْيَا عَرِينُ

أقْدَمْتُ إقْدامَ الّذِي ... يَدْنُو ، وَشَافِعُهُ مَكِينُ

فَلِذاكَ مَا ارْتَعَدَ الجَنَا ... نُ حَياً وَلا عَرِقَ الجَبِينُ

وَسَمَتْ بِفَضْلِكَ غُرّةٌ ... تُغضِي لِهَيبَتِهَا الجُفُونُ

وَامتَدّ مِنْ نُورِ النّبِـ ... ـيِّ عَلَيكَ عُنوَانٌ مُبِينُ

وَجَمالُ وَجْهِكَ لي بِنَيْـ ... ـلِ جَمِيعِ مَا أرْجُو ضَمِينُ

فَأُفيضَتِ الخِلَعُ السّوَا ... دُ عَليّ تَرْشُقُهَا العُيُونُ

شَرَفٌ خُصِصْتُ بِهِ وَقَدْ ... دَرَجَتْ بغُصّتِهِ القُرُونُ

وَخَرَجْتُ أسحَبُهَا وَلي ... فَوْقَ العُلى، وَالنّجمُ دونُ

[1] الطلاح : المهازيل . الشطون : البعيدة .

[2] الأباطح : أي بطاح مكة . الحجون : جبل بمعلاة مكة .

جَذِلاً ، وَللحُسّادِ مِنْ أسَفٍ زَفيرٌ ، أوْ أنينُ
وَحَمَلْتُ مِنْ نُعْمَاكَ مَا لا تَحمِلُ الأُجدُ الأمونُ[1]
وَكَفَفْتَني عَنْ مَعْشَرٍ خُطَطُ المُنى فيهم حُزُونُ
مِنْ كُلّ جَهْمِ الصّفْحَتَيْنِ كأنّ وَجنَتَهُ وَجِينُ[2]
هَنّاكَ عِيدُكَ ، سَعدُهُ ما كانَ منهُ وَمَا يَكُونُ
وَالعيدُ أنْ تَبْقَى لَكَ العَلْيَاءُ ، وَالحَسَبُ المَصُونُ
عِزٌّ بِلا كَدَرٍ مِنَ الدّنْيَا ، وَبَعضُ العِزّ هُونُ
وَأرَى العُلى جَدّاءَ ، إلاّ أنّهَا لَكُمُ لَبُونُ[3]
حَمْداً لما تُولي فإنّ الحَمْدَ للنّعْمَاءِ دِينُ
وَبَقِيتَ طُولَ الدّهْرِ لا يَجتاحُكَ الأجَلُ الحَؤونُ
وَعَليّ مَنُّكَ ضَافياً ، وَعَلى أعَاديكَ المَنُونُ

١ الأجد : الناقة القوية . الأمون : الموثقة الخلق .
٢ الوجين : الأرض الغليظة .
٣ الجداء : الصغيرة الثدي الذاهبة اللبن . اللبون : ذات اللبن .

علق ثمين

قال وقد سأله بعض الناس عمل أبيات
على لسانه يرثي بها حميماً له توفي

أَلا مُخبِرٌ ، فيما يَقُولُ ، جَلِيّةً يُزِيلُ بِهَا الشّكَّ المُرِيبَ يَقِينُ
أُسائِلُهُ عَنْ غَائِبٍ كيفَ حالُهُ ، وَمَنْ نَزَلَ الغَبرَاءَ كَيفَ يَكونُ
وَما كُنتُ أَخشَى مِنْ زَمانيَ أنّني أرِقُّ عَلى ضَرّائِهِ وَأَلِينُ
إلى أنْ رَمَاني بالّتي لا شوى لَهَا ، فأعقَبَ مِن بَعدِ الرّنِينِ أنِينُ[1]
مُعِيني عَلَى الأيّامِ فَجّعتَنّي بِهِ ، فَمَا لي عَلَى أحداثِهِنّ مُعِينُ
غَلَبنَ على عِلقي النّفيسِ فحُزْنَه ، وَفارَقَنِي عِلقٌ عَليّ ثَمينُ[2]
سمَحتُ بهِ إذ لمْ أجِدْ عنهُ مَدفعاً ، وَإنّي عَلَى عُذْرِي بِهِ لَضَنِينُ
وَإنّ أحَقّ المُجهِشِينَ لِعَبرَةٍ وَوَجْدٍ ، قَرِينٌ بانَ عَنهُ قَرِينُ
وَما تَنفَعُ المَرْءَ الشِّمالُ وَحيدَةً ، إذا فَارَقَتْهَا بالمَنُونِ يَمِينُ
تَجرَّمَ عامٌ لمْ أنَلْ منكَ نَظرَةً ، وَحانَ ، ولَمْ يُقدَرْ لقاؤكَ ، حِينُ[3]
وكيفَ ،وَقد قطّعنَ منك عَلائقي ، وَسَدّتْ شَعُوبٌ بَينَنَا وَمَنُونُ[4]

١ لا شوى لها : لا بقيا لها .
٢ العلق : النفيس من كل شيء .
٣ تجرم : انقضى .
٤ الشعوب : اسم للمنية ، أي الموت ، وكذلك المنون .

أضَبَّ جديدُ الأرْضِ دونك وَالتقتْ عليكَ رِجامٌ كالغَياطِلِ جُونُ[1]
تُجاوِرُ فيها هامِدِينَ تَعَطّلُوا ، وَمن قَبلُ دانُوا في الزّمانِ وَدينُوا
مُقيمِينَ منها في بُطونِ ضَرَائحٍ ، حوَامِلَ لا يَبدُو لهنّ جَنينُ
أمُرّ بِقَبرٍ قد طوَاك صَعيدُهُ ، فأبلَسُ حتّى ما أكادُ أبِينُ[2]
وَتَنْفَضَ بالوجْدِ الأليمِ أضَالعٌ ، وَتَرْفَضّ بالدّمعِ الغزيرِ شؤُونُ
فإلاّ يَكُنْ عَقْرٌ فقَد عُقِرَتْ له خدودٌ، بأسرَابِ الدّموعِ عُيونُ
وَلا عَجَبٌ أن تُمطِرَ العينُ فوْقَهُ ، فإنّ سَوَادَ العَينِ فيهِ دَفِينُ

يا دار قل الصديق فيك

قال رضي الله تعالى عنه يفتخر ويذم الزمان

تَوَقّعي أنْ يُقالَ قَدْ ظَعَنَا ، ما أنتِ لي مَنْزِلاً وَلا سَكَنَا
يا دارُ قَلّ الصّديقُ فيكِ ، فَما أحُسّ وِدّاً ، وَلا أرَى سَكَنَا
ما ليَ مِثْلَ المَذُودِ عَنْ أرَبي، وَلي عُرَامٌ يُجِرُّني الرّسَنَا
ألِينُ عَنْ ذِلّةٍ ، وَمِثْليَ مَنْ وَلّى المَقاديرَ جَانِباً خَشِنَا

١ أضب : شمله الضباب . الرجام : الحجارة . الغياطل : الظلمات .
٢ أبلس : أتحير .

مُعَطَّلاً ، بَعْدَ طُولِ مَلْبَثِهِ ، مَنَازِلاً قَدْ عَمَرْتُهَا زَمَنَا
تَلعَبُ بي النّائِبَاتُ وَاغِلَةً ، كَمَا تَهُزّ الزّعَازِعُ الغُصُنَا
أيقَظْنَ مِنّي مُهَنّداً ذَكَراً ، إلى المَعَالي وَسَائِقاً أرِنَا
كيفَ يَهابُ الحِمامَ مُنصَلِتٌ ، مُذْ خافَ غَدْرَ الزّمانِ ما أمِنَا
لمْ يَلبَسِ الثّوْبَ مِن تَوَقُّعِه الأمْـرَ ، إلاّ وَظَنّهُ كَفَنَا
أعطَشَهُ الدّهْرُ مِنْ مَطالِبِهِ ، فَرَاحَ يَستَمطِرُ القَنَا اللُّدُنَا
لي مُهجَةٌ لا أرَى لهَا عِوَضاً ، غَيرَ بُلُوغِ العُلَى ، وَلا ثَمَنَا
وكَيفَ تَرْجو البَقاءَ نَفسُ فتًى وَدأبُهَا أنْ تُضَعضِعَ البَدَنَا
فيمَا مُقَامي عَلى مُعَطّلَةٍ ، رَنَّقَ لي مَاؤهَا وَقد أجَنَا[1]
أكُرّ طَرْفي ، فَلا أرَى أحَداً إلاّ مَغِيظاً عَلَيّ مُضْطَغِنَا
يُنبِضُ لي مِنْ لِسَانِهِ أبَداً نِصَالَ ذَمٍ تُمَزِّقُ الجُنَنَا[2]
وَكُلُّ [illegible] ، تَرَائِبُهُ تَحمِلُ ضَبّاً عَلَيّ قَد كَمَنَا
إنْ مَرّ بي لمْ أعُجْ بهِ بَصَراً ، أوْ قَالَ لي لمْ أمِلْ لَهُ أذُنَا
من مَعشرٍ أظهرُوا الشّجاعةَ في البخـلِ ، وَعندَ المَكَارِمِ الجُبُنَا
بُلْهٌ عَنِ المَجْدِ غَيرَ أنّهُمُ قَدْ شَغَلُوا بالمَعايِبِ الفِطَنَا
يَستَحقِبُونَ المَلامَ إنْ رَكِبوا ، وَيَحمِلُونَ الظّنونَ وَالظِّنَنَا[3]

١ المعطلة : البئر الفارغة لبياد أهلها . رنق : كدر . أجن : تغير طعمه ولونه .

٢ ينبض ، من أنبض الرامي القوس : جذب وترها لترن وتصوت . الجنن ، الواحدة جنة : الستر ، الوقاية .

٣ الظنن : التهم ، الواحدة ظنة .

نحنُ أُسودُ الوَغى، إذا قصَفَ الطعـ ... نُ قَنَا الخطِّ في جَوَانِبِنَا
مُلْتَفٌ أعْيَاصِنَا إلى مُضَرٍ ... أمَرَّ عِيدانُنَا لعَاجِمِنَا
نَجُرُّ ما شِئْتَ مِنْ لِسَانِ فتًى ... إنْ هَدَرَتْ ساعةً شَقاشِقُنَا
إنّ أبَانَا الذي سَمِعتَ بِهِ ... أسّسَ في هَضْبَةِ العلى وبَنَى
مَا ضَرّنَا أنّنَا بِلا جِدَةٍ، ... وَالبَيْتُ وَالرّكْنُ وَالمَقَامُ لَنَا
وَهِمّةٌ في العَلاءِ لازِمَةٌ، ... تُلْزِمُ صُمَّ الرّمَاحِ أيدِيَنَا
طِلابُنَا المَجْدَ مِنْ ذَوَائِبِهِ، ... رَوّحَنَا بَعْدَ أنْ أضَرّ بِنَا
نَأخُذُ مِنْ جُمّةِ العُلَى أبَداً ... ما أخذَ الضّرْبُ من جَماجِمِنَا
سَوْفَ تَرَى أنّ نَيْلَ آخِرِنَا ... مِنَ العُلَى فَوْقَ نَيْلِ أوّلِنَا
وَأنّ مَا بُزّ مِنْ مَقادِمِنَا، ... يُخْلِفُهُ اللهُ في عَقَائِلِنَا
ذلِكَ وِرْدُ قَذًى لِسَابِقِنَا، ... وَالآنَ يُجْلَى القَذى للاحِقِنَا
دَيْنٌ علَى اللهِ لا نُمَاطِلُهُ الـ ... شّكْرَ عَلَيْهِ، وَلا يُماطِلُنَا
لأُوقِرَنّ الرّكَابَ سَائِرَةً، ... عزْماً يَكُدّ الأبدانَ وَالبُدُنَا[1]
حتّى تَهاوَى مِنَ اللّغُوبِ وَتَسْـ ... تَنجِدُ بَعدَ المَنَاسِمِ الثَّفِنَا
حزّاً إلى المَجْدِ مِنْ أزِمّتِهَا، ... لَيسَ كحَزّ الأعاجِزِ الظُّعُنَا
لأبْلُغُ العِزَّ، أوْ يُقَالُ فَتًى ... جَنَتْ عَلَيهِ يَدُ الرّدى وَجنَى

١ البدن، الواحدة بدنة : هي كالأضحية من الغنم .

ستعلمون ما يكون مني

قال رضي الله تعالى عنه أيضاً يفتخر ويذم الزمان :

سَتَعلَمُونَ مَا يَكُونُ مِنّي | إنْ مدّ مِن ضَبعَيّ طُولُ سِنّي[1]
أأدَعُ الدّنْيَا ، وَلَمْ تَدَعْني ، | يلعَبُ بي عَنَاؤُها المُعَنّي
نَاطِحَةً بالجُمّ هَامَ القِرْنِ ، | نِطاحَ رَوْقِ الجازِىءِ الأغَنّ[2]
وَسِعتُ أيّامي ، وَلَمْ تَسَعْني ، | أفضَلُ عَنهَا ، وَتَضيقُ عَنّي
لِمْ أنَا مِثلُ القاطِنِ المُبِنّ ، | أسحَبُ بُرْدَيْ ضَرَعٍ وَأفْنِ[3]
وَلي مَضَاءٌ قَطّ لَمْ يَخُنّي ، | ضَميرُ قَلْبي وَضَميرُ جَفني
أحصَلُ مِنْ عَزْمي على التّمَنّي ، | وَلَيْتَني أفْعَلُ ، أوْ لَوَ انّي
رَاضٍ بما يُضْوِي الفتى وَيُضْني ، | أسّسَ آبَائي وَسَوْفَ أبْني
قَدْ عَزّ أصْلي ، وَيَعِزّ غُصْني ، | غَنِيتُ بالمَجْدِ ، وَلمْ أستَغْنِ
إنّ الغِنَى مَجلَبَةٌ للضّنّ ، | وَللقُعُودِ وَالرّضَا بالوَهْنِ
الفَقْرُ يُنْشي ، وَالثّرَاءُ يُدْني ، | وَالحِرْصُ يُشقي ، وَالقُنوعُ يُغني

١ ضبعي : عضدي .
٢ الجازىء : الثور الوحشي المجتزىء ، أي المكتفي بالعشب عن الماء . الأغن : الذي يخرج صوته من خياشيمه .
٣ المبن ، من أبن في المكان : أقام فيه . الضرع : الذل . الأفن : ضعف الرأي والعقل .

إنْ كُنتُ غَيرَ قَارِحٍ ، فإنّي ... أبُذّ جَرْيَ القَارِحِ المُسِنِ[1]
جُنِنْتُ بأساً ، وَالشّجاعُ جِنّي ، ... أثَارَ طَعْنَ الدّهرِ في مِجَنّي[2]
يَشهَدُ لي أنّ الزّمَانَ قِرْني ، ... سَوْفَ تَرَى غُبَارَها كالدّجنِ
قَساطِلاً مِثلَ غَوَادي المُزْنِ ، ... تَجرِي بضَرْبٍ صَادِقٍ وَطَعْنِ
جَرْيَ عَزَالي المَطَرِ المُستَنّ ، ... إنْ غِبتُ يَوْماً عنكَ فاطّلِبْني[3]
بَينَ المَوَاضِي وَالقَنَا تَجِدْني ... أمامَ جَيشٍ كَجُنُوبِ الرِّعْنِ
جَوْنُ الذُّرَى أقْوَدُ مُرْجَحِنّ ، ... أنفُضُ عَنهُ نَقْعَهُ بِرَدْني[4]
لِتَعْرِفَنّي ، وَلِتَعرِفَنّي ، ... أيّامَ أقْنِي بالقَنَا ، وَأُغْنِي[5]
أقَرُّ عَينَ الفَاقِدِ المُرِنّ ، ... عَساي أنْفي الضّيمَ ، أوْ لَعَنّي[6]
كم صَبرُ خافي الشّخصِ مُستجِنّ ، ... مُنطَمِرٍ مِنَ الأذَى في سِجْنِ
مُرْتَهَنٍ بِهِمّةٍ تُعَنّي ، ... يا لَيْتَهَا بِنَهْضَةٍ فَدَتْني
مِنْ قَبْلِ أنْ يَغلَقَ يوْماً رَهْني ، ... مَتَى تَرَاني وَالجَوَادُ خِدْني
وَالنّصْلُ عَيني وَالسّنانُ أُذْني . ... وَأمّيَ الدّرْعُ ، وَلَمْ تَلِدْني
أجُرّ فَضْلَ ذَيْلِهَا الرِّفَنّ ، ... ما احتَبَسَ الرّزْقُ فَسَاءَ ظَنّي[7]

١ أبذ : أغلب . القارح : البعير الذي نبت نابه .
٢ المجن : الترس .
٣ أراد بعزالي المطر : شدته . والعزالي ، الواحدة عزلاء : مصب الماء من الراوية .
٤ الجون : الأسود . الذرى : الأعالي . الأقود : الجبل الطويل . المرجحن : الثقيل
٥ أقني بالقنا : ألزمها .
٦ لعني : لغة في لعلي .
٧ الرفن : الطويل الذيل .

وَلا قَرَعْتُ مِنْ قُنُوطٍ سِنّي ، يا أيّهَا المَغْرُورُ لا تَهِجْني
وَعُذْ بإغْضَائيَ ، وَاستَعِذْني ، وَاحذَرْ عِداءَ قاطعٍ في ضِمْني
يَنطِقُ عَنّي بِلِسَانٍ ضِغْني ؛ نَبّهْتَ يَقظَانَ قَليلَ الأمْنِ
مُخَرَّقَ الثّوْبِ بِطَعْنِ اللُّدْنِ ، يا دَهرُ سَيفي مَعقِلي وَحِصْني
وَالخَوْفُ يُغْرِي طَلَبي فخَفني ، يا لَيتَ مَقدُورَكَ لمْ يُؤمنّي[1]
جَنَيتُ من قَبلُ وَسَوْفَ أجْني ، أثْني يَدي ، وَالعَزْمُ أن أُثَنّي

القول بالبيان

يهنىء خاله أبا الحسين بن الناصر
بمولود جاءه عقيب بنت :

حَقيقٌ أنْ تُكاثِرَكَ التّهَاني ، بِأيْمَنَ أوّلٍ وَأعَزَّ ثَاني
أرَى بَدْراً أضَاءَ بعِقبِ شَمسٍ مُبَارَكَةِ الطّلُوعِ عَلى القِرَانِ
وَقالَ النّاسُ من عَجبٍ وَعُجبٍ: تَلاقَى في السّمَاءِ النّيّرَانِ
هُوَ الذّكَرُ المُوَشَّحُ للمَعَالي ، وَللبيضِ القَوَاضِبِ وَاللّدانِ
ستَنظُرُهُ ، إذا اتّسعَتْ سِنُوهُ ، وَأخْرَجَهُ زَمَانٌ عَنْ زَمَانِ

[1] قوله : يؤمني ، هكذا في الأصل .

رَبيباً للصّوَارِمِ وَالعوَالي ، وَتِرْباً للمَفَاوِزِ وَالرِّعَانِ
طَلِيقَ الكَفّ في يَوْمِ العَطَايا ، جَرِيَّ الرّمْحِ في يَوْمِ الطّعَانِ
رَبِيطَ الجَأشِ طَلاّعَ الثّنَايَا ، إلى الغَايَاتِ رَوّاغَ العِنَانِ
مُقَارَعَةُ الذّوَابِلِ في الهَوَادي ، أخَفُّ عَلَيْهِ مِنْ نَغَمِ القِيَانِ
وَأحسَنُ عِندَهُ مِنْ كلّ ثَغْرٍ ، مُضِيءٍ ، رَوْنَقُ العَضْبِ اليَماني
تَرَاهُ أينَ خَيّمَ في اللّيَالي ، عَزِيزَ الجَارِ مَوْرُودَ الجِفَانِ
يَنالُ المَجْدَ مِنْ عُنقِ المَذاكي ، وَيَجني العِزّ مِنْ طَرَفِ السّنَانِ
وَلَيسَ جَوَادُهُ في النّقْعِ إلاّ طَلِيعَةَ كُلّ يَوْمٍ أرْوَنَانِ[1]
يُرَبّى بَينَ أحْشَاءِ المَعَالي ، وَيُودَعُ بَينَ أجْفَانِ الأمَاني
وَعَادَ حِمَاكَ مِنْ وَلَعِ الغَوَادي عَمِيمَ النّبْتِ مَغمُورَ المَغَاني
يُشَيّعُني بوَصْفِكَ كُلّ نُطْقٍ ، وَيَعرِفُني بمَدْحِكَ مَنْ رَآني
وَلَيسَ الوَصْفُ إلاّ بالتّنَاهي ؛ وَلَيسَ القَوْلُ إلاّ بالبَيَانِ

[1] الأرونان : الصعب .

نحن الناهضون الى العلى

قال وقد جددت الخلع عليه بالنقابة :

سَقاها ، وَإنْ لمْ يرْوِ قلبي بَيانُها ، وَهَل تَنطِقُ العَجماءُ أقوَى مَعانُهَا[1]
ضَمَانٌ عَلى قَلبي الوَفَاءُ لأهْلِهَا ، وَثَمّ ظِبَاءٌ لا يَصِحّ ضَمانُهَا
عرَضْنَ بما روّى الغَليلَ اعترَاضُها ، ولا قَطَعَ الدّمعَ اللّجوجَ اعتِنانُهَا[2]
وَهَلْ نَافِعٌ أنْ يَملأَ العَينَ حُسنُها إذا هيَ لمْ تُحسِنْ إلَيْنَا حِسانُهَا
تَذَكّرْتُ أيّاماً بذي الأثْلِ بَعدَمَا تَقَضّى أوَاني في الصِّبَا وَأوَانُهَا
يُطَيّبُ أنْفَاسَ الرّيَاحِ تُرَابُهَا ، وَيَخضَلُّ مِنْ دَمعِ الغَمائمِ بانُهَا
وَلَمّا عَطَفْتُ النّاظرَينِ بِلَفْتَةٍ إلى الدّارِ خَلّى عَبرَةَ العَينِ شانُهَا
لَيَاليَ تَثْنِيني عَوَاطِفُ صَبْوَتي إلى بَدَوِيّاتٍ تَثَنّى لِدانُهَا
وَلا لَذّةٌ إلاّ الحَديثُ كَأنّهُ لآلٍ عَلى جَيْداءَ وَاهٍ جُمَانُهَا
عَفَافٌ كَمَا شَاءَ الإلَهُ يَسُرّني ، وَإنْ سِيءَ مِنْهُ بِكْرُهَا وَعَوَانُهَا
أألآنَ لَمّا اعتَمّ بالشّيبِ مَفرِقي ، وَجَلّى الدُّجَى عَنْ لِمّتي لَمَعانُهَا
وَنَجّذَني صَرْفُ الزّمَانِ وَوُقّرَتْ على الحِلْمِ نَفسِي وَانقَضَى نَزَوَانُهَا
تَرُومُ العِدا أنْ تُستَلانَ حَمَ وَقَبْلَهُمُ أعْدَى عَليّ حِرَانُهَا

[1] العجماء : البهيمة ، وأراد هنا الدار . أقوى : خلا . معانها : منزلها
[2] اعتنانها : ظهورها .

أنا الرّجُلُ الألْوَى الذي تَعرِفُونَهُ ، إذا نُوَبُ الأيّامِ أُلْقِي جِرانُهَا[1]
إذا كانَ غَيرِي من قُرَيشٍ هَجينَها، فإنّي عَلى رَغْمِ العَدُوّ هِجانُهَا[2]
وَإنْ يَكُ فَخرٌ أوْ نِضَالٌ، فإنّني لهَا يَدُهَا طَوْراً ، وَطَوْراً لِسانُهَا
وَإنّي مِنَ القَوْمِ الذينَ بِبَأسِهِمْ يُذَلَّلُ مِنْ أيّامِهِمْ حَدَثَانُهَا
إذا غَبّرُوا في الجَوّ ضَاقَ فَضَاؤهُ ؛ وَإنْ نَزَلُوا البَيْداءَ غُمّتْ رِعَانُهَا
فَوَارِسُ تَجرِي بِالدّمَاءِ رِمَاحُهَا، وَتَفْهَقُ بالنّيّ الغَرِيضِ جِفَانُهَا[3]
يَثُورُ، إذا أوْفَى الصّبَاحُ، عَجاجُها، وَيَعلُو، إذا جَنّ الظّلامُ، دُخانُهَا
وَإنّي لَوَثّابٌ عَلى كُلّ فُرْصَةٍ تَخيلُ عَلى الرّائي، وَيَخفى مكانُهَا
سَبَقتُ ، وَقَفّيتُم بِكُلّ طَليعَةٍ على عَقِبِي يَلْوِي بهَا هَدَجانُهَا[4]
وَمَا كُنْتُ إلاّ كالثّرَيّا تَحلّقاً ، يَدِفّ عَلى آثَارِهَا دَبَرَانُهَا[5]
عَصَائِبُ ما استَامَ الفَخارَ وَضِيعُها ، وَلا استَأنَفَ العِزَّ الجَديدَ مُهانُهَا
إذا لحَظَتْني أمسَكَتْ بِأكُفّهَا ، عَلَيّ ، قُلُوباً دائِماً خَفَقَانُهَا
فَلا هيَ يَوْماً فيّ يَنفُذُ كَيْدُها ، وَلا يَنْجَلي مِنْ غَيّهَا شَنَآنُهَا
يُرِيدُ المَعَالي عَاطِلٌ مِنْ أداتِهَا ؛ وَهَيهاتَ مِنْ مَحصُوصَةٍ طَيَرَانُهَا[6]

١ الألوى : الشديد الخصومة .
٢ الهجين : الذي أبوه عربي وأمه أمة . الهجان : الشريف ، الحسيب .
٣ تفهق : تمتلىء . النّي بالفتح : الشحم ، وبالكسر : السمن . الغريض : الطري. جفانها: قصاعها، الواحدة جفنة .
٤ الهدجان : مشية الشيخ المسن .
٥ يدف : يمشي مشياً خفيفاً .
٦ المحصوصة : المتناثرة الجناح من الحاصة وهي داء يسقط الشعر .

دَعَوْها لِمَنْ رَبّاهُ مُذْ كانَ حِجرُها ، وَأرْضَعَهُ حتّى استَقَلّ لِبَانُهَا
وَلا تَخطُبُوها بالرّجاءِ ، فما أرَى تُدَنّسُ بالبَعْلِ الدّنيّ حَصَانُهَا
رَآني بَهاءُ المُلْكِ سَيفاً عَلَيكُمُ ، جَرِيءَ الظُّبَى لا يَنْثَني صَلَتَانُهَا[1]
فَجَرّدَني مِنْ بَعدِ طُولِ صِيانَةٍ ، وَإنّ مُضِرّاً بالسّيُوفِ صِيَانُهَا
أفَاضَ ، بِلا مَنٍّ ، عَليّ كَرَامَةً ، وَنَقْصُ الأيادي أنْ يَزِيدَ امتِنانُهَا
خرَجتُ أجُرُّ الذّيلَ منها وَقَد نَزَتْ قُلُوبُ العِدا مِنّي ، وَجُنّ جَنانُهَا
وَلَيسَ عَلى زُهرِ الكَوَاكِبِ سُبّةٌ ، إذا غَضّ مِنْ أنْوَارِها زِبرِقَانُهَا
وَقَرّبَ لي وَافي العِذارِ تَلَبّسَتْ بِهِ خُيَلاءٌ مَا يَزُولُ افْتِنَانُهَا
ألا إنّ أصْنَافَ السّيُوفِ كَثِيرَةٌ ، وَأقْطَعُهَا هِنْدِيُّهَا وَيَمَانُهَا
وَكُلُّ أنَابِيبِ القَنَاةِ شَرِيفَةٌ ، وَأشرَفُها ، لَوْ تَعلَمُونَ ، سِنانُهَا
فكَيفَ ، وَأنتُمْ وَثبَةُ اللّيثِ إذْ رَمى تَخَمّطُها في جَمعِكُمْ وَاستِنَانُهَا[2]
وَكَانَ يَسُوءُ السّامِعِينَ سمَاعُها ، فَصَارَ يَهُولُ النّاظِرِينَ عِيَانُهَا
فَمَنْ مُبلِغٌ عَنّي الجَبَانَ بِأنّني أنَا المُورِدُ الشّقْرَاءَ يَدْمَى لَبَانُهَا
وَلَوْ لمْ تُعِنْ كَفّي قَنَاةٌ قَوِيمَةٌ ، لأجرَى يَنَابِيعَ الدّمَاءِ بَنَانُهَا
بَلِينا ، وَنحنُ النّاهِضُونَ إلى العُلى ، بِزَمْنَى يُمَنّيهَا الغُرُورَ زَمَانُهَا
ذِئَابٌ أرَادَتْ أنْ تُعازِزَ ضَيغَماً ، فَطَالَ عَلى مَرّ الزّمَانِ هَوَانُهَا

١ الصلتان : السيف المصلت ، أي المجرد .

٢ استنانها : اضطرابها .

رَأوْا فَتْرَةً مِنّا ، فظَنّوا ضَرَاعَةً ، وَتِلْكَ بُرُوقٌ غَرّهُمْ شَوَلانُهَا[1]
فكَيْفَ تَعَرّضْتُمْ بِغَيرِ نَبَاهَةٍ ، لصَعبَةِ عِزٍّ في يَدَيّ عِنَانُهَا
فإنْ تَعتَطِلْ يَوْماً من الدّهرِ صَعدَتي ، فقَدْ طَالَ في نَحرِ العَدوّ طِعانُهَا
وَإنْ تَستَجِمّ النّائِبَاتُ سَوَابقي ، فمِنْ قَبلِ ما بَذّ الجِيَادَ رِهَانُهَا

قلبان متمازجان

كتب إليه أبو إسحق الصابي يشكو زمنة عرضت له حتى صار يحمل في المحفة قصيدته التي مطلعها :

إذا ما تعدت بي وسارت محفة لها أرجل يسعى بها رجلان

فأجابه الرضي رضي الله عنه جواباً عنها :

ظَمَائي إلى مَنْ لَوْ أرَادَ سَقَاني ، وَدَيْني عَلى مَنْ لَوْ يَشَاءُ قَضَاني
وَلَوْ كانَ عندي مُعسِراً لَعَذَرْتُهُ ، وَلَكِنّهُ ، وَهْوَ المَليءُ ، لَوَاني
رَمَى مَقتَلي وَاستَرْجَعَ السّهمَ دامياً ، غَزَالٌ بنَجْلاوَيْنِ تَنْتَضِلانِ
أأرْجُو شِفاءً منهُ ، وَهوَ الذي جَنى عَلى بَدَني داءَ الضّنَى وَشَجَاني
أبِيتُ، فلَمْ أستَسقِ مَن كانَ غُلّتي ، وَلَمْ أستَرِشْ مَنْ كانَ قَبلُ بَرَاني[2]

١ الشولان : الارتفاع .
٢ استرش ، من استراش السهم : ألزق عليه ريشاً .

مَرَرْتُ على تِلكَ الدّيارِ، وَوَحشُها دَوَانٍ، وَمَنْ يَحكِينَ غَيرُ دَوَاني

فأنكَرَتِ العَيْنانِ، وَالقَلْبُ عارِفٌ، قَليلاً، وَلَجّا بَعْدُ في الهَمَلانِ

عَشِيّةَ بَلّتْني الدّمُوعُ كَأنّمَا رِداوَايَ بُرْدا ماتِحٍ خَضِلانِ[1]

ضَمِنَّ وِصَالي ثمّ ماطَلْنَ دُونَهُ، وَإنّ ضَمَانَ البِيضِ شَرُّ ضَمَانِ

أمِنْكِ طُرُوقُ الزَّوْرِ أيّةَ ساعَةٍ، وَعيدُ خَيَالٍ عَادَ أيَّ أوَانِ؟

ألَمّ بِعُوجٍ كالحَنَايَا مُنَاخَةٍ على جِزْعِ وَادٍ ذي رُبًى وَمَجاني

وَمِيلٍ كخيطانِ الأرَاكِ تَرَنّحُوا، فمِنْ ذَقَنٍ مُستَقبَلٍ بِلِسَانِ

وَمالُوا على البَوْغاءِ من كلّ جانِبٍ، عَوَاطِفَ أيْدي تَوْأمٍ وَثُوَانِ[2]

يَقُودُهُمُ مِنّي غُلامٌ غَشَمْشَمٌ، مُعِينٌ عَلى البَأسَاءِ غَيرُ مُعَانِ[3]

إذا انفَرَجَتْ مِنهُ السُّجوفُ لِنَاظِرٍ تَألّقَ نُورٌ مِنْ أغَرَّ هِجَانِ

وَإنّي لآوِي مِنْ أعَزَّ قَبيلَةٍ إلى نَضَدٍ، أوْ جَامِلٍ عَكْنَانِ[4]

وَإنّ قُعُودي أرْقُبُ اليَوْمَ أوْ غَداً، لَعَجزٌ، فَمَا الإبْطَاءُ بالنَّهضَانِ

سَأتْرُكُ في سَمْعِ الزّمَانِ دَوِيَّها، بقَرْعَيْ ضِرَابٍ صَادِقٍ وَطِعانِ

وَأخْصِفُ أخْفَافاً بِوَقْعِ حَوَافِرٍ إلى غَايَةٍ تَقْضِي مُنًى، وَأمَاني

فإنْ أسرِ، فالعَلياءُ هَمّي، وَإن أقِمْ، فإني عَلى بِكْرِ المَكَارِمِ بَاني

١ رداواي: مثنى رداء. الماتح: نازع الماء من البئر. خضلان: مبتلان.

٢ البوغاء: التربة الرخوة. التوأم: الذي يولد مع آخر في بطن واحد.

٣ الغشمشم: الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء عن مراده.

٤ النضد: الشريف، الشرف. الجامل: الجمال، أو أصحاب الجمال. العكنان: الإبل الكثير.

وَإنْ أمضِ أترُكْ كلَّ حيٍّ من العِدا　　　يقُولُ : ألا للهِ نفْسُ فُلانِ

أُكَرِّرُ في الإخوَانِ عَيْناً صَحيحَةً ،　　　على أعيُنٍ مَرْضَى مِنَ الشَّنَآنِ

فلَوْلا أبُو إسحَقَ قلّ تَشَبُّثي　　　بِخِلٍّ ، وَضَرْبي عندَهُ بِجِرَانِ[1]

هُوَ اللاّفِيَّ عَنْ ذا الزّمَانِ وَأهلِهِ ،　　　بشيمَةِ لا وَانٍ ، وَلا مُتَوَانِ

إخاءٌ تَسَاوَى فيهِ أُنساً وَأُلْفَةً　　　رَضيعُ صَفَاءٍ . أوْ رَضيعُ لِبَانِ

تَمَازَجَ قَلْبَانَا مِزَاجَ أُخُوّةٍ ،　　　وَكُلُّ طَلُوبَيْ غايَةٍ أخَوَانِ

وَغَيرُكَ يَنبُو عَنهُ طَرْفي مُجانِباً ،　　　وَإنْ كانَ مِنّي الأقرَبَ المُتَداني

وَرُبّ قَريبٍ بالعَداوَةِ شاحِطٍ ؛　　　وَرُبّ بَعيدٍ بالمَوَدّةِ داني

لَئِنْ رَامَ قَبْضاً مِنْ بَنانِكَ حادثٌ ،　　　لقَدْ عاضَنَا مِنكَ انبِساطُ جَنَانِ

وَإنْ بُزّ مِنْ ذاكَ الجَناحِ مُطارُهُ .　　　فرُبّ مَقالٍ مِنكَ ذي طَيَرَانِ

وَإنْ أقعَدَتْكَ النّائِبَاتُ . فطَالَمَا　　　سَرَى مُوقَراً مِنْ مَجدِكَ المَلَوَانِ

وَإنْ هَدَمَتْ مِنكَ الخُطوبُ بمَرّها .　　　فثَمّ لِسَانٌ للمَنَاقِبِ بَاني

مآثِرُ تَبْقَى مَا رَأى الشّمسَ ناظِرٌ ،　　　وَمَا سَمِعَتْ مِنْ سامِعٍ أُذُنَانِ

وَمَوْسُومَةٍ مَقطُوعَةِ العُقْلِ لم تزَل　　　شَوَارِدَ قَدْ بَالَغْنَ في الجَوَلانِ

وَما زَلّ مِنكَ الرّأيُ وَالحَزْمُ وَالحِجى　　　فنَأسَى ، إذا مَا زَلّتِ القَدَمَانِ

وَلَوْ أنّ لي، يَوْماً، على الدّهرِ إمرَةً ،　　　وَكانَ ليَ العَدْوَى على الحَدَثانِ

خلَعتُ على عِطفَيكَ بُرْدَ شَبيبَتي　　　جَوَاداً بِعُمْرِي وَاقتِبالِ زَمَاني

[1] الضرب بجران : أراد الثبات والاستقرار .

وَحَمَلْتُ ثِقلَ الشّيبِ عَنكَ مَفارِقي ، وَإنْ فَلّ من غَرْبي وَغَضّ عِناني
وَنابَتْ طَوِيلاً عَنكَ في كُلّ عارِضٍ بِخَطٍّ وَخَطْوٍ أخمَصي وَبَنَاني
على أنّه ما انفَلّ مَن كانَ دُونَهُ حَميمٌ يُرَامي عَنْ يَدٍ وَلِسَانِ
وَما كلّ مَن لمْ يُعطِ نَهْضاً بِعاجِزٍ ؛ وَلا كُلّ لَيْثٍ خادِرٍ بِجَبَانِ
وَإنّكَ ما استَرْعَيتَ منّي سوَى فتًى ضَمُومٍ على رَعْيِ الأمَانَةِ حَانِ
حَفيظٍ ، إذا مَا ضَيّعَ المَرْءَ قَوْمُهُ ، وَفيٍّ ، إذا مَا خُوّنَ العَضُدانِ
مِنَ اللهِ أستَهدي بَقَاءَكَ أنْ تُرَى مُحَلاً لأسْبَابِ العُلَى بِمَكَانِ
وَأسْألُهُ أنْ لا تَزَالَ مُخَلَّداً بِمَلْقَى سَمَاعٍ بَيْنَنَا وَعِيَانِ
إذا ما رَعَاكَ اللهُ يَوْماً ، فَقَدْ قضَى مَآرِبَ قَلْبي كُلَّها ، وَرَعَاني

اسرة تنبت التيجان

كتب إليه أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي المذكور يمدحه وكتب مع هذه القصيدة رقعة يعتذر فيها من تأخره عن قضاء حقه بعلته وهي مثبتة في جملة رسائله ومطلعها :

أبا كل شيء قيل في وصفه حسن ، إلى ذاك ينحو من كناك أبا الحسن

فأجابه عن هذه القصيدة وجعل الجواب على رويها دون وزنها لأن ذلك الوزن المقيد لا يجيء في الكلام إلا مقلقلا ولا النظم إلا مختلا :

دَعْ من دُموعِكَ بَعدَ البَينِ للدِّمَنِ ، غَداً لدارِهِمُ ، وَاليَوْمَ للظُّعُنِ

هَلْ وَقفَةٌ بلِوَى خبْتٍ مُؤلَّفَةٌ   بَينَ الخَليطَينِ من شامٍ وَمِنْ يَمَنِ[1]
عُجنَا على الرَّكْبِ أنْضاءً مُحَزَّمَةً ،   أثقالُها الشَّوقُ مِن بادٍ وَمُكْتَمِنِ
مَوْسُومَةً بالهَوَى يُدرَى برُؤيَتِهَا   أنّ المَطَايا مَطايا مُضْمِرِي شَجَنِ
ثمّ انثَنَينا على يَأسٍ ، وَقد وَجِلَتْ   نَوَاظِرٌ بِمَجَارِي دَمعِها الهَتِنِ
تَرُومُ رَدَّ نُفُوسٍ بَعدَ طَيرَتِهَا   على قَوَادِمَ مِنْ وَجْدٍ وَمن حزَنِ
تَعرِيسَةٌ بَينَ رَمْلَيْ عالجٍ ضَمِنَتْ   بَلَّ الغَليلِ لقَلبِ المُوجَعِ الضَّمِنِ
بِتنا سُجوداً عَلى الأكوَارِ يَحمِلُنَا   لَوَاغبٌ قد لَطَمنَ الأرْضَ بالثَّفَنِ[2]
أهْفُو إلى الرّيحِ إنْ هبّتْ يَمَانِيَةً ،   تَحدُو زَعَازِعُها عِيراً من المُزُنِ
أبَى ضَميرِيَ إلاّ ذِكْرَهُ ، وَأبَى   تَعَرُّضُ البَرْقِ إلاّ أنْ يُؤرّقَني
شَوْقٌ ألَمّ ، وَمَا شَوْقي إلى أحَدٍ ،   سِوَى الذي نامَ عَن لَيلي وَأيقَظَني
إنْ زَاغَ قَلبي ، فإنّ الهَجرَ أحرَجَني ،   وَإنْ صَبَرْتُ، فإنّ اليَأسَ صَبّرَني
وَكَمْ رَمَتْني مِنَ الأقدارِ مُنبِضَةٌ   لمْ تَثْنِ باعي، ولَمْ يَحرَجْ لها عَطَني
ما كُنتُ أعلَمُ ،وَالأيّامُ عالِمَةٌ ،   أنّ اللّيَالي تُقَاعِيني لتَنهَشَني[3]
قَدْ أدْمَجَ الهَمُّ في عُنْقي حبَائِلَهُ ،   وَلَزّةُ الهَمّ تُنسِي لَزّةَ القَرَنِ[4]
إنْ يَبلَ ثَوْبي ، فإنّي أكتَسِي حَسَبي ،   أوْ تُودَ خَيلي ، فإنّي أمتَطي مُنَني[5]

١ خبت : موضع بالشام .
٢ الثفن : داء في الثفنة ، وهي من البعير ركبته وما مس الأرض من كركرته وأصول أفخاذه ، وأراد باللواغب : النياق المعيية .
٣ تقاعيني : أراد بها تجالسني ، من أقعى الرجل : تساند إلى ما وراءه .
٤ اللزة ، من لزه : شده وألصقه .
٥ تودى : تهلك . مني ، الواحدة منة : القوة .

وَأدْخُلُ البَيْتَ لمْ تَأذَنْ قَعائِدُهُ ، على الحَصَانِ أمامَ القَوْمِ وَالحُصُنِ [1]
لا أطلُبُ المَالَ إلاّ مِنْ مَطالِبِهِ ، وَلا يَفي ليَ بَذْلُ المَالِ بِالمِنَنِ
إنّ البَخيلَ الذي قَد باتَ يُؤنِسُني ، مثلُ الجَوَادِ الذي قد باتَ يَمطُلُني
لَقَدْ تَقَدّمَ بي فَضْلي ، بِلا قَدَمٍ ؛ أعْظِمْ بأمْرٍ على ذي السّنّ قدّمَني
لا يَبرَحُ المَجْدُ مَرْفُوعاً دَعائِمُهُ ما دامَ مُعتَمِداً مِنّا عَلى رُكُنِ
مِنْ أُسرَةٍ تُنبِتُ التّيجانَ هامُهُمُ ، مَنابِتَ النّبعِ في الأطوَادِ وَالقُنَنِ
المَجدُ أنوَطُ مِن كَفٍّ إلى عَضُدٍ فيهِم، وَأقوَمُ من رَأسٍ على بَدَنِ
مَنْ مُبلِغٌ لي أبَا إسحَقَ مَألُكَةً عن حِنْوِ قَلْبٍ سَليمِ السّرّ وَالعَلَنِ
جَرَى الوَدادُ لَهُ منّي، وَإن بَعُدَتْ منّا العَلائِقُ ،مَجرَى الماءِ في الغُصُنِ
لَقَدْ تَوَامَقَ قَلْبَانَا كَأنّهُمَا تَرَاضَعَا بِدَمِ الأحْشَاءِ لا اللّبَنِ
مُسَوَّدٌ قَصَبَ الأقلامِ نَالَ بِهَا نَيلَ المُحَمَّرِ أطْرَافَ القَنَا اللُّدُنِ
إنْ لمْ تكنْ تُورِدُ الأرْماحَ مَوْرِدَها، فَما عَدَلتَ إلى الأقلامِ عَن جُبُنِ
وَالطّاعِنُ الطّعنَةَ النّجلاءَ عن جلَدٍ ، كالقائِلِ القَوْلَةَ الغَرّاءَ عَن لَسَنِ
حارَ المُجارُونَ إذْ جارَوْكَ في طَلَقٍ ، وَأجفَلُوا عَن طَرِيقِ السّابِقِ الأرِنِ
ضَلّوا وَرَاءَكَ حتّى قالَ قائِلُهُمْ : ماذا الضّلالُ، وَذا يجري على السَّنَنِ
ما قَدرُ فَضْلِكَ ما أصْبَحتَ تُرْزَقُهُ ، لَيسَ الحُظوظُ على الأقدارِ وَالمِهَنِ
قد كنتُ قَبلَكَ من دَهري على حَنَقٍ ، فزَادَ ما بِكَ مِن غَيظي على الزّمَنِ

[1] القعائد : النساء لقعودهن في البيت .

كَمْ رَاشَنا وبَرَانَا ، غيرَ مُكْتَرِثٍ ... بما نُعالجُ ، بَرْيَ القِدْحِ بالسَّفَنِ[1]
ألقَى علَى آلِ وَضَّاحٍ حَوِيَّتَهُ ، ... وَحكَّ بَرْكاً على سيفِ بنِ ذي يزَنِ[2]
وَمِثلَها أنشَبَ الأظفارَ في مُضَرٍ، ... وَمَرَّ يَحرُقُ بالأنيابِ لِليَمَنِ
إنْ يَدْنُ قَوْمٌ إلى دارِي فَألفَهُمُ ، ... وَتَنْأ عَنّي ، فأنتَ الرّوحُ في البَدَنِ
فالمَرْءُ يَسرَحُ في الآفاقِ مُضْطَرِباً ، ... وَنَفسُهُ أبَداً تَهفُو إلى الوَطَنِ
وَالبُعْدُ عَنكَ بَلاني باستِكانِهِمُ ؛ ... إنّ الغَرِيبَ لَمُضْطَرٌّ إلى السَّكَنِ
أنتَ الكَرَى مُؤنِساً طَرْفي وَبَعضُهُمُ ... مِثْلُ القَذَى مانِعٌ عَيني من الوَسَنِ
كَمْ مِنْ قَرِيبٍ يرَى أنّي كَلِفتُ به ... يُمسي شَجايَ وَتُضْحي دونَه شجَني
وَصَاحِبٍ طالَ ما ضَرّتْ صَحابَتُه . ... عكَفْتُ مِنْهُ على أطغى مِنَ الوَثَنِ
مُستَهدِفٌ لمَرَامي العَيبِ جانبُهُ . ... يكَادُ يَنعَطّ بُرْداهُ مِنَ الظِّنَنِ
ذي سَوْءَةٍ إنْ ثَنَاها مَحفِلٌ كَثُرَتْ ... لها المَضَارِبُ فوْقَ الصّدرِ بالذَّقَنِ
إذا احتَمَيتُ بِهِ أحمي على كَبدي ، ... كَيفَ اجتناني إذا أسلَمنَني جُنَني
لا تَجعلَنّ دَليلَ المَرْءِ صُورَتَهُ ، ... كَم مَخبَرٍ سَمجٍ عن مَنظَرٍ حسَنِ
إنّ الصّحائِفَ لا يَقرِيكَ باطِنُها ... نَفسَ الطّوَابعِ مَوْسوماً على الطِّيَنِ
أشتاقُكُم وَدَوَاعي الشّوْقِ تُنهِضُني ... إلَيكُمْ ، وَعَوَادي الدّهرِ تُقعِدُني
وَأعرِضُ الوُدّ أحيَاناً فَيُؤنِسُني ، ... وَأذكُرُ البُعدَ أطوَاراً فيُوحِشُني
هَذا، وَدِجْلَةُ مَا بَيْني وَبَينَكُمُ ، ... وَجانِبُ العَبرِ غيرُ الجانبِ الخَشِنِ

[1] السفن : كل ما ينحت به .
[2] الحوية : كساء محشو حول سنام البعير . البرك : الصدر .

وَمُشرِفٍ كَسَنامِ العَوْدِ مُلتَبِسٍ ، كالمَاءِ لُزّ بأضْلاعٍ مِنَ السُّفُنِ
كالخَيْلِ رُبِّطْنَ دُهْماً في مَوَاقِفِها ، وَالبُزْلِ قُطِّرْنَ بَينَ الحوْضِ وَالعَطَنِ
قَد جاءَتِ النّفثَةُ الغَرّاءُ ضَامِنَةً ما يُوبِقُ النّفسَ من عُجبٍ وَمن دَرَنِ
أنبَطْتُ مِنْ حُسنِها ماءً بلا نَصَبٍ ، وَحُزْتُ مِنْ نَظمِها دُرّاً بلا ثَمَنِ
أنشَدْتُهَا ، فَحَدا سَمعي غَرَائِبُها إلى الضّميرِ حداءَ الرّكبِ للبُدُنِ
جازَتْ إلى خاطِرِي عفواً وَخُيِّلَ لي ، ممّا استَبَتْ أُذُني ،أنْ لمْ تَجُزْ أُذُني
فاقتَدْ إلَيْكَ ، أبَا إسحَقَ ، قافِيَةً قَوْدَ الجَوَادِ ، بلا جُلٍّ وَلا رَسَنِ
كادَتْ تَقَاعَسُ لوْ ما كُنتَ قائدَها تَقاعُسَ البازِلِ المَجنوبِ في الشَّطَنِ
تَستَوْقِفُ الرّكبَ إنْ مرّتْ مُعارِضَةً تُهدي عَقيلَتَها العَذرَاءَ مِنْ يَمَنِ

الغارسون المورقون

يمدح الملك بهاء الدولة
ويهنئه بنيروز سنة ٣٩٨ :

تَوَاعَدَ ذا الخَليطُ لأنْ يَبينَا ، وَزَايَلَنَا القَطِينُ ، فلا قَطِينَا
وَإنّي ، وَالمَوَاعِدُ كاذِبَاتٌ ، لِيُطمِعُنا خِلابُ الوَاعِدِينَا
نُعَنّى بالمِطَالِ مِنَ الغَوَاني ، وَهَانَ عَلى المَوَاطِلِ ما لَقِينَا
وَنَظْمَأُ ، وَالمَوَارِدُ مُعرِضَاتٌ ، فنَرْجِعُ بالغَليلِ ، وَما سُقِينَا

لَهُنّ اللهُ كَيفَ أصبنَ مِنّا نُفُوساً ما عُقِلنَ، وَما وُدِينا[1]
لَقِينَ قُلُوبَنَا بجُنُودِ حَرْبٍ تَطَاعَنُ بالدّمالِجِ وَالبُرِينا[2]
جَلَوْنَ لَنَا لآلىءَ وَاضِحَاتٍ، أضَأنَ بها الذّوَائبَ وَالقُرُونا[3]
عَهِدْنَا الدُّرّ مَسكِنُهُ أُجَاجٌ، فكَيْفَ تبَدّلَ الثّغْبَ المَعِينَا
جُنُونَ المُرْشِقاتِ، غداةَ جَمعٍ، بأقتَلَ مِنْ نِبَالِك مَا رُمِينَا
وَلَمْ نَرَ كالعُيُونِ ظُبَى سُيُوفٍ أرَقْنَ دَماً، وَما رُمْنَ الجُفُونَا
عَوَائِدُ مِنْ تَذَكّرِ آلِ لَيلى، كَأنّ لهَا عَلى قَلْبي دُيُونَا
أُكَاتِمُهَا، فَفي الأحشاءِ منها مَضِيضٌ بَعدَما بَلَغَ الحَنينَا
فَيا حَادي السّنِينَ قِفِ المَطَايا، فَهُنّ عَلى طَرِيقِ الأرْبَعِينَا
وَإنّ الرّأسَ بَعدَكَ صَوّحَتهُ[4] بوارِح شيبه، فغَدَا
وَكَانَ سَوَادُهُ عِيدَ الغَوَاني، يُعِدْنَ إلى مَطالِعِهِ العُيُونَا
أُتَاجِرُها، فأرْبَحُ في التّصَابي، وَبَعضُ القَوْمِ يَحسَبُني غَبينَا
أهانَ الشّيبُ ما أعزَزْنَ مِنهُ، وَعَزّ عَلى العَقَائِلِ أن يَهُونَا
جُنُونُ شَبيبَةٍ، وَوَقَارُ شَيبٍ، خُذَا عنّي النُّهَى وَدَعا الجُنونَا
نَرَى الأيّامَ، وَهيَ غَداً سِنُونٌ، وَبالآحَادِ يَبْلُغْنَ المِئِينَا

١ عقله ووداه : بمعنى دفع ديته .
٢ البرين ، الواحدة برة : كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها .
٣ القرون ، الواحد قرن : الخصلة من الشعر .
٤ صوحته : شققت شعره وأيبسته حتى سقط .

سَتُنْبِئُنَا النَّوَائِبُ مَا أَرَتْنَا مِنَ العَجَبِ العَجِيبِ بما تُرِينَا
حَلَفْتُ بِمُلقِيَاتِ النَّيِّ عُوجٍ ، خَوَابطَ تَطلُبُ البَلَدَ الأَمِينَا
حَوَامِلَ نَاحِلِينَ عَلى ذُرَاهَا ، حَوَانِيَ يَنجَذِبْنَ بِمُنْحَنِينَا
يُسَقَّينَ الهَجِيرَ عَلى التَّظَامِي ، وَيَنعَلْنَ الحِرَارَ ، إذا وُجِينَا
كأنَّ سِيَاطَهَا ، وَلهَا هِبَابٌ ، قُلُوعُ اليَمّ زَعزَعَتِ السَّفِينَا
بكُلّ مُعَبَّدِ القُطْرَينِ يُنضِي مِطالُ طَرِيقِهِ الأُجُدَ الأَمِينَا[1]
لَقَدْ أرْضَى قِوَامُ الدّينِ فِينَا وَصَاةَ اللهِ وَالدّينَ اليَقِينَا
رَعَانَا بالقَنَا ، وَلَقَدْ تَرَانَا ، وَأَضْبَعُ ما نَكُونُ إذا رُعِينَا[2]
أعادَ ثِقَافَنَا حتّى استَقَمْنَا ، وَدَلّ بِنُورِهِ اللَّقَمَ المُبِينَا
تَيَقّظَ ، وَالعُيونُ مُغَمَّضَاتٌ ، وَقَلقَلَ ، وَالرّعِيّةُ وَادِعُونَا[3]
وَما عَدِمَ العُلى كَهلاً وَطِفلاً ، وَفي خِرَقِ الوَلِيدِ وَلا جَنِينَا
مِنَ القَوْمِ الأُلى تَبِعوا المَعَالي ، قِرَانَ العَوْدِ يَتّبِعُ القَرِينَا
أقَامُوا عَن فَرَائِسِها اللّيَالي ، وَرَدّوا عَنْ مَوَارِدِها المَنُونَا
هُمُ رَفَعُوا ، كمَا رَفَعَتْ نِزَارٌ ، قِبَابَ عُلًى عَلى كَرَمٍ بُنِينَا
نُبَقّي سَائِرَاتِ الدّهرِ فيهِمْ ، وَيُبقُونَ اليَدَ البَيضَاءَ فِينَا
فإنْ نُثمِرْ لَهمْ شُكراً طَوِيلاً ، فهُم غَرَسُوا ، وَكانوا المُورِقِينَا

١ المعبد : المطلي بالقطران . ينضي : يهزل . الأجد : الناقة القوية . الأمين : أي المأمونة العثار

٢ أضبع : أمد ضبعاً ، أي عضداً .

٣ الوادعون : الهادئون ، الساكنون .

فقل للمُصْحِرِينَ دَعوا الضَّوَاحي، فَإنّ اللّيثَ قَد نَزَعَ العَرِينَا[1]
وَلا تَتَغَنّمُوا مِنْهُ قُعُوداً يُقيمُ لكُم بهِ الحَرْبَ الزَّبُونَا[2]
فَفَي أغْمادِهِ وَرَقٌ قَدِيمٌ، يَزِيدُ عَلى قِرَاعِ الصِّيدِ لِينَا[3]
قَوَاضِبُ لا يَغُبُّ بهَا الهَوَادي فَيُعْطيهَا الصّياقِلَ وَالقُيُونَا[4]
ألَيسَ وِقَاعُهُ بالأمسِ فيكُم سقَى غَلَلَ الرّماحِ، وَما رَوِينَا[5]
بأرْبُقَ قَدْ أدارَ لَكُمْ رَحَاها، مَدارَ الطّوْدِ مَرْداةً طَحُونَا[6]
وَجَلجَلَها عَلى الأهوَازِ حتّى أعَادَ زَئِيرَ أُسدِكُمُ أنِينَا
وَسَاخَ، تَقَصُّعَ اليَرْبوعِ، غاوٍ أثَارَ بِطَعنِهَا، فَنَجَا طَعِينَا[7]
أُشَيعِثُ، رَأسُهُ بالبِيضِ يُفلى، وَيَغدُو بالدّمِ الجَارِي دَهِينَا
يَذُودُ رِقَابَهَا، هَيهاتَ مِنها، وَقَد غَلَبَتْ عَصِيٌّ الذّائدِينَا[8]
تَوَلّعَ بالقَنَا، فتَطاوَحَتْهُ، لداغَ الدَّبْرِ، أيدي العاسِلينَا[9]

١ المصحرون : الخارجون إلى الصحراء، أو القائمون فيها .
٢ الحرب الزبون : التي تزبن الناس أي تصدمهم .
٣ الورق : النصل . الصيد، الواحد أصيد : الرافع رأسه كبراً .
٤ الهوادي : الأعناق .
٥ الغلل : العطش .
٦ اربق : قرية برامهرمز . المرداة : أداة من حجر تكسر بها الحجارة .
٧ ساخ : دخل . تقصع اليربوع : أي كتقصع اليربوع، دخوله قاصعاءه، أي جحره، واليربوع دابة معروفة .
٨ يذود : يدفع . العصي : العاصي .
٩ تطاوحته : ترامت به . لداغ الدبر : أي كلداغ الدبر، أي جماعة النحل والزنابير . العاسلين مشتاري العسل .

غَدا يَمري عُفافتَهَا ، فأمسَى يرَى بالطّعنِ لِقحتَها لَبُونَا[1]
وَمَنْ شُرِعَتْ رِماحُ اللهِ فِيهِ ، درَى أنّ السّوَابغَ لا يَقِينَا
وَبِتْنَ عَلَى المَطالِعِ مُلجَمات، عَلائِقُهَا أنَابيبُ القُنِينَا[2]
عَلَى صَهَوَاتِهَا أبْنَاءُ مَوْتٍ ، حَوَاسِرُ للرّدَى وَمُقَنَّعِينَا
مُجَاذِبَةً أعِنّتَهَا جِمَاحاً ، هَبَطنَ قَرَارَةً وَطَلَعْنَ بِينَا[3]
وَقَعْنَ بغَارَةٍ ، وَطَلَبنَ أخرَى ، يُمَاطِلْنَ الإقَامَةَ وَالصُّفُونَا
تُكَفكِفُ وَهيَ في الغُلَوَاءِ تُلقي إلى أرْضِ العِدا نَظَراً شَفُونَا[4]
تَلَفُّتَ جُوَّعِ الآسَادِ فَاتَتْ فَرَائِسَهَا النُّيوبُ، وَقد دَمِينَا
تُحَاذِرُ في مَرَابِطِهَا وُقُوفاً ، وَإنْ بلَغَ العِدا أمَداً شَطُونَا
فلَوْ أُلجِمنَ لا لغِوَارِ حَرْبٍ ، لقَدْ ظَنّ العَدُوُّ بهَا الظُّنُونَا
أما شَهِدوا ليالي السُّوسِ مِنها، وَمَسحَبَهَا القَنيَّ بدارِ زِينَا[5]
وَمَنْشَرَها عَلَى هَضَبَاتِ بَمٍّ ، رِيَاطاً للعَجَاجَةِ مَا طُوِينَا[6]
إذا رَجَعَ الغَزِيُّ بِهِنّ حَسرَى ، أُعِدْنَ إلى الطّعَانِ كَمَا بُدِينَا
لَحِقْنَ طَرِيدَةً لَوْلا قَنَاهَا لَطَالَ رَوَاغُهَا للطّارِدِينَا

١ العفافة : بقية اللبن . اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .
٢ الأنابيب ، الواحد أنبوب : الطريقة في الجبل . القنون ، الواحدة قنة : أعلى الجبل .
٣ البين : ارتفاع في غلظ .
٤ الشفون : الغيور .
٥ السوس : كورة بالأهواز . دار زينا : موضع قرب عدن .
٦ البم : بلد بكرمان .

وَعُدْنَ ، وَفي حَقائِبِهِنّ هامٌ ، لَقِينَ مِنَ الصّوَارِمِ مَا لَقِينَا
بقَنّاصٍ أصَابَ ، وَفي يَدَيْهِ حَبَائِلُ قَدْ مُدِدْنَ لآخَرِينَا
نَوَائِبُ ألْقَتِ الجُلّى عَلَيْهِ ، فَقَامَ بِعِبْئِهِنّ وَمَا أُعِينَا
بَسَالَةُ هانىءٍ في حَيّ بَكْرٍ ، وَحَنظَلَةَ الذي قَطَعَ الوَضِينَا
وَهل يرْضَى المُطولَ وَفي الأعادي دُيُونٌ للصّوَارِمِ ما قُضِينَا
ألا جُزْتَ الجَوَازِي اليَوْمَ عنّي جَوَاداً ، لا أغَمّ وَلا هَجِينَا
نَمَاهُ أبٌ وَلُودٌ للمَعَالي ، وَأُمُّ أرَاقِمٍ تُدْهي البَنِينَا[1]
مِنَ العُظَماءِ أطْوَلُهُمْ عِماداً ، وَأنداهُمْ ، إذا مُطِرُوا ، يَمِينَا
تَبَوّعَ بي إلى قُلَلِ المَعَالي ، وَخَيّرَني المَعاقِلَ وَالحُصُونَا
فَأرْغَمَ بي عَلى رُغْمٍ أنُوفاً ، مُضَاغنَةً ، وَأقذى بي عُيُونَا
تَهَنّ بِمَطْلَعِ النّيرُوزِ وَابلُغْ مَطالِعَ مِثْلَهُ حِيناً ، فَحِينَا
مُرَحِّلَ كُلّ نَائِبَةٍ مُقِيماً ، مُذِيلاً للعِدا ، أبَداً مَصُونَا
تُظَفَّرُ بالمَآرِبِ طَيّعَاتٍ ، وَبالآمَالِ أبْكَاراً وَعُونَا
وَإنّ أحَقّ مِنكَ بأنْ يُهَنّى ، إذا مَدّ البَقاءَ لكَ ، السّنُونَا

[1] أم أراقم : الداه

فخر الفتى بالقول

قال وقد بلغه أن قوماً من أعدائه قالوا لبهاء الدولة قد جرت عادته بإنشاد الخلفاء شعره ، وإنه إنما يتكبر عليك بترك الإنشاد لأنه لم ينشد قط ممدوحاً ، وهذه فضيلة تفرد بها عن الشعراء،فكتب إليه بهذه الأبيات مع قصيدة في كتاب :

جَنَانِي شُجاعٌ إنْ مَدَحتُ وَإنّما   لِسَانيَ إنْ سِيمَ النّشيدَ جَبَانُ
وَمَا ضَرّ قَوّالاً أطَاعَ جَنَانَهُ ،   إذا خَانَهُ عِندَ المُلُوكِ لِسَانُ
وَرُبّ حَيِيٍّ في السّلامِ ، وَقَلبُهُ   وَقَاحٌ ، إذا لَفّ الجِيادَ طِعَانُ
وَرُبّ وَقَاحِ الوَجْهِ يَحمِلُ كَفُّهُ   أنامِلَ لمْ يَعرَقْ بهِنّ عِنَانُ
وَفَخرُ الفَتَى بالقَوْلِ ،لا بنَشيده،   وَيَرْوِي فُلانٌ مَرّةً وَفُلانُ

تعجب صحبي من بكائي

قال أيضاً رضي الله تعالى

دَعا بالوِحافِ السّودِ من جانبِ الحمى   نَزِيعُ هَوًى ، لَبّيتُ حينَ دَعَاني[1]
صَحْبي من بُكائي وَأنكَرُوا   جَوَابي لِمَا لَمْ تَسْمَعِ الأُذُنَانِ

[1] الوحاف ، الواحدة وحفة : أرض مستديرة مرتفعة سوداء .

فقُلتُ: نعم،لمْ تَسمعِ الأذنُ دَعوَةً ، بَلى ! إنّ قَلْبي سَامِعٌ وَجَنَاني
وَيا أيّها الرّكْبُ اليَمانُونَ خَبِّرُوا طَليقاً بأعْلَى الخَيفِ أنّيَ عَاني[1]
عِدُوهُ لِقَائي،أوْ عِدُوني لِقَاءَهُ ، ألا رُبّمَا دانَيتُ غَيرَ مُداني
وَما حَائِماتٌ يَلتَقِينَ مِنَ الصّدَى إلى المَاءِ قَدْ مُوطِلنَ بالرَّشَفَانِ
يَزِيدُ لهَا بالخِمسِ بَيَنَ ضُلُوعِهَا سَنَسمُ رِيحِ الشّيح وَالعلَجَان[2]
إذا قيلَ : هذا المَاءُ ، لمْ يَملِكوا لهَا مَعاجاً ، بِأقْرَانٍ وَلا بِمَثَانِ[3]
بأظْمَى إلى الأحبَابِ مِنّي ، وَفيهِمُ غَرِيمٌ ، إذا رُمْتُ الدّيُونَ لَوَاني
فَيَا صَاحِبيَّ رَحْلي ، أقِلاّ ، فإنّني رَأيْتُ بِليَيْلَى غَيرَ مَا تَرَيَانِ
وَيا مُزْجيَ النِّضْوِ الطّليحِ عَشيّةً ، تُرَاكَ بِبَطْنِ المَأزمَينِ تَرَاني
وَهَلْ أنَا غَادٍ أنْشُدُ النّبلَةَ التي بهَا عَرَضاً ذاكَ الغَزَالُ رَمَاني
فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أيّامِ جَمعٍ إلى مِنًى، إلى مَوْقِفِ التّجميرِ ، غَيرُ أمَاني
يُعَلِّلُ دائي بِالعِرَاقِ طَمَاعَةً ، وَكَيْفَ شِفَائي، وَالطّبيبُ يَمَاني !

١ الخيف : غرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس بمكة
٢ الشيح والعلجان : ضربان من النبات .
٣ مثاني الشيء : قواه وطاقاته

شر الأذى

قال في قوم يسرقون شعره :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي عِشَارٌ تَسُوقُهَا ... رِمَاحُ بَنِي الغَبْرَاءِ سَوْقَ الظَّعَائِنِ
أَحَالُوا عَلَيْهَا عَاكِسِينَ رِقَابَهَا ، ... وَطَوْا بِهَوَادِيهَا مَكَانَ الفَرَاسِنِ [1]
إذا جُزْتُ في أبْيَاتِ آلِ مُحَلِّمٍ ... تَرَاغَيْنَ نَحْوِي مِنْ وَرَاءِ المَعَاطِنِ
تَحِنُّ إلى تَرْعِيَّةٍ لَمْ يُرِدْ بِهَا ... وَبِيءَ المَرَاعِي ، وَالنِّطَافَ الأَوَاجِنِ [2]
وَخَالَسَنِيهَا كُلُّ أَطْلَسَ خَاتِلٍ ... خَفِيِّ المَرَامِي عن قِسِيِّ الضَّغَائِنِ
وَشَرُّ الأذَى ما جاءَ مِنْ غيرِ حِسبةٍ ، ... وَكيدُ المُبَادِي دونَ كيدِ المُدَاهِنِ
وَإنَّ بُلُوغَ الخَوْفِ من قلبِ خائِفٍ ... لدونَ بُلُوغِ الخَوْفِ من قلبِ آمِنِ
وَخَيلٍ جَرَرْنَ النَّقعَ في كُلِّ بلدةٍ ، ... وَنَاقَلْنَ فِيهَا بالطِّوَالِ المَوَارِنِ [3]
حوَاهَا العِدا عَنِّي ، فأصبَحنَ بالحِمى ... عَوَاطِلَ من آبي عليقٍ وَصَافِنِ
وَثَلَّةِ حَيٍّ قَدْ أضَبَّ بِأرْضِهَا ... ذُؤَالَةُ إضْبَابَ الغَرِيمِ المُدَايِنِ [4]
وَلَوْلا ذِئَابُ العَامِرِيِّ لَشَابَهَتْ ... بِمَكَّةَ أسْرَابَ الحَمَامِ القَوَاطِنِ

١ وطوا : مسهل وطأوا . الفراسن ، الواحد فرسن : وهو للبعير كالحافر للفرس .

٢ الترعية : الذي يجيد رعي الإبل . الأواجن ، الواحدة آجنة : المتغيرة اللون والطعم .

٣ الموارن ، الواحد مارن : الأنف .

٤ أضب من قولهم : أرض مضبة أي كثيرة الضباب . ذؤالة : اسم .

لَنَا كُلَّ يَوْمٍ مِنهُ ذِئْبٌ عَمَرَّدٌ ، دَمُ الشِّعْرِ في أنْيَابِهِ وَالبَرَائِنِ[1]
مَتَى تَطلَعوا نَجداً أوِ الغَوْرَ تُفضَحوا بوَسْمٍ فَشَتْ نيرَانُهُ في المَوَاطِنِ
خَطَبْتُم إلى شُمسِ الخُدورِ فوَارِكٍ طَوَالِقَ مِنْ حَبلِ اللّئَامِ بوَائِنِ
عذارَى بَغَتْ فيكُمْ بغاءَ نِسائِكُم، وَقَدْ كُنّ عندي في ثِيابِ الحَوَاضِنِ
خُذُوها فلَوْ قَرَنتُموها بِبَرْقَةٍ ، قَطَعْنَ إلى دارِي وثاقَ القَرَائِنِ[2]

ما يبقى وما يفنى

وقال في أبيات الشعر

وَمُستَهِلاّتٍ كصَوْبِ الحَيَا، تَبقَى ، وَأقوَالُ الفَتَى تَفنَى
مُنتَصِبَاتٍ كالقَنَا لا تَرَى عَبّاً مِنَ القَوْلِ وَلا أفْنَا
قَدْ حَرَمَ النّاظِرَ مِنْ حُسنِها قَائِلُهَا مَا رَزَقَ الأُذْنَا
لا يَفضُلُ المعنَى عَلى لَفْظِهِ شَيْئاً ، وَلا اللّفظُ على المَعنَى

[1] العمرد : الخبيث . البراثن ، الواحد برثن : هو من السباع كالظفر من الإنسان
[2] البرقة : الدهشة .

الرأي المأمون

وَوَصِيّةٍ خُلِقَتْ لنَا مِنْ حازِمٍ   وَطِءَ الزّمانَ سُهولَةً وَحُزُونَا
لَمّا تَعَذّرَ أنْ يُبَقّيَ نَفسَهُ ،   بَقّى عَلَيْنَا رَأيَهُ المَأمُونَا

هان الفراق

أيُّ المَنازِلِ نَرْضَى بَعدَكم وَطنا،   هانَ الفِراقُ فَما نُعنى بمَن ظَعَنَا
لَقَدْ سَقَوْكَ بِأطْبَاءٍ مُلَعَّنَةٍ   كأنّما كُنتَ تُسقى السّمّ لا اللّبَنَا

الطلول وأهلها سيان

هَذي المَنازِلُ فاضرِبي بِجِرانِ ،   وَتَذَكّرِي الأوْطَارَ بِالأوْطَانِ
حَيِّ الطُّلُولَ كَمَا تُحَيّي أهلَها،   إنّ الطُّلُولَ وَأهْلَهَا سِيّانِ

ذم الزمان

قُصُورُ الجَدّ مَعْ طولِ المَسَاعي، وَقَوْلُ النّاسِ: لم يَنجَحْ فُلانُ
أحَبُّ إليّ مِنْ سَعيٍ هَجِينٍ ، وَإنْ بَلَغَ العُلَى جَدٌّ هِجَانُ
يُذَمّ ليَ الزّمَانُ ، إذا ألامَتْ يَدَاهُ ، وَلا يُذَمّ بيَ الزّمَانُ

جامح الجد

سَبَقَ الدّهْرَ جَدُّكُمْ فيالرّهان، وَعَلَتْ نَارُكُمْ على النّيرَانِ
وَجَرَى في عِنانِكُمْ جامحُ الجَدّ ، مُطُولاً يَلوِي بكُلّ عِنَانِ

الأماني المرعية

هَبي لي نَيَّ زَوْرِكِ وَالبَوَاني ، وَأمّي مَسْقِطَ النّجمِ اليَمَاني[1]
فإنّك مَا رَعَيت مِنَ الفَيَافي طَوِيلاً ، مَا رَعَيتِ مِنَ الأمَاني

[1] البواني : عظام الصدر .

بئس التحية

بِئْسَ التّحيّةُ بَيْنَنَا المُرّانُ ، وَضِرَابُ يَوْمٍ وَقيعَةٍ وَطِعَانُ
بَسَطُوا إليّ أنَامِلاً مَغرُوسَةً في اللُّؤمِ لمْ يَعرَقْ لهنّ عِنَانُ

هجائن بيض وجون

قال أيضاً قدس الله تعالى روحه :

وَبَرْقٍ حَدا المُزْنَ حَدْوَ الثّقَالِ ، يُزَجّي عَلى الأينِ حيناً فحينَا
كَرَاعي العِشَارِ أحَسّ الظّلامَ ، فَساقَ الهَجائِنَ بِيضاً وَجُونَا

حرف الهاء

الى أين

قال في غرض من الأغراض
وذلك في شهر شوال سنة ٣٩٧ :

إلى أينَ مَرْمَى قَصْدِها وَسُرَاهَا ، رَمَى اللهُ مِنْ أخْفَافِهَا بِوَجَاهَا
هُوَ اليَأسُ فليُحبَسْ هِبابُ رِقابِها ، كمَا كانَ مَغرُورُ الرّجاءِ حَدَاهَا[1]
رَأتْ لامِعاً ، فاستَشرَفَتْ لمَضَائِهِ ، وَلَوْ كانَ مِنْ مُزْنِ النّدى لشَفَاهَا
تَدافَعَها الحَيُّ اللّئِيمُ عَمَايَةً ، وَأعرَضَ طَوْعَ اللُّؤْمِ ، وَهوَ يَرَاهَا
فَماطَلَ أصْحابُ الحِياضِ وُرُودَها ، وَأعتَمَ أرْبَابُ المَبِيتِ قِرَاهَا[2]
تُلَطِّمُهَا الأيدي القِصارُ عن الرُّقَى ، وَخَيرٌ مِنَ الرّيّ الذّليلِ صَدَاهَا
تَرَى كُلّ مَيْلاءِ السّنَامِ كَأنّمَا مِنَ الطّوْدِ ، إلاّ زَجْوَهَا وَخُطَاهَا[3]
مُنَاقِلَةً تَنْجُو بِزَجْرَةِ غَيرِهَا ، وَتَرْهَبُ سَوْطَ المَرْءِ رَاعَ سِوَاهَا

١ الهباب : النشاط .
٢ اعتموا قراها : أبطأوا به .
٣ الزجو : السوق .

تَكادُ مِنَ الإسْرَاعِ تَسبُقُ أُمَّهَا بمَنْتَجِهَا ، قَبلَ اللّقَاحِ ، آبَاهَا
تَعُودُ وَلَمْ تَشرَعْ بحَوْضِ ابنِ حرّةٍ ، وَلا عَرِيَتْ عِندَ الكِرَامِ ذُرَاهَا
رَأينَ دِيَاراً بَينَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ مَرَاعي لِيَوْمٍ لا تَلُسّ خَلاهَا[1]
نُفُوسُ لِئَامٍ لا تُحَلّ عُقُودُهَا ، وَأيدي جُمودٍ لا يَنُضّ صَفَاهَا[2]
ألا ! لا تَلومُوا ظاعِناً قَذَفَتْ بِهِ بَنَاتُ السُّرَى عَنْ أرْضِكُم وَنَوَاهَا
رَعَتْ ذُرْوَةً فيكُم ضُحَىّ جاشِرِيّةً ، فأجْشَرْتُ في أوْطانِكُم ، وَأعَاهَا[3]
تَحَمّلَ عَنْهَا شَرُّ دارِ إقَامَةٍ ، إذا قِيلَ : أيّ الأرْضِ ؟ قال : خَلاهَا
فكَمْ مُوحَشَاتٍ بالرّفاقِ أزَاحَهَا ، وَلِمّةِ لَيْلٍ بالمَطِيّ فَلاهَا
كَأنّ حِماكُم خِطّةُ الخَسفِ للفتى إذا سِيمَهَا الحُرّ الكَرِيمُ أبَاهَا
وَلَوْ بابنِ لَيلى كانَ مَلقَى رِحَالِهَا ، لَطَرّقَ مِنْ حُرّ النُّضَارِ ثَرَاهَا
تَبَايَسْتَهَا فِعلاً ، فَكَمْ من عَظيمَةٍ أتَيتَ بهَا مَرْحُولَةً ، وَكَفَاهَا
حَمَاكَ مُلِمّاً مُنتَضًى لَكَ حَدُّهُ ، وَداهِيَةً تَشْحُو لِضِغْنِكَ فَاهَا
غَداةَ أغَامَتْ بِالعَجَاجِ سَمَاؤهَا ، وَدارَتْ عَلى قُطبِ الطّعانِ رَحَاهَا
إذا السّيلُ وَالى في الرِّكَاءِ سِجَالَهُ ، وَأنْبَطَ ، أنقَوْتَ النّدى ، وَأمَاهَا[4]

١ بصرى : بلدة بالشام ، وقرية ببغداد . جاسم : قرية بالشام . تلس : تأخذ بطرف لسانها . خلاها : الرطب من نباتها .

٢ ينض : يسيل . صفاها : صخرها .

٣ الجاشرية : الإبل المخرجة إلى المرعى . أعاه القوم : أصابت ماشيتهم العاهة .

٤ الركاء ، الواحدة ركية : البئر ذات الماء . السجال ، الواحد سجل : الدلو العظيمة . انقوت : اختيرت . أماه ، من أماه الحافر : بلغ الماء ، وأماهت السماء : أسالت ماء كثيراً .

أرَى شَجَراً طالَتْ وَقصّرَ ظِلُّهَا ، فَلا أوْرَقَتْ يَوْماً وَطَالَ ذوَاهَا[1]
وَلَوْ جَمَعَتْ لَوْنَينِ بُذلُ شِباكِها لَطالبَهَا الرّاجي بِمَنْعِ جَنَاهَا
أضَرّاً وَلُؤماً ، لا أباً لأبيكُمُ ، سَفَاهاً لرَأيِ العَاجِزِينَ سَفَاهَا
نَلومُ أكُفّ المُحسنينَ، إذا جنَتْ، فكَيْفَ بأيْدٍ لا يُنَالُ جَدَاهَا
ضَلالاً لرَاجي نَشطَةٍ من رَبيعِكُمْ رَمَى الدّاءَ في أكْلائِكُمْ فحَمَاهَا[2]
وَعَينٍ رَجتكُمْ أنْ تَكُونوا جَلاءها، فكُنتُمْ عَلى عَكسِ الرّجاءِ قَذاهَا
طَلَبتُمْ ثَنَائي ثمّ عِفتُم سَمَاعَهُ، كَمَنْ خَطَبَ العَذراءَ ، ثمّ قَلاهَا
وَمَا كُلّ جِيدٍ مَوْضِعٌ لِقَلائِدي، وَلا قَمِنٌ مِنْ صَوْغِها وَحِلاهَا
فَلا تَغرُرَنْ عَينَيكَ يا خابِطَ الدُّجى قِبَابٌ بَنَاهَا اللّؤمُ حَيثُ بَنَاهَا
وَدارُ لِئَامٍ إنْ رَأى الرّكْبُ سَمتَها تَحَايَدَ عَنها عامِداً ، وَطَوَاهَا
مَسَاوٍ كَنيرَانِ البِقَاعِ مُضيئَةٍ . وَنَارُ ظَلامٍ لا يُضِيءُ سَنَاهَا
ألا غَنّيَاني بالدّيَارِ ، فَإنّني أُحِبّ زَرُوداً مَا أقَامَ ثَرَاهَا
وَبَيْنَ النّقَا وَالأنْعُمينِ مَحَلّةٌ حَبيبٌ لِقَلْبي قَاعُهَا وَرُبَاهَا[3]
وَنَعمانُ ، يا سُقيا لنَعمانَ، ما جرَتْ عَلَيْهِ النّعَامَى بَعْدَنَا وَصَبَاهَا[4]
وَللقَلْبِ،عِنْدَ المَأزِمَينِ وَجَمعِها، دُيُونٌ وَمَقضَى خَيفِها وَمِنَاهَا

١ ذواها : ذبولها .
٢ الأكلاء ، الواحد كلأ : العشب .
٣ الأنعمان : واديان ، أو هما الأنعم وعاقل .
٤ نعمان : وادٍ وراء عرفة ، وهو نعمان الاراك .

وَظَبْيٍ بِأطْوَارِ الجِمَارِ ، إذا غَدا رَمَى كَبِداً مَقْرُوحَةً وَرَمَاهَا
وَغيداءَ لم تَصْحبْ سوَى الشّمسِ أختِها ، وَلا جاوَرَتْ إلاّ الغَزَالَ أخَاهَا
وَخُلّةِ فُرْسَانٍ عيُونُ ظِبَائِهَا أمَضُّ جِراحاً مِنْ طِعانِ قَنَاهَا
هيَ الدّارُ لا دارٌ بأكْنافِ بابِلٍ ، جَدِيرٌ بِضَيْمِ النّازِلِينَ حِمَاهَا
مَنازِلُ مَمْنُونٌ على الرّكْبِ زَادُها ، نَزُورٌ على كَدّ المِطَالِ جَدَاهَا
فَلا سُقِيَتْ إلاّ الصّوَارِمَ وَالقَنَا ، وَلا صَابَ إلاّ بِالدّمَاءِ حَيَاهَا

دع القلب

قال قدس الله تعالى سره

تَلَفّتُّ ، وَالرّمْلُ مَا بَيْنَنَا ، وَأعْلامُ ذي بَقَرٍ أو رُبَاهُ[1]
فَقُلْتُ على طَرَبَاتِ الهَوَى : عسَى الطّرْفُ يَبلُغُهم او كَرَاهُ
فَما لَقيَ الحُبُّ إلاّ الجَوَى ، وَلا بَلَغَ الطّرْفُ إلاّ قَذاهُ
بذِكرِي أشَمُّ ثَرَى أرْضِهِ ، علَى نَأيِهِ ، وَبِقَلْبِي أرَاهُ
عَسَى مَنْ رَمَى بالمُحبّ الغَرِيـ ـبِ مَرْمًى بَعيداً يُقَضّي نَوَاهُ
وَتَدْنُو الدّيَارُ بِسُكّانِهَا ، تَمَنّي امرِىءٍ ما عَرَاكم عَرَاهُ

[1] ذو بقر : واد بين أخيلة حمى الربذة .

أصَاحِ ترَى البَرْقَ في لَمْعِهِ   تَخَلُّجَ أيْمٍ يُلَوّي مَطَاهُ
وَقَالُوا : سَنَاهُ عَلى رَامَةٍ ،   وَيَا بُعْدَ مَوْقِفِنَا مِنْ سَنَاهُ
دَعِ القَلبَ يأرَقُ من ذِكرِهم،   فقد ذاقَ من بَينِهم ما كَفاهُ
فَلا حَطّ إلاّ بِهِمْ رَحْلَهُ ،   وَلا جَادَ إلاّ عَلَيْهِمْ حَيَاهُ

آحبك

قال قدس الله تعالى روحه يذكر
أيامه بمنى وهي من الحجازيات :

أحِبُّكِ ما أقامَ مِنًى وَجَمْعٌ ،   وَمَا أرْسَى بِمَكّةَ أخْشَبَاهَا[1]
وَمَا رَفَعَ الحَجيجُ إلى المُصَلّى ،   يَجُرّونَ المَطيّ عَلى وَجَاهَا[2]
وَما نَحَرُوا بِخَيفِ مِنًى ، وكَبّوا   عَلى الأذْقانِ مُشعَرَةً ذُرَاهَا
نَظَرْتُكِ نَظْرَةً بالخَيفِ كانَتْ   جَلاءَ العَينِ مِنّي بَلْ قَذاهَا
وَلَمْ يَكُ غَيرُ مَوْقِفِنا فَطارَتْ   بكُلّ قَبِيلَةٍ مِنّا نَوَاهَا
فَوَاهاً كَيْفَ تَجْمَعُنَا اللّيَالي؛   وآهاً مِنْ تَفَرّقِنَا ، وآهَا

١ الأخشبان : هما جبلا مكة أبو قبيس والأحمر .
٢ رفعوا : أصعدوا . وجاها : حفاها .

فَـأُقْسِمُ بالوُقُوفِ عَلى ألالٍ ، وَمَنْ شَهِدَ الجِمارَ، وَمن رَماهَا[1]
وَأرْكَانِ العَتيقِ وَبَانِيَيْهَا ، وَزَمزَمَ وَالمَقَامِ وَمَنْ سَقَاهَا
لأنْتِ النّفْسُ خَالِصَةً ، فإن لمْ تَكُونِيهَا ، فَأنْتِ إذاً مُنَاهَا
نَظَرْتُ بِبَطْنِ مكّةَ أُمَّ خِشفٍ تَبَغَّمُ ، وَهيَ نَاشِدَةٌ طَلاهَا[2]
وَأعجَبَني مَلامِحُ مِنكِ فيها ، فَقُلتُ أخَا القَرِينَةِ أمْ تُرَاهَا ؟
فَلَوْلا أنّني رَجُلٌ حَرَامٌ ، ضَمَمتُ قُرُونَها وَلَثَمتُ فَاهَا[3]

ثالث النيروز

قال قدس الله تعالى روحه وكتب بها إلى بهاء الدولة بفارس في جمادى الآخرة سنة ٣٩٤ :

يا طَالِباً مُلْكَ بَنِي بُوَيْهِ ! مَا أنْتَ مِنْ ذاكَ وَلا إلَيْهِ
إرْثُ قِوَامِ الدّينِ عَنْ أبيهِ ، خَلَّ عِنَانَ المُلْكِ في يَدَيْهِ
مُنَاضِلاً يَذُبُّ عَنْ ثَغْرَيْهِ بَدِيهَةَ الصِّلِّ جَلا نَابَيْهِ
يُلَجْلِجُ المَوْتُ بِمَاضِغَيْهِ ، يَكْتَلىءُ الدّينَ بِنَاظِرَيْهِ

١ آلال : جبل بعرفات .
٢ الخشف : ولد الظبي . تبغم : تصيح . ناشدة : طالبة . طلاها : ولدها
٣ الحرام : المحرم .

كالمِقْضَبِ اضْطُرّ إلى حَدّيْهِ ، نَجَا الذي فَازَ بِحَجْزَتَيْهِ[1]
وَضَلّ مَغْرُورٌ بِمَا لَدَيْهِ ، يَحْتَكّ بالعَضْبِ وَمَضْرِبَيْهِ
شَتّانَ مَنْ يَنفُضُ مِذْرَوَيْهِ ، مُخايِلاً ، يَنظُرُ في عِطْفَيْهِ[2]
مَا نَقَلَ الذّابِلَ في كَفّيْهِ ، وَمَنْ طَوَى المَجدَ على غَرْبَيْهِ
مُرْتَقِياً إلى ذُؤابَتَيْهِ ؛ إذا المَقَامُ لَمْ يَقُمْ حَوْلَيْهِ
قَامَ بِهِ يَرْكُدُ في حَالَيْهِ ، لا يَطرِفُ الهَوْلُ بهِ جَفنَيْهِ[3]
شَوْكُ القَنَا يَلدَغُ أخمَصَيهِ ؛ قَدْ قُلْتُ للطّالِبِ غَايَتَيْهِ
أقعِ ،فَما غَوْرُكَ مِنْ نَجدَيهِ ، ما أنتَ وَالطّولُ إلى فَرْعَيْهِ
سِقْطُ شَرَارٍ طارَ عَن زَنْدَيْهِ ، مَنْ يَطْلَعُ اليَوْمَ ثَنِيّتَيْهِ
قَدْ سَبَقَ النّاسَ إلى مَجْدَيْهِ ، سَبْقَ الجَوَادِ بِقِلادَتَيْهِ
في فَلَكِ العِزّ إلى قُطْبَيْهِ ، يُمْسِي بِهِ ثَالِثَ نَيّرَيْهِ
أيُّ فَتًى يَنزِعُ في سَجلَيْهِ قَدْ وَرَدَ المَاءَ بِجُمّتَيهِ
أمَا تَرَى الضّرْغامَ في غابَيْهِ مُزَمْجِراً يَفْتِلُ سَاعِدَيْهِ
قَد أنشَبَ الفَرِيسَ في ظِفرَيْهِ ؛ هَيْهَاتَ مَنْ يَغلِبُهُ عَلَيْهِ
أقْسَمْتُ بالبَيْتِ وَبَانِيَيْهِ ، عَظّمَ مَا عَظّمَ مِنْ رُكْنَيْهِ
رَبٍّ مِنًى وَرَبٍّ مَأزِمَيْهِ ، وَرَبٍّ مَنْ عَجّ بِوَقْفَتَيْهِ

١ المقضب : السيف الشديد القطع . الحجزتان ، مثنى حجزة : موضع شد الإزار .
٢ المذروان : طرفا الألية وطرفا الرأس . وجاء ينفض مذرويه أي جاء باغياً مهدداً .
٣ يركد : يسكن .

عُرْيانَ إلاّ مَعْقِدَيْ بُرْدَيْهِ ، لَقَدْ وَسَمتُ الدّهرَ صَفحتَيهِ
يَقُودُهُ يُوضِعُ في عَرْضَيْهِ ، قَوْدَ الضّليعِ مَلّ جاذِبَيْهِ
قَدْ أغبَطَ الرّحْلَ عَلى دَفّيْهِ ، حتّى رَأيْنَا نَضْحَ ذَفْرَتَيْهِ[1]
يا نَفسِ ضَنّي بكِ أنْ تَلقَيْهِ عَسَاهُ يَدْعُوكِ لأنْ تَرَيْهِ
لَبّيْهِ مِنْ داعٍ دَعَا لَبّيْهِ

وقف الهوى بي عندها

قال وهي من لواحق الحجازيات
وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٣٩٠ :

عَادَ الهَوَى بِظِبَاءِ مَـ كّةَ للقُلُوبِ كمَا بَدَاهَا
وَخَبَتْ عَلَيكَ مِنًى تَبا رِيحَ الغَرَامِ وَمَا زَهَاهَا[2]
طَرَباً عَلى طَرَبٍ بِهَا ، يا دِينَ قَلبِكَ من جوَاهَا[3]
إنّي عَلِقْتُ عَلى مِنًى لَمْيَاءَ يَقْتُلُني لَمَاهَا

١ أغبط الرحل : أدامه على الدابة . الدفان : الجنبان . النضح : الرش . الذفرة : النتن .
٢ خبت : لعلها من خبى أي ستر وأخفى . أو أنها من خبت النار : سكنت ، فتكون التباريح فاعلاً ، وتكون منى منصوبة بنزع الخافض أي في منى .
٣ الدين : الداء . الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق .

رَاحتْ مَعَ الغزْلانِ قَدْ   لَعِبتْ بقَلبي ، ما كَفاهَا
تَبغي الثوابَ ، فمُهجتي   هَذي القَرِيحَةُ مَنْ رَمَاهَا
تَزْهُو عَلى تِلْكَ الظِّبَا   ءِ فَلَيتَ شِعرِي مَنْ أبَاهَا
وَقَفَ الهوَى بي عِندَها ،   وَسَرَتْ بِقَلْبي مُقْلَتَاهَا
بَرَدَتْ عَليَّ كَأنَّمَا   طَلٌّ الغَمَامَةِ عَارِضَاهَا
شَمْسٌ أقبّلُ جِيدَهَا ،   يَوْمَ النّوَى، وَأجلُّ فَاهَا
وَأذُودُ قَلْباً ظَامِئاً ،   لوْ قيلَ : وِرْدك ما عداهَا
وَلَوِ استَطاعَ لَقَدْ جرَى   مَجرَى الوِشاحِ على حَشاهَا
يَا يَوْمَ مُفتَرَقِ الرِّفَا   قِ تُرَى تَعُودُ لِمُلْتَقَاهَا؟
قالَتْ : سَيَطْرُقُكَ الحَيَا   لُ مِنَ العَقيقِ على نَوَاهَا
فَعِدي بِطَيفِكِ مُقْلَةً ،   إنْ غِبتِ تَطمَعُ في كَرَاهَا
إنّي شَرِبْتُ مِنَ الهَوَى   حَمرَاءَ صَرّفَ سَاقِيَاهَا
يا سَرْحَةً بالقَاعِ لَمْ   يُبْلَلْ بِغَيرِ دَمي ثَرَاهَا
مَمْنُوعَة ، لا ظِلُّهَا   يَدْنُو إليّ ، وَلا جَنَاهَا
أكَذا تَذُوبُ عَلَيْكُمُ   نَفسِي ، وَمَا بَلَغَتْ مُنَاهَا
جَسَدٌ يُقَلَّبُ للضّنَى ،   بِيَدَيْ طُبَيْبَةٍ سِوَاهَا
أينَ الوُجُوهُ أحِبُّهَا ،   وَأوَدّ لَوْ أنّي فِدَاهَا
أمْسِي لَهَا مُتَفَقّداً ،   في العَائِدِينَ ، وَلا أرَاهَا
وَاهاً ، وَلَوْلا أنْ يَلُو   مَ اللاّئمونَ، لقُلتُ: آهَا

مولى شهوته

قال رضي الله تعالى عنه

أكْبَحُ النفسَ إنْ جمَحـ ... تُ إلى غايَةٍ بِهَا
أنَا مولًى لشَهْوَتي ، ... وَسِوَايَ عَبْدٌ لَهَا
لا يَذِلُّ العزَيزُ إ ... لاّ إذا رَامَ مَسَّهَا
لَوْ رَأى المُسْتَغِرُّ مَا ... ضَرَرُ اللّهْوِ مَا لَهَا

لمن الأسياف والقنا

قال أيضاً قدس الله روحه :

لِمَنْ بَعْدَهُ أسْيَافُهُ وَقَنَاهُ ، ... وَمَنْ يُولَعُ البِيضَ الرّقاقَ سِوَاهُ[1]
فَقَدْ كانَ يَرْجُو أنْ يَنَالَ مُنَاهُ ، ... فَخَلّفَني فَرْداً ، وَنَالَ رَدَاهُ

[1] يولع : يحب . البيض : منصوبة بنزع الخافض ، أي يولع بالسيوف .

حرف الواو

اذكروني

وجد له رضي الله تعالى عنه على روي الواو قوله :

عَلِقَ القَلْبُ مَنْ أطَالَ عَذابي ، وَرَوَاحي عَلى الجَوَى وَغُدُوّي
وَافترَقْنَا في مَذهَبِ الحُبّ شتّى بَيْنَ تَقْصيرِهِ ، وَبَيْنَ غُلُوّي
كَانَ عِنْدِي أنّ الحَبيبَ شَقيقي في التّصَافي، فَكَانَ عَينَ عَدُوّي
ساءَني ، مُذ نأيتُ ، نِسيانُ ذِكرِي، فاذكُرُوني ، وَلَوْ ذُكِرْتُ بِسوّ

حرف الياء

خذوا نظرة مني

قال رضي الله تعالى عنه عند توجه الناس إلى الحج وذلك في ذي القعدة من سنة ٤٠٠ :

أقُولُ لرَكْبٍ رَائِحِينَ : لَعَلّكُم ... تَحِلّونَ مِنْ بَعدي العَقيقَ اليَمانيَا
خُذوا نَظرَةً منّي فلاقُوا بها الحِمى، ... ونَجداً وكُثبانَ اللّوَى وَالمَطاليَا[1]
وَمُرّوا علَى أبْيَاتِ حَيٍّ بِرامَةٍ ... فَقُولُوا : لَديغٌ يَبتَغي اليَوْمَ رَاقيَا
عَدِمْتُ دَوَائي بالعِرَاقِ فَرُبّمَا ... وَجَدْتُمْ بِنَجدٍ لي طَبيباً مُداوِيَا
وَقُولوا لجيرَانٍ على الخَيفِ من مِنًى : ... تُرَاكُمْ مَنِ استَبدَلتُمُ بجِوَارِيَا
وَمَن حلّ ذاكَ الشِّعبَ بعدي وَرَاشقتْ ... لَوَاحِظَهُ تِلْكَ الظّبَاءَ الجَوَازِيَا
وَمَنْ وَرَدَ المَاءَ الذي كُنتُ وَارِداً ... بهِ وَرَعَى الرّوْضَ الذي كنتُ رَاعِيَا
فَوَالهَفَتي كَم لي على الخَيفِ شَهقَةً ... تَذُوبُ علَيها قِطعَةٌ مِن فُؤادِيَا
صَفَا العَيشُ من بَعدي لحَيٍّ على النّقا ... حلَفتُ لهمْ لا أقرَبُ المَاءَ صَافِيَا
فَيَا جَبَلَ الرّيّانِ إنْ تَعرَ مِنهُمُ ، ... فإنّي سَأكْسُوكَ الدّموعَ الجَوَارِيَا

١ كل ما مر من الأسماء هو أسماء أمكنة .

وَيا قُرْبَ ما أنكَرْتُمُ العَهدَ بَينَنَا ، نَسيتُمْ وَمَا استَوْدَعتُمُ الوُدّ ناسيَا
أأنْكَرْتُمُ تَسليمَنَا لَيْلَةَ النّقَا ، وَمَوْقِفَنَا نَرْمي الجِمَارَ لَيَالِيَا
جَارَاني بعَيْنَيْهِ شَادِنٌ حديثَ النّوَى حتّى رَمَى بِي المَرَامِيَا
رَمَى مَقتَلي مِنْ بَينِ سِجفَيْ عَبيطِهِ ، فَيَا رَامِياً لا مَسّكَ السّوءُ رَامِيَا
فَيَا لَيْتَني لمْ أعلُ نَشْزاً إلَيكُمُ حَرَاماً وَلَمْ أهبِطْ من الأرْضِ وَادِيَا
وَلَمْ أدرِ ما جَمعٌ وَمَا جَمرَتَا مِنًى ، وَلَمْ ألقَ في اللاّقِينَ حَيّاً يَمَانِيَا
وَيا وَيْحَ قَلبي كَيفَ زَايَدتُ في منًى بذي البَانِ لا يُشرَينَ إلاّ غَوَالِيَا
تَرَحّلْتُ عَنكُمْ لي أمَامي نَظرَةٌ ، وَعشرٌ وَعشرٌ نَحْوَكُمْ لي وَرَائِيَا
وَمِنْ حَذَرٍ لا أسألُ الرّكْبَ عنكُمُ ، وَأعلاقُ وَجْدي باقِيَاتٌ كما هِيَا
وَمَن يَسألِ الرّكبانَ عن كلّ غائبٍ ، فَلا بُدّ أنْ يَلقَى بَشيراً وَنَاعِيَا
وَمَا مُغزِلٌ أدْمَاءُ تُزْجي برَوْضَةٍ طَلاً قاصِراً عن غايَةِ السّرْبِ وَانِيَا[1]
لهَا بَغَمَاتٌ خَلْفَهُ تُزْعِجُ الحَشَى كجَسّ العَذارَى يَختَبِرْنَ المَلاهِيَا
يَحُورُ إلَيْهَا بالبُغَامِ ، فتَنثَني كَما التَفَتَ المَطلوبُ يخشَى الأعادِيَا
بأرْوَعَ مِنْ ظَميَاءَ قَلباً وَمُهْجَةً ، غَداةَ سَمِعْنَا للتّفَرّقِ داعِيَا
تُوَدّعُنَا مَا بَينَ شَكوَى وَعَبرَةٍ ، وَقَدْ أصْبَحَ الرّكْبُ العِرَاقيُّ غَادِيَا
فلَمْ أرَ يَوْمَ النّفرِ أكثَرَ ضَاحِكاً ؛ وَلَمْ أرَ يَوْمَ النّفرِ أكثَرَ بَاكِيَا

١ المغزل : الظبية التي لها غزال . أدماء : بيضاء تعلوها غبرة . تزجي : تسوق .

مباني المعالي

قال قدس الله تعالى روحه في تذكر
الحنين وجماعة من أصدقائه انقرضوا
وذلك في شعبان سنة ٣٩٢ :

مَنْ رَأى أعيُناً حَذَفْ ... نَ الدّمُوعَ الجَوَارِيَا
قَدْ عرَفْنَ السُّهَادَ حَ ... تّى نَكَرْنَ اللّيَالِيَا
تَتْبَعُ النّجْمَ نَظْرَةً ، ... وَالوَمِيضَ اليَمَانِيَا
كُلَّ يَوْمٍ يَجِدْنَ رَبْ ... عاً مِنَ الحَيِّ خَالِيَا
بِدُمُوعٍ رَوَائِحاً ، ... وَدِمَاءٍ غَوَادِيَا
إنْ تَرَ الطّرْفَ دامِعاً ، ... فَاعْلَمِ القَلْبَ دامِيَا
قُلْ لِوَادٍ عَلى الثّوِ ... يّةِ : حُيّيتَ وَادِيَا
أينَ قَوْمٌ عَهِدْتُهُمْ ... يَمْلَؤونَ المَقَارِيَا[1]
لا يُخَلّي غَدِيرُهُمْ ... عَنْ حَيَا المَاءِ ظَامِيَا
لَحَبَوُا المَجْدَ وَابْتَنَوْا ... في المَعَالي مَبَانِيَا
وَثَبُوهَا . وَغَيرُهُمْ ... صَعِدُوهَا مَرَاقِيَا
مَعْشَرٌ . إنْ بَلَوْتَهُم ... غَيّبَهُمْ وَالمَبَادِيَا

[1] المقاري : أوان تقرى بها الضيوف ، الواحد مقرى .

كَرُمُوا أنْفُساً عِظَا	مأ ، وَرَاقُوا مَجَالِيَا
وَمُلُوكٌ قَادُوا الرُّؤو	سَ مُطِيعاً وَآبِيَا
لا يُبَالُونَ فِي القِيَا	دِ الرِّقَابَ العَوَاصِيَا
وَإذا اليَوْمَ قَرَّبُوا	للطِّعَانِ المَذاكِيَا
أعجَلُوا المُلجَمات ِ، أوْ	رَكِبُوهَا عَوَارِيَا
وَرَسَوْا فِي ظُهُورِهَا	يَعلَقُونَ النَّوَاصِيَا
كَأُسُودِ الشَّرَى رَكِبـ	نَ الظِّبَاءَ العَوَاطِيَا
وَإذا مَا غَدَا فَمُ الشَّمْـ	سِ بالنَّقْعِ رَاغِيَا
حَفِظُوا عَوْرَةَ العُلى ،	وَرَقُوا للعَوَالِيَا
كَمْ رَمَوْا بالمَطِيِّ تِلْـ	كَ الحُزُونَ الفَيَافِيَا
يَعْسِفُونَ الذُّرَى وَيَعْـ	تَسِفُونَ المَوَامِيَا[1]
جَمَّلُوا شَحْمَةَ السَّنَا	مِ ، وَقَدْ كَانَ وَارِيَا[2]
كُلُّ صِلٍّ يَبِيتُ فِي	مَرْبَإِ النَّجْمِ رَابِيَا
زَحَمَتْ مِنْهُمُ المَنُو	نُ الجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
لَمْ تَخَفْ مِنْهُمُ القَنَا	وَالدُّرُوعَ الأوَاقِيَا
قُلُلٌ للعَلاءِ عَا	دَتْ تُرَاباً وَسَافِيَا
وَعِظَامُ البَلاءِ صَا	رُوا عِظَاماً بَوَالِيَا

١ يعسفون ويعتسفون : يسيرون على غير طريق . الموامي ، الواحدة موماة : المفازة .
٢ جملوا : أذابوا . الواري : السمين .

ومضوا مُعْقِبِينَ إرْ ثاً مِنَ المَجْدِ باقِيَا
كُلَّمَا أحْرَزُوا المَكَا رِمَ شَادُوا المَعَالِيَا
فَهُمُ اليَوْمَ جِيرَةٌ لا يُجِيبُونَ داعِيَا
قَرَعَ الذّلُّ مِنْهُمُ مَارِناً كَانَ حَامِيَا
وَأنَاخُوا مُنَاخَ مَنْ لَمْ يَرَ، الدّهر، سارِيَا
طَوّحَتْهُمْ أيْدِي المَنُو نِ الغُيُوبَ الأقَاصِيَا
كَنِبَالِ القَارِيّ يَرْ مي بِهِنّ المَرَامِيَا[1]
كُنْتُ مِنْ مَجْدِهِمْ أحِلُّ الذُّرَى وَالرّوَابِيَا
وَإذا شِئْتُ زَاحَمُوا بالقَنَا مِنْ وَرَائِيَا
أقرَضُونِي، مِنْ عِزّهِمْ، وَازِنَ القَدْرِ وَافِيَا
فَجزُوا أنْ قَضَيْتُهُمْ مِنْ يَدِي أوْ لِسَانِيَا
وَإذا أعْوَزَ الجَزَا ءُ جَزَيْتُ القَوَافِيَا
وَأرَى بَعْدَهُمْ مَوَا مِيَ قَوْمِي مَرَامِيَا
وَرِجَالاً قَدْ أعْبَقُوا بِالبُرُودِ المَخَازِيَا
إنْ لَقُونِي أصَادِقاً، فَارَقُونِي أعَادِيَا
مَا تَرَى النّاسَ كالبِهَا مِ يُوَقِّعْنَ ضَارِيَا
كُلَّ يَوْمٍ يُجَهّزُو نَ إلى اللهِ غَازِيَا
وَيَقُودُونَ سَالِياً عَنْ قَلِيلٍ وَنَاسِيَا

[1] القاري: المنسوب إلى القارة، وهم رماة من العرب مشهورون.

رِيعَةُ الذَّوْدِ قَدْ أَمِـ ... نَ عَلَى القُرْبِ حَادِيَا
قَدْ رَجَعْنَا ضَوَاحِكاً ، ... وَمَضَيْنَـا بَوَاكِيَا
وَتَرَى المَرْءَ إِنْ رَأى ... عَارِضَ الخَطْبِ رَانِيَا
خَافِقَ الجَأْشِ نَاظِراً ... مَنْ يُجِيبُ الدَّوَاعِيَا
فَإِذَا انْجَابَ لَيْلُهُ ، ... وَانْجَلَى عَنْهُ نَاجِيَا
طَرَحَ الهَمَّ جَانِباً ، ... وَتَمَنَّى الأَمَانِيَا
مَا لِهَذَا الزَّمَانِ يُلْـ ... قِي عَلَيْنَا المَرَاسِيَا
كُلَّ يَوْمٍ يَجْلُو عَلَيْـ ... نَا خُطُوباً عَوَادِيَا
كَمْ طَوَى بِالرَّدَى صَفِـ ... يّاً لِقَلْبِي مُصَافِيَا
ثَالِثَ النَّاظِرَيْنِ عِـ ... زّاً ، وَلِلنَّفْسِ ثَانِيَا
صَارَ بِالدَّمْعِ آمِراً ... فِيهِ مَنْ كَانَ نَاهِيَا
أَغْتَدِي مِنْهُ عَاطِلاً ، ... بَعْدَمَا كُنْتُ حَالِيَا
عَطَّلَ الكَأْسَ لَا تُحِـ ... سَّ النَّدِيمَ المُعَاطِيَا
إِنْ تَفِضْ عَبْرَتِي تَجِدْ ... كَمَدَ القَلْبِ بَاقِيَا
رُبَّمَا تَعْرِفُ الجَوَى ، ... وَتَرَى الدَّمْعَ غَالِيَا

ما مقامي على الهوان

قال قدس الله روحه ونور ضريحه هذه الأبيات وقد ناله أمر ضاق به صدره فلما ظهرت جرى العتب من القادر بالله على والده لأجله فأنكرها ولم يثبتها في ديوانه إلا أنها مشهورة عنه :

ما مُقامي على الهَوَانِ ، وَعِندي مِقْوَلٌ صَارِمٌ وَأنْفٌ حَمِيُّ
وَإبَاءٌ مُحَلِّقٌ بي عَنِ الضّيْـ ـمِ كَمَا رَاغَ طَائِرٌ وَحْشِيّ
أيُّ عُذْرٍ لَهُ إلى المَجْدِ إنْ ذُ لّ غُلامٌ في غِمدِهِ المَشْرَفيّ
ألبَسُ الذّلَّ في دِيَارِ الأعَادي وَبِمِصْرَ الخَليفَةُ العَلَوِيّ
مَنْ أبُوهُ أبي وَمَوْلاهُ مَوْلا يَ ، إذا ضَامَني البَعيدُ القَصِيّ
لَفّ عِرْقي بِعِرْقِهِ سَيّدَا النّا سِ جَميعاً مُحَمّدٌ وَعَليّ
إنّ ذُلّي بذَلِكَ الجَوّ عِزٌّ ، وَأوَامي بِذَلِكَ النّقْعِ رَيّ
قَدْ يُذَلُّ العَزِيزُ مَا لمْ يُشَمّرْ لانْطِلاقٍ وَقَدْ يُضَامُ الأبيّ
إنّ شَرّاً عَليّ إسْرَاعُ عَزْمي في طِلابِ العُلَى وَحَظّي بَطِيّ
أرْتَضِي بالأذَى وَلَمْ يَقِفِ العَزْ مُ قُصُوراً ، وَلَمْ تَعِزّ المَطيّ
كالّذي يَخبِطُ الظّلامَ ، وَقد أقْ مَرَ مِنْ خَلْفِهِ النّهَارُ المُضِيّ

أترجو الخلد في دار الفناء ؟

قال رضي الله تعالى عنه يزهد في العيش
ويذم الزمان وأهله وذلك في المحرم سنة ٣٩٢ :

أتَذْهَلُ بَعْدَ إنْذارِ المَنَايَا ، وَقَبْلَ النَّزْعِ أنبَضَتِ الحَنَايَا
رُوَيدَكَ لا يَغُرّكَ كَيدُ دُنْيَا ، هيَ المِرْنَانُ مُصْمِيَةُ الرّمَايَا
فإنّكَ سَالِكٌ مِنْهَا طَرِيقاً تُقَطِّعُ فِيهِ أرْقَابُ المَطَايَا
أترْجُو الخُلْدَ في دارِ التّفَاني ، وَأمْنَ السّرْبِ في خُطَطِ البَلايَا
وَتُغْلِقُ دُونَ رَيْبِ الدّهْرِ بَاباً، كَأنّكَ آمِنٌ قَرْعَ الرّزَايَا ؟
وَإنّ المَوْتَ لازِمَةٌ قِرَاهُ ، لزُومَ العَهْدِ أعْنَاقَ البَرَايَا
لَنَا في كُلّ يَوْمٍ مِنْهُ غَازٍ لَهُ المِرْبَاعُ مِنّا وَالصّفَايَا[1]
بِجَيْشٍ لا غُبَارَ لحَجْرَتَيْهِ ، قَلِيلِ الرُّزْءِ غَرّارِ السّرَايَا
مُغِيرٌ لا يُفَادي بالأسَارَى ، وَسَابٍ لا يَمُنّ عَلى السّبَايَا
إذا قُلْنَا أغَصَّ رَأَتْ مِنْهُ كَمِيشَ الذّيْلِ يَطّلِعُ الثّنَايَا[2]
غَشُومُ النّارِ ف نَاجِذاهُ ، إذا أبْقَى أحَالَ عَلى البَقَايَا

[1] المرباع : ما كان يأخذه الرئيس من الغنيمة وهو ربعها . الصفايا : ما كان يصفيه الرئيس لنفسه قبل قسمة الغنيمة .

[2] الكميش : المشمر .

يُطيلُ غُرُورُنَا مُهَلَ الأمَاني ، وَنَنْسَى بَعْدَهُ عَجَلَ المَنَايَا
وَهَذا الدّهْرُ تَحْدُوني يَدَاهُ ، حداءَ الطِّلْحِ بالإبِلِ الرّذايَا[1]
إذا ما قُلْتُ : رَوّحْ عَقرَ ظَهرِي مِنَ الإدْلاجِ أغبَطَ بالحَوَايَا
وَإنّ النّائِبَاتِ لَهَا حُمَاةٌ ، وَإنْ كَثُرَ الرّقائِبُ وَالرّبَايَا[2]
إذا أبْطَأنَ بالغَدَوَاتِ فَاعْبَأْ قِرًى لِضُيُوفِهِنّ مَعَ العَشَايَا
وَمِنْ عَجَبٍ صُدُودُ الحَظّ عَنّا إلى المُتَعَمّمِينَ عَلى الخَزَايَا
أسَفَّ بِمَنْ يَطِيرُ إلى المَعَالي ، وَطَارَ بِمَنْ يُسِفّ إلى الدّنَايَا
تَرَى لَهُمُ المَزَايَا إنْ أرَمّوا ، وَإنْ نَطَقُوا رَأيتَ لَنَا المَزَايَا
غَبَاوَةُ هاجِرِ الدّنيا ، وَكَيدٌ ، وَلا كَيْدُ الفَوَاجِرِ وَالبَغَايَا
وَإنّ ظُهُورَهمْ لَوْ كانَ نِصْفٌ مِنَ الأنْعَامِ أوْلى بالوَلايَا
جرَتْ بهِمُ الحُظوظُ معَ القُدامَى ، وَأسْقَطَنَا الزّمَانُ مَعَ الرّدايَا
فَفَاقُوا في المَرَاتِبِ وَالمَعَالي ، وَفُقْنَا في الضّرَائِبِ وَالسّجَايَا
لَهُمْ عَنَ مالِهِمْ نَفَحاتُ كَيدٍ ، قِرَاعَ الدَّبْرِ ذادَ عَنِ الخَلايَا
ذَمَمْنَا كُلّ مُرْتَجِعٍ عَطاءً ، وَلَمْ يُعْطُوا ، فيَرْتَجعُوا العَطَايَا
فَلَوْلا اللهُ لارْتَابَتْ قُلُوبٌ بِقَاضٍ لا يُجَوَّرُ في القَضَايَا

[1] الطلح : المعيي . الرذايا : المهازيل ، الواحدة رذية .
[2] الربايا : الطلائع ، الواحدة ربيئة .

يعز علي

قال رضي الله تعالى عنه بديهة
وقد رأى أخاً لصديق له توفي :

مَضَى حَسَبٌ مِنَ الدّنْيا وَدِينٌ، وَأعْقِبَ مِنْهُمَا عَارٌ وَغَيٌّ
فَذاكَ الطّيّ للمَاضِينَ نَشْرٌ ، وَهَذا النّشْرُ للبَاقِينَ طَيّ
تَقَدّمَتِ الذّوَائِبُ وَالقُدامَى ، وَخُلّدَ بَعْدَهَا هَيٌّ وَبَيّ [1]
يَعِزّ عَلَيّ أنْ يَمْضِي وَتَبْقَى ، وَأنْ يَرِدَ المَنُونَ ، وَأنتَ حَيّ

نعي الندى والمعالي

قال قدس الله تعالى روحه يرثي أبا إسحق
إبراهيم بن هلال الصابي وقد اجتاز على قبره
وهو في الجنينة ببغداد :

أيَعْلَمُ قَبرٌ بالجُنَيْنَةِ أنّنَا أقَمْنَا بِهِ نَنْعَى النّدَى وَالمَعالِيَا
حَطَطْنَا ، فَحَيّيْنَا مَسَاعِيهِ أنّهَا عِظَامُ المَسَاعي لا العِظام البَوَالِيَا

[1] يقال : هو هي بن بي ، أي لا يعرف أصله ولا فصله .

مَرَرْنَا بِهِ ، فَاسْتَشْرَفَتْنَا رُسُومُهُ ، كما استشرَفَ الرّوْضُ الظّباءَ الجَوَازِيَا
وَما لاحَ ذاكَ التُّرْبُ حتّى تحلّبَتْ مِنَ الدّمعِ أوْشَالٌ ملأنَ المَسَاقِيَا
نَزَلْنَا إلَيْهِ عَنْ ظُهُورِ جِيَادِنَا ، نُكَفكِفُ بالأيدي الدّموعَ الجَوَارِيَا
وَلَمّا تَجاهَشنا البُكَاءَ وَلَمْ نُطِقْ عَنِ الوَجدِ إقلاعاً عَذَرْنا البَوَاكِيَا
أقُولُ لِرَكْبٍ رَائِحِينَ : تَعَرّجُوا أُرِيكُمْ بِهِ فَرْعاً من المَجْدِ ذاوِيَا
ألِمّوا عَلَيْهِ عَاقِرِينَ ، فإنّنَا إذا لمْ نَجِدْ عَقراً عَقَرْنا القَوَافِيَا
وَحُطّوا بِهِ رَحلَ المَكارِمِ وَالعُلَى ، وَكُبّوا الجِفَانَ عِندَهُ وَالمَقَارِيَا
وَلَوْ أنْصَفُوا شَقّوا عَلَيهِ ضَمَائِراً ، وَجَزّوا رِقَاباً بالظُّبَى لا نَوَاصِيَا
وَقَفنا ، فأرْخَصْنا الدّموعَ ، وَرُبّما تَكُونُ عَلى سَوْمِ الغَرَامِ غَوَالِيَا
ألا أيّهَا القَبرُ الذي ضَمّ لَحْدُهُ قَضِيباً عَلى هَامِ النّوَائِبِ مَاضِيَا
هَلِ ابنُ هِلالٍ مُنذُ أوْدَى كَعَهدِنا هِلالاً عَلى ضَوْءِ المَطالِعِ بَاقِيَا
وَتِلْكَ البَنَانُ المُورِقَاتُ مِنَ النّدى نَوَاضِبُ مَاءٍ أوْ بَوَاقٍ كَمَا هِيَا
فإنْ يَبلَ مِنْ ذاكَ اللّسانِ مَضَاؤهُ ، فإنّ بِهِ عُضْواً مِنَ المَجْدِ بَاقِيَا
يُجيبُ الدّوَاعي جَائِداً وَمُدافِعاً . هُنَاكَ مُرِمٌّ لا يُجيبُ الدّوَاعِيَا[1]
وَمَا كُنتُ آبَى طُولَ لَبْثٍ بِقَبرِهِ . لَوَ انّي ، إذا استَعدَيتُهُ ، كانَ عادِيَا
تَرَى الكَلِمَ الغُرّاتِ ، مِن بَعدِ موْته ، نَوَافِرَ عَمّنْ رَامَهُنّ . نَوَائِيَا
هُوَ الخاضِبُ الأقلامِ نَالَ بهَا عُلًى تَقَاصَرَ عَنها الخَاضِبُونَ العَوَالِيَا
مُعِيدُ ضِرَابٍ باللّسَانِ لَوَ انّهُ بِيَوْمِ وَغًى فَلّ الجُرَازَ اليَمَانِيَا

١ المرم ، من آرم : سكت .

مَرِيرُ القُوَى نَالَ المَعالِيَ وَاثِباً، إذا غَيرُهُ نَالَ المَعالِيَ حَابِيَا
مَضَى لمْ يُمانِعْ عَنهُ قَلْبٌ مُشَيَّعٌ، إذا هَمَّ لمْ يَرْجِعْ عن الهَمِّ نَابِيَا
وَلا مُسنِدُوهُ بِالأكُفِّ عنِ الحَشَى، عَلى جَزَعٍ، والمُفرِشُوهُ التَّرَاقِيَا
وَلا رَدَّ في صَدْرِ المَنُونِ بِرَاحَةٍ يَرُدُّ بها سُمْرَ القَنَا وَالمَوَاضِيَا
خَلا بَعدَكَ الوَادِي الذي كنتَ أُنسَهُ، وَأصْبَحَ تَعْرُوهُ النَّوَائِبُ وَادِيَا
أرَاحَتْ عَلَيْنَا ثَلّةُ الوَجْدِ تَرْتَعي ضَمَائِرَنَا أيّامَهَا وَاللّيَالِيَا
وَلَوْلاكَ كانَ الصّبرُ مِنْكَ سَجِيّةً تُرَاثاً، وَرِثْنَاهُ الجُدُودَ الأوَالِيَا
رَضِيتُ بحُكْمِ الدّهْرِ فيكَ ضَرُورَةً، وَمَن ذا الذي يَغدُو بِمَا سَاءَ رَاضِيَا
وَطاوَعتُ مَن رَامَ انتِزَاعَكَ مِن يَدي، وَلَوْ أجِدُ الأعوَانَ أصْبَحتُ عَاصِيَا
وَطَأمَنتُ كيما يَعبُرُ الخَطبُ جانِبي، فَألقَى عَلى ظَهْرِي وَجَرَّ زِمَامِيَا
مَلأتَ بِمَحْيَاكَ البِلادَ فَضَائِلاً، وَيَمْلأُ مَثْوَاكَ البِلادَ مَنَاعِيَا
كمَا صَمَّ عَالي ذِكرِكَ الخَلقَ كُلَّهُ، كَذاكَ أقَمْتَ العَالَمِينَ نَوَاعِيَا
رَثَيتُكَ كَيْ أسلوكَ فازْدَدتُ لَوْعةً، لأنّ المَرَاثي لا تَسُدُّ المَرَازِيَا
وَأعلَمُ أنْ لَيسَ البُكاءُ بِنَافِعٍ عَلَيكَ، وَلَكِنّي أُمَنّي الأمَانِيَا

آنت صديقي

وكتب إلى بعض أصدقائه :

أمُلْتَمِساً مِنّي صَديقاً لِنَوْبَةٍ ، وَأنتَ صَديقي لا أرَى لكَ ثانِيَا
لحَا اللهُ دَهراً خانَني فيهِ أهلُهُ ، وَأحشَمَني حتّى احتَشَمتُ الأدانِيَا
فلَسْتُ أرَى إلاّ عَدُوّاً مُكاشِفاً ؛ وَلَسْتُ أرَى إلاّ صَديقاً مُداجِيَا

المجد عنواني

يفتخر ويذم الزمان

أأُنكَرُ، وَالمَجْدُ عُنوَانِيَهْ ، وَمَخبُرَتي عِندَ أقْرَانِيَهْ[1]
وَيُعْرَفُ غَيرِي بِلا مِيسَمٍ مُبِينٍ ، وَلا غُرّةٍ ضَاحِيَهْ
ألا قَاتَلَ اللهُ هَذا الأنَامَ ، وَقَاتَلَ ظَنّي وَآمَالِيَهْ
وَدَهْراً يُمَوِّلُ زَلاّتِهِ ، وَلا يَدّخرُ العُدْمَ إلاّ لِيَهْ
إذا ما تَمَاثَلْتُ مِنْ غُصّةٍ ، أعَادَ المِرَارَ فَسَقّانِيَهْ

[1] المخبرة : العلم بالخبر .

فَيَا لَيتَ حَظّيَ مِنْ ذا الزّمَا ... نِ رَدٌّ نَوَائِبِهِ الجَارِيَهْ
زَمَانٌ عَدَا العَيُّ أبْنَاءَهُ ، ... فَأفصَحُ مِنْ نَاطِقٍ رَاغِيَهْ
سؤالاً ، فهَلْ يُخبِرَنْ سالِفٌ ... مِنَ العَيشِ قَطّعَ أقْرَانِيَهْ
ألا أينَ ذاكَ الشّبابُ الرّطِيـ ... ـبُ ، أمْ أينَ لي بِيضُ أيّامِيَهْ
مَشَى الدّهْرُ بَيْنِي وَبَينَ النّعيـ ... ـمِ ظُلماً ، وَغَيّرَ مِن حَالِيَهْ
نظَرْتُ ، وَوَيلُ امّها ، نَظرَةً ... ببيضَاءَ في عَارِضِي بَادِيَهْ
يَقُولُونَ : داعِيَةُ الشّبَابِ ؛ ... فقُلتُ : وَلَكِنّهَا نَاعِيَهْ
ألا قَطَعَ النّاسُ حَبْلَ الوَفاءِ ، ... وَأُولِعَ بالغَدْرِ خُلاّنِيَهْ
وَصِرْتُ أُعَدّدُ في ذا الزّمَانِ ... صَدِيقيَ أوّلَ أعْدائِيَهْ
أضَرُّ الأنَامِ ليَ الأقْرَبُونَ ، ... وَأعْدَى الوَرَى ليَ جِيرَانِيَهْ
إلى كَمْ أُخَفّضُ مِنْ عَزْمَتي ، ... وكم يأكُلُ العَضْبُ أغمادِيَهْ
فَلِلّهِ عَزْمِيَ لَوْ أنّهُ ... عَلى قَدْرِ عَزْمِيَ سُلْطَانِيَهْ
سَتَسمَعُ بي شارِداً في البِلادِ ... لأمْرٍ أُغَيِّرُ إنْسَانِيَهْ
وَقَدْ أغتَدي غَرَضَ النّائِبَا ... تِ ، لا يُتّقَى الرّوْعُ إلاّ بِيَهْ
نَديما جَذِيمَةَ لي في البِلادِ ... نَدِيمانِ ، وَالظّلمَةُ الدّاجِيَهْ[1]
عَلِيقُ جِيَادِيَ شَمُّ النّسيـ ... ـمِ ، وَالظِّمءُ سائِقُ أذوَادِيَهْ
دُفِعْنَ فَمِنْ مُقْلَةٍ بالدّمُو ... عِ رَيّا ، وَمن مُهجَةٍ صَادِيَهْ

١ نديما جذيمة : هما مالك وعقيل ابنا فالج . وجذيمة : ملك الحيرة الملقب بالأبرش .

يُطِرْنَ سَوَابِكَ جَعْدِ اللُّغامِ عَلى القُورِ وَالقُلَلِ السّامِيَهْ[1]
وَفي كُلّ يَوْمٍ بِلا غَايَةٍ تُقَعقِعُ للبَيْنِ أعْمادِيَهْ
وَأزْرَقِ مَاءٍ كَلَوْنِ الزّجا جِ ، بالرّمْلِ جُمّتُهُ طَامِيَهْ
سَبَقْتُ إلَيْهِ وُفُودَ القَطَا ، فَلِلّهِ سَيْرِي وَإغْذَاذِيَهْ[2]
وَقد مالَ جُلُّ الدّجى ،وَالصّباحُ كشَقْرَاءَ في جُدُدٍ عَادِيَهْ[3]
أرَى غَمرَةً يَتّقِيهَا الرّجَا لُ مَحفُوفَةً بالقَنا طَاغِيَهْ
سَألقَى بِنَفْسِيَ أهْوَالَهَا ، فَإمّا العَلاءُ أوِ الدّاهِيَهْ
أنَوْماً ألَذُّ عَلى ذِلّـةٍ ، وَيَعرَى مِنَ الذّلّ أضْدادِيَهْ
وَأرْعَى المُنى دونَ أن أستَشيرَ قَناً خَالِقاً وَظُبًى فَارِيَهْ[4]
وَأعزَلَ نَاءٍ عَنِ المَكْرُماتِ يرَى المَوْتَ من دونِ لُقيَانِيَهْ
مدَحتُ فكانَ جزَاءَ المَديح قَبُولُ نِظَامي وَأشْعَارِيَهْ
فصَرّحْتُ بالذّمّ حتّى تَرَكْـ تُ شَنعاءَ مِن عِرْضِه دامِيَهْ
وَلَمْ أهْجُهُ بِهِجَائي لَهُ ، وَلَكِنْ هَجَوْتُ بِهِ القَافِيَهْ
ألا ما أُفَيصِحَ هذا الكَلامَ، لَوَ انّ لَهُ أذُناً وَاعِيَهْ

١ السوابك ، الواحدة سبيكة : القطعة من الفضة، شبه قطع اللغام ، أي زبد أفواه الإبل ، بقطع من الفضة في ابيضاضها ، تتطاير على الجبال وقممها .

٢ اغذاذي : إسراعي في السير .

٣ جل الدجى : معظم الظلام . الجدد : الطرق ، شبه الصباح بفرس شقراء تعدو .

٤ الخالق : المقد قبل القطع . الفارية : القاطعة .

فَلا يُذْمَمِ الأمَلُ المُستَغِرُّ ، ألا رُبّمَا ضَلّتِ الهَادِيَهْ
وَقد يَنكُلُ المُستَغيِرُ الشّجَا عُ حِيناً وَتُخطي اليدُ الدّامِيَهْ

الدجى المهتوك القناع

مف البدر والثريا

وَدُجًى هَتَكْتُ قِنَاعَهُ ، عَن وَجهِ طامِسةٍ خَفِيّهْ
تَسْرِي كوَاكِبُهُ إلى الـ إصْبَاحِ ، وَاللّيْلُ المَطِيّهْ
وَالنّجْمُ وَجْهُ مُقَبَّلٍ ، وَالبَدْرُ مِرْآةٌ صَدِيّهْ

لست بخزان للمال

يمدح الخليفة الطائع لله ويستنهضه في أموره ويعاتبه
على تأخيره لاستدعائه وذلك سنة ٣٧٧ :

أُرَاعي بُلُوغَ الشّيبِ، وَالشّيبُ دائِيا، وَأَفْنِي اللّيَالي ، وَاللّيَالي فَنَائِيَا
وَمَا أَدّعي أَنّي بَرِيءٌ مِنَ الهَوَى ، وَلَكِنّني لا يَعْلَمُ القَوْمُ مَا بِيَا
تَلَوّنَ رَأسِي ، وَالرّجاءُ بِحَالِهِ ، وَفي كُلّ حَالٍ لا تَغُبّ الأمَانِيَا
خَليليّ ! هَل تُثْني منَ الوَجدِ عَبرَةٌ ، وَهَلْ تُرْجِعُ الأيّامُ ما كانَ ماضِيَا
إذا شِئْتَ أنْ تَسلَى الحَبيبَ فخَلّهِ وَرَاءَكَ أيّاماً ، وَجُرّ اللّيَالِيَا
أعِفُّ وَفي قَلْبي مِنَ الحُبّ لَوْعَةٌ ، وَلَيس عَفيفاً تارِكُ الحُبّ ، سالِيَا
إذا عَطَفَتْني للحَبيبِ عَوَاطِفٌ ، أبَيْتُ ، وَفاتَ الذّلُّ مَن كانَ آبِيَا
وَغَيرِيَ يَستَنشي الرّيَاحَ صَبَابَةً ، وَيُنْشِي عَلى طُولِ الغَرَامِ القَوَافِيَا
وَألقَى مِنَ الأحبابِ ما لَوْ لَقِيتُهُ مِنَ النّاسِ سَلّطتُ الظُّبَى وَالعَوَالِيَا
فَلا تَحسَبُوا أنّي رَضِيتُ بِذِلّةٍ ، وَلَكِنّ حُبّاً غادَرَ القَلبَ رَاضِيَا
رَعَى اللهُ مَنْ وَدّعتُهُ يوْمَ دابِقٍ ، وَوَلّيْتُ أنْهَى الدّمعَ ما كانَ جارِيَا
وَأكْتمُ أنْفَاسِي ، إذا ما ذَكَرْتُهُ ، وَما كلُّ ما تُخفيهِ ، يا قَلبُ ، خافِيَا
فعِندي زَفِيرٌ ما تَرَقّى من الحَشَى ؛ وَعندي دُمُوعٌ مَا طَلَعنَ المَآقِيَا
مَضَى ما مَضَى مِمّنْ كَرِهتُ فِرَاقَه ، وَقد قَلّ عندي الدّمعُ إن كنتُ باكِيَا
وَلا خَيرَ في الدّنيَا إذا كنتُ حاضِراً ، وَكانَ الذي يَغرَى به القَلبُ نائِيَا

إذا الليلُ واراني خفيتُ عن الكرى ، وأيدي المطايا جنحَ ليلي إزائيا
وما طالَ ليلي ، غيرَ أنّ علاقةً بقلبيَ تستقري بعيني الدراريا
ألا ليتَ شعري هل أرى غيرَ موجعٍ ؛ وهل ألقينْ قلباً من الوجد خاليا
بأيّ جنانٍ قارحٍ أطلبُ العلى ، وأطمعُ سيفي أنْ يبيدَ الأعاديا
إذا كنتُ أُعطي النفسَ في الحبّ حكمَها وأودعُ قلبي والفؤادَ الغوانيا
ولمْ أدنُ منْ وُدٍّ وقد غاضَ وِدّهُ ، ولكنّني داويتُهُ ببعاديا
تعمّدني بالضّيمِ حتّى شكوتُهُ ، ومن يشكُ لا يعدمْ من النّاسِ شاكيا
وإنّي ، إذا أبدى العدوُّ سفاهةً ، حبستُ عن العوراءِ فضلَ لسانيا
وكنتُ إذا التاثَ الصّديقُ قطعتُهُ ، وإن كانَ يوماً رائحاً كنتُ غاديا
سجيّةُ مَضّاءٍ على ما يريدُهُ ، مُقيضٍ على الأيامِ ما كانَ قاضيا
أرى الماءَ أحلى من رُضابٍ أذوقُهُ ، وأحسنَ منْ بيضِ الثّغورِ الأقاحيا
وأطيبُ من داري بلاداً أجوبُها ، إلى العزّ جوْبي بالبنانِ ردائيا
وربّ مُنًى سدّدتُ فيهِ مطالبي ، وأيّ سهامٍ لوْ بلغنَ المراميا
وهمٍّ سقيتُ القلبَ منهُ ، وحاجةٍ ركبتُ إليها غاربَ الليلِ عاريا
وعاريةُ الأيّامِ عندي نسيئةٌ أسأتُ لها قبلَ الأوانِ التّقاضيا
أرى الدّهرَ غصّاباً لما ليسَ حقّه فلا عجبٌ أنْ يستردّ العواريا
وما شبتُ من طولِ السّنينَ ، وإنّما غبارُ حروبِ الدّهرِ غطّى سواديا
وما انحطّ أولى الشّعرِ حتى نعيتُهُ ، فبيّضَ همٌّ القلبِ باقي عذاريا
أرى الموتَ داءً لا يُبَلّ عليلُهُ ، وما اعتلّ مَن لاقى من الدّهرِ شافيا

فَمَا لي وَقِرْناً لا يُغالَبُ كُلّما … مَنَعْتُ أمامي جاءَني مِنْ وَرَائِيَا
يُحَرّكُني مَنْ ماتَ لي بسُكُونِهِ ، … وَتَجديدُ دَهرِي أن أُرَى الدّهرَ باكِيَا
وَأبعَدُ شيءٍ مِنكَ ما فاتَ عَصرُهُ ، … وَأقرَبُ شيءٍ منكَ ما كانَ جائِيَا
وَلَسْتُ بِخَزّانٍ لمَالٍ ، وَإنّمَا … تُرَاثُ العُلَى وَالفَضْلِ وَالمَجدِ مالِيَا
وَإتْلافُ مَالي عَن حَياتي ألَذُّ لي ، … وَلا خيرَ أنْ يَبقى ، وَأُصْبِحَ فانِيَا
وَإنّي لألقَى رَاحَتي في تَقَنّعِي ، … وَفي طَلَبِ الإثْرَاءِ طولَ عَنَائِيَا[1]
وَإنّيَ إنْ ألقَى صَدِيقاً مُوَافِقاً ، … وَذَلِكَ شيْءٌ عازِبٌ عَنْ رَجائِيَا
وَإنّ غَرِيبَ القَوْمِ مَنْ عاشَ فيهِمُ … وَلَيسَ يرَى إلاّ عَدُوّاً مُداجِيَا[2]
وَأكثَرُ مَنْ تَلقَاهُ كالسّيفِ مُرْهَفاً … عَلَيكَ وَإنْ جَرّبتَهُ كان نَابِيَا
وَمَا أنَا إلاّ غِمْدُ قَلْبي ،فإنْ مضَى … مَضَيتُ، وَمَا لي مِنّةٌ في مَضَائِيَا
وَما حَمَلَتْني العِيسُ إلاّ مُشَمِّراً … لأخْرُقَ لَيْلاً ، أوْ لأقطَعَ وَادِيَا
طَوَارِحُ أيْدٍ في اللّيَالي كَأنّهَا … تُجَارِي إلى الصّبحِ النّجومَ الجَوَارِيَا
إذا مَا رَحَلْنَاها مِنَ الصّيفِ لَيلَةً ، … فَلا حَلّ حتّى يَنظُرَ النّجمَ رَائِيَا
طَوَاهنّ طَيَّ السّيرِ في كُلّ مَهمَهٍ ، … وَرُحنَ خِماصاً قَد طَوَيْنَ المَوَامِيَا
مَرَرْنَ بِمَيّاسِ الثُّمَامِ وَحَزْنِهِ … خِفَافاً كَأطْرَافِ العَوَالي نَوَاجِيَا[3]
وَكَمْ جاوَزَتْ مِنْ رَمْلَةٍ ثَمّ عاقِرٍ ، … وَأخرَى يَضُفّ الرّوْضُ فيها الغَوَادِيَا[4]

١ تقنعي : أخذي بالقناعة .
٢ المداجي : العدو المساتر العداوة .
٣ الثمام : نبت .
٤ العاقر من الرمل : ما لا ينبت . يضف : يجمع . الغوادي : أراد بها الأمطار التي تسقط غدوة

وَمِنْ نَفَرٍ لا يَعرِفُ الضّيفَ كَلبُهُم ، وَيَسغَبُ حتّى يَقطَعَ اللّيلَ عَاوِيَا
تَهَابُ النّدَى أيْدِيهِمُ ، فَكَأنّمَا تُلاطِمُ مِنْ بَذْلِ النّوَالِ الأثَافِيَا
وَأعلى الوَرَى مَنْ وَافَقَ الرّمحُ باعَهُ ، وَكَانَ لَهُ في كَبّةِ الخَيْلِ سَاقِيَا
وَأشرَفُهم مَن يُطلِقُ الكَفَّ بالنّدى سَخِيّاً ، بِبَذلِ المالِ ، أوْ مُتَسَاخِيَا
وَإنّ أميرَ المُؤمِنِينَ لَحَابِسٌ رِكَابيَ أنْ أرْمي بهَا مَا أمَامِيَا
مُعِيني عَلى الأيّامِ إنْ غالَبَتْ يَدِي ، وَإنْ كُنتُ مَعدُوّاً عَلَيّ وَعَادِيَا
إذا شِئتُ عَنهُ رِحلَةً حَطّ جُودُهُ حَقَائِبَ أذْوَادي وَرَدَّ المَثَانِيَا[1]
وَلَوْلاهُ ما انصَانَتْ لوَجهي طَلاوَةٌ ، وَلا كُنتُ إلاّ شاحِبَ اللّوْنِ طاوِيَا
جَرِيئاً أرُوعُ الوَحشَ في كُلّ ظُلمَةٍ ، وَأخلِطُ بالنّقعِ المُثَارِ الدّيَاجِيَا
هُوَ السّيفُ إنْ أغمَدْتَهُ كانَ حازِماً وَقُوراً ،وَإنْ جَرّدتَهُ كانَ عادِيَا
لَهُ كُلَّ يومٍ مَعْرَكٌ إنْ شَهِدْتَهُ تَرَى قُضُباً عُوناً وهاماً عَذارِيَا[2]
يَضُمُّ عَلَيْهَا جانِبَ النّقعِ بالقَنَا ، يُبَادِرْنَ قُدّامَ السّيُوفِ التّرَاقِيَا
وَيُرْسِلُ في الأقرَانِ كُلّ خَفِيّةٍ ، تَخَالُ بهَا طَيراً مِنَ الرّيحِ هَافِيَا[3]
وَيَثْني جَوَاداً من دَمِ الطّعنِ ناعِلاً ، وَيُزْجي نَجيباً من وَجى السّيرِ حافِيَا
تَسَافَهُ في الغَارَاتِ أشداقُ خَيلِهَا عَلى اللُّجْمِ حتّى تَكْرَعَ المَاءَ دامِيَا

١ الحقائب ، الواحدة حقيبة : خريطة يضع بها المسافر زاده . الأذواد : الإبل . المثاني من الدابة : ركبتاها ومرفقاها .

٢ العون ، الواحدة عوان : المرأة التي كان لها زوج . العذاري ، الواحدة عذراء : البكر . استعار العون للسيوف التي تعودت قطع الهام ، واستعار العذاري للهام : أي الرؤوس .

٣ الهافي ، من هفا الطائر : خفق بجناحيه .

عَظيمٌ عَلى غَيظِ الرّجَالِ مُحَسَّدٌ ، غلُوبٌ ، إذا ما جاذَبُوهُ المَعَالِيَا
تُغَادِيهِ في حرامٍ مغامِرا ، وَتَلْقَاهُ إلاّ عَنْ نَوَالٍ مُحَامِيَا
وَمَا قَصَبَاتُ السّبْقِ إلاّ لِمَاجِدٍ سعَى فاحتَوَى دونَ الرّجال المَساعِيَا
أيا علَمَ الإسْلامِ وَالمجْدِ وَالعُلَى ، رَضِينَاكَ مَهْدِيّاً لِدِينٍ وَهَادِيَا
وَمَا حَمَلَتْكَ الخَيلُ إلاّ رَدَدْتَهَا عَنِ الرَّوعِ حُمراً بالدّماءِ قَوَانِيَا
وَشُعْثَ النّوَاصِي يَتّخِذْنَ دمَ الطُّلَى دِهَاناً وَأطْرَافَ العَوَالي مَدارِيَا
وَغَيرُكَ يَقْتَادُ الجِيَادَ لِغَارَةٍ ، وَيُرْجِعُهَا مُلْسَ الجُلُودِ كما هِيَا
وَمَا الخَيلُ إلاّ أن تكونَ سَوَابِقاً ؛ وَمَا الأُسدُ إلاّ أن تَكونَ ضَوَارِيا
وَتَتْرُكُ صُبْحَ الجَهْلِ يَغبَرُّ ضَوْءُهُ ، وَتَقْعُكَ أخّاذٌ عَلَيْهِ الضّوَاحِيَا
بِيَوْمِ طِرَادٍ يَصْطَلي القَوْمُ تَحتَهُ بِنَارِ الحَنَايَا وَالقَنَا وَالمَوَاضِيَا
وَجُرْدٍ يُنَاقِلْنَ الرّمَاحَ عَوَابِساً ، وَيَرْمِينَ بالعَدْوِ القَطَا وَالحَوَامِيَا
خَوَارِجَ مِنْ ذَيْلِ الغُبَارِ كأنّها أنَامِلُ مَقْرُورٍ دَنَا النّارَ صَالِيَا
بكُلّ سِنَانٍ لا يَرَى الدّرْعَ جُنّةً ، وكلّ حُسامٍ لا يرَى البَيضَ وَاقِيَا[1]
وَلا سِلمَ حتّى يَخضِبَ الحرْبُ أرْضَهَا ، وَيَغْدُو فَمُ البَيداءِ بالنّقعِ رَاغِيَا
إذا ما لَقيتَ الجَيشَ أفنَيتَ جُلّهُ رَدًى وَرَدَدْتَ القَافلِينَ نَوَاعِيَا
وَمَا كُلّ مَنْ أوْمَى إلى العِزّ نالَهُ ، وَدونَ العُلَى ضَرْبٌ يُدَمّي النّوَاصِيَا
إلى كَمْ أُمَنّي النّفسَ يَوْماً وَلَيلَةً ، وَتُعْلِمُني الأيّامُ أنْ لا تَلاقِيَا
وكَمْ أنَا مَوْقُوفٌ عَلى كُلّ زَفرَةٍ ، عَلِيلُ جَوًى ، لوْ أنّ ناساً دَوَائِيَا

---

١ البيض : الخوذ التي توضع على الرؤوس ، وقوله : واقياً لا واقية ، هو على تقدير : شيئاً واقياً.

أيَسنَحُ لي رَوْضاً وأُصْبحُ عازِباً ، وَيَعرِضُ لي مَاءٌ وأُصْبحُ صَادِيَا
وَمَا أنَا إلاّ أنْ أرَاكَ بِقَانِـعٍ ، وَإنْ كُنْتَ جَرّاراً إليّ الأعَادِيَا
تَرَكْتُ إلَيْكَ النّاسَ طُرّاً وكلُّهمْ يَتُوقُ إلى قُرْبِـي وَيَهوَى مَقامِيَا
وَفارَقْتُ أقْوَاماً كِرَاماً أكُفُّهُمْ ، وَما ضِقتُ عَنهم في البِلادِ مَلاقِيَا
وَيَمنَعُني مِنْ عادَةِ الشّعرِ أنّني رَأيتُ لِبَاسَ الذّلّ بالمَالِ غَالِيَا
إذا لمْ أجِدْ بُدّاً مِنَ السّيفِ شِمتُه ، وَفَقْدِ ذَلُولٍ أرْكَبُ الصّعبَ ماشِيَا
فإنْ كُنتُ لا أعلُو عَلى عُودِ مِنبَرٍ ، فَلَسْتُ أُلاقي غَيرَ مَجدي عَالِيَا
عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ إنّي لَنَازِعٌ إلَيكَ ، وَإنْ لمْ أُعْطَ مِنكَ مُرَادِيَا
وَدُمتَ دوَامَ الشّمسِ وَالبَدرِ في الدُّنا ، تُجَدِّدُ أيّاماً وَتَنْضُو لَيَالِيَا[1]

١ تنضو : تبلي .

ف

بالجد لا بالمساعي يبلغ الشرف . . . ٥
تسمى البكار معناة وقد ملكت . . . ٨
قل لأفتى يرمي إلى المجد طرفا . . . ٩
ردوا الغليل لقلبي المشغوف . . . ١٢
ردي مر الورود ولا تعافي ١٥
وفى بمواعيد الخليط وأخلفوا . . . ١٧
أشكو إليك مداماً تكف ٢١
جرعتني غصصاً ورحت مسلماً . . . ٢٤
كل شيء من الزمان طريف ٢٥
أقعدتنا زمانة وزمان ٢٦
كم ذميل إليكم ووجيف ٢٧
قفت المنازل يوم كاظمة ٣٠
أقول لها بين الغديرين والنقا . . . ٣٤
الله يعلم ميلي عن جنابكم ٣٧

ق

لمن الحدوج تهزهن الأينق ٣٩
رأى على الغور وميضاً فاشتاق . . . ٤٢
خل دمعي وطريقه ٤٥
يا دار ما طربت إليك النوق . . . ٤٩
لو صح أن البين يعشقه ٥٤
بود الرزايا أنها في السوابق . . . ٥٧
سيدي أنت ليس كل ٦١
ألا يا لقومي للخطوب الطوارق . . . ٦٣
تعيف الطير فأنبأنه ٦٧
ألوي حيازيمي عليك تحرقاً . . . ٧٠
لا يبعد الله فتياناً رزئتهم ٧٤
لولا يذم الركب عندك موقفي . . . ٧٥
أمن ذكر دار بالمصلى إلى منى . . . ٧٦
يا ليلة كرم الزمان بها ٧٧
ولقد أقول لصاحب نبهته ٧٨
أيها الرائح المغذ تحمل ٧٩
يا حسن الخلق قبيح الأخلاق . . . ٧٩
إذا قلت إن القرب يشفي من الجوى . ٨٠
كفى حزناً أني صديق وصادق . . . ٨٠
لو كان ما تطلبه غاية ٨١
وليل تمزق عنه النسيم ٨٢
ما رقع الواشون في ولفقوا ٨٢
برقت بالوعد في دجى أملي ٨٤
أهز عاسية العيدان آبية ٨٤
قمر غاض ضوءه في المحاق ٨٥
أألخي ما اتسع الزمان ٨٨
لقاؤك جر علي الفراقا ٨٨

أبا حسن لي في الرجال فراسة . . ٨٩
سننت لهذا الرمح غرباً مذلقا . . ٩٠
جاء بها قالصة عن ساق ٩٣
نبهت مني يا أبا الغيداق ٩٤
ما لخيال الحبيب قد طرقا . . . ٩٦
ضاعت ديونك عند الغيد أعناقا . . ٩٧
خلوا عليك مطال السفر وانطلقوا . ٩٧
وردنا بها بين العذيب وضارع . . ٩٧
دولة تطلب الفرار ٩٨
أترى تراح من الفراق ٩٨

ك

يا أراك الحمى تراني أراكا . . ٩٩
لقد جشمت تعييسة في المضاحك . ١٠٢
دع الذميل إلى الغايات والرتكا . ١٠٤
يا ظبية البان ترعى في خمائله . ١٠٧
يا قلب ليتك حين لم تدع الهوى ١٠٨
يا مقلقي قلقي عليك ١٠٩
أما تحرك للأقدار نابضة . . ١١٠
أفي كل يوم أنت رام بهمة . . ١١٠
ورب غاو رميت منطقه . . ١١١
أيا راكباً ترمي به الليل جسرة . ١١١
لا يرعك الحي إن قيل هلك . . ١١٣
أنا للركائب إن بمنزل . ١١٤
أمبلغي ما أطلب الغزل . . . ١١٩
مسيري إلى ليل الشباب ضلال . . ١٢٤
أحظى الملوك من الأيام والدول . . ١٢٨
لا زعزعتك الخطوب يا جبل . . ١٣١
أين الغزال الماطل ١٣٥
أهلا بهن على التنويل والبخل . . ١٤١
ذكرت على بعدها من منالي . . . ١٤٥
ردي يا جيادي وأذني برحيل . . ١٥٠
ما ابيض من لون العوارض أفضل . ١٥٥
إلى الله إني للعظيم حمول . . . ١٦٠
من لي برعبلة من البزل . . . ١٦٤
أراقب من طيف الحبيب وصالا . . ١٦٦
أأبقى كذا أبداً مستقلا . . . ١٦٨
أتذكراني طلب الطوائل . . . ١٧١
لمن دمن بذي سلم وضال . . . ١٧٤
حب العلى شغل قلب ما له شغل . ١٧٨
قلق العدو وقد حظيت برتبة . . . ١٨٢
أمل من مثانيها فهذا مقيلها . . . ١٨٣
راحل أنت والليالي نزول . . . ١٨٧
أيرجع ميتاً رنة وعويل ١٩١
إن كان ذاك الطود خر . . . ١٩٤
أي طود دك من أي جبال . . . ١٩٧
أكذا المنون تقنطر الأبطالا . . ٢٠١
إلا يكن نصلا فغمد نصول . . . ٢٠٩
نغالب ثم تغلبنا الليالي ٢١٢
ما بعد يومك ما يسلو به السالي . . ٢١٥
نخطو وما خطونا إلا إلى الأجل . . ٢١٧
ما التامت الأرض الفضاء على فتى . ٢١٩

إن أشر الخطب فلا روعة ٢٢٠
خليلي هل لي لو ظفرت بنية . . . ٢٢٠
ورب يوم أخذنا فيه لذتنا ٢٢٢
غيري عن الود الصريح يحول . . ٢٢٢
ومقبل كفي وددت بأنه ٢٢٣
وقد كنت آبى أن أذل لصبوة . . ٢٢٣
عجلت يا شيب على مفرقي . . . ٢٢٤
أحبك بالطبع البعيد من الحجى . . ٢٢٥
أيا أثلات القاع كم نضح عبرة . . ٢٢٦
أصبت بعيني من أصاب بعينه . . . ٢٢٧
سهمك مدلول على مقتلي . . . ٢٢٨
وما تلوم جسمي عن لقائكم . . ٢٢٨
لا تحسبيه وإن أسأت به ٢٢٩
سليمان دلتني يداك على الغنى . . . ٢٢٩
أوعيداً يا بني جشم ٢٣٠
لا تعذلني في السكوت ٢٣١
وقائل لي هذا الطود مرتحل . . . ٢٣٢
قصدت العلى والمكرمات سبيل . . ٢٣٢
عصينا فيك أحداث الليالي . . . ٢٣٣
إن لم أطع هماً وأعص عواذلا . . ٢٣٥
وجد القريض إلى العتاب سبيلا . . ٢٣٦
لعمرك ما جر ذيل الفخار . . . ٢٣٧
راح يحول شعاعها ٢٣٩
سأبذل دون العز أكرم مهجة . . ٢٣٩
زلت في وقفتي على طلل . . . ٢٤٠
أبيعك بيع الأديم النغل ٢٤٠
تطاط لها فيوشك أن تجلى . . . ٢٤٢
اشتر العز بما بيع ٢٤٤
بحيث انعقد الرمل ٢٤٥
أغر أيامي مني ذا الطلل ٢٤٨
لحب إلي بالدهناء ملقى ٢٥٠
أقول والهم زميل رحلي ٢٥٢
لقد طال هزي من قوائم معشر . . ٢٥٢
إذا رابني الأقوام بعد ودادة . . ٢٥٤
غدت عرسي تجرم لي ذنوبا . . . ٢٥٥
أبى الله أن تأتي بخير فترتجى . . ٢٥٦
وذي ضغن معسولة كلماته . . . ٢٥٦
تغير القلب عما كنت تعرفه . . ٢٥٩
ولما بدا لي أن ما كنت أرتجي . . ٢٥٩
أشم ببابل بو الصغار ٢٦٠
إياك عنه عذل العاذل ٢٦١
جمحت بك الجاهات في غلوائها . . ٢٦٤
وقالوا أسغها إنما هي مضغة . . . ٢٦٥
لباك مشزور القوى ذيال . . . ٢٦٥
إن غرب الدهر مصقول . . . ٢٦٦
سل الهضب ما بين الهضاب الأطاول . ٢٦٧
رست قبورهم على ٢٦٧
تكلفني عذر البخيل ولي مال . . . ٢٦٨
تقارعنا على الأحساب حتى . . . ٢٦٨
يا سعد سعد الخيل والإبل . . . ٢٦٩
ألا حي ضيف الشيب إن طروقه . ٢٦٩
وقد تركت صوارمهم بحجر . . ٢٦٩
ومعترك للوصل يجلى عجاجه . . ٢٧٠
وإذا ما دعوا وقد نشط الروع . . ٢٧٠
أصبحت لا أرجو ولا أبتغي . . . ٢٧٠
يا عاذلان أسأتما العذلا . . . ٢٧١

رائعات أخفهن ثقيل ٢٧١
تذارعن بالأيدي من الغور بعدما . ٢٧١

م

تذكرت بين المأزمين إلى منى . . ٢٧٢
حبيبي ما أزرى بحبك في الحشا . . ٢٧٣
يا ليلة السفح ألا عدت ثانية . . ٢٧٣
نظمنا نظام العقد وداً وألفة . . . ٢٧٥
ألمع برق أم ضرم ٢٧٦
زار والركب حرام ٢٨٢
لهان الغمد ما بقي الحسام . . . ٢٨٦
وسمتك حالية الربيع المرهم . . ٢٩٠
أعلى الغور تعرفت الخياما . . . ٢٩٧
يا من رأى البرق على الأنعم . . . ٣٠١
أحق من كانت النعماء سابغة . . . ٣٠٦
لكم حرم الله المعظم لا لنا . . . ٣٠٨
ثورتها تنتعل الظلاما ٣٠٨
يا دهر ماذا الطروق بالألم . . . ٣١١
ولا مثل ليلي بالشقيقة والهوى . . ٣١٢
يا قلب ما أطول هذا الغرام . . . ٣١٣
لعمر الطير يوم ثوى ابن ليلى . . ٣١٧
ضربن إلينا خدوداً وساما . . . ٣١٩
رب أخ لي لم تلده أمي ٣٢٤
لا أشتكي ضري من الناس . . . ٣٢٥
قد يبلغ الرجل الجبان بماله . . . ٣٢٥
ولي كبد من حب ظمياء أصبحت . ٣٢٦
أبا نزار تفسد القوم النعم . . . ٣٢٦
وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه . ٣٢٩
يا عذولي ! قد فضضت جماحي . ٣٣٠
تألق نجدي كأن وميضه . . . ٣٣١
عطون بأعناق الظباء وأشرقت . . ٣٣٢
هي سلوة ذهبت بكل غرام . . . ٣٣٣
أمير المؤمنين بعثت فينا ٣٣٩
لله ثم لك المحل الأعظم ٣٤١
أترى ديار الحي ٣٤٦
وليلة ما خلصت منها ٣٥٠
أبا هرم أنحها إنني ٣٥٠
أتطمع أن ألقي إليك مقادتي . . . ٣٥١
أأبقى على نضو الهموم كأنما . . . ٣٥٢
أبا مطر وجذمك من معد . . . ٣٥٢
قالوا رجوت الندى منه بلا سبب . . ٣٥٣
إذا أرعدوا يوماً لنا بوعيدهم . . ٣٥٣
في كل يوم أنوف المجد تصطلم . . ٣٥٤
وكأنما أولى الصباح وقد بدا . . . ٣٥٤
ترحلنا الأيام وهي تقيم . . . ٣٥٥
بعثت بها معرقة الهوادي . . . ٣٥٥
أعقل قلوصك بالأجراع من إضم . ٣٥٥
كأن أيديها بوادي الرمام . . . ٣٥٦
وسود النواظر حمر الشفاه . . . ٣٥٦
ربما رد عنك سهم المرامي . . . ٣٥٦
كل يوم يجب مني سنام ٣٥٧
اتقوا بذلة العيون فغابوا . . . ٣٥٧
يعلم الجد أنني لا أضام ٣٥٧
بيني وبين الصوارم الهمم . . . ٣٥٨
لا عادت الكأس عليل النسيم . . . ٣٦٢

بني عامر ما العز إلا لقادر .	٣٦٤
شوق يعرض لا إلى الآرام .	٣٦٦
هو الدهر فينا خليع اللجام .	٣٦٨
لأمر يا بني جشم	٣٧٢
أما آن للدمع أن يستجم . .	٣٧٤
ألا خبر عن جانب الغور وارد	٣٨٠
ألا ليت أذيال الغيوث السواجم	٣٨١
هذي الرماح عصي الضال والسلم	٣٨٥
قال الضمير بما علم . .	٣٨٨
عجزنا عن مراغمة الحمام .	٣٨٩
لله جيد ما تمهد . . .	٣٩٢
ألبستني نعماً على نعم . .	٣٩٢
نهنه عتابك إلا إن هفا جرم	٣٩٣
قليل من الخلان من لا تذمه .	٣٩٤
بعاداً لمن صاحبت غير المقوم	٣٩٩
هي ما علمت فهل ترد همومها	٤٠٦
أرى نفسي تتوق إلى النجوم . .	٤٠٨
رأت شعرات في عذاري طلقة	٤١٢
هل كان يومك إلا بعد أيام . .	٤١٣
متى أنا قائم أعلى مقام . .	٤١٦
حلفت بها صيد الرؤوس سوام .	٤١٩
ما إن رأيت كمعشر صبروا .	٤٢٢
قعد الراضون بالذل فقم . .	٤٢٣
تأبى الليالي أن تديما . .	٤٢٦
من الركب ما بين النقا والأناعم .	٤٢٩
تأمل أن تفرح في دار الحزن .	٤٣٦
نعوه على ضن قلبي به . .	٤٤١
أقول والأقدار ترتمينا . . .	٤٤٣
لواعج الشوق تخطيهم وتصميني .	٤٤٤
أسل بدمعك وادي الحي إن بانوا .	٤٤٨
ملك الملوك نداء ذي شجن . .	٤٥٤
أما كنت مع الحي	٤٥٦
ما أقل اعتبارنا بالزمان . .	٤٥٩
غزال ماطل ديني	٤٦٤
فخرت قحطان أن كان لها . .	٤٦٧
ما زلت أطرق المنازل بالنوى .	٤٦٨
يا مسقط العلمين من رمل الحمى .	٤٧١
أذات الطوق لم أفرضك قلبي . .	٤٧٢
ذكرتك ذكرة لا ذاهل . . .	٤٧٣
يا روض ذي الأثل من شرقي كاظمة .	٤٧٤
يا طائر البان غريداً على فنن .	٤٧٥
أذاع بذي العهد عرفانه . .	٤٧٦
يا ظالمي والقلب ناصره . .	٤٧٩
أعاد لي عيد الضنى . . .	٤٨٠
تضاجعني الحسناء والسيف دونها .	٤٨٤
وما كنت أدري الحب حتى تعرضت .	٤٨٤
وصاحب في أصيحاب أنخت به . .	٤٨٦
وليس من الفراغ يثرن عني . . .	٤٨٧
يا رفيقي قفا نضويكما . . .	٤٨٧
ما أسرع الأيام في طينا . . .	٤٨٨
يا صاحبي تروحا بمطيتي . . .	٤٩١

قد قلت للرجل المقسم أمره . . . ٤٩١
ضلالا لسائل هذي المغاني . . . ٤٩٢
زمان الهوى ما أنت لي بزمان . . ٤٩٥
أمن شوق تعانقني الأماني . . . ٥٠٠
اسقني فاليوم نشوان ٥٠٤
حبيبي هل شهود الحب إلا . . . ٥٠٦
جنى وتجنى والفؤاد يطيعه . . . ٥٠٦
صبراً غريم الثأر من عدنان . . ٥٠٧
ورب يوم صقيل الوجه تحسبه . . ٥٠٩
الليل ينصل بين الحوض والعطن . . ٥١٠
قنا آل فهر لا قنا غطفان . . . ٥١٠
يا صاحب الحدث الذي نفثت به . . ٥١١
بمجال عزمي يملأ الملوان . . . ٥١٢
لون الشبيبة أنصل الألوان . . ٥١٦
ونمى إلي من العجائب أنه . . . ٥٢١
أيا جبلي نجد أبينا سقيتما . . . ٥٢٢
الآن أعربت الظنون ٥٢٤
ألا مخبر فيما يقول جلية . . . ٥٢٨
توقعي أن يقال قد ظعنا . . . ٥٢٩
ستعلمون ما يكون مني ٥٣٢
حقيق أن تكاثرك التهاني . . . ٥٣٤
سقاها وإن لم يرو قلبي بيانها . . ٥٣٦
ظمائي إلى من لو أراد سقاني . . ٥٣٩
دع من دموعك بعد البين للدمن . . ٥٤٢
تواعد ذا الخليط لأن يبينا . . . ٥٤٦
جناني شجاع إن مدحت وإنما . . ٥٥٢
دعا بالوحاف السود من جانب الحمى ٥٥٢
أفي كل يوم لي عشار تسوقها . . ٥٥٤
ومستهلات كصوب الحيا . . ٥٥٥
ووصية خلفت لنا من حازم . . ٥٥٦
أي المنازل ترضى بعدكم وطنا . . ٥٥٦
هذي المنازل فاضربي بجران . . ٥٥٦
قصور الجد مع طول المساعي . . ٥٥٧
سبق الدهر جدكم في الرهان . . ٥٥٧
هبي لي ني زورك والبواني . . ٥٥٧
بئس التحية بيننا المران . . . ٥٥٨
وبرق حدا المزن حدو الثقال . . ٥٥٨

هـ

إلى أين مرمى قصدها وسراها . . ٥٥٩
تلفت والرمل ما بيننا . . . ٥٦٢
أحبك ما أقام منى وجمع . . . ٥٦٣
يا طالباً ملك بني بويه ٥٦٤
عاد الهوى بظباء مكة ٥٦٦
أكبح النفس إن جمحت . . . ٥٦٨
لمن بعده أسيافه وقناه ٥٦٨

و

علق القلب من أطال عذابي . . . ٥٦٩

ي

أقول لركب رائحين لعلكم . . . ٥٧٠
من رأى أعيناً حذفن ٥٧٢

ما مقامي على الهوان وعندي . ٥٧٦
أتذهل بعد إنذار المنايا . . ٥٧٧
مضى حسب من الدنيا ودين . ٥٧٩
أيعلم قبر بالجنينة أننا . . ٥٧٩
أملتمساً مني صديقاً لنوبة . . . ٥٨٢
أألنكر والمجد عنوانيه ٥٨٢
ودجى هتكت قناعه . . . ٥٨٥
أراعي بلوغ الشيب والشيب دائيا . ٥٨٦

ديوان العرب

ظهر في هذه المجموعة :

1 ديوان المتنبي
2 « ابن الفارض
3 « عبيد بن الأبرص
4 « امرىء القيس
5 « عنترة
6 « عبيد الله بن قيس الرقيات
7 « أبي فراس
8 « عامر بن الطفيل
9 « الخنساء
10 « زهير بن أبي سلمى
11 « النابغة الذبياني
12 « ابن زيدون
13 « ابن حمديس
14 « جرير
15 شرح المعلقات السبع للزوزني
16 سقط الزند لأبي العلاء المعري
17 اللزوميات « « « (جزآن)
18 ديوان الفرزدق (جزآن)
19 « الأعشى
20 « أوس بن حجر
21 « جميل بثينة
22 « الشريف الرضي (جزآن)
23 « طرفة بن العبد
24 « عمر بن أبي ربيعة

DĪWĀN

AŠ-ŠARĪF ar-RAḌI

al-MŪSAWI

Tome II

Editeurs

DAR SADER DAR BEYROUTH

BEYROUTH

الثمن ١–٢ : ٣٠٠٠ ق.ل.